KÖPRÜLÜ KÜT.
74

KÖPRÜLÜ KÜT.
74

[illegible]
٧٤

[illegible]

٧٤

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي نزل الكتاب على عبده ليكون للعالمين نذيرا فتحدى باقصر سورة من سوره مصاقع الخطباء من العرب العرباء فلم يجد به قديرا وافحم من تصدى لمعارضته من فصحاء عدنان وبلغاء قحطان حتى حسبوا انهم سحروا تسحيرا ثم بين للناس ما نزل اليهم حسبما عن لهم من مصالحهم ليدبروا اياته وليتذكر اولوا الالباب تذكيرا فكشف لهم قناع الانغلاق عن ايات محكمات هن ام الكتاب واخر متشابهات هي رموز الخطاب تاويلا وتفسيرا وابرز غوامض الحقائق ولطائف الدقائق ليتجلى لهم خفايا الملك والملكوت وخبايا قدس الجبروت ليتفكروا فيها تفكيرا ومهد لهم قواعد الاحكام واوضاعها من نصوص الايات والماعها ليذهب عنهم الرجس ويطهرهم تطهيرا فمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد فهو في الدارين حميد وسعيد ومن لم يرفع اليه راسه واطفا نبراسه يعش ذميما ويصلى سعيرا فيا واجب الوجود ويا فائض الجود ويا غاية كل مقصود صل عليه صلوة توازي غناءه وتجازي عناءه وعلى من اعانه وقرر تبيانه تقريرا وافض علينا من بركاتهم واسلك بنا مسالك كراماتهم وسلم عليهم وعلينا تسليما كثيرا

اما بعد فان اعظم العلوم مقدارا وارفعها شرفا ومنارا علم التفسير الذي هو رئيس العلوم الدينية وراسها ومبنى قواعد الشرع واساسها لا يليق لتعاطيه والتصدي للتكلم فيه الا من برع في العلوم الدينية كلها اصولها وفروعها وفاق في الصناعات العربية والفنون الادبية بانواعها ولطالما احدث نفسي بان اصنف في هذا الفن كتابا يحتوي على صفوة ما بلغني من عظماء الصحابة وعلماء التابعين ومن دونهم من السلف الصالحين وينطوي على نكت بارعة ولطائف رائعة استنبطتها انا ومن قبلي من افاضل المتاخرين واماثل المحققين ويعرب

من وجوه القراآت المعزية الى الائمة الثمانية المشهورين والشواذ المروية عن القراء المعتبرين الا ان قصور بضاعتي يثبطني عن الاقدام ويمنعني عن الانتصاب في هذا المقام حتى سنح لي بعد الاستخارة ما صمم به عزمي على الشروع فيما اردته والاتيان بما قصدته ناويا ان اسميه بعد ان اتممه بانوار التنزيل واسرار التاويل فها انا الان اشرع وبحسن توفيقه سبحانه وتعالى اقول وهو الموفق لكل خير والمعطي لكل سول

سورة فاتحة الكتاب ... سبع آيات

وتسمى ام القران لانها مفتتحه ومبدؤه فكانها اصله ومنشؤه ولذلك تسمى اساسا او لانها تشتمل على ما فيه من الثناء على الله تعالى والتعبد بامره ونهيه وبيان وعده ووعيده او على جملة معانيه من الحكم النظرية والاحكام العملية التي هي سلوك الطريق المستقيم والاطلاع على مراتب السعداء ومنازل الاشقياء وسورة الكنز والوافية والكافية لذلك وسورة الحمد والشكر والدعاء وتعليم المسئلة لاشتمالها عليها والصلوة لوجوب قراءتها او استحبابها فيها والشافية والشفاء لقوله عم هي شفاء لكل داء والسبع المثاني لانها سبع ايات بالاتفاق الا ان منهم من عد التسمية دون انعمت عليهم ومنهم من عكس وتثنى في الصلوة او الانزال ان صح انها انزلت بمكة حين فرضت الصلوة وبالمدينة حين حولت القبلة وقد صح انها مكية لقوله تعالى ولقد اتيناك سبعا من المثاني وهو مكي بالنص بسم الله الرحمن الرحيم وهي اية من الفاتحة وعليه قراء مكة والكوفة وفقهاؤهما وابن المبارك والشافعي وخالفهم قراء المدينة والبصرة والشام وفقهاؤها ومالك والاوزاعي ولم ينص ابو حنيفة فيه بشيء وظن انها ليست من السورة عنده وسئل محمد بن الحسن عنها فقال ما بين الدفتين كلام الله تعالى لنا احاديث كثيرة منها ما روى ابو هريرة رض انه عم قال فاتحة الكتاب سبع ايات اولهن بسم الله الرحمن الرحيم وقول ام سلمة رض قرا رسول الله الفاتحة وعد بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين اية ومن اجلهما اختلف في انها اية برأسها او بما بعدها والاجماع على ان ما بين الدفتين كلام الله تعالى والوفاق على اثباتها في المصاحف مع المبالغة في تجريد القران العظيم حتى لم يكتب امين والباء متعلقة بمحذوف تقديره بسم الله اقرا لان الذي يتلوه مقروء وكذلك يضمر كل فاعل ما يجعل التسمية مبدا له وذلك اولى من ان يضمر ابدا لعدم ما يطابقه وما يدل عليه او ابتدائي لزيادة اضمار فيه وتقديم المعمول ههنا اوقع كما في قوله عز وجل بسم الله مجراها ومرساها وقوله اياك نعبد لانه اهم وادل

على الاختصاص وادخل في التعظيم واوفق للوجود فان اسمه عز وجل مقدم على
القراءة كيف وقد جعل آلة لها من حيث ان الفعل لا يتم ولا يعتد به شرعا ما لم
يصدر باسمه عز وجل لقوله عم كل امر ذي بال لم يبدا فيه ببسم الله فهو ابتر
وقيل الباء للمصاحبة والمعنى متبركا ببسم الله اقرا وهذا وما بعده الى آخر
السورة مقول على السنة العباد ليعلموا كيف يتبرك باسمه ويحمد على نعمه ويسال
من فضله وانما كسرت ومن حق الحروف المفردة ان تفتح لاختصاصها بلزوم الحرفية
والجر كما كسرت لام الامر ولام الاضافة داخلة على المظهر للفصل بينهما وبين
لام الابتداء والاسم عند البصريين من الاسماء التي حذفت اعجازها لكثرة الاستعمال
وبنيت اوايلها على السكون وادخل عليها مبتدا بها همزة الوصل لان من دابهم
ان يبتدوا بالمتحرك ويقفوا على الساكن ويشهد له تصريفهم على اسماء وسمي
وسمية ومجي سمى كهدى لغة فيه قال والله اسماك سمى مباركا ● آثرك الله
به ايثاركا ● والقلب بعيد غير مطرد واشتقاقه من السمو لانه رفعة للمسمى
وشعار له ومن السمة عند الكوفيين واصله وسم حذفت الواو وعوضت
عنها همزة الوصل ليقل اعلاله ورد بان الهمزة لم تعهد داخلة على ما حذف
صدره في كلامهم ومن لغاته سم وسم قال باسم الذي في كل سورة سمه والاسم
ان اريد به اللفظ فغير المسمى لانه يتالف من اصوات مقطعة غير قارة ويختلف
باختلاف الامم والاعصار ويتعدد تارة ويتحد اخرى والمسمى لا يكون كذلك
وان اريد به ذات الشي فهو المسمى لكنه لم يشتهر بهذا المعنى وقوله تعالى سبح
اسم ربك المراد به اللفظ لانه كما يجب تنزيه ذاته وصفاته عن النقايص يجب تنزيه
الالفاظ الكريمة الموضوعة لها عن الرفث وسوء الادب او الاسم فيه مقحم كما في
قول الشاعر الى الحول ثم اسم السلام عليكما وان اريد به الصفة كما هو راي
الشيخ ابي الحسن الاشعري انقسم انقسام الصفة عنده الى ما هو نفس المسمى و
الى ما هو غيره والى ما ليس هو ولا غيره وانما قال بسم الله ولم يقل بالله لان التبرك
والاستعانة بذكر اسمه عز وجل او للفرق بين اليمين والتيمن ولم يكتب الالف على
ما هو وضع الخط لكثرة الاستعمال وطولت الباء عوضا عنها والله اصله
الاه فحذفت الهمزة وعوض عنها الالف واللام ولذلك قيل يا الله بالقطع
الا انه مختص بالمعبود بالحق والاله في الاصل يقع على كل معبود ثم غلب على
المعبود بالحق واشتقاقه من اله الاهة والوهة والوهية بمعنى عبد ومنه
تاله واستاله وقيل من اله اذا تحير اذ العقول تتحير في معرفته عز وجل او

او من الهت الى فلان اي سكنت اليه لان القلوب تطمين بذكره سبحانه والارواح
الى معرفته او من اله اذا فزع من امر نزل عليه والهه غيره اجاره اذ العايذ
يفزع اليه وهو يجيره حقيقة او بزعمه اذا اطلق لغيره تعالى كاطلاقهم
الالهة على الصنم او من اله الفصيل اذا ولع بامه اذ العباد يولعون بالتضرع
اليه في الشدايد او من وله اذا تحير وتخبط عقله وكان اصله ولاه
فقلبت الواو همزة لاستثقال الكسرة عليها استثقال الضم في وجوه وقيل
الاه كاعاء واشاح ويرده الجمع على الهة دون اولهة وقيل اصله لاه مصدر
لاه يليه ليها ولاها اذا احتجب وارتفع لانه تعالى محجوب عن ادراك الابصار
ومرتفع على كل شي وعما لا يليق به ويشهد له قول الشاعر ● كحلفة من ابي
رباح ● يسمعها لاهه الكبار ● وقيل علم لذاته المخصوصة لانه يوصف و
لا يوصف به ولانه لا بد له من اسم يجري عليه صفاته ولا يصلح له مما يطلق
عليه سواه ولانه لو كان وصفا لم يكن قول لا اله الا الله توحيدا مثل لا اله
الا الرحمن فانه لا يمنع الشركة والاظهر انه وصف في اصله لكنه لما غلب
عليه بحيث لا يستعمل في غيره عز وجل صار كالعلم مثل الثريا والصعق اجري
مجراه في اجراء الاوصاف عليه وامتناع الوصف به وعدم تطرق احتمال الشركة
اليه لان ذاته تعالى من حيث هو بلا اعتبار امر آخر حقيقي او غيره غير معقول
للبشر فلا يمكن ان يدل عليه بلفظ ولانه لو دل على مجرد ذاته المخصوص لما
افاد ظاهر قوله عز وجل وهو الله في السموات معنى صحيحا ولان معنى الاشتقاق
هو كون احد اللفظين مشاركا للآخر في المعنى والتركيب وهو حاصل بينه وبين
الاصول المذكورة وقيل اصله لاها بالسريانية فعرب بحذف الالف الاخيرة
وادخال اللام عليه وتفخيم لامه اذا انفتح ما قبله او انضم سنة وقيل
مطلقا وحذف الفه لحن تفسد به الصلوة ولا ينعقد به صريح اليمين وقد
جاء في ضرورة الشعر ● الا بارك الله في سهيل ● اذا ما الله بارك في
الرجال ● الرحمن الرحيم اسمان بنيا للمبالغة من رحم كغضبان من غضب
والعليم من علم والرحمة في اللغة رقة القلب انعطاف يقتضي التفضل و
الاحسان ومنه الرحم لانعطافها على ما فيها واسماء الله تعالى انما توخذ
باعتبار الغايات التي هي افعال دون المبادي التي تكون انفعالات و
الرحمن ابلغ من الرحيم لان زيادة البناء تدل على زيادة المعنى كما في قطع و
وذلك انما يوخذ تارة باعتبار الكمية واخرى باعتبار الكيفية فعلى الاول

وقيل يا رحمن الدنيا لانه يعم المؤمن والكافر ورحيم الاخرة لانه يخص بالمؤمن وعلى
الثاني قيل يا رحمن الدنيا والاخرة ورحيم الدنيا لان النعم الاخروية كلها جسام
واما النعم الدنيوية فجليلة وحقيرة وانما قدم والقياس يقتضي الترقي من الادنى
الى الاعلى لتقدم رحمة الدنيا ولانه صار كالعلم من حيث انه لا يوصف به غيره
لان معناه المنعم الحقيقي البالغ في الرحمة غايتها وذلك لا يصدق على غيره سبحانه
لان من عداه فهو مستعيض بلطفه وانعامه يريد به جزيل ثواب او جميل ثناء او
يزيح رقة الجنسية او حب المال عن القلب ثم انه كالواسطة في ذلك لان ذات
النعم ووجودها والقدرة على ايصالها والداعية الباعثة عليه والتمكن من
الانتفاع بها والقوى التي بها يحصل الانتفاع الى غير ذلك من خلقه عز وجل لا يقدر
عليها احد غيره او لان الرحمن لما دل على جلائل النعم واصولها ذكر الرحيم ليتناول
ما خرج منها فيكون كالتتمة والرديف له او للمحافظة على رؤس الاي والاظهر
انه غير منصرف وان حظر اختصاصه بالله تعالى ان يكون له مؤنث على فعلانة او فعلى
الحاقا له بما الغالب في بابه وتخصيص التسمية بهذه الاسماء ليعلم العارف ان المستحق
لان يستعان به في مجامع الامور هو المعبود الحقيقي الذي هو مولى النعم كلها عاجلها
وآجلها جليلها وحقيرها فيتوجه بشراشره الى جناب القدس ويتمسك بحبل
التوفيق ويشغل سره بذكره والاستمداد به عن غيره الحمد لله الحمد هو الثناء على
الجميل الاختياري من نعمة او غيرها والمدح هو الثناء على الجميل مطلقا تقول حمدت
زيدا على علمه وكرمه ولا تقول حمدته على حسنه بل مدحته وقيل هما اخوان والشكر
مقابلة النعمة قولا وعملا واعتقادا قال ۞ افادتكم النعماء مني ثلاثة ۞ يدي
ولساني والضمير المحجبا ۞ فهو اعم منهما من وجه واخص من وجه آخر ولما كان
الحمد من شعب الشكر اشيع للنعمة وادل على مكانها لخفاء الاعتقاد وما في آداب
الجوارح من الاحتمال جعل رأس الشكر والعمدة فيه فقال عم الحمد رأس الشكر ما
شكر الله تعالى من لم يحمده والذم نقيض الحمد والكفران نقيض الشكر ورفعه بالابتداء
وخبره لله واصله النصب وقد قرئ به وانما عدل عنه الى الرفع ليدل على عموم الحمد
وثباته له دون تجدده وحدوثه وهو من المصادر التي تنصب بافعال مضمرة لا
يكاد يستعمل معها والتعريف فيه للجنس ومعناه اشارة الى ما يعرفه كل احد
ان الحمد ما هو او للاستغراق اذ الحمد في الحقيقة كله لله تعالى اذ ما من خير الا وهو
موليه بوسط او بغير وسط كما قال الله تعالى وما بكم من نعمة فمن الله وفيه اشعار
بانه عز وجل حي قادر مريد عالم اذ الحمد لا يستحقه الا من كان هذا شانه وقرئ

الحمد لله بالكسر باتباع الدال للام وبالعكس تنزيلا لهما من حيث انهما تستعملان
معا منزلة كلمة واحدة رب العالمين الرب في الاصل بمعنى التربية وهو تبليغ الشيء
الى كماله شيئا فشيئا ثم وصف به للمبالغة كالصوم والعدل وقيل هو نعت من ربه
يربه فهو رب كقولك نم ينم فهو نم ثم سمي به المالك لانه يحفظ ما يملكه ويربيه
ولا يطلق على غيره تعالى الا مقيدا كقوله تعالى ارجع الى ربك والعالم اسم لما يعلم
به كالخاتم والقالب غلب فيما يعلم به الصانع وهو كل ما سواه من الجواهر والاعراض
فانها لامكانها وافتقارها الى مؤثر واجب لذاته تدل على وجوده وانما جمع
ليشمل ما تحته من الاجناس المختلفة وغلب العقلاء منهم فجمعه بالياء والنون
كسائر اوصافهم وقيل اسم وضع لذوي العلم من الملائكة والثقلين وتناوله
لغيرهم على سبيل الاستتباع وقيل عني به الناس ههنا فان كل واحد منهم عالم من حيث
انه يشتمل على نظائر ما في العالم الكبير من الجواهر والاعراض يعلم بها الصانع كما يعلم
بما ابدعه في العالم ولذلك سوى بين النظر فيهما وقال تعالى وفي انفسكم افلا تبصرون
وقرئ رب العالمين بالنصب على المدح او النداء او بالفعل الذي دل عليه الحمد وفيه دليل
على ان الممكنات كما هي مفتقرة الى المحدث حال حدوثها فهي مفتقرة الى المبقي حال
بقائها الرحمن الرحيم كرره للتعليل على ما سنذكره مالك يوم الدين قراءة عاصم والكسائي
ويعقوب ويعضده قراءة يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله وقرأ الباقون
ملك وهو المختار لانه قراءة اهل الحرمين ولقوله تعالى لمن الملك اليوم ولما فيه من
التعظيم والمالك هو المتصرف في الاعيان المملوكة كيف يشاء من الملك والملك هو المتصرف
بالامر والنهي في المأمورين من الملك وقرئ ملك بالتخفيف وملك بلفظ الفعل ومالكا
بالنصب على المدح او الحال ومالك بالرفع منونا ومضافا على انه خبر مبتدأ محذوف
وملك مضافا بالرفع والنصب ويوم الدين يوم الجزاء ومنه كما تدين تدان وبيت الحماسة
ولم يبق سوى العدوان دناهم كما دانوا واضاف اسم الفاعل الى الظرف اجراء له مجرى
المفعول به على الاتساع كقولهم يا سارق الليلة اهل الدار ومعناه ملك الامور
يوم الدين على طريقة ونادى اصحاب الجنة او له الملك في هذا اليوم على وجه
الاستمرار لتكون الاضافة معدة لوقوعه صفة للمعرفة وقيل الدين الشريعة
وقيل الطاعة والمعنى يوم جزاء الدين وتخصيص اليوم بالاضافة اما لتعظيمه او
لتفرده تعالى بنفوذ الامر فيه واجراء هذه الاوصاف على الله تعالى من كونه موجدا
للعالمين ربا لهم منعما عليهم بالنعم كلها ظاهرها وباطنها عاجلها وآجلها
مالكا لامورهم يوم الثواب والعقاب للدلالة على انه الحقيق بالحمد لا احد احق

منه بل لا يستحقه على الحقيقة سواه فان ترتب الحكم على الوصف يشعر بعليته له
وللاشعار بطريق المفهوم على ان من لا يتصف بتلك الصفات لا يستاهل لان يحمد
فضلا عن ان يعبد ليكون دليلا على ما بعده فالوصف الاول لبيان ما هو الموجب للحمد
وهو الايجاد والتربية والثاني والثالث للدلالة على انه متفضل بذلك مختار فيه
ليس يصدر عنه لايجاب بالذات او وجوب عليه قضية لسوابق الاعمال حتى يستحق
به الحمد والرابع لتحقيق الاختصاص بانه لا يقبل الشركة فيه بوجه ما وتضمين
الوعد للحامدين والوعيد للمعرضين **اياك نعبد واياك نستعين** ثم انه سبحانه وتعالى
لما ذكر الحقيق بالحمد ووصف بصفات عظام تميز بها عن سائر الذوات وتعلق العلم
بمعلوم معين خوطب بذلك اي يا من هذا شانه نخصك بالعبادة والاستعانة ليكون
ادل على الاختصاص وكان المعلوم صار عيانا والمعقول مشاهدا والغيبة حضورا
وللترقي من البرهان الى العيان والانتقال من الغيبة الى الشهود بني اول الكلام على
ما هو مبادي حال العارف من الذكر والفكر والتامل في اسمائه والنظر في آلائه والاستدلال
بصنائعه على عظيم شانه وباهر برهانه ثم قفي بما هو منتهى امره وهو ان يخوض لجة
الوصول ويصير من اهل المشاهدة فيراه عيانا ويناجيه شفاها اللهم اجعلنا
من الواصلين الى العين دون السامعين للاثر ومن عادة العرب التفنن في الكلام
والعدول والانتقال من اسلوب الى آخر تطرية له وتنشيطا للسامع فيعدل
من الخطاب الى الغيبة ومن الغيبة الى التكلم وبالعكس كقوله تعالى حتى اذا كنتم في
الفلك وجرين بهم بريح وقوله تعالى والله الذي ارسل الرياح فتثير سحابا فسقناه
وقول امرئ القيس • تطاول ليلك بالاثمد • ونام الخلي ولم ترقد • وبات وباتت
له ليلة • كليلة ذي العائر الارمد • وذلك من نبإ جاءني • وخبرته عن
ابي الاسود • واياك ضمير منصوب منفصل وما يلحقه من الياء والكاف والهاء
حروف زيدت لبيان التكلم والخطاب والغيبة لا محل لها من الاعراب كالتاء في
انت والكاف في ارايتك وقال الخليل ايا مضاف اليها واحتج بما حكاه عن بعض
العرب اذا بلغ الرجل الستين فاياه وايا الشواب وهو شاذ لا يعتمد عليه و
قيل هي الضماير وايا عمدة فانها لما فصلت عن العوامل تعذر النطق بها مفردة
فضم اليها ايا لتستقل به وقيل الضمير هو المجموع وقرئ اياك بفتح الهمزة
وهياك بقلبها هاء والعبادة اقصى غاية الخضوع والتذلل ومنه طريق
معبد اي مذلل وثوب ذو عبدة اذا كان في غاية الصفاقة ولذلك لا يستعمل الا
في الخضوع لله تعالى والاستعانة طلب المعونة وهي اما ضرورية او غير ضرورية

والضرورية ما لا يتاتى الفعل دونه كاقتدار الفاعل وتصوره وحصول
آلة ومادة يفعل بها فيها وعند استجماعها يصح ان يوصف الرجل بالاستطاعة
ويصح ان يكلف بالفعل وغير الضرورية تحصيل ما يتيسر به الفعل ويتسهل
كالراحلة في السفر للقادر على المشي او يقرب الفاعل الى الفعل ويحثه عليه
وهذا القسم لا يتوقف عليه صحة التكليف والمراد طلب المعونة في المهمات كلها
او في اداء العبادات والضمير المستكن في الفعلين للقارئ ومن معه من
الحفظة وحاضري صلوة الجماعة او له ولسائر الموحدين ادرج عبادته في
تضاعيف عبادتهم وخلط حاجته بحاجتهم لعلها تقبل ببركتها وتجاب اليها
ولهذا شرعت الجماعة وقدم المفعول للتعظيم والاهتمام به والدلالة على
الحصر ولذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما معناه نعبدك ولا نعبد غيرك وتقديم ما هو مقدم في
الوجود والتنبيه على ان العابد ينبغي ان يكون نظره الى المعبود اولا وبالذات
ومنه الى العبادة لا من حيث انها عبادة صدرت عنه بل من حيث انها نسبة شريفة
اليه ووصلة بينه وبين الحق عز وجل فان العارف انما يحق وصوله اذا استغرق
في ملاحظة جناب القدس وغاب عما عداه حتى انه لا يلاحظ نفسه ولا حالا
من احوالها الا من حيث انها ملاحظة له ومنتسبة اليه ولذلك فضل ما حكاه الله
عن حبيبه حين قال لا تحزن ان الله معنا على ما حكاه عز وجل عن كليمه حيث قال
ان معي ربي سيهدين وكرر الضمير للتنصيص على انه عز وجل هو المستعان به لا
غير وقدمت العبادة على الاستعانة ليتوافق رؤس الآي وليعلم منه ان تقديم
الوسيلة على طلب الحاجة ادعى الى الاجابة واقول لما نسب المتكلم العبادة الى
نفسه اوهم ذلك تبجحا واعتدادا منه بما صدر عنه فعقبه بقوله عز وجل و
اياك نستعين ليدل على ان العبادة ايضا مما لا تتم ولا يستتب له الا بمعونة منه
وتوفيق وقيل الواو للحال والمعنى نعبدك مستعينين بك وقرئ بكسر النون فيهما
وهي لغة بني تميم فانهم يكسرون حروف المضارعة سوى الياء اذا لم ينضم ما
بعدها **اهدنا الصراط المستقيم** بيان للمعونة المطلوبة كانه قال كيف اعينكم
فقالوا اهدنا او افراد لما هو المقصود الاعظم والهداية دلالة بلطف ولذلك
تستعمل في الخير وقوله تعالى فاهدوهم الى صراط الجحيم وارد على التهكم ومنه الهدية
وهوادي الوحش لمقدماتها والفعل منه هدى واصله ان يعدى باللام او الى
فعومل معاملة اختار في قوله تعالى واختار موسى قومه وهداية الله تعالى
تتنوع انواعا لا يحصيها عد لكنها تنحصر في اجناس مترتبة الاول افاضة

القوى التي بها يتمكن المرء من الاهتداء إلى مصالحه كالقوة العقلية والحواس الباطنة والمشاعر الظاهرة والثاني نصب الدلائل الفارقة بين الحق والباطل والصلاح والفساد وإليه أشار حيث قال تعالى وهديناه النجدين وقال تعالى وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى والثالث الهداية بإرسال الرسل عم وإنزال الكتب وإياها عنى بقوله وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وقوله تعالى إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم والرابع أن يكشف على قلوبهم السرائر ويريهم الأشياء كما هي بالوحي والإلهام والمنامات الصادقة وهذا قسم مختص بنيله الأنبياء عم والأولياء رضهم وإياه عنى بقوله تعالى أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وقوله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا فالمطلوب إما زيادة ما منحوه من الهدى أو الثبات عليه أو حصول المراتب المترتبة عليه فإذا قاله العارف الواصل عنى به أرشدنا طريق السير فيك لتمحو عنا ظلمات أحوالنا وتميط غواشي أبداننا لنستضيء بنور قدسك فنراك بنورك والأمر والدعاء يتشاركان لفظا ومعنى ويتفاوتان بالاستعلاء والتسفل وقيل بالرتبة والسراط من سرط الطعام إذا ابتلعه فكأنه يسترط السابلة ولذلك سمي لقما لأنه يلتقمهم والصراط من قلب السين صادا ليطابق الطاء في الإطباق وقد يشم الصاد صوت الزاي ليكون أقرب إلى المبدل عنه وقرأ ابن كثير برواية قنبل ورويس عن يعقوب بالأصل وحمزة بالإشمام والباقون بالصاد وهو لغة قريش والثابت في الإمام وجمعه سرط ككتب وهو كالطريق في التذكير والتأنيث والمستقيم المستوي والمراد به طريق الحق وقيل هو ملة الإسلام

صراط الذين أنعمت عليهم بدل من الأول بدل الكل من الكل وهو في حكم تكرير العامل من حيث أنه المقصود بالنسبة وفائدته التوكيد والتنصيص على أن طريق المسلمين هو المشهود عليه بالاستقامة على آكد وجه وأبلغه لأنه جعل كالتفسير والبيان له وكأنه من البين الذي لا خفاء فيه أن الطريق المستقيم ما يكون طريق المؤمنين وقيل الذين أنعمت عليهم الأنبياء عم وقيل أصحاب موسى وعيسى عليهما السلام قبل النسخ والتحريف وقرئ صراط من أنعمت عليهم والإنعام إيصال النعمة وهي في الأصل الحالة التي يستلذها الإنسان فأطلقت لما يستلذه من النعمة وهي اللين ونعم الله عز وجل وإن كانت مما لا تحصى كما قال الله تعالى وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها فهي منحصرة في جنسين دنيوي وأخروي والأول قسمان موهبي وكسبي والموهبي قسمان روحاني كنفخ الروح فيه وإشراقه بالعقل وما يتبعه من القوى كالفهم والفكر والنطق وجسماني كتخليق البدن والقوى الحالة فيه والهيئات العارضة

له من الصحة وكمال الأعضاء والكسبي تزكية النفس عن الرذائل وتحليتها بالأخلاق السنية والملكات الفاضلة وتزيين البدن بالهيئات المطبوعة والحلي المستحسنة وحصول الجاه والمال والثاني أن يغفر ما فرط منه ويرضى عنه ويبوئه في أعلى عليين مع الملائكة المقربين أبد الآبدين والمراد هو القسم الأخير وما يكون وصلة إلى نيله من القسم الآخر فإن ما عدا ذلك يشترك فيه المؤمن والكافر

غير المغضوب عليهم ولا الضالين بدل من الذين على معنى أن المنعم عليهم هم الذين سلموا من الغضب والضلال أو صفة له مبينة أو مقيدة وذلك إنما يصح بأحد التأويلين إجراء الموصول مجرى النكرة إذا لم يقصد به معهود كالمحلى في قوله ولقد أمر على اللئيم يسبني وقولهم إني لأمر على الرجل مثلك فيكرمني أو جعل غير معرفة بالإضافة لأنه أضيف إلى ما له ضد واحد وهو المنعم عليهم فيتعين تعين الحركة من غير السكون وعن ابن كثير نصبه على الحال من الضمير المجرور والعامل أنعمت أو بإضمار أعني أو بالاستثناء إن فسر النعم بما يعم القبيلتين والغضب ثوران النفس إرادة الانتقام فإذا أسند إلى الله تعالى أريد به المنتهى والغاية على ما مر وعليهم في محل الرفع لأنه نائب مناب الفاعل بخلاف الأول ولا مزيدة لتأكيد ما في غير من معنى النفي فكأنه قال لا المغضوب عليهم ولا الضالين ولذلك جاز أنا زيدا غير ضارب كما جاز أنا زيدا لا ضارب وإن امتنع أنا زيدا مثل ضارب وقرئ وغير الضالين والضلال العدول عن الطريق السوي عمدا أو خطأ وله عرض عريض والتفاوت ما بين أدناه وأقصاه كثير وقيل المغضوب عليهم اليهود لقوله تعالى من لعنه الله وغضب عليه والضالين النصارى لقوله تعالى قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل وقد روي مرفوعا ويتجه أن يقال المغضوب عليهم العصاة والضالون الجاهلون بالله تعالى لأن المنعم عليه من وفق للجمع بين معرفة الحق لذاته والخير للعمل به فكان المقابل له من اختل إحدى قوتيه العاقلة والعاملة والمخل بالعمل فاسق مغضوب عليه لقوله تعالى في القاتل عمدا وغضب الله عليه والمخل بالعقل جاهل ضال لقوله تعالى فماذا بعد الحق إلا الضلال وقرئ ولا الضألين بالهمزة على لغة من جد في الهرب من التقاء الساكنين

آمين اسم الفعل الذي هو استجب عن ابن عباس رض سألت رسول الله عم عن معناه فقال افعل بني على الفتح كأين لالتقاء الساكنين وجاء مد ألفه وقصرها قال يا رب لا تسلبني حبها أبدا ويرحم الله عبدا قال آمينا وقال أمين فزاد الله ما بيننا بعدا وليس من القرآن العظيم وفاقا لكن يسن ختم السورة به لقوله عم علمني جبرائيل

امين عند فراغي من قراءة الفاتحة وقال انه كالختم على الكتاب في معناه قوله على رض امين خاتم رب العالمين ختم به دعاء عبده يقوله الامام ويجهر به في الجهرية لما يروى عن وايل بن حجر انه ءم كان اذا قرا ولا الضالين قال امين ورفع بها صوته وعن ابي حنيفة ره انه لا يقوله والمشهور عنه انه يخفيه كما رواه عبد الله بن مغفل وانس والماموم يؤمن معه لقوله ءم اذا قال الامام ولا الضالين فقولوا امين فان الملايكة تقول امين فمن وافق تامينه تامين الملايكة غفر له ما تقدم من ذنبه وعن ابي هريرة رض ان رسول الله ءم قال لابي رض الا اخبرك بسورة لم تنزل في التورية والانجيل والفرقان قلت بلى يا رسول الله قال فاتحة الكتاب انها السبع المثاني والقران العظيم الذي اوتيته وعن ابن عباس رض قال بينا رسول الله ءصم اذ اتاه ملك فقال ابشر بنورين اوتيتهما لم يوتهما نبي قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة لن تقرا حرفا منهما الا اعطيته وعن حذيفة ابن اليمان رض ان النبي ءم قال ان القوم ليبعث الله عليهم العذاب حتما مقضيا فيقرا صبي من صبيانهم في الكتاب الحمد لله رب العالمين فيسمعه الله تعالى فيرفع عنهم بذلك العذاب اربعين سنة والله اعلم بالصواب

[illegible]

[illegible] وساير الحروف التي يتهجى بها اسماء مسمياتها الحروف التي يتركب منها الكلم لدخولها في حد الاسم واعتوار ما يختص به من التعريف والتنكير والجمع والتصغير ونحو ذلك عليها وبه صرح الخليل وابو علي وما روى ابن مسعود رض من انه ءم قال من قرا حرفا من كتاب الله تعالى فله حسنة والحسنة بعشر امثالها لا اقول الم حرف بل الف حرف ولام حرف وميم حرف فالمراد به غير المعنى الذي اصطلح عليه فان تخصيص الحرف به عرف متجدد بل المعنى اللغوي ولعله سماه باسم مدلوله ولما كانت مسمياتها حروفا وحدانا وهي مركبة صدرت بها لتكون تاديتها بالمسمى اول ما يقرع السمع واستعيرت الهمزة مكان الالف لتعذر الابتداء بها وهي ما لم تلها العوامل موقوفة خالية عن الاعراب لفقد موجبه ومقتضيه لكنها قابلة اياه معرضة له اذ لم يناسب مبنى الاصل ولذلك قيل ص وق مجموعا فيهما بين ساكنين ولم تعامل معاملة اين وهولاء ثم ان مسمياتها لما كانت عنصر الكلام وبسايطه التي يتركب منها افتتحت السور بطايفة منها ايقاظا لمن تحدى بالقران وتنبيها على ان المتلو عليهم كلام منظوم مما ينظمون منه كلامهم

فلو كان من عند غير الله تعالى لما عجزوا عن اخرهم مع تظاهرهم وقوة فصاحتهم عن الاتيان بما يدانيه وليكون اول ما يقرع الاسماع مستقلا بنوع من الاعجاز فان النطق باسماء الحروف مختص بمن خط ودرس فاما من الامي الذي لم يخالط الكتاب فمستبعد مستغرب خارق للعادة كالكتابة والتلاوة سيما وقد راعى في ذلك ما يعجز عنه الاديب الاريب الفايق في فنه وهو انه اورد في هذه الفواتح اربعة عشر اسما هي نصف اسامي حروف المعجم ان لم يعد الالف فيها حرفا براسها في تسع وعشرين سورة بعددها اذا عد فيها الالف مشتملة على انصاف انواعها فذكر من المهموسة وهي ما يضعف الاعتماد على مخرجه ويجمعها ستشحثك خصفه نصفها الحاء والهاء والصاد والسين والكاف ومن البواقي المجهورة نصفها يجمعه لن يقطع امره ومن الشديدة الثمانية المجموعة في اجدت طبقك اربعة يجمعها اقطك ومن البواقي الرخوة عشرة يجمعها خمس على نصره ومن المطبقة التي هي الصاد والضاد والطاء والظاء نصفها ومن البواقي المنفتحة نصفها ومن القلقلة وهي حروف تضطرب عند خروجها وقد يجمعها قد طبج نصفها الاقل لقلتها ومن اللينتين الياء لانها اقل ثقلا ومن المستعلية وهي التي يتصعد الصوت بها في الحنك الاعلى وهي سبعة القاف والصاد والطاء والخاء والغين والضاد والظاء نصفها الاقل ومن البواقي المنخفضة نصفها ومن حروف البدل وهي احدى عشرة على ما ذكره سيبويه واختاره ابن جني ويجمعها اجد طويت منها الستة الشايعة المشهورة التي يجمعها اهطمين وقد زاد بعضهم سبعة اخرى وهي اللام في اصيلال والضاد والزاء في صراط وزراط والفاء في اجداف والعين في اعن والثاء في ثروغ الدلو والباء في بابسمك حتى صارت ثمانية عشر وقد ذكر منها تسعة الستة المذكورة واللام والصاد والعين ومما يدغم في مثله ولا يدغم في المقارب وهي خمسة عشر الهمزة والهاء والعين والصاد والطاء والفاء والميم والحاء والغين والضاد والظاء والشين والواو والياء والزاي نصفها الاقل ومما يدغم فيهما وهي الثلثة عشر الباقية نصفها الاكثر الحاء والقاف والكاف والراء والسين واللام والنون لما في الادغام من الخفة والفصاحة ومن الاربعة التي لا يدغم فيما يقاربها ويدغم فيها مقاربها وهي الميم والزاي والسين والفاء نصفها ولما كانت الحروف الذلقية التي تعتمد عليها بذلق اللسان وهي ستة يجمعها رب منفل والحلقية التي هي الحاء والخاء والعين والغين والهاء والهمزة كثيرة الوقوع في الكلام ذكر ثلثيهما ولما كانت ابنية المزيد لا تتجاوز من السباعية ذكر من الزوايد

العشرة التي يجمعها اليوم تنساه سبعة احرف منها تنبيها على ذلك ولو استقريت
الكلم وتركيبها وجدت الحروف المتروكة من كل جنس مكثورة بالمذكورة ثم انه
ذكر هنا مفردة وثنائية ورباعية وخماسية ايذانا بان التحدي به مركب من كلماتهم
التي اصولها كلمات مفردة ومركبة من كلمتين فصاعدا الى الخمسة وذكر ثلاث
مفردات في ثلث سور لانها توجد في الاقسام الثلثة الاسم والفعل والحرف واربع
ثنائيات لانها تكون في الحروف بلا حذف كبل وفي الفعل بحذف كقل وفي الاسم بغير
الحذف كمن وبه كدم في تسع سور لوقوعه في كل واحد من الاقسام الثلثة على ثلثة
اوجه ففي الاسماء من واذ وذو ومن الافعال كقل وبع وخف وفي الحروف ان
ومن ومذ على لغة من جربها وثلاث ثلاثيات لمجيئها في الاقسام الثلثة في ثلاثة
عشر سورة تنبيها على ان اصول الابنية المستعملة على ثلاث عشرة عشرة منها
للاسماء وثلثة للافعال ورباعيتين وخماسيتين تنبيها على ان لكل منهما اصلا
كجعفر وسفرجل وملحقا كقردد وجحنفل ولعلها فرقت على السور ولم تعد باجمعها
في اول القران العظيم لهذه الفائدة مع ما فيه من اعادة التحدي وتكرير التنبيه
والمبالغة فيه والمعنى هذا المتحدى به مؤلف من جنس هذه الحروف او المؤلف منها
كذا وقيل هي اسماء للسور وعليه اطباق الاكثر سميت بها اشعارا بانها كلمات
معروفة التركيب فلو لم يكن وحيا من الله تعالى لم يتساقط مقدرتهم دون معارضتها
واستدل عليه بانها لو لم تكن مفهمة كان الخطاب بها كالخطاب بالمهمل والتكلم بالزنجي
مع العربي ولم يكن القران العظيم باسرها بيانا وهدى ولما امكن التحدي به وان كانت
مفهمة فاما ان يراد بها السور التي هي مستهلها على انها القابها او غير ذلك
والثاني باطل لانها اما ان يكون المراد ما وضعت له في لغة العرب فظاهر انه ليس
كذلك او غيره وهو باطل لان القران العظيم نزل على لغتهم لقوله تعالى بلسان عربي
مبين فلا يحمل على ما ليس في لغتهم لا يقال لم لا يجوز ان يكون مزيدة للتنبيه و
الدلالة على انقطاع كلام واستيناف اخر كما قاله قطرب او اشارة الى كلمات
هي منها اقتصرت عليها اقتصار الشاعر في قوله قلت لها قفي فقالت قاف كما
روي عن ابن عباس رضه انه قال الالف آلاء الله واللام لطفه والميم ملكه
وعنه ان الر وحم ون مجموعها الرحمن وعنه ان الم معناه انا الله اعلم ونحو
ذلك في ساير الفواتح وعنه ان الالف من الله تعالى واللام من جبرائيل عم والميم
من محمد اي القران العظيم نزل من الله عز وجل بلسان جبرائيل عم على محمد عم او
الى مدد اقوام واجال بحساب الجمل كما قال ابو العالية متمسكا بما روي انه

عم لما اتاه اليهود تلا عليهم الم البقرة فحسبوه وقالوا كيف ندخل في دين
مدته احدى وسبعون سنة فتبسم رسول الله عم فقالوا فهل غيره فقال
المص والر والمر فقالوا خلطت علينا فلا ندري بايها ناخذ فان تلاوته اياها
بهذا الترتيب عليهم وتقريرهم على استنباطهم دليل على ذلك وهذه الدلالة
وان لم تكن عربية لكنها لاشتهارها فيما بين الناس حتى العرب تلحقها بالمعربات
كالمشكاة والسجيل والقسطاس او دالة على الحروف المبسوطة مقسما بها
لشرفها من حيث انها بسايط اسماء الله تعالى ومادة خطابه هذا وان القول
بانها اسماء السور يخرجها الى ما ليس في لغة العرب لان التسمية بثلثة اسماء
فصاعدا مستنكر عندهم ويؤدي الى اتحاد الاسم والمسمى ويستدعي تاخر
الجزء عن الكل من حيث ان الاسم يتاخر عن المسمى بالرتبة لانا نقول هذه الالفاظ
لم تعهد مزيدة للتنبيه والدلالة على الانقطاع والاستيناف يلزمها وغيرها
من حيث انها فواتح السور ولا يقتضي ذلك ان لا يكون لها معنى في حيزها ولم
تستعمل للاختصار من كلمة معينة في لغتهم واما الشعر فشاذ واما قول ابن عباس
فتنبيه على ان هذه الحروف منبع الاسماء ومبادي الكلام وتمثيل بامثلة
حسنة الا ترى انه عد كل حرف من كلمات متباينة لا تفسير وتخصيص بهذه
المعاني دون غيرها اذ لا مخصص لفظا ومعنى ولا بحساب الجمل فتلحق بالمعربات
والحديث لا دلالة فيه لجواز انه عم تبسم تعجبا من جهلهم وجعلها مقسما
بها وان كانت غير ممتنع لكنها يحوج الى اضمار اشياء لا دليل عليها والتسمية
بثلثة اسماء انما تمتنع اذا ركبت وجعلت اسما واحدا على طريقة بعلبك فاما
اذا نثرت نثر اسماء العدد فلا وناهيك بتسوية سيبويه بين التسمية بالجملة
والبيت من الشعر وطايفة من اسماء حروف المعجم والمسمى هو مجموع السورة و
الاسم جزؤها فلا اتحاد وهو مقدم من حيث ذاته ومؤخر باعتبار كونه اسما
فلا دور ورد الوجه الاول اقرب الى التحقيق واوفق للطايف التنزيل واسلم من لزوم
النقل ووقوع الاشتراك في الاعلام من واضع واحد فانه يعود بالنقض على
ما هو مقصود العلمية وقيل انها اسماء القران العظيم ولذلك اخبر عنها
بالكتاب والقران وقيل انها اسماء الله تعالى ويدل عليه ان عليا رضه كان يقول
يا كهيعص يا حمعسق ولعله اراد يا منزلهما وقيل الالف من اقصى الحلق وهو
مبدأ المخارج واللام من طرف اللسان وهو وسطها والميم من الشفة
وهي اخرها جمع بينها ايماء الى ان العبد ينبغي ان يكون اول كلامه واوسطه

وآخر ذكر الله تعالى وقيل انه سر استاثر الله تعالى بعلمه وقد روي عن الخلفاء
الاربع وغيرهم من الصحابة ما يقرب منه ولعلهم ارادوا انها اسرار بين الله تعالى
ورسوله ورموز لم يقصد بها افهام غيره اذ يبعد الخطاب بما لا يفيد فان جعلتها
اسماء الله تعالى او القران العظيم او السور كان لها حظ من الاعراب اما الرفع على
الابتداء او الخبر او النصب بتقدير فعل القسم على طريقة الله لافعلن بالنصب
او غيره كاذكر او الجر على اضمار حرف القسم ويتاتى الاعراب لفظا والحكاية فيما
كانت مفردة او موازنة لمفرد كحم فانه كهابيل والحكاية ليست الا فيما عدا ذلك
وسيعود اليك ذكره مفصلا ان شاء الله تعالى وان ابقيتها على معانيها فان قدرت
بالمؤلف من هذه الحروف كان في حيز الرفع بالابتداء او الخبر على ما مر وان جعلتها
مقسما بها يكون كل كلمة منها منصوبا او مجرورا على اللغتين في الله لافعلن
فيكون جملة قسمية بالفعل المقدر له وان جعلتها ابعاض كلمات او اصواتا
منزلة منزلة حروف التنبيه لم يكن لها محل من الاعراب كالجمل المبتداة والمفردات
المعدودة ويوقف عليها وقف التمام اذا قدرت بحيث لا تحتاج الى ما بعدها
وليس شيء منها اية عند غير الكوفيين واما عندهم فالم في مواقعها والمص و
كهيعص وطه وطسم وطس ويس وحم اية وحمعسق ايتان والبواقي ليست
بايات وهذا توقيف لا مجال للقياس فيه ذلك الكتاب ذلك اشارة الى الم ان
اول بالمؤلف من هذه الحروف او فسر بالسورة او القران فانه لما تكلم به وتقضى
او وصل من المرسل الى المرسل اليه صار متباعدا اشير اليه بما يشار به الى البعيد
وتذكيره متى اريد بالم السورة لتذكير الكتاب فانه صفته او خبره الذي
هو هو او الى الكتاب فيكون الكتاب صفته والمراد به الكتاب الموعود انزاله
بقوله تعالى انا سنلقي عليك قولا ثقيلا ونحوه او في الكتب المتقدمة وهو مصدر
سمي به المفعول للمبالغة وقيل فعال بني للمفعول كاللباس ثم اطلق على المنظوم
عبارة قبل ان يكتب لانه مما يكتب في المال واصل الكتب الجمع ومنه الكتيبة لا ريب فيه
معناه انه لوضوحه وسطوع برهانه بحيث لا يرتاب العاقل فيه بعد النظر
الصحيح في كونه وحيا بالغا حد الاعجاز لا ان احدا لا يرتاب فيه الا ترى الى
قوله تعالى وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا الاية فانه تعالى ما ابعد عنهم
الريب بل عرفهم الطريق المزيح له وهو ان يجتهدوا في معارضة نجم من نجومه ويبذلوا
فيها غاية جهدهم حتى اذا عجزوا عنها تحقق لهم ان ليس فيه مجال للشبهة
ولا مدخل للريبة وقيل معناه لا ريب فيه للمتقين وهدى حال من الضمير المجرور

والعامل فيه الظرف الواقع صفة للمنفي والريب في الاصل مصدر رابني الشيء
اذا حصل فيك الريبة وهي قلق النفس واضطرابها سمي به الشك لانه يقلق النفس ويزيل
الطمانينة وفي الحديث دع ما يريبك الى ما لا يريبك فان الشك ريبة والصدق طمانينة
ومنه ريب الزمان لنوائبه هدى للمتقين يهديهم الى الحق والهدى في الاصل مصدر كالسرى و
البكى وهو الدلالة وقيل الدلالة الموصلة الى البغية لانه جعل مقابل
الضلال في قوله تعالى لعلى هدى او في ضلال مبين ولانه لا يقال مهدي الا لمن
اهتدى الى المطلوب واختصاصه بالمتقين لانهم المهتدون به والمنتفعون
بنصه وان كانت دلالته عامة لكل ناظر من مسلم وكافر وبهذا الاعتبار قال
قال تعالى هدى للناس او لانه لا ينتفع بالتامل فيه الا من صقل العقل واستعمله
في تدبر الايات والنظر في المعجزات وتعرف النبوات فانه كالغذاء الصالح
لحفظ الصحة فانه لا يجلب نفعا ما لم تكن الصحة حاصلة واشار اليه بقوله
وننزل من القران ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا
ولا يقدح ما فيه من المجمل والمتشابه في كونه هدى لما لم ينفك عن بيان تعين
المراد منه والمتقي اسم فاعل من قولهم وقاه فاتقى والوقاية فرط الصيانة
وهو في عرف الشرع اسم لمن يقي نفسه عما يضره في الاخرة وله ثلث مراتب الاولى
التوقي عن العذاب المخلد بالتبرء عن الشرك وعليه قوله تعالى والزمهم كلمة
التقوى والثانية التجنب عن كل ما يؤثم من فعل او ترك حتى الصغائر عند قوم
وهو المتعارف بالتقوى في الشرع وهو المعني بقوله تعالى ولو ان اهل القرى
امنوا واتقوا والثالثة ان يتنزه عما يشغل سره عن الحق جل جلاله ويتبتل
اليه بشراشره وهو التقوى الحقيقي المطلوب بقوله تعالى اتقوا الله حق تقاته
وقد فسر قوله تعالى هدى للمتقين على الاوجه الثلثة والاية تحتمل اوجها من الاعراب
ان يكون الم مبتدا على انه اسم للقران او السورة او مقدر بالمؤلف منها وذلك
خبره وان كان اخص من المؤلف مطلقا والاصل ان الاخص لا يحمل على الاعم لان
المراد بالمؤلف الكامل في تاليفه البالغ اقصى درجات الفصاحة ومراتب
البلاغة والكتاب صفة ذلك وان يكون الم خبر مبتدا محذوف وذلك خبرا ثانيا
او بدلا والكتاب صفته ولا ريب في المشهورة مبني لتضمنه معنى من منصوب
المحل بلا النافية للجنس العاملة عمل ان لانها نقيضتها ولازمة للاسماء لزومها
وفي قراءة ابي الشعثاء مرفوع بلا التي بمعنى ليس وفيه خبره ولم يقدم كما قدم في
قوله تعالى لا فيها غول لانه لم يقصد تخصيص نفي الريب به من بين سائر الكتب

كما تصف به تمه او صفته وللمتقين خبره وهدى نصب على الحال او الخبر محذوف
فى لا ضير فلذلك وقف على لا ريب فيه خبر هدى قدم عليه لتنكيره والتقدير لا
ريب فيه فيه هدى وان يكون ذلك مبتداء والكتاب خبره على معنى انه الكتاب الكامل
الذي يستاهل ان يسمى كتابا او صفته وما بعده خبره والجملة خبر الم او يكون الم
خبر مبتداء محذوف وذلك خبرا ثانيا او بدلا على ان الكتاب صفته والاولى ان
يقال انها جمل متناسقة تقرر اللاحقة منها السابقة ولذلك لم يدخل
العاطف بينها فالم جملة دلت على ان المتحدى به هو المؤلف من جنس ما يركبون
منه كلامهم وذلك الكتاب جملة ثانية مقررة لجهة التحدي بانه الكتاب
المنعوت بغاية الكمال ثم سجل على كماله بنفي الريب عنه لانه لا كمال اعلى للحق واليقين
وهدى للمتقين بما يقدر له مبتداء رابعة تؤكد كونه حقا لا يحوم الشك حوله
او تستتبع السابقة منها اللاحقة استتباع الدليل للمدلول وبيانه انه لما
نبه اولا على اعجاز المتحدى به من حيث انه من جنس كلامهم وقد عجزوا عن معارضته
استنتج منه انه الكتاب البالغ حد الكمال واستلزم ذلك ان لا تتشبث الريب باطرافه
اذ لا انقص مما يعتريه الشك والشبهة وما كان كذلك كان لا محالة هدى للمتقين
وفي كل واحدة منها نكتة ذات جزالة ففي الاولى الحذف والرمز الى المقصود مع
التعليل وفي الثانية فخامة التعريف وفي الثالثة تاخير الظرف حذرا عن ايهام
الباطل وفي الرابعة الحذف والتوصيف بالمصدر للمبالغة وايراده منكرا
للتعظيم وتخصيص الهدى بالمتقين باعتبار الغاية وتسمية المشارف للتقوى
متقيا ايجازا وتفخيما لشانه الذين يؤمنون بالغيب اما موصول بالمتقين على
انه صفة مجرورة مقيدة له ان فسر التقوى بترك ما لا ينبغي مرتبة عليه ترتب
التحلية على التخلية والتصوير على التصقيل او موضحة ان فسر بما يعم فعل
الطاعة وترك المعصية لاشتماله على ما هو اصل الاعمال واساس الحسنات
من الايمان والصلوة والصدقة فانها امهات الاعمال النفسانية والعبادات
البدنية والمالية المستتبعة لساير الطاعات والتجنب عن المعاصي غالبا
يرى الى قوله تعالى ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر وقوله عم الصلوة عماد
والزكوة قنطرة الاسلام او مسوقة للمدح بما تضمنه وتخصيص الايمان بالغيب
واقام الصلوة وايتاء الزكوة بالذكر اظهارا لتفضيلها على ساير ما يدخل
تحت اسم التقوى او على انه مدح منصوب او مرفوع بتقدير اعني او هم الذين واما
مفصول عنه مرفوع بالابتداء وخبره اولئك على هدى فيكون الوقف على

المتقين تاما والايمان في اللغة التصديق ماخوذ من الامن كانه امن المصدق
من التكذيب والمخالفة وتعديته بالباء لتضمنه معنى الاعتراف وقد يطلق بمعنى
الوثوق من حيث ان الواثق صار ذا امن ومنه ما امنت ان اجد صحابة وكلا الوجهين
حسن في يؤمنون بالغيب اما في الشرع فالتصديق بما علم بالضرورة انه من
دين محمد عم كالتوحيد والنبوة والبعث والجزاء ومجموع ثلثة امور اعتقاد
الحق والاقرار به والعمل بمقتضاه عند جمهور المحدثين والمعتزلة والخوارج
فمن اخل بالاعتقاد وحده فهو منافق ومن اخل بالاقرار فكافر ومن اخل
بالعمل ففاسق وفاقا وكافر عند الخوارج خارج عن الايمان غير داخل في الكفر
عند المعتزلة والذي يدل على انه التصديق وحده انه تعالى اضاف الايمان
الى القلب فقال كتب في قلوبهم الايمان وقلبه مطمئن بالايمان ولم تؤمن قلوبهم
ولما يدخل الايمان في قلوبكم وعطف عليه العمل الصالح في مواضع لا تحصى
وقرنه بالمعاصي فقال وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا يا ايها الذين
آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم مع
ما فيه من قلة التغيير لانه اقرب الى الاصل وهو متعين الارادة في الاية اذ
المعدى بالباء هو التصديق وفاقا ثم اختلف في ان مجرد التصديق بالقلب
هل هو كاف لانه المقصود او لا بد من اقتران الاقرار به للمتمكن منه ولعل
الحق هو الثاني لانه تعالى ذم المعاند اكثر من ذم الجاهل المقصر وللمانع ان
يجعل الذم للانكار لا لعدم الاقرار للمتمكن منه والغيب مصدر وصف به
للمبالغة كالشهادة في قوله تعالى عالم الغيب والشهادة والعرب تسمي المطمئن
من الارض غيبا والخمصة التي تلي الكلية غيبا او فيعل خفف كقيل والمراد
به الخفي الذي لا يدركه الحس ولا يقتضيه بديهة العقل وهو قسمان قسم
لا دليل عليه وهو المعني في قوله تعالى وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو وقسم
نصب عليه دليل كالصانع وصفاته واليوم الاخر واحواله وهو المراد به
في هذه الاية الكريمة هذا اذا جعلته صلة للايمان واوقعته موقع المفعول
به وان جعلته حالا على تقدير ملتبسين بالغيب كان بمعنى الغيبة والخفاء والمعنى
انهم يؤمنون غائبين عنكم لا كالمنافقين الذين اذا لقوا الذين امنوا قالوا امنا
واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم او عن المؤمن به لما روي عن ابن مسعود
قال والذي لا اله غيره ما امن احد افضل من الايمان بالغيب ثم قرأ هذه الاية
وقيل المراد بالغيب القلب والمعنى يؤمنون بقلبهم لا كمن يقولون بافواههم

ما ليس في قلوبهم فالباء على الاول للتعدية وعلى الثاني للمصاحبة وعلى الثالث
للآلة **ويقيمون الصلوة** اي يعدلون اركانها ويحفظونها من ان يقع زيغ في
افعالها من اقام العود اذا قومه او يواظبون عليها ماخوذ من قامت السوق
اذا نفقت واقمتها اذا جعلتها نافقة قال اقامت غزالة سوق الضراب
لاهل العراقين حولا قميطا فانه اذا حوفظ عليها كان كالنافق الذي يرغب
فيه واذا ضيعت كانت كالكاسد المرغوب عنه او يتشمرون لادائها من غير
فتور ولا توان من قولهم قام بالامر واقامه اذا جد فيه وتجلد وضده قعد عن
الامر وتقاعد او يؤدونها عبر عن الاداء بالاقامة لاشتمالها على القيام كما
عبر عنها بالقنوت والركوع والسجود والتسبيح والاول اظهر لانه اشهر والى
الحقيقة اقرب وافيد لتضمنه معنى التنبيه على ان الحقيق بالمدح من راعى حدودها
الظاهرة من الفرائض والسنن وحقوقها الباطنة من الخشوع والاقبال بقلبه
على الله تعالى لا المصلون الذين هم عن صلوتهم ساهون ولذلك ذكر في سياق
المدح والمقيمين الصلوة وفي معرض الذم فويل للمصلين الذين هم عن صلوتهم
ساهون والصلوة فعلة من صلى اذا دعا كالزكوة من زكى كتبتا بالواو على لفظ
المفخم وانما سمي الفعل المخصوص بها لاشتماله على الدعاء وقيل اصل صلى حرك
الصلوين لان المصلي يفعله في ركوعه وسجوده واشتهار هذا اللفظ في المعنى
الثاني مع عدم اشتهاره في الاول لا يقدح في نقله عنه وانما سمي الداعي
مصليا تشبيها له في تخشعه بالراكع والساجد **ومما رزقناهم ينفقون**
الرزق في اللغة الحظ قال الله تعالى وتجعلون رزقكم انكم تكذبون والعرف
خصصه بتخصيص الشيء بالحيوان وتمكينه من الانتفاع به والمعتزلة لما
استحالوا من الله تعالى ان يمكن من الحرام لانه منع من الانتفاع به وامر بالزجر عنه
قالوا الحرام ليس برزق الا ترى انه تعالى اسند الرزق ههنا الى نفسه ايذانا
بانهم ينفقون الحلال الطلق فان انفاق الحرام لا يوجب المدح وذم المشركين
على تحريم بعض ما رزقهم الله تعالى بقوله قل ارايتم ما انزل الله لكم من رزق فجعلتم
منه حراما وحلالا واصحابنا جعلوا الاسناد للتعظيم والتحريض على الانفاق
والذم لتحريم ما لم يحرم واختصاص ما رزقناهم بالحلال للقرينة وتمسكوا
لشمول الرزق له بقوله عليه السلام في حديث عمرو بن قرة لقد رزقك الله طيبا
فاخترت ما حرم الله عليك من رزقه مكان ما احل الله لك من حلاله وبانه لو
لم يكن رزقا لم يكن المتغذي به طول عمره مرزوقا وليس كذلك لقوله تعالى

وما من دابة في الارض الا على الله رزقها وانفق الشيء وانفده اخوان ولو
استقريت الالفاظ وجدت كل ما فاؤه نون وعينه فاء دالا على معنى الذهاب
والخروج والظاهر من انفاق ما رزقهم صرف المال في سبيل الله تعالى فرضا كان
او نفلا ومن فسره بالزكوة ذكر افضل انواعه والاصل فيه او خصصه بها
لاقترانه بما هو شقيقها وتقديم المفعول للاهتمام به والمحافظة على رؤس
الآي وادخال من التبعيضية عليه للكف عن الاسراف المنهي عنه ويحتمل ان
يراد به الانفاق من جميع المعاون التي منحهم الله تعالى به من النعم الظاهرة والباطنة
ويؤيده قوله عليه السلام ان علما لا ينفع كمثل كنز لا ينفق منه واليه ذهب من قال ومما
خصصناهم به من انوار المعرفة يفيضون **والذين يؤمنون بما انزل اليك وما**
انزل من قبلك هم مؤمنوا اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واصحابه معطوفون على
الذين يؤمنون بالغيب داخلون معهم في جملة المتقين دخول اخصين تحت اعم اذ
المراد باولئك الذين آمنوا عن الشرك والانكار وهؤلاء مقابلوهم فكانت
الآيتان تفصيلا للمتقين وهو قول ابن عباس رضي الله عنه او على المتقين وكانه
قال هدى للمتقين عن الشرك والذين آمنوا من اهل الكتاب ويحتمل ان يراد بهم الاولون
باعيانهم ووسط العاطف كما وسط في قوله الى الملك القرم وابن الهمام
وليث الكتيبة في المزدحم على معنى انهم الجامعون بين الايمان بما يدركه العقل جملة والاتيان بما
يصدقه من العبادات البدنية والمالية وبين الايمان بما لا طريق اليه غير
السمع وكرر الموصول تنبيها على تغاير القبيلين وتباين السبيلين او طائفة
منهم وهم مؤمنوا اهل الكتاب ذكرهم مخصصين عن الجملة كذكر جبرائيل وميكائيل
بعد الملائكة تعظيما لشانهم وترغيبا لامثالهم والانزال نقل الشيء من الاعلى الى
الاسفل وهو انما يلحق المعاني بتوسط لحوقه الذوات الحاملة لها ولعل نزول
الكتب الالهية على الرسل بان يتلقفه الملك من الله تعالى تلقفا روحانيا او يحفظ
من اللوح المحفوظ فينزل به الى الرسل فيلقنه والمراد بما انزل اليك القران
باسره والشريعة عن آخرها وانما عبر عنه بلفظ المضي وان كان بعضه مترقبا
تغليبا للموجود على ما لم يوجد او تنزيلا للمنتظر منزلة الواقع ونظيره قوله
انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى فان الجن لم يسمعوا جميعه ولم يكن الكتاب
كله منزلا حينئذ وبما انزل من قبلك التورية والانجيل وغيرهما من الكتب السابقة
والايمان بهما جملة فرض عين وبالاول دون الثاني تفصيلا من حيث انا متعبدون
بتفاصيله فرض ولكن على الكفاية لان وجوبه على كل احد يوجب الحرج وفساد

المعاش [illegible] أي يوقنون إيقاناً زال معه ما كانوا عليه من أن
الجنة لا يدخلها إلا من كان هوداً أو نصارى وأن النار لن تمسهم إلا أياماً معدودة
واختلافهم في نعيم الجنة أهو من جنس نعيم الدنيا أو غيره وفي دوامه وانقطاعه
وفي تقديم الصلة وبناء يوقنون على هم تعريض بمن عداهم من أهل الكتاب فإن
اعتقادهم في أمر الآخرة غير مطابق ولا صادر عن إيقان واليقين إتقان العلم بنفي
الشك والشبهة عنه بالاستدلال ولذلك لم يوصف به اليقين علم الباري ولا
العلوم الضرورية والآخرة تأنيث الآخر صفة الدار بدليل قوله تعالى تلك
الدار الآخرة فغلبت كالدنيا وعن نافع أنه خففها بحذف الهمزة وإلقاء حركتها
على اللام وقرئ يؤقنون بقلب الواو همزة لضم ما قبلها إجراء لها مجرى المضمومة
في وجوه ووقتت ونظيره لحب المؤقدان إلى مؤسى وجعدة إذا أضاءهما الوقود
[illegible] الجملة في محل الرفع إن جعل أحد الموصولين مفصولاً
عن المتقين خبر له فكأنه لما قيل هدى للمتقين قيل ما بالهم خصوا بذلك فأجيب
بقوله الذين يؤمنون إلى آخر الآيات وإلا فاستئناف لا محل لها فكأنه نتيجة
الأحكام والصفات المتقدمة أو جواب سائل قال ما للموصوفين بهذه الصفات
اختصوا بالهدى ونظيره أحسنت إلى زيد صديقك القديم حقيق بالإحسان
فإن اسم الإشارة هاهنا كإعادة الموصوف بصفاته المذكورة وهو أبلغ من أن
يستأنف بإعادة الاسم وحده لما فيه من بيان المقتضي وتلخيصه فإن ترتب الحكم على
الوصف إيذان بأنه الموجب له ومعنى الاستعلاء في على هدى تمثيل تمكنهم من الهدى
واستقرارهم عليه بحال من اعتلى الشيء وركبه وقد صرحوا به في قولهم امتطى
الجهل والغوى واقتعد غارب الهوى وذلك إنما يحصل باستفراغ الفكر وإدامة
النظر فيما نصب من الحجج والمواظبة على محاسبة النفس في العمل ونكر هدى للتعظيم
فكأنه أريد به ضرب لا يبلغ كنهه ولا يقادر قدره ونظيره قول الهذلي فلا وأبي
الطير المربة بالضحى على خالد لقد وقعت على لحم وأكد تعظيمه بأن الله تعالى مانحه
والموفق له وقد أدغمت النون في الراء بغنة وبغير غنة وأولئك هم المفلحون
كرر فيه اسم الإشارة تنبيهاً على أن اتصافهم بتلك الصفات يقتضي كل واحدة
من الأثرتين وأن كلاً منهما كاف في تميزهم بها عن غيرهم ووسط العاطف لاختلاف
مفهوم الجملتين هاهنا بخلاف قوله تعالى أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم
الغافلون فإن التسجيل بالغفلة والتشبيه بالبهائم شيء واحد وكانت الجملة
الثانية مقررة للأولى فلا يناسب العطف وهم فصل يفصل الخبر عن الصفة ويؤكد

النسبة ويفيد اختصاص المسند بالمسند إليه أو مبتدأ والمفلحون خبره والجملة
خبر أولئك والمفلح بالحاء والجيم الفائز بالمطلوب كأنه الذي انفتحت له وجوه
الظفر وهذا التركيب وما يشاركه في الفاء والعين نحو فلق وفلذ يدل على الشق
والفتح وتعريف المفلحون للدلالة على أن المتقين هم الناس الذين بلغك أنهم
المفلحون في الآخرة أو إشارة إلى ما يعرفه كل أحد من حقيقة المفلحين وخصوصياتهم
تنبيه تأمل كيف نبه سبحانه وتعالى على اختصاص المتقين بنيل ما لا يناله أحد
من وجوه شتى بناء الكلام على اسم الإشارة للتعليل مع الإيجاز وتكريره وتعريف
الخبر وتوسيط الفصل لإظهار قدرهم والترغيب في اقتفاء آثارهم وقد تشبثت الوعيدية
في خلود الفساق من أهل القبلة في العذاب ورد بأن المراد بالمفلحين الكاملون
في الفلاح ويلزمه عدم كمال الفلاح لمن ليس على صفتهم لا عدم الفلاح له رأساً
إن الذين كفروا لما ذكر خاصة عباده وخالصة أوليائه بصفاتهم التي أهلتهم
للهدى والفلاح عقبهم بأضدادهم العتاة والمردة الذين لا ينفع فيهم الهدى
ولا تغني عنهم الآيات والنذر ولم يعطف قصتهم على قصة المؤمنين كما عطف في
قوله تعالى إن الأبرار لفي نعيم وإن الفجار لفي جحيم لتباينهما في الغرض فإن الأولى
سيقت لذكر الكتاب وبيان شأنه والأخرى مسوقة لشرح تمردهم وانهماكهم
في الضلال وإن من الحروف التي شابهت الفعل في عدد الحروف والبناء على الفتح
ولزوم الأسماء وإعطاء معانيه والمتعدي خاصة في دخولها على اسمين و
لذلك أعملت عمله الفرعي وهو نصب الجزء الأول ورفع الثاني إيذاناً بأنه فرع في
العمل دخيل فيه وقال الكوفيون الخبر قبل دخولها كان مرفوعاً بالخبرية وهي بعد
باقية مقتضية للرفع قضية للاستصحاب فلا يرفعه الحرف وأجيب بأن
اقتضاء الخبرية الرفع مشروط بالتجرد لتخلفه عنها في خبر كان وقد زال
بدخولها فتعين إعمال الحرف وفائدتها تأكيد النسبة وتحقيقها ولذلك يتلقى
بها القسم وتصدر بها الأجوبة وتذكر في معرض الشك مثل ويسألونك عن
ذي القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكراً إنا مكنا له في الأرض وقال موسى يا فرعون
إني رسول من رب العالمين قال المبرد قولك عبد الله قائم إخبار عن قيامه و
إن عبد الله قائم جواب سائل عن قيامه وإن عبد الله لقائم جواب منكر لقيامه
وتعريف الموصول إما للعهد والمراد به ناس بأعيانهم كأبي جهل وأبي لهب و
الوليد بن المغيرة وأحبار اليهود أو للجنس متناولاً من صمم على الكفر وغيرهم
فخص منهم غير المصرين بما أسند إليه والكفر لغة ستر النعمة وأصله الكفر بالفتح

وهو الستر ومنه قيل للزارع والليل كافر كمثل غيث اعجب الكفار نباته ولكمام الثمرة
كافور وفي الشرع انكار ما علم بالضرورة مجيء الرسول به وانما عد لبس الغيار
وشد الزنار ونحوهما كفرا لانها تدل على التكذيب فان من صدق الرسول لا يجترئ
عليها ظاهرا لا لانها كفر في انفسها واحتجت المعتزلة بما جاء في القرآن بلفظ الماضي
على حدوثه لاستدعائه سابقة مخبر عنه اجيب بانه مقتضى التعلق وحدوثه
لا يستلزم حدوث الكلام كما في العلم سواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم خبر ان
وسواء اسم بمعنى الاستواء نعت به كما نعت بالمصادر قال الله تعالى تعالوا الى
كلمة سواء بيننا وبينكم رفع بانه خبر ان وما بعده مرتفع به على الفاعلية كانه
قيل ان الذين كفروا مستو عليهم انذارك وعدمه او بانه خبر لما بعده بمعنى انذارك
وعدمه سيان عليهم والفعل انما يمتنع الاخبار عنه اذا اريد به تمام ما وضع
له لو اطلق واريد به اللفظ او مطلق الحدث المدلول عليه ضمنا على الاتساع
فهو كالاسم في الاضافة والاسناد اليه كقوله تعالى واذا قيل لهم امنوا يوم ينفع
الصادقين صدقهم وقولهم تسمع بالمعيدي خير من ان تراه وانما عدل هاهنا من
المصدر الى الفعل لما فيه من ايهام التجدد وحسن دخول الهمزة وام عليه لتقرير
معنى الاستواء وتاكيده فانهما جردتا من معنى الاستفهام لمجرد الاستواء
كما جردت حروف النداء عن الطلب لمجرد التخصيص في قولهم اغفر لنا ايتها العصابة
والانذار التخويف من عذاب الله تعالى وانما اقتصر عليه لانه اوقع في القلب
اشد تاثيرا في النفس من ان دفع الضرر اهم من جذب النفع فيهم كانت البشارة
بعدم النفع اولى وقرئ ءانذرتهم بتحقيق الهمزتين وتخفيف الثانية بين بين وقلبها
الفا وهو لحن لان المتحرك لا يقلب ولانه يؤدي الى جمع الساكنين على غير حده
وبتوسط الالف بينهما محققتين وبتوسيطها والثانية بين بين وبحذف
الاستفهامية وبحذفها والقاء حركتها على الساكن قبلها لا يؤمنون جملة
مفسرة لاجمال ما قبلها فيما فيه الاستواء فلا محل لها او حال مؤكدة
او بدل عنه او خبر ان والجملة قبلها اعتراض بما هو علة الحكم والاية مما
احتج به من جوز تكليف ما لا يطاق فانه سبحانه اخبر عنهم بانهم لا يؤمنون وامرهم
بالايمان فلو امنوا انقلبت خبره كذبا وشمل ايمانهم الايمان بانهم لا يؤمنون
فيجتمع الضدان والحق ان التكليف بالممتنع لذاته وان جاز عقلا من حيث ان
الاحكام لا يستدعي غرضا سيما الامتثال لكنه غير واقع للاستقراء والاخبار
بوقوع الشيء او عدمه لا ينفي القدرة عليه كاخباره تعالى عما يفعله هو او

العبد باختياره وفائدة الانذار بعد العلم بانه لا ينجع الزام الحجة وحيازة
الرسول فضل الابلاغ ولذلك قال سواء عليهم ولم يقل سواء عليك كما قال لعبدة
الاصنام سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون وفي الاية اخبار بالغيب على ما
هو به ان اريد بالموصول اشخاص باعيانهم فهي من المعجزات ختم الله على قلوبهم
وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة تعليل للحكم السابق وبيان لما يقتضيه والختم
الكتم سمي به الاستيثاق من الشيء بضرب الخاتم عليه لانه كتم له والبلوغ اخره
نظرا الى انه اخر فعل يفعل في احرازه والغشاوة فعالة من غشاه اذا غطاه
بنيت لما يشتمل على الشيء كالعصابة والعمامة ولا ختم ولا تغشية على الحقيقة
وانما المراد بهما ان يحدث في نفوسهم هيئة تمرنهم على استحباب الكفر والمعاصي
واستقباح الايمان والطاعات بسبب غيهم وانهماكهم في التقليد واعراضهم عن
النظر الصحيح فيجعل قلوبهم بحيث لا ينفذ فيها الحق واسماعهم تعاف استماعه فتصير
كانها مستوثق منها بالختم وابصارهم لا تجتلي الايات المنصوبة لهم في الانفس والافاق
كما تجتليها اعين المستبصرين فتصير كانها غطي عليها وحيل بينها وبين الابصار
وسماها على الاستعارة ختما وتغطية او مثل قلوبهم ومشاعرهم المؤوفة بها
باشياء ضرب حجاب بينها وبين الاستنفاع بها ختما وتغطية وقد عبر عن احداث
هذه الهيئة بالطبع في قوله تعالى اولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم و
ابصارهم وبالاغفال في قوله تعالى ولا تطع من اغفلنا قلبه وبالاقساء في قوله تعالى
وجعلنا قلوبهم قاسية وهي من حيث ان الممكنات باسرها مستندة الى الله تعالى
واقعة بقدرته اسندت اليه ومن حيث انها مسببة مما اقترفوه بدليل قوله
بل طبع الله عليها بكفرهم وقوله ذلك بانهم امنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم وردت
الاية ناعية عليهم شناعة صفتهم ووخامة عاقبتهم واضطربت المعتزلة فيه
فذكروا وجوها من التاويل الاول ان القوم لما اعرضوا عن الحق وتمكن ذلك في
قلوبهم حتى صار كالطبيعة لهم شبه بالوصف الخلقي المجبول عليه الثاني ان المراد
به تمثيل حال قلوبهم بقلوب البهائم التي خلقها الله تعالى خالية عن الفطن او قلوب
مقدر ختم الله عليها ونظيره سال به الوادي اذا هلك وطارت به العنقاء
اذا طالت غيبته الثالث ان ذلك في الحقيقة فعل الشيطان او الكافر لكن لما
كان صدوره عنه باقداره تعالى اياه اسند اليه اسناد الفعل الى المسبب والرابع
ان اعراقهم لما رسخت في الكفر واستحكمت بحيث لم يبق طريق الى تحصيل ايمانهم سوى
الالجاء والقسر ثم لم يقسرهم ابقاء على غرض التكليف عبر عن تركه بالختم فانه

سد لإيمانهم وفيه إشعار على تمادي أمرهم في الغي وتناهي انهماكهم في الضلال
والبغي والخامس أن يكون حكاية لما كانت الكفرة يقولون مثل قولهم قلوبنا
في أكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب تهكما واستهزاء
بهم كقوله تعالى لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب الآية السادس أن ذلك في الآخرة
وإنما أخبر عنه بالماضي لتحققه وتيقن وقوعه ويشهد له قوله ونحشرهم يوم القيمة
على وجوههم عميا وبكما وصما السابع أن المراد بالختم وسم قلوبهم بسمة تعرفها
الملائكة فيبغضونهم وينفرون عنهم وعلى هذا المنهاج كلامنا وكلام من قبلنا فيما يضاف
إلى الله تعالى من طبع وإضلال ونحوهما وعلى سمعهم معطوف على قلوبهم لقوله
وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة وللوفاق على الوقف عليه و
لأنهما لما اشتركا في الإدراك من جميع الجوانب جعل ما يمنعهما من خاص فعلهما الختم
الذي يمنع من جميع الجهات وإدراك الأبصار لما اختص بجهة المقابلة جعل
المانع لها عن فعلها الغشاوة المختصة بتلك الجهة وكرر الجار ليكون أدل على
شدة الختم في الموضعين واستقلال كل منهما بالحكم ووحد السمع للأمن عن اللبس
واعتبار الأصل فإنه مصدر في أصله والمصادر لا تجمع أو على تقدير مضاف مثل
وعلى حواس سمعهم والأبصار جمع بصر وهو إدراك العين وقد يطلق مجازا على
القوة الباصرة وعلى العضو وكذا السمع ولعل المراد بهما في الآية العضو لأنه
أشد مناسبة للختم والتغطية وبالقلب ما هو محل العلم وقد يطلق ويراد به العقل
والمعرفة كما قال الله تعالى إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب وإنما جاز إمالتها مع الصاد
لأن الراء المكسورة تغلب المستعلية لما فيها من التكرير وغشاوة رفع بالابتداء
عند سيبويه وبالجار والمجرور عند الأخفش ويؤيده العطف على الجملة الفعلية
وقرئ بالنصب على تقدير وجعل على أبصارهم غشاوة أو على حذف الجار وإيصال
الختم بنفسها إليه والمعنى وختم على أبصارهم بغشاوة وقرئ بالضم والرفع و
الفتح وهما لغتان فيها وغشوة بالكسر مرفوعا وعشاوة بالعين الغير المعجمة ولهم
عذاب عظيم وعيد وبيان لما يستحقونه والعذاب كالنكال بناء ومعنى تقول أعذب
عن الشيء ونكل عنه إذا أمسك ومنه العذب لأنه يقمع العطش ويردعه ولذلك
يسمى نقاخا وفراتا ثم اتسع فأطلق على كل ألم فادح وإن لم يكن نكالا أي عقابا
يراد به ردع الجاني عن المعاودة فهو أعم منهما وقيل اشتقاقه من التعذيب
الذي هو إزالة العذب كالتقذية والتمريض والعظيم نقيض الحقير والكبير نقيض الصغير
فكما أن الحقير دون الصغير فالعظيم فوق الكبير ومعنى التوصيف به أنه إذا قيس

بسائر ما يجانسه نقص عنه جميعه وحقر بالإضافة إليه ومعنى التنكير في الآية أن على
أبصارهم نوع غشاوة ليس مما يتعارفه الناس وهو غطاء التعامي عن الآيات ولهم
من الآلام العظام نوع عظيم لا يعلم كنهه إلا الله تعالى ومن الناس من يقول آمنا بالله
وباليوم الآخر لما افتتح الله سبحانه كتابه بشرح حال الكتاب وساق لبيانه ذكر
المؤمنين الذين أخلصوا دينهم لله وواطأت فيه قلوبهم ألسنتهم وثنى بأضدادهم الذين
محضوا الكفر ظاهرا وباطنا ولم يلتفتوا لفته رأسا ثلث بالقسم الثالث المذبذب
بين القسمين وهم الذين آمنوا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم تكميلا للتقسيم وهم أخبث
الكفرة وأبغضهم إلى الله تعالى لأنهم موهوا الكفر وخلطوا به خداعا واستهزاء
ولذلك طول في بيان خبثهم وجهلهم واستهزائهم وتهكم بأفعالهم وسجل على عمههم
وطغيانهم وضرب لهم الأمثال وأنزل فيهم إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار
وقصتهم عن آخرها معطوفة على قصة المصرين والناس أصله أناس لقولهم
إنسان وإنس وأناسي فحذفت الهمزة حذفها في لوقة وعوض عنها حرف التعريف
ولذلك لا يكاد يجمع بينهما وقوله إن المنايا يطلعن على الأناس الآمنينا شاذ
وهو اسم جمع كرخال إذ لم يثبت فعال في أبنية الجمع مأخوذ من أنس لأنهم يستأنسون
بأمثالهم أو آنس لأنهم ظاهرون مبصرون ولذلك سموا بشرا كما سمي الجن جنا
لاجتنانهم واللام فيه للجنس ومن موصوفة إذ لا عهد فكأنه قال ومن الناس
ناس يقولون أو للعهد والمعهود هم الذين كفروا ومن موصولة والمراد بها
ابن أبي وأصحابه ونظراؤه فإنهم من حيث إنهم صمموا على النفاق دخلوا في عداد
الكفار المختوم على قلوبهم واختصاصهم بزيادة زادوها على الكفر لا يأبى
دخولهم تحت هذا الجنس فإن الأجناس إنما تتنوع بزيادات تختلف فيها أبعاضها
فعلى هذا تكون الآية تقسيما للقسم الثاني واختصاص الإيمان بالله وباليوم
الآخر بالذكر تخصيص لما هو المقصود الأعظم من الإيمان وادعاء بأنهم احتازوا
الإيمان من جانبيه وأحاطوا بقطريه وإيذان بأنهم منافقون فيما يظنون
أنهم مخلصون فيه فكيف بما يقصدون به النفاق لأن القوم كانوا يهودا وكانوا
يؤمنون بالله واليوم الآخر إيمانا كلا إيمان لاعتقادهم التشبيه واتخاذ الولد
وأن الجنة لا يدخلها غيرهم وأن النار لن تمسهم إلا أياما معدودة وغيرها
ويرون المؤمنين أنهم آمنوا مثل إيمانهم وبيان لتضاعف خبثهم وإفراطهم في
كفرهم لأن ما قالوه لو صدر عنهم لا على وجه الخداع والنفاق وعقيدتهم عقيدتهم
لم يكن إيمانا فكيف وقد قالوه تمويها على المسلمين وتهكما بهم وفي تكرير الباء ادعاء

الايمان لحلول واحد على الاصالة والاستحكام والقول هو التلفظ بما يفيد ويقال
بمعنى المقول وللمعنى المتصور في النفس المعبر عنه باللفظ وللرأي والمذهب مجازا
والمراد باليوم الاخر من وقت الحشر الى ما لا يتناهى او الى ان يدخل اهل الجنة الجنة
واهل النار النار لانه اخر الاوقات المحدودة وما هم بمؤمنين انكار ما ادعوه
ونفي ما انتحلوا اثباته وكان اصله وما امنوا ليطابق قولهم في التصريح بشان
الفعل دون الفاعل لكنه عكس تاكيدا ومبالغة في التكذيب لان اخراج ذواتهم
من عداد المؤمنين ابلغ من نفي الايمان عنهم في ماضي الزمان ولذلك اكد النفي بالباء
واطلق الايمان على معنى انهم ليسوا من الايمان في شيء ويحتمل ان يقيد بما قيدوا به
لانه جوابه والاية تدل على ان من ادعى الايمان وخالف قلبه لسانه بالاعتقاد لم
يكن مؤمنا لان من تفوه بالشهادتين فارغ القلب عما يوافقه او ينافيه لم يكن
مؤمنا والخلاف مع الكرامية في الثاني فلا ينهض حجة عليهم يخادعون الله والذين امنوا
الخدع ان توهم غيرك خلاف ما تخفيه من المكروه لتزله عما هو بصدده من
قولهم خدع الضب اذا توارى في جحره وضب خادع وخدع اذا اوهم الحارش اقباله
عليه ثم خرج من باب اخر واصله الاخفاء ومنه المخدع للخزانة والاخدعان لعرقين
خفيين في العنق والمخادعة تكون بين اثنين وخداعهم مع الله ليس على ظاهره
لانه لا يخفى عليه خافية ولانهم لم يقصدوا خديعته بل المراد اما مخادعة رسوله
على حذف المضاف او على ان معاملة الرسول معاملة الله من حيث انه خليفته كما
قال الله تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله ان الذين يبايعونك انما يبايعون
الله واما ان صورة صنعهم مع الله تعالى من اظهار الايمان واستبطان الكفر
وصنع الله معهم من اجراء احكام المسلمين عليهم وهم عند الله اخبث الكفار واهل
الدرك الاسفل من النار استدراجا لهم وامتثال الرسول والمؤمنين امر الله في
اخفاء حالهم واجراء حكم الاسلام عليهم مجازاة لهم بمثل صنيعهم صورة صنع
المتخادعين ويحتمل ان يراد بيخادعون يخدعون لانه بيان ليقولوا او استيناف
بذكر ما هو الغرض منه الا انه اخرج في زنة فاعل للمبالغة فان الزنة لما كانت
للمبالغة والفعل متى غولب فيه كان ابلغ منه اذا جاء بلا مقابلة معارض و
مبار استصحبت ذلك ويعضده قراءة من قرأ يخدعون وكان غرضهم في ذلك ان
يدفعوا عن انفسهم ما يطرق به من سواهم من الكفرة وان يفعل بهم ما يفعل بالمؤمنين
من الاكرام والاعطاء وان يختلطوا بالمسلمين فيطلعوا على اسرارهم ويذيعوها
الى منابذيهم الى غير ذلك من الاغراض والمقاصد وما يخادعون الا انفسهم

قراءة نافع وابن كثير وابو عمرو والمعنى ان دائرة الخداع راجعة اليهم وضررها
يحيق بهم او انهم في ذلك خدعوا انفسهم لما غروها بذلك وخدعتهم انفسهم حيث
حدثتهم بالاماني الفارغة وحملتهم على مخادعة من لا يخفى عليه خافية وقرأ
الباقون وما يخدعون لان المخادعة لا تتصور الا بين اثنين وقرئ يخدعون
بمعنى يختدعون ويخدعون ويخادعون على البناء للمفعول ونصب انفسهم بنزع
الخافض والنفس ذات الشيء وحقيقته ثم قيل للروح لان نفس الحي به وللقلب لانه
محل الروح او متعلقه وللدم لان قوامها به وللماء لفرط احتياجها اليه وللرأي
في قولهم فلان يؤامر نفسه لانه ينبعث عنها او يشبه ذاتا تامره وتشير عليه
والمراد بالانفس هنا ذواتهم ويحتمل حملها على ارواحهم وارائهم وما يشعرون
لا يحسون بذلك لتمادي غفلتهم جعل لحوق وبال الخداع ورجوع ضرره اليهم
في الظهور كالمحسوس الذي لا يخفى الا على مؤوف الحواس والشعور الاحساس
ومشاعر الانسان حواسه واصله الشعر ومنه الشعار في قلوبهم مرض فزادهم
الله مرضا المرض حقيقة فيما يعرض للبدن فيخرجه عن الاعتدال الخاص به
ويوجب الخلل في افعاله ومجاز في الاعراض النفسانية التي تخل بكمالها كالجهل
وسوء العقيدة والحسد والضغينة وحب المعاصي لانها مانعة عن نيل الفضائل
او مؤدية الى زوال الحياة الحقيقية الابدية والاية تحتملهما فان قلوبهم
كانت متالمة تحرقا على ما فات عنهم من الرياسة وحسدا على ما يرون من ثبات امر الرسول
واستعلاء شانه يوما فيوما وزاد الله غمهم بما زاد في اعلاء امره واشادة ذكره
ونفوسهم كانت مؤوفة بالكفر وسوء الاعتقاد ومعاداة النبي عم ونحوها
فزاد الله ذلك بالطبع او بازدياد التكاليف وتكرير الوحي وتضاعف النصر و
كان اسناد الزيادة الى الله تعالى من حيث انه مسبب من فعله واسنادها الى السورة
في قوله فزادتهم رجسا لكونها سببا ويحتمل ان يراد بالمرض ما تداخل قلوبهم من
الجبن والخور حين شاهدوا شوكة المسلمين وامداد الله لهم بالملائكة وقذف
الرعب في قلوبهم وبزيادته تضعيفه بما زاد لرسوله نصرة على الاعداء وتبسطا
في البلاد ولهم عذاب اليم اي مؤلم يقال الم فهو اليم كوجع فهو وجيع وصف به
العذاب للمبالغة كقوله تحية بينهم ضرب وجيع على طريقة قولهم جد جده بما
كانوا يكذبون قرأه عاصم وحمزة والكسائي والمعنى بسبب كذبهم او ببدله جزاء
لهم وهو قولهم امنا وقرأ الباقون يكذبون من كذبه لانهم كانوا يكذبون الرسول
بقلوبهم واذا خلوا الى شياطينهم او من كذب الذي هو للمبالغة او التكثير

شان بين الشيء وموت البهائم او من كذب الوحشي اذا جرى شوطا ووقف لينظر
ما وراءه فان المنافق متحير متردد والكذب هو الخبر عن الشيء على خلاف ما هو به
وهو حرام كله لانه علل به استحقاق العذاب حيث رتب عليه وما روي ان ابراهيم
الخليل عم كذب ثلث كذبات فالمراد التعريض ولكن لما شابه الكذب في صورته سمي
به واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض عطف على يكذبون او يقول وما روي عن
سلمان ان اهل هذه الاية لم ياتوا بعد فلعله اراد به ان اهله ليس الذين كانوا
فقط بل وسيكون من بعد من حالهم لان الاية متصلة بما قبلها بالضمير الذي
فيها والفساد خروج الشيء عن الاعتدال والصلاح ضده وكلاهما يعمان كل ضار
ونافع وكان من فسادهم في الارض هيج الحروب والفتن بمخادعة المسلمين وممالاة
الكفار عليهم بافشاء الاسرار اليهم فان ذلك يؤدي الى فساد ما في الارض من
والدواب والحرث ومنه اظهار المعاصي والاهانة بالدين فان الاخلال بالشرايع
والاعراض عنها مما يوجب الهرج والمرج ويخل بنظام العالم والقائل هو الله تعالى
او الرسول او بعض المؤمنين قالوا انما نحن مصلحون جواب لاذا ورد للناصح على سبيل
المبالغة والمعنى انه لا يصح مخاطبتنا بذلك فان شاننا ليس الا الاصلاح وان حالنا
متمحضة عن شوائب الفساد لان انما يفيد قصر ما دخله على ما بعده مثل انما
زيد منطلق وانما ينطلق زيد وانما قالوا ذلك لانهم تصوروا الفساد بصورة
الصلاح لما في قلوبهم من المرض كما قال الله تعالى افمن زين له سوء عمله فراه حسنا
الا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون رد لما ادعوا ابلغ رد للاستيناف به و
تصديره بحرفي التاكيد الا المنبهة على تحقق ما بعدها فان همزة الاستفهام
التي للانكار اذا دخلت على النفي افادت تحقيقا ونظيره اليس ذلك بقادر ولذلك
لا تكاد تقع الجملة بعدها الا مصدرة بما يتلقى به القسم واختها اما التي هي
من طلايع القسم وان المقررة للنسبة وتعريف الخبر وتوسيط الفصل لرد ما
في قولهم انما نحن مصلحون من التعريض للمؤمنين والاستدراك بلا يشعرون واذا
قيل لهم امنوا من تمام النصح والارشاد فان كمال الايمان بمجموع الامرين الاعراض
عما لا ينبغي وهو المقصود بقوله لا تفسدوا والاتيان بما ينبغي وهو المطلوب
بقوله امنوا كما امن الناس في حيز النصب على المصدر وما مصدرية او كافة مثلها
في ربما واللام في الناس للجنس والمراد به الكاملون في الانسانية العاملون
بقضية العقل فان اسم الجنس كما يستعمل لمسماه مطلقا يستعمل لما يستجمع المعاني
المخصوصة به والمقصودة منه ولذلك يسلب عن غيره فيقال زيد ليس بانسان

ومن هذا الباب قوله تعالى صم بكم عمي ونحوه وقد جمعهما الشاعر في قوله اذ الناس
ناس والزمان زمان او للعهد والمراد به الرسول ومن معه او من امن من اهل
جلدتهم كابن سلام واصحابه والمعنى امنوا ايمانا مقرونا بالاخلاص متمحضا
عن شوائب النفاق مماثلا لايمانهم واستدل به على قبول توبة الزنديق وان
الاقرار باللسان ايمان والا لم يفد التقييد قالوا انؤمن كما امن السفهاء الهمزة فيه
للانكار واللام مشار بها الى الناس او الجنس باسره وهم مندرجون فيه على
زعمهم وانما سفهوهم لاعتقادهم فساد رايهم او لتحقير شانهم فان اكثر المؤمنين
فقراء ومنهم موال كصهيب وبلال او للتجلد وعدم المبالاة بمن امن منهم ان فسر
الناس بعبد الله بن سلام واشياعه والسفه خفة وسخافة راي يقتضيهما
نقصان العقل والحلم يقابله الا انهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون رد ومبالغة
في تجهيلهم فان الجاهل بجهله الجازم على خلاف ما هو الواقع اعظم ضلالة و
اتم جهالة من المتوقف المعترف بجهله فانه ربما يعذر وتنفعه الايات والنذر
وانما فصلت الاية بلا يعلمون والتي قبلها بلا يشعرون لانه اكثر طباقا
لذكر السفه ولان الوقوف على امر الدين والتمييز بين الحق والباطل مما يفتقر
الى نظر وفكر فاما النفاق وما فيه من الفتن والفساد فانما يدرك بادنى تفطن
وتامل فيما يشاهد من اقوالهم وافعالهم واذا لقوا الذين امنوا قالوا امنا
بيان لمعاملتهم مع والكفار وما صدرت به القصة فمساقه لبيان مذهبهم و
تمهيد نفاقهم فليس بتكرير روي ان ابن ابي واصحابه استقبلهم نفر من الصحابة
فقال لقومه انظروا كيف ارد هؤلاء السفهاء عنكم فاخذ بيد ابي بكر فقال
مرحبا بالصديق سيد بني تيم وشيخ الاسلام وثاني رسول الله في الغار الباذل نفسه
وماله لرسول الله عم ثم اخذ بيد عمر فقال مرحبا بسيد بني عدي الفاروق
القوي في دينه الباذل نفسه وماله لرسول الله عم ثم اخذ بيد علي فقال مرحبا
يا ابن عم رسول الله وختنه سيد بني هاشم ما خلا رسول الله فنزلت واللقاء
المصادفة يقال لقيته ولاقيته اذا صادفته واستقبلته ومنه القيته اذا طرحته
فانك بطرحه جعلته بحيث يلقى واذا خلوا الى شياطينهم من خلوت بفلان واليه
اذا انفردت معه او من خلاك ذم اي عداك ومضى عنك ومنه القرون الخالية او
خلوت به اذا سخرت منه وعدي بالى لتضمين معنى الانهاء والمراد بشياطينهم الذين
ماثلوا الشيطان في تمردهم وهم المظهرون كفرهم واضافتهم اليهم للمشاركة
في الكفر او كبار المنافقين والقائلون صغارهم وجعل سيبويه نونه تارة اصلية

على انه من شطن اذا بعد فانه بعيد عن الصلاح ويشهد له قولهم تشيطن واخرى
تأبده على انه من شاط اذا بطل ومن اسمائه الباطل قالوا انا معكم اي في الدين
والاعتقاد خاطبوا المؤمنين بالجملة الفعلية والشياطين بالجملة الاسمية
المؤكدة بان لانهم قصدوا بالاولى دعوى احداث الايمان وبالثانية تحقيق ثباتهم
على ما كانوا عليه ولانهم لم يكن لهم باعث من عقيدة وصدق رغبة فيما خاطبوا
به المؤمنين ولا توقع رواج ادعاء الكمال في الايمان على المؤمنين من المهاجرين
والانصار بخلاف ما قالوا مع الكفار انما نحن مستهزءون تأكيد لما قبله لان
المستهزئ بالشيء المستخف به مصر على خلافه او بدل منه لان من حقر الاسلام فقد
عظم الكفر او استيناف فكأن الشياطين قالوا لهم لما قالوا انا معكم ان صح ذلك
فما لكم توافقون المؤمنين وتدعون الايمان فاجابوا بذلك والاستهزاء السخرية
والاستخفاف يقال هزأت واستهزأت بمعنى كاجبت واستجبت واصله الخفة من الهزء
وهو القتل السريع يقال هزأ فلان اذا مات على مكانه وناقته تهزأ به اي
تسرع وتخف الله يستهزئ بهم يجازيهم على استهزائهم سمي جزاء الاستهزاء
باسمه كما سمي جزاء السيئة سيئة اما لمقابلة اللفظ باللفظ او لكونه مماثلا له
في القدر او يرجع وبال الاستهزاء عليهم فيكون كالمستهزئ بهم او ينزل بهم الحقارة
والهوان الذي هو لازم الاستهزاء او الغرض منه او يعاملهم معاملة المستهزئ
اما في الدنيا فباجراء احكام المسلمين عليهم واستدراجهم بالامهال والزيادة في
النعمة على التمادي في الطغيان واما في الاخرة فبان يفتح لهم وهم في النار بابا الى
الجنة فيسرعون نحوه فاذا صاروا اليه سد عليهم الباب وذلك قوله تعالى فاليوم
الذين امنوا من الكفار يضحكون وانما استونف به ولم يعطف ليدل على ان الله تعالى
تولى مجازاتهم ولم يحوج المؤمنين ان يعارضوهم وان استهزاءهم لا يؤبه به في
مقابلة ما يفعل الله بهم ولعله لم يقل الله مستهزئ بهم ليطابق قولهم ايذانا بان
الاستهزاء يحدث حالا فحالا ويتجدد حينا بعد حين وهكذا كانت نكايات الله
فيهم كما قال اولا يرون انهم يفتنون في كل عام مرة او مرتين ويمدهم في طغيانهم
يعمهون من مد الجيش وامده اذا زاده وقواه ومنه مددت السراج والارض
اذا استصلحتهما بالزيت والسماد لا من المد في العمر فانه يعدى باللام كاملي لهم
ويدل عليه قراءة ابن كثير ويمدهم والمعتزلة لما تعذر عليهم اجراء الكلام على ظاهره
قالوا لما منعهم الله تعالى الطافه التي يمنحها المؤمنين وخذلهم بسبب كفرهم واصرارهم
وسدهم طريق التوفيق على انفسهم فتزايدت بسببه قلوبهم رينا وظلمة تزايد

قلوب المؤمنين انشراحا ونورا او مكن الشيطان من اغوائهم فزادهم طغيانا
اسند ذلك الى الله تعالى اسناد الفعل الى المسبب واضاف الطغيان اليهم لئلا يتوهم
ان اسناد الفعل اليه على الحقيقة ومصداق ذلك انه لما اسند المد الى الشياطين
اطلق الغي وقال واخوانهم يمدونهم في الغي او كان اصله يمد لهم بمعنى يملي لهم ويمد في
اعمارهم كي يتنبهوا ويطيعوا فما زادوا الا طغيانا وعمها فحذفت اللام وعدي
الفعل بنفسه كما في قوله تعالى واختار موسى قومه والتقدير يمد لهم مطلقا
وهم مع ذلك يعمهون في طغيانهم والطغيان بالضم والكسر كلقيان ولقيان تجاوز
الحد في العصيان والغلو في الكفر واصله تجاوز الشيء عن مكانه قال الله تعالى
انا لما طغى الماء حملناكم في الجارية والعمه في البصيرة كالعمى في البصر وهو التحير
في الامر يقال رجل عامه وعمه وارض عمهاء لا منار بها قال اعمى الهدى بالجاهلين
العمه اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى اختاروها عليه واستبدلوها به
واصله بذل الثمن لتحصيل ما يطلب من الاعيان فان كان احد العوضين ناضا تعين
من حيث انه لا يطلب لعينه ان يكون ثمنا وبذله اشتراء والا فاي العوضين تصورته
بصورة الثمن فباذله مشتر واخذه بائع ولذلك عدت الكلمتان من الاضداد ثم
استعير للاعراض عما في يده محصلا به غيره سواء كان من المعاني او الاعيان و
منه اخذت بالجمة راسا ازعرا وبالثنايا الواضحات الدردرا وبالطويل
العمر عمرا جيدرا كما اشترى المسلم اذ تنصرا ثم اتسع فيه فاستعمل للرغبة
عن الشيء طمعا في غيره والمعنى انهم اخلوا بالهدى الذي جعل الله لهم بالفطرة التي
فطر الناس عليها محصلين الضلالة التي ذهبوا اليها واختاروا الضلالة و
استحبوها على الهدى فما ربحت تجارتهم لما استعمل الاشتراء في معاملتهم اتبعه
ما يشاكله تمثيلا لخسارهم ونحوه ولما رأيت النسر عز ابن داية وعشش في
وكريه جاش له صدري والتجارة طلب الربح بالبيع والشراء والربح الفضل
على رأس المال ولذلك سمي شفا واسناده الى التجارة وهو لاربابها على الاتساع
لتلبسها بالفاعل او لمشابهتها اياه من حيث انها سبب الربح والخسران وما كانوا
مهتدين لطرق التجارة فان المقصود منها سلامة رأس المال والربح وهؤلاء
قد اضاعوا الطلبتين لان رأس مالهم كان الفطرة السليمة والعقل الصرف
فلما اعتقدوا هذه الضلالات بطل استعدادهم واختل عقلهم ولم يبق لهم
رأس مال يتوصلون به الى درك الحق ونيل الكمال فبقوا خاسرين ايسين عن
الربح فاقدين للاصل مثلهم كمثل الذي استوقد نارا لما جاء بحقيقة حالهم

عقبها بضرب المثل زيادة في التوضيح والتقرير فإنه أوقع في القلب وأقمع للخصم
الألد لأنه يريك المتخيل محققا والمعقول محسوسا ولأمر ما أكثر الله تعالى في كتبه
الأمثال وفشت في كلام الأنبياء والحكماء والمثل في الأصل بمعنى النظير يقال
مَثَل ومِثْل ومَثيل كشَبَه وشِبْه وشَبيه ثم للقول السائر الممثل مضربه بمورده
ولا يضرب إلا ما فيه غرابة ولذلك حافظوا عليه من التغيير ثم استعير لكل حال
أو صفة أو قصة لها شأن وفيها غرابة مثل قوله تعالى مثل الجنة التي وعد
المتقون وقوله ولله المثل الأعلى والمعنى حالهم العجيبة الشأن كحال من استوقد
نارا والذي بمعنى الذين كما في قوله تعالى وخضتم كالذي خاضوا إن جعل مرجع
الضمير في بنورهم وإنما جاز ذلك ولم يجز وضع القائم مقام القائمين لأنه
غير مقصود بالوصف بل الجملة التي هي صلته وهو وصلة إلى وصف المعرفة بها و
لأنه ليس باسم تام بل هو كالجزء منه فحقه أن لا يجمع كما لم يجمع أخواته ويستوي
فيه الواحد والجمع وليس الذين جمعه المصحح بل ذو زيادة زيدت لزيادة المعنى
ولذلك جاء بالياء أبدا على اللغة الفصيحة التي عليها التنزيل ولكونه مستطالا
بصلته استحق التخفيف ولذلك بولغ فيه فحذف ياؤه ثم كسرته ثم اقتصر على
اللام في أسماء الفاعلين والمفعولين أو قصد به جنس المستوقدين أو الفوج
الذي استوقد والاستيقاد طلب الوقود والسعي في تحصيله وهو سطوع
النار وارتفاع لهبها واشتقاق النار من نار ينور نورا إذا نفر لأن فيها حركة
واضطرابا فلما أضاءت ما حوله أي النار ما حول المستوقد إن جعلتها متعدية
وإلا أمكن أن تكون مسندة إلى ما والتأنيث لأن ما حوله أشياء وأماكن أو
إلى ضمير النار وما موصولة في معنى الأمكنة نصب على الظرف أو مزيدة
وحوله ظرف وتأليف الحول للدوران وقيل للعام حول لأنه يدور ذهب الله
بنورهم جواب لما والضمير للذي وجمعه للحمل على المعنى وعلى هذا إنما قال بنورهم
ولم يقل بنارهم لأنه المراد من إيقادها أو استئناف أجيب به اعتراض سائل
يقول ما بالهم شبهت حالهم بحال مستوقد انطفأت ناره أو بدل من جملة التمثيل
على سبيل البيان والضمير على الوجهين للمنافقين والجواب محذوف كما في قوله
فلما ذهبوا به للإيجاز وأمن الالتباس وإسناد الإذهاب إلى الله تعالى إما لأن
الكل بفعله أو لأن الإطفاء حصل بسبب خفي أو أمر سماوي كريح أو مطر أو للمبالغة
ولذلك عدي الفعل بالباء دون الهمزة لما فيها من معنى الاستصحاب والاستمساك
يقال ذهب السلطان بماله إذا أخذه وما أخذه وأمسكه فلا مرسل له و

لذلك عدل عن الضوء الذي هو مقتضى اللفظ إلى النور فإنه لو قيل ذهب
الله بضوئهم احتمل ذهابه بما في الضوء من الزيادة وبقاء ما يسمى نورا
والغرض إزالة النور عنهم رأسا ألا ترى كيف قرر ذلك وأكده بقوله وتركهم
في ظلمات لا يبصرون فذكر الظلمة التي هي عدم النور وانطماسه بالكلية وجمعها
ونكرها ووصفها بأنها ظلمة خالصة لا يتراءى فيها شبحان وترك في الأصل
بمعنى طرح وخلى وله مفعول واحد فضمن معنى صير فجرى مجرى أفعال القلوب
كقوله وتركهم في ظلمات وقول الشاعر فتركته جزر السباع ينشنه و
الظلمة مأخوذة من قولهم ما ظلمك أن تفعل كذا أي ما منعك لأنها تسد البصر و
تمنع الرؤية وظلماتهم ظلمة الكفر وظلمة النفاق وظلمة يوم القيامة يوم ترى
المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم أو ظلمة الضلال وظلمة
سخط الله وظلمة عقاب السرمد أو ظلمة شديدة كأنها ظلمات متراكمة و
مفعول لا يبصرون من قبيل المطروح المتروك فكأن الفعل غير متعد والآية مثل
ضربه الله لمن آتاه ضربا من الهدى فأضاعه ولم يتوصل به إلى نعيم الأبد
فبقي متحيرا متحسرا تقريرا وتوضيحا لما تضمنته الآية الأولى ويدخل تحت
عمومه هؤلاء المنافقون فإنهم أضاعوا ما نطقت به ألسنتهم من الحق
باستبطان الكفر وإظهاره حين خلوا إلى شياطينهم ومن آثر الضلالة على
الهدى المجعول له بالفطرة أو ارتد عن دينه بعدما آمن ومن صح له أحوال
الإرادة فادعى أحوال المحبة فأذهب الله عنه ما أشرق عليه من أنوار الإرادة
أو مثل لإيمانهم من حيث إنه يعود عليهم بحقن الدماء وسلامة الأموال والأولاد
ومشاركة المسلمين في المغانم والأحكام بالنار الموقدة للاستضاءة ولذهاب
أثره وانطماس نوره بإهلاكهم وإفشاء حالهم بإطفاء الله تعالى إياها وإذهاب
نورها صم بكم عمي لما سدوا مسامعهم عن الإصاخة إلى الحق وأبوا أن ينطقوا
به ألسنتهم ويتبصروا الآيات بأبصارهم جعلوا كأنما أيفت مشاعرهم أو انتفت
قواهم كقوله صم إذا سمعوا خيرا ذكرت به وإن ذكرت بسوء عندهم أذنوا
أصم عن الشيء الذي لا أريده وأسمع خلق الله حين أريد وإطلاقها عليهم
على طريقة التمثيل لا الاستعارة إذ من شرطها أن يطوى ذكر المستعار
له بحيث يمكن حمل الكلام على المستعار منه لولا القرينة كقول زهير لدى
أسد شاكي السلاح مقذف له لبد أظفاره لم تقلم ومن ثم ترى المفلقين
السحرة يضربون عن توهم التشبيه صفحا كما قال أبو تمام ويصعد حتى يظن

المجهول بان له حاجة في السماء وههنا وان طوي ذكره بحذف المبتدا
لكنه في حكم المنطوق به ونظيره اسد عليّ وفي الحروب نعامة فتخاء تنفر من
صفير الصافر هذا اذا جعلت الضمير للمنافقين على ان الاية فذلكة التمثيل
ونتيجته وان جعلته للمستوقدين فهي على حقيقتها والمعنى انهم لما اوقدوا
نارا فذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات هائلة ادهشتهم بحيث اختلت حواسهم
وانتقصت قواهم وثلاثتها قرئت بالنصب على الحال من مفعول تركهم والصمم اصله
صلابة من اكتناز الاجزاء ومنه قيل حجر اصم وقناة صماء وصمام القارورة
سمي به فقدان حاسة السمع لان سببه ان يكون باطن الصماخ مكتنزا لا تجويف
فيه يشتمل على هواء يسمع الصوت بتموجه والبكم الخرس والعمى عدم البصر عما
من شانه ان يبصر وقد يقال لعدم البصيرة فهم لا يرجعون لا يعودون الى
الهدى الذي باعوه وضيعوه او عن الضلالة التي اشتروها او فهم متحيرون
لا يدرون ايتقدمون ام يتاخرون والى حيث ابتدؤا منه كيف يرجعون والفاء
للدلالة على ان اتصافهم بالاحكام السابقة سبب لتحيرهم واحتباسهم او كصيب
من السماء عطف على كمثل الذي استوقد نارا اي كمثل ذوي صيب لقوله يجعلون
اصابعهم في آذانهم واو في الاصل للتساوي في الشك ثم اتسع فيها فاطلقت
للتساوي من غير شك مثل جالس الحسن او ابن سيرين وقوله تعالى ولا تطع منهم آثما
او كفورا فانها تفيد التساوي في حسن المجالسة ووجوب العصيان ومن ذلك
قوله تعالى او كصيب من السماء ومعناه ان قصة المنافقين مشبهة بهاتين
القصتين وانهما سواء في صحة التشبيه وانت مخير في التمثيل بهما او بايهما شئت
والصيب فيعل من الصوب وهو النزول يقال للمطر وللسحاب قال الشماخ وأسحم
دان صادق الرعد صيب وفي الاية يحتملهما وتنكيره لانه اريد به نوع
من المطر شديد وتعريف السماء للدلالة على ان الغمام مطبق آخذ بآفاق السماء
كلها فان كل افق منها يسمى سماء كما ان كل طبقة منها سماء وقال ومن بعد ارض
بيننا وسماء امد به ما في صيب من المبالغة من جهة الاصل والبناء والتنكير
وقيل المراد بالسماء السحاب فاللام لتعريف الماهية فيه ظلمات ورعد وبرق
ان اريد بالصيب المطر فظلماته ظلمة تكاثفه بتتابع القطر وظلمة غمامه مع
ظلمة الليل وجعله مكانا للرعد والبرق لانهما في اعلاه ومنحدره ملتبسين
به وان اريد به السحاب فظلماته سحمته وتطبيقه مع ظلمة الليل وارتفاعها
بالظرف لانه معتمد على موصوف والرعد صوت يسمع من السحاب والمشهور

ان سببه اضطراب اجرام السحاب واصطكاكها اذا حدتها الريح من الارتعاد
والبرق ما يلمع من السحاب من برق الشيء بريقا وكلاهما مصدر في الاصل ولذلك
لم يجمعا يجعلون اصابعهم في آذانهم الضمير لاصحاب الصيب وهو وان
حذف لفظه واقيم الصيب مقامه لكن معناه باق فيجوز ان يعول عليه كما عول
حسان في قوله يسقون من ورد البريص عليهم بردى يصفق بالرحيق السلسل
حيث ذكر الضمير لان المعنى ماء بردى والجملة استيناف فكأنه لما ذكر ما يؤذن
بالشدة والهول قيل فكيف حالهم مع ذلك فاجيب بها وانما اطلق الاصابع موضع
الانامل للمبالغة من الصواعق متعلق بيجعلون اي من اجلها يجعلون كقولهم
سقاه من العيمة والصاعقة قصفة رعد هائل معها نار لا تمر بشيء الا اتت
عليه من الصعق وهو شدة الصوت وقد يطلق على كل هائل مسموع او مشاهد
ويقال صعقته الصاعقة اذا اهلكته بالاحراق او شدة الصوت وقرئ
من الصواقع وهو ليس بقلب من الصواعق لاستواء كلا البنائين في التصرف
يقال صقع الديك وخطيب مصقع وصقعته الصاعقة وهي في الاصل اما
صفة لقصفة الرعد او للرعد والتاء للمبالغة كما في الراوية او مصدر كالعافية
والكاذبة حذر الموت نصب على العلة كقوله واغفر عوراء الكريم ادخاره
عن شتم اللئيم تكرما والموت زوال الحيوة وقيل عرض يضادها لقوله تعالى خلق
الموت والحيوة ورد بان الخلق بمعنى التقدير والاعدام مقدرة والله محيط بالكافرين
لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط به المحيط لا يخلصهم الخداع والجملة اعتراضية
لا محل لها يكاد البرق يخطف ابصارهم استيناف ثان كانه جواب لمن يقول ما حالهم
مع تلك الصواعق وكاد من افعال المقاربة وضعت لمقاربة الخبر من الوجود لعروض
سببه لكنه لم يوجد اما لفقد شرط او لوجود مانع وعسى موضوعة لرجائه فهي
خبر محض ولذلك جاءت متصرفة بخلاف عسى وخبرها مشروط فيه ان يكون فعلا
مضارعا تنبيها على انه المقصود بالقرب من غير ان لتوكيد القرب بالدلالة على
الحال وقد تدخل عليه حملا لها على عسى كما تحمل عليها بالحذف عن خبرها
لمشاركتهما في اصل معنى المقاربة والخطف الاخذ بسرعة وقرئ يخطف بكسر الطاء
ويخطف على انه يختطف فنقلت فتحة التاء الى الخاء ثم ادغمت في الطاء ويخطف
بكسر الخاء لالتقاء الساكنين واتباع الياء لها ويتخطف كلما اضاء لهم مشوا فيه
واذا اظلم عليهم قاموا استيناف ثالث كانه قيل ما يفعلون في تارتي خفوق البرق
وخفيته فاجيب بذلك واضاء اما متعد والمفعول محذوف بمعنى كلما نور لهم ممشى

احدوه او لازم بمعنى كلما لمع لهم مشوا فيه في مطرح نوره وكذلك اظلم فانه جاء
متعديا منقولا من ظلم الليل ويشهد له قراءة اظلم على البناء للمفعول وقول ابي تمام
هما اظلما حالي ثمت اجليا ظلاميهما عن وجه امرد اشيب فانه وان كان من المحدثين
لكنه من علماء العربية فلا يبعد ان يجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه وانما قال مع
الاضاءة كلما ومع الاظلام اذا لانهم حراص على المشي فكلما صادفوا منه فرصة
انتهزوها ولا كذلك التوقف ومعنى قاموا وقفوا ومنه قامت السوق اذا ركدت
وقام الماء اذا جمد ولو شاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم اي ولو شاء الله ان يذهب
بسمعهم بقصيف الرعد وابصارهم بوميض البرق لذهب بهما فحذف المفعول لدلالة
الجواب عليه ولقد تكاثر حذفه في شاء واراد حتى لا يكاد يذكر الا في الشيء المستغرب
كقوله ولو شئت ان ابكي دما لبكيته ولو من حروف الشرط وظاهرها الدلالة على
انتفاء الاول لانتفاء الثاني ضرورة انتفاء الملزوم عند انتفاء لازمه وقرئ
لاذهب باسماعهم بزيادة الباء كقوله تعا ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة وفائدة
هذه الشرطية ابداء المانع لذهاب سمعهم وابصارهم مع قيام ما يقتضيه والتنبيه
على ان تاثير الاسباب في مسبباتها مشروط بمشيئته تعالى وان وجودها مرتبطا
باسبابها واقع بقدرته ان الله على كل شيء قدير كالتصريح والتقرير له والشيء يختص
بالموجود لانه في الاصل مصدر شاء اطلق بمعنى شاء تارة وحينئذ يتناول الباري تعا
كما قال قل اي شيء اكبر شهادة قل الله وبمعنى مشيء اخرى اي مشيء وجوده وما شاء
الله وجوده فهو موجود في الجملة وعليه قوله تعا ان الله على كل شيء قدير الله
خالق كل شيء فهما على عمومهما بلا مثنوية والمعتزلة لما قالوا الشيء ما يصح ان
يوجد وهو يعم الواجب والممكن او ما يصح ان يعلم ويخبر عنه فيعم الممتنع ايضا
لزمهم التخصيص بالممكن في الموضعين بدليل العقل والقدرة هي التمكن من ايجاد الشيء
وقيل صفة تقتضي التمكن وقيل قدرة الانسان هيئة بها يتمكن من الفعل وقدرة الله
عبارة عن نفي العجز عنه والقادر هو الذي ان شاء فعل وان لم يشأ لم يفعل والقدير
الفعال لما يشاء على ما يشاء ولذلك لم يوصف به غير الباري تعا واشتقاق القدرة
من القدر لان القادر يوقع الفعل على مقدار قوته او على مقدار ما يقتضيه مشيئته
وفيه دليل على ان الحادث حال حدوثه والممكن حال بقائه مقدوران وان مقدور
العبد مقدور الله لانه شيء مقدور والظاهر ان التمثيلين من جملة التمثيلات المؤلفة
وهو ان تشبه كيفية منتزعة من مجموع تضامت اجزاؤه وتلاصقت حتى صارت
شيئا واحدا باخرى مثلها كقوله تعا مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها الاية

فانه تشبيه حال اليهود في جهلهم بما معهم من التوراة بحال الحمار في جهله بما
يحمل من اسفار الحكمة والغرض منهما تمثيل حال المنافقين من الحيرة والشدة بما
يكابد من طفئت ناره بعد ايقاده في ظلمة او بحال من اخذته السماء في ليلة مظلمة
مع رعد قاصف وبرق خاطف وخوف من الصواعق ويمكن جعلهما من قبيل التمثيل
المفرد وهو ان تاخذ اشياء فرادى فتشبهها بامثالها كقوله وما يستوي الاعمى
والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وقول امرئ القيس كأن
قلوب الطير رطبا ويابسا لدى وكرها العناب والحشف البالي بان تشبه في الاولى
ذوات المنافقين بالمستوقدين واظهارهم الايمان باستيقاد النار وما انتفعوا
به من حقن الدماء وسلامة الاموال والاولاد وغير ذلك باضاءة النار ما حول
المستوقدين وزوال ذلك عنهم على القرب باهلاكهم او بافشاء حالهم وابقائهم في
الخسار الدائم والعذاب السرمد باطفاء نارهم وفي الثاني انفسهم باصحاب
الصيب وايمانهم المخالط بالكفر والخداع بصيب فيه ظلمات ورعد وبرق من حيث
انه كان نافعا في نفسه لكنه لما وجد في هذه الصورة عاد نفعه ضررا ونفاقهم
حذرا عن نكايات المؤمنين وما يطرقون به من سواهم من الكفرة بجعل الاصابع
في الاذان من الصواعق حذر الموت من حيث انه لا يرد من قدر الله شيئا ولا يخلص مما
يريد بهم من المضار وتحيرهم لشدة الامر وجهلهم بما ياتون ويذرون بانهم كلما
صادفوا من البرق خفقة انتهزوها فرصة مع خوف ان يخطف ابصارهم فخطوا
خطى يسيرة ثم اذا خفي وفتر لمعانه بقوا متقيدين لا حراك لهم وقيل شبه الايمان
والقرآن وسائر ما اوتي الناس من المعارف التي هي سبب الحيوة الابدية بالصيب الذي
به حيوة الارض وما ارتكبت بها من شبه المبطلة واعترضت دونها من الاعتراضات
المشكلة بالظلمات وما فيها من الوعد والوعيد بالرعد وما فيها من الايات الباهرة
بالبرق وتصامهم عما يسمعون من الوعيد بحال من يهوله الرعد فيخاف صواعقه
فيسد اذنه عنها مع انه لا خلاص لهم منها وهو معنى قوله والله محيط بالكافرين و
اهتزازهم لما يلمع لهم من رشد يدركونه او رفد تطمح اليه ابصارهم بمشيهم في مطرح
ضوء البرق كلما اضاء لهم وتحيرهم وتوقفهم في الامر حين تعرض لهم شبهة او تعن
لهم مصيبة بتوقفهم اذا اظلم عليهم ونبه بقوله تعا ولو شاء الله لذهب
بسمعهم وابصارهم على انه تعا جعل لهم السمع والابصار ليتوسلوا بها الى الهدى
والفلاح ثم انهم صرفوها الى الحظوظ العاجلة وسدوها عن الفوائد الآجلة
ولو شاء الله لجعلهم بالحالة التي يجعلونها فانه على ما يشاء قدير يا ايها

يا ايها الناس اعبدوا ربكم لما عدد فرق المكلفين وذكر خواصهم ومصارف امورهم اقبل
عليهم بالخطاب على سبيل الالتفات هزا للسامع وتنشيطا له واهتماما بامر العبادة
وتفخيما لشانها وجبرا لكلفة العبادة بلذة المخاطبة ويا حرف وضع لنداء البعيد
اما لعظمته كقول الداعي يا رب ويا الله وهو اقرب اليه من حبل الوريد او لغفلته
وسوء فهمه او للاعتناء بالمدعو له وزيادة الحث عليه وهو مع المنادى جملة
مفيدة لانه نايب مناب فعل واي جعل وصلة الى نداء المعرف باللام فان ادخال
يا عليه متعذر لتعذر الجمع بين حرفي التعريف فانهما كمثلين واعطي حكم المنادى
واجري عليه المقصود بالنداء وصفا موضحا له والتزم رفعه اشعارا بانه
المقصود واقحمت بينهما هاء التنبيه تاكيدا وتعويضا عما يستحقه اي من المضاف
اليه وانما كثر النداء على هذه الطريقة في القران لاستقلاله باوجه من التاكيد و
كل ما نادى الله به عباده من حيث انها امور عظام من حقها ان يتفطنوا لها ويقبلوا
بقلوبهم عليها واكثرهم عنها غافلون حقيق بان ينادى له بالآكد الابلغ والجموع
واسماؤها المحلاة باللام للعموم حيث لا عهد ويدل عليه صحة الاستثناء منها
والتوكيد بما يفيد العموم كقوله تعالى فسجد الملائكة كلهم اجمعون واستدلال
الصحابة بعمومها شايعا ذايعا فالناس يعم الموجودين وقت النزول لفظا ومن
سيوجد لما تواتر من دينه عم ان مقتضى خطابه واحكامه شامل للقبيلين ثابت
الى قيام الساعة الا ما خصه الدليل وما روي عن علقمة والحسن ان كل شيء
نزل فيه يا ايها الناس فمكي ويا ايها الذين امنوا فمدني ان صح رفعه فلا يوجب
تخصيصه بالكفار ولا امرهم بالعبادة فالمامور به هو المشترك بين بدء
العبادة والزيادة فيها والمواظبة عليها فالمطلوب من الكفار هو الشروع فيها
بعد الاتيان بما يجب تقديمه من المعرفة والاقرار بالصانع فان من لوازم وجوب
الشيء وجوب ما لا يتم الا به وكما ان الحدث لا يمنع وجوب الصلوة فالكفر لا يمنع
وجوب العبادة بل يجب رفعه والاشتغال بها عقيبه ومن المؤمنين ازديادهم و
ثباتهم عليها وانما قال ربكم تنبيها على ان الموجب للعبادة هي الربوبية الذي خلقكم
صفة جرت عليه للتعظيم والتعليل ويحتمل التقييد والتوضيح ان خص الخطاب
بالمشركين واريد بالرب اعم من الرب الحقيقي والالهة التي يسمونها اربابا والخلق
ايجاد الشيء على تقدير واستواء واصله التقدير يقال خلق النعل اذا قدرها
وسواها بالمقياس والذين من قبلكم متناول لكل ما يتقدم الانسان بالذات او
بالزمان معطوف على الضمير المنصوب في خلقكم والجملة اخرجت مخرج المقرر

عندهم اما لاعترافهم به كما قال تعالى ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله ولئن سألتهم من
خلق السموات والارض ليقولن الله او لتمكنهم من العلم به بادنى نظر وقرئ من قبلكم
على اقحام الموصول الثاني بين الاول وصلته تاكيدا كما اقحم جرير في قوله يا تيم تيم
عدي لا ابا لكم تيما الثاني بين الاول وما اضيف اليه لعلكم تتقون حال من الضمير
في اعبدوا ربكم كانه قال اعبدوا ربكم راجين ان تنخرطوا في سلك المتقين الفائزين
بالهدى والفلاح المستوجبين لجوار الله تعالى نبه به على ان التقوى منتهى درجات
السالكين وهو التبري عن كل شيء سوى الله تعالى الى الله وان العابد ينبغي ان
لا يغتر بعبادته ويكون ذا خوف ورجاء كما قال يدعون ربهم خوفا وطمعا يرجون
رحمته ويخافون عذابه او عن مفعول خلقكم والمعطوف عليه على معنى انه خلقكم
ومن قبلكم في صورة من يرجى منه التقوى لترجح امره باجتماع اسبابه وكثرة الدواعي
اليه وغلب المخاطبين على الغائبين في اللفظ والمعنى على ارادتهم جميعا وقيل
تعليل للخلق اي خلقكم لكي تتقوا كما قال وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون و
هو ضعيف اذ لم يثبت في اللغة مثله والاية تدل على ان الطريق الى معرفة الله تعالى
والعلم بوحدانيته واستحقاقه للعبادة النظر في صنعه والاستدلال بافعاله
وان العبد لا يستحق بعبادته عليه ثوابا فانها لما وجبت عليه شكرا لما عدده
عليه من النعم السابقة فهو كاجير اخذ الاجر قبل العمل الذي جعل لكم الارض
فراشا صفة ثانية او مدح منصوب او مرفوع او مبتدا خبره فلا تجعلوا
لله وجعل من الافعال العامة يجيء على ثلاثة اوجه بمعنى صار وطفق فلا يتعدى
كقوله فقد جعلت قلوص بني سهيل من الاكوار مرتعها قريب وبمعنى اوجد فيتعدى
الى مفعول واحد كقوله تعالى وجعل الظلمات والنور وبمعنى صير فيتعدى الى
مفعولين كقوله جعل لكم الارض فراشا والتصيير يكون بالفعل تارة وبالقول
او العقد اخرى ومعنى جعلها فراشا ان جعل بعض جوانبها بارزا عن الماء مع ما
في طبعه من الاحاطة بها وصيرها متوسطة بين الصلابة واللطافة و
الين حتى صارت مهياة لان يقعدوا ويناموا عليها كالفراش المبسوط وذلك
لا يستدعي كونها مسطحة لان كرية شكلها مع عظم حجمها واتساع جرمها لا
تابى الافتراش عليها والسماء بناء قبة مضروبة عليكم والسماء اسم جنس
يقع على الواحد والمتعدد كالدينار والدرهم وقيل جمع سماءة والبناء مصدر
سمي به المبني بيتا كان او قبة او خباء ومنه بنى على امرأته لانهم كانوا اذا
تزوجوا ضربوا عليها خباء جديدا وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات

رزقا لكم عطف على انزل وخروج الثمار بقدرة الله تعالى ومشيئته ولكن جعل
الماء الممزوج بالتراب سببا في اخراجها ومادة لها كالنطفة للحيوان بان اجرى
عادته بافاضة صورها وكيفياتها على المادة الممتزجة منهما او ابدع
في الماء قوة فاعلة وفي الارض قوة قابلة يتولد من اجتماعهما انواع الثمار و
هو قادر على ان يوجد الاشياء كلها بلا اسباب ومواد كما ابدع نفوس الاسباب
والمواد ولكن له في انشائها مدرجا من حال الى حال صنايع وحكم يجدد فيها
لاولي الابصار عبرا وسكونا الى عظيم قدرته ليس في ايجادها دفعة ومن
الاولى للابتداء سواء اريد بالسماء السحاب فان ما علاك سماء او الفلك
فان المطر يبتدي من السماء الى السحاب ومنه الى الارض على ما دلت عليه
الظواهر او من اسباب سماوية تثير الاجزاء الرطبة من اعماق الارض الى جو
الهواء فينعقد سحابا ماطرا ومن الثانية للتبعيض بدليل قوله تعالى فاخرجنا به
ثمرات واكتناف المنكرين له اعني ماء ورزقا كانه قال وانزلنا من السماء بعض
الماء فاخرجنا به بعض الثمرات ليكون بعض رزقكم وهكذا الواقع اذ لم ينزل
من السماء الماء كله ولا اخرج بالمطر كل الثمرات ولا جعل كل المرزوق ثمارا او للتبيين
ورزقا مفعول بمعنى المرزوق كقولك انفقت من الدراهم الفا وانما ساغ الثمرات
والموضع موضع الكثرة لانه اراد بالثمرة جماعة الثمرة التي في قولك ادركت
ثمرة بستانه ويؤيده قراءة من قرا من الثمرة على التوحيد او لان الجموع يتعاور
بعضها مواقع بعض كقوله كم تركوا من جنات وعيون وقوله ثلثة قروء او
لانها لما كانت محلاة باللام خرجت عن حد القلة ولكم صفة رزقا ان اريد
به المرزوق ومفعول به ان اريد به المصدر كانه قال رزقا اياكم فلا تجعلوا لله
اندادا متعلق باعبدوا على انه نهي معطوف عليه او نفي منصوب باضمار
ان جوابا له او بلعل على ان نصب تجعلوا نصب فاطلع في قوله تعالى لعلي ابلغ الاسباب
اسباب السموات فاطلع الحاقا لها بالاشياء الستة لاشتراكها في انها غير
موجبة والمعنى ان تتقوا لا تجعلوا لله اندادا او بالذي جعل ان استانفت به
على انه نهي وقع خبرا على تاويل مقول فيه فلا تجعلوا والفاء للسببية ادخلت
عليه لتضمن المبتدا معنى الشرط والمعنى من خصكم بهذه النعم الجسام والايات
العظام ينبغي ان لا يشرك به والند المثل المناوي قال جرير ايتما تجعلون الي ندا
وما تيم لذي حسب نديد من ند ندودا اذا نفر وناددت الرجل خالفته خص
بالمخالف المماثل في الذات كما خص المساوي للمماثل في القدر وتسمية ما يعبده

المشركون

المشركون من دون الله اندادا وما زعموا انها تساويه في ذاته وصفاته
ولا انها تخالفه في افعاله لانهم لما تركوا عبادته الى عبادتها وسموها الهة
شابهت حالهم حال من يعتقد انها ذوات واجبة بالذات قادرة على ان يدفع عنهم
باس الله ويمنحهم ما لم يرد الله بهم من خير فتهكم بهم وشنع عليهم بان جعلوا
اندادا لمن يمتنع ان يكون له ند ولهذا قال موحد الجاهلية زيد بن عمرو بن نفيل
اربا واحدا ام الف رب ادين اذا تقسمت الامور تركت اللات والعزى جميعا
كذلك يفعل الرجل البصير وانتم تعلمون حال من ضمير فلا تجعلوا ومفعول
تعلمون مطروح اي وحالكم انكم من اهل العلم والنظر واصابة الراي فلو تاملتم
ادنى تامل اضطر عقلكم الى اثبات موجد للممكنات متفرد بوجوب الذات متعال
عن مشابهة المخلوقات او منوي وهو انها لا تماثله ولا يقدر على مثل ما يفعل
كقوله هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء وعلى هذا فالمقصود منه التوبيخ
والتثريب لا تقييد الحكم وقصره عليه فان العالم والجاهل المتمكن من العلم
سواء في التكليف واعلم ان مضمون الايتين هو الامر بعبادة الله والنهي عن
الاشراك به والاشارة الى ما هو العلة والمقتضي وبيانه انه رتب الامر
بالعبادة على صفة الربوبية اشعارا بانها العلة لوجوبها ثم بين ربوبيته
بانه خالقهم وخالق اصولهم وما يحتاجون اليه في معاشهم من المقلة والمظلة
والمطاعم والملابس فان الثمرة اعم من المطعوم والرزق اعم من الماكول والمشروب
ثم لما كانت هذه الامور التي لا يقدر عليها غيره شاهدة على وحدانيته رتب
عليها النهي عن الاشراك به ولعله سبحانه اراد من الاية الاخيرة مع ما دل
عليه الظاهر وسيق فيه الكلام الاشارة الى تفصيل خلق الانسان وما افاض
عليه من المعاني والصفات على طريقة تمثيل البدن بالارض والنفس بالسماء و
العقل بالماء وما افاض عليه من الفضائل العملية والنظرية المحصلة بواسطة
استعمال العقل للحواس وازدواج القوى النفسانية والبدنية بالثمرات
المتولدة من ازدواج القوى السماوية الفاعلة والارضية المنفعلة بقدرة
الفاعل المختار فان لكل اية ظهرا وبطنا ولكل حد مطلع وان كنتم في ريب مما
نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة لما قرر وحدانيته وبين الطريق الموصل الى العلم
بها ذكر عقيبه ما هو الحجة على نبوة محمد عم وهو القران المعجز بفصاحته التي بذت
فصاحة كل منطيق وافحام من طولب بمعارضته من مصاقع الخطباء من العرب
العرباء مع كثرتهم وافراطهم في المضادة والمضارة وتهالكهم على المعازة و

والمعارضة وعرف ما يتمحض به اعجازه ويتيقن انه من عند الله كما يدعيه وانما
قال مما نزلنا على عبدنا لان نزوله نجما فنجما بحسب الوقائع على ما ترى عليه اهل
الشعر والخطابة مما يريبهم كما حكى الله عنهم فقال وقال الذين كفروا لولا نزل
عليه القرآن جملة واحدة وكان الواجب تحديهم على هذا الوجه ازاحة للشبهة
والزاما للحجة واضاف العبد الى نفسه تنويها بذكره وتنبيها على انه مختص
منقاد لحكمه وقرئ عبادنا يريد محمدا وامته والسورة الطائفة من القرآن
المترجمة التي اقلها ثلث آيات وهي ان جعلت واوها اصلية منقولة من سور
المدينة لانها محيطة بطائفة من القرآن مفرزة محوزة على حيالها او محتوية
على انواع من العلم احتواء سور المدينة على ما فيها او من السورة التي هي الرتبة
قال ولرهط حراب وقد سورة في المجد ليس غرابها بمطار لان السور كالمنازل
والمراتب يترقى فيها القارئ او لها مراتب في الطول والقصر والفضل والشرف
وثواب القراءة وان جعلت مبدلة من الهمزة فمن السؤرة التي هي البقية والقطعة
من الشيء والحكمة في تقطيع القرآن سورا افراد الانواع وتلاحق الاشكال وتجاوب
النظم وتنشيط القارئ وتسهيل الحفظ والترغيب فيه فانه اذا ختم سورة نفس
ذلك منه كالمسافر اذا علم ميلا او طوى بريدا والحافظ متى حذقها اعتقد انه
اخذ من القرآن حظا تاما وفاز بطائفة مستقلة بنفسها فعظم ذلك عنده وابتهج
به الى غير ذلك من الفوائد من مثله صفة سورة اي بسورة كائنة من مثله والضمير
لما نزلنا ومن للتبعيض او للتبيين وزائدة عند الاخفش اي بسورة مماثلة للقرآن
في البلاغة وحسن النظم او لعبدنا ومن للابتداء اي بسورة كائنة ممن هو على
حاله من كونه بشرا اميا لم يقرأ الكتب ولم يتعلم العلوم او صلة فأتوا والضمير
للعبد والرد الى المنزل اوجه لانه المطابق لقوله فأتوا بسورة مثله ولسائر آيات
التحدي ولان الكلام فيه لا في المنزل عليه فحقه ان لا ينفك عنه ليتسق الترتيب
والنظم ولان مخاطبة الجم الغفير بان يأتوا بمثل ما اتى به واحد من ابناء جلدتهم
ابلغ في التحدي من ان يقال لهم ليأت بنحو ما اتى به هذا آخر مثله ولانه معجز في
نفسه لا بالنسبة اليه لقوله تعالى قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل
القرآن لا يأتون بمثله ولان رده الى عبدنا يوهم امكان صدوره ممن لم يكن على
صفته ولا يلائمه قوله وادعوا شهداءكم من دون الله فانه امر بان يستعينوا
بكل من ينصرهم ويعينهم والشهداء جمع شهيد بمعنى الحاضر او القائم بالشهادة
او الناصر او الامام فكانه سمي به لانه يحضر النوادي ويبرم بمحضره الامور

اذ التركيب للحضور اما بالذات او بالتصور ومنه قيل للمقتول في سبيل الله
شهيد لانه حضر ما كان يرجوه او الملائكة حضروه ومعنى دون ادنى مكان من
الشيء ومنه تدوين الكتب لانه ادناء البعض من البعض ودونك هذا اي خذه من
ادنى مكان منك ثم استعير للرتب فقيل زيد دون عمرو اي في الشرف ومنه الشيء
الدون ثم اتسع فيه فاستعمل في كل تجاوز حد الى حد وتخطي امر الى آخر قال الله
لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين اي لا يتجاوزوا ولاية
المؤمنين الى الكافرين قال امية يا نفس ما لك دون الله من واق اي اذا تجاوزت
وقاية الله فلا يقيك غيره ومن متعلقة بادعوا والمعنى ادعوا للمعارضة من
حضركم او رجوتم معونته من انسكم وجنكم وآلهتكم غير الله فانه لا يقدر ان يأتي
بمثله الا الله او ادعوا من دون الله شهداء يشهدون لكم بان ما اتيتم به
مثله ولا تستشهدوا بالله فانه من ديدن المبهوت العاجز عن اقامة الحجة او
شهداءكم اي ادعوا الذين بين يدي الله على زعمكم من قول الاعشى تريك القذى
من دونها وهي دونه ليعينوكم وفي امرهم ان يستظهروا بالجماد في معارضة
القرآن غاية التبكيت والتهكم بهم وقيل من دون الله اي من دون اوليائه يعني
فصحاء العرب ووجوه المشاهد ليشهدوا لكم ان ما اتيتم به مثله فان العاقل
لا يرضى لنفسه ان يشهد بصحة ما اتضح فساده وبان اختلاله ان كنتم صادقين
انه من كلام البشر وجوابه محذوف دل عليه ما قبله والصدق الاخبار
المطابق وقيل مع اعتقاد المخبر انه كذلك عن دلالة او امارة لانه تعالى كذب
المنافقين في قولهم انك لرسول الله لما لم يعتقدوا مطابقته ورد بصرف التكذيب
الى قولهم نشهد لان الشهادة اخبار عما علمه وهم ما كانوا عالمين به فان لم
تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة لما بين لهم ما
يتعرفون به امر الرسول عم وما جاء به وميز لهم الحق عن الباطل رتب عليه
ما هو كالفذلكة له وهو انكم اذا اجتهدتم في معارضته وعجزتم جميعا عن
الاتيان بما يساويه او يدانيه ظهر انه معجز والتصديق به واجب فآمنوا به
واتقوا العذاب المعد لمن كذب فعبر عن الاتيان المكيف بالفعل الذي يعم الاتيان
وغيره ايجازا ونزل لازم الجزاء منزلته على سبيل الكناية تقريرا للمكني عنه
وتهويلا لشأن العناد وتصريحا بالوعيد مع الايجاز وصدر الشرطية بان
الذي للشك والحال يقتضي اذا الذي للوجوب فان القائل سبحانه لم يكن
شاكا في عجزهم ولذلك نفى اتيانهم معترضا بين الشرط والجزاء تهكما بهم او

خطابا معهم على حسب ظنهم فان العجز قبل التامل لم يكن محققا عندهم وتفعلوا لمْ
جزم بلم لانها واجبة الاعمال مختصة بالمضارع متصلة بالمعمول ولانها لما لنْ
صيرته ماضيا صارت كالجزء منه وحرف الشرط كالداخل على المجموع فكانه
قال فان تركتم الفعل ولذلك ساغ اجتماعهما ولن كلا في نفي المستقبل غير انه
ابلغ وهو حرف مقتضب عند سيبويه والخليل في احدى الروايتين عنه وفي الرواية
الاخرى اصله لا ان وعند الفراء لا فابدلت الفها نونا والوقود بالفتح ما توقد وُقُودا
به النار وبالضم المصدر وقد جاء المصدر بالفتح قال سيبويه وسمعنا من
يقول وقدت النار وقودا عاليا والاسم بالضم ولعله مصدر سمي به كما قيل
فلان فخر قومه وزين بلده وقد قرئ به والظاهر ان المراد به الاسم وان اريد
به المصدر فعلى حذف مضاف اي وقودها احتراق الناس والحجارة وهي جمع حجر
كجمالة جمع جمل وهو قليل غير منقاس والمراد بها الاصنام التي نحتوها وقرنوا
بها انفسهم وعبدوها طمعا في شفاعتها والانتفاع المضار بمكانتهم ويدل
عليه قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم عذبوا بما هو منشاء
جرمهم كما عذب الكانزون بما كنزوه او بنقيض ما كانوا يتوقعونه زيادة في
تحسرهم وقيل الذهب والفضة التي كانوا يكنزونها ويفتخرون بهما وعلى
هذا لم يكن لتخصيص اعداد هذا النوع من العذاب بالكفار وجه وقيل حجارة
الكبريت وهو تخصيص بغير دليل وابطال للمقصود اذ الغرض تهويل شانها و
تفاقم لهبها بحيث تتقد بما لا يتقد به غيرها والكبريت تتقد به كل نار وان
ضعف فان صح هذا عن ابن عباس رضه فلعله عنى به ان الاحجار كلها لتلك كحجارة
الكبريت لسائر النيران ولما كانت الاية مدنية نزلت بعد ما نزل بمكة قوله تعالى
في سورة التحريم نارا وقودها الناس والحجارة وسمعوه صح تعريف النار و
وقوع الجملة صلة فانها يجب ان تكون قصة معلومة اعدت للكافرين هيئت
لهم وجعلت عدة لعذابهم وقرئ اعتدت من العتاد بمعنى العدة والجملة استيناف
او حال باضمار قد من النار لا الضمير الذي في وقودها وان جعلته مصدرا للفصل
بينهما بالخبر وفي الايتين ما يدل على النبوة من وجوه الاول ما فيهما من التحدي
والتحريض على الجد وبذل الوسع في المعارضة بالتقريع والتهديد وتعليق
الوعيد على عدم الاتيان بما يعارض اقصر سورة من سور القران ثم انهم مع كثرتهم
واشتهارهم بالفصاحة وتهالكهم على المضادة لم يتصدوا للمعارضة والتجأوا
الى جلاء الوطن وبذل المهج والثاني انهما تتضمنان الاخبار عن الغيب على ما هو

به فانهم لو عارضوه بشيء لامتنع خفاؤه عادة سيما والطاعنون فيه اكثر
من الذابين عنه في كل عصر والثالث انه عم لو شك في امره لما دعاهم الى المعارضة
بهذه المبالغة مخافة ان يعارض فتدحض حجته وقوله اعدت للكافرين دل
على ان النار مخلوقة معدة لهم الان وبشر الذين امنوا وعملوا الصالحات ان لهم
جنات عطف على الجملة السابقة والمقصود عطف حال من امن بالقران ووصف
ثوابه على حال من كفر به وكيفية عقابه على ما جرت به العادة الالهية من ان
يشفع الترغيب بالترهيب تنشيطا لاكتساب ما ينجي وتثبيطا عن اقتراف ما يردي
لا عطف الفعل نفسه حتى يجب ان يطلب له ما يشاكله من امر او نهي فيعطف عليه او على
فاتقوا لانهم اذا لم ياتوا بما يعارضه بعد التحدي ظهر اعجازه واذا ظهر ذلك فمن
كفر به استوجب العقاب ومن امن به استحق الثواب وذلك يستدعي ان يخوف هؤلاء و
يبشر هؤلاء وانما امر الرسول عم او عالم كل عصر او كل احد يقدر على البشارة
بان يبشرهم ولم يخاطبهم بالبشارة كما خاطب الكفرة تفخيما لشانهم وايذانا بانهم
احقاء بان يبشروا ويهنأوا بما اعد لهم وقرئ وبشر على البناء للمفعول عطفا
على اعدت فيكون استينافا والبشارة الخبر السار فانه يظهر اثر السرور في
البشرة ولذلك قال الفقهاء البشارة هي الخبر الاول حتى لو قال الرجل لعبيده
من بشرني بقدوم ولدي فهو حر فاخبروه فرادى عتق اولهم ولو قال من اخبرني
عتقوا جميعا واما قوله تعالى فبشرهم بعذاب اليم فعلى التهكم او على طريقة قوله
تحية بينهم ضرب وجيع والصالحات جمع صالحة وهي من الصفات الغالبة التي
تجري مجرى الاسماء كالحسنة قال الحطيئة كيف الهجاء وما تنفك صالحة
من ال لام بظهر الغيب تاتيني وهي من الاعمال ما سوغه الشرع وحسنه وتانيثها
على تاويل الخصلة او الخلة واللام فيها للجنس وعطف العمل على الايمان مرتبا
للحكم عليهما اشعارا بان السبب في استحقاق هذه البشارة مجموع الامرين و
الجمع بين الوصفين فان الايمان الذي هو عبارة عن التحقيق والتصديق اس
والعمل الصالح كالبناء عليه ولا غناء باس لا بناء عليه ولذلك قلما ذكرا مفردين
وفيه دليل على انها خارجة عن مسمى الايمان اذ الاصل ان الشيء لا يعطف على
نفسه ولا على ما هو داخل فيه وان لهم منصوب بنزع الخافض وافضاء الفعل اليه او
مجرور باضماره مثل الله لافعلن والجنة المرة من الجن وهو مصدر جنه اذا ستره
ومدار التركيب على الستر سمي بها الشجر المظلل لالتفاف اغصانه للمبالغة كانه
يستر ما تحته سترة واحدة قال زهير كان عيني في غربي مقتلة من النواضح تسقي

جنة سحقا اي نخلا طوالا ثم البستان لما فيه من الاشجار المتكاثفة المظللة ثم
دار الثواب لما فيها من الجنان وقيل سميت بذلك لانه ستر في الدنيا ما اعد فيها
للبشر من افنان النعم كما قال الله تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وجمعها
وتنكيرها لان الجنان على ما ذكره ابن عباس سبع جنة الفردوس وجنة عدن وجنة
النعيم ودار الخلد وجنة المأوى ودار السلام وعليون وفي كل واحدة منها مراتب
ودرجات متفاوتة على حسب تفاوت الاعمال والعمال واللام تدل على استحقاقهم
اياها لاجل ما ترتب عليه من الايمان والعمل الصالح لا لذاته فانه لا يكافئ النعم السابقة
فضلا من ان يقتضي ثوابا وجزاء فيما يستقبل بل بجعل الشارع ومقتضى وعده
ولا على الاطلاق بل بشرط ان يستمر عليه حتى يموت وهو مؤمن لقوله تعالى ومن
يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم وقوله تعالى لنبيه
لئن اشركت ليحبطن عملك واشباه ذلك ولعله سبحانه لم يقيد هنا استغناء بها
تجري من تحتها الانهار اي من تحت اشجارها كما تراها جارية تحت الاشجار النابتة
على شواطئها وعن مسروق انهار الجنة تجري في غير اخدود واللام في الانهار
للجنس كما في قولك لفلان بستان فيه الماء الجاري او للعهد والمعهود هي الانهار
المذكورة في قوله تعالى انهار من ماء غير آسن الآية والنهر بالفتح والسكون المجرى
الواسع فوق الجدول ودون البحر كالنيل والفرات والتركيب للسعة والمراد بها
ماؤها على الاضمار او المجاز او المجاري انفسها واسناد الجري اليها مجاز
كما في قوله تعالى واخرجت الارض اثقالها كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا
هذا الذي رزقنا من قبل صفة ثانية لجنات او خبر مبتدأ محذوف او جملة
مستأنفة كانه لما قيل ان لهم جنات وقع في خلد السامع اثمارها مثل ثمار
الدنيا او اجناس اخر فازيح بذلك وكلما نصب على الظرف ورزقا مفعول به و
من الاولى والثانية للابتداء واقعتان موقع الحال واصل الكلام ومعناه كل
حين رزقوا مرزوقا مبتدأ من ثمرة قيد الرزق بكونه مبتدأ من الجنات و
ابتداؤه منها بابتدائه من ثمرة فصاحب الحال الاولى رزقا وصاحب الحال
الثانية ضميره المستكن في الحال ويحتمل ان يكون من ثمرة بيانا تقدم كما في قولك
رأيت منك اسدا وهذا اشارة الى نوع ما رزقوا كقولك مشيرا الى نهر جار هذا
الماء لا ينقطع فانك لا تعني به العين المشاهدة منه بل النوع المعلوم المستمر بتعاقب
جريانه وان كانت الاشارة الى عينه فالمعنى هذا مثل الذي ولكن لما استحكم الشبه
بينهما جعل ذاته ذاته كقولك ابو يوسف ابو حنيفة من قبل هذا في الدنيا جعل

ثمرة الجنة من جنس ثمرة الدنيا لتميل النفس اليه اول ما ترى فان الطباع مائلة
الى المألوف متنفرة عن غيره ويتبين لها مزيته وكنه النعمة اذ لو كان جنسا لم يعهد
ظن انه لا يكون الا كذلك او في الجنة لان طعامها متشابه الصورة كما حكي عن الحسن
ان احدهم يؤتى بالصحفة فيأكل منها ثم يؤتى بالاخرى فيراها مثل الاولى فيقول
ذلك فيقول الملائكة كل فاللون واحد والطعم مختلف وعن النبي عليه السلام قال
والذي نفس محمد بيده ان الرجل من اهل الجنة ليتناول الثمرة ليأكلها فما هي واصلة
الى فيه حتى يبدل الله مكانها مثلها فلعلهم اذا رأوها على الهيئة الاولى قالوا
ذلك والاول اظهر لمحافظته على عموم كلما فانه يدل على ترديدهم هذا القول كل
مرة رزقوا والداعي لهم الى ذلك فرط استغرابهم وتبجحهم بما وجدوا من التفاوت
العظيم في اللذة والتشابه البليغ في الصورة واتوا به متشابها اعتراض يقرر
ذلك والضمير على الاول راجع الى ما رزقوا في الدارين فانه مدلول عليه بقوله
هذا الذي رزقنا من قبل ونظيره قوله تعالى ان يكن غنيا او فقيرا فالله اولى
بهما اي بجنسي الغني والفقير وعلى الثاني الى الرزق فان قيل التشابه هو التماثل
في الصفة وهو مفقود بين ثمرات الدنيا والآخرة كما قال ابن عباس رضي الله عنه
ليس في الجنة من اطعمة الدنيا الا الاسماء قلت التشابه بينهما حاصل في الصورة
التي هي مناط الاسم دون المقدار والطعم وهو كاف في اطلاق التشابه هذا
وان للآية محملا آخر وهو ان مستلذات اهل الجنة في مقابلة ما رزقوا
في الدنيا من المعارف والطاعات متفاوتة في اللذة بحسب تفاوتها فيحتمل
ان يكون المراد من هذا الذي رزقنا انه ثوابه ومن تشابههما تماثلهما في
الشرف والمزية وعلو الطبقة فيكون هذا في الوعد نظير قوله ذوقوا ما كنتم
تعملون في الوعيد ولهم فيها ازواج مطهرة مما يستقذر من النساء ويذم من
احوالهن كالحيض والدرن ودنس الطبع وسوء الخلق فان التطهير يستعمل
في الاجسام والاخلاق والافعال وقرئ مطهرات وهما لغتان فصيحتان يقال
النساء فعلت وفعلن وهن فاعلة وفواعل قال واذا العذارى بالدخان
تقنعت واستعجلت نصب القدور فملت فالجمع على اللفظ والافراد
على تأويل الجماعة ومطهرة بتشديد الطاء وكسر الهاء بمعنى متطهرة ومطهرة
ابلغ من طاهرة ومتطهرة للاشعار بان مطهرا طهرهن وليس هو الا الله عز
وجل والزوج يقال للذكر والانثى وهو في الاصل لما له قرين من جنسه كزوج
الخف فان قيل فائدة المطعوم هو التغذي ودفع ضرر الجوع وفائدة المنكوح

التوالد وحفظ النوع وهي مستغنى عنها في الجنة قلت مطاعم الجنة ومناكحها
وسائر احوالها انما تشارك نظائرها الدنيوية في بعض الصفات والاعتبارات
وتسمى باسمائها على سبيل الاستعارة والتمثيل ولا تشاركها في تمام حقيقتها
حتى تستلزم جميع ما يلزمها وتفيد عين فائدتها وهم فيها خالدون دائمون والخلد والخلود
في الاصل الثبات المديد دام ام لم يدم ولذلك قيل للاثافي والاحجار خوالد
وللجزء الذي يبقى من الانسان على حاله ما دام حيا خلد ولو كان وضعه للدوام
كان التقييد بالتأبيد في قوله خالدين فيها ابدا لغوا واستعماله حيث لا دوام كقولهم
وقف مخلد يوجب اشتراكا او مجازا والاصل ينفيهما بخلاف ما لو وضع للاعم
منه فاستعمل فيه بذلك الاعتبار كاطلاق الجسم على الانسان مثل قوله تعالى
وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد لكن المراد به ههنا الدوام عند الجمهور لما يشهد له
من الآيات والسنن فان قيل الابدان مركبة من اجزاء متضادة الكيفية معرضة
للاستحالات المؤدية الى الانفكاك والانحلال فكيف يعقل خلودها في الجنان
قلت انه تعالى يعيدها بحيث لا يعتورها الاستحالة بان يجعل اجزاءها مثلا متقاومة
في الكيفية متساوية في القوة لا يقوى شيء منها على احالة الآخر متعانقة
متلازمة لا ينفك بعضها من بعض كما نشاهد في بعض المعادن هذا وان قياس ذلك
العالم واحواله على ما نجده ونشاهده من نقص العقل وضعف البصيرة واعلم
انه لما كان معظم اللذات الحسية مقصورا على المساكن والمطاعم والمناكح على ما
دل عليه الاستقراء وكان ملاك ذلك كله الثبات والدوام فان كل نعمة جليلة
اذا قارنها خوف الزوال كانت منغصة غير صافية من شوائب الالم بشر المؤمنين
بها ومثل ما اعد لهم في الآخرة بابهى ما يستلذ به منها وازال عنهم خوف الفوات
بوعد الخلود ليدل على كمالهم في التنعم والسرور ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا
ما بعوضة لما كانت الآيات السابقة متضمنة لانواع من التمثيل عقب ذلك
ببيان حسنه وما هو الحق له والشرط فيه وهو ان يكون على وفق الممثل له من
الجهة التي تعلق بها التمثيل في العظم والصغر والخسة والشرف دون الممثل فان
التمثيل انما يصار اليه لكشف المعنى الممثل له ورفع الحجاب عنه وابرازه في صورة
المشاهد المحسوس ليساعد فيه الوهم العقل ويصالحه عليه فان المعنى الصرف
انما يدركه العقل مع منازعة من الوهم لان من طبعه الميل الى الحس وحب المحاكات
ولذلك شاعت الامثال في الكتب الالهية وفشت في عبارات البلغاء واشارات
الحكماء فيمثل الحقير بالحقير كما يمثل العظيم بالعظيم وان كان الممثل اعظم من كل

عظيم كما مثل في الانجيل غل الصدر بالنخالة والقلوب القاسية بالحصاة ومخاطبة
السفهاء باثارة الزنابير وجاء في كلام العرب اسمع من قراد واطيش من فراشة
واعز من مخ البعوض لا ما قالت الجهلة من الكفار لما مثل الله تعالى حال المنافقين
بحال المستوقدين واصحاب الصيب وعبادة الاصنام في الوهن والضعف ببيت
العنكبوت وجعلها اقل من الذباب واخس قدرا منه الله اعلى واجل من ان يضرب
الامثال ويذكر الذباب والعنكبوت وايضا لما ارشدهم الى ما يدل على ان المتحدى
به وحي منزل رتب عليه وعيد من كفر به ووعد من آمن به بعد ظهور امره شرع في
جواب ما طعنوا به فيه فقال ان الله لا يستحيي اي لا يترك ضرب المثل بالبعوضة
ترك من يستحيي ان يمثل بها لحقارتها والحياء انقباض النفس عن القبيح مخافة الذم
وهو الوسط بين الوقاحة التي هي الجراءة على القبائح وعدم المبالاة بها والخجل
الذي هو انحصار النفس عن الفعل مطلقا واشتقاقه من الحيوة فانه انكسار
يعتري القوة الحيوانية فيردها عن افعالها فقيل حيي الرجل كما قيل نسي وخشي
اذا اعتلت نساه وحشاه واذا وصف به الباري تعالى كما جاء في الحديث ان
الله يستحيي من ذي الشيبة المسلم ان يعذبه ان الله حيي كريم يستحيي اذا رفع
العبد يديه ان يردهما صفرا حتى يضع فيهما خيرا فالمراد به الترك اللازم
للانقباض كما ان المراد من رحمته وغضبه اصابة المعروف والمكروه اللازمين
لمعنييهما ونظيره قول من يصف ابلا اذا ما استحين الماء يعرض نفسه
كرعن بسبت في اناء من الورد وانما عدل به عن الترك لما فيه من التمثيل والمبالغة
ويحتمل الآية خاصة ان يكون مجيئه على المقابلة لما وقع في كلام الكفرة
وضرب المثل اعماله من ضرب الخاتم واصله وقع شيء على آخر وان بصلتها
مخفوض المحل عند الخليل باضمار من منصوب بافضاء الفعل اليه بعد حذفها
عند سيبويه وما ابهامية تزيد النكرة ابهاما وشياعا وتسد عنها طرق
التقييد كقولك اعطني كتابا ما اي اي كتاب كان او مزيدة للتأكيد كالتي في قوله نه
فبما رحمة ولا نعني بالمزيد اللغو الضائع فان القرآن كله هدى وبيان بل ما لم
يوضع لمعنى يراد منه وانما وضعت لان تذكر مع غيره فتفيده وثاقة وقوة و
هو زيادة في الهدى غير قادح فيه وبعوضة عطف بيان لمثلا او مفعول
ليضرب ومثلا حال تقدمت عليه لانها نكرة او هما مفعولاه لتضمنه معنى
الجعل وقرئت بالرفع على انه خبر مبتدأ وعلى هذا تحتمل ما وجوها اخر ان
تكون موصولة حذف صدر صلتها كما حذف في قوله تعالى تماما على الذي

حسن او موصوفة بصفة كذلك ومحلها النصب بالبدلية على الوجهين واستفهامية
هي المبتداء كانه لما رد استبعادهم ضرب الله الامثال قال بعده ما البعوضة
فما فوقها حتى لا يضرب به المثل بل له ان يمثل بما هو احقر من ذلك ونظيره فلان
لايبالي بما يهب ما دينارا وما ديناران والبعوض فعول من البعض وهو القطع
كالبضع والعضب غلب على هذا النوع كالخموش فما فوقها عطف على بعوضة او ما
ان جعل اسما ومعناه ما زاد عليها في الجثة كالذباب والعنكبوت فانه قصد به
رد ما استنكروه والمعنى انه لا يستحيي ضرب المثل بالبعوض فضلا عما هو اكبر منه
او في المعنى الذي جعلت فيه مثلا وهو الصغر والحقارة كجناحها فانه عم ضرب
به مثلا للدنيا ونظيره في الاحتمالين ما روي ان رجلا بمنى خر على طنب فسطاط
فقالت عايشة رضي الله عنها سمعت رسول الله عم ما من مسلم يشاك شوكة
فما فوقها الا كتبت له بها درجة ومحيت عنه بها خطيئة فانه يحتمل ما تجاوز
الشوكة في الالم كالخرور على طنب فسطاط وما زاد عليها في القلة كنخبة النملة
لقوله عم ما اصاب المؤمن مكروه فهو كفارة لخطاياه حتى نخبة النملة
فاما الذين آمنوا فيعلمون انه الحق من ربهم اما حرف يفصل ما اجمل ويؤكد ما
به صدر ويتضمن معنى الشرط ولذلك يجاب بالفاء قال سيبويه اما زيد فذاهب
معناه مهما يكن من شيء فزيد ذاهب اي هو ذاهب لا محالة وانه منه عزيمة و
كان الاصل دخول الفاء على الجملة لانها الجزاء لكن كرهوا ايلاءها حرف
الشرط فادخلوها الخبر وعوضوا المبتداء عن الشرط لفظا وفي تصدير الجملتين
به احماد لامر المؤمنين واعتداد بعلمهم وذم بليغ للكافرين على قولهم والضمير
في انه للمثل او لان يضرب والحق الثابت الذي لا يسوغ انكاره يعم الاعيان
الثابتة والافعال الصائبة والاقوال الصادقة من قولهم حق الامر اذا ثبت
ومنه ثوب محقق اي محكم النسج واما الذين كفروا فيقولون كان من حقه واما
الذين كفروا فلا يعلمون ليطابق قرينه ويقابل قسيمه لكن لما كان قولهم هذا
دليلا واضحا على كمال جهلهم عدل اليه على سبيل الكناية ليكون كالبرهان
عليه ماذا اراد الله بهذا مثلا يحتمل وجهين ان يكون ما استفهامية وذا
بمعنى الذي وما بعده صلته والمجموع خبر ما وان يكون ما مع ذا اسما واحدا
بمعنى اي شيء منصوب المحل على المفعولية مثل ما اراد الله والاحسن في جوابه
الرفع على الاول والنصب على الثاني ليطابق الجواب السؤال والارادة نزوع النفس
وميلها الى الفعل بحيث يحملها عليه ويقال للقوة التي هي مبداء النزوع و

والاول مع الفعل والثاني قبله وكلا المعنيين غير متصور اتصاف الباري تعالى
به ولذلك اختلف في معنى ارادته فقيل ارادته لافعاله انه غير ساه ولا مكره
ولافعال غيره امره بها فعلى هذا لم تكن المعاصي بارادته وقيل علمه باشتمال
الامر على النظام الاكمل والوجه الاصلح فانه يدعو القادر الى تحصيله والحق
انه ترجيح احد مقدوريه على الآخر وتخصيصه بوجه دون وجه او معنى يوجب
هذا الترجيح وهي اعم من الاختيار فانه ميل مع تفضيل وفي هذا استحقار واسترذال
ومثلا نصب على التمييز او الحال كقوله هذه ناقة الله لكم آية يضل به كثيرا و
ويهدي به كثيرا جواب ماذا اي اضلال كثير وهدى كثير وضع الفعل موضع المصدر
للاشعار بالحدوث والتجدد وبيان للجملتين المصدرتين باما وتسجيل بان
العلم بكونه حقا هدى وبيان وان الجهل بوجه ايراده والانكار لحسن مورده
ضلال وفسوق وكثرة كل واحد من القبيلين بالنظر الى انفسهم لا بالقياس الى
مقابليهم فان المهديين قليلون بالاضافة الى اهل الضلال كما قال الله تعالى
وقليل من عبادي الشكور ويحتمل ان يكون كثرة الضالين من حيث العدد وكثرة
المهديين باعتبار الفضل والشرف كما قال قليل اذا عدوا كثير اذا شدوا وقال ان
الكرام كثير في البلاد وان قلوا كما غيرهم قل وان كثروا وما يضل به الا الفاسقين
اي الخارجين عن حد الايمان كقوله تعالى ان المنافقين هم الفاسقون من قولهم فسقت
الرطبة عن قشرتها اذا خرجت واصل الفسق الخروج عن القصد قال رؤبة فواسقا
عن قصدها جوائرا والفاسق في الشرع الخارج عن امر الله بارتكاب الكبيرة وله
درجات ثلاث الاولى التغابي وهو ان يرتكبها احيانا مستقبحا اياها والثانية
الانهماك وهو ان يعتاد ارتكابها غير مبال بها والثالثة الجحود وهو ان يرتكبها
مستصوبا اياها فاذا شارف هذا المقام وتخطى خططه خلع ربقة الايمان
من عنقه ولابس الكفر وما دام هو في درجة التغابي او الانهماك فلا يسلب منه
اسم المؤمن لاتصافه بالتصديق الذي هو مسمى الايمان ولقوله تعالى وان طائفتان
من المؤمنين والمعتزلة لما قالوا الايمان عبارة عن مجموع التصديق والاقرار
والعمل والكفر تكذيب الحق وجحوده جعلوه قسما ثالثا نازلا بين منزلتي المؤمن
والكافر لمشاركته كل واحد منهما في بعض الاحكام وتخصيص الاضلال بهم
مرتبا على صفة الفسق يدل على انه الذي اعدهم للاضلال وادى بهم الى الضلال
به وذلك لان كفرهم وعدولهم عن الحق واصرارهم بالباطل صرفت وجوه افكارهم
عن حكمة المثل الى حقارة الممثل به حتى رسخت به جهالتهم وازدادت ضلالتهم

فانكروه واستهزؤا به وقرئ يُضَلّ على البناء للمفعول والفاسقون بالرفع
الذين ينقضون عهد الله صفة للفاسقين للذم وتقرير الفسق والنقض فسخ
التركيب واصله في طاقات الحبل واستعماله في ابطال العهد من حيث ان العهد
يستعار له الحبل لما فيه من ربط احد المتعاهدين بالاخر فان اطلق مع لفظ الحبل
كان ترشيحا للمجاز وان ذكر مع العهد كان رمزا الى ما هو من روادفه وهو ان العهد
حبل في ثبات الوصلة بين المتعاهدين كقولك شجاع يفترس اقرانه وعالم يغترف منه الناس
فان فيه تنبيها على انه اسد في شجاعته بحر بالنظر الى افادته والعهد الموثق ووضعه
لما من شانه ان يراعى ويتعهد كالوصية واليمين ويقال للدار من حيث انها تراعى بالرجوع
اليها والتاريخ لانه يحفظ وهذا العهد اما العهد الماخوذ بالعقل وهو الحجة
القائمة على عباده الدالة على توحيده ووجوب وجوده وصدق رسوله عم وعليه
اول قوله تعالى واشهدهم على انفسهم او الماخوذ بالرسل على الامم بانهم اذا بعث
اليهم رسول مصدق بالمعجزات صدقوه واتبعوه ولم يكتموا امره ولم يخالفوا حكمه
واليه اشار بقوله واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب ونظائره وقيل عهود
الله ثلثة عهد اخذه على جميع ذرية ادم بان يقروا بربوبيته وعهد اخذه على
النبيين بان يقيموا الدين ولا يتفرقوا فيه وعهد اخذه على العلماء بان يبينوا الحق
ولا يكتمونه من بعد ميثاقه الضمير للعهد والميثاق اسم لما يقع به الوثاقة وهي
الاحكام والمراد به ما وثق الله به عهده من الايات والكتب او ما وثقوه به من
الالتزام والقبول ويحتمل ان يكون بمعنى المصدر ومن للابتداء فان ابتداء النقض
بعد الميثاق ويقطعون ما امر الله به ان يوصل يحتمل كل قطيعة لا يرضاها الله
كقطع الرحم والاعراض عن موالاة المؤمنين والتفرقة بين الانبياء عم والكتب في
التصديق وترك الجماعات المفروضة وسائر ما فيه رفض خير او تعاطي شر فانه
يقطع الوصلة بين الله وبين العبد المقصودة بالذات من كل وصل وفصل والامر
هو القول الطالب للفعل وقيل مع العلو وقيل مع الاستعلاء وبه سمي الامر الذي
هو واحد الامور تسمية للمفعول به بالمصدر فانه مما يؤمر به كما قيل له شان
وهو الطلب والقصد يقال شانت شانه اذا قصدت قصده وان يوصل يحتمل
النصب والخفض على انه بدل من ما او ضميره والثاني احسن لفظا ومعنى ويفسدون
في الارض بالمنع عن الايمان والاستهزاء بالحق وقطع الوصل التي بها نظام العالم
وصلاحه اولئك هم الخاسرون الذين خسروا انفسهم باهمال العقل عن النظر واقتناص
ما يفيدهم الحيوة الابدية واستبدال الانكار والطعن في الايات بالايمان بها

والنظر في حقائقها والاقتباس من انوارها واشتراء النقض بالوفاء والفساد
بالصلاح والعقاب بالثواب كيف تكفرون بالله استخبار فيه انكار وتعجيب لكفرهم
بانكار الحال التي يقع عليها على الطريق البرهاني لان صدوره لا ينفك عن حال و
صفة فاذا انكر ان يكون لكفرهم حال يوجد عليها استلزم ذلك انكار وجوده
فهو ابلغ واقوى في انكار الكفر من اتكفرون واوفق لما بعده من الحال والخطاب
مع الذين كفروا لما وصفهم بالكفر وسوء المقال وخبث الفعال خاطبهم على طريقة
الالتفات ووبخهم على كفرهم مع علمهم بحالهم المقتضية خلاف ذلك والمعنى اخبروني على اي
حال تكفرون وكنتم امواتا اي اجساما لا حيوة لها عناصر واغذية واخلاطا
ونطفا مخلقة وغير مخلقة فاحياكم بخلق الارواح ونفخها فيكم وانما عطفه بالفاء
لانه متصل بما عطف عليه غير متراخ عنه بخلاف البواقي ثم يميتكم عند تقضي اجالكم
ثم يحييكم بالنشور يوم ينفخ في الصور او للسؤال في القبور ثم اليه ترجعون بعد الحشر
فيجازيكم باعمالكم او تنشرون اليه من قبوركم للحساب فما اعجب كفركم مع علمكم
بحالكم هذه فان قيل ان علموا انهم كانوا امواتا فاحياهم ثم يميتهم لم يعلموا انه
يحييهم ثم اليه ترجعون قلت تمكنهم من العلم بهما لما نصب لهم من الدلائل منزل منزلة
علمهم في ازاحة العذر سيما وفي الاية تنبيه على ما يدل على صحتهما وهو انه تعالى
لما قدر ان احياهم اولا قدر ان يحييهم ثانيا فان بدء الخلق ليس باهون عليه من اعادته
او مع القبيلين فانه سبحانه لما بين دلائل التوحيد والنبوة ووعدهم على الايمان
واوعد على الكفر اكد ذلك بان عدد عليهم النعم العامة والخاصة واستقبح صدور
الكفر منهم واستبعده عنهم مع تلك النعم الجليلة فان عظم النعم يوجب عظم معصية المنعم
فان قيل تعداد الاماتة من النعم المقتضية للشكر قلت لما كانت وصلة الى الحيوة الثانية
التي هي الحيوة الحقيقية كما قال تعالى وان الدار الاخرة لهي الحيوان كانت من النعم
العظيمة مع ان المعدود عليهم نعمة هو المعنى المنتزع من القصة باسرها كما
ان الواقع حالا هو العلم بها لا كل واحدة من الجمل فان بعضها ماض وبعضها
مستقبل وكلاهما لا يصح ان يقع حالا او مع المؤمنين خاصة لتقرير المنة عليهم
وتبعيد الكفر عنهم على معنى كيف يتصور منكم الكفر وكنتم امواتا اي جهالا فاحياكم
بما افادكم من العلم والايمان ثم يميتكم الموت المعروف ثم يحييكم الحيوة الحقيقية
ثم اليه ترجعون فيثيبكم بما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر والحيوة
حقيقة في القوة الحساسة او ما يقتضيها وبها سمي الحيوان حيوانا مجاز في
القوة النامية لانها من طلائعها ومقدماتها وفيما يخص الانسان من الفضائل
كم

كالعقل والعلم والايمان من حيث انه كمالها وغايتها والموت بازائها يقال على
ما يقابلها في كل مرتبة قال الله تعالى قل الله يحييكم ثم يميتكم وقال اعلموا ان
الله يحيي الارض بعد موتها وقال او من كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي
به في الناس واذا وصف بها الباري تعالى اريد بها صحة اتصافه بالعلم والقدرة
اللازمة لهذه القوة فينا او معنى قائم بذاته يقتضي ذلك على الاستعارة وقرأ
يعقوب ترجعون بفتح التاء في جميع القرآن هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا بيان
نعمة اخرى مرتبة على الاولى فانها خلقهم احياء قادرين مرة بعد اخرى وهذه
خلق ما يتوقف عليه بقاؤهم وتم به معاشهم ومعنى لكم لاجلكم وانتفاعكم في
دنياكم باستنفاعكم بها في مصالح ابدانكم بوسط او بغير وسط وامر دينكم بالاستدلال
والاعتبار والتعرف لما يلائمها من لذات الآخرة والامها لا على وجه الغرض فان
الفاعل لغرض مستكمل به بل على انه كالغرض من حيث انه عاقبة الفعل ومؤداه
وهو يقتضي اباحة الاشياء النافعة ولا يمنع اختصاص بعضها ببعض لاسباب
عارضة فانه يدل على ان الكل للكل لا ان كل واحد لكل واحد وما يعم كل ما في الارض
الا اذا اريد بها جهة السفل كما يراد بالسماء جهة العلو وجميعا حال
عن الموصول الثاني ثم استوى الى السماء قصد اليها بارادته من قولهم استوى اليه
كالسهم المرسل اذا قصده قصدا مستويا من غير ان يلوي على شيء واصل الاستواء
طلب السواء واطلاقه على الاعتدال لما فيه من تسوية وضع الاجزاء ولا يمكن
حمله عليه لانه من خواص الاجسام وقيل استوى استولى وملك قال قد استوى
بشر على العراق من غير سيف ودم مهراق والاول اوفق للاصل والصلة المعدى
بها والتسوية المرتبة عليه بالفاء والمراد بالسماء هذه الاجرام العلوية او
جهات العلو وثم لعله لتفاوت ما بين الخلقين وفضل خلق السماء على خلق الارض
كقوله تعالى ثم كان من الذين آمنوا لا للتراخي في الوقت فانه يخالف ظاهر قوله تعالى
والارض بعد ذلك دحيها فانه يدل على تاخر دحو الارض المتقدم على خلق ما
فيها عن خلق السماء وتسويتها الا ان تستأنف بدحاها مقدرا لنصب الارض فعلا
آخر دل عليه أانتم اشد خلقا مثل تعرف الارض وتدبر امرها بعد ذلك لكنه
خلاف الظاهر فسويهن عدلهن وخلقهن مصونة من العوج والفطور وهن ضمير
السماء ان فسرت بالاجرام لانه جمع او في معنى الجمع والا فمبهم يفسره ما بعده
كقولهم ربه رجلا سبع سموات بدل او تفسير فان قيل اليس ان اصحاب الارصاد
اثبتوا تسعة افلاك قلت فيما ذكروه شكوك وان صح فليس في الآية نفي الزائد

مع انه ان ضم اليها العرش والكرسي لم يبق خلاف وهو بكل شيء عليم فيه تعليل
كانه قال ولكونه عالما بكنه الاشياء كلها خلق ما خلق على هذا النمط الاكمل و
الوجه الانفع واستدلال بان من كان فعله على هذا النسق العجيب والترتيب
الانيق كان عليما فان اتقان الافعال واحكامها وتخصيصها بالوجه الاحسن
الانفع لا يتصور الا من عالم حكيم رحيم وازاحة لما يختلج في صدورهم من ان الابدان
بعدما تفتتت وتبددت اجزاؤها واتصلت بما يشاكلها كيف تجمع اجزاء كل بدن
مرة ثانية بحيث لا يشذ شيء منها ولا ينضم اليها ما لم يكن معها فيعاد منها كما كان
ونظيره قوله تعالى وهو بكل خلق عليم واعلم ان صحة الحشر مبنية على ثلث مقدمات
وقد برهن عليها في هاتين الآيتين اما الاولى فهي ان مواد الابدان قابلة للجمع و
الحيوة واشار الى البرهان عليها بقوله وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم فان تعاقب
الافتراق والاجتماع والموت والحيوة عليها يدل على انها قابلة لها بذاتها وما بالذات
يابى ان يزول ويتغير واما الثانية والثالثة فانه عالم بها وبمواقعها قادر على
جمعها واحيائها واشار الى وجه اثباتهما بانه تعالى قادر على ابدائهم وابداء ما
هو اعظم خلقا واعجب صنعا فكان اقدر على اعادتهم واحيائهم وانه خلق ما خلق
خلقا مستويا محكما من غير تفاوت واختلال مراعى فيه مصالحهم وسد حاجاتهم و
ذلك على تناهي علمه وكمال حكمته جلت قدرته ودقت حكمته وقد سكن نافع و
ابو عمرو والكسائي الهاء من نحو فهو وهو تشبيها له بعضد واذ قال ربك للملائكة اني
جاعل في الارض خليفة تعداد لنعمة ثالثة تعم الناس كلهم فان خلق آدم و
اكرامه وتفضيله على ملائكته بان امرهم بالسجود له انعام يعم ذريته واذ ظرف
وضع لزمان نسبة ماضية وقع فيه اخرى كما وضع اذا لزمان نسبة مستقبلة
يقع فيه اخرى ولذلك يجب اضافتهما الى الجمل كحيث في المكان وبنيتا تشبيها با
لموصولات واستعملتا للتعليل والمجازات ومحلهما النصب ابدا بالظرفية
فانهما من الظروف الغير المتصرفة لما ذكرناه واما قوله واذكر اخا عاد اذ انذر
قومه ونحوه فعلى تاويل اذكر الحادث اذ كان كذا فحذف الحادث واقيم الظرف
مقامه وعامله في الآية قالوا او اذكر على التاويل المذكور لانه جاء معمولا صريحا
في القرآن كثيرا او مضمر دل عليه مضمون الآية المتقدمة مثل وبدأ خلقكم اذ قال
وعلى هذا فالجملة معطوفة على خلق لكم داخلة في حكم الصلة وعن معمر انه مزيد
والملائكة جمع ملأك على الاصل كالشمائل في جمع شمأل والتاء لتانيث الجمع وهو
مقلوب مألك من الالوكة وهي الرسالة لانهم وسائط بين الله وبين الناس فهم

رسل الله او كالرسل اليهم واختلف العقلاء في حقيقتهم بعد اتفاقهم على انها ذوات
موجودة قائمة بانفسها فذهب اكثر المسلمين الى انها اجسام لطيفة قادرة
على التشكل باشكال مختلفة مستدلين بان الرسل كانوا يرونهم كذلك وقالت
طائفة من النصارى هي النفوس الفاضلة البشرية المفارقة للابدان وزعم
الحكماء انها جواهر مجردة مخالفة للنفوس في الحقيقة منقسمة الى قسمين قسم
شانهم الاستغراق في معرفة الحق والتنزه عن الاشتغال بغيره كما وصفهم في
محكم تنزيله فقال يسبحون الليل والنهار لا يفترون وهم العليون والملائكة المقربون
وقسم يدبر الامر من السماء الى الارض على ما سبق به القضاء وجرى به القلم
الالهي لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون وهم المدبرات امرا فمنهم سماوية
ومنهم ارضية على تفصيل اثبته في كتاب الطوالع والمقول لهم الملائكة كلهم
لعموم اللفظ وعدم المخصص وقيل ملائكة الارض وقيل ابليس ومن كان معه في محاربة
الجن فانه تعالى اسكنهم في الارض اولا فافسدوا فيها فبعث اليهم ابليس في جند
من الملائكة فدمرهم وفرقهم في الجزائر والجبال وجاعل من جعل الذي له مفعولان
وهما في الارض خليفة عمل فيهما لانه بمعنى الاستقبال ومعتمد على مسند اليه
ويجوز ان يكون بمعنى خالق والخليفة من يخلف غيره وينوب منابه والهاء فيه
للمبالغة والمراد به ادم عم لانه كان خليفة الله في ارضه وكذلك كل نبي استخلفهم
في عمارة الارض وسياسة الناس وتكميل نفوسهم وتنفيذ امرهم لا لحاجة
به تعالى الى من ينوبه بل لقصور المستخلف عليه عن قبول فيضه وتلقي امره بغير
وسط فلذلك لم يستنبئ ملكا كما قال تعالى ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا
الا ترى ان الانبياء لما فاقت قوتهم واشتعلت قريحتهم بحيث يكاد زيتها يضيء ولو لم
تمسسه نار ارسل اليهم الملائكة ومن كان منهم اعلى رتبة كلمه بلا واسطة كما كلم
موسى في الميقات ومحمدا عم ليلة المعراج ونظير ذلك في الطبيعة ان العظم لما
عجز عن قبول الغذاء من اللحم لما بينهما من التباعد جعل الباري تعالى بحكمته بينهما
الغضروف المناسب لهما ليأخذ من هذا ويعطي ذاك او خليفة من سكن الارض
قبله او هو وذريته لانهم يخلفون من قبلهم او يخلف بعضهم بعضا وافراد
اللفظ اما للاستغناء بذكره عن ذكر بنيه كما استغني بذكر ابي القبيلة في قولهم
مضر وهاشم او على تأويل من يخلفكم او خلفا يخلفكم وفائدة قوله هذا للملائكة
تعليم المشاورة وتعظيم شان المجعول بان بشر بوجوده سكان ملكوته ولقبه
بالخليفة قبل خلقه واظهار فضله الراجح على ما فيه من المفاسد بسؤالهم

وجوابه وبيان ان الحكمة تقتضي ايجاد ما يغلب خيره فان ترك الخير الكثير لاجل
الشر القليل شر كثير الى غير ذلك قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء
تعجب من ان يستخلف لعمارة الارض واصلاحها من يفسد فيها او يستخلف مكان اهل
الطاعة اهل المعصية واستكشاف عما خفي عليهم من الحكمة التي بهرت تلك المفاسد
والغتها واستخبار عما يرشدهم ويزيح شبهتهم كسؤال المتعلم معلمه عما يختلج
في صدره وليس باعتراض على الله تعالى ولا طعن في بني ادم على وجه الغيبة فانهم
اعلى من ان يظن بهم ذلك لقوله تعالى بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم
بامره يعملون وانما عرفوا ذلك باخبار من الله او تلق من اللوح او استنباط عما
ركز في عقولهم ان العصمة من خواصهم او قياس لاحد الثقلين على الاخر والسفك
والسبك والسفح والشن انواع من الصب فالسفك يقال في الدم والدمع والسبك
في الجواهر المذابة والسفح في الصب من اعلى والشن في الصب عن فم القربة ونحوها
وكذلك السن وقرئ يسفك على البناء للمفعول فيكون الراجع الى من سواء جعل
موصولا او موصوفا محذوفا اي يسفك الدماء فيهم ونحن نسبح بحمدك ونقدس
لك حال مقررة لجهة الاشكال كقولك اتحسن الى اعدائك وانا الصديق القديم
والمعنى اتستخلف عصاة ونحن معصومون احقاء بذلك والمقصود منه الاستفسار
عما رجحهم مع ما هو متوقع منهم على الملائكة المعصومين في الاستخلاف لا العجب
والتفاخر وكانهم علموا ان المجعول خليفة ذو ثلاث قوى عليها مدار امره شهوية
وغضبية تؤديان به الى الفساد وسفك الدماء وعقلية تدعوه الى المعرفة و
الطاعة ونظروا اليها مفردة وقالوا ما الحكمة في استخلافه وهو باعتبار
تينك القوتين لا تقتضي الحكمة ايجاده فضلا عن استخلافه واما باعتبار
القوة العقلية فنحن نقيم ما يتوقع منها سليما عن معارضة تلك المفاسد
وغفلوا عن فضيلة كل واحدة من القوتين اذا صارت مهذبة مطواعة للعقل
متمرنة على الخير كالعفة والشجاعة ومجاهدة الهوى والانصاف ولم
يعلموا ان التركيب يفيد ما يقصر عنه الآحاد كالاحاطة بالجزئيات واستنباط
الصناعات واستخراج منافع الكائنات من القوة الى الفعل الذي هو المقصود
من الاستخلاف واليه اشار تعالى اجمالا بقوله قال اني اعلم ما لا تعلمون والتسبيح
تبعيد الله عن السوء وكذلك التقديس من سبح في الارض والماء وقدس في الارض
اذا ذهب فيها وابعد ويقال قدس اذا طهر لان مطهر الشيء مبعده عن الاقذار و
بحمدك في موضع الحال اي متلبسين بحمدك على ما الهمتنا معرفتك ووفقتنا

لتسبيحك تداركوا به ما اوهم اسناد التسبيح الى انفسهم ونقدس لك نطهر نفوسنا
عن الذنوب لاجلك كانهم قابلوا الفساد المفسر بالشرك عند قوم بالتسبيح وسفك
الدماء الذي هو اعظم الافعال الذميمة بتطهير النفس عن الآثام وقيل نقدسك
واللام مزيدة وعلم آدم الاسماء كلها اما بخلق علم ضروري بها فيه او القاء
في روعه ولا يفتقر الى سابقة اصطلاح ليتسلسل والتعليم فعل يترتب عليه العلم
غالبا ولذلك يقال علمته فلم يتعلم وآدم اسم اعجمي كآزر وشالخ واشتقاقه من
الادمة او الادمة بالفتح بمعنى الاسوة او من اديم الارض لما روي عنه عم انه تعالى
قبض قبضة من جميع الارض سهلها وحزنها فخلق منها آدم فلذلك يأتي بنوه اخيافا
او من الادم او الادمة بمعنى الالفة تعسف كاشتقاق ادريس من الدرس ويعقوب
من العقب وابليس من الابلاس والاسم باعتبار الاشتقاق ما يكون علامة للشيء و
دليلا يرفعه الى الذهن من الالفاظ والصفات والافعال واستعماله عرفا في
اللفظ الموضوع لمعنى سواء كان مركبا او مفردا مخبرا عنه او خبرا او رابطة
بينهما واصطلاحا في المفرد الدال على معنى في نفسه غير مقترن باحد الازمنة
الثلثة والمراد في الآية اما الاول او الثاني وهو يستلزم الاول لان العلم بالالفاظ
من حيث الدلالة متوقف على العلم بالمعاني والمعنى انه تعالى خلقه من اجزاء مختلفة
وقوى متباينة مستعدا لادراك انواع المدركات من المعقولات والمحسوسات
والمتخيلات والموهومات والهمه معرفة ذوات الاشياء وخواصها واسمائها
واصول العلوم وقوانين الصناعات وكيفية آلاتها ثم عرضهم على الملائكة الضمير
فيه للمسميات المدلول عليها ضمنا اذ التقدير اسماء المسميات فحذف المضاف
اليه وعوض عنه اللام كقوله واشتعل الراس شيبا لان العرض للسؤال عن
اسماء المعروضات فلا يكون المعروض نفس الاسماء سيما ان اريد به الالفاظ
والمراد به ذوات الاشياء او مدلولات الالفاظ وتذكيره لتغليب ما اشتمل عليه
من العقلاء وقرئ عرضهن وعرضها على معنى عرض مسمياتهن او مسمياتها
فقال انبؤني باسماء هؤلاء تبكيت لهم وتنبيه على عجزهم عن امر الخلافة فان التصرف
والتدبير واقامة المعدلة قبل تحقق المعرفة والوقوف على مراتب الاستعدادات
وقدر الحقوق محال وليس بتكليف ليكون من باب التكليف بالمحال والانباء اخبار
فيه اعلام ولذلك يجري مجرى كل واحد منهما ان كنتم صادقين في زعمكم انكم
احقاء بالخلافة لعصمتكم او ان خلقهم واستخلافهم وهذه صفتهم لا يليق بالحكيم
وهو وان لم يصرح به لكنه لازم مقالتهم والتصديق كما يتطرق الى الكلام

باعتبار منطوقه قد يتطرق اليه لغرض ما يلزم مدلوله من الاخبار وبهذا
الاعتبار يعتري الانشاءات قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا اعترافا بالعجز و
القصور واشعار بان سؤالهم كان استفسارا ولم يكن اعتراضا وانه قد بان
لهم ما خفي عليهم من فضل الانسان والحكمة في خلقه واظهار لشكر نعمته بما
عرفهم وكشف لهم ما اعتقل عليهم ومراعاة للادب بتفويض العلم كله اليه
وسبحان مصدر كغفران ولا يكاد يستعمل الا مضافا منصوبا باضمار فعله كمعاذ
الله وقد اجري علما للتسبيح بمعنى التنزيه على الشذوذ في قوله سبحان من علقمة
وتصدير الكلام به اعتذار عن الاستفسار والجهل بحقيقة الحال ولذلك جعل مفتاح
التوبة فقال موسى عم سبحانك تبت اليك وقال يونس سبحانك اني كنت من الظالمين
انك انت العليم الذي لا يخفى عليه خافية الحكيم المحكم لمبدعاته او الذي لا يفعل
الا ما فيه حكمة بالغة وانت فصل وقيل تأكيد للكاف كما في قولك مررت بك انت
وان لم يجز مررت بانت اذ التابع يسوغ فيه ما لا يسوغ في المتبوع ولذلك جاز
يا هذا الرجل ولم يجز يا الرجل وقيل مبتدأ خبره ما بعده والجملة خبر ان قال
يا آدم انبئهم باسمائهم اي اعلمهم وقرئ بقلب الهمزة ياء وحذفها بكسر الهاء
فيهما فلما انبأهم باسمائهم قال الم اقل لكم اني اعلم غيب السموات والارض واعلم ما
تبدون وما كنتم تكتمون استحضار لقوله اني اعلم ما لا تعلمون لكنه جاء به على وجه
ابسط ليكون كالحجة عليه فانه تعالى لما علم ما خفي عليهم من امور السموات و
الارض وما ظهر لهم من احوالهم الظاهرة والباطنة علم ما لا يعلمون وفيه تعريض
بمعاتبتهم على ترك الاولى وهو ان يتوقفوا مترصدين لان يبين لهم وقيل ما تبدون
قولهم اتجعل فيها من يفسد فيها وما يكتمون استبطانهم انهم احقاء بالخلافة
بالخلافة وانه تعالى لا يخلق خلقا افضل منهم وقيل ما اظهروا من الطاعة واسر
ابليس من المعصية والهمزة للانكار دخلت حرف الجحد فافادت الاثبات والتقرير
واعلم ان هذه الآيات تدل على شرف الانسان ومزية العلم وفضله على العبادة و
انه شرط في الخلافة بل العمدة فيها وان التعليم يصح اسناده الى الله تعالى وان لم يصح
اطلاق المعلم عليه لاختصاصه بمن يحترف به وان اللغات توقيفية فان الاسماء
تدل على الالفاظ بخصوص او عموم وتعليمها ظاهر في القائها على المتعلم مبينا
له معانيها وذلك يستدعي سابقة وضع والاصل ينفي ان يكون ذلك الوضع ممن
كان قبل آدم فيكون من الله وان مفهوم الحكمة زائد على مفهوم العلم والا لتكرر
قوله انك انت العليم الحكيم وان علوم الملائكة وكمالاتهم تقبل الزيادة والكمال

منعوا ذلك في الطبقة الاعلى منهم وحملوا عليه قوله تعالى وما منا الا له مقام
معلوم وان ادم افضل من هولاء الملائكة لانه اعلم منهم والاعلم افضل لقوله
تعالى قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وانه تعالى يعلم الاشياء قبل
حدوثها او اذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم لما انباهم بالاسماء وعلمهم ما لم
يعلموا امرهم بالسجود له اعترافا بفضله واداء لحقه واعتذارا عما قالوا فيه
وقيل امرهم به قبل ان يسوي خلقه لقوله تعالى فاذا سويته ونفخت فيه من روحي
فقعوا له ساجدين امتحانا لهم واظهارا لفضله والعاطف عطف الظرف على الظرف
السابق ان نصبته بمضمر والا عطفه بما يقدر عاملا فيه على الجملة المتقدمة
بل القصة باسرها على القصة الاخرى وهي نعمة رابعة عدها عليهم والسجود
في الاصل تذلل مع تطامن قال الشاعر ترى الاكم فيها سجدا للحوافر وقال وقلن
له اسجد لليلى فاسجدا يعني البعير اذا طاطا راسه وفي الشرع وضع الجبهة
على قصد العبادة والمامور به اما المعنى الشرعي فالمسجود له بالحقيقة هو الله تعالى
وجعل ادم قبلة سجودهم تفخيما لشانه او سببا لوجوبه وكانه تعالى لما خلقه
بحيث يكون انموذجا للمبدعات كلها بل الموجودات باسرها ونسخة لما في العالم
الروحاني والجسماني وذريعة للملائكة الى استيفاء ما قدر لهم من الكمالات
ووصلة الى ظهور ما تباينوا فيه من المراتب والدرجات امرهم بالسجود تذللا
لما راوا فيه من عظيم قدرته وباهر اياته وشكرا لما انعم الله عليهم بواسطته
فاللام فيه كاللام في قول حسان اليس اول من صلى لقبلتكم واعرف الناس بالقران
والسنن او في قوله تعالى اقم الصلوة لدلوك الشمس واما المعنى اللغوي وهو التواضع
لادم تحية وتعظيما له كسجود اخوة يوسف له او التذلل والانقياد بالسعي
في تحصيل ما ينوط به معاشهم ويتم به كمالهم والكلام في ان المامورين بالسجود
الملائكة كلهم او طائفة منهم ما سبق فسجدوا الا ابليس ابى واستكبر امتنع عما
امر به استكبارا من ان يتخذه وصلة في عبادة ربه او يعظمه ويتلقاه بالتحية
او يخدمه ويسعى فيما فيه خيره وصلاحه والاباء امتناع باختيار والتكبر
ان يرى الرجل نفسه اكبر من غيره والاستكبار طلب ذلك بالتشبع وكان من
الكافرين اي في علم الله او صار منهم باستقباحه امر الله تعالى اياه بالسجود
لادم اعتقادا بانه افضل منه والافضل لا يحسن ان يومر بالتخضع للمفضول
والتوسل به كما اشعر به قوله انا خير منه جوابا لقوله تعالى ما منعك ان تسجد
لما خلقت بيدي استكبرت ام كنت من العالين لا بترك الواجب وحده والاية تدل

على ان ادم افضل من الملائكة المامورين بالسجود له ولو من وجه وان ابليس
كان من الملائكة والا لم يتناوله امرهم ولم يصح استثناؤه ولا يرد على ذلك
قوله تعالى الا ابليس كان من الجن لجواز ان يقال انه كان من الجن فعلا ومن الملائكة
نوعا ولان ابن عباس رضي الله عنهما روى ان من الملائكة ضربا يتوالدون يقال لهم الجن ومنهم
ابليس ولمن زعم انه لم يكن من الملائكة ان يقول انه كان جنيا نشا بين اظهر الملائكة
وكان مغمورا بالالوف منهم فغلبوا عليه او الجن ايضا كانوا مامورين مع الملائكة
لكنه استغنى بذكر الملائكة عن ذكرهم فانه اذا علم ان الاكابر مامورون بالتذلل
لاحد والتوسل به علم ان الاصاغر ايضا مامورون به والضمير في فسجدوا
راجع الى القبيلين فكانه قال فسجد المامورون بالسجود الا ابليس وان من الملائكة
من ليس بمعصوم وان كان الغالب فيهم العصمة كما ان من الانس معصومين والغالب
فيهم عدم العصمة ولعل ضربا من الملائكة لا يخالف الشياطين بالذات وانما
يخالفهم بالعوارض والصفات كالبررة والفسقة من الانس والجن يشملهما
فكان ابليس من هذا الصنف كما قاله ابن عباس رضي الله عنهما فلذلك صح عليه التغير من
حاله والهبوط عن محله كما اشار اليه بقوله تعالى الا ابليس كان من الجن ففسق
عن امر ربه لا يقال كيف يصح والملائكة خلقت من نور والجن من نار لما روت عائشة
رضي الله عنها انه عليه السلام قال خلقت الملائكة من النور وخلق الجن من مارج من نار لانه
كالتمثيل لما ذكرت فان المراد بالنور الجوهر المضيء والنار كذلك غير ان ضوءها
مكدر مغمور بالدخان محذور عنه بسبب ما يصحبه من فرط الحرارة والاحراق
فاذا صارت مهذبة مصفاة كانت محض نور ومتى نكصت عادت الحالة الاولى
جذعة ولا تزال تتزايد حتى ينطفئ نورها ويبقى الدخان الصرف وهذا اشبه
بالصواب واوفق للجمع بين النصوص والعلم عند الله تعالى ومن فوائد الاية
استقباح الاستكبار وانه قد يفضي بصاحبه الى الكفر والحث على الائتمار
لامره وترك الخوض في سره وان الامر للوجوب وان الذي علم الله من حاله انه يتوفى
على الكفر هو الكافر على الحقيقة اذ العبرة بالخواتيم وان كان بحكم الحال مؤمنا
وهو الموافاة المنسوبة الى شيخنا ابي الحسن الاشعري رحمه الله وقلنا يا ادم اسكن
انت وزوجك الجنة السكنى من السكون لانها استقرار ولبث وانت تاكيد اكد به المستكن
ليصح العطف عليه وانما لم يخاطبهما اولا تنبيها على انه المقصود بالحكم والمعطوف
عليه تبع له والجنة دار الثواب لان اللام للعهد ولا معهود غيرها ومن زعم انها لم
تخلق بعد قال انه بستان كان بارض فلسطين او بين فارس وكرمان خلقه الله

امتحانا لادم وحمل الاهباط على الانتقال منه الى ارض الهند كما في قوله تعالى اهبطوا
مصرا وكلا منها رغدا واسعا رافها صفة مصدر محذوف حيث شئتما اي مكان
من الجنة شئتما وسع الامر عليهما ازاحة للعلة والعذر في التناول من الشجرة المنهي
عنها من بين اشجارها الفائتة للحصر ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين
فيه مبالغات تعليق النهي بالقرب الذي هو من مقدمات التناول مبالغة في تحريمه
ووجوب الاجتناب عنه وتنبيها على ان القرب من الشيء يورث داعية وميلا ياخذ
بمجامع القلب ويلهيه عما هو مقتضى العقل والشرع كما روي حبك الشيء يعمي ويصم
فينبغي ان لا يحوما حول ما حرم عليهما مخافة ان يقعا فيه وجعله سببا لان يكونا
من الظالمين الذين ظلموا انفسهم بارتكاب المعاصي او بنقص حظها بالاتيان بما يخل
بالكرامة والنعيم فان الفاء تفيد السببية سواء جعلته للعطف على النهي او الجواب
له والشجرة هي الحنطة او الكرمة او التينة او شجرة من اكل منها احدث والاولى
ان لا تعين من غير قاطع كما لم تعين في الاية لعدم توقف ما هو المقصود عليه وقرئ
بكسر الشين وتقربا بكسر التاء وهذي بالياء فازلهما الشيطان عنها اصدر
زلتهما عن الشجرة وحملهما على الزلة بسببها ونظيره عن هذه في قوله تعالى وما
فعلته عن امري او ازلهما عن الجنة بمعنى اذهبهما ويعضده قراءة حمزة فازالهما
وهما متقاربان في المعنى غير ان ازل يقتضي عثرة مع الزوال وازلاله قوله هل
ادلكم على شجرة الخلد وملك لا يبلى وقوله ما نهيكما ربكما عن هذه الشجرة الا
ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين ومقاسمته اياهما بقوله اني لكما لمن
الناصحين واختلف في انه تمثل لهما فقاولهما بذلك او القاه اليهما على طريق
الوسوسة وانه كيف توصل الى ازلالهما بعد ما قيل اخرج منها فانك رجيم فقيل
انه منع من الدخول على جهة التكرمة كما كان يدخل مع الملائكة ولم يمنع ان يدخل
للوسوسة ابتلاء لادم وحواء وقيل قام عند الباب فناداهما وقيل تمثل بصورة
دابة فدخل ولم تعرفه الخزنة وقيل دخل في فم الحية حتى دخلت به وقيل ارسل
بعض اتباعه فازلهما والعلم عند الله تعالى فاخرجهما مما كانا فيه اي من الكرامة و
النعيم وقلنا اهبطوا خطاب لادم وحواء لقوله تعالى قال اهبطا منها جميعا وجمع
الضمير لانهما اصلا الانس فكانهما الجنس كلهم او هما وابليس اخرج منها ثانيا
بعد ما كان يدخلها للوسوسة او دخلها مسارقة او من السماء بعضكم لبعض
عدو حال استغني فيها عن الواو بالضمير والمعنى متعادين يبغي بعضكم على بعض
بتضليله ولكم في الارض مستقر موضع استقرار او استقرار ومتاع تمتع الى حين يريد به

وقت الموت او القيمة فتلقى ادم من ربه كلمات استقبلها بالاخذ والقبول
والعمل بها حين علمها وقرا ابن كثير بنصب ادم ورفع الكلمات على انها استقبلته و
بلغته وهي قوله تعالى ربنا ظلمنا انفسنا الاية وقيل سبحانك اللهم وبحمدك و
تبارك اسمك وتعالى جدك لا اله الا انت ظلمت نفسي فاغفر لي فانه لا يغفر الذنوب
الا انت وعن ابن عباس رض قال يا رب الم تخلقني بيدك قال بلى قال يا رب الم تنفخ في
الروح من روحك قال بلى قال الم تسكني جنتك قال بلى قال يا رب ان تبت واصلحت
اراجعي انت الى الجنة قال نعم واصل الكلمة الكلم وهو التاثير المدرك باحدى الحاستين
السمع والبصر كالكلام والجراحة فتاب عليه رجع عليه بالرحمة وقبول التوبة
وانما رتبه بالفاء على تلقي الكلمات لتضمنه معنى التوبة وهو الاعتراف بالذنب و
الندم والعزم ان لا يعود اليه واكتفى بذكر ادم لان حواء كانت تبعا له في الحكم
ولذلك طوي ذكر النساء في اكثر القران والسنن انه هو التواب الرجاع على عباده
بالمغفرة او الذي يكثر اعانتهم على التوبة واصل التوبة الرجوع فاذا وصف بها
العبد كان رجوعا عن المعصية واذا وصف بها الباري تعالى اريد بها الرجوع عن
العقوبة الى المغفرة الرحيم المبالغة في الرحمة وفي الجمع بين الوصفين وعد للتائب
بالاحسان مع العفو قلنا اهبطوا منها جميعا كرر للتاكيد او لاختلاف المقصود
فان الاول دل على ان هبوطهم الى دار بلية يتعادون فيها ولا يخلدون والثاني
اشعر بانهم اهبطوا للتكليف فمن اهتدى الهدى نجا ومن ضله هلك والتنبيه
على ان مخافة الاهباط المقترن باحد هذين الامرين وحدها كافية للحازم ان
يعوقه عن مخالفة حكم الله تعالى فكيف بالمقترن بهما ولكنه نسي ولم نجد له
عزما وان كل واحد منهما كفى به نكالا لمن اراد ان يذكر وقيل الاول من الجنة
الى سماء الدنيا والثاني منها الى الارض وهو كما ترى وجميعا حال في اللفظ
تاكيد في المعنى كانه قيل اهبطوا انتم اجمعون ولذلك لا يستدعي اجتماعهم على
الهبوط في زمان واحد كقولك جاؤوا جميعا فاما ياتينكم مني هدى فمن تبع هداي
فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون الشرط الثاني مع جوابه جواب الشرط الاول و
ما مزيدة اكدت به ان ولذلك حسن تاكيد الفعل بالنون وان لم يكن فيه معنى
الطلب والمعنى ان ياتينكم مني هدى بانزال او ارسال فمن تبعه منكم نجا وفاز
وانما جيء بحرف الشك واتيان الهدى كائن لا محالة لانه محتمل في نفسه غير واجب عقلا
وكرر لفظ الهدى ولم يضمر لانه اراد بالثاني اعم من الاول وهو ما اتى به الرسل
واقتضاه العقل اي فمن تبع ما اتاه مراعيا فيه ما يشهد به العقل فلا خوف عليهم

فضلا من ان يحل بهم مكروه ولا هم يفوت عنهم محبوب فيحزنوا عليه فالخوف على
المتوقع والحزن على الواقع نفى عنهم العقاب واثبت لهم الثواب على آكد وجه وابلغه
وقرئ هديّ على لغة هذيل ولا خوف بالفتح والذين كفروا وكذبوا بآياتنا
اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون عطف على من تبع الى آخره قسيم له كانه
قال ومن لم يتبع بل كفروا بالله وكذبوا بآياته او كفروا بالآيات جنانا وكذبوا
بها لسانا فيكون الفعلان متوجهين الى الجار والمجرور والآية في الاصل العلامة
الظاهرة ويقال للمصنوعات من حيث انها تدل على وجود الصانع وعلمه وقدرته
ولكل طائفة من كلمات القرآن المتميزة عن غيرها بفصل واشتقاقها من اي لانها
تبين ايا من اي او من اوى واصلها اية او اوية كتمرة فابدلت عينها الفا على غير قياس
او اوية او ايية كرمكة فاعلت او آيية كقائلة فحذفت الهمزة تخفيفا والمراد
بآياتنا الآيات المنزلة او ما يعمها والمعقولة وقد تمسكت الحشوية بهذه القصة
على عدم عصمة الانبياء من وجوه الاول ان آدم عم كان نبيا وارتكب المنهي عنه
والمرتكب له عاص الثاني انه جعل بارتكابه من الظالمين والظالم ملعون لقوله
الا لعنة الله على الظالمين الثالث انه تعالى اسند اليه العصيان والغي فقال وعصى
آدم ربه فغوى الرابع انه تعالى لقنه التوبة وهي الرجوع عن الذنب والندم عليه
الخامس اعترافه بانه خاسر لولا مغفرة الله اياه بقوله وان لم تغفر لنا وترحمنا
لنكونن من الخاسرين والخاسر من يكون ذا كبيرة السادس انه لو لم يذنب لم يجر عليه
ما جرى والجواب من وجوه الاول انه لم يكن نبيا حينئذ والمدعي مطالب بالبيان الثاني
ان النهي للتنزيه وانما سمي ظالما وخاسرا لانه ظلم نفسه وخسر حظه بترك
الاولى له واما اسناد الغي والعصيان اليه فسيأتي الجواب عنه في موضعه
ان شاء الله تعالى وانما امر بالتوبة تلافيا لما فات وجرى عليه ما جرى معاتبة
له على ترك الاولى ووفاء بما قاله للملائكة قبل خلقه الثالث انه فعله ناسيا
لقوله تعالى فنسي ولم نجد له عزما ولكنه عوتب بترك التحفظ عن اسباب النسيان
ولعله وان حط عن الامة لم يحط عن الانبياء لعظم قدرهم كما قال عم اشد الناس
بلاء الانبياء ثم الاولياء ثم الامثل فالامثل او ادى فعله الى ما جرى عليه على
طريق السببية المقدرة دون المؤاخذة كتناول السم على الجاهل بشأنه لا يقال
انه باطل بقوله تعالى ما نهاكما ربكما وقاسمهما الآيتين لانه ليس فيهما ما يدل
على ان تناوله حين ما قاله فلعل مقاله اورث فيه ميلا طبيعيا ثم انه
كف نفسه عنه مراعاة لحكم الله تعالى الى ان نسي ذلك وزال المانع فحمله الطبع

عليه الرابع انه عم اقدم عليه بسبب اجتهاد اخطأ فيه فانه ظن ان النهي
للتنزيه او الاشارة الى عين تلك الشجرة فتناول من غيرها من نوعها وكان المراد
بها الاشارة الى النوع كما روي انه عم اخذ حريرا وذهبا بيده وقال هذان
حرامان على ذكور امتي حل لاناثها وانما جرى عليه ما جرى تعظيما لشأن الخطيئة
ليجتنبها اولاده وفيها دلالة على ان الجنة مخلوقة وانها في جهة عالية وان
التوبة مقبولة وان متبع الهدى مأمون العاقبة وان عذاب النار دائم وان
الكافر فيه مخلد وان غيره لا يخلد فيه بمفهوم قوله تعالى هم فيها خالدون واعلم
انه سبحانه لما ذكر دلائل التوحيد والنبوة والمعاد وعقبها تعداد النعم العامة
تقريرا لها وتأكيدا فانها من حيث انها حوادث محكمة تدل على محدث حكيم له الخلق
والامر وحده لا شريك له ومن حيث ان الاخبار بها على ما هو مثبت في الكتب السابقة
ممن لم يتعلمها ولم يمارس شيئا منها اخبار بالغيب معجز يدل على نبوة المخبر عنها و
من حيث اشتمالها على خلق الانسان واصوله وما هو اعظم من ذلك تدل على
انه قادر على الاعادة كما كان قادرا على الابداء خاطب اهل العلم والكتاب منهم
وامرهم ان يذكروا نعم الله عليهم ويوفوا بعهده في اتباع الحق واقتفاء الحجج
ليكونوا اول من آمن بمحمد وبما انزل عليه يا بني اسرائيل يا اولاد يعقوب والابن
من البناء لانه مبنى ابيه ولذلك ينسب المصنوع الى صانعه فيقال ابو الحرب و
بنت فكر واسرائيل لقب يعقوب عم ومعناه بالعبرية صفوة الله وقيل عبد الله
وقرئ اسرائل بحذف الياء واسرال بحذفهما واسرائيل بقلب الهمزة ياء
اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم بالتفكر والقيام بشكرها وتقييد النعمة بهم لان
الانسان غيور حسود بالطبع فاذا نظر ما انعم الله على غيره حمله الغيرة و
الحسد على الكفران والسخط وان نظر الى ما انعم به عليه حمله حب النعمة على
الرضا والشكر وقيل اراد بها ما انعم على آبائهم من الانجاء من فرعون والغرق
ومن العفو عن اتخاذ العجل وعليهم من ادراك زمن محمد عم وقرئ اذكروا و
الاصل اذتكروا ونعمتي باسكان الياء واسقاطها درجا وهو مذهب من
لا يحرك الياء المكسور ما قبلها واوفوا بعهدي بالايمان والطاعة اوف بعهدكم
بحسن الاثابة والعهد يضاف الى المعاهِد والمعاهَد ولعل الاول مضاف الى
الفاعل والثاني الى المفعول فانه تعالى عهد اليهم بالايمان والعمل الصالح بنصب
الدلائل وانزال الكتب ووعدهم بالثواب على حسناتهم وللوفاء بهما عرض
عريض فاول مراتب الوفاء منا هو الاتيان بكلمتي الشهادة ومن الله تعالى

حقن الدم والمال وآخرها منا الاستغراق في بحر التوحيد بحيث يغفل عن نفسه فضلا
عن غيره ومن الله تعالى باللقاء وما روي عن ابن عباس اوفوا بعهدي في اتباع
محمد اوف بعهدكم في رفع الاصار والاغلال وعن غيره اوفوا باداء الفرايض
وترك الكباير اوف بالمغفرة والثواب او اوفوا بالاستقامة على الطريق المستقيم
اوف بالكرامة والنعيم المقيم فبالنظر الى الوسايط وقيل كلاهما مضاف الى المفعول
والمعنى اوفوا بما عاهدتموني من الايمان والتزام الطاعة اوف بما عاهدتكم
من حسن الاثابة وتفصيل العهدين في قوله تعالى ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل
الى قوله ولادخلنكم جنات وقرئ اوف بالتشديد للمبالغة وإياي فارهبون
فيما تاتون وتذرون وخصوصا في نقض العهد وهو آكد في افادة التخصيص من
اياك نعبد لما فيه مع التقديم من تكرير المفعول والفاء الجزائية الدالة على تضمن
الكلام معنى الشرط كانه قيل ان كنتم راهبين شيئا فارهبون والرهبة خوف معه
تحرز والاية متضمنة للوعد والوعيد دالة على وجوب الشكر والوفاء بالعهد و
ان المؤمن ينبغي ان لا يخاف احدا الا الله وآمنوا بما انزلت مصدقا لما معكم افراد
للايمان بالامر به والحث عليه لانه المقصود والعمدة للوفاء بالعهود وتقييد
المنزل بانه مصدق لما معهم من الكتب الالهية من حيث انه نازل حسبما نعت فيها
او مطابق لها في القصص والمواعيد والدعاء الى التوحيد والامر بالعبادة و
العدل بين الناس والنهي عن المعاصي والفواحش وفيما يخالفها من جزئيات الاحكام
بسبب تفاوت الاعصار في المصالح من حيث ان كل واحدة منها حق بالاضافة الى
زمانها مراعى فيها صلاح من خوطب بها حتى لو نزل المتقدم في ايام المتاخر لنزل
على وفقه ولذلك قال عليه السلام لو كان موسى حيا لما وسعه الا اتباعي تنبيه على ان
اتباعها لا ينافي الايمان به بل يوجبه ولذلك عرض بقوله ولا تكونوا اول كافر
به بان الواجب ان تكونوا اول من آمن به ولانهم كانوا اهل النظر في معجزاته والعلم
بشانه والمستفتحين به والمبشرين بزمانه واول كافر به وقع خبرا عن ضمير
الجمع بتقدير اول فريق او فوج او بتاويل لا يكن كل واحد منكم اول كافر به
كقولك كسانا حلة فان قيل كيف نهوا عن التقدم في الكفر وقد سبقهم مشركوا
العرب قلت المراد به التعريض لا الدلالة على ما نطق به الظاهر كقولك اما انا
فلست بجاهل او ولا تكونوا اول كافر من اهل الكتاب او ممن كفر بما معه فان من
كفر بالقرآن فقد كفر بما يصدقه او مثل من كفر من مشركي مكة واول افعل لا فعل
له وقيل اصله اوءل من وأل فابدلت همزته واوا تخفيفا غير قياسي او اول

من آل فقلبت همزته واوا وادغمت ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا ولا تستبدلوا بالايمان
بها والاتباع لها حظوظ الدنيا فانها وان جلت قليلة مسترذلة بالاضافة
الى ما يفوت عنكم من حظوظ الآخرة بترك الايمان قيل كان لهم رياسة في قومهم
ورسوم وهدايا منهم فخافوا عليها لو اتبعوا رسول الله فاختاروها عليه
وقيل كانوا ياخذون الرشى فيحرفون الحق ويكتمونه وإياي فاتقون بالايمان واتباع
الحق والاعراض عن الدنيا ولما كانت الاية السابقة مشتملة على ما هو كالمبادي
لما في الاية الثانية فصلت بالرهبة التي هي مقدمة التقوى ولان الخطاب بالاولى
لما عم العالم والمقلد امرهم بالرهبة التي هي مبدا السلوك وبالثانية لما خص اهل
العلم امرهم بالتقوى الذي هو منتهاه ولا تلبسوا الحق بالباطل عطف على ما قبله
واللبس الخلط وقد يلزمه جعل الشيء مشتبها بغيره والمعنى لا تخلطوا الحق
المنزل بالباطل الذي تخترعونه وتكتبونه حتى لا يميز بينهما او لا تجعلوا الحق
ملتبسا بسبب خلط الباطل الذي تكتبونه في خلاله او تذكرونه في تاويله
وتكتموا الحق جزم داخل تحت حكم النهي كانهم امروا بالايمان وترك الضلال و
نهوا عن الاضلال بالتلبيس على من سمع الحق والاخفاء على من لم يسمعه او نصب
باضمار ان على ان الواو للجمع اي لا تجمعوا لبس الحق بالباطل وكتمانه ويعضده
انه في مصحف ابن مسعود وتكتمون اي وانتم تكتمون بمعنى كاتمين وفيه اشعار
بان استقباح اللبس لما يصحبه من كتمان الحق وانتم تعلمون عالمين بانكم لابسون
كاتمون فانه اقبح اذ الجاهل قد يعذر واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة يعني صلوة
المسلمين وزكوتهم فان غيرهما كلا صلوة ولا زكوة امرهم بفروع الاسلام بعد
ما امرهم باصوله وفيه دليل على ان الكفار مخاطبون بها والزكوة من زكى
الزرع اذا نمى فان اخراجها يستجلب بركة في المال ويثمر للنفس فضيلة الكرم
من الزكاء بمعنى الطهارة فانها تطهر المال من الخبث والنفس من البخل واركعوا مع
الراكعين اي في جماعتهم فان صلوة الجماعة تفضل صلوة الفذ بسبع وعشرين
درجة لما فيها من تظاهر النفوس وعبر عن الصلوة بالركوع احترازا عن
صلوة اليهود وقيل الركوع الخضوع والانقياد لما يلزمهم الشارع قال الاضبط السعدي
لا تذل الضعيف علك ان تركع يوما والدهر قد رفعه اتامرون الناس بالبر
تقرير مع توبيخ وتعجيب والبر التوسع في الخير من البر وهو الفضاء الواسع يتناول
كل خير ولذلك قيل البر ثلاثة بر في عبادة الله تعالى وبر في مراعاة الاقارب و
بر في معاملة الاجانب وتنسون انفسكم وتتركونها من البر كالمنسيات وعن

عباس رضي الله عنه انها نزلت في احبار المدينة كانوا يامرون سرا من نصحوه
باتباع محمد ولا يتبعونه وقيل كانوا يامرون بالصدقة ولا يتصدقون
وانتم تتلون الكتاب تبكيت كقوله وانتم تعلمون اي تتلون التورية وفيها الوعيد
على العناد وترك البر ومخالفة القول العمل افلا تعقلون قبح صنيعكم فيصدكم
عنه او افلا عقل لكم يمنعكم عما تعلمون وخامة عاقبته والعقل في الاصل الحبس
سمي به الادراك الانساني لانه يحبسه عما يقبح ويعقله على ما يحسن ثم القوة
التي بها النفس يدرك هذا الادراك والاية ناعية على من يعظ غيره ولا يتعظ بنفسه
سوء صنيعه وخبث نفسه وان فعله فعل الجاهل بالشرع او الاحمق الخالي
عن العقل فان الجامع بينهما تابى عنه شكيمته والمراد بها حث الواعظ على
تزكية النفس والاقبال عليها بالتكميل ليقوم فيقيم لا منع الفاسق عن الوعظ
فان الاخلال باحد الامرين المامور بهما لا يوجب الاخلال بالاخر واستعينوا
بالصبر والصلوة متصل بما قبله كانهم لما امروا بما يشق عليهم لما فيه من الكلفة
وترك الرياسة والاعراض عن المال عولجوا بذلك والمعنى استعينوا على حوائجكم بانتظار
النجح والفرج توكلا على الله تعالى او بالصوم الذي هو صبر عن المفطرات لما فيه من
كسر الشهوة وتصفية النفس والتوسل بالصلوة والالتجاء اليها فانها جامعة
لانواع العبادات النفسانية والبدنية من الطهارة وستر العورة وصرف المال
فيهما والتوجه الى الكعبة والعكوف للعبادة واظهار الخشوع بالجوارح واخلاص
النية بالقلب ومجاهدة الشيطان ومناجاة الحق وقراءة القران والتكلم بالشهادتين
وكف النفس عن الاطيبين حتى تجابوا الى تحصيل المارب وجبر المصائب روي انه عم
اذا حزبه امر فزع الى الصلوة ويجوز ان يراد بها الدعاء وانها اي الاستعانة بهما
او الصلوة وتخصيصها برد الضمير اليها لعظم شانها واستجماعها ضروبا من
الصبر او جملة ما امروا بها ونهوا عنها لكبيرة لثقيلة شاقة كقوله كبر على
المشركين ما تدعوهم اليه الا على الخاشعين اي المخبتين والخشوع الاخبات ومنه
الخشعة للرملة المتطامنة والخضوع اللين والانقياد ولذلك يقال الخشوع بالجوارح
والخضوع بالقلب الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم وانهم اليه راجعون اي يتوقعون
لقاء الله ونيل ما عنده او يتيقنون انهم يحشرون الى الله تعالى فيجازيهم ويؤيده
ان في مصحف ابن مسعود يعلمون وكان الظن لما شابه العلم في الرجحان اطلق عليه
لتضمنه معنى التوقع قال اوس بن حجر فارسلته مستيقن الظن انه مخالط ما بين
الشراسيف جائف وانما لم تثقل عليهم ثقلها على غيرهم فان نفوسهم مرتاضة بامثالها

متوقعة في مقابلتها ما يستحقر لاجله مشاقها ويستلذ بسببه متاعبها ومن
ثم قال عم وجعلت قرة عيني في الصلوة يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم
كرره للتوكيد وتذكير التفضيل الذي هو اجل النعم خصوصا وربطه بالوعيد الشديد
تخويفا لمن غفل عنها واخل بحقوقها واني فضلتكم عطف على نعمتي على العالمين اي
عالمي زمانهم يريد به تفضيل ابائهم الذين كانوا في عصر موسى عم وبعده قبل ان يغيروا
بما منحهم الله من العلم والايمان والعمل وجعلهم انبياء وملوكا مقسطين واستدل
به على تفضيل البشر على الملك وهو ضعيف واتقوا يوما اي ما فيه من الحساب والعذاب
لا تجزي نفس عن نفس شيئا لا تقضي عنها شيئا من الحقوق او شيئا من الجزاء فيكون نصبه
على المصدر وقرئ لا تجزئ من اجزأ عنه اذا اغنى وعلى هذا تعين ان يكون مصدرا وايراده
منكرا مع تنكير النفسين للتعميم والاقناط الكلي والجملة صفة ليوما والعائد
فيها محذوف تقديره لا تجزي فيه ومن لم يجوز حذف العائد المجرور قال اتسع فيه
فحذف فيه الجار واجري مجرى المفعول به ثم حذف الضمير كما حذف من قوله او مال
اصابوا ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل اي من النفس الثانية العاصية
او من الاولى وكانه اريد بالاية نفي ان يدفع العذاب احد عن احد من كل وجه محتمل
فانه اما ان يكون قهرا او غيره والاول النصرة والثاني اما ان يكون مجانا او
غيره والاول ان يشفع له والثاني اما باداء ما كان عليه وهو ان يجزي عنه او
بغيره وهو ان يعطي عنه بدلا والشفاعة من الشفع كان المشفوع له كان فردا فجعله
الشفيع شفعا بضم نفسه اليه والعدل الفدية وقيل البدل واصله التسوية
سمي به الفدية لانها سويت بالمفدى ولا هم ينصرون يمنعون من عذاب الله والضمير
لما دلت عليه النفس الثانية المنكرة الواقعة في سياق النفي من النفوس الكثيرة
وتذكيره بمعنى العباد والاناسي والنصرة اخص من المعونة لاختصاصه بدفع
الضر وقد تمسكت المعتزلة بهذه الاية على نفي الشفاعة لاهل الكبائر واجيب
بانها مخصوصة بالكفار للايات والاحاديث الواردة في الشفاعة ويؤيده ان
الخطاب معهم والاية نزلت ردا لما كانت اليهود تزعم ان اباءهم تشفع لهم واذ
نجيناكم من ال فرعون تفصيل لما اجمل في قوله اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم وعطف
على نعمتي عطف جبرائيل وميكائيل على الملئكة وقرئ انجيتكم واصل ال اهل لان
تصغيره اهيل وخص بالاضافة الى اولي الخطر كالانبياء والملوك وفرعون
لقب لمن ملك العمالقة ككسرى وقيصر لملكي الفرس والروم ولعتوهم اشتق منه
تفرعن الرجل اذا عتا وكان فرعون موسى مصعب بن ريان وقيل ابنه وليد من

بقايا عاد وفرعون يوسف عم ريان وكان بينهما اكثر من اربعمائة سنة يسومونكم
يبغونكم من سامه خسفا اذا اولاه ظلما واصل السوم الذهاب في طلب الشيء سوء
العذاب افظعه فانه قبيح بالاضافة الى سائره والسوء مصدر ساء يسوء ونصبه
على المفعول ليسومونكم والجملة حال من الضمير في نجيناكم او من آل فرعون او منهما
جميعا لان فيها ضمير كل واحد منهما يذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم بيان ليسومونكم
ولذلك لم يعطف وقرئ يذبحون بالتخفيف وانما فعلوا بهم ذلك لان فرعون رأى في المنام
او قال له الكهنة سيولد منهم من يذهب بملكه فلم يرد اجتهادهم من قدر الله شيئا
وفي ذلكم بلاء محنة ان اشير بذلكم الى صنيعهم ونعمة ان اشير به الى الانجاء و
اصله الاختبار لكن لما كان اختبار الله عباده تارة بالمحنة وتارة بالمنحة اطلق
عليهما ويجوز ان يشار بذلكم الى الجملة ويراد به الامتحان الشائع بينهما من
ربكم بتسليطهم عليكم او ببعث موسى وتوفيقه لتخليصكم او بهما عظيم صفة
بلاء وفي الآية تنبيه على ان ما يصيب العبد من خير او شر اختبار من الله تعالى فعليه
ان يشكر على مساره ويصبر على مضاره ليكون من خير المختبرين واذ فرقنا بكم
البحر فلقناه وفصلنا بين بعضه وبعض حتى حصلت فيه مسالك بسلوككم فيه
او بسبب انجائكم او ملتبسا بكم كقوله تدوس بنا الجماجم والتريبا وقرئ فرقنا
على بناء التكثير لان المسالك كانت اثني عشر بعدد الاسباط فانجيناكم واغرقنا آل
فرعون اراد به فرعون وقومه واقتصر على ذكرهم للعلم بانه كان اولى به
وقيل شخصه لما روي ان الحسن كان يقول اللهم صل على آل محمد اي شخصه و
استغنى بذكره عن ذكر اتباعه وانتم تنظرون ذلك اي غرقهم واطباق البحر عليهم
او انفلاق البحر عن طرق يابسة مذللة او جثثهم التي قذفها البحر الى الساحل
او ينظر بعضكم بعضا روي انه تعالى امر موسى ان يسري ببني اسرائيل فخرج بهم
فصبحهم فرعون وجنوده وصادفوهم على شاطئ البحر فاوحى الله اليه ان
اضرب بعصاك البحر فضربه فظهر فيه اثنا عشر طريقا يابسا فسلكوها
فقالوا يا موسى نخاف ان يغرق بعضنا ولا نعلم ففتح الله فيها كوى فتراءوا وتسامعوا
حتى عبروا البحر ثم لما وصل اليه فرعون ورآه منفلقا اقتحم فيه هو وجنوده
فالتطم عليهم واغرقهم اجمعين واعلم ان هذه الواقعة من اعظم ما انعم الله به
على بني اسرائيل ومن الآيات الملجئة الى العلم بوجود الصانع الحكيم وتصديق
موسى عم ثم انهم اتخذوا العجل وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ونحو ذلك
فهم بمعزل في الفطنة والذكاء وسلامة النفس وحسن الاتباع عن امة محمد

عم ان ما تواتر من معجزاته امور نظرية مثل القرآن والتحدي به والفضائل
المجتمعة فيه الشاهدة على نبوة محمد عم دقيقة يدركها الاذكياء واخباره عم
عنها من جملة معجزاته على ما مر تقريره واذ واعدنا موسى اربعين ليلة لما
عادوا الى مصر بعد هلاك فرعون وعد الله موسى ان يعطيه التوراة وضرب
له ميقاتا ذا القعدة وعشر ذي الحجة وعبر عنها بالليالي لانها غرر الشهور و
قرأ ابن كثير ونافع وعاصم وابن عامر وحمزة والكسائي واعدنا لانه تعالى
وعده الوحي ووعده موسى المجيء للميقات الى الطور ثم اتخذتم العجل الها معبودا
من بعده من بعد موسى او مضيه وانتم ظالمون باشراككم ثم عفونا عنكم حين تبتم
والعفو محو الجريمة من عفا اذا درس من بعد ذلك اي الاتخاذ لعلكم تشكرون
لكي تشكروا عفوه واذ آتينا موسى الكتاب والفرقان يعني التوراة الجامع بين كونه
كتابا وحجة يفرق بين الحق والباطل وقيل اراد بالفرقان معجزاته الفارقة بين
المحق والمبطل في الدعوى او بين الكفر والايمان وقيل الشرع الفارق بين الحلال
والحرام او النصر الذي فرق بينه وبين عدوه كقوله تعالى يوم الفرقان يريد
يوم بدر لعلكم تهتدون لكي تهتدوا بتدبر الكتاب والتفكر في الآيات واذ قال
موسى لقومه يا قوم انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا الى بارئكم فاعزموا
على التوبة والرجوع الى من خلقكم بريئا من التفاوت ومميزا بعضها عن بعض بصور
وهيئات مختلفة واصل التركيب لخلوص الشيء عن غيره اما على سبيل التفصي كقولهم
برئ المريض من مرضه والمديون من دينه او الانشاء كقوله برأ الله آدم من
الطين او فتوبوا فاقتلوا انفسكم تماما لتوبتكم بالبخع او قطع الشهوات كما
قيل من لم يعذب نفسه لم ينعمها ومن لم يقتلها لم يحيها وقيل امروا ان يقتل بعضهم
بعضا وقيل امر من لم يعبد العجل ان يقتل العبدة روي ان الرجل يرى بعضه و
قريبه فلم يقدر المضي لامر الله فارسل ضبابة وسحابة سوداء لا يتباصرون
فاخذوا يقتلون من الغداة الى العشي حتى دعا موسى وهارون فكشفت السحابة
ونزلت التوبة وكانت القتلى سبعين الفا والفاء الاولى للتسبيب والثانية
للتعقيب ذلكم خير لكم عند بارئكم من حيث انه طهرة عن الشرك ووصلة الى الحياة الابدية
والبهجة السرمدية فتاب عليكم متعلق بمحذوف ان جعلته كلام موسى عم لهم
تقديره ان فعلتم ما امرتم به فقد تاب عليكم وعطف على محذوف ان جعلته
خطابا من الله لهم على طريقة الالتفات كانه قال ففعلتم ما امرتم به فتاب عليكم
بارئكم وذكر البارئ وترتيب الامر عليه اشعار بانهم بلغوا غاية الجهالة والغباوة

حتى تركوا عبادة خالقهم الحكيم الى عبادة البقر التي هي مثل في الغباوة وان من
لم يعرف حق منعمه حقيق بان يسترد منه ولذلك امروا بالقتل وفك التركيب
هو التواب الرحيم الذي يكثر توفيق التوبة او قبولها من المذنبين ويبالغ في الانعام
عليهم واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك لاجل قولك او لن نقر لك حتى نرى الله جهرة
عيانا وهي في الاصل مصدر قولك جهرت بالقراءة استعيرت للمعاينة ونصبها
على المصدر لانها نوع من الرؤية او حال من الفاعل او المفعول وقرئ جهرة بالفتح
على انها مصدر كالغلبة او جمع كالكتبة فيكون حالا والقائلون هم
السبعون الذين اختارهم موسى للميقات وقيل عشرة آلاف من قومه والمؤمن به ان
الله الذي اعطاك التوراة وكلمك او انك نبي فاخذتكم الصاعقة لفرط العناد
والتعنت وطلب المستحيل فانهم ظنوا انه تعالى يشبه الاجسام وطلبوا رؤيته رؤية الاجسام
في الجهات والاحياز المقابلة للرائي وهي محال بل الممكن ان يرى رؤية منزهة عن
الكيفية وذلك للمؤمنين في الآخرة ولافراد من الانبياء في بعض الاحوال في
الدنيا قيل جاءت نار من السماء فاحرقتهم وقيل صيحة وقيل جنود سمعوا
بحسيسها فخروا صعقين ميتين يوما وليلة وانتم تنظرون ما اصابكم بنفسه او
اثره ثم بعثناكم من بعد موتكم بسبب الصاعقة وقيد البعث لانه قد يكون عن اغماء
او نوم لقوله تعالى ثم بعثناهم لعلكم تشكرون نعمة البعث او ما كفرتموه لما رأيتم
بأس الله بالصاعقة وظللنا عليكم الغمام سخر الله لهم السحاب يظلهم من الشمس
حين كانوا في التيه وانزلنا عليكم المن والسلوى قيل كان ينزل عليهم المن مثل الثلج
من الفجر الى الطلوع ويبعث الجنوب عليهم السماني وينزل بالليل عمود نار يسيرون
في ضوئه وكانت ثيابهم لا تتسخ ولا تبلى كلوا من طيبات ما رزقناكم على ارادة
القول وما ظلمونا فيه اختصار واصله فظلموا بان كفروا هذه النعم وما ظلمونا
ولكن كانوا انفسهم يظلمون بالكفران لانه لا يتخطاهم ضرره واذ قلنا ادخلوا هذه القرية
يعني بيت المقدس وقيل اريحا امروا به بعد التيه فكلوا منها حيث شئتم رغدا
ونصبه على المصدر او الحال من الواو وادخلوا الباب اي باب القرية او القبة
التي كانوا يصلون اليها فانهم لم يدخلوا بيت المقدس في حيوة موسى عم سجدا
متطامنين مخبتين او ساجدين لله شكرا على اخراجهم من التيه وقولوا حطة اي
مسألتنا حطة او امرك حطة وهي فعلة من الحط كالجلسة وقرئ بالنصب على
الاصل بمعنى حط عنا ذنوبنا حطة او على انه مفعول قولوا اي قولوا هذه الكلمة
وقيل معناه امرنا حطة اي نحط في هذه القرية ونقيم فيها نغفر لكم خطاياكم

بسجودكم ودعائكم وقرأ نافع بالياء وابن عامر بالتاء على البناء للمفعول وخطايا
اصله خطايئ كخطايع فعند سيبويه ابدلت الياء همزة لوقوعها بعد الالف واجتمعت
همزتان فابدلت الثانية ياء ثم قلبت الفا وكانت الهمزة بين
الالفين فابدلت ياء وعند الخليل قدمت الهمزة على الياء ثم فعل بها ما ذكر وسنزيد المحسنين
ثوابا جعل الامتثال توبة للمسيء وسبب زيادة الثواب للمحسن واخرجه
عن صورة الجواب الى الوعد ايهاما بان المحسن بصدد ذلك وان لم يفعله فكيف اذا
فعله وانه يفعل لا محالة فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم بدلوا بما امروا
به من التوبة والاستغفار طلب ما يشتهون من اغراض الدنيا فانزلنا على الذين
ظلموا كرره مبالغة في تقبيح امرهم واشعارا بان الانزال عليهم لظلمهم بوضع
غير المامور به موضعه او على انفسهم بان تركوا ما يوجب نجاتها الى ما يوجب
هلاكها رجزا من السماء بما كانوا يفسقون عذابا مقدرا من السماء بسبب فسقهم
والرجز في الاصل ما يعاف عنه وكذلك الرجس وقرئ بالضم وهو لغة فيه والمراد
به الطاعون روي انه مات به في ساعة اربعة وعشرون الفا واذ استسقى
موسى لقومه لما عطشوا في التيه فقلنا اضرب بعصاك الحجر اللام فيه للعهد على
ما روي انه كان حجرا طوريا مكعبا حمله معه وكانت تنبع من كل وجه ثلث
اعين يسيل كل عين في جدول الى سبط وكانوا ستمائة الف وسعة المعسكر اثنا
عشر ميلا او حجرا اهبطه آدم من الجنة ووقع الى شعيب فاعطاه مع العصا او
الحجر الذي فر بثوبه لما وضعه عليه ليغتسل وبرأه الله به عما رموه من الادرة
فاشار اليه جبريل بحمله او للجنس وهذا اظهر في الحجة قيل لم يامره ان يضرب
حجرا بعينه ولكن لما قالوا كيف بنا لو افضينا الى ارض لا حجارة بها حمل حجرا في
مخلاته وكان يضربه بعصاه اذا نزل فينفجر ويضربه اذا ارتحل فييبس فقالوا
ان فقد موسى عصاه متنا عطشا فاوحى الله اليه لا تقرع الحجارة وكلمها تطعك
لعلهم يعتبرون وقيل كان الحجر من رخام وكان ذراعا في ذراع والعصا عشرة
اذرع على طول موسى من آس الجنة ولها شعبتان تتقدان في الظلمة فانفجرت
منه اثنتا عشرة عينا متعلق بمحذوف تقديره فان ضربت فقد انفجرت او فضرب
فانفجرت كما مر في قوله فتاب عليكم وقرئ عشرة بكسر الشين وفتحها وهما لغتان
فيه قد علم كل اناس كل سبط مشربهم عينهم التي يشربون منها كلوا واشربوا
على تقدير القول من رزق الله يريد به ما رزقهم من المن والسلوى وماء العيون
وقيل الماء وحده لانه يشرب ويؤكل مما ينبت به ولا تعثوا في الارض مفسدين

لا تعتدوا حال افسادكم وانما قيده وان غلب في الفساد لانه قد يكون منه ما
ليس بفساد كمقابلة الظالم المعتدي بفعله ومنه ما يتضمن صلاحا راجحا
كقتل الخضر الغلام وخرقه السفينة ويقرب منه العيث غير انه يغلب فيما يدرك
حسا ومن انكر امثال هذه المعجزات فلغاية جهله بالله وقلة تدبره في عجائب
صنعه فانه لما امكن ان يكون من الاحجار ما يحلق الشعر وينفر الخل ويجذب الحديد
لم يمتنع ان يخلق الله حجرا يسخره لجذب الماء من تحت الارض او لجذب الهواء من
الجوانب ويصيره ماء بقوة التبريد ونحو ذلك واذ قلتم يا موسى لن نصبر
على طعام واحد يريد به ما رزقوا في التيه من المن والسلوى وبوحدته انه لا يختلف
ولا يتبدل كقولهم طعام مائدة الامير واحد يريدون انه لا يتغير الوانه
ولذلك اجمعوا او ضرب واحد لانهما معا طعام اهل التلذذ وهم كانوا فلاحة فنزعوا
الى عكرهم واشتهوا ما الفوه فادع لنا ربك سله لنا بدعائك اياه يخرج لنا يظهر
لنا ويوجد وجزمه بانه جواب فادع فان دعوته سبب الاجابة مما تنبت الارض
من الاسناد المجازي واقامة القابل مقام الفاعل ومن للتبعيض من بقلها
وقثائها وفومها وعدسها وبصلها تفسير وبيان وقع موقع الحال وقيل بدل باعادة
الجار والبقل ما انبتته الارض من الخضر والمراد به اطايبه التي تؤكل والفوم
الحنطة ويقال للخبز ومنه فوموا لنا وقيل الثوم وقرئ قثائها بالضم وهو لغة
فيه قال اي الله تعالى او موسى اتستبدلون الذي هو ادنى اقرب منزلة وادون
قدرا واصل الدنو القرب في المكان فاستعير للخسة كما استعير البعد في الشرف
والرفعة فقيل بعيد الهمة بعيد المحل وقرئ ادنا من الدناءة بالذي هو خير
يريد به المن والسلوى فانه خير في اللذة والنفع وعدم الحاجة الى السعي اهبطوا
مصرا انحدروا اليه من التيه يقال هبط الوادي اذا نزل به وهبط منه اذا خرج
وقرئ بالضم والمصر البلد العظيم واصله الحد بين الشيئين وقيل اراد به العلم وانما
صرفه لسكون وسطه او على تاويل البلد ويؤيده انه غير منون في مصحف ابن مسعود
وقيل اصله مصرايم فعرب فان لكم ما سألتم وضربت عليهم الذلة والمسكنة احيطت
بهم احاطة القبة بمن ضربت عليه او الصقت بهم من ضرب الطين على الحائط مجازاة
لهم على كفران النعمة واليهود في غالب الامر اذلاء مساكين اما على الحقيقة او على
التكلف مخافة ان تضاعف جزيتهم وباءوا بغضب من الله رجعوا به او صاروا
احقاء بغضبه من باء فلان بفلان اذا كان حقيقا بان يقتل به واصل البوء المساواة
ذلك اشارة الى ما سبق من ضرب الذلة والمسكنة والبوء بالغضب بانهم

كانوا يكفرون بايات الله ويقتلون النبيين بغير الحق بسبب كفرهم بالمعجزات التي من جملتها
ما عد عليهم من فلق البحر واظلال الغمام وانزال المن والسلوى وانفجار العيون
من الحجر او بالكتب المنزلة كالانجيل والقران واية الرجم والتي فيها نعت محمد عم
من التورية وقتلهم الانبياء فانهم قتلوا شعيا وزكريا ويحيى وغيرهم بغير الحق
عندهم اذ لم يروا منهم ما يعتقدون به جواز قتلهم وانما حملهم على ذلك اتباع
الهوى وحب الدنيا كما اشار بقوله ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون اي جرهم العصيان
والتمادي والاعتداء فيه الى الكفر بالايات وقتل النبيين فان صغار الذنوب
سبب يؤدي الى ارتكاب كبارها كما ان صغار الطاعات اسباب مؤدية الى تحري
كبارها وقيل كرر الاشارة للدلالة على ان ما لحقهم كما هو بسبب الكفر والقتل فهو
بسبب ارتكابهم المعاصي واعتدائهم حدود الله وقيل الاشارة الى الكفر والقتل والباء
بمعنى مع وانما جوزت الاشارة بالمفرد الى شيئين فصاعدا على تاويل ما ذكر
او تقدم للاختصار ونظيره في الضمير قول رؤبة فيها خطوط من سواد وبلق
كانه في الجلد توليع البهق والذي حسن ذلك ان تثنية المضمرات والمبهمات وجمعها
وتانيثها ليس على الحقيقة ولذلك جاء الذي بمعنى الجمع ان الذين امنوا بالسنتهم
يريد به المتدينين بدين محمد عم المخلصين منهم والمنافقين وقيل المنافقين لانخراطهم
في سلك الكفرة والذين هادوا تهودوا يقال هاد اذا دخل في اليهودية ويهود
اما عربي من هاد اذا تاب سموا بذلك لما تابوا من عبادة العجل واما معرب يهودا
وكانهم سموا باسم اكبر اولاد يعقوب عم والنصارى جمع نصران كندامى وندمان والياء
في نصراني للمبالغة كما في احمري سموا بذلك لانهم نصروا المسيح او لانهم كانوا معه
في قرية يقال لها نصران او ناصرة فسموا باسمها او من اسمها والصابئين قوم
بين النصارى والمجوس وقيل اصل دينهم دين نوح عم وقيل هم عبدة الملئكة وقيل
عبدة الكواكب وهو ان كان عربيا فمن صبا اذا خرج وقرا نافع وحده بالياء
اما لانه خفف الهمزة او لانه من صبا اذا مال لانهم مالوا من سائر الاديان الى دينهم
او من الحق الى الباطل من امن بالله واليوم الاخر وعمل صالحا من كان منهم في دينه
قبل ان ينسخ مصدقا بقلبه بالمبدا والمعاد عاملا بمقتضى شرعه وقيل من امن
من هؤلاء الكفرة ايمانا خالصا ودخل في الاسلام دخولا صادقا فلهم اجرهم
عند ربهم الذي وعدهم على ايمانهم وعملهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون
حين يخاف الكفار من العقاب ويحزن المقصرون على تضييع العمر وتفويت الثواب
ومن مبتدا خبره فلهم اجرهم والجملة خبر ان او بدل من اسم ان وخبرها فلهم

اجرتهم والفاء لتضمن المسند اليه المبتدأ معنى الشرط وقد منع سيبويه دخولها
خبر ان من حيث انها لا تدخل الشرطية ورد بقوله تعالى ان الذين فتنوا المؤمنين
والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم واذ اخذنا ميثاقكم باتباع والعمل بالتورية
ورفعنا فوقكم الطور حتى اعطيتم الميثاق روي ان موسى عليه السلام لما جاءهم بالتورية
فراوا ما فيها من التكاليف الشاقة كبرت عليهم وابوا قبولها فامر جبرئيل بقلع الطور
فظلله فوقهم حتى قبلوا خذوا على ارادة القول ما آتيناكم من الكتاب بقوة على
وعزيمة واذكروا ما فيه ادرسوه ولا تنسوه او تفكروا فيه فانه ذكر بالقلب او
اعملوا به لعلكم تتقون لكي تتقوا المعاصي او رجاء منكم ان تكونوا متقين ويجوز عند
المعتزلة ان يتعلق بالقول المحذوف اي قلنا خذوا واذكروا ارادة ان تتقوا ثم توليتم
من بعد ذلك اعرضتم عن الوفاء بالميثاق بعد اخذه فلولا فضل الله عليكم ورحمته
بتوفيقكم للتوبة او بمحمد عليه السلام يدعوكم الى الحق ويهديكم اليه لكنتم من الخاسرين المغبونين
بالانهماك في المعاصي او بالخبط والضلال في فترة من الرسل ولو في الاصل لامتناع
الشيء لامتناع غيره فاذا دخل على لا افاد اثباتا وهو امتناع الشيء لثبوت غيره و
الاسم الواقع بعده عند سيبويه مبتدأ خبره واجب الحذف لدلالة الكلام عليه
وسد الجواب مسده وعند الكوفيين فاعل فعل ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم
في السبت اللام موطئة للقسم والسبت مصدر سبتت اليهود اذا عظمت يوم السبت
واصله القطع امروا بان يجردوه للعبادة فاعتدى فيه ناس منهم في زمن داود
واشتغلوا بالصيد وذلك بانهم كانوا يسكنون قرية على الساحل يقال لها ايلة
واذا كان يوم السبت لم يبق حوت في البحر الا حضر هناك واخرج خرطومه فاذا مضى
تفرقت فحفروا حياضا وشرعوا اليها الجداول وكانت الحيتان تدخلها يوم السبت
فيصطادونها يوم الاحد فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين جامعين بين صورة القردة
والخسوء وهو الصغار والطرد وقال مجاهد ما مسخت صورهم ولكن قلوبهم
فمثلوا بالقردة كما مثلوا بالحمار في قوله تعالى كمثل الحمار يحمل اسفارا وقوله
كونوا ليس بامر اذ لا قدرة لهم عليه وانما المراد به سرعة التكوين وانهم صاروا
كذلك كما اراد بهم وقرئ قردة بفتح القاف وكسر الراء وخاسين بغير همزة
فجعلناها اي المسخة او العقوبة نكالا عبرة تنكل المعتبر بها اي تمنعه ومنه
النكل للقيد لما بين يديها وما خلفها لما قبلها وما بعدها من الامم اذ ذكرت
حالهم في زبر الاولين واشتهرت قصتهم في الآخرين او لمعاصريهم ومن بعدهم او
لما بحضرتها من القرى وما تباعد عنها او لاهل تلك القرية وما حواليها او لاجل

ما تقدم عليها من ذنوبهم وما تأخر عنها وموعظة للمتقين من قومهم او لكل متق
سمعها واذ قال موسى لقومه ان الله يأمركم ان تذبحوا بقرة اول هذه القصة
قوله تعالى واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها وانما فكت عنه وقدمت عليه لاستقلاله
بنوع آخر من مساويهم وهو الاستهزاء بالامر والاستقصاء في السؤال وترك
المسارعة الى الامتثال وقصته انه كان فيهم شيخ موسر فقتل ابنه بنو اخيه
طمعا في تركته وطرحوه على باب المدينة ثم جاؤوا يطالبون بدمه فامرهم الله
ان يذبحوا بقرة ويضربوه ببعضها ليحيى فيخبر بقاتله قالوا اتتخذنا هزوا مكان
هزؤ او اهله او مهزوا بنا او الهزؤ نفسه لفرط الاستهزاء استبعاد لما قاله
واستخفافا به وقرأ حمزة واسمعيل عن نافع بالسكون وحفص عن عاصم بالضم
وقلب الهمزة واوا قال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين لان الهزؤ في مثل ذلك
جهل وسفه نفى عن نفسه ما رمي به على طريقة البرهان واخرج ذلك في صورة
الاستعاذة استفظاعا له قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي اي ما حالها وصفتها
وكان حقه ان يقولوا اي بقرة هي او كيف هي لان ما يسأل به عن الجنس غالبا لكنهم
لما راوا ما امروا به على حال لم يوجد بها شيء من جنسه اجروه مجرى ما لم يعرفوا
حقيقته ولم يروا مثله قال انه يقول انها بقرة لا فارض ولا بكر لا مسنة ولا فتية
يقال فرضت البقرة فروضا من الفرض وهو القطع كانها فرضت سنها وتركيب البكر
للاولية ومنه البكرة والباكورة عوان نصف قال نواعم بين ابكار وعون بين
ذلك اي ما ذكر من الفارض والبكر ولذلك اضيف اليه بين فانه لا يضاف الا الى
متعدد وعود هذه الكنايات واجراء تلك الصفات على بقرة يدل على ان المراد بها معينة
ويلزمه تأخير البيان عن وقت الخطاب ومن انكر ذلك زعم ان المراد بها بقرة من شق
البقر غير مخصوصة ثم انقلبت مخصوصة بسؤالهم ويلزمه النسخ قبل الفعل فان
التخصيص ابطال للتخيير الثابت بالنص والحق جوازهما ويؤيد الرأي الثاني ظاهر
اللفظ والمروي عنه عليه السلام لو ذبحوا اي بقرة ارادوا لاجزأتهم ولكن شددوا
على انفسهم فشدد الله عليهم وتقريعهم بالتمادي وزجرهم عن المراجعة بقوله
فافعلوا ما تؤمرون اي ما تؤمرونه بمعنى تؤمرون به من قوله امرتك الخير فافعل
ما امرت به او امركم بمعنى مأموركم قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال انه
يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها الفقوع نصوع الصفرة ولذلك يؤكد به فيقال
اصفر فاقع كما يقال اسود حالك وفي اسناده الى اللون وهو صفة صفراء لملابسه
بها فضل تأكيد كانه قيل صفراء شديدة الصفرة صفرتها وعن الحسن سوداء

شديد السواد وبه فسر قوله تعالى كأنه جمالة صفر قال الأعشى تلك خيلي منه و
تلك ركابي هن صفر أولادها كالزبيب لعله عبر بالصفرة عن السواد لأنها من
مقدماته أو لأن سواد الإبل تعلوه صفرة وفيه نظر لأن الصفرة بهذا المعنى لا تؤكد
بالفقوع تسر الناظرين أي تعجبهم والسرور أصله لذة في القلب عند حصول نفع
أو توقعه من السر قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي تكرير للسؤال الأول واستكشاف
زايد وقوله إن البقر تشابه علينا اعتذار عنه أي إن البقر الموصوف بالتعوين و
الصفرة كثير فاشتبه علينا وقرئ إن الباقر وهو اسم لجماعة البقر والأباقر والبواقر
ويتشابه بالياء والتاء ويشابه بطرح التاء وادغامها على التذكير والتأنيث و
تشابهت مخففا ومشددا وتشبه بمعنى تتشبه ويشبه بالتذكير ومتشابه ومتشابهة
ومشتبهة ومشتبه وإنا إن شاء الله لمهتدون إلى المراد ذبحها أو إلى القاتل وفي
الحديث لو لم يستثنوا لما بينت لهم آخر الأبد واحتج به أصحابنا على أن الحوادث
بإرادة الله تعالى وأن الأمر قد ينفك عن الإرادة وإلا لم يكن للشرط بعد الأمر معنى
والمعتزلة والكرامية على حدوث الإرادة وأجيب بأن التعليق باعتبار التعلق
قال إنه يقول إنها بقرة لا ذلول تثير الأرض ولا تسقي الحرث أي لم تذلل للكراب وسقي الحرث
ولا ذلول صفة البقرة بمعنى غير ذلول ولا الثانية مزيدة لتأكيد الأولى والفعلان
صفتا ذلول كأنه قيل لا ذلول مثيرة وساقية وقرئ لا ذلول بالفتح أي حيث هي
كقولك مررت برجل لا بخيل ولا جبان أي حيث هو وتسقي من أسقى مسلمة سلمها الله
من العيوب أو أهلها من العمل أو أخلص لونها من سلم له كذا إذا خلص له لا شية
فيها لا لون فيها يخالف لون جلدها وهي في الأصل مصدر وشاه وشيا وشية إذا
خلط بلونه لونا آخر قالوا الآن جئت بالحق أي بحقيقة وصف البقرة وحققتها لنا
وقرئ الآن بالمد على الاستفهام والآن بحذف الهمزة وإلقاء حركتها على اللام
فذبحوها فيه اختصار والتقدير فحصلوا البقرة المنعوتة فذبحوها وما كادوا
يفعلون لتطويلهم وكثرة مراجعاتهم أو لخوف الفضيحة في ظهور القاتل أو لغلاء
ثمنها إذ روي أن شيخا صالحا منهم كان له عجلة فأتى بها الغيضة وقال
اللهم إني أستودعكها لابني حتى يكبر فشبت وكانت وحيدة بتلك الصفات فساوموها
اليتيم وأمه حتى اشتروها بملء جلدها ذهبا وكانت البقرة إذ ذاك
بثلاثة دنانير وكاد من أفعال المقاربة وضع لدنو الخبر حصولا فإذا دخل عليه
النفي قيل معناه الإثبات مطلقا وقيل ماضيا والصحيح أنه كسائر الأفعال و
لا ينافي قوله وما كادوا يفعلون قوله فذبحوها لاختلاف وقتيهما إذ المعنى

أنهم ما قاربوا أن يفعلوا حتى انتهت سؤالاتهم وانقطعت تعللاتهم ففعلوا كالمضطر
الملجأ إلى الفعل وإذ قتلتم نفسا خطاب الجمع لوجود القتل فيهم فادارأتم فيها اختصمتم
في شأنها إذ المتخاصمان يدفع بعضهم بعضا أو تدافعتم بأن طرح كل قتلها عن نفسه
إلى صاحبه وأصله تدارأتم فأدغمت التاء في الدال واجتلبت لها همزة الوصل
والله مخرج ما كنتم تكتمون مظهره لا محالة وأعمل مخرج لأنه حكاية مستقبل كما
أعمل باسط ذراعيه لأنه حكاية حال ماضية فقلنا اضربوه عطف على ادارأتم
وما بينهما اعتراض والضمير للنفس والتذكير على تأويل الشخص أو القتيل ببعضها
أي بعض كان وقيل بأصغريها وقيل بلسانها وقيل بفخذها اليمنى وقيل بالأذن
وقيل بالعجب كذلك يحيي الله الموتى يدل على ما حذف وهو فضربوه فحيي والخطاب
مع من حضر حياة القتيل أو نزول الآية ويريكم آياته دلائله على كمال قدرته
لعلكم تعقلون لكي يكمل عقلكم وتعلموا أن من قدر على إحياء نفس قدر على إحياء
الأنفس كلها أو تعملون على قضيته ولعله تعالى إنما لم يحيه ابتداء وشرط فيه ما
شرط لما فيه من التقرب وأداء الواجب ونفع اليتيم والتنبيه على بركة التوكل و
الشفقة على الأولاد وأن من حق الطالب أن يقدم قربة والمتقرب أن يتحرى الأحسن
ويغالي بثمنه كما روي عن عمر أنه ضحى بنجيبة بثلاثمائة دينار وأن المؤثر في الحقيقة
هو الله تعالى والأسباب أمارات لا أثر لها وأن من أراد أن يعرف أعدى عدوه الساعي
في إماتته الموت الحقيقي فطريقه أن يذبح بقرة نفسه التي هي القوة الشهوية
حين زال عنها شرة الصبا ولم يلحقها ضعف الكبر وكانت معجبة رائقة المنظر
غير مذللة في طلب الدنيا مسلمة عن دنسها لا سمة بها من مقابحها بحيث يصل أثره
إلى نفسه فيحيى بها حياة طيبة ويعرب عما به ينكشف الحال ويرتفع ما بين العقل
والوهم من التدارؤ والنزاع ثم قست قلوبكم القساوة عبارة عن الغلظ مع الصلابة
كما في الحجر وقساوة القلب مثل في نبوه عن الاعتبار وثم لاستبعاد القسوة
من بعد ذلك يعني إحياء القتيل أو جميع ما عدد من الآيات فإنها مما يوجب لين القلب
فهي كالحجارة في قسوتها أو أشد قسوة منها والمعنى أنها في القساوة مثل
الحجارة أو زائد عليها أو أنها مثلها أو مثل أشد منها قسوة كالحديد فحذف
المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه ويعضده قراءة الحسن بالجر بالفتح عطفا
على الحجارة وإنما لم يقل أقسى لما في أشد من المبالغة في الدلالة على اشتداد
القسوتين واشتمال المفضل على زيادة وأو للتخيير أو للترديد بمعنى أن من
عرف حالها شبهها بالحجارة أو بما هو أقسى منها وإن من الحجارة لما يتفجر

وهذا إنما يصح في شأن الكافر لأن غيره وإن لم يكن له سوى تصديق قلبه وإقرار لسانه
فلم تحط الخطيئة به ولذلك فسرها السلف بالكفر وتحقيق ذلك أن من أذنب ذنبا
ولم يقلع عنه استجره إلى معاودة مثله والانهماك فيه وارتكاب ما هو أكبر منه
حتى تستولي عليه الذنوب وتأخذ بمجامع قلبه فيصير بطبعه مائلا إلى المعاصي
مستحسنا إياها معتقدا أن لا لذة سواها مبغضا لما يمنعه عنها مكذبا لمن ينصحه
فيها كما قال تعالى ثم كان عاقبة الذين أساؤوا السوأى أن كذبوا بآيات الله وقرأ نافع
خطيئاته وقرئ خطيته وخطياته على القلب والإدغام فيهما فأولئك أصحاب النار
ملازموها في الآخرة كما أنهم ملازمون أسبابها في الدنيا هم فيها خالدون دائمون
أو لابثون لبثا طويلا والآية كما ترى لا حجة فيها على خلود صاحب الكبيرة وكذا
التي قبلها والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون
جرت عادته سبحانه وتعالى على أن يشفع وعده بوعيده ليرجى رحمته ويخشى عذابه
وعطف العمل على الإيمان يدل على خروجه من مسماه وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل
لا تعبدون إلا الله إخبار في معنى النهي كقوله تعالى ولا يضار كاتب ولا شهيد وهو
أبلغ من صريح النهي لما فيه من إيهام أن المنهي سارع إلى الانتهاء فهو يخبر عنه
وتعضده قراءة لا تعبدوا وعطف قولوا عليه فيكون على إرادة القول و
قيل تقديره أن لا تعبدوا فلما حذف أن رفع كقوله ألا أيهذا الزاجري أحضر
الوغى ويدل عليه قراءة أن لا تعبدوا فيكون بدلا عن الميثاق أو معمولا له
بحذف الجار وقيل إنه جواب قسم دل عليه المعنى كأنه قال حلفناهم لا يعبدون و
قرأ نافع وابن عامر وأبو عمرو وعاصم ويعقوب بالتاء حكاية لما خوطبوا به
والباقون بالياء لأنهم غيب وبالوالدين إحسانا متعلق بمضمر تقديره وتحسنون
أو أحسنوا وذي القربى واليتامى والمساكين عطف على الوالدين ويتامى جمع يتيم
كنديم وندامى وهو قليل ومسكين مفعيل من السكون كأن الفقر أسكنه وقولوا
للناس حسنا أي قولا حسنا وسماه حسنا للمبالغة وقرئ حسنا بضمتين وهو
لغة أهل الحجاز وحسنا وحسنى على المصدر كبشرى والمراد به ما فيه تخلق
وإرشاد وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة يريد بهما ما فرض عليهم في ملتهم ثم
توليتم على طريقة الالتفات ولعل الخطاب مع الموجودين منهم في عهد رسول
الله صلعم ومن قبلهم على التغليب أي أعرضتم عن الميثاق ورفضتموه إلا قليلا
منكم يريد به من أقام اليهودية على وجهها قبل النسخ ومن أسلم منهم وأنتم معرضون
قوم عادتكم الإعراض عن الوفاء والطاعة وأصل الإعراض الذهاب عن المواجهة

إلى جهة العرض وإذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم
من دياركم على نحو ما سبق والمراد به أن لا يتعرض بعضهم بعضا بالقتل والإجلاء
عن الوطن وإنما جعل قتل الرجل غيره قتل نفسه لاتصاله به نسبا أو دينا أو لأنه
يوجبه قصاصا وقيل معناه لا ترتكبوا ما يبيح سفك دمائكم وإخراجكم من دياركم
أو لا تفعلوا ما يرديكم ويصرفكم عن الحياة الأبدية فإنه القتل في الحقيقة ولا
تقترفوا ما تمنعون به عن الجنة التي هي داركم فإنه الجلاء الحقيقي ثم أقررتم بالميثاق
واعترفتم بلزومه وأنتم تشهدون توكيد كقولك أقر فلان شاهدا على نفسه
وقيل وأنتم أيها الموجودون تشهدون على إقرار أسلافكم فيكون إسناد الإقرار
إليهم مجازا ثم أنتم هؤلاء استبعاد لما ارتكبوه بعد الميثاق والإقرار به والشهادة
عليه وأنتم مبتدأ وهؤلاء خبره على معنى أنتم بعد ذلك هؤلاء الناقضون كقولك
أنت ذاك الرجل الذي فعل كذا نزل تغير الصفة منزلة تغير الذات وعدهم باعتبار
ما أسند إليهم حضورا وباعتبار ما سيحكى عنهم غيبا وقوله تقتلون أنفسكم
وتخرجون فريقا منكم من ديارهم إما حال والعامل فيها معنى الإشارة أو بيان
لهذه الجملة وقيل هؤلاء تأكيد والخبر هو الجملة [illegible] تأكيد والخبر وقيل بمعنى
الذين والجملة صلته والمجموع هو الخبر وقرئ تقتلون على التكثير تظاهرون
عليهم بالإثم والعدوان حال من فاعل تخرجون أو مفعوله أو كليهما والتظاهر
التعاون من الظهر وقرأ عاصم والكسائي وحمزة بحذف إحدى التاءين وقرئ
بإظهارهما وتظهرون بمعنى تتظهرون وإن يأتوكم أسارى تفادوهم روي أن
قريظة كانوا حلفاء الأوس والنضير حلفاء الخزرج فإذا اقتتلا عاون كل
فريق حلفاءه في القتل وتخريب الديار وإجلاء أهلها وإذا أسر أحد من الفريقين
جمعوا له حتى يفدوه وقيل معناه إن يأتوكم أسارى في أيدي الشيطان تتصدون
لإنقاذهم بالإرشاد والوعظ مع تضييعكم أنفسكم كقوله أتأمرون الناس
بالبر وتنسون أنفسكم وقرأ حمزة أسرى وهو جمع أسير كجريح وجرحى وأسارى
جمعه كسكرى وسكارى وقيل هو أيضا جمع أسير وكأنه شبه بالكسلان و
جمع جمعه وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وحمزة وابن عامر تفدوهم وهو محرم عليكم
إخراجهم متعلق بقوله وتخرجون فريقا منكم من ديارهم وما بينهما اعتراض
والضمير للشأن أو مبهم وتفسيره إخراجهم أو راجع إلى ما دل عليه تخرجون
من المصدر وإخراجهم بدل أو بيان أفتؤمنون ببعض الكتاب يعني الفداء وتكفرون
ببعض يعني حرمة المقاتلة والإجلاء فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي

في الحيوة الدنيا كقتل قريظة وسبيهم واجلاء النظير وضرب الجزية على غيرهم
واصل الخزي ذل يستحيي منه ولذلك يستعمل في كل منهما ويوم القيمة يردون
الى اشد العذاب لان عصيانهم اشد وما الله بغافل عما تعملون تاكيد للوعيد اي
الله سبحانه بالمرصاد لا يغفل عن افعالهم وقرا عاصم في رواية المفضل تردون
على الخطاب لقوله منكم وابن كثير ونافع ويعقوب يعملون على ان الضمير لمن اولئك
الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالاخرة اثروا الحيوة الدنيا على الاخرة فلا يخفف
عنهم العذاب بنقض الجزية في الدنيا والتعذيب في الاخرة ولا هم ينصرون بدفعهما
عنهم ولقد اتينا موسى الكتاب اي التورية وقفينا من بعده بالرسل اي ارسلنا
على اثره الرسل كقوله ثم ارسلنا رسلنا تترى يقال قفاه اذا اتبعه من القفا
نحو ذنبه من الذنب واتينا عيسى ابن مريم البينات المعجزات الواضحات كاحياء الموتى
وابراء الاكمه والابرص والاخبار عن المغيبات او الانجيل وعيسى بالعبرية ايشوع
ومريم بمعنى الخادم وهو بالعربية من النساء كالزير من الرجال قال رؤبة قلت
لزير لم تصله مريمه ووزنه مفعل اذ لم يثبت فعيل وايدناه قويناه وقرئ ايدناه
بروح القدس بالروح المقدسة كقولك حاتم الجود ورجل صدق اراد به جبرئيل
وقيل روح عيسى ووصفها به لطهارته عن مس الشيطان او لكرامته على الله
ولذلك اضافها الى نفسه او لانه لم تضمه الاصلاب ولا ارحام الطوامث او
الانجيل او اسم الله الاعظم الذي كان يحيي به الموتى وقرا ابن كثير القدس
بالاسكان في جميع القران افكلما جاءكم رسول بما لا تهوى انفسكم بما لا تحبه يقال
هوي بالكسر هوى اذا احب وهوى بالفتح هويا بالضم سقط ووسطت الهمزة بين
الفاء وما تعلقت به توبيخا لهم على تعقيبهم ذلك بهذا وتعجيبا من شانهم ويحتمل
ان يكون استينافا والفاء للعطف على مقدر استكبرتم عن الايمان واتباع الرسل
ففريقا كذبتم كموسى وعيسى والفاء للسببية او للتفصيل وفريقا تقتلون كزكريا
ويحيى وانما ذكر بلفظ المضارع على حكاية الحال الماضية استحضارا لها في
النفوس فان الامر فظيع ومراعاة للفواصل وللدلالة على انكم بعد فيه فانكم
حولتم قتل محمد لولا اني اعصمه منكم ولذلك سحرتموه وسممتم له الشاة وقالوا
قلوبنا غلف مغشاة باغطية خلقية لا يصل اليها ما جئت به ولا تفقهه مستعار
من الاغلف الذي لم يختن وقيل اصله غلف جمع غلاف فخفف والمعنى انها اوعية العلم
لا تسمع علما الا وعته ولا تعي ما تقول او نحن مستغنون بما فيها من غيره بل
لعنهم الله بكفرهم رد لما قالوا والمعنى انها خلقت على الفطرة والتمكن من قبول

الحق ولكن الله خذلهم بكفرهم فابطل استعدادهم او انها لم تاب قبول ما تقوله
لخلل فيه بل لان الله خذلهم كما قال فاصمهم واعمى ابصارهم او هم كفرة ملعونون
فمن اين لهم دعوى العلم والاستغناء عنك فقليلا ما يؤمنون فايمانا قليلا يؤمنون
وما مزيدة للمبالغة في التقليل وهو ايمانهم ببعض الكتاب وقيل اراد بالقلة
العدم ولما جاءهم كتاب من عند الله يعني القران مصدق لما معهم من كتابهم وقرئ
بالنصب على الحال من كتاب لتخصيصه بالوصف وجواب لما محذوف دل عليه جواب
لما الثانية وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا اي يستنصرون على
المشركين ويقولون اللهم انصرنا بنبي اخر الزمان المنعوت في التورية او يفتحون
عليهم ويعرفونهم ان نبيا يبعث منهم وقد قرب زمانه والسين للمبالغة
والاشعار بان الفاعل يسال ذلك عن نفسه فلما جاءهم ما عرفوا من الحق كفروا
حسدا وخوفا على الرياسة فلعنة الله على الكافرين اي عليهم واتى بالمظهر للدلالة
على انهم لعنوا لكفرهم فيكون اللام للعهد ويجوز ان يكون للجنس ويدخلوا فيه
دخولا اوليا لان الكلام فيهم بئسما اشتروا به انفسهم ما نكرة بمعنى شيء مميز
لفاعل بئس المستكن واشتروا صفته ومعناه باعوا او اشتروا بحسب ظنهم
فانهم ظنوا انهم خلصوا انفسهم من العقاب بما فعلوا ان يكفروا بما انزل الله هو
المخصوص بالذم بغيا طلبا لما ليس لهم وحسدا وهو علة يكفروا دون اشتروا للفصل
ان ينزل الله لان ينزل وحسدوه على ان ينزل الله من فضله يعني الوحي على من
يشاء من عباده على من اختاره للرسالة فباءوا بغضب على غضب للكفر والحسد على
من هو افضل الخلق وقيل لكفرهم بمحمد بعد عيسى او بعد قولهم عزير ابن الله وللكافرين
عذاب مهين يراد به اذلالهم بخلاف عذاب العاصي فانه طهرة لذنوبه واذا قيل لهم
امنوا بما انزل الله يعم الكتب المنزلة باسرها قالوا نؤمن بما انزل علينا اي بالتورية
ويكفرون بما وراءه حال عن الضمير في قالوا ووراء في الاصل مصدر جعل ظرفا و
يضاف الى الفاعل فيراد به ما يتوارى به وهو خلفه والى المفعول فيراد به
ما يواريه وهو قدامه ولذلك عد من الاضداد وهو الحق الضمير لما وراءه و
المراد به القران مصدقا لما معهم حال مؤكدة تتضمن رد مقالهم فانهم لما كفروا
بما يوافق التورية فقد كفروا بها قل فلم تقتلون انبياء الله من قبل ان كنتم مؤمنين
اعتراض عليهم بقتل الانبياء مع ادعاء الايمان بالتورية والتورية لا تسوغه وانما اسنده
اليهم لانه فعل ابائهم وانهم راضون به عازمون عليه ولقد جاءكم موسى بالبينات
يعني الايات التسع المذكورة في قوله ولقد اتينا موسى تسع ايات بينات ثم

اتخذتم العجل اي الها من بعده بعد مجي موسى او ذهابه الى الطور وانتم ظالمون
حال بمعنى اتخذتم العجل ظالمين بعبادته او باخلال بايات الله او اعتراض بمعنى وانتم
قوم عادتكم الظلم ومساق الاية ايضا لابطال قولهم نؤمن بما انزل علينا والتنبيه
على ان طريقتهم مع الرسول طريقة اسلافهم مع موسى عم لا لتكرير القصة و
كذا ما بعدها واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما اتيناكم بقوة
واسمعوا اي قلنا لهم خذوا ما امرتم به في التورية بجد واسمعوا سماع طاعة قالوا
سمعنا قولك وعصينا امرك واشربوا في قلوبهم العجل تداخلهم حبه ورسخ في
قلوبهم صورته لفرط شغفهم به كما يتداخل الصبغ الثوب والشراب اعماق البدن
وفي قلوبهم بيان لمكان الاشراب كقوله انما ياكلون في بطونهم نارا بكفرهم بسبب
كفرهم وذلك لانهم كانوا مجسمة او حلولية ولم يروا جسما اعجب منه فتمكن في قلوبهم
ما سول لهم السامري قل بئسما يامركم به ايمانكم اي بالتورية والمخصوص بالذم
محذوف نحو هذا الامر وما يعمه وغيره من قبايحهم المعدودة في الايات الثلث
الزاما عليهم ان كنتم مؤمنين تقرير للقدح في دعويهم الايمان بالتورية وتقديره ان كنتم
مؤمنين بها لم يامركم بهذه القبايح ولا يرخص لكم فيها ايمانكم بها او ان كنتم مؤمنين
بها فبئس ما امركم به ايمانكم بها لان المؤمن ينبغي ان لا يتعاطى الا ما يقتضيه ايمانه
لكن الايمان بها لا يامر به فاذا لستم بمؤمنين قل ان كانت لكم الدار الاخرة عند الله خالصة
خاصة بكم كما قلتم لن يدخل الجنة الا من كان هودا ونصبها على الحال من الدار
من دون الناس سائرهم او المسلمين واللام للعهد فتمنوا الموت ان كنتم صادقين لان
من ايقن انه من اهل الجنة اشتاقها واحب التخلص اليها من الدار ذات الشوائب كما قال
علي رض لا ابالي سقطت على الموت او سقط الموت علي وقال عمار بصفين الان الاقي الاحبة محمدا وحزبه
وقال حذيفة حين احتضر جاء حبيب على فاقة لا افلح من ندم اي على التمني سيما اذا علم
انها سالمة له لا يشاركه فيها غيره ولن يتمنوه ابدا بما قدمت ايديهم من موجبات
النار كالكفر بمحمد والقران وتحريف التورية ولما كانت اليد العاملة مختصة
بالانسان اله لقدرته بها عامة صنايعه ومنها اكثر منافعه عبر بها عن النفس
تارة وعن القدرة اخرى وهذه الجملة اخبار بالغيب وكان كما اخبر لانهم لو تمنوا لنقل
واشتهر فان التمني ليس من عمل القلب ليخفى بل هو ان يقول ليت كذا ولو كان بالقلب
لقالوا تمنينا وعن النبي عم لو تمنوا الموت لغص كل انسان بريقه فمات مكانه و
ما بقي يهودي على وجه الارض والله عليم بالظالمين تهديد لهم وتنبيه على انهم
ظالمون في دعوى ما ليس لهم ونفيه عمن هو لهم ولتجدنهم احرص الناس على حيوة

من وجد بعقله الجاري مجرى علم ومفعولاه هم احرص وتنكير حيوة لانه اريد فرد من
افرادها وهي الحيوة المتطاولة وقرئ باللام ومن الذين اشركوا محمول على المعنى
وكانه قال احرص من الناس ومن الذين اشركوا وافرادهم بالذكر للمبالغة فان
حرصهم شديدا اذ لم يعرفوا الا الحيوة العاجلة والزيادة في التوبيخ والتقريع فانه
لما زاد حرصهم وهم معترفون بالجزاء على حرص المنكرين دل ذلك على علمهم بانهم
صائرون الى النار ويجوز ان يراد واحرص من الذين اشركوا فحذف لدلالة الاول
عليه وان يكون خبر مبتدا محذوف صفته يود احدهم على انه اريد بالذين اشركوا
اليهود لانهم قالوا عزير ابن الله اي ومنهم ناس يود احدهم وهو على الاولين
لزيادة حرصهم على طريق الاستيناف لو يعمر الف سنة حكاية لودادتهم ولو بمعنى
ليت وكان اصله لو اعمر اجري على الغيبة لقوله يود كقولك حلف بالله ليفعلن وما
هو بمزحزحه من العذاب ان يعمر الضمير لاحدهم وان يعمر فاعل مزحزحه اي وما احدهم
بمزحزحه من العذاب تعميره او لما دل عليه يعمر وان يعمر بدل منه او مبهم وان يعمر
موضحه واصل سنة سنوة لقولهم سنوات وقيل سنهة كجبهة لقولهم سانهته
وتسنهت النخلة اذا اتت عليها السنون والزحزحة التبعيد والله بصير بما يعملون
فيجازيهم قل من كان عدوا لجبريل نزل في عبد الله بن صوريا سال رسول الله عم عمن
ينزل عليه فقال جبريل فقال ذاك عدونا عادانا مرارا واشدها انه انزل
على نبينا ان بيت المقدس سيخربه بخت نصر فبعثنا من يقتله فراه ببابل فدفع عنه
جبريل وقال ان كان ربكم امره بهلاككم فلا يسلطكم عليه والا فبم تقتلونه
وقيل دخل عمر مدارس اليهود يوما فسالهم عن جبريل فقالوا ذاك عدونا
يطلع محمدا على اسرارنا وانه صاحب كل خسف وعذاب وميكائيل صاحب الخصب
والسلام فقال وما منزلتهما من الله قالوا جبريل عن يمينه وميكائيل عن
يساره وبينهما عداوة فقال لئن كانا كما تقولون فليسا بعدوين ولانتم اكفر
من الحمير ومن كان عدو احدهما فهو عدو الله ثم رجع فوجد جبريل قد سبق
بالوحي فقال عم لقد وافقك ربك يا عمر وفي جبريل ثمان لغات قرئ بهن اربع في المشهور
جبرئيل كسلسبيل قراءة حمزة والكسائي وجبريل بكسر الراء وحذف الهمزة قراءة
ابن كثير وجبريل بفتح الجيم قراءة عاصم وجبرئيل كقنديل قراءة الباقون واربع في
الشواذ جبرائل وجبرائيل وجبرال وجبرين ومنع صرفه للعجمة والتعريف و
معناه عبد الله فانه نزله البارز الاول لجبريل والثاني للقران واضماره غير
مذكور يدل على فخامة شانه كانه لتعينه وفرط شهرته لم يحتج الى سبق ذكره

نزله فانه القابل الاول للوحي ومحل الفهم والحفظ وكان حقه على قلبي لكنه جاء
على حكاية كلام الله كانه قال قل ما تكلمت به باذن الله بامره او تيسيره حال
من فاعل نزل مصدقا لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين احوال من مفعوله
والظاهر ان جواب الشرط فانه نزله والمعنى من عادى منهم جبريل فقد خلع ربقة
الانصاف او كفر بما معه من الكتاب بمعاداته اياه لنزوله عليك بالوحي لانه نزل
كتابا مصدقا للكتب المتقدمة فحذف الجواب واقيم علته مقامه او من عاداه
فالسبب في عداوته انه نزل عليك وقيل محذوف مثل فليمت غيظا او فهو عدو لي
وانا عدوه كما قال من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فان
الله عدو للكافرين اراد بعداوة الله مخالفته عنادا او معاداة المقربين من
عباده وصدر الكلام بذكره تفخيما لشانهم كقوله والله ورسوله احق ان يرضوه
وافرد الملكان بالذكر لفضلهما كانهما من جنس اخر والتنبيه على ان معاداة
الواحد والكل سواء في الكفر واستجلاب العداوة من الله تعالى وان من عادى احدهم
فكانه عادى الجميع اذ الموجب لمحبتهم وعداوتهم على الحقيقة واحد ولان المحاجة
كانت فيهما ووضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على انه تعالى عاداهم لكفرهم
وان عداوة الملائكة والرسل كفر وقرا نافع ميكائل كميكاعيل وابو عمرو ويعقوب
وعاصم ميكال كميعاد وقرئ ميكئل وميكئيل وميكائل ولقد انزلنا اليك
آيات بينات وما يكفر بها الا الفاسقون اي المتمردون من الكفرة والفسق اذا
استعمل في نوع من المعاصي دل على اعظمه كانه متجاوز عن حده نزل في ابن صوريا
حين قال لرسول الله عم ما جئتنا بشيء نعرفه وما انزل عليك من آية فنتبعك
اوكلما عاهدوا عهدا الهمزة للانكار والواو للعطف على محذوف تقديره اكفروا
بالآيات وكلما عاهدوا وقرئ بسكون الواو على ان التقدير الا الذين فسقوا او
كلما عاهدوا وقرئ عوهدوا وعهدوا نبذه فريق منهم نقضه واصل النبذ
الطرح لكنه يغلب فيما ينسى وانما قال فريق لان بعضهم لم ينقض بل اكثرهم لا
يؤمنون رد لما يتوهم ان الفريق هم الاقلون او ان من لم ينبذ جهارا فهم مؤمنون
به خفاء ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم كعيسى ومحمد عم نبذ فريق
من الذين اوتوا الكتاب كتاب الله يعني التورية لان كفرهم بالرسول المصدق لها
كفر بها فيما يصدقه ونبذ لما فيها من وجوب الايمان بالرسل المؤيدين بالآيات
وقيل ما مع الرسول وهو القرآن وراء ظهورهم مثل لاعراضهم عنه راسا
بالاعراض عما يرمى به وراء الظهر لعدم الالتفات اليه كانهم لا يعلمون انه كتاب

الله تعالى يعني ان علمهم به رصين ولكن يتجاهلون عنادا او علم انه تعالى دل بالآيات
على ان جل اليهود اربع فرق فرقة آمنوا بالتورية وقاموا بحقوقها كمؤمني اهل
الكتاب وهم الاقلون المدلول عليهم بقوله بل اكثرهم لا يؤمنون وفرقة جاهروا
بنبذ عهودها وتخطي حدودها تمردا وفسوقا وهم المعنيون بقوله نبذه فريق
منهم وفرقة لم يجاهروا بنبذها ولكن نبذوا لجهلهم بها وهم الاكثرون وفرقة
تمسكوا بها ظاهرا ونبذوها خفية عالمين بالحال بغيا وعنادا وهم المتجاهلون
واتبعوا ما تتلوا الشياطين عطف على نبذوا اي نبذوا كتاب الله واتبعوا كتب السحر
التي تقراها او تتبعها الشياطين من الجن والانس او منهما على ملك سليمان اي
عهده وتتلوا حكاية حال ماضية قيل كانوا يسترقون السمع ويضمون الى ما
سمعوا اكاذيب ويلقونها الى الكهنة وهم يدونونها ويعلمون الناس وفشا ذلك
في عهد سليمان حتى قيل ان الجن يعلم الغيب وان ملك سليمان تم بهذا العلم وانه
تسخر به الانس والجن والريح له وما كفر سليمان تكذيب لمن زعم ذلك وعبر عن السحر
بالكفر ليدل على انه كفر وان من كان نبيا كان معصوما عنه ولكن الشياطين
كفروا باستعماله يعلمون الناس السحر اغواء واضلالا والجملة حال عن الضمير و
المراد بالسحر ما يستعان في تحصيله بالتقرب الى الشيطان مما لا يستقل به
الانسان وذلك لا يستتب الا لمن يناسبه في الشرارة وخبث النفس فان التناسب شرط
في التضام والتعاون وبهذا تميز الساحر عن النبي والولي واما ما يتعجب منه
كما يفعله اصحاب الحيل بمعونة الآلات والادوية او يريه صاحب خفة اليد فغير
مذموم وتسميته سحرا على التجوز او لما فيه من الدقة لانه في الاصل لما خفي سببه
وما انزل على الملكين عطف على السحر والمراد بهما واحد والعطف لتغاير الاعتبار
او به نوع اقوى منه او على ما تتلوا وهما ملكان انزلا لتعليم السحر ابتلاء من
الله للناس وتمييزا بينه وبين المعجزة وما روي انهما مثلا بشرين وركب فيهما
الشهوة فتعرضا لامرأة يقال لها زهرة فحملتهما على المعاصي والشرك ثم صعدت
الى السماء بما تعلمت منهما فمحكي عن اليهود ولعله من رموز الاوائل وحله لا
يخفى على ذوي البصائر وقيل رجلان سميا ملكين باعتبار صلاحهما ويؤيده
قراءة الملكين بالكسر وقيل ما انزل نفي معطوف على ما كفر تكذيب لليهود في هذه
القصة ببابل ظرف او حال من الملكين او الضمير في انزل والمشهور انه بلد
من سواد الكوفة هاروت وماروت عطف بيان للملكين ومنع صرفهما
للعجمة والعلمية ولو كانا من الهرت والمرت بمعنى الكسر لانصرفا ومن جعل

ما نافية ابدلهما من الشياطين بدل البعض وما بينهما اعتراض وقرئ بالرفع
على هما هاروت وماروت وما يعلمان من احد حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر
فمعناه على الاول ما يعلمان احدا حتى ينصحاه ويقولا له انما نحن ابتلاء من الله
فمن تعلم منا وعمل به كفر ومن تعلم وتوقى عمله ثبت على الايمان فلا تكفر باعتقاد
جوازه والعمل به وفيه دليل على ان تعلم السحر وما لا يجوز اتباعه غير محظور وانما
المنع من اتباعه والعمل به وعلى الثاني ما يعلمانه حتى يقولا انا مفتونان فلا تكن
مثلنا فيتعلمون منهما الضمير لما دل عليه من احد ما يفرقون به بين المرء وزوجه
اي من السحر ما يكون سبب تفريقهما وما هم بضارين به من احد الا باذن الله لانه وغيره
من الاسباب غير مؤثرة بالذات بل بامره تعالى وجعله وقرئ بضاري على الاضافة
الى احد وجعل الجار جزءا منه والفصل بالظرف ويتعلمون ما يضرهم لانهم يقصدون
به العمل او لان العلم يجر الى العمل غالبا ولا ينفعهم اذ مجرد العلم به غير مقصود و
لا نافع في الدارين وفيه ان التحرز عنه اولى ولقد علموا اي اليهود لمن اشتراه اي
استبدل ما تتلوا الشياطين بكتاب الله والاظهر ان اللام للابتداء علقت علموا
عن العمل ما له في الآخرة من خلاق نصيب ولبئس ما شروا به انفسهم يحتمل
المعنيين على ما مر لو كانوا يعلمون يتفكرون فيه او يعلمون قبحه على اليقين او حقيقة
ما يتبعه من العذاب والمثبت لهم اولا على التوكيد القسمي العقل الغريزي او العلم
الاجمالي بقبح الفعل او ترتب العقاب من غير تحقيق وقيل معناه لو كان يعملون بعلمهم
فان من لم يعمل بما علم فهو كمن لم يعلم ولو انهم آمنوا بالرسل والكتاب واتقوا بترك
المعاصي كنبذ كتاب الله واتباع السحر لمثوبة من عند الله خير جواب لو واصله لاثيبوا
مثوبة من الله خيرا مما شروا به انفسهم فحذف الفعل وركب الباقي جملة
اسمية ليدل على ثبات المثوبة والجزم بخيريتها وحذف المفضل عليه اجلالا
للمفضل من ان ينسب اليه وتنكير المثوبة لان المعنى لشيء من الثواب خير وقيل لو للتمني
ولمثوبة كلام مبتدا وقرئ لمثوبة كمشورة وانما سمي الجزاء ثوابا ومثوبة لان
المحسن يثوب اليه لو كانوا يعلمون ان ثواب الله خير جهلهم لترك التدبر او العمل
بالعلم يا ايها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا الرعي حفظ الغير
لمصلحته وكان المسلمون يقولون للرسول راعنا اي راقبنا وتان بنا فيما تلقنا
حتى نفهمه وسمع اليهود فافترصوه وخاطبوه به مريدين نسبته الى الرعن
او سبه بالكلمة العبرانية التي كانوا يتسابون بها وهي راعينا فنهي المؤمنون
عنها وامروا بما يفيد تلك الفائدة ولا يقبل التلبيس وهو انظرنا بمعنى انظر

اليناء او انتظر من نظره اذا انتظره وقرئ انظرنا من الانظار اي امهلنا لنحفظ وقرئ
راعونا على لفظ الجمع للتوقير وراعنا بالتنوين اي قولا ذا رعن نسبة الى الرعن
وهو الهوج لما شابه قولهم راعينا وتسبب للسب واسمعوا واحسنوا الاستماع حتى
لا تفتقروا الى طلب المراعاة او واسمعوا سماع قبول لا كسماع اليهود او واسمعوا
ما امرتم به بجد حتى لا تعودوا الى ما نهيتم عنه وللكافرين عذاب اليم يعني الذين
تهاونوا بالرسول وسبوه ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين نزلت
تكذيبا لجمع من اليهود يظهرون مودة المؤمنين ويزعمون انهم يودون لهم الخير
والود محبة الشيء مع تمنيه ولذلك يستعمل في كل منهما ومن للتبيين كما في قوله
لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب ان ينزل عليكم من خير من ربكم مفعول يود
ومن الاولى مزيدة للاستغراق والثانية للابتداء وفسر الخير بالوحي والمعنى انهم
يحسدونكم به وما يحبون ان ينزل عليكم شيء منه وبالعلم والنصرة ولعل
المراد به ما يعم ذلك والله يختص برحمته من يشاء يستنبئه ويعلمه الحكمة وينصره
لا يجب عليه شيء وليس لاحد عليه حق والله ذو الفضل العظيم اشعار بان
النبوة من الفضل وان حرمان بعض عباده ليس لضيق فضله بل لمشيئته وما عرف
فيه من حكمته ما ننسخ من آية او ننسها نزلت لما قال المشركون او اليهود الا ترون
الى محمد يامر اصحابه بامر ثم ينهاهم عنه ويامر بخلافه والنسخ في اللغة ازالة
عن الشيء واثباتها في غيره كنسخ الظل للشمس والنقل ومنه التناسخ ثم استعمل
لكل واحد منهما كقولك نسخت الريح الاثر ونسخت الكتاب ونسخ الآية بيان انتهاء
التعبد بقراءتها والحكم المستفاد منها او بهما جميعا وانساؤها اذهابها عن
القلوب وما شرطية جازمة لننسخ منتصبة به على المفعولية وقرا ابن عامر
ننسخ من انسخ اي نامرك او جبريل بنسخها او نجدها منسوخة وابن كثير وابو
عمرو ننساها اي نؤخرها من النساء وقرئ ننسها اي ننسي احدا اياها و
تنسها اي انت وتنسها على البناء للمفعول وننسكها باظهار المفعولين نات
بخير منها او مثلها اي بما هو خير للعباد في النفع والثواب او مثلها في الثواب
وقرا ابو عمرو وقلب الهمزة الفا الم تعلم ان الله على كل شيء قدير فيقدر على النسخ
والاتيان بمثل المنسوخ وبما هو خير منه والآية دلت على جواز النسخ وتاخير
الانزال اذ الاصل اختصاص ان وما يتضمنها بالامور المحتملة وذلك لان
الاحكام شرعت والآيات نزلت لمصالح العباد وتكميل نفوسهم فضلا من الله و
رحمة وذلك يختلف باختلاف الاعصار والاشخاص كاسباب المعاش فان النافع

في عصر قد يضر في غيره واحتج بها من منع النسخ بلا بدل او ببدل اثقل ونسخ الكتاب
بالسنة فان الناسخ هو المأتي به بدلا والسنة ليست كذلك والكل ضعيف اذ
قد يكون عدم الحكم او الاثقل اصلح والنسخ قد يعرف بغيره والسنة مما اتى به الله
وليس المراد بالخير والمثل ما يكون كذلك في اللفظ والمعتزلة على حدوث القرآن
فان التغيير والتفاوت من لوازمه واجيب بانهما من عوارض الامور المتعلقة
بالمعنى القائم بالذات القديم الم تعلم الخطاب للنبي عم فالمراد هو وامته لقوله
وما لكم وانما افرده لانه اعلمهم ومبدأ علمهم ان الله له ملك السموات والارض
يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد وهو كالدليل على قوله ان الله على كل شيء قدير وعلى
جواز النسخ ولذلك ترك العاطف وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير وانما
هو الذي يملك اموركم ويجريها على ما يصلحكم والفرق بين الولي والنصير ان
الولي قد يضعف عن النصرة والنصير قد يكون اجنبيا عن المنصور ام تريدون
ان تسئلوا رسولكم كما سئل موسى من قبل ام معادلة للهمزة في الم تعلم اي الم
تعلموا انه مالك الامور قادر على الاشياء كلها يأمر وينهى كما اراد ام تعلمون
وتقترحون بالسؤال كما اقترحت اليهود على موسى او منقطعة والمراد ان
توصيهم بالثقة به ترك الاقتراح عليه قيل نزلت في اهل الكتاب حين سألوا
ان تنزل عليهم كتابا من السماء وقيل في المشركين لما قالوا لن نؤمن لرقيك حتى
تنزل علينا كتابا نقرأه ومن يتبدل الكفر بالايمان فقد ضل سواء السبيل ومن ترك
الثقة بالايات البينة وشك فيها واقترح غيرها فقد ضل الطريق المستقيم
حتى وقع في الكفر بعد الايمان ومعنى الاية لا تقترحوا فتضلوا وسط السبيل
ويؤدي بكم الضلال الى البعد عن المقصد بتبديل الكفر بالايمان وقرئ يبدل
من ابدل ود كثير من اهل الكتاب يعني احبارهم لو يردونكم ان يردوكم فان
لو تنوب عن ان في المعنى دون اللفظ من بعد ايمانكم كفارا مرتدين وهو حال من
ضمير المخاطبين حسدا علة ود من عند انفسهم يجوز ان يتعلق بود اي تمنوا
ذلك من عند انفسهم وتشهيهم لا من قبل التدين والميل مع الحق او بحسدا
اي حسدا بالغا منبعثا من اصل نفوسهم من بعد ما تبين لهم الحق بالمعجزات و
النعوت المذكورة في التورية فاعفوا واصفحوا العفو ترك عقوبة المذنب
والصفح ترك تثريبه حتى يأتي الله بامره الذي هو الاذن في قتالهم وضرب الجزية
عليهم او قتل قريظة واجلاء بني النضير وعن ابن عباس انه منسوخ باية
السيف وفيه نظر اذ الامر غير مطلق ان الله على كل شيء قدير فيقدر على

الانتقام واقيموا الصلوة واتوا الزكوة عطف على فاعفوا كانه امرهم بالصبر
والمخالفة واللجاء الى الله بالعبادة والبر وما تقدموا لانفسكم من خير كصلوة
او صدقة وقرئ وما تقدموا من اقدم تجدوه عند الله اي ثوابه ان الله بما
تعملون بصير لا يضيع عنده عمل وقرئ بالياء فيكون وعيدا وقالوا عطف على
ود والضمير لاهل الكتاب من اليهود والنصارى لن يدخل الجنة الا من كان هودا
او نصارى لف بين قولي الفريقين كما في قوله وقالوا كونوا هودا او نصارى
ثقة بفهم السامع وهود جمع هائد كعائذ وعوذ وتوحيد الاسم المضمر وجمع
الخبر لاعتبار اللفظ والمعنى تلك امانيهم اشارة الى الاماني المذكورة وهي ان
لا ينزل على المؤمنين خير من ربهم وان يردوهم كفارا وان لا يدخل الجنة غيرهم او
الى ما في الاية على حذف المضاف اي امثال تلك الامنية امانيهم والجملة اعتراض
والامنية افعولة من التمني كالاضحوكة والاعجوبة قل هاتوا برهانكم على اختصاصكم حكم
بدخول الجنة ان كنتم صادقين في دعويكم فان كل قول لا دليل عليه غير ثابت بلى
اثبات لما نفوه من دخول غيرهم الجنة من اسلم وجهه لله اخلص له نفسه او قصده
واصله العضو وهو محسن في عمله فله اجره الذي وعد على عمله عند ربه
ثابتا عنده لا يضيع ولا ينقص والجملة جواب من ان كانت شرطية وخبرها ان
كانت موصلة والفاء فيها لتضمنها معنى الشرط فيكون الرد بقوله بلى وحده
ويحسن الوقف عليه ويجوز ان يكون من اسلم فاعل فعل مقدر مثل بلى يدخلها
من اسلم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون في الاخرة وقالت اليهود ليست النصارى
على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء اي امر يصح ويعتد به نزلت لما قدم
وفد نجران رسول الله واتاهم احبار اليهود فتناظروا وتقاولوا بذلك وهم يتلون
الواو للحال والكتاب للجنس اي قالوا ذلك وهم من اهل العلم والكتاب كذلك
مثل ذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم كعبدة الاصنام والمعطلة وبخهم على
المكابرة والتشبه بالجهال فان قيل لم وبخهم وقد صدقوا فان كلا الدينين بعد
النسخ ليس بشيء قلت لم يقصدوا ذلك وانما قصد به كل فريق ابطال دين الاخر من
اصله والكفر بنبيه وكتابه مع ان ما لم ينسخ منهما حق واجب القبول والعمل به
فالله يحكم بينهم بين الفريقين يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون بما يقسم لكل
فريق ما يليق به من العقاب وقيل حكمه بينهم ان يكذبهم ويدخلهم النار ومن اظلم
ممن منع مساجد الله عام لكل من خرب مسجدا او سعى في تعطيل مكان مرشح للصلوة
وان نزل في الروم لما غزوا بيت المقدس وخربوه وقتلوا اهله او المشركين لما

منعوا رسول الله ان يدخل المسجد الحرام عام الحديبية ان يذكر فيها اسمه ثاني معمولي منع وسعى في خرابها بالهدم او التعطيل اولئك اي المانعون ما كان لهم ان يدخلوها الا خايفين ما كان ينبغي لهم ان يدخلوها الا خايفين بخشية وخشوع فضلا ان يجترؤا على تخريبها او ما كان الحق ان يدخلوها الا خايفين من المؤمنين ان يبطشوا بهم فضلا ان يمنعوهم منها او ما كان لهم في علم الله وقضائه فيكون وعدا للمؤمنين بالنصرة واستخلاص المساجد منهم وقد انجز وعده وقيل معناه النهي عن تمكينهم من الدخول في المسجد واختلف الايمة فيه فجوز ابو حنيفة ومنع مالك وفرق الشافعي بين المسجد الحرام وغيره لهم في الدنيا خزي قتل وسبي او ذلة بضرب الجزية ولهم في الاخرة عذاب عظيم بكفرهم وظلمهم ولله المشرق والمغرب يريد بهما ناحيتي الارض اي له الارض كلها لا يختص به مكان دون مكان فان منعتم ان تصلوا في المسجد الحرام او الاقصى فقد جعلت لكم الارض مسجدا فاينما تولوا ففي اي مكان فعلتم التولية شطر القبلة فثم وجه الله اي جهته التي امر بها فان امكان التولية لا يختص بمسجد او مكان او فثم ذاته اي عالم مطلع بما يفعل فيه ان الله واسع باحاطته بالاشياء او برحمته يريد التوسعة على عباده عليم بمصالحهم واعمالهم في الاماكن كلها وعن ابن عمر انها نزلت في صلوة المسافر على الراحلة وقيل في قوم عميت عليهم القبلة فصلوا الى انحاء مختلفة فلما اصبحوا تبينوا خطاءهم وعلى هذا لو اخطا المجتهد ثم تبين له الخطاء لم يلزمه التدارك وقيل هي توطية لنسخ القبلة وتنزيه للمعبود عن ان يكون في حيز وجهة وقالوا اتخذ الله ولدا نزلت لما قال اليهود عزير ابن الله والنصارى المسيح ابن الله ومشركو العرب الملائكة بنات الله وعطفه على قالت اليهود او منع او مفهوم قوله ومن اظلم وقرا ابن عامر بغير واو سبحانه تنزيه له عن ذلك فانه يقتضي التشبيه والحاجة وسرعة الفناء الا ترى ان الاجرام الفلكية مع امكانها وفنائها لما كانت باقية ما دام العالم لم يتخذ ما يكون لها كالولد اتخاذ الحيوان والنبات اختيارا او طبعا بل له ما في السموات والارض رد لما قالوه واستدلال على فساده والمعنى انه خالق ما في السموات والارض الذي من جملته الملائكة وعزير والمسيح كل له قانتون منقادون لا يمتنعون على مشيته وتكوينه وكل ما كان بهذه الصفة لم يجانس مكونه الواجب لذاته فلا يكون له ولد لان من حق الولد ان يجانس والده وانما جاء بما الذي لغير اولي العلم وقال قانتون على تغليب اولي العلم تحقيرا لشانهم وتنوين كل عوض من المضاف اليه اي كل

ما فيهما ويجوز ان يراد كل من جعلوه ولدا له مطيعون مقرون بالعبودية فيكون الزاما بعد اقامة الحجة والاية مشعرة على فساد ما قالوه من ثلثة اوجه واحتج بها الفقهاء على ان من ملك ولده عتق عليه لانه تعالى نفى الولد باثبات الملك وذلك يقتضي تنافيهما بديع السموات والارض مبدعهما ونظيره السميع في قوله امن ريحانة الداعي السميع او بديع سمواته وارضه من بدع فهو بديع وهو حجة رابعة وتقريرها ان الوالد عنصر الولد المنفعل بانفصال مادته عنه والله سبحانه مبدع الاشياء كلها فاعل على الاطلاق منزه عن الانفعال فلا يكون والدا والابداع اختراع الشيء لا عن شيء دفعة وهو اليق بهذا المو ضع من الصنع الذي هو تركيب الصورة بالعنصر والتكوين الذي يكون بتغيير وفي زمان غالبا وقرئ بديع مجرورا على البدل من الضمير في له ومنصوبا على المدح واذا قضى امرا اي اراد شيئا واصل القضاء اتمام الشيء قولا كقوله وقضى ربك او فعلا كقوله فقضاهن سبع سموات واطلق على تعلق الارادة الالهية بوجود الشيء من حيث انه يوجبه فانما يقول له كن فيكون من كان التامة اي احدث فيحدث وليس المراد حقيقة امر وامتثال بل تمثيل حصول ما تعلقت به ارادته بلا مهلة بطاعة المامور المطيع بلا توقف وفيه تقرير لمعنى الابداع وايماء الى حجة خامسة وهي ان اتخاذ الولد يكون باطوار ومهلة وفعله تعالى يستغني عن ذلك وقرا ابن عامر فيكون بفتح النون واعلم ان السبب في هذه الضلالة ان ارباب الشرايع المتقدمة كانوا يطلقون الاب على الله باعتبار انه السبب الاول حتى قالوا ان الاب هو الرب الاصغر والله سبحانه هو الاب الاكبر ثم ظنت الجهلة منهم ان المراد به معنى الولادة فاعتقدوا ذلك تقليدا ولذلك كفر قائله ومنع منه مطلقا حسما لمادة الفساد وقال الذين لا يعلمون اي جهلة المشركين او المتجاهلون من اهل الكتاب لولا يكلمنا الله هلا يكلمنا كما يكلم الملائكة او يوحي الينا بانك رسوله او تاتينا اية حجة على صدقك والاول استكبار والثاني جحود بان ما اتاهم ايات استهانة به وعنادا كذلك قال الذين من قبلهم من الامم الماضية مثل قولهم فقالوا ارنا الله جهرة هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء تشابهت قلوبهم قلوب هؤلاء ومن قبلهم في العمى والعناد وقرئ بتشديد الشين قد بينا الايات لقوم يوقنون اي يطلبون اليقين او يوقنون الحقايق لا يعتريهم شبهة ولا عناد وفيه اشارة الى انهم ما قالوا ذلك لخفاء في الايات او لطلب مزيد يقين وانما قالوه عتوا وعنادا انا ارسلناك بالحق

ملتبسا مؤيدا به بشيرا ونذيرا فلا عليك ان اصروا وكابروا ولا تسئل عن اصحاب
الجحيم ما لهم لم يؤمنوا بعد ان بلغت وقرأ نافع ويعقوب ولا تسأل على انه نهي لرسول
الله عم عن السؤال عن حال ابويه او تعظيم لعقوبة الكفار كانها لفظاعتها لا يقدر
ان يخبر عنها او السامع لا يصبر على استماع خبرها فنهاه عن السؤال والجحيم المتأجج
من النار ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم مبالغة في اقناط
الرسول عن اسلامهم فانهم اذا لم يرضوا منه حتى يتبع ملتهم فكيف يتبعون ملته
ولعلهم قالوا مثل ذلك فحكى الله عنهم ولذلك قال قل تعليما للجواب ان هدى الله
هو الهدى اي هدى الله الذي هو الاسلام هو الهدى الى الحق لا ما تدعونا اليه
ولئن اتبعت اهواءهم آراءهم الزائغة والملة ما شرعه الله لعباده على لسان
انبيائه من امللت الكتاب اذا امليته والهواء رأي يتبع الشهوة بعد الذي
جاءك من العلم اي الوحي او الدين المعلوم صحته ما لك من الله من ولي ولا نصير يدفع
عنك عقابه وهو جواب لئن الذين آتيناهم الكتاب يريد مؤمني اهل الكتاب يتلونه
حق تلاوته بمراعاة اللفظ عن التحريف والتدبر في معناه والعمل به وهو حال مقدرة
والخبر ما بعده او خبر على ان المراد بالموصوف مؤمنوا اهل الكتاب اولئك
يؤمنون به بكتابهم دون المحرفين ومن يكفر به بالتحريف والكفر بما يصدقه فاولئك
هم الخاسرون حيث اشتروا الكفر بالايمان يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت
عليكم واني فضلتكم على العالمين واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل
منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون لما صدر قصتهم بالامر بذكر النعم
والقيام بحقوقها والحذر عن اضاعتها والخوف عن الساعة واهوالها كرر ذلك
وختم به الكلام معهم مبالغة في النصح وايذانا بانه فذلكة القضية والمقصود
من القضية واذ ابتلى ابرهيم ربه بكلمات كلفه باوامر ونواه والابتلاء في الاصل
التكليف بالامر الشاق من البلاء لكنه لما استلزم الاختبار بالنسبة الى من يجهل
العواقب ظن ترادفهما والضمير لابرهيم وحسن لتقدمه لفظا وان تأخر رتبة لان
الشرط احد التقدمين والكلمات قد تطلق على المعاني فلذلك فسرت بالخصال
الثلاثين المحمودة المذكورة في قوله التائبون العابدون وقوله ان المسلمين و
المسلمات الى آخر الآيتين وقوله قد افلح المؤمنون الى قوله اولئك هم الوارثون
كما فسرت بها في قوله فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه وبالعشر التي هي من
سننه وبمناسك الحج وبالكواكب والقمرين وذبح الولد والنار والهجرة على انه
عامله بها معاملة المختبر بهن وبما تضمنه الآيات التي بعدها وقرئ

ابرهيم ربه بكلمات مثل ارني كيف تحيي الموتى اجعل هذا البلد آمنا ليريه هل
يجيبه وقرأ ابن عامر ابرهام فأتمهن فاداهن كملا وقام بهن حق القيام لقوله
وابراهيم الذي وفى وفي القراءة الاخيرة الضمير لربه اي اعطاه جميع ما
دعاه قال اني جاعلك للناس اماما استئناف ان اضمرت ناصب اذ كانه قيل فما
ذا قال له ربه حين اتمهن فاجيب بذلك او بيان لقوله ابتلى فتكون الكلمات
ما ذكره من الامامة وتطهير البيت ورفع قواعده والاسلام وان نصبته
بقال فالمجموع جملة معطوفة على ما قبلها وجاعل من جعل الذي له مفعولان
والامام اسم من يؤتم به وامامته عامة مؤبدة اذ لم يبعث بعده نبي الا
كان من ذريته مأمورا باتباعه قال ومن ذريتي عطف على الكاف اي وبعض
ذريتي كما يقال وزيدا في جواب ساكرمك والذرية نسل الرجل فعلية او فعولة
قلبت راؤها الثالثة ياء كما في تقضيت من الذر بمعنى التفريق او فعولة او فعيلة
قلبت همزتها من الذرء بمعنى الخلق وقرئ ذريتي بالكسر وهي لغة قال لا ينال
عهدي الظالمين اجابة الى ملتمسه وتنبيه على انه قد يكون من ذريته ظلمة
وانهم لا ينالون الامامة لانها امانة من الله وعهد والظالم لا يصلح لها وانما
ينالها البررة الاتقياء منهم وفيه دليل على عصمة الانبياء من الكبائر قبل
البعثة وان الفاسق لا يصلح للامامة وقرئ الظالمون والمعنى واحد اذ كل
ما نالك فقد نلته واذ جعلنا البيت اي الكعبة غلب عليها كالنجم على الثريا
مثابة للناس مرجعا يثوب اليه اعيان الزوار او امثالهم او موضع ثواب يثابون
بحجه واعتماره وقرئ مثابات لانه مثابة كل احد وامنا وموضع امن لا
يتعرض لاهله كقوله حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم او يأمن حاجه من
عذاب الآخرة من حيث ان الحج يجب ما قبله او لا يؤاخذ الجاني الملتجي اليه يخرج
وهو مذهب ابي حنيفة واتخذوا من مقام ابرهيم مصلى على ارادة القول او
عطف على المقدر عاملا لاذ او اعتراض معطوف على مضمر تقديره توبوا اليه
واتخذوا على ان الخطاب لامة محمد عم وهو امر استحباب ومقام ابرهيم الحجر الذي
فيه اثر قدمه والموضع الذي كان فيه حين قام عليه ودعا الناس الى الحج
او رفع بناء البيت وهو موضعه اليوم روي انه عم اخذ بيد عمر فقال هذا
مقام ابرهيم فقال عمر افلا نتخذه مصلى فقال لم اؤمر بذلك فلم تغب الشمس حتى
نزلت وقيل المراد به الامر بركعتي الطواف لما روى جابر انه عم لما فرغ من طوافه
عمد الى مقام ابرهيم فصلى خلفه ركعتين وقرأ واتخذوا من مقام ابرهيم

مصلى وللشافعي في وجوبهما قولان وقيل مقام ابراهيم الحرم كله وقيل مواقف
الحج واتخاذها مصلى ان يدعى فيها ويتقرب الى الله تعالى وقرأ نافع وابن عامر
واتخذوا بلفظ الماضي عطفا على جعلنا اي واتخذ الناس مقامه الموسوم به
يعني الكعبة قبلة يصلون اليها وعهدنا الى ابراهيم واسمعيل امرناهما ان طهرا
بيتي بان طهرا ويجوز ان تكون مفسرة لتضمن العهد معنى القول يريد طهراه من
الاوثان والانجاس وما لا يليق به او اخلصاه للطائفين حوله والعاكفين
المقيمين عنده او المعتكفين فيه والركع السجود اي المصلين جمع راكع وساجد
واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا يريد البلد او المكان بلدا آمنا ذا امن كقوله
في عيشة راضية او آمنا اهله كقولك ليل نائم وارزق اهله من الثمرات من آمن
منهم بالله واليوم الآخر ابدل من آمن من اهله بدل البعض للتخصيص قال ومن كفر عطف
على من آمن والمعنى وارزق من كفر قاس ابراهيم الرزق على الامامة فنبه سبحانه
ان الرزق رحمة دنيوية يعم المؤمن والكافر بخلاف الامامة والتقدم في الدين
او مبتدأ متضمن معنى الشرط فامتعه قليلا خبره والكفر وان لم يكن سبب
التمتع لكنه سبب تقليله بان يجعله مقصورا بحظوظ الدنيا غير متوسل به الى
نيل الثواب ولذلك عطف عليه ثم اضطره الى عذاب النار اي الزه اليه لز المضطر
لكفره وتضييعه ما متعته من النعم وقليلا نصب على المصدر او الظرف
وقرئ بلفظ الامر فيهما على انه من دعاء ابراهيم وفي قال ضميره وقرأ ابن عامر
فامتعه من امتع وقرئ فنمتعه ثم نضطره واضطره بكسر الهمزة على لغة من
يكسر حرف المضارعة واطره بادغام الضاد وهو ضعيف لان حروف ضم شفر
يدغم فيها ما يجاورها دون العكس وبئس المصير المخصوص بالذم محذوف
هو العذاب واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت حكاية حال ماضية والقواعد
جمع قاعدة وهي الاساس صفة غالبة من القعود بمعنى الثبات ولعله مجاز من
المقابل للقيام ومنه قعدك الله ورفعها البناء عليها فانه ينقلها عن هيئة
الانخفاض الى هيئة الارتفاع ويحتمل ان يراد بها سافات البناء فان كل ساف
قاعدة ما يوضع فوقه ويرفعها بناؤها وقيل المراد مكانته واظهار شرفه
بتعظيمه ودعاء الناس الى حجه وفي ابهام القواعد وتبيينها تفخيم لشأنها
واسمعيل كان يناوله الحجارة ولكنه لما كان له مدخل في البناء عطف عليه
وقيل كانا يبنيان في طرفين او على التناوب ربنا تقبل منا اي يقولان ربنا
وقد قرئ به والجملة حال منهما انك انت السميع العليم بنياتنا ربنا واجعلنا

لدعائنا

مسلمين لك مخلصين لك من اسلم وجهه او مستسلمين من اسلم اذا استسلم و
انقاد والمراد طلب الزيادة في الاخلاص والاذعان او الثبات عليه وقرئ
مسلمين على ان المراد انفسهما وهاجر او ان التثنية من مراتب الجمع ومن ذريتنا
امة مسلمة لك اي واجعل بعض ذريتنا وانما خصا الذرية بالدعاء لانهم احق
بالشفقة ولانهم اذا صلحوا صلح بهم الاتباع وخصا بعضهم لما اعلما ان في
ذريتهما ظلمة وعلما ان الحكمة الالهية لا تقتضي الاتفاق على الاخلاص
والاقبال الكلي على الله فانه مما يشوش المعاش ولذلك قيل لولا الحمقى لخربت
الدنيا وقيل اراد بالامة امة محمد عم ويجوز ان تكون من للتبيين كقوله
وعد الله الذين آمنوا منكم قدم على المبين وفصل به بين العاطف والمعطوف كما
في قوله خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن وارنا من رأى بمعنى ابصر او عرف
ولذلك لم يتجاوز مفعولين مناسكنا متعبداتنا في الحج او مذابحنا والنسك
في الاصل غاية العبادة وشاع في الحج لما فيه من الكلفة والبعد عن العادة
وقرأ ابن كثير ويعقوب ارنا قياسا على فخذ وفيه اجحاف لان الكسرة منقولة
من الهمزة الساقطة دليل عليها وتب علينا استتابة لذريتهما او عما فرط
منهما سهوا ولعلهما قالاه هضما لانفسهما وارشادا لذريتهما انك انت التواب
الرحيم لمن تاب ربنا وابعث فيهم في الامة المسلمة رسولا منهم ولم يبعث من ذريتهما
غير محمد عم فهو المجاب به دعوتهما كما قال انا دعوة ابي ابراهيم وبشرى عيسى و
رؤيا امي يتلوا عليهم آياتك يقرأ عليهم ويبلغهم ما يوحى اليه من دلائل التوحيد
والنبوة ويعلمهم الكتاب القرآن والحكمة ما تكمل به نفوسهم من المعارف والاحكام
ويزكيهم عن الشرك والمعاصي انك انت العزيز الذي لا يقهر ولا يغلب على ما يريد
الحكيم المحكم له ومن يرغب عن ملة ابراهيم استبعاد وانكار لان يكون احد يرغب
عن ملته الواضحة الغراء اي لا يرغب احد عن ملته الا من سفه نفسه الا من استمهنها
واذلها واستخف بها قال المبرد وثعلب سفه بالكسر متعد وبالضم لازم و
يشهد له ما جاء في الحديث الكبر ان تسفه الحق وتغمص الناس وقيل اصله سفه
نفسه على الرفع فنصب على التمييز نحو غبن رأيه وألم رأسه وقول جرير ونأخذ
بعده بذناب عيش اجب الظهر ليس له سنام او سفه في نفسه فنصب بنزع الخافض
والمستثنى في محل الرفع على المختار بدلا من الضمير في يرغب لانه في معنى النفي
ولقد اصطفيناه في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين حجة وبيان لذلك
فان من كان صفوة العباد في الدنيا مشهودا له بالاستقامة والصلاح يوم

القيمة كان حقيقا بالاتباع لا يرغب عنه الا سفيه او متسفه اذل نفسه بالجهل
والاعراض عن النظر اذ قال له ربه اسلم قال اسلمت لرب العالمين ظرف لاصطفيناه
او تعليل له او منصوب باضمار اذكر كانه قيل اذكر ذلك الوقت لتعلم انه المصطفى
الصالح المستحق للامامة والتقدم وانه نال ما نال بالمبادرة الى الاذعان واخلاص
السر حين دعاه ربه واخطر بباله دلايله المودية الى المعرفة الداعية الى الاسلام
روي انها نزلت لما دعا عبد الله بن سلام ابني اخيه سلمة ومهاجرا الى الاسلام
فاسلم سلمة وابى مهاجر ووصى بها ابرهيم بنيه التوصية هو التقدم الى الغير
بفعل فيه صلاح وقربة واصلها الوصل يقال وصاه اذا وصله وفصاه اذا فصله
كان الموصي يصل فعله بفعل الوصي والضمير في بها للملة او لقوله اسلمت على تاويل
الكلمة او الجملة وقرا نافع وابن عامر واوصى والاول ابلغ ويعقوب عطف على
ابرهيم اي وصى هو ايضا بها بنيه وقرئ بالنصب على انه ممن وصاه ابرهيم يا بني على
اضمار القول عند البصريين ومتعلق بوصى عند الكوفيين لانه نوع منه ونظيره
رجلان من ضبة اخبرانا انا راينا رجلا عريانا بالكسر وبنو ابرهيم كانوا اربعة
اسمعيل واسحق ومدين ومدان وقيل ثمانية وقيل اربعة عشر وبنو يعقوب اثنا
عشر روبين وشمعون ولاوي ويهوذا ويشسوخور وزبولون وزوني ونفتوني
وكودا واوشير وبنيامين ويوسف ان الله اصطفى لكم الدين دين الاسلام الذي
هو صفوة الاديان لقوله فلا تموتن الا وانتم مسلمون ظاهره النهي عن الموت على
خلاف حال الاسلام والمقصود هو النهي عن ان يكونوا على تلك الحال اذا ماتوا والامر
بالثبات على الاسلام كقولك لا تصل الا وانت خاشع وتغيير العبارة للدلالة على
ان موتهم لا على الاسلام موت لا خير فيه وان من حقه ان لا يحل بهم ونظيره في
الامر مت وانت شهيد روي ان اليهود قالوا لرسول الله عم الست تعلم ان يعقوب
اوصى بنيه باليهودية يوم مات فنزلت ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت ام
منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار اي ما كنتم حاضرين اذ حضر يعقوب الموت وقال
لبنيه ما قال فلم تدعون اليهودية عليه او متصلة بمحذوف تقديره اكنتم
غايبين ام كنتم شاهدين وقيل الخطاب للمؤمنين والمعنى ما شهدتم ذلك وانما
علمتموه من الوحي وقرئ حضر بالكسر اذ قال لبنيه بدل من اذ حضر ما تعبدون
من بعدي اي شي تعبدونه اراد به تقريرهم على التوحيد والاسلام واخذ ميثاقهم
على الثبات عليهما وما يسئل به عن كل شي ما لم يعرف فاذا عرف خص العقلاء بمن
اذا سئل عن تعيينه وان سئل عن وصفه قيل ما زيد افقيه ام طبيب قالوا نعبد

الهك واله ابائك ابرهيم واسمعيل واسحق المتفق على وجوده والوهيته ووجوب
عبادته وعد اسمعيل من ابائه تغليبا للاب والجد او لانه كالاب لقوله عم عم الرجل
صنو ابيه وكما قال في العباس رض هذا بقية ابائي وقرئ اله ابيك على انه جمع
بالواو والنون كما قال ولما تبين اصواتنا بكين وفديننا بالابينا او مفرد و
ابرهيم وحده عطف بيان الها واحدا بدل من اله ابائك كقوله بالناصية ناصية
كاذبة وفايدته التصريح بالتوحيد ونفي التوهم الناشي من تكرير المضاف لتعذر
العطف على المجرور بلا تاكيدا او نصب على الاختصاص ونحن له مسلمون حال من فاعل
نعبد او مفعوله او منهما ويحتمل ان يكون اعتراضا تلك امة قد خلت يعني
ابرهيم ويعقوب وبنيهما والامة في الاصل المقصود وسمي بها الجماعة لان
الفرق تامها لها ما كسبت ولكم ما كسبتم لكل اجر عمله والمعنى ان انتسابكم اليهم
لا يوجب انتفاعكم باعمالهم وانما تنتفعون بموافقتهم واتباعهم كما قال عم لا ياتيني
الناس باعمالهم وتاتوني بانسابكم ولا تسئلون عما كانوا يعملون ولا تواخذون
بسياتهم كما لا تثابون بحسناتهم وقالوا كونوا هودا او نصارى الضمير الغايب
لاهل الكتاب واو للتنويع والمعنى مقالتهم احد هذين القولين قالت اليهود كونوا
هودا وقالت النصارى كونوا نصارى تهتدوا جواب الامر قل بل ملة
ابرهيم اي بل نكون ملة ابرهيم اي اهل ملته او بل نتبع ملة ابرهيم وقرئ بالرفع
اي ملته ملتنا او عكسه او نحن ملته بمعنى نحن اهل ملته حنيفا مائلا عن الباطل
الى الحق حال من المضاف اليه كقوله ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا وما
كان من المشركين تعريض باهل الكتاب وغيرهم بانهم يدعون اتباعه وهم مشركون
قولوا امنا بالله الخطاب للمؤمنين لقوله فان امنوا بمثل ما امنتم به وما انزل
الينا القران قدم ذكره لانه اول بالاضافة الينا سبب للايمان بغيره وما
انزل الى ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط الصحف وهي وان
نزلت الى ابرهيم لكنهم لما كانوا متعبدين بتفصيلها داخلين تحت احكامها فهي
ايضا منزلة اليهم كما ان القران منزل الينا والاسباط جمع سبط وهو الحافد
يريد به حفدة يعقوب او ابناءه وذراريهم فانهم حفدة ابرهيم واسحق
وما اوتي موسى وعيسى التورية والانجيل افردهما بحكم ابلغ لان امرهما
بالاضافة الى موسى وعيسى مغاير لما سبق والنزاع وقع فيهما وما اوتي
النبيون جملة المذكورين منهم وغير المذكورين من ربهم منزلا عليهم من
ربهم لا نفرق بين احد منهم كاليهود فنؤمن ببعض ونكفر ببعض واحد لوقوعه

في هينا والنفع عم فشاع ان يضاف اليه بين ونحن له اي لله مسلمون مذعنون
مخلصون فان آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا من باب التعجيز والتبكيت
كقوله فاتوا بسورة من مثله اذ لا مثل لما آمن به المسلمون ولا دين كدين
الاسلام وقيل الباء للآلة دون التعدية والمعنى ان تحروا الايمان بطريق
يهدي الى الحق مثل طريقكم فان وحدة المقصد لا يأبى تعدد الطرق او مزيدة
للتاكيد كقوله جزاء سيئة بمثلها والمعنى فان آمنوا بالله ايمانا مثل ايمانكم به
او المثل مقحم كما في قوله وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله اي عليه ويشهد
له قراءة من قرأ بما آمنتم به اي بالذي آمنتم به وان تولوا فانما هم في شقاق
اي ان اعرضوا عن الايمان او عما تقولون فما هم الا في شقاق الحق وهو المناوات
والمخالفة فان كل واحد من المتخالفين في شق غير شق الآخر فسيكفيكهم الله
تسلية وتسكين للمؤمنين ووعد لهم بالحفظ والنصر على من ناوبهم وخالفهم
وهو السميع العليم اما من تمام الوعد بمعنى انه يسمع اقوالكم ويعلم اخلاصكم
وهو مجازيكم لا محالة او وعيد للمعرضين بمعنى انه يسمع ما يبدون ويعلم ما
يخفون وهو معاقبهم عليه صبغة الله اي صبغنا الله صبغته وهي فطرة الله
التي فطر الناس عليها فانها حلية الانسان كما ان الصبغة حلية المصبوغ او
هدانا هدايته او ارشدنا حجته او طهر قلوبنا بالايمان تطهيره وسماه صبغة
لانه ظهر اثره عليهم ظهور الصبغ على المصبوغ فتداخل في قلوبهم تداخل الصبغ
الثوب او للمشاكلة فان النصارى كانوا يغمسون اولادهم في ماء اصفر يسمونه
المعمودية ويقولون هو تطهير لهم وبه تحقق نصرانيتهم ونصبها على انه مصدر
موكد لقوله آمنا وقيل على الاغراء وقيل على البدل من ملة ابرهيم ومن احسن
من الله صبغة لا صبغة احسن من صبغته ونحن له عابدون تعريض بهم اي لا
نشرك به كشرككم وهو عطف على آمنا وذلك يقتضي دخول قوله صبغة الله في
مفعول قولوا ولمن نصبها على الاغراء او البدل ان يضمر قولوا معطوفا على الزموا
او اتبعوا ملة ابرهيم وقولوا آمنا بدل اتبعوا حتى لا يلزم فك النظم وسوء
الترتيب قل اتحاجوننا اتجادلوننا في الله في شانه واصطفائه نبيا من العرب
دونكم روي ان اهل الكتاب قالوا الانبياء كلهم منا فلو كنت نبيا لكنت منا
فنزلت وهو ربنا وربكم لا اختصاص له بقوم دون قوم يصيب برحمته من
يشاء من عباده ولنا اعمالنا ولكم اعمالكم فلا يبعد ان يكرمنا باعمالنا كانه
الزمهم على كل مذهب ينتحونه افحاما وتبكيتا فان كرامة النبوة اما تفضل

من الله على من يشاء والكل فيه سواء واما افاضة حق على المستعدين لها
بالمواظبة على الطاعة والتحلي بالاخلاص فكما ان لكم اعمالا ربما يعتبرها
الله في اعطائها فلنا ايضا اعمال ونحن له مخلصون موحدون نخلصه بالايمان
والطاعة دونكم ام تقولون ان ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط
كانوا هودا او نصارى ام منقطعة والهمزة للانكار وعلى قراءة ابن عامر و
حمزة والكسائي بالتاء يحتمل ان تكون معادلة للهمزة في اتحاجوننا بمعنى اي
الامرين تأتون المحاجة او ادعاء اليهودية او النصرانية على الانبياء قل أانتم
اعلم ام الله وقد نفى الامرين عن ابرهيم بقوله ما كان ابرهيم يهوديا ولا نصرانيا
واحتج عليه بقوله وما انزلت التورية والانجيل الا من بعده وهؤلاء المعطوفون
عليه اتباعه في الدين وفاقا ومن اظلم ممن كتم شهادة عنده من الله يعني شهادة
الله لابرهيم بالحنيفية والبراءة عن اليهودية والنصرانية والمعنى لا احد اظلم
من اهل الكتاب لانهم كتموا هذه الشهادة او منا لو كتمنا هذه الشهادة وفيه
تعريض بكتمانهم شهادة الله لمحمد بالنبوة في كتبهم وغيرها ومن للابتداء كما
في قوله براءة من الله وما الله بغافل عما تعملون وعيد لهم وقرئ بالياء تلك امة
قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون تكرير للمبالغة
في التحذير والزجر عما استحكم في الطباع من الافتخار بالآباء والاتكال عليهم وقيل
الخطاب فيما سبق لهم وفي الآية لنا تحذيرا عن الاقتداء بهم وقيل المراد بالامة
في الاول الانبياء وفي الثانية اسلاف اليهود والنصارى سيقول السفهاء من
الناس الذين خفت احلامهم واستمهنوها بالتقليد والاعراض عن النظر يريد
المنكرين لتغيير القبلة من المنافقين واليهود والمشركين وفائدة تقديم الاخبار
به توطين النفس واعداد الجواب ما ولاهم ما صرفهم عن قبلتهم التي كانوا عليها
يعني بيت المقدس والقبلة في الاصل الحالة التي عليها الانسان من الاستقبال
فصارت عرفا للمكان المتوجه نحوه للصلوة قل لله المشرق والمغرب لا يختص به مكان
دون مكان لخاصية ذاتية تمنع اقامة غيره مقامه وانما العبرة بارتسام
امره لا بخصوص المكان يهدي من يشاء الى صراط مستقيم وهو ما ترتضيه الحكمة و
تقتضيه المصلحة من التوجه الى البيت المقدس تارة والكعبة اخرى وكذلك اشارة
الى مفهوم الآية المتقدمة اي كما جعلناكم مهديين الى صراط مستقيم او جعلنا
قبلتكم افضل القبلة جعلناكم امة وسطا اي خيارا او عدولا مزكين بالعلم
والعمل وهو في الاصل اسم للمكان الذي تستوي اليه المساحة من الجوانب

استعير للخصال المحمودة لوقوعها بين طرفي افراط وتفريط كالجود بين الاسراف
والبخل والشجاعة بين التهور والجبن ثم اطلق على المتصف بها مستويا فيه الواحد
والجمع والمذكر والمؤنث كسائر الاسماء التي يوصف بها واستدل به على ان الاجماع
حجة اذ لو كان فيما اتفقوا عليه باطل لانثلمت به عدالتهم لتكونوا شهداء على الناس
ويكون الرسول عليكم شهيدا علة للجعل اي لتعلموا بالتأمل فيما نصب لكم من الحجج وانزل
عليكم من الكتاب انه تعالى ما بخل على احد وما ظلم بل اوضح السبل وارسل الرسل
فبلغوا ونصحوا ولكن الذين كفروا حملهم الشقاء على اتباع الشهوات والاعراض
عن الآيات فتشهدون بذلك على معاصريكم وعلى الذين قبلكم وبعدكم روي ان الامم يوم
القيمة يجحدون تبليغ الانبياء فيطالبهم ببينة التبليغ وهو اعلم بهم اقامة للحجة
فيؤتى بامة محمد عم فيشهدون فتقول الامم من اين عرفتم فيقولون علمنا ذلك
باخبار الله تعالى في كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق فيؤتى بمحمد فيسأل عن
حال امته فيشهد بعدالتهم وهذه الشهادة وان كانت لهم لما كان الرسول كالرقيب
المهيمن على امته عدي بعلى وقدمت الصلة للدلالة على اختصاصهم بكون الرسول
شهيدا عليهم وما جعلنا القبلة التي كنت عليها اي الجهة التي كنت عليها وهي الكعبة
فانه عم كان يصلي اليها بمكة ثم لما هاجر امر بالصلوة الى الصخرة تألفا لليهود او
الصخرة لقول ابن عباس كانت قبلته بمكة بيت المقدس الا انه كان يجعل الكعبة بينه
وبينه فالمخبر به على الاول الجعل الناسخ وعلى الثاني المنسوخ والمعنى ان اصل امرك
ان تستقبل الكعبة وما جعلنا قبلتك بيت المقدس الا لنعلم من يتبع الرسول
ممن ينقلب على عقبيه الا لنمتحن الناس ونعلم من يتبعك في الصلوة اليها ممن يرتد عن
دينك الفا لقبلة آبائه او لنعلم الآن من يتبع الرسول ممن لا يتبعه وما كان لعارض
يزول بزواله وعلى الاول معناه ما رددناك الى ما كنت عليها الا لنعلم الثابت على الاسلام
ممن ينكص على عقبيه لقلقه ايمانه فان قيل كيف يكون علمه تعالى غاية الجعل وهو لم
يزل عالما قلت هذا واشباهه باعتبار التعلق الحالي الذي هو مناط الجزاء والمعنى
ليتعلق علمنا به موجودا وقيل ليعلم رسوله والمؤمنون لكنه اسند الى نفسه
لانهم خواصه او لتميز الثابت عن المتزلزل كقوله ليميز الله الخبيث من الطيب
فوضع العلم موضع التميز المسبب عنه ويشهد له قراءة ليعلم على البناء للمفعول
والعلم اما بمعنى المعرفة او معلق لما في من من معنى الاستفهام او مفعوله الثاني
ممن ينقلب على عقبيه اي لنعلم من يتبع الرسول متميزا ممن ينقلب وان كانت لكبيرة
ان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفاصلة وقال الكوفيون هي النافية واللام

بمعنى الا والضمير لما دل عليه قوله وما جعلنا القبلة التي كنت عليها من الجعلة
او التولية او التحويلة او للقبلة وقرئ لكبيرة بالرفع فيكون كان زائدة الا على
الذين هدى الله الى حكمة الاحكام الثابتين على الايمان والاتباع وما كان الله
ليضيع ايمانكم اي ثباتكم على الايمان وقيل ايمانكم بالقبلة المنسوخة او صلوتكم
اليها لما روي انه عم لما وجه الى الكعبة قالوا كيف بمن مات يا رسول الله قبل التحويل
من اخواننا فنزلت ان الله بالناس لرؤف رحيم فلا يضيع اجورهم ولا يدع صلاحهم
ولعله قدم الرؤف وهو ابلغ محافظة على الفواصل قد نرى تقلب وجهك في
السماء تردد وجهك في جهة السماء تطلعا للوحي وكان رسول الله عم يقع في روعه
ويتوقع من ربه ان يحوله الى الكعبة لانها قبلة ابيه ابرهيم واقدم القبلتين
وادعى للعرب الى الايمان ولمخالفة اليهود وذلك يدل على كمال ادبه حيث انتظر و
لم يسأل فلنولينك قبلة فلنمكننك من استقبالها من قولك وليته كذا اذا صيرته
واليا له او فلنجعلنك تلي جهتها ترضاها تحبها وتتشوق اليها لمقاصد دينية
وافقت مشيئة الله وحكمته فول وجهك اصرف وجهك شطر المسجد الحرام نحوه و
قيل الشطر في الاصل لما انفصل عن الشيء من شطر اذا انفصل ودار شطور منفصلة عن
الدور ثم استعمل لجانبه وان لم ينفصل كالقطر والحرام المحرم اي محرم فيه القتال
او ممنوع عن الظلمة ان يتعرضوه وانما ذكر المسجد دون الكعبة لانه عم كان في
المدينة والبعيد يكفيه مراعاة الجهة فان استقبال عينها حرج عليه بخلاف
القريب روي انه عم قدم المدينة فصلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهرا ثم وجه الى
الكعبة في رجب بعد الزوال قبل قتال بدر بشهرين وقد صلى باصحابه في مسجد
بني سلمة ركعتين من الظهر فتحول في الصلوة واستقبل الميزاب وتبادل الرجال
والنساء صفوفهم فسمي المسجد مسجد القبلتين وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره
خص الرسول بالخطاب تعظيما له وايجابا لرغبته ثم عمم تصريحا لعموم الحكم وتأكيدا
لامر القبلة وتحضيضا للامة على المتابعة وان الذين اوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق
من ربهم جملة لعلمهم بان عادته تعالى تخصيص كل شريعة بقبلة وتفصيلا لتضمن
كتبهم انه يصلي الى القبلتين والضمير للتحويل او للتوجه وما الله بغافل عما يعملون
وعد ووعيد للفريقين ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب بكل آية برهان وحجة
على ان الكعبة قبلة واللام موطئة للقسم ما تبعوا قبلتك جواب القسم المضمر و
ساد مسد جواب الشرط والمعنى ما تركوا قبلتك لشبهة تزيلها بحجة وانما خالفوك
مكابرة وعنادا وما انت بتابع قبلتهم قطع لاطماعهم فانهم قالوا لو ثبت

على قبلتنا لكنا نرجو ان يكون صاحبنا الذي ننتظره يعدّ له فطمعًا في رجوعه الى قبلتنا
وان تعددت لكنها متحدة بالبطلان ومخالفة الحق وما بعضهم بتابع قبلة بعض
فان اليهود تستقبل الصخرة والنصارى مطلع الشمس لا يرجى توافقهم كما لا يرجى
موافقتهم لك لتصلب كل حزب فيما هو فيه ولئن اتبعت اهواءهم من بعد ما جاءك من
العلم انك اذا لمن الظالمين على سبيل الفرض والتقدير اي ولئن اتبعتهم مثلا بعدما بان لك الحق وجاءك
فيه الوحي انك اذا لمن الظالمين واكد تهديده وبالغ فيه من سبعة اوجه تعظيما
للحق المعلوم وتحريضا على اقتفائه وتحذيرا عن متابعة الهوى واستفظاعا لصدور
الذنب عن الانبياء الذين آتيناهم الكتاب يعني علماءهم يعرفونه الضمير لرسول الله
وان لم يسبق له ذكر لدلالة الكلام او للعلم او القران او التحويل كما يعرفون ابناءهم
يشهد للاول اي يعرفونه باوصافه كمعرفتهم ابناءهم لا يلتبسون عليهم بغيرهم عن
عمر انه سال عبد الله بن سلام عن رسول الله عم فقال انا اعلم به مني بابني قال ولم قال
لاني لست اشك في محمد انه نبي فاما ولدي فلعل والدته خانت وان فريقا منهم ليكتمون
الحق وهم يعلمون تخصيص لما عاندوا واستثناء لمن امن الحق من ربك كلام مستانف
والحق اما مبتدا خبره من ربك واللام للعهد والاشارة الى ما عليه الرسول او
الحق الذي يكتمونه او للجنس والمعنى ان الحق ما ثبت انه من الله كالذي انت عليه لا ما لم
يثبت كالذي عليه اهل الكتاب واما خبر مبتدا محذوف اي هو الحق ومن ربك
حال موكدة او خبر بعد خبر وقرئ بالنصب على انه بدل من الاول او مفعول يعلمون
فلا تكونن من الممترين الشاكين في انه من ربك او في كتمانهم الحق عالمين به وليس
المراد نهي الرسول عن الشك فيه لانه غير متوقع منه وليس بقصد واختيار بل
اما تحقيق الامر وانه بحيث لا يشك فيه ناظر او امر الامة باكتساب المعارف المزيحة
للشك على الوجه الابلغ ولكل وجهة ولكل امة قبلة او لكل قوم من المسلمين
جهة وجانب من الكعبة والتنوين بدل الاضافة هو موليها احد مفعوليه محذوف
اي هو موليها وجهه او الله تعالى موليها اياه وقرئ ولكل وجهة بالاضافة
والمعنى ولكل وجهة الله موليها اهلها فاللام مزيدة للتاكيد وجبر الضعف العامل
وقرئ ابن عامر مولاها اي هو مولى تلك الجهة قد وليها فاستبقوا الخيرات من امر
القبلة وغيره مما ينال به سعادة الدارين او الفاضلات من الجهات وهي المسامتة
للكعبة اينما تكونوا يأت بكم الله جميعا في اي موضع تكونوا من موافق ومخالف
مجتمع الاجزاء ومفترقها يحشركم الله الى المحشر للجزاء او اينما تكونوا من اعماق
الارض وقلل الجبال يقبض ارواحكم او اينما تكونوا من الجهات المتقابلة يأت بكم

الله جميعا ويجعل صلواتكم كانها الى جهة واحدة ان الله على كل شيء قدير فيقدر على
الاماتة والاحياء والجمع ومن حيث خرجت ومن اي مكان خرجت للسفر فول وجهك
شطر المسجد الحرام اذا صليت وانه وان هذا الامر للحق من ربك وما الله بغافل
عما تعملون ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم
شطره كرر هذا الحكم لتعدد علله فانه تعالى ذكر للتحويل ثلث علل تعظيم الرسول
بابتغاء مرضاته وجري العادة الالهية على ان يولي لكل اهل ملة وصاحب دعوة
وجهة يستقبلها ويتميز بها ودفع حجج المخالفين على ما نبينه وقرن بكل علة
معلولها كما يقرن المدلول بكل واحد من دلائله تقريبا وتقريرا مع ان القبلة لها
شان والنسخ من مظان الفتنة والشبهة فبالحري ان يوكد امرها ويعاد ذكرها
مرة بعد اخرى لئلا يكون للناس عليكم حجة علة لقوله فولوا والمعنى ان التولية
عن الصخرة الى الكعبة يدفع احتجاج اليهود بان المنعوت في التورية قبلته الكعبة
وان محمدا يجحد ديننا ويتبعنا في قبلتنا والمشركين بانه يدعي ملة ابرهيم ويخالف
قبلته الا الذين ظلموا منهم استثناء من الناس اي لئلا يكون لاحد من الناس
حجة الا المعاندين منهم فانهم يقولون ما تحول الى الكعبة الا ميلا الى دين قومه
وحبا لبلده او بدا له فرجع الى قبلة ابائه ويوشك ان يرجع الى دينهم وسمى
هذه حجة كقوله حجتهم داحضة لانهم يسوقونها مساقها وقيل الحجة بمعنى
الاحتجاج وقيل الاستثناء للمبالغة في نفي الحجة راسا كقوله ولا عيب فيهم
غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب للعلم بان الظالم لا حجة له وقرئ
الا الذين ظلموا على انه استيناف بحرف التنبيه فلا تخشوهم فلا تخافوهم فان
مطاعنهم لا يضركم واخشوني فلا تخالفوا ما امرتكم به ولاتم نعمتي عليكم ولعلكم
تهتدون علة محذوف اي وامرتكم لاتمامي النعمة عليكم وارادتي اهتداءكم او عطف
على علة مقدرة مثل واخشوني لاحفظكم عنهم ولاتم نعمتي عليكم او لئلا يكون
وفي الحديث تمام النعمة دخول الجنة وعن علي رضه تمام النعمة الموت على الاسلام
كما ارسلنا فيكم رسولا منكم متصل بما قبله اي ولاتم نعمتي عليكم في امر القبلة او
في الاخرة كما اتممتها بارسال رسول منكم او بما بعده اي كما ذكرتكم بالارسال فاذكروني
يتلوا عليكم اياتنا ويزكيكم يحملكم على ما تصيرون به ازكياء قدمه باعتبار
القصد واخره في دعوة ابرهيم باعتبار الفعل ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم
ما لم تكونوا تعلمون بالفكر والنظر اذ لا طريق الى معرفته سوى الوحي وكرر الفعل
ليدل على انه جنس اخر فاذكروني بالطاعة اذكركم بالثواب واشكروا لي ما انعمت

في

به عليكم ولا تكفرون بجحد النعم وعصيان الامر يا ايها الذين امنوا استعينوا
بالصبر عن المعاصي وحظوظ النفوس والصلوة التي هي ام العبادات ومعراج
المؤمنين ومناجاة رب العالمين ان الله مع الصابرين بالنصر واجابة الدعوة
ولا تقولوا في سبيل الله اموات اي هم اموات بل احياء بل هم احياء ولكن لا تشعرون
ما حالهم وهو تنبيه على ان حياتهم ليست بالجسد ولا من جنس ما يحس به من الحيوانات
وانما هي امر لا يدرك بالعقل بل بالوحي وعن الحسن ان الشهداء احياء عند الله تعرض
ارزاقهم على ارواحهم فيصل اليهم الروح والفرح كما تعرض النار على ارواح ال
فرعون غدوا وعشيا فيصل اليهم الالم والاية نزلت في شهداء بدر وكانوا اربعة
عشر وفيها دلالة على ان الارواح جواهر قايمة بانفسها مغايرة لما يحس به من
البدن تبقى بعد الموت دراكة وعليه جمهور الصحابة والتابعين وبه نطقت
الايات والسنن وعلى هذا فتخصيص الشهداء لاختصاصهم بالقرب من الله ومزيد
البهجة والكرامة ولنبلونكم ولنصيبنكم اصابة من يختبر لاحوالكم هل تصبرون
من البلاء وتستسلمون للقضاء بشيء من الخوف والجوع اي بقليل من ذلك وانما
قلله بالاضافة الى ما وقاهم عنه ليخفف عليهم ويريهم ان رحمته لا تفارقهم
او بالنسبة الى ما يصيب به معانديهم في الاخرة وانما اخبرهم به قبل وقوعه
ليوطنوا عليه انفسهم ونقص من الاموال والانفس والثمرات عطف على شيء
او الخوف وعن الشافعي رح الخوف خوف الله والجوع صوم رمضان والنقص من
الاموال الزكوات والصدقات ومن الانفس الامراض ومن الثمرات موت الاولاد
وعن النبي عم اذا مات ولد العبد قال الله تعالى للملائكة اقبضتم ولد عبدي
فيقولون نعم فيقول اقبضتم ثمرة قلبه فيقولون نعم فيقول الله تعالى ماذا قال
عبدي فيقولون حمدك واسترجع فيقول الله تعالى ابنوا لعبدي بيتا في الجنة
وسموه بيت الحمد وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا
اليه راجعون الخطاب للرسول او لمن يتاتى منه البشارة والمصيبة تعم ما يصيب
الانسان من مكروه لقوله عم كل شيء يؤذي المؤمن فهو مصيبة وليس الصبر
بالاسترجاع باللسان بل بالقلب بان يتصور ما خلق لاجله وانه راجع الى
ربه ويتذكر نعم الله عليه ليرى ان ما ابقى عليه اضعاف ما استرده منه فيهون
على نفسه ويستسلم له والمبشر به محذوف دل عليه قوله اولئك عليهم
صلوات من ربهم ورحمة الصلوة في الاصل الدعاء ومن الله التزكية والمغفرة
وجمعها للتنبيه على كثرتها وتنوعها والمراد بالرحمة اللطف والاحسان

وعن النبي عم من استرجع عند المصيبة جبر الله مصيبته واحسن عقباه وجعل له
خلفا صالحا يرضيه ان الصفا والمروة هما علما جبلين بمكة من شعاير الله من
اعلام مناسكه جمع شعيرة وهي العلامة فمن حج البيت او اعتمر الحج لغة القصد
والاعتمار الزيارة فغلبا شرعا على قصد البيت وزيارته على الوجهين المخصوصين
فلا جناح عليه ان يطوف بهما كان اساف على الصفا ونايلة على المروة وكان
اهل الجاهلية اذا سعوا مسحوهما فلما جاء الاسلام وكسرت الاصنام تحرج المسلمون
ان يطوفوا بينهما لذلك فنزلت والاجماع على انه مشروع في الحج والعمرة وانما
الخلاف في وجوبه فعن احمد انه سنة وبه قال انس وابن عباس لقوله فلا جناح
فانه يفهم منه التخيير وهو ضعيف لان نفي الجناح يدل على الجواز الداخل في معنى
الوجوب فلا يدفعه وعن ابي حنيفة رح انه واجب يجبر بالدم وعن مالك والشافعي
انه ركن لقوله عم اسعوا فان الله كتب عليكم السعي ومن تطوع خيرا اي فعل طاعة
فرضا كان او نفلا او زاد على ما فرض عليه من حج او عمرة او طواف او تطوع بالسعي
ان قلنا انه سنة وخيرا نصب على انه صفة مصدر محذوف او بحذف الجار و
ايصال الفعل اليه او بتعدية الفعل لتضمنه معنى اتى او فعل وقرا حمزة والكسائي
ويعقوب يطوع واصله يتطوع فادغم مثل يطوف فان الله شاكر عليم مثيب
على الطاعة لا يخفى عليه ان الذين يكتمون كاحبار اليهود ما انزلنا من البينات
كالايات الشاهدة على امر محمد والهدى وما يهدي الى وجوب اتباعه والايمان
به من بعد ما بيناه للناس لخصناه في الكتاب في التورية اولئك يلعنهم الله ويلعنهم
اللاعنون اي الذين يتاتى منهم اللعن عليهم من الملايكة والثقلين الا الذين تابوا
عن الكتمان وساير ما يجب ان يتاب عنه واصلحوا ما افسدوا بالتدارك وبينوا
ما بين الله في كتابهم لتتم توبتهم وقيل ما احدثوه من التوبة ليمحوا اسمه الكفر
عن نفسهم ويقتدي بهم اضرابهم فاولئك اتوب عليهم بالقبول والمغفرة وانا
التواب الرحيم المبالغ في قبول التوبة وافاضة الرحمة ان الذين كفروا وماتوا
وهم كفار اي ومن لم يتب من الكاتمين حتى مات اولئك عليهم لعنة الله والملائكة
والناس اجمعين استقر عليهم لعنة الله ومن يعتد بلعنه من خلقه وقيل الاول
لعنهم احياء وهذا لعنهم امواتا وقرئ والملائكة والناس اجمعون عطفا على محل
اسم الله لانه فاعل في المعنى كقولك اعجبني ضرب زيد وعمرو او فاعلا لفعل مقدر
نحو وتلعنهم الملائكة خالدين فيها اي في اللعنة او النار واضمارها قبل الذكر
تفخيما لشانها وتهويلا او اكتفاء بدلالة اللعن عليها لا يخفف عنهم العذاب

واولئك هم المهتدون للحق والصواب حيث استرجعوا وسلموا لقضاء الله

ولا هم ينظرون لا يمهلون ولا ينظرون ليعتذروا او لا ينظر اليهم نظر رحمة
وإلهكم إله واحد خطاب عام اي المستحق منكم العبادة واحد لا شريك له يصح ان
يعبد او يسمى الها لا اله الا هو تقرير للوحدانية وازاحة لان يتوهم ان في الوجود
الها ولكن لا يستحق منهم العبادة الرحمن الرحيم كالحجة عليها فانه لما كان مولى
النعم كلها اصولها وفروعها وما سواه اما نعمة او منعم عليه لم يستحق العبادة
احد غيره وهما خبران لقوله الهكم او مبتدا محذوف وقيل لما سمعه المشركون
تعجبوا وقالوا ان كنتم صادقا فات باية نعرف بها صدقك فنزلت ان في خلق
السموات والارض انما جمع السموات وافرد الارض لانها طبقات متفاصلة
بالذات مختلفة بالحقيقة بخلاف الارضين واختلاف الليل والنهار تعاقبهما
كقوله جعل الليل والنهار خلفة والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس اي
بنفعهم او بالذي ينفعهم والقصد به الى الاستدلال بالبحر واحواله وتخصيص
الفلك بالذكر لانه سبب الخوض فيه والاطلاع على عجائبه ولذلك قدمه على ذكر
المطر والسحاب لان منشاهما البحر في غالب الامر وتانيث الفلك لانه في معنى
السفينة وقرئ بضمتين على الاصل او الجمع وضمة الجمع غير ضمة الواحد
عند المحققين وما انزل الله من السماء من ماء من الاولى للابتداء والثانية للبيان
والسماء يحتمل الفلك والسحاب وجهة العلو فاحيا به الارض بعد موتها بالنبات
وبث فيها من كل دابة عطف على انزل كانه استدل بنزول المطر وتكوين النبات به
وبث الحيوانات في الارض او على احيا فان الدواب ينمون بالخصب ويعيشون
بالحيا والبث النشر والتفريق وتصريف الرياح في مهابها واحوالها وقرأ حمزة
والكسائي على الافراد والسحاب المسخر بين السماء والارض لا ينزل ولا يتقشع
مع ان الطبع يقتضي احدهما حتى ياتي امر الله وقيل مسخر للرياح تقلبه في الجو
بمشية الله واشتقاقه من السحب لان بعضه يجر بعضا لايات لقوم يعقلون يتفكرون
فيها وينظرون اليها بعيون عقولهم وعنه عليه السلام ويل لمن قرأ هذه الاية فمج بها
اي لم يتفكر فيها واعلم ان دلالة هذه الايات على وجود الاله ووحدته من وجوه
كثيرة يطول شرحها مفصلا والكلام المجمل انها امور ممكنة وجد كل منها
بوجه مخصوص من وجوه محتملة وانحاء مختلفة اذ كان من الجائز مثلا ان لا تتحرك
السموات او بعضها كالارض وان تتحرك بعكس حركاتها وبحيث تصير المنطقة دائرة
مارة بالقطبين وان لا يكون لها اوج وحضيض اصلا او على هذا الوجه لبساطتها
وتساوي اجزائها فلا بد لها من موجد قادر حكيم يوجدها على ما تستدعيه

حكمته ويقتضيه مشيته متعاليا عن معارضة غيره اذ لو كان معه اله يقدر على
ما يقدر عليه فان توافقت ارادتهما فالفعل ان كان لهما لزم اجتماع مؤثرين على
اثر واحد وان كان لاحدهما لزم ترجيح الفاعل بلا مرجح وعجز الاخر المنافي لالهيته
وان اختلفت لزم التمانع والتطارد كما اشار اليه بقوله لو كان فيهما آلهة الا
الله لفسدتا وفي الاية تنبيه على شرف علم الكلام واهله وحث على البحث والنظر
فيه ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا من الاصنام وقيل من الرؤساء الذين
كانوا يطيعونهم لقوله اذ تبرأ الذين اتبعوا ولعل المراد اعم منهما وهو ما يشغله
عن الله يحبونهم اي يعظمونهم ويطيعونهم كحب الله كتعظيمه والميل الى طاعته اي
يسوون بينه وبينهم في المحبة والطاعة والمحبة ميل القلب من الحب استعير لحبة
القلب ثم اشتق منه الحب لانه اصابها ورسخ فيها ومحبة العبد لله ارادة طاعته
والاعتناء بتحصيل مراضيه ومحبة الله للعبد ارادة اكرامه واستعماله في
الطاعة وصونه عن المعاصي والذين آمنوا اشد حبا لله لانه لا تنقطع محبتهم
لله بخلاف محبة الانداد فانها لاغراض فاسدة موهومة تزول بادنى سبب
ولذلك كانوا يعدلون عن آلهتهم الى الله عند الشدائد ويعبدون الصنم زمانا ثم
يرفضونه الى غيره ولو يرى الذين ظلموا ولو يعلم هؤلاء الذين ظلموا باتخاذ الانداد
اذ يرون العذاب اذا عاينوه يوم القيمة واجرى المستقبل مجرى الماضي لتحققه
كقوله ونادى اصحاب الجنة ان القوة لله جميعا ساد مسد مفعولي يرى وجواب
لو محذوف اي لو يعلمون ان القدرة لله جميعا اذا عاينوا العذاب لندموا اشد
الندم وقيل هو متعلق الجواب والمفعولان محذوفان والتقدير لو يرى الذين
ظلموا اندادهم لا تنفع لعلموا ان القوة لله كلها لا ينفع ولا يضر غيره وقرأ ابن
عامر ونافع ويعقوب ولو ترى على انه خطاب للنبي اي ولو ترى ذلك لرايت امرا
عظيما وابن عامر اذ يرون على البناء للمفعول ويعقوب ان بالكسر وكذا وان الله
شديد العذاب على الاستيناف او اضمار القول اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين
اتبعوا بدل من اذ يرون اي اذ تبرأ المتبوعون من الاتباع وقرئ بالعكس اي
تبرأ الاتباع من الرؤساء ورأوا العذاب اي رائين له والواو للحال وقد مضمرة
وقيل عطف على تبرأ وتقطعت بهم الاسباب يحتمل العطف على تبرأ او رأوا والحال
والاول اظهر والاسباب الوصل التي كانت بينهم من الاتباع والاتفاق على
الدين والاغراض الداعية الى ذلك واصل السبب الحبل الذي يرتقى به الشجر
وقرئ تقطعت على البناء للمفعول وقال الذين اتبعوا لو ان لنا كرة فنتبرأ منهم

تبرءوا منا لو للتمني ولذلك اجيب بالفاء اي ليت لنا كرة الى الدنيا فنتبرأ منهم كذلك
مثل ذلك الاراء الفظيع يريهم الله اعمالهم حسرات عليهم ندامات وهي ثالث مفاعيل
ارى ان كان من رؤية القلب والا فحال وما هم بخارجين من النار اصله وما يخرجون
فعدل به الى هذه العبارة للمبالغة في الخلود والاقناط عن الخلاص والرجوع
الى الدنيا يا ايها الناس كلوا مما في الارض حلالا نزلت في قوم حرموا على انفسهم
رفيع الاطعمة والملابس وحلالا مفعول كلوا او صفة مصدر محذوف
او حال مما في الارض ومن للتبعيض اذ لا يؤكل كل ما في الارض طيبا يستطيبه الشرع
او الشهوة المستقيمة اذ الحلال دل على الاول ولا تتبعوا خطوات الشيطان لا
تقتدوا به في اتباع الهوى فتحرموا الحلال وتحلوا الحرام وقرأ نافع وابو عمرو و
حمزة بسكون الطاء وهما لغتان في جمع خطوة وهي ما بين قدمي الخاطي وقرئ بضمتين
وهمزة جعلت ضمة الطاء كانها عليها وبفتحتين على انه جمع خطوة وهي المرة من
الخطو انه لكم عدو مبين ظاهر العداوة عند ذوي البصيرة وان كان يظهر الموالاة
لمن يغويه ولذلك سماه وليا في قوله اولياؤهم الطاغوت انما يامركم بالسوء و
الفحشاء بيان لعداوته ووجوب التحرز عن متابعته واستعير الامر لتزيينه و
بعثه لهم على الشر تسفيها لرأيهم وتحقيرا لشأنهم والسوء والفحشاء ما انكره العقل
واستقبحه الشرع والعطف لاختلاف الوصفين فانه سوء لاغتمام العاقل به و
فحشاء باستقباحه اياه وقيل السوء يعم القبائح والفحشاء ما تجاوز الحد في
القبح من الكبائر وقيل الاول ما لا حد فيه والثاني ما شرع فيه الحد وان تقولوا
على الله ما لا تعلمون كاتخاذ الانداد وتحليل المحرمات وتحريم الطيبات وفيه دليل
على المنع من اتباع الظن رأسا واما اتباع المجتهد لما ادى اليه ظن مستند الى مدرك
شرعي فوجوبه قطعي والظن في طريقه كما بيناه في الكتب الاصولية واذا قيل لهم
اتبعوا ما انزل الله الضمير للناس وعدل عن الخطاب عنهم للنداء على ضلالتهم كانه
التفت الى العقلاء وقال لهم انظروا الى هؤلاء الحمقى ماذا يجيبون قالوا بل نتبع ما
الفينا عليه اباءنا ما وجدناهم عليه نزلت في المشركين امروا باتباع القران
وسائر ما انزل الله من الحجج والايات فجنحوا الى التقليد وقيل في طائفة من اليهود
دعاهم رسول الله صلعم فقالوا بل نتبع ما وجدنا عليه اباءنا لانهم كانوا خيرا منا و
اعلم وعلى هذا يعم ما انزل الله التورية لانها ايضا تدعو الى الاسلام اولو كان
اباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون الواو للحال او العطف والهمزة للرد والتعجب
وجواب لو محذوف اي لو كان اباؤهم جهلة لا يتفكرون في امر الدين ولا يهتدون

الى الحق لاتبعوهم وهو دليل على المنع من التقليد لمن قدر على النظر والاجتهاد و
اما اتباع الغير في الدين اذا علم بدليل ما انه محق كالانبياء والمجتهدين في الاحكام
فهو في الحقيقة ليس بتقليد بل اتباع لما انزل الله ومثل الذين كفروا كمثل الذي
ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء على حذف مضاف تقديره ومثل داعي الذين كفروا
كمثل الذي ينعق او مثل الذين كفروا كمثل بهائم الذي ينعق والمعنى ان الكفرة لانهماكهم
في التقليد لا يلقون اذهانهم الى ما يتلى عليهم ولا يتأملون فيما يقرر معهم فهم في
ذلك كالبهائم التي ينعق عليها فتسمع الصوت ولا تعرف مغزاه وتحس بالنداء و
لا تفهم معناه وقيل هو تمثيلهم في اتباع ابائهم على ظاهر حالهم جاهلين بحقيقتها
بالبهائم التي تسمع الصوت ولا تفهم ما تحته او تمثيلهم في دعائهم الاصنام بالناعق
في نعقه وهو التصويت على البهائم وهذا يغني عن الاضمار ولكن لا يساعده قوله
الا دعاء ونداء لان الاصنام لا تسمع الا ان يجعل ذلك من باب التمثيل المركب صم
بكم عمي رفع على الذم فهم لا يعقلون اي بالفعل للاخلال بالنظر يا ايها الذين امنوا
كلوا من طيبات ما رزقناكم لما وسع الامر على الناس كافة واباح لهم ما في
الارض سوى ما حرم عليهم امر المؤمنين منهم ان يتحروا طيبات ما رزقوا ويقوموا
بحقوقها فقال واشكروا لله على ما رزقكم واحل لكم ان كنتم اياه تعبدون فان
عبادته لا تتم الا بالشكر وعن النبي يقول الله تعالى اني والانس والجن في نبأ عظيم
اخلق ويعبد غيري وارزق ويشكر غيري انما حرم عليكم الميتة اكلها والانتفاع
بها وهي التي ماتت من غير ذكاة والسمك والجراد اخرجهما العرف عنها واستثنى
الشرع والدم ولحم الخنزير وانما خص اللحم بالذكر لانه معظم ما يؤكل من الحيوان
وسائر اجزائه كالتابع له وما اهل به لغير الله اي رفع به الصوت عند ذبحه
للصنم والاهلال رؤية الهلال لكن لما جرت العادة ان يرفع الصوت بالتكبير
اذا روي سمي ذلك اهلالا ثم قيل لرفع الصوت وان كان لغيره فمن اضطر غير
باغ بالاستئثار على مضطر اخر ولا عاد سد الرمق او الجوعة وقيل غير باغ على
الوالي ولا عاد بقطع الطريق فعلى هذا لا يباح للعاصي بالسفر وهو ظاهر مذهب
الشافعي رضه وقول احمد فلا اثم عليه في تناوله ان الله غفور لما فعل رحيم
بالرخصة فيه فان قيل انما يفيد قصر الحكم على ما ذكر وكم من حرام لم يذكر قلت
المراد قصر الحرمة على ما ذكر مما استحلوه لا مطلقا او قصر حرمته على حال
الاختيار كانه قيل انما حرم عليكم هذه الاشياء ما لم تضطروا اليها ان الذين
يكتمون ما انزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا عوضا حقيرا اولئك ما

كلهم

ما يأكلون في بطونهم إلا النار إما في الحال لأنهم أكلوا ما يتلبس بالنار لكونها عقوبة
عليه فكأنه أكل النار كقوله أكلت دماً إن لم أرعك بضرة بعيدة مهوى القرط
طيبة النشر يعني الدية أو في المآل أي لا يأكلون يوم القيمة إلا النار ومعنى في بطونهم
ملء بطونهم يقال أكل في بطنه وأكل في بعض بطنه كلوا في بعض بطنكم تعفوا و
لا يكلمهم الله يوم القيمة عبارة عن غضبه عليهم وتعريض بحرمانهم حال مقابليهم في
الكرامة والزلفى من الله ولا يزكيهم لا يثني عليهم ولهم عذاب أليم مؤلم أولئك الذين
اشتروا الضلالة بالهدى في الدنيا والعذاب بالمغفرة في الآخرة بكتمان الحق للمطامع
والأغراض الدنيوية فما أصبرهم على النار تعجب من حالهم في الالتباس بموجبات النار
من غير مبالاة وما تامة مرفوعة بالابتداء وتخصيصها كتخصيص قولهم شر أهر
ذا ناب أو استفهامية وما بعدها الخبر أو موصولة وما بعدها صلة والخبر
محذوف ذلك بأن الله نزل الكتاب بالحق أي ذلك العذاب بسبب أن الله نزل الكتاب
بالحق فرفضوه بالتكذيب أو الكتمان وإن الذين اختلفوا في الكتاب اللام فيه
إما للجنس واختلافهم إيمانهم ببعض كتب الله وكفرهم ببعض أو العهد والإشارة
إما إلى التورية واختلفوا بمعنى تخلفوا عن المنهج المستقيم في تأويلها أو خلفوا
خلاف ما أنزل الله مكانه أي حرفوا ما فيها وإما إلى القرآن واختلافهم فيه قولهم
سحر وتقول وكلام علمه بشر وأساطير الأولين لفي شقاق بعيد لفي خلاف بعيد
عن الحق ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب البر كل فعل مرضي الخطاب
لأهل الكتاب فإنهم أكثروا الخوض في أمر القبلة حين حولت وادعى كل طائفة
أن البر هو التوجه إلى قبلته فرد الله عليهم وقال ليس البر ما أنتم عليه فإنه
منسوخ ولكن البر ما بينته واتبعه المؤمنون وقيل عام لهم وللمسلمين أي
ليس البر مقصوراً بأمر القبلة أو ليس البر العظيم الذي يحسن أن تذهلوا بشأنه
عن غيره أمرها ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين
أي ولكن البر الذي ينبغي أن يهتم به بر من آمن بالله أو لكن ذا البر من آمن ويؤيده
قراءة من قرأ ولكن البار والأول أوفق وأحسن والمراد بالكتاب الجنس أو القرآن
وآتى المال على حبه أي على حب المال كما قال عم لما سئل أي الصدقة أفضل أن
تؤتيه وأنت صحيح شحيح تخشى الفقر وتأمل الغنى وقيل الضمير لله أو للمصدر والجار
والمجرور في موضع الحال ذوي القربى واليتامى يريد المحاويج منهم ولم يقيد
لعدم الالتباس وقدم ذوي القربى لأن إيتاءهم أفضل لأنه صدقة وصلة كما قال عم
والمساكين جمع المسكين وهو الذي أسكنته الخلة وأصله دائم السكون

كالمسكير للدائم السكر وابن السبيل المسافر سمي به لملازمته السبيل كما سمي القاطع
ابن الطريق وقيل الضيف لأن السبيل يرعف به والسائلين الذين ألجأتهم الحاجة
إلى السؤال وقال عم للسائل حق وإن جاء على فرسه وفي الرقاب وفي تخليصها بمعاونة
المكاتبين أو فك الأسارى أو ابتياع الرقاب لعتقها وأقام الصلوة المفروضة
وآتى الزكوة يحتمل أن يكون المقصود منه ومن قوله وآتى المال الزكوة المفروضة
ولكن الغرض من الأول بيان مصارفها وبالثاني أداؤها والحث عليها ويحتمل أن
يكون المراد بالأول نوافل الصدقات أو حقوقاً كانت في المال سوى الزكوة وفي
الحديث نسخت الزكوة كل صدقة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا عطف على من آمن
والصابرين في البأساء والضراء نصبه على المدح ولم يعطف لفضل الصبر على
سائر الأعمال وعن الأزهري البأساء في الأموال كالفقر والضراء في الأنفس كالمرض
وحين البأس وقت مجاهدة العدو أولئك الذين صدقوا في الدين واتباع الحق
وطلب البر وأولئك هم المتقون عن الكفر وسائر الرذائل والآية كما ترى جامعة
للكمالات الإنسانية بأسرها دالة عليها صريحاً أو ضمناً فإنها بكثرتها وتشعبها
منحصرة في ثلثة أشياء صحة الاعتقاد وحسن المعاشرة وتهذيب النفس وقد
أشير إلى الأول بقوله من آمن إلى والنبيين وإلى الثاني بقوله وآتى المال إلى
وفي الرقاب وإلى الثالث بقوله وأقام الصلوة إلى آخرها ولذلك وصف المستجمع
لها بالصدق نظراً إلى إيمانه واعتقاده وبالتقوى اعتباراً بمعاشرته للخلق
ومعاملته مع الحق وإليه أشار بقوله عم من عمل بهذه الآية فقد استكمل الإيمان
يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد و
الأنثى بالأنثى كان في الجاهلية بين حيين من أحياء العرب دماء وكان لأحدهما
طول على الآخر فأقسموا لنقتلن الحر منكم بالعبد والذكر بالأنثى فلما جاء الإسلام
تحاكموا إلى رسول الله عم فنزلت وأمرهم أن يتباوؤا ولا تدل على أن لا يقتل الحر
بالعبد والذكر بالأنثى كما لا تدل على عكسه فإن المفهوم إنما يعتبر حيث لم يظهر
للتخصيص غرض سوى اختصاص الحكم وقد بينا ما كان الغرض وإنما منع مالك
والشافعي رح قتل الحر بالعبد سواء كان عبده أو عبد غيره لما روي عن علي رض أن
رجلاً قتل عبده فجلده رسول الله عم ونفاه سنة ولم يقده به وروي عنه أنه
قال من السنة أن لا يقتل مسلم بذي عهد ولا حر بعبد ولأن أبا بكر وعمر رض
كانا لا يقتلان الحر بالعبد بين أظهر الصحابة من غير نكير وللقياس على الأطراف
ومن سلم دلالته فليس له دعوى نسخه بقوله النفس بالنفس لأنه حكاية ما في

التورية فلا ينسخ ما في القران واحتجت الحنفية به على ان مقتضى العمد القود وحده
وهو ضعيف اذ الواجب على التخيير يصدق عليه انه وجب وكتب ولذلك قيل التخيير
بين الواجب وغيره ليس نسخا لوجوبه وقرئ كتب على البناء للفاعل والقصاص
بالنصب وكذلك كل فعل جاء في القران فمن عفي له من اخيه شيء اي شيء من العفو لان
عفا لازم وفائدته الاشعار بان بعض العفو كالعفو التام في اسقاط القصاص
وقيل عفي بمعنى ترك وشيء مفعول به وهو ضعيف اذ لم يثبت عفا الشيء بمعنى تركه
بل اعفاه وعفا يعدى بعن الى الجاني والى الذنب قال الله تعالى عفا الله عنك وقال
عفا الله عنها فاذا عدي به الى الذنب عدي الى الجاني باللام وعليه ما في الاية
كانه قيل فمن عفي له عن جنايته من جهة اخيه يعني ولي الدم وذكره بلفظ الاخوة
الثابتة بينهما من الجنسية والاسلام ليرق له ويعطف عليه فاتباع بالمعروف
واداء اليه باحسان اي فليكن اتباع او فالامر اتباع والمراد به وصية العافي
بان يطالب الدية بالمعروف فلا يعنف والمعفو عنه بان يؤديها بالاحسان وهو
ان لا يمطل ولا يبخس وفيه دليل على ان الدية احد مقتضى العمد والا لما رتب الامر
بادائها على مطلق العفو وللشافعي رضه في المسئلة قولان ذلك اي الحكم المذكور من
العفو والدية تخفيف من ربكم ورحمة لما فيه من التسهيل والنفع وقيل كتب على
اليهود القصاص وحده وعلى النصارى العفو مطلقا وخير هذه الامة بينهما وبين
الدية تيسيرا عليهم وتقديرا للحكم على حسب مراتبهم فمن اعتدى بعد ذلك قتل بعد
العفو واخذ الدية فله عذاب اليم في الاخرة وقيل في الدنيا بان يقتل لا محالة لقوله عم
لا اعافي احدا قتل بعد اخذه الدية ولكم في القصاص حيوة كلام في غاية الفصاحة
والبلاغة من حيث جعل الشيء محل ضده وعرف القصاص ونكر الحيوة ليدل على ان
في هذا الجنس من الحكم نوعا من الحيوة عظيما وذلك لان العلم به يردع القاتل
عن القتل فيكون سبب حيوة نفسين ولانهم كانوا يقتلون غير القاتل والجماعة
بالواحد فتثور الفتنة بينهم فاذا اقتص من القاتل سلم الباقون ويصير ذلك
سببا لحيوتهم وعلى الاول فيه اضمار وعلى الثاني تخصيص وقيل المراد بها الحيوة
الاخروية فان القاتل اذا اقتص منه في الدنيا لم يواخذ به في الاخرة ولكم في القصاص
يحتمل ان يكونا خبرين لحيوة وان يكون احدهما خبرا والاخر صلة له او حالا
عن الضمير المستكن فيه وقرئ في القصص اي فيما قص عليكم من حكم القتل
حيوة او في القران حيوة للقلوب يا اولي الالباب ذوي العقول الكاملة ناداهم
للتامل في حكمة القصاص من استبقاء الارواح وحفظ النفوس لعلكم تتقون

في المحافظة على القصاص والحكم به والاذعان له او عن القصاص فتكفوا عن
القتل كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت اي حضر اسبابه وظهر اماراته ان ترك خيرا
اي مالا وقيل مالا كثيرا لما روي عن علي رضه ان مولى له اراد ان يوصي وله سبعماية
درهم فمنعه وقال قال الله تعالى ان ترك خيرا والخير هو المال الكثير وعن عايشة رضه
ان رجلا اراد ان يوصي فسالته كم مالك فقال ثلثة الاف فقالت كم عيالك قال
اربعة قالت انما قال الله ان ترك خيرا وان هذا الشيء يسير فاتركه لعيالك الوصية
للوالدين والاقربين مرفوع بكتب وتذكير فعلها للفصل او على تاويل ان يوصي او
الايصاء ولذلك ذكر الراجع في قوله فمن بدله والعامل في اذا مدلول كتب لا الوصية
لتقدمه عليها وقيل مبتداء خبره للوالدين والجملة جواب الشرط باضمار الفاء
كقوله من يفعل الحسنات الله يشكرها ورد بانه ان صح فمن ضرورات الشعر وكان
هذا الحكم في بدء الاسلام فنسخ باية المواريث وبقوله عم ان الله اعطى كل ذي
حق حقه الا لا وصية لوارث وفيه نظر لان اية المواريث لا تعارضه بل تؤكده
من حيث انها تدل على تقديم الوصية مطلقا والحديث من الاحاد وتلقي الامة له
بالقبول لا يلحقه بالمتواتر ولعله احترز عنه من فسر الوصية بما اوصى به الله
عليهم من توريث الوالدين والاقربين بقوله يوصيكم او بايصاء المحتضر لهم بتوفير
ما اوصى به الله عليهم بالمعروف بالعدل فلا يفضل الغني ولا يتجاوز الثلث حقا
على المتقين مصدر مؤكد اي حق ذلك حقا فمن بدله غيره من الاوصياء والشهود
بعدما سمعه وصل اليه وتحقق عنده فانما اثمه على الذين يبدلونه فما اثم
الايصاء المغير او التبديل الا على مبدله لانه الذي خاف وخالف الشرع ان
الله سميع عليم وعيد للمبدل بغير حق فمن خاف من موص اي توقع وعلم من قولهم
اخاف ان ترسل السماء جنفا ميلا بالخطاء في الوصية او اثما تعمدا للحيف فاصلح
بينهم بين الموصى لهم باجرائهم على نهج الشرع فلا اثم عليه في هذا التبديل لانه تبديل باطل
الى حق بخلاف الاول ان الله غفور رحيم وعد للمصلح وذكر المغفرة لمطابقة ذكر
الاثم وكون الفعل من جنس ما يؤثم يا ايها الذين امنوا كتب عليكم الصيام كما كتب
على الذين من قبلكم يعني الانبياء والامم من لدن ادم وفيه توكيد للحكم و
ترغيب على الفعل وتطييب على النفس والصوم في اللغة الامساك عما تنازع اليه
النفس وفي الشرع الامساك عن المفطرات فانها معظم ما تشتهيه الانفس لعلكم تتقون
المعاصي فان الصوم يكسر الشهوة التي هي مبدؤها كما قال عم فعليه بالصوم
فان الصوم له وجاء او الاخلال بادائها لاصالتها وقدمها اياما معدودات

موقتات بعدد معلوم او قلائل فان القليل من المال يعد عدا والكثير يهال
هيلا ونصبها ليس بالصيام لوقوع الفصل بينهما بل باضمار صوموا لدلالة
الصيام عليه والمراد بها رمضان او ما وجب صومه قبل وجوبه ونسخ به وهو
عاشوراء او ثلثة ايام من كل شهر او بكما كتب على الظرفية او على انه مفعول ثان
لكتب عليكم على السعة وقيل معناه صومكم كصومهم في عدد الايام لما روي
ان رمضان كتب على النصارى فوقع في برد او حر شديد فحولوه الى الربيع وزادوا
عليه عشرين كفارة لتحويله وقيل زادوا ذلك لموتان اصابهم فمن كان منكم
مريضا يضره الصوم ويعسر معه او على سفر او راكب سفر وفيه ايماء بان من سافر
اثناء اليوم لم يفطر فعدة من ايام اخر اي فعليه صوم عدة ايام المرض او السفر
من ايام اخر ان افطر فحذف الشرط والمضاف والمضاف اليه للعلم بها وقرئ
بالنصب اي فليصم عدة وهذا على سبيل الرخصة وقيل على الوجوب واليه
ذهب الظاهرية وبه قال ابو هريرة وعلى الذين يطيقونه وعلى المطيقين للصيام
ان افطروا فدية طعام مسكين نصف صاع من بر او صاع من غيره عند فقهاء
العراق ومد عند فقهاء الحجاز رخص لهم في ذلك اول الامر لما امروا بالصوم
فاشتد عليهم لانهم لم يتعودوه ثم نسخ وقرأ نافع وابن عامر باضافة الفدية
الى الطعام وجمع المساكين وقرئ يطوقونه ويتطوقونه من الطوق بمعنى الطاقة
او القلادة ويتطوقونه اي يتكلفونه او يتقلدونه ويطوقونه بالادغام
ويطيقونه ويطيقونه على ان اصلهما يطيوقونه ويتطيوقونه من فيعل بمعنى
يتطيقونه وعلى هذه القراءات يحتمل معنى ثانيا وهو الرخصة لمن يتعبه الصوم
ويجهده وهم الشيوخ والعجائز في الافطار والفدية فيكون ثابتا وقد اول
به القراءة المشهورة اي يصومونه جهدهم وطاقتهم فمن تطوع خيرا فزاد في
الفدية فهو فالتطوع او الخير خير له وان تصوموا ايها المطيقون او المطوقون
وجهدتم طاقتكم او المرخصون في الافطار ليندرج تحته المريض والمسافر خير
لكم من الفدية او تطوع الخير او منهما ومن التاخير للقضاء ان كنتم تعلمون
ما في الصوم من الفضيلة وبراءة الذمة وجوابه محذوف دل عليه ما قبله
اي اخترتموه وقيل معناه ان كنتم من اهل العلم والتدبر علمتم ان الصوم خير
من ذلك شهر رمضان مبتدا خبره ما بعده او خبر محذوف تقديره ذلكم شهر
رمضان او بدل من الصيام على حذف المضاف اي كتب عليكم الصيام صيام شهر
رمضان وقرئ بالنصب على اضمار صوموا او على انه مفعول وان تصوموا

او بدل من ايام معدودات ورمضان مصدر رمض اذا احترق فاضيف اليه
الشهر وجعل علما ومنع من الصرف للعلمية والالف والنون كما منع داية في
ابن داية علما للغراب للعلمية والتانيث وقوله عم من صام رمضان فعلى حذف
المضاف لامن الالتباس وانما سموه بذلك اما لارتماضهم فيه من حر الجوع و
العطش او لارتماض الذنوب فيه او لوقوعه ايام رمض الحر حينما نقلوا اسما
عن اللغة القديمة الذي انزل فيه القران اي ابتدئ فيه انزاله وكان ذلك
ليلة القدر او انزل فيه جملة الى سماء الدنيا ثم نزل منجما الى الارض او انزل
في شانه القران وهو قوله كتب عليكم الصيام وعن النبي عم نزلت صحف ابرهيم
اول ليلة رمضان وانزلت التورية لست مضين والانجيل لثلث عشرة والقران
لاربع وعشرين والموصول بصلته خبر المبتدا او صفته والخبر فمن شهد و
الفاء لوصف المبتدا بما تضمن معنى الشرط وفيه اشعار بان الانزال فيه سبب
اختصاصه بوجوب الصوم فيه هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان حالان
من القران اي انزله وهو هداية للناس باعجازه وايات واضحات مما يهدي الى الحق
ويفرق بينه وبين الباطل بما فيه من الحكم والاحكام فمن شهد منكم الشهر فليصمه
فمن حضر في الشهر فلم يكن مسافرا فليصم فيه والاصل فمن شهد فيه فليصم فيه
لكن وضع المظهر موضع المضمر الاول للتعظيم ونصب على الظرف وحذف الجار
ونصب الضمير الثاني على الاتساع وقيل فمن شهد منكم هلال الشهر فليصمه على
على انه مفعول به كقولك شهدت الجمعة اي صلوتها فيكون ومن كان مريضا
او على سفر فعدة من ايام اخر مخصصا له لان المسافر والمريض ممن شهد الشهر
ولعل تكريره لذلك او لئلا يتوهم نسخه كما نسخ قرينه يريد الله بكم اليسر ولا يريد
بكم العسر اي يريد ان ييسر عليكم ولا يعسر فلذلك اباح الفطر بالسفر والمرض ولتكملوا
العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون علل لفعل محذوف دل
عليه ما سبق اي وشرع جملة ما ذكر من امر الشاهد بصوم الشهر والمرخص بالقضاء
ومراعاة عدة ما افطر فيه والترخيص لتكملوا العدة الى اخرها على سبيل
اللف فان قوله ولتكملوا علة الامر بمراعاة العدة ولتكبروا الله علة الامر
بالقضاء وبيان كيفيته ولعلكم تشكرون علة الترخيص والتيسير او لافعال
كل لفعله او معطوف على علة مقدرة مثل ليسهل عليكم او لتعلموا ما تعملون
ولتكملوا ويجوز ان يعطف على اليسر اي ويريد بكم لتكملوا كقوله يريدون ليطفئوا
نور الله والمعنى بالتكبير تعظيم الله والثناء عليه ولذلك عدي بعلى وقيل تكبير

يوم الفطر وقيل التكبير عند الإهلال وما يحتمل المصدر والخبر أي الذي هداكم
إليه وعاصم ولتكملوا بالتشديد وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أي فقل لهم
إني قريب وهو تمثيل لكمال علمه بأفعال العباد وأقوالهم واطلاعه على أحوالهم بحال
من قرب مكانه منهم روي أن أعرابيا قال لرسول الله أقريب ربنا فنناجيه أم بعيد
فنناديه فنزلت أجيب دعوة الداع إذا دعان تقرير للقرب ووعد للداعي بالإجابة
فليستجيبوا لي إذا دعوتهم للإيمان والطاعة كما أجيبهم إذا دعوني لمهماتهم
وليؤمنوا بي أمر بالثبات والمداومة لعلهم يرشدون راجين إصابة الرشد
وهو إصابة الحق وقرئ بفتح الشين وكسرها واعلم أنه تعالى لما أمرهم بصوم الشهر
ومراعاة العدة وحثهم على القيام بوظائف التكبير والشكر عقبه بهذه الآية الدالة
على أنه خبير بأحوالهم سميع لأقوالهم مجيب لدعائهم مجاز على أعمالهم تأكيدا له وحثا
عليه ثم بين أحكام الصوم فقال أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم روي
أن المسلمين كانوا إذا أمسوا حل لهم الأكل والشرب والجماع إلى أن يصلوا العشاء الآخرة
أو يرقدوا ثم إن عمر رض باشر بعد العشاء فندم وأتى النبي عم واعتذر إليه
فقام رجال واعترفوا بما صنعوا بعد العشاء فنزلت وليلة الصيام الليلة التي
يصبح منها صائما والرفث كناية عن الجماع لأنه لا يكاد يخلو من رفث وهو الإفصاح
بما يجب أن يكنى عنه وعدي بإلى لتضمنه معنى الإفضاء وإيثاره هاهنا لتقبيح
ما ارتكبوه ولذلك سماه خيانة وقرئ الرفوث هن لباس لكم وأنتم لباس لهن
استئناف يبين سبب الإحلال وهو قلة الصبر عنهن وصعوبة اجتنابهن لكثرة
المخالطة وشدة الملابسة ولما كان الرجل والمرأة يعتنقان ويشتمل كل
منهما على صاحبه شبه باللباس قال الجعدي إذا ما الضجيع ثنى عطفها تثنت
فكانت عليه لباسا أو لأن كلا منهما يستر حال صاحبه ويمنعه من الفجور علم
الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم تظلمونها بتعريضها للعقاب وتنقيص حظها من
الثواب والاختيان أبلغ من الخيانة كالاكتساب من الكسب فتاب عليكم لما تبتم مما اقترفتموه
وعفا عنكم ومحا عنكم أثره فالآن باشروهن لما نسخ عنكم التحريم وفيه دليل
على جواز نسخ السنة بالقرآن والمباشرة إلزاق البشرة بالبشرة كني به عن الجماع
وابتغوا ما كتب الله لكم واطلبوا ما قدره لكم وأثبته في اللوح من الولد والمعنى
أن المباشر ينبغي أن يكون غرضه الولد فإنه الحكمة من خلق الشهوة وشرع
النكاح لا قضاء الوطر وقيل النهي عن العزل وقيل عن غير المأتى والتقدير وابتغوا
المحل الذي كتبه الله لكم وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود

شبه أول ما يبدو من الفجر المعترض في الأفق وما يمتد معه من غبش الليل
بخيطين أبيض وأسود واكتفي ببيان الخيط الأبيض بقوله من الفجر عن بيان الخيط
الأسود لدلالته عليه وبذلك خرجا عن الاستعارة إلى التمثيل ويجوز أن يكون
من للتبعيض فإن ما يبدو بعض الفجر وما روي أنها نزلت ولم ينزل من الفجر فعمد
رجال إلى الخيطين الأبيض والأسود ولا يزالون يأكلون ويشربون حتى يتبينا لهم
فنزلت إن صح فلعله كان قبل دخول رمضان وتأخير البيان إلى وقت الحاجة
جائز أو اكتفي أولا باشتهارهما في ذلك ثم صرح بالبيان لما التبس على بعضهم وفي
تجويز المباشرة إلى الصبح الدلالة على جواز تأخير الغسل إليه وصحة صوم المصبح
جنبا ثم أتموا الصيام إلى الليل بيان آخر وقته وإخراج الليل عنه ونفي صوم الوصال
ولا تباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد معتكفون فيها والاعتكاف هو اللبث
في المسجد بقصد القربة والمراد بالمباشرة الوطء وعن قتادة كان الرجل يعتكف
فيخرج إلى امرأته فيباشرها ثم يرجع فنهوا عن ذلك وفيه دليل على أن الاعتكاف
يكون في المسجد ولا يختص بمسجد دون مسجد وأن الوطء يحرم فيه ويفسده لأن
النهي في العبادات يوجب الفساد تلك حدود الله أي الأحكام التي ذكرت فلا تقربوها
نهى أن يقرب الحد الحاجز بين الحق والباطل لئلا يداني الباطل فضلا عن أن يتخطى كما
قال عم إن لكل ملك حمى وإن حمى الله محارمه فمن رتع حول الحمى يوشك أن يقع فيه
وهو أبلغ من قوله فلا تعتدوها ويجوز أن يريد بحدود الله محارمه ومناهيه
كذلك مثل ذلك التبيين يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون مخالفة الأوامر و
النواهي ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل أي ولا يأكل بعضكم مال بعض بالوجه
الذي لم يبحه الله وبين نصب على الظرف أو الحال من الأموال وتدلوا بها إلى
عطف على النهي أو نصب بإضمار أن والإدلاء الإلقاء أي ولا تلقوا حكومتها إلى
الحكام لتأكلوا بالتحاكم فريقا طائفة من أموال الناس بالإثم بما يوجب إثما كشهادة
الزور واليمين الكاذبة أو ملتبسين بالإثم وأنتم تعلمون أنكم مبطلون فإن ارتكاب
المعصية مع العلم بها أقبح روي أن عبدان الحضرمي ادعى على امرئ القيس الكندي
قطعة أرض ولم يكن له بينة فحكم رسول الله عم بأن يحلف امرؤ القيس فهم به
وقرأ عليه السلام إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا فارتدع
عن اليمين وسلم الأرض إلى عبدان فنزلت وهي دليل على أن حكم القاضي لا ينفذ
باطنا ويؤيده قوله عم إنما أنا بشر مثلكم وأنتم تختصمون إلي ولعل بعضكم يكون
الحق بحجته من بعض فأقضي له على نحو ما أسمع منه فمن قضيت له بشيء من حق أخيه

وانما فضل له قطعة من النار يسئلونك عن الاهلة سأله معاذ بن جبل وثعلبة
بن غنم فقالا ما بال الهلال يبدو دقيقا كالخيط ثم يزيد حتى يستوي ثم لا يزال
ينقص حتى يعود كما بدأ قل هي مواقيت للناس والحج فانهم سألوا عن الحكمة في اختلاف
حال القمر وتبدل امره فامره الله ان يجيب بان الحكمة الظاهرة في ذلك ان يكون
معالم للناس يوقتون بها امورهم ومعالم للعبادات الموقتة تعرف بها اوقاتها
وخصوصا الحج فان الوقت مراعى فيه اداء وقضاء والمواقيت جمع ميقات من الوقت
والفرق بينه وبين المدة والزمان ان المدة المطلقة امتداد حركة الفلك من مبدئها
الى منتهاها والزمان مدة مقسومة والوقت الزمان المفروض لامر وليس البر
بان تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى كانت الانصار اذا احرموا لم يدخلوا
دارا ولا فسطاطا من بابه وانما يدخلون ويخرجون من نقب او فرجة وراءه ويعدون
ذلك برا فبين لهم انه ليس ببر وانما البر بر من اتقى المحارم والشهوات ووجه
اتصاله بما قبله انهم سألوا عن الامرين او انه لما ذكر انها مواقيت الحج وهذا ايضا
من افعالهم في الحج ذكره للاستطراد او انهم لما سألوا عما لا يعنيهم ولا يتعلق
بعلم النبوة وتركوا السؤال عما يعنيهم ويختص بعلم النبوة عقب بذكره جواب
ما سألوه تنبيها على ان اللائق بهم ان يسألوا امثال ذلك ويهتموا بالعلم بها او ان
المراد به التنبيه على تعكيسهم السؤال بمثال من ترك باب البيت ودخل من ورائه
والمعنى وليس البر بان تعكسوا في مسائلكم ولكن البر من اتقى ذلك ولم يجسر على
مثله وأتوا البيوت من ابوابها اذ ليس في العدول بر فباشروا الامور من وجوهها
واتقوا الله في تغيير احكامه والاعتراض على افعاله لعلكم تفلحون لكي تظفروا
بالهدى والبر وقاتلوا في سبيل الله جاهدوا لاعلاء كلمته واعزاز دينه الذين
يقاتلونكم قيل كان ذلك قبل ان امروا بقتال المشركين كافة المقاتلين منهم والمحاجزين
وقيل معناه الذين يناصبونكم القتال ويتوقع منهم ذلك دون غيرهم من المشايخ
والصبيان والرهابنة والنساء او الكفرة كلهم فانهم بصدد قتال المسلمين
وعلى قصده ويؤيد الاول ما روي ان المشركين صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عام
الحديبية وصالحوه على ان يرجع من قابل فيخلوا له مكة ثلثة ايام فرجع لعمرة
القضاء وخاف المسلمون ان لا يفوا لهم ويقاتلوهم في الحرم والشهر الحرام
وكرهوا ذلك فنزلت ولا تعتدوا بابتداء القتال او بقتال المعاهد والمفاجاة
به من غير دعوة والمثلة وقتل من نهيتم عن قتله ان الله لا يحب المعتدين لا يريد
بهم الخير واقتلوهم حيث ثقفتموهم حيث وجدتموهم في حل وحرم واصل الثقف

الحذق في ادراك الشيء علما كان او عملا فهو يتضمن معنى الغلبة ولذلك استعمل
فيهما قال فاما تثقفوني فاقتلوني فمن اثقف فليس الى الخلود واخرجوهم من حيث
اخرجوكم اي من مكة وقد فعل ذلك بمن لم يسلم يوم الفتح والفتنة اشد من القتل اي
المحنة التي يفتتن بها الانسان كالاخراج من الوطن اصعب من القتل لدوام تعبها
وتألم النفس بها وقيل معناه شركهم في الحرم وصدهم اياكم عنه اشد من قتلكم
اياهم فيه ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه لا تفاتحوهم بالقتال
وهتك حرمة المسجد الحرام فان قاتلوكم فاقتلوهم فلا تبالوا بقتالهم ثم فانهم الذين
هتكوا حرمته وقرأ حمزة والكسائي ولا تقتلوهم حتى يقتلوكم فان قتلوكم والمعنى
حتى يقتلوا بعضكم كقولهم قتلنا بنو اسد كذلك جزاء الكافرين مثل ذلك جزاؤهم
يفعل بهم مثل ما فعلوا فان انتهوا عن القتال والكفر فان الله غفور رحيم يغفر لهم ما
قد سلف وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة شرك ويكون الدين لله خالصا له ليس
للشيطان فيه نصيب فان انتهوا عن الشرك فلا عدوان الا على الظالمين اي
فلا تعتدوا على المنتهين اذ لا يحسن ان يظلم الا من ظلم فوضع العلة موضع الحكم
او سمي جزاء الظلم باسمه للمشاكلة كقوله فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه
او انكم ان تعرضتم للمنتهين صرتم ظالمين وينعكس الامر عليكم والفاء الاولى
للتعقيب والثانية للجزاء الشهر الحرام بالشهر الحرام قاتلهم المشركون عام الحديبية
في ذي القعدة واتفق خروجهم لعمرة القضاء فيه وكرهوا ان يقاتلهم لحرمته
فقيل لهم هذا الشهر بذاك وهتكه بهتكه فلا تبالوا به والحرمات قصاص
احتجاج عليه اي كل حرمة وهو ما يجب ان يحافظ عليها يجري فيه القصاص
فلما هتكوا حرمة شهركم بالصد فافعلوا بهم مثله وادخلوا عليهم عنوة
واقتلوهم ان قاتلوكم كما قال فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى
عليكم وهو فذلكة التقرير واتقوا الله في الانتصار فلا تعتدوا الى ما لم يرخص
لكم واعلموا ان الله مع المتقين فيحرسهم ويصلح شأنهم وانفقوا في سبيل الله ولا
تمسكوا كل الامساك ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة بالاسراف وتضييع وجه المعاش
او بالكف عن الغزو والانفاق فيه فان ذلك يقوي العدو ويسلطهم على اهلاككم
ويؤيده ما روي عن ابي ايوب الانصاري انه قال لما اعز الله الاسلام وكثر
اهله رجعنا الى اهالينا واموالنا نقيم فيها ونصلحها فنزلت او بالامساك
وحب المال فانه يؤدي الى الهلاك المؤبد ولذلك سمي البخل هلاكا وهو في الاصل
انتهاء الشيء في الفساد والالقاء طرح الشيء وعدي بالى لتضمن معنى الانتهاء

فالباء مزيدة والمراد بالايدي الانفس والتهلكة والهلاك واحد فهي مصدر
كالتضرة والتسرة اي لا توقعوا انفسكم في الهلاك وقيل معناه لا تجعلوها
آخذة بايديكم او لا تلقوا بايديكم انفسكم اليها فحذف المفعول واحسنوا اعمالكم
واخلاقكم او تفضلوا على المحاويج ان الله يحب المحسنين واتموا الحج والعمرة ائتوا
بهما تامين مستجمعي المناسك لوجه الله وهو على هذا يدل على وجوبهما ويؤيده
قراءة من قرأ واقيموا الحج والعمرة وما روي جابر انه قيل يا رسول الله العمرة
واجبة مثل الحج فقال لا ولكن ان تعتمر خير لك فمعارض بما روي ان رجلا
قال لعمر رض اني وجدت الحج والعمرة مكتوبين علي اهللت بهما جميعا فقال هديت
لسنة نبيك ولا يقال انه فسر وجدتهما مكتوبين بقوله اهللت بهما فجاز ان
يكون الوجوب بسبب اهلاله بهما لانه رتب الاهلال على الوجدان وذلك
يدل على انه سبب الاهلال دون العكس وقيل اتمامهما ان تحرم بهما من دويرة
اهلك او ان تفرد لكل منهما سفرا او ان تجرده لهما لا تشوبهما بغرض دنيوي
او ان تكون النفقة حلالا فان احصرتم منعتم يقال حصره العدو واحصره
اذا حبسه ومنعه من المضي مثل صده واصده والمراد حصر العدو عند
مالك والشافعي لقوله فاذا امنتم ولنزوله في الحديبية ولقول ابن عباس
رضي الله عنه لا حصر الا حصر العدو وكل منع من عدو او مرض او غيرهما
عند ابي حنيفة لما روي انه عم من كسر او عرج فعليه الحج من قابل وهو منفي
ماول بما اذا شرط الاحلال به كقوله عم لضباعة بنت الزبير حجي واشترطي
وقولي اللهم محلي حيث حبستني فما استيسر من الهدي فعليكم ما استيسر او
فالواجب ما استيسر او فاهدوا ما استيسر والمعنى ان احصر المحرم واراد
ان يتحلل تحلل بذبح هدي تيسر عليه من بدنة او بقرة او شاة حيث احصر عند
الاكثر لانه عم ذبح عام الحديبية بها وهي من الحل وعند ابي حنيفة رحمه
الله يبعث به ويجعل للمبعوث بيده يوم امارة فاذا جاء اليوم وظن انه ذبح
تحلل لقوله ولا تحلقوا رؤسكم حتى يبلغ الهدي محله اي لا تحلوا حتى تعلموا
ان الهدي المبعوث الى الحرم بلغ محله اي مكانه الذي يجب ان ينحر فيه وحمل
الاول بلوغ الهدي محله على ذبحه حيث يحل ذبحه فيه حلا كان او حرما
واقتصاره على الهدي دليل عدم القضاء وقال ابو حنيفة يجب والمحل بالكسر
يطلق للمكان والزمان والهدي جمع هدية كجدي وجدية وقرئ من الهدي
جمع هدية كمطي في مطية فمن كان منكم مريضا مرضا يحوجه الى الحلق او به اذى

من راسه كجراحة وقمل ففدية فعليه فدية ان حلق من صيام او صدقة او نسك
بيان لجنس الفدية واما قدرها فقد روي انه عم قال لكعب بن عجرة لعلك
آذاك هوامك قال نعم يا رسول الله قال احلق وصم ثلاثة ايام او تصدق بفرق
على ستة مساكين او انسك شاة والفرق ثلاثة اصع فاذا امنتم الاحصار او
كنتم في حال امن وسعة فمن تمتع بالعمرة الى الحج فمن استمتع وانتفع بالتقرب الى
الله بالعمرة قبل الانتفاع بتقربه بالحج في اشهره وقيل فمن استمتع بعد التحلل
من عمرته باستباحة محظورات الاحرام الى ان يحرم بالحج فما استيسر من الهدي
فعليه دم استيسره بسبب التمتع فهو دم جبران يذبحه اذا احرم بالحج ولا ياكل منه
وقال ابو حنيفة انه دم نسك فهو كالاضحية فمن لم يجد اي الهدي فصيام ثلاثة
ايام في الحج في ايام الاشتغال به بعد الاحرام وقبل التحلل وقال ابو حنيفة رح في
اشهره بين الاحرامين والاحب ان يصوم سابع ذي الحجة وثامنه وتاسعه ولا
يجوز يوم النحر وايام التشريق عند الاكثر وسبعة اذا رجعتم الى اهليكم وهو
احد قولي الشافعي رح او نفرتم وفرغتم وهو قوله الثاني ومذهب ابي حنيفة رحمه
وقرئ سبعة بالنصب عطفا على محل ثلاثة ايام تلك عشرة فذلكة الحساب وفائدتها
ان لا يتوهم ان الواو بمعنى او كقولك جالس الحسن وابن سيرين وان يعلم العدد
جملة كما علم تفصيلا فان اكثر العرب لم يحسنوا الحساب وان المراد بالسبعة هو
العدد دون الكثرة فانها يطلق لها كاملة صفة مؤكدة تفيد المبالغة في محافظة
العدد او مبينة كمال العشرة فانه اول عدد كامل اذ به تنتهي الآحاد وتتم
مراتبها او مقيدة تفيد كمال بدليتها من الهدي ذلك اشارة الى الحكم المذكور عند نا
والتمتع عند ابي حنيفة اذ لا متعة ولا قران لحاضري المسجد الحرام عنده فمن
فعل ذلك منهم فعليه دم جناية لمن لم يكن اهله حاضري المسجد الحرام وهو من
كان من الحرم على مسافة القصر عندنا وان كان على اقل فهو مقيم الحرم او في
حكمه ومن مسكنه وراء الميقات عنده واهل الحل عند طاوس وغير المكي
عند مالك واتقوا الله في المحافظة على اوامره ونواهيه خصوصا في الحج و
اعلموا ان الله شديد العقاب لمن لم يتقه كي يصدكم العلم به عن العصيان
الحج اشهر اي وقته كقولك البرد شهران معلومات معروفات وهي شوال
وذو القعدة وتسع ذي الحجة بليلة النحر عندنا والعشر عند ابي حنيفة رح
وذو الحجة كله عند مالك وبناء الخلاف ان المراد بوقته وقت احرامه او
اعماله ومناسكه او ما لا يحسن فيه غيره من المناسك مطلقا فان مالكا

العمرة في بقية ذي الحجة وابو حنيفة وان صحح الاحرام به قبل شوال فقد استكرهه
وانما سمي شهرين وبعض شهر اشهرا اقامة للبعض مقام الكل او اطلاقا للجمع على
ما فوق الواحد فمن فرض فيهن الحج فمن اوجبه على نفسه بالاحرام فيهن عندنا او
بالتلبية او سوق الهدي عند ابي حنيفة وهو دليل على ما ذهب اليه الشافعي ره
وان من احرم بالحج لزمه الاتمام فلا رفث فلا جماع او فلا فحش من الكلام ولا فسوق
ولا خروج عن حدود الشرع بالسباب وارتكاب المحظورات ولا جدال ولا مراء
مع الخدم والرفقة في الحج في ايامه نفي الثلاث على قصد النهي للمبالغة والدلالة
على انها حقيقة بان لا تكون فما كانت منها مستقبحة في نفسها ففي الحج اقبح كلبس
الحرير في الصلوة والتطريب بقراءة القران لانه خروج عن مقتضى الطبع والعادة
الى محض العبادة وقرأ ابن كثير وابو عمرو الاولين بالرفع على معنى لا يكونن رفث
ولا فسوق والثالث بالفتح على معنى الاخبار بانتفاء الخلاف في الحج وذلك ان
قريشا كانت تخالف سائر العرب فتقف بالمشعر الحرام فارتفع الخلاف بان امروا
بان يقفوا ايضا بعرفة وما تفعلوا من خير يعلمه الله حث على الخير عقيب النهي
عن الشر ليستبدل به ويستعمل مكانه وتزودوا فان خير الزاد التقوى وتزودوا
لمعادكم التقوى فانه خير زاد وقيل نزلت في اهل اليمن كانوا يحجون ولا يتزودون
ويقولون نحن متوكلون فيكونون كلا على الناس فامروا ان يتزودوا ويتقوا الابرام
في السؤال والتثقيل على الناس واتقون يا اولي الالباب فان قضية اللب خشية
الله وتقواه حثهم على التقوى ثم امرهم بان يكون المقصود بها هو الله فيتبرؤوا
عن كل شيء سواه وهو مقتضى العقل المعرى عن شوائب الهوى فلذلك خص اولي
الالباب بهذا الخطاب ليس عليكم جناح ان تبتغوا في ان تبتغوا اي تطلبوا فضلا
من ربكم عطاء ورزقا منه يريد الربح بالتجارة قيل كان عكاظ ومجنة وذو المجاز
اسواقهم في الجاهلية يقيمونها مواسم الحج وكانت معايشهم منها فلما جاء الاسلام
تأثموا منه فنزلت فاذا افضتم من عرفات دفعتم منها بكثرة من افضت الماء اذا صببته
بكثرة واصله افضتم انفسكم فحذف المفعول كما حذف في دفعت من البصرة وعرفات
جمع سمي به كاذرعات وانما نون وكسر وفيه العلمية والتأنيث لان تنوين
الجمع تنوين المقابلة لا تنوين التمكن ولذلك يجتمع مع اللام وذهاب الكسرة تبع
ذهاب التنوين من غير عوض لعدم الصرف وهنا ليس كذلك او لان التأنيث اما ان
يكون بالتاء المذكورة وهي ليست تاء تأنيث وانما هي مع الالف التي قبلها علامة
جمع المؤنث او بتاء مقدرة كما في سعاد ولا يصح تقديرها لان المذكورة تمنعه من

حيث انها كالبدل لها لاختصاصها بالمؤنث كتاء بنت وانما سمي الموقف عرفة لانه
نعت لابرهيم عم فلما ابصره عرفه او لان جبريل كان يدور به في المشاعر فلما
اراه قال قد عرفت او لان ادم وحوا التقيا فيه فتعارفا او لان الناس يتعارفون
فيه وعرفات للمبالغة في ذلك وهي من الاسماء المرتجلة الا ان يجعل جمع عارف وفيه
دليل وجوب الوقوف بها لان الافاضة لا تكون الا بعده وهي مامور بها بقوله
ثم افيضوا او مقدمة الذكر المامور به واجبة وفيه نظر اذ الذكر غير واجب والامر
غير مطلق فاذكروا الله بالتلبية والتهليل والدعاء وقيل بصلوة العشائين
عند المشعر الحرام جبل يقف عليه الامام ويسمى قزح وقيل ما بين مأزمي عرفة و
وادي محسر ويؤيد الاول ما روى جابر انه عم لما صلى الفجر يعني بالمزدلفة بغلس
ركب ناقته حتى اتى المشعر فدعا وكبر وهلل ولم يزل واقفا حتى اسفر وانما سمي مشعرا
لانه معلم العبادة ووصف بالحرام لحرمته ومعنى عند المشعر الحرام مما يليه ويقرب
منه فانه افضل والا فالمزدلفة كلها موقف الا وادي محسر واذكروه كما
هديكم كما علمكم او اذكروه ذكرا حسنا كما هديكم هداية حسنة الى المناسك
وغيرها وما مصدرية او كافة وان كنتم من قبله لمن الضالين اي الهدى الجاهلين
بالايمان والطاعة وان هي المخففة واللام هي الفارقة وقيل ان نافية واللام
بمعنى الا كقوله وان نظنك لمن الكاذبين ثم افيضوا من حيث افاض الناس اي من
عرفة لا من المزدلفة والخطاب مع قريش كانوا يقفون بجمع وسائر الناس بعرفة
ويرون ذلك ترفعا عليهم فامروا بان يساووهم وثم لتفاوت ما بين الافاضتين
كما في قولك احسن الى الناس ثم لا تحسن الى غير كريم وقيل من مزدلفة الى منى بعد
الافاضة من عرفة اليها والخطاب عام وقرئ الناس بالكسر اي الناسي يريد
ادم من قوله تعالى فنسي والمعنى ان الافاضة من عرفة شرع قديم فلا تغيروه و
استغفروا الله من جاهليتكم في تغيير المناسك ونحوه ان الله غفور رحيم يغفر
ذنب المستغفر وينعم عليه فاذا قضيتم مناسككم فاذا قضيتم العبادات الحجية
وفرغتم منها فاذكروا الله كذكركم اباءكم فاكثروا ذكره وبالغوا فيه كما تفعلون
بذكر ابائكم في المفاخرة وكانت العرب اذا قضوا مناسكهم وقفوا بمنى بين المسجد
والجبل فيذكرون مفاخر ابائهم ومحاسن ايامهم او اشد ذكرا اما مجرور معطوف
على الذكر بجعل الذكر ذاكرا على المجاز والمعنى فاذكروا الله ذكرا كذكركم اباءكم
او كذكر اشد منه وابلغ او على ما اضيف اليه بمعنى او كذكر قوم اشد منكم ذكرا
او اما منصوب بالعطف على ابائكم وذكرا من فعل المذكور بمعنى او كذكركم اشد

مذكورًا من ابائكم او بمضمر دل عليه المعنى تقديره اذكروا الله ذكرًا اشد ذكر الله منكم
لابائكم فمن الناس من يقول تفصيل للذاكرين الى مقل لا يطلب بذكر الله الا الدنيا
ومكثر يطلب به خير الدارين والمراد به الحث على الاكثار والارشاد اليه ربنا
اتنا في الدنيا اجعل ايتاءنا ومنحتنا في الدنيا وما له في الاخرة من خلاق اي
وحظ لان همه مقصور بالدنيا او من طلب خلاق ومنهم من يقول ربنا اتنا
في الدنيا حسنة يعني الصحة والكفاف وتوفيق الخير وفي الاخرة حسنة يعني
الثواب والرحمة وقنا عذاب النار بالعفو والمغفرة وقول علي رض الحسنة
في الدنيا المرأة الصالحة وفي الاخرة الحوراء جمع حور وعذاب النار امرأة
السوء وقول الحسن الحسنة في الدنيا العلم والعبادة وفي الاخرة الجنة وقنا
عذاب النار معناه احفظنا من الشهوات والذنوب المؤدية الى النار امثلة
المراد بها اولئك اشارة الى الفريق الثاني وقيل اليهما لهم نصيب مما كسبوا اي
من جنسه وهو جزاؤه او من اجله كقوله مما خطيئاتهم اغرقوا او مما دعوا
به نعطهم منه ما قدرناه فسمي الدعاء كسبا لانه من الاعمال والله سريع
الحساب يحاسب العباد على كثرتهم وكثرة اعمالهم في مقدار لمحة او يوشك ان يقيم
القيمة فيحاسب الناس فبادروا الى الطاعات واكتساب الحسنات واذكروا
الله في ايام معدودات كبروه ادبار الصلوات وعند ذبح القرابين ورمي
الجمار وغيرها في ايام التشريق فمن تعجل فمن استعجل النفر في يومين يوم القر و
الذي بعده اي فمن نفر في ثاني ايام التشريق بعد رمي الجمار عندنا وطلوع الفجر
عنده فلا اثم عليه باستعجاله ومن تاخر فلا اثم عليه فمن تاخر في النفر حتى
رمى اليوم الثالث بعد الزوال وقال ابو حنيفة يجوز تقديم رميه على الزوال
ومعنى نفي الاثم بالتعجيل والتاخير التخيير بينهما والرد على اهل الجاهلية
فان منهم من اثم المتعجل ومنهم من اثم المتاخر لمن اتقى اي الذي ذكر من التخيير
او الاحكام لمن اتقى لانه الحاج على الحقيقة والمنتفع به او لاجله حتى لا يتضرر
بترك ما يهمه منهما واتقوا الله في مجامع اموركم ليعبأ بكم واعلموا انكم اليه
تحشرون للجزاء بعد الاحياء واصل الحشر الجمع وضم المتفرق ومن الناس من
يعجبك قوله يروقك ويعظم في نفسك والتعجب حيرة تعرض للانسان لجهله
بسبب المتعجب منه في الحيوة الدنيا متعلق بالقول اي ما يقوله في امور الدنيا
واسباب المعاش او في معنى الدنيا فانها مرادة من ادعاء المحبة واظهار الايمان
او بيعجبك اي يعجبك قوله في الدنيا حلاوة وفصاحة ولا يعجبك في الاخرة

لما يعتريه من الدهشة والحبسة او لانه لا يؤذن له في الكلام ويشهد الله
على ما في قلبه يحلف ويستشهد الله على ان ما في قلبه موافق لكلامه وهو الد الخصام
شديد العداوة والجدال للمسلمين والخصام المخاصمة ويجوز ان يكون جمع خصم
كصعب وصعاب بمعنى اشد الخصوم خصومة قيل نزلت في الاخنس بن شريق الثقفي
وكان حسن المنظر حلو المنطق يوالي رسول الله صلعم ويدعي الاسلام وقيل في
المنافقين كلهم واذا تولى ادبر وانصرف عنك وقيل اذا غلب وصار واليا
سعى في الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل كما فعله الاخنس بثقيف اذ بيتهم و
احرق زروعهم واهلك مواشيهم او كما يفعله ولاة السوء بالقتل والاتلاف
او بالظلم حتى يمنع الله بشؤمه القطر فيهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد
لا يرتضيه فاحذروا غضبه عليه واذا قيل له اتق الله اخذته العزة بالاثم حملته
الانفة وحمية الجاهلية على الاثم الذي يؤمر باتقائه لجاجا من قولك اخذته
بكذا اذا حملته عليه والزمته اياه فحسبه جهنم كفته جزاء وعذابا وجهنم
علم لدار العقاب وهو في الاصل مرادف للنار وقيل معرب ولبئس المهاد جواب
قسم مقدر والمخصوص بالذم محذوف للعلم به والمهاد الفراش وقيل ما يوطأ
للجنب ومن الناس من يشري نفسه يبيعها اي يبذلها في الجهاد او يامر بالمعروف
وينهى عن المنكر حتى يقتل ابتغاء مرضات الله طلبا لرضاه وقيل انها نزلت في
صهيب بن سنان الرومي اخذه المشركون وعذبوه ليرتد فقال اني شيخ كبير
لا ينفعكم ان كنت معكم ولا يضركم ان كنت عليكم فخلوني وما انا عليه وخذوا
مالي فقبلوه منه واتى المدينة والله رؤف بالعباد حيث ارشدهم الى مثل هذا
الشراء وكلفهم بالجهاد فعرضهم لثواب الغزاة والشهداء يا ايها الذين امنوا
ادخلوا في السلم كافة السلم بالكسر والفتح الاستسلام والطاعة ولذلك
يطلق في الصلح والاسلام فتحه ابن كثير ونافع والكسائي وكسره الباقون
وكافة اسم للجملة لانها تكف الاجزاء عن التفرق حال من الضمير او السلم لانها
تؤنث كالحرب قال السلم تاخذ منها ما رضيت به والحرب تكفيك من انفاسها
جرع والمعنى استسلموا لله واطيعوه جملة ظاهرا وباطنا والخطاب للمنافقين
او ادخلوا في الاسلام بكليته ولا تخلطوا به غيره والخطاب لمؤمني اهل الكتاب
فانهم بعد اسلامهم عظموا السبت وحرموا الابل والبانها او في شرايع الله
كلها بالايمان بالانبياء والكتب جميعا والخطاب لاهل الكتاب او في شعب
الاسلام واحكامه كلها فلا تخلوا بشيء والخطاب للمسلمين ولا تتبعوا

خطوات الشيطان بالتفرق والتفريق انه لكم عدو مبين ظاهر العداوة فان زللتم عن
الدخول في السلم من بعد ما جاءتكم البينات الآيات والحجج الشاهدة على انه الحق
فاعلموا ان الله عزيز لا يعجزه الانتقام حكيم لا ينتقم الا بحق هل ينظرون استفهام
في معنى النفي ولذلك جاء بعده الا الا ان يأتيهم الله اي يأتيهم امره وبأسه كقوله
او يأتي امر ربك فجاءهم بأسنا او يأتيهم الله ببأسه فحذف المأتي به للدلالة عليه
بقوله ان الله عزيز حكيم في ظلل جمع ظلة كقلة وقلل وهي ما اظلك وقرئ ظلال
كقلال من الغمام السحاب الابيض وانما يأتيهم العذاب فيه لانه مظنة الرحمة
فاذا جاء منه العذاب كان افظع لان الشر اذا جاء من حيث لا يحتسب كان اصعب
فكيف اذا جاء من حيث يحتسب الخير والملائكة فانهم الواسطة في اتيان امره او
الآتون على الحقيقة ببأسه وقرئ بالجر عطفا على ظلل او الغمام وقضي الامر
اتم امر اهلاكهم وفرغ منه وضع الماضي موضع المستقبل لدنوه وتيقن وقوعه
وقرئ وقضاء الامر عطفا على الملائكة والى الله ترجع الامور قرأه ابن كثير
ونافع وابو عمرو وعاصم على انه من الرجع وقرأ الباقون على البناء للفاعل
بالتأنيث غير يعقوب على انه من الرجوع وقرئ ايضا بالتذكير وبناء المفعول
سل بني اسرائيل امر للرسول او لكل احد والمراد بهذا السؤال تقريعهم كم آتيناهم
من آية بينة معجزة ظاهرة او آية في الكتب شاهدة على الحق والصواب على ايدي
الانبياء وكم خبرية او استفهامية مقررة ومحلها النصب على المفعولية او الرفع
بالابتداء على حذف العائد من الخبر وآية مميزها ومن للفصل ومن يبدل نعمة الله
اي آياته فانها سبب الهدى الذي هو اجل النعم بجعلها سبب الضلالة وازدياد
الرجس او بالتحريف والتأويل الزائغ من بعد ما جاءته من بعد ما وصلت اليه وتمكن
من معرفتها وفيه تعريض بانهم بدلوها بعد ما عقلوها ولذلك قيل تقديره
فبدلوها ومن يبدل فان الله شديد العقاب فيعاقبه اشد عقوبة لانه ارتكب اشد
جريمة زين للذين كفروا الحياة الدنيا حسنت في اعينهم واشربت محبتها في قلوبهم
حتى تهالكوا عليها واعرضوا عن غيرها والمزين على الحقيقة هو الله تعالى اذ ما
من شيء الا وهو فاعله ويدل عليه قراءة زين على البناء للفاعل وكل من الشيطان
والقوة الحيوانية وما خلقه الله فيها من الامور البهية والاشياء الشهية مزين
بالعرض ويسخرون من الذين آمنوا يريد فقراء المؤمنين كبلال وعمار وصهيب
اي يسترذلونهم ويستهزؤون بهم على رفضهم الدنيا واقبالهم على العقبى ومن
للابتداء كأنهم جعلوا مبدأ السخرية مبتدية منهم والذين اتقوا فوقهم يوم

القيامة لانهم في عليين وهم في اسفل السافلين او لانهم في كرامة وهم في مذلة
او لانهم يتطاولون عليهم فيسخرون منهم كما سخروا منهم في الدنيا وانما قال
الذين اتقوا بعد قوله من الذين آمنوا ليدل على انهم متقون وان استعلاءهم
للتقوى والله يرزق من يشاء في الدارين بغير حساب بغير تقدير فيوسع في
الدنيا استدراجا تارة وابتلاء اخرى كان الناس امة واحدة متفقين
على الحق فيما بين آدم وادريس او نوح او بعد الطوفان او متفقين على الجهالة
والكفر في فترة ادريس او نوح فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين اي
فاختلفوا فبعث الله وانما حذف لدلالة قوله فيما اختلفوا فيه وعن كعب
الذي علمته من عدد الانبياء مائة واربعة وعشرون الفا والمرسل منهم
ثلاثمائة وثلاثة عشر والمذكور في القرآن باسم العلم ثمانية وعشرون
وانزل معهم الكتاب يريد به الجنس ولا يريد به انه انزل مع كل واحد كتابا
يخصه فان اكثرهم لم يكن معهم كتاب يخصهم وانما كانوا يأخذون بكتب من
قبلهم بالحق حال من الكتاب اي ملتبسا بالحق شاهدا به ليحكم بين الناس
اي الله او النبي المبعوث او كتابه فيما اختلفوا فيه في الحق الذي اختلفوا
فيه او فيما التبس عليهم وما اختلف فيه في الحق او الكتاب الا الذين اوتوه اي
الكتاب المنزل لازالة الخلاف اي عكسوا الامر فجعلوا ما انزل مزيحا للاختلاف
سببا لاستحكامه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم حسدا بينهم و
ظلما لحرصهم على الدنيا فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه اي للحق الذي
اختلف فيه من اختلف من الحق بيان لما اختلفوا فيه باذنه بامره او بارادته
لطفه والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم لا يضل سالكه ام حسبتم
ان تدخلوا الجنة خاطب به النبي والمؤمنين بعد ما ذكر اختلاف الامم على الانبياء
بعد مجيء الآيات تشجيعا لهم على الثبات مع مخالفيهم وام منقطعة ومعنى
الهمزة فيها الانكار ولما يأتكم ولم يأتكم واصل لما لم زيدت عليها ما وفيها
توقع ولذلك جعل مقابل قد مثل الذين خلوا من قبلكم حالهم التي هي مثل في
الشدة مستهم البأساء والضراء بيان له على الاستئناف وزلزلوا وازعجوا
ازعاجا شديدا بما اصابهم من الشدائد حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه
متى نصر الله لتناهي الشدة واستطالة المدة بحيث تقطعت حبال الصبر وقرأ نافع
يقول بالرفع على انها حكاية حال ماضية كقولك مرض حتى يرجونه
طلبا واستبطاء له لتأخره الا ان نصر الله قريب استئناف على ارادة القول اي

فقيل لهم ذلك اسعافا لهم الى طلبتهم من عاجل النصر وفيه اشارة الى ان الوصول
الى الله والفوز بالكرامة عنده برفض الهوى واللذات ومكابدة الشدائد
والرياضات كما قال عم حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات يسئلونك
ماذا ينفقون عن ابن عباس ان عمرو بن الجموح الانصاري كان شيخا ذا مال عظيم
فقال يا رسول الله ماذا ننفق من اموالنا واين نضعها فنزلت قل ما انفقتم من خير
فللوالدين والاقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل سئل عن المنفق فاجيب
ببيان المصرف لانه اهم فان اعتداد النفقة باعتباره ولانه كان في سؤال عمرو وان
لم يكن مذكورا في الآية واقتصر في بيان المنفق على ما تضمنه قوله ما انفقتم من
خير وما تفعلوا من خير في معنى الشرط فان الله به عليم جوابه اي ان تفعلوا خيرا
فان الله يعلم كنهه ويوفي ثوابه وليس في الآية ما ينافيه فرض الزكوة لينسخ به
كتب عليكم القتال وهو كره لكم شاق عليكم مكروه طبعا وهو مصدر نعت به للمبالغة
او فعل بمعنى مفعول كالخبز وقرئ بالفتح على انه لغة فيه كالضعف والضعف او
بمعنى الاكراه على المجاز كانهم اكرهوا عليه لشدته وعظم مشقته كقوله تعالى
حملته امه كرها ووضعته كرها وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وهو جميع
ما كلفوا به فان الطبع يكرهه وهو مناط صلاحهم وسبب فلاحهم وعسى ان تحبوا
شيئا وهو شر لكم وهو جميع ما نهوا عنه فان النفس تحبه وتهواه وهو يفضي
بها الى الردى وانما ذكر عسى لان النفس اذا ارتاضت ينعكس الامر عليها والله
يعلم ما هو خير لكم وانتم لا تعلمون ذلك وفيه دليل على ان الاحكام تتبع المصالح
الراجحة وان لم يعرف عينها يسئلونك عن الشهر الحرام روي انه عم بعث عبد الله
بن جحش ابن عمته اميرا على سرية في جمادى الآخرة قبل بدر بشهرين ليترصد
عيرا لقريش فيهم عمرو بن عبد الله الحضرمي وثلثة معه فقتلوه واسروا اثنين
واستاقوا العير وفيها تجارة الطائف وكان ذلك غرة رجب وهم يظنونه من
جمادى فقالت قريش استحل محمد الشهر الحرام شهرا يامن فيه الخائف ويبذعر فيه
الناس الى معايشهم وشق على اصحاب السرية وقالوا ما نبرح حتى تنزل توبتنا
ورد رسول الله عم العير والاسارى وعن ابن عباس لما نزلت اخذ رسول الله عم
الغنيمة وهو اول غنيمة في الاسلام والسائلون هم المشركون كتبوا اليه في ذلك
تشنيعا وتعييرا وقيل اصحاب السرية قتال فيه بدل الاشتمال من الشهر وقرئ
عن قتال بتكرير العامل قل قتال فيه كبير اي ذنب كبير والاكثر على انه منسوخ بقوله
فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم خلافا لعطاء وهو نسخ الخاص بالعام وفيه

خلاف والاولى منع دلالة الآية على حرمة القتال فيه مطلقا فان قتالا فيه نكرة
في حيز مثبت فلا يعم وصد عن سبيل الله اي الاسلام او ما يوصل العبد الى الله ٩٠
من الطاعات وكفر به اي بالله والمسجد الحرام على ارادة المضاف اي وصد المسجد
الحرام كقول ابي دواد اكل امرئ تحسبين امرأ ونار توقد بالليل نارا ولا يحسن عطفه
على سبيل الله لان عطف قوله وكفر به على وصد مانع منه اذ لا يتقدم العطف على
الموصول على العطف على الصلة ولا على الهاء في به فان العطف على الضمير المجرور انما
يكون باعادة الجار واخراج اهله منه اهل المسجد وهم النبي عم والمؤمنون اكبر
عند الله مما فعلته السرية خطاء وبناء على الظن وهو خبر عن الاشياء الاربعة
المعدودة من كبائر قريش وافعل من يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث
والفتنة اكبر من القتل اي ما ارتكبوه من الاشراك والشرك افظع مما ارتكبوه من قتل
الحضرمي ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم اخبار عن دوام عداوة الكفار
لهم وانهم لا ينفكون عنها حتى يردوهم عن دينهم وحتى للتعليل كقولك اعبد الله حتى
ادخل الجنة لقوله ان استطاعوا وهو استبعاد لاستطاعتهم كقول الواثق بقوته
على قرنه ان ظفرت بي فلا تبق علي وايذان بانهم لا يردونهم ومن يرتدد منكم عن
دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم قيد الردة بالموت عليها في احباط
الاعمال كما هو مذهب الشافعي رح والمراد بها الاعمال النافعة وقرئ حبطت بالفتح
وهو لغة فيه في الدنيا لبطلان ما تخيلوه وفوات ما للاسلام من الفوائد الدنيوية
والآخرة بسقوط الثواب واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون كسائر الكفرة ان
الذين آمنوا نزلت ايضا في اصحاب السرية لما ظن بهم انهم ان سلموا من الاثم فليس لهم
اجر والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله كرر الموصول لتعظيم الهجرة والجهاد
وكانهما مستقلان في تحقيق الرجاء اولئك يرجون رحمة الله ثوابه اثبت لهم
الرجاء اشعارا بان العمل غير موجب ولا قاطع في الدلالة سيما والعبرة بالخواتيم
والله غفور لما فعلوا خطاء وقلة احتياطا رحيم باجزال الاجر والثواب يسئلونك
عن الخمر والميسر روي انه نزل بمكة قوله ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه
سكرا فاخذ المسلمون يشربونها ثم ان عمر ومعاذا في نفر من الصحابة قالوا افتنا يا رسول
الله في الخمر فانها مذهبة للعقل فنزلت هذه الآية فشربها قوم وتركها آخرون
ثم دعا عبد الرحمن بن عوف ناسا منهم فشربوا فسكروا فام احدهم فقرأ اعبد
ما تعبدون فنزلت لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى فقل من يشربها ثم دعا
عتبان بن مالك سعد بن ابي وقاص في نفر فلما سكروا افتخروا وتناشدوا

فانشد سعد شعرا فيه هجاء الانصار فضربه انصاري بلحي بعير فشجه فشكا
الى رسول الله عم فقال عمر اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا فنزلت انما الخمر
والميسر الى قوله فهل انتم منتهون فقال عمر انتهينا يا رب والخمر في الاصل مصدر
خمره اذا ستره سمي بها عصير العنب والتمر اذا اشتد وغلا كانه يخمر العقل
كما سمي سكرا لانه يسكره اي يحجزه وهي حرام مطلقا وكذا كل ما اسكر عند اكثر
العلماء وقال ابو حنيفة نقيع الزبيب والتمر اذا طبخ حتى ذهب ثلثاه ثم اشتد حل
شربه ما دون السكر والميسر ايضا مصدر كالموعد سمي به القمار لانه اخذ مال
الغير بيسر او سلب يساره والمعنى يسئلونك عن تعاطيهما لقوله قل فيهما اي
تعاطيهما اثم كبير من حيث انه يؤدي الى الانتكاب عن المامور به وارتكاب
المحظور ومنافع للناس من كسب المال والطرب والالتذاذ ومصادقة الفتيان
وفي الخمر خصوصا تشجيع الجبان وتوفر المروة وتقوية الطبيعة واثمهما
اكبر من نفعهما اي المفاسد التي تنشا منهما اعظم من المنافع المتوقعة منهما ولو
لهذا قيل انها المحرمة للخمر فان المفسدة اذا ترجحت على المصلحة اقتضت تحريم
الفعل والاظهر انه ليس كذلك لما مر من ابطال مذهب المعتزلة ويسئلونك
ماذا ينفقون قيل سائله ايضا عمرو بن الجموح سال اولا عن المنفق والمنفق عليه
ثم سال عن كيفية الانفاق قل العفو العفو نقيض الجهد ومنه يقال للارض السهلة
وهو ان ينفق ما تيسر له بذله ولا يبلغ منه الجهد قال خذي العفو مني تستديمي
مودتي وروي ان رجلا اتى النبي عم ببيضة من ذهب اصابها في بعض المغانم
فقال خذها مني صدقة فاعرض عنه حتى كرر مرارا فقال هاتها مغضبا فاخذها
فحذفها لو اصابه لشجه ثم قال ياتي احدكم بماله كله يتصدق به ويجلس يتكفف
الناس انما الصدقة عن ظهر غنى كذلك يبين الله لكم الايات اي مثل ما بين ان
العفو اصلح من الجهد او ما ذكر من الاحكام والكاف في موضع النصب صفة
لمصدر محذوف اي تبيينا مثل هذا التبيين وحد العلامة والمخاطب جمع على
تاويل القبيل والجمع لعلكم تتفكرون في الدلايل والاحكام في الدنيا والاخرة
في امور الدارين فتاخذون بالاصلح والانفع منها وتجتنبون عما يضركم ولا
ينفعكم او يضركم اكثر مما ينفعكم ويسئلونك عن اليتامى لما نزلت ان الذين ياكلون
اموال اليتامى ظلما اعتزلوا اليتامى ومخالطتهم والاهتمام بامرهم فشق ذلك
عليهم فذكر لرسول الله عم فنزلت قل اصلاح لهم خير اي مداخلتهم لاصلاحهم
او اصلاح اموالهم خير من مجانبتهم وان تخالطوهم فاخوانكم حث على المخالطة

اي انهم اخوانكم في الدين ومن حق الاخ ان يخالط وقيل المراد بالمخالطة المصاهرة
والله يعلم المفسد من المصلح وعيد ووعد لمن خالطهم لافساد واصلاح اي يعلم
امره فيجازيه عليه ولو شاء الله لاعنتكم اي لو شاء الله اعناتكم لاعنتكم اي
كلفكم ما يشق عليكم من العنت وهي المشقة ولم يجوز لكم مداخلتهم ان الله عزيز
غالب يقدر على الاعنات حكيم يحكم ما تقتضيه الحكمة وتتسع له الطاقة ولا
تنكحوا المشركات حتى يؤمن اي لا تتزوجوهن وقرئ بالضم اي لا تزوجوهن من المسلمين و
المشركات تعم الكتابيات لان اهل الكتاب مشركون لقوله تعالى وقالت اليهود عزير ابن
الله وقالت النصارى المسيح ابن الله الى قوله تعالى سبحانه وتعالى عما يشركون
لكنها خصت عنها بقوله والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب روي انه عم بعث مرثدا
الغنوي الى مكة ليخرج منها اناسا من المسلمين فاتته عناق وكان يهواها في الجاهلية
فقالت الا تخلو فقال ان الاسلام حال بيننا فقالت هل لك ان تتزوج بي فقال نعم ولكن
استامر رسول الله عم فاستامره فنزلت ولامة مؤمنة خير من مشركة اي ولامرأة
مؤمنة حرة كانت او مملوكة فان الناس عبيد الله واماؤه ولو اعجبتكم بحسنها
وشمائلها والواو للحال ولو بمعنى ان وهو كثير ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا اي
ولا تزوجوا منهم المؤمنات وهو على عمومه ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو اعجبكم
تعليل للنهي عن مواصلتهم وترغيب في مواصلة المؤمنين اولئك اشارة الى المذكور
من المشركين والمشركات يدعون الى النار اي الكفر المؤدي الى النار فلا يليق
موالاتهم ومصاهرتهم والله يدعوا اي اولياؤه يعني المؤمنين حذف المضاف
واقام المضاف اليه مقامه تفخيما لشانهم الى الجنة والمغفرة اي الاعتقاد و
العمل الموصلين اليهما فهم الاحقاء بالمواصلة باذنه بتوفيق الله وتيسيره او
بقضائه وارادته ويبين اياته للناس لعلهم يتذكرون لكي يتذكروا او ليكونوا
بحيث يرجى منهم التذكر لما ركز في العقول من ميل الخير ومخالفة الهوى ويسئلونك
عن المحيض روي ان اهل الجاهلية كانوا لم يساكنوا الحيض ولم يواكلوها كفعل
اليهود والمجوس واستمر ذلك الى ان سال ابو الدحداح في نفر من الصحابة عن ذلك
فنزلت والمحيض مصدر كالمجيء والمبيت ولعله سبحانه انما ذكر يسئلونك بغير
واو ثلاثا ثم بها ثلاثا لان السؤالات الاول كانت في الاوقات متفرقة والثلاثة
الاخيرة كانت في وقت واحد فلذلك ذكرها بحرف الجمع قل هو اذى اي الحيض
مستقذر يؤذي من يقربه نفرة منه فاعتزلوا النساء في المحيض فاجتنبوا
مجامعتهن لقوله عم انما امرتم ان تعتزلوا مجامعتهن اذا حضن ولم يامركم

باخراجهن من البيوت كفعل الاعاجم وهو الاقتصاد بين افراط اليهود وتفريط
النصارى فانهم كانوا يجامعونهن ولا يبالون بالحيض وانما وصفه بانه
اذى ورتب الحكم عليه بالفاء اشعارا بانه العلة ولا تقربوهن حتى يطهرن
تاكيد للحكم وبيان لغايته وهو ان يغتسلن بعد الانقطاع وتدل عليه صريحا
قراءة حمزة والكسائي وعاصم في رواية ابن عياش يطّهرن اي يتطهرن يعني
يغتسلن والتزاما قوله فاذا تطهرن فاتوهن فانه يقتضي تاخر جواز الاتيان
عن الغسل وقال ابو حنيفة ان طهرت لاكثر الحيض جاز قربانها قبل الغسل
من حيث امركم الله اي المأتى الذي امركم الله به وحلله لكم ان الله يحب التوابين
من الذنوب ويحب المتطهرين المتنزهين عن الفحشاء والاقذار كمجامعة الحائض
والاتيان في غير المأتى نساؤكم حرث لكم مواضع حرث لكم شبههن بها تشبيها لما
يلقى في ارحامهن من النطف بالبذور فاتوا حرثكم اي فاتوهن كما تاتون المحارث
وهو كالبيان لقوله فاتوهن من حيث امركم الله انى شئتم من اي جهة شئتم روي
ان اليهود كانوا يقولون من جامع امرأته من دبرها في قبلها كان ولدها احول
فذكر ذلك لرسول الله عم فنزلت وقدموا لانفسكم ما يدخر لكم الثواب وقيل
هو طلب الولد وقيل التسمية على الوطء واتقوا الله بالاجتناب عن معاصيه واعلموا
انكم ملاقوه فتزودوا ما لا يفتضحون به وبشر المؤمنين الكاملين في الايمان
بالكرامة والنعيم الدائم امر الرسول عم ان ينصحهم ويبشر من صدق وامتثل
امره منهم ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم ان تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس
نزلت في الصديق لما حلف ان لا ينفق على مسطح لافترائه على عائشة او في عبد
الله بن رواحة حلف ان لا يتكلم ختنه بشر بن النعمان ولا يصلح بينه وبين اخته
والعرضة فعلة بمعنى المفعول كالقبضة يطلق لما يعرض دون الشيء وللمعرض
للامر ومعنى الاية على الاول لا تجعلوا الله حاجزا لما حلفتم عليه من انواع
الخير فيكون المراد بالايمان الامور المحلوف عليها كقوله عم لابن سمرة اذا
حلفت على يمين فرايت غيرها خيرا منها فات الذي هو خير وكفر عن يمينك وان
مع صلتها عطف بيان لها واللام صلة عرضة لما فيها من معنى الاعتراض
ويجوز ان تكون للتعليل ويتعلق ان بالفعل او بعرضة اي ولا تجعلوا الله عرضة
لان تبروا لاجل ايمانكم به وعلى الثاني ولا تجعلوه معرضا لايمانكم فتبتذلوه
بكثرة الحلف ولذلك ذم الحلاف بقوله ولا تطع كل حلاف مهين وان تبروا علة
النهي اي انهاكم عنه ارادة بركم وتقواكم واصلاحكم بين الناس فان الحلاف

مجترئ على الله والمجترئ عليه لا يكون برا متقيا ولا موثوقا به في اصلاح ذات
البين والله سميع لايمانكم عليم بنياتكم لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم اللغو الساقط
الذي لا يعتد به من كلام وغيره ولغو اليمين ما لا عقد معه كما سبق به اللسان
او تكلم به جاهلا لمعناه كقول العرب لا والله وبلى والله لمجرد التاكيد لقوله
ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم والمعنى لا يؤاخذكم الله بعقوبة ولا كفارة بما لا
قصد معه ولكن يؤاخذكم بهما او باحدهما بما قصدتم من الايمان وواطأت فيها
قلوبكم السنتكم وقال ابو حنيفة اللغو ان يحلف الرجل بناء على ظنه الكاذب و
المعنى لا يعاقبكم بما اخطأتم فيه من الايمان ولكن يعاقبكم بما تعمدتم الكذب فيها
والله غفور حيث لم يؤاخذ باللغو حليم حيث لم يعجل بالمؤاخذة على يمين الجد تربصا
للتوبة للذين يؤلون من نسائهم اي يحلفون على ان لا يجامعوهن والايلاء الحلف
وتعديته بعلى ولكن لما ضمن هذا القسم معنى البعد عدي بمن تربص اربعة اشهر
مبتدأ ما قبله خبره او فاعل الظرف على خلاف سبق والتربص الانتظار والتوقف
اضيف الى الظرف على الاتساع اي للمولي حق التلبث في هذه المدة فلا يطالب بفيء
ولا طلاق ولذلك قال الشافعي رح لا ايلاء الا في اكثر من اربعة اشهر ويؤيده
فان فاءوا اي رجعوا في اليمين بالحنث فان الله غفور رحيم للمولي اثم حنثه اذا كفر
او ما توخى بالايلاء من ضرار المرأة ونحوه بالفيئة التي هي كالتوبة وان عزموا الطلاق
وان صمموا قصده فان الله سميع لطلاقهم عليم بغرضهم فيه وقال ابو حنيفة
الايلاء في اربعة اشهر فما فوقها وحكمه ان المولي ان فاء في المدة بالوطء ان قدر
او الوعد ان عجز صح الفيء ولزم الواطئ ان يكفر والا بانت بعدها بطلقة وعندنا
يطالب بعد المدة باحد الامرين فان ابى عنهما طلق عليه الحاكم والمطلقات يريد
بها المدخول بهن من ذوات الاقراء لما دلت الايات والاخبار ان حكم غيرهن خلاف
ما ذكر يتربصن خبر بمعنى الامر وتغيير العبارة للتاكيد والاشعار بانه مما يجب
ان يسارع الى امتثاله وكان المخاطب قصد ان يمتثل فيخبر عنه كقولك في الدعاء رحمك
الله وبناؤه على المبتدأ يزيده فضل تاكيد بانفسهن تهييج وبعث لهن على التربص
فان نفوس النساء طوامح الى الرجال فامرن بان يقمعنها ويحملنها على التربص
ثلاثة قروء نصب على الظرف او المفعول به اي يتربصن مضيها وقروء جمع قرء
وهو يطلق للحيض كقوله عم دعي الصلوة ايام اقرائك وللطهر الفاصل بين
حيضتين كقول الاعشى لما ضاع فيها من قروء نسائكا واصله الانتقال من الطهر الى
الحيض وهو المراد به في الاية لانه الدال على براءة الرحم لا الحيض كما قاله

ابو حنيفة لقوله تعالى فطلقوهن لعدتهن اي وقت عدتهن والطلاق المشروع لا يكون في الحيض واما قوله عليه السلام طلاق الامة تطليقتان وعدتها حيضتان فلا يقاوم ما رواه الشيخان في قصة ابن عمر مره فليراجعها ثم ليمسكها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر ثم ان شاء امسك بعد وان شاء طلق قبل ان يمس فتلك العدة التي امر الله ان تطلق لها النساء وكان القياس ان يذكر بصيغة القلة التي هي الاقراء ولكنهم يتسعون في ذلك فيستعملون كل واحد من البنائين مكان الآخر ولعل الحكم لما عم المطلقات ذوات الاقراء تضمن معنى الكثرة فحسن بناؤها ولا يحل لهن ان يكتمن ما خلق الله في ارحامهن من الولد والحيض استعجالا في العدة وابطالا لحق الرجعة وفيه دليل على ان قولها مقبول في ذلك ان كن يؤمن بالله واليوم الآخر ليس المراد منه تقييد نفي الحل بايمانهن بل التنبيه على انه ينافي الايمان وان المؤمن لا يجترئ عليه ولا ينبغي له ان يفعل وبعولتهن اي ازواج المطلقات احق بردهن الى النكاح والرجعة اليهن ولكن اذا كان الطلاق رجعيا للآية التي تتلوها فالضمير اخص من المرجوع اليه ولا امتناع فيه كما لو كرر الظاهر وخصصه والبعولة جمع بعل والتاء لتانيث الجمع كالعمومة والخؤولة او مصدر من قولك بعل حسن البعولة نعت به او اقيم مقام المضاف المحذوف اي واهل بعولتهن وافعل ههنا بمعنى الفاعل في ذلك اي في زمان التربص ان ارادوا اصلاحا بالرجعة لا اضرار المراة وليس المراد منه شريطة قصد الاصلاح للرجعة بل التحريض عليه والمنع من قصد الضرار ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف اي ولهن حقوق على الرجال مثل حقوقهم عليهن في الوجوب واستحقاق المطالبة عليها لا في الجنس وللرجال عليهن درجة زيادة في الحق وفضل فيه لان حقوقهم في انفسهن وحقوقهن المهر والكفاف وترك الضرار ونحوها او شرف وفضيلة لانهم قوام عليهن وحراس لهن يشاركونهن في غرض الزواج ويخصون بفضيلة الرعاية والانفاق والله عزيز يقدر على الانتقام ممن خالف الاحكام حكيم يشرعها لحكم ومصالح الطلاق مرتان اي التطليق الرجعي اثنتان لما روي انه عم سئل اين الثالثة فقال عم او تسريح باحسان وقيل معناه التطليق الشرعي تطليقة بعد تطليقة على التفريق ولذلك قالت الحنفية الجمع بين الطلقتين والثلاث بدعة فامساك بمعروف بالمراجعة وحسن المعاشرة وهو يؤيد المعنى الاول او تسريح باحسان بالطلقة الثالثة او بان لا يراجعها حتى تبين وعلى المعنى الاخير حكم مبتدا وتخيير مطلق عقب بتعليمهم كيفية التطليق ولا يحل لكم ان تأخذوا مما آتيتموهن شيئا من الصدقات روي ان جميلة بنت عبد الله بن

ابي بن سلول تبغض زوجها ثابت بن قيس فاتت رسول الله عم وقالت لا انا ولا ثابت لا يجمع راسي وراسه شيء والله ما اعيبه في دين ولا خلق ولكني اكره الكفر في الاسلام ما اطيقه بغضا اني رفعت جانب الخباء فرايته اقبل في عدة فاذا هو اشدهم سوادا واقصرهم قامة واقبحهم وجها فنزلت فاختلعت منه بحديقة اصدقها اياها والخطاب مع الحكام واسناد الاخذ والايتاء اليهم لانهم الآمرون بهما عند الترافع وقيل انه خطاب للازواج وما بعده خطاب للحكام وهو يشوش النظم على القراءة المشهورة الا ان يخافا اي الزوجان وقرئ يظنا وهو يؤيد تفسير الخوف بالظن الا يقيما حدود الله اقامة احكامه من مواجب الزوجية وقرأ حمزة ويعقوب يخافا على البناء للمفعول وابدال ان بصلته من الضمير بدل الاشتمال وقرئ تخافا وتقيما بتاء الخطاب فان خفتم ايها الحكام الا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به على الرجل في اخذ ما افتدت به نفسها واختلعت وعلى المراة في اعطائه تلك حدود الله اشارة الى ما حد من الاحكام فلا تعتدوها فلا تتعدوها بالمخالفة ومن يتعد حدود الله فاولئك هم الظالمون تعقيب للنهي بالوعيد مبالغة في التهديد واعلم ان ظاهر الآية يدل على ان الخلع لا يجوز من غير كراهة وشقاق ولا بجميع ما ساق الزوج اليها فضلا عن الزائد ويؤيد ذلك قوله عم ايما امراة سالت زوجها طلاقا في غير باس فحرام عليها رائحة الجنة وما روي انه عم قال لجميلة اتردين عليه حديقته فقالت اردها وازيد عليها فقال عم اما الزائد فلا والجمهور استكرهوه ولكن نفذوه فان المنع عن العقد لا يدل على فساده وانه يصح بلفظ المفاداة فانه سماه افتداء واختلف في انه اذا جرى بغير لفظ الطلاق فسخ او طلاق ومن جعله فسخا احتج بقوله فان طلقها فان تعقيبه للخلع بعد ذكر الطلقتين يقتضي ان يكون طلقة رابعة لو كان الخلع طلاقا والاظهر انه طلاق لانه فرقة باختيار الزوج فهو كالطلاق بالعوض وقوله فان طلقها متعلق بقوله الطلاق مرتان تفسير لقوله او تسريح باحسان اعترض بينهما ذكر الخلع دلالة على ان الطلاق يقع مجانا تارة وبعوض اخرى ص والمعنى فان طلقها بعد الثنتين فلا تحل له من بعد من بعد ذلك الطلاق حتى تنكح زوجا غيره حتى تتزوج غيره والنكاح يسند الى كل منهما كالتزوج وتعلق بظاهره من اقتصر على العقد كابن المسيب واتفق الجمهور على انه لا بد من الاصابة لما روي ان امراة رفاعة قالت لرسول الله عم ان رفاعة طلقني

فبت طلاقي وان عبد الرحمن بن الزبير تزوجني وانما معه مثل هدبة الثوب فقال
رسول الله صلعم اتريدين ان ترجعي الى رفاعة قالت نعم قال لا حتى تذوقي عسيلته
ويذوق عسيلتك فالآية مطلقة قيدتها السنة ويحتمل ان يفسر النكاح بالاصابة
ويكون العقد مستفادا من لفظ الزوج والحكمة في هذا الحكم الردع عن التسرع
الى الطلاق والعود الى المطلقة ثلثا والرغبة فيها والنكاح بشرط التحليل فاسد
عند الاكثر وجوزه ابو حنيفة مع الكراهة وقد لعن رسول الله صلعم المحلل و
المحلل له فان طلقها الزوج الثاني فلا جناح عليهما ان يتراجعا اي يرجع كل من
المراة والزوج الاول الى الاخر بالزواج ان ظنا ان يقيما حدود الله ان كان في
ظنهما انهما يقيمان ما حدده الله وشرعه من حقوق الزوجية وتفسير الظن
بالعلم ههنا غير سديد لان عواقب الامور غيب تظن ولا تعلم ولانه لا يقال
علمت ان يقوم زيد لان ان الناصبة للتوقع وهو ينافي العلم وتلك حدود الله
اي الاحكام المذكورة يبينها لقوم يعلمون يفهمون ويعملون بمقتضى العلم واذا
طلقتم النساء فبلغن اجلهن اي اخر عدتهن والاجل يطلق على المدة ولمنتهاها
فيقال للعمر الانسان وللموت الذي به ينتهي قال كل حي مستكمل مدة العمر ومود
اذا انتهى اجله والبلوغ هو الوصول الى الشيء وقد يقال للدنو منه على الاتساع
وهو المراد في الآية ليصح ان يرتب عليه فامسكوهن بمعروف او سرحوهن بمعروف
اذ لا امساك بعد انقضاء الاجل والمعنى فراجعوهن من غير ضرار او خلوهن
حتى تنقضي عدتهن من تطويل واعادة الحكم في بعض صوره للاهتمام به ولا
تمسكوهن ضرارا ولا تراجعوهن ارادة الاضرار بهن كان المطلق يترك المعتدة
حتى تشارف الاجل ثم يراجعها لتطول العدة عليها فنهى عنه بعد الامر بضده
مبالغة ونصب ضرارا على العلة او الحال بمعنى متضارين لتعتدوا لتظلموهن
بالتطويل او الالجاء الى الافتداء واللام متعلقة بالاضرار اذ المراد تقييده
ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه بتعريضها للعقاب ولا تتخذوا آيات الله هزوا
بالاعراض عنها والتهاون في العمل بما فيها من قولهم لمن لم يجد في الامر انما انت
هازي كانه نهي عن الهزؤ واراد به الامر بضده وقيل كان الرجل يتزوج
ويطلق ويعتق ويقول كنت العب فنزلت وعنه عم ثلث جدهن جد وهزلهن جد
الطلاق والنكاح والرجعة واذكروا نعمة الله عليكم التي من جملتها الهداية
وبعثة محمد صلعم بالشكر والقيام بحقوقها وما انزل عليكم من الكتاب والحكمة
القرآن والسنة افردهما بالذكر اظهارا لشرفهما يعظكم به بما انزل

عليكم واتقوا الله واعلموا ان الله بكل شيء عليم تاكيد وتهديد واذا طلقتم
النساء فبلغن اجلهن اي انقضت عدتهن وعن الشافعي رح دل سياق الكلامين
على افتراق البلوغين فلا تعضلوهن ان ينكحن ازواجهن المخاطب به الاولياء
لما روي انها نزلت في معقل بن يسار حين عضل اخته جميلا ان ترجع الى
زوجها الاول بالاستيناف فيكون دليلا على ان المراة لا تزوج نفسها
اذ لو تمكنت منه لم يكن لعضل الولي معنى ولا يعارض باسناد النكاح اليهن
لانه بسبب توقفه على اذنهن وقيل الازواج الذين يعضلون نساءهم بعد مضي
العدة ولا يتركوهن يتزوجن عدوانا وقسرا لانه جواب قوله واذا طلقتم
وقيل الاولياء والازواج وقيل الناس كلهم والمعنى لا يوجد فيما بينكم هذا
الامر فانه اذا وجد بينهم وهم راضون به كانوا كالفاعلين له والعضل الحبس
والتضييق ومنه عضلت الدجاجة اذا نشبت بيضتها فلم تخرج اذا تراضوا
بينهم اي الخطاب والنساء وهو ظرف لان ينكحن او لا تعضلوهن بالمعروف بما
يعرفه الشرع ويستحسنه المروة حال عن الضمير المرفوع او صفة مصدر محذوف
او تراضيا كائنا بالمعروف وفيه دلالة على ان العضل عن التزوج من غير كفو
غير منهي عنه ذلك اشارة الى ما مضى ذكره والخطاب للجمع على تاويل القبيل
او كل واحد او ان الكاف لمجرد الخطاب والفرق بين الحاضر والمنقضي دون تعيين
المخاطبين او للرسول على طريقة قوله يا ايها النبي اذا طلقتم النساء للدلالة
على ان حقيقة المشار اليه امر لا يكاد يتصوره كل احد يوعظ به من كان منكم
يؤمن بالله واليوم الاخر لانه المتعظ به والمنتفع ذلكم اي العمل بمقتضى ما ذكر
ازكى لكم انفع واطهر من دنس الآثام والله يعلم ما فيه من النفع والصلاح
وانتم لا تعلمون لقصور علمكم والوالدات يرضعن اولادهن امر عبر عنه بالخبر
للمبالغة ومعناه الندب او الوجوب فيخص بما اذا لم يرتضع الصبي الا من امه
او لم يوجد له ظئر او عجز الوالد عن الاستيجار والوالدات يعم المطلقات
وغيرهن وقيل يختص بهن اذ الكلام فيهن حولين كاملين اكده بصفة الكمال
لانه مما يتسامح فيه لمن اراد ان يتم الرضاعة بيان للمتوجه اليه الحكم اي
ذلك لمن اراد اتمام الرضاعة او متعلق بيرضعن فان الاب يجب عليه الارضاع
كالنفقة والام ترضع له وهو دليل على ان اقصى مدة الارضاع حولان ولا
عبرة به بعدهما وانه يجوز ان ينقص عنه وعلى المولود له اي الذي يولد له
يعني الوالد فان الولد يولد له وينسب اليه وتغيير العبارة للاشارة الى

المبين المتضمن لوجوب الارضاع ومؤن المرضعة عليه رزقهن وكسوتهن اجرتهن
واختلف في استيجار الام فجوزه الشافعي ومنعه ابو حنيفة رح ما دامت زوجة
او معتدة نكاح بالمعروف حسبما يراه الحاكم ويفي به وسعه لا تكلف نفس الا وسعها
تعليل لايجاب المؤن والتقييد بالمعروف ودليل على انه تعالى لا يكلف العبد بما لا يطيقه
وذلك لا يمنع امكانه لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده تفصيل له وتقريب
له اي لا يكلف كل منهما الآخر ما ليس في وسعه ولا يضاره بسبب الولد وقرأ ابن
كثير وابو عمرو ويعقوب لا تضار بالرفع بدلا عن قوله لا تكلف واصله على القراءتين
تضارر بالكسر على البناء للفاعل او الفتح على البناء للمفعول وعلى الوجه الاول
يجوز ان يكون بمعنى يضر والباء من صلته اي لا يضر الوالدان بالولد فيفرط
في تعهده ويقصر فيما ينبغي له وقرئ لا يضار بالسكون مع التشديد على نية الوقف
وبه مع التخفيف على انه من ضاره يضيره واضافة الولد اليها تارة واليه اخرى
استعطاف لهما عليه وتنبيه على انه حقيق بان يتفقا على استصلاحه والاشفاق
فلا ينبغي ان يضرا به او يتضارا بسببه وعلى الوارث مثل ذلك عطف على قوله وعلى
المولود له رزقهن وكسوتهن وما بينهما تعليل معترض والمراد بالوارث وارث
الاب وهو الصبي اي يمان المرضعة من ماله اذا مات الاب وقيل الباقي من الابوين
من قوله عم واجعله الوارث منا وكلا القولين يوافق مذهب الشافعي اذ لا نفقة
عنده فيما عدا الولاد وقيل وارث الطفل واليه ذهب ابن ابي ليلى وقيل وارثه
المحرم منه وهو مذهب ابي حنيفة رح وقيل عصابته وبه قال ابو زيد وذلك اشارة
الى ما وجب على الاب من الرزق والكسوة فان ارادا فصالا عن تراض منهما وتشاور
اي فصالا صادرا عن التراضي منهما والتشاور بينهما قبل الحولين والتشاور و
المشاورة والمشورة استخراج الرأي من شرت العسل اذا استخرجته فلا جناح عليهما
في ذلك وانما اعتبر تراضيهما مراعاة لصلاح الطفل وحذرا ان يقدم احدهما على
ما يضر به لغرض وان اردتم ان تسترضعوا اولادكم اي تسترضعوا المراضع اولادكم
يقال ارضعت المرأة الطفل واسترضعتها اياه كقولك انجح الله حاجتي واستنجحته
اياها فحذف المفعول الاول للاستغناء عنه فلا جناح عليكم فيه وفي اطلاقه دليل
على ان للزوج ان يسترضع الولد ويمنع الزوجة من الارضاع اذا سلمتم اي الى المراضع ما
آتيتم ما اردتم ايتاءه كقوله تعالى اذا قمتم الى الصلوة وقرأ ابن كثير ما اتيتم من
اتى اليه احسانا اذا فعله وقرئ اوتيتم اي ما آتاكم الله واقدركم عليه من الاجرة
بالمعروف صلة سلمتم اي بالوجه المتعارف المستحسن شرعا وجواب الشرط محذوف

دل عليه ما قبله وليس اشتراط التسليم لجواز الاسترضاع بل للسلوك بما هو الاولى
والاصلح للطفل واتقوا الله مبالغة في المحافظة على ما شرع في امر الاطفال
والمراضع واعلموا ان الله بما تعملون بصير حث وتهديد والذين يتوفون منكم
ويذرون ازواجا يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا اي ازواج الذين او
والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن بعدهم كقولهم السمن منوان بدرهم
وقرئ يتوفون بفتح الياء اي يستوفون آجالهم وتأنيث العشر باعتبار الليالي
لانها غرر الشهور والايام ولذلك لا يستعملون التذكير في مثله قط ذهابا
الى الايام حتى انهم يقولون صمت عشرا ويشهد له قوله ان لبثتم الا عشرا ان لبثتم
الا يوما ولعل المقتضي لهذا التقدير ان الجنين في غالب الامر يتحرك لثلاثة اشهر
ان كان ذكرا ولاربعة ان كان انثى فاعتبر اقصى الاجلين وزيد عليه العشر استظهارا
اذ ربما تضعف حركته في المبادي فلا يحس بها وعموم اللفظ يقتضي تساوي المسلمة
والكتابية فيه كما قال الشافعي رح والحرة والامة كما قاله الاصم والحامل وغيرها
لكن القياس اقتضى تنصيف المدة للامة والاجماع خص الحامل عنه لقوله تعالى واولات
الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن وعن علي وابن عباس انها تعتد باقصى الاجلين
احتياطا فاذا بلغن اجلهن اي انقضت عدتهن فلا جناح عليكم ايها الائمة او المسلمون
جميعا فيما فعلن في انفسهن من التعرض للخطاب وسائر ما حرم عليها للعدة بالمعروف
بالوجه الذي لا ينكره الشرع ومفهومه انهن لو فعلن ما ينكره فعليهم ان يكفوهن
فان قصروا فعليهم الجناح والله بما تعملون خبير فيجازيكم عليه ولا جناح عليكم
فيما عرضتم به من خطبة النساء التعريض والتلويح ايهام المقصود بما لم يوضع
له حقيقة ولا مجازا كقول السائل جئتك لاسلم عليك والكناية هي الدلالة على
الشيء بذكر لوازمه وروادفه كقولك طويل النجاد للطويل وكثير الرماد للمضياف
والخطبة بالضم والكسر اسم الحالة غير ان المضمومة خصت بالموعظة والمكسورة
بطلب المرأة والمراد بالنساء المعتدات للوفاة وتعريض خطبتها ان يقول لها
انك جميلة او نافقة ومن غرضي ان اتزوج ونحو ذلك او اكننتم في انفسكم اضمرتم
في قلوبكم فلم تذكروه تصريحا ولا تعريضا علم الله انكم ستذكرونهن ولا تصبرون
على السكوت عنهن وعن الرغبة فيهن وفيه نوع توبيخ ولكن لا تواعدوهن سرا استدراك
عن محذوف دل عليه ستذكرونهن اي فاذكروهن ولكن لا تواعدوهن نكاحا او جماعا
عبر بالسر عن الوطء لانه يسر ثم عن العقد لانه سبب فيه ومعناه لا تواعدوهن في
السر على ان المعنى بالمواعدة في السر المواعدة بما يستهجن الا ان تقولوا قولا معروفا

وهو ان تعرضوا ولا تصرحوا والمستثنى منه محذوف اي لا تواعدوهن مواعدة
الا مواعدة معروفة او الا مواعدة بقول معروف وقيل انه استثناء منقطع
من سرا وهو ضعيف لاداته الى قولك لا تواعدوهن الا التعريض وهو غير موعود و
فيه دليل حرمة تصريح خطبة المعتدة وجواز تعريضها ان كانت معتدة وفاة
واختلف في معتدة الفراق البائن والاظهر جوازه ولا تعزموا عقدة النكاح ذكر
العزم مبالغة في النهي عن العقد اي ولا تعزموا عقد عقدة النكاح وقيل معناه
لا تقطعوا عقدة النكاح فان اصل العزم القطع حتى يبلغ الكتاب اجله حتى ينتهي
ما كتب من العدة واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم من العزم على ما لا يجوز فاحذروه
ولا تعزموا واعلموا ان الله غفور لمن عزم ولم يفعل خشية من الله حليم لا يعاجلكم
بالعقوبة لا جناح عليكم لا تبعة من مهر وقيل من وزر لانه لا بدعة في الطلاق
قبل المسيس وقيل كان النبي عم يكثر النهي عن الطلاق فظن ان فيه حرجا فنفي ان طلقتم
النساء ما لم تمسوهن اي تجامعوهن او تفرضوا لهن فريضة الا ان تفرضوا او حتى
تفرضوا او وتفرضوا والفرض تسمية المهر وفريضة نصب على المفعول به فعيلة
بمعنى مفعول والتاء لنقل اللفظ من الوصفية الى الاسمية ويحتمل المصدر والمعنى
انه لا تبعة على المطلق من مطالبة المهر اذا كانت المطلقة غير ممسوسة ولم يسم
لها مهرا اذ لو كانت ممسوسة فعليه المسمى او مهر المثل ولو كانت غير ممسوسة
ولكن سمي لها فلها نصف المسمى فمنطوق الاية ينفي الوجوب في الصورة الاولى
ومفهومها يقتضي الوجوب على الجملة في الاخيرتين ومتعوهن عطف على مقدر
اي فطلقوهن ومتعوهن والحكمة في ايجاب المتعة جبر ايحاش الطلاق وتقديرها
مفوض الى راي الحاكم ويؤيده قوله على الموسع قدره وعلى المقتر قدره اي على
كل من الذي له سعة ومن المقتر اي الضيق الحال ما يطيقه ويليق به ويدل عليه
قوله عم لانصاري طلق امراته المفوضة قبل ان يمسها متعها بقلنسوتك وقال
ابو حنيفة رح هي درع وملحفة وخمار على حسب الحال الا ان يقل مهر مثلها عن
ذلك فلها نصف مهر المثل ومفهوم الاية يقتضي تخصيص ايجاب المتعة للمفوضة
التي لم يمسها الزوج والحق بها الشافعي رح في احد قوليه الممسوسة المفوضة
وغيرها قياسا وهو مقدم على المفهوم متاعا تمتيعا بالمعروف بالوجه الذي يستحسنه
الشرع والمروة حقا صفة لمتاعا او مصدر مؤكد اي حق ذلك حقا على المحسنين
اي يحسنون الى انفسهم بالمسارعة الى الامتثال او الى المطلقات بالتمتيع وسماهم
محسنين للمشارفة ترغيبا وتحريضا وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن وقد

فرضتم لهن فريضة لما ذكر حكم المفوضة اتبعه حكم قسيمها فنصف ما فرضتم اي
فلهن او فالواجب نصف ما فرضتم لهن وهو دليل على ان الجناح المنفي تبعة المهر
وان لا متعة مع التشطير لانه قسيمها الا ان يعفون اي المطلقات فلا ياخذن
شيئا والصيغة يحتمل التذكير والتانيث والفرق ان الواو في الاول ضمير و
النون علامة الرفع وفي الثاني لام الفعل والنون ضمير والفعل مبني ولذلك لم يؤثر
ههنا ان ونصب المعطوف عليه او يعفو الذي بيده عقدة النكاح اي الزوج المالك
لعقده وحله عما يعود اليه بالتشطير فيسوق المهر اليها كاملا وهو مشعر بان
الطلاق قبل المسيس مخير للزوج غير مشطر بنفسه واليه ذهب بعض اصحابنا
والحنفية وقيل الولي الذي يلي عقد نكاحهن وذلك اذا كانت المراة صغيرة
وهو قول قديم للشافعي وان تعفوا اقرب للتقوى يؤيد الوجه الاول وعفو الزوج
على الوجه الاول ظاهر وعلى الوجه الاخر عبارة عن الزيادة على الحق وتسميتها
عفوا اما على المشاكلة واما لانهم يسوقون المهر الى النساء عند التزوج فمن
طلق قبل المسيس استحق استرداد النصف فاذا لم يسترده فقد عفا عنه وعن
جبير بن مطعم انه تزوج امراة وطلقها قبل الدخول فاكمل لها الصداق وقال
انا احق بالعفو ولا تنسوا الفضل بينكم اي ولا تنسوا ان يتفضل بعضكم على بعض
ان الله بما تعملون بصير لا يضيع تفضلكم واحسانكم حافظوا على الصلوات بالاداء
لوقتها والمداومة عليها ولعل الامر بها في تضاعيف احكام الاولاد والازواج
لئلا يلهيهم الاشتغال بشانهم عنها والصلوة الوسطى اي الوسطى بينها او
الفضلى منها خصوصا وهي صلوة العصر لقوله عم يوم الاحزاب شغلونا عن
الصلوة الوسطى صلوة العصر ملا الله بيوتهم نارا وفضلها لكثرة اشتغال
الناس في وقتها واجتماع الملئكة وقيل صلوة الظهر لانها في وسط النهار
وكانت اشق الصلوات عليهم فكانت افضل لقوله عم افضل العبادات احمزها
وقيل صلوة الفجر لانها بين صلوتي النهار والليل والواقعة في الحد المشترك
بينهما ولانها مشهودة وقيل المغرب لانها المتوسطة بالعدد ووتر النهار وقيل
العشاء لانها بين جهريتين واقعتين طرفي الليل وعن عائشة رض انه عم كان
يقرا والصلوة الوسطى وصلوة العصر فيكون صلوة من الاربع خصت بالذكر
مع العصر لانفرادهما بالفضل وقرئ بالنصب على الاختصاص وقوموا لله في
الصلوة قانتين ذاكرين له في القيام والقنوت الذكر فيه وقيل خاشعين و
قال ابن المسيب المراد به القنوت في الصبح فان خفتم من عدو او غيره فرجالا

او ركبانا فصلوا راجلين او راكبين جمع راجل او رجل بمعناه كقايم وقيام وفيه دليل على وجوب الصلوة حال المسايفة واليه ذهب الشافعي رضي الله عنه وقال ابو حنيفة رحمه الله لا يصلي حال المشي والمسايفة ما لم يمكن الوقوف فاذا امنتم وزال خوفكم فاذكروا الله صلوا صلوة الامن او اشكروه على الامن كما علمكم ذكرا مثل ما علمكم من الشرايع وكيفية الصلوة حالتي الخوف والامن او شكرا يوازيه وما مصدرية او موصولة ما لم تكونوا تعلمون مفعول علمكم والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا وصية لازواجهم قراها بالنصب ابو عمرو وابن عامر وحمزة وحفص عن عاصم على تقدير والذين يتوفون منكم يوصون وصية او ليوصوا وصية او كتب الله عليهم وصية او الزم الذين يتوفون وصية ويؤيد ذلك قراءة كتب عليكم الوصية لازواجكم متاعا الى الحول مكانه وقرا الباقون بالرفع على تقدير ووصية الذين يتوفون او وحكمهم وصية او والذين يتوفون اهل وصية او كتب عليهم وصية او عليهم وصية وقرئ متاع بدلها متاعا الى الحول نصب بيوصون ان اضمرت والا فبالوصية وبمتاع على قراءة من قراه لانه بمعنى التمتيع غير اخراج بدل منه او مصدر مؤكد كقولك هذا القول غير ما تقول او حال من ازواجهم اي غير مخرجات والمعنى انه يجب على الذين يتوفون ان يوصوا قبل ان يحتضروا لازواجهم بان يمتعن بعدهم حولا بالسكنى وكان ذلك اول الاسلام ثم نسخت المدة بقوله اربعة اشهر وعشرا وهو وان كان متقدما في التلاوة متاخر في النزول وسقطت النفقة بتوريثها الربع او الثمن والسكنى لها بعد ثابتة عندنا خلافا لابي حنيفة فان خرجن عن منزل الازواج فلا جناح عليكم ايها الائمة فيما فعلن في انفسهن كالتطيب وترك الحداد من معروف مما لم ينكره الشرع وهذا يدل على انه لم يكن يجب عليها ملازمة مسكن الزوج والحداد عليه وانما كانت مخيرة بين الملازمة واخذ النفقة وبين الخروج وتركها والله عزيز ينتقم ممن خالفه منهم حكيم راعى مصالحهم وللمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين اثبت المتعة للمطلقات جميعا بعدما اوجبها لواحدة منهن وافراد بعض العام بالحكم لا يخصصه الا اذا جوزنا تخصيص المنطوق بالمفهوم ولذلك اوجبها ابن جبير لكل مطلقة واول غيره بما يعم التمتيع الواجب والمستحب وقال قوم المراد بالمتاع نفقة العدة ويجوز ان يكون اللام للعهد والتكرير للتاكيد او لتكرير القصة كذلك اشارة الى ما سبق من احكام الطلاق والعدد يبين الله لكم آياته وعد بانه سيبين لعباده من الدلايل والاحكام ما يحتاجون اليه معاشا ومعادا لعلكم تعقلون لعلكم

يفهمونها

يفهمونها فيستعملون العقل فيها الم تر تعجيب وتقرير لمن سمع بقصتهم من اهل الكتاب وارباب التواريخ وقد يخاطب به من لم يسمع فانه صار مثلا في التعجب الى الذين خرجوا من ديارهم يريد داوردان قرية قبل واسط وقع فيهم طاعون فخرجوا هاربين فاماتهم الله ثم احياهم ليعتبروا ويتيقنوا ان لا مفر من قضاء الله وقدره او قوما من بني اسرائيل دعاهم ملكهم الى الجهاد ففروا حذر الموت فاماتهم الله ثمانية ايام ثم احياهم وهم الوف اي الوف كثيرة قيل عشرة وقيل ثلثون وقيل سبعون وقيل متالفون جمع الف او آلف كقاعد وقعود والواو للحال حذر الموت مفعول له فقال لهم الله موتوا اي قال لهم موتوا فماتوا كقوله كن فيكون والمعنى انهم ماتوا ميتة رجل واحد من غير علة بامر الله ومشيته وقيل ناداهم به ملك وانما اسند الى الله تعالى تخويفا وتهويلا ثم احياهم قيل مر حزقيل على اهل داوردان وقد عريت عظامهم وتفرقت اوصالهم فتعجب من ذلك فاوحى اليه ناد فيهم ان قوموا باذن الله فنادى فقاموا يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لا اله الا انت وفايدة القصة تشجيع المسلمين على الجهاد والتعرض للشهادة وحثهم على التوكل والاستسلام للقضاء ان الله لذو فضل على الناس حيث احياهم ليعتبروا ويفوزوا وقص عليكم حالهم ليستبصروا ولكن اكثر الناس لا يشكرون اي لا يشكرونه كما ينبغي ويجوز ان يراد بالشكر الاعتبار والاستبصار وقاتلوا في سبيل الله لما بين ان الفرار عن الموت غير مخلص وان المقدر لا محالة واقع امرهم بالقتال اذ لو جاء اجلهم ففي سبيل الله والا فالنصر والثواب واعلموا ان الله سميع لما يقوله المتخلف والسابق عليم بما يضمرانه وهو من وراء الجزاء من ذا الذي يقرض الله من استفهامية مرفوعة الموضع بالابتداء وذا خبره والذي صفة ذا او بدله واقراض الله مثل لتقديم العمل الذي به يطلب ثوابه قرضا حسنا اقراضا مقرونا بالاخلاص وطيب النفس او مقرضا حلالا طيبا وقيل القرض الحسن المجاهدة والانفاق في سبيل الله فيضاعفه له فيضاعف جزاءه اخرجه على صورة المبالغة وقرا عاصم بالنصب على جواب الاستفهام حملا على المعنى فان من ذا الذي يقرض الله في معنى ايقرض الله احد وقرا ابن كثير يضعفه بالرفع وابن عامر ويعقوب بالنصب اضعافا كثيرة كثيرة لا يقدرها الا الله وقيل الواحد بسبعمائة واضعافا جمع ضعف ونصبه على الحال من الضمير المنصوب او المفعول الثاني لتضمن المضاعفة معنى التصيير او المصدر على ان الضعف اسم مصدر وجمعه

للمبالغة

للتوسيع والله يقبض ويبسط يقتر على بعض ويوسع على بعض حسبما اقتضت حكمته فلا
تبخلوا عليه بما وسع عليكم كيلا يبدل حالكم واليه ترجعون فيجازيكم على ما قدمتم الم
تر الى الملأ من بني اسرائيل الملأ جماعة يجتمعون للتشاور ولا واحد له كالقوم
ومن للتبعيض من بعد موسى من بعد وفاته ومن للابتداء اذ قالوا لنبي لهم هو يوشع
او شمعون او اشمويل ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله اقم لنا اميرا ننهض معه
للقتال يدبر امره ونصدر فيه عن رأيه وجزم نقاتل على الجواب وقرئ بالرفع على
انه حال اي ابعثه لنا مقدرين القتال ويقاتل بالياء مجزوما ومرفوعا على الجواب
والوصف لملكا قال هل عسيتم ان كتب عليكم القتال الا تقاتلوا فصل بين عسى
وخبره بالشرط والمعنى اتوقع جبنكم عن القتال ان كتب عليكم فادخل هل على فعل
التوقع مستفهما عما هو المتوقع عنده تقريرا وتثبيتا وقرأ نافع عسيتم بكسر
السين قالوا وما لنا الا نقاتل في سبيل الله وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا اي
اي غرض لنا في ترك القتال وقد عرض لنا ما يوجبه ويحث عليه من الاخراج عن الاوطان
والافراد عن الاولاد وذلك ان جالوت ومن معه من العمالقة كانوا يسكنون
ساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين فظهروا على بني اسرائيل فاخذوا ديارهم و
سبوا اولادهم واسروا من ابناء الملوك اربعمائة واربعين فلما كتب عليهم القتال
تولوا الا قليلا منهم ثلثمائة وثلثة عشر بعدد اهل بدر والله عليم بالظالمين وعيد
لهم على ظلمهم في ترك الجهاد وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا طالوت
علم عبري كداود وجالوت وجعله فعلوتا من الطول تعسف يدفعه منع صرفه
روي ان النبي عم لما دعا الله ان يملكهم اتي بعصا يقاس بها من يملك عليهم فلم يساوها
الا طالوت قالوا انى يكون له الملك علينا من اين يكون له ذلك ويستأهل ونحن احق
بالملك منه ولم يؤت سعة من المال والحال انا احق منه بالملك وراثة وانه فقير
لا مال له يعتضد به وانما قالوا ذلك لان طالوت كان فقيرا راعيا او سقاء او
دباغا من اولاد بنيامين ولم يكن فيهم النبوة والملك وانما كانت النبوة في اولاد
لاوي والملك في اولاد يهوذا وكان فيهم من السبطين خلق قال ان الله اصطفاه
عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم
لما استبعدوا تملكه لفقره وسقوط نسبه رد عليهم ذلك اولا بان العمدة فيه
اصطفاء الله وقد اختاره عليكم وهو اعلم بالمصالح منكم وثانيا بان الشرط فيه
وفور العلم ليتمكن به من معرفة الامور السياسية وجسامة البدن ليكون
اعظم خطرا في القلوب واقوى على مقاومة العدو ومكابدة الحروب لا ما ذكرتم

وقد زاده الله فيهما وكان الرجل القائم يمد يده فينال رأسه وثالثا بانه تعالى
مالك الملك على الاطلاق فله ان يؤتيه من يشاء ورابعا بانه واسع الفضل يوسع
على الفقير ويغنيه عليم بمن يليق بالملك من النسيب وغيره وقال لهم نبيهم لما طلبوا منه
حجة على انه سبحانه اصطفى طالوت وملكه عليهم ان آية ملكه ان يأتيكم التابوت
الصندوق فعلوت من التوب فانه لا يزال يرجع اليه ما يخرج منه وليس بفاعول
لقلته نحو سلس وقلق ومن قرأه بالهاء فلعله ابدله منه كما ابدل من تاء التأنيث
لاشتراكهما في الهمس والزيادة يريد به صندوق التوراة وكان من خشب الشمشاد
مموها بالذهب نحوا من ثلثة اذرع في ذراعين فيه سكينة من ربكم الضمير للاتيان
اي في اتيانه سكون لكم وطمأنينة او للتابوت اي مودع فيه ما تسكنون اليه
وهو التوراة وكان موسى عم اذا قاتل قدمه فتسكن نفوس بني اسرائيل ولا يفرون
وقيل صورة كانت فيه من زبرجد او ياقوت لها رأس وذنب كرأس الهرة وذنبها
وجناحان فتئن فيزف التابوت نحو العدو وهم يتبعونه فاذا استقر ثبتوا و
سكنوا ونزل النصر وقيل صور الانبياء من آدم الى محمد عم وقيل التابوت هو
القلب والسكينة ما فيه من العلم والاخلاص واتيانه مصير قلبه مقرا للعلم و
الوقار بعد ان لم يكن وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون رضاض الالواح وعصا
موسى وثيابه وعمامة هرون وآلهما ابناؤهما او انفسهما والآل مقحم لتفخيم شأنهما
او انبياء بني اسرائيل لانهم ابناء عمهما تحمله الملائكة قيل رفعه الله بعد موسى
فنزلت به الملائكة وهم ينظرون اليه وقيل كان بعده مع انبيائهم يستفتحون به
حتى افسدوا فغلبهم الكفار عليه وكان في ارض جالوت الى ان ملك طالوت
فاصابهم ببلاء حتى هلكت خمس مداين فتشاءموا بالتابوت فوضعوه على ثورين
فساقتهم الملائكة الى طالوت ان في ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين يحتمل ان يكون
من تمام كلام النبي عم وان يكون ابتداء خطاب من الله تعالى فلما فصل طالوت بالجنود
انفصل بهم عن بلده لقتال العمالقة واصله فصل نفسه عنه ولكن لما كثر حذف
مفعوله صار كاللازم روي انه قال لهم لا يخرج معي الا الشاب النشيط الفارغ
فاجتمع اليه ممن اختاره ثمانون الفا وكان الوقت قيظا فسلكوا مفازة وسألوا
ان يجري الله لهم نهرا قال ان الله مبتليكم بنهر معاملكم معاملة المختبر بما اقترحتموه
فمن شرب منه فليس مني فليس من اشياعي او ليس بمتحد معي ومن لم يطعمه فانه مني
اي من لم يذقه من طعم الشيء اذا ذاقه مأكولا او مشروبا قال وان شئت لم اطعم
نقاخا ولا بردا وانما علم ذلك بالوحي ان كان نبيا كما قيل او باخبار النبي عم

الا من اغترف غرفة بيده استثناء من قوله فمن شرب منه وانما قدمت عليه الجملة
الثانية للعناية بها كما قدم الصابئون على الخبر في قوله ان الذين امنوا والذين
هادوا والمعنى الرخصة في القليل دون الكثير فشربوا منه الا قليلا منهم اي
فكرعوا فيه اذ الاصل في الشرب منه ان لا يكون بوسط وتعميم الاول ليتصل
الاستثناء او افرطوا في الشرب الا قليلا وقرئ بالرفع حملا على المعنى فان قوله
فشربوا منه في معنى فلم يطيعوه والقليل كانوا ثلثمائة وثلثة عشر رجلا وقيل
ثلثة الاف وقيل الفا وروي ان من اقتصر على الغرفة كفته لشربه واداوته ومن لم
يقتصر غلب عطشه واسودت شفته ولم يقدر ان يمضي وهكذا الدنيا لقاصد
الاخرة فلما جاوزه هو والذين امنوا معه اي القليل الذين لم يخالفوه قالوا
لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده لكثرتهم وقوتهم قال الذين يظنون انهم ملاقوا
الله اي قال الخلص منهم الذين تيقنوا لقاء الله وتوقعوا ثوابه او علموا انهم يستشهدون
عما قريب فيلقون الله وقيل هم القليل الذين ثبتوا معه والضمير في قالوا للكثير
المنخزلين عنه اعتذارا في التخلف وتخذيلا للقليل وكانهم تقاولوا به والنهر
بينهما كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله بحكمه وتيسيره وكم يحتمل
الخبر والاستفهام ومن مبينة او مزيدة والفئة الفرقة من الناس من فأوت
راسه اذا شققته او من فاء اذا رجع فوزنها فعة او فلة والله مع الصابرين
بالنصر والاثابة ولما برزوا لجالوت وجنوده اي ظهروا لهم ودنوا منهم قالوا
ربنا افرغ علينا صبرا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين التجأوا الى
الله بالدعاء وفيه ترتيب بليغ اذ سالوا اولا افراغ الصبر في قلوبهم الذي هو
ملاك الامر ثم ثبات القدم في مداحض الحرب المسبب عنه ثم النصر على العدو المترتب
عليهما غالبا فهزموهم باذن الله فكسروهم بنصره او مصاحبين لنصره اياهم
اجابة لدعائهم وقتل داود جالوت قيل كان ايشى في عسكر طالوت مع ستة من
بنيه وكان داود سابعهم وكان صغيرا يرعى الغنم فاوحى الله الى نبيهم انه
الذي يقتل جالوت فطلبه من ابيه فجاء وقد كلمه في الطريق ثلثة احجار وقالت
انك بنا تقتل جالوت فحملها في مخلاته ورماه بها فقتله ثم زوجه طالوت بنته واتيه
الله الملك اي ملك بني اسرائيل ولم يجتمعوا قبل داود على ملك والحكمة النبوة وعلمه
مما يشاء كالسرد وكلام الدواب والطير ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت
الارض ولكن الله ذو فضل على العالمين ولولا انه تعالى يدفع بعض الناس ببعض
وينصر المسلمين على الكفار ويكف بهم فسادهم لغلبوا وافسدوا في الارض او

لفسدت الارض بشؤمهم تلك ايات الله اشارة الى ما قص من حديث الالوف و
تمليك طالوت واتيان التابوت وانهزام الجبابرة وقتل داود جالوت نتلوها عليك
بالحق بالوجه المطابق الذي لا يشك فيه اهل الكتاب وارباب التواريخ وانك
لمن المرسلين لما اخبرت بها من غير تعرف واستماع تلك الرسل اشارة الى الجماعة المذكورة
قصصها في السورة او المعلومة للرسول ص او جماعة الرسل واللام للاستغراق
فضلنا بعضهم على بعض بان خصصناه بمنقبة ليست لغيره منهم من كلم الله تفضيل له
وهو موسى ع وقيل موسى ومحمد ع كلم موسى ليلة الحيرة وفي الطور ومحمدا ص ليلة
المعراج حين كان قاب قوسين او ادنى وبينهما بون بعيد وقرئ كلم الله وكالم الله
بالنصب فانه كلم الله كما ان الله كلمه ولذلك قيل كليم الله بمعنى مكالمه ورفع بعضهم
درجات بان فضله على غيره من وجوه متعددة وبمراتب متباعدة وهو محمد ص فانه
خص بالدعوة العامة والحجج المتكاثرة والمعجزات المستمرة والايات المتعاقبة بتعاقب
الدهر والفضائل العلمية والعملية الفائتة للحصر والابهام لتفخيم شانه كانه العلم
المتعين لهذا الوصف المستغني عن التعيين وقيل ابرهيم خصصه بالخلة التي هي اعلى
المراتب وقيل ادريس لقوله ورفعناه مكانا عليا وقيل اولوا العزم من الرسل واتينا
عيسى ابن مريم البينات وايدناه بروح القدس خصه بالتعيين لافراط اليهود و
النصارى في تحقيره وتعظيمه وجعل معجزاته سبب تفضيله لانها ايات واضحة و
معجزات عظيمة لم يستجمعها غيره ولو شاء الله هدى الناس جميعا ما اقتتل الذين
من بعدهم من بعد الرسل من بعد ما جاءتهم البينات المعجزات الواضحات لاختلافهم
في الدين وتضليل بعضهم بعضا ولكن اختلفوا فمنهم من امن بتوفيقه التزام دين
الانبياء تفضلا ومنهم من كفر لاعراضه عنه بخذلانه ولو شاء الله ما اقتتلوا كرره
للتاكيد ولكن الله يفعل ما يريد فيوفق من يشاء فضلا ويخذل من يشاء عدلا والاية
دليل على ان الانبياء متفاوتة الاقدام وانه يجوز تفضيل بعضهم على بعض ولكن
بقاطع لان اعتبار الظن فيما يتعلق بالعمل وان الحوادث بيد الله تابعة لمشيئته خيرا
كان او شرا ايمانا او كفرا يا ايها الذين امنوا انفقوا مما رزقناكم ما اوجبت عليكم انفاقه
من قبل ان ياتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة من قبل ان ياتي يوم لا تقدرون
على تدارك ما فرطتم والخلاص من عذابه اذ لا بيع فيه فتحصلون ما تنفقونه او
تفتدون به من العذاب ولا خلة حتى يعينكم عليه اخلاؤكم او يسامحوكم به ولا
شفاعة الا لمن اذن له الرحمن ورضي له قولا حتى تتكلوا على شفعاء تشفع لكم في
حط ما في ذممكم وانما رفعت ثلثتها مع قصد التعميم لانها في التقدير جواب هل فيه

بيع ولا خلة ولا شفاعة وقد فتحها ابن كثير وابو عمرو ويعقوب على الاصل والكافرون
هم الظالمون يريد والتاركون للزكوة هم الذين ظلموا انفسهم او وضعوا المال
غير موضعه وصرفوه على غير وجهه فوضع الكافرون موضعه تغليظا وتهديدا
كقوله ومن كفر مكان ومن لم يحج وايذانا بان ترك الزكوة من صفات الكفار لقوله
وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكوة الله لا اله الا هو مبتدا وخبر والمعنى
انه المستحق للعبادة لا غير وللنحاة خلاف في انه هل يضمر للا خبر مثل في الوجود
او يصح ان يوجد الحي الذي يصح ان يعلم ويقدر وكل ما يصح له فهو واجب لا يزول
لامتناعه عن القوة والامكان القيوم الدائم القيام بتدبير الخلق وحفظه فيعول
القائم
من قام بالامر اذا حفظه لا تاخذه سنة ولا نوم السنة فتور يتقدم النوم قال ابن
الرقاع وسنان اقصده النعاس فرنقت في عينه سنة وليس بنائم والنوم حال
يعرض للحيوان من استرخاء اعصاب الدماغ من رطوبات الابخرة المتصاعدة بحيث
تقف الحواس الظاهرة عن الاحساس راسا وتقديم السنة عليه وقياس المبالغة
عكسه على ترتيب الوجود والجملة نفي للتشبيه وتاكيد لكونه حيا قيوما فان
من اخذه نعاس او نوم كان مؤوف الحيوة قاصرا في الحفظ والتدبير ولذلك
ترك العاطف فيه وفي الجملة التي بعده له ما في السموات وما في الارض تقرير لقيوميته
واحتجاج به على تفرده في الالوهية والمراد بما فيهما ما وجد فيهما داخلا في حقيقتهما
او خارجا عنهما متمكنا فيهما فهو ابلغ من قوله لله ملك السموات والارض
وما فيهن من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه بيان لكبرياء شانه وانه لا احد
يساويه او يدانيه يستقل بان يدفع ما يريده شفاعة واستكانة فضلا ان
يعاوقه عنادا او مناصبة يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ما قبلهم وما بعدهم
المستقبل
او بالعكس لانك مستقبل المستقبل ومستدبر الماضي او امور الدنيا وامور الاخرة او
ما يحسونه وما يعقلونه او ما يدركونه وما لا يدركونه والضمير لما في
السموات والارض لان فيهم العقلاء او لما دل عليه من ذا من الملائكة والانبياء
ولا يحيطون بشيء من علمه من معلوماته الا بما شاء ان يعلموا وعطفه على ما قبله
لان مجموعهما يدل على تفرده بالعلم الذاتي التام الدال على وحدانيته وسع
كرسيه السموات والارض تصوير لعظمته وتمثيل مجرد كقوله وما قدروا
الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه
ولا كرسي في الحقيقة ولا قاعد وقيل كرسيه مجاز عن علمه او ملكه ماخوذ
من كرسي العالم والملك وقيل جسم بين يدي العرش ولذلك سمي كرسيا محيطا

بالسموات السبع لقوله عليه السلام ما السموات السبع والارضون السبع مع الكرسي
الا كحلقة في فلاة وفضل العرش على الكرسي كفضل تلك الفلاة على تلك الحلقة
ولعله الفلك المشهور بفلك البروج وهو في الاصل اسم لما يقعد عليه ولا يفضل
عن مقعد القاعد وكانه منسوب الى الكرسي وهو الملبد ولا يؤده ولا يثقله ماخوذ
من الاود وهو الاعوجاج حفظهما وهو العلي المتعالي عن الانداد والاشباه العظيم
المستحقر بالاضافة اليه كل ما سواه وهذه الاية مشتملة على امهات المسائل
الالهية فانها دالة على انه تعالى موجود واحد في الالهية متصف بالحيوة واجب
الوجود لذاته موجد لغيره اذ القيوم هو القائم بنفسه المقيم لغيره منزه عن
التحيز والحلول مبرء عن التغير والفتور لا يناسب الاشباح ولا يعتريه ما يعتري
الارواح مالك الملك والملكوت ومبدع الاصول والفروع ذو البطش الشديد
الذي لا يشفع عنده الا من اذن له عالم الاشياء كلها جليها وخفيها كليها و
جزئيها واسع الملك والقدرة كل ما يصح ان يملك ويقدر عليه لا يؤده شاق ولا
يشغله شان متعال عما يدركه وهم عظيم لا يحيط به فهم ولذلك قال عليه السلام ان اعظم
اية في القران اية الكرسي من قراها بعث الله ملكا يكتب من حسناته ويمحو من سيئاته الى
الغد من تلك الساعة وقال من قرا اية الكرسي في دبر كل صلوة مكتوبة لم يمنعه
من دخول الجنة الا الموت ولا يواظب عليها الا صديق او عابد ومن قراها
اذا اخذ مضجعه امنه الله على نفسه وجاره وجار جاره والابيات حوله
لا اكراه في الدين اذ الاكراه في الحقيقة الزام الغير فعلا لا يرى فيه خيرا ولكن
قد تبين الرشد من الغي تميز الايمان من الكفر بالايات الواضحة ودلت الدلائل على
ان الايمان رشد يوصل الى السعادة والكفر غي يؤدي الى الشقاوة السرمدية
والعاقل متى تبين له ذلك بادرت نفسه الى الايمان طلبا للفوز بالسعادة و
النجاة فلم يحتج الى الاكراه والالجاء وقيل اخبار في معنى النهي اي لا تكرهوا في
الدين وهو اما عام منسوخ بقوله جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم او
خاص باهل الكتاب لما روي ان انصاريا كان له ابنان تنصرا قبل المبعث ثم قدما
المدينة فلزمهما ابوهما وقال والله لا ادعكما حتى تسلما فابيا فاختصموا الى
رسول الله عليه السلام فنزلت فمن يكفر بالطاغوت بالشيطان او الاصنام او كل ما عبد
من دون الله او صد عن عبادة الله فعلوت من الطغيان قلبت عينه ولامه
ويؤمن بالله بالتوحيد وتصديق الرسول فقد استمسك بالعروة الوثقى طلب
الامساك من نفسه بالعروة الوثقى من الحبل الوثيق وهي مستعارة للمتمسك

المحوج من النظر الصحيح والراي القويم لا انفصام لها لا انقطاع لها يقال فصمته فانفصم
اذا كسرته والله سميع بالاقوال عليم بالنيات ولعله تهديد على النفاق الله ولي
الذين امنوا محبهم او متولي امرهم والمراد بهم من اراد ايمانه وثبت في علمه انه
يؤمن يخرجهم بهدايته وتوفيقه من الظلمات ظلمات الجهل واتباع الهوى وقبول
الوساوس والشبه المؤدية الى الكفر الى النور الى الهدى الموصل الى الايمان
والجملة خبر بعد خبر او حال من المستكن في الخبر او من الموصول او منهما او
استيناف مبين او مقرر للولاية والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت اي الشيطان
او المضلات من الهوى والشيطان وغيرهم يخرجونهم من النور الى الظلمات من النور
الذي منحوه بالفطرة الى الكفر وفساد الاستعداد والانهماك في الشهوات او من
نور البينات الى ظلمات الشكوك والشبهات وقيل نزلت في قوم ارتدوا عن الاسلام
واسناد الاخراج الى الطاغوت باعتبار التسبب لا يأبى تعلق قدرته تعالى وارادته به
اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون وعيد وتحذير ولعل عدم مقابلته بوعد
المؤمنين تعظيم لشأنهم الم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه تعجيب من محاجة نمرود و
حماقته ان اتاه الله الملك لان اتاه اي ابطره ايتاء الملك وحمله على المحاجة او
حاج لاجله شكرا له على طريق العكس كقولك عاديتني لاني احسنت اليك او وقت
ان اتاه الله الملك وهو حجة على من منع ايتاء الله الملك الكافر من المعتزلة اذ
قال ابراهيم ظرف لحاج او بدل من ان اتاه الله الملك على الوجه الثاني ربي الذي
يحيي ويميت يخلق الحيوة والموت في الاجساد وقرا حمزة رب بحذف الياء قال
انا احيي واميت بالعفو عن القتل والقتل قال ابراهيم فان الله ياتي بالشمس من
المشرق فات بها من المغرب اعرض ابراهيم عن الاعتراض على معارضته الفاسدة
الى الاحتجاج بما لا يقدر فيه على نحو هذا التمويه دفعا للمشاغبة وهو في الحقيقة
عدول عن مثال جلي من مقدوراته التي يعجز عن الاتيان بها غيره لا عن حجة الى
اخرى ولعل نمرود زعم انه يقدر على ان يفعل كل جنس يفعله الله فنقضه ابراهيم
بذلك وانما حمله عليه بطر الملك وحماقته او اعتقاد الحلول وقيل لما كسر ابراهيم
الاصنام سجنه اياما ثم اخرجه ليحرقه فقال له من ربك الذي تدعو اليه وحاجه
فيه فبهت الذي كفر فصار مبهوتا وقرئ فبهت اي فغلب ابراهيم الكافر والله لا
يهدي القوم الظالمين الذين ظلموا انفسهم بالامتناع عن قبول الهداية وقيل لا
يهديهم محجة الاحتجاج او سبيل النجاة او طريق الجنة يوم القيمة او كالذي مر على
قرية تقديره او رايت مثل الذي فحذف لدلالة الم تر عليه وتخصيصه بحرف

التشبيه لان المنكر للاحياء كثير والجاهل بكيفيته اكثر من ان يحصى بخلاف مدعي
الربوبية وقيل الكاف مزيدة وتقدير الكلام الم تر الى الذي حاج او الذي مر
وقيل انه عطف محمول على المعنى كانه قيل الم تر كالذي حاج او كالذي مر وقيل
انه من كلام ابراهيم ذكره جوابا لمعارضته وتقديره او ان كنت تحيي فاحيي
كاحياء الله الذي مر وهو عزير بن شرخيا او الخضر او كافر بالبعث ويؤيده
نظمه مع نمرود والقرية بيت المقدس حين خربه بخت نصر وقيل القرية التي
خرج منها الالوف وقيل غيرهما واشتقاقها من القري وهو الجمع وهي خاوية
على عروشها خالية ساقطة حيطانها على سقوفها قال انى يحيي هذه الله بعد
موتها اعترافا بالقصور عن معرفة طريق الاحياء واستعظاما لقدرة المحيي
ان كان القائل مؤمنا واستبعادا ان كان كافرا وانى في موضع نصب على الظرف
بمعنى متى او على الحال بمعنى كيف فاماته الله مائة عام ثم بعثه فالبثه ميتا مائة عام او
اماته فلبث ميتا مائة عام ثم بعثه بالاحياء قال كم لبثت القائل هو الله وساغ
ان يكلمه وان كان كافرا لانه امن بعد البعث او شارف الايمان وقيل ملك او نبي
قال لبثت يوما او بعض يوم كقول الظان وقيل انه مات ضحى وبعث بعد المائة
قبيل الغروب فقال قبل النظر الى الشمس يوما ثم التفت فراى بقية منها فقال
او بعض يوم على الاضراب قال بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك وشرابك لم
يتسنه لم يتغير بمرور الزمان واشتقاقه من السنة والهاء اصلية ان قدر
لام السنة هاء وهاء سكت ان قدرت واوا وقيل اصله يتسنن من الحماء المسنون
فابدلت النون الثالثة حرف علة كتقضي البازي وانما افرد الضمير لان الطعام
والشراب كالجنس الواحد وقيل كان طعامه تينا او عنبا وشرابه عصيرا او
لبنا وكان الكل على حاله وانظر الى حمارك كيف تفرقت عظامه او انظر اليه
سالما في مكانه كما ربطته حفظناه بلا ماء وعلف كما حفظنا الطعام والشراب
من التغير والاول ادل على الحال واوفق لما بعده ولنجعلك اية للناس اي وفعلنا
ذلك لنجعلك اية روي انه اتى قومه على حماره وقال انا عزير فكذبوه فقرا
التورية من الحفظ ولم يحفظها احد قبله فعرفوه بذلك وقالوا هو ابن الله وقيل
لما رجع الى منزله كان شابا واولاده شيوخا فاذا حدثهم بحديث قالوا
حديث مائة سنة وانظر الى العظام يعني عظام الحمار او الاموات الذين تعجب
من احيائهم كيف ننشزها نحييها او نرفع بعضها الى بعض ونركبه عليه و
كيف منصوب بننشزها والجملة حال من العظام اي انظر اليها محياة وقراء

ابن كثير وابو عمرو ونافع ويعقوب ننشرها من انشر الله الموتى وقرئ ننشرها
من نشر بمعنى انشر ثم نكسوها لحما فلما تبين له فاعل تبين مضمر يفسره ما بعده
تقديره فلما تبين له ان الله على كل شيء قدير قال اعلم ان الله على كل شيء قدير فحذف
الاول لدلالة الثاني عليه او يفسره ما قبله اي فلما تبين له ما اشكل عليه و
قرا حمزة والكسائي قال اعلم على الامر مخاطبة او هو نفسه خاطبها به على طريق
التبكيت واذ قال ابرهيم رب ارني كيف تحيي الموتى انما سال ذلك ليصير علمه عيانا
وقيل لما قال نمروذ انا احيي واميت قال له ان احياء الله برد الروح الى بدنها فقال
نمروذ هل عاينته فلم يقدر ان يقول نعم وانتقل الى تقرير اخر ثم سال ربه ان يريه
ليطمئن قلبه على الجواب ان سئل عنه مرة اخرى قال اولم تؤمن باني قادر على
الاحياء باعادة التركيب والحيوة قال له ذلك وقد علم انه اعرف الناس في الايمان
ليجيب بما اجاب فيعلم السامعون غرضه قال بلى ولكن ليطمئن قلبي اي بلى امنت ولكن
سالت لازيد بصيرة وسكون قلب بمضامة العيان الى الوحي والاستدلال قال فخذ
اربعة من الطير قيل طاوسا وديكا وغرابا وحمامة ومنهم من ذكر النسر بدل
الحمامة وفيه ايماء الى ان احياء النفس بالحيوة الابدية انما يتاتى باماتة حب
الشهوات والزخارف الذي هو صفة الطاوس والصولة المشهور بها الديك
وخسة النفس وبعد الامل المتصف بهما الغراب والترفع والمسارعة الى الهوى
الموسوم بهما الحمام وانما خص الطير لانه اقرب الى الانسان واجمع لخواص الحيوان
والطير مصدر سمي به او جمع كصحب فصرهن اليك فاملهن واضممهن اليك لتاملها
وتعرف شانها لئلا يلتبس عليك بعد الاحياء وقرا حمزة ويعقوب فصرهن
بالكسر وهما لغتان قال ولكن اطراف الرماح تصورها وقال وفرع يصير الجيد
وحف كانه على الليت قنوان الكروم الدوالح وقرئ فصرهن بضم الصاد وكسرها
مشددة الراء من صره يصره ويصره اذا جمعه فصرهن من التصرية وهي
الجمع ايضا ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا اي جزئهن وفرق اجزاءهن على الجبال
التي بحضرتك قيل كانت اربعة وقيل سبعة ثم ادعهن قل لهن تعالين باذن الله
ياتينك سعيا ساعيات مسرعات طيرانا او مشيا روي انه امر بان يذبحها
وينتف ريشها ويقطعها فيمسك رؤسها ويخلط سائر اجزائها ويوزعها على
الجبال ثم يناديهن ففعل ذلك فجعل كل جزء يطير الى الاخر حتى صارت جثثا ثم اقبلن
فانضممن الى رؤسهن وفيه اشارة الى ان من اراد احياء نفسه بالحيوة الابدية
فعليه ان يقبل على القوى البدنية فيقتلها ويمزج بعضها ببعض حتى تنكسر

سورتها فطار وعنه سر وغاية سعيه دعاهن بدا غاية العقل والشرع وكفى لك
شاهدا على فضل ابرهيم ويمن الضراعة في الدعا وحسن الادب في السؤال انه تعالى
اراه ما اراد ان يريه في الحال على ايسر الوجوه واراه عزيرا بعد ان اماته مائة
عام واعلم ان الله عزيز لا يعجز عما يريده حكيم ذو حكمة بالغة في كل ما يفعله ويذره
مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله كمثل حبة اي مثل نفقتهم كمثل حبة او مثلهم
كمثل باذر حبة على حذف المضاف انبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة
اسند الانبات الى الحبة لما كانت من الاسباب كما يسند الى الارض والماء والمنبت
على الحقيقة هو الله والمعنى انه يخرج منها ساق يتشعب منها سبع شعب لكل منها
سنبلة فيها مائة حبة وهو تمثيل لا يقتضي وقوعه وقد يكون في الذرة والدخن
وفي البر في الارض المغلة والله يضاعف لمن يشاء تلك المضاعفة لمن يشاء بفضله وعلى
حسب حال المنفق من اخلاصه وتعبه ومن اجله تفاوتت الاعمال في مقادير الثواب
والله واسع عليم لا يضيق عليه ما يتفضل به من الزيادة عليم بنية المنفق وقدر
انفاقه الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما انفقوا منا ولا اذى
نزلت في عثمان رضه فانه جهز جيش العسرة بالف بعير باقتابها واحلاسها وعبد
الرحمن بن عوف فانه اتى النبي عم باربعة الاف درهم صدقة والمن ان يعتد باحسانه
على من احسن اليه والاذى ان يتطاول عليه بسبب ما انعم عليه وثم للتفاوت بين
الانفاق وترك المن والاذى لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون لعله
لم يدخل الفاء فيه وقد تضمن ما اسند اليه معنى الشرط ايهاما بانهم اهل لذلك
وان لم يفعلوا فكيف بهم اذا فعلوا قول معروف رد جميل ومغفرة وتجاوز عن
السائل الحاحه او نيل المغفرة من الله بالرد الجميل او عفو من السائل بان يعذره
ويغتفر رده خير من صدقة يتبعها اذى خبر عنهما وانما صح الابتداء بالنكرة
لاختصاصها بالصفة والله غني عن انفاق بمن وايذاء حليم عن معاجلة من يمن
ويؤذي بالعقوبة يا ايها الذين امنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى لا تحبطوا
اجرها بكل واحد منهما كالذي ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الاخر
كابطال المنافق الذي يرائي بانفاقه لا يريد به رضاء الله ولا ثواب الاخرة او مثل الذي تلين
الذين ينفق رئاء والكاف في محل النصب على المصدر او الحال ورئاء نصب على
المفعول له او الحال بمعنى مرائيا او المصدر اي انفاقا رئاء فمثله فمثل المرائي
في انفاقه كمثل صفوان كمثل حجر املس عليه تراب فاصابه وابل مطر عظيم القدر
فتركه صلدا املس نقيا من التراب لا يقدرون على شيء مما كسبوا لا ينتفعون بما

فعلوا رياءً ولا يجدون ثوابه والضمير للذي ينفق باعتبار المعنى لان المراد به الجنس
او الجمع كما في قوله وان الذي حانت بفلج دماؤهم والله لا يهدي القوم الكافرين
الى الخير والرشاد وفيه تعريض بان الرياء والمن والاذى على الانفاق من صفة
الكفار ولا بد للمؤمن ان يتجنب عنها ومثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضات الله
وتثبيتا من انفسهم وتثبيتا بعض انفسهم على الايمان فان المال شقيق الروح فمن
بذل ماله لوجه الله ثبت بعض نفسه ومن بذل ماله وروحه ثبتها كلها او تصديقا
للاسلام وتحقيقا للجزاء مبتدأ من اصل انفسهم وفيه تنبيه على ان حكمة الانفاق
للمنفق تزكية النفس عن البخل وحب المال كمثل جنة بربوة اي ومثل نفقة هؤلاء
في الزكاء كمثل بستان بموضع مرتفع فان شجره يكون احسن منظرا وازكى ثمرا وقرأ
ابن عامر وعاصم بربوة بالفتح وقرئ بالكسر وثلثتها لغات فيها اصابها وابل
مطر عظيم القطر فآتت اكلها ثمرتها وقرأ ابن كثير ونافع بالسكون للتخفيف ضعفين
مثلي ما كانت تثمر بسبب الوابل والمراد بالضعف المثل كما اريد بالزوج الواحد في قوله
من كل زوجين اثنين وقيل اربعة امثاله ونصبه على الحال اي مضاعفا فان لم
يصبها وابل فطل اي فيصيبها او فالذي يصيبها طل او فطل يكفيها لكرم منبتها
وبرودة هوائها لارتفاع مكانها وهو المطر الصغير القطر والمعنى ان نفقات
هؤلاء زاكية عند الله لا يضيع بحال وان كانت تتفاوت باعتبار ما ينضم اليها
من احواله ويجوز ان يكون التمثيل لحالهم عند الله بالجنة على الربوة ونفقاتهم
الكثيرة والقليلة الزائدتين في زلفاهم بالوابل والطل والله بما تعملون بصير
تحذير عن الرياء وترغيب في الاخلاص ايود احدكم الهمزة فيه للانكار ان تكون
له جنة من نخيل واعناب تجري من تحتها الانهار له فيها من كل الثمرات جعل الجنة
منهما مع ما فيها من سائر الاشجار تغليبا لهما لشرفهما وكثرة منافعهما ثم ذكر
ان فيها كل الثمرات ليدل على احتوائها على سائر انواع الاشجار ويجوز ان يكون
المراد بالثمرات المنافع واصابه الكبر اي كبر السن فان الفاقة والعالة في الشيخوخة
اصعب والواو للحال او للعطف حملا على المعنى وكانه قيل ايود احدكم لو كانت
له جنة واصابه الكبر وله ذرية ضعفاء صغار لا قدرة لهم على الكسب فاصابها
اعصار فيه نار فاحترقت عطف على اصابه او تكون باعتبار المعنى والاعصار
ريح عاصفة تنعكس من الارض الى السماء مستديرة كعمود والمعنى تمثيل حال
من يفعل الافعال الحسنة ويضم اليها ما يحبطها كرياء وايذاء في الحسرة والاسف
اذا كان يوم القيمة واشتد حاجته اليها ووجدها محبطة بحال من هذا شانه

واشبههم به من جال ببصره في عالم الملكوت وترقى بفكره الى جناب الجبروت
ثم نكص على عقبيه الى عالم الزور والتفت الى ما سوى الحق وجعل سعيه هباء
منثورا كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون اي تتفكرون فيها فتعتبرون بها
يا ايها الذين آمنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم من حلاله او جياده ومما اخرجنا
لكم من الارض اي ومن طيبات ما اخرجنا من الحبوب والثمر والمعادن فحذف المضاف
لتقدم ذكره ولا تيمموا الخبيث منه ولا تقصدوا الردي منه اي من المال او مما
اخرجنا وتخصيصه بذلك لان التفاوت فيه اكثر وقرئ ولا تأمموا ولا تيمموا
بضم التاء تنفقون حال مقدرة من فاعل تيمموا ويجوز ان يتعلق به منه ويكون
الضمير للخبيث والجملة حال منه ولستم باخذيه اي وحالكم انكم لا تأخذونه
في حقوقكم لرداءته الا ان تغمضوا فيه الا ان تتسامحوا فيه مجاز من اغمض بصره
اذا غضه وقرئ تغمضوا اي تحملوا على الاغماض او توجدوا مغمضين وعن
ابن عباس كانوا يتصدقون بحشف التمر وشراره فنهوا عنه واعلموا ان الله
غني عن انفاقكم وانما يأمركم به لانتفاعكم حميد بقبوله واثابته الشيطان
يعدكم الفقر في الانفاق والوعد في الاصل شائع في الخير والشر وقرئ الفقر
بالضم والسكون وبضمتين وفتحتين ويأمركم بالفحشاء ويغريكم على البخل
والعرب تسمي البخيل فاحشا وقيل المعاصي والله يعدكم مغفرة منه اي
يعدكم في الانفاق مغفرة ذنوبكم وفضلا خلفا افضل مما انفقتم في الدنيا
او في الآخرة والله واسع اي واسع الفضل لمن انفق عليم بانفاقه يؤتي الحكمة
تحقيق العلم واتقان العمل من يشاء مفعول اول اخر للاهتمام بالمفعول الثاني
ومن يؤت الحكمة بناؤه للمفعول لانه المقصود وقرأ يعقوب بالكسر اي ومن
يؤته الله فقد اوتي خيرا كثيرا اي خير كثير اذ حيز له خير الدارين وما
يذكر وما يتعظ بما قص من الآيات او وما يتفكر فان المتفكر كالمتذكر لما اودع
الله في قلبه من العلوم بالقوة الا اولوا الالباب ذوو العقول الخالصة عن
شوائب الوهم والركون الى متابعة الهوى وما انفقتم من نفقة قليلة او
كثيرة سرا او علانية في حق او باطل او نذرتم من نذر بشرط او بغير شرط
في طاعة او معصية فان الله يعلمه فيجازيكم عليه وما للظالمين الذين ينفقون
في المعاصي وينذرون فيها او يمنعون الصدقات ولا يوفون بالنذور من
انصار من ينصرهم من الله ويمنعهم من عقابه ان تبدوا الصدقات فنعما هي
فنعم شيئا ابداؤها وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي بفتح النون وكسر العين

على الاصل وان تخفوها وتؤتوها الفقراء اي تعطوها مع الاخفاء فهو خير لكم
فالاخفاء خير لكم وهذا في التطوع ومن لم يعرف بالمال فان ابداء الفرض لغيره
افضل لنفي التهمة عن ابن عباس صدقة السر في التطوع تفضل علانيتها
سبعين ضعفا وصدقة الفريضة علانيتها افضل من سرها بخمسة وعشرين
ضعفا ويكفر عنكم من سيئاتكم قرأه ابن عامر وعاصم في رواية حفص اي والله
يكفر او الاخفاء وقرأ ابن كثير وابو عمرو وعاصم في رواية ابن عياش ويعقوب
بالنون مرفوعا على انه جملة فعلية مبتدأة او اسمية معطوفة على ما بعد
الفاء اي ونحن نكفر وقرأ نافع وحمزة والكسائي مجزوما على محل الفاء وما
بعده وقرئ بالتاء مرفوعا ومجزوما والفعل للصدقات والله بما تعملون
خبير ترغيب في الاسرار ليس عليك هديهم لا يجب عليك ان تجعل الناس مهديين
وانما عليك الارشاد والحث على المحاسن والنهي عن القبائح كالمن والاذى وانفاق
الخبيث ولكن الله يهدي من يشاء صريح بان الهداية من الله وبمشيئته وانها تخص
بقوم دون قوم وما تنفقوا من خير من نفقة معروفة فلانفسكم فهو لانفسكم
لا ينتفع به غيركم فلا تمنوا عليه ولا تنفقوا الخبيث وما تنفقون الا ابتغاء
وجه الله حال وكانه قال وما تنفقوا من خير فلانفسكم غير منفقين الا
ابتغاء وجه الله وطلب ثوابه او عطف على ما قبله اي ليس نفقتكم الا ابتغاء
وجه الله فما لكم تمنون بها وتنفقون الخبيث وقيل نفي في معنى النهي وما
تنفقوا من خير يوف اليكم ثوابه اضعافا مضاعفة فهو تاكيد للشرطية السابقة
او ما يخلف المنفق استجابة لقوله عم اللهم اجعل لمنفق خلفا ولممسك تلفا
روي ان ناسا من المسلمين كانت لهم اصهار ورضاع في اليهود وكانوا ينفقون
عليهم فكرهوا لما اسلموا ان ينفقوهم فنزلت وهذا في غير الواجب اما الواجب
فلا يجوز صرفه الى الكفار وانتم لا تظلمون اي لا تنقصون ثواب نفقتكم
للفقراء متعلق بمحذوف اي اعمدوا للفقراء او اجعلوا ما تنفقونه للفقراء
الذين احصروا في سبيل الله احصرهم الجهاد لا يستطيعون لاشتغالهم به
ضربا في الارض ذهابا فيها للكسب وقيل هم اهل الصفة كانوا نحوا من اربعمائة
من فقراء المهاجرين يسكنون صفة المسجد يستغرقون اوقاتهم بالتعلم والعبادة
وكانوا يخرجون في كل سرية بعثها رسول الله عم يحسبهم الجاهل بحالهم
اغنياء من التعفف من اجل تعففهم عن السؤال تعرفهم بسيماهم من الضعف
ورثاثة الحال والخطاب للرسول او لكل احد لا يسألون الناس الحافا الحاحا

وهو ان يلازم المسؤول حتى يعطيه من قولهم لحفني من فضل لحافه اي اعطاني
من فضل ما عنده والمعنى انهم لا يسألون وان سألوا عن ضرورة لم يلحوا وقيل
هو نفي للامرين كقوله على لاحب لا يهتدى لمناره ونصبه على المصدر فانه كنوع
من السؤال او على الحال وما تنفقوا من خير فان الله به عليم ترغيب في الانفاق
وخصوصا على هؤلاء الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية
اي يعمون الاوقات والاحوال بالخير نزلت في ابي بكر رضه تصدق باربعين
الف دينار عشرة بالليل وعشرة بالنهار وعشرة بالسر وعشرة بالعلانية وقيل
في علي رضه لم يملك الا اربعة دراهم فتصدق بدرهم ليلا ودرهم نهارا ودرهم سرا
ودرهم علانية وقيل في ربط الخيل في سبيل الله والانفاق عليها فلهم اجرهم
عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون خبر الذين ينفقون والفاء للسببية
وقيل للعطف والخبر محذوف اي ومنهم الذين ولذلك جوز الوقف على وعلانية
الذين ياكلون الربوا اي الاخذون له وانما ذكر الاكل لانه اعظم منافع المال ولان
الربوا شايع في المطعومات وهو زيادة في الاجل بان يباع مطعوم بمطعوم او
نقد بنقد الى اجل او في العوض بان يباع احدهما باكثر منه من جنسه وانما كتب
بالواو كالصلوة للتفخيم على لغة من يفخم وزيدت الالف بعدها تشبيها بواو
الجمع لا يقومون اذا بعثوا من قبورهم الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان الا قياما
كقيام المصروع وهو وارد على ما يزعمون ان الشيطان يخبط الانسان فيصرع و
الخبط ضرب على غير استواء كخبط العشواء من المس اي الجنون وهذا ايضا من
زعماتهم ان الجني يمسه فيختلط عقله ولذلك قيل جن الرجل وهو متعلق بلا يقومون
اي لا يقومون من المس الذي بهم بسبب اكل الربوا او بيقوم او بيتخبط فيكون
نهوضهم وسقوطهم كالمصروعين لا لاختلال عقلهم ولكن لان الله اربى في بطونهم
ما اكلوه من الربوا فاثقلهم ذلك بانهم قالوا انما البيع مثل الربوا اي ذلك العقاب
بسبب انهم نظموا الربوا والبيع في سلك واحد لافضائهما الى الربح فاستحلوه استحلاله
وكان الاصل انما الربوا مثل البيع ولكن عكس للمبالغة كانهم جعلوا الربوا اصلا
وقاسوا به البيع والفرق بين فان من اعطى درهمين بدرهم ضيع درهما ومن
اشترى سلعة تساوي درهما بدرهمين فلعل مساس الحاجة اليها او توقع
رواجها يجبر هذا الغبن واحل الله البيع وحرم الربوا انكار لتسويتهم وابطال
للقياس لمعارضته النص فمن جاءه موعظة من ربه فمن بلغه وعظ من الله وزجر
كالنهي عن الربوا فانتهى فاتعظ وتبع النهي فله ما سلف تقدم اخذه التحريم ولا يسترد

منه وما في موضع الرفع بالظرف ان جعلت من موصولة وبالابتداء ان جعلت
شرطية على رأي سيبويه اذ الظرف غير معتمد على ما قبله وامره الى الله يجازيه
على انتهائه ان كان عن قبول الموعظة وصدق النية وقيل يحكم في شأنه ولا اعتراض
لكم عليه ومن عاد الى تحليل الربوا اذ الكلام فيه فاولئك اصحاب النار هم
فيها خالدون لانهم كفروا به يمحق الله الربوا يذهب بركته ويهلك المال الذي
يدخل فيه ويربي الصدقات يضاعف ثوابها ويبارك فيما اخرجت منه وعنه عم
ان الله يقبل الصدقة فيربيها كما يربي احدكم مهره وعنه عم ما نقصت زكوة من
مال قط والله لا يحب لا يرتضي ولا يحب محبته للتوابين كل كفار مصر على تحليل
المحرمات اثيم منهمك في ارتكابه ان الذين آمنوا بالله ورسله وبما جاءهم
منه وعملوا الصالحات واقاموا الصلوة وآتوا الزكوة عطفهما على ما يعمهما
لانافتهما عن سائر الاعمال الصالحة لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم من آت
ولا هم يحزنون على فائت يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من
الربوا واتركوا بقايا ما شرطتم على الناس من الربوا ان كنتم مؤمنين بقلوبكم فان
دليله امتثال ما امرتم به روي انه كان لثقيف مال على بعض قريش فطالبوهم
عند المحل بالمال والربوا فنزلت فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله
اي فاعلموا بها من اذن بالشيء اذا علم به وقرأ حمزة وعاصم في رواية ابن عياش
عنه فآذنوا اي فاعلموا بها غيركم من الاذن وهو الاستماع فانه من طرق العلم
وتنكير حرب للتعظيم وذلك يقتضي ان يقاتل المربي بعد الاستتابة حتى يفيء الى امر
الله كالباغي ولا يقتضي كفره روي انها لما نزلت قالت ثقيف لا يدي لنا بحرب الله و
رسوله وان تبتم من الارتباء واعتقاد حله فلكم رؤس اموالكم لا تظلمون باخذ
الزيادة ولا تظلمون بالمطل والنقصان ويفهم منه انهم ان لم يتوبوا فليس لهم رأس
مالهم وهو سديد على ما قلنا اذ المصر على التحليل مرتد وماله فيء وان كان ذو
عسرة وان وقع غريم ذو عسرة وقرئ ذا عسرة اي وان كان الغريم ذا عسرة
فالحكم نظرة او فعليكم نظرة او فليكن نظرة وهي الانظار وقرئ فناظره على
الخبر اي فالمستحق ناظره بمعنى منتظره او صاحب نظرته على طريق النسب وعلى الامر
اي فسامحه بالنظرة الى ميسرة يسار وقرأ نافع وحمزة بضم السين وهما لغتان
كمشرقة ومشرقة وقرئ بهما مضافين بحذف التاء عند الاضافة كقوله
واخلفوك عد الامر الذي وعدوا وان تصدقوا بالابراء وقرأ عاصم بتخفيف
الصاد خير لكم اكثر ثوابا من الانظار او خير مما تأخذون لمضاعفة ثوابه

ودوامه وقيل المراد بالتصدق الانظار لقوله عم لا يحل دين رجل مسلم فيؤخره
الا كان له بكل يوم صدقة ان كنتم تعلمون ما فيه من الذكر الجميل والاجر الجزيل
واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله يوم القيمة او يوم الموت فتأهبوا لمصيركم
اليه وقرأ ابو عمرو ويعقوب بفتح التاء وكسر الجيم ثم توفى كل نفس جزاء
ما عملت من خير او شر وهم لا يظلمون بنقص ثوابه وتضعيف عقابه وعن ابن عباس
انها آخر آية نزل بها جبريل وقال ضعها في رأس المائتين والثمانين من البقرة
وعاش رسول الله عم بعدها احدا وعشرين يوما وقيل احدا وثمانين وقيل
سبعة ايام وقيل ثلث ساعات يا ايها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين اذا داين
بعضكم بعضا يقول داينته اذا عاملته نسيئة معطيا او آخذا وفائدة ذكر
الدين ان لا يتوهم من التداين المجازاة ويعلم تنوعه الى المؤجل والحال وانه الباعث
على الكتبة ويكون مرجع ضمير فاكتبوه الى اجل مسمى معلوم بالايام والاشهر لا
بالحصاد وقدوم الحاج فاكتبوه لانه اوثق وادفع للنزاع والجمهور على انه
استحباب وعن ابن عباس ان المراد به السلم وقال لما حرم الله الربوا اباح السلم
وليكتب بينكم كاتب بالعدل من يكتب بالسوية لا يزيد ولا ينقص وهو في الحقيقة
امر للمتداينين باختيار كاتب فقيه دين حتى يجيء مكتوبه موثوقا به معدلا بالشرع
ولا يأب كاتب ولا يمتنع احد من الكتاب ان يكتب كما علمه الله مثل ما علمه من كتبة الوثائق
او لا يأب ان ينفع الناس بكتابته كما نفعه الله بتعليمها كقوله واحسن كما احسن
الله اليك فليكتب تلك الكتابة المعلمة امر بها بعد النهي عن الاباء عنها تأكيدا ويجوز
ان يتعلق الكاف بالامر فيكون النهي عن الامتناع منها مطلقة ثم الامر بها مقيدة
وليملل الذي عليه الحق وليكن المملي من عليه الحق لانه المقر المشهود عليه
والاملال والاملاء واحد وليتق الله ربه اي المملي والكاتب ولا يبخس ولا
ينقص منه شيئا اي من الحق او مما املى عليه فان كان الذي عليه الحق سفيها
ناقص العقل مبذرا او ضعيفا صبيا او شيخا مختلا او لا يستطيع ان يمل هو او
غير مستطيع للاملال بنفسه لخرس او جهل باللغة فليملل وليه بالعدل اي
الذي يلي امره ويقوم مقامه من قيم ان كان صبيا او مختل عقل او وكيل او
مترجم ان كان غير مستطيع وهو دليل جريان النيابة في الاقرار ولعله مخصوص
بما تعاطاه القيم او الوكيل واستشهدوا شهيدين واطلبوا ان يشهد على
الدين شاهدان من رجالكم من رجال المسلمين وهو دليل اشتراط اسلام الشهود
واليه ذهب عامة العلماء وقال ابو حنيفة تسمع شهادة الكفار بعضهم على

فان لم يكونا رجلين فان لم يكن الشاهدان رجلين فرجل وامرأتان فليشهد رجل
او فالمستشهد رجل وامرأتان وهذا مخصوص بالاموال عندنا وبما عدا الحدود
والقصاص عند ابي حنيفة ممن ترضون من الشهداء لعلمكم بعدالتهم ان تضل
احديهما فتذكر احديهما الاخرى علة اعتبار العدد اي لاجل ان احديهما ان ضلت
الشهادة بان نسيتها ذكرتها الاخرى والعلة في الحقيقة التذكير ولكن لما كان
الضلال سببا له نزل منزلته كقولهم اعددت السلاح ان يجيء عدو فادفعه وكانه
قيل ارادة ان تذكر احديهما الاخرى ان ضلت وفيه اشعار بنقصان عقلهن
وقلة ضبطهن وقرأ حمزة ان تضل على الشرط فتذكر بالرفع وابن كثير وابو عمرو
ويعقوب فتذكر من الاذكار ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا لاداء الشهادة او
التحمل وسموا شهداء تنزيلا لما يشارف منزلة الواقع وما مزيدة ولا تسأموا
ان تكتبوه لا تملوا من كثرة مدايناتكم ان تكتبوا الدين او الحق او الكتاب وقيل كنى
بالسأم عن الكسل لانه صفة المنافق ولذلك قال عم لا يقول المؤمن كسلت صغيرا
او كبيرا صغيرا كان الحق او كبيرا او مختصرا كان الكتاب او مشبعا الى اجله
الى وقت حلوله الذي اقر به المديون ذلكم اشارة الى ان تكتبوه اقسط عند الله
اكثر قسطا واقوم للشهادة واثبت لها واعون على اقامتها وهما مبنيان من
اقسط واقام على غير القياس او من قاسط بمعنى ذي قسط وقويم وانما صحت
الواو في اقوم كما صحت في التعجب لجموده وادنى ألا ترتابوا واقرب في ان لا تشكوا
في جنس الدين وقدره واجله والشهود ونحو ذلك الا ان تكون تجارة حاضرة
تديرونها بينكم فليس عليكم جناح الا تكتبوها استثناء عن الامر بالكتابة
والتجارة الحاضرة تعم المبايعة بعين او دين وادارتها بينهم تعاطيهم اياها
يدا بيد اي الا ان تتبايعوا يدا بيد فلا بأس ان لا تكتبوا لبعده عن التنازع والنسيان
ونصب عاصم تجارة على انه الخبر والاسم مضمر تقديره الا ان تكون التجارة تجارة
حاضرة كقوله بني اسد هل تعلمون بلاءنا اذا كان يوما ذا كواكب اشنعا ورفعها
الباقون على انها الاسم والخبر تديرونها او على كان التامة واشهدوا اذا تبايعتم
هذا التبايع او مطلقا لانه احوط والاوامر التي في هذه الآية للاستحباب عند
اكثر الائمة وقيل انها للوجوب ثم اختلف في احكامها ونسخها ولا يضار كاتب
ولا شهيد يحتمل البنائين ويدل عليه انه قرئ ولا يضارر بالكسر والفتح وهو نهيهما
عن ترك الاجابة والتحريف والتغيير في الكتبة والشهادة او النهي عن الضرار
بهما مثل ان يعجلا عن مهم ويكلفا الخروج عما حد لهما ولا يعطى الكاتب جعله

والشهيد مؤنة مجيئه حيث كان وان تفعلوا الضرار وما نهيتم عنه فانه
فسوق بكم خروج عن الطاعة لاحق بكم واتقوا الله في مخالفة امره ونهيه و
يعلمكم الله احكامه المتضمنة لمصالحكم والله بكل شيء عليم كرر لفظة الله في الجمل
الثلث لاستقلالها فان الاولى حث على التقوى والثانية وعد بانعامه والثالثة
تعظيم لشأنه ولانه ادخل في التعظيم من الكناية وان كنتم على سفر اي مسافرين
ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة فالذي يستوثق به رهان او فعليكم رهان
او فليؤخذ رهان وليس هذا التعليق لاشتراط السفر في الارتهان كما ظنه مجاهد
والضحاك لانه عم رهن درعه في المدينة من يهودي بعشرين صاعا من شعير
اخذه لاهله بل لاقامة التوثق بالارتهان مقام التوثق بالكتبة في السفر الذي
هو مظنة اعوازه والجمهور على اعتبار القبض فيه غير مالك وقرأ ابن كثير
وابو عمرو فرهن كسقف وكلاهما جمع رهن بمعنى مرهون وقرئ باسكان
الهاء على التخفيف فان أمن بعضكم بعضا اي بعض الدائنين بعض المديونين و
استغنى بامانته عن الارتهان فليؤد الذي اؤتمن امانته اي دينه سماه امانة
لائتمانه عليه بترك الارتهان به وقرئ الذي ايتمن بقلب الهمزة ياء والذي تمن
بادغام الياء في التاء وهو خطأ لان المنقلبة عن الهمزة في حكمها فلا تدغم وليتق
الله ربه في الخيانة وانكار الحق وفيه مبالغات ولا تكتموا الشهادة
ايها الشهود والشهادة شهادتهم على انفسهم ومن يكتمها فانه آثم قلبه
اي يأثم قلبه او قلبه يأثم والجملة خبر ان واسناد الاثم الى القلب لان الكتمان
يقترفه ونظيره العين زانية والاذن زانية او للمبالغة فانه رئيس الاعضاء
وافعاله اعظم الافعال وكانه قيل تمكن الاثم في نفسه واخذ اشرف اجزائه
وفاق سائر ذنوبه وقرئ قلبه بالنصب كحسن وجهه والله بما تعملون عليم
تهديد لله ما في السموات وما في الارض خلقا وملكا وان تبدوا ما في انفسكم
او تخفوه يعني ما فيها من السوء والعزم عليه لترتب المغفرة والعذاب عليه
يحاسبكم به الله يوم القيمة وهو حجة على من انكر الحساب كالمعتزلة والروافض
فيغفر لمن يشاء مغفرته ويعذب من يشاء تعذيبه وهو صريح في نفي وجوب التعذيب
وقد رفعهما ابن عامر وعاصم ويعقوب على الاستيناف وجزمهما الباقون عطفا
على جواب الشرط ومن جزم بغير فاء جعلهما بدلا عنه بدل البعض من الكل او
الاشتمال كقوله متى تأتنا تلمم بنا في ديارنا تجد حطبا جزلا ونارا تأججا وادغم
الراء في اللام لحن اذ الراء لا تدغم الا في مثله والله على كل شيء قدير فيقدر على

الاحياء والمحاسبة آمن الرسول بما انزل اليه من ربه شهادة وتنصيص من
الله على صحة ايمانه والاعتداد به جازم في امره غير شاك فيه والمؤمنون كل
آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا يخلوا من ان يعطف المؤمنون على الرسول
فيكون الضمير الذي ينوب عنه التنوين راجعا الى الرسول والمؤمنين او يجعل
مبتدا فيكون الضمير للمؤمنين وباعتباره يصح وقوع كل بخبره خبر المبتدا
ويكون افراد الرسول بالحكم اما لتعظيمه او لان ايمانه عن مشاهدة وعيان
وايمانهم عن نظر واستدلال وقرا حمزة والكسائي وكتابه يعني القران او الجنس
والفرق بينه وبين الجمع انه شائع في وحدان الجنس والجمع في جموعه ولذلك
قيل الكتاب اكثر من الكتب لا نفرق بين احد من رسله يقولون لا نفرق وقرا يعقوب
لا يفرق بالياء على ان الفعل لكل وقرئ لا يفرقون حملا على معناه كقوله وكل
اتوه داخرين واحد في معنى الجمع لوقوعه في سياق النفي كقوله فما منكم من
احد عنه حاجزين ولذلك دخل عليه بين والمراد نفي الفرق بالتصديق و
التكذيب وقالوا سمعنا اجبنا واطعنا امرك غفرانك ربنا اغفر غفرانك او نطلب
غفرانك واليك المصير المرجع بعد الموت وهو اقرار منهم بالبعث لا يكلف الله
نفسا الا وسعها الا ما تسعه قدرتها فضلا ورحمة او ما دون مدى طاقتها
بحيث يتسع فيه طوقها ويتيسر عليها كقوله يريد الله بكم اليسر وهو يدل على
عدم وقوع التكليف بالمحال ولا يدل على امتناعه لها ما كسبت من خير وعليها
ما اكتسبت من شر لا ينتفع بطاعتها ولا يتضرر بمعاصيها غيرها وتخصيص
الكسب بالخير والاكتساب بالشر لان الاكتساب فيه اعتمال والشر تشتهيه
النفس وتنجذب اليه فكانت اجد في تحصيله واعمل بخلاف الخير ربنا لا
تؤاخذنا ان نسينا او اخطانا اي لا تؤاخذنا بما ادى بنا الى نسيان او خطا من
تفريط وقلة مبالاة او بانفسهما اذ لا يمتنع المؤاخذة بهما عقلا فان
الذنوب كالسموم فكما ان تناولها يؤدي الى الهلاك وان كان خطا فتعاطي
الذنوب لا يبعد ان يفضي الى العقاب وان لم يكن عزيمة لكنه تعالى وعد التجاوز عنه
رحمة وفضلا فيجوز ان يدعو الانسان به استدامة واعتدادا بالنعمة
فيه ويؤيد ذلك مفهوم قوله عم رفع عن امتي الخطاء والنسيان ربنا ولا
تحمل علينا اصرا عبئا ثقيلا يأصر صاحبه اي يحبسه في مكانه يريد
التكاليف الشاقة وقرئ ولا تحمل بالتشديد للمبالغة كما حملته على الذين
من قبلنا حملا مثل حملك اياه من قبلنا او مثل الذي حملته اياهم فيكون

صفة لاصرا والمراد به ما كلف به بنو اسرائيل من قتل الانفس وقطع موضع النجاسة
وخمسين صلوة في اليوم والليلة وصرف ربع المال للزكوة او ما اصابهم من
الشدائد والمحن ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به من البلاء والعقوبة او من
التكاليف التي لا تفي بها الطاقة البشرية وهو يدل على جواز التكليف بما لا
يطاق والا لما سئل التخلص عنه والتشديد ههنا لتعدية الفعل الى مفعول ثان
واعف عنا وامح ذنوبنا واغفر لنا واستر عيوبنا ولا تفضحنا بالمؤاخذة وارحمنا
وتعطف بنا وتفضل علينا انت مولانا سيدنا فانصرنا على القوم الكافرين
فان من حق المولى ان ينصر مواليه على الاعداء والمراد به عامة الكفرة روي انه
عليه السلام لما دعا بهذه الدعوات قيل له فعلت وعنه عليه السلام انزل الله
آيتين من كنوز الجنة كتبهما الرحمن بيده قبل ان يخلق (الخلق) بالفي سنة من قراهما بعد
العشاء الآخرة اجزاتاه عن قيام الليل وعنه عم من قرا الآيتين من آخر سورة
البقرة في ليلة كفتاه وهو يرد قول من استكره ان يقال سورة البقرة وقال
ينبغي ان يقال السورة التي يذكر فيها البقرة كما قال عليه السلام السورة التي
يذكر فيها البقرة فسطاط القران فتعلموها فان تعلمها بركة وتركها حسرة
ولن يستطيعها البطلة قيل وما البطلة قال السحرة والله اعلم بالصواب

بسم الله الرحمن الرحيم الم الله لا اله الا هو انما فتح الميم في المشهور
وكان حقها ان يوقف عليها لالقاء حركة الهمزة عليها لتدل على انها في حكم الثابت
لانها اسقطت للتخفيف لا للدرج فان الميم في حكم الوقف كقولهم واحد اثنان
لا لالتقاء الساكنين فانه غير محذور في باب الوقف ولذلك لم يحرك في لام وقرئ
بكسرها على توهم التحريك لالتقاء الساكنين وقرا ابو بكر بسكونها والابتداء بما
بعدها على الاصل الحي القيوم روي انه عم قال ان اسم الله الاعظم في ثلث سور
في البقرة الله لا اله الا هو الحي القيوم وفي آل عمران الله لا اله الا هو الحي القيوم
وفي طه وعنت الوجوه للحي القيوم نزل عليك الكتاب القران نجوما بالحق بالعدل
او بالصدق في اخباره او بالحجج المحققة انه من عند الله في موضع الحال مصدقا
لما بين يديه من الكتب وانزل التورية والانجيل على موسى وعيسى واشتقاقهما
من الوري والنجل ووزنهما تفعلة وافعيل تعسف لانهما اعجميان ويؤيد ذلك
انه قرئ الانجيل بفتح الهمزة وهو ليس من ابنية العربية من قبل تنزيل القران هدى

للناس على العموم ان قلنا انا متعبدون بشرع من قبلنا والا فالمراد به قومهما
وانزل الفرقان يريد به جنس الكتب الالهية فانها فارقة بين الحق والباطل
ذكر ذلك بعد ذكر الكتب الثلثة ليعم ما عداها كانه قال وانزل ساير ما يفرق
به بين الحق والباطل او الزبور او القران وكرر ذكره بما هو نعت له مدحا وتعظيما
واظهارا لفضله من حيث انه يشاركهما في كونه وحيا منزلا ويتميز بانه معجز
يفرق به بين الحق والباطل او المعجزات ان الذين كفروا بايات الله من كتبه المنزلة
وغيرها لهم عذاب شديد بسبب كفرهم والله عزيز غالب لا يمنع من التعذيب ذو انتقام
لا يقدر مثله منتقم والنقمة عقوبة المجرم والفعل منه نقم بالفتح والكسر وهو
وعيد جيء به بعد تقرير التوحيد والاشارة الى ما هو العمدة في اثبات النبوة
تعظيما للامر وزجرا عن الاعراض عنه ان الله لا يخفى عليه شيء في الارض
ولا في السماء اي شيء كائن في العالم كليا كان او جزئيا ايمانا او كفرا فعبر
عنه بالسماء والارض اذ الحس لا يتجاوزهما وانما قدم الارض ترقيا من
الادنى الى الاعلى ولان المقصود بالذكر ما اقترف فيها وهو كالدليل على كونه
حيا وقوله هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء اي من الصور المختلفة
كالدليل على القيومية والاستدلال على انه عالم باتقان فعله في خلق الجنين
وتصويره وقرئ تصوركم اي صوركم لنفسه وعبادته لا اله الا هو اذ لا يعلم
غيره جملة ما يعلمه ولا يقدر على مثل ما يفعله العزيز الحكيم اشارة الى كمال
قدرته وتناهي حكمته قيل هذا حجاج على من زعم ان عيسى كان ربا فانه وفد
نجران لما حاجوا فيه رسول الله عم نزلت السورة من اولها الى نيف وثمانين اية
تقريرا لما احتج به عليهم واجاب عن شبههم هو الذي انزل عليك الكتاب
منه ايات محكمات احكمت عبارتها بان حفظت من الاحتمال هن ام الكتاب اصله
يرد اليها غيرها والقياس هن امهات فافرد على تاويل كل واحدة او على ان
الكل بمنزلة اية واحدة واخر متشابهات محتملات لا يتضح مقصودها لاجمال
او مخالفة ظاهر الا بالفحص والنظر ليظهر فيها فضل العلماء ويزداد حرصهم
على ان يجتهدوا في تدبرها وتحصيل العلوم المتوقف عليها استنباط المراد
بها فينالوا بها وباتعاب القرائح في استخراج معانيها والتوفيق بينها وبين
معالي الدرجات واما قوله الر كتاب احكمت اياته فمعناه انها حفظت من
فساد المعنى وركاكة اللفظ وقوله كتابا متشابها فمعناه انه يشبه بعضه
بعضا في صحة المعنى وجزالة اللفظ واخر جمع اخرى وانما لم ينصرف لانه وصف

معدول عن الاخر ولا يلزم منه معرفته لان معناه ان القياس ان يعرف ولم يعرف
لانه في معنى المعرف او عن اخر من فاما الذين في قلوبهم زيغ عدول عن الحق
كالمبتدعة فيتبعون ما تشابه منه فيتعلقون بظاهره او بتاويل باطل ابتغاء
الفتنة ان يفتنوا الناس عن دينهم بالتشكيك والتلبيس ومناقضة المحكم بالمتشابه
وابتغاء تاويله وطلب ان يأولوه على ما يشتهونه ويحتمل ان يكون الداعي
الى الاتباع مجموع الطلبتين او كل واحد منهما على التعاقب والاول يناسب
المعاند والثاني يلائم الجاهل وما يعلم تاويله الذي يجب ان يحمل عليه الا الله
والراسخون في العلم اي الذين ثبتوا وتمكنوا فيه ومن وقف على الا الله فسر
المتشابه بما استاثر الله بعلمه كمدة بقاء الدنيا ووقت قيام الساعة وخواص
الاعداد كعدد الزبانية او بما دل القاطع على ان ظاهره غير مراد ولم يدل على
ما هو المراد يقولون امنا به استينافا موضح لحال الراسخين او حال منهم او
خبر ان جعلته مبتدا كل من عند ربنا اي كل من المتشابه والمحكم من عنده وما يذكر
الا اولو الالباب مدح للراسخين بجودة الذهن وحسن النظر واشارة الى ما
استعدوا به للاهتداء الى تاويله وهو تجرد العقل عن غواشي الحس واتصال
الاية بما قبلها من حيث انها في تصوير الروح بالعلم وتربيته وما قبلها في تصوير
الجسد وتسويته او انها جواب عن تشبث النصارى بنحو قوله وكلمته القاها
الى مريم وروح منه كما انه جواب قولهم لا اله غير الله فتعين ان يكون هو ابا واجيب
بانه مصور الاجنة كيف يشاء فيصور من نطفة اب ومن غيرها وبانه صوره في
الرحم والمصور لا يكون ابا المصور ربنا لا تزغ قلوبنا من مقال الراسخين و
قيل استينافا والمعنى لا تزغ قلوبنا عن نهج الحق الى اتباع المتشابه بتاويل لا ترتضيه
قال عم قلب ابن ادم بين اصبعين من اصابع الرحمن ان شاء اقامه على الحق وان
شاء ازاغه وقيل لا تبلنا ببلايا تزيغ فيها قلوبنا بعد اذ هديتنا الى الحق والايمان
بالقسمين وبعد نصب على الظرف واذ في موضع الجر باضافته اليه وقيل انه
بمعنى ان وهب لنا من لدنك رحمة تزلفنا اليك ونفوز بها عندك او توفيقا للثبات
على الحق او مغفرة للذنوب انك انت الوهاب لكل سؤل وفيه دليل على ان الهدى
والضلال من الله وانه متفضل بما ينعم على عباده لا يجب عليه شيء ربنا انك
جامع الناس ليوم لحساب يوم او لجزائه لا ريب فيه في وقوع اليوم وما فيه من
الحشر والجزاء نبهوا به على ان معظم غرضهم من الطلبتين ما يتعلق بالاخرة فانها
المقصد والمال ان الله لا يخلف الميعاد فان الالهية تنافيه وللاشعار به وتعظيم

الموعود دون الخطاب فاستدل به الوعيدية واجيب بان وعيد الفساق مشروط
بعدم العفو لدلائل منفصلة كما هو مشروط بعدم التوبة وفاقا ان الذين كفروا
عام في الكفرة وقيل المراد به وفد نجران او اليهود او مشركوا العرب لن تغني عنهم
اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا اي من رحمته او طاعته على معنى البدلية او
من عذابه واولئك هم وقود النار حطبها وقرئ بالضم بمعنى اهل وقودها
كداب ال فرعون متصل بما قبله اي لن تغني عنهم كما لم تغن عن اولئك او توقد بهم
كما توقد باولئك او استيناف مرفوع المحل تقديره داب هؤلاء كداب هم في الكفر
والعذاب وهو مصدر داب في العمل اذا كدح فيه فنقل الى معنى الشان والذين
من قبلهم عطف على ال فرعون وقيل استيناف كذبوا باياتنا فاخذهم الله
بذنوبهم حال من اضمار قد او استيناف بتفسير حالهم او خبران ابتدا بالذين
من قبلهم والله شديد العقاب تهويل للمواخذة وزيادة تخويف للكفرة قل
للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم اي قل لمشركي مكة ستغلبون يعني يوم
بدر وقيل لليهود فانه عم جمعهم بعد بدر في سوق بني قينقاع فحذرهم ان ينزل
بهم ما نزل بقريش فقالوا لا يغرنك انك اصبت اغمارا لا علم لهم بالحرب لئن قاتلتنا
لعلمت انا نحن الناس فنزلت وقد صدق الله وعده بقتل قريظة واجلاء بني النضير
وفتح خيبر وضرب الجزية على من عداهم وهو من دلائل النبوة وقرا حمزة و
الكسائي بالياء فيهما على ان الامر بان يحكي لهم ما اخبره به من وعيدهم بلفظه
وبئس المهاد تمام ما يقال لهم او استيناف وتقديره وبئس المهاد جهنم او ما
مهدوه لانفسهم قد كان لكم اية الخطاب لقريش او لليهود وقيل للمؤمنين
في فئتين التقتا يوم بدر فئة تقاتل في سبيل الله واخرى كافرة يرونهم مثليهم
يرى المشركون المؤمنين مثلى عدد المشركين وكان قريبا الفا او مثلى عدد المسلمين و
كانوا ثلث مائة وبضعة عشر وذلك كان بعد ما قللهم في اعينهم حتى اجترؤا
عليهم وتوجهوا اليهم فلما لاقوهم كثروا في اعينهم حتى غلبوا مددا من الله للمؤمنين
او يرى المؤمنون المشركين مثلى المؤمنين وكانوا ثلاثة امثالهم ليثبتوا لهم ويتيقنوا
بالنصر الذي وعدهم الله تعالى به في قوله ان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين
وقرا نافع ويعقوب بالتاء وقرئ بهما على البناء للمفعول اي يريهم الله او يريكم
ذلك بقدرته وفئة بالجر على البدل من فئتين والنصب على الاختصاص او الحال
من فاعل التقتا راي العين رؤية ظاهرة معاينة والله يؤيد بنصره من يشاء نصر
كما ايد اهل بدر ان في ذلك اي التقليل والتكثير او غلبة القليل عديم العدة على

الكثير شاكي السلاح وكون الواقعة اية ايضا يحتملها ويحتمل وقوع الامر على
ما اخبر به الرسول عم لعبرة لاولي الابصار لعظة لذوي البصائر وقيل لمن
ابصرهم زين للناس حب الشهوات اي المشتهيات سماها شهوات مبالغة وايماء
على انهم انهمكوا في محبتها حتى احبوا شهوتها كقوله احببت حب الخير والمزين هو الله
لانه الخالق للافعال والدواعي ولعله زينه ابتلاء او لانه يكون وسيلة الى
السعادة الاخروية اذا كان على وجه يرتضيه الله او لانه من اسباب التعيش
وبقاء النوع وقيل الشيطان فان الاية في معرض الذم وفرق الجبائي بين المباح
والمحرم من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل
المسومة والانعام والحرث بيان للشهوات والقنطار المال الكثير وقيل مائة
الف دينار وقيل ملاء مسك ثور واختلف في انه فعلال او فنعال والمقنطرة
ماخوذ منه للتاكيد كقولهم بدرة مبدرة والمسومة المعلمة من السومة
وهي العلامة او المرعية من اسام الدابة وسومها او المطهمة والانعام
الابل والبقر والغنم ذلك متاع الحيوة الدنيا اشارة الى ما ذكر والله عنده
حسن الماب اي المرجع وهو تحريض على استبدال ما عنده من اللذات الحقيقة
الابدية بالشهوات المخدجة الفانية قل اؤنبئكم بخير من ذلكم يريد به تقرير
ان ثواب الله خير من مستلذات الدنيا للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من
تحتها الانهار خالدين فيها استيناف لبيان ما هو خير ويجوز ان يتعلق اللام
بخير ويرتفع جنات على هو جنات ويؤيده قراءة من جرها بدلا من بخير وازواج
مطهرة مما يستقذر من النساء ورضوان من الله قرا عاصم بضم الراء
وهما لغتان والله بصير بالعباد اي باعمالهم فيثيب المحسن ويعاقب المسيء
او باحوال الذين اتقوا فلذلك اعد لهم جنات وقد نبه بهذه الاية على نعمه
فادناها متاع الدنيا واعلاها رضوان الله كقوله ورضوان من الله اكبر
واوسطها الجنة ونعيمها الذين يقولون ربنا اننا امنا فاغفر لنا ذنوبنا
وقنا عذاب النار صفة للمتقين او للعباد او مدح منصوب او مرفوع وفي
ترتيب السؤال على مجرد الايمان دليل على انه كاف في استحقاق المغفرة او
الاستعداد لها الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين
بالاسحار حصر لمقامات السالكين على احسن ترتيب فان معاملته مع الله اما
توسل واما طلب والتوسل اما بالنفس وهو منعها عن الرذائل وحبسها على
الفضائل والصبر يشملهما واما بالبدن وهو اما قولي وهو الصدق و

واما فعلي وهو القنوت الذي هو ملازمة الطاعة واما بالمال وهو الانفاق
في سبيل الخير واما الطلب والاستغفار لان المغفرة اعظم المطالب بل الجامع لها وتوسيط
الواو بينها للدلالة على استقلال كل واحدة منها وكمالهم فيها او
لتغاير الموصوفين بها وتخصيص الاسحار لان الدعاء فيها اقرب الى الاجابة
لان العبادة حينئذ اشق والنفس اصفى والروع اجمع سيما للمتهجدين قيل انهم كانوا
يصلون الى السحر ثم يستغفرون ويدعون شهد الله انه لا اله الا هو بين وحدانيته
بنصب الدلائل الدالة عليها وانزال الآيات الناطقة بها والملئكة بالاقرار
واولوا العلم بالايمان بها والاحتجاج عليها شبه ذلك في البيان والكشف
بشهادة الشاهد قائما بالقسط مقيما للعدل في قسمه وحكمه وانتصابه على
الحال من الله وانما جاز افراده بها ولم يجز جاء زيد وعمرو راكبا لعدم اللبس
كقوله ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة او من هو والعامل فيها معنى الجملة اي
تفرد قائما او احقه لانها حال مؤكدة او على المدح او الصفة للمنفي وفيه
ضعف للفصل وهو مندرج في المشهود به اذا جعلته صفة او حالا عن الضمير
وقرئ القائم بالقسط على البدل من هو او الخبر للمحذوف لا اله الا هو كرره للتأكيد
ومزيد الاعتناء بمعرفة ادلة التوحيد والحكم به بعد اقامة الحجة وليبني
عليه قوله العزيز الحكيم فيعلم انه الموصوف بهما وقدم العزيز ليتقدم العلم
بقدرته على العلم بحكمته ورفعهما على البدل من الضمير او الصفة لفاعل شهد
وقد روي في فضلها انه عم قال يجاء بصاحبها يوم القيمة فيقول الله ان
لعبدي هذا عندي عهدا وانا احق من وفى بالعهد ادخلوا عبدي الجنة وهي
دليل على فضل علم اصول الدين وشرف اهله ان الدين عند الله الاسلام جملة
مستأنفة مؤكدة للاولى اي لا دين مرضي عند الله سوى الاسلام وهو التوحيد
والتدرع بالشرع الذي جاء به محمد عم وقرأ الكسائي بالفتح على انه بدل
من انه بدل الكل ان فسر الاسلام بالايمان او بما يتضمنه وبدل الاشتمال
ان فسر بالشريعة وقرئ انه بالكسر وان بالفتح على وقوع الفعل على الثاني
واعتراض ما بينهما او اجراء شهد مجرى قال تارة وعلم اخرى لتضمنه معناهما
وما اختلف الذين اوتوا الكتاب من اليهود والنصارى او من ارباب الكتب
المتقدمة في دين الاسلام فقال قوم انه حق وقال قوم انه مخصوص بالعرب
ونفاه آخرون مطلقا او في التوحيد فثلثت النصارى وقالت اليهود عزير
ابن الله وقيل هم قوم موسى اختلفوا بعده وقيل هم النصارى اختلفوا في

امر عيسى الا من بعد ما جاءهم العلم اي بعد ما علموا حقيقة الامر او تمكنوا من
العلم بها بالآيات والحجج بغيا بينهم حسدا بينهم وطلبا للرياسة لا لشبهة وخفاء
في الامر ومن يكفر بآيات الله فان الله سريع الحساب وعيد لمن كفر منهم فان حاجوك
في الدين وجادلوك فيه بعد ما اقمت الحجج فقل اسلمت وجهي لله اخلصت نفسي
وجملتي له لا اشرك فيها غيره وهو الدين القويم الذي قامت به الحجج ودعت اليه
الآيات والرسل وانما عبر بالوجه عن النفس لانه اشرف الاعضاء الظاهرة
ومظهر القوى والحواس ومن اتبعن عطف على التاء وحسن للفصل او مفعول
معه وقل للذين اوتوا الكتاب والاميين الذين لا كتاب لهم كمشركي العرب أاسلمتم
كما اسلمت لما وضحت لكم الحجة ام انتم بعد على كفركم ونظيره قوله فهل انتم منتهون
وفيه تعيير لهم بالبلادة او المعاندة فان اسلموا فقد اهتدوا فقد نفعوا انفسهم
بان اخرجوها من الضلال وان تولوا فانما عليك البلاغ اي فلم يضروك اذ ما
عليك الا ان تبلغ وقد بلغت والله بصير بالعباد وعد ووعيد ان الذين يكفرون
بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس
فبشرهم بعذاب اليم هم اهل الكتاب الذين في عصره قتل اولهم الانبياء ومتابعيهم
وهم رضوا به وقصدوا قتل النبي والمؤمنين ولكن الله عصمهم وقد سبق مثله
في سورة البقرة وقرأ حمزة ويقاتلون الذين وقد منع سيبويه ادخال الفاء
في خبر ان كليت ولعل ولذلك قيل الخبر اولئك الذين حبطت اعمالهم في الدنيا و
الآخرة كقولك زيد فافهم رجل صالح والفرق انه لا يغير معنى الابتداء بخلافهما
وما لهم من ناصرين يدفع عنهم العذاب الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب اي
التورية او جنس الكتب السماوية ومن للتبعيض او للبيان وتنكير النصيب يحتمل
التعظيم والتحقير يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم الداعي نبينا عم وكتاب الله
القرآن او التورية لما روي انه عم دخل مدارسهم فقال له نعيم بن عمرو و
الحارث بن زيد على اي دين انت فقال على دين ابرهيم فقالا له ان ابراهيم كان
يهوديا فقال هلموا الى التورية فانها بيننا وبينكم فابيا فنزلت وقيل نزلت في
الرجم وقرئ ليحكم على البناء للمفعول فيكون الاختلاف فيما بينهم وفيه دليل
على ان الادلة السمعية حجة في الاصول ثم يتولى فريق منهم استبعاد لتوليهم مع
علمهم بان الرجوع اليه واجب وهم معرضون وهم قوم عادتهم الاعراض والجملة
حال من فريق وانما ساغ لتخصيصه بالصفة ذلك اشارة الى التولي والاعراض
بانهم قالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودات بسبب تسهيلهم امر العقاب على انفسهم

لهذا الاعتقاد الزائغ والطمع الفارغ وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون من
النار لن تمسنا النار الا اياما قلائل او ان اباءهم الانبياء يشفعون لهم او انه تعالى وعد
يعقوب عم ان لا يعذب اولاده الا تحلة القسم فكيف اذا جمعناهم ليوم لا ريب
فيه استعظام لما يحيق بهم في الاخرة وتكذيب لقولهم لن تمسنا النار الا اياما
روي ان اول راية ترفع يوم القيمة من رايات الكفار راية اليهود فيفضحهم
الله على رؤس الاشهاد ثم يامر بهم الى النار ووفيت كل نفس ما كسبت جزاء ما
كسبت وفيه دليل على ان العبادة لا تحبط وان المؤمن لا يخلد في النار لان
توفية ايمانه وعمله لا يكون في النار ولا قبل دخولها فاذن هو بعد الخلاص
منها وهم لا يظلمون الضمير لكل نفس على المعنى لانه في معنى كل انسان قل اللهم
الميم عوض من يا ولذلك لا يجتمعان وهو من خصائص هذا الاسم كدخول يا
عليه مع لام التعريف وقطع همزته وتاء القسم وقيل اصله يا الله امنا بخير
فخفف بحذف حرف النداء ومتعلقات الفعل وهمزته مالك الملك يتصرف فيما
يمكن التصرف فيه تصرف الملاك وهو نداء ثان عند سيبويه فان الميم عنده
تمنع الوصفية تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء تعطي منها ما تشاء
من تشاء وتسترد فالملك الاول عام والاخران بعضان منه وقيل المراد بالملك
النبوة ونزعها نقلها من قوم الى قوم وتعز من تشاء وتذل من تشاء في الدنيا او في
الاخرة او فيهما بالنصر والادبار والتوفيق والخذلان بيدك الخير انك على كل
شيء قدير ذكر الخير وحده لانه المقضي بالذات والشر مقضي بالعرض اذ لا يوجد
شر جزئي ما لم يتضمن خيرا كليا او لمراعاة الادب في الخطاب او لان الكلام في
فيه اذ روي انه عم لما خط الخندق وقطع لكل عشرة اربعين ذراعا واخذوا
يحفرون فظهر فيه صخرة عظيمة لم تعمل فيها المعاول فوجهوا سلمان الى رسول
الله عم يخبره فجاء فاخذ المعول منه فضربها ضربة صدعتها وبرق منها برق
اضاء ما بين لابتيها لكان مصباحا في جوف بيت مظلم فكبر وكبر معه المسلمون
وقال اضاءت لي منها قصور الحيرة كانها انياب الكلاب ثم ضرب الثانية فقال
اضاءت لي منها القصور الحمر من ارض الروم ثم ضرب الثالثة فقال اضاءت لي
قصور صنعاء واخبرني جبريل عم ان امتي ظاهرة على كلها فابشروا فقال
المنافقون الا تعجبون يمنيكم ويعدكم الباطل ويخبركم انه يبصر من يثرب قصور الحيرة
وانها تفتح لكم وانتم انما تحفرون الخندق من الفرق فنزلت ونبه على ان الشر ايضا
بيده بقوله انك على كل شيء قدير تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل

وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي وترزق من تشاء بغير حساب عقب ذلك
ببيان قدرته على معاقبة الليل والنهار والموت والحيوة وسعة فضله دلالة
على ان من قدر على ذلك قدر على معاقبة الذل والعز وايتاء الملك ونزعه والولوج
الدخول في مضيق وايلاج الليل والنهار ادخال احدهما في الاخر بالتعقيب او
الزيادة والنقص واخراج الحي من الميت وبالعكس انشاء الحيوانات من موادها و
اماتتها وانشاء الحيوان من النطفة والنطفة منه وقيل اخراج المؤمن من
الكافر والكافر من المؤمن لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء نهوا عن موالاتهم
لقرابة او صداقة جاهلية ونحوهما حتى لا يكون حبهم وبغضهم الا في الله او عن
الاستعانة بهم في الغزو وسائر الامور الدينية من دون المؤمنين اشارة الى
انهم الاحقاء بالموالاة وان في موالاتهم مندوحة عن موالاة الكفرة ومن يفعل
ذلك اي اتخاذهم اولياء فليس من الله في شيء من ولايته في شيء يصح ان يسمى ولاية
فان موالاة المتعاندين لا يجتمعان قال تود عدوي ثم تزعم انني صديقك ليس
النوك عنك بعازب الا ان تتقوا منهم تقاة الا ان تخافوا من جهتهم ما يجب اتقاؤه
او اتقاء والفعل معدى بمن لانه في معنى تحذروا او تخافوا وقرا يعقوب
تقية منع عن موالاتهم ظاهرا او باطنا في الاوقات كلها الا وقت المخافة فان
اظهار الموالاة حينئذ جائز كما قال عيسى عم كن وسطا وامش جانبا ويحذركم الله
نفسه والى الله المصير فلا تتعرضوا لسخطه بمخالفة احكامه وموالاة اعدائه
وهو تهديد عظيم مشعر بتناهي المنهي في القبح وذكر النفس ليعلم ان المحذر منه
عقاب يصدر منه فلا يؤبه دونه بما يحذر من الكفرة قل ان تخفوا ما في صدوركم
او تبدوه يعلمه الله اي انه يعلم ضمائركم من ولاية الكفار وغيرها ان تخفوها
او تبدوها ويعلم ما في السموات وما في الارض فيعلم سركم وعلنكم والله على
كل شيء قدير فيقدر على عقوبتكم ان لم تنتهوا عما نهيتم عنه والاية بيان لقوله
ويحذركم الله نفسه لانها متصفة بعلم ذاتي محيط بالمعلومات كلها وقدرة
ذاتية تعم المقدورات باسرها فلا تجسروا على عصيانه اذ ما من معصية الا وهو
مطلع عليها قادر على العقاب بها يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت
من سوء تود لو ان بينها وبينه يوم منصوب بتود اي تتمنى كل نفس يوم تجد صحائف
اعمالها او جزاء اعمالها من الخير والشر حاضرة لو ان بينها وبين ذلك اليوم و
هوله امدا بعيدا او بمضمر نحو اذكر وتود حال من الضمير في عملت او خبر لما
عملت من سوء وتجد مقصور على ما عملت من خير ولا يكون ما شرطية لارتفاع

تودّ وقرئ ودّت وعلى هذا يصح ان يكون شرطية ولكن الحمل على الخبر اوقع معنى
لانه حكاية كائن واوفق للقراءة المشهورة ويحذركم الله نفسه كرره للتوكيد
والتذكير والله رؤف بالعباد اشارة الى انه تعالى انما نهاهم وحذرهم رأفة
بهم ومراعاة لصلاحهم او انه لذو مغفرة وذو عقاب فترجى رحمته ويخشى
عذابه قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني المحبة ميل النفس الى الشيء لكمال ادركته
فيه بحيث يحملها على ما يقربه اليه والعبد اذا علم ان الكمال الحقيقي ليس الا لله
وان كل ما يراه كمالا من نفسه او غيره فهو من الله وبالله والى الله لم يكن حبه
الا لله وفي الله وذلك يقتضي ارادة طاعته والرغبة فيما يقربه فلذلك
فسرت المحبة بارادة الطاعة وجعلت مستلزمة لاتباع الرسول في عبادته
والحرص على مطاوعته يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم جواب للامر اي يرض عنكم
ويكشف الحجب عن قلوبكم بالتجاوز عما فرط منكم فيقربكم من جناب عزه ويبوئكم
في جوار قدسه عبر عن ذلك بالمحبة على طريق الاستعارة او المقابلة والله
غفور رحيم لمن يتحبب اليه بطاعته واتباع نبيه روي انه نزلت لما قالت اليهود
نحن ابناء الله واحباؤه وقيل نزلت في وفد نجران لما قالوا انما نعبد المسيح حبا
لله وقيل في اقوام زعموا على عهده عم انهم يحبون الله فامروا ان يجعلوا لقولهم
تصديقا من العمل قل اطيعوا الله والرسول فان تولوا يحتمل المضي والمضارعة
بمعنى فان تتولوا فان الله لا يحب الكافرين لا يرضى عنهم ولا يثني عليهم وانما لم يقل
ولا يحبهم لقصد العموم والدلالة على ان التولي كفر وانه من هذه الحيثية ينفي
محبة الله وان محبته مخصوصة بالمؤمنين ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل
ابراهيم وآل عمران على العالمين بالرسالة والخصائص الروحانية والجسمانية
ولذلك قووا على ما لم يقو عليه غيرهم لما اوجب طاعة الرسل وبين انها الجالبة
لمحبة الله عقب ذلك ببيان مناقبهم تحريضا عليها وبه استدل على فضلهم على
الملائكة وآل ابراهيم واسمعيل واسحق واولادهما وقد دخل فيهم الرسول
وآل عمران موسى وهرون ابنا عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب او
عيسى وامه مريم بنت عمران بن ماثان بن اسعاذار لاشاع بن ابي يود بن يوذبال
بن سالبان بن يوحنا بن اوشا بن امورن بن ميشكن بن حازقا بن احاز بن يوتام
عزريان بن يوذام بن ساقط بن ايشي بن راحيم بن سليمان بن داود بن ايشي بن
عويد بن سلمون بن باعز بن يخشون بن عمناذب بن رام بن حصروم بن فارص بن
يهوذا بن يعقوب وكان بين العمرانين الف وثمانمائة سنة ذرية بعضها من بعض

حال او بدل من الالين او منهما ومن نوح اي انهم ذرية واحدة متشعبة بعضها
من بعض وقيل بعضها من بعض في الدين والذرية الولد يقع على الواحد والجمع
فعلية من الذر او فعولة من الذرء ابدلت همزتها ياء ثم قلبت الواو ياء وادغمت
والله سميع عليم باقوال الناس واعمالهم فيصطفي من كان مستقيم القول
والعمل او سميع بقول امراة عمران عليم بنيتها اذ قالت امراة عمران رب اني نذرت
لك ما في بطني فينتصب به اذ وقيل نصبه باضمار اذكر وهذه حنة بنت فاقوذا
جدة عيسى وكانت لعمران بن يصهر بنت اسمها مريم اكبر من هرون فظن ان المراد
زوجته ويرده كفالة زكريا فانه كان معاصرا لابن ماثان وتزوج بنته
ايشاع وكان يحيى وعيسى ابني خالة من الاب وروي انها كانت عاقرا عجوزا فبينا هي
في ظل شجرة اذ رأت طائرا يطعم فرخه فحنت الى الولد وتمنته فقالت اللهم ان لك
علي نذرا ان رزقتني ولدا ان اتصدق به على بيت المقدس فيكون من خدمه
فحملت بمريم وهلك عمران وكان هذا النذر مشروعا في عهدهم للغلمان فلعلها
بنت الامر على التقدير او طلبت ذكرا محررا معتقا لخدمته لا اشغله بشيء او
مخلصا للعبادة ونصبه على الحال فتقبل مني ما نذرته انك انت السميع العليم
لقولي ونيتي فلما وضعتها قالت رب اني وضعتها انثى الضمير لما في بطنها وتانيثه
لانه كان انثى وجاز انتصاب انثى حالا عنه لان تانيثها علم منه فان الحال وصاحبها
بالذات واحد او على تاويل مؤنث كالنفس والحبلة وانما قالته تحسرا او
تحزنا الى ربها لانها كانت ترجو ان تلد ذكرا ولذلك نذرت تحريره والله
اعلم بما وضعت اي بالشيء الذي وضعت وهو استيناف من الله تعظيما لموضوعها
وتجهيلا لها بشانها وقرأ ابن عامر وابو بكر عن عاصم ويعقوب وضعت على انه
من كلامها تسلية لنفسها اي ولعل لله فيه سرا او الانثى كان خيرا وقرئ وضعت
على انه خطاب الله لها وليس الذكر كالانثى بيان لقوله والله اعلم اي وليس الذكر
الذي طلبت كالانثى التي وهبت واللام فيهما للعهد ويجوز ان يكون من قولها بمعنى
وليس الذكر والانثى سيان فيما نذرت فيكون اللام للجنس واني سميتها مريم عطف
على ما قبلها من مقالها وما بينهما اعتراض وانما ذكرت ذلك لربها تقربا
اليه وطلبا لان يعصمها ويصلحها حتى يكون فعلها مطابقا لاسمها فان مريم في
لغتهم بمعنى العابدة وفيه دليل على ان الاسم والمسمى والتسمية امور متغايرة
واني اعيذها بك اجيرها بحفظك وذريتها من الشيطان الرجيم المطرود واصل
الرجم الرمي بالحجارة وعن النبي عم ما من مولود يولد الا والشيطان يمسه حين

يولد فيستهل من مسه إلا مريم وابنها ومعناه أن الشيطان يطمع في إغواء كل مولود
بحيث يتأثر منه إلا مريم وابنها فإن الله عصمهما ببركة هذه الاستعاذة فتقبلها
ربها فرضي بها في النذر مكان الذكر بقبول حسن بوجه حسن يقبل به النذائر
وهو إقامتها مقام الذكر أو تسلمها عقيب ولادتها قبل أن تكبر وتصلح للسدانة
روي أن حنة لما ولدتها لفتها في خرقة وحملتها إلى المسجد ووضعتها عند
الأحبار وقالت دونكم هذه النذيرة فتنافسوا فيها لأنها كانت بنت إمامهم و
صاحب قربانهم فإن بني ماثان كانت رؤوس بني إسرائيل وملوكهم فقال زكريا
أنا أحق بها عندي خالتها فأبوا إلا القرعة وكانوا سبعة وعشرين
فانطلقوا إلى نهر فألقوا فيه أقلامهم فطفا قلم زكريا ورسبت أقلامهم فتكفلها
ويجوز أن يكون مصدرا على تقدير مضاف أي بذي قبول حسن وأن يكون
تقبل بمعنى استقبل كتقضى وتعجل أي فأخذها في أول أمرها حين ولدت بقبول
حسن وأنبتها نباتا حسنا مجاز عن تربيتها بما يصلحها في جميع أحوالها وكفلها
زكريا شدد الفاء حمزة والكسائي وعاصم وقصروا زكريا غير عاصم في
رواية ابن عياش على أن الفاعل هو الله وزكريا مفعول أي جعله كافلا
لها وضامنا لمصالحها وخفف الباقون ومدوا زكرياء مرفوعا كلما دخل
عليها زكريا المحراب أي الغرفة التي بنيت لها أو المسجد أو أشرف مواضعه ومقدمها
سمي به لأنه محل محاربة الشيطان كأنها وضعت في أشرف موضع من بيت
المقدس وجد عندها رزقا جواب كلما وناصبه روي أنه كان لا يدخل عليها
غيره وإذا خرج أغلق عليها سبعة أبواب وكان يجد عندها فاكهة الشتاء
في الصيف وبالعكس قال يا مريم أنى لك هذا من أين لك هذا الرزق الآتي في غير
أوانه والأبواب مغلقة عليك وهو دليل جواز الكرامة للأولياء وجعل
ذلك معجزة زكريا يدفعه اشتباه الأمر عليه قالت هو من عند الله فلا تستبعد
قيل تكلمت صغيرة كعيسى ولم ترضع ثديا قط وكان رزقها ينزل عليها من
الجنة إن الله يرزق من يشاء بغير حساب بغير تقدير لكثرته أو بغير استحقاق
تفضلا به وهو يحتمل أن يكون من كلامها وأن يكون من كلام الله روي أن فاطمة
رضي الله عنها أهدت لرسول الله صلى الله عليه وسلم رغيفين وبضعة لحم فرجع بها إليها
وقال هلمي يا بنية فكشفت عن الطبق فإذا هو مملوء خبزا ولحما فقال لها
أنى لك هذا فقالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب فقال
الحمد لله الذي جعلك شبيهة سيدة نساء بني إسرائيل ثم جمع عليا والحسن والحسين

وجميع أهل بيته وبقي الطعام كما هو فأوسعت على جيرانها هنالك دعا زكريا
ربه في ذلك المكان أو الوقت إذ يستعار هنا وثم وحيث للزمان لما رأى كرامة
مريم ومنزلتها من الله قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة كما وهبتها لحنة العجوز
العاقر وقيل لما رأى الفواكه في غير أوانها انتبه على جواز ولادة العاقر من
ب الشيخ فسأل وقال هب لي من لدنك ذرية لأنه لم يكن على الوجوه المعتادة وبالأسباب
المعهودة إنك سميع الدعاء مجيبه فنادته الملائكة أي من جنسهم كقولهم زيد
يركب الخيل فإن المنادي كان جبريل وحده وقرأ حمزة والكسائي فناداه بالإمالة
والتذكير وهو قائم يصلي في المحراب أي قائما في الصلاة ويصلي صفة قائم أو
خبر أو حال آخر أو حال عن الضمير في قائم أن الله يبشرك بيحيى أي بأن الله و
قرأ نافع وابن عامر بالكسر على إرادة القول أو لأن النداء نوع منه وقرأ
حمزة والكسائي يبشرك ويحيى اسم أعجمي وإن جعل عربيا فمنع صرفه للتعريف
ووزن الفعل مصدقا بكلمة من الله أي بعيسى سمي بذلك لأنه وجد بأمره تعالى
دون أب فشابه البدعيات التي هي عالم الأمر أو بكتاب الله سمي كلمة كما قيل كلمة
الحويدرة لقصيدته وسيدا يسود قومه ويفوقهم وكان فائقا للناس كلهم
في أنه ما هم بمعصية وحصورا مبالغا في حبس النفس عن الشهوات والملاهي
روي أنه مر في صباه بصبيان فدعوه إلى اللعب فقال ما للعب خلقت ونبيا من
الصالحين ناشئا منهم أو كائنا من عداد من لم يأت كبيرة ولا صغيرة قال رب أنى
يكون لي غلام استبعادا من حيث العادة أو استعظاما أو تعجبا أو استفهاما
عن كيفية حدوثه وقد بلغني الكبر أدركني كبر السن وأثر في وكان له تسع و
تسعون سنة ولامرأته ثمان وتسعون وامرأتي عاقر لا تلد من العقر وهو
القطع لأنها ذات عقر من الأولاد قال كذلك الله يفعل ما يشاء أي يفعل ما
يشاء من العجائب مثل ذلك الفعل وهو إنشاء الولد من شيخ فان وعجوز عاقر
أو كما أنت عليه وزوجك من الكبر والعقر يفعل ما يشاء من خلق الولد أو كذلك
الله مبتدأ وخبر أي الله على مثل هذه الصفة ويفعل ما يشاء بيان له أو كذلك
خبر مبتدأ محذوف أي الأمر كذلك والله يفعل ما يشاء بيان قال رب اجعل
لي آية علامة أعرف بها الحبل لأستقبله بالبشاشة والشكر وتزيح مشقة
الانتظار قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام أن لا تقدر على تكليم الناس ثلاثا و
إنما حبس لسانه عن مكالمتهم خاصة ليخلص المدة لذكر الله وشكره قضاء لحق
النعمة وكأنه قال آيتك أن تحبس لسانك إلا عن الشكر وأحسن الجواب ما اشتق

عن السؤال الا رمزا اشارة بنحو يد او راس واصله التحرك ومنه الراموز للبحر
والاستثناء منقطع وقيل متصل والمراد بالكلام ما دل على الضمير وقرئ رمزا
كخدم جمع رامز ورمزا كرسل جمع رموز على انه حال منه ومن الناس معا
كقوله متى ما تلقني فردين ترجف روانف اليتيك وتستطارا واذكر ربك كثيرا
في ايام الحبسة وهو مؤكد لما قبله مبين للغرض منه وتقييد الامر بالكثرة يدل
على انه لا يفيد التكرار وسبح بالعشي من الزوال الى الغروب وقيل من العصر او
الغروب الى ذهاب صدر الليل والابكار من طلوع الفجر الى الضحى وقرئ بفتح
الهمزة جمع بكر كسحر واسحار واذ قالت الملائكة يا مريم ان الله اصطفاك وطهرك
واصطفاك على نساء العالمين كلموها شفاها كرامة لها ومن انكر الكرامة زعم
ان ذلك كانت معجزة زكريا او ارهاصا لنبوة عيسى فان الاجماع على انه تعالى لم
يستنبئ امراة لقوله وما ارسلنا قبلك الا رجالا وقيل الهموها والاصطفاء
الاول تقبلها من امها ولم تقبل قبلها انثى وتفريغها للعبادة واغناؤها برزق
الجنة عن الكسب وتطهيرها عما يستقذر من النساء والثاني هدايتها وارسال
الملائكة اليها وتخصيصها بالكرامة السنية كالولد من غير اب وتبرئتها مما قذفته
اليهود بانطاق الطفل وجعلها وابنها اية للعالمين يا مريم اقنتي لربك واسجدي
واركعي مع الراكعين امرت بالصلوة في الجماعة بذكر اركانها مبالغة في
المحافظة عليها وقدم السجود على الركوع اما لكونه كذلك في شريعتهم او
للتنبيه على ان الواو لا توجب الترتيب او ليقترن اركعي بالراكعين للايذان
بان من ليس في صلوتهم ركوع ليسوا مصلين وقيل المراد بالقنوت ادامة
الطاعة كقوله امن هو قانت اناء الليل ساجدا وقائما وبالسجود الصلوة
كقوله وادبار السجود وبالركوع الخشوع والاخبات ذلك من انباء الغيب
نوحيه اليك اي ما ذكرنا من القصص من الغيوب التي لم تعرفها الا بالوحي وما
كنت لديهم اذ يلقون اقلامهم اقداحهم للاقتراع وقيل اقترعوا باقلامهم التي
كانوا يكتبون بها التورية تبركا والمراد تقرير كونه وحيا على سبيل التهكم
بمنكريه فان طريق معرفة الوقايع المشاهدة والسماع وعدم السماع معلوم
لا شبهة فيه عندهم فبقي ان يكون الاتهام باحتمال العيان ولا يظن به عاقل
ايهم يكفل مريم متعلق بمحذوف دل عليه يلقون اقلامهم اي يلقون ليعلموا او
يقولون ايهم يكفل وما كنت لديهم اذ يختصمون تنافسا في كفالتها اذ قالت
الملائكة بدل من اذ قالت الاولى وما بينهما اعتراض او من اذ يختصمون على ان

وقوع الاختصام والبشارة في زمان متسع كقولك لقيته سنة كذا يا مريم ان
الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم المسيح لقبه وهو من الالقاب
المشرفة كالصديق واصله بالعبرية مشيحا ومعناه المبارك وعيسى معرب ايشوع
واشتقاقهما من المسح لانه مسح بالبركة او بما طهره من الذنوب او مسح الارض و
لم يقم في موضع او مسحه جبريل ومن العيس وهو بياض يعلوه حمرة تكلف لا طائل
تحته وابن مريم لما كانت صفة تميز تمييز الاسماء نظمت في سلكها ولا ينافي
تعدد الخبر افراد المبتدا فانه اسم جنس مضاف فيحتمل ان يراد به ان الذي يعرف
به ويتميز عن غيره هذه الثلثة فان الاسم علامة المسمى والمميز له ممن سواه
ويجوز ان يكون عيسى خبر مبتدا محذوف وابن مريم صفته وانما قيل ابن مريم
والخطاب لها تنبيها على انه يولد من غير اب اذ الاولاد تنسب الى الاباء ولا تنسب
الى الام الا اذا فقد الاب وجيها في الدنيا والاخرة حال مقدرة من كلمة وهي و
ان كانت نكرة لكنها موصوفة وتذكيرها للمعنى والوجاهة البنوة وفي الاخرة
في الدنيا
الشفاعة ومن المقربين من الله وقيل اشارة الى علو درجته في الجنة او رفعه
الى السماء وصحبة الملائكة ويكلم الناس في المهد وكهلا اي يكلمهم حال كونه
طفلا وكهلا كلام الانبياء من غير تفاوت والمهد مصدر سمي به ما يمهد للصبي
من مضجعه وقيل انه رفع شابا والمراد وكهلا بعد نزوله وذكر احواله
المختلفة المتنافية ارشادا الى انه بمعزل عن الالوهية ومن الصالحين حال
ثالث من كلمة او ضميرها الذي في يكلم قالت رب انى يكون لي ولد ولم يمسسني
بشر تعجب او استبعاد عادي او استفهام عن انه يكون بتزوج او غيره قال
كذلك الله يخلق ما يشاء القائل جبريل او الله وجبريل حكى لها قوله اذا قضى
امرا فانما يقول له كن فيكون اشارة الى انه كما يقدر ان يخلق الاشياء مدرجا
باسباب ومواد يقدر ان يخلقها دفعة من غير ذلك ويعلمه الكتاب والحكمة و
التورية والانجيل كلام مبتدا ذكر تطييبا لقلبها وازاحة لما اهمها من خوف
اللوم لما علمت انها تلد من غير زوج او عطف على يبشرك او وجيها والكتاب
الكتبة او جنس الكتب المنزلة وخص الكتابان لفضلهما ورسولا الى بني اسرائيل
اني قد جئتكم باية من ربكم منصوب بمضمر على ارادة القول تقديره ويقول ارسلت
رسولا باني قد جئتكم او بالعطف على الاحوال المتقدمة مضمنا معنى النطق كانه
قال وناطقا باني قد جئتكم وتخصيص بني اسرائيل لخصوص بعثته اليهم او للرد على
من زعم انه مبعوث الى غيرهم اني اخلق لكم من الطين كهيئة الطير نصب بدل من

اني قد جئتكم او جر بدل من آية او رفع على هي اني اخلق لكم والمعنى اقدر لكم واصور
شيئا مثل صورة الطير فانفخ فيه الضمير للكاف اي في ذلك المماثل فيكون
طيرا باذن الله فيصير حيا طيارا بامر الله نبه به على ان احياءه من الله لا منه
وابرئ الاكمه والابرص الذي ولد اعمى او الممسوح العين وروي انه ربما كان
يجتمع عليه الوف من المرضى من اطاق منهم اتاه ومن لم يطق اتاه عيسى وما
يداوي الا بالدعاء واحيي الموتى باذن الله كرر باذن الله دفعا لوهم الالوهية
فان الاحياء ليس من جنس الافعال البشرية وانبئكم بما تاكلون وما تدخرون
في بيوتكم بالمغيبات من احوالكم التي لا تشكون فيها ان في ذلك لآية لكم ان كنتم
مؤمنين موفقين للايمان فان غيرهم لا ينتفع بالمعجزات او مصدقين للحق
غير معاندين ومصدقا لما بين يدي من التورية عطف على رسولا على الوجهين
او منصوب باضمار فعل دل عليه قد جئتكم اي وجئتكم مصدقا ولاحل لكم
مقدر باضماره او مردود على قوله باني قد جئتكم باية او معطوف على معنى
مصدقا كقولهم جئتك معتذرا ولاطيب قلبك بعض الذي حرم عليكم اي في
شريعة موسى كالشحوم والثروب والسمك ولحوم الابل والعمل في السبت وهو
يدل على ان شرعه كان ناسخا لشرع موسى ولا يخل ذلك بكونه مصدقا للتورية
كما لا يعود نسخ القران بعضه ببعض عليه بتناقض وتكاذب فان النسخ في الحقيقة
بيان وتخصيص في الازمان وجئتكم باية من ربكم فاتقوا الله واطيعون ان
الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم اي جئتكم باية اخرى الهمنيها
ربكم وهي قولي ان الله ربي وربكم فانه دعوة الحق المجمع عليها فيما بين الرسل
الفارق بين النبي والساحر او جئتكم باية على ان الله ربي وربكم وقوله فاتقوا
الله واطيعون اعتراض والظاهر انه تكرير لقوله قد جئتكم باية من ربكم اي
جئتكم باية بعد اخرى مما ذكرت لكم والاول لتمهيد الحجة والثاني لتقريبها
الى الحكم ولذلك رتب عليه بالفاء قوله تعالى فاتقوا الله اي لما جئتكم بالمعجزات
الظاهرة والايات الباهرة فاتقوا الله في المخالفة واطيعوني فيما ادعوكم
اليه ثم شرع في الدعوة واشار اليها بالقول المجمل فقال ان الله ربي وربكم
اشارة الى استكمال القوة النظرية بالاعتقاد الحق الذي غايته التوحيد
وقال فاعبدوه اشارة الى استكمال القوة العملية فانه بملازمة الطاعة
التي هي الاتيان بالاوامر والانتهاء عن المناهي ثم قرر ذلك بان بين ان الجمع
بين الامرين هو الطريق المشهود له بالاستقامة ونظيره قوله عم قل

آمنت بالله ثم استقم فلما احس عيسى منهم الكفر تحقق كفرهم عنده تحقق ما يدرك
بالحواس قال من انصاري الى الله ملتجئا الى الله او ذاهبا او ضاما اليه
ويجوز ان يتعلق الجار بانصاري مضمنا معنى الاضافة اي من الذين يضيفون
انفسهم الى الله في نصرتي وقيل الى ههنا بمعنى مع او في او اللام قال الحواريون
حواري الرجل خالصته من الحور وهو البياض الخالص ومنه الحواريات
للحضريات لخلوص الوانهن سمي به اصحاب عيسى عم لخلوص نيتهم ونقاء سرائرهم
وقيل كانوا ملوكا يلبسون البيض استنصر بهم عيسى عم من اليهود وقيل قصارون
يحورون الثياب اي يبيضونها نحن انصار الله اي انصار دينه آمنا بالله و
اشهد بانا مسلمون لتشهد لنا يوم القيمة حين تشهد الرسل لقومهم وعليهم
ربنا آمنا بما انزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين اي مع الشاهدين
بوحدانيتك او مع الانبياء الذين يشهدون لاتباعهم او امة محمد عم فانهم
شهداء على الناس ومكروا اي الذين احس منهم الكفر من اليهود بان وكلوا عليه
من يقتله غيلة ومكر الله حين رفع عيسى والقى شبهه على من قصد اغتياله
حتى قتل والمكر من حيث انه في الاصل حيلة يجلب بها غيره الى مضرة لا يسند
الى الله الا على سبيل المقابلة والازدواج والله خير الماكرين اقواهم مكرا
واقدرهم على ايصال الضرر من حيث لا يحتسب اذ قال الله ظرف لمكر الله او خير
الماكرين او لمضمر مثل وقع ذلك يا عيسى اني متوفيك اي مستوفي اجلك ومؤخرك
الى اجلك المسمى عاصما اياك من قتلهم او قابضك من الارض من توفيت مالي
او متوفيك نائما اذ روي انه رفع نائما او مميتك عن الشهوات العائقة عن
العروج الى عالم الملكوت وقيل اماته الله سبع ساعات ثم رفعه الى السماء و
اليه ذهب النصارى ورافعك الي الى محل كرامتي ومقر ملائكتي ومطهرك من الذين
كفروا من سوء جوارهم او قصدهم وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم
القيمة يغلبونهم بالحجة او السيف في غالب الامر ومتبعوه من امن بنبوته من المسلمين
والنصارى الى الان لم يسمع غلبة اليهود عليهم فلم يتفق لهم ملك ودولة ثم الي
مرجعكم الضمير لعيسى ومن تبعه ومن كفر به وغلب المخاطبين على الغائبين فاحكم بينكم
فيما كنتم فيه تختلفون من امر الدين فاما الذين كفروا فاعذبهم عذابا شديدا في
الدنيا والاخرة وما لهم من ناصرين واما الذين امنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم
اجورهم تفسير للحكم وتفصيل له والله لا يحب الظالمين تقرير لذلك ذلك اشارة
الى ما سبق من نبأ عيسى وغيره وهو مبتدأ خبره نتلوه عليك وقوله من الآيات

خال من الهاء ويجوز ان يكون الخبر ونتلوه حالا على ان العامل معنى الاشارة و
ان يكونا خبرين وان ينتصب بمضمر يفسره نتلوه والذكر الحكيم المشتمل على الحكم
والمحكم الممنوع عن تطرق الخلل اليه يريد به القران وقيل اللوح ان مثل عيسى عند
الله كمثل آدم ان شانه الغريب كشان آدم خلقه من تراب جملة مفسرة للتمثيل
مبينة لما له الشبه وهو انه خلق بلا اب كما خلق آدم من التراب بلا اب وام
شبه حاله بما هو اغرب افحاما للخصم وقطعا لمواد الشبهة والمعنى خلق قالبه
من التراب ثم قال له كن اي انشاه بشرا كقوله ثم انشاناه خلقا آخر او قدر
تكوينه من التراب ثم كونه ويجوز ان يكون ثم للتراخي في الخبر لا المخبر فيكون حكاية
حال ماضية الحق من ربك خبر محذوف اي هو الحق مبتدا ومن ربك خبره اي
المذكور من الله فلا تكن من الممترين خطاب للنبي عم على طريقة التهييج لزيادة
الثبات او لكل سامع فمن حاجك من النصارى فيه في عيسى من بعد ما جاءك
من العلم اي من البينات الموجبة للعلم فقل تعالوا هلموا بالراي والعزم ندع
ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم اي يدع كل منا ومنكم
نفسه واعزة اهله والصقهم بقلبه الى المباهلة ويحمل عليها وانما قدمهم
على النفس لان الرجل يخاطر بنفسه لهم ويحارب دونهم ثم نبتهل اي نتباهل بان
نلعن الكاذب منا والبهلة بالضم والفتح اللعنة واصله الترك من قولهم بهلت
الناقة اذا تركتها بلا صرار فنجعل لعنة الله على الكاذبين عطف فيه بيان روي
انهم لما دعوا الى المباهلة قالوا حتى ننظر فلما تخالوا قالوا للعاقب وكان ذا رايهم
ما ترى فقال والله لقد عرفتم نبوته ولقد جاءكم بالفصل في امر صاحبكم والله
ما باهل قوم نبيا الا هلكوا فان ابيتم الا الف دينكم فوادعوا الرجل وانصرفوا
فاتوا رسول الله عم وقد غدا محتضنا الحسين آخذا بيد الحسن وفاطمة
تمشي خلفه وعلي خلفها وهو يقول اذا انا دعوت فامنوا فقال اسقفهم يا
معشر النصارى اني لارى وجوها لو سالوا الله ان يزيل جبلا من مكانه لازاله
فلا تباهلوا فتهلكوا فاذعنوا لرسول الله عم وبذلوا له الجزية الفي حلة حمراء
وثلثين درعا من حديد فقال عم والذي نفسي بيده لو تباهلوا لمسخوا قردة
وخنازير ولاضطرم عليهم الوادي نارا ولاستاصل الله نجران واهله حتى
الطير على الشجر وهو دليل على نبوته وفضل من اتى بهم من بيته ان هذا اي ما
قص من نبا عيسى ومريم لهو القصص الحق جملة خبر ان وهو ضمير فصل
يفيد ان ما ذكره في شان عيسى ومريم حق دون ما ذكروه وما بعده خبره و

واللام دخلت فيه على الفصل لانه اقرب الى المبتدا من الخبر واصلها ان تدخل
المبتدا وما من اله الا الله صرح فيه بمن المزيدة للاستغراق تاكيدا للرد على
النصارى في تثليثهم وان الله لهو العزيز الحكيم لا احد سواه يساويه في القدرة
التامة والحكمة البالغة ليشاركه في الالوهية فان تولوا فان الله عليم بالمفسدين
وعيد لهم ووضع المظهر موضع المضمر ليدل على ان التولي عن الحجج والاعراض عن التوحيد
افساد للدين والاعتقاد المؤدي الى فساد النفس بل والى فساد العالم قل يا اهل
الكتاب يعم اهل الكتابين وقيل يريد به وفد نجران او يهود المدينة تعالوا الى كلمة
سواء بيننا وبينكم لا يختلف فيها الرسل والكتب وتفسيرها ما بعدها الا نعبد
الا الله ان نوحده بالعبادة ونخلص فيها ولا نشرك به شيئا ولا نجعل غيره شريكا له
في استحقاق العبادة ولا نراه اهلا لان يعبد ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من
دون الله ولا نقول عزير ابن الله ولا المسيح ابن الله ولا نطيع الاحبار فيما احدثوا
من التحريم والتحليل لان كلا منهم بعضنا بشر مثلنا روي انه لما نزلت اتخذوا
احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله قال عدي بن حاتم ما كنا نعبدهم يا رسول
الله قال اليس كانوا يحلون لكم ويحرمون فتاخذون بقولهم قال نعم قال هو ذاك
فان تولوا عن التوحيد فقولوا اشهدوا بانا مسلمون اي لزمتكم الحجة فاعترفوا
بانكم كافرون بما نطقت به الكتب وتطابقت عليه الرسل تنبيه انظر الى ما راعى في
هذه القصة من المبالغة في الارشاد وحسن التدرج في الحجاج بين اولا احوال
عيسى وما تعاور عليه من الاطوار المنافية للالهية ثم ذكر ما يحل عقدتهم
ويزيح شبهتهم فلما راى عنادهم ولجاجهم دعاهم الى المباهلة بنوع من الاعجاز
ثم لما اعرضوا عنها وانقادوا بعض الانقياد عاد عليهم بالارشاد وسلك
طريقا اسهل والزم بان دعاهم الى ما وافق عليه عيسى والانجيل وسائر الانبياء
والكتب ثم لما لم يجد ذلك ايضا عليهم وعلم ان الايات والنذر لا تغني عنهم اعرض
عن ذلك وقال اشهدوا بانا مسلمون يا اهل الكتاب لم تحاجون في ابراهيم وما
انزلت التورية والانجيل الا من بعده تنازعت اليهود والنصارى في ابراهيم و
زعم كل فريق انه منهم وترافعوا الى رسول الله فنزلت والمعنى ان اليهودية و
النصرانية حدثت بنزول التورية والانجيل على موسى وعيسى وكان ابراهيم
قبل موسى بالف سنة وعيسى بالفين فكيف يكون عليهما افلا تعقلون فتدعون
المحال ها انتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم
ها حرف تنبيه نبهوا بها على حالهم التي غفلوا عنها وانتم مبتدا وهؤلاء خبره

وحاججتم جملة اخرى مبينة للاولى اى انتم هؤلاء الحمقى وبيان حماقتكم انكم
جادلتم فيما لكم به علم مما وجدتموه فى التورية والانجيل عنادا او تدعون
وروده فلم تجادلون فيما لا علم لكم به ولا ذكر فى كتابكم من دين ابراهيم وقيل
هؤلاء بمعنى الذين وحاججتم صلته وقيل ها انتم اصله ءانتم على الاستفهام للتعجب
من حماقتهم فقلبت الهمزة هاء والله يعلم ما حاججتم فيه وانتم لا تعلمون وانتم جاهلون
به ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا تصريح بمقتضى ما قرره من البرهان
ولكن كان حنيفا مائلا عن العقايد الزايغة مسلما منقادا لله وليس المراد انه كان
على ملة الاسلام والا لاشترك الالزام وما كان من المشركين تعريض بانهم مشركون
لاشراكهم به عزيرا والمسيح ورد لادعاء المشركين انهم على ملة ابراهيم ان اولى
الناس بابراهيم ان اخصهم به واقربهم منه من الولى وهو القرب للذين اتبعوه من
امته وهذا النبى والذين امنوا لموافقتهم له فى اكثر ما شرع لهم على الاصالة وقرئ
النبى بالنصب عطفا على الهاء فى اتبعوه وبالجر عطفا على ابرهيم والله ولى المؤمنين
ينصرهم ويجازيهم الحسنى لايمانهم ودت طايفة من اهل الكتاب لو يضلونكم
نزلت فى اليهود لما دعوا حذيفة وعمارا ومعاذا الى اليهودية ولو بمعنى ان
وما يضلون الا انفسهم وما يتخطاهم الاضلال ولا يعود وباله الا عليهم
اذ يضاعف به عذابهم او ما يضلون الا امثالهم وما يشعرون وزره واختصاص
ضرره يا اهل الكتاب لم تكفرون بايات الله بما نطقت به التورية والانجيل
ودلت على نبوة محمد عم وانتم تشهدون انها ايات الله او بالقران وانتم تشهدون
نعته فى الكتابين او تعلمون بالمعجزات انه حق يا اهل الكتاب لم تلبسون الحق
بالباطل بالتحريف وابراز الباطل فى صورته او بالتقصير فى التمييز بينهما وقرئ
تلبسون بالتشديد وتلبسون بفتح الباء اى تلبسون الحق مع الباطل كقوله عم
كلابس ثوبى زور وتكتمون الحق نبوة محمد عم ونعته وانتم تعلمون عالمين بما
تكتمونه وقالت طايفة من اهل الكتاب امنوا بالذى انزل على الذين
امنوا وجه النهار اى اظهروا الايمان بالقران اول النهار واكفروا اخره
لعلهم يرجعون واكفروا به اخره لعلهم يشكون فى دينهم ظنا بانكم رجعتم
لخلل ظهر لكم والمراد بالطايفة كعب بن الاشرف ومالك بن الصيف قالا لاصحابهما
لما حولت القبلة امنوا بما انزل عليهم من الصلوة الى الكعبة وصلوا اليها
اول النهار ثم صلوا الى الصخرة اخره لعلهم يقولون هم اعلم منا وقد رجعوا
فيرجعون وقيل اثنا عشر من احبار خيبر تقاولوا بان يدخلوا فى الاسلام اول

النهار

النهار ويقولوا اخره نظرنا فى كتابنا وشاورنا فلم نجد محمدا بالنعت الذى ورد فى
التورية ولعل اصحابه يشكون فيه ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم ولا تقروا
عن تصديق قلب الا لاهل دينكم ولا تظهروا ايمانكم وجه النهار الا لمن كان على
دينكم فان رجوعهم ارجى واهم قل ان الهدى هدى الله يهدى من يشاء الى الايمان
ويثبت عليه ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم متعلق بمحذوف اى دبرتم ذلك وقلتم
لان يؤتى احد والمعنى ان الحسد حملهم على ذلك او بلا تؤمنوا اى ولا تظهروا ايمانكم
بان يؤتى احد مثل ما اوتيتم الا لاشياعكم ولا تفشوه الى المسلمين لئلا يزيد
ثباتهم ولا الى المشركين لئلا يدعوهم الى الاسلام وقوله قل ان الهدى هدى الله
اعتراض يدل على ان كيدهم لا يجدى بطائلا او خبر ان على ان هدى الله بدل عن الهدى
وقراءة ابن كثير ءان يؤتى على الاستفهام للتقريع تؤيد الوجه الاول اى الان يؤتى
احد دبرتم وقرئ ان على انها النافية فيكون من كلام الطايفة اى ولا تؤمنوا
الا لمن تبع دينكم وقولوا لهم ما يؤتى احد مثل ما اوتيتم او يحاجوكم عند ربكم عطف
على ان يؤتى على الوجهين الاولين وعلى الثالث معناه حتى يحاجوكم عند ربكم فيدحضوا
حجتكم والواو ضمير احد لانه فى معنى الجمع اذ المراد به غير اتباعهم قل ان الفضل
بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل
العظيم رد وابطال لما زعموه بالحجة الواضحة ومن اهل الكتاب من ان تامنه
بقنطار يؤده اليك كعبد الله بن سلام استودعه قرشى الفا ومايتى اوقية ذهبا
عه فاداه اليه ومنهم من ان تامنه بدينار لا يؤده اليك كفنحاص بن عازورا استودعه
قرشى اخر دينارا فجحده وقيل المامونون على الكثير النصارى اذ الغالب فيهم
الامانة والخائنون فى القليل اليهود اذ الغالب عليهم الخيانة الا ما دمت عليه
قائما الا مدة دوامك قائما على راسه مبالغا فى مطالبته بالتقاضى والترافع
واقامة البينة ذلك اشارة الى ترك الاداء المدلول عليه بقوله لا يؤده بانهم
قالوا بسبب قولهم ليس علينا فى الاميين سبيل اى ليس علينا فى شان من ليسوا اهل
الكتاب ولم يكونوا على ديننا عتاب وذم ويقولون على الله الكذب بادعائهم ذلك
وهم يعلمون انهم كاذبون وذلك لانهم استحلوا ظلم من خالفهم وقالوا لم يجعل لهم
فى التورية حرمة وقيل عامل اليهود رجالا من قريش فلما اسلموا تقاضوهم فقالوا
سقط حقكم حيث تركتم دينكم وزعموا انه كذلك فى كتابهم وعن النبى عم انه قال عند
نزولها كذب اعداء الله ما من شىء فى الجاهلية الا وهو تحت قدمى الا الامانة فانها
مؤداة الى البر والفاجر بلى اثبات لما نفوه اى بلى عليهم سبيل من اوفى بعهده واتقى

فان الله يحب المتقين استيناف مقرر للجملة التي سدت بلى مسدها والضمير المجرد لمن
او لله وعموم المتقين ناب مناب الراجع من الجزاء الى من واشعر بان التقوى ملاك الامر
وهو يعم الوفاء وغيره من اداء الواجبات والاجتناب عن المناهي ان الذين يشترون
يستبدلون بعهد الله بما عاهدوا عليه من الايمان بالرسول والوفاء بالامانات
وايمانهم وبما حلفوا به من قولهم والله لنؤمنن به ولننصرنه ثمنا قليلا متاع الدنيا
اولئك لا خلاق لهم في الاخرة ولا يكلمهم الله بما يسرهم او بشيء اصلا وان الملائكة
يسئلونهم يوم القيمة او لا ينتفعون بكلمات الله واياته والظاهر انه كناية عن
غضبه عليهم لقوله ولا ينظر اليهم يوم القيمة فان من سخط على غيره واستهان به
اعرض عنه وعن التكلم معه والالتفات نحوه كما ان من اعتد بغيره يقاوله ويكثر
النظر اليه ولا يزكيهم ولا يثني عليهم ولهم عذاب اليم على ما فعلوه قيل انها نزلت
في احبار حرفوا التورية وبدلوا نعت محمد عم وحكم الامانات وغيرهما واخذوا
على ذلك رشوة وقيل رجل اقام سلعة في السوق فحلف لقد اشتريها بما لم يشترها
به وقيل في ترافع كان بين اشعث بن قيس ويهودي في بئر او ارض وتوجه الحلف
على اليهودي وان منهم لفريقا يعني المحرفين ككعب ومالك وحيي يلوون السنتهم بالكتاب
يفتلونها بقراءته فيميلونها عن المنزل الى المحرف او يعطفونها بشبه الكتاب وقرئ
يلون على قلب الواو المضمومة همزة ثم تخفيفها بحذفها والقاء حركتها على الساكن
قبلها لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب الضمير للمحرف المدلول عليه بقوله
يلوون وقرئ ليحسبوه بالياء والضمير ايضا للمسلمين ويقولون هو من عند
الله وما هو من عند الله تاكيد لقوله وما هو من الكتاب وتشنيع عليهم وبيان
انهم يزعمون ذلك تصريحا لا تعريضا اي ليس هو نازلا من عنده وهذا لا يقتضي ان
لا يكون فعل العبد فعل الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون تاكيد وتسجيل
عليهم بالكذب على الله والتعمد فيه ما كان لبشر ان يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة
ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله تكذيب ورد على عبدة عيسى وقيل ان
ابا رافع القرظي والسيد النجراني قالا يا محمد اتريد ان نعبدك ونتخذك ربا فقال
معاذ الله ان نعبد غير الله وان نامر بعبادة غير الله فما بذلك بعثني ولا بذلك
امرني فنزلت وقيل قال رجل يا رسول الله نسلم عليك كما يسلم بعضنا على بعض
افلا نسجد لك قال لا ينبغي لاحد ان يسجد لاحد من دون الله ولكن اكرموا نبيكم
واعرفوا الحق لاهله ولكن كونوا ربانيين ولكن يقول كونوا ربانيين والرباني
منسوب الى الرب بزيادة الالف والنون كاللحياني والرقباني وهو الكامل في

العلم والعمل بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون بسبب كونكم معلمين الكتاب
وبسبب كونكم دارسين له فان فائدة التعليم والتعلم معرفة الحق والخير للاعتقاد
والعمل وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو ويعقوب تعلمون بمعنى عالمين وقرئ
تدرسون من التدريس وتدرسون من ادرس كاكرم وكرم ويجوز ان يكون القراءة
المشهورة ايضا بهذا المعنى على تقدير وبما تدرسونه على الناس ولا يامركم ان تتخذوا
الملائكة والنبيين اربابا نصبه ابن عامر وحمزة وعاصم ويعقوب عطفا على ثم
يقول وتكون لا مزيدة لتاكيد معنى النفي في قوله ما كان اي ما كان لبشر ان يستنبئه
الله ثم يامر الناس بعبادة نفسه ويامر باتخاذ الملائكة والنبيين اربابا او غير
مزيدة على معنى انه ليس له ان يامر بعبادته ولا يامر باتخاذ اكفائه اربابا بل
ينهى عنه وهو ادنى من العبادة ورفعه الباقون على الاستيناف ويحتمل الحال
ايامركم بالكفر انكار والضمير فيه للبشر وقيل لله بعد اذ انتم مسلمون دليل على
ان الخطاب للمسلمين وهم المستاذنون لان يسجدوا له واذ اخذ الله ميثاق
النبيين لما اتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه
قيل انه على ظاهره واذا كان هذا حكم الانبياء كان الامم به اولى وقيل معناه انه تعالى
اخذ الميثاق من النبيين واممهم واستغنى بذكرهم عن ذكر الامم وقيل اضافة الميثاق
الى النبيين اضافة الى الفاعل والمعنى واذ اخذ الله الميثاق الذي وثقه الانبياء
على اممهم وقيل المراد اولاد النبيين على حذف المضاف وهم بنو اسرائيل او سماهم
نبيين تهكما بهم لانهم كانوا يقولون نحن اولى بالنبوة من محمد عم لانا اهل كتاب و
النبيون كانوا منا واللام في لما موطئة للقسم لان اخذ الميثاق بمعنى الاستحلاف
وما تحتمل الشرطية ولتؤمنن ساد مسد جواب القسم والشرط وتحتمل الخبرية وقرأ
حمزة لما بالكسر على ان ما مصدرية اي لاجل ايتائي اياكم بعض الكتاب ثم مجيء رسول
مصدق اخذ الله الميثاق لتؤمنن به ولتنصرنه او موصولة والمعنى اخذه للذي
اتيتكموه وجاءكم رسول مصدق له وقرئ لما بمعنى حين اتيتكم او لمن اجل ما اتيتكم
على ان اصله لمن ما بالادغام فحذف احدى الميمات الثلث استثقالا قال ااقررتم
واخذتم على ذلكم اصري اي عهدي سمي به لانه يؤصر اي يشد وقرئ بالضم وهو
اما لغة فيه كعبر وعبر او جمع اصار وهو ما يشد به قالوا اقررنا قال فاشهدوا
اي فليشهد بعضكم على بعض بالاقرار وقيل الخطاب فيه للملائكة وانا معكم من
الشاهدين وانا ايضا على اقراركم وتشاهدكم شاهد وهو توكيد وتحذير عظيم
فمن تولى بعد ذلك بعد الميثاق والتوكيد بالاقرار والشهادة فاولئك هم الفاسقون

المتمردون من الكفرة افغير دين الله يبغون عطف على الجملة المتقدمة والهمزة متوسطة
بينهما للانكار او محذوف تقديره اتتولون فغير دين الله تبغون وتقديم المفعول
لانه المقصود بالانكار والفعل بلفظ الغيبة عند ابي عمرو وعاصم في عمرو وعاصم
في رواية حفص ويعقوب وبالتاء عند الباقين على تقدير وقل لهم وله اسلم من
في السموات والارض طوعا وكرها اي طائعين بالنظر واتباع الحجة وكارهين بالسيف
ومعاينة ما يلجي الى الاسلام كنتق الجبل وادراك الغرق والاشراف على الموت
او مختارين كالملئكة والمؤمنين او مسخرين كالكفرة فانهم لا يقدرون ان يمتنعوا
عما قضي عليه واليه ترجعون وقرئ بالياء على ان الضمير لمن قل امنا بالله وما
انزل علينا وما انزل على ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما اوتي
موسى وعيسى والنبيون من ربهم امر للرسول عم بان يخبر عن نفسه ومتابعيه
بالايمان والقران كما هو منزل عليه منزل عليهم بتوسط تبليغه اليهم وايضا
المنسوب الى واحد من الجمع قد ينسب اليهم او بان يتكلم عن نفسه على طريقة الملوك
اجلالا له والنزول كما يعدى بالى لانه ينتهي الى الرسل يعدى بعلى لانه من فوق
انما قدم المنزل عليه عم على المنزل على ساير الرسل لانه المعرف له والعيار عليه
لا نفرق بين احد منهم بالتصديق والتكذيب ونحن له مسلمون منقادون او مخلصون
في عبادته ومن يبتغ غير الاسلام دينا اي غير التوحيد والانقياد فلن يقبل
منه وهو في الاخرة من الخاسرين الواقعين في الخسران والمعنى ان المعرض عن الاسلام
والطالب لغيره فاقد للنفع واقع في الخسران بابطال الفطرة السليمة التي فطر
الناس عليها واستدل به على ان الايمان هو الاسلام اذ لو كان غيره لم يقبل
والجواب انه ينفي قبول كل دين يغايره لا قبول كل ما يغايره ولعل الدين ايضا للاعمال
كيف يهدي الله قوما كفروا بعد ايمانهم وشهدوا ان الرسول حق وجاءهم البينات
استبعاد لان يهديهم الله فان الحائد عن الحق بعد ما وضح له منهمك في الضلال بعيد
عن الرشاد وقيل نفي وانكار له وذلك يقتضي ان لا تقبل توبة المرتد وشهدوا
عطف على ما في ايمانهم من معنى الفعل ونظيره فاصدق واكن او حال باضمار قد من
كفروا وهو على الوجهين دليل على ان الاقرار باللسان خارج عن حقيقة الايمان
والله لا يهدي القوم الظالمين الذين ظلموا انفسهم بالاخلال بالنظر ووضع الكفر
موضع الايمان فكيف من جاءه الحق وعرفه ثم اعرض عنه اولئك جزاؤهم ان عليهم
لعنة الله والملئكة والناس اجمعين يدل بمنطوقه على جواز لعنهم وبمفهومه
ينفي جواز لعن غيرهم ولعل الفرق مطبوعون على الكفر ممنوعون عن الهدى ايسون

عن الرحمة راسا بخلاف غيرهم والمراد بالناس المؤمنون او العموم فان الكافر ايضا
يلعن منكر الحق والمرتد عنه ولكن لا يعرف الحق بعينه خالدين فيها في اللعنة او العقوبة
او النار وان لم يجر ذكرهما لدلالة الكلام عليهما لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون
الا الذين تابوا من بعد ذلك اي من بعد الارتداد واصلحوا ما افسدوا ويجوز ان لا
يقدر له مفعول بمعنى ودخلوا في الصلاح فان الله غفور رحيم يقبل توبته ويتفضل
عليه وقيل انها نزلت في الحارث بن سويد حين ندم على ردته فارسل الى قومه ان
سلوا هل لي من توبة فارسل اليه اخوه الجلاس بالاية الى المدينة فتاب ان الذين كفروا
بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا كاليهود كفروا بعيسى والانجيل بعد الايمان بموسى
والتورية ثم ازدادوا كفرا بمحمد عم بعد ما امنوا به قبل مبعثه ثم ازدادوا كفرا
بالاصرار والعناد والطعن فيه والصد عن الايمان ونقض الميثاق او كقوم
ارتدوا ولحقوا بمكة ثم ازدادوا كفرا بقولهم نتربص بمحمد عم ريب المنون او نرجع
اليه وننافقه باظهاره لن تقبل توبتهم لانهم لا يتوبون او لا يتوبون الا اذا اشرفوا
على الهلاك فكني عن عدم توبتهم بعدم قبولها تغليظا في شانهم وابرازا لحالهم في صورة
حال الايسين من الرحمة او لان توبتهم لا تكون الا نفاقا لارتدادهم وزيادة
كفرهم ولذلك لم يدخل الفاء فيه واولئك هم الضالون الثابتون على الضلال ان
الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا لما كان
الموت على الكفر سببا لامتناع قبول الفدية ادخل الفاء ههنا للاشعار به وملء
الشيء ما يملؤه وذهبا نصب على التمييز وقرئ بالرفع على البدل من ملء او الخبر
لمحذوف ولو افتدى به محمول على المعنى كانه قيل فلن يقبل من احدهم فدية ولو
افتدى بملء الارض ذهبا او معطوف على مضمر تقديره فلن يقبل من احدهم
ملء الارض ذهبا لو تقرب به في الدنيا ولو افتدى به من العذاب في الاخرة او
المراد ولو افتدى بمثله كقوله ولو ان للذين ظلموا ما في الارض جميعا ومثله معه
والمثل يحذف ويراد كثيرا لان المثلين في حكم شيء واحد اولئك لهم عذاب اليم
مبالغة في التحذير واقناط لان من لا يقبل منه الفداء ربما يعفى عنه تكرما وما
لهم من ناصرين في دفع العذاب ومن مزيدة للاستغراق لن تنالوا البر اي لن تبلغوا
حقيقة البر الذي هو كمال الخير او لن تنالوا بر الله الذي هو الرحمة والرضا و
الجنة حتى تنفقوا مما تحبون اي من المال او ما يعمه وغيره كبذل الجاه في معاونة
الناس والبدن في طاعة الله والمهجة في سبيله روي انها لما نزلت جاء ابو طلحة
فقال يا رسول الله ان احب اموالي الي بيرحاء فضعها حيث اراك الله فقال بخ بخ ذاك

ما رابح أو رايح وإني أرى أن تجعلها في الأقربين وجاء زيد بن حارثة بفرس كان يحبه
فقال هذا في سبيل الله فحمل عليها رسول الله أسامة فقال زيد إنما أردت
أن أتصدق به فقال عم إن الله قبلها منك وذلك يدل على أن إنفاق أحب الأموال
على أقرب الأقارب أفضل وأن الآية تعم الإنفاق الواجب والمستحب وقرئ بعض
ما تحبون وهو يدل على أن من للتبعيض ويحتمل التبيين وما تنفقوا من شيء أي من شيء
محبوب أو غيره ومن لبيان ما فإن الله به عليم فيجازيكم بحسبه كل الطعام أي المطعومات
والمراد أكلها كان حلا لبني إسرائيل حلالا لهم وهو مصدر نعت به ولذلك يستوي
فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث قال الله تعالى لا هن حل لهم إلا ما حرم إسرائيل
يعقوب على نفسه كلحوم الإبل وألبانها وقيل كان به عرق النساء فنذر إن شفي
لم يأكل أحب الطعام إليه وكان ذلك أحبه إليه وقيل فعل ذلك للتداوي بإشارة الأطباء
واحتج به من جوز للنبي أن يجتهد وللمانع أن يقول ذلك بإذن من الله فيه فهو
كتحريمه ابتداء من قبل أن تنزل التوراة أي من قبل إنزالها مشتملة على تحريم ما
حرم عليهم لظلمهم وبغيهم عقوبة وتشديدا وذلك رد على اليهود في دعوى
البراءة عما نعى عليهم في قوله فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات وقوله
وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر الآيتين بأن قالوا لسنا أول من حرمت
عليه وإنما كانت محرمة على نوح وإبراهيم ومن بعده حتى انتهى الأمر إلينا فحرمت
علينا كما حرمت على من قبلنا وفي منع النسخ والطعن في دعوى الرسول عم موافقة
إبراهيم عم بتحليله لحوم الإبل وألبانها قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين
أمر بمحاجتهم بكتابهم وتبكيتهم بما فيه من أنه قد حرم عليهم بسبب ظلمهم ما لم يكن
محرما روي أنه عم لما قاله لهم بهتوا ولم يجسروا أن يخرجوا التوراة وفيه دليل على
نبوته فمن افترى على الله الكذب ابتدعه على الله بزعمه أنه حرم ذلك قبل نزول
التوراة على بني إسرائيل ومن قبلهم من بعد ذلك من بعد ما لزمتهم الحجة فأولئك
هم الظالمون الذين لا ينصفون من أنفسهم ويكابرون الحق بعدما وضح قل صدق
الله تعريض بكذبهم أي ثبت أن الله صادق فيما أنزله وأنتم الكاذبون فاتبعوا
ملة إبراهيم حنيفا أي ملة الإسلام التي هي في الأصل ملة إبراهيم أي مثل
ملته حتى تتخلصوا من اليهودية التي اضطرتكم إلى التحريف والمكابرة لتسوية
الأغراض الدنيوية وألزمتكم تحريم طيبات أحلها لإبراهيم ومن تبعه وما كان
من المشركين فيه إشارة إلى أن اتباعه واجب في التوحيد الصرف والاستقامة
في الدين والتجنب عن الإفراط والتفريط وتعريض بشرك اليهود إن أول بيت وضع

للناس أي وضع للعبادة وجعل متعبدا لهم والواضع هو الله تعالى ويدل عليه أنه
قرئ على البناء للفاعل للذي ببكة للبيت الذي ببكة وهي لغة في مكة كالنبيط و
النميط وأمر راتب وراتم ولازب ولازم وقيل هي موضع المسجد ومكة البلد من
بكه إذا زحمه أو من بكه إذا دقه فإنها تبك أعناق الجبابرة روي أنه عم سئل عن
أول بيت وضع للناس فقال المسجد الحرام ثم بيت المقدس وسئل كم بينهما فقال
أربعون سنة وقيل أول من بناه إبراهيم ثم هدم فبناه قوم من جرهم ثم العمالقة
ثم قريش وقيل هو أول بيت بناه آدم فانطمس في الطوفان ثم بناه إبراهيم وقيل
كان في موضعه قبل آدم بيت يقال له الضراح يطوف به الملائكة فلما أهبط آدم أمر
بأن يحجه ويطوف حوله ورفع في الطوفان إلى السماء الرابعة تطوف به ملائكة
السموات وهو لا يلائم ظاهر الآية وقيل المراد أنه أول بيت بالشرف لا بالزمان
مباركا كثير الخير والنفع لمن حجه واعتمره واعتكف دونه وطاف حوله حال من
المستكن في الظرف وهدى للعالمين لأنه قبلتهم ومتعبدهم ولأن فيه آيات عجيبة
كما قال فيه آيات بينات كانحراف الطيور عن موازاة البيت على مدى الأعصار و
أن ضواري السباع تخالط الصيود في الحرم ولا تتعرض لها وأن كل جبار قصده
بسوء قهره كأصحاب الفيل والجملة مفسرة للهدى أو حال أخرى مقام إبراهيم
مبتدأ محذوف خبره أي منها مقام إبراهيم أو بدل من آيات بدل البعض من الكل
وقيل عطف بيان على أن المراد بالآيات أثر القدم في الصخرة الصماء وغوصها
فيها إلى الكعبين وتخصيصها بهذه الإلانة من بين الصخار وإبقاؤه دون سائر آثار الأنبياء
وحفظه مع كثرة أعدائه ألوف سنة ويؤيده أنه قرئ آية بينة على التوحيد وسبب
هذا الأثر أنه لما ارتفع بنيان الكعبة قام على هذا الحجر ليتمكن من رفع الحجارة
فغاصت فيه قدماه ومن دخله كان آمنا جملة ابتدائية أو شرطية معطوفة
من حيث المعنى على مقام لأنه في معنى أمن من دخله أي ومنها أمن من دخله أو فيه
آيات بينات مقام إبراهيم وأمن من دخله اقتصر بذكرهما من الآيات الكثيرة
وطوى ذكر غيرهما كقوله عم حبب إلي من دنياكم ثلاث الطيب والنساء وقرة عيني
في الصلوة لأن فيهما غنية عن غيرهما في الدارين بقاء الأثر مدى الدهر والأمن
من العذاب يوم القيمة قال عم من مات في أحد الحرمين بعث يوم القيمة آمنا وعند
أبي حنيفة رح من لزمه القتل بردة أو قصاص أو غيرهما لم يتعرض له ولكن ألجئ
إلى الخروج ولله على الناس حج البيت قصده للزيارة على الوجه المخصوص وقرأ
حمزة والكسائي وعاصم في رواية حفص بالكسر وهو لغة نجد من استطاع إليه

سبيلا من الناس مخصص له وقد فسر رسول الله عم الاستطاعة بالزاد والراحلة
وهو يؤيد قول الشافعي رح انها بالمال ولذلك اوجب الاستنابة على الزمن اذا وجد
اجرة من ينوب عنه وقال مالك انها بالبدن فيجب على من قدر على المشي والكسب
في الطريق وقال ابو حنيفة رح انها بمجموع الامرين والضمير في اليه للبيت او الحج
وكل ما اتي اليه فهو سبيله ومن كفر فان الله غني عن العالمين وضع من كفر موضع من
لم يحج تأكيدا لوجوبه وتغليظا على تاركه ولذلك قال عم من مات ولم يحج فليمت ان
شاء يهوديا او نصرانيا وقد اكد امر الحج في هذه الاية من وجوه الدلالة على وجوبه
بصيغة الخبر وابرازه في الصورة الاسمية وايراده على وجه يفيد انه حق واجب
لله في رقاب الناس وتعميم الحكم اولا وتخصيصه فانه كايضاح بعد ابهام وتثنية
وتكرير للمراد وتسمية ترك الحج كفرا من حيث انه فعل الكفرة وذكر الاستغناء في هذا
الموضع مما يدل على المقت والخذلان وقوله عن العالمين يدل عليه لما فيه من
مبالغة التعميم والدلالة على الاستغناء عنه بالبرهان والاشعار بعظم السخط
لانه تكليف شاق جامع بين كسر النفس واتعاب البدن وصرف المال والتجرد عن
الشهوات والاقبال على الله روي انه لما نزل صدر الاية جمع رسول الله عم ارباب
الملل فخطبهم وقال ان الله كتب عليكم الحج فحجوا فامنت به ملة واحدة وكفرت به
خمس ملل فنزل ومن كفر قل يا اهل الكتاب لم تكفرون بايات الله اي باياته السمعية
والعقلية الدالة على صدق محمد عم فيما يدعيه من وجوب الحج وغيره وتخصيص
اهل الكتاب بالخطاب دليل على ان كفرهم اقبح وانهم وان زعموا انهم مؤمنون
بالتورية والانجيل فهم كافرون بهما والله شهيد على ما تعملون والحال انه شهيد
مطلع على اعمالكم فيجازيكم عليها لا ينفعكم التحريف والاستسرار قل يا اهل الكتاب
لم تصدون عن سبيل الله من امن كرر الخطاب والاستفهام مبالغة في التقريع و
نفي العذر لهم واشعارا بان كل واحد من الامرين مستقبح في نفسه مستقل باستجلاب
العذاب وسبيل الله دينه الحق المأمور بسلوكه وهو الاسلام وقيل كانوا يفتنون
المؤمنين ويحرشون بينهم حتى اتوا الاوس والخزرج فذكروهم ما بينهم في الجاهلية
من التعادي ليعودوا لمثله ويحتالون لصدهم عنه تبغونها عوجا حال من الواو
اي باغين طالبين لها اعوجاجا بان تلبسوا على الناس وتوهموا ان فيه عوجا عن الحق
بمنع النسخ وتغيير صفة رسول ونحوهما او بان تحرشوا بين المؤمنين لتختلف كلمتهم ويختل
امر دينهم وانتم شهداء انها سبيل الله والصد عنها ضلال واضلال او انتم عدول
عند اهل ملتكم يثقون باقوالكم ويستشهدونكم في القضايا وما الله بغافل

عما تعملون وعيد لهم ولما كان المنكر في الاية الاولى كفرهم وهم يجهرون به ختم الاية
بقوله والله شهيد على ما تعملون ولما كان في هذه الاية صدهم المؤمنين عن الاسلام
وكانوا يخفونه ويحتالون فيه قال وما الله بغافل عما تعملون يا ايها الذين
امنوا ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين نزلت
في نفر من الاوس والخزرج كانوا جلوسا يتحدثون فمر بهم شاس بن قيس اليهودي
فغاظه تألفهم واجتماعهم فامر شابا من اليهود ان يجلس اليهم ويذكرهم يوم بعاث
وينشدهم بعض ما قيل فيه وكان الظفر في ذلك اليوم للاوس ففعل فتنازع القوم
وتفاخروا وتغاضبوا وقالوا السلاح السلاح واجتمع من القبيلتين خلق عظيم
فتوجه اليهم رسول الله عم واصحابه فقال اتدعون الجاهلية وانا بين اظهركم بعد
ان اكرمكم الله بالاسلام وقطع به عنكم امر الجاهلية والف بينكم فعلموا انها نزغة
من الشيطان وكيد من عدوهم فالقوا السلاح واستغفروا وعانق بعضهم بعضا
وانصرفوا مع الرسول عم وانما خاطبهم الله بنفسه بعد ما امر الرسول بان يخاطب
اهل الكتاب اظهارا لجلالة قدرهم واشعارا بانهم هم الاحقاء بان يخاطبهم الله
ويكلمهم وكيف تكفرون وانتم تتلى عليكم ايات الله وفيكم رسوله انكار وتعجيب
لكفرهم في حال اجتمع لهم الاسباب الداعية الى الايمان الصارفة عن الكفر ومن
يعتصم بالله ومن يتمسك بدينه او يلتجئ اليه في مجامع اموره فقد هدي الى صراط
مستقيم فقد اهتدى لا محالة يا ايها الذين امنوا اتقوا الله حق تقاته حق تقواه وما
يجب منها وهو استفراغ الوسع في القيام بالواجب والاجتناب عن المحارم كقوله
فاتقوا الله ما استطعتم وعن ابن مسعود رض هو ان يطاع فلا يعصى ويشكر فلا
يكفر ويذكر فلا ينسى وقيل هو ان ينزه الطاعة عن الالتفات اليها وعن توقع
المجازاة عليها وفي هذا الامر تأكيد للنهي عن طاعة اهل الكتاب واصل تقاة وقية
فقلبت واوها المضمومة تاء كما في تؤدة وتخمة والياء الفا ولا تموتن الا وانتم
مسلمون اي ولا تكونن على حال سوى حال الاسلام اذا ادرككم الموت فان النهي
عن المقيد بحال او غيرها قد يتوجه بالذات نحو الفعل تارة والقيد اخرى وقد يتوجه
نحو المجموع دونهما وكذلك النفي واعتصموا بحبل الله بدينه الاسلام او بكتابه
لقوله عليه السلام القران حبل الله المتين استعار له الحبل من حيث ان التمسك به سبب
للنجاة عن الردى كما ان التمسك بالحبل سبب السلامة عن التردي وللوثوق به و
الاعتماد عليه الاعتصام ترشيحا للمجاز جميعا مجتمعين عليه ولا تفرقوا ولا تتفرقوا
عن الحق بوقوع الاختلاف بينكم كاهل الكتاب او لا تتفرقوا تفرقكم الجاهلي يحارب

بعضكم بعضا او ولا تذكروا ما يوجب التفرق ويزيل الالفة واذكروا نعمة الله عليكم
التي من جملتها الهداية والتوفيق للاسلام المؤدي الى التالف وزوال الغل اذ كنتم
اعداء في الجاهلية متقاتلين فألف بين قلوبكم بالاسلام فاصبحتم بنعمته اخوانا
متحابين مجتمعين على الاخوة في الله وقيل كان الاوس والخزرج اخوين لابوين
فوقع بين اولادهما العداوة وتطاولت الحروب مائة وعشرين سنة حتى اطفأها
الله بالاسلام وألف بينهم برسوله عم وكنتم على شفا حفرة من النار مشفين على
الوقوع في نار جهنم بكفركم اذ لو ادرككم الموت على تلك الحال لوقعتم في النار فانقذكم
منها بالاسلام والضمير للحفرة او النار او للشفا وتأنيثه لتأنيث ما اضيف اليه
او لانه بمعنى الشفة فان شفا البئر وشفتها طرفها كالجانب والجانبة واصله
فقلبت الواو في المذكر وحذفت في المؤنث كذلك مثل ذلك التبيين يبين الله لكم
آياته دلائله لعلكم تهتدون ارادة ثباتكم على الهدى وازديادكم فيه ولتكن
منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر من للتبعيض لان
الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من فروض الكفاية ولانه لا يصلح له كل احد اذ للمتصدي
له شروط لا يشترك فيها جميع الامة كالعلم بالاحكام ومراتب الاحتساب وكيفية اقامتها
والتمكن من القيام بها خاطب الجميع وطلب فعل بعضهم ليدل على انه واجب على الكل حتى
لو تركوه رأسا اثموا جميعا ولكن يسقط بفعل بعضهم وهكذا كل ما هو فرض كفاية
او للتبيين بمعنى وكونوا امة تأمرون كقوله كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون
بالمعروف والدعاء الى الخير يعم الدعاء الى ما فيه صلاح ديني او دنيوي وعطف
الامر بالمعروف والنهي عن المنكر عليه عطف الخاص على العام للايذان بفضله و
اولئك هم المفلحون المخصوصون بكمال الفلاح روي انه عم سئل من خير الناس فقال
آمرهم بالمعروف وانهاهم عن المنكر واتقاهم لله واوصلهم للرحم والامر بالمعروف يكون
واجبا ومندوبا على حسب ما يؤمر به والنهي عن المنكر واجب كله لان جميع ما انكره
الشرع حرام والاظهر ان العاصي يجب ان ينهى عما يرتكبه لانه يجب عليه تركه وانكاره
فلا يسقط بترك احدهما وجوب الآخر ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا كاليهود
والنصارى اختلفوا في التوحيد والتنزيه واحوال الآخرة على ما عرفت من بعد
ما جاءهم البينات الآيات والحجج المبينة للحق الموجبة للاتفاق عليه والاظهر ان
النهي فيه مخصوص بالتفرق في الاصول دون الفروع لقوله عم اختلاف امتي رحمة
ولقوله عم من اجتهد فاصاب فله اجران ومن اخطأ فله اجر واحد واولئك لهم
عذاب عظيم وعيد للذين تفرقوا وتهديد على التشبه بهم يوم تبيض وجوه وتسود

وجوه نصبها في لهم من معنى الفعل او باضمار اذكر وبياض الوجه وسواده كنايتان
عن ظهور بهجة السرور وكآبة الخوف فيه وقيل يوسم اهل الحق ببياض الوجه والصحيفة
واشراق البشرة وسعي النور بين يديه وبيمينه واهل الباطل باضداد ذلك فاما
الذين اسودت وجوههم اكفرتم بعد ايمانكم على ارادة القول اي فيقال لهم اكفرتم و
الهمزة للتوبيخ والتعجيب من حالهم وهم المرتدون او اهل الكتاب كفروا برسول الله عم
بعد ايمانهم به قبل مبعثه او جميع الكفار بعد ما اقروا حين اشهدهم على انفسهم او
تمكنوا من الايمان بالنظر في الدلائل والآيات فذوقوا العذاب امر اهانة بما كنتم
تكفرون بسبب كفركم واما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله يعني الجنة والثواب
المخلد عبر عن ذلك بالرحمة تنبيها على ان المؤمن وان استغرق عمره في طاعة الله تعالى
لا يدخل الجنة الا برحمته وفضله وكان حق الترتيب ان يقدم ذكرهم لكن قصد ان
يكون مطلع الكلام ومقطعه حلية المؤمنين وثوابهم هم فيها خالدون اخرجه مخرج
الاستيناف للتأكيد كأنه قيل كيف يكونون فيها فقال هم فيها خالدون تلك آيات الله
الواردة في وعده ووعيده نتلوها عليك بالحق ملتبسة بالحق لا شبهة فيها وما
الله يريد ظلما للعالمين اذ يستحيل الظلم منه لانه لا يحق عليه شيء فيظلم
بنقصه ولا يمنع عن شيء فيظلم بفعله لانه المالك على الاطلاق كما قال ولله ما في
السموات وما في الارض والى الله ترجع الامور فيجازي كلا بما وعد له
واوعده كنتم خير امة دل على خيريتهم فيما مضى ولم يدل على انقطاع طرأ كقوله
وكان الله غفورا رحيما وقيل كنتم في علم الله او في اللوح او فيما بين الامم المتقدمين
اخرجت للناس اظهرت لهم تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر استيناف بين به
كونهم خير امة او خبر ثان لكنتم وتؤمنون بالله يتضمن الايمان بكل ما يجب ان يؤمن
به لان الايمان به انما يحق ويعتد به اذا حصل الايمان بكل ما امر ان يؤمن به
وانما اخره وحقه ان يقدم لانه قصد بذكره الدلالة على انهم امروا بالمعروف
ونهوا عن المنكر ايمانا بالله وتصديقا به واظهارا لدينه واستدل بهذه الآية
على ان الاجماع حجة لانها تقتضي كونهم آمرين بكل معروف وناهين عن كل منكر اذ
اللام فيهما للاستغراق فلو اجمعوا على باطل كان امرهم على خلاف ذلك ولو آمن
اهل الكتاب ايمانا كما ينبغي لكان خيرا لهم لكان الايمان خيرا لهم مما هم عليه منهم المؤمنون
كعبد الله بن سلام واصحابه واكثرهم الفاسقون المتمردون في الكفر وهذه الجملة
والتي بعدها واردتان على سبيل الاستطراد لن يضروكم الا اذى ضررا يسيرا
كطعن وتهديد وان يقاتلوكم يولوكم الادبار ينهزموا ولا يضروكم بقتل واسر

ثم لا ينصرون ثم لا يكون احد ينصرهم عليكم او يدفع بأسكم عنهم نفي اضرارهم
سوى ما يكون بقول وقرر ذلك بانهم لو قاموا الى القتال كانت الدبرة عليهم ثم
اخبر بانه تكون عاقبتهم العجز والخذلان وقرئ لا ينصروا عطفا على يولوا على ان
ثم للتراخي في المرتبة فيكون عدم النصر مقيدا بقتالهم وهذه الاية من المغيبات
التي وافقها الواقع اذ كان ذلك كذلك في قريظة والنضير وبني قينقاع ويهود خيبر
ضربت عليهم الذلة هدر النفس والمال والاهل او ذل التمسك بالباطل والجزية
اينما ثقفوا وجدوا الا بحبل من الله وحبل من الناس استثناء من اعم عام الاحوال
اي ضربت عليهم الذلة في عامة الاحوال الا معتصمين او ملتبسين بذمة الله او
كتابه الذي اتاهم وذمة المسلمين او بدينه الاسلام واتباع سبيل المؤمنين
وباءوا بغضب من الله رجعوا به مستوجبين له وضربت عليهم المسكنة فهي محيطة
بهم احاطة البيت المضروب على اهله واليهود في غالب الامر فقراء مساكين ذلك
اشارة الى ما ذكر من ضرب الذلة والمسكنة والبوء بالغضب بانهم كانوا يكفرون
بآيات الله ويقتلون الانبياء بغير حق بسبب كفرهم بالآيات وقتلهم الانبياء
والتقييد بغير حق مع انه كذلك في نفس الامر للدلالة على انه لم يكن حقا بحسب
اعتقادهم ايضا ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون اي الكفر والقتل بسبب عصيانهم
واعتدائهم حدود الله فان الاصرار على الصغائر يفضي الى الكبائر والاستمرار
عليها يؤدي الى الكفر وقيل معناه ان ضرب الذلة في الدنيا واستيجاب الغضب في
الاخرة كما هو معلل بكفرهم وقتلهم فهو مسبب عن عصيانهم واعتدائهم من حيث
انهم مخاطبون بالفروع ايضا ليسوا سواء في المساوي والضمير لاهل الكتاب من
اهل الكتاب امة قائمة استئناف لبيان نفي الاستواء والقائمة المستقيمة العادلة
من اقمت العود فقام وهم الذين اسلموا منهم يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون
يتلون القرآن في تهجدهم عبر عنه بالتلاوة في ساعات الليل مع السجود ليكون
ابين وابلغ في المدح وقيل المراد صلاة العشاء لان اهل الكتاب لا يصلونها لما
روي انه عم اخرها ثم خرج فاذا الناس ينتظرون الصلاة فقال اما انه ليس
من اهل الاديان احد يذكر الله في هذه الساعة غيركم يؤمنون بالله واليوم الاخر
ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات صفات اخر لامة
وصفهم بخصائص ما كانت في اليهود فانهم منحرفون عن الحق غير متعبدين
بالليل مشركون بالله ملحدون في صفاته واصفون اليوم الاخر بخلاف صفته
مداهنون في الاحتساب متباطئون عن الخيرات واولئك من الصالحين اي الموصوفون

بتلك الصفات ممن صلحت احوالهم عند الله واستحقوا رضاه وثناءه وما
يفعلوا من خير فلن يكفروه فلن يضيع ولا ينقص ثوابه البتة سمي ذلك كفرا كما سمي
توفية الثواب شكرا وتعديته الى مفعولين لتضمنه معنى الحرمان وقرأ حفص
وحمزة والكسائي فلن يكفروه بالياء والباقون بالتاء والله عليم بالمتقين بشارة
لهم واشعار بان التقوى مبدأ الخير وحسن العمل وان الفائز عند الله هو اهل
التقوى ان الذين كفروا لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا من العذاب
او من الغناء فيكون مصدرا واولئك اصحاب النار ملازموها هم فيها خالدون
مثل ما ينفقون ما ينفق الكفرة قربة او مفاخرة وسمعة او المنافقون رياء و
خوفا في هذه الحياة الدنيا كمثل ريح فيها صر برد شديد والشائع اطلاقه للريح الباردة
كالصرصر فهو في الاصل مصدر نعت به او نعت وصف به البرد للمبالغة كقولك
برد بارد اصابت حرث قوم ظلموا انفسهم بالكفر والمعاصي فاهلكته عقوبة لهم
لان الاهلاك عن سخط اشد والمراد تشبيه ما انفقوا في ضياعه بحرث كفار
ضربته صر فاستاصلته ولم يبق لهم فيه منفعة ما في الدنيا والاخرة وهو من
التشبيه المركب ولذلك لم يبال بايلاء كلمة التشبيه الريح دون الحرث ويجوز
ان يقدر كمثل مهلك ريح وهو الحرث وما ظلمهم الله ولكن انفسهم يظلمون اي ما ظلم
المنفقين بضياع نفقاتهم ولكنهم ظلموا انفسهم لما لم ينفقوها بحيث يعتد بها او
ما ظلم اصحاب الحرث باهلاكه ولكنهم ظلموا انفسهم بارتكاب ما استحقوا به
العقوبة وقرئ ولكن اي ولكن انفسهم ظلموها ولا يجوز ان يقدر ضمير الشان
لانه لا يحذف الا في الشعر كقوله ولكن من يبصر جفونك يعشق يا ايها الذين آمنوا
لا تتخذوا بطانة وليجة وهو الذي يعرفه الرجل اسراره ثقة به شبه ببطانة
الثوب كما شبه بالشعار قال عم الانصار شعار والناس دثار من دونكم من دون
المسلمين وهو متعلق بلا تتخذوا او بمحذوف هو صفة بطانة اي بطانة كائنة
من دونكم لا يألونكم خبالا لا يقصرون لكم في الفساد والالو التقصير واصله
ان يعدى بالحرف ثم عدي الى مفعولين كقولهم لا آلوك نصحا على تضمين معنى المنع
او النقص ودوا ما عنتم تمنوا عنتكم وهو شدة الضرر والمشقة وما مصدرية
قد بدت البغضاء من افواههم اي في كلامهم لانهم لا يتمالكون انفسهم لفرط بغضهم
وما تخفي صدورهم اكبر مما بدا لان بدوه ليس عن روية واختيار قد بينا لكم الآيات
الدالة على وجوب الاخلاص وموالاة المؤمنين ومعاداة الكافرين ان كنتم
تعقلون ما بين لكم فالجمل الاربع جاءت مستانفات على التعليل ويجوز ان يكون

الثلث لا والصفا تابطانة ها انتم اولاء تحبونهم ولا يحبونكم اي انتم اولاء
الخاطئون في موالاة الكفار وتحبونهم ولا يحبونكم بيان لخطائهم في موالاتهم وهو
خبر ثان او خبر لاولاء والجملة خبر انتم كقولك انت زيد تحبه او صلته او حال و
العامل فيها معنى الاشارة ويجوز ان ينتصب اولاء بفعل يفسره ما بعده وتكون الجملة
خبرا وتؤمنون بالكتاب كله بجنس الكتب كله وهو حال من لا يحبونكم والمعنى
لا يحبونكم والحال انكم تؤمنون بكتابهم ايضا فما بالكم تحبونهم وهم لا يؤمنون
بكتابكم وفيه توبيخ بانهم في باطلهم اصلب منكم في حقكم واذا لقوكم قالوا آمنا
نفاقا وتغريرا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ من اجله تاسفا وتحسرا
حيث لم يجدوا الى التشفي سبيلا قل موتوا بغيظكم دعاء عليهم بدوام الغيظ وزيادته
بتضاعف قوة الاسلام واهله حتى يهلكوا به ان الله عليم بذات الصدور فيعلم
ما في صدورهم من البغضاء والحنق وهو يحتمل ان يكون من المقول اي قل لهم ان
الله عليم بما هو اخفى مما تخفونه من عض الانامل غيظا وان يكون خارجا عنه بمعنى
قل لهم ولا تتعجب من اطلاعي اياك على اسرارهم فاني عليم بالاخفى من ضمائرهم
ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها بيان لتناهي عداوتهم الى
حد حسدوا ما نالهم من خير ومنفعة وشمتوا بما اصابهم من ضر وشدة والمس
للاصابة وان تصبروا على عداوتهم او على مشاق التكاليف وتتقوا موالاتهم او
حرم الله عليكم لا يضركم كيدهم شيئا بفضل الله وحفظه الموعود للصابرين و
المتقين ولان المجد في الامر المتدرب بالاتقاء والصبر يكون قليل الانفعال جريئا على
الخصم وضمة الراء للاتباع كضمة مد وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو ويعقوب
لا يضركم من ضاره يضيره ان الله بما يعملون من الصبر والتقوى وغيرهما محيط
محيط علمه فيجازيكم بما انتم اهله وقرئ بالياء اي بما يعملون في عداوتكم عليم
فيعاقبهم عليه واذ غدوت اي واذكر اذ غدوت من اهلك من حجرة عايشة تبوئ
المؤمنين تنزلهم او تسوي وتهيئ لهم ويؤيده القراءة باللام مقاعد للقتال مواقف
واماكن له وقد يستعمل المقعد والمقام بمعنى المكان على الاتساع كقوله في مقعد
صدق وقوله قبل ان تقوم من مقامك والله سميع لاقوالكم عليم بنياتكم روي
ان المشركين نزلوا باحد يوم الاربعاء ثاني عشر شوال سنة ثلث من الهجرة فاستشار
رسول الله عم اصحابه وقد دعا عبد الله بن ابي ولم يدعه قبل فقالوا هو
واكثر الانصار اقم يا رسول الله بالمدينة ولا تخرج اليهم فوالله ما خرجنا منها
الى عدو الا اصاب منا ولا دخلها علينا الا اصبنا منه فكيف وانت فينا فدعهم

فان اقاموا اقاموا بشر محبس وان دخلوا قاتلهم الرجال ورماهم النساء والصبيان
بالحجارة وان رجعوا رجعوا خائبين واشار بعضهم الى الخروج فقال عم رايت في منامي
بقرا مذبوحة حولي فاولتها خيرا ورايت في ذباب سيفي ثلما فاولته هزيمة ورايت
كاني ادخلت يدي في درع حصينة فاولتها المدينة فان رايتم ان تقيموا بالمدينة
وتدعوهم فقال رجال فاتتهم بدر واكرمهم الله بالشهادة يوم احد اخرج بنا الى
اعدائنا وبالغوا حتى دخل فلبس لامته فلما راوا ذلك ندموا على مبالغتهم وقالوا
اصنع يا رسول الله ما رايت فقال لا ينبغي لنبي ان يلبس لامته فيضعها حتى يقاتل
فخرج بعد صلوة الجمعة واصبح بشعب احد يوم السبت ونزل في عدوة الوادي و
جعل ظهره وعسكره الى احد وسوى صفهم وامر عبد الله بن جبير على الرماة وقال
انضحوا عنا بالنبل لا ياتونا من ورائنا اذ همت متعلق بقوله سميع عليم او بدل من
اذ غدوت طائفتان منكم بنو سلمة من الخزرج وبنو الحارثة من الاوس وكانا
جناحي العسكر ان تفشلا ان تجبنا وتضعفا روي انه عم خرج في زهاء الف رجل
ووعدهم النصر ان صبروا فلما بلغوا الشوط انخزل ابن ابي في ثلثماية وقال علام
نقتل انفسنا واولادنا فتبعهم عمرو بن حزم الانصاري وقال انشدكم الله في
نبيكم وانفسكم فقال ابن ابي لو نعلم قتالا لاتبعناكم فهم الحيان باتباعه فعصمهم
الله فمضوا مع رسول الله والظاهر انها ما كانت عزيمة لقوله والله وليهما اي
عاصمهما عن اتباع تلك الخطرة ويجوز ان يراد والله ناصرهما فما لهما تفشلان
وعلى الله فليتوكل المؤمنون اي فليتوكلوا عليه ولا يتوكلوا على غيره لينصرهم
كما نصرهم ببدر ولقد نصركم الله ببدر تذكير ببعض ما افادهم التوكل وبدر ماء
بين مكة والمدينة كان لرجل يسمى بدرا فسمي به وانتم اذلة حال من الضمير وانما
قال اذلة ولم يقل ذلائل ليدل على قلتهم مع ذلتهم لضعف الحال وقلة المراكب والسلاح
فاتقوا الله في الثبات لعلكم تشكرون ما انعم به عليكم بتقويكم من نصره او لعلكم
ينعم الله عليكم فتشكرون فوضع الشكر موضع الانعام لانه سببه اذ تقول للمؤمنين
ظرف لنصركم وقيل بدل ثان من اذ غدوت على ان قوله لهم يوم احد وكان مع اشتراط
الصبر والتقوى عن المخالفة فلما لم يصبروا عن الغنائم وخالفوا امر الرسول لم
تنزل الملئكة الن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين انكار ان لا
يكفيهم ذلك وانما جيء بلن اشعارا بانهم كانوا كالآيسين من النصر لضعفهم وقلتهم
وقوة العدو وكثرتهم قيل امدهم الله ببدر اولا بالف من الملائكة ثم صاروا ثلثة
آلاف ثم صاروا خمسة وقرا ابن عامر منزلين بالتشديد للتكثير او للتدريج بلى

يوم

ايجاب بعد لن اي بلى يكفيكم ثم وعد لهم الزيادة على الصبر والتقوى حثا عليهما
وتقوية لقلوبهم فقال ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم اي المشركون من فورهم هذا
من ساعتهم هذه وهو في الاصل مصدر فارت القدر اذا غلت فاستعير للسرعة
ثم اطلق للحال التي لا ريث فيها ولا تراخي والمعنى ان يأتوكم في الحال يمددكم ربكم
بخمسة آلاف من الملائكة في حال اتيانهم بلا تراخ وتأخير مسومين معلمين من التسويم
الذي هو اظهار سيما الشيء لقوله عم لاصحابه تسوموا فان الملائكة قد تسومت
او مرسلين من التسويم بمعنى الاسامة وقرأ ابن كثير وابو عمرو وعاصم ويعقوب
بكسر الواو وما جعله الله وما جعل امدادكم بالملائكة الا بشرى لكم الا بشارة
لكم بالنصر ولتطمئن قلوبكم به ولتسكن اليه من الخوف وما النصر الا من عند الله لا
من العدة والعدد وتنبيه على انه لا حاجة في نصرهم الى مدد وانما امدهم ووعد
لهم به بشارة وربطا على قلوبهم من حيث ان نظر العامة الى الاسباب اكثر وحثا على
ان لا يبالوا بمن تأخر عنهم العزيز الذي لا يغالب في اقضيته الحكيم الذي ينصر ويخذل
بوسط وغير وسط على مقتضى الحكمة والمصلحة ليقطع طرفا من الذين كفروا اي
نصركم او وما النصر ان كان اللام فيه للعهد والمعنى لينقص منهم بقتل بعض واسر
اخرين وهو ما كان يوم بدر من قتل سبعين واسر سبعين من صناديدهم او يكبتهم
او يخزيهم والكبت شدة غيظ او وهن يقع في القلب واو للتنويع دون الترديد
فينقلبوا خائبين فينهزموا منقطعي الامال ليس لك من الامر شيء اعتراض او يتوب
عليهم او يعذبهم عطف على قوله او يكبتهم والمعنى ان الله مالك امرهم فاما ان يهلكهم
او يكبتهم او يتوب عليهم ان اسلموا او يعذبهم ان اصروا وليس لك من امرهم شيء و
انما انت عبد مأمور لانذارهم وجهادهم ويحتمل ان يكون معطوفا على الامر او
شيء باضمار ان اي ليس لك من امرهم او من التوبة عليهم او من تعذيبهم شيء او
ليس لك من امرهم شيء او التوبة عليهم او تعذيبهم وان يكون او بمعنى الا ان اي
ليس لك من امرهم شيء الا ان يتوب الله عليهم فتسر به او يعذبهم فتتشفى منهم وروي
ان عتبة بن ابي وقاص شجه يوم احد وكسر رباعيته فجعل يمسح الدم عن وجهه و
يقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم فنزلت وقيل هم ان يدعو عليهم فنهاه
الله لعلمه بان فيهم من يؤمن فانهم ظالمون قد استحقوا التعذيب بظلمهم ولله ما في
السموات وما في الارض خلقا وملكا فله الامر كله يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء
صريح في نفي وجوب التعذيب والتقييد بالتوبة وعدمها كالمنافي له والله غفور رحيم
لعباده فلا تبادر الى الدعاء عليهم يا ايها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا اضعافا

مضاعفة لا تزيدوا زيادات مكررة ولعل التخصيص بحسب الواقع اذ كان الرجل
منهم يربي الى اجل ثم يزيد فيه زيادة اخرى حتى يستغرق بالشيء الطفيف مال المديون
وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب مضعفة واتقوا الله فيما نهيتم عنه لعلكم تفلحون
راجين الفلاح واتقوا النار التي اعدت للكافرين بالتحرز عن متابعتهم وتعاطي افعالهم
وفيه تنبيه على ان النار بالذات معدة للكفار وبالعرض للعصاة واطيعوا الله و
الرسول لعلكم ترحمون اتبع الوعيد بالوعد ترهيبا عن المخالفة وترغيبا في الطاعة
ولعل وعسى في امثال ذلك دليل عزة التوصل الى ما جعل خبرا له وسارعوا بادروا
واقبلوا الى مغفرة من ربكم الى ما يستحق به المغفرة كالاسلام والتوبة والاخلاص و
قرأ نافع وابن عامر سارعوا بلا واو وجنة عرضها السموات والارض اي عرضها
كعرضهما وذكر العرض للمبالغة في وصفها بالسعة على طريقة التمثيل لانه دون
الطول وعن ابن عباس كسبع سموات وسبع ارضين لو وصل بعضها ببعض اعدت
للمتقين هيئت لهم وفيه دليل على ان الجنة مخلوقة وانها خارجة عن هذا العالم الذين
ينفقون صفة مادحة للمتقين او مدح منصوب او مرفوع في السراء والضراء في
حالتي الرخاء والشدة او الاحوال كلها اذ الانسان لا يخلو عن مسرة او مضرة
اي لا يخلون في حال ما بانفاق ما قدروا عليه من قليل او كثير والكاظمين الغيظ
الممسكين عليه الكافين عن امضائه مع القدرة من كظمت القربة اذا ملأتها و
شددت وعن النبي عم من كظم غيظا وهو يقدر على انفاذه ملأ الله قلبه امنا
وايمانا والعافين عن الناس التاركين عقوبة من استحقوا مؤاخذته وعن النبي
ان هؤلاء في امتي قليل الا من عصم الله وقد كانوا كثيرا في الامم التي مضت والله
يحب المحسنين يحتمل الجنس ويدخل تحته هؤلاء والعهد فتكون الاشارة اليهم والذين
اذا فعلوا فاحشة فعلة بالغة في القبح كالزنا او ظلموا انفسهم بان اذنبوا اي
ذنب كان وقيل الفاحشة الكبيرة وظلم النفس الصغيرة ولعل الفاحشة ما
يتعدى وظلم النفس ما ليس كذلك ذكروا الله تذكروا وعيده او حكمه او حقه
العظيم فاستغفروا لذنوبهم بالندم والتوبة ومن يغفر الذنوب الا الله استفهام
بمعنى النفي معترض بين المعطوفين والمراد به وصفه تعالى بسعة الرحمة وعموم
المغفرة والحث على الاستغفار والوعد بقبول التوبة ولم يصروا على ما
فعلوا ولم يقيموا على ذنوبهم غير مستغفرين لقوله عم ما اصر من استغفر و
ان عاد في اليوم سبعين مرة وهم يعلمون حال من يصروا اي ولم يصروا على قبيح
فعلهم عالمين به اولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الانهار

اولئك جزاؤهم خبر للذين ان ابتدات به وجملة مستانفة مبينة لما قبلها ان عطفتها
على المتقين او على الذين ينفقون ولا يلزم من اعداد الجنة للمتقين والتائبين
جزاء لهم ان لا يدخلها غيرهم كما لا يلزم من اعداد النار للكافرين جزاء لهم ان لا
يدخلها غيرهم وتنكير جنات على الاول يدل على ان ما لهم ادون مما للمتقين
الموصوفين بتلك الصفات المذكورة في الاية المتقدمة وكفاك فارقا بين القبيلين
انه فصل ايتهم بان بين انهم محسنون مستوجبون لمحبة الله وذلك لانهم حافظوا
على حدود الشرع وتخطوا الى التخصص بمكارمه وفصل اية هؤلاء بقوله ونعم
اجر العاملين لان المتدارك لتقصيره كالعامل لتحصيل بعض ما فوت على نفسه
وكم بين المحسنين والمتدارك والمحبوب والاجير ولعل تبديل لفظ الجزاء بالاجر
لهذه النكتة والمخصوص بالمدح محذوف تقديره ونعم اجر العاملين ذلك يعني
المغفرة والجنات قد خلت من قبلكم سنن وقائع سنها الله في الامم المكذبة كقوله
وقتلوا تقتيلا سنة الله في الذين خلوا من قبل وقيل امم قال ما عاين الناس
من فضل كفضلكم ولا راى مثله في سالف السنن فسيروا في الارض فانظروا كيف
كان عاقبة المكذبين لتعتبروا بما ترون من اثار هلاكهم هذا بيان للناس وهدى
وموعظة للمتقين اشارة الى قوله قد خلت او مفهوم قوله فانظروا اي انه مع
كونه بيانا للمكذبين فهو زيادة بصيرة وموعظة للمتقين او الى ما لخص من
امر المتقين والتائبين وقوله قد خلت اعتراض للبعث على الايمان والتوبة
وقيل الى القران ولا تهنوا ولا تحزنوا تسلية لهم عما اصابهم يوم احد والمعنى لا
تضعفوا عن الجهاد بما اصابكم ولا تحزنوا على من قتل منكم وانتم الاعلون وحالكم
انكم اعلى منهم شانا فانكم على الحق وقتالكم لله وقتلاكم في الجنة وانهم على الباطل
وقتالهم للشيطان وقتلاهم في النار او لانكم اصبتم منهم يوم بدر اكثر مما اصابوا
منكم اليوم او وانتم الاعلون في العاقبة فيكون بشارة لهم بالنصر والغلبة ان
كنتم مؤمنين متعلق بالنهي اي لا تهنوا ان صح ايمانكم فانه يقتضي قوة القلب بالوثوق
على الله او بالاعلون ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله قرا حمزة والكسائي
وابن عياش عن عاصم بضم القاف والباقون بالفتح وهما لغتان كالضعف والضعف
وقيل هو بالفتح الجراح وبالضم المها والمعنى ان اصابوا منكم يوم احد فقد اصبتم
منهم يوم بدر مثله ثم انهم لم يضعفوا ولم يجبنوا فانتم اولى بان لا تضعفوا فانكم
ترجون من الله ما لا يرجون وقيل كلا المسين كان يوم احد فان المسلمين نالوا
منهم قبل ان يخالفوا امر الرسول ص وتلك الايام نداولها بين الناس نصرفها بينهم

نديل لهؤلاء تارة ولهؤلاء اخرى كقوله فيوما علينا ويوما لنا ويوما نساء
ويوما نسر والمداولة كالمعاودة يقال داولت الشيء بينهم فتداولوه و
الايام يحتمل الوصف والخبر ونداولها يحتمل الخبر والحال والمراد بها اوقات
النصر والغلبة وليعلم الله الذين امنوا عطف على علة محذوفة اي نداولها
ليكون كيت وكيت وليعلم الله ايذانا بان العلة فيه غير واحدة وان ما يصيب المؤمنين
فيه غير واحدة وان ما يصيب من المصالح ما لا يعلم او الفعل المعلل به محذوف
تقديره وليتميز الثابتون على الايمان من الذين على حرف فعلنا ذلك والقصد
في امثاله ونقائضه ليس الى اثبات علمه تعالى ونفيه بل الى اثبات المعلوم ونفيه
على طريقة البرهان وقيل معناه ليعلمهم علما يتعلق به الجزاء وهو العلم بالشيء
موجودا ويتخذ منكم شهداء ويكرم ناسا منكم بالشهادة يريد شهداء احد او
يتخذ منكم شهودا معدلين بما صودف منهم من الثبات والصبر على الشدائد
والله لا يحب الظالمين الذين يضمرون خلاف ما يظهرون او الكافرين وهو اعتراض
وفيه تنبيه على انه تعالى لا ينصر الكافرين على الحقيقة وانما يغلبهم احيانا
استدراجا لهم وابتلاء للمؤمنين وليمحص الله الذين امنوا ليطهرهم ويصفيهم من
الذنوب ان كانت الدولة عليهم ويمحق الكافرين ويهلكهم ان كانت عليهم والمحق
نقص الشيء قليلا قليلا ام حسبتم ان تدخلوا الجنة بل احسبتم ومعناه الانكار
ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولما تجاهدوا وفيه دليل على انه فرض كفاية و
الفرق بين لما ولم ان فيه توقع الفعل فيما يستقبل وقرئ يعلم بفتح الميم على ان اصله
يعلمن فحذفت النون ويعلم الصابرين نصب باضمار ان على ان الواو للجمع وقرئ
بالرفع على ان الواو للحال كانه قال ولما تجاهدوا وانتم صابرون ولقد كنتم
تمنون الموت اي الحرب فانها من اسباب الموت او الموت بالشهادة والخطاب
الذين لم يشهدوا بدرا وتمنوا ان يشهدوا مع رسول الله ص مشهدا لينالوا ما
نال شهداء بدر من الكرامة فالحوا يوم احد على الخروج من قبل ان تلقوه من قبل
ان تشاهدوه وتعرفوا شدته فقد رايتموه وانتم تنظرون اي وقد رايتموه معاينين
له حين قتل دونكم من قتل من اخوانكم وهو توبيخ لهم على انهم تمنوا الحرب وتسببوا
لها ثم جبنوا وانهزموا عنها او على تمني الشهادة فان في تمنيها تمني غلبة الكفار
وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل فسيخلو كما خلوا بالموت او القتل
افان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم انكار لارتدادهم وانقلابهم على اعقابهم
عن الدين لخلوه بموت او قتل بعد علمهم بخلو الرسل قبله وبقاء دينهم

متمسكا وقيل الفاء للسببية والهمزة للانكار ان يجعلوا خلوا الرسل قبله
سببا لانقلابهم على اعقابهم بعد وفاته روي انه لما رمى عبد الله بن قمئة
الحارثي رسول الله بحجر فكسر رباعيته وشج وجهه فذب عنه مصعب بن عمير
وكان صاحب الراية حتى قتله ابن قمئة وهو يرى انه قتل النبي فقال قد قتلت
محمدا وصرخ صارخ الا ان محمدا قد قتل فانكفأ الناس وجعل الرسول يدعو الى
عباد الله فانحاز اليه ثلثون من اصحابه وحموه حتى كشفوا عنه المشركين و
تفرق الباقون وقال بعضهم ليت ابن ابي يأخذ لنا امانا من ابي سفيان وقال ناس
من المنافقين لو كان نبيا لما قتل ارجعوا الى اخوانكم ودينكم فقال انس بن النضر
عم انس بن مالك يا قوم ان كان قتل محمد فان رب محمد حي لا يموت وما تصنعون
بالحيوة بعده فقاتلوا على ما قاتل عليه ثم قال اللهم اني اعتذر اليك مما يقولون
وابرا اليك منه وسل سيفه فقاتل حتى قتل فنزلت ومن ينقلب على عقبيه فلن
يضر الله شيئا بارتداده بل يضر نفسه وسيجزي الله الشاكرين على نعمة الاسلام
بالثبات عليه كانس واضرابه وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله الا بمشيته تعالى
او باذنه لملك الموت في قبض روحه والمعنى ان لكل نفس اجلا مسمى في علمه تعالى
وقضائه لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون بالاحجام عن القتال والاقدام
عليه وفيه تحريض وتشجيع على القتال ووعد للرسول بالحفظ وتاخير الاجل
كتابا مصدر مؤكد اذ المعنى كتب الموت كتابا مؤجلا صفة له اي موقتا لا يتقدم
ولا يتأخر ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها تعريض بمن شغلتهم الغنائم يوم
احد فان المسلمين حملوا على المشركين وهزموهم واخذوا ينهبون فلما راى الرماة
ذلك اقبلوا على النهب فخلوا مكانهم فانتهز المشركون وحملوا عليهم من ورائهم
فهزموهم ومن يرد ثواب الاخرة نؤته منها اي من ثوابها وسنجزي الشاكرين
الذين شكروا نعمة الله ولم يشغلهم شيء عن الجهاد وكاين اصله اي دخلت الكاف
عليها وصارت بمعنى كم والنون تنوين اثبت في الخط على غير قياس وقرا ابن
كثير وكائن ككاعن ووجهه انه قلب قلب الكلمة الواحدة كقولهم رعملي في لعمري
فصار كيان ثم حذفت الياء الثانية للتخفيف ثم ابدلت الياء الاخرى الفا كما ابدلت
من طائي من نبي بيان له قاتل معه ربيون كثير ربانيون علماء اتقياء او عابدون
لربهم وقيل جماعات والربي منسوب الى الربة وهي الجماعة للمبالغة وقرا
ابن كثير ونافع وابو عمرو ويعقوب قتل واسناده الى ربيون او ضمير النبي و
معه ربيون حال عنه ويؤيد الاول انه قري بالتشديد وقري ربيون بالفتح

على الاصل وبالضم وهو من تغييرات النسب كالكسر فما وهنوا لما اصابهم في
سبيل الله فما فتروا ولم ينكسر جدهم لما اصابهم من قتل النبي او بعضهم وما
ضعفوا عن العدو او في الدين وما استكانوا وما خضعوا للعدو واصله
استكن من السكون لان الخاضع يسكن لصاحبه ليفعل به ما يريده والالف
اشباع الفتحة او استكون من الكون لانه يطلب من نفسه ان يكون لمن يخضع له
وهذا تعريض بما اصابهم عند الارجاف بقتله عم والله يحب الصابرين فينصرهم و
يعظم قدرهم وما كان قولهم الا ان قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في امرنا
وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين اي وما كان قولهم مع ثباتهم وقوتهم
في الدين وكونهم ربانيين الا هذا القول وهو اضافة الذنوب والاسراف الى
انفسهم هضما لها واضافة لما اصابهم الى سوء اعمالها والاستغفار عنها ثم
التثبيت في مواطن الحرب والنصر على العدو ليكون عن خضوع وطهارة فيكون
اقرب الى الاجابة وانما جعل قولهم خبرا لان ان قالوا اعرف لدلالته على جهة
النسبة وما زمان الحدث فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الاخرة والله يحب
المحسنين فآتاهم الله بسبب الاستغفار واللجاء الى الله النصر والغنيمة
والعز وحسن الذكر في الدنيا والجنة والنعيم في الاخرة وخص ثوابها بالحسن
اشعارا بفضله وانه المعتد به عند الله يا ايها الذين امنوا ان تطيعوا
الذين كفروا يردوكم على اعقابكم فتنقلبوا خاسرين نزلت في قول المنافقين
للمؤمنين عند الهزيمة ارجعوا الى دينكم واخوانكم ولو كان محمد نبيا لما قتل
وقيل ان تستكينوا لابي سفيان واشياعه وتستامنوهم يردوكم الى دينهم و
قيل عام في مطاوعة الكفرة والنزول على حكمهم فانه يستجر الى موافقتهم
بل الله مولاكم ناصركم وقري بالنصب على تقدير بل اطيعوا الله مولاكم وهو
خير الناصرين فاستعينوا به عن ولاية غيره ونصره سنلقي في قلوب الذين
كفروا الرعب يريد ما قذف في قلوبهم من الخوف يوم احد حتى تركوا القتال ورجعوا
من غير سبب ونادى ابو سفيان يا محمد موعدنا موسم بدر لقابل ان شئت فقال عم
ان شاء الله وقيل لما رجعوا وكانوا ببعض الطريق ندموا وعزموا ان يعودوا
عليهم ليستاصلوهم فالقى الله الرعب في قلوبهم وقرا ابن عامر والكسائي
ويعقوب بالضم على الاصل في كل القران بما اشركوا بالله بسبب اشراكهم به
ما لم ينزل به سلطانا اي الهة ليس على اشراكها حجة ولم ينزل عليهم به
سلطانا وهو كقوله فلا ترى الضب بها ينجحر واصل السلطنة القوة ومنه

التسليط لقوة اشتغاله والسلاطة لحدة اللسان ومأويهم النار وبئس مثوى
الظالمين اي مثواهم فوضع الظاهر موضع المضمر للتغليظ والتعليل ولقد
صدقكم الله وعده اي وعده اياهم بالنصر بشرط التقوى والصبر وكان ذلك
كذلك حتى خالف الرماة فان المشركين لما اقبلوا جعل الرماة يرشقونهم بالنبل والباقون
يضربونهم بالسيف حتى انهزموا والمسلمون على آثارهم اذ تحسونهم تقتلونهم من
حسه اذا ابطل حسه حتى اذا فشلتم جبنتم وضعف رأيكم او ملتم الى الغنيمة
فان الحرص من ضعف العقل وتنازعتم في الامر يعني اختلاف الرماة حين انهزم المشركون
فقال بعضهم فما موقفنا هاهنا وقال الآخرون لا نخالف امر الرسول فثبت مكانه اميرهم
في نفر دون العشرة ونفر الباقون للنهب وهو المعني بقوله وعصيتم من بعد ما اراكم
ما تحبون من الظفر والغنيمة وانهزام العدو وجواب اذا محذوف وهو امتحنكم
منكم من يريد الدنيا وهم التاركون المركز للغنيمة ومنكم من يريد الآخرة وهم
الثابتون محافظة على امر الرسول ثم صرفكم عنهم ثم كفكم عنهم حتى حالت الحال
فغلبوكم ليبتليكم على المصائب ويمتحن ثباتكم على الايمان عندها ولقد عفا عنكم
تفضلا ولما علم من ندمهم على المخالفة والله ذو فضل على المؤمنين يتفضل عليهم
بالعفو او في الاحوال كلها سواء اديل لهم او عليهم اذ الابتلاء ايضا رحمة
اذ تصعدون متعلق بصرفكم او ليبتليكم او بمقدر كاذكروا والاصعاد الذهاب
والابعاد في الارض يقال اصعدنا من مكة الى المدينة ولا تلوون على احد لا يقف
احد لاحد ولا ينتظره والرسول يدعوكم يقول الي عباد الله الي عباد الله انا
رسول الله من يكر فله الجنة في اخراكم في ساقتكم وجماعتكم الاخرى فاثابكم غما
بغم لكي لا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما اصابكم عطف على صرفكم والمعنى فجازاكم الله
عن فشلكم وعصيانكم غما متصلا بغم من الاغتمام بالقتل والجرح وظفر المشركين
والارجاف بقتل الرسول او فجازاكم غما بسبب غم اذقتموه رسول الله بعصيانكم
له لتتمرنوا على الصبر في الشدائد فلا تحزنوا فيما بعد على نفع فائت وضر لاحق
وقيل لا مزيدة والمعنى لتأسفوا على ما فاتكم من الظفر والغنيمة وعلى ما اصابكم
من الجرح والهزيمة عقوبة لكم وقيل الضمير في فاثابكم للرسول اي فآساكم في الاغتمام
فاغتم بما نزل عليكم كما اغتممتم بما نزل عليه ولم يثربكم على عصيانكم تسلية لكم
كيلا تحزنوا على ما فاتكم من النصر ولا على ما اصابكم من الهزيمة والله خبير بما تعملون
عليم باعمالكم وبما قصدتم بها ثم انزل عليكم من بعد الغم امنة نعاسا انزل الله
عليكم الامن حتى اخذكم النعاس وعن ابي طلحة غشينا النعاس في المصاف حتى كان

السيف يسقط من يد احدنا فيأخذه ثم يسقط فيأخذه والامنة الامن نصب على المفعول
ونعاسا بدل منها او هو المفعول وامنة حال منه متقدمة او مفعول له او
حال من المخاطبين بمعنى ذوي امنة او على انه جمع امن كبار وبررة وقرئ امنة بسكون
الميم كانها المرة من الامن يغشى طائفة منكم اي النعاس وقرأ حمزة والكسائي
بالتاء رد على الامنة والطائفة المؤمنون حقا وطائفة هم المنافقون قد
اهمتهم انفسهم اوقعتهم انفسهم في الهموم او ما يهمهم الا هم انفسهم وطلب خلاصهم
يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية صفة اخرى لطائفة او حال او استئناف على وجه
البيان لما قبله وغير الحق نصب على المصدر اي يظنون بالله غير الظن الحق الذي
يحق ان يظن به وظن الجاهلية بدل له وهو الظن المختص بالملة الجاهلية واهلها
يقولون اي لرسول الله وهو بدل من يظنون هل لنا من الامر من شيء هل لنا مما
امر الله ووعد من النصر والظفر نصيب قط وقيل اخبر ابن ابي بقتل بني الخزرج
فقال ذلك والمعنى انا منعنا تدبير انفسنا وتصريفها باختيارنا فلم يبق لنا من الامر
شيء او هل يزول عنا هذا القهر فيكون لنا من الامر شيء قل ان الامر كله لله اي
الغلبة الحقيقية لله ولاوليائه فان حزب الله هم الغالبون او القضاء له يفعل ما
يشاء ويحكم ما يريد وهو اعتراض وقرأ ابو عمرو ويعقوب كله بالرفع على الابتداء
يخفون في انفسهم ما لا يبدون لك حال من ضمير يقولون اي يقولون مظهرين انهم
مسترشدون طالبون للنصر مبطنين الانكار والتكذيب يقولون اي في انفسهم واذا
خلا بعضهم الى بعض وهو بدل من يخفون او استئناف على وجه البيان له لو كان
لنا من الامر شيء كما وعد محمد وزعم ان الامر كله لله ولاوليائه او لو كان لنا اختيار
وتدبير ولم نبرح كما كان رأي ابن ابي وغيره ما قتلنا هاهنا لما غلبنا ولما قتل
من قتل منا في هذه المعركة قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم
اي لخرج الذين قدر الله عليهم القتل وكتب القتل في اللوح المحفوظ الى مصارعهم
ولم تنفع الاقامة بالمدينة ولم ينج منه احد فانه قدر الامور ودبرها في سابق
قضائه لا معقب لحكمه وليبتلي الله ما في صدوركم وليمتحن ما في صدوركم ويظهر
سرائرها من الاخلاص والنفاق وهو علة فعل محذوف اي وفعل ذلك ليبتلي
او عطف على محذوف اي لبرز لنفاذ القضاء او لمصالح جمة وللابتلاء او على قوله
لكيلا تحزنوا وليمحص ما في قلوبكم وليكشفه ويميزه او يخلصه من الوساوس
والله عليم بذات الصدور بخفياتها قبل اظهارها وفيه وعد ووعيد وتنبيه
على انه غني عن الابتلاء وانما فعل ذلك لتمرين المؤمنين واظهار حال المنافقين

ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا يعني ان
الذين انهزموا يوم احد انما كان السبب في انهزامهم ان الشيطان طلب منهم الزلل
فاطاعوه واقترفوا ذنوبا بمخالفة النبي بترك المركز والحرص على الغنيمة او الحيوة
فمنعوا التأييد وقوة القلب وقيل استزلال الشيطان توليهم وذلك بسبب ذنوب
تقدمت لهم فان المعاصي يجر بعضها بعضا كالطاعة وقيل استزلهم بذكر ذنوب
سلفت منهم فكرهوا القتل قبل اخلاص التوبة والخروج من المظلمة ولقد عفى الله
عنهم لتوبتهم واعتذارهم ان الله غفور للذنوب حليم لا يعاجل بعقوبة المذنب كي
يتوب يا ايها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا يعني المنافقين وقالوا لاخوانهم
لاجلهم وفيهم ومعنى اخوتهم اتفاقهم في النسب او المذهب اذا ضربوا في الارض
اذا سافروا فيها وابعدوا للتجارة او غيرها وكان حقه اذ لقوله قالوا لكنه
جاء على حكاية الحال الماضية او كانوا غزى جمع غاز كعاف وعفى لو كانوا عندنا
ما ماتوا وما قتلوا مفعول قالوا وهو يدل على ان اخوانهم لم يكونوا مخاطبين به
ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم متعلق بقالوا على ان اللام لام العاقبة مثلها
في ليكون لهم عدوا وحزنا او لا تكونوا اي لا تكونوا مثلهم في النطق بذلك القول
ليجعله حسرة في قلوبهم خاصة وذلك اشارة الى ما دل عليه قولهم من الاعتقاد
وقيل الى ما دل عليه النهي اي لا تكونوا مثلهم انتفاء كونكم مثلهم حسرة في قلوبهم
فان مخالفتهم ومضادتهم مما يغمهم والله يحيي ويميت رد لقولهم اي هو المؤثر في
الحيوة والممات لا الاقامة والسفر فانه تعالى قد يحيي المسافر والغازي
ويميت المقيم والقاعد والله بما تعملون بصير تهديد للمؤمنين على ان يماثلوهم وقرأ
ابن كثير وحمزة والكسائي بالياء على انه وعيد للذين كفروا ولئن قتلتم في سبيل
الله او متم اي متم في سبيله وقرأ نافع وحمزة والكسائي بكسر الميم من مات يمات
لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون جواب القسم وهو ساد مسد الجزاء والمعنى
ان السفر والغزاء ليس مما يجلب الموت ويقدم الاجل وان وقع ذلك في سبيل
الله فما تنالون من المغفرة والرحمة بالموت خير مما تجمعون من الدنيا ومنافعها
لو لم تموتوا ولئن متم او قتلتم على اي وجه اتفق هلاككم لالى الله تحشرون لا الى
معبودكم الذي توجهتم اليه وبذلتم مهجكم لوجهه لا الى غيره لا محالة تحشرون
فيوفي جزاءكم ويعظم ثوابكم وقرأ نافع وحمزة والكسائي فبما رحمة من الله
لنت لهم اي فبرحمة وما مزيدة للتاكيد والدلالة على ان لينه لهم ما كان الا برحمة
من الله وهو ربطه على جاشه وتوفيقه للرفق بهم حتى اغتم لهم بعد ان خالفوه

ولو كنت فظا سيئ الخلق جافيا غليظ القلب قاسيه لانفضوا من حولك لتفرقوا
عنك ولم يسكنوا اليك فاعف عنهم فيما يختص بك واستغفر لهم فيما لله
وشاورهم في الامر اي في امر الحرب اذ الكلام فيه او فيما يصح ان يشاور فيه استظهارا
برايهم وتطييبا لنفوسهم وتمهيدا لسنة المشاورة للامة فاذا عزمت فاذا
وطنت نفسك على شيء بعد الشورى فتوكل على الله في امضاء امرك على ما هو
اصلح لك فانه لا يعلمه سواه وقرئ فاذا عزمت على التكلم اي فاذا عزمت لك على
شيء وعينته لك فتوكل علي ولا تشاور فيه احدا ان الله يحب المتوكلين فينصرهم
ويهديهم الى الصلاح ان ينصركم الله كما نصركم يوم بدر فلا غالب لكم فلا احد
يغلبكم وان يخذلكم كما خذلكم يوم احد فمن ذا الذي ينصركم من بعده من بعد
خذلانه او من بعد الله بمعنى اذا جاوزتموه فلا ناصر لكم وهذا تنبيه على ان
المقتضي للتوكل وتحريض على ما يستحق به النصر من الله وتحذير عما يستجلب خذلانه
وعلى الله فليتوكل المؤمنون فليخصوه بالتوكل عليه لما علموا ان لا ناصر سواه
وآمنوا به وما كان لنبي ان يغل وما صح لنبي ان يخون في الغنائم فان النبوة تنافي
الخيانة يقال غل شيئا من المغنم يغل غلولا واغل اغلالا اذا اخذه في خفية
والمراد منه اما براءة الرسول عما اتهم به اذ روي ان قطيفة حمراء فقدت
يوم بدر فقال بعض المنافقين لعل رسول الله اخذها او ظن به الرماة يوم احد
حين تركوا المركز للغنيمة وقالوا نخشى ان يقول رسول الله من اخذ شيئا فهو له
ولا يقسم الغنائم واما المبالغة في النهي للرسول على ما روي انه بعث طلائع فغنم
رسول الله صلعم فقسم على من معه ولم يقسم للطلائع فنزلت فيكون تسميته
حرمان بعض المستحقين غلولا تغليظا ومبالغة ثانية وقرأ نافع وابن عامر
وحمزة والكسائي ويعقوب ان يغل على البناء للمفعول والمعنى وما صح له ان
يوجد غالا او ان ينسب الى الغلول ومن يغلل يات بما غل يوم القيمة يات بالذي
غله يحمله على عنقه كما جاء في الحديث او بما احتمل من وباله واثمه ثم توفى
كل نفس ما كسبت تعطى جزاء ما كسبت وافيا وكان اللائق بما قبله ان يقال ثم
يوفى ما كسبت لكنه عمم الحكم ليكون كالبرهان على المقصود والمبالغة فيه
فانه اذا كان كل كاسب مجزيا بعمله فالغال مع عظم جرمه بذلك اولى وهم لا
يظلمون فلا ينقص ثواب مطيعهم ولا يزاد في عذاب عاصيهم افمن اتبع رضوان الله
بالطاعة كمن باء رجع بسخط من الله بسبب المعاصي ومأواه جهنم وبئس المصير
الفرق بينه وبين المرجع ان المصير يجب ان يخالف الحالة الاولى ولا كذلك

المرجع هم درجات عند الله شبهوا بالدرجات لما بينهم من التفاوت في الثواب
والعقاب او هم ذوو درجات والله بصير بما يعملون عالم باعمالهم ودرجاتها
صادرة عنهم فيجازيهم على حسبها لقد من الله على المؤمنين انعم على من آمن
مع الرسول من قومه وتخصيصهم مع ان نعمة البعثة عامة لزيادة انتفاعهم
بها وقرئ لمن من الله على انه خبر محذوف مثل منه او بعثه اذ بعث فيهم رسولا
من انفسهم من نسبهم او من جنسهم عربيا مثلهم ليفهموا كلامه بسهولة ويكونوا
واقفين على حاله في الصدق والامانة مفتخرين به وقرئ من انفسهم اي من اشرفهم
لانه عم كان من اشرف قبايل العرب بطونا يتلوا عليهم آياته اي القرآن بعدما
كانوا جهالا لم يسمعوا الوحي ويزكيهم يطهرهم من دنس الطباع وسوء العقايد
والاعمال ويعلمهم الكتاب والحكمة القرآن والسنة وان كانوا من قبل لفي ضلال
مبين ان هي المخففة واللام هي الفارقة والمعنى وان الشان كانوا من قبل بعثة الرسول
في ضلال ظاهر اولما اصابتكم مصيبة قد اصبتم مثليها قلتم انى هذا الهمزة للتقريع والتقرير
والواو عاطفة للجملة على ما سبق من قصة احد او على محذوف مثل افعلتم كذا
وقلتم ولما ظرفه المضاف الى اصابتكم اي حين اصابتكم مصيبة وهي قتل سبعين منكم
يوم احد والحال انكم نلتم ضعفها يوم بدر من قتل سبعين واسر سبعين من اين هذا
اصابنا وقد وعدنا الله النصر قل هو من عند انفسكم اي مما اقترفته انفسكم
من مخالفة الامر بترك المركز فان الوعد كان مشروطا بالثبات والمطاوعة او اختيار
الخروج من المدينة وعن علي رض باختياركم الفداء يوم بدر ان الله على كل شيء
قدير فيقدر على النصر ومنعه وعلى ان يصيب بكم ويصيب منكم وما اصابكم يوم
التقى الجمعان جمع المسلمين وجمع المشركين يريد يوم احد فباذن الله فهو كاين
بقضائه وتخليته الكفار سماها اذنا لانها من لوازمه وليعلم المؤمنين وليعلم الذين
نافقوا وليتميز المؤمنون والمنافقون فيظهر ايمان هؤلاء وكفر هؤلاء وقيل
لهم عطف على نافقوا داخل في الصلة او كلام مبتداء تعالوا قاتلوا في سبيل
الله او ادفعوا تقسيم للامر عليهم وتخيير بين ان يقاتلوا للآخرة او للدفع
عن الانفس والاموال وقيل معناه قاتلوا الكفرة او ادفعوهم بتكثيركم سواد
المجاهدين فان كثرة السواد مما يروع العدو ويكسر منه قالوا لو نعلم قتالا
لاتبعناكم لو نعلم ما يصح ان يسمى قتالا لاتبعناكم فيه لكن ما انتم عليه ليس بقتال
بل القاء بالنفس الى التهلكة ولو نحسن قتالا لاتبعناكم وانما قالوه دغلا
او استهزاء هم للكفر يومئذ اقرب منهم للايمان لانخزالهم وكلامهم هذا فانها

اول امارات تظهرت منهم مؤذنة بكفرهم وقيل هم لاهل الكفر اقرب نصرة منهم
لاهل الايمان اذ كان انخزالهم ومقالهم تقوية للمشركين وتخذيلا للمؤمنين يقولون
بافواههم ما ليس في قلوبهم يظهرون خلاف ما يضمرون لا تواطي قلوبهم السنتهم
بالايمان واضافة القول الى الافواه تاكيد وتصوير والله اعلم بما يكتمون من
النفاق وما يخلوا به بعضهم الى بعض فانه يعلمه مفصلا بعلم واجب وانتم تعلمونه
مجملا بامارات الذين قالوا رفع بدل من واو يكتمون او نصب على الذم او الوصف
للذين نافقوا او جر بدلا من الضمير في افواههم او قلوبهم كقوله على جوده لضن
بالماء حاتم لاخوانهم اي لاجلهم يريد من قتل يوم من اقاربهم او من جنسهم وقعدوا
حال مقدرة بقد اي قالوا قاعدين عن القتال لو اطاعونا في القعود ما قتلوا كما لم
نقتل قل فادرؤا عن انفسكم الموت ان كنتم صادقين اي ان كنتم صادقين
انكم تقدرون على دفع القتل عمن كتب عليه فادفعوا عن انفسكم الموت واسبابه
فانه احرى بكم والمعنى ان القعود غير مغن فان اسباب الموت كثيرة وكما ان القتال
يكون سببا للهلاك والقعود سببا للنجاة قد يكون الامر بالعكس ولا تحسبن
الذين قتلوا في سبيل الله امواتا نزلت في شهداء احد وقيل في شهداء بدر
والخطاب لرسول الله عم او لكل احد وقرئ بالياء على اسناده الى ضمير
الرسول او من يحسب او الى الذين قتلوا والمفعول الاول محذوف لانه في الاصل
مبتداء جايز الحذف عند القرينة وقرا ابن عامر قتلوا بالتشديد لكثرة المقتولين
بل احياء اي بل هم احياء وقرئ بالنصب على بل احسبهم احياء عند ربهم
ذوو زلفى منه يرزقون من الجنة وهو تاكيد لكونهم احياء فرحين بما آتاهم الله
من فضله وهو شرف الشهادة والفوز بالحيوة الابدية والقرب من الله
والتمتع بنعيم الجنة ويستبشرون يسرون بالبشارة بالذين لم يلحقوا بهم
اي باخوانهم المؤمنين الذين لم يقتلوا فيلحقوا بهم من خلفهم اي الذين من خلفهم
زمانا او رتبة الا خوف عليهم ولا هم يحزنون بدل من الذين والمعنى انهم يستبشرون
بما تبين لهم من امر الآخرة وحال من تركوا خلفهم من المؤمنين وهو انهم اذا ماتوا
او قتلوا كانوا احياء لا يكدرها خوف وقوع محذور وحزن فوات محبوب
والآية تدل على ان الانسان غير الهيكل المحسوس بل هو جوهر مدرك بذاته لا يفنى
بخراب البدن ولا يتوقف عليه ادراكه وتالمه والتذاذه ويؤيد ذلك قوله تعالى
في آل فرعون النار يعرضون عليها الآية وما روى ابن عباس انه عم قال ارواح
الشهداء في اجواف طير خضر ترد انهار الجنة وتاكل من ثمارها وتاوي الى

قناديل معلقة في ظل العرش ومن انكر ذلك ولم ير الروح الا ريحا وعرضا قال هم
احياء يوم القيمة وانما وصفوا به في الحال لتحققه ودنوه او احياء بالذكر او
بالايمان وفيها حث على الجهاد وترغيب في الشهادة وبعث على ازدياد الطاعة و
احماد لمن يتمنى لاخوانه مثل ما انعم عليه وبشرى للمؤمنين بالفلاح يستبشرون
كرره للتوكيد وليتعلق به ما هو بيان لقوله الا خوف ويجوز ان يكون الاول بحال
اخوانهم وهذا بحال انفسهم بنعمة من الله ثوابا لاعمالهم وفضل زيادة عليه
كقوله للذين احسنوا الحسنى وزيادة وتنكيرهما للتعظيم وان الله لا يضيع اجر
المؤمنين من جملة المستبشر به عطف على فضل وقرأ الكسائي بالكسر على انه
استيناف معترض دال على ان ذلك اجر لهم على ايمانهم مشعر بان من لا ايمان له
اعماله محبطة واجوره مضيعة الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما اصابهم
القرح صفة للمؤمنين او نصب على المدح او مبتدأ خبره للذين احسنوا منهم واتقوا
اجر عظيم بجملته ومن للبيان والمقصود من ذكر الوصفين المدح والتعليل
لا التقييد لان المستجيبين كلهم محسنون متقون روي ان ابا سفيان واصحابه
لما رجعوا فبلغوا الروحاء ندموا وهموا بالرجوع فبلغ ذلك رسول الله صلعم
فندب اصحابه للخروج في طلبه وقال لا يخرجن معنا الا من حضر يومنا بالامس
فخرج صلعم مع جماعة حتى بلغوا حمراء الاسد وهي على ثمانية اميال من المدينة
وكان باصحابه القرح فتحاملوا على انفسهم حتى لا يفوتهم الاجر والقى الله الرعب
في قلوب المشركين فذهبوا فنزلت الذين قال لهم الناس يعني الركب الذين استقبلهم
من عبد قيس او نعيم بن مسعود الاشجعي واطلق عليه الناس لانه من جنسه كما
يقال فلان يركب الخيل وما له الا فرس واحد ولانه انضم اليه ناس من المدينة
واذاعوا كلامه ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم يعني ابا سفيان واصحابه روي
انه نادى عند انصرافه من احد يا محمد موعدنا موسم بدر لقابل ان شئت فقال
ان شاء الله فلما كان القابل خرج في اهل مكة حتى نزل مر الظهران فانزل الله الرعب
في قلبه وبدا له ان يرجع فمر به ركب من عبد قيس يريدون المدينة للميرة فشرط لهم
حمل بعير من زبيب ان ثبطوا المسلمين وقيل لقي نعيم بن مسعود وقد قدم معتمرا
فساله ذلك والتزم له عشرا من الابل فخرج نعيم فوجد المسلمين يتجهزون فقال لهم
اتوكم في دياركم فلم يفلت منكم احد الا شريدا افترون ان تخرجوا وقد جمعوا لكم ففتروا
فقال صلعم والذي نفسي بيده لاخرجن ولو لم يخرج معي احد فخرج في سبعين راكبا
كلهم يقولون حسبنا الله فزادهم ايمانا الضمير المستكن للمقول او لمصدر

قال او لقائله او لنعيم وحده والبارز للمقول لهم والمعنى انهم لم يلتفتوا اليه
ولم يضعفوا بل ثبت به يقينهم بالله وازداد ايمانهم واظهروا حمية الاسلام و
اخلصوا النية عنده وهو دليل على ان الايمان يزيد وينقص ويعضده قول ابن
عمر قلنا يا رسول الله الايمان يزيد وينقص قال نعم يزيد حتى يدخل صاحبه الجنة وينقص
حتى يدخل صاحبه النار وهذا ظاهر ان جعل الطاعة من جملة الايمان وكذا ان
لم تجعل فان اليقين يزداد بالالف وكثرة التامل وتناصر الحجج وقالوا حسبنا الله
محسبنا وكافينا من احسبه اذا كفاه ويدل على انه بمعنى المحسب انه لا يستفيد بالاضافة
تعريفا في قولك هذا رجل حسبك ونعم الوكيل ونعم الموكول اليه هو فانقلبوا فرجعوا
من بدر بنعمة من الله عافية وثبات على الايمان وزيادة فيه وفضل وربح في التجارة
فانهم لما اتوا بدرا وافوا بها سوقا فاتجروا وربحوا لم يمسسهم سوء من جراحة و
واتبعوا رضوان الله الذي هو مناط الفوز بخير الدارين بجراءتهم وخروجهم والله
ذو فضل عظيم قد تفضل عليهم بالتثبيت وزيادة الايمان والتوفيق للمبادرة
الى الجهاد والتصلب في الدين واظهار الجرأة على العدو وبالحفظ عن كل ما
يسوءهم واصابة النفع مع ضمان الاجر حتى انقلبوا بنعمة منه وفضل وفيه تحسير
للمتخلف وتخطئة رايه حيث حرم نفسه ما فازوا به انما ذلكم الشيطان يريد به
المثبط نعيما او ابا سفيان والشيطان خبر ذلكم وما بعده بيان لشيطنته او صفته
وما بعده خبره ويجوز ان يكون الاشارة الى قوله على تقدير مضاف اي انما
ذلكم قول الشيطان يعني ابليس يخوف اولياءه القاعدين عن الخروج مع الرسول
او يخوفكم اولياءه الذين هم ابو سفيان واصحابه فلا تخافوهم الضمير للناس
الثاني على الاول والى الاولياء على الثاني وخافون في مخالفة امري فجاهدوا مع رسولي
ان كنتم مؤمنين فان الايمان يقتضي ايثار خوف الله على خوف الناس ولا يحزنك الذين يسارعون
في الكفر يقعون فيه سريعا حرصا عليه وهم المنافقون من المتخلفين او قوم ارتدوا
عن الاسلام والمعنى لا يحزنك خوف ان يضروك ويعينوا عليك لقوله انهم لن يضروا
الله شيئا اي لن يضروا اولياء الله بمسارعتهم في الكفر وانما يضرون بها انفسهم
وشيئا يحتمل المفعول والمصدر يريد الله ان لا يجعل لهم حظا في الاخرة نصيبا
من الثواب في الاخرة وهو يدل على تمادي طغيانهم وموتهم على الكفر وفي ذكر
الارادة اشعار بان كفرهم بلغ الغاية حتى اراد ارحم الراحمين ان لا يكون لهم
حظ من رحمته وان مسارعتهم في الكفر لانه تعالى لم يرد لهم ان يكون لهم حظ في
الاخرة ولهم عذاب عظيم مع الحرمان عن الثواب ان الذين اشتروا الكفر بالايمان

لن يضروا الله شيئا ولهم عذاب اليم تكرير للتأكيد او تعميم للكفرة بعد تخصيص من
نافق من المتخلفين او ارتد من الاعراب ولا يحسبن الذين كفروا انما نملي لهم
خير لانفسهم خطاب للرسول او لكل من يحسب والذين مفعول وانما نملي لهم بدل
منه وانما اقتصر على مفعول واحد لان التعويل على البدل وهو ينوب عن
المفعولين كقوله ام تحسب ان اكثرهم يسمعون او المفعول الثاني على تقدير
مضاف مثل ولا تحسبن الذين كفروا اصحاب ان الاملاء خير لانفسهم او ولا تحسبن
حال الذين كفروا ان الاملاء خير لانفسهم وما مصدرية وكان حقها ان تفصل
في الخط ولكنها وقعت متصلة في الامام فاتبع وقرأ ابن كثير وابو عمرو و
الكسائي ويعقوب بالياء على ان الذين فاعل وان مع ما في حيزه مفعول وفتح
سينه في جميع القرآن ابن عامر وحمزة وعاصم والاملاء الامهال واطالة العمر
وقيل تخليتهم وشانهم من املى لفرسه اذا ارخى له الطول ليرعى كيف شاء انما
نملي لهم ليزدادوا اثما استيناف بما هو العلة للحكم قبلها وما كافة واللام لام
الارادة وعند المعتزلة لام العاقبة وقرئ انما بالفتح وبكسر الاولى ولا يحسبن
بالياء على معنى ولا يحسبن الذين كفروا ان املاءنا لهم لازدياد الاثم بل للتوبة
والدخول في الايمان وانما نملي لهم خير اعتراض معناه ان املاءنا خير لهم ان
انتبهوا وتداركوا ما فرط منهم ولهم عذاب مهين على هذا يجوز ان يكون حالا من الواو
اي ليزدادوا اثما معدا لهم عذاب مهين ما كان الله ليذر المؤمنين على ما انتم عليه
حتى يميز الخبيث من الطيب الخطاب لعامة المخلصين والمنافقين في عصره والمعنى
لا يترككم مختلطين لا يعرف مخلصكم من منافقكم حتى يميز المنافق من المخلص
بالوحي الى نبيه باحوالكم او بالتكاليف الشاقة التي لا يصبر عليها ولا يذعن
لها الا الخلص المخلصون منكم كبذل الاموال والانفس في سبيل الله
ليختبر به النبي بواطنكم ويستدل به على عقايدكم وما كان الله ليطلعكم على الغيب
ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء وما كان الله ليؤتي احدكم علم الغيب فيطلع على
ما في القلوب من كفر وايمان ولكنه يجتبي لرسالته من يشاء فيوحي اليه ويخبره
ببعض المغيبات او ينصب له ما يدل عليها فآمنوا بالله ورسله بصفة الاخلاص
او بان تعلموه وحده مطلعا على الغيب وتعلموهم عبادا مجتبين لا يعلمون الا ما
علمهم الله ولا يقولون الا ما اوحي اليهم روي ان الكفرة قالوا ان كان محمد صادقا
فليخبرنا من يؤمن منا ومن يكفر فنزلت وعن السدي انه عم قال عرضت علي امتي
واعلمت من يؤمن بي ومن يكفر فقال المنافقون انه يزعم انه يعرف من يؤمن به ومن

يكفر ونحن معه ولا يعرفنا فنزلت وان تؤمنوا وتتقوا النفاق فلكم
اجر عظيم لا يقادر قدره ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو
خيرا لهم القراءات فيه ما سبق ومن قرأ بالتاء قدر مضافا ليتطابق مفعولاه
اي ولا تحسبن بخل الذين يبخلون هو خيرا لهم وكذا من قرأ بالياء ان جعل الفاعل
ضمير الرسول او من يحسب وان جعله الموصول كان المفعول الاول محذوفا لدلالة
يبخلون عليه اي ولا يحسبن البخلاء بخلهم هو خيرا لهم بل هو شر لهم لاستجلاب
العقاب عليهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيمة بيان لذلك والمعنى سيلزمون و
بال ما بخلوا به الزام الطوق وعنه عم ما من رجل لا يؤدي زكوة ماله الا جعل
الله شجاعا في عنقه يوم القيمة ولله ميراث السموات والارض وله ما فيهما
مما يتوارث فما لهؤلاء يبخلون عليه بماله ولا ينفقونه في سبيل الله او انه يرث
منهم ما يمسكونه ولا ينفقونه في سبيله بهلاكهم وتبقى عليهم الحسرة والعقوبة
والله بما تعملون من المنع والاعطاء خبير فيجازيكم وقرأ نافع وابن عامر وعاصم
وحمزة والكسائي بالتاء على الالتفات وهو ابلغ في الوعيد لقد سمع الله قول
الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء قاله اليهود من ذا الذي يقرض الله قرضا
حسنا وروي انه عم كتب مع ابي بكر رض الى يهود بني قينقاع يدعوهم الى الاسلام
واقاموا الصلوة وايتاء الزكوة وان يقرضوا الله قرضا حسنا فقال فنحاص
بن عازورا ان الله فقير حين سأل القرض فلطمه ابو بكر وقال لولا ما بيننا من
العهد لضربت عنقك فشكاه الى رسول الله عم وجحد ما قاله فنزلت والمعنى انه لم
يخف عليه وانه اعد لهم العقاب عليه سنكتب ما قالوا وقتلهم الانبياء بغير حق
اي سنكتبه في صحايف الكتبة او سنحفظه في علمنا لا نهمله لانه كلمة عظيمة اذ هو
كفر بالله واستهزاء بالقرآن والرسول ولذلك نظمه مع قتل الانبياء وفيه تنبيه
على انه ليس اول جريمة ارتكبوه وان من اجترأ على قتل الانبياء لم يستبعد منه
امثال هذا القول وقرأ حمزة سيكتب بالياء وضمها وفتح التاء وقتلهم بالرفع
ويقول بالياء ونقول ذوقوا عذاب الحريق وننتقم منهم بان نقول لهم ذوقوا العذاب
المحرق وفيه مبالغات في الوعيد والذوق ادراك الطعوم وعلى الاتساع يستعمل
لادراك سائر المحسوسات والحالات وذكره ههنا لان العذاب مرتب على قولهم
الناشئ عن البخل والتهالك على المال وغالب حاجة الانسان اليه لتحصيل المطاعم
ومعظم بخله للخوف من فقدانه ولذلك كثر ذكر الاكل مع المال ذلك اشارة الى
العذاب بما قدمت ايديكم من قتل الانبياء وقولهم هذا وساير معاصيهم عبر

بالايدي عن الانفس لان اكثر اعمالها بهن وان الله ليس بظلام للعبيد عطف على
ما قدمت وسببيته للعذاب من حيث ان نفي الظلم يستلزم العدل المقتضي اثابة
المحسن ومعاقبة المسيء الذين قالوا هم كعب بن الاشرف ومالك وحيي وفنحاص
ووهب بن يهوذا ان الله عهد الينا امرنا في التورية واوصانا الا نؤمن لرسول
حتى يأتينا بقربان تاكله النار بان لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بهذه المعجزة الخاصة
التي كانت لانبياء بني اسرائيل وهو ان يقرب بقربان فيقوم النبي فيدعو
فتنزل نار سماوية فتاكله اي تحيله الى طبعها بالاحراق وهذا من مفترياتهم واباطيلهم
لان اكل النار القربان لم يوجب الايمان الا لكونه معجزة فهو وسائر المعجزات شرع
في ذلك قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات وبالذي قلتم فلم قتلتموهم ان كنتم
صادقين تكذيب والزام بانه رسل جاؤهم قبله كزكريا ويحيى بمعجزات اخر موجبة
للتصديق وبما اقترحوه وقتلوهم فلو كان الموجب للتصديق هو الاتيان به و
كان توقفهم وامتناعهم عن الايمان لاجله فما لهم لم يؤمنوا بمن جاء به في معجزات
اخر واجترؤا على قتله فان كذبوك فقد كذب رسل من قبلك جاؤا بالبينات و
الزبر والكتاب المنير تسلية للرسول عم من تكذيب قومه واليهود والزبر جمع
زبور وهو الكتاب المقصور على الحكم من زبرت الشيء اذا حبسته والكتاب في
الاصل عرفا القرآن ما يتضمن الشرائع والاحكام ولذلك جاء الكتاب والحكمة
متعاطفين في عامة القرآن وقيل الزبر المواعظ والزواجر من زبرته اذا زجرته
وقرأ ابن عامر وبالزبر باعادة الجار للدلالة على انها مغايرة للبينات بالذات
كل نفس ذائقة الموت وعد ووعيد للمصدق والمكذب وقرئ ذائقةٌ الموتَ بالنصب
مع التنوين وعدمه كقوله ولا ذاكر الله الا قليلا وانما توفون اجوركم تعطون
جزاء اعمالكم خيرا كان او شرا تاما وافيا يوم القيمة يوم قيامكم عن القبور و
لفظ التوفية يشعر بانه قد يكون قبلها بعض الاجور ويؤيده قوله عم القبر روضة
من رياض الجنة او حفرة من حفر النيران فمن زحزح عن النار بعد عنها والزحزحة
في الاصل تكرير الزح وهو الجذب بعجلة وادخل الجنة فقد فاز بالنجاة ونيل
المراد والفوز الظفر بالبغية وعن النبي عم من احب ان يزحزح عن النار ويدخل
الجنة فلتدركه منيته وهو يؤمن بالله واليوم الاخر ويأتي الى الناس ما يحب
ان يؤتى اليه وما الحيوة الدنيا اي لذاتها وزخارفها الا متاع الغرور شبهها
بالمتاع الذي يدلس به على المستام ويغر حتى يشتريه وهذا لمن اثرها على الاخرة
فاما من طلب بها الاخرة فهي له متاع بلاغ والغرور مصدر او جمع غار لتبلون

اي والله لتختبرن بتكليف الانفاق وما يصيبه من الافات وانفسكم بالجهاد والقتل
والاسر والجراح وما يرد عليها من المخاوف والامراض والمتاعب ولتسمعن من الذين
اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا من هجاء الرسول والطعن
في الدين واغراء الكفرة على المسلمين اخبرهم بذلك قبل وقوعها ليوطنوا انفسهم على
الصبر والاحتمال ويستعدوا للقائها حتى لا يرهقهم نزولها وان تصبروا على ذلك
وتتقوا مخالفة امر الله فان ذلك يعني الصبر والتقوى من عزم الامور من معزومات
الامور التي يجب العزم عليها او مما عزم الله عليه امر به وبالغ فيه والعزم في الاصل
ثبات الرأي على الشيء نحو امضائه واذ اخذ الله اي اذكر وقت اخذه ميثاق الذين
اوتوا الكتاب يريد به العلماء لتبيننه للناس ولا تكتمونه حكاية لمخاطبتهم وقرأ
ابن كثير وابو عمرو وعاصم في رواية ابن عياش بالياء لانهم غيب واللام جواب
القسم الذي ناب عنه قوله اخذ الله ميثاق الذين والضمير للكتاب فنبذوه اي الميثاق
وراء ظهورهم فلم يراعوه ولم يلتفتوا اليه والنبذ وراء الظهر مثل في ترك الاعتداد
وعدم الالتفات ونقيضه جعله نصب عينيه والقاه بين عينيه واشتروا به
واخذوا بدله ثمنا قليلا من حطام الدنيا واغراضها فبئس ما يشترون يختارون
لانفسهم وعن النبي عم من كتم علما عن اهله الجم بلجام من نار وعن علي رض ما اخذ
الله على اهل الجهل ان يتعلموا حتى اخذ على اهل العلم ان يعلموا لا تحسبن الذين
يفرحون بما اتوا ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب
الخطاب للرسول ومن ضم الباء جعل الخطاب له وللمؤمنين والمفعول الاول الذين
يفرحون والثاني بمفازة وقوله فلا تحسبنهم تاكيد والمعنى لا تحسبن الذين
يفرحون بما فعلوا من التدليس وكتمان الحق ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا من الوفاء
بالميثاق واظهار الحق والاخبار بالصدق بمفازة بمنجاة من العذاب اي فائزين
بالنجاة منه وقرأ ابن كثير وابو عمرو بالياء وفتح الباء في الاول وضمها في الثاني
على ان الذين فاعل ومفعولا يحسبن محذوف يدل عليهما مفعولا مؤكده وكانه
قيل ولا تحسبن الذين يفرحون بما اتوا فلا يحسبن انفسهم بمفازة او المفعول الاول
محذوف وقوله فلا يحسبنهم تاكيد للفعل وفاعله ومفعوله الاول ولهم عذاب
اليم بكفرهم وتدليسهم روي انه عم سال اليهود عن شيء مما في التورية فاخبروه
بخلاف ما كان فيه واروه انهم قد صدقوه وفرحوا بما فعلوا فنزلت في قوم تخلفوا
عن الغزو ثم اعتذروا بانهم راوا المصلحة في التخلف واستحمدوا به وقيل نزلت
في المنافقين فانهم يفرحون بمنافقتهم ويستحمدون الى المسلمين بالايمان الذي

يفعلوا على الحقيقة ولله ملك السموات والارض فهو يملك امرهم والله على
كل شيء قدير فيقدر على عقابهم وقيل هو رد لقولهم ان الله فقير ان في خلق السموات
والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولي الالباب لدلائل واضحة على وجود
الصانع ووحدته وكمال علمه وقدرته لذوي العقول المجلوة الخالصة عن
شوائب الحس والوهم كما سبق في سورة البقرة ولعل الاقتصار على هذه الثلثة
في هذه الآية لان مناط الاستدلال هو التغير وهذه متعرضة لجملة انواعه فانه
اما ان يكون في ذات الشيء كتغير الليل والنهار او جزوه كتغير العناصر بتبدل
صورها او الخارج عنه كتغير الافلاك بتبدل اوضاعها وعن النبي عم ويل لمن
قرأها ولم يتفكر فيها الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم اي يذكرونه
دائما على الحالات كلها قائمين وقاعدين ومضطجعين وعنه عم من احب ان يرتع
في رياض الجنة فليكثر ذكر الله وقيل معناه يصلون على الهيئات الثلث حسب
طاقتهم لقوله عم لعمران بن حصين صل قائما فان لم تستطع فقاعدا فان لم تستطع
فعلى جنب توميء ايماء فهو حجة للشافعي رض في ان المريض يصلي مضطجعا على جنبه
الايمن مستقبلا بمقاديم بدنه ويتفكرون في خلق السموات والارض استدلالا
واعتبارا وهو افضل العبادات كما قال عم لا عبادة كالتفكر لانه المخصوص بالقلب
والمقصود من الخلق وعنه عم بينما رجل مستلق على فراشه اذ رفع راسه
فنظر الى السماء والنجوم فقال اشهد ان لك ربا وخالقا اللهم اغفر لي فنظر الله اليه
فغفر له وهذا دليل واضح على شرف علم الاصول وفضل اهله ربنا ما خلقت هذا
باطلا على ارادة القول اي يتفكرون قائلين ذلك وهذا اشارة الى المتفكر فيه
او الخلق على انه اريد به المخلوق من السموات والارض او اليهما لانهما في معنى
المخلوق والمعنى ما خلقته عبثا ضايعا من غير حكمة بل خلقته لحكمة عظيمة من
جملتها ان يكون مبدأ لوجود الانسان وسببا لمعاشه ودليلا يدله على معرفتك
ويحثه على طاعتك لينال الحيوة الابدية والسعادة السرمدية في جوارك
سبحانك تنزيها لك من العبث وخلق الباطل وهو اعتراض فقنا عذاب النار للاخلال
بالنظر فيه والقيام بما يقتضيه وفائدة الفاء هي الدلالة على ان علمهم بما
لاجله خلقت السموات والارض حملهم على الاستعاذة ربنا انك من تدخل النار
فقد اخزيته فقد اخزيته غاية الاخزاء ونظيره قولهم من ادرك مرعى الصمان
فقد ادرك والمراد به تهويل المستعاذ منه تنبيها على شدة خوفهم وطلب
الوقاية منه وفيه اشعار بان العذاب الروحاني افظع وما للظالمين من انصار

اراد بهم المدخلين ووضع المظهر موضع المضمر للدلالة على ان ظلمهم لسبب لادخالهم
النار وانقطاع النصرة عنهم في الخلاص منها ولا يلزم من نفي النصرة نفي الشفاعة
لان النصرة دفع بقهر ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي للايمان اوقع الفعل
على المسمع وحذف المسموع لدلالة وصفه عليه وفيه مبالغة ليست في ايقاع
على نفس المسموع وفي تنكير المنادي واطلاقه ثم تقييده تعظيم لشانه و
المراد به الرسول وقيل القرآن والنداء والدعاء ونحوهما يعدى بالى واللام
لتضمنهما معنى الانتهاء والاختصاص ان آمنوا بربكم فآمنا اي بان آمنوا
فامتثلنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا كبائرنا فانها ذات تبعة وكفر عنا سيئاتنا
صغائرنا فانها مستقبحة ولكن مكفرة عن مجتنب الكبائر وتوفنا مع الابرار
مخصوصين بصحبتهم معدودين في زمرتهم وفيه تنبيه على انهم محبون لقاء الله
ومن احب لقاء الله احب الله لقاءه والابرار جمع بر او بار كارباب واصحاب ربنا
وآتنا ما وعدتنا على رسلك اي ما وعدتنا على تصديق رسلك من الثواب لما
اظهر امتثاله لما امر به سأل ما وعد عليه لا خوفا من اخلاف الوعد بل مخافة
ان لا يكون من الموعودين لسوء عاقبته او قصور في الامتثال وتعبدا او
استكانة ويجوز ان يتعلق على بمحذوف تقديره ما وعدتنا منزلا على رسلك
او محمولا عليهم وقيل على السنة رسلك ولا تخزنا يوم القيمة بان تعصمنا عما
يقتضيه انك لا تخلف الميعاد باثابة المؤمن واجابة الداعي وعن ابن عباس الميعاد
البعث بعد الموت وتكرير ربنا للمبالغة في الابتهال والدلالة على استقلال
المطالب وعلو شانها وفي الآثار من حزبه امر فقال خمس مرات ربنا انجاه الله مما
يخاف فاستجاب لهم ربهم الى طلبتهم وهو اخص من اجاب ويعدى بنفسه وباللام
اني لا اضيع عمل عامل منكم اي باني لا اضيع وقرئ بالكسر على ارادة القول من
ذكر او انثى بيان عامل بعضكم من بعض لان الذكر من الانثى والانثى من الذكر او
لانهما من اصل واحد او لفرط الاتصال والاتحاد او الاجتماع والاتفاق في الدين
وهي جملة معترضة بين بها شركة النساء مع الرجال فيما وعد للعمال روي ان
ام سلمة قالت يا رسول الله اني اسمع الله يذكر الرجال في الهجرة ولا يذكر النساء
فالذين هاجروا الى اخره تفصيل لاعمال العمال وما اعد لهم من الثواب على سبيل
المدح والتعظيم والمعنى فالذين هاجروا الشرك او الاوطان والعشائر للدين و
اخرجوا من ديارهم واوذوا في سبيلي بسبب ايمانهم بالله ومن اجله وقاتلوا الكفار
وقتلوا في الجهاد وقرأ حمزة والكسائي بالعكس لان الواو لا يوجب ترتيبا و

الثاني افضل او لان المراد لما قتل منهم قوم قاتل الباقون فلم يضعفوا وشدد ابن
كثير وابن عامر قتلوا للتكثير لاكفرن عنهم سيئاتهم لامحونها ولادخلنهم جنات
تجري من تحتها الانهار ثوابا من عند الله اي اثيبهم بذلك اثابة من عند الله تفضلا
منه فهو مصدر مؤكد والله عنده حسن الثواب على الطاعات قادر عليه لا يغرنك
تقلب الذين كفروا في البلاد الخطاب للنبي عم والمراد امته او تثبيته على ما كان
عليه كقوله فلا تطع المكذبين او لكل احد والنهي في المعنى للمخاطب وانما جعل للتقلب
تنزيلا للسبب منزلة المسبب للمبالغة والمعنى لا تنظر الى ما الكفرة عليه من السعة
والحظ ولا تغتر بظاهر ما ترى من تبسطهم في مكاسبهم ومتاجرهم ومزارعهم
روي ان بعض المؤمنين كانوا يرون المشركين في رخاء ولين عيش فيقولون ان اعداء
الله فيما نرى من الخير وقد هلكنا من الجوع والجهد فنزلت متاع قليل خبر مبتدا
محذوف اي ذلك التقلب متاع قليل لقصر مدته في جنب ما اعد الله للمؤمنين
قال عم ما الدنيا في الاخرة الا مثل ما يجعل احدكم اصبعه في اليم فلينظر بم يرجع
ثم ماواهم جهنم وبئس المهاد اي ما مهدوا لانفسهم لكن الذين اتقوا ربهم لهم
جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها نزلا من عند الله النزل والنزل ما يعد
للنازل من طعام وشراب وصلة قال ابو الشعر الضبي وكنا اذا الجبار بالجيش
ضافنا جعلنا القنا والمرهفات له نزلا وانتصابه على الحال من جنات والعامل
فيها الظرف وقيل انه مصدر مؤكد والتقدير انزلوها نزلا وما عند الله لكثرته
ودوامه خير للابرار مما يتقلب فيه الفجار لقلته وسرعة زواله وان من
اهل الكتاب لمن يؤمن بالله نزلت في عبد الله بن سلام واصحابه وقيل في اربعين
من نجران واثنين وثلثين من الحبشة وثمانية من الروم كانوا نصارى فاسلموا
وقيل في اصحمة النجاشي لما نعاه جبرئيل الى رسول الله عم فخرج فصلى عليه فقال
المنافقون انظروا الى هذا يصلي على علج نصراني لم يره قط وانما دخلت اللام على
الاسم للفصل بينه وبين ان بالظرف وما انزل اليكم من القران وما انزل اليهم
من الكتابين خاشعين لله حال من فاعل يؤمن وجمعه باعتبار المعنى لا يشترون بايات
الله ثمنا قليلا كما يفعله المحرفون من احبارهم اولئك لهم اجرهم عند ربهم ما خص
بهم من الاجر ووعدوه في قوله تعالى اولئك يؤتون اجرهم مرتين ان الله سريع الحساب
لعلمه بالاعمال وما يستوجبه من الجزاء واستغنائه عن التامل والاحتياط و
المراد ان الاجر الموعود سريع الوصول فان سرعة الحساب تستدعي سرعة
الجزاء يا ايها الذين امنوا اصبروا على مشاق الطاعات وما يصيبكم من الشدايد

وصابروا وغالبوا اعداء الله في الصبر على شدائد الحرب واعدى عدوكم في الصبر على
مخالفة الهوى وتخصيصه بعد الامر بالصبر مطلقا لشدته ورابطوا ابدانكم وخيولكم
في الثغور مترصدين للغزو وانفسكم على الطاعة كما قال عم من الرباط انتظار الصلوة
وعنه من رابط يوما وليلة في سبيل الله كان كعدل صيام شهر رمضان وقيامه
لا يفطر ولا ينفتل عن صلوته الا لحاجة واتقوا الله لعلكم تفلحون فاتقوا بالتبري
عما سواه لكي تفلحوا غاية الفلاح او اتقوا القبائح لعلكم تفلحون بنيل المقامات الثلث
المرتبة التي هي الصبر على مضض الطاعات ومصابرة النفس في رفض العادات ومرابطة
السر على جناب الحق لترصد الواردات المعبر عنها بالشريعة والطريقة والحقيقة
وعن النبي عم من قرا سورة ال عمران اعطي بكل اية منها امانا على جسر جهنم وعنه عم
من قرا السورة التي يذكر فيها ال عمران يوم الجمعة صلى الله عليه وملائكته حتى تجب الشمس

[illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الناس خطاب يعم بني ادم اتقوا ربكم الذي
خلقكم من نفس واحدة هي ادم وخلق منها زوجها عطف على خلقكم اي خلقكم من شخص
واحد وخلق منه امكم حواء من ضلع من اضلاعه او محذوف تقديره من نفس واحدة
خلقها وخلق منها زوجها وهو تقرير لخلقهم من نفس واحدة وبث منهما رجالا كثيرا و
نساء واتقوا الله بيان لكيفية تولدهم منهما والمعنى ونشر من تلك النفس والزوج
المخلوقة منها بنين وبنات كثيرة واكتفى بوصف الرجال بالكثرة عن وصف النساء
بها اذ الحكمة تقتضي ان يكون الرجال اكثر وذكر كثيرا حملا على الجمع وترتيب الامر بالتقوى
على هذه القصة لما فيها من الدلالة على القدرة القاهرة التي من حقها ان تخشى والنعمة
الباهرة التي توجب طاعة موليها او لان المراد به تمهيد الامر بالتقوى فيما يتصل
بحقوق منزله وبني جنسه على ما دلت عليه الايات التي بعدها وقرئ وخالق وباث
على حذف مبتدا تقديره وهو خالق وباث الذي تساءلون به اي يسال بعضكم بعضا
فيقول اسالك بالله واصله تتساءلون فادغمت التاء الثانية في السين وقرا عاصم
وحمزة والكسائي بطرحها والارحام بالنصب عطفا على محل الجار والمجرور كقولك مررت
بزيد وعمرا او على الله اي اتقوا الله واتقوا الارحام فصلوها ولا تقطعوها وقرا
حمزة بالجر عطفا على الضمير المجرور وهو ضعيف لانه كبعض الكلمة وقرئ بالرفع على
انه مبتدا محذوف الخبر تقديره والارحام كذلك اي مما يتقى او يتساءل به وقد نبه
سبحانه اذ قرن الارحام باسمه على ان صلتها بمكان منه وعنه عم الرحم معلقة

بالعرش تقول من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله ان الله كان عليكم
رقيبا حافظا مطلعا وآتوا اليتامى اموالهم اي اذا بلغوا واليتامى جمع يتيم وهو
الذي مات ابوه من اليتم وهو الانفراد ومنه الدرة اليتيمة اما على انه لما جرى
مجرى الاسماء كفارس وصاحب جمع على يتائم ثم قلب فقيل يتامى او على انه جمع على
يتمى كاسرى لانه من باب الآفات ثم جمع يتمى على يتامى كاسرى واسارى والاشتقاق
يقتضي وقوعه على الصغار والكبار لكن العرف خصصه بمن لم يبلغ وورده في
الآية اما للبلغ على الاصل او الاتساع لقرب عهدهم بالصغر حثا على ان يدفع اليهم
اموالهم اول بلوغهم قبل ان يزول عنهم هذا الاسم ان اونس منهم الرشد ولذلك امر
بابتلائهم صغارا او لغير البلغ والحكم مقيد فكانه قال وآتوهم اذا بلغوا ورد
بان نزلت لما روي ان رجلا من غطفان كان معه مال كثير لابن اخ له يتيم فلما بلغ طلب
المال منه فمنعه فنزلت فلما سمعها العم قال اطعنا الله ورسوله نعوذ بالله من
الحوب الكبير ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تستبدلوا الحرام من اموالهم بالحلال
من اموالكم او الامر الخبيث وهو اختزال اموالهم بالامر الطيب الذي هو حفظها وقيل
ولا تأخذوا الرفيع من اموالهم وتعطوا الخسيس مكانها وهذا تبديل وليس بتبدل
ولا تأكلوا اموالهم الى اموالكم ولا تأكلوها مضمومة الى اموالكم اي لا تنفقوهما
معا ولا تسووا بينهما وهذا حلال وذاك حرام وهو فيما زاد على قدر اجره لقوله
فليأكل بالمعروف انه الضمير للاكل كان حوبا كبيرا ذنبا عظيما وقرئ حوبا وهو
مصدر حاب حوبا وحابا كقال قولا وقالا وان خفتم الا تقسطوا في اليتامى فانكحوا
ما طاب لكم من النساء اي ان خفتم ان لا تعدلوا في يتامى النساء اذا تزوجتم بهن
فتزوجوا ما طاب من غيرهن اذ كان الرجل يجد يتيمة ذات مال وجمال فيتزوجها
ضنا بها فربما يجتمع عنده منهن عدد ولا يقدر على القيام بحقوقهن او ان خفتم
ان لا تعدلوا في حقوق اليتامى فتحرجتم منها فخافوا ايضا ان لا تعدلوا بين النساء
وانكحوا مقدارا يمكنكم الوفاء بحقه لان المتحرج من الذنب ينبغي ان يتحرج من الذنوب
كلها على ما روي انه تعالى لما عظم امر اليتامى تحرجوا من ولايتهم وما كانوا يتحرجون
من تكثير النساء واضاعتهن فنزلت وقيل كانوا يتحرجون من ولاية اليتامى ولا
يتحرجون من الزنا فقيل لهم ان خفتم ان لا تعدلوا في امر اليتامى فخافوا الزنا فانكحوا
ما حل لكم وانما عبر عنهن بما ذهابا الى الصفة واجراء لهن مجرى غير العقلاء
لنقصان عقلهن ونظيره او ما ملكت ايمانهم وقرئ تقسطوا بفتح التاء على
ان لا مزيدة اي ان خفتم ان تجوروا مثنى وثلاث ورباع غير منصرفة للعدل والصفة

فانها بنيت صفات وان كانت اصولها لم تبن لها وقيل لتكرير العدل فانها معدولة
باعتبار الصيغة والتكرير منصوبة على الحال من فاعل طاب ومعناها الاذن
لكل ناكح يريد الجمع ان ينكح ما شاء من العدد المذكور متفقين فيه ومختلفين كقولك
اقتسموا هذه البدرة درهمين درهمين وثلثة ثلثة ولو افردت كان المعنى تجويز
الجمع بين هذه الاعداد دون التوزيع ولو ذكرت باو لذهب تجويز الاختلاف في
العدد فان خفتم ان لا تعدلوا بين هذه الاعداد ايضا فواحدة فاختاروا او فانكحوا
واحدة وذروا الجمع وقرئ بالرفع على انه فاعل محذوف او خبره تقديره فيكفيكم
واحدة او فالمقنع واحدة او ما ملكت ايمانكم سوى بين الواحدة من الازواج والعدد
من السراري لخفة مؤنتهن وعدم وجوب القسم بينهن ذلك اي التقليل منهن او اختيار
الواحدة او التسري ادنى الا تعولوا اقرب من ان لا تميلوا يقال عال الميزان اذا مال
وعال الحاكم اذا جار وعول الفريضة الميل عن حد السهام المسماة وفسر بان لا يكثر
عيالكم على انه من عال الرجل عياله يعولهم اذا مانهم فعبر عن كثرة العيال بكثرة
المؤن على الكناية ويؤيده قراءة ان لا تعيلوا من اعال الرجل اذا كثر عياله ولعل
المراد بالعيال الازواج وان اريد الاولاد فلان التسري مظنة قلة الولد
بالاضافة الى التزوج لجواز العزل فيه كتزوج الواحدة بالاضافة الى تزوج
الاربع وآتوا النساء صدقاتهن مهورهن وقرئ بفتح الصاد وسكون الدال
على التخفيف وبضم الصاد وسكون الدال جمع صدقة وبضمهما على التوحيد و
هو تثقيل صدقة كظلمة في ظلمة نحلة عطية يقال نحله كذا نحلة ونحلا اذا اعطاه
اياه عن طيب نفس بلا توقع عوض ومن فسرها بالفريضة ونحوها نظر الى مفهوم
الآية لا الى موضوع اللفظ ونصبها على المصدر لانها في معنى الايتاء او الحال
من الواو او الصدقات اي آتوهن صدقاتهن ناحلين او منحولة وقيل المعنى نحلة
من الله وتفضلا منه عليهن فيكون حالا من الصدقات وقيل ديانة من قولهم
انتحل فلان كذا اذا دان به على انه مفعول له او حال من الصدقات اي دينا من
الله شرعه والخطاب للازواج وقيل للاولياء لانهم كانوا ياخذون مهور موالياتهم
فان طبن لكم عن شيء منه نفسا الضمير للصدقات حملا على المعنى او يجري مجرى اسم
الاشارة كقول رؤبة في قوله كانه في الجلد توليع البهق اي كان ذلك وقيل
للايتاء ونفسا تمييز لبيان الجنس ولذلك وحد والمعنى فان وهبن لكم من الصداق
عن طيب نفس لكن جعل العمدة طيب النفس للمبالغة وعداه بعن لتضمين معنى التجافي و
التجاوز وقال منه بعثا لهن على التقليل الموهوب فكلوه هنيئا مريئا فخذوه و

وانفقوا احلالا بلا تبعة والهنيء والمريء صفتان من هنؤ الطعام ومرؤ اذا ساغ
من غير غصص اقيمتا مقام مصدريهما او وصف بهما المصدر او جعلتا حالا من الضمير
وقيل الهنيء ما يلذه الانسان والمريء ما يحمد عاقبته وروي ان ناسا كانوا يتأثمون
ان يقبل احدهم من زوجته شيئا مما ساق اليها فنزلت ولا تؤتوا السفهاء اموالكم
نهي للاولياء عن ان يؤتوا الذين لا رشد لهم اموالهم فيضيعوها وانما اضاف المال
الى الاولياء لانها في تصرفهم وتحت ولايتهم وهو الملائم للآيات المتقدمة والمتأخرة
وقيل نهي لكل احد ان يعمد الى ما خوله الله من المال فيعطي امرأته واولاده ثم ينظر
الى ايديهم وانما سماهم سفهاء استخفافا بعقلهم واستهجانا لجعلهم قواما
على انفسهم وهو اوفق لقوله التي جعل الله لكم قياما اي تقومون بها وتنتعشون
وعلى الاول يؤول بانها التي من جنس ما جعل الله لكم قياما يسمى ما به القيام قياما
للمبالغة وقرئ قيما بمعناه كعوذ بمعنى عياذ وقواما وهو ما يقام به وارزقوهم
فيها واكسوهم واجعلوها مكانا لرزقهم وكسوتهم بان تتجروا فيها وتحصلوا من
نفعها ما يحتاجون اليه وقولوا لهم قولا معروفا عدة جميلة يطيب بها نفوسهم و
المعروف ما عرفه الشرع او العقل بالحسن والمنكر ما انكره احدهما لقبحه وابتلوا
اليتامى اختبروهم قبل البلوغ بتتبع احوالهم في صلاح الدين والتهدي الى ضبط
المال وحسن التصرف بان يكل اليه مقدمات العقد وعند ابي حنيفة رحمه الله بان
يدفع اليه ما يتصرف فيه حتى اذا بلغوا النكاح حتى اذا بلغوا حد البلوغ بان
يحتلم او يستكمل خمس عشرة سنة عندنا لقوله عم اذا استكمل المولود خمسة
عشرة سنة كتب ما له وما عليه واقيمت عليه الحدود وثمانية عشرة سنة عند ابي
حنيفة وبلوغ النكاح كناية عن البلوغ لانه يصلح للنكاح عنده فان آنستم منهم
رشدا فان ابصرتم منهم رشدا وقرئ احستم بمعنى احسستم فادفعوا اليهم
اموالهم من غير تاخير عن حد البلوغ ونظم الآية ان الشرطية جواب اذا المتضمنة معنى
الشرط والجملة غاية للابتلاء فكأنه قيل وابتلوا اليتامى الى وقت بلوغهم واستحقاقهم
دفع اموالهم بشرط ايناس الرشد منهم وهو دليل على انه لا يدفع اليهم ما لم يونس
منهم الرشد وقال ابو حنيفة رح اذا زادت على سن البلوغ سبع سنين وهي مدة
معتبرة في تغير الاحوال اذ الطفل يميز بعدها ويؤمر بالعبادة دفع اليه المال
وان لم يونس منه الرشد ولا تأكلوها اسرافا وبدارا ان يكبروا مسرفين ومبادرين
كبرهم او لاسرافكم ومبادرتكم كبرهم ومن كان غنيا فليستعفف من اكلها ومن كان
فقيرا فليأكل بالمعروف بقدر حاجته واجرة سعيه ولفظ الاستعفاف والاكل

بالمعروف مشعر بان الولي له حق في مال الصبي وعنه عم ان رجلا قال له ان في حجري
يتيما افآكل من ماله قال بالمعروف غير متأثل مالا ولا واق مالك بماله وايراد
هذا التقسيم بعد قوله ولا تأكلوها يدل على انه نهي للاولياء ان يأخذوا و
ينفقوا على انفسهم اموال اليتامى فاذا دفعتم اليهم اموالهم فاشهدوا عليهم بانهم
قبضوها فانه انفى للتهمة وابعد من الخصومة ووجوب الضمان وظاهره يدل على
ان القيم لا يصدق في دعواه الا بالبينة وهو المختار عندنا وهو مذهب مالك
خلافا لابي حنيفة رح وكفى بالله حسيبا محاسبا فلا تخالفوا ما امرتم ولا تجاوزوا
ما حد لكم للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان
والاقربون يريد بهم المتوارثين بالقرابة مما قل منه او كثر بدل مما ترك باعادة العامل
نصيبا مفروضا نصب على انه مصدر مؤكد كقوله فريضة من الله او حال اذ
المعنى ثبت لهم مفروضا نصيبا او على الاختصاص بمعنى اعني نصيبا مقطوعا واجبا
لهم وفيه دليل على ان الوارث لو اعرض عن نصيبه لم يسقط حقه روي ان اوس
بن الصامت الانصاري خلف زوجته ام كجة وثلاث بنات فزوى ابنا عمه سويد
وعرفطة او قتادة وعرفجة ميراثه عنهن على سنة الجاهلية فانهم كانوا لا يورثون
النساء والاطفال ويقولون انما يرث من يحارب ويذب عن الحوزة فجاءت ام كجة
الى رسول الله عم في مسجد الفضيخ فشكت اليه فقال ارجعي حتى انظر ما يحدث الله
فنزلت فبعث اليهما لا تفرقا من مال اوس شيئا فان الله قد جعل لهن نصيبا ولم يبين
حتى يبين فنزلت يوصيكم الله فاعطى ام كجة الثمن والبنات الثلثين والباقي ابني
العم وهو دليل على جواز تأخير البيان عن الخطاب واذا حضر القسمة اولوا
القربى ممن لا يرث واليتامى والمساكين فارزقوهم منه فاعطوهم شيئا من المقسوم تطييبا
لقلوبهم وتصدقا عليهم وهو امر ندب للبلغ من الورثة وقيل امر وجوب ثم اختلف
في نسخه والضمير لما ترك وما دل عليه القسمة وقولوا لهم قولا معروفا وهو ان
يدعوا لهم ويستقلوا ما اعطوهم ولا يمنوا عليهم وليخش الذين لو تركوا من خلفهم
ذرية ضعافا خافوا عليهم امر للاوصياء بان يخشوا الله ويتقوه في امر اليتامى
فيفعلوا بهم ما يحبون ان يفعل بذراريهم الضعاف بعد وفاتهم او للحاضرين
المريض عند الايصاء بان يخشوا ربهم او يخشوا على اولاد المريض ويشفقوا
عليهم شفقتهم على اولادهم فلا يتركوه ان يضر بهم بصرف المال عنهم او للورثة
بالشفقة على من حضر القسمة من ضعفاء الاقارب واليتامى والمساكين متصورين
انهم لو كانوا اولادهم بقوا خلفهم ضعافا مثلهم هل يجوزون حرمانهم او

للموصين بان ينظروا للورثة فلا يسرفوا في الوصية ولو بما في حيزه جعل صلة
للذين على معنى وليخش الذين حالهم وصفتهم انهم لو شارفوا ان يخلفوا ذرية
ضعافا خافوا عليهم الضياع وفي ترتيب الامر عليه اشارة الى المقصود منه
والعلة فيه وبعث على الترحم وان يحب لاولاد غيره ما يحب لاولاده وتهديد
للمخالف بحال الاولاد. فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا امرهم بالتقوى التي
هي غاية الخشية بعدما امرهم بها مراعاة للمبدا والمنتهى اذ لا ينفع الاول
دون الثاني ثم امرهم ان يقولوا لليتامى مثل ما يقولون لاولادهم بالشفقة و
حسن الادب او للمريض ما يصده عن الاسراف في الوصية وتضييع الورثة
ويذكره التوبة وكلمة الشهادة او لحاضري القسمة عذرا جميلا ووعدا
حسنا او ان يقولوا في الوصية ما لا يؤدي الى مجاوزة الثلث وتضييع الورثة
ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما ظالمين او على وجه الظلم انما ياكلون في
بطونهم ملء بطونهم نارا ما يجر الى النار ويؤل اليها وعن ابي بردة انه عم قال
يبعث الله قوما من قبورهم تتاجج افواههم نارا فقيل من هم فقال الم تر ان الله يقول
ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما انما ياكلون في بطونهم وسيصلون سعيرا
سيدخلون نارا اي نار وقرا ابن عامر وابن عياش عن عاصم بضم الياء مخففا
وقرئ به مشددا يقال صلي النار قاسى حرها وصليته شويته واصليته
وصليته القيته فيها والسعير فعيل بمعنى مفعول من سعرت النار اذا الهبتها
يوصيكم الله يامركم ويعهد اليكم في اولادكم في شان ميراثهم وهو اجمال تفصيله
للذكر مثل حظ الانثيين اي يعد كل ذكر بانثيين حيث اجتمع الصنفان فيضعف
نصيبه وتخصيص الذكر بالتنصيص على حظه لان القصد الى بيان فضله والتنبيه
على ان التضعيف كاف في التفضيل فلا يحرمن بالكلية وقد اشتركا في الجهة والمعنى
للذكر منهم فحذف للعلم به فان كن نساء اي ان كان الاولاد نساء خلصا ليس
معهن ذكر فانث الضمير باعتبار الخبر او على تاويل المولودات فوق اثنتين
خبر ثان او صفة لنساء اي نساء زائدات على اثنتين فلهن ثلثا ما ترك المتوفى
منكم يدل عليه المعنى وان كانت واحدة فلها النصف اي وان كانت المولودة واحدة
وقرا نافع بالرفع على كان التامة واختلف في الثنتين فقال ابن عباس حكمهما
حكم الواحدة لانه تعالى جعل الثلثين لما فوقهما وقال الباقون حكمهما حكم
ما فوقهما لانه تعالى لما بين ان حظ الذكر مثل حظ الانثيين اذا كان معه انثى وهو
الثلثان اقتضى ذلك ان فرضهما الثلثان ثم لما اوهم ذلك ان يزاد النصيب بزيادة

المزداد ذلك بقوله فان كن نساء فوق اثنتين ويؤيد ذلك ان البنت الواحدة
لما استحقت الثلث مع اخيها فبالحري ان تستحقه مع اخت مثلها وان البنتين امس
رحما من الاختين وقد فرض لهما الثلثين بقوله فلهما الثلثان مما ترك ولابويه ولابوي الميت لكل واحد
منهما بدل منه بتكرير العامل وفائدته التنصيص على استحقاق كل واحد منهما
السدس والتفصيل بعد الاجمال تاكيدا السدس مما ترك ان كان له ولد ذكر
او انثى غير ان الاب ياخذ السدس مع الانثى بالفرضية وما بقي منه وهي الفروض
ايضا بالعصوبة فان لم يكن له ولد وورثه ابواه فحسب فلامه الثلث مما ترك
وانما لم يذكر حصة الاب لانه لما فرض ان الوارث ابواه وعين نصيب الام علم ان
الباقي للاب وكانه قال فلهما ما ترك اثلاثا وعلى هذا ينبغي ان يكون لها حيث
يكون معهما احد الزوجين ثلث ما بقي من فرضه كما قال الجمهور لا ثلث المال كما قاله
ابن عباس فانه يفضي الى تفضيل الانثى على الذكر المساوي لها في الجهة والقرب
وهو خلاف وضع الشرع فان كان له اخوة فلامه السدس باطلاقه يدل على
ان الاخوة يردونها من الثلث الى السدس وان كانوا لا يرثون مع الاب وعن
ابن عباس انهم ياخذون السدس الذي حجبوا عنه الام والجمهور على ان المراد
بالاخوة عدد ممن له اخوة من غير اعتبار التثليث سواء كان من الاخوة او الاخوات
وقال ابن عباس لا تحجب الام من الثلث ما دون الثلاثة ولا الاخوات الخلص
اخذا بالظاهر وقرا حمزة والكسائي فلامه بكسر الهمزة اتباعا للكسرة
التي قبلها من بعد وصية يوصي بها او دين متعلق بما تقدمه من قسمة
المواريث كلها اي هذه الانصباء للورثة من بعد ما كان من وصية او دين و
انما قال باو التي للاباحة دون الواو للدلالة على انهما متساويان في الوجوب
متقدمان على القسمة مجموعين ومنفردين وقدم الوصية على الدين وهي متاخرة
في الحكم لانها مشبهة بالميراث شاقة على الورثة مندوب اليها الجميع والدين
انما يكون على الندور اباؤكم وابناؤكم لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا اي لا تعلمون
من انفع لكم ممن يرثكم من اصولكم وفروعكم في عاجلكم واجلكم فتحروا فيهم ما وصاكم
الله به ولا تعمدوا الى تفضيل بعض وحرمانه روي ان احد المتوالدين اذا كان
ارفع درجة من الاخر في الجنة سال ان يرفع اليه فيرفع بشفاعته او من
مورثكم منهم او من اوصى منهم فعرضكم للثواب بامضاء وصيته ام من لم
يوصي فوفر عليكم ماله فهو اعتراض مؤكد لامر القسمة او تنفيذ الوصية
فريضة من الله مصدر مؤكد او مصدر يوصيكم الله لانه في معنى يامركم ويفرض عليكم

ان الله كان عليما بالمصالح والرتب حكيما فيما قضى وقدر ولكم نصف ما ترك
ازواجكم ان لم يكن لهن ولد فان كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن اي ولد وارث
من بطنها او من صلب بنيها او بني بنيها وان سفل ذكرا كان او انثى منكم او من غيركم
من بعد وصية يوصين بها او دين ولهن الربع مما تركتم ان لم يكن لكم ولد
فان كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها او دين فرض للرجل
بحق الزواج ضعف ما للمراة كما في النسب وهكذا قياس كل رجل وامراة اشتركا
في الجهة والقرب ولا يستثنى منه الا اولاد الام والمعتق والمعتقة وتستوي
الواحدة والعدد منهن في الربع والثمن وان كان رجل اي الميت يورث اي
يورث منه من ورث صفة رجل كلالة خبر كان او يورث خبره وكلالة حال من
الضمير فيه وهو من لم يخلف ولدا ولا والدا او مفعول له والمراد بها قرابة
ليست من جهة الوالد والولد ويجوز ان يكون الرجل الوارث ويورث من اورث
وكلالة من ليس بوالد ولا ولد وقرئ يورث على البناء للفاعل فالرجل الميت
وكلالة يحتمل المعاني الثلاثة وعلى الاول خبر او حال وعلى الثاني مفعول له وعلى
الثالث مفعول به وهي في الاصل مصدر بمعنى الكلال قال الاعشى فآليت لا ارثي
لها من كلالة ولا من حفى حتى الاقي محمدا فاستعيرت للقرابة ليست بالبعضية لانها
كالة بالاضافة اليها ثم وصف بها المورث والوارث بمعنى ذي كلالة كقولك
فلان من قرابتي او امراة عطف على رجل وله اي وللرجل واكتفى بحكمه عن حكم المراة
لدلالة العطف على تشاركهما فيه اخ او اخت اي من الام ويدل عليه قراءة ابي
وسعد بن مالك وله اخ او اخت من الام وانه ذكر في اخر السورة ان للاختين
الثلثين وللاخوة الكل وهو لا يليق باولاد الام وان ما قدر ههنا فرض الام
فيناسب ان يكون لاولادها فلكل واحد منهما السدس فان كانوا اكثر من ذلك
فهم شركاء في الثلث سوى بين الذكر والانثى في القسمة لان الادلاء بمحض الانوثة
ومفهوم الاية انهم لا يرثون ذلك مع الام والجدة كما لا يرثون مع البنت وبنت
الابن فخص فيه بالاجماع من بعد وصية يوصى بها او دين غير مضار اي مضار
لورثته بالزيادة على الثلث او قصد المضارة بالوصية دون القربة والاقرار
بدين لا يلزمه وهو حال من فاعل يوصى المذكور في هذه القراءة والمدلول عليه
بقوله يوصى على البناء للمفعول في قراءة ابن كثير وابن عامر وابن عياش عن
عاصم وصية من الله مصدر مؤكد او منصوب بغير مضار على المفعول به
ويؤيده ان قرئ غير مضار وصية بالاضافة اي لا يضار وصية من الله

وهو الثلث فما دونه بالزيادة او وصية منه بالاولاد بالاسراف في الوصية
منه بالاولاد بالاسراف في الفضية والاقرار الكاذب والله عليم بالمضار وغيره
حليم لا يعاجل بعقوبته تلك اشارة الى الاحكام التي تقدمت في امر اليتامى والوصايا
والمواريث حدود الله شرائعه التي هي كالحدود المحدودة التي لا يجوز مجاوزتها
ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها
وذلك الفوز العظيم ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها
وله عذاب مهين توحيد الضمير في يدخله وجمع خالدين للفظ والمعنى وقرأ
نافع وابن عامر ندخله بالنون وخالدين حال مقدرة كقولك مررت برجل معه صقر
صائدا به غدا وكذلك خالدا وليسا صفتين لجنات ونارا والا لوجب ابراز الضمير
لانهما جريا على غير من هما له واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم اي يفعلنها يقال
اتى الفاحشة وجاءها وغشيها ورهقها اذا فعلها والفاحشة الزنا لزيادة
قبحها وشناعتها فاستشهدوا عليهن اربعة منكم فاطلبوا ممن قذفهن اربعة
من رجال المؤمنين تشهد عليهن فان شهدوا فامسكوهن في البيوت فاحبسوهن في
البيوت واجعلوها سجنا عليهن حتى يتوفاهن الموت يستوفي ارواحهن الموت او يتوفاهن
الموت قيل كان ذلك عقوبتهن في اوائل الاسلام فنسخ بالحد ويحتمل ان يكون المراد
به التوصية بامساكهن بعد ان يجلدن كيلا يجري عليهن ما جرى بسبب الخروج والتعرض
للرجال ولم يذكر الحد استغناء بقوله الزانية والزاني او يجعل الله لهن سبيلا كتعيين
الحد المخلص عن الحبس او النكاح المغني عن السفاح واللذان يأتيانها منكم يعني الزاني
والزانية وقرأ ابن كثير واللذانّ بتشديد النون وتمكين مد الالف والباقون بالتخفيف
من غير تمكين فآذوهما بالتوبيخ والتقريع وقيل بالتعيير والجلد فان تابا واصلحا
فاعرضوا عنهما فاقطعوا عنهما الايذاء او اعرضوا عنهما بالاغماض والستر ان الله
كان توابا رحيما علة الامر بالاعراض وترك المذمة وقيل هذه الاية سابقة على الاولى
نزولا وكان عقوبة الزناة الاذى ثم الحبس ثم الجلد وقيل الاولى في السحاقات وهذه
في اللواطين والزانية والزاني في الزناة انما التوبة على الله اي ان قبول التوبة كالمحتوم
على الله بمقتضى وعده من تاب عليه اذا قبل توبته للذين يعملون السوء بجهالة متلبسين
بها سفها فان ارتكاب الذنب سفه وتجاهل ولذلك قيل من عصى الله فهو جاهل حتى
ينزع عن جهالته ثم يتوبون من قريب من زمان قريب اي قبل حضور الموت لقوله تعالى
حتى اذا حضر احدهم الموت وقوله عليه السلام ان الله يقبل توبة عبده ما لم يغرغر وسماه
قريبا لان امد الحياة قريب كقوله قل متاع الدنيا قليل او قبل ان يشرب في قلوبهم

حينه فيطبع عليها فيتعذر عليهم الرجوع ومن للتبعيض اي يتوبون في اي جزء من
الزمان القريب الذي هو ما قبل ان ينزل بهم سلطان الموت او يزين السوء فاولئك
يتوب الله عليهم وعد بالوفاء بما وعد به وكتب على نفسه بقوله انما التوبة على
الله وكان الله عليما فهو يعلم باخلاصهم في التوبة حكيما والحكيم لا يعاقب
التائب وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال
اني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار سوى بين من سوف التوبة الى حضور الموت
من الفسقة والكفار وبين من مات على الكفر في نفي التوبة للمبالغة وعدم الاعتداد
بها في تلك الحالة وكانه قال وتوبة هؤلاء وعدم توبة هؤلاء سواء وقيل المراد
بالذين يعملون السوء عصاة المؤمنين وبالذين يعملون السيئات المنافقون لتضاعف كفرهم
وسوء اعمالهم وبالذين يموتون اولئك اعتدنا لهم عذابا اليما تاكيد لعدم قبول
توبتهم وبيان ان العذاب اعتده لهم لا يعجزه عذابهم متى شاء والاعتداد التهيئة
من العتاد وهو العدة وقيل اصله اعددنا فابدلت الدال الاولى تاء يا ايها الذين
آمنوا لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها كان الرجل اذا مات وله عصبة القى ثوبه
على امراته وقال انا احق بها ثم ان شاء تزوجها بصداقها الاول وان شاء زوجها
غيره واخذ صداقها وان شاء عضلها لتفتدي بما ورثت من زوجها فنهوا عن
ذلك وقيل لا يحل لكم ان تاخذوهن على سبيل الارث فتزوجوهن كارهات لذلك
او مكرهات عليه وقرا حمزة والكسائي كرها بالضم في مواضعه وهما لغتان
وقيل بالضم المشقة وبالفتح ما يكره عليه ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما
آتيتموهن عطف على ان ترثوا ولا لتاكيد النفي اي ولا تمنعوهن من التزويج واصل
العضل التضييق يقال عضلت الدجاجة ببيضها وقيل الخطاب مع الازواج
كانوا يحبسون النساء من غير حاجة ورغبة حتى يرثوا منهن او يختلعن بمهورهن
وقيل تم الكلام بقوله كرها ثم خاطب الازواج ونهاهم عن العضل الا ان ياتين
بفاحشة مبينة كالنشوز وسوء العشرة وعدم التعفف والاستثناء من اعم
عام الظرف او المفعول له تقديره لا تعضلوهن للافتداء الا وقت ان ياتين
بفاحشة او لا تعضلوهن لعلة الا ان ياتين بفاحشة وعاشروهن بالمعروف
بالانصاف في الفعل والاجمال في القول فان كرهتموهن فعسى ان تكرهوا شيئا و
يجعل الله فيه خيرا كثيرا اي فلا تفارقوهن لكراهة النفس فانها قد تكره ما هو
اصلح دينا واكثر خيرا وقد تحب ما هو بخلافه وليكن نظركم الى ما هو اصلح للدين
وادنى الى الخير وعسى في الاصل علة الجزاء فاقيم مقامه والمعنى فان كرهتموهن

فاصبروا عليهن فعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وان اردتم استبدال زوج مكان
زوج تطليق امراة وتزوج اخرى وآتيتم احداهن احدى الزوجات جمع الضمير لانه
اراد بالزوج الجنس قنطارا مالا كثيرا فلا تاخذوا منه شيئا اي من القنطار اتاخذونه
بهتانا واثما مبينا استفهام وتوبيخ اي اتاخذونه باهتين وآثمين ويحتمل النصب
على العلة كما في قولك قعدت عن الحرب جبنا لان الاخذ بسبب بهتانهم واقترافهم الاثم
قيل كان الرجل منهم اذا اراد امراة جديدة بهت التي تحته بفاحشة حتى يلجئها
الى الافتداء منه بما اعطاها ليصرفه الى تزوج الجديدة فنهوا عن ذلك والبهتان
الكذب الذي يبهت المكذوب عليه وقد يستعمل في الفعل الباطل ولذلك فسر هاهنا
بالظلم وكيف تاخذونه وقد افضى بعضكم الى بعض انكار لاسترداد المهر والحال انه
وصل اليها بالملامسة ودخل بها وتقرر المهر واخذن منكم ميثاقا غليظا عهدا
وثيقا وهو حق الصحبة والممازجة او ما اوثق الله عليهم في شانهن بقوله
فامساك بمعروف او تسريح باحسان او ما اشار اليه النبي عم بقوله اخذتموهن
بامانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم ولا تنكحوا التي نكحها
آباؤكم وانما ذكر ما دون من لانه اريد به الصفة وقيل ما مصدرية على ارادة
المفعول من المصدر من النساء بيان ما نكح على الوجهين الا ما قد سلف استثناء
من المعنى اللازم للنهي وكانه قيل وتستحقون العقاب بنكاح ما نكح آباؤكم الا ما قد
سلف او من اللفظ للمبالغة في التحريم والتعميم كقوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن
فلول من قراع الكتائب والمعنى ولا تنكحوا حلائل آبائكم الا ما قد سلف ان امكنكم ان
تنكحوه وقيل الاستثناء منقطع ومعناه لكن ما قد سلف فانه لا مؤاخذة عليه
لا انه مقرر انه كان فاحشة ومقتا علة للنهي اي ان نكاحهن كان فاحشة عند الله
ما رخص فيه لامة من الامم ممقوتا عند ذوي المروات ولذلك سمي ولد الرجل من
زوجة ابيه المقتي وساء سبيلا سبيل من يراه ويفعله حرمت عليكم امهاتكم
وبناتكم واخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الاخ وبنات الاخت ليس المراد تحريم
ذواتهن بل تحريم نكاحهن لانه معظم ما يقصد منهن ولانه المتبادر الى الفهم كتحريم
الاكل من قوله حرمت عليكم الميتة ولان ما قبله وما بعده في النكاح وامهاتكم
تعم من ولدتك او ولدت من ولدك وان علت وبناتكم يتناول من ولدتها او
من ولد ولدها وان سفلت واخواتكم الاخوات من الاوجه الثلاثة وكذا الباقيات
والعمة كل انثى ولدها من ولد ذكرا ولدك والخالة كل انثى ولدها من ولد انثى
ولدتك قريبا او بعيدا وبنات الاخ وبنات الاخت تتناول القربى والبعدى

وامهاتكم اللاتي ارضعنكم واخواتكم من الرضاعة نزل الله الرضاعة منزلة النسب
حتى سمى المرضعة اما والمراضعة اختا وامرها على قياس النسب باعتبار المرضعة
ووالد الطفل الذي در عليه اللبن قال عم يحرم من الرضاعة ما يحرم من النسب
واستثناء اخت ابن الرجل وام اخيه من الرضاعة من هذا الاصل ليس بصحيح فان
حرمتهما في النسب بالمصاهرة دون النسب وامهات نسائكم وربائبكم اللاتي في حجوركم
من نسائكم اللاتي دخلتم بهن ذكر اولا محرمات النسب والرضاعة لانها لحمة كلحمة
النسب ثم محرمات المصاهرة فان تحريمهن عارض لمصلحة الزواج والربائب جمع ربيبة
والربيب ولد المرأة من آخر سمي به لانه يربه كما يرب ولده في غالب الامر فعيل بمعنى
مفعول وانما لحقه التاء لانه صار اسما ومن نسائكم متعلق بربائبكم واللاتي
بصلتها صفة لها مقيدة للفظ والحكم بالاجماع قضية للنظم ولا يجوز تعليقها
بالامهات ايضا لان من اذا علقتها بالربائب كانت ابتدائية وان علقتها بالامهات
لم يجز ذلك بل وجب ان يكون بيانا لنسائكم والكلمة الواحدة لا تحمل على معنيين
عند جمهور الادباء اللهم الا اذا جعلتها للاتصال كقوله فاني لست منك ولست
مني على معنى ان امهات النساء وبناتهن متصلات بهن لكن الرسول عم فرق بينهما
فقال في الرجل تزوج امرأة وطلقها قبل ان يدخل بها انه لا بأس ان يتزوج ابنتها
ولا يحل له ان يتزوج امها واليه ذهب عامة العلماء غير انه روي عن علي رض
تقييد التحريم فيهما ولا يجوز ان يكون الموصول الثاني صفة للنسائين لان عاملهما
مختلف وفائدة قوله في حجوركم تقوية العلة وتكميلها والمعنى ان الربائب اذا
دخلتم بامهاتهن وهن في احتضانكم او بصدده قوي الشبه بينها وبين
اولادكم وصارت احقاء بان تجروها مجراهم لا تقييد الحرمة واليه ذهب
جمهور العلماء وقد روي عن علي رض انه جعله شرطا والامهات والربائب يتناول
القريبة والبعيدة وقوله دخلتم بهن اي دخلتم معهن الستر وهي كناية عن
الجماع ويؤثر ما ليس بزنا كالوطي بشبهة او ملك يمين وعند ابي حنيفة لمس
المنكوحة ونحوه كالدخول فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم تصريح
بعد الاشعار دفعا للقياس وحلائل ابنائكم زوجاتهم سميت الزوجة حليلة
لحلها او لحلولها مع الزوج الذين من اصلابكم احتراز عن المتبنين لا عن ابناء
الولد وان تجمعوا بين الاختين في موضع الرفع عطفا على المحرمات والظاهر ان
الحرمة غير مقصورة على النكاح فان المحرمات المعدودة كما هي محرمة في النكاح
فهي محرمة في ملك اليمين ولذلك قال عثمان وعلي رض حرمتهما اية واحلتهما

اية يعني هذه الاية وقوله او ما ملكت ايمانكم فرجح علي التحريم وعثمان التحليل
وقول علي اظهر لان اية التحليل مخصوصة في غير ذلك لقوله عم ما اجتمع الحلال
والحرام الا غلب الحرام الا ما قد سلف استثناء عن لازم المعنى او منقطع معناه
لكن ما قد سلف مغفور لقوله ان الله كان غفورا رحيما والمحصنات من النساء
ذوات الازواج احصنهن التزويج او الازواج وقرأ الكسائي بكسر الصاد
لانهن احصن فروجهن الا ما ملكت ايمانكم يريد ما ملكت ايمانهم من اللاتي سبين و
لهن ازواج كفار فهن حلائل للسابين والنكاح مرتفع بالسبي لقول ابي سعيد
اصبنا سبايا يوم اوطاس ولهن ازواج فكرهنا ان نقع عليهن فسألنا النبي عم
فنزلت الاية فاستحللناهن واياه عنى الفرزدق بقوله وذات حليل انكحتها
رماحنا حلال لمن يبني بها لم تطلق وقال ابو حنيفة رح لو سبي الزوجان لم تحل
للسابي واطلاق الاية والحديث حجة عليه كتاب الله عليكم مصدر مؤكد اي
كتب الله عليكم تحريم هؤلاء كتابا وقرئ وكتب الله بالجمع والرفع اي هذه فرائض
الله عليكم وكتب الله بلفظ الفعل واحل لكم عطف على الفعل المضمر الذي نصب كتاب الله وقرأ
حمزة والكسائي وحفص عن عاصم على البناء للمفعول عطفا على حرمت ما وراء ذلكم
ما سوى المحرمات الثمان المذكورة وخص عنه بالسنة ما في معنى المذكورات
كسائر المحرمات الرضاع والجمع بين المرأة وعمتها وخالتها ان تبتغوا باموالكم
محصنين غير مسافحين مفعول له والمعنى احل لكم ما وراء ذلكم ارادة ان تبتغوا
النساء باموالكم بالصرف في مهورهن واثمانهن في حال كونكم محصنين غير مسافحين
ويجوز ان لا يقدر مفعول تبتغوا وكانه قيل ارادة ان تصرفوا اموالكم
محصنين غير مسافحين او بدل من ما وراء ذلكم بدل الاشتمال واحتج به الحنفية على
ان المهر لا بد ان يكون مالا ولا حجة فيه والاحصان العفة فانها تحصين للنفس عن
اللوم والعقاب والسفاح الزنا من السفح وهو صب المني فانه الغرض منه فما استمتعتم
به منهن فمن تمتعتم به من المنكوحات او فما استمتعتم به منهن من جماع او عقد عليهن
فآتوهن اجورهن مهورهن فان المهر في مقابلة الاستمتاع فريضة حال من الاجور
بمعنى مفروضة او صفة مصدر محذوف اي ايتاء مفروضا او مصدر مؤكد
ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة فيما يزاد على المسمى او يحط عنه
بالتراضي او فيما تراضيا به من نفقة او مقام او فراق وقيل نزلت الاية في المتعة
التي كانت ثلثة ايام حين فتحت مكة ثم نسخت لما روي انه عم اباحها ثم اصبح يقول
يا ايها الناس اني كنت امرتكم بالاستمتاع من هذه النساء الا ان الله حرم ذلك

الى يوم القيامة وهي النكاح الموقت بوقت معلوم سمي به اذ الغرض منه مجرد الاستمتاع
بالمراة وتمتيعها بما يعطي وجوزها ابن عباس رض ثم رجع عنه ان الله كان عليما
بالمصالح حكيما فيما شرع من الاحكام ومن لم يستطع منكم طولا غنى واعتلاء
واصله الفضل والزيادة ان ينكح المحصنات المومنات في موضع النصب بطولا
او بفعل مقدر صفة له اي ومن لم يستطع منكم ان يعتلي نكاح المحصنات او
من لم يستطع غنى يبلغ به نكاح المحصنات يعني الحراير لقوله فمن ما ملكت ايمانكم
من فتياتكم المومنات يعني الاماء المومنات وظاهر الاية حجة للشافعي رح في تحريم
نكاح الامة على من ملك ما يجعله صداق حرة ومنع نكاح الامة الكتابية مطلقا واول
ابو حنيفة رح طول المحصنات بان لم يملك فراشهن على ان النكاح هو الوطي وحمل
قوله من فتياتكم المومنات على الافضل كما حمل عليه في قوله المحصنات ومن اصحابنا
من حمله ايضا على التقييد وجوز نكاح الامة المومنة لمن قدر على الحرة الكتابية
دون المومنة حذرا عن مخالطة الكفار وموالاتهم والمحذور في نكاح الامة
رق الولد وما فيه من المهانة ونقصان حق الزوج والله اعلم بايمانكم فاكتفوا
بظاهر الايمان فانه العالم بالسراير وبتفاضل ما بينكم في الايمان فرب امة تفضل
الحرة فيه ومن حقكم ان تعتبروا فضل الايمان لا فضل النسب والمراد تانيسهم
بنكاح الاماء ومنعهم عن الاستنكاف منه ويويده بعضكم من بعض انتم واياهم
متناسبون نسبكم من آدم ودينكم الاسلام فانكحوهن باذن اهلهن يريد اربابهن
واعتبار اذنهم مطلقا لا اشعار له على ان لهن ان يباشرن العقد بانفسهن
حتى يحتج به الحنفية وآتوهن اجورهن اي ادوا اليهن مهورهن باذن اهلهن
فحذف ذلك لتقدم ذكره او الى مواليهن فحذف المضاف للعلم بان المهر للسيد
لانه عوض حقه فيجب ان يودي اليه وقال مالك المهر للامة ذهابا الى الظاهر
بالمعروف بغير مطل واضرار ونقصان محصنات عفايف غير مسافحات غير
مجاهرات بالسفاح ولا متخذات اخدان اخلاء في السر فاذا احصن بالتزويج
فان اتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات يعني الحراير من العذاب
من الحد لقوله وليشهد عذابهما طايفة من المومنين وهو يدل على ان حد
العبد نصف حد الحر وانه لا يرجم لان الرجم لا يتنصف ذلك اي نكاح الاماء
لمن خشي العنت منكم لمن خاف الوقوع في الزنا وهو في الاصل انكسار العظم
بعد الجبر مستعار لكل مشقة وضرر ولا ضرر اعظم من مواقعة الاثم بافحش
القبايح وقيل المراد به الحد وهذا شرط آخر لنكاح الاماء وان تصبروا

خير لكم اي وصبركم عن نكاح الاماء متعففين خير لكم قال عم الحراير صلاح و
الاماء هلاكه والله غفور لمن لم يصبر رحيم بان رخص له يريد الله ليبين لكم
ما تعبدكم به من الحلال والحرام او ما خفي عليكم من مصالحكم ومحاسن اعمالكم و
ليبين مفعول يريد واللام زيدت لتاكيد معنى الاستقبال اللازم للارادة كما
في قول قيس بن سعد اردت لكيما يعلم الناس انه سراويل قيس والوفود شهود و
المفعول محذوف وليبين مفعول له اي يريد الحق لاجله ويهديكم سنن الذين
من قبلكم مناهج من تقدمكم من اهل الرشد لتسلكوا طريقهم ويتوب عليكم ويغفر
ذنوبكم او يرشدكم الى ما يمنعكم عن المعاصي ويحثكم على التوبة او الى ما يكون كفارة
لسيئاتكم والله عليم بها حكيم في وضعها والله يريد ان يتوب عليكم كرره للتاكيد
والمبالغة ويريد الذين يتبعون الشهوات يعني الفجرة فان اتباع الشهوات الايتمار
لها واما المتعاطي لما سوغه الشرع منها دون غيره فهو متبع له في الحقيقة لا لها
وقيل المجوس وقيل اليهود فانهم يحلون الاخوات من الاب وبنات الاخ والاخت
ان تميلوا عن الحق ميلا لموافقتهم على اتباع الشهوات واستحلال المحرمات عظيما
بالاضافة الى ميل من اقترف خطيئة على ندور غير مستحل له يريد الله ان يخفف
عنكم فلذلك شرع لكم الشريعة الحنيفية السمحة السهلة ورخص لكم في المضايق
كاحلال نكاح الامة وخلق الانسان ضعيفا لا يصبر عن الشهوات ولا يتحمل
مشاق الطاعات وعن ابن عباس رض ثمان آيات في سورة النساء هي خير لهذه الامة
مما طلعت عليه الشمس وغربت هذه الثلث وان تجتنبوا كباير ما تنهون عنه
ان الله لا يغفر ان يشرك به ان الله لا يظلم مثقال ذرة ومن يعمل سوءا ما يفعل الله
بعذابكم يا ايها الذين آمنوا لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل بما لم يبحه الشرع كالغصب
والربوا والقمار الا ان تكون تجارة عن تراض منكم استثناء منقطع اي ولكن
كون تجارة عن تراض غير منهي عنها او اقصدوا كون تجارة وعن تراض صفة لتجارة
اي تجارة صادرة عن تراضي المتعاقدين وتخصيص التجارة من الوجوه التي بها
يحل تناول مال الغير لانها اغلب واوفق لذوي المروات ويجوز ان يراد بها الانتقال
مطلقا وقيل المقصود بالنهي المنع عن صرف المال فيما لا يرضاه الله وبالتجارة
صرفه فيما يرضاه وقرا الكوفيون تجارة بالنصب على كان الناقصة واضمار الاسم
اي الا ان تكون التجارة او الجهة تجارة ولا تقتلوا انفسكم بالبخع كما يفعله جهلة
الهند او بالقاء النفس الى التهلكة ويويده ما روي عن عمرو بن العاص تاوله في
التيمم لخوف البرد فلم ينكر عليه النبي عم او بارتكاب ما يودي الى قتلها او

باقتراف ما يذللها ويرديها فانه القتل الحقيقي للنفس وقيل المراد بالانفس
من اهل دينهم فان المؤمنين كنفس واحدة جمع في التوصية بين حفظ النفس والمال
الذي هو شقيقها من حيث انه سبب قوامها استبقاء لهم ريثما تستكمل النفوس
وتستوفي فضايلها رأفة بهم ورحمة كما اشار اليه بقوله ان الله كان بكم
رحيما اي امر ما امر ونهى عما نهى لفرط رحمته عليكم معناه انه كان بكم يا امة
محمد رحيما لما امر بني اسرائيل بقتل الانفس ونهاكم عنه ومن يفعل ذلك اشارة
الى القتل او الى ما سبق من المحرمات عدوانا وظلما افراطا في التجاوز عن الحق واتيانا
بما لا يستحقه وقيل اراد بالعدوان التعدي على الغير وبالظلم ظلم النفس بتعريضها
للعقاب فسوف نصليه نارا ندخله اياها وقرئ بالتشديد من صلى وبفتح النون
من صلاه يصليه ومنه شاة مصلية ويصليه بالياء والضمير لله او لذلك
من حيث انه سبب الصلي وكان ذلك على الله يسيرا لا عسر فيه ولا صارف عنه
ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه كبائر الذنوب التي نهاكم الله ورسوله عنها وقرئ
كبير على ارادة الجنس نكفر عنكم سيئاتكم نغفر لكم صغائركم ونمحها عنكم واختلف
في الكباير والاقرب ان الكبيرة كل ذنب رتب الشارع عليه حدا او صرح بالوعيد
فيه وقيل ما علم حرمته بقاطع وعن النبي عم انها سبع الاشراك بالله وقتل
النفس التي حرم الله وقذف المحصنة واكل مال اليتيم والربوا والفرار عن الزحف
وعقوق الوالدين وعن ابن عباس رضه الكباير الى السبعماية اقرب منها الى سبع
وقيل اراد به ههنا انواع الشرك لقوله ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر
ما دون ذلك وقيل صغر الذنوب وكبرها بالاضافة الى ما فوقها وما تحتها
فاكبر الكباير الشرك واصغر الصغاير حديث النفس وما بينهما وسايط يصدق عليها
الامران فمن عن له امران منها ودعت نفسه اليهما بحيث لا يتمالك فكفها عن
اكبرهما كفر عنه ما ارتكبه لما استحق من الثواب على اجتناب الاكبر ولعل هذا
مما يتفاوت باعتبار الاشخاص والاحوال الا ترى انه تعالى عاتب نبيه في كثير
من خطراته التي لم يعد على غيره خطيئة فضلا ان يواخذه عليها وندخلكم مدخلا
كريما الجنة وما وعد من الثواب او ادخالا مع كرامة وقرا نافع بفتح الميم وهو
ايضا يحتمل المكان والمصدر ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض من الامور
كالجاه والمال فلعل عدمه خير والمقتضي للمنع كونه ذريعة الى التحاسد والتعادي
معربة عن عدم الرضا بما قسم الله وانه تشهى لحصول الشيء له من غير طلب وهو
مذموم لان تمني ما لم يقدر له معارضة لحكمة القدر وتمني ما قدر له بكسب

بطالة وتضييع حظ وتمني ما قدر له بغير كسب ضايع ومحال للرجال نصيب مما اكتسبوا
وللنساء نصيب مما اكتسبن بيان لذلك اي لكل من الرجال والنساء فضل ونصيب
بسبب ما اكتسب من اجله فاطلبوا الفضل بالعمل لا بالحسد والتمني كما قال عم ليس
الايمان بالتمني وقيل المراد نصيب الميراث وتفضيل الورثة بعضهم على بعض فيه
وجعل ما قسم لكل منهم على حسب ما عرف من حاله الموجبة للزيادة والنقص كالمكتسب له
واسألوا الله من فضله اي لا تتمنوا ما للناس واسألوا الله مثله من خزاينه التي
لا تنفد وهو يدل على ان المنهي هو الحسد او لا تتمنوا واسألوا الله من فضله ما
يقربه ويسوقه اليكم ان الله كان بكل شيء عليما فهو يعلم ما يستحقه كل انسان
فيفضل عن علم وتبيان روي ان ام سلمة قالت يا رسول الله يغزو الرجال ولا نغزو وانما
لنا نصف الميراث ليتنا كنا رجالا فنزلت ولكل جعلنا موالي مما ترك الوالدان
والاقربون اي ولكل تركة جعلنا وراثا يلونها ويحرزونها ومما ترك بيان لكل
مع الفصل بالعامل او ولكل ميت جعلنا وراثا مما ترك على ان من صلة موالي لانه
في معنى الوارث وفي ترك ضمير كل والوالدان والاقربون استيناف مفسر للموالي
وفيه خروج الاولاد فان الاقربين لا يتناولهم كما لا يتناول الوالدين او ولكل
قوم جعلناهم موالي حظ مما ترك الوالدان والاقربون على ان جعلنا موالي صفة
كل والراجع اليه محذوف وعلى هذا فالجملة من مبتدا وخبر والذين عقدت ايمانكم
موالي الموالاة كان الحليف يورث السدس من مال حليفه فنسخ بقوله واولوا
الارحام بعضهم اولى ببعض وعن ابي حنيفة رح لو اسلم رجل على يد رجل وتعاقدا
على ان يتعاقلا ويتوارثا صح وورثه والازواج على ان العقد عقد النكاح وهو
مبتدا ضمن معنى الشرط وخبره فآتوهم نصيبهم او منصوب بمضمر يفسره ما بعده
كقولك زيدا فاضربه او معطوف على الوالدان وقوله فآتوهم جملة مسببة
عن الجملة المتقدمة مؤكدة لها والضمير للموالي وقرأ الكوفيون عقدت بمعنى
عقدت عهودهم ايمانكم فحذف العهود واقيم الضمير المضاف اليه مقامه ثم حذف
كما حذف في القراءة الاخرى ان الله كان على كل شيء شهيدا تهديد على منع نصيبهم
الرجال قوامون على النساء يقومون على النساء قيام الولاة على الرعية وعلل ذلك
بامرين موهبي وكسبي فقال بما فضل الله بعضهم على بعض بسبب تفضيله الرجال
على النساء بكمال العقل وحسن التدبير ومزيد القوة في الاعمال والطاعات و
لذلك خصوا بالنبوة والامامة والولاية واقامة الشعاير والشهادة في مجامع
القضايا ووجوب الجهاد والجمعة ونحوها والتعصيب وزيادة السهم في الميراث

والاستبداد بالفراق وبما انفقوا من اموالهم في نكاحهن كالمهر والنفقة روي
ان سعد بن الربيع احد نقباء الانصار نشزت عليه امراته حبيبة بنت زيد بن
ابي زهير فلطمها فانطلق بها ابوها الى رسول الله ع م فشكى فقال ع م لتقتص
منه فنزلت فقال ع م اردنا امرا واراد الله امرا والذي اراد الله خير فالصالحات
قانتات مطيعات لله قائمات بحقوق الازواج حافظات للغيب لمواجب الغيب
اي يحفظن في غيبة الازواج ما يجب حفظه في النفس والمال وعنه ع م خير
النساء امراة ان نظرت اليها سرتك وان امرتها اطاعتك واذا غبت عنها
حفظتك في مالها ونفسها وتلا هذه الاية وقيل لاسرارهم بما حفظ الله بحفظ الله
اياهن بالامر على حفظ الغيب والحث عليه بالوعد والوعيد والتوفيق له او بالذي
حفظه الله لهن عليهم من المهر والنفقة والقيام بحفظهن والذب عنهن وقرئ
بما حفظ الله بالنصب على ان ما موصولة فانها لو كانت مصدرية لم يكن لحفظ
فاعل والمعنى بالامر الذي حفظ حق الله او طاعته وهو التعفف والشفقة
على الرجال واللاتي تخافون نشوزهن عصيانهن وترفعهن عن مطاوعة الازواج
من النشز فعظوهن واهجروهن في المضاجع في المراقد فلا تدخلوهن تحت اللحاف
او لا تباشروهن فيكون كناية عن الجماع وقيل المضاجع المبايت اي لا تبايتوهن
واضربوهن يعني ضربا غير مبرح ولا شائن والامور الثلثة مترتبة ينبغي ان
يدرج فيها فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا بالتوبيخ والايذاء والمعنى فازيلوا
عنهن التعرض واجعلوا ما كان منهن كان لم يكن فان التائب من الذنب كمن لا ذنب له
ان الله كان عليا كبيرا فاحذروه فانه اقدر عليكم منكم على من تحت ايديكم او انه
على علو شانه يتجاوز عن سيئاتكم ويتوب عليكم فانتم احق بالعفو عن ازواجكم
او انه يتعالى ويتكبر ان يظلم احدا او ينقص حقه وان خفتم شقاق بينهما خلافا بين
المراة وزوجها اضمرهما وان لم يجر ذكرهما لجري ما يدل عليهما واضافة الشقاق
الى الظرف اما لاجرائه مجرى المفعول به كقوله يا سارق الليلة او الفاعل
كقولهم نهارك صائم فابعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها فابعثوا اليهما الحكام
متى اشتبه عليكم حالهما لتبيين الامر او اصلاح ذات البين رجلا وسطا يصلح
للحكومة والاصلاح من اهله واخر من اهلها فان الاقارب اعرف ببواطن الاحوال
واطلب للصلاح وهذا على وجه الاستحباب فلو نصبا من الاجانب جاز وقيل
الخطاب للازواج والزوجات واستدل به على جواز التحكيم والاظهر ان
النصب لاصلاح ذات البين او لتبيين الامر ولا يليان الجمع والتفريق الا باذن

الزوجين وقال مالك لهما ان يتخالفا ان وجدا الصلاح فيه ان يريدا اصلاحا
يوفق الله بينهما الضمير الاول للحكمين والثاني للزوجين اي ان قصدا الاصلاح
اوقع الله بحسن سعيهما الموافقة بين الزوجين وقيل كلاهما للحكمين اي ان
قصدا الاصلاح يوفق الله بينهما لتتفق كلمتهما ويحصل مقصودهما وقيل
للزوجين اي ان كانا يريدان الاصلاح وزوال الشقاق اوقع الله بينهما الالفة
والوفاق وفيه تنبيه على ان من اصلح نيته فيما يتحراه اصلح الله مبتغاه ان
الله كان عليما خبيرا بالظواهر والبواطن فيعلم كيف يرفع الشقاق ويوقع الوفاق
واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا صنما او غيره او شيئا من الاشراك جليا او خفيا
وبالوالدين احسانا واحسنوا بهما احسانا وبذي القربى وبصاحب القرابة و
اليتامى والمساكين والجار ذي القربى الذي قرب جواره وقيل الذي له مع الجوار
قرب واتصال بنسب او دين وقرئ بالنصب على الاختصاص تعظيما لحقه والجار
الجنب البعيد او الذي لا قرابة له وعنه ع م الجيران ثلثة فجار له ثلثة حقوق
حق الجوار وحق القرابة وحق الاسلام وجار له حقان حق الجوار وحق الاسلام
وجار له حق واحد حق الجوار وهو المشرك من اهل الكتاب والصاحب بالجنب
الرفيق في امر حسن كتعلم وتصرف وصناعة وسفر فانه صحبك وحصل بجنبك
وقيل المراة وابن السبيل المسافر او الضيف وما ملكت ايمانكم العبيد والاماء
ان الله لا يحب من كان مختالا متكبرا يانف عن اقاربه وجيرانه واصحابه ولا
يلتفت اليهم فخورا يتفاخر عليهم الذين يبخلون ويامرون الناس بالبخل بدل من
قوله من كان او نصب على الذم او رفع عليه اي هم الذين او مبتدا خبره محذوف
تقديره الذين يبخلون بما منحوا به ويامرون الناس بالبخل به وقرا حمزة و
الكسائي بالبخل بفتح الحرفين وهي لغة ويكتمون ما اتاهم الله من فضله من الغنى
والعلم احقاء بكل ملامة واعتدنا للكافرين عذابا مهينا وضع الظاهر فيه
موضع المضمر اشعارا بان من هذا شانه فهو كافر لنعمة الله ومن كان كافرا للنعمة
فله عذاب يهينه كما اهان النعمة بالبخل والاخفاء والاية نزلت في طائفة من
اليهود وكانوا يقولون للانصار تنصحا لا تنفقوا اموالكم فانا نخشى عليكم
الفقر وقيل في الذين كتموا صفة محمد ع م والذين ينفقون اموالهم رئاء الناس
عطف على الذين يبخلون او الكافرين وانما شاركهم في الذم والوعيد لان البخل
والسرف الذي هو الانفاق لا على ما ينبغي من حيث انهما طرفا تفريط وافراط
سواء في القبح واستجلاب الذم او مبتدا خبره محذوف مدلول عليه بقوله وعن

يكن الشيطان ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ليتحروا بالانفاق مراضيه و
ثوابه وهم مشركو مكة وقيل المنافقون ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا
تنبيه على ان الشيطان قرينهم فحملهم على ذلك وزينه لهم كقوله ان المبذرين كانوا
اخوان الشياطين والمراد ابليس واعوانه الداخلة والخارجة ويجوز ان يكون
وعيدا لهم بان يقرن بهم الشيطان في النار وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر
وانفقوا مما رزقهم الله اي وما الذي عليهم او اي تبعة تحيق بهم بالايمان
والانفاق في سبيل الله وهو توبيخ لهم على الجهل بمكان المنفعة والاعتقاد في
الشيء على خلاف ما هو عليه وتحريض على الفكر لطلب الجواب لعله يؤدي بهم الى
العلم بما فيه من الفوائد الجليلة والعوائد الجميلة وتنبيه على ان المدعو الى
امر لا ضرر فيه ينبغي ان يجيب اليه احتياطا فكيف اذا تضمن المنافع وانما قدم
الايمان ههنا واخره في الآية الاخرى لان القصد بذكره الى التخصيص ههنا و
التعليل ثمه وكان الله بهم عليما وعيد لهم ان الله لا يظلم مثقال ذرة لا ينقص من
الاجر ولا يزيد في العقاب اصغر شيء كالذرة وهي النملة الصغيرة ويقال لكل
جزء من اجزاء الهباء والمثقال مفعال من الثقل في ذكره ايماء الى انه وان صغر
قدره عظم جزاؤه وان تك حسنة وان تكن مثقال الذرة حسنة وانث الضمير
لتانيث الخبر او لاضافة المثقال الى مؤنث وحذف النون من غير قياس تشبيها
بحروف العلة وقرأ ابن كثير ونافع حسنة بالرفع على كان التامة يضاعفها يضاعف
ثوابها وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب يضعفها وكلاهما بمعنى ويؤت من لدنه
ويعط صاحبها من عنده على سبيل التفضل زائدا على ما وعد في مقابلة العمل
اجرا عظيما عطاء جزيلا وانما سماه اجرا لانه تابع للاجر مزيد عليه فكيف حال
هؤلاء الكفرة من اليهود والنصارى وغيرهم اذا جئنا من كل امة بشهيد يعني
نبيهم يشهد على فساد عقائدهم وقبح اعمالهم والعامل في الظرف مضمون المبتدأ
والخبر من هول الامر وتعظيم الشان وجئنا بك يا محمد على هؤلاء شهيدا تشهد
على صدق الشهداء لعلمك بعقائدهم واستجماع شرعك مجامع قواعدهم وقيل
هؤلاء اشارة الى الكفرة المستفهم عن حالهم وقيل الى المؤمنين كقوله لتكونوا
شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا يومئذ يود الذين كفروا و
عصوا الرسول لو تسوى بهم الارض بيان لحالهم حينئذ اي يود الذين جمعوا
بين الكفر وعصيان الامر او الكفرة والعصاة في ذلك الوقت ان يدفنوا فتسوى
بهم الارض كالموتى او لم يبعثوا او لم يخلقوا وكانوا هم والارض سواء و

ولا يكتمون الله حديثا ولا يقدرون على كتمانه لان جوارحهم تشهد عليهم وقيل
الواو للحال اي يودون ان تسوى بهم الارض وحالهم انهم لا يكتمون من الله
حديثا ولا يكذبونه بقولهم والله ربنا ما كنا مشركين اذ روي انهم اذا قالوا ذلك
ختم الله على افواههم فتشهد عليهم جوارحهم فيشتد الامر عليهم فيتمنون ان
تسوى بهم الارض وقرأ نافع وابن عامر تسوى على ان اصله تتسوى فادغم
التاء في السين وحمزة والكسائي تسوى على حذف التاء الثانية يقال سويته
فتسوى يا ايها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون
اي لا تقوموا اليها وانتم سكارى من نحو نوم او خمر حتى تنتبهوا وتعلموا ما تقولون
في صلاتكم روي ان عبد الرحمن بن عوف صنع مأدبة ودعا نفرا من الصحابة
حين كانت الخمر مباحة فاكلوا وشربوا حتى ثملوا وجاء وقت صلاة المغرب فقدموا
احدهم ليصلي بهم فقرأ اعبد ما تعبدون فنزلت وقيل اراد بالصلاة مواضعها وهي
المساجد وليس المراد منه نهي السكران عن قربان الصلاة وانما المراد النهي عن
الافراط في الشرب والسكر من السكر وهو السد وقرئ سكارى بالفتح وسكرى
على انه جمع كهلكى او مفرد بمعنى وانتم قوم سكرى وسكرى كحبلى على انها صفة
الجماعة ولا جنبا عطف على قوله وانتم سكارى اذ الجملة في موضع النصب على
الحال والجنب الذي اصابه الجنابة يستوي فيه المذكر والمؤنث والواحد والجمع
لانه يجري مجرى المصدر الا عابري سبيل متعلق بقوله ولا جنبا استثناء من
اعم الاحوال اي لا تقربوا الصلاة جنبا في عامة الاحوال الا في السفر وذلك اذا
لم يجد الماء فيتيمم ويشهد له تعقيبه بذكر التيمم او صفة لقوله جنبا اي جنبا غير
عابري سبيل وفيه دليل على ان التيمم لا يرفع الحدث ومن فسر الصلاة بمواضعها
فسر عابري سبيل بالمجتازين فيها وجوز للجنب عبور المسجد وبه قال الشافعي
وقال ابو حنيفة لا يجوز له المرور في المسجد الا اذا كان فيه الماء او الطريق
حتى تغتسلوا غاية النهي عن القربان حال الجنابة وفي الآية تنبيه على ان المصلي
ينبغي ان يتحرز عما يلهيه ويشغل قلبه ويزكي نفسه عما يجب تطهيرها عنه
وان كنتم مرضى مرضا يخاف معه من استعمال الماء فان الواجد له كالفاقد او
مرضا يمنعه عن الوصول اليه بسبب ضعف حركته وعجزه او على سفر لا تجدونه
فيه او جاء احد منكم من الغائط فاحدث بخروج الخارج من احد السبيلين واصل
الغائط المطمئن من الارض او لامستم النساء او ماسستم بشرتهن ببشرتكم
وبه استدل الشافعي على ان اللمس ينقض الوضوء وقيل او جامعتموهن وقرأ

حمزة والكسائي لمستم واستعماله كناية عن الجماع اقل من الملامسة فلم تجدوا ماء
فلم تتمكنوا من استعماله اذ الممنوع عنه كالمفقود ووجه هذا التقسيم ان المترخص
بالتيمم اما محدث او جنب والحال المقتضية له في غالب الامر مرض او سفر والجنب لما سبق
ذكره اقتصر على بيان حاله والمحدث لما لم يجر ذكره ذكر اسبابه ما يحدث بالذات
او بالعرض واستغنى عن تفصيل احواله بتفصيل حال الجنب وبيان العذر مجملا
كانه قيل وان كنتم جنبا مرضى او على سفر او محدثين جئتم من الغائط او لامستم
النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم اي
فتعمدوا شيئا من وجه الارض طاهرا ولذلك قالت الحنفية لو ضرب المتيمم يده على
حجر صلد ومسح به اجزاه وقال اصحابنا لا بد من ان يعلق باليد شيء من التراب لقوله
في المائدة فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه اي من بعضه وجعل من لابتداء الغاية
تعسف اذ لا يفهم من نحو ذلك الا التبعيض واليد اسم للعضو الى المنكب وما روي انه
تيمم ومسح يديه الى مرفقيه والقياس على الوضوء دليل على ان المراد بها هاهنا وايديكم
الى المرافق ان الله كان عفوا غفورا فلذلك يسر الامر عليكم ورخص لكم
الم تر الى الذين من رؤية البصر اي الم تنظر اليهم او القلب وعدي بالى لتضمنه معنى
الانتهاء اوتوا نصيبا من الكتاب حظا يسيرا من علم التوراة لان المراد احبار اليهود
يشترون الضلالة يختارونها على الهدى او يستبدلونها به بعد تمكنهم منه او
حصوله لهم بانكار نبوة محمد عم وقيل ياخذون الرشى ويحرفون التوراة ويريدون
ان تضلوا ايها المؤمنون السبيل سبيل الحق والله اعلم منكم باعدائكم وقد اخبركم
بعداوة هؤلاء وما يريدون بكم فاحذروهم وكفى بالله وليا يلي امركم وكفى بالله نصيرا
يعينكم فثقوا عليه واكتفوا به عن غيره والباء تزاد في فاعل كفى لتوكيد الاتصال
الاسنادي بالاتصال الاضافي من الذين هادوا بيان للذين اوتوا نصيبا فانه
يحتملهم وغيرهم وما بينهما اعتراض او بيان لاعدائكم او صلة لنصيرا اي
من الذين هادوا او يحفظكم منهم او خبر محذوف صفته يحرفون الكلم عن مواضعه
اي من الذين هادوا قوم يحرفون الكلم اي يميلونه عن مواضعه التي وضعه الله
فيها بازالته عنها واثبات غيره فيها او يؤولونه على ما يشتهون فيميلونه عما
انزل الله فيه وقرئ الكلم بكسر الكاف وسكون اللام جمع كلمة تخفيف كلمة و
يقولون سمعنا قولك وعصينا امرك واسمع غير مسمع اي مدعوا عليك بلا سمعت
بصمم او موت واسمع غير مجاب الى ما تدعو اليه او اسمع غير مسمع كلاما ترضاه
او اسمع كلاما غير مسمع اياك لان اذنك تنبو عنه فيكون مفعولا به او اسمع غير

مسمع اياك لان اذنك تنبو عنه فيكون مفعولا به او اسمع غير مسمع مكروها
من قولهم اسمعه فلان اذا سبه وانما قالوه نفاقا وراعنا انظرنا نكلمك او نفهم
كلامك ليا بالسنتهم فتلا بها وصرفا للكلام الى ما يشبه السب حيث وضعوا
راعنا المشابهة لما يتسابون به موضع انظرنا وغير مسمع موضع لا اسمعت
مكروها او فتلا بها وضما ما يظهرون منه الدعاء والتوقير الى ما يضمرون من
السب والتحقير نفاقا وطعنا في الدين استهزاء وسخرية ولو انهم قالوا سمعنا و
اطعنا واسمع وانظرنا ولو ثبت قولهم هذا مكان ما قالوه لكان خيرا لهم واقوم
لكان قولهم ذلك خيرا لهم واعدل وانما يجب حذف الفعل بعد لو في مثل ذلك لدلالة
ان عليه ووقوعه موقعه ولكن لعنهم الله بكفرهم ولكن خذلهم وابعدهم عن الهدى
بسبب كفرهم فلا يؤمنون الا قليلا اي الا ايمانا قليلا لا يعبا به وهو الايمان ببعض
الايات والرسل ويجوز ان يراد بالقلة العدم كقوله قليل التشكي للهم يصيبه
او الا قليلا منهم امنوا او سيؤمنون يا ايها الذين اوتوا الكتاب امنوا بما نزلنا
مصدقا لما معكم من قبل ان نطمس وجوها فنردها على ادبارها من قبل ان نمحو
تخطيط صورها ونجعلها على هيئة ادبارها يعني الاقفاء او ننكسها الى ورائها
في الدنيا او في الاخرة واصل الطمس ازالة الاعلام الماثلة وقد يطلق بمعنى
الطلس في ازالة الصورة ولمطلق القلب والتغيير ولذلك قيل معناه من قبل
ان نغير وجوها فنسلب وجاهتها واقبالها ونكسوها الصغار والادبار او
نردها الى حيث جاءت منه وهي اذرعات الشام يعني اجلاء بني النضير ويقرب منه
قول من قال ان المراد بالوجوه الرؤساء او من قبل ان نطمس وجوها بان نعمي
عن الاعتبار ونصم الاسماع عن الاصغاء الى الحق بالطبع ونردها عن الهداية
الى الضلالة او نلعنهم كما لعنا اصحاب السبت او نخزيهم بالمسخ كما اخزينا به اصحاب
السبت او نلعنهم على لسان داود والضمير لاصحاب الوجوه او للذين على طريقة
الالتفات او للوجوه ان اريد به الوجهاء وعطفه على الطمس بالمعنى الاول يدل
على ان المراد به ليس مسخ الصورة في الدنيا ومن حمل الوعيد على تغيير الصورة
في الدنيا قال انه بعد مترقب او كان وقوعه مشروطا بعدم ايمانهم وقد امن منهم
طائفة وكان امر الله بايقاع شيء او وعيده او ما حكم به وقضاه مفعولا نافذا
وكائنا فيقع لا محالة ما اوعدتم به ان لم تؤمنوا ان الله لا يغفر ان يشرك به لانه
بت الحكم على خلود عذابه ولان ذنبه لا ينمحي عنه اثره فلا يستعد للعفو بخلاف
غيره ويغفر ما دون ذلك اي ما دون الشرك صغيرا كان او كبيرا لمن يشاء تفضلا

منه واحسنا نادا المعتزلة علقوه بالفعلين على معنى ان الله لا يغفر الشرك لمن يشاء
وهو من لم يتب ويغفر ما دونه لمن يشاء وهو من تاب وفيه تقييد بلا دليل اذ ليس
عموم آيات الوعيد بالمحافظة اولى منه ونقض لمذهبهم فان تعليق الامر بالمشيئة
ينافي وجوب التعذيب قبل التوبة والصفح بعدها فالآية كما هي حجة عليهم فهي حجة
على الخوارج الذين زعموا ان كل ذنب شرك وان صاحبه خالد في النار ومن يشرك
بالله فقد افترى اثما عظيما ارتكب ما يستحقر دونه الآثام وهو اشارة الى المعنى
الفارق بينه وبين سائر الذنوب والافتراء كما يطلق على القول يطلق على الفعل
وكذلك الاختلاق الم تر الى الذين يزكون انفسهم يعني اهل الكتاب قالوا نحن ابناء
الله واحباؤه وقيل ناس من اليهود جاؤا باطفالهم الى رسول الله صم فقالوا هل
على هؤلاء ذنب قال لا قالوا والله ما نحن الا كهيئتهم ما عملنا بالنهار كفر عنا
بالليل وما عملنا بالليل كفر عنا بالنهار وفي معناهم من زكى نفسه واثنى عليها
بل الله يزكي من يشاء تنبيه على ان تزكيته هو المعتد بها دون تزكية غيره فانه
العالم بما ينطوي عليه الانسان من حسن او قبح وقد ذمهم وزكى المرتضين من عباده
المؤمنين واصل التزكية نفي ما يستقبح فعلا او قولا ولا يظلمون بالذم او
العقاب على تزكيتهم انفسهم بغير حق فتيلا ادنى ظلم واصغره وهو الخيط الذي
في شق النواة يضرب بها المثل في الحقارة انظر كيف يفترون على الله الكذب في
زعمهم انهم ابناء الله وازكياء عنده وكفى به بزعمهم هذا او بالافتراء اثما مبينا
لا يخفى كونه ماثما من بين آثامهم الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون
بالجبت والطاغوت نزلت في يهود كانوا يقولون ان عبادة الاصنام ارضى عند
الله مما يدعوا اليه محمد صم وقيل حيي بن اخطب وكعب بن اشرف في جمع من
اليهود خرجوا الى مكة يحالفون قريشا على محاربة رسول الله صم فقالوا انتم
اهل كتاب وانتم اقرب الى محمد منكم الينا فلا نامن مكركم فاسجدوا لآلهتنا حتى نطمئن
اليكم ففعلوا والجبت في الاصل اسم صنم فاستعمل في كل ما عبد من دون الله
وقيل اصله الجبس وهو الذي لا خير فيه فقلبت سينه تاء والطاغوت يطلق لكل
باطل من معبود او غيره ويقولون للذين كفروا لاجلهم وفيهم هؤلاء اشارة اليهم
اهدى من الذين آمنوا سبيلا اقوم دينا وارشد طريقا اولئك الذين لعنهم الله ومن
يلعن الله فلن تجد له نصيرا يمنع العذاب عنه بشفاعة او غيرها ام لهم نصيب
من الملك ام منقطعة ومعنى الهمزة انكار ان يكون لهم نصيب من الملك وجحد لما زعمت
اليهود من ان الملك سيصير اليهم فاذا لا يؤتون الناس نقيرا اي لو كان لهم نصيب من

الملك فاذا لا يؤتون احدا ما يوازي نقيرا وهو النقرة في ظهر النواة وهذا هو
الاغراق في بيان شحهم فانهم بخلوا بالنقير وهم ملوك فما ظنك بهم اذا كانوا اذلاء
متفاقرين ويجوز ان يكون المعنى انكار انهم اوتوا نصيبا من الملك على الكناية
وانهم لا يؤتون الناس شيئا واذا اذا وقع بعد الواو والفاء لا لتشريك مفرد
جاز فيه الالغاء والاعمال ولذلك قرئ فاذا لا يؤتوا على النصب ام يحسدون
الناس بل ايحسدون رسول الله واصحابه او العرب او الناس جميعا لان من حسد
على النبوة فكانما حسد الناس كلهم كمالهم ورشدهم وبخهم وانكر عليهم الحسد
كما ذمهم على البخل وهما شر الرذائل وكان بينهما تلازما وتجاذبا على ما آتاهم
الله من فضله يعني النبوة والكتاب والنصرة والاعزاز وجعل النبي الموعود
منهم فقد آتينا آل ابراهيم الذين هم اسلاف محمد وابناء عمه الكتاب والحكمة النبوة
وآتيناهم ملكا عظيما فلا يبعد ان يؤتيه الله مثل ما آتاهم فمنهم من اليهود من
آمن به بمحمد او بما ذكر من حديث آل ابراهيم ومنهم من صد عنه اعرض عنه فلم يؤمن
به وقيل معناه فمن آل ابراهيم من آمن به ومنهم من كفر ولم يكن في ذلك توهين
امره فكذلك لا يوهن كفر هؤلاء امرك وكفى بجهنم سعيرا نارا مسعورة يعذبون
بها اي ان لم يعجلوا بالعقوبة فقد كفاهم ما اعد لهم من سعير جهنم ان الذين كفروا
بآياتنا سوف نصليهم نارا كالبيان والتقرير لذلك كلما نضجت جلودهم بدلناهم
جلودا غيرها بان يعاد ذلك الجلد بعينه على صورة اخرى كقولك بدلت الخاتم
قرطا اي بان يزال عنه اثر الاحراق ليعود احساسه للعذاب كما قال ليذوقوا
العذاب اي ليدوم لهم ذوقه وقيل يخلق مكانه جلدا آخر والعذاب في الحقيقة
للنفس العاصية المدركة لا لآلة ادراكها فلا محذور ان الله كان عزيزا لا يمتنع
عليه ما يريد حكيما يعاقب على وفق حكمته والذين آمنوا وعملوا الصالحات
سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا قدم ذكر الكفار ووعيدهم
على ذكر المؤمنين ووعدهم لان الكلام فيهم وذكر المؤمنين بالعرض لهم فيها
ازواج مطهرة وندخلهم ظلا ظليلا فينانا لا جوب فيه ودائما لا تنسخه الشمس
وهو اشارة الى النعمة التامة الدائمة والظليل صفة مشتقة من الظل لتأكيده
كقولك شمس شامس وليل اليل ويوم ايوم ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات
الى اهلها خطاب يعم المكلفين والامانات وان نزلت يوم الفتح في عثمان بن طلحة
بن عبد الدار لما اغلق باب الكعبة وابى ان يدفع المفتاح ليدخل فيها وقال
لو علمت انه رسول الله لم امنعه فلوى علي يده واخذه منه وفتح فدخل رسول الله

وصلى ركعتين فلما خرج سأله العباس ان يعطيه المفتاح ويجمع له السقاية والسدانة
فامره الله ان يرده اليه فامر عليا بان يرده ويعتذر اليه وصار ذلك سببا لاسلامه
ونزل الوحي بان السدانة في اولاده ابدا واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل
اي وان تحكموا بالانصاف والسوية اذا قضيتم بين من ينفذ عليه امركم او يرضى
بحكمكم ولان الحكم وظيفة الولاة قيل الخطاب لهم ان الله نعما يعظكم به اي نعم شيئا يعظكم
به او نعم الشيء الذي يعظكم به فما منصوبة موصوفة بيعظكم به او مرفوعة موصولة
به والمخصوص بالمدح محذوف وهو المامور به من اداء الامانات والعدل في الحكومات
ان الله كان سميعا بصيرا باقوالكم واحكامكم وما تفعلون في الامانات يا ايها
الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم يريد بهم امراء المسلمين
في عهد الرسول وبعده ويندرج فيهم الخلفاء والقضاة وامراء السرية امر الناس
بطاعتهم بعد ما امرهم بالعدل تنبيها على ان وجوب طاعتهم ما داموا على الحق وقيل
علماء الشرع لقوله ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه
منهم فان تنازعتم انتم واولو الامر منكم في شيء من امور الدين وهو يؤيد الوجه
الاول اذ ليس للمقلد ان ينازع المجتهد في حكمه بخلاف المرؤوس الا ان يقال الخطاب لاولي
الامر على طريقة الالتفات فردوه فراجعوا فيه الى الله الى كتابه والرسول بالسؤال
عنه في زمانه والمراجعة الى سنته بعده واستدل به منكرو القياس وقالوا
انه تعالى اوجب رد المختلف الى الكتاب والسنة دون القياس واجيب بان رد المختلف
المنصوص عليه انما يكون بالتمثيل والبناء عليه وهو القياس ويؤيد ذلك الامر
به بعد الامر بطاعة الله وطاعة رسوله فانه يدل على ان الاحكام ثلثة مثبت
بالكتاب ومثبت بالسنة ومثبت بالرد اليهما على وجه القياس ان كنتم تؤمنون
بالله واليوم الاخر فان الايمان يوجب ذلك ذلك اي الرد خير لكم واحسن تأويلا
عاقبة او احسن تاويلا من تاويلكم بلا رد الم تر الى الذين يزعمون انهم امنوا بما
انزل اليك وما انزل من قبلك يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت عن ابن عباس ان
منافقا خاصم يهوديا فدعاه اليهودي الى النبي عم ودعاه المنافق الى كعب بن
الاشرف ثم انهما احتكما الى رسول الله عم فحكم لليهودي فلم يرض المنافق وقال
نتحاكم الى عمر فقال اليهودي لعمر قضى لي رسول الله عم فلم يرض بقضائه وخاصم
اليك فقال عمر للمنافق اكذلك فقال نعم فقال مكانكما حتى اخرج اليكما فدخل فاخذ
سيفه فضرب به عنق المنافق حتى برد وقال هكذا اقضي لمن لم يرض بقضاء الله و
رسوله فنزلت فقال جبريل ان عمر فرق بين الحق والباطل فسمي الفاروق والطاغوت

على هذا كعب بن الاشرف وفي معناه من يحكم بالباطل ويؤثر لاجله فسمي بذلك لفرط
طغيانه او لتشبيهه بالشيطان او لان التحاكم اليه تحاكم الى الشيطان من حيث انه
الحامل عليه كما قال وقد امروا ان يكفروا به ويريد الشيطان ان يضلهم ضلالا
بعيدا وقرئ ان يكفروا بها على ان الطاغوت جمع لقوله اولياؤهم الطاغوت
واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول وقرئ تعالوا بضم اللام على انه
حذف لام الفعل اعتباطا ثم ضم اللام لواو الضمير رايت المنافقين يصدون عنك صدودا
وهو مصدر او اسم للمصدر الذي هو الصد والفرق بينه وبين السد انه غير محسوس
والسد محسوس ويصدون في موقع الحال فكيف يكونون حالهم اذا اصابتهم مصيبة
كقتل عمر المنافق او النقمة من الله بما قدمت ايديهم من التحاكم الى غيرك وعدم الرضاء
بحكمك ثم جاؤك حين يصابون للاعتذار عطف على اصابتهم وقيل على يصدون وما
بينهما اعتراض يحلفون بالله حال ان اردنا الا احسانا وتوفيقا ما اردنا بذلك الا الفصل
بالوجه الاحسن والتوفيق بين الخصمين ولم نرد مخالفتك وقيل جاء اصحاب القتيل
طالبين بدمه وقالوا ما اردنا بالتحاكم الى عمر الا ان يحسن الى صاحبنا ويوفق بينه
وبين خصمه اولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم من النفاق فلا يغني عنهم الكتمان و
والحلف الكاذب من العقاب فاعرض عنهم اي عن عقابهم لمصلحة في استبقائهم او عن
قبول معذرتهم وعظهم بلسانك وكفهم عما هم عليه وقل لهم في انفسهم اي في معنى
انفسهم او خاليا بهم فان النصح في السر انجع قولا بليغا يبلغ منهم ويؤثر فيهم امرهم بالتجافي
عن ذنوبهم والنصح لهم والمبالغة فيه بالترغيب والترهيب وذلك مقتضى شفقة الانبياء
وتعليق الظرف ببليغا على معنى بليغا في انفسهم مؤثرا فيها ضعيف لان معمول الصفة
لا يتقدم الموصوف والقول البليغ في الاصل هو الذي يطابق مدلوله المقصود به
وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله بسبب اذنه في طاعته وامره المبعوث اليهم
بان يطيعوه وكانه احتج بذلك على ان الذي لم يرض بحكمه وان اظهر الاسلام كان كافرا
مستوجب القتل وتقريره ان ارسال الرسل لما لم يكن الا ليطاع كان من لم يطعه ولم يرض
بحكمه لم يقبل رسالته ومن كان كذلك كان كافرا مستوجب القتل ولو انهم اذ ظلموا انفسهم
بالنفاق والتحاكم الى الطاغوت جاؤك تائبين من ذلك وهو خبر ان واذ متعلق به
فاستغفروا الله بالتوبة والاخلاص واستغفر لهم الرسول واعتذروا اليك حتى انتصب
لهم شفيعا وانما عدل عن الخطاب تفخيما لشانه وتنبيها على ان من حق الرسول ان يقبل اعتذار
التائب وان عظم جرمه ويشفع له ومن منصبه ان يشفع في كبائر الذنوب لوجدوا الله
توابا رحيما لعلموه قابلا لتوبتهم متفضلا عليهم بالرحمة وان فسر وجد بصادف

كان توابا حالا ورحيما بدلا منه او حال من الضمير فيه فلا وربك اي فوربك ولا مزيدة
لتاكيد القسم لا لتظاهر لا في قوله لا يؤمنون لانها تزاد ايضا في الاثبات كقوله تعالى
لا اقسم بهذا البلد حتى يحكموك فيما شجر بينهم فيما اختلف بينهم واختلط ومنه الشجر
لتداخل اغصانه ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ضيقا مما حكمت به او من حكمك او
شكا من اجله فان الشاك في ضيق من امره ويسلموا تسليما وينقادوا لك انقيادا
بظاهرهم وباطنهم ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم تعرضوا بها للقتل بالجهاد او
اقتلوها كما قتل بنوا اسرائيل وان مصدرية او مفسرة لان كتبنا في معنى امرنا او
اخرجوا من دياركم خروجهم حين استتيبوا من عبادة العجل وقرا ابو عمرو ويعقوب ان اقتلوا
بكسر النون على اصل التحريك او اخرجوا بضم الواو للاتباع والتشبيه بواو الجمع في
نحو ولا تنسوا الفضل وقرا عاصم وحمزة بكسرهما على الاصل والباقون بضمهما
اجراء لهما مجرى الهمزة المتصلة بالفعل ما فعلوه الا قليل منهم الا اناس قليل وهم
المخلصون لما بين ان ايمانهم لا يتم الا بان يسلموا حق التسليم نبه على قصور اكثرهم
ووهن اسلامهم والضمير للمكتوب ودل عليه كتبنا او لاحد مصدريه وقرا ابن
عامر بالنصب على الاستثناء او على الا فعلا قليلا ولو انهم فعلوا ما يوعظون به من
متابعة الرسول ومطاوعته طوعا ورغبة لكان خيرا لهم في عاجلهم واشد
تثبيتا في دينهم لانه اشد لتحصيل العلم ونفي الشك او تثبيتا لثواب اعمالهم ونصبه
على التمييز والاية ايضا مما نزلت في شان المنافق واليهودي وقيل انها والتي
قبلها نزلتا في حاطب بن ابي بلتعة خاصم زبيرا في شراج من الحرة كانا يسقيان
بها النخل فقال عم اسق يا زبير ثم ارسل الماء الى جارك فقال حاطب لان كان ابن عمتك
فقال عم اسق يا زبير ثم احبس الماء الى الجدر واستوف حقك ثم ارسله الى جارك
واذا لآتيناهم من لدنا اجرا عظيما جواب لسؤال مقدر كانه قيل وما يكون لهم بعد
التثبيت فقال واذا لو تثبتوا لآتيناهم لان اذا جواب وجزاء ولهديناهم صراطا
مستقيما يصلون بسلوكه جناب القدس ويفتح عليهم ابواب الغيب قال عم من عمل
بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله
عليهم مزيد ترغيب في الطاعة بالوعد عليها مرافقة اكرم الخلائق واعظمهم قدرا
من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين بيان للذين او حال منه او من ضميره
قسمهم اربعة اقسام بحسب منازلهم في العلم والعمل وحث كافة الناس على ان لا
يتاخروا عنهم وهم الانبياء الفائزون بكمال العلم والعمل المتجاوزون حد الكمال
الى درجة التكميل ثم الصديقون الذين صعدت نفوسهم تارة بمراقي النظر في

الحجج والايات واخرى بمعارج التصفية والرياضات الى اوج العرفان حتى اطلعوا على
الاشياء واخبروا عنها على ما هي عليها ثم الشهداء الذين ادى بهم الحرص على الطاعة
والجد في اظهار الحق حتى بذلوا مهجهم في اعلاء كلمة الله ثم الصالحون الذين
صرفوا اعمارهم في طاعته واموالهم في مرضاته ولك ان تقول المنعم عليهم هم
العارفون بالله وهؤلاء اما ان يكونوا بالغين درجة العيان او واقفين في
مقام الاستدلال والبرهان والاولون اما ان ينالوا مع العيان القرب بحيث يكونون
كمن يرى الشيء قريبا وهم الانبياء او لا فيكونون كمن يرى الشيء من بعيد وهم الصديقون
والاخرون اما ان يكون عرفانهم بالبراهين القاطعة وهم العلماء الراسخون
الذين هم شهداء الله في ارضه واما ان يكون بامارات واقناعات تطمئن اليها
نفوسهم وهم الصالحون وحسن اولئك رفيقا في معنى التعجب ورفيقا نصب على التمييز او الحال
ولم يجمع لانه يقال للواحد والجمع كالصديق او لانه اريد وحسن كل واحد منهم رفيقا
روي ان ثوبان مولى رسول الله عم اتاه يوما وقد تغير وجهه ونحل جسمه فسأله
عن حاله فقال ما بي من وجع غير اني اذا لم ارك اشتقت اليك واستوحشت وحشة
شديدة حتى القاك ثم ذكرت الاخرة فخفت ان لا اراك هناك لاني عرفت انك ترفع مع
النبيين وان ادخلت الجنة كنت في منزل دون منزلك وان لم ادخل فذاك حين
لا اراك ابدا فنزلت ذلك اشارة الى ما للمطيعين من الاجر ومزيد الهداية ومرافقة
المنعم عليهم او الى فضل هؤلاء المنعم عليهم ومزيتهم الفضل صفته من الله خبره او الفضل
خبره من الله حال والعامل فيه معنى الاشارة وكفى بالله عليما بجزاء من اطاعه او
بمقادير الفضل واستحقاق اهله يا ايها الذين امنوا خذوا حذركم تيقظوا واستعدوا
للاعداء والحذر والحذر كالاثر والاثر وقيل ما يحذر به كالحزم والسلاح فانفروا
الى الجهاد ثبات جماعات متفرقة جمع ثبة من ثبيت على فلان تثبية اذا ذكرت
متفرق محاسنه ويجمع ايضا على ثبين جبرا لما حذف من عجزه او انفروا جميعا مجتمعين
كوكبة واحدة والاية وان نزلت في الحرب لكن يقتضي اطلاق لفظها وجوب المبادرة
الى الخيرات كلها كيفما امكن قبل الفوات وان منكم لمن ليبطئن الخطاب لعسكر
رسول الله عم المؤمنين منهم والمنافقين والمبطئون منافقوهم تثاقلوا وتخلفوا
عن الجهاد من بطأ بمعنى ابطأ وهو لازم او ثبطوا غيرهم كما ثبط ابن ابي ناسا
يوم احد من بطأ منقولا من بطؤ كثقل من ثقل واللام الاولى للابتداء دخلت
اسم ان للفصل بالخبر والثانية جواب قسم محذوف والقسم بجوابه صلة من
والراجع اليه ما استكن في ليبطئن والتقدير وان منكم لمن اقسم بالله ليبطئن

فان اصابتكم مصيبة كقتل وهزيمة قال اي المبطئ قد انعم الله علي اذ لم اكن معهم
شهيدا اي حاضرا فيصيبني ما اصابهم ولئن اصابكم فضل من الله كفتح وغنيمة
ليقولن اكده تنبيها على فرط تحسرهم وقرئ بضم اللام اعادة للضمير على معنى
من كان لم تكن بينكم وبينه مودة اعتراض بين الفعل ومفعوله وهو يا ليتني
كنت معهم فافوز فوزا عظيما للتنبيه على ضعف عقيدتهم وان قولهم هذا قول من لا مواصلة
بينكم وبينه وانما يريد ان يكون معكم لمجرد المال او حال عن الضمير في ليقولن او داخل
في المقول اي يقول المبطئ لمن يثبطه من المنافقين وضعفة المسلمين تضريبا و
حسدا كان لم يكن بينكم وبين محمد مودة حيث لم يستعن بكم فتفوزوا بما فاز يا ليتني
كنت معهم وقيل انه متصل بالجملة الاولى وهو ضعيف اذ لا يفصل ابعاض الجملة
بما لا يتعلق بها لفظا ومعنى وكان مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشان وهو محذوف
وقرا ابن كثير وحفص عن عاصم ورويس عن يعقوب تكن بالتاء لتانيث المودة و لفظ
المنادى في يا ليتني محذوف اي يا قوم وقيل يا اطلق للتنبيه على الاتساع فافوز
نصب على جواب التمني وقرئ بالرفع على تقدير فانا افوز في ذلك الوقت او العطف على
كنت فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحيوة الدنيا بالاخرة اي الذين يبيعونها
بها والمعنى ان بطا هؤلاء عن القتال فليقاتل المخلصون الباذلون انفسهم في
طلب الاخرة او الذين يشترونها ويختارونها على الاخرة وهم المبطئون والمعنى
حثهم على ترك ما حكي عنهم ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل او يغلب فسوف نؤتيه
اجرا عظيما وعد له الاجر العظيم غلب او غلب ترغيبا في القتال وتكذيبا لقولهم
قد انعم الله علي اذ لم اكن معهم شهيدا وانما قال فيقتل او يغلب تنبيها على ان المجاهد
ينبغي ان يثبت في المعركة حتى يعز نفسه بالشهادة او الدين بالظفر والغلبة وان
لا يكون قصده بالذات الى القتل بل الى اعلاء الحق واعزاز الدين وما لكم مبتدا وخبر
لا تقاتلون في سبيل الله حال والعامل فيها ما في الظرف من معنى الفعل والمستضعفين
عطف على اسم الله اي وفي سبيل المستضعفين وهو تخليصهم عن الاسر وصونهم عن
العدو او على السبيل بحذف المضاف اي وفي خلاص المستضعفين ويجوز نصبه
على الاختصاص فان سبيل الله يعم ابواب الخير وتخليص ضعفة المسلمين من ايدي
الكفار اعظمها واخصها من الرجال والنساء والولدان بيان للمستضعفين
وهم المسلمون الذين بقوا بمكة لصد المشركين او ضعفهم عن الهجرة مستذلين
ممتحنين وانما ذكر الولدان مبالغة في الحث وتنبيها على تناهي ظلم المشركين بحيث
بلغ اذاهم الصبيان وان دعوتهم اجيبت بسبب مشاركتهم في الدعاء حتى يشاركوا

في استنزال الرحمة واستدفاع البلية وقيل المراد به العبيد والاماء وهو جمع
وليد الذين يقولون ربنا اخرجنا من هذه القرية الظالم اهلها واجعل لنا من لدنك
وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا فاستجاب الله دعاءهم بان يسر لبعضهم الخروج
الى المدينة وجعل لمن بقي منهم خير ولي وناصر ففتح مكة على نبيه ﷺ فتولاهم ونصرهم
ثم استعمل عليهم عتاب بن اسيد فحماهم ونصرهم حتى صاروا اعز اهلها والقرية
مكة والظالم صفتها وتذكيره لما اسند اليه فان اسم الفاعل والمفعول اذا جرى
على غير من هو له كان كالفعل يذكر ويؤنث على حسب ما عمل فيه الذين امنوا يقاتلون
في سبيل الله فيما يصلون به الى الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت
فيما يبلغ بهم الى الشيطان فقاتلوا اولياء الشيطان لما ذكر مقصد الفريقين امر
اولياءه ان يقاتلوا اولياء الشيطان ثم شجعهم بقوله ان كيد الشيطان كان ضعيفا
اي ان كيده للمؤمنين بالاضافة الى كيد الله للكافرين ضعيف لا يؤبه به فلا تخافوا
اولياءه فان اعتمادهم على اضعف شيء واوهنه الم تر الى الذين قيل لهم كفوا ايديكم
اي عن القتال واقيموا الصلوة واتوا الزكوة واشتغلوا بما امرتم به فلما كتب عليهم
القتال اذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله يخشون الكفار ان يقتلوهم كما
يخشون الله ان ينزل عليهم باسه واذا للمفاجاة جواب لما وفريق مبتدا ومنهم
صفته ويخشون خبره وكخشية الله من اضافة المصدر الى المفعول وقع موقع المصدر
او الحال من فاعل يخشون على معنى يخشون الناس مثل اهل خشية الله منه او اشد
خشية عطف عليه ان جعلته حالا وان جعلته مصدرا فلا لان افعل التفضيل
اذا نصب ما بعده لم يكن من جنسه بل هو معطوف على اسم الله اي كخشية الله او
كخشية منه على الفرض اللهم الا ان تجعل الخشية ذات خشية كقولهم جد جده
على معنى يخشون الناس خشية مثل خشية الله او خشية اشد خشية من خشية
وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا اخرتنا الى اجل قريب استزادة في مدة الكف
عن القتال حذرا عن الموت ويحتمل انهم ما تفوهوا به ولكن قالوه في انفسهم
فحكى الله عنهم قل متاع الدنيا قليل سريع التقضي والاخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون
فتيلا ولا تنقصون ادنى شيء من ثوابكم فلا ترغبوا عنه او من اجالكم المقدرة
وقرا ابن كثير وحمزة والكسائي ولا يظلمون لتقدم الغيبة اينما تكونوا يدرككم
الموت وقرئ بالرفع على حذف الفاء كما في قوله من يفعل الحسنات الله يشكرها
او على انه كلام مبتدا واينما متصل بلا تظلمون ولو كنتم في بروج مشيدة في
قصور او حصون مرتفعة والبروج في الاصل بيوت على اطراف القصر من تبرج

المراة اذا ظهرت وقري مشيدة وصفا لها بوصف فاعلها كقولهم قصيدة شاعرة
ومشيدة من شاد القصر اذا رفعه وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله
وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك كما تقع الحسنة والسيئة على الطاعة
والمعصية تقعان على النعمة والبلية وهما المراد في الاية اي ان تصبهم نعمة
كخصب نسبوها الى الله وان تصبهم بلية كقحط اضافوها اليك وقالوا ان هي
الا بشؤمك كما قالت اليهود منذ دخل محمد المدينة نقصت ثمارها وغلت اسعارها
قل كل من عند الله يبسط ويقبض حسب ارادته فما لهؤلاء القوم لا يكادون
يفقهون حديثا يوعظون به وهو القران فانهم لو فهموه وتدبروا معانيه
لعلموا ان الكل من الله او حديثا ما كبهائم لا افهام لهم او حادثا في صروف الزمان
فيتفكروا فيها فيعلموا ان الباسط والقابض هو الله ما اصابك يا انسان من
حسنة من نعمة فمن الله تفضلا منه فان كل ما يفعله الانسان من الطاعة لا يكافي
نعمة الوجود فكيف يقتضي غيره ولذلك قال عم ما احد يدخل الجنة الا برحمة الله
قيل ولا انت قال ولا انا الا ان يتغمدني الله برحمته وما اصابك من سيئة من بلية
فمن نفسك لانها السبب فيها لاستجلابها بالمعاصي وهو لا ينافي قوله كل من عند الله
فان الكل منه ايجادا وايصالا غير ان الحسنة احسان وامتنان والسيئة مجازاة
وانتقام كما قالت عايشة رضها ما من مسلم يصيبه وصب ولا نصب حتى الشوكة
يشاكها وحتى انقطاع شسع نعله الا بذنب وما يغفر الله اكثر والايتان كما ترى
لا حجة فيهما لنا وللمعتزلة وارسلناك للناس رسولا حال قصد بها التاكيد ان
علق الجار بالفعل والتعميم ان علق بها اي رسولا للناس جميعا كقوله وما ارسلناك
الا كافة للناس ويجوز نصبه على المصدر كقوله ولا خارجا من في زور كلام
وكفى بالله شهيدا على رسالتك بنصب المعجزات من يطع الرسول فقد اطاع الله لانه
في الحقيقة مبلغ والامر هو الله تعالى روي انه عم قال من احبني فقد احب الله ومن
اطاعني فقد اطاع الله فقال المنافقون لقد قارف الشرك وهو ينهى عنه ما يريد
الا ان نتخذه ربا كما اتخذت النصارى عيسى فنزلت ومن تولى عن طاعته فما
ارسلناك عليهم حفيظا تحفظ عليهم اعمالهم وتحاسبهم عليها انما عليك
البلاغ وعليك الحساب وهو حال عن الكاف ويقولون اذا امرتهم بامر طاعة
اي امرنا طاعة او منا طاعة واصلها النصب على المصدر ورفعها للدلالة على
الثبات فاذا برزوا من عندك خرجوا بيت طايفة منهم غير الذي تقول اي
زورت خلاف ما قلت لها او ما قالت لك من القبول وضمان الطاعة والتبييت

اما من البيتوتة لان الامور تدبر بالليل او من بيت الشعر او البيت المبني لانه
يسوى ويدبر وقرأ ابو عمرو وحمزة بيت طايفة بالادغام لقربهما في المخرج و
الله يكتب ما يبيتون يثبته في صحايفهم للمجازاة او في جملة ما يوحى اليك
لتطلع على اسرارهم فاعرض عنهم قلل المبالاة بهم او تجاف عنهم وتوكل على الله
في الامور كلها سيما في شانهم وكفى بالله وكيلا يكفيك مضرتهم وينتقم لك منهم
افلا يتدبرون القران يتاملون في معانيه ويتبصرون ما فيه واصل التدبر
النظر في ادبار الشيء ولو كان من عند غير الله اي ولو كان من كلام البشر كما زعم
الكفار لوجدوا فيه اختلافا كثيرا من تناقض المعنى وتفاوت النظم وكان بعضه
فصيحا وبعضه ركيكا وبعضه تصعب معارضته وبعضه تسهل ومطابقة بعض
اخباره المستقبلة للواقع دون بعض وموافقة العقل لبعض احكامه دون
بعض على ما دل عليه الاستقراء لنقصان القوة البشرية ولعل ذكره ههنا
للتنبيه على ان الاختلاف ما سبق من الاحكام ليس لتناقض في الحكم بل لاختلاف
الاحوال في الحكم والمصالح واذا جاءهم امر من الامن او الخوف مما يوجب الامن
او الخوف اذاعوا به افشوه كانه يفعله قوم من ضعفة المسلمين اذا بلغهم خبر
عن سرايا رسول الله او اخبرهم الرسول بما اوحي اليه من وعد بالظفر او تخويف
من الكفرة اذاعوا به لعدم حزمهم فكانت اذاعتهم مفسدة والباء مزيدة
او لتضمين الاذاعة معنى التحدث ولو ردوه الى الرسول لو ردوا ذلك الخبر الى
الرسول والى اولي الامر منهم الى رايه اي كبار الصحابة البصراء بالامور او الامراء
لعلمه لعلمه على اي وجه يذكر الذين يستنبطونه منهم يستخرجون تدبيره بتجاربهم
وانظارهم وقيل كانوا يسمعون اراجيف المنافقين فيذيعونها فتعود وبالا
على المسلمين ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر منهم حتى يسمعوه منهم وتعرفوا
انه هل يذاع لعلم ذلك من هؤلاء الذين يستنبطونه من الرسول واولي الامر اي
يستخرجون علمه من جهتهم واصل الاستنباط اخراج النبط وهو الماء يخرج من
البير اول ما تحفر ولولا فضل الله عليكم ورحمته بارسال الرسول وانزال
الكتاب لاتبعتم الشيطان بالكفر والضلال الا قليلا الا قليلا منكم تفضل الله عليه
بعقل راجح اهتدى به الى الحق والصواب وعصمه عن متابعة الشيطان كزيد بن
عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل او الا اتباعا قليلا على الندور فقاتل في سبيل
الله ان تثبطوا وتركوك وحدك لا تكلف الا نفسك الا فعل نفسك لا يضرك مخالفتهم
وتقاعدهم فتقدم الى الجهاد وان لم يساعدك احد فان الله ناصرك لا الجنود وري

انه ﷺ دعا الناس في بدر الصغرى الى الخروج فكرهه بعضهم فنزلت فخرج وما معه
الا سبعون لم يلو على احد وقرئ لا تكلف بالجزم ولا نكلف بالنون على بناء الفاعل
اي لا نكلفك الا فعل نفسك لا انا لا نكلف احدا الا نفسك لقوله وحرض المؤمنين
على القتال اذ ما عليك في شانهم الا التحريض عسى الله ان يكف باس الذين كفروا يعني
قريشا وقد فعل بان القى في قلوبهم الرعب حتى رجعوا والله اشد باسا من قريش
واشد تنكيلا تعذيبا منهم وهو تقريع وتهديد لمن لم يتبعه من يشفع شفاعة حسنة
راعى بها حق مسلم ودفع بها عنه ضرا او جلب اليه نفعا ابتغاء لوجه الله ومنها
الدعاء لمسلم قال ﷺ من دعا لاخيه المسلم بظهر الغيب استجيب له وقال له الملك ولك
مثل ذلك يكن له نصيب منها وهو ثواب الشفاعة والتسبب الى الخير الواقع بها ومن
يشفع شفاعة سيئة يريد بها محرما يكن له كفل منها نصيب من وزرها مساو لها
في القدر وكان الله على كل شيء مقيتا مقتدرا من اقات على الشيء اذا قدر قال
وذي ضغن كففت الضغن عنه وكنت على مساءته مقيتا او شهيدا حافظا واشتقاقه
من القوت فانه يقوي البدن ويحفظه واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها او
ردوها الجمهور على انه في السلام ويدل على وجوب الجواب اما باحسن منه و
هو ان يزيد عليه ورحمة فان قاله المسلم زاد وبركاته وهي النهاية واما برد
مثله لما روي ان رجلا قال لرسول الله ﷺ السلام عليك فقال وعليك السلام
ورحمة الله وقال اخر السلام عليك ورحمة الله فقال وعليك السلام ورحمة
الله وبركاته وقال اخر السلام عليك ورحمة الله وبركاته فقال وعليك فقال
الرجل نقصتني فاين ما قال الله وتلا الاية فقال انك لم تترك لي فضلا فرددت
عليك مثله وذلك لاستجماعه اقسام المطالب السلامة عن المضار وحصول
المنافع وثباتها وهذا الوجوب على الكفاية وحيث السلام مشروع فلا يرد في
الخطبة وقراءة القران وفي الحمام وعند قضاء الحاجة ونحوها و
او للترديد بين ان يحيي المسلم ببعض التحية وبين ان يحيي بتمامها والتحية في الاصل
مصدر حياك الله على الاخبار من الحيوة ثم استعمل للحكم والدعاء بذلك ثم قيل
لكل دعاء فغلب في السلام وقيل المراد بالتحية العطية واوجب الثواب والرد
على المتهب وهو قول قديم للشافعي رض ان الله كان على كل شيء حسيبا يحاسبكم
على التحية وغيرها الله لا اله الا هو مبتدا وخبر او الله مبتدا والخبر ليجمعنكم
الى يوم القيمة اي الله والله ليحشرنكم من قبوركم الى يوم القيمة او مفضين اليه
او في يوم القيمة ولا اله الا هو اعتراض والقيام والقيمة كالطلاب والطلابة

وهي قيام الناس من القبور او للحساب لا ريب فيه في اليوم او في الجمع فهو حال من
اليوم او صفة للمصدر ومن اصدق من الله حديثا انكار ان يكون احد اكثر صدقا
منه فانه لا يتطرق الكذب الى خبره بوجه لانه نقص وهو على الله محال فما لكم
في المنافقين فما لكم تفرقتم في امر المنافقين فئتين اي فرقتين ولم تتفقوا على كفرهم
وذلك ان ناسا منهم استاذنوا رسول الله ﷺ في الخروج الى البدو لاجتواء المدينة
فلما خرجوا لم يزالوا راحلين مرحلة مرحلة حتى لحقوا بالمشركين فاختلف المسلمون
في اسلامهم وقيل نزلت في المتخلفين يوم احد او في قوم هاجروا ثم رجعوا معتلين
باجتواء المدينة والاشتياق الى الوطن او قوم اظهروا الاسلام وقعدوا عن
الهجرة وفئتين حال عاملها لكم كقولك ما لك قائما او في المنافقين حال من فئتين اي
متفرقين فيهم او من الضمير اي فما لكم تفترقون فيهم ومعنى الافتراق مستفاد من
فئتين والله اركسهم ردهم الى حكم الكفرة او نكسهم بان صيرهم للنار و
اصل الركس رد الشيء مقلوبا اتريدون ان تهدوا من اضل الله اي تجعلوه من المهتدين
ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا الى الهدى ودوا لو تكفرون كما كفروا تمنوا ان تكفروا
ككفرهم فتكونون سواء فتكونون معهم سواء في الضلال وهو عطف على تكفرون ولو
نصب على جواب التمني لجاز فلا تتخذوا منهم اولياء حتى يهاجروا في سبيل الله فلا
توالوهم حتى يؤمنوا وتحققوا ايمانهم بهجرة هي لله ورسوله لا لاغراض الدنيا و
سبيل الله ما امر بسلوكه فان تولوا عن الايمان المظاهر بالهجرة او عن اظهار
الايمان فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم كسائر الكفرة ولا تتخذوا منهم وليا
ولا نصيرا اي جانبوهم راسا ولا تقبلوا منهم ولاية ولا نصرة الا الذين يصلون
الى قوم بينكم وبينهم ميثاق استثناء من قوله فخذوهم واقتلوهم اي الا الذين
يتصلون وينتهون الى قوم عاهدوكم ويفارقون محاربتكم والقوم هم خزاعة
وقيل الاسلميون فانه ﷺ وادع وقت خروجه الى مكة هلال بن عويمر الاسلمي
على ان لا يعينه ولا يعين عليه ومن لجا اليه فله من الجوار مثل ما له وقيل بنو
بكر بن زيد مناة او جاؤكم عطف على الصلة اي او الذين جاؤكم كافين عن
قتالكم وقتال قومهم استثنى عن المامور باخذهم وقتلهم من ترك المحاربين
فلحق بالمعاهدين او اتى الرسول وكف عن قتال الفريقين او على صفة قوم و
كانه قيل الا الذين يصلون الى قوم معاهدين او قوم كافين عن القتال لكم
وعليكم والاول اظهر لقوله فان اعتزلوكم وقرئ بغير العاطف على انه
صفة بعد صفة او بيان ليصلون او استيناف حصرت صدورهم حال باضمار

ويدل عليه انه قرئ حصرة صدورهم وحصرات او بيان لجاؤكم وقيل
صفة محذوف اي جاؤكم قوما حصرت صدورهم وهم بنو مدلج جاؤا رسول
الله ﷺ غير مقاتلين والحصر الضيق والانقباض ان يقاتلوكم او يقاتلوا قومهم
اي عن ان او لان او كراهة ان يقاتلوكم ولو شاء الله لسلطهم عليكم بان قوى
قلوبهم وبسط صدورهم وازال الرعب عنهم فلقاتلوكم ولم يكفوا عنكم فان
اعتزلوكم فلم يقاتلوكم فان لم يتعرضوا لكم والقوا اليكم السلم الاستسلام والانقياد
فما جعل الله لكم عليهم سبيلا فما اذن لكم في اخذهم وقتلهم ستجدون آخرين
يريدون ان يأمنوكم ويأمنوا قومهم هم اسد وغطفان وقيل بنو عبد الدار اتوا
المدينة واظهروا الاسلام ليأمنوا المسلمين فلما رجعوا كفروا كلما ردوا الى
الفتنة دعوا الى الكفر او الى قتال المسلمين اركسوا فيها عادوا اليها وقلبوا
فيها اقبح قلب فان لم يعتزلوكم ويلقوا اليكم السلم وينبذوا اليكم العهد ويكفوا ايديهم
عن قتالكم فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم حيث تمكنتم منهم فان مجرد الكف لا يوجب
نفي التعرض واولئكم جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا حجة واضحة في التعرض لهم
بالقتل والسبي لظهور عداوتهم ووضوح كفرهم وغدرهم او تسلطا ظاهرا
حيث اذن لكم في قتلهم وما كان لمؤمن وما صح له وليس من شانه ان يقتل مؤمنا
بغير حق الا خطأ فانه على عرضيته ونصبه على الحال او المفعول له اي لا يقتله
في شيء من الاحوال الا حال الخطأ او لا يقتله لعلة الا للخطأ او على انه صفة
مصدر محذوف اي الا قتلا خطأ وقيل ما كان نفي في معنى النهي والاستثناء
منقطع اي لكن ان قتله خطأ فجزاؤه ما يذكر والخطأ ما لا يضامه القصد
الى الفعل او الشخص او ما لا يقصد به زهوق الروح غالبا او لا يقصد به محظورا
كرمي مسلم في صف الكفار مع الجهل باسلامه او يكون فعل غير المكلف وقرئ
خطاء بالمد وخطا كعصا بتخفيف الهمزة والآية نزلت في عياش بن ابي ربيعة اخي
ابي جهل من الام لقي حارث بن زيد في طريق وكان قد اسلم ولم يشعر به عياش
فقتله ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة اي فعليه او فواجبه تحرير رقبة
والتحرير الاعتاق والحر كالعتيق للكريم من الشيء ومنه حر الوجه لاكرم موضع
منه سمي به لان الكرم في الاحرار والرقبة عبر بها عن النسمة كما عبر عنها
بالراس مؤمنة محكوم باسلامها وان كانت صغيرة ودية مسلمة الى اهله
مؤداة الى ورثته يقتسمونها كسائر المواريث لقول ضحاك بن سفيان
الكلابي كتب الي رسول الله يامرني ان اورث امراة اشيم الضبابي

من عقل زوجها وهي على العاقلة فان لم يكن ففي بيت المال فان لم تكن ففي ماله
الا ان يصدقوا الا ان يتصدقوا عليه بالدية سمي العفو عنها صدقة حثا عليه وتنبيها على
فضله وعن النبي ﷺ كل معروف صدقة وهو متعلق بعليه او بمسلمة اي تجب الدية
عليه او يسلمها الى اهله الا حال تصدقهم عليه او زمانه فهو في محل النصب على الحال
من القاتل او الاهل او الظرف فان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة
اي كان المؤمن المقتول من قوم كفار محاربين او في تضاعيفهم ولم يعلم ايمانه فعلى
قاتله الكفارة دون الدية لاهله اذ لا وراثة بينه وبينهم ولانهم محاربون
وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة الى اهله وتحرير رقبة مؤمنة
وان كان من قوم كفرة معاهدين او اهل الذمة فحكمه حكم المسلم في وجوب الكفارة
والدية ولعله فيما اذا كان المقتول معاهدا او كان له وارث مسلم فمن لم يجد
رقبة بان لم يملكها ولا ما يتوصل به اليها فصيام شهرين متتابعين فعليه او
فالواجب عليه صيام شهرين توبة من الله نصب على المفعول له اي شرع ذلك توبة من تاب الله
عليه اذا قبل توبته او على المصدر اي وتاب عليكم توبة او حال بحذف مضاف اي
فعليه صيام شهرين ذا توبة من الله صفتها وكان الله عليما بحاله حكيما فيما
امر في شانه ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه و
لعنه واعد له عذابا عظيما لما فيه من التهديد العظيم قال ابن عباس لا يقبل توبة
قاتل المؤمن عمدا ولعله اراد به التشديد اذ روي عنه خلافه والجمهور على
انه مخصوص بمن لم يتب لقوله واني لغفار لمن تاب ونحوه وهو عندنا اما مخصوص
بالمستحل له كما ذكر عكرمة وغيره ويؤيده انه نزل في مقيس بن ضبابة وجد
اخاه هشاما قتيلا في بني النجار ولم يظهر قاتله فامره رسول الله ان يدفعوا
اليه ديته فدفعوا اليه ثم حمل على مسلم فقتله ورجع الى مكة مرتدا او المراد
بالخلود المكث الطويل فان الدلائل متظاهرة على ان عصاة المسلمين لا يدوم
عذابهم يا ايها الذين آمنوا اذا ضربتم في سبيل الله سافرتم وذهبتم للغزو فتبينوا
فاطلبوا بيان الامر وثباته ولا تعجلوا فيه ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام لمن
حياكم بتحية الاسلام وقرأ نافع وابن عامر وحمزة السلم بغير الالف اي
الاستسلام والانقياد وفسر به السلام ايضا لست مؤمنا وانما فعلت ذلك
متعوذا وقرئ مؤمنا بالفتح اي مبذولا له الامان تبتغون عرض الحياة الدنيا
تطلبون ماله الذي هو حطام سريع النفاذ وهو حال من الضمير في تقولوا مشعر
بما هو الحامل لهم على العجلة وترك التثبت فعند الله مغانم كثيرة تغنيكم عن قتل

عن قتل امثاله لماله لمن القى اليكم السلم لست مؤمنا اى انما دخلتم فى الاسلام تعوذتم بكلمة الشهادة فحصنتم بها دماءكم واموالكم من غير ان تعلم مواطاة قلوبكم السنتكم فمن الله عليكم بالاشتهار بالايمان والاستقامة فى الدين فتبينوا وافعلوا بالداخلين فى الاسلام كما فعل الله بكم ولا تبادروا الى قتلهم ظنا بانهم دخلوا فيه اتقاء وخوفا فان ابقاء الف كافر اهون عند الله من قتل امرء مسلم وتكريره لتعظيم الامر وترتيب الحكم على ما ذكر من حالهم ان الله كان بما تعملون خبيرا عالما به وبالغرض منه فلا تتهافتوا فى القتل واحتاطوا فيه روى سرية لرسول الله عم غزت اهل فدك فهربوا وبقى مرداس ثقة بالاسلام فلما راى الخيل الجاء غنمه الى عاقول من الجبل وصعد فلما تلاحقوا وكبروا كبر ونزل وقال لا اله الا الله محمد رسول الله السلام عليكم فقتله اسامة وساق غنمه فنزلت وقيل نزلت فى المقداد مر برجل فى غنيمة فاراد قتله فقال لا اله الا الله فقتله فقال ود لو فر باهله وماله وفيه دليل على صحة ايمان المكره وان المجتهد قد يخطى وان خطاه مغتفر لا يستوى القاعدون عن الحرب من المؤمنين فى موضع الحال من القاعدين او من الضمير الذى فيه غير اولى الضرر بالرفع صفة للقاعدين لانه لم يقصد به قوم باعيانهم او بدل منه وقرا نافع وابن عامر والكسائى بالنصب على الحال او الاستثناء وقد قرئ بالجر على انه صفة للمؤمنين او بدل منه وعن زيد بن ثابت انها نزلت فلم يكن فيها غير اولى الضرر فقال ابن ام مكتوم وكيف وانا اعمى فغشى رسول الله عم فى مجلسه الوحى فوقعت فخذه على فخذى حتى خشيت ان ترضها ثم سرى عنه فقال اكتب لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير اولى الضرر والمجاهدون فى سبيل الله باموالهم وانفسهم اى لا مساواة بينهم وبين من قعد عن الجهاد من غير علة وفائدته تذكير ما بينهما من التفاوت ليرغب القاعد فى الجهاد رفعا لرتبته وانفة عن انحطاط منزلته فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدين درجة جملة موضحة لما نفى الاستواء فيه والقاعدون على التقييد السابق ودرجة نصب بنزع الخافض او على المصدر لانه تضمن معنى التفضيل ووقع موقع المرة منه او الحال بمعنى ذوو درجة وكلا من القاعدين والمجاهدين وعد الله الحسنى المثوبة الحسنى وهى الجنة لحسن عقيدتهم وخلوص نيتهم وانما التفاوت فى زيادة العمل المقتضى لمزيد الثواب وفضل الله المجاهدين على القاعدين اجرا عظيما نصب على المصدر لان فضل بمعنى آجر والمفعول الثانى له لتضمنه

معنى الاعطاء كانه قيل واعطاهم زيادة على القاعدين اجرا عظيما درجات منه ومغفرة ورحمة كل واحد منها بدل من اجرا ويجوز ان ينتصب درجات على المصدر كقولك ضربته اسواطا واجرا على الحال عنها تقدمت عليها لانها نكرة ومغفرة ورحمة على المصدر باضمار فعلهما كرر تفضيل المجاهدين وبالغ فيه اجمالا وتفصيلا تعظيما للجهاد وترغيبا فيه وقيل الاول ما خولهم فى الدنيا من الغنيمة والظفر وجميل الذكر والثانى ما جعل لهم فى الاخرة وقيل المراد بالدرجة الاولى ارتفاع منزلتهم عند الله وبالدرجات منازلهم فى الجنة وقيل القاعدون الاول هم الاضراء والقاعدون الثانى هم الذين اذن لهم فى التخلف اكتفاء بغيرهم وقيل المجاهدون الاولون من جاهد الكفار والاخرون من جاهد نفسه وعليه قوله عم رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر وكان الله غفورا لما عسى يفرط منهم رحيما بما وعد لهم ان الذين توفاهم الملائكة يحتمل الماضى والمضارع وقرئ توفتهم وتوفيهم على مضارع وفيت بمعنى ان الله يوفى الملائكة انفسهم فيتوفونها اى يمكنهم من استيفائها فيستوفونها ظالمى انفسهم فى حال ظلمهم انفسهم بترك الهجرة وموافقة الكفرة فانها نزلت فى ناس من مكة اسلموا ولم يهاجروا حين كانت الهجرة واجبة قالوا اى الملائكة توبيخا لهم فيم كنتم فى اى شئ كنتم من امر دينكم قالوا كنا مستضعفين فى الارض اعتذروا مما وبخوا به بضعفهم وعجزهم عن الهجرة وعن اظهار الدين واعلاء كلمته قالوا اى الملائكة تكذيبا لهم او تبكيتا الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها الى قطر اخر كما فعل المهاجرون الى المدينة والحبشة فاولئك مأواهم جهنم لتركهم الواجب ومساعدتهم الكفار وهو خبر ان والفاء فيه لتضمن الاسم معنى الشرط وقالوا فيم كنتم حال من الملائكة باضمار قد او الخبر والعائد محذوف اى قالوا لهم وهو جملة معطوفة على الجملة قبلها مستنتجة منها وساءت مصيرا مصيرهم او جهنم وفى الاية دليل على وجوب الهجرة من موضع لا يتمكن الرجل فيه من اقامة دينه وعن النبى عم من فر بدينه من ارض الى ارض وان كان شبرا من الارض استوجبت له الجنة وكان رفيق ابيه ابراهيم ونبيه محمد عم الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان استثناء منقطع لعدم دخولهم فى الموصول وضميره والاشارة اليه وذكر الولدان ان اريد به المماليك فظاهر وان اريد به الصبيان فللمبالغة فى الامر والاشعار بانهم على صدد وجوب الهجرة فانهم اذا بلغوا وقدروا على الهجرة فلا محيص لهم عنها وان قوامهم يجب عليهم ان يهاجروا بهم متى امكنت لا يستطيعون حيلة

ولا يهتدون سبيلا صفة للمستضعفين اذ لا توقيت فيه او حال عنه او عن المستكن
فيه واستطاعة الحيلة وجدان اسباب الهجرة وما توقف عليه واهتداء السبيل
معرفة الطريق بنفسه او بدليل فاولئك عسى الله ان يعفو عنهم ذكر بكلمة الاطماع
ولفظ العفو ايذانا بان ترك الهجرة امر خطير حتى ان المضطر من حقه ان لا يامن و
يترصد الفرصة ويعلق بها قلبه وكان الله عفوا غفورا ومن يهاجر في سبيل الله
يجد في الارض مراغما كثيرا متحولا من الرغام وهو التراب وقيل طريقا يراغم قومه
بسلوكه اي يفارقهم على رغم انوفهم وهو ايضا من الرغام وسعة في الرزق واظهار
الدين ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت وقرئ يدركه
بالرفع على انه خبر محذوف اي ثم هو يدركه وبالنصب على اضمار ان كقوله والحق
بالحجاز فاستريحا فقد وقع اجره على الله وكان الله غفورا رحيما الوقوع والوجوب
متقاربان والمعنى ثبت اجره عند الله ثبوت الامر الواجب والاية نزلت في جندب بن
ضمرة حمله بنوه على سرير متوجها الى المدينة فلما بلغ التنعيم اشرف على الموت فصفق
يمينه على شماله فقال اللهم هذه لك وهذه لرسولك ابايعك على ما بايع عليه رسولك
فمات واذا ضربتم في الارض سافرتم فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلوة بتنصيف
ركعاتها ونفي الحرج فيه يدل على جوازه دون وجوبه ويؤيده انه عليه السلام
اتم في السفر وان عايشة اعتمرت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت يا رسول الله قصرت
واتممت وصمت وافطرت فقال احسنت يا عايشة واوجبه ابو حنيفة رضي الله عنه لقول
عمر رضي الله عنه صلوة السفر ركعتان تمام غير قصر على لسان نبيكم ولقول عايشة رضي الله
عنها اول ما فرضت الصلوة فرضت ركعتين فاقرت في السفر وزيدت
في الحضر وظاهرهما يخالف الاية فان صحا فالاول مؤول بانه كالتام في الصحة و
الاجزاء والثاني لا ينفي جواز الزيادة فلا حاجة الى تاويل الاية بانهم الفوا الاربع
فكان مظنة لان يخطر ببالهم ان ركعتي السفر قصر ونقصان فسمي الاتيان بهما قصرا
على ظنهم ونفي الجناح فيه لتطيب به نفوسهم واقل سفر تقصر فيه اربعة برد عندنا
وستة عند ابي حنيفة وقرئ تقصروا من اقصر بمعنى قصر ومن الصلوة صفة
محذوف اي شيئا من الصلوة عند سيبويه ومفعول تقصروا بزيادة من عند الاخفش
ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا شرطية باعتبار
الغالب في ذلك الوقت ولذلك لم يعتبر مفهومها كما لم يعتبر في قوله تعالى فان خفتم الا
يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به وقد تظاهرت السنن على
جوازه ايضا في حال الامن وقرئ من الصلوة ان يفتنكم بغير ان خفتم بمعنى كراهة

ان يفتنكم وهو القتال والتعرض بما يكره واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلوة تعلق بمفهومه
من خص صلوة الخوف بحضرة الرسول صلى الله عليه وسلم لفضل الجماعة وعامة الفقهاء على انه تعالى
علم الرسول كيفيتها ليأتم به الائمة بعده فانهم نواب عنه فيكون حضورهم كحضوره
فلتقم طائفة منهم معك فاجعلهم طائفتين فلتقم احديهما معك يصلون ويقوم الطائفة
الاخرى تجاه العدو وليأخذوا اسلحتهم اي المصلون حزما وقيل الضمير للطائفة
الاخرى وذكر الطائفة الاولى يدل عليهم فاذا سجدوا يعني المصلين فليكونوا اي
غير المصلين من ورائكم يحرسونكم يعني النبي صلى الله عليه وسلم ومن يصلي معه فغلب المخاطب على الغائب
ولتأت طائفة اخرى لم يصلوا لاشتغالهم بالحراسة فليصلوا معك ظاهره يدل على ان
الامام يصلي مرتين بكل طائفة مرة كما فعله صلى الله عليه وسلم ببطن النخل وان اريد به ان يصلي
بكل ركعة ان كانت الصلوة ركعتين فكيفيته ان يصلي بالاولى ركعة وينتظر قائما
حتى يتموا صلوتهم منفردين ويذهبوا الى وجه العدو وتاتي الاخرى فيتم بهم الركعة
الثانية ثم ينتظرهم قاعدا حتى يتموا صلوتهم ويسلم بهم كما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم بذات
الرقاع وقال ابو حنيفة رضي الله عنه يصلي بالاولى ركعة ثم تذهب هذه وتقف بازاء العدو
وتاتي الاخرى فتصلي معه ركعة ويتم صلوته ثم تعود الى وجه العدو وتاتي الاولى
فتؤدي الركعة الثانية بغير قراءة وتتم صلوتها وليأخذوا حذرهم واسلحتهم
جعل الحذر آلة يتحصن بها الغازي فجمع بينه وبين الاسلحة في وجوب الاخذ و
نظيره قوله تعالى والذين تبوءوا الدار والايمان ود الذين كفروا لو تغفلون عن
اسلحتكم وامتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة تمنوا ان ينالوا منكم غرة في صلوتكم
فيشدون عليكم شدة واحدة وهو بيان ما لاجله امروا باخذ السلاح ولا جناح
عليكم ان كان بكم اذى من مطر او كنتم مرضى ان تضعوا اسلحتكم رخصة لهم في وضعها
اذا ثقل عليهم اخذها بسبب مطر او مرض وهذا مما يؤيد ان الامر بالاخذ للوجوب
دون الاستحباب وخذوا حذركم امرهم مع ذلك باخذ الحذر كيلا يهجم عليهم العدو
ان الله اعد للكافرين عذابا مهينا وعد للمؤمنين بالنصر على الكفار بعد الامر بالحزم
لتقوى قلوبهم وليعلموا ان الامر بالحزم ليس لضعفهم وغلبة عدوهم بل لان الواجب
ان يحافظوا في الامور على مراسم التيقظ والتدبير فيتوكلوا على الله تعالى فاذا
قضيتم الصلوة اديتم وفرغتم منها فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم
فدوموا على الذكر في جميع الاحوال او اذا اردتم اداء الصلوة واشتد الخوف
فصلوها كيفما امكن قياما مسايفين ومقارعين وقعودا مرامين وعلى
جنوبكم مثخنين فاذا اطمأننتم سكنت قلوبكم من الخوف فاقيموا الصلوة فعدلوا

واحفظوا اركانها وشرايطها وأتوا بها تامة ان الصلوة كانت على المؤمنين
كتابا موقوتا فرضا محدود الاوقات لا يجوز اخراجها عن اوقاتها في شيء من
الاحوال وهذا دليل على ان المراد بالذكر الصلوة وانها واجبة الاداء حال
المسايفة والاضطراب في المعركة وتعليل الامر بالاتيان بها كيفما امكن وقال
ابو حنيفة رح لا يصلي المحارب حتى يطمئن ولا يطمئن ولا تهنوا ولا تضعفوا في
ابتغاء القوم في طلب الكفار بالقتال ان تكونوا تالمون فانهم يالمون كما تالمون
وترجون من الله ما لا يرجون الزام لهم وتقريع على التواني فيه بان ضرر القتال داير
بين الفريقين غير مختص بهم وهم يرجون من الله بسببه من اظهار الدين واستحقاق
الثواب ما لا يرجوا عدوهم فينبغي ان تكونوا ارغب منهم في الحرب واصبر عليها
وقرئ ان تكونوا بالفتح بمعنى ولا تهنوا لان تكونوا تالمون ويكون قوله فانهم يالمون
علة للنهي عن الوهن لاجله والاية نزلت في بدر الصغرى وكان الله عليما باعمالكم
وضمايركم حكيما فيما يامر وينهى انا انزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس
نزلت في طعمة بن ابيرق من بني ظفر سرق درعا من جاره قتادة بن النعمان في جراب
دقيق فجعل الدقيق ينتثر من خرق فيه وخباها عند زيد بن السمين فالتمست
الدرع عند طعمة فلم توجد وحلف ما اخذها وما له بها علم فتركوه واتبعوا
اثر الدقيق حتى انتهى الى منزل اليهودي فاخذوها فقال دفعها الى طعمة وشهد
له ناس من اليهود فقال بنو ظفر انطلقوا بنا الى رسول الله عم فسألوه ان
يجادل عن صاحبهم وقالوا ان لم تفعل هلك وافتضح وبرئ اليهودي فهم رسول
الله عم ان يفعل بما اريك الله بما عرفك واوحى به اليك وليس من الرؤية بمعنى
العلم والا لاستدعى ثلثة مفاعيل ولا تكن للخائنين اي لاجلهم والذب عنهم
خصيما للبرآء واستغفر الله مما هممت به ان الله كان غفورا رحيما لمن يستغفره
ولا تجادل عن الذين يختانون انفسهم يخونونها فان وبال خيانتهم يعود عليها
او جعل المعصية خيانة لها كما جعلت ظلما عليها والضمير لطعمة وامثاله
له ولقومه فانهم شاركوه في الاثم حين شهدوا على برائته وخاصموا عنه ان
الله لا يحب من كان خوانا مبالغا في الخيانة مصرا عليها اثيما منهمكا فيه روي
روي ان طعمة هرب الى مكة وارتد ونقب حائطا بها ليسرق اهله فسقط الحائط
عليه فقتله يستخفون من الناس يستترون منهم حياء وخوفا ولا يستخفون
من الله وهو احق بان يستحيى منه ويخاف منه وهو معهم لا يخفى عليه سرهم فلا
طريق معه الا ترك ما يستقبحه ويؤاخذ عليه اذ يبيتون يدبرون الا ما

ما لا يرضى من القول من رمي البريء والحلف الكاذب وشهادة الزور وكان الله بما يعملون محيطا لا
يفوت عنه شيء ها انتم هؤلاء مبتدأ وخبره جادلتم عنهم في الحيوة الدنيا جملة
مبينة لوقوع اولاء خبرا او صلته عند من يجعله موصولا فمن يجادل الله عنهم
يوم القيمة ام من يكون عليهم وكيلا محاميا يحميهم عن عذاب الله ومن يعمل سوءا
قبيحا يسوء به غيره او يظلم نفسه بما يختص به ولا يتعداه وقيل المراد بالسوء ما
دون الشرك وبالظلم الشرك وقيل الصغيرة والكبيرة ثم يستغفر الله بالتوبة
يجد الله غفورا لذنوبه رحيما متفضلا عليه وفيه حث لطعمة وقومه على التوبة
والاستغفار ومن يكسب اثما فانما يكسبه على نفسه فلا يتعداه وباله كقوله
وان اساتم فلها وكان الله عليما حكيما فهو عالم بفعله حكيم في مجازاته
ومن يكسب خطيئة صغيرة او ما عمد فيه او اثما كبيرة او ما كان عن عمد ثم يرم
به بريئا كما رمى طعمة زيدا ووحد الضمير لمكان او فقد احتمل بهتانا واثما مبينا
بسبب رمي البريء وتبرئة النفس الخاطئة ولذلك سوى بينهما وان كان مقترف
احدهما دون مقترف الاخر ولولا فضل الله عليك ورحمته باعلام ما هم عليه
بالوحي لهمت طائفة منهم اي من بني ظفر ان يضلوك عن القضاء بالحق مع علمهم
بالحال والجملة جواب لولا وليس القصد فيه الى نفي همهم بل الى نفي تاثيره فيه
وما يضلون الا انفسهم لانه ما ازلك عن الحق وعاد وباله عليهم وما يضرونك
من شيء فان الله عصمك وما خطر ببالك كان اعتمادا منك على ظاهر الامر لا ميلا
في الحكم ومن شيء في موضع النصب على المصدر اي شيئا من الضرر وانزل الله عليك
الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم من خفيات الامور او من امور الدين والاحكام
وكان فضل الله عليك عظيما اذ لا فضل اعظم من النبوة لا خير في كثير من نجواهم
من متناجيهم كقوله تع واذ هم نجوى او من تناجيهم فقوله الا من امر بصدقة او
معروف على حذف المضاف اي الا نجوى من امر او على الانقطاع بمعنى ولكن من امر بصدقة
ففي نجواه الخير والمعروف كل ما يستحسنه الشرع ولا ينكره العقل وفسر ههنا
بالقرض واغاثة الملهوف وصدقة التطوع وساير ما فسر به او اصلاح بين
الناس او اصلاح ذات البين ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه اجرا
عظيما بنى الكلام على الامر ورتب الجزاء على الفعل ليدل على انه لما دخل الامر
في زمرة الخيرين كان الفاعل ادخل فيهم وان العمدة والغرض هو الفعل واعتبار
الامر من حيث انه وصلة اليه وقيد الفعل بان يكون لطلب مرضات الله لان الاعمال
بالنيات وان من فعل خيرا رئاء وسمعة لم يستحق به من الله اجرا ووصف

الاجر بالعظم تنبيها على حقارة ما فات في جنبه من اغراض الدنيا ومن يشاقق
الرسول يخالفه من الشق فان كلا من المتخالفين في شق غير شق الاخر من بعد
ما تبين له الهدى ظهر له الحق بالوقوف على المعجزات ويتبع غير سبيل المؤمنين
غير ما هم عليه من اعتقاد او عمل نوله ما تولى نجعله واليا لما تولى من الضلال
ونخلي بينه وبين ما اختاره ونصله جهنم وندخله فيها وقرئ بفتح النون
من صلاه وساءت مصيرا جهنم والاية تدل على حرمة مخالفة الاجماع لانه تعالى
رتب الوعيد الشديد على المشاقة واتباع غير سبيل المؤمنين وذلك اما لحرمة
كل واحد منهما او احدهما او الجمع بينهما والثاني باطل اذ يقبح ان يقال من شرب
الخمر واكل الخبز استوجب الحد وكذا فكذا الثالث لان المشاقة محرمة ضم اليها
غيرها او لم يضم واذا كان اتباع غير سبيلهم محرما كان اتباع سبيلهم واجبا
لان ترك اتباع سبيلهم ممن عرف سبيلهم اتباع غير سبيلهم وقد استقصيت
الكلام فيه في مرصاد الافهام الى مبادي الاحكام ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر
ما دون ذلك لمن يشاء كرره للتاكيد او لقصة طعمة وقيل جاء شيخ الى
رسول الله ع م وقال اني شيخ منهمك في الذنوب الا اني لم اشرك بالله شيئا منذ عرفته
وامنت به ولم اتخذ من دونه وليا ولم اوقع المعاصي جراة وما توهمت طرفة عين
اني اعجز الله هربا واني لنادم تائب فما ترى حالي عند الله فنزلت ومن يشرك بالله
فقد ضل ضلالا بعيدا عن الحق فان الشرك اعظم انواع الضلالة وابعدها عن
الصواب والاستقامة وانما ذكر في الاية الاولى فقد افترى لانها متصلة
بقصة اهل الكتاب ومنشا شركهم كان نوع افتراء وهو دعوى التبني على الله
ان يدعون من دونه الا اناثا يعني اللات والعزى ومناة ونحوها فان لكل حي صنما
يعبدونه ويسمونه انثى بني فلان وذلك اما لتانيث اسمائها كما قال وما ذكر
فان يكبر فانثى شديد الازم ليس له ضروس فانه عنى القراد وهو ما كان صغيرا
سمي قردا فاذا كبر سمي حلمة او لانها كانت جمادات والجمادات تؤنث من حيث
انها ضاهت الاناث لانفعالها ولعله تعالى ذكرها بهذا الاسم تنبيها على انهم يعبدون
ما يسمونه اناثا لانه ينفعل ولا يفعل ومن حق المعبود ان يكون فاعلا غير
منفعل ليكون دليلا على تناهي جهلهم وفرط حماقتهم وقيل المراد الملائكة لقولهم
الملائكة بنات الله وهو جمع انثى كرباب وربى وقرئ انثى على التوحيد وانثا على انه
جمع انيث كخبث وخبث وثنا بالتخفيف والتثقيل وهو جمع وثن كاسد واسد واثنا بها
على قلب الواو همزة وان يدعون وان يعبدون بعبادتها الا شيطانا مريدا لانه

الذي امرهم بعبادتها واغراهم عليها وكان طاعته في ذلك عبادة له والمارد
والمريد الذي لا يعلق بخير واصل التركيب للملاسة ومنه صرح ممرد وغلام امرد
وشجرة مرداء للتي تناثر ورقها لعنه الله صفة ثانية للشيطان وقال لاتخذن
من عبادك نصيبا مفروضا عطف عليه اي شيطانا مريدا جامعا بين لعنة الله
وهذا القول الدال على فرط عداوته للناس وقد برهن سبحانه اولا على ان الشرك
ضلال في الغاية على سبيل التعليل بان ما يشركون به ينفعل ولا يفعل فعلا
اختياريا وذلك ينافي الالوهية غاية المنافاة فان الاله تعالى ينبغي ان يكون
فاعلا غير منفعل ثم استدل عليه بانه عبادة الشيطان وهي افظع الضلال
لثلثة اوجه الاول انه مريد منهمك في الضلال لا يعلق بشيء من الخير والهدى
فيكون طاعته ضلالا بعيدا عن الهدى والثاني انه ملعون لضلاله فلا يستجلب
مطاوعته سوى الضلال واللعن والثالث انه في غاية العداوة والسعي في
اهلاكهم وموالاة من هذا شانه غاية الضلال فضلا عن عبادته والمفروض
المقطوع اي نصيبا قدر لي وفرض من قولهم فرض له في العطاء ولاضلنهم عن الحق
ولامنينهم الاماني الباطلة كطول الحيوة وان لا بعث ولا عقاب ولامرنهم فليبتكن اذان
الانعام يشقونها لتحريم ما احل الله وهي عبارة عما كانت العرب تفعل بالبحائر
والسوائب واشارة الى تحريم كل ما احل ونقص كل ما خلق كاملا بالفعل او القوة
ولامرنهم فليغيرن خلق الله عن وجهه صورة او صفة ويندرج فيه ما قيل من
فقء عين الحامي وخصاء العبيد والوشم والوشر واللواط والسحق ونحو ذلك
وعبادة الشمس والقمر وتغيير فطرة الله التي هي الاسلام واستعمال
الجوارح والقوى فيما لا يعود على النفس كمالا ولا يوجب لها من الله زلفى وعموم
اللفظ يمنع الخصاء مطلقا لكن الفقهاء رخصوا في خصاء البهائم للحاجة والجمل
الاربع حكاية عما ذكره الشيطان نطقا واتاه فعلا ومن يتخذ الشيطان وليا
من دون الله بايثاره ما يدعو اليه على ما امره الله به ومجاوزته عن طاعة الله
الى طاعته فقد خسر خسرانا مبينا اذ ضيع راس ماله وبدل مكانه من الجنة بمكانه
من النار يعدهم ما لا ينجزه ويمنيهم ما لا ينالون وما يعدهم الشيطان الا غرورا
وهو اظهار النفع فيما فيه الضرر وهذا الوعد اما بالخواطر الفاسدة او بلسان
اوليائه اولئك ماواهم جهنم ولا يجدون عنها محيصا معدلا ومهربا من حاص
يحيص اذا عدل وعنها حال منه وليس صلة له لانه اسم مكان وان جعل مصدرا
فلا يعمل فيما قبله والذين امنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها

الاماني

من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا وعد الله حقا أي وعده وعدا وحقه حقا فالأول
مؤكد لنفسه لأن مضمون الجملة الاسمية التي قبله وعد والثاني مؤكد لغيره و
يجوز أن ينتصب الموصول بفعل يفسره ما بعده ووعد الله بقوله سندخلهم
لأنه بمعنى نعدهم إدخالهم وحقا على أنه حال من المصدر ومن أصدق من الله قيلا جملة
مؤكدة بليغة والمقصود من الآية معارضة المواعيد الشيطانية الكاذبة
لقرنائه بوعد الله الصادق لأوليائه والمبالغة في توكيده ترغيبا للعباد في
تحصيله ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب أي ليس ما وعد الله من الثواب
ينال بأمانيكم أيها المسلمون ولا بأماني أهل الكتاب وإنما ينال بالإيمان والعمل
الصالح وقيل ليس الإيمان بالتمني ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل روي أن
المسلمين وأهل الكتاب افتخروا فقال أهل الكتاب نبينا قبل نبيكم وكتابنا
قبل كتابكم ونحن أولى بالله منكم وقال المسلمون نحن أولى منكم نبينا خاتم النبيين
وكتابنا يقضي على الكتب المتقدمة فنزلت وقيل الخطاب مع المشركين ويدل عليه
تقدم ذكرهم أي ليس الأمر بأماني المشركين وهو قولهم لا جنة ولا نار وقولهم
إن كان الأمر كما يزعم هؤلاء لنكونن خيرا منهم وأحسن حالا ولا أماني أهل
الكتاب وهو قولهم لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى وقولهم لن تمسنا
النار إلا أياما معدودة ثم قرر ذلك وقال من يعمل سوءا يجز به عاجلا أو آجلا
لما روي أنه لما نزلت قال أبو بكر رض فمن ينجو مع هذا يا رسول فقال عم أما تحزن
أما تمرض أما يصيبك اللأواء قال بلى يا رسول الله قال هو ذاك ولا يجد له من
دون الله وليا ولا نصيرا ولا يجد لنفسه إذا جاوز موالاة الله ونصرته من
يواليه وينصره في دفع العذاب عنه ومن يعمل من الصالحات بعضها أو شيئا منها
فإن كل أحد لا يتمكن من كلها وليس مكلفا بها من ذكر أو أنثى في موضع الحال من المستكن
في يعمل ومن للبيان أو من الصالحات أي كائنة من ذكر أو أنثى ومن للابتداء و
هو مؤمن حال من شرط اقتران العمل بها في استدعاء الثواب المذكور تنبيها على
أنه لا اعتداد به دونه فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا بنقص شيء
من الثواب وإذا لم ينقص ثواب المطيع فبالحري أن لا يزاد عقاب العاصي لأن المجازي
أرحم الراحمين ولذلك اقتصر على ذكره عقيب الثواب ومن أحسن دينا ممن أسلم
وجهه لله أخلص نفسه لا يعرف لها ربا سواه وقيل بذل وجهه له في السجود
وفي هذا الاستفهام تنبيه على أن ذلك منتهى ما تبلغه القوة البشرية وهو محسن
آت بالحسنات تارك للسيئات واتبع ملة إبراهيم الموافقة لدين الإسلام المتفق

على صحتها حنيفا مائلا عن سائر الأديان وهو حال من المتبع أو الملة أو إبراهيم
واتخذ الله إبراهيم خليلا اصطفاه وخصصه بكرامة تشبه كرامة الخليل
عند خليله وإنما أعاد ذكره ولم يضمر تفخيما له وتنصيصا على أنه الممدوح و
الخلة من الخلال فإنه ود تخلل النفس وخالطها وقيل من الخلل فإن كل واحد من
الخليلين يسد خلل الآخر أو من الخل وهو الطريق في الرمل فإنهما يترافقان في الطريق
أو من الخلة بمعنى الخصلة فإنهما يتوافقان في الخصال والجملة استئناف جيء بها
للترغيب في اتباع ملته والإيذان بأنه نهاية في الحسن وغاية كمال البشر روي أن
إبراهيم عم بعث إلى خليل له بمصر في أزمة أصابت الناس يمتار منه فقال خليله لو
كان إبراهيم يريد لنفسه لفعلت ولكن يريده للأضياف وقد أصابنا ما أصاب الناس
فاجتاز غلمانه ببطحاء لينة فملؤوا منها الغرائر حياء من الناس فلما أخبروا إبراهيم
ساءه الخبر فغلبته عيناه فنام فقامت سارة إلى غرارة منها فأخرجت حوارى
واختبزت فاستيقظ إبراهيم فاشتم رائحة الخبز فقال من أين لكم فقالت
من خليلك المصري فقال بل من عند خليلي الله عز وجل فسماه الله خليلا ولله ما
في السماوات وما في الأرض خلقا وملكا يختار منهما ما يشاء ومن يشاء وقيل
هو متصل بذكر العمال مقرر لوجوب طاعته على أهل السماوات والأرض وكمال
قدرته على مجازاتهم على الأعمال وكان الله بكل شيء محيطا إحاطة علم وقدرة
وكان عالما بأعمالهم فمجازيهم على خيرها وشرها ويستفتونك في النساء في
ميراثهن إذ سبب نزوله أن عيينة بن حصين أتى النبي عم فقال أخبرنا أنك تعطي
الابنة النصف والأخت النصف وإنما كنا نورث من يشهد القتال ويحوز الغنيمة
فقال عم كذلك أمرت قل الله يفتيكم فيهن يبين لكم حكمه فيهن والإفتاء تبيين
المبهم وما يتلى عليكم في الكتاب عطف على اسم الله أو ضميره المستكن في يفتيكم
وساغ للفصل فيكون الإفتاء مسندا إلى الله وإلى ما في القرآن من قوله يوصيكم
الله ونحوه باعتبارين مختلفين ونظيره أغناني زيد وعطاؤه أو استئناف
معترض لتعظيم المتلو عليهم على أن ما يتلى عليكم وفي الكتاب خبره والمراد به
اللوح المحفوظ ويجوز أن ينتصب على معنى ويبين لكم ما يتلى عليكم أو يخفض على
القسم كأنه قيل وأقسم بما يتلى عليكم في الكتاب ولا يجوز عطفه على المجرور في
فيهن لاختلاله لفظا ومعنى في يتامى النساء صلة يتلى إن عطف الموصول على
ما قبله أي يتلى عليكم في شأنهن وإلا فبدل من فيهن أو صلة أخرى ليفتيكم على
معنى الله يفتيكم فيهن بسبب يتامى النساء كما تقول كلمتك اليوم في زيد وهذه

الاضافة بمعنى من لانها اضافة الشي الى جنسه وقد قرئ ييامى على انها ايامى
فقلبت همزته ياء اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن اي فرض لهن من الميراث وترغبون
ان تنكحوهن في ان تنكحوهن او عن ان تنكحوهن فان اولياء اليتامى كانوا يرغبون فيهن ان كن
جميلات ويأكلون ما لهن والا كانوا يعضلونهن طمعا في ميراثهن والواو يحتمل
الحال والعطف وليس فيه دليل على جواز تزويج اليتيمة اذ لا يلزم من الرغبة
في نكاحها جريان العقد في صغرها والمستضعفين من الولدان عطف على يتامى
النساء والعرب ما كانوا يورثونهم كما لا يورثون النساء وان تقوموا لليتامى
ايضا عطف عليه اي ويفتيكم او ما يتلى في ان تقوموا هذا اذا جعلت في يتامى صلة
لاحدهما وان جعلته بدلا فالوجه نصبهما عطفا على موضع فيهن ويجوز ان
ينصب وان تقوموا باضمار فعل اي ويأمركم ان تقوموا وهو خطاب للائمة في ان
ينظروا لهم ويستوفوا حقوقهم او للقوام بالنصفة في شانهم بالقسط وما تفعلوا من
خير فان الله كان به عليما وعد لمن اثر الخير في ذلك وان امرأة خافت من بعلها توقعت
منه لما ظهر لها من المخايل وامرأة فاعل فعل يفسره الظاهر نشوزا تجافيا عنها
وترفعا من صحبتها كراهة لها ومنعا لحقوقها او اعراضا بان يقل مجالستها ومحادثتها
فلا جناح عليهما ان يصالحا بينهما صلحا ان يتصالحا بان تحط له بعض المهر او
القسم او تهب له شيئا تستميله به وقرأ الكوفيون ان يصلحا من اصلح بين المتنازعين
وعلى هذا جاز ان ينتصب صلحا على المفعول به وبينهما ظرفا او حالا منه او على
المصدر كما في القراءة الاولى والمفعول بينهما او هو محذوف وقرئ يصلحا من
اصلح بمعنى اصطلح والصلح خير من الفرقة وسوء العشرة او من الخصومة ولا يجوز
ان يراد به التفضيل بل بيان انه من الخيور كما ان الخصومة من الشرور وهو اعتراض
وكذا قوله واحضرت الانفس الشح ولذلك اغتفر عدم تجانسهما والاول للترغيب
في المصالحة والثاني لتمهيد العذر في المماكسة ومعنى احضار الانفس الشح
جعلها حاضرة له مطبوعة عليه فلا تكاد المرأة تسمح بالاعراض عنها والتقصير
في حقها ولا الرجل يسمح بان يمسكها ويقوم بحقها على ما ينبغي اذا كرهها او
احب غيرها وان تحسنوا في العشرة وتتقوا النشوز والاعراض ونقص الحق
فان الله كان بما تعملون من الاحسان والخصومة خبيرا عليما به وبالغرض فيه
فيجازيكم عليه اقام كونه عالما باعمالهم مقام اثابته اياهم عليها الذي هو في
الحقيقة جواب الشرط اقامة السبب مقام المسبب ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء
لان العدل ان لا يقع ميل البتة وهو متعذر ولذلك كان رسول الله

يقسم بين نسائه فيعدل ويقول هذه قسمتي فيما املك فلا تؤاخذني فيما تملك
ولا املك ولو حرصتم على تحري ذلك وبالغتم فيه فلا تميلوا كل الميل بترك المستطاع
والجور على المرغوب عنها فان ما لا يدرك كله لا يترك كله فتذروها كالمعلقة
التي ليست ذات بعل ولا مطلقة وعن النبي صلعم من كانت له امرأتان فمال مع احدهما
جاء يوم القيمة واحد شقيه مائل وان تصلحوا ما كنتم تفسدون من امورهن وتتقوا
فيما يستقبل فان الله كان غفورا رحيما يغفر لكم ما مضى من ميلكم وان يتفرقا
وقرئ وان يتفارقا اي وان يتفارق كل منهما صاحبه يغن الله كلا منهما
عن الاخر ببدل او سلو من سعته غناه وقدرته وكان الله واسعا حكيما مقتدرا
متقنا في افعاله واحكامه ولله ما في السموات وما في الارض تنبيه على كمال
سعته وقدرته ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم يعني اليهود و
النصارى ومن قبلهم والكتاب للجنس ومن متعلقة بوصينا او باوتوا ومساق
الاية لتأكيد الامر بالاخلاص واياكم عطف على الذين ان اتقوا الله بان اتقوا الله
ويجوز ان يكون ان مفسرة لان التوصية في معنى القول وان تكفروا فان لله
ما في السموات وما في الارض على ارادة القول اي وقلنا لهم ولكم ان تكفروا فان الله
مالك الملك كله لا يتضرر بكفركم ومعاصيكم كما لا ينتفع بشكركم وتقويكم و
انما وصيكم لرحمته لا لحاجته ثم قرر ذلك بقوله وكان الله غنيا عن الخلق وعبادتهم
حميدا في ذاته حمد او لم يحمد ولله ما في السموات وما في الارض ذكره ثالثا للدلالة
على كونه غنيا حميدا فان جميع المخلوقات تدل بحاجتها على غناه وبما فاض
عليها من الوجود وانواع الخصائص والكمالات على كونه حميدا وكفى بالله
وكيلا راجع الى قوله يغن الله كلا من سعته فانه توكل بكفايتهما وما بينهما
تقرير لذلك ان يشأ يذهبكم ايها الناس يفنيكم ومفعول يشأ محذوف دل عليه
الجواب ويأت بآخرين ويوجد قوما آخرين مكانكم او خلقا آخرين مكان الانس
وكان الله على ذلك قديرا من الاعدام والايجاد قديرا بليغ القدرة لا يعجزه مراد وهذا
ايضا تقرير لغناه وقدرته وتهديد لمن كفر به وخالف امره وقيل هو خطاب
لمن عادى رسول الله صلعم من العرب ومعناه معنى قوله وان تتولوا يستبدل قوما
غيركم لما روي انه لما نزل ضرب رسول الله يده على ظهر سلمان وقال انهم قوم
هذا من كان يريد ثواب الدنيا كالمجاهد يجاهد للغنيمة فعند الله ثواب
الدنيا والاخرة فما له يطلب اخسهما فليطلبهما كمن يقول ربنا اتنا في الدنيا
حسنة وفي الاخرة حسنة او ليطلب الاشرف منهما فان من جاهد خالصا

لم تخطئه الغنيمة وله في الآخرة ما هي في جنبه كلا شيء، أو فعند الله ثواب
الدارين فيعطي كلا ما يريده، كقوله من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه
الآية. وكان الله سميعا بصيرا عالما بالأغراض فيجازي كلا بحسب قصده
يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط مواظبين على العدل مجتهدين في إقامته
شهداء لله بالحق تقيمون شهاداتكم لوجه الله، وهو خبر ثان أو حال. ولو على
أنفسكم ولو كانت الشهادة على أنفسكم بأن تقروا عليها لأن الشهادة بيان للحق
سواء كان عليه أو على غيره. أو الوالدين والأقربين ولو على والديكم وأقاربكم
إن يكن أي المشهود عليه أو كل واحد منه ومن المشهود له غنيا أو فقيرا فلا
تمتنعوا عن إقامة الشهادة ولا تجوروا ميلا أو ترحما. فالله أولى بهما بالغني
والفقير وبالنظر لهما، فلو لم تكن الشهادة عليهما أو لهما صلاحا لما شرعها
وهو علة الجواب أقيمت مقامه، والضمير في بهما راجع إلى ما دل عليه المذكور
وهو جنسا الغني والفقير لا إليه وإلا لوحد، ويشهد عليه أنه قرئ فالله أولى
بهم. فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا لأن تعدلوا عن الحق أو كراهة أن تعدلوا من
العدل. وإن تلووا ألسنتكم عن شهادة الحق أو حكومة العدل، وقرئ وإن تلوا
بمعنى وإن وليتم إقامة الشهادة فأديتموها. أو تعرضوا عن أدائها. فإن الله كان
بما تعملون خبيرا فيجازيكم عليه. يا أيها الذين آمنوا خطاب للمسلمين أو للمنافقين
أو لمؤمني أهل الكتاب إذ روي أن ابن سلام وأصحابه قالوا يا رسول الله إنا نؤمن
بك وبكتابك وبموسى والتوراة وعزير ونكفر بما سواه. آمنوا بالله ورسوله وال
كتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل اثبتوا على الإيمان
بذلك وداوموا عليه، أو آمنوا به بقلوبكم كما آمنتم بألسنتكم، أو آمنوا إيمانا
عاما يعم الكتب والرسل فإن الإيمان بالبعض كلا إيمان، والكتاب الأول القرآن
والثاني الجنس. ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر أي ومن يكفر
بشيء من ذلك فقد ضل ضلالا بعيدا عن المقصد بحيث لا يكاد يعود إلى طريقه
إن الذين آمنوا يعني اليهود آمنوا بموسى ثم كفروا حين عبدوا العجل ثم آمنوا بعد عوده
إليهم ثم كفروا بعيسى ثم ازدادوا كفرا بمحمد عم، أو قوما تكرر منهم الارتداد ثم أصروا
على الكفر وازدادوا تماديا في الغي. لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا إذ يستبعد
منهم أن يتوبوا عن الكفر ويثبتوا على الإيمان فإن قلوبهم ضربت بالكفر وبصائرهم
عميت عن الحق لا أنهم لو أخلصوا الإيمان لم تقبل منهم ولم يغفر لهم، وخبر كان في
أمثال ذلك محذوف تعلق به اللام مثل لم يكن الله مريدا ليغفر لهم. بشر المنافقين

بأن لهم عذابا أليما يدل على أن الآية نزلت في المنافقين وهم قد آمنوا في الظاهر و
كفروا في السر مرة بعد أخرى ثم ازدادوا بالإصرار على النفاق وإفساد الأمر على
المؤمنين، ووضع بشر مكان أنذر تهكما بهم. الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون
المؤمنين في محل النصب أو الرفع على الذم بمعنى أريد الذين أو هم الذين. أيبتغون
عندهم العزة أيتعززون بموالاتهم. فإن العزة لله جميعا لا يتعزز إلا من أعزه، وقد كتب العزة
لأوليائه فقال ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين، ولا يؤبه بعزة غيرهم بالإضافة
إليهم. وقد نزل عليكم في الكتاب يعني القرآن، وقرئ نزل والقائم مقام فاعله
أن إذا سمعتم آيات الله وهي المخففة والمعنى أنه إذا سمعتم يكفر بها ويستهزأ بها
حالان من الآيات جيء بهما لتقييد النهي عن المجالسة في قوله فلا تقعدوا معهم
حتى يخوضوا في حديث غيره ويؤيده الغاية، وهذا تذكار لما نزل عليهم بمكة
من قوله وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا الآية، والضمير في معهم للكفرة المدلول
عليهم بقوله يكفر بها ويستهزأ بها. إنكم إذا مثلهم في الإثم لأنكم قادرون على
الإعراض عنهم والإنكار عليهم، أو الكفر إن رضيتم بذلك، أو لأن الذين يقاعدون
الخائضين في القرآن من الأحبار كانوا منافقين، ويدل عليه إن الله جامع المنافقين
والكافرين في جهنم جميعا يعني القاعدين والمقعود معهم، وإذا ملغاة لوقوعها
بين الاسم والخبر، ولذلك لم يذكر بعدها الفعل، وإفراد مثلهم لأنه كالمصدر
أو للاستغناء بالإضافة إلى الجمع، وقرئ بالفتح على البناء لإضافته إلى مبني
كقوله مثل ما أنكم تنطقون. الذين يتربصون بكم ينتظرون وقوع أمر بكم وهو بدل
من الذين يتخذون أو صفة للمنافقين والكافرين أو ذم مرفوع أو منصوب أو
مبتدأ خبره فإن كان لكم فتح من الله قالوا ألم نكن معكم مظاهرين لكم فأسهموا لنا
فيما غنمتم. وإن كان للكافرين نصيب من الحرب فإنها سجال. قالوا ألم نستحوذ عليكم
أي قالوا للكفرة ألم نغلبكم ونتمكن من قتلكم فأبقينا عليكم، والاستحواذ الاستيلاء
وكان القياس أن يقال استحاذ يستحيذ استحاذة فجاءت على الأصل. ونمنعكم من
المؤمنين بأن خذلناهم بتخييل ما ضعفت به قلوبهم وتوانينا في مظاهرتهم فأشركونا
فيما أصبتم. وإنما سمي ظفر المسلمين فتحا وظفر الكافرين نصيبا لخسة حظهم
فإنه مقصور على أمر دنيوي سريع الزوال. فالله يحكم بينكم يوم القيامة ولن يجعل الله
للكافرين على المؤمنين سبيلا حينئذ أو في الدنيا والمراد الحجة، واحتج به أصحابنا
على فساد شراء الكافر المسلم، والحنفية على حصول البينونة بنفس الارتداد
وهو ضعيف لأنه لا ينفي أن يكون إذا عاد إلى الإيمان قبل مضي العدة. إن المنافقين يخادعون

يخادعون الله وهو خادعهم سبق الكلام فيه اول البقرة واذا قاموا الى الصلوة قاموا كسالى
متثاقلين كالمكره على الفعل وقرئ كسالى بالفتح وهما جمعا كسلان
يراؤن الناس ليخالوهم مؤمنين والمراءاة مفاعلة بمعنى التفعيل كنعم وناعم او للمقابلة
فان المرائي يري من يراه عمله وهو يريه استحسانه ولا يذكرون الله الا قليلا
اذ المرائي لا يفعل الا بحضرة من يراه وهو اقل احواله او لان ذكرهم باللسان
قليل بالاضافة الى الذكر بالقلب وقيل المراد بالذكر الصلوة وقيل الذكر فيها
فانهم لا يذكرون فيها غير التكبير والتسليم مذبذبين بين ذلك حال عن واو يراؤن
كقوله ولا يذكرون اي يراؤنهم غير ذاكرين مذبذبين او واو يذكرون او منصوب
على الذم والمعنى مرددين بين الايمان والكفر من الذبذبة وهو جعل الشيء
مضطربا واصله الذب بمعنى الطرد وقرئ بكسر الذال بمعنى يذبذبون قلوبهم
او دينهم او يتذبذبون كقولهم صلصل بمعنى تصلصل وقرئ بالدال الغير المعجمة
بمعنى اخذوا تارة في دبة وتارة في دبة وهي الطريقة لا الى هؤلاء ولا الى
هؤلاء لا منسوبين الى المؤمنين ولا الى الكافرين ولا صائرين الى احد الفريقين
بالكلية ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا الى الحق والصواب نظيره قوله تعالى
ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين اولياء
من دون المؤمنين فانه صنيع المنافقين ودينهم فلا تتشبهوا بهم اتريدون
ان تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا حجة بينة فان موالاتهم دليل على النفاق
او سلطانا يسلط عليكم عقابه ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار وهو طبقة
التي في قعر جهنم وانما كان كذلك لانهم اخبث الكفرة اذ ضموا استهزاء بالاسلام
وخداعا للمسلمين واما قوله عم ثلث من كن فيه فهو منافق وان صام وصلى و
انه مسلم من اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا ائتمن خان ونحوه فمن باب
التشبيه والتغليظ وانما سميت طبقاتها السبع دركات لانها متداركة متتابعة
بعضها فوق بعض وقرأ الكوفيون بسكون الراء وهو لغة كالسطر والسطر والتحريك
اوجه لانه يجمع على ادراك ولن تجد لهم نصيرا يخرجهم منه الا الذين تابوا عن النفاق
واصلحوا ما افسدوا من اسرارهم واحوالهم في حال النفاق واعتصموا بالله وثقوا
به وتمسكوا بدينه واخلصوا دينهم لله لا يريدون بطاعتهم الا وجهه فاولئك
مع المؤمنين ومن عدادهم في الدارين وسوف يؤت الله المؤمنين اجرا عظيما
فيساهمونهم فيه ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم ايتشفى به غيظا او
يدفع ضررا او يستجلب به نفعا وهو الغني المتعالي عن النفع والضر وانما يعاقب

المصر بكفره لان اصراره عليه كسوء مزاج يؤدي الى مرض فاذا زال بالايمان
والشكر ونقى عنه نفسه تخلص من تبعته وانما قدم الشكر لان الناظر يدرك النعمة
اولا فيشكر شكرا مبهما ثم يمعن النظر حتى يعرف المنعم فيؤمن به وكان الله شاكرا
مثيبا يقبل اليسير ويعطي الجزيل عليما بحق شكركم وايمانكم لا يحب الله الجهر بالسوء
من القول الا من ظلم الا جهر من ظلم بالدعاء على الظالم والتظلم منه روي ان رجلا ضاف
قوما فلم يطعموه فاشتكاهم فعوتب عليه فنزلت وقرئ من ظلم على البناء للفاعل
فيكون الاستثناء منقطعا اي لكن الظالم يفعل ما يحبه الله وكان الله سميعا
لكلام المظلوم عليما بالظالم ان تبدوا خيرا طاعة وبرا او تخفوه او تفعلوه سرا
او تعفوا عن سوء لكم المؤاخذة عليه وهو المقصود وذكر ابداء الخير واخفائه
تشبيب له ولذلك رتب عليه قوله فان الله كان عفوا قديرا اي يكثر العفو عن العصاة
مع كمال قدرته على الانتقام فانتم اولى بذلك وهو حث المظلوم على العفو بعدما
رخص له في الانتصار حملا على مكارم الاخلاق ان الذين يكفرون بالله ورسله
ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله بان يؤمنوا بالله ويكفروا برسوله ويقولون
نؤمن ببعض ونكفر ببعض نؤمن ببعض الانبياء ونكفر ببعضهم ويريدون ان يتخذوا
بين ذلك سبيلا طريقا وسطا بين الايمان والكفر ولا واسطة اذ الحق لا يختلف
فان الايمان بالله انما يتم برسله وتصديقهم فيما بلغوا عنه تفصيلا او اجمالا
فالكافر ببعض ذلك كالكافر بالكل في الضلال كما قال الله تعالى فماذا بعد الحق الا
الضلال اولئك هم الكافرون حقا هم الكاملون في الكفر لا عبرة بايمانهم هذا حقا
مصدر مؤكد لغيره او صفة لمصدر الكافرين بمعنى هم الذين كفروا كفرا حقا اي يقينا
محققا واعتدنا للكافرين عذابا مهينا والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين احد
منهم اضدادهم ومقابلوهم وانما دخل بين على احد وهو يقتضي متعددا لعمومه
من حيث انه وقع في سياق النفي اولئك سوف يؤتيهم اجورهم الموعودة لهم وتصديره بسوف
لتاكيد الوعد والدلالة على انه كائن لا محالة وان تاخر وقرأ حفص عن عاصم وقالون
عن يعقوب بالياء على تلوين الخطاب وكان الله غفورا لما فرط منهم رحيما عليهم
بتضعيف حسناتهم يسألك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء نزلت في احبار
اليهود قالوا ان كنت صادقا فاتنا بكتاب من السماء جملة كما اتى به موسى وقيل
كتابا محررا بخط سماوي على الواح كما كانت التورية او كتابا نعاينه حين ينزل
او كتابا الينا باعياننا بانك رسول الله فقد سألوا موسى اكبر من ذلك جواب شرط
مقدر اي ان استكبرت ما سألوه منك فقد سألوا موسى اكبر منه وهذا السؤال

وان كان من ابائهم اسند اليهم لانهم كانوا اخرين بمذهبهم تابعين لهديهم والمعنى
ان عرقهم راسخ في ذلك وان ما اقترحوا عليك ليس باول جهالاتهم [illegible]
[illegible] عيانا اي عيانا نره جهرة او مجاهرين معاينين [illegible] نار
جاءت من السماء فاهلكتهم [illegible] بسبب ظلمهم وهو تعنتهم وسؤالهم لما يستحيل
في تلك الحال التي كانوا عليها وذلك لا يقتضي امتناع الرؤية مطلقا [illegible]
[illegible] هذه الجنايات التي اقترفوها ايضا والآيتهم و
البينات المعجزات ولا يجوز حملها على التوراة اذ لم تأتهم بعد [illegible]
[illegible] تسلطا ظاهرا عليهم حين امرهم بان يقتلوا انفسهم
توبة عن اتخاذهم [illegible] بسبب ميثاقهم ليقبلوه [illegible]
[illegible] على لسان موسى والطور مظل عليهم [illegible]
[illegible] على لسان داود ويحتمل ان يراد على لسان موسى وحين ظلل الجبل عليهم فانه
شرع السبت ولكن كان الاعتداء فيه والمسخ به في زمن داود وقراءة ورش
عن نافع لا تعدّوا على ان اصله لا تعتدوا فادغمت التاء في الدال [illegible]
[illegible] على ذلك وهو قولهم سمعنا واطعنا [illegible] اي فخالفوا
ونقضوا ففعلنا بهم ما فعلنا بنقضهم وما مزيدة للتاكيد والباء متعلقة بالفعل
المحذوف ويجوز ان يتعلق بحرمنا عليهم طيبات فيكون التحريم بسبب النقض وما عطف
عليه الى قوله فبظلم لا بما دل عليه قوله بل طبع الله عليها مثل لا يؤمنون لانه
رد لقولهم قلوبنا غلف فيكون من صلة وقولهم المعطوف على المجرور فلا يعمل في جاره
[illegible] بالقرآن او مما في كتابهم [illegible]
[illegible] اوعية للعلوم او في اكنة مما تدعونا اليه [illegible]
فجعلها محجوبة عن العلم وخذلها ومنعها التوفيق للتدبر في الآيات والتذكر
بالمواعظة [illegible] منهم كعبد الله بن سلام او ايمانا قليلا لا اعتداد
به لنقصانه [illegible] بعيسى وهو معطوف على بكفرهم لانه من اسباب الطبع او على
قوله فبما نقضهم ويجوز ان يعطف مجموع هذا وما عطف عليه على مجموع ما قبله
فيكون تكرير ذكر الكفر ايذانا بتكرر كفرهم فانهم كفروا بموسى ثم بعيسى ثم بمحمد
[illegible] يعني نسبتها الى الزنا [illegible]
[illegible] اي بزعمهم ويحتمل انهم قالوه استهزاء ونظيره ان رسولكم الذي ارسل
اليكم لمجنون وان يكون استئنافا من الله بمدحه او وضعا للذكر الحسن مكان
ذكرهم القبيح [illegible] روي ان رهطا من اليهود

سبوه وامه فدعا عليهم فمسخهم الله قردة وخنازير فاجتمعت اليهود على
قتله فاخبره الله بانه يرفعه الى السماء فقال لاصحابه ايكم يرضى ان يلقى عليه
شبهي فيقتل ويصلب ويدخل الجنة فقام رجل منهم فالقى الله عليه شبهه فقتل
وصلب وقيل كان رجلا ينافقه فخرج ليدل عليه فالقى الله عليه شبهه فاخذ
وصلب وقيل دخل طيطانوس اليهودي بيتا كان هو فيه فلم يجده والقى الله عليه
شبهه فلما خرج ظن انه عيسى فاخذ وصلب وامثال ذلك من الخوارق التي لا تستبعد
في زمان النبوة وانما ذمهم بما دل عليه الكلام من جرأتهم على الله وقصدهم قتل
نبيه المؤيد بالمعجزات الباهرة وتبجحهم به لا بقولهم هذا على حسب حسبانهم وشبه
مسند الى الجار والمجرور وكانه قيل ولكن وقع لهم التشبيه بين عيسى والمقتول
او في الامر على قول من قال لم يقتل احد ولكن ارجف بقتله فشاع بين الناس او الى
ضمير المقتول لدلالة انا قتلنا على ان ثم مقتولا [illegible] في شأن
عيسى فانه لما وقعت تلك الواقعة اختلف الناس فقال بعض اليهود انه كان كاذبا
فقتلناه حقا وتردد اخرون فقال بعضهم ان كان هذا عيسى فاين صاحبنا وقال
بعضهم الوجه وجه عيسى والبدن بدن صاحبنا وقال من سمع منه ان الله يرفعني
الى السماء انه رفع الى السماء وقال قوم صلب الناسوت وصعد اللاهوت [illegible]
[illegible] لفي تردد والشك كما يطلق على ما لا يترجح احد طرفيه يطلق على مطلق التردد
وعلى ما يقابل العلم ولذلك اكده بقوله [illegible] استثناء منقطع
اي لكنهم يتبعون الظن ويجوز ان يفسر الشك بالجهل والعلم بالاعتقاد الذي
تسكن اليه النفس جزما كان او غيره فيتصل الاستثناء [illegible] فلا
يقينا كما زعموه بقولهم انا قتلنا المسيح او متيقنين وقيل معناه ما علموه يقينا
كقوله كذلك تخبر عنها العالمات بها وقد قتلت بعلمي ذلكم يقينا من قولهم قتلت الشيء
علما ونحرته علما اذا تبالغ علمك فيه [illegible] رد وانكار لقتله و
اثبات لرفعه [illegible] لا يغلب على ما يريده [illegible] فيما دبر لعيسى [illegible]
[illegible] اي وان من اهل الكتاب احد الا ليؤمنن
به فقوله ليؤمنن جملة قسمية وقعت صفة لاحد ويعود اليه الضمير الثاني
والاول لعيسى والمعنى ما من اليهود والنصارى احد الا ليؤمنن بان عيسى عبد الله
ورسوله قبل ان يموت ولو حين تزهق روحه ولا ينفعه ايمانه ويؤيد ذلك
ان قرئ ليؤمنن به قبل موتهم بضم النون لان احدا في معنى الجمع وهذا كالوعيد
لهم والتحريض على معاجلة الايمان به قبل ان يضطروا اليه ولم ينفعهم ايمانهم

وقيل الضميران لعيسى والمعنى انه اذا نزل آمن به اهل الملل جميعا روي انه ينزل من السماء
حين يخرج الدجال فيهلكه ولا يبقى احد من اهل الكتاب الا يؤمن به حتى تكون الملة
واحدة وهي ملة الاسلام ويقع الامنة حتى ترتع الاسود مع الابل والنمور مع
البقر والذئاب مع الغنم ويلعب الصبيان مع الحيات ويلبث في الارض اربعين سنة
ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون ويدفنونه ويوم القيمة يكون عليهم شهيدا فيشهد
على اليهود بالتكذيب وعلى النصارى بانهم دعوه ابن الله فبظلم من الذين هادوا
اي فباي ظلم منهم حرمنا عليهم طيبات احلت لهم يعني ما ذكره في قوله وعلى الذين
هادوا حرمنا كل ذي ظفر وبصدهم عن سبيل الله كثيرا ناسا كثيرا او صدا كثيرا واخذهم
الربوا وقد نهوا عنه كان الربوا محرما عليهم كما هو محرم علينا وفيه دليل على دلالة
النهي على التحريم واكلهم اموال الناس بالباطل بالرشوة وسائر الوجوه المحرمة
واعتدنا للكافرين منهم عذابا اليما دون من تاب وآمن لكن الراسخون في العلم منهم
كعبد الله بن سلام واصحابه والمؤمنون اي منهم او من المهاجرين والانصار يؤمنون
بما انزل اليك وما انزل من قبلك خبر المبتدأ والمقيمين الصلوة نصب على المدح
ان جعل يؤمنون الخبر لاولئك او عطف على ما انزل اليك والمراد بهم الانبياء اي
يؤمنون بالكتب والانبياء وقرئ بالرفع عطفا على الراسخون او الضمير في يؤمنون
او على انه مبتدأ والخبر اولئك سنؤتيهم والمؤتون الزكوة لاحد الاوجه المذكورة
والمؤمنون بالله واليوم الاخر قدم عليه الايمان بالانبياء والكتب وما يصدقه
من اتباع الشرائع لانه المقصود بالآية اولئك سنؤتيهم اجرا عظيما على جمعهم
بين الايمان الصحيح والعمل الصالح انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين
من بعده جواب لاهل الكتاب عن اقتراحهم ان ينزل عليهم كتابا من السماء و
احتجاج عليهم بان امره في الوحي كسائر الانبياء واوحينا الى ابراهيم واسمعيل
واسحق ويعقوب والاسباط وعيسى وايوب ويونس وهرون وسليمان خصهم
بالذكر مع اشتمال النبيين عليهم تعظيما فان ابراهيم اول اولي العزم منهم وعيسى
اخرهم والباقين اشراف الانبياء ومشاهيرهم وآتينا داود زبورا وقرأ حمزة
زبورا بالضم وهو جمع زبر بمعنى مزبور ورسلا نصب بمضمر دل عليه اوحينا
اليك كارسلنا او فسره قد قصصناهم عليك من قبل اي من قبل هذه السورة
او اليوم ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما وهو منتهى مراتب
الوحي خص به موسى من بينهم وقد فضل الله محمدا صلعم بان اعطاه مثل ما اعطى
كل واحد منهم رسلا مبشرين ومنذرين نصب على المدح او باضمار ارسلنا او

او على الحال فيكون رسلا موطئا لما بعده كقولك مررت بزيد رجلا صالحا
لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل فيقولوا لولا ارسلت الينا رسولا
فينبهنا ويعلمنا ما لم نكن نعلم وفيه تنبيه على ان بعثة الانبياء الى الناس ضرورة
لقصور الكل عن ادراك جزئيات المصالح والاكثر عن ادراك كلياتها واللام
متعلقة بارسلنا او بقوله مبشرين ومنذرين وحجة اسم كان وخبره للناس
او على الله والاخر حال ولا يجوز تعلقه بحجة لانه مصدر وبعد ظرف لها او
صفة وكان الله عزيزا لا يغلب فيما يريده حكيما فيما دبر من امر النبوة وخص
كل نبي بنوع من الوحي والاعجاز لكن الله يشهد استدراك عن مفهوم ما قبله و
كانه لما تعنتوا عليه بسؤال كتاب عليهم من السماء واحتج عليهم بقوله انا اوحينا ينزل
اليك قال انهم لا يشهدون ولكن الله يشهد او انهم انكروه ولكن الله يثبته و
يقرره بما انزل اليك من القرآن المعجز الدال على نبوتك روي انه لما نزل انا اوحينا
اليك قالوا ما نشهد لك فنزلت انزله بعلمه انزله ملتبسا بعلمه الخاص به
وهو العلم بتاليفه على نظم يعجز عنه كل بليغ او بحال من يستعد للنبوة ويستاهل
نزول الكتاب عليه او بعلمه الذي يحتاج اليه الناس في معاشهم ومعادهم
فالجار والمجرور على الاولين حال من الفاعل وعلى الثالث حال من المفعول و
الجملة كالتفسير لما قبلها والملائكة يشهدون ايضا بنبوتك وفيه تنبيه على
انهم يودون ان يعلموا صحة دعوى النبوة على وجه يستغني عن النظر والتامل
وهذا النوع من خواص الملك ولا سبيل للانسان الى العلم بامثال ذلك سوى
الفكر والنظر فلو اتى هؤلاء بالنظر الصحيح لعرفوا نبوتك وشهدوا بها كما عرفت
الملائكة وشهدوا وكفى بالله شهيدا وكفى بما اقام من الحجج على صحة نبوتك عن الاستشهاد
بغيره ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله قد ضلوا ضلالا بعيدا لانهم جمعوا
بين الضلال والاضلال ولان المضل يكون اعرق في الضلال وابعد من الانقلاع
عنه ان الذين كفروا وظلموا محمدا صلعم بانكار نبوته والناس بصدهم عما فيه صلاحهم
وخلاصهم او باعم من ذلك وعليه تدل على ان الكفار مخاطبون بالفروع اذ المراد
بهم الجامعون بين الكفر والظلم لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا الا طريق
جهنم خالدين فيها ابدا لجرى حكمه السابق ووعده المحتوم على ان من مات على
كفره فهو خالد في النار وخالدين حال مقدرة وكان ذلك على الله يسيرا لا يصعب
عليه ولا يستعظمه يا ايها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم فآمنوا خيرا لكم لما قرر امر النبوة
وبين الطريق الموصل الى العلم بها ووعيد من انكرها خاطب الناس عامة بالدعوة

والزام الحجة والوعيد على الرد فآمنوا خيرا لكم اي ايمانا خيرا لكم مما انتم عليه وقيل
تقديره يكن الايمان خيرا لكم ومنعه البصريون لان كان لا يحذف مع اسمه الا فيما
لا بد منه ولانه يؤدي الى حذف الشرط وجوابه وان تكفروا فان لله ما في السموات
والارض يعني وان تكفروا فهو غني عنكم لا يتضرر بكفركم كما لا ينتفع بايمانكم ونبه
على غناه بقوله لله ما في السموات والارض وهو يعم ما اشتملتا عليه وما
تركبتا منه وكان الله عليما باحوالهم حكيما فيما دبر لهم يا اهل الكتاب لا تغلوا
في دينكم الخطاب للفريقين غلت اليهود في حط عيسى حتى رموه بانه ولد لغير رشدة
والنصارى في رفعه حتى اتخذوه الها وقيل للنصارى خاصة فانه اوفق لقوله
ولا تقولوا على الله الا الحق يعني تنزيهه عن الصاحبة والولد انما المسيح عيسى ابن
مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم اوصلها اليها وحصلها فيها وروح منه
وذو روح صدر منه لا بتوسط ما يجري مجرى الاصل والمادة له وقيل سمي
روحا لانه كان يحيي الاموات او القلوب فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة
اي الالهة ثلاثة الله والمسيح ومريم ويشهد عليه قوله تعالى أانت قلت للناس اتخذوني
وامي الهين من دون الله او الله ثلاثة ان صح انهم يقولون الله ثلاثة اقانيم الاب و
الابن وروح القدس ويريدون بالاب الذات وبالابن العلم وبروح القدس الحيوة
انتهوا عن التثليث خيرا لكم نصبه لما سبق انما الله اله واحد اي واحد بالذات لا
تعدد فيه بوجه ما سبحانه ان يكون له ولد اسبحه تسبيحا من ان يكون له ولد
فانه يكون لمن يماثله ويتطرق اليه فناء له ما في السموات وما في الارض
خلقا وملكا لا يماثله شيء من ذلك فيتخذه ولدا وكفى بالله وكيلا تنبيه على غناه عن
الولد فان الحاجة اليه ليكون وكيلا لابيه والله سبحانه قائم بحفظ الاشياء كاف
في ذلك مستغن عمن يخلفه او يعينه لن يستنكف المسيح لن يانف من نكفت الدمع اذا
نحيته باصبعك كيلا يرى اثره عليك ان يكون عبدا لله من ان يكون عبدا لله فان
عبوديته شرف يتباهى به وانما المذلة والاستنكاف في عبودية غيره روي
ان وفد نجران قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم لم تعيب صاحبنا قال ومن صاحبكم قالوا عيسى
قال واي شيء اقول قالوا تقول انه عبد الله قال انه ليس بعار ان يكون عبدا لله
قالوا بلى فنزلت ولا الملائكة المقربون عطف على المسيح اي ولا يستنكف الملائكة المقربون
ان يكونوا عبيدا واحتج به من زعم فضل الملائكة على الانبياء وقال مساقه لرد قول النصارى
في رفع المسيح عن مقام العبودية وذلك يقتضي ان يكون المعطوف اعلى درجة من
المعطوف عليه حتى يكون عدم استنكافهم كالدليل على عدم استنكافه وجوابه

ان الاية للرد على عبدة المسيح والملائكة فلا يتجه ذلك وان سلم اختصاصها بالنصارى
فلعله اراد بالعطف المبالغة باعتبار التكثير دون التكبير كقولك اصبح الامير
لا يخالفه رئيس ولا مرؤوس وان اراد به التكبير فغايته تفضيل المقربين من الملائكة
وهم الكروبيون الذين حول العرش او من اعلى منهم رتبة من الملائكة على المسيح من
الانبياء وذلك لا يستلزم فضل احد الجنسين على الآخر مطلقا والنزاع فيه ومن
يستنكف عن عبادته ويستكبر ويترفع عنها والاستكبار دون الاستنكاف ولذلك
عطف عليه وانما يستعمل حيث لا استحقاق بخلاف التكبر فانه قد يكون باستحقاق
فسيحشرهم اليه جميعا فيجازيهم فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم
ويزيدهم من فضله واما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذابا اليما و
لا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا تفصيل للمجازاة العامة المدلول عليها
من فحوى الكلام وكانه قال فسيحشرهم اليه جميعا يوم يحشر العباد للمجازاة
او لمجازاتهم فان اثابة مقابليهم والاحسان اليهم تعذيب لهم بالغم والحسرة
يا ايها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وانزلنا اليكم نورا مبينا عنى بالبرهان
المعجزات وبالنور القرآن اي جاءكم دلائل العقل وشواهد النقل ولم يبق لكم عذر و
علة وقيل البرهان الدين او رسول الله او القرآن فاما الذين آمنوا بالله
واعتصموا به فسيدخلهم في رحمة منه ثواب قدره بازاء ايمانه وعمله رحمة
منه لا قضاء لحق واجب وفضل احسان زائد عليه ويهديهم اليه الى الله وقيل
الى الموعود صراطا مستقيما هو الاسلام والطاعة في الدنيا وطريق الجنة في
الآخرة يستفتونك اي في الكلالة حذف لدلالة الجواب عليه روي ان جابر
بن عبد الله كان مريضا فعاده رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني كلالة فكيف اصنع في
مالي فنزلت وهي آخر ما نزل في الاحكام قل الله يفتيكم في الكلالة سبق تفسيرها
في اول السورة ان امرؤ هلك ليس له ولد وله اخت فلها نصف ما ترك ارتفع
امرؤ بفعل يفسره الظاهر وليس له ولد صفة له او حال عن المستكن في هلك
والواو في وله يحتمل الحال والعطف والمراد بالاخت الاخت من الابوين او الاب
لانه جعل اخوها عصبة وابن الام لا يكون عصبة والولد على ظاهره فان الاخت
وان ورثت مع بنت عند عامة العلماء غير ابن عباس لكنها لا ترث النصف وهو يرثها
اي والمرء يرث اخته ان كان الامر بالعكس ان لم يكن لها ولد ذكرا كان او انثى ان
اريد بيرثها يرث جميع مالها والا فالمراد به الذكر اذ البنت لا تحجب الاخ والاية
كما لم تدل على سقوط الاخوة بغير الولد لم تدل على عدم سقوطهم به وقد دلت السنة

على انهم لا يرثون مع الاب وكذا مفهوم قوله الله يفتيكم في الكلالة ان فسرت
بالميت فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك الضمير لمن يرث بالاخوة وتثنيته
محمولة على المعنى وفائدة الاخبار عنه باثنتين التنبيه على ان الحكم باعتبار العدد
دون الصغر والكبر وغيره وان كانوا اخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الانثيين
اصله وان كانوا اخوة واخوات فغلب المذكر يبين الله لكم ان تضلوا اي يبين الله
لكم ضلالكم الذي من شانكم اذا خليتم وطباعكم لتحترزوا عنه وتتحروا خلافه او
يبين لكم الحق والصواب كراهة ان تضلوا وقيل لئلا تضلوا فحذف لا وهو قول
الكوفيين والله بكل شيء عليم فهو عالم بمصالح العباد في المحيا والممات عن النبي
من قرا سورة النساء فكانما تصدق على كل مؤمن ومؤمنة ورث ميراثا واعطي
من الاجر كمن اشترى محررا وبرئ من الشرك وكان في مشية الله من الذين يتجاوز عنهم

[illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الذين آمنوا اوفوا بالعقود الوفاء هو القيام
بمقتضى العهد وكذلك الايفاء والعقد العهد الموثق قال الحطيئة قوم اذا عقدوا
عقدا لجارهم شدوا العناج وشدوا فوقه الكربا واصله الجمع بين الشيئين
بحيث يعسر الانفصال ولعل المراد بالعقود ما عقدها الله على عباده والزمها
اياهم من التكاليف وما يعقدون بينهم من عقود الامانات والمعاملات ونحوها
مما يجب الوفاء به او يحسن ان حملنا الامر على المشترك بين الوجوب والندب
احلت لكم بهيمة الانعام تفصيل للعقود والبهيمة كل حي لا يميز وقيل كل ذات اربع
واضافتها الى الانعام للبيان كقولك ثوب خز ومعناه البهيمة من الانعام وهي
الازواج الثمانية والحق بها الظباء وبقر الوحش وقيل هما المراد بالبهيمة و
نحوهما مما يماثل الانعام في الاجترار وعدم الانياب واضافتها الى الانعام
لملابسة التشبيه الا ما يتلى عليكم الا محرم ما يتلى عليكم كقوله حرمت عليكم
الميتة او الا ما يتلى عليكم تحريمه غير محلي الصيد حال من الضمير في لكم وقيل من واو
اوفوا وقيل استثناء وفيه تعسف والصيد يحتمل المصدر والمفعول وانتم
حرم حال عما استكن في محلي والحرم جمع حرام وهو المحرم ان الله يحكم ما يريد من تحليل
وتحريم يا ايها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله يعني مناسك الحج جمع شعيرة وهي اسم ما
اشعر اي جعل شعارا سمي به اعمال الحج ومواقفه لانها علامات الحاج واعلام
النسك وقيل دين الله لقوله ومن يعظم شعائر الله اي دينه وقيل فرايضه التي

حدها العباد ولا الشهر الحرام بالقتال فيه او بالنسي ولا الهدي ما اهدي الى
الكعبة جمع هدية كجدي في جمع جدية السرج ولا القلائد اي ذوات القلائد من
الهدي وعطفها على الهدي للاختصاص فانها اشرف الهدي او القلائد انفسها
والنهي عن احلالها مبالغة في النهي عن التعرض للهدي ونظيره قوله ولا يبدين
زينتهن والقلائد جمع قلادة وهو ما قلد به الهدي من نعل او لحاء شجر او غيرهما
ليعلم به انه هدي فلا يتعرض له ولا آمين البيت الحرام قاصدين لزيارته
يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا ان يثيبهم ويرضى عنهم والجملة في موضع الحال
من المستكن في آمين وليست صفة له لانه عامل والمختار ان اسم الفاعل الموصوف
لا يعمل وفائدته استنكار تعرض من هذا شانه والتنبيه على المانع له وقيل معناه
يبتغون من الله رزقا بالتجارة ورضوانا بزعمهم اذ روي ان الاية نزلت عام
القضية في حجاج اليمامة لما هم المسلمون ان يتعرضوا لهم بسبب انهم كان فيهم الحطم
شريح بن ضبيعة وكان قد استاق سرح المدينة وعلى هذا فالاية منسوخة وقرئ
تبتغون على خطاب المؤمنين واذا حللتم فاصطادوا اذن في الاصطياد بعد
زوال الاحرام ولا يلزم من ارادة الاباحة ههنا من الامر دلالة الامر على الاباحة
مطلقا وقرئ بكسر الفاء على القاء حركة همزة الوصل عليها وهو ضعيف جدا
واحللتم يقال حل المحرم واحل ولا يجرمنكم اي لا يحملنكم ولا يكسبنكم شنآن قوم
شدة بغضهم وعداوتهم وهو مصدر اضيف الى المفعول او الفاعل وقرا ابن عامر
واسمعيل عن نافع وابن عياش عن عاصم بسكون النون وهو ايضا مصدر كليان
او نعت بمعنى بغيض قوم وفعلان في النعت اكثر ان صدوكم عن المسجد الحرام لان
صدوكم عنه عام الحديبية وقرا ابن كثير وابو عمرو بكسر الهمزة على انه شرط
معترض اغنى عن جوابه لا يجرمنكم ان تعتدوا بالانتقام ثاني مفعولي يجرمنكم فانه
تعدى الى واحد والى اثنين ككسب ومن قرا يجرمنكم بضم الياء جعله منقولا من
المتعدي الى مفعول بالهمزة الى مفعولين وتعاونوا على البر والتقوى على العفو
والاغضاء ومتابعة الامر ومجانبة الهوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان
للتشفي والانتقام واتقوا الله ان الله شديد العقاب فانتقامه اشد حرمت عليكم
الميتة بيان ما يتلى عليكم والميتة ما فارقه الروح من غير تذكية والدم اي
الدم المسفوح لقوله او دما مسفوحا وكان اهل الجاهلية يصبونه في الامعاء و
يشوونها ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به اي رفع الصوت لغير الله به كقولهم
باسم اللات والعزى عند ذبحه والمنخنقة التي ماتت بالخنق والموقوذة

بنحو خشب او حجر حتى تموت من وقذته اذا ضربته والمتردية التي تردت من علو
او في بئر فماتت والنطيحة التي نطحتها اخرى فماتت والتاء فيها للنقل وما اكل
السبع اي وما اكل منه السبع فمات وهو يدل على ان جوارح الصيد اذا اكلت
مما اصطادته لم يحل الا ما ذكيتم الا ما ادركتم ذكوته وفيه حيوة مستقرة
من ذلك وقيل الاستثناء مخصوص بما اكل السبع والذكوة في الشرع بقطع
الحلقوم والمري بمحدد وما ذبح على النصب النصب واحد الانصاب وهي احجار كانت
منصوبة حول البيت يذبحون عليها ويعدون ذلك قربة وقيل هي الاصنام
وعلى بمعنى اللام او على اصلها بتقدير وما ذبح مسمى على الاصنام وقيل هو جمع
والواحد نصاب وان تستقسموا بالازلام اي وحرم عليكم الاستقسام بالاقداح
وذلك انهم اذا قصدوا فعلا ضربوا ثلثة اقداح مكتوب على احدها امرني ربي
وعلى الاخر نهاني ربي والثالث غفل فان خرج الامر مضوا على ذلك وان خرج الناهي
تجنبوا عنه وان خرج الغفل اجالوها ثانيا فمعنى الاستقسام طلب معرفة ما قسم
لهم دون ما لم يقسم بالازلام وقيل هو استقسام الجزور بالاقداح على الانصباء
المعلومة وواحد الازلام زلم كجمل وزلم كصرد ذلكم فسق اشارة الى الاستقسام
وكونه فسقا لانه دخول في علم الغيب وضلال باعتقاد انه طريق اليه وافتراء
على الله ان اريد بربي الله وجهالة وشرك ان اريد به الصنم او الميسر المحرم او الى
تناول ما حرم عليهم اليوم لم يرد به يوما بعينه وانما اراد الحاضر وما يتصل
به من الازمنة الاتية وقيل اراد يوم نزولها وقد نزلت بعد عصر يوم الجمعة
يوم عرفة حجة الوداع يئس الذين كفروا من دينكم اي من ابطاله ورجوعكم عنه
بتحليل هذه الخبائث وغيرها او من ان يغلبوكم عليه فلا تخشوهم ان يظهروا
عليكم واخشون واخلصوا الخشية لي اليوم اكملت لكم دينكم بالنصر والاظهار على
الاديان كلها او بالتنصيص على قواعد العقايد والتوقيف على اصول الشرايع
وقوانين الاجتهاد واتممت عليكم نعمتي بالهداية والتوفيق او باكمال الدين او فتح
مكة او هدم منار الجاهلية ورضيت لكم الاسلام دينا اخترته لكم دينا من بين الاديان
وهو الدين عند الله لا غير فمن اضطر متصل بذكر المحرمات وما بينهما اعتراض
بما يوجب التجنب عنها وهو ان تناولها فسوق وحرمتها من جملة الدين الكامل والنعمة
التامة والاسلام المرضي والمعنى فمن اضطر الى تناول شيء من هذه المحرمات في
مخمصة مجاعة غير متجانف لاثم غير مائل له ومنحرف اليه بان ياكلها تلذذا
او مجاوزا حد الرخصة كقوله غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم لا يؤاخذه

بأكله يسألونك ماذا احل لهم لما تضمن السؤال معنى القول اوقع على الجملة وقد سبق
الكلام في ماذا وانما قال لهم ولم يقل لنا على الحكاية لان يسألونك بلفظ الغيبة و
كلا الوجهين سائغ في امثاله والمسؤل ما احل لهم من المطاعم كانهم لما تلي عليهم
ما حرم عليهم سألوا عما احل لهم قل احل لكم الطيبات ما لم تستخبثه الطباع السليمة
ولم تنفر عنه ومن مفهومه حرم مستخبثات العرب او ما لم يدل نص ولا قياس على
حرمته وما علمتم من الجوارح عطف على الطيبات ان جعلت ما موصولة على تقدير
وصيد ما علمتم وجملة شرطية ان جعلت شرطا وجوابها فكلوا والجوارح كواسب
الصيد على اهلها من سباع ذوات الاربع والطير مكلبين معلمين اياه الصيد و
المكلب مؤدب الجوارح ومضريها بالصيد مشتق من الكلب لان التاديب يكون اكثر
فيه واثر او لان كل سبع يسمى كلبا لقوله اللهم سلط عليه كلبا من كلابك وانتصابه
على الحال من علمتم وفايدتها المبالغة في التعليم تعلمونهن حال ثانية او استيناف
مما علمكم الله من الحيل وطرق التاديب فان العلم به الهام من الله او مكتسب بالعقل
الذي هو منحة منه او مما علمكم ان تعلموه من اتباع الصيد بارسال صاحبه وانزجاره
بزجره وانصرافه بدعائه وامساك الصيد عليه ولا ياكل منه فكلوا مما امسكن
عليكم وهو ما لم ياكل منه لقوله عم لعدي بن حاتم وان اكل فلا تاكل انما امسك
على نفسه واليه ذهب اكثر الفقهاء وقال بعضهم لا يشترط ذلك في سباع الطير
لان تاديبها الى هذه الحد متعذر وقال اخرون لا يشترط مطلقا واذكروا اسم الله
عليه الضمير لما علمتم والمعنى سموا عليه عند ارساله او لما امسكن بمعنى سموا
عليه اذا ادركتم ذكوته واتقوا الله في محرماته ان الله سريع الحساب فيؤاخذكم
بما جل ودق اليوم احل لكم الطيبات وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم يتناول
الذبائح وغيرها ويعم الذين اوتوا الكتاب اليهود والنصارى واستثنى علي رض
نصارى بني تغلب وقال ليسوا على النصرانية ولم ياخذوا منها الا شرب الخمر ولا
يلحق بهم المجوس في ذلك وان الحق بهم في التقرير على الجزية لقوله عم سنوا بهم سنة اهل
الكتاب غير ناكحي نسائهم ولا اكلي ذبائحهم وطعامكم حل لهم فلا عليكم ان تطعموهم و
تبيعوه منهم ولو حرم عليهم لم يجز ذلك والمحصنات من المؤمنات اي الحرائر او العفائف
وتخصيصهن بعث على ما هو الاولى والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم
وان كن حربيات وقال ابن عباس لا يحل الحربيات اذا اتيتموهن اجورهن مهورهن
وتقييد الحل باتيانها لتاكيد وجوبها والحث على الاولى وقيل المراد باتيانها التزامها
محصنين اعفاء بالنكاح غير مسافحين غير مجاهرين بالزنا ولا متخذي اخدان مسرين

به والحزن الصديق يقع على الذكر والانثى ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله وهو
في الآخرة من الخاسرين يريد بالايمان شرايع الاسلام وبالكفر به انكاره والامتناع عنه
يا ايها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلوة اي اذا اردتم القيام كقوله فاذا قرأت القرآن
فاستعذ بالله عبر عن ارادة الفعل بالفعل المسبب عنها للايجاز والتنبيه على ان من
اراد العبادة ينبغي ان يبادر اليها بحيث لا ينفك الفعل عن الارادة او اذا قصدتم الصلوة
لان التوجه الى الشيء والقيام اليه قصد له وظاهر الآية يوجب الوضوء على كل قائم
الى الصلوة وان لم يكن محدثا والاجماع على خلافه لما روي انه صلى الخمس بوضوء واحد
يوم الفتح فقال عمر صنعت شيئا لم تكن تصنعه فقال عمدا فعلته فقيل مطلق اريد
به التقييد والمعنى اذا قمتم الى الصلوة محدثين وقيل الامر فيه للندب وقيل كان ذلك
اول الامر ثم نسخ وهو ضعيف لقوله عم المايدة من آخر القرآن نزولا فاحلوا حلالها
وحرموا حرامها فاغسلوا وجوهكم امروا الماء عليها ولا حاجة الى الدلك خلافا
لمالك وايديكم الى المرافق الجمهور على دخول المرفقين في المغسولة لذلك قيل الى
بمعنى مع كقوله ويزدكم قوة الى قوتكم او متعلقة بمحذوف تقديره وايديكم مضافة
الى المرافق ولو كان كذلك لم يبق معنى التحديد ولا لذكره مزيد فايدة لان مطلق اليد
يشتمل عليها وقيل الى تفيد الغاية مطلقا واما دخولها في الحكم او خروجها منه
فلا دلالة عليه وانما يعلم من خارج فلم يكن في الآية وكان الايدي متناولة لها
فحكم بدخولها احتياطا وقيل الى من حيث انها تفيد الغاية تقتضي خروجها والا لم
تكن غاية كقوله فنظرة الى ميسرة وقوله ثم اتموا الصيام الى الليل لكن لما لم
تتميز الغاية ههنا عن ذي الغاية وجب ادخالها احتياطا وامسحوا برؤسكم الباء
مزيدة وقيل للتبعيض فانه الفارق بين قولك مسحت المنديل ومسحت بالمنديل و
وجهه ان يقال انها تدل على تضمين الفعل معنى الالصاق فكانه قيل والصقوا
المسح برؤسكم وذلك لا يقتضي الاستيعاب بخلاف ما لو قيل وامسحوا رؤسكم فانه
كقوله واغسلوا وجوهكم واختلف العلماء في قدر الواجب فاوجب الشافعي رح اقل
ما يقع عليه الاسم اخذا باليقين وابو حنيفة رح مسح ربع الرأس لانه عم مسح على
ناصيته وهو قريب من الربع ومالك مسح كله اخذا بالاحتياط وارجلكم الى الكعبين
نصبه نافع وابن عامر وحفص والكسائي ويعقوب عطفا على وجوهكم ويؤيده
السنة الشايعة وعمل الصحابة وقول اكثر الائمة والتحديد اذ المسح لم يحد وجره
الباقون على الجوار ونظيره كثير في القرآن والشعر كقوله تعالى عذاب يوم اليم وحور
عين بالجر في قراءة حمزة والكسائي وقولهم جحر ضب خرب وللنحاة باب في ذلك و

وفايدته التنبيه على انه ينبغي ان يقتصد في صب الماء عليها ويغسل غسلا يقرب من
المسح وفي الفصل بينه وبين اخواته ايماء على وجوب الترتيب وقرئ بالرفع على و
ارجلكم مغسولة وان كنتم جنبا فاطهروا فاغتسلوا وان كنتم مرضى او على سفر او
جاء احد منكم من الغايط او لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا
بوجوهكم وايديكم منه سبق تفسيره ولعل تكريره ليتصل الكلام في بيان انواع الطهارة
ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج اي ما يريد بالامر بالطهارة للصلوة او الامر بالتيمم
تضييقا عليكم ولكن يريد ليطهركم لينظفكم او ليطهركم عن الذنوب فان الوضوء تكفير
للذنوب او ليطهركم بالتراب اذا اعوزكم التطهير بالماء فمفعول يريد في الموضعين
محذوف واللام للعلة وقيل مزيدة والمعنى ما يريد الله ان يجعل عليكم من حرج حتى
لا يرخص لكم في التيمم ولكن يريد ان يطهركم وهو ضعيف لان ان لا يقدر بعد المزيدة
وليتم نعمته عليكم ليتم بشرعه ما هو مطهرة لابدانكم ومكفرة لذنوبكم نعمته عليكم في
الدين او ليتم برخصه انعامه عليكم بعزايمه لعلكم تشكرون نعمته والآية مشتملة
على سبعة امور كلها مثنى طهارتان اصل وبدل والاصل اثنان مستوعب وغير مستوعب
باعتبار الفعل غسل ومسح وباعتبار المحل محدود وغير محدود وان آلتهما مايع
وجامد وموجبهما حدث اصغر واكبر وان المبيح للعدول الى البدل مرض او سفر
وان الموعود عليهما تطهير الذنوب واتمام النعمة واذكروا نعمة الله عليكم بالاسلام
لتذكركم المنعم وترغبكم في شكره وميثاقه الذي واثقكم به اذ قلتم سمعنا واطعنا
يعني الميثاق الذي اخذه على المسلمين حين بايعهم رسول الله عم على السمع والطاعة
في العسر واليسر والمنشط والمكره او ميثاق ليلة العقبة او بيعة الرضوان واتقوا الله
في انساء نعمه ونقض ميثاقه ان الله عليم بذات الصدور اي بخفياتها فيجازيكم عليها
فضلا عن جليات اعمالكم يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم
شنآن قوم على الا تعدلوا عداه بعلى لتضمنه معنى الحمل لا يحملنكم شدة بغضكم
للمشركين على ترك العدل فيهم فتعتدوا عليهم بارتكاب ما لا يحل كمثلة وقذف
وقتل نساء وصبية ونقض عهد تشفيا مما في قلوبكم اعدلوا هو اقرب للتقوى
اي العدل اقرب الى التقوى صرح لهم الامر بالعدل وبين انه بمكان من التقوى بعد ما
نهاهم عن الجور وبين انه مقتضى الهوى واذا كان هذا للعدل مع الكفار فما ظنك
بالعدل مع المؤمنين واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون فيجازيكم به وتكرير هذا الحكم
اما لاختلاف السبب كما قيل ان الاولى نزلت في المشركين وهذه في اليهود او لمزيد الاهتمام
بالعدل والمبالغة في اطفاء نايرة الغيظ وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات

لهم مغفرة واجر عظيم انما حذف ثاني مفعولي وعد استغناء بقوله لهم مغفرة فانه
استيناف يبينه وقيل الجملة في موقع المفعول فان الوعد ضرب من القول وكانه
قال وعدهم هذا القول والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب الجحيم هذا
من عادته تعالى ان يتبع حال احد الفريقين حال الاخر وفاء بحق الدعوة وفيه مزيد
وعد للمؤمنين وتطييب لقلوبهم يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم روي
ان المشركين راوا رسول الله عم واصحابه بعسفان قاموا الى الظهر معا فلما صلوا
ندموا الا كانوا اكبوا عليهم وهموا ان يوقعوا بهم اذا قاموا الى العصر فرد الله كيدهم
بان نزل صلوة الخوف والاية اشارة الى ذلك وقيل اشارة الى ما روي انه عم اتى
قريظة ومعه الخلفاء الاربعة يستقرضهم لدية مسلمين قتلهما عمرو بن امية الضمري
خطاء يحسبهما مشركين فقالوا نعم يا ابا القاسم اجلس حتى نطعمك ونقرضك فاجلسوه
وهموا بقتله فعمد عمرو بن جحاش الى رحى عظيمة يطرحها عليه فامسك الله يده فنزل
جبرئيل فاخبره فخرج وقيل نزل رسول الله منزلا وعلق سلاحه بشجرة وتفرق الناس
عنه فجاء اعرابي فسل سيفه فقال من يمنعك مني فقال الله فاسقطه جبرئيل من يده
واخذه الرسول وقال من يمنعك مني فقال لا احد اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا
رسول الله فنزلت اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم بالقتل والاهلاك يقال بسط
اليه يده اذا بطش به وبسط اليه لسانه اذا شتمه فكف ايديهم عنكم منعها ان
تمد اليكم ورد مضرتها عنكم واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون فانه الكافي
لايصال الخير ودفع الشر ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل وبعثنا منهم اثني
عشر نقيبا شاهدا من كل سبط ينقب عن احوال قومه ويفتش عنها او كفيلا يكفل
عليهم بالوفاء بما امروا به روي ان بني اسرائيل لما فرغوا عن فرعون واستقروا
بمصر امرهم الله بالسير الى اريحا ارض الشام وكان يسكنها الجبابرة الكنعانيون
وقال اني كتبتها لكم دارا وقرارا فاخرجوا اليها وجاهدوا من فيها فاني ناصركم
وامر موسى ان ياخذ من كل سبط كفيلا عليهم بالوفاء بما امروا به فاخذ عليهم الميثاق
واختار منهم النقباء وسار بهم فلما دنا من ارض كنعان بعث النقباء يتجسسون
الاخبار ونهاهم ان يحدثوا قومهم فراوا اجراما عظيمة وباسا شديدا فهابوا
فرجعوا وحدثوا قومهم الا كالب بن يوفنا من سبط يهوذا ويوشع بن نون من سبط
افرايم بن يوسف وقال الله اني معكم بالنصرة لئن اقمتم الصلوة واتيتم الزكوة و
امنتم برسلي وعزرتموهم اي نصرتموهم وقويتموهم واصله الذب ومنه التعزير
واقرضتم الله قرضا حسنا بالانفاق في سبيل الخير وقرضا يحتمل المصدر و

والمفعول لاكفرن عنكم سيئاتكم جواب القسم المدلول عليه باللام في لئن ساد مسد
جواب الشرط ولادخلنكم جنات تجري من تحتها الانهار فمن كفر بعد ذلك بعد ذلك
الشرط المؤكد المعلق به الوعد العظيم منكم فقد ضل سواء السبيل ضلالا لا شبهة فيه
ولا عذر معه بخلاف من كفر قبل ذلك اذ قد يمكن ان يكون له شبهة ويتوهم له معذرة
فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم طردناهم من رحمتنا او مسخناهم او ضربنا عليهم الجزية
وجعلنا قلوبهم قاسية لا تنفعل عن الايات والنذر وقرا حمزة والكسائي قسية
او بمعنى ردية من قولهم درهم قسي اذا كان مغشوشا وهو ايضا من القسوة فان
المغشوش فيه يبس وصلابة وقرئ قسية باتباع القاف للسين يحرفون الكلم عن
مواضعه استيناف لبيان قسوة قلوبهم فانه لا قسوة اشد من تغيير كلام الله و
الافتراء عليه ويجوز ان يكون حالا من مفعول لعناهم لا من القلوب اذ لا ضمير له فيه
ونسوا وتركوا نصيبا وافيا مما ذكروا به من التورية او من اتباع محمد والمعنى انهم
حرفوا التورية وتركوا حظهم مما انزل عليهم فلم ينالوه وقيل معناه انهم حرفوها
فزلت بشومه اشياء منها عن حفظهم لما روي ان ابن مسعود قال قد ينسى المرء
بعض العلم بالمعصية وتلا هذه الاية ولا تزال تطلع على خائنة منهم خيانة او
فرقة خائنة او خائن والتاء للمبالغة والمعنى ان الخيانة والغدر من عادتهم و
عادة اسلافهم لا تزال ترى ذلك منهم الا قليلا منهم لم يخونوا وهم الذين امنوا منهم و
قيل الاستثناء من قوله وجعلنا قلوبهم قاسية فاعف عنهم واصفح ان تابوا وامنوا
او عاهدوا والتزموا الجزية وقيل مطلق نسخ باية السيف ان الله يحب المحسنين
تعليل للامر بالصفح وحث عليه وتنبيه على ان العفو عن الكافر الخائن احسان
فضلا عن العفو عن غيره ومن الذين قالوا انا نصارى اخذنا ميثاقهم اي واخذنا
من النصارى ميثاقهم كما اخذنا ممن قبلهم وقيل تقديره ومن الذين قالوا انا
نصارى قوم اخذنا وانما قال قالوا انا نصارى ليدل على انهم سموا انفسهم
بذلك ادعاء لنصرة الله فنسوا حظا مما ذكروا به فاغرينا فالزمنا من غري
بالشيء اذا لصق به بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيمة بين فرق النصارى
وهم نسطورية ويعقوبية وملكائية او بينهم وبين اليهود وسوف ينبئهم
الله بما كانوا يصنعون بالجزاء والعقاب يا اهل الكتاب يعني اليهود والنصارى
ووحد الكتاب لانه للجنس قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون
من الكتاب كنعت محمد واية الرجم في التورية وبشارة عيسى باحمد في الانجيل
ويعفو عن كثير مما تخفونه لا يخبر به اذا لم يضطر اليه امر ديني او عن كثير منكم

فلا يواخذه بجرمه قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يعني القران فانه الكاشف
لظلمات الشك والضلال والكتاب الواضح الاعجاز وقيل يريد بالنور محمدا عم يهدي
به الله وحد الضمير لان المراد بهما واحد او لانهما كواحد في الحكم من اتبع رضوانه
من اتبع رضاه بالايمان منهم سبل السلام طرق السلامة من العذاب او سبل الله
ويخرجهم من الظلمات الى النور من انواع الكفر الى الاسلام باذنه بارادته او بتوفيقه
ويهديهم الى صراط مستقيم طريق هو اقرب الطرق الى الله ومودي اليه لا محالة
لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم هم الذين قالوا بالاتحاد منهم وقيل
لم يصرح به احد منهم ولكن لما زعموا ان فيه لاهوتا وقالوا لا اله الا واحد لزمهم
ان يكون هو المسيح فنسب اليهم لازم قولهم توضيحا لجهلهم وتفضيحا لمعتقدهم
قل فمن يملك من الله شيئا فمن يمنع من قدرته وارادته شيئا ان اراد ان يهلك المسيح
ابن مريم وامه ومن في الارض جميعا احتج بذلك على فساد قولهم وتقريره ان المسيح
مقدور مقهور قابل للفناء كساير الممكنات ومن كان كذلك فهو بمعزل عن الالوهية
ولله ملك السموات والارض وما بينهما يخلق ما يشاء والله على كل شيء قدير
ازاحة لما عرض لهم من الشبهة في امره والمعنى انه تعالى قادر على الاطلاق يخلق من
غير اصل كما خلق السموات والارض ومن اصل كخلق ما بينهما فينشئ من اصل
ليس من جنسه كادم وكثير من الحيوانات ومن اصل يجانسه اما من ذكر وحده
كما خلق حواء او من انثى وحدها كعيسى او منهما كساير الناس وقالت اليهود
والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه اشياع ابنيه عزير والمسيح كما قيل لاشياع
ابن الزبير الخبيبون او مقربون عنده قرب الاولاد من والدهم وقد سبق لنحو ذلك مزيد
بيان في سورة ال عمران قل فلم يعذبكم بذنوبكم اي فان صح ما زعمتم فلم يعذبكم بذنوبكم
فان من كان بهذا المنصب لا يفعل ما يوجب تعذيبه وقد عذبكم في الدنيا بالقتل والاسر
والمسخ واعترفتم انه سيعذبكم بالنار اياما معدودة بل انتم بشر ممن خلق ممن
خلقه الله يغفر لمن يشاء وهم من امن به وبرسله ويعذب من يشاء وهو من
كفر والمعنى انه يعاملكم معاملة ساير الناس لا مزية لكم عليه ولله ملك السموات
والارض وما بينهما كلها سواء في كونه خلقا وملكا له واليه المصير فيجازي
المحسن باحسانه والمسيء باساءته يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم اي
الدين وحذف لظهوره او ما كتمتم وحذف لتقدم ذكره ويجوز ان لا يقدر مفعول على
معنى ويبذل لكم البيان والجملة في موضع الحال اي جاءكم رسولنا مبينا لكم على
فترة من الرسل متعلق بجاءكم اي جاءكم على حين فتور من الارسال وانقطاع من

الوحي او بيبين حال من الضمير فيه ان تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير كراهة
ان تقولوا ذلك وتعتذروا به فقد جاءكم بشير ونذير متعلق بمحذوف اي لا تعتذروا
بما جاءنا فقد جاءكم والله على كل شيء قدير فيقدر على الارسال تترى كما فعل بين موسى
وعيسى عم اذ كان بينهما الف وسبعماية سنة والف نبي وعلى الارسال على فترة
كما فعل بين عيسى ومحمد عم كان بينهما ستماية او خمسماية وتسع وستون سنة
واربعة انبياء ثلثة من بني اسرائيل وواحد من العرب خالد بن سنان العبسي وفي
الاية امتنان عليهم ان بعث اليهم حين انطمست اثار الوحي وكانوا احوج ما يكونون اليه واذ قال
موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبياء فارشدكم وشرفكم
بهم ولم يبعث في امة ما بعث في بني اسرائيل من الانبياء وجعلكم ملوكا اي وجعل
منكم او فيكم وقد تكاثر فيكم الملوك تكاثر الانبياء بعد فرعون حتى قتلوا يحيى و
هموا بقتل عيسى وقيل لما كانوا مملوكين في ايدي القبط فانقذهم الله وجعلهم
مالكين لانفسهم وامورهم سماهم ملوكا واتاكم ما لم يؤت احدا من العالمين من
فلق البحر وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى ونحوها مما اتاهم الله وقيل المراد
بالعالمين عالمي زمانهم يا قوم ادخلوا الارض المقدسة سميت بذلك لانها كانت قرار
الانبياء ومسكن المؤمنين وقيل الطور وما حوله وقيل دمشق وفلسطين وبعض
الاردن وقيل الشام التي كتب الله لكم قسمها لكم او كتب في اللوح المحفوظ انها تكون
مسكنا لكم ان امنتم واطعتم لقوله لهم بعد ما عصوا فانها محرمة عليهم ولا
ترتدوا على ادباركم ولا ترجعوا مدبرين خوفا من الجبابرة وقيل لما سمعوا احوالهم
من النقباء بكوا وقالوا ليتنا متنا بمصر تعالوا نجعل علينا راسا ينصرف
بنا الى مصر او لا ترتدوا عن دينكم بالعصيان وعدم الوثوق على الله فتنقلبوا
خاسرين ثواب الدارين ويجوز في فتنقلبوا الجزم على العطف والنصب على الجواب
قالوا يا موسى ان فيها قوما جبارين متغلبين لا يتاتى مقاومتهم والجبار فعال من
جبره على الامر بمعنى اجبره وهو الذي يجبر الناس على ما يريده وانا لن ندخلها حتى
يخرجوا منها فان يخرجوا منها فانا داخلون اذ لا طاقة لنا بهم قال رجلان كالب
ويوشع من الذين يخافون اي يخافون الله ويتقونه وقيل كانا رجلين من الجبابرة
اسلما وصارا الى موسى فعلى هذا الواو لبني اسرائيل والراجع الى الموصول
محذوف اي من الذين يخافهم بنو اسرائيل ويشهد له انه قرئ الذين يخافون
بالضم اي المخوفين وعلى المعنى الاول يكون هذا من الاضافة اي من الذين يخوفون
من الله بالتذكير او يخوفهم الوعيد انعم الله عليهما بالايمان والتثبيت وهو صفة

ثانية لرجلين او اعتراض ادخلوا عليهم الباب باب قريتهم اي باغتوهم وضاغطوهم
في المضيق وامنعوهم من الاصحار فاذا دخلتموه فانكم غالبون لتعسر الكر عليهم
في المضايق من عظم اجسامهم ولانهم اجسام لا قلوب فيها ويجوز ان يكون علمهما
بذلك من اخبار موسى عم وقوله كتب الله لكم او مما علما من عادته تعالى في نصرة
رسله وما عهدا من صنعه لموسى في قهر اعدائه وعلى الله فتوكلوا ان
كنتم مؤمنين اي مؤمنين به ومصدقين لوعده قالوا يا موسى انا لن ندخلها
ابدا نفوا دخولهم على التاكيد والتابيد ما داموا فيها بدل من ابدا بدل البعض
فاذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون قالوا ذلك استهانة بالله و
رسله وعدم مبالاة بهما وقيل تقديره اذهب انت وربك يعينك قال رب
اني لا املك الا نفسي واخي قاله شكوى بثه وحزنه الى الله لما خالفه قومه و
ايس منهم ولم يبق معه موافق يثق به غير هارون عم والرجلان المذكوران
وان كانا يوافقانه لم يثق عليهما لما كابد من تلون قومه ويجوز ان يراد باخي
من يواخيني في الدين فيدخلان فيه ويحتمل نصبه عطفا على نفسي او على اسم
ان ورفعه عطفا على الضمير في لا املك او على ان واسمها وجره عند الكوفيين
عطفا على الضمير في نفسي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين بان تحكم لنا
بما نستحقه وتحكم عليهم بما يستحقونه او بالتبعيد بيننا وبينهم وتخليصنا
من صحبتهم قال فانها فان الارض المقدسة محرمة عليهم لا يدخلونها ولا يملكونها
بسبب عصيانهم اربعين سنة يتيهون في الارض عامل الظرف اما محرمة فيكون
التحريم موقتا غير موبد فلا يخالف ظاهر قوله التي كتب الله لكم ويؤيد ذلك
ما روي ان موسى عم سار بعده بمن بقي من بني اسرائيل ففتح اريحا واقام بها
ما شاء الله ثم قبض وقيل انه قبض في التيه ولما احتضر اخبرهم بان يوشع
بعده نبي وان الله امرهم بقتال الجبابرة فسار بهم يوشع وقتل الجبابرة و
صار الشام كله لبني اسرائيل واما يتيهون اي يسيرون فيها متحيرين لا يرون
طريقا فيكون التحريم مطلقا وقد قيل لم يدخل الارض المقدسة احد ممن قال
انا لن ندخلها بل هلكوا في التيه وانما قاتل الجبابرة اولادهم روي انهم لبثوا
اربعين سنة في ستة فراسخ يسيرون من الصباح الى المساء فاذا هم بحيث ارتحلوا
عنه وكان الغمام يظلهم من الشمس وعمود من نور يطلع عليهم بالليل فيضيء
لهم وكان طعامهم المن والسلوى وماؤهم من الحجر الذي يحملونه والاكثر على
ان موسى وهارون كانا معهم في التيه الا انه كان ذلك روحا لهما وزيادة

في درجتهما وعقوبة لهم وانهما ماتا فيه مات هارون ومات موسى بعده بسنة ثم
دخل يوشع اريحا بعد ثلثة اشهر ومات النقباء فيه بغتة غير كالب ويوشع
فلا تأس على القوم الفاسقين خاطب به موسى لما ندم على الدعاء عليهم وبين انهم
احقاء بذلك لفسقهم واتل عليهم نبأ ابني آدم قابيل وهابيل اوحى الله الى
آدم ان يزوج كل واحد منهما توأم الآخر فسخط منه قابيل لان توأمه كانت اجمل
فقال لهما آدم قربا قربانا فمن ايكما قبل تزوجها فقبل قربان هابيل بان نزلت نار
فاكلته فازداد قابيل سخطا وفعل ما فعل وقيل لم يرد بهما ابني آدم لصلبه
وانهما رجلان من بني اسرائيل ولذلك قال كتبنا على بني اسرائيل بالحق صفة مصدر
محذوف اي تلاوة ملتبسة بالحق او حال من الضمير في اتل او من نبأ اي ملتبسا
بالصدق موافقا لما في كتب الاولين اذ قربا قربانا ظرف لنبأ او حال منه او بدل
على حذف مضاف اي اتل عليهم نبأهما نبأ ذلك الوقت والقربان اسم ما يتقرب به
الى الله من ذبيحة او غيرها كما ان الحلوان اسم ما يحلى اي يعطى وهو في الاصل مصدر
ولذلك لم يثن وقيل تقديره اذ قرب كل واحد منهما قربانا قيل كان قابيل صاحب
زرع وقرب اردأ قمح عنده وهابيل صاحب ضرع وقرب جملا سمينا فتقبل من
احدهما ولم يتقبل من الآخر لانه سخط حكم الله ولم يخلص النية في قربانه وقصد الى
اخس ما عنده قال لأقتلنك توعده بالقتل لفرط الحسد له على تقبل قربانه ولذلك
قال انما يتقبل الله من المتقين في جوابه اي انما اتيت من قبل نفسك بترك التقوى
لا من قبلي فلم تقتلني وفيه اشارة الى ان الحاسد ينبغي ان يرى حرمانه من تقصيره
ويجتهد في تحصيل ما به صار المحسود محظوظا لا في ازالة حظه فان ذلك مما
يضره ولا ينفعه فان الطاعة لا تقبل الا من مؤمن متق لئن بسطت الي يدك
لتقتلني ما انا بباسط يدي اليك لاقتلك اني اخاف الله رب العالمين قيل كان هابيل
اقوى منه ولكن تحرج عن قتله واستسلم له خوفا من الله لان الدفع لم يبح بعد او
تحريا لما هو الافضل قال عم كن عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله القاتل وانما
قال ما انا بباسط في جواب لئن بسطت للتبري من هذا الفعل الشنيع راسا
والتحرز من ان يوصف به ويطلق عليه ولذلك اكد النفي بالباء اني اريد ان تبوء
باثمي واثمك فتكون من اصحاب النار وذلك جزاء الظالمين تعليل للامتناع عن
المعارضة والمقاومة والمعنى انما استسلم لك ارادة ان تحمل اثمي لو بسطت اليك
يدي واثمك ببسطك يدك الي ونحوه المستبان ما قالا فعلى البادي ما لم يعتد المظلوم
وقيل معنى باثمي باثم قتلي وباثمك الذي لم يتقبل لاجله قربانك وكلاهما في موضع

لحالا اي ترجع ملتبسا بالاثمين حاملا لهما ولعله لم يرد معصية اخيه و
شقاوته بل قصده بهذا الكلام الى ان ذلك ان كان لا محالة واقعا فاريد ان
يكون لك لا لي فالمراد بالذات ان لا يكون له لا ان يكون لاخيه ويجوز ان يكون المراد
بالاثم عقوبته واراده عقاب العاصي جائزة فطوعت له نفسه قتل اخيه فسهلته
له ووسعته من طاع له المرتع اذا اتسع وقرئ فطاوعت على انه فاعل بمعنى فعل
او على ان قتل اخيه كأنه دعاه الى الاقدام عليه فطاوعته وله لزيادة الربط
لزيد ماله فقتله فاصبح من الخاسرين دينا ودنيا اذ بقي مدة عمره مطرودا
محزونا قيل قتل هابيل وهو ابن عشرين سنة عند عقبة حراء وقيل بالبصرة
في موضع المسجد الاعظم فبعث الله غرابا يبحث في الارض ليريه كيف يواري
سوأة اخيه روي انه لما قتله تحير في امره ولم يدر ما يصنع به اذ كان اول
ميت من بني ادم فبعث الله غرابين فاقتتلا فقتل احدهما الاخر فحفر له بمنقاره
ورجله ثم القاه في الحفرة والضمير في ليريه لله او للغراب وكيف حال من الضمير
في يواري والجملة ثاني مفعولي يري والمراد بسوأة اخيه جسده الميت فانه
مما يستقبح ان يرى قال يا ويلتا كلمة جزع وتحسر والالف فيها بدل من ياء المتكلم
والمعنى يا ويلتي احضري فهذا اوانك والويل والويلة الهلكة اعجزت ان اكون
مثل هذا الغراب فاواري سوأة اخي لا اهتدي الى ما اهتدى اليه وقوله
فاواري عطف على اكون وليس جواب الاستفهام اذ ليس المعنى لو عجزت لواريت
وقرئ بالسكون على فانا اواري او على تسكين المنصوب تخفيفا فاصبح من
النادمين على قتله لما كابده فيه من التحير في امره وحمله على رقبته سنة او
اكثر على ما قيل وتلمذه الغراب واسوداد لونه وتبرؤ ابويه منه اذ روي
انه لما قتله اسود جسده فسأله ادم عن اخيه فقال ما كنت عليه وكيلا
فقال بل قتلته ولذلك اسود جسدك وتبرأ عنه ومكث بعد ذلك مائة سنة
لا يضحك وعدم الظفر بما فعله لاجله من اجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل بسببه
قضينا عليهم واجل في الاصل مصدر اجل شرا اذا جناه استعمل في تعليل
الجنايات كقولهم من جراك فعلته اي من ان جررته اي من جنيته ثم اتسع فيه و
استعمل في كل تعليل ومن ابتدائية متعلقة بكتبنا اي ابتداء الكتب وانشاؤه
من اجل ذلك انه من قتل نفسا بغير نفس بغير قتل نفس يوجب الاقتصاص او فساد
في الارض او بغير فساد فيها كالشرك وقطع الطريق فكأنما قتل الناس جميعا
من حيث انه هتك حرمة الدماء وسن القتل وجرأ الناس عليه او من حيث

ان قتل الواحد والجميع سواء في استجلاب غضب الله والعذاب العظيم ومن احياها
فكأنما احيا الناس جميعا اي ومن تسبب لبقاء حياتها بعفو او منع عن القتل او استنقاذ
من بعض اسباب الهلكة فكأنما فعل ذلك بالناس جميعا والمقصود منه تعظيم قتل
النفس واحيائها في القلوب ترهيبا عن التعرض لها وترغيبا في المحاماة عليها
ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ثم ان كثيرا منهم بعد ذلك في الارض لمسرفون اي
بعد ما كتبنا عليهم هذا التشديد العظيم من اجل امثال تلك الجناية وارسلنا
اليهم الرسل بالايات الواضحة تأكيدا للامر وتجديدا للعهد كي يتحاموا عنها كثير منهم
يسرفون في الارض بالقتل ولا يبالون به وبهذا اتصلت القصة بما قبلها والا
سراف التباعد عن حد الاعتدال في الامر انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله
يحاربون اولياءهما وهم المسلمون جعل محاربتهم محاربتهما تعظيما واصل
الحرب السلب والمراد به ههنا قطع الطريق وقيل المكابرة باللصوصية وان
كانت في مصر ويسعون في الارض فسادا اي مفسدين ويجوز نصبه على العلة
او المصدر لان سعيهم كان فسادا فكأنه قيل ويفسدون في الارض فسادا ان
يقتلوا اي قصاصا من غير صلب ان افردوا القتل او يصلبوا اي يصلبوا مع
القتل ان قتلوا واخذوا المال وللفقهاء خلاف في انه يقتل ويصلب او يصلب
حيا ويترك او يطعن حتى يموت او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف تقطع ايديهم
اليمنى وارجلهم اليسرى ان اخذوا المال ولم يقتلوا او ينفوا من الارض ينفوا
من البلد الى البلد بحيث لا يتمكنوا من القرار في موضع ان اقتصروا على الاخافة
وفسر ابو حنيفة النفي بالحبس واو في الاية على هذا للتفصيل وقيل انه للتخيير و
الامام مخير بين هذه العقوبات في كل قاطع طريق ذلك لهم خزي في الدنيا ذل
وفضيحة ولهم في الاخرة عذاب عظيم لعظم ذنوبهم الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا
عليهم استثناء مخصوص بما هو حق الله تعالى ويدل عليه قوله تعالى فاعلموا ان
الله غفور رحيم اما القتل قصاصا فالى الاولياء يسقط بالتوبة وجوبه لا جوازه
وتقييد التوبة بالتقدم على القدرة يدل على انها بعد القدرة لا تسقط الحد
وان اسقطت العذاب وان الاية في قطاع المسلمين لان توبة المشرك تدرأ عنه
العقوبة قبل القدرة وبعدها يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وابتغوا اليه
الوسيلة اي ما تتوسلون به الى ثوابه والزلفى منه من فعل الطاعات وترك
المعاصي من وسل الى كذا اذا تقرب اليه وفي الحديث الوسيلة منزلة في الجنة
وجاهدوا في سبيله بمحاربة اعدائه الظاهرة والباطنة لعلكم تفلحون بالوصول

إلى الله والفوز بكرامته (إن الذين كفروا لو أن لهم ما في الأرض) من صنوف الأموال
(جميعا ومثله معه ليفتدوا به) ليجعلوه فدية لأنفسهم (من عذاب يوم القيامة) و
متعلقة بمحذوف يستدعيه لو إذ التقدير لو ثبت أن لهم ما في الأرض وتوحيد الضمير
في به والمذكور شيئان إما لإجرائه مجرى اسم الإشارة في نحو قوله تعالى عوان
بين ذلك أو لأن الواو في ومثله بمعنى مع (ما تقبل منهم) جواب لو ولو بما في حيزه
خبر إن والجملة تمثيل للزوم العذاب لهم وأنه لا سبيل لهم إلى الخلاص منه (ولهم عذاب أليم)
تصريح بالمقصود منه وكذلك قوله (يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين
منها ولهم عذاب مقيم) وقرئ يخرجوا من أخرج وإنما قال وما هم بخارجين
بدل وما يخرجون للمبالغة (والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما) جملتان عند
سيبويه إذ التقدير فيما يتلى عليكم السارق والسارقة أي حكمهما وجملة عند
المبرد والفاء للسببية دخل الخبر لتضمنهما معنى الشرط إذ المعنى والذي سرق و
التي سرقت وقرئ بالنصب وهو المختار في أمثاله لأن الإنشاء لا يقع خبرا إلا بإضمار
وتأويل والسرقة أخذ مال الغير في خفية وإنما توجب القطع إذا كانت من حرز و
المأخوذ ربع دينار أو ما يساويه لقوله عم القطع في ربع دينار فصاعدا و
للعلماء خلاف في ذلك لأحاديث وردت في ذلك وقد استقصيت الكلام فيه في
شرح المصابيح والمراد بالأيدي الأيمان ويؤيده قراءة ابن مسعود أيمانهما ولذلك
ساغ وضع الجمع موضع المثنى كما في قوله فقد صغت قلوبكما اكتفاء بتثنية المضاف
إليه واليد اسم لتمام العضو ولذلك ذهب الخوارج إلى أن المقطع هو المنكب والجمهور على
أنه الرسغ لأنه عم أتي بسارق فأمر بقطع يمينه منه (جزاء بما كسبا نكالا من الله)
منصوبان على المفعول له أو المصدر ودل على فعلهما فاقطعوا (والله عزيز حكيم)
(فمن تاب) من السراق (من بعد ظلمه) أي سرقته (وأصلح) أمره بالتفصي عن التبعات والعزم
على أن لا يعود إليها (فإن الله يتوب عليه إن الله غفور رحيم) يقبل توبته فلا يعذبه
في الآخرة أما القطع فلا يسقط بها عند الأكثرين لأن فيه حق المسروق منه (ألم
تعلم أن الله له ملك السماوات والأرض) الخطاب للنبي أو لكل أحد (يعذب من يشاء و
يغفر لمن يشاء والله على كل شيء قدير) قدم التعذيب على المغفرة إتيانا على ترتيب
ما سبق أو لأن استحقاق التعذيب مقدم أو لأن المراد به القطع وهو في الدنيا
(يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر) أي صنيع الذين يقعون في
الكفر سريعا في إظهاره إذا وجدوا منه فرصة (من الذين قالوا آمنا بأفواههم و
لم تؤمن قلوبهم) أي من المنافقين والباء متعلقة بقالوا لا بآمنا والواو يحتمل الحال

والعطف (ومن الذين هادوا) عطف على من الذين قالوا (سماعون للكذب) خبر مبتدأ محذوف
أي هم سماعون والضمير للفريقين أو للذين يسارعون ويجوز أن يكون مبتدأ ومن
الذين خبره أي ومن اليهود قوم سماعون واللام في للكذب إما مزيدة للتأكيد أو
لتضمين السماع معنى القبول أي قابلون لما تفتريه الأحبار أو للعلة والمفعول
محذوف أي سماعون كلامك ليكذبوا عليك فيه (سماعون لقوم آخرين لم يأتوك)
أي لجمع آخر من اليهود لم يحضروا مجلسك وتجافوا عنك تكبرا أو إفراطا في البغضاء
على الوجهين أي مصغون لهم قابلون كلامهم أو سماعون منك لأجلهم وللإنهاء إليهم
ويجوز أن يتعلق اللام بالكذب لأن سماعون الثاني مكرر للتأكيد أي سماعون ليكذبوا
لقوم آخرين (يحرفون الكلم من بعد مواضعه) أي يميلونه عن مواضعه التي وضعه
الله فيها إما لفظا بإهماله أو تغيير وضعه وإما معنى بحمله على غير المراد وإجرائه
في غير مورده والجملة صفة أخرى لقوم أو صفة لسماعون أو حال من الضمير فيه
أو استئناف ولا موضع له أو في موضع الرفع خبر لمحذوف أي هم يحرفون وكذلك
(يقولون إن أوتيتم هذا فخذوه) أي إن أوتيتم هذا المحرف فاقبلوه واعملوا به (وإن لم تؤتوه)
بل أفتاكم محمد بخلافه (فاحذروا) أي فاحذروا قبول ما أفتاكم به روي أن شريفا
من خيبر زنا بشريفة وكانا محصنين فكرهوا رجمهما فأرسلوهما مع رهط منهم
إلى بني قريظة ليسألوا رسول الله عم عنه وقالوا إن أمركم بالجلد والتحميم فاقبلوا
وإن أمركم بالرجم فلا فأمرهم بالرجم فأبوا عنه فجعل ابن صوريا حكما بينه وبينهم
وقال له أنشدك الله الذي لا إله إلا هو الذي فلق البحر لموسى ورفع فوقكم الطور
وأنجاكم وأغرق آل فرعون والذي أنزل عليكم كتابه وحلاله وحرامه هل تجد فيه
الرجم على من أحصن قال نعم فوثبوا عليه فقال خفت إن كذبته أن ينزل علينا
العذاب فأمر رسول الله عم بالزانيين فرجما عند باب المسجد (ومن يرد الله فتنته) ضلالته
أو فضيحته (فلن تملك له من الله شيئا) فلن تستطيع له من الله شيئا في دفعها (أولئك
الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم) من الكفر وهو كما ترى نص على فساد قول المعتزلة
(لهم في الدنيا خزي) هوان بالجزية والخوف من المؤمنين (ولهم في الآخرة عذاب عظيم)
وهو الخلود في النار والضمير للذين هادوا إن استأنفت بقوله ومن الذين وإلا
فللفريقين (سماعون للكذب) كرره للتأكيد (أكالون للسحت) أي الحرام كالرشى من سحته
إذا استأصله لأنه مسحوت البركة وقرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي ويعقوب
بضمتين وهما لغتان كالعنق والعنق وقرئ بفتح السين على لفظ المصدر (فإن
جاءوك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم) تخيير لرسول الله عم إذا تحاكموا إليه بين الحكم والإعراض

ولهذا قيل لو تحاكم كتابيان الى القاضي لم يجب عليه الحكم وهو قول الشافعي والاصح
وجوبه اذا كان المترافعان او احدهما ذميا لانا التزمنا الذب عنهم ودفع الظلم
عنهم والاية ليست في اهل الذمة وعند ابي حنيفة يجب مطلقا [illegible]
[illegible] بان يعادوك لاعراضك عنهم فان الله يعصمك من الناس [illegible]
[illegible] بالعدل الذي امر الله به [illegible] فيحفظهم ويعظم شانهم
[illegible] تعجيب من تحكيمهم من لا يؤمنون به والحال
ان الحكم منصوص عليه في الكتاب الذي هو عندهم وتنبيه على انهم ما قصدوا بالتحكيم
معرفة الحق واقامة الشرع وانما طلبوا به ما يكون اهون عليهم وان لم يكن حكم الله
في زعمهم وفيها حكم الله حال من التورية ان رفعتها بالظرف وان جعلتها مبتدأ
فمن ضميرها المستكن فيه وتانيثها لكونها نظيرة المؤنث في كلامهم لفظا كموماة
ودوداة [illegible] ثم يعرضون عن حكمك الموافق لكتابهم بعد التحكيم
وهو عطف على يحكمونك داخل في حكم التعجيب [illegible] بكتابهم لاعراضهم عنه
اولا وعما يوافقه ثانيا او بك وبه [illegible] يهدي الى الحق
[illegible] تكشف ما استبهم من الاحكام [illegible] يعني انبياء بني اسرائيل او
موسى ومن بعده ان قلنا شرع من قبلنا شرع لنا ما لم ينسخ وبهذه الاية تمسك
القائل به [illegible] صفة اجريت على النبيين مدحا لهم وتنويها بشان المسلمين
وتعريضا باليهود وانهم بمعزل عن دين الانبياء واقتفاء هديهم [illegible]
متعلق بانزل او بيحكم اي يحكمون بها في تحاكمهم وهو يدل على ان النبيين انبياؤهم
[illegible] زهادهم وعلماؤهم السالكون طريقة الانبياء هم عطف
على النبيون [illegible] بسبب امر الله اياهم بان يحفظوا كتابه
من التضييع والتحريف والراجع الى ما محذوف ومن للتبيين [illegible]
رقباء لا يتركون ان يغيروا او شهداء يبينون ما يخفى منه كما فعل ابن صوريا [illegible]
[illegible] نهي للحكام ان يخشوا غير الله في حكوماتهم ويداهنوا
فيها خشية ظالم او مراقبة كبير [illegible] ولا تستبدلوا باحكامي التي
انزلتها [illegible] هو الرشوة والجاه [illegible] مستهينا به منكرا
له [illegible] لاستهانتهم وتمردهم بان حكموا بغيره ولذلك وصفهم
بقوله الظالمون والفاسقون فكفرهم بانكاره وظلمهم بالحكم على خلافه وفسقهم
بالخروج عنه ويجوز ان يكون كل واحد من الصفات الثلثة باعتبار حال انضمت الى
الامتناع عن الحكم به ملاءمة لها او لطائفة كما قيل هذه في المسلمين لاتصالها

بخطابهم والظالمون في اليهود والفاسقون في النصارى [illegible] وكتبنا عليهم
في التورية [illegible] اي ان النفس تقتل بالنفس [illegible]
[illegible] رفعها الكسائي على انها جمل معطوفة على
ان وما في حيزها باعتبار المعنى فكانه قيل كتبنا عليهم النفس بالنفس والعين بالعين
فان الكتبة والقراءة تقعان على الجمل كالقول او مستانفة ومعناها وكذلك
العين مفقوءة بالعين والانف مجدوع بالانف والاذن مصلومة بالاذن والسن مقلوعة
بالسن او على ان المرفوع منها معطوف على المستكن في قوله بالنفس وانما ساغ لانه
في الاصل مفصول عنه بالظرف والجار والمجرور حال مبينة للمعنى [illegible]
اي ذات قصاص وقراءة الكسائي ايضا بالرفع وابن كثير وابو عمرو وابن عامر على
انه اجمال للحكم بعد التفصيل [illegible] من المستحقين [illegible] بالقصاص اي فمن عفا عنه
[illegible] فالتصدق [illegible] للمتصدق يكفر الله به ذنوبه وقيل للجاني يسقط عنه
ما لزمه وقرئ فهو كفارته له اي فالمتصدق كفارته التي يستحقها بالتصدق له
لا ينقص منها شيء [illegible] من القصاص وغيره [illegible]
[illegible] اي واتبعناهم على آثارهم فحذف المفعول لدلالة الجار والمجرور
عليه والضمير للنبيون [illegible] مفعول ثان عدي اليه الفعل بالباء [illegible]
[illegible] وقرئ بفتح الهمزة [illegible] في موضع
النصب بالحال [illegible] عطف عليه وكذا قوله
[illegible] ويجوز نصبهما على المفعول لهما عطفا على محذوف او تعليقا
به وعطف [illegible] عليه قراءة حمزة وعلى الاول
اللام متعلق بمحذوف اي وآتيناه ليحكم وقرئ وان ليحكم على ان ان موصولة بالامر
كقوله امرتك بان قم وامرنا بان يحكم [illegible]
عن حكمه او عن الايمان ان كان مستهينا به والاية تدل على ان الانجيل مشتمل على
الاحكام وان اليهودية منسوخة ببعثة عيسى عم وانه كان مستقلا بالشرع وحملها
على وليحكموا بما انزل الله فيه من ايجاب العمل بالاحكام التورية خلاف الظاهر [illegible]
[illegible] من جنس الكتب المنزلة واللام الاولى
للعهد والثانية للجنس [illegible] ورقيبا على سائر الكتب المحفوظة عن التغيير
ويشهد لها بالصحة والثبات وقرئ بفتح الميم اي هو من عليه وحوفظ من
التحريف والحافظ له هو الله تعالى او الحافظ في كل عصر [illegible]
اي بما انزل اليك [illegible] بالانحراف عنه الى ما يشتهونه

فمن صلة لا تتبع لتضمنه معنى لا تنحرف او حال من فاعله اي لا تتبع اهواءهم مائلا
عما جاءك لكل جعلنا منكم ايها الناس شرعة شريعة وهي الطريقة الى الماء شبه
بها الدين لانه طريق الى ما هو سبب الحيوة الابدية وقرئ بفتح الشين ومنهاجا
وطريقا واضحا في الدين من نهج الامر اذا وضح واستدل به على انا غير متعبدين بالشرايع
المتقدمة ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة جماعة متفقة على دين واحد في جميع
الاعصار من غير نسخ وتحويل ومفعول لو شاء محذوف دل عليه الجواب وقيل المعنى
لو شاء الله اجتماعكم على الاسلام لاجبركم عليه ولكن ليبلوكم فيما آتاكم من الشرايع
المختلفة المناسبة لكل عصر وقرن هل تعملون بها مذعنين لها معتقدين ان اختلافها
بمقتضى الحكمة الالهية ام تزيغون عن الحق وتفرطون في العمل فاستبقوا الخيرات
فابتدروها انتهازا للفرصة وحيازة لفضل السبق والتقدم الى الله مرجعكم
جميعا استيناف فيه تعليل الامر بالاستيناف ووعد ووعيد للمبادرين
والمقصرين فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون بالجزاء الفاصل بين المحق والمبطل
والعامل والمقصر وان احكم بينهم بما انزل الله عطف على الكتاب اي انزلنا اليك
الكتاب والحكم او على الحق اي انزلناه بالحق وبان احكم ويجوز ان يكون جملة بتقدير
وامرنا بان احكم ولا تتبع اهواءهم واحذرهم ان يفتنوك عن بعض ما انزل الله
اليك اي بان يضلوك ويصرفوك عنه وان بصلته بدل من هم بدل الاشتمال اي
احذرهم فتنتهم او مفعول له اي احذرهم مخافة ان يفتنوك روي ان احبار اليهود
قالوا اذهبوا بنا الى محمد لعلنا نفتنه عن دينه فقالوا يا محمد قد عرفت انا احبار
اليهود وانا ان اتبعناك اتبعنا اليهود كلهم وان بيننا وبين قومنا خصومة فنحاكمهم
اليك فتقضي لنا عليهم ونحن نؤمن بك ونصدقك فابى ذلك رسول الله عم فنزلت
فان تولوا عن الحكم المنزل وارادوا غيره فاعلم انما يريد الله ان يصيبهم ببعض
ذنوبهم يعني ذنب التولي عن حكم الله فعبر عنه بذلك تنبيها على ان لهم ذنوبا كثيرة وهذا
مع عظمته واحد منها معدودة من جملتها وفيه دلالة على التعظيم كما في التنكير
ونظيره قول لبيد او يرتبط بعض النفوس حمامها وان كثيرا من الناس لفاسقون
لمتمردون في الكفر معتدون فيه افحكم الجاهلية يبغون الذي هو الميل و
المداهنة في الحكم والمراد بالجاهلية الملة الجاهلية التي هي متابعة الهوى
وقيل نزلت في بني قريظة والنضير طلبوا رسول الله عم ان يحكم بما كان يحكم
به اهل الجاهلية من التفاضل بين القتلى وقرئ برفع الحكم وعلى انه مبتدأ و
يبغون خبره والراجع محذوف وحذفه في الصلة كما في قوله اهذا الذي بعث

الله رسولا واستضعف ذلك في غير الشعر وقرئ افحكم الجاهلية اي يبغون حكما
كحاكم الجاهلية يحكم بحسب شهوتهم وقرأ ابن عامر بالتاء على قل لهم افحكم الجاهلية
تبغون ومن احسن من الله حكما لقوم يوقنون اي عندهم واللام للبيان كما في قوله
هيت لك اي هذا الاستفهام لقوم يوقنون فانهم الذين يتدبرون الامور ويتحققون
الاشياء بانظارهم فيعلمون ان لا احسن حكما من الله يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا
اليهود والنصارى اولياء فلا تعتمدوا عليهم ولا تعاشروهم معاشرة الاحباب
بعضهم اولياء بعض ايماء الى علة النهي اي فانهم متفقون على خلافكم يوالي بعضهم
بعضا لاتحادهم في الدين واجتماعهم على مضادتكم ومن يتولهم منكم فانه منهم
اي ومن والاهم فانه من جملتهم وهذا التشديد في وجوب مجانبتهم كما قال عم
لا تتراءى ناراهما او لان الموالين لهم كانوا منافقين ان الله لا يهدي القوم
الظالمين اي الذين ظلموا انفسهم بموالاة الكفار او المؤمنين بموالاة اعدائهم فترى
الذين في قلوبهم مرض يعني ابن ابي واضرابه يسارعون فيهم اي في موالاتهم ومعاونتهم
يقولون نخشى ان تصيبنا دائرة يعتذرون بانهم يخافون ان يصيبهم دائرة من
دوائر الزمان بان ينقلب الامر وتكون الدولة للكفار روي ان عبادة بن صامت
قال لرسول الله عم ان لي موالي من اليهود كثيرا عددهم واني ابرأ الى الله ورسوله
من ولايتهم واوالي الله ورسوله فقال ابن ابي اني رجل اخاف الدوائر لا ابرأ
من ولاية موالي فنزلت فعسى الله ان يأتي بالفتح لرسول الله عم على اعدائه واظهار
المسلمين او امر من عنده يقطع شأفة اليهود من القتل والاجلاء او الامر باظهار
اسرار المنافقين وقتلهم فيصبحوا اي هؤلاء المنافقون على ما اسروا في انفسهم
نادمين على ما استبطنوه من الكفر والشك في امر الرسول فضلا عما اظهروه مما
اشعر على نفاقهم ويقول الذين آمنوا بالرفع قراءة عاصم وحمزة والكسائي على انه
كلام مبتدأ ويؤيده قراءة ابن كثير ونافع وابن عامر مرفوعا بغير واو على انه
جواب قائل يقول فماذا يقول المسلمون حينئذ وبالنصب ابو عمرو ويعقوب عطفا على
ان يأتي باعتبار المعنى وكانه قال عسى ان يأتي الله بالفتح ويقول الذين آمنوا او يجعله
بدلا من اسم الله داخلا في اسم عسى مغنيا عن الخبر بما تضمنه من الحدث او على الفتح
بمعنى عسى الله ان يأتي بالفتح وبقول المؤمنين فان الاتيان بما يوجبه كالاتيان به اهؤلاء
الذين اقسموا بالله جهد ايمانهم انهم لمعكم يقوله المؤمنون بعضهم لبعض تعجبا من حال
المنافقين وتبجحا بما من الله عليهم من الاخلاص او يقولونه لليهود فان المنافقين
حلفوا لهم بالمعاضدة كما حكى الله عنهم وان قوتلتم لننصرنكم وجهد الايمان

اغلظها وهو في الاصل مصدر على الحال على تقدير واقسموا بالله يجهدون جهد
ايمانهم فحذف الفعل واقيم المصدر مقامه ولذلك ساغ كونها معرفة او على المصدر
لانه بمعنى اقسموا حبطت اعمالهم فاصبحوا خاسرين اما من جملة المقول او من قول
الله شهادة لهم بحبوط اعمالهم وفيه معنى التعجب كانه قيل ما احبط اعمالهم وما اخسرهم
يا ايها الذين امنوا من يرتد منكم عن دينه قراه على الاصل نافع وابن عامر وهو كذلك
في الامام والباقون بالادغام وهذا من الكائنات التي اخبر الله عنها قبل وقوعها
وقد ارتد من العرب في اواخر عهد الرسول عم ثلث فرق بنو مدلج وكان رئيسهم
ذو الحمار الاسود العنسي تنبأ باليمن واستولى على بلاده ثم قتله فيروز الديلمي
ليلة قبض رسول الله عم من غدها واخبر الرسول في تلك الليلة فسر المسلمون
واتى الخبر في اواخر ربيع الاول وبنو حنيفة اصحاب مسيلمة تنبأ وكتب الى
رسول الله عم من مسيلمة رسول الله الى محمد رسول الله اما بعد فان الارض
نصفها لي ونصفها لك فاجاب من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب اما بعد فان
الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين فحاربه ابو بكر بجند من المسلمين
وقتله الوحشي قاتل حمزة وبنو اسد قوم طليحة بن خويلد تنبأ فبعث اليه رسول
الله عم خالدا فهرب بعد القتال الى الشام ثم اسلم وحسن اسلامه وفي عهد ابي
بكر سبع فزارة قوم عيينة بن حصين وغطفان قوم قرة بن سلمة وبنو سليم قوم
الفجاءة بن عبد ياليل وبنو يربوع قوم مالك بن نويرة وبعض تميم قوم
سجاح بنت المنذر المتنبئة زوجة مسيلمة وكندة قوم الاشعث بن قيس و
بنو بكر بن وائل بالبحرين قوم الحطم وكفى الله امرهم على يده وفي امرة عمر غسان
قوم جبلة بن الايهم تنصر وسار الى الشام فسوف ياتي الله بقوم يحبهم ويحبونه
قيل هم اهل اليمن لما روي انه عم اشار الى ابي موسى الاشعري وقال قوم هذا و
قيل الفرس لانه عم سئل عنهم فضرب يده على عاتق سلمان فقال هذا وذووه
وقيل الذين جاهدوا يوم القادسية الفان من النخع وخمسة الاف من كندة
وبجيلة وثلثة الاف من افناء الناس والراجع الى من محذوف تقديره فسوف
ياتي الله بقوم مكانهم ومحبة الله تعالى للعباد ارادة الهدى والتوفيق لهم
في الدنيا وحسن الثواب في الاخرة ومحبة العباد له ارادة طاعته والتحرز عن
معاصيه اذلة على المؤمنين عاطفين عليهم متذللين لهم جمع ذليل لا ذلول
فان جمعه ذلل واستعماله مع على اما لتضمين معنى العطف والحنو او التنبيه
على انهم مع علو طبقتهم وفضلهم على المؤمنين خافضون لهم او للمقابلة

اعزة على الكافرين شداد متغلبين عليهم من عزه اذا غلبه وقرئ بالنصب على الحال
يجاهدون في سبيل الله صفة اخرى لقوم او حال من الضمير في اعزة ولا يخافون
لومة لائم عطف على يجاهدون بمعنى انهم الجامعون بين المجاهدة في سبيل الله والتصلب
في دينه او حال بمعنى انهم يجاهدون وحالهم خلاف حال المنافقين فانهم يخرجون في جيش
المسلمين خائفين ملامة اوليائهم من اليهود فلا يعملون شيئا يلحقهم فيه لوم من جهتهم
واللومة المرة من اللوم وفيها وفي تنكير لائم مبالغتان ذلك اشارة الى ما تقدم من
الاوصاف فضل الله يؤتيه من يشاء يمنحه ويوفق له والله واسع كثير الفضل
عليم بمن هو اهله انما وليكم الله ورسوله والذين امنوا لما نهى عن موالاة الكفرة
ذكر عقيبه من هو حقيق بها وانما قال وليكم ولم يقل اولياؤكم للتنبيه على ان الولاية
لله على الاصالة ولرسوله وللمؤمنين على التبع الذين يقيمون الصلوة ويؤتون
الزكوة صفة للذين امنوا فانه جرى مجرى الاسم او بدل منه ويجوز نصبه ورفعه
على المدح وهم راكعون متخشعون في صلوتهم وزكوتهم وقيل هو حال مخصوصة
بيؤتون اي يؤتون الزكوة في حال ركوعهم في الصلوة حرصا على الاحسان ومسارعة
اليه وانها نزلت في علي عم حين سأله سائل وهو راكع في صلوته فطرح له خاتمه
واستدل بها الشيعة على امامته زاعمين ان المراد بالولي المتولي للامور والمستحق
للتصرف فيهم والظاهر ما ذكرناه مع ان حمل الجمع على الواحد ايضا خلاف الظاهر و
ان صح انه نزل فيه فلعله جيء بلفظ الجمع لترغيب الناس في مثل فعله فيندرجوا فيه
وعلى هذا يكون دليلا على ان الفعل القليل في الصلوة لا يبطلها وان صدقة التطوع
تسمى زكوة ومن يتول الله ورسوله والذين امنوا ومن يتخذهم اولياء فان حزب الله
هم الغالبون اي فانهم الغالبون ولكن وضع الظاهر موضع المضمر تنبيها على البرهان
عليه وكانه قيل ومن يتول هؤلاء فهم حزب الله وحزب الله هم الغالبون وتنويها بذكرهم
وتعظيما لشانهم وتشريفا لهم بهذا الاسم وتعريضا لمن يوالي غير هؤلاء بانه حزب
الشيطان واصل الحزب القوم يجتمعون لامر حزبهم يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا الذين
اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم والكفار اولياء نزلت في
رفاعة بن زيد وسويد بن الحرث اظهرا الاسلام ثم نافقا وكان رجال من المسلمين
يوادونهما وقد رتب النهي عن موالاتهم على اتخاذهم دينهم هزوا ولعبا ايماء على
العلة وتنبيها على ان من هذا شانه بعيد عن الموالاة جدير بالمعاداة وفصل المستهزئين
باهل الكتاب والكفار على قراءة من جره وهم ابو عمرو والكسائي ويعقوب والكفار
وان عم اهل الكتاب يطلق على المشركين خاصة لتضاعف كفرهم ومن نصبه عطفه

على الذين اتخذوا على ان النهي عن موالاة من ليس على الحق راسا سواء من كان ذا دين
تبع فيه الهوى وحرفه عن الصواب كاهل الكتاب ومن لم يكن كالمشركين واتقوا الله
بترك المناهي ان كنتم مؤمنين لان الايمان يقتضي ذلك وقيل ان كنتم مؤمنين بوعده
ووعيده واذا ناديتم الى الصلوة اتخذوها هزوا ولعبا اي اتخذوا الصلوة
او المناداة وفيه دليل على ان الاذان مشروع للصلوة روي ان نصرانيا بالمدينة
وكان اذا سمع اذان المؤذن يقول اشهد ان محمدا رسول الله قال احرق الله الكاذب
فدخل خادمه ذات ليلة بنار واهله نيام فتطاير شررها في البيت فاحرقه و
اهله ذلك بانهم قوم لا يعقلون فان السفه يؤدي الى الجهل بالحق والهزؤ به والعقل
يمنع منه قل يا اهل الكتاب هل تنقمون منا هل تنكرون منا وتعيبون يقال نقم منه
اذا انكره وانتقم اذا كافاه وقرئ تنقمون بفتح القاف وهو لغة الا ان آمنا بالله
وما انزل الينا وما انزل من قبل الا الايمان بالكتب المنزلة كلها وان اكثركم فاسقون
عطف على ان آمنا وكان المستثنى لازم الامرين وهو المخالفة اي ما تنكرون منا
الا مخالفتكم حيث دخلنا الايمان وانتم خارجون منه او كان الاصل واعتقاد ان
اكثركم فاسقون فحذف المضاف او على ما اي وما تنقمون منا الا الايمان بالله و
بما انزل وبان اكثركم او على علة محذوفة والتقدير هل تنقمون الا ان آمنا لقلة
انصافكم وفسقكم او نصب باضمار فعل دل عليه هل تنقمون ان اكثركم فاسقون
او رفع على الابتداء والخبر محذوف اي وفسقكم ثابت معلوم عندكم ولكن حب
الرياسة والمال يمنعكم عن الانصاف والاية خطاب ليهود سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
عمن يؤمن به فقال اؤمن بالله وما انزل الينا الى قوله ونحن له مسلمون فقالوا
حين سمعوا ذكر عيسى لا نعلم دينا شرا من دينكم قل هل انبئكم بشر من ذلك اي
من ذلك المنقوم مثوبة عند الله جزاء ثابتا عند الله والمثوبة مختصة بالخير كالعقوبة
بالشر فوضعت ههنا موضعها على طريقة قوله تحية بينهم ضرب وجيع ونصبها
على التمييز عن بشر من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير بدل
من بشر على حذف مضاف اي بشر من ذلك من لعنه الله او بشر من ذلك دين من لعنه
الله او خبر محذوف اي هو من لعنه الله وهم اليهود ابعدهم الله من رحمته و
سخط عليهم بكفرهم في المناهي بعد وضوح الايات ومسخ بعضهم قردة وهم
اصحاب السبت وبعضهم خنازير وهم كفار اهل مائدة عيسى وقيل كلا المسخين
في اصحاب السبت مسخت شبانهم قردة ومشايخهم خنازير وعبد الطاغوت عطف
على صلة من وكذا عبد الطاغوت على البناء للمفعول ورفع الطاغوت وعبد

بمعنى صار معبودا فيكون الراجع محذوفا اي فيهم او بينهم ومن قرأ وعابد الطاغوت
او عبد على انه نعت كفطن ويقظ او عبدا او عبد الطاغوت على انه جمع كخدم او ان
اصله عبدة فحذف التاء للاضافة عطفه على قردة ومن قرأ وعبد الطاغوت
بالجر عطفه على من والمراد من الطاغوت العجل وقيل الكهنة وكل من اطاعوه في
معصية الله اولئك اي الملعونون شر مكانا جعل مكانهم شرا ليكون ابلغ
في الدلالة على شرارتهم وقيل مكانا منصرفا واضل عن سواء السبيل قصد الطريق
المتوسط بين غلو النصارى وقدح اليهود والمراد بصيغتي التفضيل الزيادة مطلقا
لا بالاضافة الى المؤمنين في الشرارة والضلال واذا جاؤكم قالوا آمنا نزلت في
يهود نافقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم او في عامة المنافقين وقد دخلوا بالكفر وهم قد
خرجوا به اي يخرجون من عندك كما دخلوا لا يؤثر فيهم ما سمعوا منك والجملتان
حالان من فاعل قالوا وبالكفر وبه حالان من فاعلي دخلوا وخرجوا وقد وان دخلت
لتقريب الماضي من الحال ليصح ان يقع حالا افادت ايضا لما فيها من التوقع ان امارة
النفاق كانت لائحة عليهم وكان الرسول يظنه ولذلك قال والله اعلم بما كانوا
يكتمون اي من الكفر وفيه وعيد لهم وترى كثيرا منهم اي من اليهود او المنافقين
يسارعون في الاثم اي الحرام وقيل الكذب لقوله عن قولهم الاثم والعدوان الظلم او
مجاوزة الحد في المعاصي وقيل الاثم ما يختص بهم والعدوان ما يتعدى الى غيرهم
واكلهم السحت اي الحرام خصه بالذكر للمبالغة لبئس ما كانوا يعملون لبئس شيئا
عملوه لولا ينهاهم الربانيون والاحبار عن قولهم الاثم واكلهم السحت تحضيض
لعلمائهم عن النهي عن ذلك فان لولا اذا دخل الماضي افاد التوبيخ واذا دخل
المستقبل افاد التحضيض لبئس ما كانوا يصنعون ابلغ من قوله لبئس ما كانوا يعملون
من حيث ان الصنع عمل الانسان بعد تدرب فيه وترو وتحري اجادة ولذلك ذم به
خواصهم ولان ترك الحسبة اقبح من مواقعة المعصية لان النفس تلتذ بها وتميل
اليها ولا كذلك ترك الانكار عليها فكان جديرا بابلغ الذم وقالت اليهود يد الله
مغلولة اي هو ممسك يقتر بالرزق وغل اليد وبسطها مجاز عن البخل والجود
ولا قصد فيه الى اثبات يد وغل او بسط ولذلك يستعمل حيث لا يتصور ذلك كقوله
جاد الحمى بسط اليدين بوابل شكرت نداه تلاعه ووهاده ونظيره من المجازات
المركبة شابت لمة الليل وقيل معناه انه فقير لقوله لقد سمع الله قول الذين
قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء غلت ايديهم ولعنوا بما قالوا دعاء عليهم بالبخل
والمسكنة او بالفقر والنكد او بغل الايدي حقيقة يغلون اسارى في الدنيا

ومحبين إلى النار في الآخرة فتكون المطابقة من حيث اللفظ وملاحظة الأصل كقولكم
سبني سب الله دابره بل يداه مبسوطتان ثنى اليد مبالغة في الرد ونفي البخل عنه
واثباتا لغاية الجود فإن غاية ما يبذله السخي من ماله أن يعطيه بيديه وتنبيها
على منح الدنيا والآخرة وعلى ما يعطي للاستدراج وما يعطي للإكرام ينفق كيف يشاء
تأكيد لذلك أي هو مختار في إنفاقه يوسع تارة ويضيق أخرى على حسب مشيئته و
مقتضى حكمته لا على تعاقب سعة وضيق في ذات يد ولا يجوز جعله حالا من الهاء
للفصل بينهما بالخبر ولأنها مضاف إليها ولا من اليدين إذ لا ضمير لهما فيه ولا
من ضميرهما لذلك والآية نزلت في فنحاص بن عازوراء قال ذلك لما كف الله عن اليهود
ما بسط عليهم من السعة بشؤم تكذيبهم محمدا ص واشترك فيه الآخرون لأنهم
رضوا بقوله وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل إليك من ربك طغيانا وكفرا أي هم
طاغون كافرون ويزدادون طغيانا وكفرا بما يسمعون من القرآن كما يزداد المريض
مرضا من تناول الغذاء الصالح للأصحاء وألقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى
يوم القيامة فلا يتوافق قلوبهم ولا تتطابق أقوالهم كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها
الله كلما أرادوا حرب الرسول وإثارة شر عليه ردهم الله بأن أوقع بينهم منازعة
كف بها عنه شرهم أو كلما أرادوا حرب أحد غلبوا فإنهم لما خالفوا حكم التوراة
سلط الله عليهم بخت نصر ثم أفسدوا فسلط عليهم بطرس الرومي ثم أفسدوا
فسلط عليهم المجوس ثم أفسدوا فسلط عليهم المسلمين وللحرب صلة أوقدوا
أو صفة نارا ويسعون في الأرض فسادا أي للفساد وهو اجتهادهم في الكيد
وإثارة الحروب وهتك المحارم والله لا يحب المفسدين فلا يجازيهم إلا شرا ولو
أن أهل الكتاب آمنوا بمحمد ص وما جاء به واتقوا ما عددناه من معاصيهم
ونحوه لكفرنا عنهم سيئاتهم التي فعلوها ولم نؤاخذهم بها ولأدخلناهم جنات
النعيم ولجعلناهم خالدين فيها وفيه تنبيه على عظم معاصيهم وكثرة ذنوبهم
وأن الإسلام يجب ما قبله وإن جل وأن الكتابي لا يدخل الجنة ما لم يسلم ولو
أنهم أقاموا التوراة والإنجيل بإذاعة ما فيهما والقيام بأحكامهما وما
أنزل إليهم من ربهم يعني سائر الكتب المنزلة فإنها من حيث إنهم مكلفون بالإيمان
بها كالمنزل إليهم أو القرآن لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم لوسع عليهم
أرزاقهم بأن يفيض عليهم بركات السماء والأرض أو يكثر ثمرات الأشجار وغلة
الزرع أو يرزقهم الجنان اليانعة الثمار فيجتنونها من رأس الشجر ويلتقطون
ما تساقط على الأرض بين بذلك أن ما كف عنهم بشؤم كفرهم ومعاصيهم لا لقصور الفيض

ولو أنهم آمنوا وأقاموا ما أمروا به لوسع عليهم وجعل لهم خير الدارين منهم أمة
مقتصدة عادلة غير غالية ولا مقصرة وهم الذين آمنوا بمحمد ص وقيل مقتصدة
متوسطة في عداوته وكثير منهم ساء ما يعملون أي بئس ما يعملون وفيه معنى التعجب
أي ما أسوأ عملهم وهو المعاندة وتحريف الحق والإعراض عنه والإفراط في
العداوة يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك جميع ما أنزل غير مراقب أحدا و
لا خائف مكروها وإن لم تفعل فإن لم تبلغ جميعه كما أمرتك فما بلغت رسالته فما أديت
شيئا منها لأن كتمان بعضها يضيع ما أدي منها كترك بعض أركان الصلاة فإن غرض
الدعوة ينتقض به أو فكأنك ما بلغت شيئا منها كقوله فكأنما قتل الناس جميعا
من حيث إن كتمان البعض والكل سواء في الشناعة واستجلاب العقاب والله يعصمك
من الناس عدة وضمان من الله بعصمة روحه من تعرض الأعادي وإزاحة لمعاذيره
إن الله لا يهدي القوم الكافرين لا يمكنهم مما يريدون بك وعن النبي ص بعثني الله
برسالته فضقت بها ذرعا فأوحى الله إلي إن لم تبلغ رسالاتي عذبتك وضمن لي العصمة
فقويت وعن أنس رض كان رسول الله ص يحرس حتى نزلت فأخرج رأسه من قبة
أدم فقال انصرفوا أيها الناس فقد عصمني الله من الناس وظاهر الآية يوجب تبليغ
كل ما أنزل ولعل المراد تبليغ ما يتعلق به مصالح العباد وقصد بإنزاله اطلاعهم
عليه فإن من الأسرار الإلهية ما يحرم إفشاؤه قل يا أهل الكتاب لستم على شيء
أي دين يعتد به ويصح أن يسمى شيئا لأنه باطل حتى تقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل
إليكم من ربكم ومن إقامتها الإيمان بمحمد والإذعان لحكمه فإن الكتب الإلهية بأسرها
آمرة بالإيمان بمن صدقه المعجزة الناطقة بوجوب الطاعة له والمراد إقامة أصولها
وما لم ينسخ من فروعها وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل إليك من ربك طغيانا وكفرا
فلا تأس على القوم الكافرين فلا تحزن عليهم لزيادة طغيانهم وكفرهم بما تبلغه
إليهم فإن ضرر ذلك لاحق بهم لا يتخطاهم وفي المؤمنين مندوحة لك عنهم إن الذين
آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى سبق تفسيره في سورة البقرة والصابئون
رفع على الابتداء وخبره محذوف والنية به التأخير عما في حيز إن والتقدير إن
الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى حكمهم كذا والصابئون كذلك كقوله
فإني وقيار بها لغريب وقوله وإلا فاعلموا أنا وأنتم بغاة ما بقينا في شقاق وهو
كاعتراض دل به على أنه لما كان الصابئون مع ظهور ضلالهم وميلهم عن الأديان
كلها يتاب عليهم إن صح منهم الإيمان والعمل الصالح كان غيرهم أولى بذلك ويجوز
أن يكون والنصارى معطوفا عليه ومن آمن خبرهما وخبر إن مقدر دل عليه ما بعده

لقوله نحن بما عندنا وانت بما عندك راض والراي مختلف ولا يجوز عطفه على محل
ان واسمها فانه مشروط بالفراغ من الخبر اذ لو عطف عليه قبله كان الخبر خبر المبتدا
وخبر ان معا فيجتمع عليه عاملان ولا على الضمير في هادوا لعدم التاكيد والفصل
ولانه يوجب كون الصابئين هودا وقيل ان بمعنى نعم وما بعدها في موضع الرفع
بالابتداء وقيل الصابئون منصوب بالفتحة وذلك كما جوز بالياء جوز بالواو
من آمن منهم بالله واليوم الآخر وعمل صالحا في محل الرفع بالابتداء وخبره فلا خوف
عليهم ولا هم يحزنون والجملة خبر ان او خبر المبتدا كما مر والراجع محذوف اي
من آمن منهم او النصب على البدل من اسم ان وما عطف عليه وقرئ والصابين وهو
الظاهر والصابيون بقلب الهمزة ياء والصابون بحذفها من الصبا بابدال الهمزة
الفا او من صبوت لانهم صبوا الى اتباع الشهوات ولم يتبعوا شرعا ولا عقلا
لقد اخذنا ميثاق بني اسرائيل وارسلنا اليهم رسلا ليذكروهم وليبينوا لهم
امر دينهم كلما جاءهم رسول بما لا تهوى انفسهم بما يخالف هواهم من الشرائع و
مشاق التكاليف فريقا كذبوا وفريقا يقتلون جواب الشرط والجملة صفة رسلا
والراجع محذوف اي رسول منهم وقيل الجواب محذوف دل عليه ذلك وهو استيناف
وانما جي بيقتلون موضع قتلوا على حكاية الحال الماضية استحضارا لها و
استفظاعا للقتل وتنبيها على ان ذلك ديدنهم ماضيا ومستقبلا ومحافظة
على رؤس الاي وحسبوا الا تكون فتنة اي وحسب بنو اسرائيل ان لا يصيبهم
بلاء وعذاب بقتل الانبياء وتكذيبهم وقرا ابو عمرو وحمزة والكسائي ويعقوب
ان لا تكون بالرفع على ان ان هي المخففة من الثقيلة واصله انه لا تكون وادخال
فعل الحسبان عليها لانها للتحقيق تنزيلا له منزلة العلم لتمكنه في قلوبهم وان
او ان بما في حيزها ساد مسد مفعوليه فعموا عن الدين او الدلائل والهدي وصموا
عن استماع الحق كما فعلوا حين عبدوا العجل ثم تاب الله عليهم اي ثم تابوا فتاب الله
عليهم ثم عموا وصموا كرة اخرى وقرئ بالضم فيهما على ان الله عماهم وصمهم اي
رماهم بالعمى والصمم وهو قليل واللغة الفاشية اعمى واصم كثير منهم بدل
من الضمير او فاعل والواو علامة الجمع كقوله اكلوني البراغيث او خبر مبتدا
محذوف اي العمي والصم كثير منهم وقيل مبتدا والجملة قبله خبره وهو ضعيف
لان تقديم الخبر في مثله ممتنع والله بصير بما يعملون فيجازيهم وفق اعمالهم لقد
كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يا بني اسرائيل اعبدوا الله
ربي وربكم اي اني عبد مربوب مثلكم فاعبدوا خالقي وخالقكم انه من يشرك بالله في

عبادته او فيما يختص به من الصفات والافعال فقد حرم الله عليه الجنة يمنع من
دخولها كما يمنع المحرم عليه من المحرم فانها دار الموحدين ومأواه النار فانها
المعدة للمشركين وما للظالمين من انصار اي وما لهم احد ينصرهم من النار فوضع
الظاهر موضع المضمر تسجيلا على انهم ظلموا بالاشراك وعدلوا عن طريق الحق وهو
يحتمل ان يكون تمام كلام عيسى وان يكون من كلام الله تنبيها على انهم قالوا ذلك
تعظيما لعيسى وتقربا اليه وهو معاديهم بذلك ومخاصمهم فيه فما ظنك بغيره
لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة اي احد ثلاثة وهو حكاية عما قاله النسطورية
والملكانية منهم القائلون بالاقانيم الثلاثة وما سبق في قول اليعقوبية القائلين
بالاتحاد وما من اله الا اله واحد وما في الوجود ذات واجب مستحق للعبادة من
حيث انه مبدا جميع الموجودات الا اله موصوف بالوحدانية متعال عن قبول
الشركة ومن مزيدة للاستغراق وان لم ينتهوا عما يقولون ولم يوحدوا ليمسن
الذين كفروا منهم عذاب اليم اي ليمسن الذين بقوا منهم على الكفر او ليمسن الذين
كفروا من النصارى وضعه موضع ليمسنهم تكريرا للشهادة على كفرهم وتنبيها
على ان العذاب على من دام على الكفر ولم ينقلع عنه ولذلك عقبه بقوله افلا يتوبون
الى الله ويستغفرونه اي الا يتوبون بالانتهاء عن تلك العقايد والاقوال الزايغة
ويستغفرونه بالتوحيد والتنزيه عن الاتحاد والحلول بعد هذا التقرير والتهديد
والله غفور رحيم يغفر لهم ويمنحهم من فضله ان تابوا وفي هذا الاستفهام تعجيب
من اصرارهم ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل اي ما هو الا
رسول كالرسل قبله خصه الله بايات كما خصهم بها فان احيا الموتى على يده
فقد احيا العصا وجعلها حية تسعى على يد موسى وهو اعجب وان خلقه من
غير اب فقد خلق ادم من غير اب وام وهو اغرب وامه صديقة كساير النساء
اللاتي يلازمن الصدق او يصدقن الانبياء كانا ياكلان الطعام ويفتقران
اليه افتقار الحيوانات بين اولا اقصى ما لهما من الكمال ودل على انه لا يوجب
لهما الوهية لان كثيرا من الناس يشاركهما في مثله ثم نبه على نقصهما وذكر
ما ينافي الربوبية ويقتضي ان يكونا من اعداد المركبات الكاينة الفاسدة
ثم عجب ممن يدعي الربوبية لهما مع امثال هذه الادلة الظاهرة فقال انظر
كيف نبين لهم الايات ثم انظر انى يؤفكون كيف يصرفون عن استماع الحق وتامله ثم
لتفاوت ما بين العجبين اي ان بياننا للايات عجب واعراضهم عنها اعجب قل اتعبدون
من دون الله ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا يعني عيسى وهو وان ملك ذلك بتمليك

الله اياه ولا يملكه من ذاته ولا يملك مثل ما يضر الله به من البلايا والمصايب و
ما ينفع به من الصحة والسعة وانما قال ما نظرا الى ما هو عليه في ذاته توطئة
لنفي القدرة عنه رأسا وتنبيها على انه من هذا الجنس ومن كان له حقيقة تقبل
المجانسة والمشاركة فبمعزل عن الالوهية وانما قدم الضر لان التحرز عنه
اهم من تحري النفع والله هو السميع العليم بالاقوال والعقايد فيجازي عليها ان
خيرا فخيرا وان شرا فشرا قل يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق اي غلوا باطلا
فترفعوا عيسى الى ان تدعوا له الالهية او تضعوه فتزعموا انه لغير رشدة وقيل
الخطاب للنصارى خاصة ولا تتبعوا اهواء قوم قد ضلوا من قبل يعني اسلافهم وايمتهم الذين
قد ضلوا قبل مبعث محمد عم في شريعتهم واضلوا كثيرا من شايعهم على بدعهم وضلالهم
وضلوا عن سواء السبيل عن قصد السبيل الذي هو الاسلام بعد مبعثه لما
كذبوه وبغوا عليه وقيل الاول اشارة الى ضلالهم عن مقتضى العقل والثاني
اشارة الى ضلالهم عما جاء به الشرع لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان
داود وعيسى ابن مريم اي لعنهم الله في الزبور والانجيل على لسانهما وقيل اهل
ايلة لما اعتدوا في السبت لعنهم داود فمسخهم الله قردة واصحاب المائدة لما
كفروا دعا عليهم عيسى ولعنهم فاصبحوا خنازير وكانوا خمسة الاف رجل ذلك
بما عصوا وكانوا يعتدون اي ذلك اللعن الشنيع المقتضي للمسخ بسبب عصيانهم
واعتدائهم ما حرم عليهم كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه اي لا ينهى بعضهم بعضا
عن منكر فعلوه او عن منكر ارادوا فعله وتهيؤوا له او لا ينتهون عنه من قولهم
تناهى عن الامر وانتهى عنه اذا امتنع لبئس ما كانوا يفعلون تعجيب من سوء فعلهم
مؤكدا بالقسم ترى كثيرا منهم من اهل الكتاب يتولون الذين كفروا يوالون
المشركين بغضا لرسول الله والمؤمنين لبئس ما قدمت لهم انفسهم اي لبئس
شيئا قدموا ليردوا عليه يوم القيمة ان سخط الله عليهم وفي العذاب هم
خالدون هو المخصوص بالذم والمعنى موجب سخط الله والخلود في العذاب او علة الذم و
المخصوص محذوف اي لبئس شيئا ذلك لانه كسبهم السخط والخلود ولو كانوا يؤمنون
بالله والنبي يعني نبيهم وان كانت الاية في المنافقين فالمراد نبينا وما انزل اليه
ما اتخذوهم اولياء اذ الايمان يمنع ذلك ولكن كثيرا منهم فاسقون خارجون عن
دينهم او متمردون في نفاقهم لتجدن اشد الناس عداوة للذين امنوا اليهود
والذين اشركوا لشدة شكيمتهم وتضاعف كفرهم وانهماكهم في الشهوات واتباع
الهوى وقربهم الى التقليد وبعدهم عن التحقيق وتمرنهم على تكذيب الانبياء و

ومعاداتهم ولتجدن اقربهم مودة للذين امنوا الذين قالوا انا نصارى للين
جانبهم وقلة حرصهم على الدنيا وكثرة اهتمامهم بالعلم والعمل واليه اشار بقوله
ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون عن قبول الحق اذا فهموه او
يتواضعون ولا يتكبرون كاليهود وفيه دليل على ان التواضع والاقبال على
العلم والعمل والاعراض عن الشهوات محمود وان كانت في كافر واذا سمعوا ما انزل
الى الرسول ترى اعينهم تفيض من الدمع عطف على لا يستكبرون وهو بيان لرقة قلوبهم
وشدة خشيتهم ومسارعتهم الى قبول الحق وعدم تأبيهم عنه والفيض انصباب
عن امتلاء فوضع موضع الامتلاء للمبالغة او جعلت اعينهم من فرط البكاء كانما
تفيض بانفسها مما عرفوا من الحق من الاولى للابتداء والثانية لتبيين ما عرفوا
او للتبعيض فانه بعض الحق والمعنى انهم عرفوا بعض الحق فابكاهم فكيف اذا عرفوا كله
يقولون ربنا امنا بذلك او بمحمد فاكتبنا مع الشاهدين من شهدوا بانه حق او بنبوته
او من امته الذين هم شهداء على الامم يوم القيمة وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا
من الحق ونطمع ان يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين استفهام انكار واستبعاد لانتفاء
الايمان مع قيام الداعي وهو الطمع في الانخراط مع الصالحين والدخول في مداخلهم
او جواب سايل قال لم امنتم ولا نؤمن حال من الضمير والعامل ما في اللام من معنى
الفعل واي شيء حصل لنا غير مؤمنين بالله اي بوحدانيته فانهم كانوا مثلثين
او بكتابه ورسوله فان الايمان بهما ايمان به حقيقة وذكره توطية وتعظيما و
نطمع عطف على نؤمن او خبر محذوف والواو للحال اي ونحن نطمع والعامل فيها
عامل الاولى مقيدا بها او نؤمن فاثابهم الله بما قالوا اي عن اعتقاد من قولك هذا
قول فلان اي معتقده جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك جزاء
المحسنين الذين احسنوا النظر والعمل او الذين اعتادوا الاحسان في الامور و
الاربع روي انها نزلت في النجاشي واصحابه بعث اليه رسول الله عم بكتابه فقراه
ثم دعا جعفر بن ابي طالب والمهاجرين معه واحضر الرهبان والقسيسين فامر
جعفر ان يقرا عليهم القران فقرا سورة مريم فبكوا وامنوا بالقران وقيل في ثلثين
او سبعين رجلا من قومه وفدوا على رسول الله عم فقرا عليهم سورة مريم فبكوا
وامنوا والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب الجحيم عطف التكذيب باياتنا
على الكفر وهو ضرب منه لان القصد الى بيان حال المكذبين وذكرهم في معرض المصدقين
بها جمعا بين الترغيب والترهيب يا ايها الذين امنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم
اي ما طاب ولذ منه كانه لما تضمن ما قبله مدح النصارى على ترهبهم والحث على

كسر النفس ورفض الشهوات عقبه النهي عن الافراط في ذلك والاعتداء عما حد
الله بجعل الحلال حراما فقال ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين ويجوز ان يراد
ولا تعتدوا حدود ما احل لكم الى ما حرم عليكم فتكون الاية ناهية عن تحريم ما
احل وتحليل ما حرم داعية الى القصد بينهما روي انه رسول الله عم وصف القيمة
لاصحابه يوما وبالغ في انذارهم فرقوا واجتمعوا في بيت عثمان بن مظعون و
اتفقوا ان لا يزالوا صائمين قائمين وان لا يناموا على الفرش ولا ياكلوا اللحم والودك
ولا يقربوا النساء والطيب ويرفضوا الدنيا ويلبسوا المسوح ويسيحوا في الارض
ويجبوا مذاكيرهم فبلغ ذلك رسول الله عم فقال لهم اني لم اومر بذلك ان لانفسكم
عليكم حقا فصوموا وافطروا وقوموا وناموا فاني اقوم وانام واصوم وافطر
واكل اللحم والدسم واتي النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني فنزلت وكلوا مما
رزقكم الله حلالا طيبا اي كلوا ما احل لكم وطاب مما رزقكم الله فيكون حلالا مفعول
كلوا ومما حال منه تقدمت عليه لانه نكرة ويجوز ان يكون من ابتدائية متعلقة
بكلوا ويجوز ان يكون مفعولا وحلالا حالا من الموصول او العائد المحذوف او صفة
لمصدر محذوف وعلى الوجوه لو لم يقع الرزق على الحرام لم يكن لذكر الحلال فائدة
زائدة واتقوا الله الذي انتم به مؤمنون لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم هو
ما يبدو من المرء بلا قصد كقول الرجل لا والله بلى والله واليه ذهب الامام الشافعي
وقيل الحلف على ما يظن انه كذلك ولم يكن واليه ذهب ابو حنيفة وفي ايمانكم
صلة يؤاخذكم او اللغو لانه مصدر او حال ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان
بما وثقتم الايمان عليه بالقصد والنية والمعنى ولكن يؤاخذكم بما عقدتم اذا
حنثتم او بنكث ما عقدتم فحذف للعلم به وقرا حمزة والكسائي وابن عياش
عن عاصم عقدتم بالتخفيف وابن عامر برواية ابن ذكوان عاقدتم وهو من فاعل بمعنى
فعل فكفارته فكفارة نكثه اي الفعلة التي تذهب اثمه وتستره واستدل بظاهره
على جواز التكفير بالمال قبل الحنث وهو عندنا خلافا للحنفية لقوله عم من
حلف على يمين ورأى غيرها خيرا منها فليكفر عن يمينه وليأت الذي هو خير
اطعام عشرة مساكين من اوسط ما تطعمون اهليكم من اقصده في النوع او
القدر وهو مد لكل مسكين عندنا ونصف صاع عند الحنفية ومحله النصب لانه
صفة مفعول محذوف تقديره ان تطعموا عشرة مساكين طعاما من اوسط ما
تطعمون او الرفع على البدل من اطعام واهلون كارضون وقرئ اهاليكم بسكون
الياء على لغة من يسكنها في الاحوال الثلث كالالفي وهو جمع اهل كالليالي في

جمع ليلة والاراضي في جمع ارض وقيل هو جمع اهلاة او كسوتهم عطف على اطعام
او من اوسط ان جعل بدلا وهو ثوب يغطي العورة وقيل ثوب جامع قميص او رداء
او ازار وقرئ بضم الكاف وهو لغة كقدوة في قدوة واو كاسوتهم بمعنى او كمثل
ما تطعمون اهليكم اسرافا او تقتيرا تواسون بينهم وبينهم ان لم تطعموهم الاوسط
والكاف في محل الرفع تقديره او اطعامهم كاسوتهم او تحرير رقبة او اعتاق انسان
وشرط الشافعي رح فيه الايمان قياسا على كفارة القتل ومعنى او ايجاب احدى الخصال
الثلث مطلقا وتخيير المكلف في التعيين فمن لم يجد اي واحدا منها فصيام ثلثة
ايام فكفارته صيام ثلثة ايام وشرط ابو حنيفة فيه التتابع لانه قرئ ثلثة
ايام متتابعات والشواذ ليست بحجة عندنا اذ لم يثبت كتابا ولم ترو سنة ذلك
اي المذكور كفارة ايمانكم اذا حلفتم وحنثتم واحفظوا ايمانكم بان تضنوا
بها ولا تبذلوها لكل امر او بان تبروا فيها ما استطعتم ولم يفت بها خير او بان
تكفروها اذا حنثتم كذلك مثل ذلك البيان يبين الله لكم آياته اعلام شرائعه
لعلكم تشكرون نعمة التعليم او نعمة الواجب شكرها فان مثل هذا التبيين يسهل
لكم المخرج منه يا ايها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب اي الاصنام التي
نصبت للعبادة والازلام سبق تفسيرها في اوائل السورة رجس قذر تعاف عنه
العقول وافراده لانه خبر الخمر وخبر المعطوفات محذوف او لمضاف محذوف كانه
قال انما تعاطي الخمر والميسر من عمل الشيطان لانه مسبب من تسويله وتزيينه
فاجتنبوه الضمير للرجس او لما ذكر او للتعاطي لعلكم تفلحون اي لكي تفلحوا بالاجتناب
عنه واعلم انه تعالى اكد تحريم الخمر والميسر في هذه الاية بان صدر الجملة بانما
وقرنهما بالاصنام والازلام وسماهما رجسا من عمل الشيطان تنبيها على ان
الاشتغال بهما شر بحت او غالب وامر بالاجتناب عن عينهما وجعله سببا يرجى منه
الفلاح ثم قرر ذلك بان بين ما فيهما من المفاسد الدنيوية والدينية المقتضية
للتحريم فقال انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر
ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلوة وانما خصهما باعادة الذكر وشرح ما فيهما
من الوبال تنبيها على انهما المقصود بالبيان وذكر الانصاب والازلام للدلالة
على انهما مثلهما في الحرمة والشرارة لقوله عم شارب الخمر كعابد الوثن وخص
الصلوة من الذكر بالافراد للتعظيم والاشعار بان الصاد عنها كالصاد عن الايمان
من حيث انها عماده والفارق بينه وبين الكفر ثم اعاد الحث على الانتهاء بصيغة
الاستفهام مرتبا على ما تقدم من انواع الصوارف فقال فهل انتم منتهون ايذانا

بان الامر في المنع والتحذير بلغ الغاية وان الاعذار قد انقطعت واطيعوا الله واطيعوا الرسول
فيما امر به واحذروا عما نهيا عنه ومخالفتهما فان توليتم فاعلموا انما على رسولنا
البلاغ المبين اي فاعلموا انكم لم تضروا الرسول بتوليكم فانما عليه البلاغ وقد ادى
وانما ضررتم به انفسكم ليس على الذين امنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا
مما لم يحرم عليهم لقوله اذا ما اتقوا وامنوا وعملوا الصالحات اي اتقوا المحرم
وثبتوا على الايمان والاعمال الصالحة ثم اتقوا ما حرم عليهم بعد كالخمر وامنوا
بتحريمه ثم اتقوا ثم استمروا على اتقاء المعاصي واحسنوا وتحروا الاعمال الجميلة
واشتغلوا بها روي انه لما نزل تحريم الخمر قالت الصحابة يا رسول الله فكيف باخواننا
الذين ماتوا وهم يشربون الخمر وياكلون الميسر فنزلت ويحتمل ان يكون هذا التكرير
باعتبار الاوقات الثلثة او باعتبار الحالات الثلث استعمال الانسان التقوى
والايمان بينه وبين نفسه وبينه وبين الناس وبينه وبين الله ولذلك بدل
الايمان بالاحسان في الكرة الثالثة اشارة الى ما قال عم في تفسيره او باعتبار
المراتب الثلث المبدا والوسط والمنتهى او باعتبار ما يتقى فانه ينبغي ان يترك
المحرمات توقيا من العقاب والشبهات تحرزا عن الوقوع في الحرام وبعض المباحات
تحفظا للنفس عن الخسة وتهذيبا لها عن دنس الطبيعة والله يحب المحسنين
فلا يواخذهم بشيء وفيه ان من فعل ذلك صار محسنا ومن صار محسنا صار
لله محبوبا يا ايها الذين امنوا ليبلونكم الله بشيء من الصيد تناله ايديكم ورماحكم
نزلت عام الحديبية ابتلاهم الله بالصيد وكانت الوحوش تغشيهم في
رحالهم بحيث يتمكنون من صيدها اخذا بايديهم وطعنا برماحهم وهم محرمون
والتقليل والتحقير في بشيء للتنبيه على انه ليس من العظايم التي تدحض الاقدام
كالابتلاء ببذل الانفس والاموال فمن لم يثبت عنده كيف يثبت عند ما هو اشد
منه ليعلم الله من يخافه بالغيب ليتميز الخائف من عقابه وهو غايب منتظر
لقوة ايمانه ممن لا يخافه لضعف قلبه وقلة ايمانه فذكر العلم واراد وقوع
المعلوم وظهوره او تعلق العلم فمن اعتدى بعد ذلك فبعد ذلك الابتلاء بالصيد
فله عذاب اليم فالوعيد لاحق به فان من لا يملك جاشه في مثل ذلك ولا يراعي
حكم الله فيه فكيف به فيما يكون النفس اميل اليه واحرص عليه يا ايها الذين
امنوا لا تقتلوا الصيد وانتم حرم اي محرمون كرداح وردح ولعل ذكر القتل
دون الذبح والذكوة للتعميم واراد بالصيد ما يوكل لحمه لانه الغالب فيه
عرفا ويؤيده قوله عم خمس يقتلن في الحل والحرم الحداة والغراب والعقرب

والفارة والكلب العقور وفي رواية اخرى الحية بدل العقرب مع ما فيه من التنبيه
على جواز قتل كل موذ واختلف في ان هذا النهي هل يلغي حكم الذبح فيلحق مذبوح
المحرم بالميتة ومذبوح الوثني او لا فيكون كالشاة المغصوبة اذا ذبحها الغاصب
ومن قتله منكم متعمدا ذاكرا لاحرامه عالما بانه حرام عليه قتل ما يقتله والاكثر
على ان ذكره ليس لتقييد وجوب الجزاء فان اتلاف العامد والمخطي واحد في ايجاب
الضمان بل لقوله ومن عاد فينتقم الله منه ولان الاية نزلت فيمن تعمد روي
انه عن لهم في عمرة الحديبية حمار وحش فطعنه ابو اليسر برمحه فقتله فنزلت
فجزاء مثل ما قتل من النعم برفع الجزاء والمثل قراءة الكوفيين ويعقوب بمعنى فعليه
او فواجبه جزاء يماثل ما قتل من النعم وعليه لا يتعلق الجار بجزاء للفصل بينهما
فان متعلق المصدر كالصلة له فلا يوصف ما لم يتم بها وانما يكون صفته وقرا
الباقون على اضافة المصدر الى المفعول واقحام مثل كما في قولهم مثلي لا يقول
كذا والمعنى فعليه ان يجزي مثل ما قتل وقرئ فجزاء مثل ما قتل بنصبهما على
فليجز جزاء او فعليه ان يجزي جزاء يماثل ما قتل وفجزاؤه مثل ما قتل وهذه
المماثلة باعتبار الخلقة والهيئة عند مالك والشافعي رح والقيمة عند ابي
حنيفة رح وقال يقوم الصيد حيث صيد فان بلغت قيمته ثمن هدي تخير بين ان يهدي
ما قيمته قيمته وبين ان يشتري بها طعاما فيعطي كل مسكين نصف صاع من
بر او صاعا من غيره وبين ان يصوم عن طعام كل مسكين يوما وان لم تبلغ تخير
بين الاطعام والصوم واللفظ للاول لانه قال يحكم به ذوا عدل منكم صفة جزاء
ويحتمل ان يكون حالا من ضميره في خبره او منه اذا اضفته او وصفته
بخبر مقدر وكما ان التقويم يحتاج الى نظر واجتهاد يحتاج المماثلة في الخلقة
والهيئة اليهما فان الانواع تتشابه كثيرا وقرئ ذو عدل على ارادة الجنس
او الامام هديا حال من الهاء في به او من جزاء وان نون لتخصصه بالصفة
او بدل عن مثل باعتبار محله او لفظه فيمن نصبه بالغ الكعبة وصفه هديا
لان اضافته لفظية ومعنى بلوغه الكعبة ذبحه بالحرم والتصدق به ثم وقال
ابو حنيفة يذبح بالحرم ويتصدق به حيث شاء او كفارة عطف على جزاء ان
رفعته وان نصبته فخبر محذوف طعام مساكين عطف بيان او بدل منه او
خبر محذوف اي هي طعام وقرا نافع وابن عامر كفارة طعام بالاضافة للتبيين
كقولك خاتم فضة والمعنى عند الشافعي رح او يكفر باطعام مساكين ما يساوي
قيمة من غالب قوت البلد فيعطي كل مسكين مدا او عدل ذلك صياما او ما ساواه

من الصوم فيصوم عن طعام كل مسكين يوما وهو في الاصل مصدر اطلق للمفعول
وقرئ بكسر العين وهو ما عدل بالشيء في المقدار كعدلي الحمل وذلك اشارة
الى الطعام وصياما تمييز للعدل ليذوق وبال امره متعلق بالمحذوف اي فعليه
الجزاء او الطعام او الصوم ليذوق ثقل فعله وسوء عاقبته بهتكه لحرمة
الاحرام او الثقل الشديد على مخالفة امر الله واصل الوبال الثقل ومنه الطعام
الوبيل عفا الله عما سلف من قتل الصيد محرما في الجاهلية او قبل التحريم او
في هذه المرة ومن عاد الى مثل هذا فينتقم الله منه فهو ممن ينتقم الله منه و
ليس فيه ما يمنع الكفارة عن العائد كما حكي عن ابن عباس وشريح والله عزيز ذو انتقام
ممن اصر على عصيانه احل لكم صيد البحر ما صيد منه مما لا يعيش الا في الماء وهو حلال
كله لقوله عم في البحر هو الطهور ماؤه والحل ميتته وقال ابو حنيفة لا يحل
منه الا السمك وقيل يحل السمك وما يؤكل نظيره في البر وطعامه ما قذفه او
نضب عنه وقيل الضمير للصيد وطعامه اكله متاعا لكم تمتيعا لكم نصب على الغرض و
للسيارة اي ولسيارتكم يتزودونه قديدا وحرم عليكم صيد البر اي ما صيد فيه او
الصيد فيها فعلى الاول يحرم على المحرم ايضا ما صاده الحلال وان لم يكن له فيه
مدخل والجمهور على حله لقوله عم لحم الصيد حلال لكم ما لم تصطادوه او
لم يصد لكم ما دمتم حرما اي محرمين وقرئ بكسر الدال من دام يدام واتقوا
الله الذي اليه تحشرون جعل الله الكعبة صيرها وانما سمي البيت كعبة لتكعبه
البيت الحرام عطف بيان على جهة المدح او المفعول الثاني قياما للناس انتعاشا
لهم اي سبب انتعاشهم في امر معاشهم ومعادهم يلوذ به الخائف ويأمن فيه الضعيف
ويربح فيه التجار ويتوجه اليه الحجاج والعمار او ما يقوم به امر دينهم ودنياهم
وقرأ ابن عامر قيما على انه مصدر على فعل كالشبع اعل عينه بما اعل في فعله و
نصبه على المصدر او الحال والشهر الحرام والهدي والقلائد سبق تفسيرها و
المراد بالشهر الشهر الذي يؤدى فيه الحج وهو ذو الحجة لانه المناسب لقرنائه
وقيل الجنس ذلك اشارة الى الجعل او الى ما ذكر من الامر بحفظ حرمة الاحرام
وغيره لتعلموا ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض فان شرع الاحكام لدفع
المضار وجلب المنافع المترتبة عليها دليل حكمة الشارع وكمال علمه وان
الله بكل شيء عليم تعميم بعد تخصيص ومبالغة بعد اطلاق اعلموا ان الله شديد
العقاب وان الله غفور رحيم وعيد ووعد لمن انتهك محارمه ولمن حافظ عليها
او لمن اصر عليه ولمن انقلع عنه ما على الرسول الا البلاغ تشديد في ايجاب

القيام بما امر اي الرسول اتى بما امر به من التبليغ ولم يبق لكم عذرا في التفريط و
الله يعلم ما تبدون وما تكتمون من تصديق وتكذيب وفعل وعزيمة قل لا يستوي
الخبيث والطيب حكم عام في نفي المساواة عند الله بين الردي من الاشخاص والاعمال
والاموال وجيدها رغبة في صالح العمل وحلال المال ولو اعجبك كثرة الخبيث
فان العبرة بالجودة والرداءة دون القلة والكثرة فان المحمود القليل خير من
المذموم الكثير والخطاب لكل معتبر ولذلك قال فاتقوا الله يا اولي الالباب
اي فاتقوه في تحري الخبيث وان كثر وآثروا الطيب وان قل لعلكم تفلحون راجين
ان تبلغوا الفلاح روي انها نزلت في حجاج اليمامة لما هم المسلمون ان يوقعوا بهم
فنهوا عنه وان كانوا مشركين يا ايها الذين آمنوا لا تسألوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم
وان تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم الشرطية وما عطف عليها صفتان لاشياء
والمعنى لا تسألوا رسول الله عن اشياء ان تظهر لكم تغمكم وان تسألوا عنها في زمان
الوحي تظهر لكم وهما كمقدمتين تنتجان ما يمنع السؤال وهو انه مما يغمهم والعاقل
لا يفعل ما يغمه واشياء اسم جمع كطرفاء غير انه قلبت لامه فجعلت لفعاء وقيل
افعلاء حذفت لامه جمع شيء على ان اصله شيئ كهين او شيء كصديق فخفف
وقيل افعال جمع له من غير تغيير كبيت وابيات ويرده منع صرفه عفا الله عنها
صفة اخرى اي عن اشياء عفا الله عنها ولم يكلف بها اذ روي انه لما نزلت ولله
على الناس حج البيت قال سراقة بن مالك اكل عام فاعرض عنه رسول الله عم
حتى اعاد ثلاثا فقال لا ولو قلت نعم لوجبت ولو وجبت لما استطعتم فاتركوني
ما تركتكم فنزلت او استئناف اي عفا الله عما سلف من مسألتكم فلا تعودوا
الى مثلها والله غفور حليم لا يعاجلكم بعقوبة ما يفرط منكم ويعفو عن كثير
وعن ابن عباس رض انه عم كان يخطب ذات يوم غضبان من كثرة ما يسألون عنه مما
لا يعنيهم فقال لا اسأل عن شيء الا اجبت فقال رجل اين ابي فقال في النار وقال
آخر من ابي فقال حذافة وكان يدعى لغيره فنزلت قد سألها قوم الضمير للمسألة
التي دل عليها لا تسألوا ولذلك لم يعد بعن او لاشياء بحذف الجار من قبلكم متعلق
بسألها وليس صفة لقوم فان ظرف الزمان لا يكون صفة الجثة ولا حالا
منها ولا خبرا عنها ثم اصبحوا بها كافرين اي بسببها حيث لم يأتمروا بما سألوا
جحودا ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام رد وانكار لما ابتدعه
اهل الجاهلية وهو انهم اذا انتجت الناقة خمسة ابطن آخرها ذكر بحروا
اذنها اي شقوها وخلوا سبيلها فلا تركب ولا تحلب وكان الرجل منهم يقول

ان شفيت فناقتي سائبة ويجعلها كالبحيرة في تحريم الانتفاع بها واذا ولدت
الشاة انثى فهي لهم وان ولدت ذكرا فهو لالهتهم وان ولدتهما وصلت الانثى
اخاها فلا يذبح لها الذكر والحامي الفحل اذا انتجت من صلبه عشرة ابطن حرموا ظهره ولم
يمنعوه من ماء ولا مرعى قالوا قد حمى ظهره ومعنى ما جعل ما شرع ووضع ولذلك
تعدى الى مفعول واحد وهو البحيرة ومن مزيدة ولكن الذين كفروا يفترون على
الله الكذب بتحريم ذلك ونسبته اليه واكثرهم لا يعقلون اى الحلال من الحرام من
المحرم او الامر لكنهم يقلدون كبارهم وفيه ان منهم من يعرف بطلان ذلك ولكن
منعهم حب الرياسة وتقليد الاباء ان يعترفوا به واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل
الله والى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه اباءنا بيان لقصور عقلهم وانهماكهم
في التقليد وان لا سند لهم سواه اولو كان اباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون الواو
للحال والهمزة دخلت عليها لانكار الفعل على هذه الحال اى احسبهم ما وجدوا عليه
اباءهم ولو كانوا جهلة ضالين والمعنى ان الاقتداء انما يصح بمن علم انه عالم مهتد و
ذلك لا يعرف الا بالحجة يا ايها الذين امنوا عليكم انفسكم اى احفظوها والزموا
صلاحها والجار مع المجرور جعل اسما لالزموا ولذلك نصب انفسكم وقرئ بالرفع
على الابتداء لا يضركم من ضل اذا اهتديتم لا يضركم الضلال اذا كنتم مهتدين و
من الاهتداء ان ينكر المنكر حسب طاقته كما قال عم من راى منكم منكرا واستطاع
ان يغيره بيده فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه
والاية نزلت لما كان المؤمنون يتحسرون على الكفرة ويتمنون ايمانهم وقيل كان الرجل
اذا اسلم قالوا سفهت اباك فنزلت ولا يضركم يحتمل الرفع على انه مستانف و
يؤيده ان قرئ لا يضيركم والجزم على الجواب او النهي لكنه ضمت الراء اتباعا لضمة
الضاد المنقولة اليها من الراء المدغمة وتنصره قراءة من قرا لا يضركم بالفتح
ولا يضركم بكسر الضاد وضمها من ضاره يضيره ويضوره الى الله مرجعكم
جميعا فينبئكم بما كنتم تعملون وعد ووعيد للفريقين وتنبيه على ان احدا لا يؤاخذ
بعمل غيره يا ايها الذين امنوا شهادة بينكم اى فيما امرتم شهادة بينكم والمراد
بالشهادة الاشهاد واضافتها الى الظرف على الاتساع وقرئ شهادة بالنصب والتنوين
على ليقم اذا حضر احدكم الموت اذا شارفه وظهرت اماراته وهو ظرف الشهادة
حين الوصية بدل منه وفي ابداله تنبيه على ان الوصية مما ينبغي ان لا يتهاون
فيه او ظرف حضر اثنان فاعل شهادة ويجوز ان يكون خبرها على حذف المضاف
ذوا عدل منكم اى من اقاربكم او من المسلمين وهما صفتان للاثنين او اخران من

غيركم عطف على اثنان ومن فسر الغير باهل الذمة جعله منسوخا فان شهادته على
المسلم لا تسمع اجماعا ان انتم ضربتم في الارض اى سافرتم فيها فاصابتكم مصيبة
الموت اى قاربتم الاجل تحبسونهما تقفونهما وتصبرونهما صفة لاخران والشرط مع
جوابه المحذوف المدلول عليه بقوله او اخران من غيركم اعتراض فايدته الدلالة
على انه ينبغي ان يشهد اثنان منكم فان تعذر كما في السفر فمن غيركم او استيناف كانه
قيل كيف نعمل ان ارتبنا بالشاهدين فقال تحبسونهما من بعد الصلوة صلوة العصر
لانه وقت اجتماع الناس وتصادم ملئكة الليل وملئكة النهار وقيل اى صلوة
كانت فيقسمان بالله ان ارتبتم ان ارتاب الوارث منكم لا نشتري به ثمنا مقسم عليه
وان ارتبتم اعتراض يفيد اختصاص القسم بحال الارتياب والمعنى لا نستبدل
بالقسم او بالله عرضا من الدنيا اى لا نحلف بالله كاذبين لطمع ولو كان ذا قربى
ولو كان المقسم له قريبا منا وجوابه محذوف ايضا اى لا نشتري ولا نكتم شهادة
الله اى الشهادة التى امرنا باقامتها وعن الشعبي انه وقف على شهادة ثم ابتدا
الله بالمد على حذف القسم وتعويض حرف الاستفهام منه وروي عنه بغير مد
كقولهم الله لافعلن انا اذا لمن الاثمين اى ان كتمنا وقرئ لملاثمين بحذف
الهمزة والقاء حركتها على اللام وادغام النون فيها فان عثر اطلع على انهما
استحقا اثما اى فعلا ما اوجب اثما كتحريف فاخران فشاهدان اخران يقومان
مقامهما من الذين استحق عليهم من الذين جني عليهم وهم الورثة وقرا حفص
استحق على البناء للفاعل وهو الاوليان الاوليان الاحقان بالشهادة لقرابتهما
ومعرفتهما وهو خبر محذوف اى هما الاوليان او خبر اخران او بدل منهما
او من الضمير في يقومان وقرا حمزة ويعقوب وابو بكر عن عاصم الاولين على
انه صفة للذين او بدل منه اى من الذين استحق عليهم وقرئ الاولين
على التثنية وانتصابه على المدح والاولان واعرابه اعراب الاوليان
فيقسمان بالله لشهادتنا احق من شهادتهما اصدق منها واولى بان تقبل
وما اعتدينا وما تجاوزنا فيها الحق انا اذا لمن الظالمين الواضعين الباطل
موضع الحق او الظالمين انفسهم ان اعتدينا ومعنى الايتين ان المحتضر اذا اراد
الوصية ينبغي ان يشهد عدلين من ذوي نسبه او دينه على وصيته او يوصي
اليهما احتياطا فان لم يجدهما بان كان في سفر فاخران من غيرهم ثم ان وقع
نزاع وارتياب اقسما على صدق ما يقولان بالتغليظ في الوقت فان اطلع
على انهما كذبا بامارة ومظنة حلف اخران من اولياء الميت والحكم منسوخ

ان كان الاثنان شاهدين فانه الشاهد ولا يعارض يمينه بيمين الوارث وثابت ان
ان كان وصيين ورد اليمين الى الورثة اما لظهور خيانة الوصيين فان تصديق
الوصي باليمين لامانته او لتغيير الدعوى اذ روي ان تميما الداري وعدي
ابن يزيد خرجا الى الشام للتجارة وكانا حينئذ نصرانيين ومعهما بديل مولى
عمرو بن العاص كان مسلما فلما قدموا الشام مرض بديل فدون ما معه في
صحيفة وطرحها في متاعه ولم يخبرهما به واوصى اليهما بان يدفعا متاعه
الى اهله ومات ففتشاه واخذا منه اناء من فضة فيه ثلثمائة مثقال منقوشا
بالذهب فغيباه فاصاب اهله الصحيفة فطالبوهما بالاناء فجحدا فترافعوا الى
رسول الله عم فنزلت يا ايها الذين امنوا الاية فحلفهما رسول الله عم بعد صلوة العصر
عند المنبر وخلى سبيلهما ثم وجد الاناء في ايديهما فاتيهم بنو سهم في ذلك
فقالا قد اشتريناه منه ولكن لم يكن لنا عليه بينة فكرهنا ان نقر به فرفعوهما
الى رسول الله عم فنزلت فان عثر فقام عمرو بن العاص والمطلب بن ابي وداعة
السهميان وحلفا ولعل تخصيص العدد لخصوص الواقعة ذلك اي الحكم الذي
تقدم او تحليف الشاهدين ادنى ان ياتوا بالشهادة على وجهها على نحو ما
حملوها من غير تحريف وخيانة او يخافوا ان ترد ايمان بعد ايمانهم اي ترد اليمين
على المدعين بعد ايمانهم فيفتضحوا بظهور الخيانة واليمين الكاذبة وانما جمع
الضمير لانه حكم يعم الشهود كلهم واتقوا الله واسمعوا اي برد اليمين على
المدعين بعد ايمانهم ما توصون به سمع اجابة والله لا يهدي القوم الفاسقين
اي فان لم تتقوا ولم تسمعوا كنتم قوما فاسقين والله لا يهدي القوم الفاسقين
اي لا يهديهم الى حجة او الى طريق الجنة فقوله يوم يجمع الله الرسل ظرف له
وقيل بدل من مفعول واتقوا بدل الاشتمال او مفعول واسمعوا على حذف
المضاف اي واسمعوا خبر يوم جمعهم او منصوب باضمار اذكر فيقول اي للرسل
ماذا اجبتم اي اجابة اجبتم على ان ماذا في موضع نصب او باي شيء اجبتم
فحذف الجار وهذا السؤال لتوبيخ قومهم كما ان سؤال الموؤدة لتوبيخ الوائد
ولذلك قالوا لا علم لنا اي لا علم لنا بما كنت تعلمه انك انت علام الغيوب فتعلم ما اجابوا
وما اظهروه لنا وما لم نعلم مما اضمروا في قلوبهم وفيه التشكي منهم ورد
الامر الى علمه بما كابدوا منهم وقيل المعنى لا علم لنا الى جنب علمك او لا علم لنا بما
احدثوا بعدنا وانما الحكم للخاتمة وقرئ علام بالنصب على ان الكلام قد تم
بقوله انك انت اي انك الموصوف بصفاتك المعروفة وعلام منصوب على

الاختصاص او النداء اذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك
بدل من يوم يجمع وهو على طريقة ونادى اصحاب الجنة والمعنى انه تعالى يوبخ الكفرة
يومئذ بسؤال الرسل عن اجابتهم وتعديد ما اظهر عليهم من الايات فكذبتهم طائفة
وسموهم سحرة وغلوا اخرون فاتخذوهم الهة او نصب باضمار اذكر اذ ايدتك
قويتك وهو ظرف لنعمتي او حال منه وقرئ ايدتك بروح القدس بجبريل عم
او بالكلام الذي يحيى به الدين او النفس حيوة ابدية وتطهر من الاثام ويؤيده
قوله تكلم الناس في المهد وكهلا اي كائنا في المهد وكهلا والمعنى تكلمهم في الطفولية
والكهولة على سواء والمعنى الحاق حاله في الطفولية بحاله الكهولة في كمال العقل
والتكلم وبه استدل على انه سينزل فانه رفع قبل التكهل واذ علمتك الكتاب
والحكمة والتورية والانجيل واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذني فتنفخ فيها
فتكون طيرا باذني وتبرئ الاكمه والابرص باذني واذ تخرج الموتى باذني
سبق تفسيره في ال عمران انه قرا نافع ويعقوب طائرا ويحتمل الافراد والجمع كالباقر
واذ كففت بني اسرائيل عنك يعني اليهود حين هموا بقتله اذ جئتهم بالبينات
ظرف لكففت فقال الذين كفروا منهم ان هذا الا سحر مبين اي ما هذا الذي جئت
به الا سحر وقرا حمزة والكسائي الا ساحر فالاشارة الى عيسى عم واذ اوحيت
الى الحواريين اي امرتهم على السنة رسلي ان امنوا بي وبرسولي يجوز ان تكون ان
مصدرية وان تكون مفسرة قالوا امنا واشهد باننا مسلمون مخلصون اذ
قال الحواريون يا عيسى ابن مريم منصوب باذكر او ظرف قالوا فيكون تنبيها على
ان ادعاءهم الاخلاص مع قولهم هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء
لم يكن بعد عن تحقيق واستحكام معرفة وقيل هذه الاستطاعة على ما تقتضيه
الحكمة والارادة لا على ما تقتضيه القدرة وقيل المعنى هل يطيع ربك اي هل
يجيبك واستطاع كاستجاب واجاب وقرا الكسائي هل تستطيع ربك اي سؤال
والمعنى هل تسأله ذلك من غير صارف وهي المائدة الخوان اذا كان عليه الطعام
من ماد الماء اذا تحرك او من ماده اذا اعطاه كانها تميد من تقدم اليه و
نظيرها قولهم شجرة مطعمة قال اتقوا الله من امثال هذا السؤال ان كنتم مؤمنين
بكمال قدرته وصحة نبوتي او صدقتم في ادعاء الايمان قالوا نريد ان ناكل منها
تمهيد عذر وبيان لما دعاهم الى السؤال وهو ان يتمتعوا بالاكل منها وتطمئن
قلوبنا بانضمام علم المشاهدة الى علم الاستدلال بكمال قدرته ونعلم ان قد
صدقتنا في ادعاء النبوة وان الله يجيب دعوتنا ونكون عليها من الشاهدين

اذا استشهدتنا او من الشاهدين للعين دون السامعين للخبر قال عيسى ابن مريم
لما رأى ان لهم غرضا صحيحا في ذلك وانهم لا يقلعون عنه اراد الزامهم الحجة بكمالها
اللهم ربنا انزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا اي يكون يوم نزولها عيدا
نعظمه وقيل العيد السرور العائد ولذلك سمي يوم العيد عيدا وقرئ تكن على جواب
الامر لاولنا واخرنا بدل من لنا باعادة العامل اي عيدا لمتقدمينا ومتأخرينا
روي انها نزلت يوم الاحد فلذلك اتخذه النصارى عيدا وقيل يأكل منها اولنا
واخرنا وقرئ لاولانا واخرانا بمعنى الامة والطائفة وآية عطف على عيدا منك
صفة لها اي كائنة منك دالة على كمال قدرتك وصحة نبوتي وارزقنا المائدة او
الشكر عليها وانت خير الرازقين خير من يرزق لانه خالق الرزق ومعطيه بلا عوض
قال الله اني منزلها عليكم اجابة الى سؤالكم فمن يكفر بعد منكم فاني اعذبه عذابا
اي تعذيبا ويجوز ان يجعل مفعولا به على السعة لا اعذبه الضمير للمصدر او للعذاب
ان اريد به ما يعذب به على حذف حرف الجر احدا من العالمين اي من عالمي زمانهم
او العالمين مطلقا فانهم مسخوا قردة وخنازير ولم يعذب مثل ذلك غيرهم روي
انها نزلت سفرة حمراء بين غمامتين وهم ينظرون اليها حتى سقطت بين ايديهم
فبكى عيسى عم وقال اللهم اجعلني من الشاكرين اللهم اجعلها رحمة للعالمين و
لا تجعلها مثلة وعقوبة ثم قام وتوضأ وصلى وبكى ثم كشف المنديل وقال
بسم الله خير الرازقين فاذا سمكة مشوية بلا فلوس ولا شوك تسيل دسما
وعند رأسها ملح وعند ذنبها خل وحولها من الوان البقول ما خلا الكراث
واذا خمسة ارغفة على واحد منها زيتون وعلى الثاني عسل وعلى الثالث سمن
وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد فقال شمعون يا روح الله امن طعام الدنيا
ام من طعام الاخرة قال ليس منهما ولكنه اخترعه الله بقدرته كلوا ما سألتم
واشكروا يمددكم الله ويزدكم من فضله فقالوا يا روح الله لو اريتنا من هذه
الاية اية اخرى فقال يا سمكة احيي باذن الله فاضطربت ثم قال لها عودي كما
كنت فعادت مشوية ثم طارت المائدة ثم عصوا بعدها فمسخوا وقيل كانت
تأتيهم اربعين يوما غبا يجتمع عليه الفقراء والاغنياء والصغار والكبار
يأكلون حتى اذا فاء الفيء طارت وهم ينظرون في ظلها ولم يأكل منها فقير
الا غني مدة عمره ولا مريض الا برئ ولم يمرض ابدا ثم اوحى الله الى عيسى ان اجعل
مائدتي في الفقراء والمرضى دون الاغنياء والاصحاء فاضطرب الناس لذلك
فمسخ منهم ثلثمائة وثلاثون رجلا وقيل لما وعد الله انزالها بهذه الشريطة

استغفروا وقالوا لا نريد فلم تنزل وعن مجاهد انه هذا مثل ضربه الله لمقترحي المعجزات
وعن بعض الصوفية المائدة عن حقائق المعارف فانها غذاء الروح كما ان
الاطعمة غذاء البدن وعلى هذا فلعل الحال انهم رغبوا في حقائق لم يستعدوا
للوقوف عليها فقال لهم عيسى ان حصل لكم الايمان فاستعملوا التقوى حتى تتمكنوا
من الاطلاع عليها فلم يقلعوا عن السؤال والحوا فيه فسأل لاجل اقتراحهم فبين
الله ان انزاله سهل ولكن فيه خطر وخوف عاقبة فان السالك اذا انكشف له
ما هو اعلى من مقامه لعله لا يحتمله ولا يستقر فيضل به ضلالا بعيدا واذ قال
الله يا عيسى ابن مريم ءانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله يريد به
توبيخ الكفرة وتبكيتهم ومن دون الله صفة لالهين او صلة اتخذوني ومعنى
دون الله اما المغايرة فيكون فيه تنبيه على ان عبادة الله مع عبادة غيره
كلا عبادة فمن عبده مع عبادتهما كانه عبدهما ولم يعبده او القصور فانهم
لم يعتقدوا انهما مستقلان باستحقاق العبادة وانما زعموا ان عبادتهما
توصل الى عبادة الله وكانه قيل اتخذوني وامي الهين متوصلين بنا الى الله
قال سبحانك اي انزهك تنزيها من ان يكون لك شريك ما يكون لي ان اقول ما ليس
لي بحق ما ينبغي لي ان اقول قولا لا يحق لي ان اقوله ان كنت قلته فقد علمته تعلم
ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك تعلم ما اخفيه في نفسي كما تعلم ما اعلنه ولا
اعلم ما تخفيه من معلوماتك وقوله في نفسك للمشاكلة وقيل المراد بالنفس
الذات انك انت علام الغيوب تقرير للجملتين باعتبار منطوقه ومفهومه ما قلت
لهم الا ما امرتني به تصريح بنفي المستفهم عنه بعد تقديم ما يدل عليه ان
اعبدوا الله ربي وربكم عطف بيان للضمير في به او بدل منه وليس من شرط
البدل جواز طرح المبدل مطلقا ليلزم منه بقاء الموصول بلا راجع او خبر
مضمر او مفعوله مثل هو او اعني ولا يجوز ابداله مما امرتني به فان المصدر
لا يكون مفعول القول ولا ان تكون مفسرة لان الامر مسند الى الله وهو لا يقول
اعبدوا الله ربي وربكم والقول لا يفسر بل الجملة تحكى بعده الا ان يؤول القول
بالامر فكانه قيل ما امرتهم الا ما امرتني به ان اعبدوا الله وكنت عليهم شهيدا
ما دمت فيهم اي رقيبا عليهم امنعهم ان يقولوا ذلك ويعتقدوه او مشاهدا
لاحوالهم من كفر وايمان فلما توفيتني كنت انت الرقيب عليهم المراقب لاحوالهم فتمنع
من اردت عصمته من القول به بالارشاد الى الدلائل والتنبيه عليها بارسال
الرسل وانزال الايات وانت على كل شيء شهيد مطلع عليه مراقب له ان تعذبهم

فانهم عبادك اي تعذبهم فانك تعذب عبادك ولا اعتراض على المالك المطلق
فيما يفعل بملكه وفيه تنبيه على انهم استحقوا ذلك لانهم عبادك وقد عبدوا
غيرك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم فلا عجز ولا استقباح فانك القادر
القوي على الثواب والعقاب الذي لا يثيب ولا يعاقب الا عن حكمة وصواب فان المغفرة
مستحسنة لكل مجرم فان عذبت فعدل وان غفرت فتفضل وعدم غفران الشرك
مقتضى الوعيد فلا امتناع فيه لذاته ليمتنع الترديد والتعليق بان قال الله هذا
يوم ينفع الصادقين صدقهم وقرا نافع يوم بالنصب على انه ظرف لقال وخبر هذا
محذوف او ظرف مستقر وقع خبرا والمعنى هذا الذي من كلام عيسى واقع يوم
ينفع وقيل انه خبر ولكن بني على الفتح لاضافته الى الفعل وليس بصحيح لان المضاف اليه
معرب والمراد بالصدق الصدق في الدنيا فان النافع ما كان حال التكليف لهم جنات
تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك
الفوز العظيم بيان للنفع لله ملك السموات والارض وما فيهن وهو على كل شيء
قدير تنبيه على كذب النصارى وفساد دعويهم في المسيح وامه وانما لم يقل ومن
فيهن تغليبا للعقلاء وقال وما فيهن اتباعا لهم لانه غير اولي العقل في غاية القصور
عن معنى الربوبية والنزول عن رتبة العبودية واهانة بهم وتنبيها على المجانسة
المنافية للالوهية ولان ما يطلق متناولا للاجناس كلها فهو اولى بارادة العموم
عن النبي عم من قرا سورة المائدة اعطي من الاجر عشر حسنات ومحي عنه عشر سيئات
ورفع له عشر درجات بعدد كل يهودي ونصراني يتنفس في الدنيا صدق رسول الله

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي خلق السموات والارض
اخبر بانه تعالى حقيق بالحمد ونبه على انه المستحق له على هذه النعم الجسام حمد او
لم يحمد ليكون حجة على الذين هم بربهم يعدلون وجمع السموات دون الارض وهي
مثلهن لان طبقاتها مختلفة بالذات متفاوتة الاثار والحركات وقدمها لشرفها
وعلو مكانها وتقدم وجودها وجعل الظلمات والنور انشاهما والفرق بين
خلق وجعل الذي له مفعول واحد ان الخلق فيه معنى التقدير والجعل فيه معنى
التضمين ولذلك عبر عن احداث النور والظلمة بالجعل تنبيها على انهما لا يقومان
بانفسهما كما زعمت الثنوية وجمع الظلمات لكثرة اسبابها والاجرام الحاملة لها او
لان المراد بالظلمة الضلال وبالنور الهدى والهدى واحد والضلال متعدد

وتقديمها لتقدم الاعدام على الملكات ومن زعم ان الظلمة عرض يضاد النور احتج
بهذه الاية ولم يعلم ان عدم الملكة كالعمى ليس صرف العدم حتى لا يتعلق به الجعل ثم
الذين كفروا بربهم يعدلون عطف على قوله الحمد لله على معنى ان الله حقيق بالحمد على ما
خلقه نعمة على العباد ثم الذين كفروا به يعدلون فيكفرون نعمته ويكون بربهم تنبيها
على انه خلق هذه الاشياء اسبابا لتكونهم وتعيشهم فمن حقه ان يحمد عليها ولا يكفر
او على قوله خلق على معنى انه خلق ما لا يقدر عليه احد سواه ثم هم يعدلون به
ما لا يقدر على شيء منه ومعنى ثم استبعاد عدولهم بعد هذا البيان والباء على
الاول متعلقة بكفروا وصلة يعدلون محذوفة اي يعدلون عنه ليقع الانكار
على نفس الفعل وعلى الثاني متعلقة بيعدلون والمعنى ان الكفار يعدلون بربهم الاوثان
اي يسوونها به هو الذي خلقكم من طين اي ابتدا خلقكم منه فانه المادة الاولى
وان ادم الذي هو اصل البشر خلق منه او خلق اباكم فحذف المضاف ثم قضى
اجلا اجل الموت واجل مسمى عنده اجل القيامة وقيل الاول ما بين الخلق والموت
والثاني ما بين الموت والبعث فان الاجل كما يطلق لاخر المدة يطلق لجملتها وقيل
الاول النوم والثاني الموت وقيل الاول لمن مضى والثاني لمن بقي ولمن ياتي و
اجل نكرة خصصت بالصفة ولذلك استغنى عن تقديم الخبر والاستئناف به لتعظيمه
ولذلك نكر ووصف بانه مسمى اي مثبت معين لا يقبل التغيير واخبر عنه بانه
عند الله لا مدخل لغيره فيه بعلم ولا قدرة ولانه المقصود بيانه ثم انتم
تمترون استبعاد لامترائهم بعد ما تبين انه خالقهم وخالق اصولهم ومحييهم
الى اجالهم فان من قدر على خلق المواد وجمعها وايداع الحيوة فيها وابقائها
ما يشاء كان اقدر على جمع تلك المواد واحيائها ثانيا فالاية الاولى دليل
التوحيد والثانية دليل البعث والامتراء الشك واصله المري وهو استخراج
اللبن من الضرع وهو الله الضمير لله والله خبره في السموات وفي الارض
متعلق باسم الله والمعنى هو المستحق للعبادة فيهما لا غير كقوله وهو الذي
في السماء اله وفي الارض اله او بقوله يعلم سركم وجهركم والجملة خبر ثان او هي
والله بدل ويكفي لصحة الظرفية كون المعلوم فيهما كقولك رميت الصيد في
الحرم اذا كنت خارجه والصيد فيه او ظرف مستقر وقع خبرا بمعنى انه تعالى
لكمال علمه بما فيهما كانه فيهما ويعلم سركم وجهركم بيان وتقرير له وليس
متعلق المصدر لان صلته لا تتقدم عليه ويعلم ما تكسبون من خير وشر فيثيب
عليه ويعاقب ولعله اريد بالسر والجهر ما يخفى وما يظهر من احوال الانفس

وبالمكتسب اعمال الجوارح • وما تاتيهم من آية من آيات ربهم من الاولى مزيدة للاستغراق
والثانية للتبعيض اي ما يظهر لهم دليل قط من الادلة او معجزة من المعجزات او آية
من آيات القرآن الا كانوا عنها معرضين تاركين للنظر فيه غير ملتفتين اليه • فقد
كذبوا بالحق لما جاءهم يعني القرآن وهو كاللازم مما قبله كانه قيل انهم لما كانوا معرضين
عن الآيات كلها كذبوا به لما جاءهم او كالدليل عليه على معنى انهم لما اعرضوا عن القرآن
وكذبوا به وهو اعظم الآيات فكيف لا يعرضون عن غيره • ولذلك رتب عليه بالفاء
فسوف ياتيهم انباء ما كانوا به يستهزءون اي سيظهر لهم ما كانوا به يستهزءون عند
نزول العذاب بهم في الدنيا والآخرة او عند ظهور الاسلام وارتفاع امره • الم يروا
كم اهلكنا من قبلهم من قرن اي من اهل زمان والقرن مدة اغلب اعمار الناس
وهي سبعون سنة وقيل ثمانون سنة وقيل القرن اهل عصر فيه نبي او فائق في العلم
قلت المدة او كثرت واشتقاقه من قرنت • مكناهم في الارض جعلنا لهم فيها مكانا
وقررناهم فيها او اعطيناهم من القوى والآلات ما تمكنوا بها من انواع التصرف
فيها ما لم نمكن لكم ما لم نجعل لكم من السعة وطول المقام يا اهل مكة او ما لم نعطكم
من القوة والسعة في المال والاستظهار بالعدد والاسباب • وارسلنا السماء
عليهم اي المطر او السحاب او المظلة فان مبدأ المطر منها مدرارا مغزارا • وجعلنا
الانهار تجري من تحتهم فعاشوا في الخصب والريف بين الانهار والثمار • فاهلكناهم
بذنوبهم اي لم يغن ذلك عنهم شيئا • وانشأنا واحدثنا من بعدهم قرنا آخرين بدلا منهم
والمعنى انه تعالى كما قدر ان يهلك من قبلكم كعاد وثمود وينشئ مكانهم آخرين يعمر
بهم بلاده قدر ان يفعل ذلك بكم • ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس مكتوبا في ورق
فلمسوه بايديهم فمسوه وتخصيص اللمس لان التزوير لا يقع فيه فلا يمكنهم ان
يقولوا انما سكرت ابصارنا ولانه يتقدمه الابصار حيث لا مانع وتقييده
بالايدي لدفع التجوز فانه قد يتجوز به للفحص كقوله وانا لمسنا السماء • لقال
الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين تعنتا وعنادا • وقالوا لولا انزل عليه ملك
هلا انزل عليه معه ملك يكلمنا انه نبي كقوله لولا انزل اليه ملك فيكون معه
نذيرا • ولو انزلنا ملكا لقضي الامر جواب لقوله وبيان لما هو المانع لما اقترحوه
والخلل فيه والمعنى ان الملك لو انزل بحيث عاينوه كما اقترحوا لحق اهلاكهم فان سنة
الله قد جرت بذلك فيمن قبلهم • ثم لا ينظرون بعد نزوله طرفة عين • ولو جعلناه
ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون جواب ثان ان جعل الهادي
للمطلوب وان نجعل للرسول فهو جواب اقتراح ثان فانهم تارة يقولون لو شاء

ربنا لانزل ملائكة والجن ولو جعلنا قرينا لك ملكا يعاينونه او الرسول ملكا لمثلناه
رجلا كما مثل جبريل في صورة دحية فان القوة البشرية لا تقوى على رؤية الملك
في صورته وانما راهم كذلك الافراد من الانبياء بقوتهم القدسية • وللبسنا جواب
محذوف اي ولو جعلناه رجلا للبسنا اي لخلطنا عليهم ما يخلطون على انفسهم
فيقولون ما هذا الا بشر مثلكم وقرئ لبسنا بلام واحدة وللبسنا بالتشديد
للمبالغة • ولقد استهزئ برسل من قبلك تسلية لرسوله عم على ما يرى من قومه
فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزءون فاحاط بهم الذي كانوا يستهزءون
به حيث اهلكوا لاجله او فنزل بهم وبال استهزائهم • قل سيروا في الارض ثم انظروا
كيف كان عاقبة المكذبين كيف اهلكهم الله بعذاب الاستئصال كي تعتبروا والفرق
بينه وبين قوله قل سيروا في الارض فانظروا ان السير ثم لاجل النظر ولا كذلك
ههنا ولذلك قيل معناه اباحة السير للتجارة وغيرها وايجاب النظر في آثار
الهالكين • قل لمن ما في السموات والارض خلقا وملكا وهو سؤال تبكيت • قل لله
تقرير لهم وتنبيه على انه المتعين للجواب بالاتفاق بحيث لا يمكنهم ان يذكروا غيره
كتب على نفسه الرحمة التزمها تفضلا واحسانا والمراد بالرحمة ما يعم الدارين ومن
ذلك الهداية الى معرفته والعلم بتوحيده بنصب الادلة وانزال الكتب والامهال
على الكفر • ليجمعنكم الى يوم القيامة استئنافا وقسم للوعيد على اشراكهم واغفالهم
النظر اي ليجمعنكم في القبور مبعوثين الى يوم القيامة فيجازيكم على شرككم او في
يوم القيامة والى بمعنى في وقيل بدل من الرحمة بدل البعض فانه من رحمته بعثه
اياكم وانعامه عليكم • لا ريب فيه في اليوم او الجمع • الذين خسروا انفسهم بتضييع
راس مالهم وهو الفطرة الاصلية والعقل السليم وموضع الذين نصب على الذم
او رفع على الخبر اي وانتم الذين او على الابتداء والخبر • فهم لا يؤمنون والفاء
للدلالة على ان عدم ايمانهم مسبب عن خسرانهم فان ابطال العقل باتباع الحواس و
الوهم والانهماك في التقليد واغفال النظر ادى بهم الى الاصرار على الكفر و
الامتناع عن الايمان • وله عطف على لله • ما سكن في الليل والنهار من السكنى و
وتعديته بفي كما في قوله وسكنتم في مساكن الذين ظلموا والمعنى ما اشتملا
عليه او من السكون اي ما سكن فيهما وتحرك فاكتفى باحد الضدين عن الآخر
وهو السميع العليم يسمع كل مسموع بكل معلوم فلا يخفى عليه شيء ويجوز ان
يكون وعيدا للمشركين على اقوالهم وافعالهم • قل اغير الله اتخذ وليا انكار لاتخاذ
غير الله وليا لا لاتخاذ الولي فلذلك قدم واولي الهمزة والمراد بالولي المعبود

لانه ما دل من دعاه الى الشرك فاطر السموات والارض مبدعهما وعن ابن عباس
ما عرفت معنى الفاطر حتى اتاني اعرابيان يختصمان في بئر فقال احدهما انا فطرتها

اي ابتدأتها وجرّه على الصفة لله فانه بمعنى الماضي ولذلك قرئ فطر وقرئ

بالرفع والنصب على المدح وهو يطعم ولا يطعم يرزق ولا يرزق وتخصيص الطعام

لشدة الحاجة اليه وقرئ ولا يطعم بفتح الياء وبعكس الاول على ان الضمير

لغير الله والمعنى كيف اشرك بمن هو فاطر السموات والارض ما هو نازل عن رتبة

الحيوانية وببنائهما للفاعل على ان الثاني من اطعم بمعنى استطعم او على معنى انه

يطعم تارة ولا يطعم اخرى كقوله من اطعم بمعنى استطعم او على معنى انه يطعم تارة

ولا يطعم اخرى كقوله يقبض ويبسط قل اني امرت ان اكون اول من اسلم لان النبي

سابق امته في الدين ولا تكونن من المشركين وقيل لي ولا تكونن ويجوز عطفه على

قل قل اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم مبالغة اخرى في قطع اطماعهم

وتعريض لهم بانهم عصاة مستوجبون للعذاب والشرط معترض بين الفعل و

المفعول به وجوابه محذوف دل عليه الجملة من يصرف عنه يومئذ اي يصرف

العذاب عنه وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب وابو بكر عن عاصم يصرف على ان

الضمير فيه لله وقد قرئ باظهاره والمفعول به محذوف او يومئذ بحذف المضاف

فقد رحمه نجاه وانعم عليه وذلك الفوز المبين اي الصرف او الرحمة وان

يمسسك الله بضر ببلية كمرض وفقر فلا كاشف له فلا قادر على كشفه الا هو

وان يمسسك بخير بنعمة وصحة فهو على كل شيء قدير فكان قادرا على حفظه و

ادامته فلا يقدر غيره على دفعه كقوله فلا راد لفضله وهو القاهر فوق عباده

تصوير لقهره وعلوه بالغلبة والقدرة وهو الحكيم في امره وتدبيره الخبير

بالعباد وخفايا احوالهم قل اي شيء اكبر شهادة نزلت حين قالت قريش يا محمد لقد

سألنا عنك اليهود والنصارى فزعموا ان ليس لك عندهم ذكر ولا صفة فارنا

من يشهد لك انك رسول الله والشيء يقع على كل موجود وقد سبق القول فيه

في سورة البقرة قل الله اي الله اكبر شهادة ثم ابتدأ شهيد بيني وبينكم اي هو

شهيد ويجوز ان يكون الله شهيد هو الجواب لانه تعالى اذا كان الشهيد كان اكبر

شيء شهادة واوحي الي هذا القرآن لانذركم به اي بالقرآن واكتفى بذكر الانذار

عن ذكر البشارة ومن بلغ عطف على ضمير المخاطبين اي لانذركم به يا اهل مكة

وسائر من بلغه من الاسود والاحمر من الثقلين او لانذركم به ايها الموجودون

ومن بلغه الى يوم القيمة وهو دليل على ان احكام القرآن تعم الموجودين وقت

نزوله ومن بعدهم وانه لا يؤاخذ بها من لم تبلغه ائنكم لتشهدون ان مع الله آلهة

اخرى تقرير لهم مع انكار واستبعاد قل لا اشهد بما تشهدون قل انما هو اله

واحد اي بل اشهد ان لا اله الا هو وانني بريء مما تشركون يعني الاصنام الذين

آتيناهم الكتاب يعرفونه يعرفون رسول الله صلعم بحليته المذكورة في التورية و

الانجيل كما يعرفون ابناءهم بحلاهم الذين خسروا انفسهم من اهل الكتاب والمشركين

فهم لا يؤمنون لتضييعهم ما به يكتسب الايمان ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا

كقولهم الملئكة بنات الله وهؤلاء شفعاؤنا عند الله او كذب باياته كان كذبوا

بالقرآن والمعجزات وسموها سحرا وانما ذكر او وهم قد جمعوا بين الامرين تنبيها

على ان كلا منهما وحده بالغ غاية الافراط في الظلم على النفس انه الضمير للشان

لا يفلح الظالمون فضلا عمن لا احد اظلم منه ويوم نحشرهم جميعا منصوب بمضمر

تهويلا للامر ثم نقول للذين اشركوا اين شركاؤكم اي آلهتكم التي جعلتموها

شركاء لله وقرأ يعقوب يحشر ويقول بالياء الذين كنتم تزعمون اي تزعمون

انهم شركاء فحذف المفعولان والمراد من الاستفهام التوبيخ ولعله يحال

بينهم وبين آلهتهم حينئذ ليفقدوها في الساعة التي علقوا بها الرجاء فيها

ويحتمل ان يشاهدوهم ولكن لما لم ينفعهم فكانهم غيب عنهم ثم لم تكن فتنتهم الا

ان قالوا اي كفرهم والمراد عاقبته وقيل معذرتهم التي يتوهمون ان يتخلصوا

بها من فتنت الذهب اذا خلصته وقيل جوابهم وانما سماه فتنة لانه كذب

او لانهم قصدوا به الخلاص وقرأ ابن كثير وابن عامر وحفص لم تكن بالتاء و

فتنتهم بالرفع على انها الاسم ونافع وابو عمرو وابو بكر عنه بالتاء و

النصب على ان الاسم ان قالوا والتانيث للخبر كقولهم من كانت امك والباقون

بالياء والنصب والله ربنا ما كنا مشركين يكذبون ويحلفون عليه مع علمهم

بانه لا ينفع من فرط الحيرة والدهشة كما يقولون ربنا اخرجنا منها وقد

ايقنوا بالخلود وقيل معناه ما كنا مشركين عند انفسنا وهو لا يوافق

قوله انظر كيف كذبوا على انفسهم اي بنفي الشرك عنها وحمله على كذبهم في

الدنيا فيه تعسف يخل بالنظم ونظير ذلك قوله يوم يبعثهم الله جميعا

فيحلفون له كما يحلفون لكم وقرأ حمزة والكسائي ربنا بالنصب على النداء او

المدح وضل عنهم ما كانوا يفترون من الشركاء ومنهم من يستمع اليك حين

تتلو القرآن والمراد ابو سفيان والوليد والنضر وعتبة وشيبة وابو جهل

واضرابهم اجتمعوا فسمعوا رسول الله يقرأ فقالوا للنضر ما يقول فقال

والذي جعلها بيته ما ادري ما يقول الا ان يحرك لسانه ويقول اساطير الاولين
مثل ما حدثتكم وجعلنا على قلوبهم اكنة اغطية جمع كنان وهو ما يستر الشيء
ان يفقهوه كراهة ان يفقهوه وفي آذانهم وقرا يمنع من استماعه وقد مر تحقيق ذلك في اول
البقرة وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها لفرط عنادهم واستحكام التقليد فيهم حتى
اذا جاؤك يجادلونك اي بلغ تكذيبهم الآيات الى انهم جاؤك يجادلونك وحتى هي
التي بعدها الجملة لا عمل لها والجملة اذا وجوابه وهو يقول الذين كفروا ان هذا
الا اساطير الاولين فانه جعل اصدق الحديث خرافات الاولين غاية التكذيب ويجادلونك
حال لمجيئهم ويجوز ان يكون الجارة واذا جاؤك في موضع الجر ويجادلونك جواب
ويقول تفسير له والاساطير الاباطيل جمع اسطورة او اسطارة او اسطار جمع
سطر واصل السطر الخط وهم ينهون عنه اي ينهون الناس عن القران او الرسول
والايمان به وينأون عنه بانفسهم او ينهون عن التعرض لرسول الله صلعم وينأون
فلا يؤمنون به كابي طالب وان يهلكون وما يهلكون بذلك الا انفسهم وما يشعرون
ان ضرره لا يتعداهم الى غيرهم ولو ترى اذ وقفوا على النار جوابه محذوف اي
لو تراهم حين يوقفون على النار حتى يعاينوها او يطلعون عليها او يدخلونها فيعرفون
مقدار عذابها لرايت امرا شنيعا وقرئ وقفوا على البناء للفاعل من وقف عليه
وقوفا فقالوا يا ليتنا نرد تمنيا للرجوع الى الدنيا ولا نكذب بآيات ربنا ونكون
من المؤمنين استئناف كلام منهم على وجه الاثبات كقولهم دعني ولا اعود اي انا
لا اعود تركتني او لم تتركني او عطف على نرد او حال من الضمير فيه فيكون في حكم المتمنى
وقوله وانهم لكاذبون راجع الى ما تضمنه التمني من الوعد ونصبهما حمزة ويعقوب
وحفص على الجواب باضمار ان بعد الواو اجراء لها مجرى الفاء وقرا ابن عامر برفع
الاول على العطف ونصب الثاني على الجواب بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل الاضراب
عن ارادة الايمان المفهوم من التمني والمعنى انه ظهر لهم ما كانوا يخفون من نفاقهم
او قبائح اعمالهم فتمنوا ذلك ضجرا لا عزما على انهم لو ردوا لآمنوا ولو ردوا اي
الى الدنيا بعد الظهور والوقوف لعادوا لما نهوا عنه من الكفر والمعاصي وانهم
لكاذبون فيما وعدوا من انفسهم وقالوا عطف على لعادوا او على انهم لكاذبون
او على نهوا او استئناف بذكر ما قالوه في الدنيا ان هي الا حياتنا الدنيا الضمير
للحيوة وما نحن بمبعوثين ولو ترى اذ وقفوا على ربهم مجاز عن الحبس للسؤال والتوبيخ
وقيل معناه وقفوا على قضاء ربهم او جزائه او عرفوه حق التعريف
قال اليس هذا بالحق كانه جواب قائل قال ماذا قال ربهم حينئذ والهمزة للتقريع

فيكون

على التكذيب في الاشارة الى البعث وما يتبعه من الثواب والعقاب قال بلى وربنا
اقرار مؤكد باليمين لانجلاء الامر غاية الانجلاء قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون
بسبب كفركم او ببدله قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله اذ فاتهم النعيم واستوجبوا
العذاب المقيم ولقاء الله البعث وما يتبعه حتى اذا جاءتهم الساعة غاية لكذبوا
لا لخسر لان خسرانهم لا غاية له بغتة فجاءة ونصبها على الحال او المصدر فانها
نوع من المجيء قالوا يا حسرتنا اي تعالي فهذا اوانك على ما فرطنا قصرنا فيها في
الدنيا اضمرت وان لم يجر ذكرها للعلم بها او في الساعة يعني في شانها والايمان
بها وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم تمثيل لاستحقاقهم آصار الآثام الا ساء
ما يزرون بئس شيئا يزرونه وزرهم وما الحيوة الدنيا الا لعب ولهو اي وما
اعمالها الا لعب ولهو يلهي الناس ويشغلهم عما يعقب منفعة دائمة ولذة حقيقية
وهو جواب لقولهم ان هي الا حيوتنا الدنيا وللدار الآخرة خير للذين يتقون لدوامها
وخلوص منافعها ولذاتها وقوله للذين يتقون تنبيه على ان ما ليس من اعمال
المتقين لعب ولهو وقرا ابن عامر ولدار الآخرة افلا تعقلون اي الامرين خير و
قرا نافع وابن عامر ويعقوب بالتاء على خطاب المخاطبين به او تغليب الحاضرين
على الغائبين قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون معنى قد زيادة الفعل وكثرته
كما في قوله ولكنه قد يهلك المال نائله والهاء في انه للشان وقرئ ليحزنك من
احزن فانهم لا يكذبونك في الحقيقة وقرا نافع والكسائي لا يكذبونك من اكذبه اذا
وجده كاذبا او نسبه الى الكذب ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون ولكنهم يجحدون
بآيات الله ويكذبونها فوضع الظالمين موضع الضمير للدلالة على انهم ظلموا
بجحودهم او جحدوا لتمرنهم على الظلم والباء لتضمين الجحود معنى التكذيب روي ان
ابا جهل كان يقول ما نكذبك وانك عندنا لصادق وانما نكذب ما جئتنا به فنزلت
ولقد كذبت رسل من قبلك تسلية لرسول الله صلعم وفيه دليل على ان قوله
لا يكذبونك ليس بنفي تكذيبه مطلقا فصبروا على ما كذبوا واوذوا على تكذيبهم
وايذائهم فتأس بهم واصبر حتى اتاهم نصرنا فيه ايماء بوعد النصر للصابرين و
لا مبدل لكلمات الله لمواعيده من قوله ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين
الآيات ولقد جاءك من نبإ المرسلين اي من قصصهم وما كابدوا من قومهم وان
كان كبر عليك عظم وشق اعراضهم عنك وعن الايمان بما جئت به فان استطعت ان
تبتغي نفقا في الارض او سلما في السماء فتأتيهم بآية منفذا تنفذ فيه الى جوف
الارض فتطلع لهم آية او مصعدا تصعد به الى السماء فتنزل منه آية وفي

الارض صفة لنفقا وفي السماء صفة لسلما ويجوز ان يكونا متعلقين بتبتغي
او حالين من المستكن وجواب الشرط محذوف تقديره فافعل والجملة جواب
الاول والمقصود بيان حرصه البالغ على اسلام قومه وانهم لو قدر ان ياتيهم
باية من تحت الارض او من فوق السماء لاتى بها رجاء ايمانهم ولو شاء الله لجمعهم
على الهدى اي لو شاء الله ما فعلوه جمعهم على الهدى لوفقهم للايمان حتى يؤمنوا
ولكن لم تتعلق به مشيته فلا تتهالك عليه والمعتزلة اولوه بانه لو شاء لجمعهم
على الهدى بان ياتيهم باية ملجئة ولكن لم يفعل لخروجه عن الحكمة فلا تكونن
من الجاهلين بالحرص على ما لا يكون والجزع في مواطن الصبر فان ذلك من داب
الجهلة انما يستجيب الذين يسمعون انما يجيب الذين يسمعون بفهم وتامل كقوله
او القى السمع وهو شهيد وهؤلاء كالموتى الذين لا يسمعون والموتى يبعثهم الله
فيعلمهم حين لا ينفعهم الايمان ثم اليه يرجعون للجزاء وقالوا لولا نزل عليه اية
من ربه اي اية مما اقترحوه او اية اخرى سوى ما انزل من الايات المتكاثرة لعدم
اعتدادهم بها عنادا قل ان الله قادر على ان ينزل اية مما اقترحوه او اية
تضطرهم الى الايمان كنتق الجبل او اية ان جحدوها هلكوا ولكن اكثرهم لا يعلمون
ان الله قادر على انزالها وان انزالها يستجلب عليهم البلاء وان لهم فيما انزل مندوحة عن
غيره وقرا ابن كثير ينزل بالتخفيف والمعنى واحد وما من دابة في الارض تدب
على وجهها ولا طائر يطير بجناحيه في الهوا وصفه به قطعا لمجاز السرعة و
نحوها وقرئ ولا طائر بالرفع على المحل الا امم امثالكم محفوظة احوالها مقدرة
ارزاقها واجالها والمقصود من ذلك الدلالة على كمال قدرته وشمول علمه
وسعة تدبيره ليكون كالدليل على انه قادر على ان ينزل الاية وجمع الامم للحمل
على المعنى ما فرطنا في الكتاب من شيء يعني اللوح المحفوظ فانه مشتمل على ما يجري
في العالم من الجليل والدقيق لم يهمل فيه امر حيوان ولا جماد او القران فانه قد
دون فيه ما يحتاج اليه من امر الدين مفصلا او مجملا ومن مزيدة وشيء
في موضع المصدر لا المفعول به فان فرط لا يتعدى بنفسه وقد عدي بفي الى
الكتاب وقرئ ما فرطنا بالتخفيف ثم الى ربهم يحشرون يعني الامم كلها فينصف
بعضها من بعض كما روي انه ياخذ للجماء من القرناء وعن ابن عباس حشرها
موتها والذين كذبوا باياتنا صم لا يسمعون مثل هذه الايات الدالة على الربوبية
وكمال علمه وعظم قدرته سماعا تتاثر به نفوسهم وبكم لا ينطقون بالحق في
الظلمات خبر ثالث اي خابطون في ظلمات الكفر او في ظلمات الجهل وظلمة العناد

وظلمة التقليد ويجوز ان يكون حالا من المستكن في الخبر من يشا الله يضلله من
يشا الله اضلاله يضلله وهو دليل واضح لنا على المعتزلة ومن يشا يجعله على
صراط مستقيم بان يرشده الى الهدى ويحمله عليه قل ارايتكم استفهام تعجيب
والكاف حرف خطاب اكد به الضمير للتاكيد لا محل له من الاعراب لانك تقول
ارايتك زيدا ما شانه فلو جعلت الكاف مفعولا كما قاله الكوفيون لعديت الفعل
الى ثلثة مفاعيل وللزم في الاية ان يقال ارايتموكم بل الفعل معلق او المفعول
محذوف تقديره ارايتكم الهتكم تنفعكم اذ تدعونها ان اتاكم عذاب الله كما اتى
من قبلكم او اتتكم الساعة وهولها ويدل عليه اغير الله تدعون وهو تبكيت لهم
ان كنتم صادقين ان الاصنام الهة وجوابه محذوف اي فادعوه بل اياه تدعون
بل تخصونه بالدعاء كما حكي عنهم في مواضع وتقديم المفعول لافادة التخصيص
فيكشف ما تدعون اليه اي ما تدعونه الى كشفه ان شاء ان يتفضل عليكم ولا يشاء
في الاخرة وتنسون ما تشركون وتتركون الهتكم في ذلك الوقت لما ركز في العقول
على انه القادر على كشف العذاب دون غيره او وتنسونه من شدة الامر و
هوله ولقد ارسلنا الى امم من قبلك اي قبلك ومن زائدة فاخذناهم اي فكفروا و
كذبوا المرسلين فاخذناهم بالباساء بالشدة والفقر والضراء الضر والافات
وهما صيغتا تانيث لا مذكر لهما لعلهم يتضرعون يتذللون ويتوبون عن
ذنوبهم فلولا اذ جاءهم باسنا تضرعوا معناه نفي تضرعهم في ذلك الوقت
مع قيام ما يدعوهم ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون
استدراك على المعنى وبيان للصارف لهم عن التضرع وانه لا مانع لهم الا قساوة
قلوبهم واعجابهم باعمالهم التي زينها الشيطان فلما نسوا ما ذكروا به من الباساء
والضراء ولم يتعظوا به فتحنا عليهم ابواب كل شيء من انواع النعم مراوحة
عليهم بين نوبتي الضراء والسراء وامتحانا لهم بالشدة والرخاء الزاما
للحجة وازاحة للعلة او مكرا بهم لما روي انه عم قال مكر بالقوم ورب
الكعبة وقرا ابن عامر فتحنا بالتشديد في جميع القران ووافقه يعقوب فيما
عدا هذا والذي في الاعراف حتى اذا فرحوا بما اوتوا من النعم ولم يزيدوا على
البطر والاشتغال بالنعمة عن المنعم والقيام بحقه اخذناهم بغتة فاذا هم
مبلسون متحسرون ايسون فقطع دابر القوم الذين ظلموا اخرهم بحيث لم يبق
منهم احد من دبره دبرا ودبورا اذا تبعه والحمد لله رب العالمين على
اهلاكهم فان هلاك الكفار والعصاة من حيث انه تخليص لاهل الارض من

بتوسط عقائدهم واعمالهم نعمة جليلة يحق ان يحمد عليها قل ارايتم ان اخذ الله سمعكم
وابصاركم اصمكم واعماكم وختم على قلوبكم بان غطى عليها بما يزول به عقلكم
وفهمكم من اله غير الله ياتيكم به اي بذلك او بما اخذ وختم عليه او باحد هذه
المذكورات انظر كيف نصرف الآيات نكررها تارة من جهة المقدمات العقلية
وتارة من جهة الترغيب وتارة بالتنبيه والتذكير باحوال المتقدمين ثم هم
يصدفون يعرضون عنها وثم لاستبعاد الاعراض بعد تصريف الآيات وظهورها
قل ارايتكم ان اتاكم عذاب الله بغتة من غير مقدمة او جهرة يتقدمها امارة
تؤذن بحلوله وقيل ليلا او نهارا وقرئ بغتة وجهرة هل يهلك اي ما يهلك
به هلاك سخط وتعذيب الا القوم الظالمون ولذلك صح الاستثناء المفرغ منه
وقرئ يهلك بفتح الياء وما نرسل المرسلين الا مبشرين المؤمنين بالجنة ومنذرين
الكافرين بالنار ولم نرسلهم ليقترح عليهم ويتلهى بهم فمن آمن واصلح ما يجب
اصلاحه على ما شرع لهم فلا خوف عليهم من العذاب ولا هم يحزنون بفوات الثواب
والذين كذبوا بآياتنا يمسهم العذاب جعل العذاب ماسا لهم كانه الطالب
للوصول اليهم واستغنى بتعريفه عن التوصيف بما كانوا يفسقون بسبب خروجهم
عن التصديق والطاعة قل لا اقول لكم عندي خزائن الله مقدوراته وخزائن
رزقه ولا اعلم الغيب ما لم يوح الي ولم ينصب عليه دليل وهو من جملة المقول
ولا اقول لكم اني ملك اي من جنس الملائكة او اقدر على ما يقدرون عليه ان
اتبع الا ما يوحى الي تبرأ عن دعوى الالوهية والملكية وادعى النبوة التي هي
من كمالات البشر ردا لاستبعادهم دعواه وجزمهم على فساد مدعاه قل هل
يستوي الاعمى والبصير مثل للضال والمهتدي او الجاهل والعالم او مدعي
المستحيل كالالوهية او الملكية ومدعي المستقيم كالنبوة افلا تتفكرون
فتهتدوا او فتميزوا بين ادعاء الحق والباطل او فتعلموا ان اتباع الوحي مما
لا محيص عنه وانذر به الضمير لما يوحى الي الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم
هم المؤمنون المفرطون في العمل او المجوزون للحشر مؤمنا كان او كافرا به او مترددا
فيه فان الانذار ينجع فيهم دون الفارغين الجازمين باستحالته ليس لهم
من دونه ولي ولا شفيع في موضع الحال من يحشروا فان المخوف هو الحشر على هذه
الحال لعلهم يتقون لكي يتقوا ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي بعد
ما امره بانذار غير المتقين ليتقوا امره باكرام المتقين وتقريبهم وان لا يطردهم
ترضية لقريش روي انهم قالوا لو طردت هؤلاء الاعبد يعنون فقراء المسلمين

كعمار وصهيب وخباب وسلمان جلسنا اليك وحادثناك فقال ما انا بطارد المؤمنين
قالوا فاقمهم عنا اذا جئنا قال نعم روي ان عمر رض قال له لو فعلت حتى ننظر الى
ما يصيرون فدعا بالصحيفة وبعلي رض ليكتب فنزلت والمراد بذكر الغداة
والعشي الدوام وقيل صلاة الصبح والعصر وقرا ابن عامر بالغدوة يريدون وجهه
حال من يدعون اي يدعون ربهم مخلصين فيه قيد الدعاء بالاخلاص تنبيها على انه
ملاك الامر ورتب النهي عليه اشعارا بانه يقتضي اكرامهم وينافي ابعادهم ما عليك
من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء اي ليس عليك حساب ايمانهم فلعل
ايمانهم عند الله اعظم من ايمان من تطردهم بسؤالهم طمعا في ايمانهم لو آمنوا وليس
عليك اعتبار بواطنهم واخلاصهم لما اتسموا بسيرة المتقين فان كان لهم باطن غير
مرضي كما ذكره المشركون وطعنوا في دينهم فحسابهم عليهم لا يتعداهم اليك كما ان
حسابك عليك لا يتعداك اليهم وقيل ما عليك من حساب رزقهم اي من فقرهم و
الضمير للمشركين والمعنى لا تؤاخذ بحسابهم ولا هم بحسابك حتى يهمك ايمانهم بحيث
تطرد المؤمنين طمعا فيه فتطردهم فتبعدهم وهو جواب النفي فتكون من الظالمين
جواب النهي ويجوز عطفه على فتطردهم على وجه التسبب وفيه نظر وكذلك فتنا بعضهم
ببعض مثل ذلك الفتن وهو اختلاف احوال الناس في امور الدنيا فتنا ابتلينا
بعضهم ببعض في امر الدين فقدمنا هؤلاء الضعفاء على اشراف قريش بالسبق
الى الايمان ليقولوا اهؤلاء من الله عليهم من بيننا اي اهؤلاء من انعم الله عليهم
بالهداية والتوفيق لما يسعدهم دوننا ونحن الاكابر والرؤساء وهم المساكين
والضعفاء وهو انكار لان يخص هؤلاء من بينهم باصابة الحق والسبق الى الخير
كقولهم لو كان خيرا ما سبقونا اليه واللام للعاقبة او للتعليل على ان فتنا متضمن
معنى خذلنا اليس الله باعلم بالشاكرين بمن يقع منهم الايمان والشكر فيوفقه وبمن
لا يقع منه فيخذله واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب
ربكم على نفسه الرحمة الذين يؤمنون هم الذين يدعون ربهم وصفهم بالايمان بالقرآن
واتباع الحجج بعدما وصفهم بالمواظبة على العبادة وامره بان يبدا بالتسليم
او يبلغ سلام الله ويبشرهم بسعة رحمة الله وفضله بعد النهي عن طردهم
ايذانا بانهم الجامعون لفضيلتي العلم والعمل ومن كان كذلك ينبغي ان يقرب ولا يطرد
ويعز ولا يذل ويبشر من الله بالسلامة في الدنيا والرحمة في الآخرة وقيل ان قوما
جاؤوا الى النبي صم فقالوا انا اصبنا ذنوبا عظاما فلم يرد عليهم شيئا فانصرفوا
فنزلت انه من عمل منكم استئناف بتفسير الرحمة وقرا نافع وابن عامر و

وعاصم ويعقوب بالفتح على البدل منها بجهالة في موضع الحال اي عمل ذنبا جاهلا
بحقيقة ما يتبعه من المضار والمفاسد كمن فيما اشار اليه ملتبسا بفعل الجهالة
فان ارتكاب ما يؤدي الى الضرر من افعال اهل السفه والجهل ثم تاب من بعده بعد العمل
والسوء واصلح بالتدارك والعزم على ان لا يعود اليه فانه غفور رحيم فتحه من فتح
الاول غير نافع على اضمار مبتدا او خبر اي فامره او فله غفرانه وكذلك ومثل
ذلك التفصيل الواضح نفصل الآيات آيات القرآن في صفة المطيعين والمجرمين
المصرين منهم والاوابين ولتستبين سبيل المجرمين قراه نافع بالتاء ونصب
السبيل على معنى ولتستوضح يا محمد سبيلهم فتعامل كلا منهم بما يحق له فصلنا
هذا التفصيل وابن كثير وابن عامر وابو عمرو ويعقوب وحفص عن عاصم برفعه
على معنى ولتبين سبيلهم والباقون بالياء والرفع على تذكير السبيل فانه يذكر
ويؤنث ويجوز ان يعطف على علة مقدرة اي نفصل الآيات ليظهر الحق وليستبين
قل اني نهيت صرفت وزجرت بما نصب لي من الادلة وانزل علي من الآيات في امر
التوحيد ان اعبد الذين تدعون من دون الله عن عبادة ما تدعون من دون الله او
ما تدعونها آلهة اي تسمونها قل لا اتبع اهواءكم تاكيد لقطع اطماعهم واشارة
الى الموجب للنهي وعلة الامتناع عن متابعتهم واستجهال لهم وبيان لمبدا ضلالهم
وان ما هم عليه هوى وليس بهدى وتنبيه لمن تحرى الحق على ان يتبع الحجة ولا يقلد
قد ضللت اذا اي ان اتبعت اهواءكم فقد ضللت وما انا من المهتدين اي في شيء
من الهدى حتى اكون من عدادهم وفيه تعريض بانهم كذلك قل اني على بينة تنبيه على
ما يجب اتباعه بعد ما بين ما لا يجوز اتباعه والبينة الدلالة الواضحة التي
تفصل الحق عن الباطل وقيل المراد بها القرآن والوحي او الحجج العقلية او ما يعمهما
من ربي من معرفته وانه لا معبود سواه ويجوز ان يكون صفة لبينة وكذبتم به
الضمير لربي اي كذبتم به حيث اشركتم به غيره او للبينة باعتبار المعنى ما عندي ما
تستعجلون به يعني العذاب الذي استعجلوه بقولهم فامطر علينا حجارة من السماء
او ائتنا بعذاب اليم ان الحكم الا لله في تعجيل العذاب وتاخيره يقضي الحق اي القضاء
الحق او يصنع الحق ويدبره من قولهم قضى الدرع اذا صنعها فيما يقضي من تعجيل او
تاخير واصل القضاء الفصل بتمام الامر واصل الحكم المنع فكانه منع الباطل
وقرا ابن كثير ونافع وعاصم يقص من قص الاثر او قص الخبر وهو خير الفاصلين
القاضين قل لو ان عندي اي في قدرتي ومكنتي ما تستعجلون به من العذاب لقضي
الامر بيني وبينكم لاهلكتكم عاجلا غضبا لربي وانقطع ما بيني وبينكم والله اعلم

بالظالمين في معنى الاستدراك كانه قال ولكن الامر الى الله وهو اعلم بمن ينبغي ان يمهل
منهم وعنده مفاتح الغيب خزائنه جمع مفتح بفتح الميم وهو المخزن او ما يتوصل به الى
المغيبات مستعار من المفاتح الذي هو جمع مفتح بالكسر وهو المفتاح ويؤيده
انه قرئ مفاتيح والمعنى انه المتوصل الى المغيبات المحيط علمه بها لا يعلمها الا هو
فيعلم اوقاتها وما في تعجيلها وتاخيرها من الحكم فيظهرها على ما اقتضته حكمته
وتعلقت به مشيته وفيه دليل على انه تعالى يعلم الاشياء قبل وقوعها ويعلم
ما في البر والبحر عطف للاخبار عن تعلق علمه بالمشاهدات على الاخبار عن اختصاص
العلم بالمغيبات وما تسقط من ورقة الا يعلمها مبالغة في احاطة علمه بالجزئيات
ولا حبة في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس معطوفات على ورقة وقوله الا في كتاب
مبين بدل من الاستثناء الاول بدل الكل على ان الكتاب المبين علم الله او بدل
الاشتمال ان اريد به اللوح وقرئت بالرفع للعطف على محل من ورقة او رفعا على الابتداء
والخبر الا في كتاب مبين وهو الذي يتوفاكم بالليل ينيمكم فيه ويراقبكم
استعير التوفي من الموت للنوم لما بينهما من المشاركة في زوال الاحساس
والتمييز فان اصله قبض الشيء بتمامه ويعلم ما جرحتم بالنهار كسبتم فيه
خص الليل بالنوم والنهار بالكسب جريا على العادة ثم يبعثكم يوقظكم اطلق
البعث ترشيحا للتوفي فيه في النهار ليقضى اجل مسمى ليبلغ المتيقظ آخر اجله
المسمى له في الدنيا ثم اليه مرجعكم بالموت ثم ينبئكم بما كنتم تعملون بالمجازاة
عليه وقيل الآية خطاب للكفرة والمعنى انكم ملقون كالجيف بالليل وكاسبون
للآثام بالنهار وانه تعالى مطلع على اعمالكم يبعثكم من القبور في شان ذلك
الذي قطعتم به اعماركم من النوم بالليل وكسب الآثام بالنهار الذي سماه
وضربه لبعث الموتى وجزائهم على اعمالهم ثم اليه مرجعكم بالحساب ثم ينبئكم
بما كنتم تعملون بالجزاء وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة ملائكة
تحفظ اعمالكم وهم الكرام الكاتبون والحكمة فيه ان المكلف اذا علم ان اعماله
تكتب عليه وتعرض على رؤوس الاشهاد كان ازجر عن المعاصي وان العبد اذا وثق
بلطف سيده واعتمد على عفوه وستره لم يحتشم منه احتشامه من خدمه
المطلعين عليه حتى اذا جاء احدكم الموت توفته رسلنا ملك الموت واعوانه
وقرا حمزة توفاه بالالف ممالة وهم لا يفرطون بالتواني والتاخير وقرئ
بالتخفيف والمعنى لا يجاوزون ما حد لهم بزيادة او نقصان ثم ردوا الى الله الى
حكمه وجزائه مولاهم الذي يتولى امرهم الحق العدل الذي لا يحكم الا بالعدل

وقرئ بالنصب على المدح ألا له الحكم يومئذ لا حكم لغيره فيه وهو أسرع
الحاسبين يحاسب الخلق في مقدار حلب شاة لا يشغله حساب عن حساب قل من
ينجيكم من ظلمات البر والبحر من شدائدهما استعيرت الظلمة للشدة لمشاركتهما
في الهول وإبطال الإبصار فقيل لليوم الشديد يوم مظلم ويوم ذو كواكب أو من
الخسف في البر والغرق في البحر وقرأ يعقوب ينجيكم بالتخفيف والمعنى واحد تدعونه
تضرعا وخفية معلنين ومسرين أو إعلانا وإسرارا وقرئ خفية بالكسر
لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين على إرادة القول أي يقولون لئن
أنجيتنا وقرأ الكوفيون لئن أنجانا ليوافق قوله تدعونه وهذه إشارة
إلى الظلمة قل الله ينجيكم منها شدده الكوفيون وخففه الباقون ومن كل كرب
غم سواه ثم أنتم تشركون تعودون إلى الشرك ولا توفون بالعهد وإنما وضع
تشركون موضع لا تشكرون تنبيها على أن من أشرك في عبادة الله فكأنه
لم يعبده رأسا قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم كما فعل
بقوم نوح ولوط وأصحاب الفيل أو من تحت أرجلكم كما أغرق فرعون وخسف
بقارون وقيل من فوقكم أكابركم وحكامكم ومن تحت أرجلكم سفلتكم وعبيدكم
أو يلبسكم يخلطكم شيعا فرقا متحزبين على أهواء شتى فينشب القتال بينكم قال
وكتيبة لبستها بكتيبة حتى إذا التبست نفضت لها يدي ويذيق بعضكم
بأس بعض يقاتل بعضكم بعضا انظر كيف نصرف الآيات بالوعد والوعيد لعلهم
يفقهون وكذب به قومك أي بالعذاب أو بالقرآن وهو الحق الواقع لا محالة أو
الصدق قل لست عليكم بوكيل وكل إلى أمركم فأمنعكم من التكذيب فأجازيكم
إنما أنا منذر والله الحفيظ لكل نبأ خبر يريد به إنباء العذاب أو الإيعاد
به مستقر وقت استقرار ووقوع وسوف تعلمون عند وقوعه في الدنيا أو في
الآخرة وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا بالتكذيب والاستهزاء بها و
الطعن فيها فأعرض عنهم فلا تجالسهم وقم عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره
أعاد الضمير على معنى الآيات لأنها القرآن وإما ينسينك الشيطان بأن
يشغلك بوسوسته حتى تنسى النهي وقرأ ابن عامر ينسينك بالتشديد فلا
تقعد بعد الذكرى بعد أن تذكره مع القوم الظالمين أي معهم فوضع الظاهر
موضعه دلالة على أنهم ظلموا بوضع التكذيب والاستهزاء موضع التصديق
والاستعظام وما على الذين يتقون وما يلزم المتقين من قبائح أعمالهم وأوزارهم
الذين يجالسونهم من حسابهم من شيء شيء مما يحاسبون عليه ولكن ذكرى

ولكن عليهم أن يذكروهم ذكرى ويمنعوهم عن الخوض وغيره من القبائح ويظهروا
كراهتها وهو يحتمل النصب على المصدر والرفع على ولكن عليهم ذكرى ولا يجوز
عطفه على محل من شيء لأن من حسابهم يأباه ولا على شيء لذلك ولأن من لا تزاد
بعد الإثبات لعلهم يتقون يجتنبون ذلك حياء أو كراهة لمساءتهم ويحتمل أن
يكون الضمير للذين يتقون والمعنى لعلهم يثبتون على تقواهم ولا تنثلم بمجالستهم
روي أن المسلمين قالوا لئن كنا نقوم كلما استهزؤوا بالقرآن لم نستطع أن
نجلس في المسجد ونطوف فنزلت وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا أي
بنوا أمر دينهم على التشهي وتدينوا بما لا يعود عليهم بنفع عاجلا وآجلا كعبادة
الأصنام وتحريم البحائر والسوائب أو اتخذوا دينهم الذي كلفوه لعبا ولهوا
حيث سخروا به أو جعلوا عيدهم الذي جعل ميقات عبادتهم زمان لهو ولعب
والمعنى أعرض عنهم ولا تبال بأفعالهم وأقوالهم ويجوز أن يكون تهديدا لهم كقوله
ذرني ومن خلقت وحيدا ومن جعله منسوخا بآية السيف حمله على الأمر
بالكف عنهم وترك التعرض لهم وغرتهم الحياة الدنيا حتى أنكروا البعث وذكر به
أي بالقرآن أن تبسل نفس بما كسبت مخافة أن تسلم إلى الهلاك وترهن بسوء
عملها وأصل الإبسال والبسل المنع ومنه أسد باسل لأن فريسته لا تفلت
منه والباسل الشجاع لامتناعه من قرنه وهذا بسل عليك أي حرام ليس
لها من دون الله ولي ولا شفيع يدفع عنها العذاب وإن تعدل كل عدل وإن
تفد كل فداء والعدل الفدية لأنها تعادل المفدي وههنا الفداء وكل
نصب على المصدر لا يؤخذ منها الفعل مسند إلى منها لا إلى ضميره بخلاف
قوله ولا يؤخذ منها عدل فإنه المفدى به أولئك الذين أبسلوا بما كسبوا
أي سلموا إلى العذاب بسبب أعمالهم القبيحة وعقائدهم الزائغة لهم شراب
من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون تأكيد وتفصيل لذلك والمعنى هم بين ماء
مغلي يتجرجر في بطونهم ونار تشتعل بأبدانهم بسبب كفرهم قل أندعو أنعبد
من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا ما لا يقدر على نفعنا وضرنا ونرد على
أعقابنا ونرجع إلى الشرك بعد إذ هدانا الله فأنقذنا منه ورزقنا الإسلام
كالذي استهوته الشياطين كالذي ذهبت به مردة الجن إلى المهامه استفعال
من هوى يهوي هويا إذا ذهب وقرأ حمزة استهواه بالألف ممالة ومحل
الكاف النصب على الحال من فاعل نرد أي مشبهين الذي استهوته أو على المصدر
أي ردا مثل رد الذي استهوته في الأرض حيران متحيرا ضالا عن الطريق

له اصحاب لهذا المستهوي اجابة يدعونه الى الهدى اي ليهدوه الطريق
او الى الطريق المستقيم وسماه هدى تسمية للمفعول بالمصدر ائتنا يقولون
ائتنا قل ان هدى الله الذي هو الاسلام هو الهدى وحده وما عداه ضلال
وامرنا لنسلم لرب العالمين من جملة المقول عطف على ان هدى الله واللام لتعليل
الامر اي امرنا بذلك لنسلم وقيل هي بمعنى الباء وقيل هي زايدة وان اقيموا الصلوة
واتقوه عطف على لنسلم اي للاسلام ولاقامة الصلوة او على موقعه كانه
قيل وامرنا ان نسلم وان اقيموا روي عن عبد الرحمن بن ابي بكر دعا اباه الى
عبادة الاوثان فنزلت وعلى هذا كان امر الرسول بهذا القول اجابة عن
الصديق وتعظيما لشانه واظهارا للاتحاد الذي كان بينهما وهو الذي
اليه تحشرون يوم القيمة وهو الذي خلق السموات والارض بالحق قايما بالحق
والحكمة ويوم يقول كن فيكون قوله الحق جملة اسمية قدم فيها الخبر اي قوله
الحق يوم يقول كقولك القتال يوم الجمعة والمعنى انه الخالق للسموات والارض
وقوله الحق نافذ في الكاينات وقيل يوم منصوب بالعطف على السموات او على
الهاء في واتقوه او بمحذوف دل عليه بالحق وقوله الحق مبتدا وخبر او فاعل
يكون على معنى وحين يقول لقوله الحق اي لقضائه كن فيكون والمراد به حين
يكون الاشياء ويحدثها او حين تقوم القيمة فيكون التكوين حشر الاموات
واحياءها وله الملك يوم ينفخ في الصور كقوله لمن الملك اليوم لله الواحد
القهار عالم الغيب والشهادة اي هو عالم الغيب وهو الحكيم الخبير كالفذلكة
للاية واذ قال ابراهيم لابيه آزر هو عطف بيان لابيه وفي كتب التواريخ ان
اسمه تارخ فقيل هما علمان له كاسرائيل ويعقوب وقيل العلم تارخ وآزر
وصف معناه الشيخ او المعوج ولعل منع صرفه لانه اعجمي حمل على موازنه او
نعت مشتق من الازر او الوزر والاقرب انه اعجمي على فاعل كعابر وشالخ وقيل
اسم صنم يعبده فلقب به للزوم عبادته او اطلق عليه بحذف المضاف
وقيل المراد به الصنم ونصبه بفعل مضمر يفسره ما بعده اي اتعبد آزر ثم قال
اتتخذ اصناما آلهة تفسيرا وتقريرا ويدل عليه انه قرئ اازرا تتخذ اصناما
بفتح همزة آزر وكسرها وهو اسم صنم وقرئ يعقوب بالضم على النداء وهو
يدل على انه علم اني اراك وقومك في ضلال عن الحق مبين ظاهر الضلالة وكذلك
نري ابراهيم ومثل هذا التبصير نبصره وهو حكاية حال ماضية وقرئ
بالتاء ورفع الملكوت ومعناه تبصره دلايل الربوبية ملكوت السموات

والارض

والارض ربوبيتها وملكها وقيل عجايبها وبدايعها والملكوت اعظم الملك
والتاء فيه للمبالغة وليكون من الموقنين اي ليستدل وليكون او وفعلنا ذلك
ليكون فلما جن عليه الليل رأى كوكبا تفصيل وبيان لذلك وقيل
عطف على قال ابراهيم وكذلك نري اعتراض فان اباه وقومه كانوا يعبدون
الاصنام والكواكب فاراد ان ينبههم على ضلالتهم ويرشدهم الى الحق من طريق
النظر والاستدلال وجن عليه الليل ستره بظلامه والكوكب كان الزهرة او
المشتري وقوله هذا ربي على سبيل الوضع فان المستدل على فساد قول يحكيه
على ما يقوله الخصم ثم يكر عليه بالافساد او على وجه النظر والاستدلال وانما
قاله زمان مراهقته او اول اوان بلوغه فلما افل اي غاب قال لا احب الآفلين
فضلا عن عبادتهم فان الانتقال والاحتجاب بالاستتار يقتضي الامكان والحدوث
وينافي الالوهية فلما رأى القمر بازغا مبتديا في الطلوع قال هذا ربي فلما افل
قال لئن لم يهدني ربي لاكونن من القوم الضالين استعجز نفسه واستعان بربه
في درك الحق فانه لا يهتدي اليه الا بتوفيقه ارشادا لقومه وتنبيها لهم على
ان القمر ايضا لتغير حاله لا يصلح للالوهية وان من اتخذه الها فهو ضال
فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي ذكر اسم الاشارة لتذكير الخبر وصيانة للرب
عن شبهة التانيث هذا اكبر كبره استدلالا او اظهارا لشبهة الخصم فلما افلت
قال يا قوم اني بريء مما تشركون من الاجرام المحدثة المحتاجة الى محدث يحدثها
ومخصص يخصصها ثم لما تبرا عنها توجه الى موجدها ومبدعها الذي دلت هذه
الممكنات عليه فقال اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا وما
انا من المشركين وانما احتج بالافول دون البزوغ مع انه ايضا انتقال لتعدد
دلالته ولانه رأى الكوكب الذي يعبدونه في وسط السماء حين حاول الاستدلال
وحاجه قومه وخاصموه في التوحيد قال اتحاجوني في الله في وحدانيته وقرأ
نافع وابن عامر بتخفيف النون وقد هدان الى التوحيد ولا اخاف ما تشركون
به اي لا اخاف معبوداتكم في وقت لانها لا تضر بنفسها ولا تنفع الا ان يشاء ربي
شيئا ان يصيبني بمكروه من جهتها ولعله جواب لتخويفهم اياه من آلهتهم و
تهديد لهم بعذاب الله وسع ربي كل شيء علما كانه علة الاستثناء اي احاط به
علما فلا يبعد ان يكون في علمه ان يحيق بي مكروه من جهتها افلا تتذكرون
فتميزوا بين الصحيح والفاسد والقادر والعاجز وكيف اخاف ما اشركتم و
لا يتعلق به ضرر ولا تخافون انكم اشركتم بالله وهو حقيق بان يخاف منه كل

الخوف لانه اشراك للمصنوع بالصانع وتسويه بين المقدور العاجز بالقادر
الضار النافع ما لم ينزل به عليكم سلطانا ما لم ينزل باشراكه كتابا او لم ينصب
عليه دليلا فاي الفريقين احق بالامن اي الموحدون او المشركون وانما لم يقل
اينا انا ام انتم احترازا عن تزكية نفسه ان كنتم تعلمون ما يحق ان يخاف منه
الذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك لهم الامن وهم مهتدون استينا منه
او من الله بالجواب عما استفهم عنه والمراد بالظلم ههنا الشرك لما روي ان الاية
لما نزلت شق ذلك على الصحابة وقالوا اينا لم يظلم نفسه فقال عم ليس ما تظنون
انما هو ما قال لقمان لابنه يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم وليس الايمان
به ان يصدق بوجود الصانع الحكيم ويخلط بهذا التصديق الاشراك به وقيل
المعصية وتلك اشارة الى ما احتج به ابراهيم على قومه من قوله فلما جن الى قوله
وهم مهتدون او من قوله اتحاجوني اليه حجتنا اتيناها ابراهيم ارشدناه اليها
او علمناه اياها على قومه متعلق بحجتنا ان جعل خبر تلك وبمحذوف ان جعل بدله
اي اتينا ابراهيم حجة على قومه نرفع درجات من نشاء في العلم والحكمة وقرا
الكوفيون ويعقوب بالتنوين ان ربك حكيم في رفعه وخفضه عليم بحال من رفعه
واستعداده له ووهبنا له اسحق ويعقوب كلا هدينا اي كلا منهما ونوحا هدينا
من قبل اي من قبل ابراهيم عد هدايته نعمة على ابراهيم من حيث انه ابوه وشرف
الوالد يتعدى الى الولد ومن ذريته الضمير لابراهيم اذ الكلام فيه وقيل
لنوح لانه اقرب ولان يونس ولوطا ليسا من ذرية ابراهيم فلو كان لابراهيم
اختص البيان بالمعدودين في تلك الاية والتي بعدها والمذكورون في الاية
الثالثة عطف على نوحا داود وسليمان وايوب ايوب بن اموص من اسباط
عيصا بن اسحق ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزي المحسنين اي نجزي المحسنين
جزاء مثل ما جزينا ابراهيم برفع درجاته وكثرة اولاده والنبوة فيهم وزكريا
ويحيى وعيسى هو ابن مريم وفي ذكره دليل على ان الذرية تتناول اولاد البنت و
الياس قيل هو ادريس جد نوح فيكون البيان مخصوصا بمن في الاية الاولى وقيل
هو من اسباط هارون اخي موسى كل من الصالحين الكاملين في الصلاح وهو
الاتيان بما ينبغي والتحرز عما لا ينبغي واسمعيل واليسع هو اليسع بن اخطوب
وقرا حمزة والكسائي والليسع وعلى القراءتين علم اعجمي ادخل عليه اللام كما
ادخل على اليزيد في قوله رايت الوليد بن اليزيد مباركا شديدا باحناء الخلافة
كاهله ويونس هو يونس بن متي ولوطا هو لوط بن هاران بن اخي ابراهيم

وكلا فضلنا على العالمين بالنبوة وفيه دليل فضلهم على من عداهم من الخلق
ومن ابائهم وذرياتهم واخوانهم عطف على كلا او نوحا اي فضلنا كلا منهم او
هدينا هؤلاء وبعض ابائهم وذرياتهم واخوانهم فان منهم من لم يكن نبيا ولا
مهديا واجتبيناهم عطف على فضلنا او هدينا وهديناهم الى صراط مستقيم
تكرير لبيان ما هدوا اليه ذلك هدى الله اشارة الى ما دانوا به يهدي به من
يشاء من عباده دليل انه متفضل بالهداية ولو اشركوا اي ولو اشرك هؤلاء
الانبياء مع فضلهم وعلو شانهم لحبط عنهم ما كانوا يعملون لكانوا كغيرهم في
حبوط اعمالهم بسقوط ثوابها اولئك الذين اتيناهم الكتاب يريد به الجنس
والحكم الحكمة او فصل الامر على ما يقتضيه الحق والنبوة والرسالة فان يكفر بها
اي بهذه الثلاثة هؤلاء يعني قريشا فقد وكلنا بها اي بمراعاتها قوما ليسوا بها
بكافرين وهم الانبياء المذكورون ومتابعوهم وقيل هم الانصار او اصحاب
النبي او كل من امن به او الفرس وقيل الملائكة اولئك الذين هدى الله يريد
الانبياء المتقدم ذكرهم فبهداهم اقتده فاختص طريقهم بالاقتداء والمراد
بهداهم ما توافقوا عليه من التوحيد واصول الدين دون الفروع المختلف
فيها فانها ليست هدى مضافا الى الكل ولا يمكن التاسي بهم جميعا فليس فيه
دليل على انه عم متعبد بشرع من قبله والهاء في اقتده للوقف ومن اثبتها في الدرج
ساكنة كابن كثير ونافع وابي عمرو وعاصم اجرى الوصل مجرى الوقف وحركها
ابن عامر على انه كناية المصدر قل لا اسئلكم عليه اي على التبليغ او القران
اجرا جعلا من جهتكم كما لم يسئل من قبلي من النبيين وهذا من جملة ما امر بالاقتداء
بهم فيه ان هو اي التبليغ او القران او الغرض الا ذكرى للعالمين الا تذكيرا و
عظة لهم وما قدروا الله حق قدره وما عرفوه حق معرفته في الرحمة والانعام
على العباد اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شيء حين انكروا الوحي وبعثة الانبياء
وذلك من عظائم رحمته وجلائل نعمته او في السخط على الكفار وشدة البطش
بهم حين جسروا على هذه المقالة والقائلون هم اليهود قالوا ذلك مبالغة
في انكار انزال القران بدليل نقض كلامهم والزامهم بقوله قل من انزل الكتاب
الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس وقراءة الجمهور تجعلونه قراطيس تبدونها
وتخفون كثيرا بالتاء وانما قرا بالياء ابن كثير وابو عمرو حملا على قالوا
وما قدروا وتضمن ذلك توبيخهم على سوء حملهم للتورية وذمهم على تجزئتها
بابداء بعض انتخبوه وكتبوه في ورقات متفرقة واخفاء بعض لا يشتهونه

روي ان مالك بن الصيف قاله لما اغضبه الرسول بقوله انشدك بالذي انزل
التورية على موسى هل تجد فيها ان الله يبغض الحبر السمين فانت الحبر السمين
وقيل هم المشركون والزامهم بانزال التورية لانه كان من المشهورات الذايعة
عندهم ولذلك كانوا يقولون لو انا انزل علينا الكتاب لكنا اهدى منهم وعلمتم
على لسان محمد ما لم تعلموا انتم ولا اباؤكم زيادة على ما في التورية وبيانا
لما التبس عليكم وعلى ابائكم الذين كانوا اعلم منكم ونظيره ان هذا القران
يقص على بني اسرائيل اكثر الذي هم فيه يختلفون وقيل الخطاب لمن امن من قريش
قل الله اي انزله الله او الله انزله امره بان يجيب عنهم اشعارا بان الجواب متعين
لا يمكن غيره وتنبيها على انهم بهتوا بحيث لا يقدرون على الجواب ثم ذرهم في
خوضهم في اباطيلهم فلا عليك بعد التبليغ والزام الحجة يلعبون حال من هم
الاول والظرف صلة ذرهم او يلعبون او حال من المفعول او فاعل يلعبون
او من هم الثاني والظرف متصل بالاول وهذا كتاب انزلناه مبارك كثير الفائدة
والنفع مصدق الذي بين يديه يعني التورية اي الكتب التي قبله ولتنذر
ام القرى عطف على ما دل عليه مبارك اي للبركات ولتنذر او علة محذوف اي
ولتنذر اهل ام القرى انزلناه وانما سميت مكة بذلك لانها قبلة اهل القرى
ومحجهم ومجتمعهم واعظم القرى شانا وقيل لان الارض دحيت من تحتها او لانها
مكانا اول بيت وضع للناس وقرا ابو بكر عن عاصم بالياء اي ولينذر الكتاب
ومن حولها اهل الشرق والغرب والذين يؤمنون بالاخرة يؤمنون به وهم على
صلوتهم يحافظون فان من صدق بالاخرة خاف العاقبة ولا يزال الخوف يحمله
على النظر والتدبر حتى يؤمن بالنبي والكتاب والضمير يحتملهما ويحافظ على
الطاعة وتخصيص الصلوة لانها عماد الدين وعلم الايمان ومن اظلم ممن
افترى على الله كذبا فزعم انه بعثه نبيا كمسيلمة والاسود العنسي او اختلق
عليه احكاما كعمرو بن لحي ومتابعيه او قال اوحي الي ولم يوح اليه شيء كعبد الله
بن سعد بن ابي سرح كان يكتب لرسول الله عم فلما نزلت ولقد خلقنا الانسان من سلالة
من طين فلما بلغ قوله انشاناه خلقا اخر قال عبد الله تبارك الله احسن
الخالقين تعجبا من تفصيل خلق الانسان فقال عم اكتبها فكذلك نزلت فشك
عبد الله قال لئن كان محمد صادقا لقد اوحي الي كما اوحي اليه ولئن كان كاذبا
لقد قلت كما قال ومن قال سانزل مثل ما انزل الله كالذين قالوا لو نشاء لقلنا
مثل هذا ولو ترى اذ الظالمون حذف مفعوله لدلالة الظرف عليه اي ولو ترى

الظالمين في غمرات الموت شدائده من غمره الماء اذا غشيه والملائكة باسطوا
ايديهم بقبض ارواحهم كالمتقاضي المتسلط او بالعذاب اخرجوا انفسكم اي
قائلين لهم اخرجوها الينا من اجسادكم تغليظا وتعنيفا عليهم او اخرجوها من العذاب و
خلصوها من ايدينا اليوم يريد به وقت الاماتة الى ما لا نهاية له تجزون عذاب
الهون اي الهوان يريد العذاب المتضمن لشدة واهانة فاضافته الى الهون
لعراقته وتمكنه فيه بما كنتم تقولون على الله غير الحق كادعاء الولد والشريك
له ودعوى النبوة والوحي كاذبا وكنتم عن اياته تستكبرون فلا تتاملون
فيها ولا تؤمنون ولقد جئتمونا للحساب والجزاء فرادى منفردين عن الاموال
والاولاد وساير ما اثرتموه من الدنيا او عن الاعوان والاوثان التي زعمتم
انها شفعاؤكم وهو جمع فرد والالف للتانيث ككسالى وقرئ فرادا كرخال
وفراد كثلاث وفردى كسكرى كما خلقناكم اول مرة بدل منه اي على الهيئة التي
ولدتم عليها في الانفراد او حال ثانية ان جوز التعدد فيها او حال من
الضمير في فرادى اي مشبهين ابتداء خلقكم عراة حفاة غرلا بهما او صفة
مصدر جئتمونا اي مجيئا كخلقنا لكم وتركتم ما خولناكم ما تفضلنا به عليكم
في الدنيا فشغلتم به عن الاخرة وراء ظهوركم ما قدمتم منه شيئا ولم تحملوا
نقيرا وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم انهم فيكم شركاء اي شركاء الله في
ربوبيتكم واستحقاق عبادتكم لقد تقطع بينكم اي تقطع وصلكم وتشتت جمعكم
والبين من الاضداد يستعمل للفصل والوصل وقيل هو الظرف اسند اليه
الفعل على الاتساع والمعنى وقع التقطع بينكم ويشهد له قراءة نافع والكسائي
وحفص عن عاصم بالنصب على اضمار الفاعل لدلالة ما قبله عليه او اقيم مقام
موصوفه واصله لقد تقطع ما بينكم وقد قرئ به وضل عنكم بطل وضاع
ما كنتم تزعمون انها شفعاؤكم او ان لا بعث ولا جزاء ان الله فالق الحب والنوى
بالنبات والشجر وقيل المراد به الشقاق الذي في الحنطة والنواة يخرج
الحي من الميت يريد به ما ينمو من الحيوان والنبات ليطابق ما قبله من الميت مما لا ينمو
كالنطفة والحب ومخرج الميت من الحي ومخرج ذلك من الحيوان والنبات ذكره بلفظ
الاسم حملا على فالق الحب فان قوله يخرج الحي واقع موقع البيان له ذلكم
الله اي ذلكم المحيي المميت هو الذي يحق له العبادة فانى تؤفكون تصرفون عنه
الى غيره فالق الاصباح شاق عمود الصبح عن ظلمة الليل او عن بياض النهار
او شاق ظلمة الاصباح وهو الغبش الذي يليه والاصباح في الاصل

ان

مصدر اصبح اذا دخل في الصبح سمي به الصبح وقرئ بفتح الهمزة على الجمع وقرئ فالق بالنصب على المدح وجاعل الليل سكنا يسكن اليه التعب بالنهار لاستراحته فيه من سكن اليه اذا اطمان اليه استئناسا به او يسكن فيه الخلق من قوله لتسكنوا فيه ونصبه بفعل دل عليه جاعل فانه في معنى الماضي ويدل عليه قراءة الكوفيين وجعل الليل حملا على معنى المعطوف عليه فان فالق بمعنى فلق ولذلك قرئ به او به على ان المراد به جعل مستمر في الازمنة المختلفة وعلى هذا يجوز ان يكون والشمس والقمر عطفا على محل الليل ويشهد له قراءتهما بالجر والاحسن نصبهما بجعل مقدرا وقرئ بالرفع على الابتداء والخبر محذوف اي مجعولان حسبانا اي على ادوار مختلفة تحسب بها الاوقات ويكونان علمي الحسبان وهو مصدر حسب بالفتح كما ان الحسبان بالكسر مصدر حسب وقيل جمع حساب كشهاب وشهبان ذلك اشارة الى جعلهما حسبانا اي ذلك التسيير بالحساب المعلوم تقدير العزيز الذي قهرهما وسيرهما على الوجه المخصوص العليم بتدبيرهما والانفع من التداوير الممكنة لهما وهو الذي جعل لكم النجوم خلقها لكم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر في ظلمات الليل في البر والبحر واضافتها اليهما للملابسة او في مشتبهات الطرق وسماها ظلمات على الاستعارة وهو افراد لبعض منافعها بالذكر بعدما اجملها بقوله لكم قد فصلنا الايات بيناها فصلا فصلا لقوم يعلمون فانهم المنتفعون به وهو الذي انشاكم من نفس واحدة وهو ادم فمستقر ومستودع اي فلكم استقرار في الاصلاب او فوق الارض واستيداع في الارحام او تحت الارض او موضع استقرار واستيداع وقرا ابن كثير والبصريان بكسر القاف على انه اسم فاعل والمستودع اسم مفعول اي فمنكم قار ومنكم مستودع لان الاستقرار منا دون الاستيداع قد فصلنا الايات لقوم يفقهون ذكر مع ذكر النجوم يعلمون لان امرها ظاهر ومع ذكر تخليق بني ادم يفقهون لان انشاءهم من نفس واحدة وتصريفهم بين احوال المختلفة دقيق غامض يحتاج الى استعمال الفطنة وتدقيق نظر وهو الذي انزل من السماء ماء من السحاب او من جانب السماء فاخرجنا على تلوين الخطاب به بالماء نبات كل شيء نبت كل صنف من النبات والمعنى اظهار القدرة في انبات الانواع المختلفة المفننة بماء واحد كما في قوله يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل فاخرجنا منه من النبات او الماء خضرا شيئا اخضر يقال اخضر وخضر كاعور وعور وهو الخارج من الحبة المتشعب نخرج منه من الخضر حبا متراكبا وهو

السنبل ومن النخل من طلعها قنوان واخرجنا من النخل نخلا من طلعها قنوان او من النخل شيء من طلعها قنوان ويجوز ان يكون من النخل خبر قنوان ومن طلعها بدل منه والمعنى وحاصلة من طلع النخل قنوان وهو الاعذاق جمع قنو كصنوان جمع صنو وقرئ بضم القاف كذئب وذؤبان وبفتحها على انه اسم جمع اذ ليس فعلان من ابنية الجمع دانية قريبة من المتناول او ملتفة قريب بعضها من بعض وانما اقتصر على ذكرها عن مقابلها لدلالتها عليه وزيادة النعمة فيها وجنات من اعناب عطف على نبات كل شيء وقرئ بالرفع على الابتداء اي ولكم او وثم جنات او ومن الكرم جنات ولا يجوز عطفه على قنوان اذ العنب لا يخرج من النخل والزيتون والرمان ايضا عطف على نبات او نصب على الاختصاص لعزة هذين الصنفين عندهم مشتبها وغير متشابه حال من الرمان او من الجميع اي بعض ذلك متشابه وبعضه غير متشابه في الهيئة واللون والقدر والطعم انظروا الى ثمره اي ثمر كل واحد من ذلك وقرا حمزة والكسائي بضم الثاء والميم وهو جمع ثمرة كخشبة وخشب او ثمار ككتاب وكتب اذا اثمر اذا اخرج ثمره كيف يثمر ضئيلا لا يكاد ينتفع به وينعه والى حال نضجه كيف يعود ضخما ذا نفع ولذة وهو في الاصل مصدر ينعت الثمرة اذا ادركت وقيل جمع يانع كتاجر وتجر وقرئ بالضم وهو لغة فيه ويانعه ان في ذلكم لايات لقوم يؤمنون اي لايات على وجود القادر الحكيم وتوحيده فان حدوث الاجناس المختلفة والانواع المفننة من اصل واحد ونقلها من حال الى حال لا يكون الا باحداث قادر يعلم تفاصيلها ويرجح ما تقتضيه حكمته مما يمكن من احوالها ولا يعوقه عن فعله ند يعارضه او ضد يعانده ولذلك عقبه بتوبيخ من اشرك به والرد عليه فقال وجعلوا لله شركاء الجن اي الملائكة بان عبدوهم وقالوا الملائكة بنات الله وسماهم جنا لاجتنانهم تحقيرا لشانهم او الشياطين لانهم اطاعوهم كما اطاعوا الله او عبدوا الاوثان بتسويلهم وتحريضهم او قالوا الله خالق الخير وكل نافع والشيطان خالق الشر وكل ضار كما هو راي الثنوية ومفعولا جعل لله شركاء والجن بدل من شركاء او شركاء الجن ولله متعلق بشركاء او حال منه وقرئ الجن بالرفع كانه قيل من هم فقيل الجن وبالجر على الاضافة للتبيين وخلقهم حال من بتقدير قد والمعنى وقد علموا ان الله خالقهم دون الجن وليس من يخلق كمن لا يخلق وقرئ وخلقهم عطفا على الجن اي وما يخلقونه من الاصنام او على شركاء اي وجعلوا له اختلاقهم للافك حيث نسبوه اليه وخرقوا له افتعلوا وافتروا له وقرا نافع بتشديد

الراء وقرئ وحرّفوا اي زوّروا بنين وبنات فقالت اليهود عزير ابن الله وقالت
النصارى المسيح ابن الله وقالت العرب الملائكة بنات الله بغير علم من غير ان يعلموا
حقيقة ما قالوا ويروا عليه دليلا وهو في موضع الحال من الواو او المصدر اي
خرقا بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون وهو ان له شريكا او ولدا بديع السموات
والارض من اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها او الى الظرف كقولهم ثبت العذر
بمعنى انه عديم النظير فيهما وقيل معناه المبدع وقد سبق الكلام فيه ورفعه على
الخبر والمبتدا محذوف او على الابتداء وخبره انى يكون له ولد اي من اين او كيف
يكون له ولد ولم تكن له صاحبة يكون منها الولد وقرئ بالياء للفصل او لان
الاسم ضمير الله او ضمير الشان وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم لا يخفى عليه خافية
وانما لم يقل به لتطرق التخصيص الى الاول وفي الآية استدلال على نفي الولد من وجوه
الاول ان من مبدعاته السموات والارضين وهي مع انها ليست من جنس ما يوصف
بالولادة مبراة عنها لاستمرارها وطول مدتها فهو اولى بان يتعالى عنها او الثاني
ان المعقول من الولد ما يتولد من ذكر وانثى متجانسين والله تعالى منزه عن المجانسة
والثالث ان الولد كفو الوالد ولا كفو له لوجهين الاول ان كل ما عداه مخلوقه فلا
يكافئه والثاني انه لذاته عالم بكل المعلومات ولا كذلك غيره بالاجماع ذلكم اشارة
الى الموصوف بما سبق من الصفات وهو مبتدا الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شيء
اخبار مترادفة ويجوز ان يكون البعض بدلا او صفة والبعض خبرا فاعبدوه حكم
مسبب عن مضمونها فان من استجمع هذه الصفات استحق العبادة وهو على كل شيء
وكيل اي هو مع تلك الصفات متولي اموركم فكلوها اليه وتوسلوا بعبادته الى
انجاح مآربكم ورقيب على اعمالكم فيجازيكم عليها لا تدركه لا تحيط به الابصار جمع
بصر وهي حاسة النظر وقد يقال للعين من حيث انها محلها واستدل به المعتزلة
على امتناع الرؤية وهو ضعيف لانه ليس الادراك مطلق الرؤية ولا النفي في الآية
عاما في الاوقات فلعله مخصوص ببعض الحالات ولا في الاشخاص فانه في قوة
قولنا لا كل بصر يدركه مع ان النفي لا يوجب الامتناع وهو يدرك الابصار
يحيط علمه بها وهو اللطيف الخبير فيدرك ما لا تدركه الابصار كالابصار ويجوز
ان يكون من باب اللف اي لا تدركه الابصار لانه اللطيف وهو يدرك الابصار
لانه الخبير فيكون اللطيف مستعارا من مقابل الكثيف لما لا يدرك بالحاسة
ولا ينطبع فيها قد جاءكم بصائر من ربكم البصائر جمع بصيرة وهي للنفس
كالبصر للبدن سميت بها الدلالة لانها تجلي لها الحق وتبصرها فمن ابصر اي

ابصر الحق وآمن به فلنفسه ابصر لان نفعه لها ومن عمي عن الحق وضل فعليها
وباله وما انا عليكم بحفيظ وانما انا منذر والله هو الحفيظ عليكم يحفظ اعمالكم
ويجازيكم عليها وهذا كلام ورد على لسان الرسول عم وكذلك نصرف الآيات
ومثل ذلك التصريف نصرف الآيات وهو اجراء المعنى الدائر في المعاني المتعاقبة
من الصرف وهو نقل الشيء من حال الى حال وليقولوا درست اي وليقولوا
درست صرفنا واللام لام العاقبة والدرس القراءة والتعلم وقرأ ابن
كثير وابو عمرو دارست اي دارست اهل الكتاب وذاكرتهم وابن عامر ويعقوب درست من
الدروس اي قدمت هذه الآيات وعفت كقولهم اساطير الاولين وقرئ درست
بضم الراء مبالغة في درست ودرست على البناء للمفعول بمعنى قرئت او عفت و
دارست بمعنى درست او دارست اليهود محمدا وجاز اضمارهم بلا ذكر لشهرتهم
بالدراسة ودرسن اي عفون ودرسن اي درس محمد ودارسات اي قديمات
او ذات درس كقوله عيشة راضية ولنبينه واللام على اصله لان التبيين
مقصود التصريف والضمير للآيات باعتبار المعنى او للقرآن وان لم يذكر لكونه
معلوما او للمصدر لقوم يعلمون فانهم المنتفعون به اتبع ما اوحي اليك من ربك
بالتدين به لا اله الا هو اعتراض اكد به ايجاب الاتباع او حال مؤكدة من ربك
بمعنى منفردا في الالوهية واعرض عن المشركين ولا تحتفل باقوالهم ولا تلتفت الى
ارائهم ومن جعله منسوخا باية السيف حمل الاعراض على ما يعم الكف عنهم ولو
شاء الله توحيدهم وعدم اشراكهم ما اشركوا وهو دليل على انه لا يريد
ايمان الكافر وان مراده واجب الوقوع وما جعلناك عليهم حفيظا رقيبا وما
انت عليهم بوكيل تقوم بامرهم ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله اي ولا
تذكروا آلهتهم التي يعبدونها بما فيها من القبائح فيسبوا الله عدوا تجاوزا
عن الحق الى الباطل بغير علم على جهالة بالله وبما يجب ان يذكر به وقرأ يعقوب
عدوا يقال عدا فلان عدوا وعدوا وعداء وعدوانا روي انه عم كان يطعن
في آلهتهم فقالوا لتنتهين عن سب آلهتنا او لنهجون الهك فنزلت وقيل كان
المسلمون يسبونها فنهوا لئلا يكون سبهم سببا لسب الله وفيه دليل على ان
الطاعة اذا ادت الى معصية راجحة وجب تركها فان ما يؤدي الى الشر شر
كذلك زينا لكل امة عملهم من الخير والشر باحداث ما يمكنهم منه وحملهم عليه
توفيقا او تخذيلا ويجوز تخصيص العمل بالشر وكل امة بالكفرة لان الكلام فيهم
والمشبه به تزيين سب الله لهم ثم الى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون

بالمحاسبة والمجازاة عليه وأقسموا بالله جهد أيمانهم مصدر في موضع الحال والداعي لهم إلى هذا القسم والتأكيد فيه التحكم على الرسول في طلب الآيات واستحقار ما رأوا منها لئن جاءتهم آية من مقترحاتهم ليؤمنن بها قل إنما الآيات عند الله هو قادر عليها يظهر منها ما يشاء وليس شيء منها بقدرتي وإرادتي وما يشعركم وما يدريكم استفهام إنكار أنها أي الآية المقترحة إذا جاءت لا يؤمنون لا تدرون أنهم لا يؤمنون أنكر السبب مبالغة في نفي المسبب وفيه تنبيه على أنه تعالى إنما لم ينزلها لعلمه بأنها إذا جاءت لا يؤمنون بها وقيل لا مزيدة وقيل أن بمعنى لعل إذ قرئ لعلها وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وأبو بكر عن عاصم ويعقوب إنها بالكسر كأنه قال وما يشعركم ما يكون منهم ثم أخبرهم بما علم منهم والخطاب للمؤمنين فإنهم يتمنون مجيء الآية طمعا في إيمانهم فنزلت وقيل للمشركين إذ قرئ وما يشعرهم أنها إذا جاءتهم فيكون إنكارا لهم على حلفهم أي وما يشعرهم أن قلوبهم حينئذ لم تكن مطبوعة كما كانت عند نزول القرآن وغيره من الآيات فيؤمنوا ونقلب أفئدتهم وأبصارهم عطف على لا يؤمنون أي وما يشعركم أنا حينئذ نقلب أفئدتهم عن الحق فلا يفقهونه وأبصارهم فلا يبصرونه فلا يؤمنون بها كما لم يؤمنوا به أي بما أنزل من الآيات أول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون ندعهم متحيرين لا نهديهم هداية المؤمنين وقرئ ويقلب ويذرهم على الغيبة وتقلب على البناء للمفعول والإسناد إلى الأفئدة ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا كما اقترحوا فقالوا لولا أنزل علينا الملائكة فأتوا بآبائنا أو تأتي بالله والملائكة قبيلا وقبلا جمع قبيل بمعنى كفيل أي كفلاء بما بشروا به وأنذروا به أو جمع قبيل الذي هو جمع قبيلة بمعنى جماعات أو مصدر بمعنى مقابلة كقبلا وهو قراءة نافع وابن عامر وهو على الوجوه حال من كل وإنما جاز ذلك لعمومه ما كانوا ليؤمنوا لما سبق عليهم القضاء بالكفر إلا أن يشاء الله استثناء من أعم الأحوال أي لا يؤمنون في حال إلا حال مشيئة الله تعالى إيمانهم وقيل منقطع وهو حجة واضحة على المعتزلة ولكن أكثرهم يجهلون أنهم لو أوتوا بكل آية لم يؤمنوا فيقسموا بالله جهد أيمانهم على ما لا يشعرون ولذلك أسند الجهل إلى أكثرهم مع أن مطلق الجهل يعمهم أو ولكن أكثر المسلمين يجهلون أنهم لا يؤمنون فيتمنون نزول الآية طمعا في إيمانهم وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا أي كما جعلنا لك عدوا جعلنا لكل نبي سبقك عدوا وهو دليل على أن عداوة الكفرة للأنبياء

بفعل الله وخلقه شياطين الإنس والجن مردة الفريقين وهو بدل من عدوا أو أول مفعولي جعلنا وعدوا مفعوله الثاني ولكل متعلق به أو حال منه يوحي بعضهم إلى بعض يوسوس شياطين الجن إلى شياطين الإنس أو بعض الجن إلى بعض الإنس إلى بعض زخرف القول الأباطيل المموهة من زخرفه إذا زينه غرورا مفعول له أو مصدر في موضع الحال ولو شاء ربك ما فعلوه أي ما فعلوا ذلك يعني معاداة الأنبياء وإيحاء الزخارف ويجوز أن يكون الضمير للإيحاء أو الزخرف أو الغرور وهو أيضا دليل على المعتزلة فذرهم وما يفترون وكفرهم ولتصغى إليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة عطف على غرورا إن جعل علة أو متعلق بمحذوف أي وليكون ذلك جعلنا لكل نبي عدوا والمعتزلة لما اضطروا فيه قالوا اللام لام العاقبة أو لام القسم كسرت لما لم يؤكد الفعل بالنون أو لام الأمر وضعفه أظهر والصغو الميل والضمير لما له الضمير في فعلوه وليرضوه لأنفسهم وليقترفوا وليكتسبوا ما هم مقترفون من الآثام أفغير الله أبتغي حكما على إرادة القول أي قل لهم يا محمد أفغير الله أطلب من يحكم بيني وبينكم ويفصل المحق منا من المبطل وغير مفعول أبتغي وحكما حال منه ويحتمل عكسه وحكما أبلغ من حاكم ولذلك لا يوصف به غير العادل وهو الذي أنزل إليكم الكتاب القرآن المعجز مفصلا مبينا فيه الحق والباطل بحيث ينفي التخليط والالتباس وفيه تنبيه على أن القرآن بإعجازه وتقريره مغن عن سائر الآيات والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق تأييد لدلالة الإعجاز على أن القرآن حق منزل من عند الله يعلم أهل الكتاب به لتصديقه ما عندهم مع أنه لم يمارس كتبهم ولم يخالط علماءهم وإنما وصف بالعلم لأن أكثرهم يعلمون ومن لم يعلم فهو متمكن منه بأدنى تأمل وقيل المراد مؤمنو أهل الكتاب وقرأ ابن عامر منزل بالتشديد فلا تكونن من الممترين في أنهم يعلمون ذلك أو في أنه منزل لجحود أكثرهم وكفرهم به فيكون من باب التهييج كقوله ولا تكن من المشركين أو خطاب الرسول خطاب الأمة وقيل الخطاب لكل واحد على معنى أن الأدلة لما تعاضدت على صحته فلا ينبغي لأحد أن يمتري فيه وتمت كلمة ربك بلغت الغاية أخباره وأحكامه ومواعيده صدقا في الأخبار والمواعيد وعدلا في الأقضية والأحكام ونصبهما يحتمل التمييز والحال والمفعول له لا مبدل لكلماته لا أحد يبدل شيئا منها بما هو أصدق وأعدل أو لا أحد يقدر أن يحرفها شائعا ذائعا كما فعل بالتوراة على أن المراد بها القرآن فيكون ضمانا لها

من الله بالحفظ كقوله وانا له لحافظون او لا نبي ولا كتاب بعدها ينسخها و
يبدل احكامها وقرا الكوفيون ويعقوب كلمة ربك اي ما تكلم به او القران
وهو السميع لما يقولون العليم بما يضمرون فلا يهملهم وان تطع اكثر من في الارض
اي اكثر الناس يريد الكفار او الجهال او اتباع الهوى وقيل الارض ارض مكة يضلوك
عن سبيل الله عن الطريق الموصل اليه فان الضال في غالب الامر لا يامر الا بما فيه ضلال
ان يتبعون الا الظن وهو ظنهم ان اباءهم كانوا على الحق او جهالاتهم واراؤهم الفاسدة
فان الظن يطلق على ما يقابل العلم وان هم الا يخرصون يكذبون على الله فيما ينسبون
اليه كاتخاذ الولد وجعل عبادة الاوثان وصلة اليه وتحليل الميتة وتحريم
البحائر او يقدرون انهم على شيء وحقيقته ما يقال عن ظن وتخمين ان ربك هو
اعلم من يضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين اي اعلم بالفريقين ومن موصولة او
موصوفة في محل النصب بفعل دل عليه اعلم لا به فان افعل لا ينصب الظاهر في
مثل ذلك او استفهامية مرفوعة بالابتداء والخبر يضل والجملة معلق عنها الفعل
المقدر وقرئ من يضل اي يضله الله فيكون من منصوبة بالفعل المقدر او مجرورة
باضافة اعلم اليه اي اعلم المضلين من قوله من يضلل الله او من اضللته اذا وجدته
ضالا والتفضيل في العلم بكثرته واحاطته بالوجوه التي يمكن تعلق العلم بها
ولزومه وكونه بالذات لا بالغير فكلوا مما ذكر اسم الله عليه مسبب عن انكار
اتباع المضلين الذين يحرمون الحلال ويحللون الحرام والمعنى كلوا مما ذكر اسم الله
على ذبحه لا مما ذكر عليه اسم غيره او مات حتف انفه ان كنتم باياته مؤمنين
فان الايمان بها يقتضي استباحة ما احله الله واجتناب ما حرمه وما لكم الا
تاكلوا مما ذكر اسم الله عليه واي غرض لكم في ان تتحرجوا عن اكله وما يمنعكم
عنه وقد فصل لكم ما حرم عليكم مما لم يحرم بقوله حرمت عليكم الميتة والدم
وقرا ابن كثير وابو عمرو وابن عامر فصل على البناء للمفعول ونافع ويعقوب و
حفص حرم على البناء للفاعل الا ما اضطررتم اليه مما حرم عليكم فانه ايضا حلال
حال الضرورة وان كثيرا ليضلون بتحليل الحرام وتحريم الحلال قراءة الكوفيين
بضم الياء والباقون بالفتح باهوائهم بغير علم بتشهيهم من غير تعلق بدليل
يفيد العلم ان ربك هو اعلم بالمعتدين المتجاوزين الحق الى الباطل والحلال الى
الحرام وذروا ظاهر الاثم وباطنه ما يعلن وما يسر او ما بالجوارح وما
بالقلب وقيل الزنا بالحوانيت واتخاذ الاخدان ان الذين يكسبون الاثم سيجزون
بما كانوا يقترفون يكسبون ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه ظاهر في

تحريم متروك التسمية عمدا او نسيانا واليه ذهب داود وعن احمد مثله وقال
مالك والشافعي بخلافه لقوله عم ذبيحة المسلم حلال وان لم يذكر اسم الله عليه و
فرق ابو حنيفة بين العمد والنسيان واوله بالميتة او بما ذكر اسم غير الله عليه
لقوله وانه لفسق فان الفسق ما اهل لغير الله به والضمير لما ويجوز ان يكون
للاكل الذي دل عليه لا تاكلوا وان الشياطين ليوحون ليوسوسون الى اوليائهم
من الكفار ليجادلوكم بقولهم تاكلون مما قتلتم انتم وجوارحكم وتدعون ما قتله
الله وهو يؤيد التاويل بالميتة وان اطعتموهم في استحلال ما حرم انكم لمشركون
فان من ترك طاعة الله الى طاعة غيره واتبعه في دينه فقد اشرك وانما حسن
حذف الفاء فيه لان الشرط بلفظ الماضي او من كان ميتا فاحييناه وجعلنا له
نورا يمشي به في الناس مثل به من هداه الله وانقذه من الضلال وجعل له نور
الحجج والايات يتامل بها في الاشياء فيميز بين الحق والباطل والمحق والمبطل و
قرا نافع ويعقوب ميتا على الاصل كمن مثله صفته هذه وهو مبتدا وخبره
في الظلمات وقوله ليس بخارج منها حال من المستكن في الظرف لا من الهاء في
مثله للفصل وهو مثل لمن بقي على الضلالة لا يفارقها بحال كذلك كما زين
للمؤمنين ايمانهم زين للكافرين ما كانوا يعملون والاية نزلت في حمزة وابي جهل
وقيل في عمر او عمار وابي جهل وكذلك جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها ليمكروا
فيها اي كما جعلنا في مكة اكابر مجرميها ليمكروا فيها جعلنا في كل قرية اكابر
مجرميها ليمكروا فيها وجعلنا بمعنى صيرنا ومفعولاه اكابر مجرميها على تقديم
المفعول الثاني او في كل قرية اكابر ومجرميها بدل ويجوز ان يكون مضافا اليه
ان فسر الجعل بالتمكين وافعل التفضيل اذا اضيف جاز فيه الافراد والمطابقة
ولذلك قرئ اكبر مجرميها وتخصيص الاكابر لانهم اقوى على استتباع الناس
والمكر بهم وما يمكرون الا بانفسهم لان وباله يحيق بهم وما يشعرون ذلك واذا
جاءتهم اية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما اوتي رسل الله يعني كفار قريش لما روي
ان ابا جهل قال تزاحمنا بني عبد مناف حتى اذا صرنا كفرسي رهان قالوا منا نبي
يوحى اليه والله لا نرضى به الا ان ياتينا وحي كما ياتيه فنزلت الله اعلم حيث
يجعل رسالته استئناف للرد عليهم بان النبوة ليست بالنسب والمال وانما هي
بفضائل نفسانية يخص الله بها من يشاء من عباده فيجتبي لرسالته من علم
انه يصلح لها وهو اعلم بالمكان الذي يضعها فيه وقرا ابن كثير وحفص عن
عاصم رسالته سيصيب الذين اجرموا صغار ذل وحقارة بعد كبرهم عند الله

من الله بالحفظ كقوله وانا له لحافظون او لا نبي ولا كتاب بعدها ينسخها و
يبدل احكامها وقرا الكوفيون ويعقوب كلمة ربك اي ما تكلم به او القران
وهو السميع لما يقولون العليم بما يضمرون فلا يهملهم وان تطع اكثر من في الارض
اي اكثر الناس يريد الكفار او الجهال او اتباع الهوى وقيل الارض ارض مكة يضلوك
عن سبيل الله عن الطريق الموصل اليه فان الضال في غالب الامر لا يامر الا بما فيه ضلال
ان يتبعون الا الظن وهو ظنهم ان اباءهم كانوا على الحق او جهالاتهم واراؤهم الفاسدة
فان الظن يطلق على ما يقابل العلم وان هم الا يخرصون يكذبون على الله فيما ينسبون
اليه كاتخاذ الولد وجعل عبادة الاوثان وصلة اليه وتحليل الميتة وتحريم
البحاير او يقدرون انهم على شيء وحقيقته ما يقال عن ظن وتخمين ان ربك هو اعلم
من يضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين اي اعلم بالفريقين ومن موصولة او
موصوفة في محل النصب بفعل دل عليه اعلم لا به فان افعل لا ينصب الظاهر في مثل
ذلك او استفهامية مرفوعة بالابتداء والخبر يضل والجملة معلق عنها الفعل
المقدر وقرئ من يضل اي يضله الله فيكون من منصوبة بالفعل المقدر او مجرورة
باضافة اعلم اليه اي اعلم المضلين من قوله من يضلل الله او من اضللته اذا وجدته
ضالا والتفضيل في العلم بكثرته واحاطته بالوجوه التي يمكن تعلق العلم بها
ولزومه وكونه بالذات لا بالغير فكلوا مما ذكر اسم الله عليه مسبب عن انكار
اتباع المضلين الذين يحرمون الحلال ويحللون الحرام والمعنى كلوا مما ذكر اسم الله
على ذبحه لا مما ذكر عليه اسم غيره او مات حتف انفه ان كنتم باياته مؤمنين
فان الايمان بها يقتضي استباحة ما احله الله واجتناب ما حرمه وما لكم الا
تاكلوا مما ذكر اسم الله عليه واي غرض لكم في ان تتحرجوا عن اكله وما يمنعكم
عنه وقد فصل لكم ما حرم عليكم مما لم يحرم بقوله حرمت عليكم الميتة والدم
وقرا ابن كثير وابو عمرو وابن عامر فصل على البناء للمفعول ونافع ويعقوب و
حفص حرم على البناء للفاعل الا ما اضطررتم اليه مما حرم عليكم فانه ايضا حلال
حال الضرورة وان كثيرا ليضلون بتحليل الحرام وتحريم الحلال وقرا الكوفيون
بضم الياء والباقون بالفتح باهوائهم بغير علم بتشهيهم من غير تعلق بدليل
يفيد العلم ان ربك هو اعلم بالمعتدين المتجاوزين الحق الى الباطل والحلال الى
الحرام وذروا ظاهر الاثم وباطنه ما يعلن وما يسر او ما بالجوارح وما
بالقلب وقيل الزنا بالحوانيت واتخاذ الاخدان ان الذين يكسبون الاثم سيجزون
بما كانوا يقترفون يكسبون ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه ظاهر في

تحريم متروك التسمية عمدا او نسيانا واليه ذهب داود وعن احمد مثله وقال
مالك والشافعي بخلافه لقوله عم ذبيحة المسلم حلال وان لم يذكر اسم الله عليه و
فرق ابو حنيفة بين العمد والنسيان واوله بالميتة او بما ذكر اسم غير الله عليه
لقوله وانه لفسق فان الفسق ما اهل لغير الله به والضمير لما ويجوز ان يكون
للاكل الذي دل عليه لا تاكلوا وان الشياطين ليوحون ليوسوسون الى اوليائهم
من الكفار ليجادلوكم بقولهم تاكلون مما قتلتم انتم وجوارحكم وتدعون ما قتله
وهو يؤيد التاويل بالميتة وان اطعتموهم في استحلال ما حرم انكم لمشركون
فان من ترك طاعة الله الى طاعة غيره واتبعه في دينه فقد اشرك وانما حسن
حذف الفاء فيه لان الشرط بلفظ الماضي او من كان ميتا فاحييناه وجعلنا له
نورا يمشي به في الناس مثل به من هداه الله وانقذه من الضلال وجعل له نور
الحجج والايات يتامل بها في الاشياء فيميز بين الحق والباطل والمحق والمبطل و
قرا نافع ويعقوب ميتا على الاصل كمن مثله صفته هذه وهو مبتدا وخبره
في الظلمات وقوله ليس بخارج منها حال من المستكن في الظرف لا من الهاء في
مثله للفصل وهو مثل لمن بقي على الضلالة لا يفارقها بحال كذلك كما زين
للمؤمنين ايمانهم زين للكافرين ما كانوا يعملون والاية نزلت في حمزة وابي جهل
وقيل في عمر او عمار وابي جهل وكذلك جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها ليمكروا
فيها اي كما جعلنا في مكة اكابر مجرميها ليمكروا فيها جعلنا في كل قرية اكابر
مجرميها ليمكروا فيها وجعلنا بمعنى صيرنا ومفعولاه اكابر مجرميها على تقديم
المفعول الثاني او في كل قرية اكابر مجرميها بدل ويجوز ان يكون مضافا اليه
ان فسر الجعل بالتمكين وافعل التفضيل اذا اضيف جاز فيه الافراد والمطابقة
فلذلك قرئ اكبر مجرميها وتخصيص الاكابر لانهم اقوى على استتباع الناس
والمكر بهم وما يمكرون الا بانفسهم لان وباله يحيق بهم وما يشعرون ذلك واذا
جاءتهم اية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما اوتي رسل الله يعني كفار قريش لما روي
ان ابا جهل قال تزاحمنا بني عبد مناف حتى اذا صرنا كفرسي رهان قالوا منا نبي
يوحى اليه والله لا نرضى به الا ان ياتينا وحي كما ياتيه فنزلت الله اعلم حيث
يجعل رسالته استيناف للرد عليهم بان النبوة ليست بالنسب والمال وانما هي
بفضائل النفسانية يخص الله بها من يشاء من عباده فيجتبي لرسالته من علم
انه يصلح لها وهو اعلم بالمكان الذي فيه يضعها وقرا ابن كثير وحفص عن
عاصم رسالته سيصيب الذين اجرموا صغار ذل وحقارة بعد كبرهم عند الله

يوم القيمة وقيل تقديره من عند الله صغار وعذاب شديد بما كانوا يمكرون بسبب
مكرهم او جزاء على مكرهم فمن يرد الله ان يهديه يعرفه طريق الحق ويوفقه للايمان
يشرح صدره للاسلام فيتسع له ويفسح فيه مجاله وهو كناية عن جعل النفس
قابلة للحق مهيأة لحلوله فيها مصفاة عما يمنعه وينافيه واليه اشار عم حين سئل
عنه فقال نور يقذفه الله في قلب المؤمن فينشرح له وينفسح فقالوا هل لذلك امارة
يعرف بها فقال نعم الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد
للموت قبل نزوله ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا بحيث ينبو عن قبول
الحق فلا يدخله الايمان وقرأ ابن كثير ضيقا بالتخفيف ونافع وابو بكر عن عاصم
حرجا بكسر الراء اي شديد الضيق والباقون بالفتح وصفا بالمصدر كانما يصعد في
السماء شبهه مبالغة في ضيق صدره بمن يزاول ما لا يقدر عليه فان صعود
السماء مثل فيما يبعد عن الاستطاعة وتنبيه على ان الايمان يمتنع عنه كما
يمتنع منه الصعود وقيل معناه كانما يتصاعد الى السماء نبوا عن الحق وتباعدا
في الهرب منه واصله يتصعد وقد قرئ به وقرأ ابن كثير يصعد وابو بكر عن
عاصم يتصاعد بمعنى يتصاعد كذلك اي كما يضيق صدره ويبعد قلبه عن الحق
يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون يجعل العذاب او الخذلان عليهم فوضع
الظاهر موضع المضمر للتعليل وهذا اشارة الى البيان الذي جاء به القرآن
او الى الاسلام او الى ما سبق من التوفيق والخذلان صراط ربك الطريق الذي
ارتضاه او عادته وطريقته الذي اقتضته حكمته مستقيما لا عوج فيه او
عادلا مطردا وهو حال مؤكدة كقوله وهو الحق مصدقا او مقيدة والعامل
فيها معنى الاشارة قد فصلنا الآيات لقوم يذكرون فيعلمون ان القادر هو الله
وان كل ما يحدث من خير او شر فهو بقضائه وخلقه وانه عالم باحوال العباد
حكيم عادل فيما يفعل بهم لهم دار السلام دار الله اضاف الجنة الى نفسه تعظيما
لها او دار السلامة من المكاره او دار تحيتهم فيها سلام عند ربهم في ضمانه
او ذخيرة لهم عنده لا يعلم كنهها غيره وهو وليهم مولاهم او ناصرهم بما كانوا
يعملون بسبب اعمالهم او متوليهم بجزائها فيتولى ايصاله اليهم ويوم يحشرهم
جميعا نصب باضمار اذكر او نقول والضمير لمن يحشر من الثقلين وقرأ حفص عن
عاصم وروح عن يعقوب بالياء يا معشر الجن يعني الشياطين قد استكثرتم من
الانس اي من اغوائهم واضلالهم او منهم بان جعلتموهم اتباعكم فحشروا معهم
كقولهم استكثر الامير من الجنود وقال اولياؤهم من الانس الذين اطاعوهم

ربنا استمتع بعضنا ببعض اي انتفع الانس بالجن بان دلوهم على الشهوات
وما يتوصل به اليها والجن بالانس بان اطاعوهم وحصلوا مرادهم وقيل استمتاع
الانس بهم انهم كانوا يعوذون بهم في المفاوز وعند المخاوف واستمتاعهم
بالانس اعترافهم بانهم يقدرون على اجارتهم وبلغنا اجلنا الذي اجلت لنا
اي البعث وهو اعتراف بما فعلوا من طاعة الشيطان واتباع الهوى وتكذيب
وتحسر على حالهم قال النار مثواكم منزلكم او ذات مثواكم خالدين فيها حال
والعامل فيها مثواكم ان جعل مصدرا او معنى الاضافة ان جعل مكانا الا ما شاء
الله الا الاوقات التي ينقلون فيها من النار الى الزمهرير وقيل الا ما شاء الله
قبل الدخول كانه قيل النار مثواكم ابد الآباد الا ما امهلكم ان ربك حكيم في افعاله
عليم باحوال الثقلين واعمالهم وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا نكل بعضهم
الى بعض او نجعل بعضهم يتولى بعضا فيغويهم او اولياء بعض وقرناءهم في العذاب
كما كانوا في الدنيا بما كانوا يكسبون من الكفر والمعاصي يا معشر الجن والانس الم
يأتكم رسل منكم الرسل من الانس خاصة لكن لما جمعوا مع الجن في الخطاب صح
ذلك ونظيره يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان والمرجان يخرج من الملح دون العذب
وتعلق بظاهره قوم وقالوا بعث الى كل من الثقلين رسل من جنسهم وقيل الرسل
من الجن رسل الرسل اليهم لقوله ولوا الى قومهم منذرين يقصون عليكم آياتي
وينذرونكم لقاء يومكم هذا يعني يوم القيمة قالوا شهدنا على انفسنا
بالجرم والعصيان وهو اعتراف منهم بالكفر واستيجاب العذاب وغرتهم الحيوة
الدنيا وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين ذم لهم على سوء نظرهم وخطاء
رأيهم فانهم اغتروا بالحيوة الدنيوية واللذات المخدجة واعرضوا عن الآخرة
بالكلية حتى كان عاقبة امرهم ان اضطروا الى الشهادة على انفسهم بالكفر
والاستسلام للعذاب المخلد تحذيرا للسامعين من مثل حالهم ذلك الاشارة الى ارسال
الرسل وهو خبر مبتدأ محذوف اي الامر ان لم يكن ربك مهلك القرى بظلم واهلها
غافلون تعليل للحكم وان مصدرية او مخففة من الثقيلة اي الامر
ذلك لانتفاء كونه بكذا ولان الشأن لم يكن ربك مهلك القرى بسبب ظلم فعلوه
او ملتبسين بظلم او ظالما وهم غافلون لم ينبهوا برسول او بدل من ذلك
ولكل درجات مراتب مما عملوا من اعمالهم او من جزائها او من اجلها وما ربك
بغافل عما يعملون فيخفى عليه او قدر ما يستحق به من ثواب او عقاب وقرأ ابن
عامر بالتاء على تغليب الخطاب على الغيبة وربك الغني عن العباد والعبادة ذو

يترحم عليهم بالتكليف تكميلا لهم ويمهلهم على المعاصي وفيه تنبيه على انما
سبق ذكره من الارسال ليس لنفعه بل لترحمه على العباد وتاسيس لما بعده و
هو قوله ان يشا يذهبكم اي ما به اليكم حاجة ان يشا يذهبكم ايها العصاة
ويستخلف من بعدكم ما يشاء من الخلق كما انشاكم من ذرية قوم آخرين اي
قرنا بعد قرن لكنه ابقاكم ترحما عليكم ان ما توعدون من البعث واحواله لآت
لكائن لا محالة وما انتم بمعجزين طالبكم به قل يا قوم اعملوا على مكانتكم على غاية
تمكنكم واستطاعتكم يقال مكن مكانة اذا تمكن ابلغ التمكن او على ناحيتكم وجهتكم
التي انتم عليها من قولهم مكان ومكانة كمقام ومقامة وقرا ابو بكر عن عاصم مكاناتكم
بالجمع في كل القران وهو امر تهديد والمعنى اثبتوا على كفركم وعداوتكم اني عامل
ما كنت عليه من المصابرة والثبات على الاسلام والتهديد بصيغة الامر مبالغة
في الوعيد كان المهدد يريد تعذيبه مجمعا عليه فيحمله بالامر على ما يفضي
به اليه وتسجيل بان المهدد لا يتاتى منه الا الشر كالمامور به الذي لا يقدر
ان يتفصى عنه فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار ان جعل من استفهامية
بمعنى اينا يكون له العاقبة الحسنى التي خلق الله لها هذه الدار فمحلها الرفع
وفعل العلم معلق عنه وان جعلت خبرية فالنصب بتعلمون اي فسوف تعرفون
الذي له العاقبة وفيه مع الانذار انصاف في المقال وحسن الادب وتنبيه
على وثوق المنذر بانه محق وقرا حمزة والكسائي يكون بالياء لان تانيث
العاقبة غير حقيقي انه لا يفلح الظالمون وضع الظالمين موضع الكافرين
لانه اعم واكثر فايدة وجعلوا اي المشركوا العرب لله مما ذرا خلق من الحرث
والانعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم
فلا يصل الى الله وما كان لله فهو يصل الى شركائهم روي انهم كانوا يعينون
شيئا من حرث ونتاج لله يصرفونه الى الضيفان والمساكين وشيئا لآلهتهم و
ينفقونه على سدنتها ويذبحون عندها ثم ان راوا ما عينوا لله ازكى بدلوه
بما لآلهتهم وان راوا ما لآلهتهم ازكى تركوه لها حبا لآلهتهم وفي قوله مما
ذرا تنبيه على فرط جهالتهم فانهم اشركوا الخالق في خلقه جمادا لا يقدر
على شيء ثم رجحوه عليه بان جعلوا الزاكي له وفي قوله بزعمهم تنبيه على ان ذلك
مما اخترعوه لم يامرهم الله به وقرا الكسائي بالضم في الموضعين وهو
لغة فيه وقد جاء بالكسر ايضا كالود ساء ما يحكمون حكمهم هذا وكذلك
ومثل ذلك التزيين في قسمة القربان زين لكثير من المشركين قتل اولادهم

بالوأد ونحرهم لآلهتهم شركاؤهم من الجن او من السدنة وهو فاعل زين وقرا
ابن عامر زين على البناء للمفعول الذي هو القتل ونصب الاولاد وجر الشركاء
باضافة القتل اليه مفصولا بينهما بمفعوله وهو ضعيف في العربية معدود
من ضرورات الشعر كقوله فزججتها متمكنا زج القلوص ابي مزادة وقرئ بالبناء
للمفعول وجر اولادهم ورفع شركائهم باضمار فعل دل عليه زين ليردوهم ليهلكوهم
بالاغواء وليلبسوا عليهم دينهم وليخلطوا عليهم ما كانوا عليه من دين اسماعيل
او ما وجب عليهم ان يتدينوا به واللام للتعليل ان كان التزيين من الشيطان و
للعاقبة ان كان من السدنة ولو شاء الله ما فعلوه ما فعل المشركون ما زين
لهم او الشركاء التزيين او الفريقان جميع ذلك فذرهم وما يفترون افتراءهم
او ما يفترونه من الافك وقالوا هذه اشارة الى ما جعل لآلهتهم انعام وحرث
حجر حرام فعل بمعنى مفعول كالذبح يستوي فيه الواحد والكثير والذكر والانثى
وقرئ حجر بالضم وحرج اي مضيق لا يطعمها الا من نشاء يعنون خدم الاوثان
والرجال دون النساء بزعمهم من غير حجة وانعام حرمت ظهورها يعني البحائر
والسوائب والحوامي وانعام لا يذكرون اسم الله عليها في الذبح وانما يذكرون
اسماء الاصنام عليها وقيل لا يحجون على ظهورها افتراء عليه نصب على
المصدر لان ما قالوه تقول على الله والجار متعلق بقالوا او بمحذوف هو صفة
له او على الحال او المفعول له والجار متعلق به او بالمحذوف سيجزيهم بما كانوا
يفترون بسببه او بدله وقالوا ما في بطون هذه الانعام يعنون اجنة البحائر
والسوائب خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا حلال للذكور خاصة دون
الاناث ان ولد حيا لقوله وان يكن ميتة فهم فيه شركاء فالذكور والاناث
فيه سواء وتانيث الخالصة للمعنى فان ما في معنى الاجنة ولذلك وافق عاصم
في رواية ابي بكر وابن عامر في تكن بالتاء وخالفهم هو وابن كثير في ميتة فنصب
كثير هو والتاء فيه للمبالغة كما في راوية الشعر او هو مصدر كالعافية وقع
موقع الخالص وقرئ بالنصب على انه مصدر مؤكد والخبر لذكورنا او حال من
الضمير الذي في الظرف لا من الذي في لذكورنا ولا من الذكور لانها لا تتقدم
على العامل المعنوي ولا على صاحبها المجرور وقرئ خالص بالرفع والنصب وخالصة
بالرفع والاضافة الى الضمير على انه بدل من ما او مبتدا ثان والمراد به
ما كان حيا والتذكير في فيه لان المراد بالميتة ما يعم الذكر والانثى فغلب الذكر
سيجزيهم وصفهم اي جزاء وصفهم الكذب على الله في التحريم والتحليل من قوله

وتصف السنتهم الكذب انه حكيم عليم قد خسر الذين قتلوا اولادهم يريد بهم العرب
الذين كانوا يقتلون اولادهم مخافة السبي والفقر وقرا ابن كثير وابن عامر قتلوا
بالتشديد بمعنى التكثير سفها بغير علم لخفة عقلهم وجهلهم بان الله رازق
اولادهم لا هم ويجوز نصبه على الحال او المصدر وحرموا ما رزقهم الله من
البحاير ونحوها افتراء على الله يحتمل الوجوه المذكورة في مثله قد ضلوا وما
كانوا مهتدين الى الحق والصواب وهو الذي انشا جنات من الكروم معروشات
مرفوعات على ما يحملها وغير معروشات ملقيات على وجه الارض وقيل المعروشات
ما غرسه الناس فعرشوه وغير معروشات ما نبت في البراري والجبال والنخل
والزرع مختلفا اكله ثمره الذي يوكل في الهيئة والكيفية والضمير للزرع و
الباقي مقيس عليه او للنخل والزرع داخل في حكمه لكونه معطوفا عليه او للجميع
على تقدير اكل ذلك او كل واحد منهما ومختلفا حال مقدرة لانه لم يكن كذلك
عند الانشاء والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه يتشابه بعض افرادهما
في اللون والطعم ولا يتشابه بعضها كلوا من ثمره من ثمر كل واحد من ذلك اذا اثمر
وان لم يدرك ولم يينع بعد وقيل فائدته رخصة المالك في الاكل منه قبل اداء حق
الله واتوا حقه يوم حصاده يريد به ما كان يتصدق به يوم الحصاد لا الزكوة
المقدرة لانها فرضت بالمدينة والاية مكية وقيل الزكوة والاية مدنية والامر
بايتائها يوم الحصاد ليهتم به حتى لا يوخر عن وقت الاداء وليعلم ان الوجوب
بالادراك لا بالتنقية وقرا ابن كثير ونافع وحمزة والكسائي حصاده بالكسر
وهو لغة فيه ولا تسرفوا في التصدق كقوله ولا تبسطها كل البسط انه لا يحب
المسرفين لا يرتضي فعلهم ومن الانعام حمولة وفرشا عطف على جنات اي وانشا
من الانعام ما يحمل الاثقال وما يفرش للذبح او ما يفرش المنسوج من شعره
وصوفه ووبره وقيل الكبار الصالحة للحمل والصغار الدانية من الارض
مثل الفرش المفروش عليها كلوا مما رزقكم الله كلوا مما احل لكم ولا تتبعوا خطوات
الشيطان في التحليل والتحريم من عند انفسكم انه لكم عدو مبين ظاهر العداوة
ثمانية ازواج بدل من حمولة وفرشا او مفعول كلوا ولا تتبعوا معترض بينهما
او فعل دل عليه او حال مما بمعنى مختلفة او متعددة والزوج ما معه اخر من
جنسه يزاوجه وقد يقال للمجموع منهما والمراد الاول من الضان اثنين زوجين
اثنين الكبش والنعجة وهو بدل من ثمانية وقرئ اثنان على الابتداء والضان
اسم جنس كالابل وجمعه ضئين او جمع ضائن كتاجر وتجر وقرئ بفتح الهمزة

وهو لغة فيه ومن المعز اثنين التيس والعنز وقرا ابن كثير وابو عمرو وابن عامر
ويعقوب بالفتح وهو جمع ماعز كصاحب وصحب وحارس وحرس وقرئ معزى قل
آلذكرين ذكر الضان وذكر المعز حرم ام الانثيين ام انثييهما ونصب الذكرين
والانثيين بحرم أما اشتملت عليه ارحام الانثيين او ما حملت اناث الجنسين
ذكرا كان او انثى نبئوني بعلم بامر معلوم يدل على ان الله حرم شيئا من ذلك ان كنتم
صادقين في دعوى التحريم ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين قل آلذكرين حرم ام
الانثيين اما اشتملت عليه ارحام الانثيين كما سبق والمعنى انكار ان
الله حرم من الاجناس الاربعة ذكرا او انثى او ما تحمل اناثها ردا عليهم فانهم
كانوا يحرمون ذكور الانعام تارة واناثها اخرى واولادها كيف كانت تارة
زاعمين ان الله حرمها ام كنتم شهداء بل أكنتم حاضرين مشاهدين اذ وصاكم
الله بهذا حين وصاكم بهذا التحريم اذ انتم لا تؤمنون بنبي فلا طريق لكم الى معرفة
امثال ذلك الا المشاهدة والسماع فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا فنسب
اليه تحريم ما لم يحرم والمراد كبراؤهم المقررون لذلك او عمرو بن لحي المؤسس
لذلك ليضل الناس بغير علم ان الله لا يهدي القوم الظالمين قل لا اجد فيما اوحي
الي اي في القران او فيما اوحي الي مطلقا وفيه تنبيه على ان التحريم انما يعلم
بالوحي لا بالهوى محرما طعاما محرما على طاعم يطعمه الا ان يكون ميتة الا ان
يكون الطعام ميتة وقرا ابن كثير وحمزة تكون بالتاء لتانيث الخبر وقرا
ابن عامر بالتاء ورفع ميتة على ان كان هي التامة وقوله او دما مسفوحا عطف
على ان مع ما في حيزه اي الا وجود ميتة او دما مسفوحا اي مصبوبا كالدم في
العروق لا كالكبد والطحال او لحم خنزير فانه رجس فان الخنزير او لحمه قذر
لتعوده اكل النجاسة او خبيث مخبث او فسقا عطف على لحم خنزير وما بينهما
اعتراض للتعليل اهل لغير الله به صفة له موضحة وانما سمي ما ذبح على اسم
الصنم فسقا لتوغله في الفسق ويجوز ان يكون فسقا مفعولا له لاهل وهو عطف
على يكون والمستكن فيه راجع الى ما رجع اليه المستكن في يكون فمن اضطر
فمن دعته الضرورة الى تناول شيء من ذلك غير باغ على مضطر مثله ولا عاد
قدر الضرورة فان ربك غفور رحيم لا يؤاخذه والاية محكمة لانها تدل على انه
لم يجد فيما اوحي الى تلك الغاية محرما غير هذه وذلك لا ينافي ورود التحريم
في شيء اخر فلا يصح الاستدلال بها على نسخ الكتاب بخبر الواحد ولا على حل
الاشياء غيرها الا مع الاستصحاب وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر

كل ما له اصبع كالابل والسباع والطيور وقيل كل ذي مخلب وحافر وسمي الحافر
ظفرا مجازا ولعل المسبب عن الظلم تعميم التحريم ومن البقر والغنم حرمنا عليهم
شحومهما الثروب وشحوم الكلى والاضافة لزيادة الربط الا ما حملت ظهورهما
الا ما علقت بظهورهما او الحوايا او ما اشتملت على الامعاء جمع حاوية او
حاوياء كقاصعاء وقواصع او حوية كسفينة وسفائن وقيل هو عطف على شحومهما
واو بمعنى الواو او ما اختلط بعظم هو شحم الالية لاتصالها بالعصعص ذلك
التحريم او الجزاء جزيناهم ببغيهم بسبب ظلمهم وانا لصادقون في الاخبار و
الوعد والوعيد فان كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة يمهلكم على التكذيب
فلا تغتروا بامهاله فانه لا يهمل ولا يرد باسه عن القوم المجرمين حين ينزل
او ذو رحمة واسعة على المطيعين وذو باس شديد على المجرمين فاقام مقامه
ولا يرد باسه لتضمنه التنبيه على انزال الباس عليهم مع الدلالة على انه
لازب بهم لا يمكن رده عنهم سيقول الذين اشركوا اخبار عن مستقبل ووقع
مخبره يدل على اعجازه لو شاء الله ما اشركنا ولا اباؤنا ولا حرمنا من شيء
اي لو شاء خلاف ذلك مشيئة ارتضاء لقوله فلو شاء لهديكم اجمعين لما فعلنا
نحن ولا اباؤنا ارادوا بذلك انهم على الحق المشروع المرتضى عند الله لا الاعتذار
عن ارتكاب هذه القبائح بارادة الله تعالى اياها منهم حتى ينهض ذمهم به
دليلا للمعتزلة ويؤيد ذلك قوله كذلك كذب الذين من قبلهم اي مثل هذا التكذيب
لك في ان الله منع من الشرك ولم يحرم ما حرموه كذب من قبلهم الرسل وعطف
اباؤنا على الضمير في اشركنا من غير تاكيد للفصل بلا حتى ذاقوا باسنا الذي
انزلنا عليهم بتكذيبهم قل هل عندكم من علم من امر معلوم يصح الاحتجاج به على
ما زعمتم فتخرجوه لنا فتظهروه لنا ان تتبعون الا الظن ما تتبعون في ذلك الا
الظن وان انتم الا تخرصون تكذبون على الله وفيه دليل على المنع من اتباع
الظن سيما في الاصول ولعل ذلك حيث يعارضه قاطع اذ الاية فيه قل فلله
الحجة البالغة البينة الواضحة التي بلغت غاية المتانة والقوة على الاثبات
او بلغ بها صاحبها صحة دعويه وهي من الحج بمعنى القصد كانها تقصد اثبات
الحكم وتطلبه فلو شاء لهديكم اجمعين بالتوفيق لها والحمل عليها ولكن شاء
هداية قوم وضلال اخرين قل هلم شهداءكم احضروهم وهو اسم فعل لا يتصرف
عند اهل الحجاز وفعل يؤنث ويجمع عند بني تميم واصله عند البصريين ها لم
من لم اذا قصد حذفت الالف لتقدير السكون في اللام فانه الاصل وعند الكوفيين

هلام

هل ام فحذف الهمزة بالقاء حركتها على اللام وهو بعيد لان هل لا تدخل الامر ويكون
متعديا كما في الاية ولازما كقوله هلم الينا الذين يشهدون ان الله حرم هذا يعني
قدوتهم فيه استحضرهم ليلزمهم الحجة ويظهر بانقطاعهم ضلالتهم وانه لا متمسك
لهم كمن يقلدهم ولذلك قيد الشهداء بالاضافة ووصفهم بما يقتضي العهد بهم
فان شهدوا فلا تشهد معهم فلا تصدقهم فيه وبين لهم فساده فان تسليمه موافقة
لهم في الشهادة الباطلة ولا تتبع اهواء الذين كذبوا باياتنا من وضع المظهر موضع
المضمر للدلالة على ان مكذب الايات متبع الهوى لا غير وان متبع الحجة لا يكون الا
مصدقا بها والذين لا يؤمنون بالاخرة كعبدة الاوثان وهم بربهم يعدلون
يجعلون له عديلا قل تعالوا امر من التعالي واصله ان يقوله من كان في علو لمن
كان في سفل فاتسع فيه بالتعميم اتل اقرا ما حرم ربكم منصوب باتل وما تحتمل
الخبرية والمصدرية ويجوز ان تكون استفهامية منصوبة بحرم والجملة مفعول
اتل لانه بمعنى اقل اي شيء حرم ربكم عليكم بحرم او اتل الا تشركوا به اي لا تشركوا به
ليصح عطف الامر عليه ولا يمنعه تعليق الفعل المفسر بما حرم فان التحريم باعتبار
الاوامر يرجع الى اضدادها ومن جعل ان ناصبة فمحلها النصب بعليكم على انه
للاغراء او بالبدل من ما او من عائده المحذوف على ان لا زائدة او الجر بتقدير
اللام او الرفع على تقدير المتلو ان لا تشركوا او المحرم ان تشركوا شيئا يحتمل
المصدر والمفعول وبالوالدين احسانا اي واحسنوا بهم احسانا ووضعه موضع
النهي عن الاساءة اليهما للمبالغة وللدلالة على ان ترك الاساءة في شانهما
غير كاف بخلاف غيرهما ولا تقتلوا اولادكم من املاق من اجل فقر ومن خشيته
كقوله خشية املاق نحن نرزقكم واياهم منع لموجبية ما كانوا يفعلون لاجله
احتجاج عليه ولا تقربوا الفواحش كبائر الذنوب او الزنا ما ظهر منها وما بطن
بدل منه وهو مثل قوله ظاهر الاثم وباطنه ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا
بالحق كالقود وقتل المرتد ورجم المحصن ذلكم اشارة الى ما ذكر مفصلا وصيكم
به بحفظه لعلكم تعقلون ترشدون فان كمال العقل هو الرشد ولا تقربوا مال
اليتيم الا بالتي هي احسن الا بالفعل التي هي احسن ما يفعل بماله كحفظه وتثميره
حتى يبلغ اشده حتى يصير بالغا وهو جمع شدة كنعمة وانعم او شد كصر واصر و
قيل مفرد كابل واوفوا الكيل والميزان بالقسط بالعدل والتسوية لا نكلف نفسا
الا وسعها الا ما يسعها ولا يعسر عليها وذكره عقيب الامر معناه ان ايفاء الحق
غير فعليكم بما في وسعكم وما وراءه معفو عنكم واذا قلتم في حكومة ونحوها

فاعدلوا فيها ولو كان ذا قربى ولو كان المقول له أو عليه من ذوي قرابتكم
وبعهد الله أوفوا يعني ما عهد إليكم من ملازمة العدل وتأدية أحكام الشرع ذلكم
وصاكم به لعلكم تذكرون تتعظون به وأن هذا صراطي مستقيما الإشارة إلى ما
ذكر في السورة فإنها بأسرها في إثبات التوحيد والنبوة وبيان الشريعة وقرأ
حمزة والكسائي إن بالكسر على الاستئناف وابن عامر ويعقوب بالفتح والتخفيف
والباقون به مشددة بتقدير اللام على أنه علة لقوله فاتبعوه وقرأ ابن
عامر صراطي وهذا صراط ربكم وهذا صراط ربك ولا تتبعوا السبل الأديان
المختلفة أو الطرق التابعة للهوى فإن مقتضى الحجة واحد ومقتضى الهوى متعدد
لاختلاف الطبائع والعادات فتفرق بكم فتفرقكم وتزيلكم عن سبيله الذي هو
اتباع الوحي واقتفاء البرهان ذلكم الاتباع وصاكم به لعلكم تتقون الضلال
والتفرق عن الحق ثم آتينا موسى الكتاب عطف على وصاكم وثم للتراخي في الإخبار
أو للتفاوت في الرتبة كأنه قيل ذلكم وصاكم به قديما وحديثا ثم أعظم من ذلك
أنا آتينا موسى الكتاب تماما للكرامة والنعمة على الذي أحسن على من أحسن القيام
به ويؤيده أن قرئ على الذين أحسنوا أو على الذي أحسن تبليغه وهو موسى
أو تماما على ما أحسنه أي أجاده من العلم والشرائع أي زيادة على علمه إتماما
له وقرئ بالرفع على أنه خبر مبتدأ أي على الذي هو أحسن أو على الوجه الذي
هو أحسن ما يكون عليه الكتب وتفصيلا لكل شيء وبيانا مفصلا لكل ما يحتاج
إليه في الدين وهو عطف على تماما ونصبهما يحتمل العلة والحال والمصدر
وهدى ورحمة لعلهم لعل بني إسرائيل بلقاء ربهم يؤمنون أي بلقائه للجزاء
وهذا كتاب يعني القرآن أنزلناه مبارك كثير النفع فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون
بواسطة اتباعه وهو العمل بما فيه أن تقولوا كراهة أن تقولوا علة لأنزلناه
إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا اليهود والنصارى ولعل الاختصاص في
إنما لأن الباقي في المشهور حينئذ من الكتب السماوية لم يكن غير كتبهم وإن كنا
المخففة ولذلك دخلت اللام الفارقة خبر كان أي وإنه كنا عن دراستهم لغافلين
لا ندري ما هي أو لا نعرف مثلها أو تقولوا عطف على الأول لو أنا أنزل علينا
الكتاب لكنا أهدى منهم لحدة أذهاننا وثقابة أفهامنا ولذلك تلقفنا
فنونا من العلم كالقصص والأشعار والخطب على أنا أميون فقد جاءكم بينة من ربكم
حجة واضحة تعرفونها وهدى ورحمة لمن تأمل فيه وعمل به فمن أظلم ممن كذب
بآيات الله بعد أن عرف صحتها أو تمكن من معرفتها وصدف عنها أعرض أو صد

فضل وأضل سنجزي الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب شدته
بما كانوا يصدفون بإعراضهم وصدهم هل ينظرون أي ما ينتظرون يعني أهل مكة
وهم ما كانوا منتظرين لذلك ولكن لما كان يلحقهم لحوق المنتظر شبهوا بالمنتظرين
إلا أن تأتيهم الملائكة ملائكة الموت أو العذاب وقرأ حمزة والكسائي بالياء
أو يأتي ربك أي أمره بالعذاب أو كل آية يعني آيات القيامة والهلاك الكلي لقوله
أو يأتي بعض آيات ربك يعني أشراط الساعة وعن حذيفة والبراء بن عازب كنا
نتذاكر الساعة إذ أشرف علينا رسول الله عم فقال ما تتذاكرون قلنا كنا نتذاكر الساعة
قال لا تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات الدخان ودابة الأرض وخسفا بالمشرق
وخسفا بالمغرب وخسفا بجزيرة العرب والدجال وطلوع الشمس من مغربها و
يأجوج ومأجوج ونزول عيسى ونارا تخرج من عدن يوم يأتي بعض آيات ربك لا
ينفع نفسا إيمانها كالمحتضر إذا صار الأمر عيانا والإيمان برهاني وقرئ لا تنفع
بالتاء لإضافة الإيمان إلى ضمير المؤنث لم تكن آمنت من قبل صفة نفسا أو كسبت
في إيمانها خيرا عطف على آمنت والمعنى أنه لا ينفع الإيمان حينئذ نفسا غير مقدمة
إيمانها أو غير كاسبة في إيمانها خيرا وهو دليل لمن لم يعتبر الإيمان المجرد عن العمل
وللمعتزلة تخصيص هذا الحكم بذلك اليوم وحمل الترديد على اشتراط النفع
بأحد الأمرين على معنى لا ينفع نفسا خلت عنهما إيمانها والعطف على لم تكن بمعنى
لا ينفع نفسا إيمانها الذي أحدثته حينئذ وإن كسبت في إيمانها خيرا قل
انتظروا إنا منتظرون وعيد لهم أي انتظروا إتيان أحد الثلاثة فإنا منتظرون له
وحينئذ لنا الفوز وعليكم الويل إن الذين فرقوا دينهم بددوه فآمنوا ببعض
وكفروا ببعض أو افترقوا فيه قال عم افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة
كلها في الهاوية إلا واحدة وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة
كلها في الهاوية إلا واحدة وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين كلها في الهاوية
إلا واحدة وقرأ حمزة والكسائي فارقوا أي باينوا وكانوا شيعا فرقا كل فرقة
تتبع إماما لست منهم في شيء أي من السؤال عنهم وعن تفرقهم وعن عقابهم
أو أنت بريء منهم وقيل هو نهي عن التعرض لهم وهو منسوخ بآية السيف إنما أمرهم
إلى الله يتولى جزاءهم ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون بالعقاب من جاء بالحسنة فله
عشر أمثالها أي عشر حسنات أمثالها فضلا من الله وقرأ يعقوب عشر بالتنوين
أمثالها بالرفع على الصفة وهذا أقل ما وعد من الأضعاف وقد جاء الوعد
بسبعين وسبعمائة وبغير حساب ولذلك قيل المراد بالعشر الكثرة دون العدد

ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها قضية للعدل وهم لا يظلمون بنقص الثواب
وزيادة العقاب قل انني هداني ربي الى صراط مستقيم بالوحي والارشاد
الى ما نصب من الحجج دينا بدل من محل الى صراط اذ المعنى هداني صراطا كقوله ويهديكم
صراطا مستقيما او مفعول فعل مضمر دل عليه الملفوظ قيما فيعل من قام كسيد
من ساد وهو ابلغ من المستقيم باعتبار الزنة والمستقيم باعتبار الصيغة وقرا
ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي قيما على انه مصدر نعت به وكان قياسه قوما
كعوض فاعل لاعلال فعله كالقيام ملة ابراهيم عطف بيان لدينا حنيفا حال
من ابرهيم وما كان من المشركين عطف عليه قل ان صلاتي ونسكي عبادتي كلها
او قرباني او حجي ومحياي ومماتي وما انا عليه في حياتي واموت عليه من الايمان
والطاعة او طاعات الحيوة والخيرات المضافة الى الممات كالوصية والتدبير
او الحيوة والممات انفسهما وقرا نافع محياي باسكان اليا اجراء مجرى الوقف
لله رب العالمين لا شريك له خالصة له لا اشرك فيها غيره وبذلك القول او
الاخلاص امرت وانا اول المسلمين لان اسلام كل نبي متقدم على اسلام امته
قل اغير الله ابغي ربا فاشركه في عبادتي وهو جواب عن دعائهم له الى عبادة
الهتهم وهو رب كل شيء حال في موقع العلة للانكار والدليل له اي وكل
ما سواه مربوب مثلي لا يصلح للربوبية ولا تكسب كل نفس الا عليها فلا ينفعني
في ابتغاء رب غيره ما انتم عليه من ذلك ولا تزر وازرة وزر اخرى جواب
عن قولهم اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم
فيه تختلفون بتبيين الرشد من الغي وتمييز المحق من المبطل وهو الذي جعلكم
خلائف الارض يخلف بعضكم بعضا او خلفاء الله في ارضه تتصرفون
فيها على ان الخطاب عام او خلفاء الامم السالفة على ان الخطاب للمؤمنين
ورفع بعضكم فوق بعض درجات في الشرف والغنى ليبلوكم فيما آتاكم من الجاه
والمال ان ربك سريع العقاب لان ما هو آت قريب او لانه يسرع اذا اراده وانه
لغفور رحيم وصف العقاب ولم يضفه الى نفسه ووصف ذاته بالمغفرة وضم
اليه الوصف بالرحمة واتى ببناء المبالغة واللام المؤكدة تنبيها على انه تعالى
غفور بالذات معاقب بالعرض كثير الرحمة مبالغ فيها قليل العقوبة مسامح فيها
عن الرسول عم انزلت علي سورة الانعام جملة واحدة يشيعها سبعون
الف ملك لهم زجل بالتسبيح والتحميد فمن قرا الانعام صلى عليه
واستغفر له اولئك السبعون الف ملك بعدد كل اية من سورة الانعام يوما وليلة

بسم الله الرحمن الرحيم المص سبق الكلام في مثله كتاب خبر محذوف
اي هو كتاب او خبر المص والمراد به السورة او القرآن انزل اليك صفة له
فلا يكن في صدرك حرج منه اي شك فان الشاك حرج الصدر او ضيق قلب من تبليغه
مخافة ان تكذب فيه او تقصر في القيام بحقه وتوجيه النهي اليه للمبالغة كقولهم
لا ارينك ههنا والفاء يحتمل العطف والجواب فكانه قيل اذا انزل اليك
لتنذر به فلا يحرج صدرك لتنذر به متعلق بانزل او بلا يكن لانه اذا ايقن انه
من عند الله جسر على الانذار وكذا اذا لم يخفهم او علم انه موفق للقيام بتبليغه
وذكرى للمؤمنين يحتمل النصب باضمار فعلها اي لتنذر وتذكر ذكرى فانها بمعنى
التذكير والجر عطفا على محل تنذر والرفع عطفا على كتاب او خبرا لمحذوف
اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم يعني القرآن والسنة لقوله وما ينطق عن الهوى
ان هو الا وحي يوحى ولا تتبعوا من دونه اولياء يضلونكم من الجن والانس وقيل
الضمير في من دونه لما انزل اي ولا تتبعوا من دون دين الله دين اولياء وقرئ
ولا تبتغوا قليلا ما تذكرون اي تذكرا او زمانا قليلا تذكرون حيث تتركون
دين الله وتتبعون غيره وما مزيدة لتاكيد القلة وان جعلت مصدرية لم ينتصب
قليلا بتذكرون وقرا حمزة والكسائي وحفص عن عاصم تذكرون بحذف التاء
وابن عامر يتذكرون على ان الخطاب بعد مع النبي عم وكم من قرية وكثيرا من القرى
اهلكناها اردنا اهلاك اهلها او اهلكناها بالخذلان فجاءها فجاء اهلها
باسنا عذابنا بياتا بائتين كقوم لوط مصدر وقع موقع الحال او هم قائلون
عطف عليه اي قائلين نصف النهار كقوم شعيب وانما حذف واو الحال استثقالا
لاجتماع حرفي عطف فانها واو عطف استعيرت للوصل لا اكتفاء بالضمير فانه
غير فصيح وفي التعبير بن مبالغة غفلتهم وامنهم من العذاب ولذلك خص الوقتين
ولانهما وقت دعة واستراحة فيكون مجيء العذاب فيهما افظع فما كان دعواهم
اي دعاؤهم واستغاثتهم او ما كانوا يدعونه من دينهم اذ جاءهم باسنا الا ان
قالوا انا كنا ظالمين الا اعترافهم بظلمهم فيما كانوا عليه وبطلانه تحسرا عليه
فلنسألن الذين ارسل اليهم عن قبول الرسالة واجابتهم الرسل ولنسألن المرسلين
عما اجيبوا به والمراد من هذا السؤال توبيخ الكفرة وتقريعهم والمنفي
في قوله ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون سؤال الاستعلام او الاول في موقف

في

الحساب وهذا عند حصولهم على العقوبة فلنقصن عليهم على الرسل حين يقولون لا
علم لنا انك انت علام الغيوب او على الرسل والمرسل اليهم ما كانوا عليه بعلم اي عالمين
بظواهرهم وبواطنهم او بمعلومنا منهم وما كنا غائبين عنهم فيخفى علينا شيء
من احوالهم والوزن اي القضاء او وزن الاعمال وهو مقابلتها بالجزاء والجمهور
على ان صحايف الاعمال توزن بميزان له لسان وكفتان ينظر اليه الخلائق اظهارا
للمعدلة وقطعا للمعذرة كما يسألهم عن اعمالهم فتعترف بها السنتهم وتشهد
بها جوارحهم ويؤيده ما روي ان الرجل يؤتى به الى الميزان فينشر عليه تسعة
وتسعون سجلا كل سجل منها مد البصر فتخرج له بطاقة فيها كلمتا الشهادة فيوضع
السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة وقيل
توزن الاشخاص لما روي عنه عم انه ليأتي العظيم السمين يوم القيمة لا يزن عند
الله جناح بعوضة يومئذ خبر المبتدا الذي هو الوزن الحق صفته او خبر محذوف
ومعناه العدل السوي فمن ثقلت موازينه حسناته او ما يوزن به حسناته و
جمعه باعتبار اختلاف الموزونات وتعدد الوزن فهو جمع موزون او ميزان
فاولئك هم المفلحون الفائزون بالنجاة والثواب ومن خفت موازينه فاولئك
الذين خسروا انفسهم بتضييع الفطرة السليمة التي فطرت عليها واقترافها ما عرضها
للعذاب بما كانوا بآياتنا يظلمون فيكذبون بدل التصديق ولقد مكناكم في الارض
اي مكناكم من سكناها وزرعها والتصرف فيها وجعلنا لكم فيها معايش اسبابا
تعيشون بها جمع معيشة وعن نافع انه همزه تشبيها بما الياء فيه زائدة كصحايف
قليلا ما تشكرون فيما صنعت اليكم ولقد خلقناكم ثم صورناكم اي خلقنا اباكم
ادم طينا غير مصور ثم صورناه نزل خلقه وتصويره منزلة خلق الكل و
تصويره او ابتداء خلقكم ثم تصويركم بان خلقنا ادم ثم صورناه ثم قلنا
للملائكة اسجدوا لادم وقيل ثم لتأخير الاخبار فسجدوا الا ابليس لم يكن
من الساجدين ممن سجد لادم قال ما منعك الا تسجد اي ان تسجد ولا صلة مثلها
في لئلا يعلم مؤكدة معنى الفعل الذي دخلت عليه ومنبهة على ان الموبخ عليه
ترك السجود وقيل الممنوع عن الشيء مضطر الى خلافه فكانه قيل ما اضطرك
الى ان لا تسجد اذ امرتك دليل على ان مطلق الامر للوجوب والفور انا خير منه
جواب من حيث المعنى استأنف به استبعادا لان يكون مثله مأمورا بالمثلة كانه
قيل المانع اني خير منه ولا يحسن للفاضل ان يسجد للمفضول فكيف يحسن ان
يؤمر به فهو الذي سن التكبر وقال بالحسن والقبح العقليين اولا خلقتني من

نار وخلقته من طين تعليل لفضله عليه وقد غلط في ذلك بان رأى الفضل كله
باعتبار العنصر وغفل عما يكون باعتبار الفاعل كما اشار اليه بقوله ما منعك
ان تسجد لما خلقت بيدي اي بغير واسطة وباعتبار الصورة كما نبه عليه بقوله
ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين وباعتبار الغاية وهو ملاكه ولذلك
امر الملائكة بسجوده لما بين لهم انه اعلم منهم وان له خواص ليست لغيره والاية
دليل الكون والفساد وان الشياطين اجسام كاينة ولعل اضافة خلق الانسان الى
الطين والشيطان الى النار باعتبار الجزء الغالب قال فاهبط منها من السماء
او الجنة فما يكون لك فما يصح ان تتكبر فيها وتعصي فانها مكان الخاشع المطيع
وفيه تنبيه على ان التكبر لا يليق باهل الجنة وانه تع انما طرده واهبطه للتكبر
لا لمجرد عصيانه فاخرج انك من الصاغرين ممن اهانه الله لتكبره قال عم من
تواضع لله رفعه الله ومن تكبر وضعه الله قال انظرني الى يوم يبعثون امهلني
الى يوم القيمة فلا تمتني او لا تعجل عقوبتي قال انك من المنظرين يقتضي الاجابة
الى ما سأله ظاهرا لكنه محمول على ما جاء مقيدا بقوله الى يوم الوقت وهو النفخة
الاولى او وقت يعلم الله انتهاء اجله فيه وفي اسعافه اليه ابتلاء العباد
وتعريضهم للثواب بمخالفته قال فبما اغويتني اي بعد ان امهلتني لاجتهدن
في اغوائهم باي طريق يمكنني بسبب اغوائك اياي بواسطتهم تسمية او حملا على
الغي او تكليفا بما غويت لاجله والباء متعلقة بفعل القسم المحذوف لا
باقعدن فان اللام يصد عنه وقيل الباء للقسم لاقعدن لهم ترصدا بهم كما
يقعد القطاع للسابلة صراطك المستقيم طريق الاسلام ونصبه على الظرف
كقوله كما عسل الطريق الثعلب وقيل تقديره على صراطك كقولك ضرب زيد الظهر و
البطن ثم لآتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم اي من
جميع الجهات الاربع مثل قصده اياهم بالتسويل والاضلال من اي وجه يمكنه
باتيان العدو من الجهات الاربع ولذلك لم يقل من فوقهم ومن تحت ارجلهم وقيل
لم يقل من فوقهم لان الرحمة تنزل منه ولم يقل لان الاتيان به يوحش وعن ابن
عباس من بين ايديهم من قبل الاخرة ومن خلفهم من قبل الدنيا وعن ايمانهم وعن
شمائلهم من جهة حسناتهم وسيئاتهم ويحتمل ان يقال من بين ايديهم من حيث
يعلمون ويقدرون التحرز عنه وعن خلفهم من حيث لا يعلمون ولا يقدرون
وعن ايمانهم وعن شمائلهم من جهة يتيسر لهم ان يعلموا ويتحرزوا ولكن لم يفعلوا
لعدم تيقظهم واحتياطهم وانما عدي الفعل الى الاولين بحرف الابتداء لانه

منها يتوجه اليهم والى الاخرين بحرف المجاوزة فان الآتي منهما كالمنحرف عنهم
المار على عرضهم ونظيره قولهم جلست عن يمينه. ولا تجد اكثرهم شاكرين مطيعين
وانما قاله ظنا لقوله ولقد صدق عليهم ابليس ظنه لما راى فيهم مبدأ الشر
متعددا ومبدأ الخير واحدا وقيل سمعه من الملائكة. قال اخرج منها مذؤما
مذموما من ذأمه اذا ذمه وقرئ مذوما كمسول في مسؤول او كمكول في مكيل
من ذامه يذيمه ذيما. مدحورا مطرودا. لمن تبعك منهم اللام فيه لتوطئة القسم
وجوابه لاملأن جهنم منكم اجمعين وهو ساد مسد جواب الشرط وقرئ بكسر
اللام على انه خبر لاملأن على معنى لمن تبعك هذا الوعيد او علة لاخرج ولاملأن
جواب قسم محذوف ومعنى منكم منك ومنهم فغلب المخاطب. ويا آدم اي وقلنا يا آدم
اسكن انت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة وقرئ
هذي الشجرة وهو الاصل لتصغيره على ذيا والهاء بدل من الياء. فتكونا من
الظالمين فتصيرا من الذين ظلموا انفسهم وتكونا يحتمل الجزم على العطف والنصب
على الجواب. فوسوس لهما الشيطان اي فعل الوسوسة لاجلهما وهي في الاصل
الصوت الخفي كالهينمة والخشخشة ومنه وسوس الحلي وقد سبق في البقرة
كيفية وسوسته. ليبدي لهما ليظهر لهما واللام للعاقبة او للغرض على انه اراد
ايضا بوسوسته ان يسوءهما بانكشاف عورتهما ولذلك عبر عنهما بالسوءة
وفيه دليل على ان كشف العورة في الخلوة وعند الزوج من غير حاجة قبيح
مستهجن في الطباع. ما ووري عنهما من سوآتهما ما غطي عنهما من عوراتهما
وكانا لا يريانها من انفسهما ولا احدهما من الآخر وانما لم تقلب الواو المضمومة
همزة في المشهور كما قلبت في أويصل تصغير واصل لان الثانية مدة وقرئ سوتهما
بحذف الهمزة والقاء حركتها على الواو وبقلبها واوا وادغام الواو الساكنة
فيها. وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا الا كراهة ان تكونا
ملكين او تكونا من الخالدين الذين لا يموتون او يخلدون في الجنة واستدل به
على فضل الملائكة على الانبياء وجوابه انه كان من المعلوم ان الحقائق لا تنقلب
وانما كانت رغبتهما في ان يحصل لهما ايضا ما للملائكة من الكمالات الفطرية و
الاستغناء عن الاطعمة والاشربة وذلك لا يدل على فضلهم مطلقا. وقاسمهما
اني لكما لمن الناصحين اي اقسم لهما على ذلك وانما اخرجه على زنة المفاعلة للمبالغة
وقيل اقسما له بالقبول وقيل اقسما عليه بالله انه لمن الناصحين واقسم
لهما فجعل ذلك مقاسمة. فدلاهما فنزلهما الى الاكل من الشجرة نبه به على

انه اهبطهما بذلك من درجة عالية الى رتبة سافلة فان التدلية والادلاء ارسال
الشيء من اعلى الى اسفل. بغرور بما غرهما به من القسم فانهما ظنا ان احدا لا يحلف
بالله كاذبا او ملتبسين بغرور. فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما اي فلما وجدا
طعمها آخذين في الاكل منها اخذتهما العقوبة وشؤم المعصية فتهافت عنهما
لباسهما وظهرت لهما عوراتهما واختلف في ان الشجرة كانت السنبلة او الكرم او
غيرهما وان اللباس كان نورا او حلة او ظفرا. وطفقا يخصفان اخذا يرقعان و
يلزقان ورقة فوق ورقة. عليهما من ورق الجنة قيل كان ورق التين وقرئ
يخصفان من اخصف اي يخصفان انفسهما ويخصفان من خصف ويخصفان واصله
يختصفان. وناداهما ربهما الم انهكما عن تلكما الشجرة واقل لكما ان
الشيطان لكما عدو مبين عتاب على مخالفة النهي وتوبيخ على الاغترار بقول العدو وفيه
دليل على ان مطلق النهي للتحريم. قالا ربنا ظلمنا انفسنا اضررناها بالمعصية و
التعريض للاخراج عن الجنة وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين دليل
على ان الصغائر معاقب عليها ان لم تغفر وقالت المعتزلة لا يجوز المعاقبة عليها
مع اجتناب الكبائر ولذلك قالوا انما قالا ذلك على عادة المقربين في استعظام
الصغير من السيئات واستحقار العظيم من الحسنات. قال اهبطوا الخطاب لآدم
وحواء وذريتهما او لهما ولابليس كرر الامر له تبعا ليعلم انهم قرناء ابدا او
اخبر عما قال لهم متفرقا. بعضكم لبعض عدو في موضع الحال اي متعادين. ولكم في
الارض مستقر استقرار او موضع استقرار ومتاع وتمتع الى حين الى ان تقضي
آجالكم. قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون للجزاء. يا بني آدم قد انزلنا
عليكم لباسا اي خلقناه لكم بتدبيرات سماوية واسباب نازلة ونظيره قوله
وانزل لكم من الانعام وقوله وانزلنا الحديد. يواري سوآتكم التي قصد الشيطان
ابداءها ويغنيكم عن خصف الورق روي ان العرب كانوا يطوفون بالبيت عراة
ويقولون لا نطوف في ثياب عصينا الله فيها فنزلت ولعله ذكر قصة آدم
مقدمة لذلك حتى يعلم ان انكشاف العورة اول سوء اصاب الانسان من الشيطان
وانه اغواهم في ذلك كما اغوى ابويهم. وريشا ولباسا تتجملون به والريش
الجمال وقيل مالا ومنه تريش الرجل اذا تمول وقرئ رياشا وهو جمع ريش
كشعب وشعاب. ولباس التقوى خشية الله وقيل الايمان وقيل السمت الحسن وقيل
لباس الحرب ورفعه بالابتداء وخبره ذلك خير او خير وذلك صفته كانه قيل
ولباس التقوى المشار اليه خير وقرأ نافع وابن عامر والكسائي ولباس بالنصب

عطفا على لباسا ذلك اى انزال اللباس من آيات الله الدالة على فضله ورحمته
لعلهم يذكرون فيعرفون نعمته او يتعظون فيتورعون عن القبائح يا بني آدم لا
يفتننكم الشيطان لا يمتحننكم بان يمنعكم دخول الجنة باغوائكم كما اخرج ابويكم
من الجنة كما محن ابويكم بان اخرجهما منها والنهي في اللفظ للشيطان والمعنى نهيهم
عن اتباعه والافتتان به ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما حال من ابويكم
او فاعل اخرج واسناد النزع اليه للتسبب انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم
تعليل للنهي وتاكيد للتحذير من فتنته وقبيله جنوده ورؤيتهم ايانا من حيث
لا نريهم في الجملة لا يقتضي امتناع رؤيتهم وتمثلهم لنا انا جعلنا الشياطين
اولياء للذين لا يؤمنون بما اوجدنا بينهم من التناسب او بارسالهم عليهم وتمكينهم
من خذلانهم وحملهم على ما سولوا لهم والآية مقصود القصة وفذلكة الحكاية
واذا فعلوا فاحشة فعلة متناهية في القبح كعبادة الصنم وكشف العورة في
الطواف قالوا وجدنا عليها آباءنا والله امرنا بها اعتذروا واحتجوا بامرين
تقليد الآباء والافتراء على الله فاعرض عن الاول لظهور فساده ورد الثاني
بقوله قل ان الله لا يامر بالفحشاء لان عادته جرت على الامر بمحاسن الافعال
والحث على مكارم الخصال ولا دلالة فيه على ان قبح الفعل بمعنى ترتب الذم عليه
آجلا عقلي فان المراد بالفاحشة ما ينفر عنه الطبع السليم ويستنقصه العقل
المستقيم وقيل هما جوابا سؤالين مترتبين كانه قيل لهم لما فعلوها لم فعلتم فقالوا
وجدنا عليها آباءنا فقيل ومن اين اخذ آباؤكم فقالوا الله امرنا بها وعلى
الوجهين يمنع التقليد اذا قام الدليل على خلافه لا مطلقا اتقولون على الله
ما لا تعلمون انكار يتضمن النهي عن الافتراء على الله قل امر ربي بالقسط بالعدل
وهو الوسط من كل امر المتجافي عن طرفي الافراط والتفريط واقيموا وجوهكم
وتوجهوا الى عبادته مستقيمين غير عادلين الى غيرها او اقيموها نحو القبلة
عند كل مسجد في كل وقت سجود او مكانه وهو الصلاة او في اي مسجد حضرتكم
الصلاة ولا تؤخروها حتى تعودوا الى مساجدكم وادعوه واعبدوه مخلصين
له الدين اي الطاعة فان اليه مصيركم كما بدأكم كما انشأكم ابتداء تعودون
باعادته فيجازيكم على اعمالكم وانما شبه الاعادة بالابداء تقريرا لامكانها
والقدرة عليها وقيل بدأكم من التراب تعودون اليه وقيل كما بدأكم حفاة
عراة غرلا تعودون وقيل كما بدأكم مؤمنا وكافرا يعيدكم فريقا هدى بان وفقهم
للايمان وفريقا حق عليهم الضلالة بمقتضى القضاء السابق وانتصابه بفعل

يفسره ما بعده اي وخذل فريقا انهم اتخذوا الشياطين اولياء من دون الله
تعليل لخذلانهم او تحقيق لضلالهم ويحسبون انهم مهتدون يدل على ان الكافر
المخطئ والمعاند سواء في استحقاق الذم وللفارق ان يحمله على المقصر في النظر
يا بني آدم خذوا زينتكم ثيابكم لمواراة عورتكم عند كل مسجد لطواف او صلاة
ومن السنة ان ياخذ الانسان احسن هيئته للصلاة وفيه دليل على وجوب ستر
العورة في الصلاة وكلوا واشربوا ما طاب لكم روي ان بني عامر في ايام حجهم
كانوا لا ياكلون الطعام الا قوتا ولا ياكلون دسما يعظمون بذلك حجهم فهم المسلمون
به فنزلت ولا تسرفوا بتحريم الحلال او بالتعدي الى الحرام او بافراط الطعام و
الشره عليه وعن ابن عباس كل ما شئت والبس ما شئت ما اخطاتك خصلتان
سرف ومخيلة وقال علي بن حسين بن واقد جمع الله الطب في نصف آية فقال كلوا
واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين اي لا يرتضي فعلهم قل من حرم زينة الله
من الثياب وسائر ما يتجمل به التي اخرج لعباده من النبات كالقطن والكتان و
الحيوان كالحرير والصوف والمعادن كالدروع والطيبات من الرزق المستلذات
من المآكل والمشارب وفيه دليل على ان الاصل في المطاعم والملابس وانواع التجملات
الاباحة لان الاستفهام في من للانكار قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا بالاصالة
والكفرة وان شاركوهم فيها فتبع خالصة يوم القيامة لا يشاركهم فيها غيرهم و
انتصابها على الحال وقرأ نافع بالرفع على انها خبر بعد خبر كذلك نفصل الآيات
لقوم يعلمون اي كتفصيلنا هذا الحكم نفصل سائر الاحكام لهم قل انما حرم ربي
الفواحش ما تزايد قبحه وقيل ما يتعلق بالفروج ما ظهر منها وما بطن جهرها
وسرها والاثم وما يوجب الاثم تعميم بعد تخصيص وقيل شرب الخمر والبغي الظلم و
الكبر افرده بالذكر للمبالغة بغير الحق متعلق بالبغي مؤكد له معنى وان تشركوا بالله
ما لم ينزل به سلطانا تهكم بالمشركين وتنبيه على تحريم اتباع ما لم يدل عليه برهان
وان تقولوا على الله ما لا تعلمون بالالحاد في صفاته والافتراء عليه كقولهم والله
امرنا بها ولكل امة اجل مدة او وقت لنزول العذاب بهم وهو وعيد لاهل مكة
فاذا جاء اجلهم انقرضت مدتهم او حان وقتهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون
اي لا يتاخرون ولا يتقدمون اقصر وقت او لا يطلبون التاخر والتقدم لشدة
الهول يا بني آدم اما ياتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي شرط ذكره بحرف
الشك للتنبيه على ان اتيان الرسل امر جائز غير واجب كما ظنه اهل التعليم وضمت
اليها ما للتاكيد معنى الشرط ولذلك اكد فعلها بالنون وجوابه فمن اتقى

والذين كذبوا باياتنا واستكبروا عنها اولئك
اصحاب النار هم فيها خالدون والمعنى فمن اتقى التكذيب واصلح عمله منكم والذين
كذبوا باياتنا منكم وادخال الفاء في الجزاء الاول دون الثاني للمبالغة في الوعد
والمسامحة في الوعيد فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب باياته ممن تقول
على الله ما لم يقله او كذب ما قاله اولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب مما كتب
لهم من الارزاق والاجال وقيل الكتاب اللوح اي مما اثبت لهم فيه حتى اذا جاءتهم
رسلنا يتوفونهم اي يتوفون ارواحهم وهو حال من الرسل وحتى غاية نيلهم
وهي التي يبتدا بعدها الكلام قالوا جواب اذا اين ما كنتم تدعون من دون
الله اي الالهة التي كنتم تعبدونها وما وصلت باين في خط المصحف وحقها
الفصل لانها موصولة قالوا ضلوا عنا غابوا عنا وشهدوا على انفسهم انهم
كانوا كافرين اعترفوا بانهم كانوا ضالين فيما كانوا عليه قال ادخلوا اي قال
الله لهم يوم القيمة او احد من الملئكة في امم قد خلت من قبلكم اي كائنين في جملة
امم مصاحبين لهم يوم القيمة من الجن والانس يعني كفار الامم الماضية من النوعين
في النار متعلق بادخلوا كلما دخلت امة اي في النار لعنت اختها التي ضلت
بالاقتداء بها حتى اذا اداركوا فيها جميعا اي تداركوا وتلاحقوا في النار
قالت اخراهم دخولا او منزلة وهم الاتباع لاولاهم اي لاجل اولاهم اذ الخطاب
مع الله لا معهم ربنا هؤلاء اضلونا سنوا لنا الضلال فاقتدينا بهم من
فآتهم عذابا ضعفا من النار مضاعفا لانهم ضلوا واضلوا قال لكل ضعف
اما القادة فبكفرهم وتضليلهم واما الاتباع فبكفرهم وتقليدهم ولكن
لا تعلمون ما لكم او ما لكل فريق وقرا عاصم بالياء على الانفصال وقالت
اولاهم لاخراهم فما كان لكم علينا من فضل عطفوا كلامهم على جواب الله لاخراهم
ورتبوه عليه اي فقد ثبت ان لا فضل لكم علينا وانا واياكم متساوون في
الضلال واستحقاق العذاب فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون من قول
القادة او من قول الله للفريقين ان الذين كذبوا باياتنا واستكبروا عنها
اي عن الايمان بها لا تفتح لهم ابواب السماء لادعيتهم واعمالهم او لارواحهم
كما تفتح لاعمال المؤمنين وارواحهم لتتصل بالملئكة والتاء في تفتح لتانيث
الابواب والتشديد لكثرتها وقرا ابو عمرو بالتخفيف وحمزة والكسائي به و
بالياء لان التانيث غير حقيقي والفعل مقدم وقرئ على البناء للفاعل ونصب
الابواب بالتاء على ان الفعل للايات وبالياء على ان الفعل لله ولا يدخلون

الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط اي حتى يدخل ما هو مثل في عظم الجرم وهو البعير
فيما هو مثل في ضيق المسلك وهو ثقبة الابرة وذلك مما لا يكون فكذا ما توقف
عليه وقرئ الجمل كالقمل والجمل كالنغر والجمل كالقفل والجمل كالنصب والجمل
كالحبل وهو الحبل الغليظ من القنب وقيل حبل السفينة وسم بالضم والكسر
وفي سم المخيط وهو والخياط ما يخاط به كالحزام والمحزم وكذلك ومثل ذلك
الجزاء الفظيع نجزي المجرمين لهم من جهنم مهاد فراش ومن فوقهم غواش اغطية
والتنوين فيه للبدل عن الاعلال عند سيبويه وللصرف عند غيره وقرئ غواش
على الغاء المحذوف وكذلك نجزي الظالمين عبر عنهم بالمجرمين تارة وبالظالمين
اخرى اشعارا بانهم بتكذيبهم الايات اتصفوا بهذه الاوصاف الذميمة وذكر الجرم
مع الحرمان من الجنة والظلم مع التعذيب بالنار تنبيها على انه اعظم الاجرام
والذين امنوا وعملوا الصالحات لا نكلف نفسا الا وسعها اولئك اصحاب الجنة هم
فيها خالدون على عادته سبحانه وتعالى في ان يشفع الوعيد بالوعد ولا نكلف نفسا
الا وسعها اعتراض بين المبتدا والخبر للترغيب في اكتساب النعيم المقيم بما تسعه
طاقتهم ويسهل عليهم وقرئ لا تكلف نفس ونزعنا ما في صدورهم من غل
اي نخرج من قلوبهم اسباب الغل او نطهرها منه حتى لا يكون بينهم الا التواد
وعن علي رضي الله عنه اني لارجو ان اكون انا وعثمان وطلحة والزبير منهم تجري من تحتهم
الانهار زيادة في لذتهم وسرورهم وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا لما
جزاؤه هذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله لولا هدايته وتوفيقه واللام
لتوكيد النفي وجواب لولا محذوف دل عليه ما قبله وقرا ابن عامر ما كنا
بغير واو على انها مبينة للاولى لقد جاءت رسل ربنا بالحق فاهتدينا بارشادهم
يقولون ذلك اغتباطا وتبجحا بان ما علموه في الدنيا صار لهم عين اليقين في
الاخرة ونودوا ان تلكم الجنة اذا راوها من بعيد او بعد دخولها والمنادي
له بالذات اورثتموها بما كنتم تعملون اي اعطيتموها بسبب اعمالكم وهو حال
من الجنة والعامل فيها معنى الاشارة او خبر والجنة صفة تلكم وان في المواقع
الخمسة هي المخففة او المفسرة لان المناداة والتاذين من القول ونادى اصحاب
الجنة اصحاب النار ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم
حقا انما قالوه تبجحا بحالهم وشماتة باصحاب النار وتحسيرا لهم وانما لم يقل ما وعدكم
كما قال ما وعدنا لان ما ساءهم من الموعود لم يكن باسره مخصوصا وعده بهم
كالبعث والحساب ونعيم اهل الجنة قالوا نعم وقرا الكسائي بكسر العين وهما

لفتنان فأذن مؤذن قيل هو صاحب الصور بينهم بين الفريقين أن لعنة الله
على الظالمين وقرأ ابن كثير وابن عامر وحمزة والكسائي أنّ لعنة الله بالتشديد والنصب و
قرئ إنّ بالكسر على إرادة القول أو إجراء أذن مجرى قال الذين يصدّون عن
سبيل الله صفة للظالمين مقررة أو ذم مرفوع أو منصوب ويبغونها عوجا
زيغا وميلا عمّا هو عليه والعوج بالكسر في المعاني والأعيان ما لم يكن منتصبة
وبالفتح ما كان في المنتصبة كالحائط والرمح وهم بالآخرة كافرون وبينهما حجاب
أي بين الفريقين لقوله فضرب بينهم بسور أو بين الجنة والنار ليمنع وصول
أثر أحدهما إلى الآخر وعلى الأعراف أي وعلى أعراف الحجاب أي أعاليه وهو
السور المضروب بينهما جمع عرف مستعار من عرف الفرس وقيل العرف ما ارتفع
من الشيء فإنه يكون لظهوره أعرف من غيره رجال طائفة من الموحدين قصّروا
في العمل فيحبسون بين الجنة والنار حتى يقضي الله فيهم ما يشاء وقيل قوم علت
درجاتهم كالأنبياء أو الشهداء أو خيار المؤمنين وعلمائهم أو ملائكة
يرون في صورة الرجال يعرفون كلا من أهل الجنة والنار بسيماهم بعلامتهم
التي أعلمهم الله بها كبياض الوجه وسواده فعلى من سام إبله إذا أرسلها
في المرعى معلمة أو من وسم على القلب كالجاه من الوجه وإنما يعرفون ذلك بالإلهام
أو تعليم الملائكة ونادوا أصحاب الجنة أن سلام عليكم أي إذا نظروا إليهم سلّموا
عليهم لم يدخلوها وهم يطمعون حال من الواو على الوجه الأول ومن الأصحاب
على الوجه الباقية وإذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار قالوا تعوّذا
بالله ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين أي في النار ونادى أصحاب الأعراف
رجالا يعرفونهم بسيماهم من رؤساء الكفرة قالوا ما أغنى عنكم جمعكم كثرتكم
أو جمعكم المال وما كنتم تستكبرون عن الحق أو على الخلق وقرئ تستكثرون
من الكثرة أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة من تتمة قولهم للرجال
والإشارة إلى ضعفاء أهل الجنة الذين كانت الكفرة يحتقرونهم في الدنيا
ويحلفون أن الله لا يدخلهم الجنة ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم
تحزنون أي فالتفتوا إلى أصحاب الجنة وقالوا لهم ادخلوا وهو أوفق للوجوه
الأخيرة أو فقيل لأصحاب الأعراف ادخلوا الجنة بفضل الله بعد أن حبسوا
حتى أبصروا الفريقين وعرفوهم وقالوا لهم ما قالوا وقيل لما عيّروا أصحاب
النار أقسموا أن أصحاب الأعراف لا يدخلون الجنة فقال الله أو بعض الملائكة
أهؤلاء الذين أقسمتم وقرئ أدخلوا ودخلوا على الاستيناف فتقديره

ادخلوا

ادخلوا الجنة مقولا لهم لا خوف عليكم ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن
أفيضوا علينا من الماء أي صبّوه وهو دليل على أن الجنة فوق النار أو مما رزقكم
الله من سائر الأشربة ليلائم الإفاضة أو من الطعام كقوله علفتها تبنا وماء باردا
قالوا إن الله حرّمهما على الكافرين منعهما عنهم منع المحرّم عن المكلف الذين
اتخذوا دينهم لهوا ولعبا كتحريم البحيرة والتصدية حول البيت واللهو صرفهم
بما لا يحسن أن يصرف به واللعب طلب الفرح بما لا يحسن أن يطلب به وغرتهم الحياة
الدنيا فاليوم ننساهم نفعل بهم فعل الناسين فنتركهم في النار كما نسوا لقاء
يومهم هذا فلم يخطروه ببالهم ولم يستعدوا له وما كانوا بآياتنا يجحدون وكما كانوا ينكرون
أنها من عند الله ولقد جئناهم بكتاب فصّلناه بيّنا معانيه من العقائد والأحكام
والمواعظ مفصلة على علم عالمين بوجه تفصيله حتى جاء حكيما وفيه دليل على أنه تعالى
عالم بعلم أو مشتملا على علم فيكون حالا من المفعول وقرئ فضّلناه أي على سائر
الكتب عالمين بأنه حقيق بذلك هدى ورحمة لقوم يؤمنون حال من الهاء
هل ينظرون إلا تأويله إلا ما يؤول إليه أمره من تبيين صدقه بظهور ما نطق به
من الوعد والوعيد يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل تركوه ترك الناسي
قد جاءت رسل ربنا بالحق أي قد تبين أنهم قد جاؤوا بالحق فهل لنا من شفعاء
فيشفعوا لنا اليوم أو نرد أو هل نرد إلى الدنيا وقرئ بالنصب عطفا على فيشفعوا
أو لأنّ أو بمعنى إلى أن فعلى الأول المسؤول أحد الأمرين وعلى الثاني أن يكون لهم شفعاء
إما لأحد الأمرين أو لأمر واحد وهو الرد فنعمل غير الذي كنا نعمل جواب الاستفهام
الثاني وقرئ بالرفع أي فنحن نعمل قد خسروا أنفسهم بصرف أعمارهم في الكفر
وضلّ عنهم ما كانوا يفترون بطل عنهم فلم ينفعهم إن ربكم الله الذي خلق
السموات والأرض في ستة أيام أي في ستة أوقات كقوله ومن يولهم يومئذ
دبره أو في مقدار ستة أيام فإن المتعارف زمان طلوع الشمس إلى غروبها
ولم يكن حينئذ وفي خلق الأشياء مدرجا مع القدرة على إيجادها دفعة
دليل للاختيار واعتبار للنظار وحث على التأني في الأمور ثم استوى
على العرش استوى أمره أو استولى وعن أصحابنا أن الاستواء على العرش صفة
لله تعالى بلا كيف والمعنى أن له تعالى استواء على العرش على الوجه الذي عناه منزها
عن الاستقرار والتمكن والعرش الجسم المحيط بسائر الأجسام سمي به لارتفاعه
أو للتشبيه بسرير الملك فإن الأمور والتدابير تنزل منه وقيل الملك يغشي
الليل النهار يغطيه ولم يذكر عكسه للعلم به أو لأن اللفظ يحتملهما ولذلك

وقرئ يغشي الليل النهار بنصب الليل ورفع النهار وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب
وأبو بكر عن عاصم بالتشديد فيه وفي الرعد للدلالة على التكرار يطلبه حثيثا
يعقبه سريعا كالطالب له لا يفصل بينهما شيء والحثيث فعيل من الحث وهو صفة
مصدر محذوف أو حال من الفاعل بمعنى حاثا أو المفعول بمعنى محثوثا والشمس و
القمر والنجوم مسخرات بأمره بقضائه وتصريفه ونصبها بالعطف على السموات
ونصب مسخرات على الحال وقرأ ابن عامر كلها بالرفع على الابتداء والخبر ألا له الخلق
والأمر فإنه الموجد والمتصرف تبارك الله رب العالمين تعالى بالوحدانية في الألوهية
وتعظم بالتفرد في الربوبية وتحقيق الآية والله أعلم أن الكفرة كانوا متخذين أربابا
فبين لهم أن المستحق للربوبية واحد وهو الله تعالى لأنه الذي له الخلق والأمر فإنه تعالى
خلق العالم على ترتيب قويم وتدبير حكيم فأبدع الأفلاك ثم زينها بالكواكب كما أشار إليه
بقوله فقضاهن سبع سموات في يومين وعمد إلى إيجاد الأجرام السفلية فخلق
جسما قابلا للصور المتبدلة والهيئات المختلفة ثم قسمها بصور نوعية متضادة
الآثار والأفعال وأشار إليه بقوله وخلق الأرض في يومين أي في جهة السفل في
يومين ثم أنشأ أنواع المواليد الثلاثة بتركيب موادها أولا وتصويرها ثانيا
كما قال بعد قوله وخلق الأرض في يومين وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك
فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام أي مع اليومين الأولين لقوله في سورة
السجدة الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم لما تم له عالم الملك
عمد إلى تدبيره كالملك الجالس على عرشه لتدبير المملكة فدبر الأمر من السماء
إلى الأرض بتحريك الأفلاك وتسيير الكواكب وتكوير الليالي والأيام ثم صرح
بما هو فذلكة التصوير ونتيجته فقال ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين
ثم أمرهم بأن يدعوه متذللين مخلصين فقال ادعوا ربكم تضرعا وخفية أي
ذوي تضرع وخفية فإن الإخفاء دليل الإخلاص إنه لا يحب المعتدين المجاوزين
ما أمروا به في الدعاء وغيره نبه به على أن الداعي ينبغي أن لا يطلب ما لا يليق
به كرتبة الأنبياء والصعود إلى السماء وقيل هو الصياح في الدعاء والإسهاب
فيه وعن النبي عم سيكون قوم يعتدون في الدعاء وحسب المرء أن يقول اللهم
إني أسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل وأعوذ بك من النار وما قرب
إليها من قول وعمل ثم قرأ إنه لا يحب المعتدين ولا تفسدوا في الأرض بالكفر و
المعاصي بعد إصلاحها ببعث الأنبياء وشرع الأحكام وادعوه خوفا وطمعا ذوي
خوف من الرد لقصور أعمالكم وعدم استحقاقكم وطمع في إجابته تفضلا و

وإحسانا لفرط رحمته إن رحمة الله قريب من المحسنين ترجيح للطمع وتنبيه على ما
يتوسل به إلى الإجابة وتذكير قريب لأن الرحمة بمعنى الرحم أو لأنه صفة محذوف أي
أمر قريب أو على تشبيهه بفعيل الذي بمعنى مفعول أو الذي هو مصدر كالنقيض أو
للفرق بين القريب من النسب والقريب من غيره وهو الذي يرسل الرياح وقرأ ابن
كثير وحمزة والكسائي الريح على الوحدة نشرا جمع نشور بمعنى ناشر وقرأ ابن عامر نشرا
بالتخفيف حيث وقع وحمزة والكسائي نشرا بفتح النون حيث وقع على أنه في موقع الحال
بمعنى ناشرات أو مفعول مطلق فإن الإرسال والنشر متقاربان وعاصم بشرا وهو
تخفيف بشر جمع بشير وقد قرئ به وبشرا بفتح الباء مصدر بشره بمعنى باشرات
أو للبشارة وبشرى بين يدي رحمته قدام رحمته يعني المطر فإن الصبا تثير السحاب
والشمال تجمعه والجنوب تدره والدبور تفرقه حتى إذا أقلت حملت واشتقاقه
من القلة فإن المقل للشيء يستقله سحابا ثقالا بالماء جمعه لأن السحاب جمع بمعنى
السحائب سقناه أي السحاب وإفراد الضمير باعتبار اللفظ لبلد ميت لأجله أو
لإحيائه أو لسقيه وقرئ ميت فأنزلنا به الماء بالبلد أو بالسحاب أو بالسوق
أو بالريح وكذلك فأخرجنا به ويحتمل فيه عود الضمير إلى الماء وإذا كان للبلد
فالباء للإلصاق في الأول وللظرفية في الثاني وإذا كان لغيره فهي للسببية
من كل الثمرات من كل أنواعها كذلك نخرج الموتى الإشارة فيه إلى إخراج الثمرات أو إلى
إحياء البلد الميت أي كما نحييه بإحداث القوة النباتية فيه وتطريتها بأنواع
النبات والثمرات نخرج الموتى من الأجداث ونحييها برد النفوس إلى مواد أبدانها بعد
جمعها وتطريتها بالقوى والحواس لعلكم تذكرون فتعلمون أن من قدر على ذلك
قدر على هذا والبلد الطيب الأرض الكريمة التربة يخرج نباته بإذن ربه بمشيئته و
تيسيره عبر به عن كثرة النبات وحسنه وغزارة نفعه لأنه أوقعه في مقابلة
والذي خبث أي كالحرة والسبخة لا يخرج إلا نكدا قليلا عديم النفع ونصبه على
الحال وتقدير الكلام والبلد الذي خبث لا يخرج نباته إلا نكدا فحذف المضاف و
أقيم المضاف إليه مقامه فصار مرفوعا مستترا وقرئ يخرج أي يخرجه البلد فيكون
إلا نكدا مفعولا ونكدا على المصدر أي ذا نكد ونكدا بالإسكان للتخفيف كذلك
نصرف الآيات نرددها ونكررها لقوم يشكرون نعمة الله فيتفكرون فيها ويعتبرون
بها والآية مثل لمن تدبر الآيات وانتفع بها ولم يتأثر بها لقد أرسلنا نوحا إلى
قومه جواب قسم محذوف ولا تكاد تطلق هذه اللام إلا مع قد لأنها مظنة التوقع
فإن المخاطب إذا سمعها توقع وقوع ما صدر بها ونوح بن لمك بن متوشلخ بن أخنوخ

او ابتي بعده بعث وهو ابن خمسين سنة او اربعين فقال يا قوم اعبدوا الله اي
اعبدوه وحده لقوله ما لكم من اله غيره وقرأ الكسائي غيره بالكسر على اللفظ
وقرئ بالنصب على الاستثناء اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم ان لم تؤمنوا وهو
وعيد وبيان للداعي الى عبادته واليوم يوم القيامة او يوم نزول الطوفان قال
الملأ من قومه اي الاشراف فانهم يملؤن العيون رواء انا لنراك في ضلال زوال
عن الحق مبين بين قال يا قوم ليس بي ضلالة اي شيء من الضلال بالغ في النفي
كما بالغوا في الاثبات وعرض لهم به ولكني رسول من رب العالمين استدراك باعتبار
ما يلزمه وهو كونه على هدى كانه قال ولكني على هدى في الغاية لاني رسول من
الله ابلغكم رسالات ربي وانصح لكم واعلم من الله ما لا تعلمون صفات لرسول الله
او استئناف ومساقها على الوجهين لبيان كونه رسولا وقرأ ابو عمرو ابلغكم
بالتخفيف وجمع الرسالات لاختلاف اوقاتها او لتنوع معانيها كالعقائد والمواعظ
والاحكام او لان المراد بها ما اوحي اليه والى الانبياء قبله كصحف شيث وادريس
وزيادة اللام في لكم للدلالة على امحاض النصح لهم وفي اعلم من الله تقرير لما اوعدهم
به فان معناه اعلم من قدرته وشدة بطشه او من جهته بالوحي اشياء لا علم لكم
بها او عجبتم الهمزة للانكار والواو للعطف على محذوف اي اكذبتم وعجبتم
من ان جاءكم ذكر من ربكم رسالة او موعظة على رجل على لسان رجل منكم من جملتكم
او من جنسكم فانهم كانوا يتعجبون من ارسال البشر ويقولون لو شاء الله لانزل ملائكة
ما سمعنا بهذا في آبائنا الاولين لينذركم عاقبة الكفر والمعاصي ولتتقوا منهما
بسبب الانذار ولعلكم ترحمون بالتقوى وفائدة حرف الترجي التنبيه على ان التقوى
غير موجب والترحم من الله تفضل وان المتقي ينبغي ان لا يعتمد على تقواه ولا يامن
من عذاب الله فكذبوه فانجيناه والذين معه وهم من آمن به وكانوا اربعين
رجلا واربعين امرأة وقيل عشرة بنوه سام وحام ويافث وسبعة ممن آمن
به في الفلك متعلق بمعه او بانجيناه او حال من الموصول او الضمير في معه
واغرقنا الذين كذبوا بآياتنا بالطوفان انهم كانوا قوما عمين عمي القلوب غير
مستبصرين واصله عميين فخفف وقرئ عامين والاول ابلغ لدلالته على الثبات
والى عاد اخاهم عطف على نوحا الى قومه هودا عطف بيان لاخاهم والمراد به
الواحد منهم كقولهم يا اخا العرب فانه هود بن عبد الله بن رباح بن خلود بن عاد
بن عوص بن ارم بن سام بن نوح وقيل هود بن شالح بن ارفخشد بن سام بن عم ابي
عاد وانما جعل منهم لانهم افهم لقوله واعرف بحاله وارغب في اقتفائه

قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره استئناف ولم يعطف كانه جواب سائل
قال فما قال لهم حين ارسل وكذلك جوابهم افلا تتقون عذاب الله وكان قومه كانوا
اقرب من قوم نوح ولذلك قال قال الملأ الذين كفروا من قومه اذ كان من اشرافهم
من آمن به كمرثد بن سعد انا لنراك في سفاهة متمكنا في خفة عقل راسخا فيها
وانا لنظنك من الكاذبين قال يا قوم ليس بي سفاهة ولكني
رسول من رب العالمين ابلغكم رسالات ربي وانا لكم ناصح امين او عجبتم ان جاءكم
ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم سبق تفسيره وفي اجابة الانبياء الكفرة عن كلماتهم
الحمقاء بما اجابوا والاعراض عن مقالتهم كمال النصح والشفقة وهضم النفس وحسن
المجادلة وهكذا ينبغي لكل ناصح وفي قوله وانا لكم ناصح امين تنبيه على انهم عرفوه
بالامرين واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح اي في مساكنهم او في الارض
بان جعلكم ملوكا فان شداد بن عاد ممن ملك معمورة الارض من رمل عالج الى شحر
عمان خوفهم من عقاب الله ثم ذكرهم بانعامه وزادكم في الخلق بسطة قامة وقوة
فاذكروا آلاء الله تعميم بعد تخصيص لعلكم تفلحون لكي يفضي بكم ذكر النعم الى شكرها
المؤدي الى الفلاح قالوا اجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا
استبعدوا اختصاص الله بالعبادة والاعراض عما اشرك به آباؤهم انهماكا في التقليد
وحبا لما الفوه ومعنى المجيء في اجئتنا اما المجيء من مكان اعتزل به عن قومه او من
السماء على التهكم او القصد على المجاز كقولهم ذهب يسبني فأتنا بما تعدنا من العذاب
المدلول عليه بقوله افلا تتقون ان كنت من الصادقين فيه قال قد وقع عليكم
قد وجب وحق عليكم او نزل عليكم على المتوقع كالواقع من ربكم رجس عذاب
من الارتجاس وهو الاضطراب وغضب ارادة انتقام اتجادلونني في اسماء
سميتموها انتم وآباؤكم ما نزل الله بها من سلطان اي في اشياء سميتموها
آلهة وليس فيها معنى الالهية لان المستحق للعبادة بالذات هو الموجد للكل وانها
لو استحقت كان استحقاقها بجعله تعالى اما بانزال آية او نصب حجة بين ان منتهى
حجتهم وسندهم ان الاصنام تسمى آلهة من غير دليل يدل على تحقق المسمى واسناد
الاطلاق الى من لا يؤبه بقوله اظهارا لغاية جهالتهم وفرط غباوتهم واستدل به
على ان الاسم هو المسمى وان اللغات توقيفية اذ لو لم يكن كذلك لم يتوجه الذم والابطال
بانها اسماء مخترعة لم ينزل الله بها سلطانا وضعفهما ظاهر فانتظروا لما وضح
الحق وانتم مصرون على العناد نزول العذاب اني معكم من المنتظرين فانجيناه
والذين معه في الدين برحمة منا عليهم وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا اي

استأصلناهم وما كانوا مؤمنين تعريض بمن آمن منهم وتنبيه على أن الفارق بين من
نجا ومن هلك هو الايمان روي انهم كانوا يعبدون الاصنام فبعث الله اليهم هودا فكذبوه
فازدادوا عتوا فامسك الله القطر عنهم ثلث سنين حتى جهدهم وكان الناس حينئذ
مسلمهم ومشركهم اذا نزل بهم بلاء توجهوا الى البيت الحرام فطلبوا من الله الفرج فجهزوا
اليه قيل بن عنز ومرثد بن سعد في سبعين من اعيانهم وكان اذ ذاك بمكة العمالقة
اولاد عمليق بن لاوذ بن سام وسيدهم معاوية بن بكر فلما قدموا عليه وهو بظاهر
مكة انزلهم واكرمهم وكانوا اخواله واصهاره فلبثوا عنده شهرا يشربون الخمر و
تغنيهم الجرادتان قينتان له فلما راى ذهولهم عما بعثوا له اهمه ذلك واستحيى ان
يكلمهم فيه مخافة ان يظنوا به ثقل مقامهم فعلم القينتين الا يا قيل ويحك قم فهينم لعل
الله يسقينا غماما فيسقي ارض عاد ان عادا قد امسوا لا يبينون الكلام حتى غنتا
به فازعجهم ذلك فقال مرثد والله لا تسقون بدعائكم ولكن ان اطعتم نبيكم وتبتم الى الله
سقيتم فقالوا لمعاوية احبسه عنا لا يقدمن معنا مكة فانه قد اتبع دين هود وترك
ديننا ثم دخلوا مكة فقال قيل اللهم اسق عادا ما كنت تسقيهم فانشا الله سحابات
ثلثا بيضاء وحمراء وسوداء ثم ناداه مناد من السماء يا قيل اختر لنفسك ولقومك
فقال اخترت السوداء فانها اكثرهن ماء فخرجت على عاد من وادي المغيث فاستبشروا بها
وقالوا هذا عارض ممطرنا فجاءتهم منها ريح عقيم فاهلكتهم ونجا هود والمؤمنون
معه فاتوا مكة وعبدوا الله فيها حتى ماتوا والى ثمود قبيلة اخرى من العرب سموا باسم
ابيهم الاكبر ثمود بن عابر بن ارم بن سام بن نوح وقيل سموا به لقلة مائهم من الثمد
وهو الماء القليل وقرئ مصروفا بتاويل الحي او باعتبار الاصل وكانت مساكنهم
الحجر بين الحجاز والشام الى وادي القرى اخاهم صالحا صالح بن عبيد بن آسف بن
ماسح بن عبيد بن حاذر بن ثمود قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد جاءتكم
بينة من ربكم معجزة ظاهرة الدلالة على صحة نبوتي وقوله هذه ناقة الله لكم آية
استئناف لبيانها وآية نصب على الحال والعامل فيها معنى الاشارة ولكم بيان
لمن هي له آية ويجوز ان تكون ناقة الله بدلا او عطف بيان ولكم خبرا عاملا في آية
واضافة الناقة الى الله لتعظيمها ولانها جاءت من عنده بلا وسائط واسباب
معهودة ولذلك كانت آية فذروها تاكل في ارض الله العشب ولا تمسوها بسوء نهي
عن المس الذي هو مقدمة الاصابة بالسوء الجامع لانواع الاذى مبالغة في الامر
وازاحة للعذر فياخذكم عذاب اليم جواب للنهي واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد
عاد وبوأكم في الارض ارض الحجر تتخذون من سهولها قصورا اي تبنون في سهولها

او من سهولة الارض بما تعملون منها كاللبن والآجر وتنحتون الجبال بيوتا وقرئ
تنحتون بالفتح وتنحاتون بالاشباع وانتصاب بيوتا على الحال المقدرة او المفعول على ان
التقدير بيوتا من الجبال او تنحتون بمعنى تتخذون فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا في الارض
مفسدين قال الملأ الذين استكبروا من قومه اي عن الايمان للذين استضعفوا اي
للذين استضعفوهم واستذلوهم لمن آمن منهم بدل من الذين استضعفوا بدل
الكل ان كان الضمير لقومه وبدل البعض ان كان للذين اتعلمون ان صالحا مرسل من
ربه قالوه على الاستهزاء قالوا انا بما ارسل به مؤمنون عدلوا به عن الجواب
السوي الذي هو نعم تنبيها على ان ارساله اظهر من ان يشك فيه عاقل ويخفى على ذي
راي وانما الكلام فيمن آمن به ومن كفر فلذلك قال الله قال الذين استكبروا انا بالذي
آمنتم به كافرون على وجه المقابلة ووضعوا آمنتم موضع ارسل به ردا لما جعلوه
معلوما مسلما فعقروا الناقة فنحروها اسند الى جميعهم فعل بعضهم للملابسة او لانه
كان برضاهم وعتوا عن امر ربهم واستكبروا عن امتثاله وهو ما بلغهم صالح بقوله
فذروها وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا ان كنت من المرسلين فاخذتهم الرجفة فاصبحوا في دارهم
جاثمين روي انهم بعد عاد عمروا بلادهم وخلفوهم وكثروا وعمروا اعمارا طوالا
لا تفي بها الابنية فنحتوا البيوت من الجبال وكانوا في خصب وسعة فعتوا وافسدوا
في الارض وعبدوا الاصنام فبعث الله اليهم صالحا من اشرافهم فانذرهم فسألوه
آية فقال اية آية تريدون قالوا اخرج معنا الى عيدنا فتدعو الهك وندعو آلهتنا فمن
استجيب له اتبع فخرج معهم فدعوا اصنامهم فلم تجبهم ثم اشار سيدهم جندع بن
عمرو الى صخرة منفردة يقال لها الكاثبة وقال له اخرج من هذه الصخرة ناقة
مخترجة جوفاء وبراء فان فعلت صدقناك فاخذ عليهم صالح مواثيقهم لئن
فعلت لتؤمنن فقالوا نعم فصلى ودعا ربه فتمخضت الصخرة تمخض النتوج بولدها
فانصدعت عن ناقة عشراء جوفاء وبراء كما وصفوا وهم ينظرون ثم نتجت ولدا
مثلها في العظم فآمن به جندع في جماعة ومنع الباقين من الايمان ذؤاب بن
عمرو والحباب صاحب اوثانهم ورباب كاهنهم فمكثت الناقة مع ولدها ترعى
الشجر وترد الماء غبا فما ترفع راسها من البئر حتى تشرب كل ماء فيها ثم تتفحج
فيحلبون ما شاؤوا حتى تمتلئ اوانيهم ويشربون ويدخرون وكانت تصيف بظهر
الوادي فتهرب منها انعامهم الى بطنه وتشتو ببطنه فتهرب مواشيهم الى ظهره
فشق ذلك عليهم وزينت عقرها لهم عنيزة ام غنم وصدقة بنت المختار فعقروها
واقتسموا لحمها فرقي سقبها جبلا اسمه قارة فرغا ثلثا فقال صالح لهم ادركوا

اذكروا الفصيل عسى ان يرفع عنكم العذاب فلم يقدروا عليه اذ انفجرت بعد رغائه
فدخلها فقال لهم تصبح وجوهكم غدا مصفرة وبعد غد محمرة واليوم الثالث مسودة
ثم يصبحكم العذاب فلما رأوا العلامات طلبوا ان يقتلوه فانجاه الله الى ارض فلسطين
ولما كان ضحوة اليوم الرابع تحنطوا وتكفنوا بالانطاع فاتتهم صيحة من السماء
فتقطعت قلوبهم فهلكوا فتولى عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالة ربي ونصحت
لكم ولكن لا تحبون الناصحين ظاهره ان توليه عنهم كان بعد ان ابصرهم جاثمين
ولعله خاطبهم به بعد هلاكهم كما خاطب رسول الله صلعم اهل قليب بدر وقال انا
وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا او ذكر ذلك على سبيل
التحسر عليهم ولوطا اي وارسلنا لوطا اذ قال لقومه وقت قوله لهم او واذكر لوطا
واذ بدل منه اتأتون الفاحشة توبيخ وتقريع على تلك الفعلة المتمادية في القبح
ما سبقكم بها من احد من العالمين ما فعلها قبلكم احد قط والباء للتعدية ومن
الاولى لتأكيد النفي والاستغراق والثانية للتبعيض والجملة استئناف مقررة
للانكار كانه وبخهم اولا باتيان الفاحشة ثم باختراعها فانه اسوأ انكم لتأتون
الرجال شهوة من دون النساء بيان لقوله اتأتون الفاحشة وهو ابلغ في الانكار
والتوبيخ وقرأ نافع وحفص انكم على الاخبار المستأنف وشهوة مفعول له او
مصدر في موقع الحال وفي التقييد بها وصفهم بالبهيمية الصرفة وتنبيه على ان
العاقل ينبغي ان يكون الداعي له الى المباشرة طلب الولد وبقاء النوع لا قضاء الشهوة
بل انتم قوم مسرفون اضراب عن الانكار الى الاخبار عن حالهم التي ادت بهم الى
ارتكاب امثالها وهي اعتياد الاسراف في كل شيء او عن الانكار عليها الى الذم على
جميع معايبهم او عن محذوف مثل لا عذر لكم فيه بل انتم قوم عادتكم الاسراف
وما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوهم من قريتكم اي ما جاءوا بما يكون جوابا
عن كلامه ولكنهم قابلوا نصحه بالامر باخراجه فيمن معه من المؤمنين من قريتهم
والاستهزاء بهم فقالوا انهم اناس يتطهرون اي من الفواحش فانجيناه واهله
من آمن به الا امرأته فانها كانت تسر الكفر كانت من الغابرين من الذين بقوا في ديارهم
فهلكوا والتذكير لتغليب الذكور وامطرنا عليهم مطرا اي نوعا من المطر عجيبا و
هو مبين لقوله وامطرنا عليهم حجارة من سجيل فانظر كيف كان عاقبة المجرمين
روي ان لوط بن هاران بن تارخ لما هاجر مع عمه ابراهيم الى الشام بالاردن فارسله
الله الى اهل سدوم ليدعوهم الى الله وينهاهم عما اخترعوه من الفاحشة فلم
ينتهوا عنها فامطر الله عليهم الحجارة فهلكوا وقيل خسف بالمقيمين منهم وامطرت

الحجارة

الحجارة على مسافريهم والى مدين اخاهم شعيبا اي وارسلنا اليهم وهم اولاد مدين
بن ابراهيم شعيب بن ميكيل بن يشجر بن مدين وكان يقال له خطيب الانبياء لحسن مراجعته
قومه قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم يريد
المعجزة التي كانت له وليس في القرآن انها ما هي وما روي من محاربة عصى موسى
التنين وولادة الغنم التي دفعها اليه الدرع خاصة وكانت الموعودة له من
اولادها ووقوع عصا آدم على يده في المرات السبع متأخرة عن هذه المقاولة
يحتمل ان تكون كرامة لموسى او ارهاصا لنبوته فاوفوا الكيل اي آلة الكيل على
الاضمار او اطلاق الكيل على المكيال كالعيش على المعاش لقوله والميزان كما قال
في سورة هود او فاوفوا الكيل ووزن الميزان ويجوز ان يكون الميزان مصدرا
كالميعاد ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا تنقصوهم حقوقهم وانما قال اشياءهم
للتعميم تنبيها على انهم كانوا يبخسون الجليل والحقير والقليل والكثير وقيل
كانوا مكاسين لا يدعون شيئا الا مكسوه ولا تفسدوا في الارض بالكفر والحيف
بعد اصلاحها بعد ما اصلح امرها واهلها الانبياء واتباعهم بالشرائع او اصلحوا
فيها والاضافة اليها كالاضافة في بل مكر الليل والنهار ذلكم خير لكم ان كنتم
مؤمنين اشارة الى العمل بما امرهم به ونهيهم عنه ومعنى الخيرية اما الزيادة
مطلقا او في الانسانية وحسن الاحدوثة وجمع المال ولا تقعدوا بكل صراط
توعدون بكل طريق من طرق الدين كالشيطان وصراط الحق وان كان واحدا
لكنه يتشعب الى معارف وحدود واحكام وكانوا اذا رأوا احدا يسعى
في شيء منها منعوه وقيل كانوا يجلسون على المراصد فيقولون لمن يريد شعيبا
انه كذاب لا يفتننك عن دينك ويتوعدون لمن آمن به وقيل كانوا يقطعون
الطريق وتصدون عن سبيل الله يعني الذي قعدوا عليه فوضع الظاهر موضع
المضمر بيانا لكل صراط ودلالة على عظم ما يصدون عنه وتقبيحا لما كانوا
عليه او الايمان بالله من آمن به اي بالله او بكل صراط على الاول ومن مفعول
تصدون على اعمال الاقرب ولو كان مفعول توعدون لقال وتصدونهم وتوعدون
بما عطف عليه في موضع الحال من الضمير في تقعدوا وتبغونها عوجا وتطلبون
لسبيل الله عوجا بالقاء الشبه او وصفها للناس بانها معوجة واذكروا
اذ كنتم قليلا عددكم او عددكم فكثركم بالبركة في النسل او المال وانظروا
كيف كان عاقبة المفسدين من الامم قبلكم واعتبروا بهم وان كان طائفة منكم
آمنوا بالذي ارسلت به وطائفة لم يؤمنوا فاصبروا فتربصوا حتى يحكم الله

بيننا اي بين الفريقين بنصر المحقين على المبطلين وهو وعد للمؤمنين ووعيد
للكافرين وهو خير الحاكمين اذ لا معقب لحكمه ولا حيف فيه قال الملأ الذين
استكبروا من قومه لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا او لتعودن
في ملتنا اي ليكونن احد الامرين اما اخراجكم من القرية او عودكم في الكفر وشعيب
لم يكن في ملتهم قط لان الانبياء لا يجوز عليهم الكفر مطلقا لكن غلبوا الجماعة
على الواحد فخوطب هو وقومه بخطابهم وعلى ذلك اجري الجواب في قوله قال اولو
كنا كارهين اي كيف نعود فيها ونحن كارهون لها او لتعيدوننا في حال كراهتنا
قد افترينا على الله كذبا قد اختلقنا عليه ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها
شرط جوابه محذوف دليله قد افترينا وهو بمعنى المستقبل لانه لم يقع لكنه جعل
كالواقع للمبالغة وادخل عليه قد لتقريبه من الحال اي قد افترينا الآن ان هممنا
بالعود بعد الخلاص منها حيث نزعم ان لله ندا وانه قد تبين لنا ان ما كنا عليه باطل
وما انتم عليه حق وقيل انه جواب قسم وتقديره والله لقد افترينا وما يكون
لنا وما يصح لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله ربنا خذلاننا وارتدادنا وفيه دليل
ان الكفر بمشيئته وقيل اراد به حسم طمعهم في العود بالتعليق على ما لا يكون وسع
ربنا كل شيء علما اي احاط علمه بكل شيء مما كان وما يكون منا ومنكم على الله
توكلنا في ان يثبتنا على الايمان ويخلصنا من الاشرار ربنا افتح بيننا وبين قومنا
بالحق احكم بيننا والفتاح القاضي والفتاحة الحكومة او اظهر امرنا حتى
ينكشف ما بيننا وبينهم ويتميز المحق من المبطل من فتح المشكل اذا بينه وانت خير الفاتحين
على المعنيين وقال الملأ الذين كفروا من قومه لئن اتبعتم شعيبا وتركتم دينكم
اذا لخاسرون لاستبدالكم ضلالته بهديكم او لفوات ما يحصل لكم بالبخس
والتطفيف وهو ساد مسد جواب الشرط والقسم الموطأ باللام فاخذتهم
الرجفة الزلزلة وفي سورة الحجر فاخذتهم الصيحة ولعلها كانت من مباديها
فاصبحوا في دارهم جاثمين اي في مدينتهم الذين كذبوا شعيبا مبتدأ خبره كأن لم
يغنوا فيها اي استؤصلوا كأن لم يقيموا فيها والمغنى المنزل الذين كذبوا شعيبا
كانوا هم الخاسرين دينا ودنيا لا الذين صدقوه واتبعوه كما زعموا فانهم الرابحون
في الدارين وللتنبيه على هذا والمبالغة فيه كرر الموصول واستئناف الجملتين
واتى بهما اسميتين فتولى عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالات ربي ونصحت
لكم قاله تأسفا بهم لشدة حزنه عليهم ثم انكر على نفسه فقال فكيف آسى على قوم
كافرين ليسوا اهل حزن لاستحقاقهم ما نزل عليهم بكفرهم او قاله اعتذارا

عن عدم شدة حزنه عليهم والمعنى لقد بالغت في الابلاغ والانذار وبذلت وسعي في النصح و
الاشفاق فلم تصدقوا قولي فكيف آسى عليكم وقرئ فكيف ايسى بامالتين وما
ارسلنا في قرية من نبي الا اخذنا اهلها بالبأساء والضراء بالبؤس والضر لعلهم
يضرعون كي يتضرعوا ويتذللوا ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة اي اعطيناهم بدل
ما كانوا فيه من البلاء والشدة السلامة والسعة ابتلاء لهم بالامرين حتى عفوا
كثروا عددا يقال عفا النبات اذا كثر ومنه اعفاء اللحى وقالوا قد مس آباءنا الضراء
والسراء كفرانا لنعمة الله ونسيانا لذكره واعتقادا بانه من عادة الدهر يعاقب
في الناس بين الضراء والسراء وقد مس آباءنا منه مثل ما مسنا فاخذناهم بغتة
فجاءة وهم لا يشعرون بنزول العذاب ولو ان اهل القرى يعني القرى المدلول عليها بقوله
وما ارسلنا في قرية من نبي وقيل مكة وما حولها آمنوا واتقوا مكان كفرهم و
عصيانهم لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض لوسعنا عليهم الخير ويسرناه
لهم من كل جانب وقيل المراد المطر والنبات وقرأ ابن عامر لفتّحنا بالتشديد ولكن كذبوا
فاخذناهم بما كانوا يكسبون من الكفر والمعاصي افأمن اهل القرى عطف على قوله
فاخذناهم بغتة وهم لا يشعرون وما بينهما اعتراض والمعنى ابعد ذلك امن اهل
القرى ان يأتيهم بأسنا بياتا تبييتا او وقت بيات او مبيّتا او مبيّتين وهو في
الاصل مصدر بمعنى البيتوتة ويجيء بمعنى التبييت كالسلام بمعنى التسليم وهم
نائمون حال من ضميرهم البارز او المستتر في بياتا او امن اهل القرى وقرأ ابن كثير
ونافع وابن عامر او بالسكون على الترديد ان يأتيهم بأسنا ضحى ضحوة النهار وهو
في الاصل ضوء الشمس اذا ارتفعت وهم يلعبون يلهون من فرط الغفلة او يشتغلون
بما لا ينفعهم افأمنوا مكر الله تكرير لقوله افأمن اهل القرى ومكر الله استعارة لاستدراج
العبد واخذه من حيث لا يحتسب فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون الذين خسروا
بالكفر وترك النظر والاعتبار اولم يهد للذين يرثون الارض من بعد اهلها اي
يخلفون من خلا قبلهم ويرثون ديارهم وانما عدي يهد باللام لانه بمعنى يبين ان لو
نشاء اصبناهم بذنوبهم ان الشأن لو نشاء اصبناهم بجزاء ذنوبهم كما اصبنا
من قبلهم وهو فاعل يهدي ومن قرأه بالنون جعله مفعولا ونطبع على قلوبهم
عطف على ما دل عليه اولم يهد اي يغفلون عن الهداية او منقطع عن الهداية
بمعنى ونحن نطبع ولا يجوز عطفه على اصبناهم على انه بمعنى وطبعنا لافضائه
الى نفي الطبع عنهم لانه في سياقة جواب لو فهم لا يسمعون سماع تفهم واعتبار
تلك القرى يعني قرى الامم المار ذكرهم نقص عليك من انبائها حال ان جعل القرى

خبرًا ويكون افادته بالتقييد بها وخبرًا ان جعلت صفة ويجوز ان يكونا خبرين
ومن للتبعيض اي بعض انبائها ولها انباء غيرها لا نقصها ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات
بالمعجزات فما كانوا ليؤمنوا عند مجيئهم بها بما كذبوا من قبل بما كذبوه من
قبل الرسل بل كانوا مستمرين على التكذيب او فما كانوا ليؤمنوا مدة عمرهم بما كذبوا
به اولا حين جاءتهم الرسل ولم تؤثر فيهم قط دعوتهم المتطاولة والآيات المتتابعة
واللام لتأكيد النفي والدلالة على انهم ما صلحوا للايمان لمنافاته لحالهم في التصميم
على الكفر والطبع على قلوبهم كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين فلا يلين شكيمتهم
بالآيات والنذر وما وجدنا لاكثرهم لاكثر الناس والآية اعتراض او لاكثر الامم
المذكورين من عهد من وفاء عهد فان اكثرهم نقضوا ما عهد الله اليهم في الايمان
والتقوى بانزال الآيات ونصب الحجج او ما عهدوا اليه حين كانوا في ضر ومخافة
مثل لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين وان وجدنا اكثرهم اي علمناهم
لفاسقين من وجدت زيدا ذا الحفاظ لدخول ان المخففة واللام الفارقة وذلك
لا يسوغ الا في المبتدأ والخبر والافعال الداخلة عليهما وعند الكوفيين ان للنفي
واللام بمعنى الا ثم بعثنا من بعدهم موسى الضمير للرسل في قوله ولقد جاءتهم
رسلهم او للامم بآياتنا يعني المعجزات الى فرعون وملائه فظلموا بها بان كفروا بها
مكان الايمان الذي هو من حقها لوضوحها ولهذا المعنى وضع ظلموا موضع كفروا
وفرعون لقب لمن ملك مصر ككسرى لمن ملك فارس وكان اسمه قابوس وقيل الوليد
بن مصعب بن ريان فانظر كيف كان عاقبة المفسدين وقال موسى يا فرعون اني
رسول من رب العالمين اليك وقوله حقيق على ان لا اقول على الله الا الحق لعله
جواب لتكذيبه اياه في دعوى الرسالة وانما لم يذكر لدلالة قوله فظلموا بها
عليه وكان اصله حقيق على ان لا اقول كما قرأه نافع فقلب لامن الالباس كقوله
وتشقى الرماح بالضياطرة الحمر او لان ما لزمك فقد لزمته او للاغراق في
الوصف بالصدق والمعنى انه واجب على القول الحق ان اكون انا قائله لا يرضى الا
بمثله ناطقا به او ضمن حقيق معنى حريص او وضع على مكان الباء لافادة التمكن
كقولهم رميت على القوس وجئت على حال حسنة ويؤيده قراءة ابي بالباء وقرئ
حقيق ان لا اقول قد جئتكم ببينة من ربكم فارسل معي بني اسرائيل فخلهم حتى يرجعوا
معي الى الارض المقدسة التي هي وطن آبائهم وكان قد استعبدهم واستخدمهم في
الاعمال قال ان كنت جئت بآية من عند من ارسلك فأت بها فاحضرها عندي ليثبت بها
صدقك ان كنت من الصادقين في الدعوى فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين ظاهر

امرها لا يشك في انه ثعبان وهو الحية العظيمة روي انه لما القاها صارت ثعبانا
اشعر فاغرا فاه بين لحييه ثمانون ذراعا وضع لحيه الاسفل على الارض والاعلى على سور
القصر ثم توجه نحو فرعون فهرب منه واحدث فانهزم الناس مزدحمين فمات منهم خمسة
وعشرون الفا وصاح فرعون يا موسى انشدك بالذي ارسلك خذه وانا اومن بك
وارسل معك بني اسرائيل فاخذه فعاد عصا ونزع يده من جيبه او من تحت ابطه فاذا
هي بيضاء للناظرين اي بيضاء بياضا خارجا عن العادة يجتمع عليها النظارة او بيضاء
للنظار لا انها كانت بيضاء في جبلتها روي انه كان آدم شديد الادمة فادخل يده
في جيبه او تحت ابطه ثم نزعها فاذا هي بيضاء نورانية غلب شعاعها شعاع الشمس
قال الملأ من قوم فرعون ان هذا لساحر عليم قيل قاله هو واشراف قومه على سبيل
التشاور في امره فحكى عنه في سورة الشعراء وعنهم ههنا يريد ان يخرجكم من ارضكم
فماذا تأمرون تشيرون في ان تفعل قالوا ارجه واخاه وارسل في المدائن حاشرين
يأتوك بكل ساحر عليم كانه اتفقت عليه آراؤهم فاشاروا به الى فرعون والارجاء
التأخير اي اخر امره واصله ارجئه كما قرأ ابو عمرو ويعقوب من ارجأت و
كذلك ارجئهو على قراءة ابن كثير على الاصل في الضمير او ارجه من ارجيت كما قرأ
نافع في رواية ورش واسماعيل والكسائي واما قراءته في رواية قالون ارجه
بحذف الياء فللاكتفاء بالكسرة عنها واما قراءة حمزة ارجه بسكون الهاء فلتشبيه
المنفصل بالمتصل وجعل جه كابل في اسكان وسطه واما قراءة ابن عامر
ارجئه بالهمزة وكسر الهاء فلا يرتضيه النحاة فان الهاء لا تكسر الا اذا كان
قبلها كسرة او ياء ساكنة ووجهه ان الهمزة لما كانت تقلب ياء اجريت مجراها وقرأ
حمزة والكسائي بكل سحار فيه وفي يونس ويؤيده اتفاقهم عليه في الشعراء و
جاء السحرة فرعون بعدما ارسل الشرط في طلبهم قالوا ان لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين
استئناف كانه جواب سائل قال ما قالوا اذ جاؤوا وقرأ ابن كثير ونافع و
حفص ان لنا على الاخبار وايجاب الاجر كأنهم قالوا لا بد لنا من اجر والتنكير
للتعظيم قال نعم وانكم لمن المقربين عطف على ما سد مسده نعم وزيادة
على الجواب لتحريضهم قالوا يا موسى اما ان تلقي واما ان نكون نحن الملقين خيروا
موسى مراعاة للادب او اظهارا للجلادة ولكن كانت رغبتهم في ان يلقوا قبله فنبهوا
عليها بتغيير النظم الى ما هو ابلغ وتعريف الخبر وتوسيط الفصل وتأكيد ضميرهم
المتصل بالمنفصل فلذلك قال القوا كرما وتسامحا وازدراء بهم ووثوقا على شأنه
فلما القوا سحروا اعين الناس بان خيلوا اليها ما الحقيقة بخلافه واسترهبوهم

واسترهبوهم رهبا شديدا كأنهم طلبوا رهبتهم وجاؤا بسحر عظيم في فنه روي انهم
القوا حبالا غلاظا وخشبا طوالا كأنها حيات ملأت الوادي وركب بعضها بعضا
واوحينا الى موسى ان الق عصاك فالقاها فصارت حية فاذا هي تلقف ما يأفكون
اي ما يزورونه من الافك وهو الصرف وقلب الشيء عن وجهه ويجوز ان يكون ما
مصدرية وهي مع الفعل بمعنى المفعول روي انها لما تلقفت حبالهم وعصيهم وابتلعتها
باسرها اقبلت على الحاضرين فهربوا وازدحموا حتى هلك جمع عظيم ثم اخذها
موسى فصارت عصا كما كانت فقالت السحرة لو كان هذا سحرا لبقيت حبالنا وعصينا
فوقع الحق فثبت لظهور امره وبطل ما كانوا يعملون من السحر والمعارضة فغلبوا
هنالك وانقلبوا صاغرين صاروا اذلاء مبهوتين او رجعوا الى المدينة مقهورين
والضمير لفرعون وقومه والقي السحرة ساجدين جعلهم ملقين على وجوههم
تنبيها على ان الحق بهرهم واضطرهم الى السجود بحيث لم يبق لهم تمالك او ان الله الهمهم
ذلك وحملهم عليه حتى ينكسر فرعون بالذي اراد به كسر موسى وينعكس الامر عليه
او مبالغة في سرعة خرورهم وشدته قالوا امنا برب العالمين رب موسى وهرون
ابدلوا الثاني من الاول لئلا يتوهم انهم ارادوا به فرعون قال فرعون امنتم به
بالله او بموسى والاستفهام فيه للانكار وقرأ حمزة والكسائي وابو بكر عن
عاصم وروح عن يعقوب بتحقيق الهمزتين على الاصل وقرأ حفص امنتم به على
الاخبار قبل ان اذن لكم ان هذا لمكر مكرتموه اي ان هذا الصنع لحيلة احتلتموها
انتم وموسى في المدينة في مصر قبل ان تخرجوا للميعاد لتخرجوا منها اهلها
يعني القبط وتخلص لكم ولبني اسرائيل فسوف تعلمون عاقبة ما فعلتم وهو
تهديد مجمل تفصيله لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف من كل شق طرفا ثم
لاصلبنكم اجمعين تفضيحا لكم وتنكيلا لامثالكم قيل انه اول من سن ذلك فشرعه
الله للقطاع تعظيما لجرمهم ولذلك سماه محاربة الله ورسوله ولكن على
التعاقب لفرط رحمته قالوا انا الى ربنا منقلبون بالموت لا محالة فلا نبالي
بوعيدك او انا منقلبون الى ربنا وثوابه ان فعلت بنا ذلك كأنهم استطابوه
شغفا على لقاء الله او مصيرنا ومصيرك الى ربنا فيحكم بيننا وما تنقم منا
وما تنكر منا الا ان امنا بآيات ربنا لما جاءتنا وهو خير الاعمال واصل
المناقب ليس مما يتأتى لنا العدول عنه طلبا لمرضاتك ثم فزعوا الى الله فقالوا
ربنا افرغ علينا صبرا افض علينا ما يغمرنا كما يفرغ الماء او صب علينا ما يطهرنا
من الآثام وهو الصبر على وعيد فرعون وتوفنا مسلمين ثابتين على الاسلام

قيل انه فعل بهم ما اوعدهم به وقيل انه لم يقدر عليهم لقوله تعالى انتما ومن اتبعكما
الغالبون وقال الملأ من قوم فرعون اتذر موسى وقومه ليفسدوا في الارض
بتغيير الناس عليك ودعوتهم الى مخالفتك ويذرك عطف على يفسدوا او جواب
للاستفهام بالواو كقول الحطيئة الم اك جاركم ويكون بيني وبينكم المودة والاخاء
على معنى ايكون منك ترك موسى ويكون منه تركه اياك وقرئ بالرفع على انه عطف
على اتذر او استيناف او حال وقرئ بالسكون كأنه قيل يفسدوا ويذرك كقوله
فاصدق واكن والهتك معبوداتك قيل كان يعبد الكواكب وقيل صنع لقومه اصناما
وامرهم ان يعبدوها تقربا اليه ولذلك قال انا ربكم الاعلى وقرئ والاهتك اي
عبادتك قال فرعون سنقتل ابناءهم ونستحيي نساءهم كما كنا نفعل من قبل ليعلم
انا على ما كنا عليه من القهر والغلبة ولا يتوهم انه المولود الذي حكم المنجمون والكهنة
بذهاب ملكنا على يده وقرأ ابن كثير ونافع سنقتل بالتخفيف وانا فوقهم قاهرون
غالبون وهم مقهورون تحت ايدينا قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا
لما سمعوا قول فرعون وتضجروا منه تسكينا لهم ان الارض لله يورثها من يشاء
من عباده تسلية لهم وتقرير للامر بالاستعانة بالله والتثبت في الامر والعاقبة
للمتقين وعد لهم بالنصرة وتذكير لما وعدهم من اهلاك القبط وتوريثهم ديارهم
وتحقيق له وقرئ والعاقبة بالنصب عطفا على اسم ان واللام في الارض تحتمل
العهد والجنس قالوا اي بنو اسرائيل اوذينا من قبل ان تأتينا بالرسالة بقتل
الابناء ومن بعد ما جئتنا باعادته قال عسى ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم
في الارض تصريحا بما كنى عنه اولا لما رأى انهم لم يتسلوا بذلك ولعله اتى بفعل
الطمع لعدم جزمه بانهم المستخلفون باعيانهم او اولادهم وقد روي ان مصر
انما فتح لهم في زمن داود عم فينظر كيف تعملون فيرى ما تعملون من شكر وكفران
وطاعة وعصيان فيجازيكم على حسب ما يوجد منكم ولقد اخذنا آل فرعون
بالسنين بالجدوب لقلة الامطار والمياه والسنة غلبت على عام القحط لكثرة
ما يذكر عنه ويؤرخ به ثم اشتق منها فقيل اسنت القوم اذا قحطوا ونقص من
الثمرات بكثرة العاهات لعلهم يذكرون لكي يتنبهوا على ان ذلك بشؤم كفرهم
ومعاصيهم فيتعظوا او ترق قلوبهم بالشدائد فيفزعوا الى الله ويرغبوا فيما
عنده فاذا جاءتهم الحسنة من الخصب والسعة قالوا لنا هذه لاجلنا ونحن
مستحقوها وان تصبهم سيئة جدب وبلاء يطيروا بموسى ومن معه يتشاءموا
بهم ويقولون ما اصابتنا الا بشؤمهم وهذا اغراق في وصفهم بالغباوة و

والقساوة فان الشدائد ترقق القلوب وتذلل العرايك وتزيل التماسك سيما
بعد مشاهدة الايات وهي لم تؤثر فيهم بل ازدادوا عندها عتوا وانهماكا في الغي
وانما عرف الحسنة وذكرها مع اداة التحقيق لكثرة وقوعها وتعلق الارادة باحداثها
بالذات ونكر السيئة واتى بها مع حرف الشك لندورها وعدم القصد لها الا بالتبع
الا انما طائرهم عند الله اي سبب خيرهم وشرهم عنده وهو حكمه ومشيئته او سبب
شومهم عند الله وهو اعمالهم المكتوبة عنده فانها التي ساقت اليهم ما يسوءهم و
قرئ انما طيرهم وهو اسم الجمع وقيل هو جمع ولكن اكثرهم لا يعلمون انما يصيبهم من
الله تعالى او من شوم اعمالهم وقالوا مهما اصلها ما الشرطية ضمت اليها ما المزيدة
للتاكيد ثم قلبت الفها هاء استثقالا للتكرير وقيل مركبة من مه الذي يصوت به
الكاف وما الجزائية ومحلها الرفع بالابتداء او النصب بفعل يفسره تاتنا به اي شيء
تحضرنا تاتنا به من اية بيان لمهما وانما سموها اية على زعم موسى لا لاعتقادهم ولذلك
قالوا لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين اي لتسحر بها اعيننا وتشبه علينا والضمير في
به وبها لما ذكره قبل التبيين باعتبار اللفظ وانثه باعتبار المعنى فارسلنا
عليهم الطوفان ما طاف بهم وغشي اماكنهم وحروثهم من مطر او سيل وقيل
الجدري وقيل الموتان وقيل الطاعون والجراد والقمل قيل كبار القردان وقيل
اولاد الجراد قبل نبات اجنحتها والضفادع والدم روي انهم مطروا ثمانية ايام
في ظلمة شديدة لا يقدر احد ان يخرج من بيته ودخل الماء في بيوتهم حتى قاموا
فيه الى تراقيهم وكانت بيوت بني اسرائيل مشتبكة ببيوتهم ولم يدخل فيها قطرة
وركد على اراضيهم فمنعهم من الحرث والتصرف فيها ودام ذلك عليهم اسبوعا
فقالوا لموسى ادع لنا ربك يكشف عنا ونحن نؤمن بك فدعا فكشف عنهم ونبت لهم
من الكلاء والزرع ما لم يعهد مثله ولم يؤمنوا فبعث الله عليهم الجراد فاكلت زروعهم
وثمارهم ثم اخذت تاكل الابواب والسقوف والثياب ففزعوا اليه ثانيا فدعا و
خرج الى الصحراء واشار بعصاه نحو المشرق والمغرب فرجعت الى النواحي التي جاءت
منها فلم يؤمنوا فسلط الله عليهم القمل فاكل ما ابقاه وكان يقع في اطعمتهم ويدخل
بين اثوابهم وجلودهم فيمصها ففزعوا اليه فرفع عنهم فقالوا قد تحققنا الان انك
ساحر ثم ارسل الله عليهم الضفادع بحيث لا يكشف ثوب ولا طعام الا وجدت فيه وكانت
يمتلي منها مضاجعهم وتثب الى قدورهم وهي تغلي وافواههم عند التكلم ففزعوا
اليه وتضرعوا فاخذ عليهم العهود ودعا فكشف الله عنهم فنقضوا العهد ثم
ارسل الله عليهم الدم فصارت مياههم دما حتى كان يجتمع القبطي مع الاسرائيلي

على اناء فيكون ما يليه دما وما يلي الاسرائيلي ماء ويمص الماء من فم الاسرائيلي فيصير
دما في فيه وقيل سلط الله عليهم الرعاف ايات نصب على الحال مفصلات مبينات
لا يشكل على عاقل انها ايات الله ونقمته عليهم او مفصلات لامتحان احوالهم اذ كان
بين كل اثنتين منها شهر وكان امتداد كل واحدة اسبوعا وقيل ان موسى لبث
بعد ما غلب السحرة عشرين سنة يريهم هذه الايات على مهل فاستكبروا عن الايمان
وكانوا قوما مجرمين ولما وقع عليهم الرجز يعني العذاب المفصل او الطاعون الذي
ارسله الله عليهم بعد ذلك قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك بعهده عندك
وهو النبوة او بالذي عهده اليك ان تدعوه به فيجيبك كما اجابك في اياتك وهو صلة
لادع او حال من الضمير فيه يعني ادع الله متوسلا اليه بما عهد عندك او متعلق
بفعل محذوف دل عليه التماسهم مثل اسعفنا الى ما نطلب بحق ما عهد عندك او قسم مجاب
بقوله لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني اسرائيل اي اقسمنا بعهد
الله عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن فلما كشفنا عنهم الرجز
الى اجل هم بالغوه الى حد من الزمان هم بالغوه فيعذبون فيه او يهلكون وهو
الغرق او الموت وقيل الى اجل عينوه لايمانهم اذا هم ينكثون جواب لما اي فلما
كشفنا عنهم فاجاوا بالنكث من غير توقف وتامل فيه فانتقمنا منهم فاردنا الانتقام
منهم فاغرقناهم في اليم اي البحر الذي لا يدرك قعره وقيل لجته بانهم كذبوا
باياتنا وكانوا عنها غافلين اي كان اغراقهم بسبب تكذيبهم بالايات وعدم فكرهم
فيها حتى صاروا كالغافلين عنها وقيل الضمير للنقمة المدلول عليها بقوله
فانتقمنا واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون بالاستعباد وذبح الابناء
من مستضعفيهم مشارق الارض ومغاربها يعني ارض الشام ملكها بنو اسرائيل
بعد الفراعنة والعمالقة وتمكنوا في نواحيها التي باركنا فيها بالخصب وسعة العيش
وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل ومضت عليهم واتصلت بالانجاز عدته
اياهم بالنصر والتمكين وهو قوله ونريد ان نمن الى قوله ما كانوا يحذرون وقرئ
كلمات ربك لتعدد المواعيد بما صبروا بسبب صبرهم على الشدائد ودمرنا وخربنا
ما كان يصنع فرعون وقومه من القصور والعمارات وما كانوا يعرشون من الجنات
وما كانوا يرفعون من البنيان كصرح هامان وقرا ابن عامر وابو بكر يعرشون
بالضم وهذا اخر قصة فرعون وقومه وقوله وجاوزنا ببني اسرائيل البحر
وما بعده ذكر ما احدثه بنو اسرائيل من الامور الشنيعة بعد ان من الله عليهم
بالنعم الجسام واراهم من الايات العظام تسلية لرسول الله ص مما راى منهم

وايقاظا للمؤمنين حتى لا يغفلوا عن محاسبة انفسهم ومراقبة احوالهم روي ان
موسى عم عبر بهم يوم عاشوراء بعد مهلك فرعون وقومه فصاموه شكرا فاتوا على
قوم فمروا عليهم يعكفون على اصنامهم يقيمون على عبادتها قيل كانت تماثيل بقر
وذلك اول شان العجل والقوم كانوا من العمالقة الذين امر موسى بقتالهم وقيل من
لخم وقرأ حمزة والكسائي يعكفون بالكسر قالوا يا موسى اجعل لنا الها مثالا
نعبده كما لهم آلهة يعبدونها وما كافة للكاف قال انكم قوم تجهلون وصفهم بالجهل
المطلق واكده لبعد ما صدر عنهم بعد ما راوا من الآيات الكبرى عن العقل
ان هؤلاء اشارة الى القوم متبر مكسر مدمر ما هم فيه يعني ان الله يهدم دينهم الذي هم عليه
ويحطم اصنامهم ويجعلها رضاضا وباطل مضمحل ما كانوا يعملون من عبادتها
وان قصدوا بها التقرب الى الله تعالى وانما بالغ في هذا الكلام بايقاع هؤلاء اسم ان
والاخبار عما هم فيه بالتبار وعما فعلوا بالبطلان وتقديم الخبرين في الجملتين
الواقعتين خبرا لان للتنبيه على ان الدمار لاحق لما هم فيه لا محالة وان الاحباط
الكلي لازب لما مضى عنهم تنفيرا وتحذيرا عما طلبوا قال اغير الله ابغيكم الها
اطلب لكم معبودا وهو فضلكم على العالمين والحال انه خصكم بنعم لم يعطها غيركم
فيه تنبيه على سوء مقابلتهم حيث قابلوا تخصيص الله اياهم من امثالهم بما لم يستحقوه
تفضلا بان قصدوا ان يشركوا به اخس شيء من مخلوقاته واذ انجيناكم من آل فرعون
واذكروا صنيعه معكم في هذا الوقت وقرأ ابن عامر انجاكم يسومونكم سوء العذاب
استئناف لبيان ما انجاهم منه او حال من المخاطبين او من آل فرعون او منهما يقتلون
ابناءكم ويستحيون نساءكم بدل منه مبين وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم وفي الانجاء
او العذاب نعمة او محنة عظيمة وواعدنا موسى ثلاثين ليلة ذا القعدة وقرأ
ابو عمرو ويعقوب وعدنا واتممناها بعشر من ذي الحجة فتم ميقات ربه اربعين
ليلة بالغا اربعين روي انه عم وعد بني اسرائيل بمصر ان يأتيهم بعد مهلك فرعون
بكتاب من الله فيه بيان ما يأتون ويذرون فلما هلك سأل ربه فامره بصوم ثلثين
فلما اتم انكر خلوف فيه فتسوك فقالت الملائكة كنا نشم منك رائحة المسك
فافسدته بالسواك فامره الله ان يزيد عليها عشرا وقيل امره ان يتخلى ثلثين
بالصوم والعبادة ثم انزل عليه التورية في العشر وكلمه فيها وقال موسى لاخيه
هارون اخلفني في قومي كن خليفتي فيهم واصلح ما يجب ان يصلح من امورهم او كن مصلحا
ولا تتبع سبيل المفسدين ولا تتبع من سلك الافساد ولا تطع من دعاك اليه
ولما جاء موسى لميقاتنا لوقتنا الذي وقتناه واللام للاختصاص اي اختص مجيئه
لميقاتنا

لميقاتنا وكلمه ربه من غير وسط كما يكلم الملائكة وفيما روي ان موسى عم كان
يسمع ذلك الكلام من كل جهة تنبيه على ان سماع كلامه القديم ليس من جنس كلام المحدثين
قال رب ارني انظر اليك ارني نفسك بان تمكنني من رؤيتك او تتجلى لي فانظر اليك
واراك وهو دليل على ان رؤيته تعالى جائزة في الجملة لان طلب المستحيل من الانبياء
محال وخصوصا ما يقتضي الجهل بالله ولذلك رده بقوله لن تراني دون لن اري
ولن اريك ولن تنظر الي تنبيها على انه قاصر عن رؤيته لتوقفها على معد في الرائي
ولم يوجد فيه بعد وجعل السؤال لتبكيت قومه الذين قالوا ارنا الله جهرة خطا
اذ لو كانت الرؤية ممتنعة لوجب ان يجهلهم ويزيح شبهتهم كما فعل بهم حين
قالوا اجعل لنا الها ولا يتبع سبيلهم كما قال لاخيه ولا تتبع سبيل المفسدين
والاستدلال بالجواب على استحالتها اشد خطا اذ لا يدل الاخبار عن عدم رؤيته
اياه على ان لا يراه ابدا وان لا يراه غيره اصلا فضلا عن ان يدل على استحالتها
ودعوى الضرورة فيه مكابرة او جهالة بحقيقة الرؤية قال لن تراني ولكن انظر
الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني استدراك يريد ان يبين به انه لا يطيقه
وفي تعليق الرؤية بالاستقرار ايضا دليل الجواز ضرورة ان المعلق على الممكن
ممكن والجبل قيل جبل ازدن فلما تجلى ربه للجبل ظهر له عظمته وتصدى له
اقتداره وامره وقيل اعطى له حيوة ورؤية حتى راه جعله دكا مدكوكا مفتتا
والدك والدق اخوان كالشك والشق وقرأ حمزة والكسائي دكاء اي ارضا
مستوية ومنه ناقة دكاء للتي لا سنام لها وقرئ دكا اي قطعا دكا جمع دكاء
وخر موسى صعقا مغشيا عليه من هول ما راى فلما افاق قال سبحانك تعظيما لما راى انا
تبت اليك من الجرأة والاقدام على السؤال بغير اذن وانا اول المؤمنين مر تفسيره
وقيل معناه اول من آمن بانك لا ترى في الدنيا قال يا موسى اني اصطفيتك اخترتك
على الناس اي الموجودين في زمانك وهارون وان كان نبيا كان مامورا باتباعه
ولم يكن كليما ولا صاحب شرع برسالاتي يعني اسفار التورية وقرأ ابن كثير ونافع
برسالتي وبكلامي وبتكليمي اياك فخذ ما آتيتك اعطيتك من الرسالة وكن من الشاكرين
على النعمة فيه روي ان سؤال الرؤية كان يوم عرفة واعطاء التورية يوم النحر
وكتبنا له في الالواح من كل شيء مما يحتاجون اليه من امر الدين موعظة وتفصيلا
لكل شيء بدل من الجار والمجرور اي كتبنا كل شيء من المواعظ وتفصيل الاحكام
واختلف في ان الالواح كانت عشرة او سبعة وكانت من زمرد او زبرجد او
ياقوت احمر او صخرة صماء كتبها الله لموسى فقطعها بيده او شقها باصابعه

وكان فيها التوراة أو غيرها فخذها على إضمار القول عطفاً على كتبنا أو بدل من قوله
فخذ ما آتيتك والهاء للألواح أو لكل شيء فإنه بمعنى الأشياء أو للرسالات بقوة بجد و
عزيمة وأمر قومك يأخذوا بأحسنها أي بأحسن ما فيها كالصبر والعفو بالإضافة إلى
الانتصار والاقتصاص على طريقة الندب والحث على الأفضل كقوله واتبعوا أحسن ما
أنزل إليكم أو بواجباتها فإن الواجب أحسن من غيره ويجوز أن يراد بالأحسن البالغ في
الحسن مطلقاً لا بالإضافة وهو المأمور به لقولهم الصيف أحر من الشتاء سأريكم دار الفاسقين
دار فرعون وقومه بمصر خاوية على عروشها أو منازل عاد وثمود وأضرابهم لتعتبروا
فلا تفسقوا أو دارهم في الآخرة وهي جهنم وقرئ سأوريكم بمعنى سأبينكم من أوريت الزند
سأورثكم ويؤيده قوله وأورثنا القوم سأصرف عن آياتي المنصوبة في الآفاق والأنفس
الذين يتكبرون في الأرض بالطبع على قلوبهم فلا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها و
قيل سأصرفهم عن إبطالها وإن اجتهدوا كما فعل فرعون فعاد عليه بإعلائها أو بإهلاكهم
بغير الحق صلة يتكبرون أي يتكبرون بما ليس بحق وهو دينهم الباطل أو حال من فاعله على
وإن يروا كل آية منزلة أو معجزة لا يؤمنوا بها لعنادهم واختلال عقلهم بسبب انهماكهم
في الهوى والتقليد وهو يؤيد الوجه الأول وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلاً
لاستيلاء الشيطنة عليهم وقرأ حمزة والكسائي الرشد بفتحتين وقرئ الرشاد
وثلاثتها لغات كالسقم والسقم والسقام وإن يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلاً ذلك
بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين أي ذلك الصرف بسبب تكذيبهم وعدم تدبرهم
للآيات ويجوز أن ينتصب ذلك على المصدر أي سأصرف ذلك الصرف بسببهما والذين
كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة أي ولقائهم الدار الآخرة أو ما وعد الله في
الآخرة حبطت أعمالهم لا ينتفعون بها هل يجزون إلا ما كانوا يعملون إلا جزاء أعمالهم
واتخذ قوم موسى من بعده من بعد ذهابه للميقات من حليهم التي استعاروا من
القبط حين هموا بالخروج من مصر وإضافتها إليهم لأنها كانت في أيديهم أو ملكوها
بعد هلاكهم وهو جمع حلي كثدي وثدي وقرأ حمزة والكسائي بالكسر بالإتباع
كدلي ويعقوب على الإفراد عجلاً جسداً بدناً ذا لحم ودم أو جسداً من الذهب خالياً
من الروح ونصبه على البدل له خوار صوت البقر روي أن السامري لما صاغ العجل
ألقى في فمه من تراب أثر فرس جبريل فصار حياً وقيل صاغه بنوع من الحيل فتدخل
الريح جوفه وتصوت وإنما نسب الاتخاذ إليهم وهو فعله إما لأنهم رضوا به أو
لأن المراد اتخاذهم إياه إلهاً وقرئ جؤار أي صياح ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا
يهديهم سبيلاً تقريع على فرط ضلالتهم وإخلالهم بالنظر والمعنى ألم يروا حين

اتخذوه إلهاً أنه لا يقدر على كلام ولا على إرشاد وسبيل كآحاد البشر حتى حسبوا أنه
خالق الأجسام والقوى والقدر اتخذوه تكرير للذم أي اتخذوه إلهاً وكانوا ظالمين
واضعين الأشياء في غير موضعها فلم يكن اتخاذ العجل بدعاً منهم ولما سقط في أيديهم
كناية عن اشتداد ندمهم فإن النادم المتحسر يعض يده غماً فتصير يده مسقوطاً فيها
وقرئ سقط على بناء الفاعل بمعنى وقع العض فيها وقيل معناه سقط الندم في أنفسهم
ورأوا وعلموا أنهم قد ضلوا باتخاذ العجل قالوا لئن لم يرحمنا ربنا بإنزال التوبة
ويغفر لنا بالتجاوز عن الخطيئة لنكونن من الخاسرين وقرأهما حمزة والكسائي
بالتاء وربنا على النداء ولما رجع موسى إلى قومه غضبان أسفاً شديد الغضب وقيل
حزيناً قال بئسما خلفتموني من بعدي فعلتم بعدي حيث عبدتم العجل والخطاب
للعبدة أو قمتم مقامي فلم تكفوا العبدة والخطاب لهارون والمؤمنين معه وما نكرة
موصوفة تفسر المستكن في بئس والمخصوص بالذم محذوف وتقديره بئس خلافة
خلفتمونيها من بعدي خلافتكم ومعنى من بعدي من بعد انطلاقي أو من بعد ما
رأيتم مني من التوحيد والتنزيه والحمل عليه والكف عما ينافيه أعجلتم أمر ربكم
أتركتموه غير تام كأنه ضمن عجل معنى سبق فعدي تعديته أو أعجلتم وعد ربكم
الذي وعدنيه من الأربعين وقدرتم موتي وغيرتم بعدي كما غيرت الأمم بعد
أنبيائهم وألقى الألواح أي طرحها من شدة الغضب وفرط الضجرة حمية للدين
روي أن التوراة كانت سبعة أسباع في سبعة ألواح فلما ألقاها انكسرت فرفع
ستة أسباعها وكان فيها تفصيل كل شيء وبقي سبع كان فيه المواعظ والأحكام
وأخذ برأس أخيه بشعر رأسه يجره إليه توهماً بأنه قصر في كفهم وهارون كان
أكبر منه بثلاث سنين وكان حمولاً ليناً فلذلك كان أحب إلى بني إسرائيل قال ابن
أم ذكر الأم ليرققه عليه وكانا من أب وأم وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وأبو بكر
عن عاصم يا ابن أم بالكسر وأصله يا ابن أمي فحذف الياء اكتفاء بالكسرة تخفيفاً
كالمنادى المضاف إلى الياء والباقون بالفتح زيادة في التخفيف لطوله أو تشبيهاً
بخمسة عشر إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني إزاحة لتوهم التقصير
في حقه والمعنى بذلت وسعي في كفهم حتى قهروني واستضعفوني وقاربوا قتلي
فلا تشمت بي الأعداء فلا تفعل بي ما يشمتون بي لأجله ولا تجعلني مع القوم
الظالمين معدوداً في عدادهم بالمؤاخذة أو نسبة التقصير قال رب اغفر لي لما
صنعت بأخي ولأخي إن فرط في كفهم ضم إليه نفسه في الاستغفار ترضية له ودفعاً
للشماتة عنه وأدخلنا في رحمتك بمزيد الإنعام علينا وأنت أرحم الراحمين

فانت ارحم بنا منا على انفسنا ان الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وهو ما امرهم به من قتل انفسهم وذلة في الحيوة الدنيا وهي خروجهم من ديارهم وقيل الجزية وكذلك نجزي المفترين على الله ولا فرية اعظم من فريتهم هذا الهكم واله موسى ولعله لم يفتر مثلها احد قبلهم ولا بعدهم والذين عملوا السيئات من الكفر والمعاصي ثم تابوا من بعدها من بعد السيئات وامنوا واشتغلوا بالايمان وما هو مقتضيه من الاعمال الصالحة ان ربك من بعدها من بعد التوبة لغفور رحيم وان عظم الذنب كجريمة عبدة العجل واكثر جرائم بني اسرائيل ولما سكت سكن وقد قرئ به عن موسى الغضب باعتذار هارون او بتوبتهم وفي هذا الكلام مبالغة وبلاغة من حيث انه جعل الغضب الحامل له على ما فعل كالامر به والمغري عليه حتى عبر عنه بالسكوت عن سكونه وقرئ سكت واسكت على ان المسكت هو الله تعالى او اخوه او الذين تابوا اخذ الالواح التي القاها وفي نسختها وفيما نسخ فيها اي كتب فعلة بمعنى مفعول كالخطبة وقيل فيما نسخ منها اي من الالواح المنكسرة هدى بيان للحق ورحمة ارشاد الى الصلاح والخير للذين هم لربهم يرهبون دخلت اللام على المفعول لضعف الفعل بالتاخير او حذف المفعول واللام للتعليل والتقدير يرهبون معاصي الله لربهم واختار موسى قومه اي من قومه فحذف الجار واوصل الفعل اليه سبعين رجلا لميقاتنا فلما اخذتهم الرجفة روي انه تعالى امره ان ياتيه في سبعين من بني اسرائيل فاختار من كل سبط ستة فزاد اثنان فقال ليتخلف منكم رجلان فتشاجروا فقال ان لمن قعد اجر من خرج فقعد كالب ويوشع وذهب مع الباقين فلما دنوا من الجبل غشيه غمام فدخل موسى بهم الغمام وخروا سجدا فسمعوه يكلم موسى يامره وينهاه ثم انكشف الغمام فاقبلوا اليه وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتهم الرجفة اي الصاعقة او رجفة الجبل وصعقوا منها قال رب لو شئت اهلكتهم من قبل واياي تمنى هلاكهم وهلاكه قبل ان يرى ما راى او بسبب اخر او عنى به انك قدرت على اهلاكهم قبل ذلك بحمل فرعون على اهلاكهم وباغراقهم في البحر وغيرهما فترحمت عليهم بالانقاذ منهما فان ترحمت عليهم مرة اخرى لم يبعد من عميم احسانك اتهلكنا بما فعل السفهاء منا من العناد والتجاسر على طلب الرؤية وكان ذلك قاله بعضهم وقيل المراد بما فعل السفهاء عبادة العجل والسبعون اختارهم موسى لميقات التوبة عنها فغشيتهم هيبة قلقوا منها ورجفوا حتى كادت تبين مفاصلهم واشرفوا على الهلاك فخاف عليهم موسى فبكى ودعا فكشفها الله عنهم ان هي الا فتنتك ابتلاؤك حين اسمعتهم كلامك حتى طمعوا في الرؤية او او

في العجل خوارا فزاغوا به تضل بها من تشاء ضلالته بالتجاوز عن حده او باتباع المخايل وتهدي من تشاء هداه فيقوى بها ايمانه انت ولينا القائم بامرنا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الغافرين تغفر السيئة وتبدلها بالحسنة واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة حسن معيشة وتوفيق طاعة وفي الاخرة الجنة انا هدنا اليك تبنا اليك من هاد يهود اذا رجع وقرئ بالكسر من هاده يهيده اذا اماله ويحتمل ان يكون مبنيا للفاعل والمفعول بمعنى املنا انفسنا اليك ويجوز ان يكون المضموم ايضا مبنيا للمفعول منه على لغة من يقول عود المريض قال عذابي اصيب به من اشاء تعذيبه ورحمتي وسعت كل شيء في الدنيا المؤمن والكافر بل المكلف وغيره فساكتبها فساثبتها او فاكتبها كتبة خاصة منكم يا بني اسرائيل للذين يتقون الكفر والمعاصي ويؤتون الزكوة خصها بالذكر لانافتها ولانها كانت اشق عليهم والذين هم باياتنا يؤمنون فلا يكفرون بشيء منها الذين يتبعون الرسول النبي مبتدا خبره يامرهم او خبر مبتدا تقديره هم الذين او بدل من الذين يتقون بدل البعض او الكل والمراد من امن منهم بمحمد عم وانما سماه رسولا بالاضافة الى الله ونبيا بالاضافة الى العباد الامي الذي لا يكتب ولا يقرا وصفه به تنبيها على ان كمال علمه مع حاله احدى معجزاته الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التورية والانجيل اسما وصفة يامرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات مما حرم عليهم كالشحوم ويحرم عليهم الخبائث كالدم ولحم الخنزير او كالربا والرشوة ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم ويخفف عنهم ما كلفوا به من التكاليف الشاقة كتعيين القصاص في العمد والخطا وقطع الاعضاء الخاطئة وقرض موضع النجاسة واصل الاصر الثقل الذي ياصر صاحبه اي يحبسه من الحراك لثقله فالذين امنوا به وعزروه وعظموه بالتقوية وقرئ بالتخفيف واصله المنع ومنه التعزير ونصروه واتبعوا النور الذي انزل معه اي مع نبوته يعني القران وانما سماه نورا لانه باعجازه ظاهر امره مظهر غيره او لانه كاشف الحقائق مظهر لها ويجوز ان يكون معه متعلقا باتبعوا اي اتبعوا النور المنزل مع اتباع النبي فيكون اشارة الى اتباع الكتاب والسنة اولئك هم المفلحون الفائزون بالرحمة الابدية ومضمون الاية جواب دعاء موسى قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا الخطاب عام وكان رسول الله عم مبعوثا الى الكافة الثقلين وسائر الرسل الى اقوامهم جميعا حال من اليكم الذي له ملك السموات والارض صفة لله وان حيل بينهما بما هو متعلق المضاف اليه لانه

كالمتقدم عليه او مدح منصوب او مرفوع او مبتداء خبره لا اله الا هو وهو على
الوجوه الاول بيان لما قبله فان من ملك العالم كان هو الاله لا غيره وفي يحيي ويميت
مزيد تقرير لاختصاصه بالالوهية فآمنوا بالله ورسوله النبي الامي الذي
يؤمن بالله وكلماته ما انزل عليه وعلى سائر الرسل من كتبه ووحيه وقرئ وكلمته على
ارادة الجنس او القرآن او عيسى تعريضا لليهود وتنبيها على ان من لم يؤمن به لم يعتبر
ايمانه وانما عدل عن التكلم الى الغيبة لاجراء هذه الصفات الداعية الى الايمان
به والاتباع له واتبعوه لعلكم تهتدون جعل رجاء الاهتداء اثر الامرين تنبيها
على ان من صدقه ولم يتابعه بالتزام شرعه فهو بعد في خطط الضلالة ومن قوم
موسى يعني بني اسرائيل امة يهدون بالحق يهدون الناس محقين او بكلمة الحق
وبه وبالحق يعدلون بينهم في الحكم والمراد بها الثابتون على الايمان القائمون بالحق
من اهل زمانه اتبع ذكرهم ذكر اضدادهم على ما هو عادة القرآن تنبيها على
ان تعارض الخير والشر وتزاحم اهل الحق والباطل امر مستمر وقيل مؤمنوا اهل
الكتاب وقيل قوم وراء الصين رآهم رسول الله ليلة المعراج فآمنوا به
وقطعناهم وصيرناهم قطعا متميزا بعضهم عن بعض اثنتي عشرة مفعول ثان
لقطع فانه متضمن معنى صير او حال وتانيثه للحمل على الامة او القطعة اسباطا
امما بدل منه ولذلك جمع او تمييز له على ان كل واحدة من اثنتي عشرة اسباط كأنه
قيل اثنتي عشرة قبيلة وقرئ بكسر الشين واسكانها واوحينا الى موسى اذ استسقاه
قومه في التيه ان اضرب بعصاك الحجر فانبجست اي فضرب فانبجست وحذفه
للايماء على ان موسى لم يتوقف في الامتثال وان ضربه لم يكن مؤثرا يتوقف عليه
الفعل في ذاته منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل اناس كل سبط مشربهم وظللنا
عليهم الغمام ليقيهم حر الشمس وانزلنا عليهم المن والسلوى كلوا اي وقلنا لهم
كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون سبق تفسيره
في سورة البقرة واذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية باضمار اذكر والقرية
بيت المقدس وكلوا منها حيث شئتم وقولوا حطة وادخلوا الباب سجدا مثل
ما في البقرة معنى غير ان قوله فكلوا منها بالفاء افاد تسبب سكناهم للاكل منها و
لم يتعرض له هاهنا اكتفاء بذكره ثم او بدلالة الحال عليه واما تقديم قولوا على
ادخلوا فلا اثر له في المعنى لانه لا يوجب الترتيب وكذا الواو العاطفة بينهما
نغفر لكم خطيئاتكم سنزيد المحسنين وعد بالغفران والزيادة عليه بالاثابة و
وانما اخرج الثاني مخرج الاستئناف للدلالة على انه تفضل محض ليس في مقابلة

ما امروا به وقرأ نافع وابن عامر ويعقوب تغفر بالتاء والبناء للمفعول وخطيئاتكم
بالجمع والرفع غير ابن عامر فانه وحده قرأ وابو عمرو خطاياكم فبدل الذين ظلموا
منهم قولا غير الذي قيل لهم فارسلنا عليهم رجزا من السماء بما كانوا يظلمون
مضى تفسيره فيها واسألهم للتقرير والتقريع بقديم كفرهم وعصيانهم والاعلام
بما هو من علومهم التي لا تعلم الا بتعلم او وحي ليكون لك معجزة عليهم عن القرية
عن خبرها وما وقع باهلها التي كانت حاضرة البحر قريبة منه وهي ايلة قرية بين
مدين والطور على شاطئ البحر وقيل مدين وقيل طبرية اذ يعدون في السبت يتجاوزون
حدود الله بالصيد يوم السبت واذ ظرف لكانت او حاضرة او للمضاف المحذوف او
بدل منه بدل الاشتمال اذ تاتيهم حيتانهم ظرف ليعدون او بدل بعد بدل وقرئ
يعدون واصله يعتدون ويعدون من الاعداد اي يعدون الات الصيد يوم السبت
وقد نهوا ان يشتغلوا فيه بغير العبادة يوم سبتهم شرعا يوم تعظيمهم امر السبت
مصدر سبتت اليهود اذا عظمت سبتها بالتجرد للعبادة وقيل اسم لليوم والاضافة
لاختصاصهم باحكام فيه ويؤيد الاول ان قرئ يوم اسباتهم وقوله ويوم لا
يسبتون لا تاتيهم وقرئ لا يسبتون من اسبت ولا يسبتون على البناء للمفعول
بمعنى لا يدخلون في السبت شرعا حال من الحيتان ومعناه ظاهرة على وجه الماء
من شرع علينا اذا دنا واشرف كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون
مثل ذلك البلاء الشديد نبلوهم بسبب فسقهم وقيل كذلك متصل بما قبله اي لا
مثل اتيانهم يوم السبت واذ قالت عطف على اذ يعدون امة منهم جماعة من
اهل القرية يعني صلحاءهم الذين اجتهدوا في موعظتهم حتى ايسوا من اتعاظهم
لم تعظون قوما الله مهلكهم مخترمهم او معذبهم عذابا شديدا في الآخرة لتماديهم
في العصيان قالوه مبالغة في ان الوعظ لا ينفع فيهم او سؤالا عن علة الوعظ
ونفعه وكأنه تقاول بينهم او قول من ارعوى عن الوعظ لمن لم يرعو منهم وقيل
المراد طائفة من الفرقة الهالكة اجابوا به وعاظهم ردا عليهم وتهكما بهم
قالوا معذرة الى ربكم جواب للسؤال اي موعظتنا انهاء عذر الى الله حتى لا
ننسب الى تفريط في النهي عن المنكر وقرأ حفص معذرة بالنصب على المصدر
او العلة اي اعتذرنا به معذرة او وعظناهم معذرة ولعلهم يتقون
اذ اليأس لا يحصل الا بالهلاك فلما نسوا تركوا ترك الناسي ما ذكروا به ما ذكرهم
به صلحاؤهم انجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا الذين ظلموا بالاعتداء
ومخالفة امر الله بعذاب بئيس شديد فعيل من بؤس يبؤس بأسا اذا اشتد وقرأ

ابو بكر بيئس على وزن فيعل كضيغم وابن عامر بئس بكسر الباء وسكون الهمزة على انه
بئس كحذر فخفف عنه بنقل حركتها الى الفاء ككبد في كبد ونافع بيس على قلب الهمزة
ياء كما قلبت في ذيب او على انه فعل الذم وصف به فجعل اسما وقرئ بيس كريس على
قلب الهمزة ياء ثم ادغامها وبيس على التخفيف كهين وبائس بما كانوا يفسقون بسبب
فسقهم فلما عتوا عن ما نهوا عنه تكبروا عن ترك ما نهوا عنه كقوله وعتوا عن
امر ربهم قلنا لهم كونوا قردة خاسئين كقوله انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول
له كن فيكون والظاهر يقتضي ان الله تعالى عذبهم اولا بعذاب شديد فعتوا بعد ذلك
فمسخهم ويجوز ان يكون الاية الثانية تقريرا وتفصيلا للاولى وروي ان الناهين
لما ايسوا عن اتعاظ المعتدين كرهوا مساكنتهم فقسموا القرية بجدار فيه باب
مطروق واصبحوا يوما ولم يخرج اليهم احد من المعتدين فقالوا ان لهم شانا فدخلوا
عليهم فاذا هم قردة فلم يعرفوا انسباءهم ولكن القرود تعرفهم فجعلت تاتي انسباءها
وتشم ثيابهم وتدور باكية حولهم ثم ماتوا بعد ثلث وعن مجاهد مسخت قلوبهم لا
ابدانهم واذ تاذن ربك اي اعلم تفعل من الايذان بمعنى كالتوعد والايعاد او
عزم لان العازم على الشيء يؤذن نفسه بفعله واجري مجرى فعل القسم كعلم الله
وشهد الله ولذلك اجيب بجوابه وهو ليبعثن عليهم الى يوم القيمة والمعنى واذ اوجب
ربك على نفسه ليسلطن على اليهود من يسومهم سوء العذاب كالاذلال وضرب
الجزية بعث الله عليهم بعد سليمان عم بختنصر فخرب ديارهم وقتل مقاتليهم
وسبى نساءهم وذراريهم وضرب الجزية على من بقي منهم وكانوا يؤدونها الى
المجوس حتى بعث الله محمدا عم ففعل ما فعل ثم ضرب عليهم الجزية فلا تزال مضروبة
الى اخر الدهر ان ربك لسريع العقاب عاقبهم في الدنيا وانه لغفور رحيم لمن تاب
وامن وقطعناهم في الارض امما وفرقناهم فيها بحيث لا يكاد يخلو قطر منهم تتمة
لادبارهم حتى لا يكون لهم شوكة قط وامما مفعول ثان او حال منهم الصالحون
صفة او بدل وهم الذين امنوا بالمدينة ونظراؤهم ومنهم دون ذلك تقديره
ومنهم ناس دون ذلك اي منحطون عن الصلاح وهم كفرتهم وفسقتهم وبلوناهم
بالحسنات والسيئات بالنعم والنقم لعلهم يرجعون ينتبهون فيرجعون عما كانوا
عليه فخلف من بعدهم من بعد المذكورين خلف بدل سوء مصدر نعت به ولذلك
يقع على الواحد والجمع وقيل جمع وهو شايع في الشر والخلف بالفتح في الخير والمراد
به الذين كانوا في عصر رسول الله عم ورثوا الكتاب التورية من اسلافهم يقرؤونها
ويقفون على ما فيها ياخذون عرض هذا الادنى حطام هذا الشيء الادنى يعني الدنيا

وهو من الدنو او الدناءة وهو ما كانوا ياخذونه من الرشى في الحكومة وعلى تحريف
الكلام والجملة حال من الواو ويقولون سيغفر لنا لا يؤاخذنا الله بذلك ويتجاوز
عنه وهو يحتمل العطف والحال والفعل مسند الى الجار والمجرور او مصدر ياخذون
وان ياتهم عرض مثله ياخذوه حال من الضمير في لنا اي يرجون المغفرة مصرين
على الذنب عائدين الى مثله غير تائبين عنه الم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب اي في
الكتاب ان لا يقولوا على الله الا الحق عطف بيان للميثاق او متعلق به اي بان لا يقولوا
والمراد توبيخهم على البت بالمغفرة مع عدم التوبة والدلالة على انه افتراء على الله
وخروج عن ميثاق الكتاب ودرسوا ما فيه عطف على الم يؤخذ من حيث المعنى فانه
تقرير او على ورثوا وهو اعتراض والدار الاخرة خير للذين يتقون مما ياخذ هؤلاء
افلا تعقلون فيعلموا ذلك فلا يستبدلوا الادنى الدني المؤدي الى العقاب بالنعيم
المخلد وقرا نافع وابن عامر وحفص ويعقوب بالتاء على التلوين والذين يمسكون
بالكتاب واقاموا الصلوة عطف على الذين يتقون وقوله افلا تعقلون اعتراض
او مبتدا خبره انا لا نضيع اجر المصلحين على تقدير منهم او وضع الظاهر موضع
المضمر تنبيها على ان الاصلاح كالمانع من التضييع وقرا ابو بكر يمسكون بالتخفيف
وافراد الاقامة لانافتها على سائر انواع التمسكات واذ نتقنا الجبل فوقهم اي
قلعناه ورفعناه فوقهم واصل النتق الجذب كانه ظلة سقيفة وهي كل ما اظلك
وظنوا وتيقنوا انه واقع بهم ساقط عليهم لان الجبل لا يثبت في الجو ولانهم كانوا
يوعدون به وانما اطلق الظن لانه لم يقع متعلقه وذلك انهم ابوا ان يقبلوا احكام
التورية لثقلها فرفع الله الطور فوقهم وقيل لهم ان قبلتم ما فيها والا ليقعن عليكم
خذوا على اضمار القول اي قلنا خذوا او قائلين خذوا ما اتيناكم من الكتاب بقوة
بجد وعزم على تحمل مشاقه وهو حال من الواو واذكروا ما فيه بالعمل ولا تتركوه
كالمنسي لعلكم تتقون قبائح الاعمال ورذائل الاخلاق واذ اخذ ربك من بني ادم
من ظهورهم ذريتهم اي اخرج من اصلابهم نسلهم على ما يتوالدون قرنا بعد قرن
ومن ظهورهم بدل من بني ادم بدل البعض وقرا نافع وابو عمرو ويعقوب ذرياتهم
واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى شهدنا اي ونصب لهم دلائل ربوبيته
وركب في عقولهم ما يدعوهم الى الاقرار بها حتى صاروا بمنزلة من قيل لهم الست
بربكم قالوا بلى فنزل تمكينهم من العلم بها وتمكنهم منه منزلة الاشهاد والاعتراف
على طريقة التمثيل ويدل عليه قوله ان تقولوا يوم القيمة اي كراهة ان تقولوا
انا كنا عن هذا غافلين لم ننبه بدليل او تقولوا عطف على ان تقولوا وقرا ابو عمرو

كليهما بالياء لان اول الكلام على الغيبة او تقولوا انما اشرك اباؤنا من قبل وكنا ذرية
من بعدهم فاقتدينا بهم لان التقليد عند قيام الدليل والتمكن من العلم به لا يصلح
عذرا افتهلكنا بما فعل المبطلون يعني اباؤهم المبطلين بتاسيس الشرك وقيل
لما خلق الله ادم اخرج من ظهره ذريته كالذر واحياهم وجعل لهم العقل والنطق
والهمهم ذلك لحديث رواه عمر رض وقد حققت الكلام فيه في شرحي لكتاب المصابيح
والمقصود من ايراد الكلام هاهنا الزام اليهود بمقتضى الميثاق العام بعدما الزمهم
بالميثاق المخصوص بهم والاحتجاج عليهم بالحجج السمعية والعقلية ومنعهم عن
وحملهم على الفطر كما قال وكذلك نفصل الايات ولعلهم يرجعون عن التقليد واتباع
الباطل واتل عليهم اي على اليهود نبا الذي اتيناه اياتنا هو احد علماء بني
اسرائيل او امية بن ابي الصلت كان قد قرا الكتب وعلم ان الله تعالى مرسل رسولا
في ذلك الزمان ورجا ان يكون هو فلما بعث محمد عم حسده وكفر به او بلعم بن باعورا
من الكنعانيين اوتي علم بعض كتب الله فانسلخ منها من الايات بان كفر بها واعرض
عنها فاتبعه الشيطان حتى لحقه وقيل استتبعه فكان من الغاوين فصار من
الضالين روي ان قومه سالوه ان يدعو على موسى ومن معه فقال كيف ادعو
على من معه الملائكة فالحوا عليه حتى دعا عليهم فبقوا في التيه ولو شئنا لرفعناه
بها الى منازل الابرار من العلماء بها بسبب تلك الايات وملازمتها ولكنه اخلد
الى الارض مال الى الدنيا او الى السفالة واتبع هواه في ايثار الدنيا واسترضاء
قومه واعرض عن مقتضى الايات وانما علق رفعه بمشية الله ثم استدرك عنه
بفعل العبد تنبيها على ان المشية سبب لفعله الموجب لرفعه وان عدمه دليل
عدمها دلالة انتفاء المسبب على انتفاء سببه وان السبب الحقيقي هو المشية
وان ما نشاهده من الاسباب وسائط معتبرة في حصول المسبب من حيث ان
المشية تعلقت به كذلك وكان من حقه ان يقول ولكنه اعرض عنها فاوقع موقعه
اخلد الى الارض واتبع هواه مبالغة وتنبيها على ما حمله عليه فان حب الدنيا
راس كل خطيئة فمثله فصفته التي هي مثل في الخسة كمثل الكلب كصفته في اخس
احواله وهو ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث اي يلهث دائما سواء حمل عليه
بالزجر والطرد او ترك فلم يتعرض له بخلاف سائر الحيوانات لضعف فؤاده
واللهث ادلاع اللسان من التنفس الشديد والشرطية في موضع الحال والمعنى
لاهثا في الحالتين والتمثيل واقع موقع لازم التركيب الذي هو نفي الرفع ووضع
المنزلة للمبالغة والبيان وقيل لما دعا على موسى خرج لسانه فوقع على صدره

وجعل يلهث كالكلب ذلك مثل القوم الذين كذبوا باياتنا فاقصص القصص المذكورة
على اليهود فانها نحو قصصهم لعلهم يتفكرون تفكرا يؤدي الى الاتعاظ ساء مثلا
القوم اي مثل القوم وقرئ ساء مثل القوم على حذف المخصوص بالذم الذين كذبوا
باياتنا بعد قيام الحجة عليها وعلمهم بها وانفسهم كانوا يظلمون اما ان يكون داخلا
في الصلة معطوفا على كذبوا بمعنى الذين جمعوا بين تكذيب الايات وظلم انفسهم او منقطعا
عنها بمعنى وما ظلموا بالتكذيب الا انفسهم فان وباله لا يتخطاها ولذلك قدم المفعول
من يهد الله فهو المهتدي ومن يضلل فاولئك هم الخاسرون تصريح بان الهدى و
الضلال من الله تعالى وان هداية الله يختص ببعض دون بعض وانها مستلزمة للاهتداء
والافراد في الاول والجمع في الثاني لاعتبار اللفظ والمعنى تنبيها على ان المهتدين
كواحد لاتحاد طريقتهم بخلاف الضالين والاقتصار في الاخبار عمن هداه الله
بالمهتدي تعظيم لشان الاهتداء وتنبيه على انه في نفسه كمال جسيم ونفع عظيم
لو لم يحصل له غيره لكفاه وانه المستلزم للفوز بالنعم الاجلة والعنوان لها ولقد
ذرانا لجهنم كثيرا من الجن والانس يعني المصرين على الكفر في علمه تعالى لهم
قلوب لا يفقهون بها اذ لا يلقونها الى معرفة الحق والنظر في دلائله ولهم اعين لا يبصرون
بها اي لا ينظرون الى ما خلق الله نظر اعتبار ولهم اذان لا يسمعون بها الايات و
المواعظ سماع تامل وتذكر اولئك كالانعام في عدم الفقه والابصار للاعتبار
والاستماع للتدبر او في ان مشاعرهم وقواهم متوجهة الى اسباب التعيش
مقصورة عليها بل هم اضل فانها تدرك ما يمكن لها ان تدرك من المنافع والمضار
وتجتهد في جذبها ودفعها غاية جهدها وهم ليسوا كذلك بل اكثرهم يعلم انه
معاند فيقدم على النار اولئك هم الغافلون الكاملون في الغفلة ولله الاسماء
الحسنى لانها دالة على معان هي احسن المعاني والمراد بها الالفاظ وقيل الصفات
فادعوه بها فسموه بتلك الاسماء وذروا الذين يلحدون في اسمائه واتركوا تسمية
الزائغين فيها الذين يسمونه بما لا توقيف فيه او بما يوهم معنى فاسدا كقولهم يا
ابا المكارم يا ابيض الوجه او لا تبالوا بانكارهم ما سمى به نفسه كقولهم ما نعرف
الا رحمن اليمامة او وذروهم والحادهم فيها باطلاقها على الاصنام واشتقاق
اسمائها منها كاللات من الله والعزى من العزيز ولا توافقوهم عليه او اعرضوا
عنهم فان الله مجازيهم كما قال سيجزون ما كانوا يعملون وقرا حمزة يلحدون
بالفتح يقال لحد والحد اذا مال عن القصد وممن خلقنا امة يهدون بالحق وبه
يعدلون ذكر ذلك بعدما بين انه خلق للنار طائفة ضالين ملحدين عن الحق

على أنه خلق أيضا للجنة أمة هادين بالحق عادلين في الأمر واستدل به على صحة
الإجماع لأن المراد منه أن في كل قرن طائفة بهذه الصفة لقوله عليه السلام لا تزال من
أمتي طائفة على الحق إلى أن يأتي أمر الله إذ لو اختص بعهد الرسول أو غيره لم يكن
لذكره فائدة فإنه معلوم والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم سنستدنيهم إلى الهلاك قليلا
قليلا وأصل الاستدراج الاستصعاد أو الاستنزال درجة بعد درجة من حيث
لا يعلمون ما نريد بهم وذلك أن تتواتر عليهم النعم فيظنوا أنها لطف من الله بهم
فيزدادوا بطرا وانهماكا في الغي حتى يحق عليهم كلمة العذاب وأملي لهم وأمهلهم
عطف على سنستدرجهم إن كيدي متين إن أخذي شديد وإنما سماه كيدا لأن
ظاهره إحسان وباطنه خذلان أولم يتفكروا ما بصاحبهم يعني محمدا من جنة
من جنون روي أنه صعد على الصفا فدعاهم فخذا فخذا يحذرهم بأس الله
فقال قائلهم إن صاحبكم لمجنون بات يهوت إلى الصباح فنزلت إن هو إلا نذير
مبين موضح إنذاره بحيث لا يخفى على ناظر أولم ينظروا نظر استدلال في ملكوت
السموات والأرض وما خلق الله من شيء مما يقع عليه الشيء من الأجناس التي
لا يمكن حصرها ليدلهم على كمال قدرة صانعها ووحدة مبدعها وعظم شأن مالكها
ومتولي أمرها ليظهر لهم صحة ما يدعوهم إليه وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم عطف
على ملكوت وأن مصدرية أو مخففة من الثقيلة واسمه ضمير الشأن وكذا اسم
يكون والمعنى أولم ينظروا في اقتراب آجالهم وتوقع حلولها فيسارعوا إلى طلب الحق
والتوجه إلى ما ينجيهم قبل مغافصة الموت ونزول العذاب فبأي حديث بعده بعد
القرآن يؤمنون إذا لم يؤمنوا به وهو النهاية في البيان كأنه إخبار عنهم بالطبع و
التصميم على الكفر بعد إلزام الحجة والإرشاد إلى النظر وقيل هو متعلق بقوله عسى
أن يكون كأنه قيل لعل أجلهم قد اقترب فما بالهم لا يبادرون الإيمان بالقرآن وما
ذا ينتظرون بعد وضوحه فإن لم يؤمنوا به فبأي حديث أحق منه يريدون أن
يؤمنوا به وقوله من يضلل الله فلا هادي له كالتقرير والتعليل له ويذرهم في
طغيانهم بالرفع على الاستئناف وقرأ أبو عمرو وعاصم ويعقوب بالياء لقوله
من يضلل الله وحمزة والكسائي وبالجزم عطفا على محل فلا هادي له كأنه قيل
لا يهده أحد غيره ويذرهم يعمهون حال من هم يسألونك عن الساعة وهي من الأسماء
الغالبة وإطلاقها عليها إما لوقوعها بغتة أو لسرعة حسابها أو لأنها على
طولها عند الله كساعة أيان مرساها متى إرساؤها أي إثباتها وإرساء الشيء إثباته
واستقراره ومنه رسا الجبل وأرسى السفينة واشتقاق أيان من أي لأن

معناه أي وقت وهي من أويت الشيء لأن البعض آو إلى الكل قل إنما علمها عند ربي
استأثر به لم يطلع عليه ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا لا يجليها لوقتها لا يظهر أمرها
في وقتها إلا هو والمعنى أن الخفاء بها مستمر على غيره إلى وقت وقوعها واللام للتأقيت
كاللام في قوله أقم الصلاة لدلوك الشمس ثقلت في السموات والأرض عظمت على
أهلها من الملائكة والثقلين هولها وكأنه إشارة إلى الحكمة في إخفائها لا تأتيكم إلا بغتة
فجأة على غفلة كما قال عليه السلام إن الساعة تهيج بالناس والرجل يصلح حوضه والرجل يسقي
ماشيته والرجل يقوم سلعته في سوقه والرجل يخفض ميزانه ويرفعه يسألونك كأنك
حفي عنها عالم بها فعيل من حفي عن الشيء إذا سأل عنه فإن من بالغ في السؤال عن الشيء
والبحث عنه استحكم علمه فيه ولذلك عدي بعن وقيل هي صلة يسألونك وقيل هي من
الحفاوة بمعنى الشفقة فإن قريشا قالوا له إن بيننا وبينك قرابة فقل لنا متى الساعة
والمعنى يسألونك عنها كأنك حفي بهم فتخصهم لأجل قرابتهم بتعليم وقتها وقيل معناه
كأنك حفي بالسؤال عنها تحبه أي تكرهه لأنه من الغيب الذي استأثر الله بعلمه قل إنما
علمها عند الله كرره لتكرير يسألونك لما نيط به من هذه الزيادة وللمبالغة ولكن
أكثر الناس لا يعلمون أن علمها عند الله لم يؤته أحدا من خلقه قل لا أملك لنفسي نفعا
ولا ضرا جلب نفع ولا دفع ضر وهو إظهار للعبودية والتبري عن ادعاء العلم
بالغيوب إلا ما شاء الله من ذلك فيلهمني إياه ويوفقني له ولو كنت أعلم الغيب
من الخير وما مسني السوء ولو كنت أعلم لخالفت حالي ما هي عليه من استكثار المنافع
واجتناب المضار حتى لا يمسني سوء إن أنا إلا نذير وبشير وما أنا إلا عبد مرسل
للإنذار والبشارة لقوم يؤمنون فإنهم المنتفعون بهما ويجوز أن يكون متعلقا
بالبشير ومتعلق النذير محذوف هو الذي خلقكم من نفس واحدة هو آدم وجعل منها
من جسدها من ضلع من أضلاعها أو من جنسها كقوله جعل لكم من أنفسكم أزواجا
زوجها حواء ليسكن إليها ليستأنس بها ويطمئن إليها اطمئنان الشيء إلى جزئه
أو جنسه وإنما ذكر الضمير ذهابا إلى المعنى ليناسب فلما تغشاها أي جامعها حملت
حملا خفيفا خف عليها ولم تلق منه ما يلقى منه الحوامل غالبا من الأذى أو محمولا
خفيفا وهو النطفة فمرت به فاستمرت به أي قامت وقعدت وقرئ بالتخفيف فمرت
فاستمرت وفمارت من المور وهو المجيء والذهاب أو من المرية أي فظنت الحمل
وارتابت به فلما أثقلت صارت ذات ثقل بكبر الولد في بطنها وقرئ على البناء للمفعول
أي أثقلها حملها دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحا ولدا سويا قد صلح بدنه
لنكونن من الشاكرين لك على هذه النعمة المجددة فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء

فلما آتيهما اي جعل اولادهما له شركاء فيما آتى اولادهما فسموا عبد العزى وعبد
مناف على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه ويدل عليه قوله فتعالى
الله عما يشركون أيشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون يعني الاصنام وقيل لما
حملت حوا اتاها ابليس في صورة رجل فقال لها ما يدريك ما في بطنك لعله بهيمة
او كلب وما يدريك من اين يخرج فخافت من ذلك وذكرت لآدم فهما منه ثم عاد اليها
وقال اني من الله بمنزلة فان دعوت الله ان يجعله خلقا مثلك ويسهل عليك خروجه
تسميه عبد الحرث وكان اسمه حارثا في الملائكة فتقبلت فلما ولدت سمياه عبد
الحرث وامثال ذلك لا يليق بالانبياء ويحتمل ان يكون الخطاب لآل قصي من قريش فانهم
خلقوا من قصي وكان له زوج من جنسها عربية قرشية وطلبا من الله الولد فاعطاهما
اربعة بنين فسمياهم عبد مناف وعبد شمس وعبد قصي وعبد الدار ويكون
الضمير في يشركون لهما ولاعقابهما المقتدين بهما وقرا نافع وابو بكر شركا اي
شركة بان اشركا فيه غيره او ذوي شركة اي الشركاء وهم ضمير الاصنام جي به
على تسميتهم اياها آلهة ولا يستطيعون لهم نصرا اي لعبدتهم ولا انفسهم ينصرون
فيدفعون عنها ما يعتريها وان تدعوهم اي المشركين الى الهدى الى الاسلام لا يتبعوكم
وقرا نافع بالتخفيف وقيل الخطاب للمشركين وهم ضمير الاصنام اي ان تدعوهم الى
ان يهدوكم لا يتبعوكم الى مرادكم ولا يجيبوكم كما يجيبكم الله سواء عليكم ادعوتموهم
ام انتم صامتون وانما لم يقل ام صمتم للمبالغة في عدم افادة الدعاء من حيث انه
مسوي بالثبات على الصمات او لانهم ما كانوا يدعونها لحوايجهم فكانه قيل سواء
عليكم احداثكم دعاءهم واستمراركم على الصمات عن دعائهم ان الذين تدعون من
دون الله اي تعبدونهم وتسمونهم آلهة عباد امثالكم من حيث انها مملوكة مسخرة
فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين انهم آلهة ويحتمل انهم نحتوها بصور
الاناسي قال لهم ان قصارى امرهم ان يكونوا احياء امثالكم فلا يستحقون عبادتكم
كما لا يستحق بعضكم عبادة بعض ثم عاد عليه بالنقض فقال الهم ارجل يمشون بها
ام لهم ايد يبطشون بها ام لهم اعين يبصرون بها ام لهم آذان يسمعون بها وقرئ ان
الذين بتخفيف ان ونصب عبادا على انها نافية عملت عمل ما الحجازية ولم يثبت مثله
ويبطشون بالضم ههنا وفي القصص والدخان قل ادعوا شركاءكم واستعينوا بهم
في عداوتي ثم كيدون فبالغوا فيما تقدرون عليه من مكروه انتم وشركاؤكم فلا
تنظرون فلا تمهلون فاني لا ابالي بكم لوثوقي على ولاية الله وحفظه ان وليي الله
الذي نزل الكتاب القرآن وهو يتولى الصالحين اي ومن عادته تعالى ان يتولى

الصالحين من عباده فضلا عن انبيائه والذين تدعون من دونه لا يستطيعون
نصركم ولا انفسهم ينصرون من تمام التعليل لعدم مبالاته بهم وان تدعوهم الى الهدى
لا يسمعوا وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون يشبهون الناظرين اليك لانهم
صوروا بصورة من ينظر الى من يواجهه خذ العفو اي خذ ما عفى لك من افعال
الناس وتسهل ولا تطلب ما يشق عليهم من العفو الذي هو ضد الجهد او خذ العفو
من المذنبين او الفضل وما تسهل من صدقاتهم وذلك قبل وجوب الزكوة وامر بالعرف
المعروف المستحسن من الافعال واعرض عن الجاهلين فلا تمارهم ولا تكافيهم بمثل
افعالهم وهذه الآية جامعة لمكارم الاخلاق آمرة للرسول باستجماعها واما ينزغنك
من الشيطان نزغ واما ينخسنك منه نخس اي وسوسة يحملك على خلاف ما امرت به كاعتراء
غضب وفكر والنزغ والنسغ والنخس الغرز شبه وسوسته للناس اغراءهم على
المعاصي وازعاجا بغرز السائق ما يسوقه فاستعذ بالله انه سميع يسمع استعاذتك
عليم يعلم ما فيه صلاح امرك فيحملك عليه او سميع باقوال من آذاك عليم بافعاله
فيجازيه عليها مغنيا اياك عن الانتقام ومتابعة الشيطان ان الذين اتقوا اذا
مسهم طائف من الشيطان لمة منه وهو اسم فاعل من طاف يطوف كانها طافت
بهم ودارت حولهم فلم تقدر ان تؤثر فيهم او من طاف به الخيال يطيف طيفا وقرا ابن
كثير وابو عمرو والكسائي ويعقوب طيف على انه مصدر او تخفيف طيف كلين
وهين والمراد بالشيطان الجنس ولذلك جمع ضميره تذكروا ما امر الله به ونهى
عنه فاذا هم مبصرون بسبب التذكر مواقع الخطأ ومكايد الشيطان فيتحرزون
عنها ولا يتبعونه فيها والآية تاكيد وتقرير لما قبلها وكذا قوله واخوانهم يمدونهم
اي واخوان الشياطين الذين لم يتقوا يمدهم الشياطين في الغي بالتزيين والحمل
عليه وقرئ يمدونهم من امد ويمادونهم كانهم يعينونهم بالتسهيل والاغراء
وهؤلاء يعينونهم بالاتباع والامتثال ثم لا يقصرون ثم لا يمسكون عن اغوائهم
حتى يردوهم ويجوز ان يكون الضمير للاخوان اي لا يكفون عن الغي ولا يقصرون
كالمتقين ويجوز ان يراد بالاخوان الشياطين ويرجع الضمير الى الجاهلين
فيكون الخبر جاريا على ما هو له واذا لم تاتهم باية من القرآن او مما اقترحوه
قالوا لولا اجتبيتها هلا جمعتها تقولا من نفسك كسائر ما تقرؤه او هلا طلبتها من الله
قل انما اتبع ما يوحى الي من ربي لست بمختلق للآيات ولست بمقترح لها هذا بصائر
من ربكم هذا القرآن بصائر للقلوب بها تبصر الحق وتدرك الصواب وهدى ورحمة
لقوم يؤمنون سبق تفسيره واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا لعلكم

ترحمون نزلت في الصلوة كانوا يتكلمون باستماع قراءة الامام والانصات له و
كانوا يتكلمون فيها فامروا باستماع قراءة الامام ظاهر اللفظ يقتضي وجوبهما حيث
يقرأ القران مطلقا وعامة العلماء على استحبابهما خارج الصلوة واحتج به من
لا يرى القراءة على المأموم وهو ضعيف واذكر ربك في نفسك عام في الاذكار من
القراءة والدعاء وغيرهما او امر للمأموم بالقراءة سرا بعد فراغ الامام عن قراءته
كما هو مذهب الشافعي رح تضرعا وخيفة متضرعا وخائفا ودون الجهر من القول
ومتكلما كلاما فوق السر ودون الجهر فانه ادخل في الخشوع والاخلاص بالغدو
والاصال باوقات الغدو والعشيات وقرئ والايصال وهو مصدر آصل اذا
دخل في الاصيل مطابق للغدو ولا تكن من الغافلين عن ذكر الله ان الذين عند ربك
يعني ملائكة الملأ الاعلى لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وينزهونه وله
يسجدون ويخصونه بالعبادة والتذلل لا يشركون به غيره وهو تعريض بمن
عداهم من المكلفين ولذلك شرع السجود لقراءته وعن النبي ع م اذا قرأ ابن آدم السجدة
فسجد اعتزل الشيطان يبكي فيقول يا ويله امر هذا بالسجود فسجد فله الجنة و
امرت بالسجود فعصيت فلي النار وعنه عليه الصلوة والسلام من قرأ سورة
الاعراف جعل الله يوم القيمة بينه وبين ابليس سترا وكان آدم شفيعا يوم القيمة

بسم الله الرحمن الرحيم يسألونك عن الانفال اي الغنائم يعني حكمها
وانما سميت الغنيمة نفلا لانها عطية من الله وفضل كما سمي به ما شرطه الامام
لمقتحم خطر عطية وزيادة على سهمه قل الانفال لله والرسول اي امرها مختص بهما
يقسمها الرسول على ما يأمره الله وسبب نزوله اختلاف المسلمين في غنائم بدر
انها كيف تقسم ومن يقسم المهاجرون منهم او الانصار وقيل شرط رسول الله ع م
لمن كان له غناء ان ينفله فتسارع شبانهم حتى قتلوا سبعين واسروا سبعين
ثم طلبوا نفلهم وكان المال قليلا فقال الشيوخ والوجوه الذين كانوا عند الرايات
كنا ردءا لكم وفئة تنحازون اليها فنزلت فقسمها رسول الله ع م بينهم على السواء
ولهذا قيل لا يلزم الامام ان يفي بما وعد وهو قول الشافعي رح وعن سعد بن
ابي وقاص رض قال لما كان يوم بدر قتل اخي عمير وقتلت سعيد بن العاص واخذت
سيفه فاتيت به رسول الله ع م واستوهبته منه قال ليس هذا لي ولا لك اطرحه
في القبض فطرحته وبي ما لا يعلمه الا الله من قتل اخي واخذ سلبي فما جاوزت

الا قليلا حتى نزلت سورة الانفال فقال لي رسول الله ع م سألتني السيف وليس لي
وانه قد صار لي فاذهب فخذه وقرئ يسألونك علنفال بحذف الهمزة والقاء
حركتها على اللام وادغام نون عن فيها ويسألونك الانفال اي يسألك الشبان ما
شرطت لهم فاتقوا الله في الاختلاف والمشاجرة واصلحوا ذات بينكم الحال التي بينكم
بالمواساة والمساعدة فيما رزقكم الله وتسليم امره الى الله والرسول واطيعوا
الله ورسوله فيه ان كنتم مؤمنين فان الايمان يقتضي ذلك او ان كنتم كاملي الايمان
فان كمال الايمان بهذه الثلثة طاعة الاوامر والاتقاء عن المعاصي واصلاح ذات
البين بالعدل والاحسان انما المؤمنون اي الكاملون في الايمان الذين اذا ذكر
الله وجلت قلوبهم فزعت لذكره استعظاما له وتهيبا من جلاله وقيل هو الرجل يهم
بمعصية فيقال له اتق الله فينزع عنه خوفا من عقابه وقرئ وجلت بالفتح وهي
لغة وفرقت اي خافت واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا لزيادة المؤمن به
او لاطمينان النفس ورسوخ اليقين بتظاهر الادلة او بالعمل بموجبها وهو
قول من قال الايمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية بناء على ان العمل داخل فيه
وعلى ربهم يتوكلون يفوضون اليه امورهم ولا يخشون ولا يرجون الا اياه
الذين يقيمون الصلوة ومما رزقناهم ينفقون اولئك هم المؤمنون حقا لانهم
حققوا ايمانهم بان ضموا اليه مكارم اعمال القلوب من الخشية والاخلاص
والتوكل ومحاسن افعال الجوارح التي هي العيار عليها كالصلوة والصدقة و
حقا صفة مصدر محذوف او مصدر مؤكد كقوله هو عبد الله حقا لهم درجات
عند ربهم كرامة وعلو منزلة وقيل درجات الجنة يرتقونها باعمالهم ومغفرة
لما فرط منهم ورزق كريم اعد لهم في الجنة لا ينقطع عدده ولا ينتهي امده كما اخرجك
ربك من بيتك بالحق خبر مبتدأ محذوف تقديره هذه الحال في كراهتهم
اياها كحال اخراجك للحرب في كراهتهم له او صفة مصدر الفعل المقدر في قوله
لله والرسول اي الانفال ثبتت لله والرسول ع م مع كراهتهم ثباتا مثل ثبات
اخراجك ربك من بيتك يعني المدينة لانها مهاجره ومسكنه او بيته فيها وان
فريقا من المؤمنين لكارهون في موقع الحال اي اخرجك في حال كراهتهم وذلك
ان عير قريش اقبلت من الشام وفيها تجارة عظيمة ومعها اربعون راكبا منهم
ابو سفيان وعمرو بن العاص ومخرمة بن نوفل وعمرو بن هشام فاخبر جبرئيل ع م
رسول الله ع م فاخبر المسلمين فاعجبهم تلقيها لكثرة المال وقلة الرجال فلما
خرجوا بلغ الخبر اهل مكة فنادى ابو جهل فوق الكعبة يا اهل مكة النجا النجا

على كل صعب وذلول عيركم اموالكم ان اصابها محمد لم تفلحوا بعدها ابدا وقد رات
قبل ذلك بثلث عاتكة بنت عبد المطلب ان ملكا نزل من السماء واخذ صخرة من الجبل
ثم حلق بها فلم يبق بيت في مكة الا اصابه شيء منها فحدثت بها العباس وبلغ ذلك
ابا جهل فقال اما ترضى رجالهم ان يتنبؤا حتى تتنبأ نساؤهم فخرج ابو جهل بجميع اهل
مكة ومضى بهم الى بدر وهو ماء كانت العرب تجتمع عليه لسوقهم يوما في السنة
وكان رسول الله عم بوادي دفران فنزل عليه جبريل بالوعد باحدى الطائفتين
اما العير واما قريش فاستشار فيه اصحابه فقال بعضهم هلا ذكرت لنا القتال
حتى نتاهب له انا خرجنا للعير فرد عليهم وقال ان العير قد مضت على ساحل البحر
وهذا ابو جهل قد اقبل فقالوا يا رسول الله عليك بالعير ودع العدو فغضب رسول
الله عم فقام ابو بكر وعمر رضي الله عنهما فاحسنا ثم قام سعد بن عبادة فقال
فانظر في امرك وامض فوالله لو سرت الى عدن ابين ما تخلف عنك رجل من الانصار
ثم قال مقداد بن عمرو امض لما امرك الله فانا معك حيثما احببت لا نقول لك كما قالت
بنو اسرائيل لموسى اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكن اذهب
انت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون فتبسم رسول الله عم ثم قال اشيروا علي
ايها الناس وهو يريد الانصار لانهم كانوا عددهم وقد شرطوا حين بايعوه
بالعقبة انهم براء من ذمامه حتى يصل الى ديارهم فتخوف ان لا يروا نصرته الا
على عدوهم بالمدينة فقام سعد بن معاذ فقال لكانك تريدنا يا رسول الله قال
اجل قد امنا بك وصدقناك وشهدنا ان ما جئت به هو الحق واعطيناك على ذلك
عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يا رسول الله لما اردت فوالذي
بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل
واحد وما نكره ان تلقى بنا عدونا وانا لصبر عند الحرب صدق عند اللقاء ولعل
الله يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله فنشطه قوله ثم قال سيروا
على بركة الله وابشروا فان الله قد وعدني احدى الطائفتين والله كاني انظر
الى مصارع القوم وقيل انه عم لما فرغ من بدر قيل له عليك بالعير فناداه العباس
وهو في وثاقه لا يصلح فقال له لم فقال لان الله وعدك احدى الطائفتين وقد
اعطاك ما وعدك فكره بعضهم قوله يجادلونك في الحق في ايثار الجهاد لاظهار
الحق لايثارهم تلقي العير عليه بعدما تبين انهم ينصرون اينما توجهوا باعلام
الرسول كانما يساقون الى الموت وهم ينظرون اي يكرهون القتال كراهة من يساق
الى الموت وهو يشاهد اسبابه وكان ذلك لقلة عددهم وعدم تاهبهم اذ روي

انهم كانوا رجالة وما كان فيهم الا فارسان وفيه ايماء الى ان مجادلتهم كان لفرط فزعهم
ورعبهم واذ يعدكم الله احدى الطائفتين على اضمار اذكر واحدى ثاني مفعولي يعدكم
وقد ابدل عنها انها لكم بدل الاشتمال وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم يعني
العير فانه لم يكن فيها الا اربعون فارسا ولذلك يتمنونها ويكرهون ملاقاة النفير
لكثرة عددهم وعددهم والشوكة الحدة مستعارة من واحدة الشوك ويريد الله
ان يحق الحق ان يثبته ويعليه بكلماته الموحى بها في هذه الحال او باوامره للملائكة
بالامداد وقرئ بكلمته ويقطع دابر الكافرين ويستاصلهم والمعنى انكم تريدون
ان تصيبوا مالا ولا تلقوا مكروها والله يريد اعلاء الدين واظهار الحق وما يحصل
لكم فوز الدارين ليحق الحق ويبطل الباطل اي فعل ما فعل وليس بتكرير لان الاول
لبيان المراد وما بينه وبين مرادهم من التفاوت والثاني لبيان الداعي الى حمل الرسول
على اختيار ذات الشوكة ونصره عليها ولو كره المجرمون ذلك اذ تستغيثون ربكم
بدل من اذ يعدكم او متعلق بقوله ليحق الحق او على اضمار اذكروا واستغاثتهم انهم
لما علموا ان لا محيص من القتال اخذوا يقولون اي رب انصرنا على عدوك اغثنا يا
غياث المستغيثين وعن عمر رض انه عم نظر الى المشركين وهم الف والى اصحابه وهم
ثلثمائة فاستقبل القبلة ومد يديه يدعو اللهم انجز لي ما وعدتني اللهم ان تهلك
هذه العصابة لا تعبد في الارض فما زال كذلك حتى سقط رداؤه فقال ابو بكر
يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فانه سينجز لك ما وعدك فاستجاب لكم اني ممدكم باني
ممدكم فحذف الجار وسلط عليه الفعل وقرأ ابو عمرو بالكسر على ارادة القول
او اجراء استجاب مجرى قال لان الاستجابة من القول بالف من الملائكة مردفين متبعين
المؤمنين او بعضهم بعضا من اردفته اذا جئت بعده او متبعين بعضهم بعض المؤمنين
او انفسهم المؤمنين من اردفته اياه فردفه وقرأ نافع ويعقوب مردفين بفتح
اي متبعين او متبعين بمعنى انهم كانوا مقدمة الجيش او ساقتهم وقرئ مردفين
بكسر الراء وضمها واصله مرتدفين بمعنى مترادفين فادغمت التاء في الدال
فالتقى ساكنان فحركت الراء بالكسر على الاصل وبالضم على الاتباع وقرئ بالاف
ليوافق ما في سورة ال عمران ووجه التوفيق بينه وبين المشهور ان المراد بالالف
الذين كانوا على المقدمة او الساقة او وجوههم واعيانهم او من قاتل منهم و
اختلف في مقاتلتهم وقد روي اخبار تدل عليها وما جعله الله اي الامداد
الا بشرى الا بشارة لكم بالنصر ولتطمئن به قلوبكم فيزول ما بها من الوجل
لقلتكم وذلتكم وما النصر الا من عند الله ان الله عزيز حكيم وامداد الملائكة و

كثرة العدد والاهب ونحوهما وسائط لا تأثير لها فلا تحسبوا النصر منها ولا تيأسوا
منه بفقدها اذ يغشيكم النعاس بدل ثان من اذ يعدكم لاظهار نعمة ثالثة او متعلق
بالنصر او بما في عند الله من معنى الفعل او بجعل او باضمار اذكر وقرأ نافع بالتخفيف
من اغشيته الشيء اذا غشيته اياه والفاعل على القرائتين هو الله تعالى وقرأ ابن كثير
وابو عمرو ويغشاكم النعاس بالرفع امنة منه امنا من الله وهو مفعول له باعتبار
المعنى فان قوله يغشيكم النعاس يتضمن معنى تنعسون ويغشاكم بمعناه والامنة فعل
لفاعله ويجوز ان يراد بها الايمان فيكون فعل المغشي وان يجعل على القراءة
الاخيرة فعل النعاس على المجاز لانها لاصحابه او لانه كان من حقه ان لا يغشاهم
لشدة الخوف فلما غشيهم فكانه حصلت له امنة من الله لولاها لم يغشهم كقوله
يهاب النوم ان يغشى عيونا تهابك فهو نفار شرود وقرئ امنة كرحمة وهي لغة و
ينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به من الحدث والجنابة ويذهب عنكم رجز الشيطان
يعني الجنابة لانها من تخييله او وسوسته وتخويفه اياهم من العطش روي انهم نزلوا
في كثيب اعفر تسوخ فيه الاقدام على غير ماء وناموا فاحتلم اكثرهم وقد غلب المشركون
على الماء فوسوس اليهم الشيطان وقال كيف تنصرون وقد غلبتم على الماء وانتم
تصلون محدثين مجنبين وتزعمون انكم اولياء الله وفيكم رسوله فاشفقوا
فانزل الله المطر فمطروا ليلا حتى جرى الوادي واتخذوا الحياض على عدوته
وسقوا الركاب واغتسلوا وتوضؤوا وتلبد الرمل الذي بينهم وبين العدو حتى
ثبتت عليه الاقدام وزالت الوسوسة وليربط على قلوبكم بالوثوق على لطف
الله بهم ويثبت به الاقدام اي بالمطر حتى لا تسوخ في الرمل او بالربط على القلوب
حتى تثبت في المعركة اذ يوحي ربك بدل ثالث او متعلق بيثبت الى الملائكة اني معكم
في اعانتهم وتثبيتهم وهو مفعول يوحي وقرئ بالكسر على ارادة القول او اجراء
الوحي مجراه فثبتوا الذين آمنوا بالبشارة او بتكثير سوادهم او بمحاربة اعدائهم
فيكون قوله سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب كالتفسير لقوله اني معكم
فثبتوا وفيه دليل على انهم قاتلوا ومن منع ذلك جعل الخطاب فيه مع المؤمنين
اما على تغيير الخطاب او على ان قوله سألقي الى قوله كل بنان تلقين للملائكة ما يثبتون
المؤمنين به كانه قال قولوا لهم قولي هذا فاضربوا فوق الاعناق اعاليها التي
هي المذابح او الرؤوس واضربوا منهم كل بنان اصابع اي جزوا رقابهم واقطعوا
اطرافهم ذلك اشارة الى الضرب او الامر به والخطاب للرسول او لكل احد من
المخاطبين بانهم شاقوا الله ورسوله بسبب مشاقتهم لهما واشتقاقه من الشق

لان كلا من المتعاديين في شق خلاف شق الآخر كالمعاداة من العدوة والمخاصمة
من الخصم وهو الجانب ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب تقرير للتعليل
او وعيد بما اعد لهم في الآخرة بعد ما حاق بهم في الدنيا ذلكم الخطاب فيه مع الكفرة
على طريقة الالتفات ومحله الرفع اي الامر ذلكم او ذلكم واقع او نصب بفعل دل
عليه فذوقوه او غيره مثل باشروا او عليكم لتكون الفاء عاطفة وان للكافرين
عذاب النار عطف على ذلكم او نصب على المفعول معه والمعنى ذوقوا ما عجل لكم مع ما
اجل لكم في الآخرة ووضع الظاهر فيه موضع الضمير للدلالة على ان الكفر سبب
العذاب الآجل او الجمع بينهما وقرئ وان بالكسر على الاستيناف يا ايها الذين آمنوا
اذا لقيتم الذين كفروا زحفا كثيرا بحيث يرى لكثرتهم كانهم يزحفون وهو مصدر
زحف الصبي اذا دب على مقعده قليلا قليلا سمي به وجمع على زحوف وانتصابه
على الحال فلا تولوهم الادبار بالانهزام فضلا عن ان يكونوا مثلكم او اقل منكم و
الاظهر انها محكمة مخصوصة بقوله حرض المؤمنين الآية ويجوز ان ينتصب زحفا
من الفاعل والمفعول اي اذا لقيتموهم متزاحفين يدبون اليكم وتدبون اليهم فلا
تنهزموا او من الفاعل وحده ويكون اشعارا بما سيكون منهم يوم حنين حين تولوا
وهم اثنا عشر الفا ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال يريد الكر بعد الفر
وتغرير العدو فانه من مكايد الحرب او متحيزا الى فئة او منحازا الى فئة اخرى
من المسلمين على القرب ليستعين بهم ومنهم من لم يعتبر القرب لما روى ابن عمر
انه كان في سرية بعثهم رسول الله عم ففروا الى المدينة فقلت يا رسول الله نحن
الفرارون فقال بل انتم العكارون وانا فئتكم وانتصاب متحرفا ومتحيزا على
الحال والا لغو لا عمل له او الاستثناء من المولين اي الا رجلا متحرفا او متحيزا ووزن
متحيز متفيعل لا متفعل والا لكان متحوزا لانه من حاز يحوز فقد باء بغضب من
الله ومأواه جهنم وبئس المصير هذا اذا لم يزد العدو على الضعف لقوله الآن
خفف الله عنكم وقيل الآية مخصوصة باهل بدر والحاضرين معه في الحرب فلم
تقتلوهم بقوتكم ولكن الله قتلهم بنصركم وتسليطكم عليهم والقاء الرعب في قلوبهم
روي انه لما طلعت قريش من العقنقل قال عم هذه قريش جاءت بخيلائها وفخرها
يكذبون رسولك اللهم اني اسألك ما وعدتني فاتاه جبريل عم وقال خذ قبضة من تراب
فارمهم بها فلما التقى الجمعان تناول كفا من الحصباء فرمى بها في وجوههم وقال
شاهت الوجوه فلم يبق مشرك الا شغل بعينه فانهزموا وردفهم المؤمنون يقتلونهم
ويأسرونهم ثم لما انصرفوا اقبلوا على التفاخر فيقول الرجل قتلت واسرت فنزلت

والفاء جواب شرط محذوف تقديره ان افتخرتم بقتلهم فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم
وما رميت يا محمد رميا توصلها الى اعينهم ولم تقدر عليه اذ رميت اي اتيت بصورة
الرمي ولكن الله رمى اتى بما هو غاية الرمي فاوصلها الى اعينهم جميعا حتى انهزموا
وتمكنتم من قطع دابرهم وقد عرفت ان اللفظ يطلق على المسمى وعلى ما هو كماله و
المقصود منه وقيل معناه ما رميت بالرعب اذ رميت بالحصباء ولكن الله رمى في قلوبهم
وقيل انه نزل في طعنة طعن بها ابي بن خلف يوم احد فلم يخرج منه دم فجعل يخور حتى مات
او رمية سهم رماه يوم خيبر نحو الحصن فاصاب كنانة بن ابي الحقيق على فراشه والجمهور
على الاول وقرا ابن عامر وحمزة والكسائي ولكن بالتخفيف ورفع ما بعده في
الموضعين وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا ولينعم عليهم نعمة عظيمة بالنصر ان الله
والغنيمة ومشاهدة الآيات سميع لاستغاثتهم ودعائهم عليم بنياتهم واحوالهم
ذلكم اشارة الى البلاء الحسن او القتل او الرمي ومحله الرفع اي المقصود او الامر
ذلكم وقوله وان الله موهن كيد الكافرين معطوف عليه اي المقصود ابلاء المؤمنين
وتوهين كيد الكافرين وابطال حيلهم وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو موهن
بالتشديد وحفص موهن كيد بالاضافة والتخفيف ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح
خطاب لاهل مكة على سبيل التهكم وذلك انهم حين ارادوا الخروج تعلقوا باستار
الكعبة وقالوا اللهم انصر اعلى الجندين واهدى الفئتين واكرم الحزبين وان تنتهوا
عن الكفر ومعاداة الرسول فهو خير لكم لتضمنه سلامة الدارين وهو خير المنزلين
وان تعودوا لمحاربته نعد لنصره ولن تغني ولن تدفع عنكم فئتكم جماعتكم شيئا
من الاغناء او المضار ولو كثرت فئتكم وان الله مع المؤمنين بالنصر والمعونة وقرا
نافع وابن عامر وحفص وان بالفتح على ولان الله مع المؤمنين وقيل الآية خطاب للمؤمنين
والمعنى ان تستنصروا فقد جاءكم النصر وان تنتهوا عن التكاسل في القتال والرغبة
عما يستاثره الرسول فهو خير لكم وان تعودوا اليه نعد عليكم بالانكار او تهييج
العدو ولن تغني حينئذ كثرتكم اذا لم يكن الله معكم بالنصر فانه مع الكاملين
ايمانهم ويؤكد ذلك يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه اي
لا تتولوا عن الرسول فان المراد من الآية الامر بطاعته والنهي عن الاعراض عنه و
ذكر طاعة الله للتوطئة والتنبيه على ان طاعة الله في طاعة الرسول لقوله من
يطع الرسول فقد اطاع الله وقيل الضمير للجهاد او للامر الذي دل عليه الطاعة
وانتم تسمعون القرآن والمواعظ سماع فهم وتصديق ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا
كالكفرة والمنافقين الذين ادعوا السماع وهم لا يسمعون سماعا ينتفعون به و

وكانهم لا يسمعون راسا ان شر الدواب عند الله شر ما يدب على الارض او شر البهائم
الصم عن الحق البكم الذين لا يعقلون اياه عدهم من البهائم ثم جعلهم شرها لابطالهم
ما ميزوا به وفضلوا لاجله ولو علم الله فيهم خيرا سعادة كتبت لهم او انتفاعا
بالآيات لاسمعهم سماع تفهم ولو اسمعهم وقد علم ان لا خير فيهم لتولوا ولم ينتفعوا
به وارتدوا بعد التصديق والقبول وهم معرضون لعنادهم وقيل كانوا يقولون
للنبي احي لنا قصيا فانه كان شيخا مباركا حتى يشهد لك ونؤمن بك والمعنى لاسمعهم كلام
قصي يا ايها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول بالطاعة اذا دعاكم وحد
الضمير فيه لما سبق ولان دعوة الله تسمع من الرسول وروي انه مر على ابي و
هو يصلي فدعاه فعجل في صلوته ثم جاء فقال ما منعك عن اجابتي قال كنت اصلي قال
الم تخبر فيما اوحي الي استجيبوا لله وللرسول واختلف فيه فقيل هذا لان اجابته لا
يقطع الصلوة فان الصلوة ايضا اجابة وقيل لان دعاءه كان لامر لا يحتمل التاخير
وللمصلي ان يقطع الصلوة لمثله وظاهر الحديث يناسب الاول لما يحييكم من العلوم الدينية
فانها حياة القلب والجهل موته قال لا تعجبن الجهول حليته فذاك ميت وثوبه كفن
او مما يورثكم الحيوة الابدية في النعيم الدائم من العقائد والاعمال او من الجهاد
فانه سبب بقائكم اذ لو تركوه لغلبهم العدو وقتلهم او الشهادة لقوله بل احياء
عند ربهم واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه تمثيل لغاية قربه من العبد كقوله
ونحن اقرب اليه من حبل الوريد وتنبيه على انه مطلع على مكنونات القلوب مما عسى
يغفل عنه صاحبها او حث على المبادرة الى اخلاص القلوب وتصفيتها قبل ان
يحول الله بينه وبين القلب بالموت او غيره او تصوير وتخييل لتملكه على العبد قلبه
فيفسخ عزائمه ويغير مقاصده ويحول بينه وبين الكفر ان اراد سعادته و
بينه وبين الايمان ان قضى شقاوته وقرئ بين المر بالتشديد على حذف الهمزة
والقاء حركتها على الراء واجراء الوصل مجرى الوقف على لغة من يشدد فيه وانه
اليه تحشرون فيجازيكم باعمالكم واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة اتقوا
ذنبا يعمكم اثره كاقرار المنكر بين اظهركم والمداهنة في الامر بالمعروف وافتراق
الكلمة وظهور البدع والتكاسل في الجهاد على ان قوله لا تصيبن اما جواب الامر
على معنى ان اصابتكم لا تصيب الظالمين منكم خاصة وفيه ان جواب الشرط متردد فلا يليق
به النون المؤكدة لكنه لما تضمن معنى النهي ساغ فيه كقوله ادخلوا مساكنكم
لا يحطمنكم واما صفة لفتنة ولا للنفي وفيه شذوذ لان النون لا يدخل المنفي
في غير القسم او للنهي على ارادة القول كقوله حتى اذا جن الظلام واختلط جاءوا

بزرق هل رايت الذيب قط واما جواب قسم محذوف وقراءة من قرا لتصيبن وان اختلفا
في المعنى ويحتمل ان يكون نهيا بعد الامر باتقاء الذنب عن التعرض للظلم فان وباله يصيب
خاصة ويعود عليه ومن في منكم على الوجوه الاول للتبعيض وعلى الاخيرين للتبيين
وفايدته التنبيه على ان الظلم منكم اقبح من غيركم واعلموا ان الله شديد العقاب و
اذكروا اذ انتم قليل مستضعفون في الارض ارض مكة يستضعفكم قريش والخطاب
للمهاجرين وقيل للعرب كافة فانهم كانوا اذلاء في ايدي فارس والروم تخافون ان يتخطفكم
الناس كفار قريش او من عداهم فانهم كانوا جميعا معادين مضادين لهم فاواكم الى
المدينة وجعل لكم ماوى تتحصنون به عن اعدائكم وايدكم بنصره على الكفار او بمظاهرة
الانصار او بامداد الملائكة يوم بدر ورزقكم من الطيبات من الغنائم لعلكم تشكرون
هذه النعم يا ايها الذين امنوا لا تخونوا الله والرسول بتعطيل الفرائض والسنن او
بان تضمروا خلاف ما تظهرون او بالغلول في الغنايم وروي انه عم حاصر بني قريظة
احدى وعشرين ليلة فسالوه الصلح كما صالح اخوانهم بني النضير على ان يسيروا الى
اخوانهم باذرعات واريحا من الشام فابى الا ان ينزلوا على حكم سعد بن معاذ فابوا
وقالوا ارسل الينا ابا لبابة وكان مناصحا لهم لان عياله وماله في ايديهم فبعثه اليهم
فقالوا ما ترى هل ننزل على حكم سعد فاشار الى حلقه انه الذبح قال ابو لبابة فما زالت
قدماي حتى علمت اني قد خنت الله ورسوله فنزلت فشد نفسه على سارية في المسجد
وقال والله لا اذوق طعاما ولا شرابا حتى اموت او يتوب الله علي فمكث سبعة ايام حتى خر
مغشيا عليه ثم تاب الله عليه فقيل له قد تيب عليك فحل نفسك فقال لا والله لا احلها
حتى يكون رسول الله عم هو الذي يحلني فجاءه فحله فقال ان من تمام توبتي ان اهجر دار
قومي التي اصبت فيها الذنب وان انخلع من مالي فقال عم يجزيك الثلث ان تتصدق به و
اصل الخون النقص كما ان اصل الوفاء التمام واستعماله في ضد الامانة لتضمنه اياه
وتخونوا اماناتكم فيما بينكم وهو مجزوم بالعطف على الاول او منصوب على الجواب
بالواو وانتم تعلمون انكم تخونون او وانتم علماء تميزون الحسن من القبيح واعلموا انما
اموالكم واولادكم فتنة لانه سبب الوقوع في الاثم او في العقاب او محنة من
الله ليبلوكم فلا يحملنكم حبهم على الخيانة كابي لبابة وان الله عنده اجر عظيم لمن
اثر رضى الله عليهم وراعى حدوده فيهم فانيطوا هممكم بما يؤديكم به يا ايها الذين
امنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا هداية في قلوبكم يفرقون بها بين الحق والباطل
او نصرا يفرق بين المحق والمبطل باعزاز المؤمنين واذلال الكافرين او مخرجا من
الشبهات او نجاة مما تحذرون في الدارين او ظهورا يشهر امركم ويثبت صيتكم

من قولهم بت افعل كذا حتى سطع الفرقان اي الصبح ويكفر عنكم سيئاتكم ويسترها و
يغفر لكم بالتجاوز والعفو عنه وقيل السيئات الصغائر والذنوب الكبائر وقيل المراد
ما تقدم وما تاخر لانها في اهل بدر وقد غفرها الله لهم والله ذو الفضل العظيم
تنبيه على ان ما وعده لهم على التقوى تفضل منه واحسان وانه ليس مما يوجب
تقواهم عليه كالسيد اذا وعد عبده انعاما على عمل واذ يمكر بك الذين كفروا تذكار
لما مكر قريش به حين كان بمكة ليشكر نعمة الله في خلاصه من مكرهم واستيلائه
عليهم والمعنى واذكر اذ يمكرون بك ليثبتوك بالوثاق او الحبس او الاثخان بالجرح
من قولهم ضربه حتى اثبته لا حراك به ولا براح وقرئ ليثبتوك بالتشديد وليبيتوك
من البيات او يقتلوك بسيوفهم او يخرجوك من مكة وذلك انهم لما
سمعوا باسلام الانصار ومبايعتهم فرقوا واجتمعوا في دار الندوة متشاورين
في امره فدخل عليهم ابليس في صورة شيخ فقال انا من نجد سمعت اجتماعكم فاردت
ان احضركم ولن تعدموا مني رايا ونصحا فقال ابو البختري رايي ان تحبسوه في بيت
وتسدوا منافذه غير كوة تلقون اليه طعامه وشرابه منها حتى يموت فقال
الشيخ بئس الراي ياتيكم من يقاتلكم من قومه ويخلصه من ايديكم فقال هشام بن
عمرو رايي ان تحملوه على جمل فتخرجوه من ارضكم فلا يضركم ما صنع فقال بئس
الراي يفسد قوما غيركم ويقاتلكم بهم فقال ابو جهل انا ارى ان تاخذوا من كل
بطن غلاما وتعطوه سيفا فيضربونه ضربة واحدة فيتفرق دمه في القبائل
فلا تقوى بنو هاشم على حرب قريش كلهم فاذا طلبوا العقل عقلناه فقال صدق
الفتى فتفرقوا على رايه فاتى جبريل النبي عم واخبره الخبر وامره بالهجرة فبيت
عليا على مضجعه وخرج مع ابي بكر الى الغار ويمكرون ويمكر الله برد مكرهم عليهم
او بمجازاتهم عليه او بمعاملة الماكرين معهم بان اخرجهم الى بدر وقلل المسلمين
في اعينهم حتى حملوا عليهم فقتلوا والله خير الماكرين اذ لا يؤبه بمكرهم واسناد
امثال هذا انما يحسن للمزاوجة ولا يجوز اطلاقها ابتداء لما فيه من ايهام الذم
واذا تتلى عليهم اياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا هو قول النضر بن الحارث
واسناده الى الجمع اسناد ما فعله رئيس القوم اليهم فانه كان قاصهم او قول
الذين ائتمروا في امره عم وهذا غاية مكابرتهم وفرط عنادهم اذ لو استطاعوا
ذلك فما منعهم ان يشاؤوا وقد تحداهم وقرعهم بالعجز عشر سنين ثم قارعهم
بالسيف فلم يعارضوا سواه مع انفتهم وفرط استنكافهم ان يغلبوا خصوصا في
باب البيان ان هذا الا اساطير الاولين ما سطره الاولون من القصص واذ قالوا

اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب
اليم هذا ايضا من كلام ذلك القائل ابلغ في الجحود روي انه لما قال النضر ان هذا الا
اساطير الاولين قال له النبي عم ويلك انه كلام الله فقال ذلك والمعنى ان كان هذا
القران حقا منزلا فامطر الحجارة علينا عقوبة على انكاره او ائتنا بعذاب اليم سواه
والمراد منه التهكم واظهار اليقين والجزم التام على كونه باطلا وقرئ الحق بالرفع على
ان هو مبتدأ غير فصل وفائدة التعريف فيه الدلالة على ان المعلق به كونه حقا
بالوجه الذي يدعيه النبي عم وهو تنزيله لا الحق مطلقا لتجويزهم ان يكون مطابقا
للواقع غير منزل كاساطير الاولين وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله
معذبهم وهم يستغفرون بيان لما كان الموجب لامهالهم والتوقف في اجابة دعائهم
واللام لتاكيد النفي والدلالة على ان تعذيبهم عذاب استيصال والنبي بين اظهرهم
خارج عن عادته غير مستقيم في قضائه والمراد باستغفارهم اما استغفار من
بقي فيهم من المؤمنين او قولهم اللهم غفرانك او فرضه على معنى لو استغفروا لم يعذبوا
كقوله وما كان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون وما لهم الا يعذبهم الله
وما لهم مما يمنع تعذيبهم متى زال ذلك وكيف لا يعذبون وهم يصدون عن المسجد الحرام
وحالهم ذلك ومن صدهم عنه الجاء رسول الله عم الى الهجرة واحصارهم عام الحديبية
وما كانوا اولياءه مستحقين ولاية امره مع شركهم وهو رد لما كانوا يقولون نحن
ولاة البيت والحرم فنصد من نشاء وندخل من نشاء ان اولياؤه الا المتقون من
الشرك الذين لا يعبدون فيه غيره وقيل الضميران لله ولكن اكثرهم لا يعلمون ان
لا ولاية لهم عليه كانه نبه بالاكثر ان منهم من يعلم ويعاند او اراد به الكل كما يراد
بالقلة العدم وما كان صلاتهم عند البيت اي دعاؤهم او ما يسمونه صلاة او
ما يضعون موضعها الا مكاء صفيرا فعال من مكا يمكو اذا صفر وقرئ بالقصر
كالبكا وتصدية تصفيقا تفعلة من الصدا او من صد يصد على ابدال الدال ياء وقرئ
التضعيف بالياء وقرئ صلاتهم بالنصب على انه الخبر المقدم ومساق الكلام لتقرير
استحقاقهم العذاب او عدم ولايتهم للمسجد فانها لا تليق بمن هذه صلاته روي
انهم كانوا يطوفون عراة الرجال والنساء مشبكين بين اصابعهم يصفرون فيها و
قيل كانوا يفعلون ذلك اذا اراد النبي عم ان يصلي يخلطون عليه ويرون انهم
يصلون ايضا فذوقوا العذاب يعني القتل والاسر يوم بدر وقيل عذاب الاخرة
واللام يحتمل ان يكون للعهد والمعهود ائتنا بعذاب اليم بما كنتم تكفرون اعتقادا
او عملا ان الذين كفروا ينفقون اموالهم ليصدوا عن سبيل الله نزلت في المطعمين

يوم بدر وكانوا اثني عشر رجلا من قريش يطعم كل واحد منهم كل يوم عشر جزر او
في ابي سفيان استاجر ليوم احد الفين من العرب سوى من استجاش من العرب وانفق
عليهم اربعين اوقية او في اصحاب العير فانه لما اصيب قريش ببدر قيل لهم اعينوا
بهذا المال على حرب محمد لعلنا ندرك منه ثارنا ففعلوا والمراد بسبيل الله دينه
واتباع رسوله فسينفقونها بتمامها ولعل الاول اخبار عن انفاقهم في تلك
الحال وهو انفاق بدر والثاني اخبار عن انفاقهم فيما يستقبل وهو انفاق احد
ويحتمل ان يراد بهما واحد على ان مساق الاول لبيان غرض الانفاق ومساق الثاني
لبيان عاقبته وانه لم يقع بعد ثم تكون عليهم حسرة ندما وغما لفواتها من غير
مقصود جعل ذاتها تصير حسرة وهي عاقبة انفاقها مبالغة ثم يغلبون آخر الامر
وان كان الحرب بينهم سجالا قبل ذلك والذين كفروا اي الذين ثبتوا على الكفر منهم اذا
سلم بعضهم الى جهنم يحشرون يساقون ليميز الله الخبيث من الطيب الكافر من المؤمن
او الفساد من الصلاح واللام متعلقة بيحشرون او يغلبون او ما انفقه المشركون
في عداوة رسول الله عم مما انفقه المسلمون في نصرته واللام متعلقة بقوله
ثم تكون عليهم حسرة وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب ليميز من التمييز وهو
ابلغ من الميز ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا فيجمعه ويضم بعضه
الى بعض حتى يتراكبوا لفرط ازدحامهم او يضم الى الكافر ما انفقه ليزيد به عذابه
كمال الكافرين فيجعله في جهنم كله اولئك اشارة الى الخبيث لانه مقدر بالفريق
الخبيث او الى المنفقين هم الخاسرون الكاملون في الخسران لانهم خسروا انفسهم
واموالهم قل للذين كفروا يعني ابا سفيان واصحابه والمعنى قل لاجلهم ان ينتهوا
عن معاداة الرسول بالدخول في الاسلام يغفر لهم ما قد سلف من ذنوبهم وقرئ
بالتاء والكاف على انه خاطبهم ويغفر على البناء للفاعل وهو الله وان يعودوا
الى قتاله فقد مضت سنة الاولين الذين تحزبوا على الانبياء بالتدمير كما جرى
على اهل بدر فليتوقعوا مثل ذلك وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة لا يوجد فيهم شرك
ويكون الدين كله لله ويضمحل عنهم الاديان الباطلة فان انتهوا من الكفر فان
الله بما يعملون بصير فيجازيهم على انتهائهم عنه واسلامهم وعن يعقوب تعملون
بالتاء على معنى فان الله بما تعملون من الجهاد والدعوة الى الاسلام والاخراج
من ظلمة الكفر الى نور الايمان بصير فيجازيكم ويكون تعليقه بانتهائهم دلالة
على انه كما يستدعي اثابتهم للمباشرة يستدعي اثابة مقاتليهم للتسبب وان
تولوا ولم ينتهوا فاعلموا ان الله مولاكم ناصركم فثقوا به ولا تبالوا بمعاداتهم

نعم المولى لا يضيع من تولاه ونعم النصير لا يغلب من نصره واعلموا انما غنمتم اى
الذي اخذتموه من الكفار قهرا من شيء مما يقع عليه اسم الشيء حتى الخيط فان
لله خمسه مبتدا خبره محذوف اي فثابت ان لله خمسه وقرئ فان بالكسر و
على ان ذكر الله للتعظيم كما في قوله والله ورسوله احق ان يرضوه وان المراد
قسم الخمس على الخمسة المعطوفين وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين
وابن السبيل فكانه قال فان لله خمسه يصرف الى هؤلاء الاخصين به وحكمه بعد
باق غير ان سهم الرسول ص يصرف الى ما كان يصرفه اليه من مصالح المسلمين
كما فعله الشيخان وقيل الى الامام وقيل الى الاصناف الاربعة وقال ابو حنيفة
سقط سهمه وسهم ذوي القربى بوفاته وصار الكل مصروفا الى الثلثة الباقية
وعن مالك الامر فيه مفوض الى راي الامام يصرفه الى ما يراه اهم وذهب ابو العالية
الى ظاهر الاية وقال يقسم ستة اقسام ويصرف سهم الله الى الكعبة لما روي انه ص
كان ياخذ منه قبضة فيجعلها للكعبة ثم يقسم ما بقي على خمسة وقيل سهم الله
لبيت المال وقيل هو مضموم الى سهم الرسول وذو القربى بنو هاشم وبنو المطلب
لما روي انه ص قسم سهم ذوي القربى عليهما فقال له عثمان وجبير بن مطعم
هؤلاء اخوتك بنو هاشم لا ننكر فضلهم لمكانك الذي جعلك الله منهم ارايت
اخواننا من بني المطلب اعطيتهم وحرمتنا وانما نحن وهم بمنزلة فقال ص انهم لم
يفارقونا في جاهلية ولا اسلام وشبك بين اصابعه وقيل بنو هاشم وحدهم
وقيل جميع قريش الغني والفقير فيه سواء وقيل هو مخصوص بفقرائهم كسهم
ابن السبيل وقيل الخمس كله لهم والمراد باليتامى والمساكين وابن السبيل
من كان منهم والعطف للتخصيص والاية نزلت ببدر وقيل كان الخمس في غزوة
بني قينقاع بعد بدر بشهر وثلثة ايام للنصف من شوال على راس عشرين شهرا
من الهجرة ان كنتم امنتم بالله متعلق بمحذوف دل عليه واعلموا اي ان كنتم امنتم
بالله فاعلموا انه جعل الخمس لهؤلاء فسلموه اليهم واقتنعوا بالاخماس الاربعة
الباقية فان العلم العملي اذا امر به لم يرد منه العلم المجرد لانه مقصود بالعرض
والمقصود بالذات هو العمل وما انزلنا على عبدنا محمد من الايات والملائكة و
النصر وقرئ عبدنا بضمتين اي الرسول والمؤمنين يوم الفرقان يوم بدر
فانه فرق فيه بين الحق والباطل يوم التقى الجمعان المسلمون والكفار والله
على كل شيء قدير فيقدر على نصر القليل على الكثير والامداد بالملائكة اذ
انتم بالعدوة الدنيا بدل من يوم الفرقان والعدوة بالحركات الثلث شط

الوادي وقد قرئ بهما والمشهور الضم والكسر وهو قراءة ابن كثير وابي عمرو
ويعقوب وهم بالعدوة القصوى البعدى من المدينة تانيث الاقصى وكان قياسه
قلب الواو ياء كالدنيا والعليا تفرقة بين الاسم والصفة فجاء على الاصل وهو
اكثر استعمالا من القصيا والركب اي العير او قوادها اسفل منكم في مكان اسفل
من مكانكم يعني الساحل وهو منصوب على الظرف واقع موقع الخبر والجملة حال
من الظرف قبله وفائدتها الدلالة على قوة العدو واستظهارهم بالركب وحرصهم
على المقاتلة عنها وتوطين نفوسهم على ان لا يخلوا مراكزهم ويبذلوا منتهى جهدهم
وضعف شان المسلمين والتياث امرهم واستبعاد غلبتهم عادة وكذا ذكر مراكز
الفريقين فان العدوة الدنيا كانت رخوة تسوخ فيها الارجل ولا يمشى فيها الا بتعب
ولم يكن فيها ماء بخلاف العدوة القصوى وكذا قوله ولو تواعدتم لاختلفتم في
الميعاد اي لو تواعدتم انتم وهم القتال ثم علمتم حالكم وحالهم لاختلفتم انتم في
الميعاد هيبة منهم وياسا في الظفر عليهم ليتحققوا ان ما اتفق لهم من الفتح ليس الا صنعا
من الله خارقا للعادة فيزدادوا ايمانا وشكرا ولكن جمع بينكم على هذه الحال
من غير ميعاد ليقضي الله امرا كان مفعولا حقيقا بان يفعل وهو نصر اوليائه وقهر
اعدائه وقوله ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة بدل منه او متعلق
بقوله مفعولا والمعنى ليموت من يموت عن بينة عاينها ويعيش من يعيش عن حجة شاهدها لئلا
يكون له حجة ومعذرة فان وقعة بدر من الايات الواضحة او ليصدر كفر من كفر
وايمان من امن عن وضوح بينة على استعارة الهلاك والحيوة للكفر والاسلام
والمراد بمن هلك ومن حي المشارف للهلاك والحيوة او من هذا حاله في علم الله
وقضائه وقرئ ليهلك بالفتح وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو ويعقوب من حيي بفك
الادغام للحمل على المستقبل وان الله لسميع عليم بكفر من كفر وايمان من امن وثوابه
ولعل الجمع بين الوصفين لاشتمال الامرين على القول والاعتقاد اذ يريكهم
الله في منامك قليلا مقدر باذكر او بدل ثان من يوم الفرقان او متعلق بعليم اي
يعلم المصالح اذ يقللهم في عينك في رؤياك وهي ان تخبر به اصحابك فيكون تثبيتا
لهم وتشجيعا على عدوهم ولو اريكهم كثيرا لفشلتم لجبنتم ولتنازعتم في الامر
امر القتال وتفرقت اراؤكم بين الثبات والفرار ولكن الله سلم انعم بالسلامة
من الفشل والتنازع انه عليم بذات الصدور يعلم ما سيكون فيها وما يغير
احوالها واذ يريكموهم اذ التقيتم في اعينكم قليلا الضميران مفعولا يرى
وقليلا حال من الثاني وانما قللهم في اعين المسلمين حتى قال ابن مسعود لمن

الى جنبه اتراهم سبعين فقال اراهم مائة تثبيتا لهم وتصديقا لرؤيا الرسول
ويقللكم في اعينهم حتى قال ابو جهل ان محمدا واصحابه اكلة جزور وقللهم في اعينهم
قبل التحام القتال ليجترؤا عليهم ولا يستعدوا لهم ثم كثرهم حتى يرونهم مثليهم
لتفاجئهم الكثرة فتبهتهم وتكسر قلوبهم وهذا من عظائم ايات تلك الوقعة فان
البصر وان كان قد يرى الكثير قليلا والقليل كثيرا لكن لا على هذا الوجه و
لا الى هذا الحد وانما يتصور ذلك بصد الله الابصار عن ابصار بعض دون بعض
مع التساوي في الشروط ليقضي الله امرا كان مفعولا كرره لاختلاف الفعل المعلل
به او لان المراد بالامر ثم الالتقاء على الوجه المحكي وههنا اعزاز الاسلام واهله
واذلال الشرك وحزبه والى الله ترجع الامور يا ايها الذين امنوا اذا لقيتم فئة
حاربتكم جماعة ولم يصفها لان المؤمنين ما كانوا يلقون الا الكفار واللقاء مما غلب
في القتال فاثبتوا للقائهم واذكروا الله كثيرا في مواطن الحرب داعين له مستظهرين
بذكره مترقبين لنصره لعلكم تفلحون تظفرون بمرادكم من النصرة والمثوبة وفيه
تنبيه على ان العبد ينبغي ان لا يشغله شيء عن ذكر الله وان يلتجئ اليه عند الشدائد
ويقبل عليه بشراشره فارغ البال واثقا بان لطفه لا ينفك عنه في شيء من الاحوال
واطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا باختلاف الاراء كما فعلتم ببدر واحد
فتفشلوا جواب النهي وقيل عطف عليه ولذلك قرئ وتذهب ريحكم بالجزم و
الريح مستعارة للدولة من حيث انها في تمشي امرها ونفاذه مشبهة بها في هبوبها
ونفوذها وقيل المراد بها الحقيقة فان النصرة لا تكون الا بريح يبعثها الله وفي
الحديث نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور واصبروا ان الله مع الصابرين
بالكلاءة والنصر ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم يعني اهل مكة حين خرجوا
منها لحماية العير بطرا فخرا واشرا ورئاء الناس ليثنوا عليهم بالشجاعة و
السماحة وذلك انهم لما بلغوا جحفة وافاهم رسول ابي سفيان ان ارجعوا
فقد سلمت عيركم فقال ابو جهل لا والله حتى نقدم بدرا ونشرب بها الخمور وتعزف علينا
القيان ونطعم بها من حضرنا فوافوها ولكن سقوا كاس المنايا وناحت عليهم النوايح
فنهى المؤمنين ان يكونوا امثالهم بطرين مرائين وامرهم بان يكونوا اهل تقوى
واخلاص من حيث ان النهي عن الشيء امر بضده ويصدون عن سبيل الله معطوف
على بطرا ان جعل مصدرا في موضع الحال وكذا ان جعل مفعولا له لكن على تاويل
المصدر والله بما يعملون محيط فيجازيكم عليه واذ زين لهم الشيطان مقدر باذكر
اعمالهم في معاداة الرسول وغيرها بان وسوس اليهم وقال لا غالب لكم اليوم

من الناس واني جار لكم مقالة نفسانية والمعنى انه القى في روعهم وخيل اليهم انهم
لا يغلبون ولا يطاقون لكثرة عددهم وعددهم ان اتباعهم اياه فيما يظنون انها
قربات مجيرة لهم حتى قالوا اللهم انصر اهدى الفئتين وافضل الدينين ولكم خبر لا
غالب او صفته وليس صلته والا لانتصب كقولك لا ضاربا زيدا عندنا فلما تراءت
الفئتان اي تلاقى الفريقان نكص على عقبيه رجع القهقرى اي بطل كيده وعاد ما
خيل لهم انه مجيرهم سبب هلاكهم وقال اني بريء منكم اني ارى ما لا ترون اني اخاف
الله اي تبرأ منهم وخاف عليهم وايس من حالهم لما رأى امداد الله المسلمين بالملائكة
وقيل لما اجتمعت قريش على المسير ذكرت ما بينهم وبين كنانة من الاحنة وكاد ذلك
يثنيهم فتمثل ابليس بصورة سراقة مالك الكناني وقال لا غالب لكم اليوم واني مجيركم
من بني كنانة فلما رأى الملائكة تنزل نكص وكان يده في يد الحارث بن هشام فقال له
الى اين اتخذلنا في هذه الحالة فقال اني ارى ما لا ترون ودفع في صدر الحارث
وانطلق وانهزموا فلما بلغوا مكة قالوا هزم الناس سراقة فبلغه ذلك فقال و
الله ما شعرت بمسيركم حتى بلغتني هزيمتكم فلما اسلموا علموا انه الشيطان وعلى
هذا يحتمل ان يكون معنى قوله اني اخاف الله اني اخافه ان يصيبني بمكروه من
الملائكة او يهلكني ويكون الوقت الموعود اذ رأى فيه ما لم ير قبله والاول
ما قاله الحسن واختاره ابن بحر والله شديد العقاب يجوز ان يكون من كلامه
وان يكون مستانفا اذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض والذين لم يطمئنوا
الى الايمان بعد وبقي في قلوبهم شبهة وقيل هم المشركون وقيل المنافقون
والعطف لتغاير الوصفين غر هؤلاء دينهم يعنون المؤمنين لما لا يدي لهم به خرجوا
وهم ثلاثمائة وبضعة عشر الى زهاء الالف ومن يتوكل على الله جواب لهم فان الله
عزيز غالب لا يذل من استجار به وان قل حكيم يفعل بحكمته البالغة ما يستبعده العقل
ويعجز عن ادراكه ولو ترى ولو رأيت فان لو يجعل المضارع ماضيا عكس ان اذ يتوفى
الذين كفروا الملائكة ببدر واذ ظرف ترى والمفعول محذوف اي ولو ترى الكفرة
او حالهم حينئذ والملائكة فاعل يتوفى ويدل عليه قراءة ابن عامر بالتاء ويجوز
ان يكون الفاعل ضمير الله عز وجل وهو مبتدأ خبره يضربون وجوههم والجملة
حال من الذين كفروا واستغني فيه بالضمير عن الواو وهو على الاول حال منهم
او من الملائكة او منهما لاشتماله على الضميرين وادبارهم ظهورهم واستاههم
ولعل المراد تعميم الضرب اي يضربون ما اقبل منهم وما ادبر وذوقوا عذاب
الحريق عطف على يضربون باضمار القول اي يقولون ذوقوا بشارة لهم بعذاب

الآخرة وقيل كانت معهم مقامع من حديد كلما ضربوا التهبت النار منها وجواب لو محذوف
لتفظيع الامر وتهويله ذلك الضرب والعذاب بما قدمت ايديكم بسبب ما كسبتم من
الكفر والمعاصي وهو خبر لذلك وان الله ليس بظلام للعبيد عطف على ما للدلالة
على ان سببيته مقيدة بانضمامه اليه اذ لولاه لامكن ان يعذبهم بغير ذنوبهم
لا ان لا يعذبهم بذنوبهم فان ترك التعذيب من مستحقه ليس بظلم شرعا ولا عقلا حتى
ينتهض نفي الظلم سببا للتعذيب وظلام للتكثير لاجل العبيد كدأب آل فرعون اي دأب
هؤلاء مثل دأب آل فرعون وهو عملهم وطريقهم الذي دأبوا فيه اي داوموا عليه
والذين من قبلهم من قبل آل فرعون كفروا بآيات الله تفسير لدأبهم فأخذهم الله
بذنوبهم كما اخذ هؤلاء ان الله قوي شديد العقاب لا يغلبه في دفعه شيء ذلك
اشارة الى ما حل بهم بان الله بسبب ان الله لم يك مغيرا نعمة انعمها على قوم مبدلا
اياها بالنقمة حتى يغيروا ما بانفسهم يبدلوا ما بهم من الحال الى حال اسوأ كتغيير
قريش حالهم في صلة الرحم والكف عن تعرض الآيات والرسل بمعاداة الرسول
ومن تبعه منهم والسعي في اراقة دمائهم والتكذيب بالآيات والاستهزاء بها
الى غير ذلك مما احدثوه بعد المبعث وليس السبب عدم تغيير الله ما انعم عليهم
حتى يغيروا حالهم بل ما هو المفهوم له وهو جري عادته تعالى على تغييره متى
يغيروا حالهم واصل يك يكون فحذفت الحركة للجزم ثم الواو لالتقاء الساكنين
ثم النون لشبهه بالحروف اللينة تخفيفا وان الله سميع لما يقولون عليم بما يفعلون
كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآيات ربهم فاهلكناهم بذنوبهم واغرقنا
آل فرعون تكرير للتأكيد ولما نيط به من الدلالة على كفران النعم بقوله بآيات ربهم
وبيان ما اخذ به آل فرعون وقيل الاول لتشبيه الكفر والاخذ به والثاني لتشبيه
التغيير بسبب تغييرهم ما بانفسهم وكل من الفرق المكذبة او من غرقى القبط و
قتلى قريش كانوا ظالمين انفسهم بالكفر والمعاصي ان شر الدواب عند الله الذين
كفروا اصروا على الكفر ورسخوا فيه فهم لا يؤمنون فلا يتوقع منهم ايمان ولعله
اخبار عن قوم مطبوعين على الكفر بانهم لا يؤمنون والفاء للعطف والتنبيه على
ان تحقق المعطوف عليه يستدعي تحقق المعطوف وقوله الذين عاهدت منهم
ثم ينقضون عهدهم في كل مرة من الذين كفروا بدل البعض للبيان والتخصيص و
هم يهود قريظة عاهدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا يمالئوا عليه فاعانوا المشركين
بالسلاح وقالوا نسينا ثم عاهدهم فنكثوا ومالؤوهم عليه يوم الخندق و
ركب كعب بن الاشرف الى مكة فحالفهم ومن لتضمين المعاهدة معنى الاخذ والمراد
بالمرة

بالمرة مرة المعاهدة او المحاربة وهم لا يتقون سبة الغدر ومغبته او لا يتقون
الله فيه او نصره للمؤمنين وتسليطه عليهم فاما تثقفنهم فاما تصادفنهم
وتظفرن بهم في الحرب فشرد بهم ففرق عن مناصبتك ونكل عنها بقتلهم والنكاية فيهم
من خلفهم من وراءهم من الكفرة والتشريد تفريق على اضطراب وقرئ فشرذ بالذال
المعجمة وكأنه مقلوب شذر ومن خلفهم والمعنى واحد فانه اذا شرد من وراءهم
فقد فعل التشريد في الوراء لعلهم يذكرون لعل المشردين يتعظون واما تخافن
من قوم معاهدين خيانة نقض عهد بامارات تلوح لك فانبذ اليهم فاطرح اليهم
عهدهم على سواء على عدل وطريق قصد في العداوة ولا تناجزهم الحرب فانه
يكون خيانة منك او على سواء في الخوف او العلم بنقض العهد وهو في موضع الحال
من النابذ على الوجه الاول اي ثابتا على طريق سوي او منه او من المنبوذ اليهم
او منهما على غيره وقوله ان الله لا يحب الخائنين تعليل للامر بالنبذ والنهي عن
مناجزة القتال المدلول عليه بالحال على طريقة الاستئناف ولا تحسبن خطاب
للنبي وقوله الذين كفروا سبقوا مفعولاه وقرأ ابن عامر وحمزة وحفص بالياء
على ان الفاعل ضمير احد او من خلفهم او الذين كفروا والمفعول الاول انفسهم
فحذف للتكرار او على تقدير ان سبقوا وهو ضعيف لان ان المصدرية كالموصول
فلا يحذف او على ايقاع الفعل على انهم لا يعجزون بالفتح على قراءة ابن عامر وان
لا صلة وسبقوا حال بمعنى سابقين اي مفلتين والاظهر انه تعليل للنهي اي
لا تحسبنهم سبقوا فافلتوا لانهم لا يفوتون الله ولا يجدون طالبهم عاجزا
عن ادراكهم وكذا ان كسرت الا انه تعليل على سبيل الاستئناف ولعل الآية
ازاحة لما يحذر به من نبذ العهد وايقاظ العدو وقيل نزلت فيمن افلت من
فل المشركين واعدوا لهم ايها المؤمنون لناقضي العهد او الكفار ما استطعتم من
من قوة من كل ما يتقوى به في الحرب وعن عقبة بن عامر سمعته صلى الله عليه وسلم يقول على
المنبر الا ان القوة الرمي قالها ثلاثا ولعله عليه السلام خصه بالذكر لانه اقواه ومن
رباط الخيل اسم للخيل التي تربط في سبيل الله فعال بمعنى مفعول او مصدر
سمي به يقال ربط ربطا ورباطا ورابط مرابطة ورباطا او جمع ربيط
كفصال وقرئ ربط الخيل بضم الباء وسكونها جمع رباط وعطفها على القوة
كعطف جبريل وميكائيل على الملائكة ترهبون به تخوفون به وعن يعقوب ترهبون
بالتشديد والضمير لما استطعتم او للاعداد عدو الله وعدوكم يعني كفار مكة
وآخرين من دونهم من غيرهم من الكفرة قيل هم اليهود وقيل المنافقون وقيل

العزيز حكيم لا تعرفونهم بأعيانهم الله يعلمهم يعرفهم وما تنفقوا من شيء في
سبيل الله يوف إليكم جزاؤه وأنتم لا تظلمون بتضييع العمل أو نقص الثواب وإن
جنحوا مالوا ومنه الجناح وقد يعدى باللام وإلى للسلم للصلح والاستسلام و
قرأ أبو بكر بالكسر فاجنح لها وعاهد معهم وتأنيث الضمير لحمل السلم على نقيضها
فيه قال السلم تأخذ منها ما رضيت به والحرب يكفيك من أنفاسها جرع وقرئ
فاجنح بالضم وتوكل على الله ولا تخف من إبطانهم خداعا فيه فإن الله يعصمك
من مكرهم ويحيقه بهم إنه هو السميع لأقوالهم العليم بنياتهم والآية مخصوصة
بأهل الكتاب لاتصالها بقصتهم وقيل عامة نسختها آية السيف وإن يريدوا أن
يخدعوك فإن حسبك الله فإن محسبك الله وكافيك قال جرير إني وجدت من المكارم
حسبكم أن تلبسوا خز الثياب وتشبعوا هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين جميعا
وألف بين قلوبهم مع ما فيهم من العصبية والضغينة في أدنى شيء والتهالك على
الانتقام بحيث لا يكاد يأتلف فيهم قلبان حتى صاروا كنفس واحدة وهذا من
معجزاته عم وبيانه لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم أي تناهى عداوتهم
إلى حد لو أنفق منفق في إصلاح ذات بينهم ما في الأرض من الأموال لم يقدر على الألفة و
الإصلاح ولكن الله ألف بينهم بقدرته البالغة فإنه المالك للقلوب يقلبها
كيف يشاء إنه عزيز تام القدرة الغالبة لا يعصى عليه ما يريده حكيم يعلم أنه كيف
ينبغي أن يفعل ما يريده وقيل الآية في الأوس والخزرج كان بينهم إحن لا أمد لها و
وقائع هلكت فيها ساداتهم فأنساهم الله ذلك وألف بينهم بالإسلام حتى
تصافوا وصاروا أنصارا يا أيها النبي حسبك الله كافيك ومن اتبعك من المؤمنين
إما في محل النصب على المفعول معه كقوله فحسبك والضحاك سيف مهند إذا كانت
الهيجاء واشتجر القنا أو الجر عطفا على الكاف عند الكوفيين أو الرفع عطفا على
اسم الله أي كفاك الله والمؤمنون والآية نزلت بالبيداء في غزوة بدر وقيل أسلم مع
النبي ثلاثة وثلاثون رجلا وست نسوة ثم أسلم عمر فنزلت ولذلك قال ابن عباس
نزلت في إسلامه يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال بالغ في حثهم عليه وأصله
الحرض وهو أن ينهكه المرض حتى يشفي على الموت وقرئ حرص من الحرص إن يكن منكم
عشرون صابرون يغلبوا مائتين وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا
شرط في معنى الأمر بمصابرة الواحد للعشرة والوعد بأنهم إن صبروا غلبوا بعون
الله وتأييده وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر تكن بالتاء في الآيتين ووافقهم
البصريان في وإن يكن منكم مائة بأنهم قوم لا يفقهون بسبب أنهم جهلة بالله

واليوم

واليوم الآخر لا يثبتون ثبات المؤمنين رجاء الثواب وعوالي الدرجات قتلوا
أو قتلوا ولا يستحقون من الله إلا الهوان والخذلان الآن خفف الله عنكم وعلم أن
فيكم ضعفا فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وإن يكن منكم ألف
يغلبوا ألفين بإذن الله لما أوجب على الواحد مقاومة العشرة والثبات لهم وثقل
ذلك عليهم خفف عنهم بمقاومة الواحد الاثنين وقيل كان فيهم قلة فأمروا بذلك
ثم لما كثروا خفف عنهم وتكرير المعنى الواحد بذكر الأعداد المتناسبة للدلالة على أن
حكم القليل والكثير واحد والضعف ضعف البدن وقيل ضعف البصيرة وكانوا
متفاوتين فيهما وفيه لغتان الفتح وهو قراءة عاصم وحمزة والضم وهو قراءة
الباقين والله مع الصابرين بالنصر والمعونة فكيف لا يغلبون ما كان لنبي وقرئ
للنبي على العهد أن يكون له أسرى وقرأ البصريان بالتاء حتى يثخن في الأرض
يكثر القتل ويبالغ فيه حتى يذل الكفر ويقل حزبه ويعز الإسلام ويستولي أهله من
أثخنه المرض إذا أثقله وأصله الثخانة وقرئ يثخن بالتشديد للمبالغة تريدون
عرض الدنيا حطامها بأخذكم الفداء والله يريد الآخرة يريد لكم ثواب الآخرة أو
سبب نيل الآخرة من إعزاز دينه وقمع أعدائه وقرئ بجر الآخرة على إضمار المضاف
كقوله أكل امرئ تحسبين امرأ ونار توقد بالليل نارا والله عزيز يغلب أولياءه
على أعدائه حكيم يعلم ما يليق بكل حال ويخصه بها كما أمر بالإثخان ومنع عن الافتداء
حين كانت الشوكة للمشركين وخير بينه وبين المن لما تحولت الحال وصارت الغلبة
للمؤمنين روي أنه عم أتي يوم بدر بسبعين أسيرا فيهم العباس وعقيل بن أبي
طالب فاستشار فيهم فقال أبو بكر قومك وأهلك استبقهم لعل الله يتوب عليهم
وخذ منهم فدية يتقوى بها أصحابك وقال عمر اضرب أعناقهم فإنهم أئمة الكفر وإن
الله أغناك عن الفداء مكني من فلان لنسيب له ومكن عليا وحمزة من أخويهما فلنضرب
أعناقهم فلم يهو ذلك رسول الله عم وقال إن الله ليلين قلوب رجال حتى تكون ألين
من اللين وإن الله ليشدد قلوب رجال حتى تكون أشد من الحجارة وإن مثلك يا أبا
بكر مثل إبراهيم قال فمن تبعني فإنه مني ومن عصاني فإنك غفور رحيم ومثلك يا عمر
مثل نوح قال لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا فخير أصحابه فأخذوا الفداء فنزلت
فدخل عمر على رسول الله عم فإذا هو وأبو بكر يبكيان فقال يا رسول الله أخبرني
فإن أجد بكاء بكيت وإلا تباكيت فقال أبكي على أصحابك في أخذهم الفداء ولقد عرض
علي عذابهم أدنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة والآية دليل على أن الأنبياء يجتهدون
وأنه قد يكون خطأ ولكن لا يقرون عليه لولا كتاب من الله سبق لولا حكم من الله سبق

اثباته في اللوح المحفوظ وهو ان لا يعاقب المخطئ في اجتهاده او ان لا يعذب اهل بدر
او قوما بما لم يصرح لهم بالنهي عنه او ان الفدية التي اخذوها ستحل لهم لمسكم فيما
اخذتم من الفداء عذاب عظيم روي انه عم قال لو نزل العذاب لما نجا منه غير عمر وسعد
بن معاذ وذلك لانه ايضا اشار بالاثخان فكلوا مما غنمتم من الفدية فانها من جملة الغنايم
وقيل امسكوا عن الغنايم فنزلت والفاء للتسبب والسبب محذوف تقديره ابحت لكم الغنايم
فكلوا وبنحوه تشبث من زعم ان الامر الوارد بعد الحظر للاباحة حلالا حال من المغنوم
او صفة للمصدر اي اكلا حلالا وفايدته ازاحة ما وقع في نفوسهم منه لسبب تلك
المعاتبة او حرمتها على الاولين ولذلك وصفه بقوله طيبا واتقوا الله في مخالفته ان
الله غفور غفر لكم ذنبكم رحيم اباح لكم ما اخذتم يا ايها النبي قل لمن في ايديكم من
الاسرى وقرا ابو عمرو من الاسارى ان يعلم الله في قلوبكم خيرا ايمانا واخلاصا يؤتكم
خيرا مما اخذ منكم من الفداء روي انها نزلت في العباس كلفه رسول الله عم ان يفدي
نفسه وابني اخويه عقيل بن ابي طالب ونوفل بن الحارث فقال يا محمد تركتني اتكفف قريشا
ما بقيت فقال فاين الذهب الذي دفعته الى ام الفضل وقت خروجك وقلت لها اني
لا ادري ما يصيبني في وجهي هذا فان حدث بي حدث فهو لك ولعبد الله والفضل
وقثم فقال وما يدريك قال اخبرني به ربي قال اشهد انك صادق وان لا اله الا
الله وانك رسول الله والله لم يطلع عليه احد الا الله ولقد دفعته اليها في سواد
الليل قال العباس فابدلني الله خيرا من ذلك لي الان عشرون عبدا ان ادناهم ليضرب في
عشرين الفا واعطاني زمزم ما احب ان لي بها جميع اموال اهل مكة وانا انتظر المغفرة
من ربكم يعني الموعود بقوله ويغفر لكم والله غفور رحيم وان يريدوا يعني الاسرى
خيانتك نقض ما عهدوك فقد خانوا الله بالكفر ونقض ميثاقه المأخوذ بالعقل
من قبل فامكن منهم اي فامكنك منهم كما فعل يوم بدر فان اعادوا الخيانة فسيمكنك
منهم والله عليم حكيم ان الذين امنوا وهاجروا هم المهاجرون هاجروا اوطانهم
حبا لله ولرسوله وجاهدوا باموالهم فصرفوها في الكراع والسلاح وانفقوها
على المحاويج وانفسهم في سبيل الله بمباشرة القتال والذين اووا ونصروا هم
الانصار اووا المهاجرين الى ديارهم ونصروهم على اعدائهم اولئك بعضهم اولياء
بعض في الميراث وكان المهاجرون والانصار يتوارثون بالهجرة والنصرة دون
الاقارب حتى نسخ بقوله واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض او بالنصرة والمظاهرة
والذين امنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا اي من توليهم
في الميراث وقرا حمزة ولايتهم بالكسر تشبيها لها بالعمل والصناعة كالكتابة

والامارة كانه بتوليه صاحبه يزاول عملا وان استنصروكم في الدين فعليكم
النصر فوجب عليكم ان تنصروهم على المشركين الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق عهد فانه
لا ينقض عهدهم لنصرهم عليهم والله بما تعملون بصير والذين كفروا بعضهم اولياء
بعض في الميراث او المؤازرة وهو بمفهومه يدل على منع التوارث او المؤازرة بينهم
وبين المسلمين الا تفعلوه الا تفعلوا ما امرتم به من التواصل بينكم وتولي بعضكم لبعض حتى في التوارث
وقطع العلايق بينكم وبين الكفار تكن فتنة في الارض تحصل فتنة فيها عظيمة وهي
ضعف الايمان وظهور الكفر وفساد كبير في الدين وقرئ كثير والذين امنوا وهاجروا
وجاهدوا في سبيل الله والذين اووا ونصروا اولئك هم المؤمنون حقا لما قسم
المؤمنين ثلثة اقسام بين ان الكاملين في الايمان منهم هم الذين حققوا ايمانهم بتحصيل
مقتضاه من الهجرة والجهاد وبذل المال ونصرة الحق ووعدهم الموعد الكريم فقال
لهم مغفرة ورزق كريم لا تبعة له ولا منة فيه ثم الحق بهم في الامرين من سيلحق بهم ويتسم
بسمتهم فقال والذين امنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فاولئك منكم اي من
جملتكم ايها المهاجرون والانصار واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في التوارث
من الاجانب في كتاب الله في حكمه او في اللوح او في القران واستدل به على توريث
ذوي الارحام ان الله بكل شيء عليم من التوارث والحكمة في اناطته بنسبة الاسلام
والمظاهرة اولا واعتبار القرابة ثانيا عن النبي عم من قرا سورة الانفال وبراءة انا
شفيع له يوم القيمة وشاهد انه بريء من النفاق واعطي عشر حسنات
بعدد كل منافق ومنافقة وكان العرش وحملته يستغفرون له ايام حياته

وقيل الا ايتين من قوله لقد جاءكم رسول وهي اخر ما نزلت ولها اسماء اخر
التوبة والمقشقشة والبحوث والمبعثرة والمنقرة والمثيرة والحافرة والمخزية والفاضحة
والمنكلة والمشردة والمدمدمة وسورة العذاب لما فيها من التوبة للمؤمنين والقشقشة من
النفاق وهي التبري منه والبحث عن حال المنافقين واثارتها والحفر
عنها وما يخزيهم ويفضحهم وينكلهم ويشرد بهم ويدمدم عليهم

وانما ترك التسمية لانها نزلت لرفع الامان وبسم الله امان وقيل كان النبي
عليه السلام اذا نزلت عليه سورة او اية بين موضعها وتوفي ولم يبين موضعها

وكانت قصتها تشابه قصة الانفال وتناسبها لان في الانفال ذكر العهود وفي براءة
نبذها فضمت اليها وقيل لما اختلفت الصحابة في انهما سورة واحدة هي سابعة
السبع الطوال او سورتان تركت بينهما فرجة فلم يكتب بسم الله براءة من الله و
رسوله اي هذه براءة ومن ابتدائية متعلقة بمحذوف تقديره واصلة من الله
ورسوله ويجوز ان يكون براءة مبتدا لتخصصها بصفتها والخبر الى الذين عاهدتم
من المشركين وقرئ بنصبها على اسمعوا براءة والمعنى ان الله ورسوله بريا من العهد
الذي عاهدتم به المشركين وانما علقت البراءة بالله ورسوله والمعاهدة بالمسلمين
للدلالة على انه يجب عليهم نبذ عهود المشركين اليهم وان كانت صادرة باذن الله واتفاق
الرسول فانهما بريا منها وذلك انهم عاهدوا مشركي العرب فنكثوا الا ناسا منهم بني
ضمرة وبني كنانة فامرهم بنبذ العهد الى الناكثين وامهل المشركين اربعة اشهر ليسيروا
اين شاؤا فقال فسيحوا في الارض اربعة اشهر شوال وذي القعدة وذي الحجة
المحرم لانها نزلت في شوال وقيل هي عشرين من ذي الحجة والمحرم وصفر وربيع
الاول وعشر من ربيع الاخر لان التبليغ كان يوم النحر لما روي انها لما نزلت ارسل
رسول الله صلعم عليا رضه راكب العضباء ليقراها على اهل الموسم وكان قد بعث ابا
بكر اميرا على الموسم فقيل لو بعثت بها الى ابي بكر فقال لا يؤدي عني الا رجل مني فلما
دنا علي سمع ابو بكر الرغاء فوقف وقال هذا رغاء ناقة رسول الله صلعم فلما لحقه
قال امير او مامور قال مامور فلما كان قبل التروية خطب ابو بكر وحدثهم عن مناسكهم
وقام علي يوم النحر عند جمرة العقبة فقال يا ايها الناس اني رسول رسول الله اليكم فقالوا
بماذا فقرأ عليهم ثلثين او اربعين اية ثم قال امرت باربع ان لا يقرب البيت
بعد هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل الجنة الا كل نفس مؤمنة
وان يتم الى كل ذي عهد عهده ولعل قوله لا يؤدي عني الا رجل مني ليس على العموم
فانه صلعم بعث لان يؤدي عنه كثيرا لم يكونوا من عترته بل هو مخصوص بالعهود فان
عادة العرب ان لا يتولى العهود ونقضه على القبيلة الا رجل منها ويدل عليه انه
في بعض الروايات لا ينبغي لاحد ان يبلغ هذا الا رجل من اهلي واعلموا انكم غير معجزي
الله لا تفوتونه وان امهلكم وان الله مخزي الكافرين بالقتل والاسر في الدنيا
والعذاب في الاخرة واذان من الله ورسوله الى الناس اي اعلام فعال بمعنى الافعال
كالامان والعطاء ورفعه كرفع براءة على الوجهين يوم الحج الاكبر يوم العيد لان
فيه تمام الحج ومعظم افعاله ولان الاعلام كان فيه ولما روي انه صلعم وقف يوم
النحر عند الجمرات في حجة الوداع فقال هذا يوم الحج الاكبر وقيل يوم عرفة لقوله

الحج عرفة ووصف الحج بالاكبر لان العمرة تسمى الحج الاصغر او لان المراد بالحج ما يقع
في ذلك اليوم من اعماله فانه اكبر من باقي الاعمال او لان ذلك الحج اجتمع فيه
المسلمون والمشركون ووافق عيده اعياد اهل الكتاب او لانه ظهر فيه عز المسلمين
وذل الكافرين ان الله اي بان الله بريء من المشركين اي من عهدهم ورسوله عطف على
المستكن في بريء او على محل ان واسمها في قراءة من كسرها اجراء للاذان مجرى
القول وقرئ بالنصب عطفا على اسم ان او لان الواو بمعنى مع ولا تكرير فيه فان
قوله براءة اخبار بثبوت البراءة وهذه اخبار بوجوب الاعلام بذلك ولذلك علقه
بالناس ولم يخص بالمعاهدين فان تبتم من الكفر والغدر فهو فالتوب خير لكم وان
توليتم عن التوبة او ثبتم على التولي عن الاسلام والوفاء فاعلموا انكم غير معجزي
الله لا تفوتونه طلبا ولا تعجزونه هربا في الدنيا وبشر الذين كفروا بعذاب اليم
في الاخرة الا الذين عاهدتم من المشركين استثناء من المشركين او استدراك
وكانه قيل لهم بعد ان امروا بنبذ العهد الى الناكثين ولكن الذين عاهدوا منهم
ثم لم ينقصوكم شيئا من شروط العهد ولم ينكثوا ولم يقتلوا منكم ولم يضروكم قط
ولم يظاهروا عليكم احدا من اعدائكم فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم الى تمام مدتهم
ولا تجروهم مجرى الناكثين ان الله يحب المتقين تعليل وتنبيه على ان تمام عهدهم
من باب التقوى فاذا انسلخ انقضى واصل الانسلاخ خروج الشيء مما لابسه من
سلخ الشاة الاشهر الحرم التي ابيح للناكثين ان يسيحوا فيها وقيل هي رجب وذو القعدة
وذو الحجة والمحرم وهذا مخل بالنظم مخالف للاجماع فانه يقتضي بقاء حرمة
الاشهر الحرم اذ ليس فيما نزل بعد ما ينسخها فاقتلوا المشركين الناكثين حيث
وجدتموهم من حل وحرم وخذوهم واسروهم والاخيذ الاسير واحصروهم
واحبسوهم او حيلوا بينهم وبين المسجد الحرام واقعدوا لهم كل مرصد كل ممر لئلا
ينبسطوا في البلاد وانتصابه على الظرف فان تابوا عن الشرك بالايمان واقاموا
الصلوة واتوا الزكوة تصديقا لتوبتهم وايمانهم فخلوا سبيلهم فدعوهم لا
تتعرضوا لهم بشيء من ذلك وفيه دليل على ان تارك الصلوة ومانع الزكوة لا يخلى
سبيلهم ان الله غفور رحيم تعليل للامر اي فخلوهم لان الله غفور رحيم غفر لهم
ما سلف ووعدلهم الثواب بالتوبة وان احد من المشركين المامور بالتعرض لهم
استجارك استامنك وطلب منك جوارك فاجره فامنه حتى يسمع كلام الله ويتدبره
ويطلع على حقيقة الامر ثم ابلغه مامنه موضع امنه ان لم يسلم واحد رفع بفعل
يفسره ما بعده لا بالابتداء لان ان من عوامل الفعل ذلك الامر اي الامن بانهم

قوم لا يعلمون ما الايمان وما حقيقة ما تدعوهم اليه فلا بد من امانهم ريثما يسمعون
ويتدبرون كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله استفهام بمعنى الانكار
والاستبعاد لان يكون لهم عهد ولا ينكثوه مع وغرة صدورهم او لان يفي الله و
رسوله بالعهد وهم نكثوه وخبر يكون كيف وقدم للاستفهام او للمشركين او
عند الله وهو على الاولين صفة للعهد او ظرف له او ليكون وكيف على الاخيرين
حال من العهد وللمشركين الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام هم المستثنون
قبل ومحله النصب على الاستثناء او الجر على البدل او الرفع على ان الاستثناء
منقطع اي ولكن الذين عاهدتم منهم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا
لهم اي فتربصوا امرهم فان استقاموا على العهد فاستقيموا على الوفاء وهو
كقوله فاتموا اليهم عهدهم غير انه مطلق وهذا مقيد وما تحتمل الشرطية و
المصدرية ان الله يحب المتقين سبق بيانه كيف تكرار لاستبعاد ثباتهم على العهد
او بقاء حكمه مع التنبيه على العلة وحذف الفعل للعلم به كما في قوله وخبرتماني
انما الموت بالقرى فكيف وهاتا هضبة وقليب اي فكيف مات وان يظهروا
عليكم اي وحالهم انهم ان يظفروا بكم لا يرقبوا فيكم لا يراعوا فيكم الا حلفا وقيل
قرابة قال حسان لعمرك ان الك من قريش كال السقب من رال النعام وقيل ربوبية
ولعله اشتق للحلف من الال وهو الجوار لانهم كانوا اذا تحالفوا رفعوا به
اصواتهم وشهروه ثم استعير للقرابة لانها تعقد بين الاقارب ما لا يعقده الحلف
ثم للربوبية والتربية وقيل اشتقاقه من ال الشيء اذا حدده او من ال البرق
اذا لمع وقيل انه عبري بمعنى الاله لانه قرئ ايلا كجبرئل وجبرئيل ولا ذمة
عهدا او حقا يعاب على اغفاله يرضونكم بافواههم استئناف لبيان حالهم المنافية
لثباتهم على العهد المؤدية الى عدم مراقبتهم عند الظفر ولا يجوز جعله حالا
من فاعل لا يرقبوا فانهم بعد ظهورهم لا يرضونهم ولان المراد اثبات ارضائهم
المؤمنين بوعد الايمان والطاعة والوفاء بالعهد في الحال واستبطان الكفر
والمعاداة بحيث ان ظفروا لم يبقوا عليهم والحالية تنافيه وتأبى قلوبهم ما تتفوه
به افواههم واكثرهم فاسقون متمردون لا عقيدة تزعهم ولا مروءة تردعهم
وتخصيص الاكثر لما في بعض الكفرة من التفادي عن الغدر والتعفف عما يجر
احدوثة السوء اشتروا بآيات الله ثمنا قليلا عرضا يسيرا
وهو اتباع الاهواء والشهوات فصدوا عن سبيله دينه الموصل اليه او
سبيل بيته بحصر الحجاج والعمار والفاء للدلالة على ان اشتراءهم اداهم

الى الصد انهم ساء ما كانوا يعملون عملهم هذا او ما دل عليه قوله لا يرقبون
في مؤمن الا ولا ذمة فهو تفسير لا تكرير وقيل الاول عام في المناقضين و
هو خاص بالذين اشتروا وهم اليهود او الاعراب الذين جمعهم ابو سفيان و
اطعمهم واولئك هم المعتدون في الشرارة فان تابوا عن الكفر واقاموا الصلاة
وآتوا الزكاة فاخوانكم فهم اخوانكم في الدين لهم ما لكم وعليهم ما عليهم ونفصل
الآيات لقوم يعلمون اعتراض للحث على تأمل ما فصل من احكام المعاهدين و لحال
التائبين وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم وان نكثوا ما بايعوا عليه من الايمان
او الوفاء بالعهود وطعنوا في دينكم بصريح التكذيب وتقبيح الاحكام فقاتلوا ائمة
الكفر اي فقاتلوهم فوضع ائمة الكفر موضع الضمير للدلالة على انهم صاروا بذلك
ذوي الرياسة والتقدم في الكفر احقاء بالقتل وقيل المراد بالائمة رؤساء
المشركين فالتخصيص اما لان قتلهم اهم وهم احق به او للمنع من مراقبتهم وقرا عاصم
وابن عامر وحمزة والكسائي وروح عن يعقوب ائمة بتحقيق الهمزتين على الاصل
واظهار الياء لحن انهم لا ايمان لهم اي لا ايمان لهم على الحقيقة والا لما طعنوا و
لم ينكثوا وفيه دليل على ان الذمي اذا طعن في الاسلام فقد نكث عهده واستشهد
به الحنفية على ان يمين الكافر ليس يمينا وهو ضعيف لان المراد نفي الوثوق عليها
لا انها ليست بايمان لقوله تعالى وان نكثوا ايمانهم وقرأ ابن عامر لا ايمان بمعنى
لا امان او لا اسلام وتشبث به من لم يقبل توبة المرتد وهو ضعيف لجواز ان
يكون بمعنى لا يؤمنون على الاخبار عن قوم معينين او ليس لهم ايمان فيراقبوا لاجله لعلهم
ينتهون متعلق بقاتلوا اي ليكن غرضكم في المقاتلة ان ينتهوا عما هم عليه لا ايصال
الاذية بهم كما هو طريقة المؤذين الا تقاتلون قوما تحريض على القتال لان الهمزة
دخلت على النفي للانكار فافادت المبالغة في الفعل نكثوا ايمانهم التي حلفوها
مع الرسول والمؤمنين على ان لا يعاونوا عليهم فعاونوا بني بكر على خزاعة وهموا
باخراج الرسول حين تشاوروا في امره بدار الندوة على ما ذكره في قوله واذ
يمكر بك الذين كفروا وقيل هم اليهود نكثوا عهد الرسول وهموا باخراجه من المدينة
وهم بدؤوكم اول مرة بالمعاداة والمقاتلة لانه عم بداهم بالدعوة والزام الحجة
بالكتاب والتحدي به فعدلوا عن معارضته الى المعاداة والمقاتلة فما يمنعك
ان تعارضوهم وتصادموهم اتخشونهم اتتركون قتالهم خشية ان ينالكم
مكروه منهم فالله احق ان تخشوه فقاتلوا اعداءه ولا تتركوا امره ان كنتم
مؤمنين فان قضية الايمان ان لا يخشى الا منه قاتلوهم امر بالقتال بعد بيان

موجبه والتوبيخ على تركه والوعد عليه يعذبهم الله بايديكم ويخزهم وينصركم
عليهم وعدلهم ان قاتلوهم بالنصر عليهم والتمكن من قتلهم واذلالهم ويشف صدور
قوم مؤمنين يعني بني خزاعه وقيل بطونا من اليمن وسبا قدموا مكة فاسلموا فلقوا
من اهلها اذى شديدا فشكوا الى رسول الله عليه فقال ابشروا فان الفرج قريب
ويذهب غيظ قلوبهم لما لقوا منهم وقد اوفى الله بما وعدهم والاية من المعجزات
ويتوب الله على من يشاء ابتداء اخبار بان بعضهم يتوب عن كفره وقد كان ذلك ايضا
وقرئ ويتوب بالنصب على اضمار ان على انه من جملة ما اجيب به الامر فان القتال
لما تسبب لتعذيب قوم تسبب لتوبة آخرين والله عليم بما كان وما سيكون حكيم لا يفعل
ولا يحكم الا على وفق الحكمة ام حسبتم خطاب للمؤمنين حين كره بعضهم القتال
وقيل للمنافقين وام منقطعة ومعنى الهمزة فيها التوبيخ على الحسبان ان تتركوا
ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتبين الخلص منكم وهم الذين جاهدوا من غيرهم
نفى العلم واراد نفى المعلوم للمبالغة فانه كالبرهان عليه من حيث ان تعلق العلم به
مستلزم لوقوعه ولم يتخذوا عطف على جاهدوا داخل في الصلة من دون الله
ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة بطانة يوالونهم ويفشون اليهم اسرارهم وما
في لما من معنى التوقع منبه على ان تبين ذلك متوقع والله خبير بما تعملون
يعلم غرضكم منه وهو كالمزيح لما يتوهم من ظاهر قوله ولما يعلم الله ما كان للمشركين
ما صح لهم ان يعمروا مساجد الله شيئا من المساجد فضلا عن المسجد الحرام وقيل هو
المراد وانما جمع لانه قبلة المساجد وامامها فعامره كعامر الجميع ويدل عليه
قراءة ابن كثير وابي عمرو ويعقوب بالتوحيد شاهدين على انفسهم بالكفر باظهار
الشرك وتكذيب الرسول وهو حال من الواو والمعنى ما استقام لهم ان يجمعوا بين
امرين متنافيين عمارة بيت الله وعبادة غيره روي انه لما اسر العباس عيره المسلمون
بالشرك وقطيعة الرحم واغلظ له علي في القول فقال تذكرون مساوينا وتكتمون
محاسننا انا لنعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقي الحجيج ونفك العاني فنزلت
اولئك حبطت اعمالهم التي يفتخرون بها بما قارنها من الشرك وفي النار هم خالدون
لاجله انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر واقام الصلوة وآتى
الزكوة اي انما تستقيم عمارتها لهؤلاء الجامعين للكمالات العلمية ومن عمارتها
تزيينها بالفرش وتنويرها بالسرج وادامة العبادة والذكر ودرس العلم فيها
وصيانتها مما لم تبن له كحديث الدنيا وعن النبي عم قال الله تعالى ان بيوتي في ارضي
المساجد وان زواري فيها عمارها فطوبى لعبد تطهر في بيته ثم زارني في بيتي

فحق على المزور ان يكرم زائره وانما لم يذكر الايمان بالرسول صلى الله عليه وسلم لما علم
ان الايمان بالله قرينه وتمامه الايمان به ولدلالة قوله واقام الصلوة وآتى الزكوة
عليه ولم يخش الا الله اى في ابواب الدين فان الخشية عن المحاذير جبلية لا يكاد
العاقل يتمالك عنها فعسى اولئك ان يكونوا من المهتدين ذكره بصيغة التوقع
قطعا لاطماع المشركين في الاهتداء والانتفاع باعمالهم وتوبيخا لهم بالقطع
بانهم مهتدون فان هؤلاء مع كمالهم اذا كان اهتداؤهم دائرا بين عسى ولعل
فما ظنك باضدادهم ومنعا للمؤمنين ان يغتروا باحوالهم ويتكلوا عليها اجعلتم
سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في
سبيل الله السقاية والعمارة مصدرا سقى وعمر فلا يشبهان بالجثث بل لا بد من
اضمار تقديره اجعلتم اهل سقاية الحاج كمن آمن او اجعلتم سقاية الحاج كايمان
من آمن ويؤيد الاول قراءة من قرأ سقاة الحاج وعمرة المسجد والمعنى انكار ان
يشبه المشركون واعمالهم المحبطة بالمؤمنين واعمالهم المثبتة ثم قرر ذلك
بقوله لا يستوون عند الله وبين عدم تساويهم بقوله والله لا يهدي القوم
الظالمين اى الكفرة ظلمة بالشرك ومعاداة الرسول صلعم منهمكون في الضلالة
فكيف يساوون الذين هديهم الله ووفقهم للحق والصواب وقيل المراد
بالظالمين الذين يسوون بينهم وبين المؤمنين الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا
في سبيل الله باموالهم وانفسهم اعظم درجة عند الله اعلى رتبة واكثر
كرامة ممن لم يستجمع هذه الصفات او من اهل السقاية والعمارة عندكم واولئك
هم الفائزون بالثواب ونيل الحسنى عند الله دونكم يبشرهم ربهم برحمة منه
ورضوان وجنات لهم فيها في الجنات نعيم مقيم دائم وقرأ حمزة بالتخفيف
وتنكير المبشر به اشعار بانه وراء التعيين والتعريف خالدين فيها ابدا اكد
الخلود بالتأبيد لانه قد يستعمل للمكث الطويل ان الله عنده اجر عظيم يستحقر
دونه ما استوجبوه لاجله او نعم الدنيا يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم
واخوانكم اولياء نزلت في المهاجرين فانهم لما امروا بالهجرة قالوا ان هاجرنا
قطعنا آباءنا وابناءنا وعشايرنا وبقينا ضايعين وقيل نزلت نهيا عن
موالاة التسعة الذين ارتدوا ولحقوا بمكة والمعنى لا تتخذوهم اولياء
يمنعونكم عن الايمان ويصدونكم عن الطاعة لقوله ان استحبوا الكفر على
الايمان اى اختاروه عليه وحرصوا ومن يتولهم منكم فاولئك هم الظالمون
بوضعهم الموالاة في غير محلها قل ان كان آباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم

وعشيرتكم اقرباؤكم من العشرة وقيل هي من العشرة فان العشيرة جماعة ترجع الى
عقد كعقد العشرة وقرأ ابو بكر وعشيراتكم وقرئ وعشائركم واموال اقترفتموها
اكتسبتموها وتجارة تخشون كسادها فوات وقت نفاقها ومساكن ترضونها
احب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله الحب الاختياري دون الطبيعي
فانها لا تدخل تحت التكليف والتحفظ عنه فتربصوا حتى يأتي الله بامره جواب
ووعيد والامر عقوبة عاجلة او آجلة وقيل فتح مكة والله لا يهدي القوم
الفاسقين لا يرشدهم وفي الآية تشديد عظيم وقل من يتخلص عنه لقد نصركم
الله في مواطن كثيرة يعني مواطن الحرب وهي مواقعها ويوم حنين وموطن يوم
حنين ويجوز ان يقدر وايام مواطن او يفسر الموطن بالوقت كمقتل الحسين
ولا يمنع ابدال قوله اذ اعجبتكم كثرتكم منه ان يعطف على موضع في مواطن اذ
اعجبتكم كثرتكم فانه لا يقتضي تشاركهما فيما اضيف اليه المعطوف حتى يقتضي
كثرتهم واعجابها اياهم في جميع المواطن وحنين واد بين مكة والطائف حارب
فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون وكانوا اثني عشر الفا العشرة الذين
حضروا فتح مكة والفان انضموا اليهم من الطلقاء هوازن وثقيف وكانوا اربعة
آلاف فلما التقوا قال النبي صلى الله عليه وسلم او ابو بكر رضي الله عنه او غيره
من المسلمين لن نغلب اليوم من قلة اعجابا بكثرتهم واقتتلوا قتالا شديدا
فادرك المسلمين اعجابهم واعتمادهم على كثرتهم فانهزموا حتى بلغ فلهم مكة وبقي
رسول الله صلى الله عليه وسلم في مركزه ليس معه الا عمه العباس آخذا بلجامه
وابن عمه ابو سفيان بن الحرث وناهيك بهذا شهادة على تناهي شجاعته فقال
للعباس وكان صيتا صح بالناس فنادى يا عباد الله يا اصحاب الشجرة
يا اصحاب سورة البقرة فكروا عنقا واحدا يقولون لبيك لبيك و
نزلت الملائكة فالتقوا مع المشركين فقال صلى الله عليه وسلم هذا حين حمي
الوطيس ثم اخذ كفا من تراب فرماهم ثم قال انهزموا ورب الكعبة فانهزموا
فلن تغن عنكم اي الكثرة شيئا من الاغناء او من امر العدو وضاقت عليكم الارض
بما رحبت برحبها اي بسعتها لا تجدون فيها مقرا تطمئن اليه نفوسكم من شدة
الرعب او لا تثبتون فيها كمن لا يسعه مكانه ثم وليتم الكفار ظهوركم مدبرين
منهزمين والادبار الذهاب الى خلف خلاف الاقبال ثم انزل الله سكينته
رحمته التي سكنوا بها وامنوا على رسوله وعلى المؤمنين الذين انهزموا واعاد
الجار للتنبيه على اختلاف حاليهما وقيل هم الذين ثبتوا مع الرسول صلى الله عليه وسلم

ولم يفروا وانزل جنودا لم تروها باعينكم يعني الملائكة وكانوا خمسة آلاف او ثمانية
او ستة عشر على اختلاف الاقوال وعذب الذين كفروا بالقتل والاسر والسبي
وذلك جزاء الكافرين اي ما فعل بهم جزاء كفرهم في الدنيا ثم يتوب الله من بعد
ذلك على من يشاء منهم بالتوفيق للاسلام والله غفور رحيم يتجاوز عنهم ويتفضل
عليهم روي ان ناسا منهم جاؤوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واسلموا وقالوا
يا رسول الله انت خير الناس وابرهم وقد سبي اهلونا واولادنا واخذت
اموالنا وقد سبي يومئذ ستة آلاف نفس واخذ من الابل والغنم ما لا يحصى
فقال صلى الله عليه وسلم اختاروا اما سباياكم واما اموالكم فقالوا ما كنا
نعدل بالاحساب شيئا فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان هؤلاء
جاؤوا مسلمين وانا خيرناهم بين الذراري والاموال فلم يعدلوا بالاحساب
شيئا فمن كان بيده سبي وطابت نفسه ان يرده فشأنه ومن لا فليعطنا
وليكن قرضا علينا حتى نصيب شيئا فنعطيه مكانه فقالوا رضينا وسلمنا
فقال اني لا ادري لعل فيكم من لا يرضى فمروا عرفاءكم فليرفعوا الينا فرفعوا
انهم قد رضوا يا ايها الذين آمنوا انما المشركون نجس لخبث باطنهم او لانه يجب
ان يجتنب عنهم كما يجتنب عن الانجاس او لانهم لا يتطهرون ولا يجتنبون
عن النجاسات فهم ملابسون لها غالبا وفيه دليل على ان ما الغالب نجاسته
نجس وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان اعيانهم نجسة كالكلاب وقرئ
نجس بالسكون وكسر النون وهو ككبد في كبد واكثر ما جاء تابعا لرجس فلا
يقربوا المسجد الحرام لنجاستهم وانما نهى عن الاقتراب للمبالغة او للمنع
عن دخول الحرم وقيل المراد به النهي عن الحج والعمرة لا عن الدخول مطلقا
واليه ذهب ابو حنيفة وقاس مالك سائر المساجد على المسجد الحرام في المنع
وفيه دليل على ان الكفار مخاطبون بالفروع بعد عامهم هذا بعد سنة
براءة وهي التاسعة وقيل سنة حجة الوداع وان خفتم عيلة فقرا بسبب
منعهم من الحرم وانقطاع ما كان لكم من قدومهم من المكاسب والارفاق
فسوف يغنيكم الله من فضله من عطائه او تفضله بوجه آخر وقد انجز
وعده بان ارسل السماء عليهم مدرارا ووفق اهل تبالة وجرش فاسلموا
وامتاروا لهم ثم فتح عليهم البلاد والغنائم وتوجه اليهم الناس من
اقطار الارض وقرئ عائلة على انها مصدر كالعافية او حال ان شاء
قيده بالمشيئة لينقطع الامال الى الله ولينبه على انه متفضل في ذلك

وان الغنى الموعود يكون لبعض دون بعض وفي عام دون عام ان الله عليم
باحوالكم حكيم فيما يعطي ويمنع قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر
اي لا يؤمنون بهما على ما ينبغي كما بيناه في اول البقرة وايمانهم كلا ايمان
ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ما ثبت تحريمه بالكتاب والسنة وقيل
رسوله الذي يزعمون اتباعه والمعنى انهم يخالفون اصل دينهم المنسوخ اعتقادا
وعملا ولا يدينون دين الحق الثابت الذي هو ناسخ سائر الاديان من الذين
اوتوا الكتاب بيان للذين لا يؤمنون حتى يعطوا الجزية ما تقرر عليهم ان
يعطوه مشتق من جزى دينه اذا قضاه عن يد حال من الضمير اي عن يد مواتية
بمعنى منقادين او عن يدهم بمعنى مسلمين بايديهم غير باعثين بايدي غيرهم
ولذلك منع من التوكيل فيه او عن غنى ولذلك قيل لا تؤخذ من الفقير او عن
يد قاهرة عليهم بمعنى عاجزين اذلاء او عن انعام عليهم فان ابقاءهم بالجزية
نعمة عظيمة او من الجزية بمعنى نقدا مسلمة عن يد الى يد وهم صاغرون اذلاء
وعن ابن عباس رضي الله عنهما تؤخذ الجزية من الذمي وتوجأ عنقه ومفهوم
الآية تقتضي تخصيص الجزية باهل الكتاب ويؤيده ان عمر رضي الله عنه لم يكن
يأخذ الجزية من المجوس حتى شهد عبد الرحمن بن عوف انه صلى الله عليه وسلم
اخذها من مجوس هجر وانه قال سنوا بهم سنة اهل الكتاب وذلك لان
لهم شبهة كتاب فالحقوا بالكتابيين واما سائر الكفرة فلا تؤخذ منهم الجزية
عندنا وعند ابي حنيفة تؤخذ منهم الا من مشركي العرب لما روى الزهري انه
صلى الله عليه وسلم صالح عبدة الاوثان الا من كان من العرب وعند مالك تؤخذ
من كل كافر الا المرتد واقلها في كل سنة دينار سواء فيه الغني والفقير وقال
ابو حنيفة على الغني ثمانية واربعون درهما وعلى المتوسط نصفها وعلى الكسوب
الفقير ربعها ولا شيء على فقير غير كسوب وقالت اليهود عزير ابن الله انما
قاله بعضهم من متقدميهم او ممن كان بالمدينة وانما قالوا ذلك لانه لم يبق فيهم
بعد وقعة بخت نصر من يحفظ التوراة وهو لما احياه الله بعد مائة عام
املى عليهم التوراة حفظا فتعجبوا من ذلك وقالوا ما هذا الا لانه ابن الله
والدليل على ان هذا القول كان فيهم ان الآية قرئت عليهم فلم يكذبوا مع
تهالكهم على التكذيب وقرأ عاصم والكسائي ويعقوب عزير بالتنوين على انه
عربي مخبر عنه بابن غير موصوف به وحذفه في القراءة الاخرى اما لمنع صرفه
للعجمة والتعريف او لالتقاء الساكنين تشبيها للنون بحروف اللين او لان

الابن وصف والخبر محذوف مثل معبودنا وصاحبنا وهو مزيف لانه يؤدي الى
تسليم النسب وانكار الخبر المقدر وقالت النصارى المسيح ابن الله هو ايضا
قول بعضهم وانما قالوه استحالة لان يكون ولد بلا اب او لان يفعل ما فعله من
ابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى من لم يكن الها ذلك قولهم بافواههم
اما تأكيد لنسبة هذا القول اليهم ونفي للتجوز عنها او اشعار بانه قول مجرد
عن برهان وتحقيق مماثل للمهمل الذي يوجد في الافواه ولا يوجد مفهومه في
الاعيان يضاهئون قول الذين كفروا اي يضاهي قولهم قول الذين كفروا
فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه من قبل اي من قبلهم والمراد
قدماؤهم على ان المعنى ان الكفر قديم فيهم او المشركون الذين قالوا الملائكة
بنات الله او اليهود على ان الضمير للنصارى والمضاهاة المشابهة والهمز
لغة فيه وقد قرأ به عاصم ومنه قولهم امرأة ضهياء على فعيل للتي شابهت الرجال
في انها لا تحيض قاتلهم الله دعاء عليهم بالاهلاك فان من قاتله الله هلك
او تعجب من شناعة قولهم انى يؤفكون كيف يصرفون عن الحق الى الباطل اتخذوا
احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله بان اطاعوهم في تحريم ما احل
الله وتحليل ما حرم الله والمسيح ابن مريم بان جعلوه ابنا لله وما امروا
اي وما امر المتخذون او المتخذون اربابا فيكون كالدليل على بطلان
الاتخاذ الا ليعبدوا ليطيعوا الها واحدا وهو الله تعالى واما طاعة الرسل
وسائر من امر الله بطاعته فهو في الحقيقة طاعة الله لا اله الا هو صفة
ثانية او استئناف مقرر للتوحيد سبحانه عما يشركون تنزيه له عن ان يكون
له شريك يريدون ان يطفئوا يخمدوا نور الله حجته الدالة على وحدانيته
وتقدسه عن الولد او القرآن او نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بافواههم
بشركهم او بتكذيبهم ويأبى الله لا يرضى الا ان يتم نوره باعلاء التوحيد واعزاز
الاسلام وقيل انه تمثيل لحالهم في طلبهم ابطال نبوة محمد صلى الله عليه وسلم
بالتكذيب بحال من يطلب اطفاء نور عظيم منبث في الآفاق يريد الله
ان يزيده بنفخه وانما صح الاستثناء المفرغ والفعل موجب لانه في معنى النفي
ولو كره الكافرون محذوف الجواب لدلالة ما قبله عليه يا ايها الذين آمنوا
ان كثيرا من الاحبار والرهبان ليأكلون اموال الناس بالباطل يأخذون
بالرشى في الاحكام سمي اخذ المال اكلا لانه الغرض الاعظم منه ويصدون
عن سبيل الله دينه والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في

سبيل الله ويجوز ان يراد به الكثير من الاحبار والرهبان فيكون مبالغة
في وصفهم بالحرص على المال والضن بها وان يراد المسلمون الذين يجمعون المال
ويقتنونه ولا يؤدون حقه فيكون اقترانهم بالمرتشين من اهل الكتاب للتغليظ
ويدل عليه انه لما نزل كبر على المسلمين فذكر عمر رضي الله عنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال ان الله لم يفرض الزكوة الا ليطيب بها ما بقي من اموالكم وقوله صلعم
ما ادي زكوته فليس بكنز اي بكنز اوعد عليه فان الوعيد على الكنز مع عدم الانفاق
فيما امر الله ان ينفق فيه واما قوله من ترك صفراء او بيضاء كوي بها ونحوه فالمراد
منها ما لم يؤد حقها لقوله صلعم فيما اورده الشيخان مرويا عن ابي هريرة
رضي الله عنه ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها الا اذا كان
يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره
فبشرهم بعذاب اليم هو الكي بها يوم يحمى عليها في نار جهنم اي يوم توقد
النار ذات حمي شديد عليها واصله تحمى بالنار فجعل الاحماء للنار مبالغة
ثم حذفت النار واسند الفعل الى الجار والمجرور تنبيها على المقصود فانتقل
من صيغة التانيث الى صيغة التذكير وانما قال عليها والمذكور شيئان لان
المراد بها دنانير ودراهم كثيرة كما قال علي كرم الله وجهه اربعة الاف وما
دونها نفقة وما فوقها كنز وكذا قوله ولا ينفقونها وقيل الضمير فيهما
للكنوز او الاموال فان الحكم عام وتخصيصهما بالذكر لانهما قانون التمول
او للفضة وتخصيصها لقربها ودلالة حكمها على ان الذهب اولى بهذا الحكم
فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم لان جمعهم وامساكهم كان لطلب
الوجاهة بالغنى والتنعم بالمطاعم الشهية والملابس البهية او لانهم ازوروا
عن السائل واعرضوا عنه وولوه ظهورهم او لانها اشرف الاعضاء الظاهرة
فانها المشتملة على الاعضاء الرئيسة التي هي الدماغ والقلب والكبد او لانها
اصول الجهات الاربع التي هي مقاديم البدن ومآخره وجنبتاه هذا ما كنزتم
على ارادة القول لانفسكم لمنفعتها وكان عين مضرتها وسبب تعذيبها فذوقوا
ما كنتم تكنزون اي وبال كنزكم او ما تكنزونه وقرئ تكنزون بضم النون ان
عدة الشهور اي مبلغ عددها عند الله معمول عدة لانها مصدر اثني عشر
شهرا في كتاب الله في اللوح المحفوظ او في حكمه وهو صفة لاثني عشر وقوله
يوم خلق السموات والارض متعلق بما فيه من معنى الثبوت او بالكتاب
ان جعل مصدرا والمعنى ان هذا امر ثابت في نفس الامر منذ خلق الله الاجرام

والازمنة

والازمنة منها اربعة حرم واحد فرد وهو رجب وثلثة سرد ذو القعدة وذو الحجة
والمحرم ذلك الدين القيم اي تحريم الاشهر الاربعة هو الدين القويم دين ابرهيم
واسمعيل عليهما السلام والعرب ورثوه منهما فلا تظلموا فيهن انفسكم بهتك حرمتها
وارتكاب حرامها والجمهور على ان حرمة المقاتلة فيها منسوخة واولوا الظلم
بارتكاب المعاصي فيهن فانه اعظم وزرا كارتكابها في الحرم وحال الاحرام
وعن عطاء انه لا يحل للناس ان يغزوا في الحرم والاشهر الحرم الا ان يقاتلوا
ويؤيد الاول ما روي انه صلى الله عليه وسلم حاصر الطائف وغزا هوازن بحنين
في شوال وذي القعدة وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة جميعا وهي
مصدر كف عن الشيء فان الجمع مكفوف عن الزيادة وقع موقع الحال واعلموا
ان الله مع المتقين بشارة وضمان لهم بالنصرة بسبب تقواهم انما النسيء
اي تاخير حرمة الشهر الى شهر آخر كانوا اذا جاء شهر حرام وهم محاربون احلوه
وحرموا مكانه شهرا آخر حتى رفضوا خصوص الاشهر واعتبروا مجرد العدد
وعن نافع برواية ورش انما النسي بقلب الهمزة ياء وادغام الياء فيها وقرئ
النسي بحذفها والنساء والنساء وثلثتها مصادر نساءه اذا اخره زيادة
في الكفر لانه تحريم ما احل الله وتحليل ما حرمه فهو كفر آخر ضموه الى كفرهم
يضل به الذين كفروا اضلالا زائدا وقرا حمزة والكسائي وحفص يضل على البناء
للمفعول وعن يعقوب يضل على ان الفعل لله يحلونه عاما ويحرمونه عاما
يحلون النسيء به من الاشهر الحرم سنة ويحرمون مكانه شهرا آخر ويحرمونه
عاما فيتركونه على حرمته قيل اول من احدث ذلك جنادة بن عوف الكناني
كان يقوم على جمل في الموسم فينادي ان آلهتكم قد احلت لكم المحرم فاحلوه
ثم ينادي في القابل ان آلهتكم قد حرمت عليكم المحرم فحرموه والجملتان تفسير
للضلال او حال ليواطئوا عدة ما حرم الله اي ليوافقوا عدة الاربعة
المحرمة واللام متعلقة بيحرمونه او بما دل عليه مجموع الفعلين فيحلوا ما حرم الله
بمواطاة العدة وحدها من غير مراعاة الوقت زين لهم سوء اعمالهم وقرئ
على البناء للفاعل وهو الله تعالى والمعنى خذلهم واضلهم حتى حسبوا قبيح
اعمالهم حسنا والله لا يهدي القوم الكافرين هداية موصلة الى الاهتداء
يا ايها الذين آمنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم وقرئ
اثاقلتم على الاصل واثاقلتم على الاستفهام للتوبيخ الى الارض متعلق به كانه
ضمن معنى الاخلاد والميل فعدي بالى وكان ذلك في غزوة تبوك امروا بها

بعد رجوعهم من الطايف فى وقت عسرة وقيظ مع بعد الشقة وكثرة العدو فشق
عليهم ارضيتم بالحيوة الدنيا وغرورها من الاخرة بدل الاخرة ونعيمها فما
متاع الحيوة الدنيا فالتمتع بها فى الاخرة فى جنب الاخرة الا قليل مستحقر
الا تنفروا ان لا تنفروا اليه ما استنفرتم يعذبكم عذابا اليما بالاهلاك بسبب
فظيع كقحط وظهور عدو ويستبدل قوما غيركم ويستبدل بكم آخرين مطيعين
كاهل اليمن وابناء فارس ولا تضروه شيئا اذ لا يقدح تثاقلكم فى نصر دينه
شيئا فانه الغنى عن كل شىء وفى كل امر وقيل الضمير للرسول صلى الله عليه وسلم
اى ولا تضروه فان الله وعده بالعصمة والنصرة ووعده حق والله على
كل شىء قدير فيقدر على التبديل وتغير الاسباب والنصرة بلا مدد كما قال
الا تنصروه فقد نصره الله اى لم تنصروه فسينصره الله كما نصره الله
اذ اخرجه الذين كفروا ثانى اثنين ولم يكن معه الا رجل واحد فحذف الجزاء
واقيم ما هو كالدليل عليه مقامه او ان لم تنصروه فقد اوجب الله له
النصرة حتى نصره فى مثل ذلك الوقت فلن يخذله فى غيره واسناد الاخراج
الى الكفرة لان همهم باخراجه او قتله تسبب لاذن الله له بالخروج وقرئ
ثانى اثنين بالسكون على لغة من يجرى المنقوص مجرى المقصور فى الاعراب
ونصبه على الحال اذ هما فى الغار بدل من اذ اخرجه بدل البعض اذ المراد به
زمان متسع والغار نقب فى اعلى ثور والثور جبل فى يمنى مكة على مسيرة
ساعة مكثا فيه ثلثا بدل ثان اذ يقول بدل ثان او ظرف لثانى لصاحبه
وهو ابو بكر رضى الله عنه لا تحزن ان الله معنا بالعصمة والمعونة روى
ان المشركين طلعوا فوق الغار فاشفق ابو بكر رضى الله عنه على رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ظنك باثنين
الله ثالثهما فاعماهم الله عن الغار فجعلوا يترددون حوله فلم يروه وقيل
لما دخل الغار بعث الله حمامتين فباضتا فى اسفله والعنكبوت فنسجت
عليه فانزل الله سكينته امنته التى تسكن عندها القلوب عليه على النبى
صلى الله عليه وسلم او على صاحبه وهو الاظهر لانه كان منزعجا وايده
بجنود لم تروها يعنى الملائكة انزلهم ليحرسوه فى الغار او ليعينوه على العدو
يوم بدر والاحزاب وحنين فيكون الجملة معطوفة على قوله نصره الله
وجعل كلمة الذين كفروا السفلى يعنى الشرك او دعوة الكفر وكلمة الله هى
العليا يعنى التوحيد ودعوة الاسلام والمعنى وجعل ذلك تخليص الرسول

صلى الله عليه وسلم عن ايدى الكفار الى المدينة فانه المبدا له او بتاييده اياه
بالملائكة فى هذه المواطن او بحفظه ونصره له حيث حضر وقرا يعقوب كلمة
الله بالنصب عطفا على كلمة الذين والرفع ابلغ لما فيه من الاشعار بان كلمة الله
عالية فى نفسها وان فاق غيرها فلا ثبات لتفوقه ولا اعتبار ولذلك وسط
الفصل والله عزيز حكيم فى امره وتدبيره انفروا خفافا فالنشاطكم له وثقالا
عنه لمشقته عليكم او لقلة عيالكم ولكثرتها او ركبانا ومشاة او خفافا وثقالا
من السلاح او صحاحا ومراضا ولذا قال ابن ام مكتوم لرسول الله صلى الله عليه
اعلى ان انفر قال نعم حتى نزل ليس على الاعمى حرج وجاهدوا باموالكم وانفسكم
فى سبيل الله بما امكن لكم منها كليهما او احدهما ذلكم خير لكم من تركه ان كنتم تعلمون
الخير علمتم انه خير او ان كنتم تعلمون انه خير اذ اخبار الله به صدق فبادروا
لو كان عرضا قريبا اى لو كان ما دعوا اليه نفعا دنيويا قريبا سهل المأخذ
وسفرا قاصدا متوسطا لاتبعوك لوافقوك ولكن بعدت عليهم الشقة
المسافة التى تقطع بمشقة وقرئ بكسر العين والشين وسيحلفون بالله
اى المتخلفون اذا رجعت عن تبوك معتذرين لو استطعنا يقولون لو كان
لنا استطاعة العدة او البدن وقرئ لو استطعنا بضم الواو تشبيها لها
بواو الضمير فى قوله اشتروا الضلالة لخرجنا معكم ساد مسد جوابى القسم
والشرط وهذا من المعجزات لانه اخبار عما وقع قبل وقوعه يهلكون انفسهم
بايقاعها فى العذاب وهو بدل من سيحلفون لان الحلف الكاذب ايقاع
للنفس فى الهلاك او حال من فاعله والله يعلم انهم لكاذبون فى ذلك لانهم
كانوا مستطيعين الخروج عفا الله عنك كناية عن خطائه فى الاذن فان
العفو من روادفه لم اذنت لهم بيان لما كنى عنه بالعفو ومعاتبة عليه والمعنى
لاى شىء اذنت لهم فى القعود حين استاذنوك واعتلوا باكاذيب وهلا توقفت
حتى يتبين لك الذين صدقوا فى الاعتذار وتعلم الكاذبين فيه قيل انما
فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئين لم يؤمر بهما اخذه الفداء واذنه
للمنافقين فعاتبه الله عليهما لا يستاذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الاخر
ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم اى ليس للعادة المؤمنين ان يستاذنوك
فى ان يجاهدوا وان الخلص منهم يبادرون ولا يوقفون على الاذن فيه فضلا
ان يستاذنوا فى التخلف كراهة ان يجاهدوا والله عليم بالمتقين شهادة لهم
بالتقوى وعدة لهم بثوابه انما يستاذنك فى التخلف الذين لا يؤمنون بالله

واليوم الآخر تخصيص الايمان بالله واليوم الآخر في الموضعين للاشعار بان
الباعث على الجهاد والوازع عنه الايمان وعدم الايمان بهما وارتابت قلوبهم
فهم في ريبهم يترددون يتحيرون ولو ارادوا الخروج لاعدوا له للخروج
عدة اهبة وقرئ عدة بحذف التاء عند الاضافة كقوله واخلفوك عدا
الامر الذي فعلوا وعدة بكسر العين باضافة وبغيرها ولكن كره الله انبعاثهم
استدراك عن مفهوم قوله ولو ارادوا الخروج كانه قال ما فعلوا ولكن
تثبطوا لانه تعالى كره انبعاثهم اي نهوضهم للخروج فثبطهم فحبسهم بالجبن
والكسل وقيل اقعدوا مع القاعدين تمثيل لالقاء الله كراهة الخروج في
قلوبهم او وسوسة الشيطان بالامر بالقعود او حكاية قول بعضهم لبعض
او اذن الرسول صلى الله عليه وسلم لهم والقاعدين يحتمل المعذورين وغيرهم
وعلى الوجهين لا يخلو عن ذم لو خرجوا فيكم ما زادوكم بخروجهم شيئا الا خبالا
فسادا وشرا ولا يستلزم ذلك ان يكون لهم خبال حتى لو خرجوا ازادوه لان
الزيادة باعتبار اعم العام الذي وقع منه الاستثناء ولاجل هذا التوهم
جعل الاستثناء منقطعا وليس كذلك لانه لا يكون مفرغا ولاوضعوا خلالكم
ولاسرعوا ركائبهم بينكم بالنميمة والتضريب او الهزيمة والتخذيل من وضع
البعير وضعا اذا اسرع يبغونكم الفتنة يريدون ان يفتنوكم بايقاع الخلاف
فيما بينكم والرعب في قلوبكم والجملة حال من الضمير في اوضعوا وفيكم سماعون
لهم ضعفة يسمعون قولهم ويطيعونهم او نمامون يسمعون حديثكم للنقل
اليهم والله عليم بالظالمين فيعلم ضمائرهم وما يتأتى منهم لقد ابتغوا الفتنة
تشتيت امرك وتفريق اصحابك من قبل يعني يوم احد فان ابن ابي واصحابه
كما تخلفوا عن تبوك بعدما خرجوا مع الرسول صلى الله عليه وسلم الى ذي
جدة اسفل من ثنية الوداع انصرفوا يوم احد وقلبوا لك الامور
دبروا لك المكايد والحيل ودوروا الآراء في ابطال امرك حتى جاء الحق
النصر والتأييد الالهي وظهر امر الله وعلا دينه وهم كارهون على رغم منهم
والآيتان لتسلية الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين على تخلفهم وبيان
ما ثبطهم الله لاجله وكره انبعاثهم لاجله وهتك استارهم وكشف
اسرارهم وازاحة اعتذارهم تداركا لما فوت الرسول صلى الله عليه وسلم
بالمبادرة الى الاذن ولذلك عوتب عليه ومنهم من يقول ائذن لي في القعود
ولا تفتني ولا توقعني في الفتنة اي العصيان والمخالفة بان لا تأذن لي

وفيه اشعار بانه لا محالة متخلف اذن له او لم يأذن او في الفتنة بسبب ضياع المال
والعيال اذ لا كافل لهم بعدي او في الفتنة بنساء الروم لما روي ان جد بن
قيس قال قد علمت الانصار اني مولع بالنساء فلا تفتني ببنات الاصفر ولكني
اعينك بمالي فاتركني الا في الفتنة سقطوا اي ان الفتنة هي التي سقطوا فيها
وهي فتنة التخلف او ظهور النفاق لا ما احترزوا عنه وان جهنم لمحيطة
بالكافرين جامعة لهم يوم القيمة او الآن لان احاطة اسبابها بهم ان
تصبك في بعض غزواتك حسنة ظفر وغنيمة تسؤهم لفرط حسدهم وان
تصبك في بعضها مصيبة كسر او شدة كما اصاب يوم احد يقولوا قد اخذنا
امرنا من قبل تبجحا بانصرافهم واستحمدوا رأيهم في التخلف ويتولوا
عن متحدثهم بذلك ومجتمعهم له او عن الرسول صلعم وهم فرحون مسرورون
قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا الا ما اختصنا باثباته وايجابه من
النصرة والشهادة او ما كتب لاجلنا في اللوح لا يتغير بموافقتكم ولا
مخالفتكم وقرئ هل يصيبنا وهل يصيّبنا وهو من فيعل لا من فعّل
لانه من بنات الواو لقولهم صاب السهم يصوب واشتقاقه من الصواب
لانه وقوع الشيء فيما قصد به وقيل من الصوب هو مولينا ناصرنا ومتولي
امرنا وعلى الله فليتوكل المؤمنون لان حقهم ان لا يتوكلوا على غيره قل هل
تربصون بنا تنتظرون بنا الا احدى الحسنيين الا احدى العاقبتين
اللتين كل منهما حسنى العواقب النصرة والشهادة ونحن نتربص بكم
ايضا احدى السوأيين ان يصيبكم الله بعذاب من عنده بقارعة من
السماء او بايدينا او بعذاب بايدينا وهو القتل على الكفر فتربصوا ما هو
عاقبتنا انا معكم متربصون ما هو عاقبتكم قل انفقوا طوعا او كرها
لن يتقبل منكم امر في معنى الخبر اي لن يتقبل منكم نفقاتكم انفقتم طوعا
او كرها وفائدته المبالغة في تساوي الانفاقين في عدم القبول كانهم
امروا بان يمتحنوا فينفقوا وينظروا هل يتقبل منهم وهو جواب جد
بن قيس واعينك بمالي ونفي التقبل يحتمل امرين ان لا يؤخذ منهم وان
لا يثابوا عليه وقوله انكم كنتم قوما فاسقين تعليل له على سبيل الاستيناف
وما بعده بيان وتقرير له وما منعهم ان تقبل منهم نفقاتهم الا
انهم كفروا بالله وبرسوله وما منعهم قبول نفقاتهم الا كفرهم وقرأ
حمزة والكسائي ان يقبل بالياء لان تأنيث النفقات غير حقيقي وقرئ

يقبل على ان الفعل لله ولا يأتون الصلوة الا وهم كسالى متثاقلين ولا ينفقون
الا وهم كارهون لانهم لا يرجون ثوابا ولا يخافون على تركها عقابا فلا تعجبك
اموالهم ولا اولادهم فان ذلك استدراج لهم ووبال كما قال انما يريد الله
ليعذبهم بها في الحيوة الدنيا بسبب ما يكابدون لجمعها وحفظها من المتاعب
وما يرون فيها من الشدائد والمصائب وتزهق انفسهم وهم كافرون فيموتوا
كافرين مشتغلين بالتمتع عن النظر في العاقبة فيكون استدراجا لهم
واصل الزهوق الخروج بصعوبة ويحلفون بالله انهم لمنكم لمن جملة المسلمين
وما هم منكم لكفر قلوبهم ولكنهم قوم يفرقون يخافون منكم ان تفعلوا بهم ما تفعلون
بالمشركين فيظهرون الاسلام تقية لو يجدون ملجأ حصنا يلجأون اليه
او مغارات غيرانا او مدخلا نفقا ينجحرون فيه مفتعل من الدخول وقرأ
يعقوب مدخلا من دخل وقرئ مُدخلا اي مكانا يدخلون فيه انفسهم و
متدخلا ومندخلا من تدخل واندخل لولوا اليه لاقبلوا نحوه وهم يجمحون
يسرعون اسراعا لا يردهم شيء كالفرس الجموح وقرئ يجمزون ومنه الجمازة
ومنهم من يلمزك يعيبك وقرأ يعقوب يلمزك بالضم وابن كثير يلامزك في
الصدقات في قسمها فان اعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم
هم يسخطون قيل انها نزلت في ابي الجواظ المنافق قال الا ترون الى صاحبكم
انما يقسم صدقاتكم في رعاة الغنم ويزعم انه يعدل وقيل في ابن ذي الخويصرة
رأس الخوارج كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم غنائم حنين فاستعطف
قلوب اهل مكة بتوفير الغنائم عليهم فقال اعدل يا رسول الله فقال ويلك
ان لم اعدل فمن يعدل واذا للمفاجأة نائبة مناب الفاء الجزائية ولو انهم
رضوا ما آتيهم الله ورسوله ما اعطاهم الرسول صلعم من الغنيمة او الصدقة
وذكر الله للتعظيم او التنبيه على ان ما فعله الرسول صلى الله عليه وسلم
كان بامره وقالوا حسبنا الله كفانا فضله سيؤتينا الله من فضله صدقة
او غنيمة اخرى ورسوله فيؤتينا اكثر مما آتانا انا الى الله راغبون في ان
يغنينا عن فضله والآية باسرها في حيز الشرط والجواب محذوف تقديره
لكان خيرا لهم ثم بين مصارف الصدقات تصويبا وتحقيقا لما فعله
الرسول صلى الله عليه وسلم فقال انما الصدقات للفقراء والمساكين
اي الزكوة لهؤلاء المعدودين دون غيرهم وهو دليل على ان المراد باللمز
لمزهم في قسم الزكوات دون الغنائم والفقير من لا مال له ولا كسب يقع موقعا

من حاجته من الفقر وكأنه اصيب فقاره والمسكين من له مال او كسب لا يكفيه
من السكون كأن العجز اسكنه ويدل عليه قوله تعالى اما السفينة فكانت
لمساكين وانه صلى الله عليه وسلم كان يسأل المسكنة ويتعوذ من الفقر وقيل
بالعكس لقوله او مسكينا ذا متربة والعاملين عليها الساعين في تحصيلها
وجمعها والمؤلفة قلوبهم قوم اسلموا ونيتهم ضعيفة فيه فيستألف
قلوبهم او اشراف يترقب باعطائهم ومراعاتهم اسلام نظرائهم وقد اعطى
رسول الله صلى الله عليه وسلم عيينة بن حصن والاقرع بن حابس والعباس
ابن مرداس لذلك وقيل اشراف يستألفون على ان يسلموا فانه صلعم
كان يعطيهم والاصح انه كان يعطيهم من خمس الخمس الذي كان خاص ماله
وقد عد منهم من يؤلف قلبه بشيء منها على قتال الكفار ومانعي الزكوة
وقيل كان سهم المؤلفة لتكثير سواد الاسلام فلما اعزه الله وكثر اهله
سقط وفي الرقاب وللصرف في فك الرقاب بان يعاون المكاتب بشيء
منها على اداء النجوم وقيل بان يبتاع الرقاب فيعتق وبه قال مالك واحمد
او بان يفدي الاسارى والعدول عن اللام الى في للدلالة على ان الاستحقاق
للجهة لا للرقاب وقيل للايذان بانهم احق بها والغارمين المديونين
لانفسهم في غير معصية اذا لم يكن لهم وفاء او لاصلاح ذات بين وان
كانوا اغنياء لقوله صلى الله عليه لا تحل الصدقة لغني الا لخمسة لغاز في
سبيل الله او لغارم او رجل اشتراها بماله او رجل له جار مسكين فتصدق
على المسكين فاهدى المسكين للغني او لعامل عليها وفي سبيل الله و
للصرف في الجهاد بالانفاق على المتطوعة وابتياع الكراع والسلاح وقيل
في بناء القناطر والمصانع وابن السبيل المسافر المنقطع عن ماله فريضة
من الله مصدر لما دل عليه الآية اي فرض لهم الصدقات فريضة او حال
من الضمير المستكن في للفقراء وقرئ بالرفع على تلك فريضة والله عليم
حكيم يضع الاشياء في مواضعها وظاهر الآية يقتضي تخصيص استحقاق
الزكوة بالاصناف الثمانية ووجوب الصرف الى كل صنف وجد منهم
ومراعاة التسوية بينهم قضية للاشتراك واليه ذهب الشافعي رضه
وعن عمر وحذيفة وابن عباس وغيرهم من الصحابة والتابعين رضوان
الله عليهم اجمعين جواز صرفها الى صنف واحد وبه قال الائمة الثلثة
واختاره بعض اصحابنا وبه كان يفتي شيخي ووالدي رحمه الله على ان الآية

بيان ان الصدقة لا تخرج منهم لا ايجاب قسمها عليهم ومنهم الذين يؤذون
النبي ويقولون هو اذن يسمع كل ما يقال له ويصدقه سمي بالجارحة للمبالغة
كانه من فرط استماعه صار جملته آلة السماع كما سمي الجاسوس عينا لذلك
او اشتق له فعل من اذن اذنا اذا استمع كانف وشلل روي انهم قالوا محمد
اذن سامعة نقول ما شئنا ثم نأتيه فيصدقنا بما نقول قل اذن خير لكم تصديق
لهم بانه اذن ولكن لا على الوجه الذي ذموا به بل من حيث انه يسمع الخير ويقبله
ثم فسر ذلك بقوله يؤمن بالله يصدق به لما قام عنده من الادلة ويؤمن
للمؤمنين ويصدقهم لما علم من خلوصهم واللام مزيدة للتفرقة بين ايمان
التصديق فانه بمعنى التسليم وايمان الامان ورحمة اي وهو رحمة للذين
امنوا منكم لمن اظهر الايمان حيث يقبله ولا يكشف سره وفيه تنبيه
على انه ليس يقبل قولكم جهلا بحالكم بل رفقا بكم وترحما عليكم وقرأ حمزة
ورحمة بالجر عطفا على خير وقرئت بالنصب على انها علة فعل دل عليه اذن
خير لكم اي يأذن لكم رحمة وقرأ نافع واذن بالتخفيف فيهما وقرئ اذن
خير على ان خير صفة له او خبر ثان والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب
اليم لايذائه يحلفون بالله لكم على معاذيرهم فيما قالوا او تخلفوا ليرضوكم
اي لترضوا عنهم والخطاب للمؤمنين والله ورسوله احق ان يرضوه
احق بالارضاء بالطاعة والوفاق وتوحيد الضمير لتلازم الرضاءين
او لان الكلام في ايذاء الرسول صلى الله عليه وسلم وارضائه او لان التقدير
والله احق ان يرضوه والرسول كذلك ان كانوا مؤمنين صدقا الم يعلموا
ان الشان وقرئ بالتاء انه من يحادد الله ورسوله يشاقق الله مفاعلة
من الحد فان له نار جهنم خالدا فيها على حذف الخبر اي فحق ان له او على
تكرير ان للتأكيد ويحتمل ان يكون معطوفا على انه ويكون الجواب محذوفا
تقديره من يحادد الله ورسوله يهلك وقرئ فان بالكسر ذلك الخزي
العظيم يعني الهلاك الدائم يحذر المنافقون ان تنزل عليهم على
المؤمنين سورة تنبئهم بما في قلوبهم وتهتك عليهم استارهم ويجوز ان
يكون الضماير للمنافقين فان النازل فيهم كالنازل عليهم من حيث انه
مقرؤ ومحتج به عليهم وذلك يدل على ترددهم ايضا في كفرهم وانهم لم يكونوا
على بت في امر الرسول صلى الله عليه وسلم بشيء وقيل انه خبر في معنى الامر
وقيل كانوا يقولونه فيما بينهم استهزاء لقوله قل استهزؤا ان الله مخرج

مبرز او مظهر ما تحذرون اي ما تحذرونه من انزال السورة فيكم او ما
تحذرون اظهاره من مساويكم ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض
ونلعب روي ان ركب المنافقين مروا على رسول الله صلى الله عليه وسلم
في غزوة تبوك فقالوا انظروا الى هذا الرجل يريد ان يفتح قصور الشام
وحصونه هيهات هيهات فاخبر الله تع نبيه فدعاهم فقال قلتم كذا
وكذا فقالوا لا والله ما كنا في شيء من امرك وامر اصحابك ولكن كنا في شيء
مما يخوض فيه الركب ليقصر بعضنا على بعض السفر قل ابالله وآياته
ورسوله كنتم تستهزؤن توبيخا على استهزائهم بمن لا يصح الاستهزاء
به والزاما للحجة عليهم ولا تعبأ باعتذارهم الكاذب لا تعتذروا لا
تشتغلوا باعتذاراتكم فانها معلومة الكذب قد كفرتم قد اظهرتم الكفر
بايذاء الرسول صلى الله عليه وسلم والطعن فيه بعد ايمانكم بعد اظهاركم
الايمان ان نعف عن طائفة منكم لتوبتهم واخلاصهم او لتجنبهم عن
عن الايذاء والاستهزاء نعذب طائفة بانهم كانوا مجرمين مصرين على
النفاق او مقدمين على الايذاء والاستهزاء وقرأ عاصم بالنون فيهما
وقرئ بالياء وبناء الفاعل فيهما وهو الله وان تعف بالتاء والبناء
للمفعول ذهابا الى المعنى كانه قال ان ترحم طائفة المنافقون والمنافقات
بعضهم من بعض اي متشابهة في البعد والنفاق عن الايمان كابعاض
الشيء الواحد وقيل انه تكذيب لهم في حلفهم بالله انهم لمنكم وتقرير لقوله وما
هم منكم وما بعده كالدليل عليه فانه يدل على مضادة حالهم لحال المؤمنين
وهو قوله يأمرون بالمنكر بالكفر والمعاصي وينهون عن المعروف
عن الايمان والطاعة ويقبضون ايديهم عن المبار وقبض اليد كناية
عن الشح نسوا الله اغفلوا ذكر الله وتركوا طاعته فنسيهم فتركهم من
لطفه وفضله ان المنافقين هم الفاسقون الكاملون في التمرد و
الفسوق عن دائرة الخير وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار
نار جهنم خالدين فيها مقدرين الخلود هي حسبهم عقابا وجزاء وفيه
دليل على عظم عذابها ولعنهم الله ابعدهم من رحمته واهانهم ولهم
عذاب مقيم لا ينقطع والمراد به ما وعدوه او ما يقاسونه من تعب النفاق
كالذين من قبلكم اي انتم مثل الذين او فعلتم مثل فعل الذين من قبلكم
كانوا اشد منكم قوة واكثر اموالا واولادا بيان لتشبيههم بهم وتمثيل

حالهم بحالهم فاستمتعوا بخلاقهم نصيبهم من ملاذ الدنيا واشتقاقه من
الخلق بمعنى التقدير فانه ما قدر لصاحبه فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين
من قبلكم بخلاقهم ذم الاولين باستمتاعهم بحظوظهم المخدجة من الشهوات
الفانية والتهائهم عن النظر فى العاقبة والسعى فى تحصيل اللذائذ الحقيقية
تمهيدا لذم المخاطبين بمشابهتهم واقتفاء اثرهم وخضتم ودخلتم فى
الباطل كالذى خاضوا كالذين خاضوا او كالفوج الذى خاضوا او كالخوض
الذى خاضوه اولئك حبطت اعمالهم فى الدنيا والاخرة لم يستحقوا عليها
ثوابا فى الدارين واولئك هم الخاسرون الذين خسروا الدنيا والاخرة الم
ياتهم نبأ الذين من قبلهم قوم نوح اغرقوا بالطوفان وعاد اهلكوا بالريح
وثمود اهلكوا بالرجفة وقوم ابراهيم اهلك نمرود ببعوض واهلك اصحابه
واصحاب مدين اهل مدين وهم قوم شعيب اهلكوا بالنار يوم الظلة والمؤتفكات
قريات قوم لوط ائتفكت بهم اى انقلبت فصارت عاليها سافلها وامطروا
حجارة من سجيل وقيل قريات المكذبين المتمردين وائتفاكهن انقلاب
احوالهن من الخير الى الشر اتتهم رسلهم يعنى الكل بالبينات فما كان الله
ليظلمهم اى لم يكن من عادته ما يشابه ظلم الناس كالعقوبة بلا جرم ولكن
كانوا انفسهم يظلمون حيث عرضوها للعقاب بالكفر والتكذيب والمؤمنون
والمؤمنات بعضهم اولياء بعض فى مقابلة قوله المنافقون والمنافقات
بعضهم من بعض يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلوة
ويؤتون الزكوة ويطيعون الله ورسوله فى سائر الامور اولئك سيرحمهم
الله لا محالة فان السين مؤكدة للوقوع ان الله عزيز غالب على كل شئ
لا يمتنع عليه ما يريد حكيم يضع الاشياء مواضعها وعد الله المؤمنين
والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ومساكن
طيبة يستطيبها النفس او يطيب فيها العيش وفى الحديث انها قصور
من اللؤلؤ والزبرجد والياقوت الاحمر فى جنات عدن اقامة وخلود
وعنه صلعم عدن دار الله التى لم ترها عين ولم يخطر على قلب بشر لا يسكنها
غير ثلثة النبيون والصديقون والشهداء يقول الله تعالى طوبى لمن
دخلك ومرجع العطف فيها يحتمل ان يكون الى تعدد الموعود لكل واحد
او للجمع على سبيل التوزيع او الى تغاير وصفه وكانه وصفه اولا بانه
من جنس ما هو ابهى الاماكن التى يعرفونها لتميل اليه طباعهم اول ما يقرع

اسماعهم

اسماعهم ثم وصفه بانه محفوف بطيب العيش معرى عن شوائب الكدورات
التى لا تخلو عن شئ منها اماكن الدنيا وفيها ما تشتهى الانفس وتلذ الاعين
ثم وصف بانها دار اقامة وثبات فى جوار العليين لا يعتريهم فيها فناء
ولا تغير ثم وعدهم بما هو اكبر من ذلك وقال ورضوان من الله اكبر لانه
المبدأ لكل سعادة وكرامة والمؤدى الى نيل الوصول والفوز باللقاء وعنه
صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يقول لاهل الجنة هل رضيتم فيقولون
وما لنا لا نرضى وقد اعطيتنا ما لم تعط احدا من خلقك فيقول انا اعطيكم
افضل من ذلك فقال احل لكم رضوانى فلا اسخط عليكم ابدا ذلك اى الرضوان
او جميع ما تقدم هو الفوز العظيم الذى يستحقر دونه الدنيا وما فيها
يا ايها النبى جاهد الكفار بالسيف والمنافقين بالزام الحجة واقامة
الحدود واغلظ عليهم فى ذلك ولا تحابهم ومأويهم جهنم وبئس المصير
مصيرهم يحلفون بالله ما قالوا روى انه صلعم اقام فى غزوة تبوك
شهرين ينزل عليه القرآن ويعيب المتخلفين فقال الجلاس بن سويد لئن كان
ما يقول محمد لاخواننا حقا لنحن شر من الحمير فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاستحضره فحلف بالله ما قاله فنزلت فتاب الجلاس وحسنت توبته ولقد
قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم واظهروا الكفر بعد اظهار الاسلام
وهموا بما لم ينالوا من قتل الرسول صلى الله عليه وسلم وهو ان خمسة عشر
منهم توافقوا عند مرجعه من تبوك ان يدفعوه عن راحلته الى الوادى
اذا تسنم العقبة بالليل فاخذ عمار بن ياسر بخطام راحلته يقودها
وحذيفة خلفها يسوقها فبينما هما كذلك اذ سمع حذيفة بوقع اخفاف
الابل وقعقعة السلاح فقال اليكم اليكم يا اعداء الله فهربوا او اخراجه
اخراج المؤمنين من المدينة او بان يتوجوا عبد الله بن ابى وان لم يرض رسول
الله صلى الله عليه وسلم وما نقموا وما انكروا وما وجدوا ما يورث نقمتهم
الا ان اغناهم الله ورسوله من فضله فان اكثر اهل المدينة كانوا محاويج
فى ضنك من العيش فلما قدمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اثروا بالغنائم
وقتل للجلاس مولى فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بديته اثنى عشر الف
درهم فاستغنى والاستثناء مفرغ عن اعم المفاعيل او العلل فان يتوبوا
يك خيرا لهم هو الذى حمل الجلاس على التوبة والضمير فى يك للتوب وان يتولوا
بالاصرار على النفاق يعذبهم الله عذابا اليما فى الدنيا والاخرة بالقتل والنار

وما لهم في الارض من ولي ولا نصير فينجيهم من العذاب ومنهم من عاهد
الله لئن اتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين نزلت في ثعلبة
ابن حاطب اتى النبي صلى الله عليه وسلم وقال ادع الله ان يرزقني مالا
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير
لا تطيقه فراجعه وقال والذي بعثك بالحق لئن رزقني مالا لاعطين
كل ذي حق حقه فدعا له فاتخذ غنما فنمت كما تنمي الدود حتى ضاقت بها
المدينة فنزل واديا وانقطع عن الجماعة والجمعة فسأل عنه رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقيل كثر ماله حتى لا يسعه واد فقال يا ويح ثعلبة
فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم مصدقين لاخذ الصدقات فاستقبلهما
الناس بصدقاتهم ومرا بثعلبة فسألاه الصدقة واقرآه الكتاب الذي
فيه الفرايض فقال ان الله منعني ان اقبل منك فجعل التراب يحثو على
رأسه فقال هذا عملك قد امرتك فلم تطعني فقبض رسول الله صلى الله
عليه وسلم فجاء بها الى ابي بكر رض فلم يقبلها ثم جاء بها الى عمر رض في خلافته
ولم يقبلها وهلك في زمان عثمان رض فلما اتاهم من فضله بخلوا به
منعوا حق الله منه وتولوا عن طاعة الله وهم معرضون وهم قوم عادتهم
الاعراض عنها فاعقبهم نفاقا في قلوبهم اي فجعل الله عاقبة فعلهم ذلك
نفاقا وسوء اعتقاد في قلوبهم ويجوز ان يكون الضمير للبخل والمعنى فاورثهم
البخل نفاقا متمكنا في قلوبهم الى يوم يلقونه يلقون الله بالموت او يلقون
عمله اي جزاءه وهو يوم القيامة بما اخلفوا الله ما وعدوه بسبب
اخلافهم ما وعدوه من التصدق والصلاح وبما كانوا يكذبون وبكونهم كاذبين فيه فان خلف الوعد متضمن للكذب مستقبح من الوجهين
او المقال مطلقا وقرئ يكذبون بالتشديد الم يعلموا اي المنافقون
او من عاهد الله وقرئ بالتاء على الالتفات ان الله يعلم سرهم
ما اسروه في انفسهم من النفاق او العزم على الاخلاف ونجويهم
وما يتناجون به فيما بينهم من المطاعن او تسمية الزكوة جزية
وان الله علام الغيوب فلا يخفى عليه ذلك الذين يلمزون ذم مرفوع
او منصوب او بدل من الضمير في سرهم وقرئ يلمزون بالضم المطوعين
المتطوعين من المؤمنين في الصدقات روي انه صلى الله عليه وسلم
حث على الصدقة فجاء عبد الرحمن بن عوف باربعة آلاف درهم وقال

كان لي

كان لي ثمانية آلاف فاقرضت ربي اربعة وامسكت لعيالي اربعة فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك الله لك فيما اعطيت وفيما امسكت
فبارك الله له حتى صولحت احدى امرأتيه عن نصف الثمن على ثمانين الف درهم
وتصدق عاصم بن عدي بمائة وسق تمر وجاء ابو عقيل الانصاري بصاع
تمر فقال بت ليلتي اجر بالجرير على صاعين فتركت صاعا لعيالي وجئت بصاع
فامره رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينثره على الصدقات فلمزهم المنافقون
وقالوا ما اعطى عبد الرحمن وعاصم الا رياء ولقد كان الله ورسوله
لغنيين عن صاع ابي عقيل ولكنه احب ان يذكر بنفسه ليعطى من الصدقات
فنزلت والذين لا يجدون الا جهدهم الا طاقتهم وقرئ بالفتح وهو
مصدر جهد في الامر اذا بالغ فيه فيسخرون منهم يستهزؤن بهم
سخر الله منهم جازاهم على سخريتهم كقوله الله يستهزئ بهم ولهم عذاب
اليم على كفرهم استغفر لهم او لا تستغفر لهم يريد التساوي بين الامرين
في عدم الافادة لهم كما نص عليه بقوله ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن
يغفر الله لهم روي ان عبد الله بن عبد الله بن ابي وكان من المخلصين
سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرض ابيه ان يستغفر له ففعل
فنزلت فقال صلى الله عليه وسلم لازيدن على السبعين فنزلت سواء
عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم وذلك انه
صلى الله عليه وسلم فهم من السبعين العدد المخصوص لانه الاصل فجوز
ان يكون ذلك حدا يخالفه حكم ما وراءه فبين له ان المراد به التكثير
دون التحديد وقد شاع استعمال السبعة والسبعين والسبعمائة
ونحوها في التكثير لاشتمال السبعة على جملة اقسام العدد فكانه العدد
باسره ذلك بانهم كفروا بالله ورسوله اشارة الى ان اليأس من المغفرة
وعدم قبول استغفارك ليس لبخل منا ولا قصور فيك بل لعدم قابليتهم
بسبب الكفر الصارف عنها والله لا يهدي القوم الفاسقين المتمردين
في كفرهم وهو كالدليل على الحكم السابق فان مغفرة الكافر بالاقلاع
عن الكفر والارشاد الى الحق والمنهمك في كفره المطبوع عليه لا ينقطع ولا
يهتدي والتنبيه على عذر رسول الله صلى الله عليه وسلم في استغفاره
وعدم يأسه عن ايمانهم ما لم يعلم انهم مطبوعين على الضلالة والممنوع هو
الاستغفار بعد العلم لقوله ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا

للمشركين ولو كانوا اولي قربى من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم فرح المخلفون
بمقعدهم خلاف رسول الله بقعودهم عن الغزو وخلفه يقال اقام خلاف
الحي اي بعدهم ويجوز ان يكون بمعنى المخالفة فيكون انتصابه على العلة
او الحال وكرهوا ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله
ايثارًا للدعة والخفض على طاعة الله وفيه تعريض بالمؤمنين الذين آثروا
عليها تحصيل رضاه ببذل الاموال والمهج وقالوا لا تنفروا في الحر
اي قاله بعضهم لبعض او قالوه للمؤمنين تثبيطا قل نار جهنم اشد حرا
وقد آثرتموها بهذه المخالفة لو كانوا يفقهون ان مآبهم اليها او انها كيف
هي ما اختاروها بايثار الدعة على الطاعة فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا
جزاء بما كانوا يكسبون اخبار عما يؤول اليه حالهم في الدنيا والآخرة اخرجه
على صيغة الامر للدلالة على انه حتم واجب ويجوز ان يكون الضحك والبكاء
كنايتين عن السرور والغم والمراد من القلة العدم فان رجعك الله
الى طائفة منهم فان ردك الى المدينة وفيها طائفة من المتخلفين يعني
منافقيهم فان كلهم لم يكونوا منافقين او من بقي منهم وكان المتخلفون
اثني عشر رجلا فاستأذنوك للخروج الى غزوة اخرى بعد تبوك فقل لن
تخرجوا معي ابدا ولن تقاتلوا معي عدوا اخبار في معنى النهي للمبالغة انكم
رضيتم بالقعود اول مرة تعليل له وكان اسقاطهم عن ديوان الغزاة
عقوبة لهم على تخلفهم واول مرة هي الخرجة الى غزوة تبوك فاقعدوا
مع الخالفين اي المتخلفين لعدم لياقتهم للجهاد كالنساء والصبيان
وقرئ مع الخلفين على قصر الخالفين ولا تصل على احد منهم مات ابدا
روي ان ابن ابي دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه فلما دخل عليه
سأله ان يستغفر له ويكفنه في شعاره الذي يلي جسده ويصلي عليه
فلما مات ارسل قميصه ليكفن فيه وذهب ليصلي عليه فنزلت وقيل صلى
عليه ثم نزلت وانما لم ينه عن التكفين في قميصه ونهى عن الصلوة عليه
لان الضنة بالقميص كان مخلا بالكرم ولانه كان مكافاة لالباسه
العباس قميصه حين اسر ببدر والمراد من الصلوة الدعاء للميت و
الاستغفار له وهو ممنوع في حق الكافر ولذلك رتب النهي على قوله
مات ابدا يعني الموت على الكفر فان احياء الكافر للتعذيب دون
التمتع فكانه لم يحيى ولا تقم على قبره ولا تقف عند قبره للدفن او الزيارة

انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون تعليل للنهي او لتأبيد الموت
ولا تعجبك اموالهم واولادهم انما يريد الله ان يعذبهم بها في الدنيا وتزهق
انفسهم وهم كافرون تكرير للتأكيد والامر حقيق به فان الابصار طامحة
الى الاموال والاولاد والنفوس مغتبطة عليها ويجوز ان تكون هذه في فريق
غير الاول واذا انزلت سورة من القرآن ويجوز ان يراد بها بعضها ان آمنوا
بالله بان آمنوا ويجوز ان تكون المفسرة وجاهدوا مع رسوله استأذنك او
لوا
الطول منهم ذووا الفضل والسعة وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين الذين قعدوا
لعذر رضوا بان يكونوا مع الخوالف مع النساء جمع خالفة وقد يقال للخالفة
للذي لا خير فيه وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون ما في الجهاد وموافقة الرسول
من السعادة وما في التخلف عنه من الشقاوة لكن الرسول والذين آمنوا معه
جاهدوا باموالهم وانفسهم اي ان تخلف هؤلاء ولم يجاهدوا فقد جاهد من
هو خير منهم واولئك لهم الخيرات منافع الدارين النصر والغنيمة في الدنيا
والجنة والكرامة في الآخرة وقيل الحور لقوله فيهن خيرات حسان وهي جمع
خيرة تخفيف خيّرة واولئك هم المفلحون الفائزون بالمطالب اعد الله لهم جنات
تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم بيان لما لهم من
الخيرات الاخروية وجاء المعذرون من الاعراب ليؤذن لهم يعني اسدا
وغطفان استأذنوا في التخلف معتذرين بالجهد وكثرة العيال وقيل هم
رهط عامر بن الطفيل قالوا ان غزونا معك اغارت طيئ على اهالينا ومواشينا
والمعذر اما من عذّر في الامر اذا قصر فيه موهما ان له عذرا ولا عذر له او من
اعتذر اذا مهد العذر بادغام التاء في الذال ونقل حركتها الى العين ويجوز
كسر العين لالتقاء الساكنين وضمها للاتباع لكن لم يقرأ بهما وقرأ يعقوب
معذرون من اعذر اذا اجتهد في العذر وقرئ المعّذرون بتشديد العين
والذال على انه من تعذّر بمعنى اعتذر وهو لحن اذ التاء لا تدغم في العين
وقد اختلف في انهم كانوا معتذرين بالتصنع او بالصحة فيكون قوله وقعد
الذين كذبوا الله ورسوله في غيرهم وهم منافقو الاعراب كذبوا الله ورسوله
في ادعاء الايمان وان كانوا هم الاولين فكذبهم بالاعتذار سيصيب الذين
كفروا منهم من الاعراب او من المعذرين فان منهم من اعتذر لكسله لا
لكفره عذاب اليم بالقتل والنار ليس على الضعفاء ولا على المرضى كالهرمى
والزمنى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون لفقرهم كجهينة ومزينة

وفي عذره حرج اثم في التأخر اذا نصحوا لله ورسوله بالايمان والطاعة
في السر والعلانية كما يفعل الموالي الناصح او بما قدروا عليه فعلا او قولا يعود
على الاسلام والمسلمين بالصلاح ما على المحسنين من سبيل اي ليس عليهم جناح
ولا الى معاتبتهم سبيل وانما وضع المحسنين موضع الضمير للدلالة على انهم
منخرطون في سلك المحسنين غير معاتبين لذلك والله غفور رحيم لهم او للمسيء
فكيف للمحسن ولا على الذين اذا ما اتوك لتحملهم عطف على الضعفاء او على
المحسنين وهم البكاؤون سبعة من الانصار معقل بن يسار وصخر بن خنسا
وعبد الله بن كعب وسالم بن عمير وثعلبة بن عنمة وعبد الله بن مغفل وعلبة بن
زيد اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا نذرنا الخروج فاحملنا على الخفاف
المرقوعة والنعال المخصوفة نغزو معك فقال لا اجد فتولوا وهم يبكون وقيل
هم بنو مقرن معقل وسويد والنعمان وقيل ابو موسى واصحابه قلت لا اجد
ما احملكم عليه حال من الكاف في اتوك باضمار قد تولوا جواب اذا واعينهم
تفيض تسيل من الدمع اي دمعا فان من للبيان وهي مع المجرور في محل النصب
على التمييز وهو ابلغ من يفيض دمعها لانه يدل على ان العين صارت دمعا فياضا
حزنا نصب على العلة او الحال او المصدر لفعل دل عليه ما قبله الا يجدوا
اي لئلا يجدوا متعلق بحزنا او بتفيض ما ينفقون في مغزاهم انما السبيل بالمعاتبة
على الذين يستاذنونك وهم اغنياء واجدون للاهبة رضوا بان يكونوا
مع الخوالف استئناف لبيان ما هو السبب لاستئذانهم من غير عذر وهو
رضاهم بالدناءة والانتظام في جملة الخوالف ايثارا للدعة وطبع الله على قلوبهم
حتى غفلوا عن وخامة العاقبة فهم لا يعلمون مغبته يعتذرون اليكم في
التخلف اذا رجعتم اليهم من هذه السفرة قل لا تعتذروا بالمعاذير الكاذبة
لانه لن نؤمن لكم لن نصدقكم لانه قد نبأنا الله من اخباركم اعلمنا بالوحي
الى نبيه بعض اخباركم وهو ما في ضمائركم من الشر والفساد وسيرى الله
عملكم ورسوله اتتوبون عن الكفر ام تثبتون عليه وكانه استتابة وامهال
للتوبة ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة اي اليه فوضع الوصف
موضع الضمير للدلالة على انه مطلع على سرهم وعلنهم لا يفوت عن علمه شيء من ضمائرهم
واعمالهم فينبئكم بما كنتم تعملون بالتوبيخ والعقاب عليه سيحلفون بالله
لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم فلا تعاتبوهم فاعرضوا عنهم ولا
توبخوهم انهم رجس لا ينفع فيهم التأنيب فان المقصود منه التطهير بالحمل

على الانابة وهؤلاء ارجاس لا يقبل التطهير وهو علة الاعراض وترك المعاتبة
ومأواهم جهنم من تمام التعليل وكانه قال انهم ارجاس من اهل النار لا ينفع
فيهم التوبيخ في الدنيا والآخرة او تعليل ثان والمعنى ان النار كفتهم عتابا فلا تتكلفوا
عتابهم جزاء بما كانوا يكسبون يجوز ان يكون مصدرا وان يكون علة
يحلفون لكم لترضوا عنهم بحلفهم فتستديموا عليهم ما كنتم تفعلون بهم فان
ترضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين اي فان رضاكم لا يستلزم
رضا الله ورضاكم وحدكم لا ينفعهم اذا كانوا في سخط الله وبصدد عقابه وان
امكنهم ان يلبسوا عليكم لا يمكنهم ان يلبسوا على الله فلا يهتك سترهم ولا ينزل
الهوان بهم والمقصود من الاية النهي عن الرضا عنهم والاغترار بمعاذيرهم
بعد الامر بالاعراض وعدم الالتفات نحوهم الاعراب اهل البدو اشد كفرا ونفاقا
من اهل الحضر لتوحشهم وقساوتهم وعدم مخالطتهم لاهل العلم وقلة استماعهم
للكتاب والسنة واجدر ان لا يعلموا واحق بان لا يعلموا حدود ما انزل الله
على رسوله من الشرائع فرائضها وسننها والله عليم يعلم حال كل احد من اهل الوبر
والمدر حكيم فيما يصيب به مسيئهم ومحسنهم عقابا وثوابا ومن الاعراب من يتخذ
يعد ما ينفق يصرفه في سبيل الله ويتصدق به مغرما غرامة وخسرانا اذ لا يحتسبه
عند الله ولا يرجو عليه ثوابا وانما ينفق رئاء او تقية ويتربص بكم الدوائر دوائر
الزمان ونوبه لينقلب الامر عليكم فيتخلص من الانفاق عليهم دائرة السوء
اعتراض بالدعاء عليهم بنحو ما يتربصون او الاخبار عن وقوع ما يتربصون عليهم
والدائرة في الاصل مصدر او اسم فاعل من دار يدور سمي بها عقبة الزمان والسوء
بالفتح مصدر اضيف اليه للمبالغة كقولك رجل صدق والله سميع لما يقولون عند
الانفاق عليم بما يضمرون ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ
ما ينفق قربات عند الله سبب قربات وهي ثاني مفعولي يتخذ وعند الله
صفتها او ظرف ليتخذ وصلوات الرسول وسبب صلواته لانه عليه السلم
كان يدعو للمتصدقين ويستغفر لهم ولذلك سن للمصدق ان يدعو للمتصدق
عند اخذ صدقته لكن ليس له ان يصلي عليه كما قال عليه السلم اللهم صل على آل
ابي اوفى لانه منصبه فله ان يتفضل به على غيره الا انها قربة لهم شهادة
من الله بصحة معتقدهم وتصديق لرجائهم على الاستئناف مع حرف التنبيه
وان المحققة للنسبة والضمير لنفقتهم سيدخلهم الله في رحمته وعد لهم
باحاطة الرحمة عليهم والسين لتحقيقه وقوله ان الله غفور رحيم لتقرير ما

قبل الاولى في اسد وغطفان وبني تميم والثانية في عبد الله ذي البجادين
وقومه والسابقون الاولون من المهاجرين هم الذين صلوا الى
القبلتين او الذين شهدوا بدرا او الذين اسلموا قبل الهجرة والانصار اهل
بيعة العقبة الاولى وكانوا سبعة واهل العقبة الثانية وكانوا سبعين
والذين امنوا حين قدم عليهم ابو زرارة مصعب بن عمير وقرئ بالرفع عطفا
على والسابقون والذين اتبعوهم باحسان اللاحقون بالسابقين
من القبيلتين او من اتبعوهم بالايمان والطاعة الى يوم القيمة رضي الله عنهم
بقبول طاعتهم وارضا اعمالهم ورضوا عنه بما نالوا من نعمه الدينية والدنيوية
واعد لهم جنات تجري تحتها الانهار وقرا ابن كثير من تحتها كما هو
في ساير المواضع خالدين فيها ابدا ذلك الفوز العظيم وممن حولكم
اي ممن حول بلدتكم يعني المدينة من الاعراب منافقون وهم جهينة ومزينة
واسلم واشجع وغفار كانوا نازلين حولها ومن اهل المدينة عطف على
ممن حولكم او خبر لمحذوف صفته مردوا على النفاق ونظيره في حذف
الموصوف واقامة الصفة مقامه قوله انا ابن جلا وطلاع الثنايا وعلى الا
صفة للمنافقين فصل بينها وبينه بالمعطوف على الخبر او كلام مبتدا لبيان
تمرنهم وتمهرهم في النفاق لا تعلمهم لا تعرفهم باعيانهم وهو تقرير لمهارتهم
فيه وتنوقهم في تحامي مواقع التهم الى حد اخفى عليك حالهم مع كمال فطنتك
وصدق فراستك نحن نعلمهم ونطلع على اسرارهم ان قدروا ان يلبسوا
عليك لم يقدروا ان يلبسوا علينا سنعذبهم مرتين بالفضيحة والقتل
او باحدهما وعذاب القبر او باخذ الزكوة ونهك الابدان ثم يردون
الى عذاب عظيم الى عذاب النار واخرون اعترفوا بذنوبهم ولم
يعتذروا من تخلفهم بالمعاذير الكاذبة وهم طائفة من المتخلفين اوثقوا
انفسهم على سواري المسجد لما بلغهم ما نزل في المتخلفين فقدم رسول الله
صلى الله عليه وسلم فدخل المسجد على عادته فصلى ركعتين فراهم فسال عنهم
فذكر له انهم اقسموا ان لا يحلوا انفسهم حتى تحلهم فقال وانا اقسم ان لا احلهم
حتى اومر فيهم فنزلت فاطلقهم خلطوا عملا صالحا واخر سيئا خلطوا العمل
الصالح الذي هو اظهار الندم والاعتراف بالذنب باخر سيئ هو التخلف وموافقة
اهل النفاق والواو اما بمعنى الباء كما في قولهم بعت الشاء شاة ودرهما
او للدلالة على ان كل واحد منهما مخلوط بالاخر عسى الله ان يتوب عليهم

ان

ان يقبل توبتهم وهي مدلول عليها بقوله اعترفوا بذنوبهم ان الله غفور
رحيم يتجاوز عن التايب ويتفضل خذ من اموالهم صدقة روي انهم لما
اطلقوا قالوا يا رسول الله هذه اموالنا التي خلفتنا فتصدق بها وطهرنا
فقال ما امرت ان اخذ من اموالكم شيا فنزلت تطهرهم عن الذنوب
او حب المال المودي بهم الى مثله وقرئ تطهرهم من اطهره بمعنى طهره وتطهرهم
بالجزم جوابا للامر وتزكيهم بها وتنمي حسناتهم وترفعهم الى منازل المخلصين
وصل عليهم واعطف عليهم بالدعاء والاستغفار لهم ان صلوتك سكن لهم
تسكن اليها نفوسهم وتطمئن بها قلوبهم وجمعها لتعدد المدعو لهم وقرا حمزة
والكسائي وحفص بالتوحيد والله سميع باعترافهم عليم بندامتهم الم يعلموا
الضمير اما للمتوب عليهم والمراد ان يمكن في قلوبهم قبول توبتهم والاعتداد
بصدقاتهم او لغيرهم والمراد به التحضيض عليهما ان الله هو يقبل التوبة
عن عباده اذا صحت وتعديته بعن لتضمنه معنى التجاوز ويأخذ الصدقات
يقبلها قبول من ياخذ شيا ليؤدي بدله وان الله هو التواب الرحيم وان
من شانه قبول توبة التايبين والتفضل عليهم وقل اعملوا ما شئتم فسيرى
الله عملكم فانه لا يخفى عليه خيرا كان او شرا ورسوله والمومنون فانه تعالى
لا يخفى عنهم كما رايتم وتبين لكم وستردون الى عالم الغيب والشهادة بالموت
فينبئكم بما كنتم تعملون بالمجازاة عليه واخرون من المتخلفين مرجون
موخرون اي موقوف امرهم من ارجاته اذا اخرته وقرا نافع وحمزة والكسائي
وحفص مرجون بالواو وهما لغتان لامر الله في شانهم اما يعذبهم ان
اصروا على النفاق واما يتوب عليهم ان تابوا والترديد للعباد وفيه
دليل على ان كلا الامرين بارادة الله تعالى والله عليم باحوالهم حكيم
فيما يفعل بهم وقرئ والله غفور رحيم والمراد بهؤلاء كعب بن مالك وهلال
ابن امية ومرارة بن الربيع امر رسول الله اصحابه ان لا يسلموا عليهم ولا
يكلموهم فلما راوا ذلك اخلصوا نياتهم وفوضوا امرهم الى الله فرحمهم
الله تعالى والذين اتخذوا مسجدا عطف على واخرون مرجون او مبتدا
خبره محذوف اي وفيمن وصفنا الذين اتخذوا او منصوب على الاختصاص
وقرا نافع وابن عامر بغير واو ضرارا مضارة للمومنين روي ان بني عمرو
ابن عوف لما بنوا مسجد قبا سالوا رسول الله ان ياتيهم فاتاهم فصلى فيه
فحسدهم اخوانهم بنو غنم بن عوف فبنوا مسجدا على قصد ان يوم فيهم

فيه ابو عامر الراهب اذا قدم من الشام فلما اتموه اتوا رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقالوا انا قد بنينا مسجدا لذي الحاجة والعلة والليلة المطيرة والشاتية
نحب ان تصلي فيه حتى نتخذه مصلى فاخذ ثوبه ليقوم معهم فنزلت فدعا بمالك بن
الدخشم ومعن بن عدي وعامر بن السكن والوحشي فقال لهم انطلقوا الى
هذا المسجد الظالم اهله فاهدموه واحرقوه ففعلوا واتخذ مكانه كناسة وكفرا
وتقوية للكفر الذي يضمرونه وتفريقا بين المومنين يريد الذين كانوا
يجتمعون للصلوة في مسجد قبا وارصادا ترقبا لمن حارب الله ورسوله
من قبل يعني الراهب فانه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد
لا اجد قوما يقاتلونك الا قاتلتك معهم فلم يزل يقاتله الى يوم حنين
انهزم مع هوازن وهرب الى الشام ليأتي من قيصر بجنود يحارب بهم
رسول الله فمات بقنسرين وحيدا وقيل كان يجمع الجيوش يوم الاحزاب
فلما انهزموا خرج الى الشام ومن قبل متعلق بحارب او باتخذوا اي اتخذوا
مسجدا من قبل ان ينافق هؤلاء بالتخلف لما روي انه بني قبل غزوة تبوك
فسالوا رسول الله ان ياتيه فقال انا على جناح سفر واذا قدمنا ان شا
الله صلينا فيه فلما قفل كرر طلبه فنزلت وليحلفن ان اردنا الا الحسنى
ما اردنا ببنائه الا الخصلة الحسنى او الارادة الحسنى وهي الصلوة
والذكر والتوسعة على المصلين والله يشهد انهم لكاذبون في حلفهم
لا تقم فيه ابدا للصلوة لمسجد اسس على التقوى يعني مسجد قبا
اسسه رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى فيه ايام مقامه بقبا من
الاثنين الى الجمعة لانه اوفق للقصة او مسجد رسول الله صلى الله عليه
وسلم لقول ابي سعيد سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه فقال
هو مسجدكم هذا مسجد المدينة من اول يوم من ايام وجوده ومن يعم
الزمان والمكان كقوله لمن الديار بقنة الحجر اقوين من حجج ومن شهر
احق ان تقوم فيه اولى بان تصلي فيه فيه رجال يحبون ان يتطهروا
من المعاصي والخصال المذمومة طلبا لمرضاة الله وقيل من الجنابة فلا
ينامون عليها والله يحب المطهرين يرضى عنهم ويدنيهم من جنابه ادنا
المحب حبيبه قيل لما نزلت مشى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه
المهاجرون حتى وقف على باب مسجد قبا فاذا الانصار جلوس فقال امومنون
انتم فسكتوا فاعادها فقال عمر انهم مومنون وانا معهم فقال عليه السلام

اترضون

اترضون بالقضا قالوا نعم قال اتصبرون على البلا قالوا نعم قال اتشكرون
في الرخا قالوا نعم فقال عليه السلام مومنون ورب الكعبة فجلس ثم قال يا
معشر الانصار ان الله عز وجل قد اثنى عليكم فما الذي تصنعون عند الوضوء
وعند الغائط فقالوا يا رسول الله نتبع الغائط الاحجار الثلثة ثم نتبع
الاحجار الماء فتلى رجال يحبون ان يتطهروا افمن اسس بنيانه بنيان دينه
على تقوى من الله ورضوان خير على قاعدة محكمة هي التقوى من الله وطلب
مرضاته بالطاعة امن اسس بنيانه على شفا جرف هار على قاعدة هي
اضعف القواعد وارخاها فانهار به في نار جهنم فادى به لخوره وقلة
استمساكه الى السقوط في النار وانما وضع شفا الجرف وهو ما جرفه الوادي
الهاير في مقابلة التقوى تمثيلا لما بنوا عليه امر دينهم في البطلان وسرعة
الانطماس ثم رشحه بانهياره به في النار ووضعه في مقابلة الرضوان
تنبيها على ان تاسيس ذلك على امر يحفظه عن النار ويوصله الى رضوان
الله ومقتضياته التي الجنة ادناها وتاسيس هذا على ما هم بسببه على صدد
الوقوع في النار ساعة فساعة ثم ان مصيرهم الى النار لا محالة وقرا نافع
وابن عامر اسس على البنا للمفعول وقرى اساس بنيانه واس على الاضافة
واسس واساس واساس بالكسر وثلثتها جمع اس وتقوى بالتنوين على ان
الالف للالحاق لا للتانيث كتترى وقرى ابن عامر وحمزة وابو بكر جرف
بالتخفيف والله لا يهدي القوم الظالمين الى ما فيه صلاحهم ونجاتهم لا
يزال بنيانهم الذي بنوا بناهم الذي بنوه مصدر اريد به المفعول وليس
بجمع ولذلك قد تدخله التا ووصف بالمفرد واخبر عنه بقوله ريبة في
قلوبهم اي شكا ونفاقا والمعنى ان بناهم هذا لا يزال سبب شكهم وتزايد
نفاقهم فانه حملهم على ذلك ثم لما هدمه الرسول رسخ ذلك في قلوبهم وازداد
بحيث لا يزول وسمه عن قلوبهم الا ان تقطع قلوبهم قطعا بحيث لا يبقى لها
قابلية الادراك والاضمار وهو في غاية المبالغة والاستثنا من اعم الازمنة
وقيل المراد بالتقطيع ما هو كائن بالقتل او في القبر او في النار وقيل التقطيع
بالتوبة ندما واسفا وقرا يعقوب الى بحرف الانتها وتقطع بمعنى تتقطع وهو
قراءة ابن عامر وحمزة وحفص وقرى يقطع بالبنا وتقطع بالتخفيف وتقطع
قلوبهم على خطاب الرسول او كل مخاطب ولو قطعت على البنا للفاعل والمفعول
والله عليم بنياتهم حكيم فيما امر بهدم بناهم ان الله اشترى من المومنين

انفسهم واموالهم بان لهم الجنة تمثيل لاثابة الله اياهم الجنة على بذل
انفسهم واموالهم في سبيله يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون
استيناف ببيان ما لاجله الشرى وقيل يقاتلون في معنى الامر وقرأ حمزة والكسائي
بتقديم المبني للمفعول وقد عرفت ان الواو لا يوجب الترتيب وان فعل البعض
قد يسند الى الكل وعدا عليه حقا مصدر مؤكد لما دل عليه الشرى فانه في معنى
الوعد في التورية والانجيل والقرآن مذكورا فيهما كما اثبت في القرآن ومن
اوفى بعهده من الله مبالغة في الانجاز وتقرير لكونه حقا فاستبشروا
ببيعكم الذي بايعتم به فافرحوا به غاية الفرح فانه اوجب لكم عظايم المطالب
كما قال وذلك هو الفوز العظيم التائبون رفع على المدح اي هم التائبون
والمراد بهم المذكورون ويجوز ان يكون مبتدأ خبره محذوف تقديره التائبون
من اهل الجنة وان لم يجاهد والقوله وكلا وعد الله الحسنى او خبره ما بعده
اي التائبون عن الكفر على الحقيقة هم الجامعون لهذه الخصال وقرئ بالياء
نصبا على المدح او جرا صفة للمؤمنين العابدون الذين عبدوا الله مخلصين
له الحامدون لنعمائه او لما نابهم من السراء والضراء السائحون الصائمون
لقوله عليه السلام سياحة امتي الصوم شبه بها لانه يعوق عن الشهوات او لانه
رياضة نفسانية يتوصل بها الى الاطلاع على خفايا الملك والملكوت او السائحون
للجهاد او لطلب العلم الراكعون الساجدون في الصلوة الآمرون بالمعروف
بالايمان والطاعة والناهون عن المنكر عن الشرك والمعاصي والعاطف
فيه للدلالة على انه بما عطف عليه في حكم خصلة واحدة كانه قال الجامعون
بين الوصفين وفي قوله والحافظون لحدود الله اي فيما بينه وعينه
من الحقائق والشرائع للتنبيه على ان ما قبله مفصل الفضائل وهذا مجملها
وقيل انه للايذان بان التعداد قد تم بالسابع من حيث ان السبعة هو العدد
التام والثامن ابتداء تعداد آخر معطوف عليه ولذلك سمي واو الثمانية وبشر
المؤمنين يعني به هؤلاء الموصوفين بتلك الفضائل ووضع المؤمنين موضع
ضميرهم للتنبيه على ان ايمانهم دعاهم الى ذلك وان المؤمن الكامل من كان
كذلك وحذف المبشر به للتعظيم كانه قيل وبشرهم بما يجل عن احاطة الافهام
وتعبير الكلام ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين روي
انه عليه السلام قال لابي طالب لما حضره الوفاة قل كلمة احاج لك بها عند الله
فابى فقال لا ازال استغفر لك ما لم انه عنه فنزلت وقيل لما افتتح مكة خرج

المؤمنون هو

الى الابواء فزار قبر امه ثم قام مستعبرا فقال اني استأذنت ربي في زيارة
قبر امي فاذن لي فاستأذنته في الاستغفار لها فلم ياذن لي وانزل علي الآية
ولو كانوا اولي قربى من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم بان ماتوا
على الكفر وفيه دليل على جواز الاستغفار لاحيائهم فانه طلب توفيقهم للايمان
وبه دفع النقض باستغفار ابرهيم لابيه الكافر فقال وما كان استغفار
ابرهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه وعدها ابرهيم اياه بقوله لاستغفرن
لك اي لاطلبن مغفرتك بالتوفيق للايمان فانه يجب ما قبله ويدل عليه
قراءة من قرأ اباه او وعدها ابرهيم ابوه وهي الوعد بالايمان فلما تبين
له انه عدو لله بان مات على الكفر او اوحي اليه بانه لن يؤمن تبرأ منه قطع
استغفاره ان ابرهيم لاواه لكثير التأوه وهو كناية عن فرط ترحمه ورقة
قلبه حليم صبور على الاذى والجملة لبيان ما حمله على الاستغفار له مع شكاسته
عليه وما كان الله ليضل قوما اي ليسميهم ضلالا ويؤاخذهم مؤاخذتهم
بعد اذ هداهم للاسلام حتى يبين لهم ما يتقون حتى يبين لهم خطر ما يجب
اتقاؤه وكانه بيان عذر الرسول في قوله لعمه او للذين استغفروا لاسلافهم المشركين
قبل المنع وقيل انه في قوم مضوا على الامر الاول في القبلة والخمر ونحو ذلك
وفي الجملة دليل على ان الغافل غير مكلف ان الله بكل شيء عليم فيعلم امرهم في
الحالين ان الله له ملك السموات والارض يحيي ويميت وما لكم من دون الله
من ولي ولا نصير لما منعهم عن الاستغفار للمشركين وان كانوا اولي قربى
وتضمن ذلك وجوب التبرؤ عنهم راسا بين لهم ان الله مالك كل موجود ومتولي
امره والغالب عليه ولا يتأتى لهم ولاية ولا نصرة الا منه ليتوجهوا اليه ويتبرؤا
عما عداه حتى لا يبقى لهم مقصود فيما يأتون ويذرون سواه لقد تاب الله على
النبي والمهاجرين والانصار من اذن المنافقين في التخلف او برأهم
عن علقة الذنوب لقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر وقيل هو
بعث على التوبة والمعنى ما من احد الا وهو محتاج الى التوبة حتى النبي والمهاجرين
والانصار كقوله وتوبوا الى الله جميعا اذ ما من احد الا وله مقام يستنقص
دونه ما هو فيه والترقي اليه توبة من تلك النقيصة واظهار لفضلها بانها
مقام الانبياء والصالحين من عباده الذين اتبعوه في ساعة العسرة في وقتها
وهي حالهم في غزوة تبوك كانوا في عسرة الظهر يعتقب العشرة على بعير واحد
والزاد حتى قيل ان الرجلين كانا يقتسمان تمرة والماء حتى شربوا الفظ من بعد

كاد تزيغ قلوب فريق منهم عن الثبات على الايمان او اتباع الرسول وفي
كاد ضمير الشان او ضمير القوم والعائد عليه الضمير في منهم وقرأ حمزة وحفص
يزيغ بالياء لان تانيث القلوب غير حقيقي وقرئ من بعد ما زاغت قلوب فريق
منهم يعني المتخلفين ثم تاب عليهم تكرير للتاكيد وتنبيه على انه تاب عليهم
من اجل ما كابدوا من العسرة والمراد انه تاب عليهم لكيدودتهم انه بهم رؤف
رحيم وعلى الثلاثة وتاب على الثلثة كعب بن مالك وهلال بن امية ومرارة
ابن الربيع الذين خلفوا تخلفوا عن الغزو او خلف امرهم فانهم المرجؤن
حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت اي برحبها لاعراض الناس عنهم
بالكلية وهو مثل لشدة الحيرة وضاقت عليهم انفسهم قلوبهم من فرط الوحشة
والغم بحيث لا يسعها انس وسرور وظنوا وعلموا ان لا ملجا من الله من سخطه
الا اليه الا الى استغفاره ثم تاب عليهم بالتوفيق للتوبة ليتوبوا او انزل
قبول توبتهم ليعدوا في جملة التوابين او رجع عليهم بالقبول والرحمة مرة
بعد اخرى ليستقيموا على توبتهم ان الله هو التواب لمن تاب ولو عاد في
اليوم مائة مرة الرحيم متفضل عليه بالنعم يا ايها الذين امنوا اتقوا الله
فيما لا يرضاه وكونوا مع الصادقين في ايمانهم وعهودهم او في دين الله
نية وقولا وعملا وقرئ من الصادقين اي في توبتهم وانابتهم فيكون المراد به
هؤلاء الثلثة واضرابهم ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب
ان يتخلفوا عن رسول الله نهي عبر عنه بصيغة النفي للمبالغة ولا يرغبوا با
نفسهم عن نفسه لا يصونوا انفسهم عما لم يصن نفسه عنه ويكابدوا معه ما
يكابده من الاهوال روي ان ابا خيثمة بلغ بستانه وكانت له امراة حسناء
فرشت له في الظل وبسطت له الحصير وقربت اليه الرطب والماء البارد فنظر
وقال ظل ظليل ورطب يانع وماء بارد وامراة حسناء ورسول الله في الضح والريح
ما هذا بخير فقام ورحل ناقته واخذ سيفه ورمحه ومر كالريح فمد رسول الله
صلى الله عليه وسلم طرفه الى الطريق فاذا براكب يزهاه السراب فقال كن ابا
خيثمة فكانه ففرح رسول الله واستغفر له ولا يرغبوا يجوز النصب والجزم ذلك
اشارة الى ما دل عليه قوله ما كان من النهي عن التخلف او وجوب المشايعة
بانهم بسبب انهم لا يصيبهم ظمأ من العطش ولا نصب تعب ولا مخمصة
مجاعة في سبيل الله ولا يطؤن موطئا ولا يدوسون مكانا يغيظ
الكفار يغضبهم وطؤه ولا ينالون من عدو نيلا كالقتل والاسر والنهب

الا كتب لهم به عمل صالح الا استوجبوا به الثواب وذلك مما يوجب
المشايعة ان الله لا يضيع اجر المحسنين على احسانهم وهو تعليل لكتب
وتنبيه على ان الجهاد احسان اما في حق الكفار فلانه سعي في تكميلهم باقصى ما يمكن
كضرب المداوي للمجنون واما في حق المؤمنين فلانه صيانة لهم عن سطوة الكفار
واستيلائهم ولا ينفقون نفقة صغيرة ولو علاقة ولا كبيرة مثل ما انفق
عثمان في جيش العسرة ولا يقطعون واديا في مسيرهم وهو كل منعرج ينفذ
فيه السيل اسم فاعل من ودى اذا سال فشاع بمعنى الارض الا كتب لهم
اثبت ذلك لهم ليجزيهم الله بذلك احسن ما كانوا يعملون جزاء احسن
اعمالهم او احسن جزاء اعمالهم وما كان المؤمنون لينفروا كافة وما استقام
لهم ان ينفروا جميعا لنحو غزو وطلب علم كما لا يستقيم لهم ان يتثبطوا جميعا
فانه يخل بامر المعاش فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة فهلا نفر من
كل جماعة كثيرة كقبيلة واهل بلدة جماعة قليلة ليتفقهوا في الدين ليتكلفوا
الفقاهة فيه ويتجشموا مشاق تحصيلها ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم
وليجعلوا غاية سعيهم ومعظم غرضهم من الفقاهة ارشاد القوم وانذارهم
وتخصيصه بالذكر لانه اهم وفيه دليل على ان التفقه والتذكير من فروض الكفاية
وانه ينبغي ان يكون غرض المتعلم فيه ان يستقيم ويقيم لا الترفع على الناس
والتبسط في البلاد لعلهم يحذرون ارادة ان يحذروا عما ينذرون منه
واستدل به على ان اخبار الآحاد حجة لان عموم كل فرقة يقتضي ان ينفر من
كل ثلثة تفردوا بقرية طائفة الى التفقه لتنذر فرقتها كي يتذكروا ويحذروا
فلو لم يعتبر الاخبار ما لم تتواتر لم يفد ذلك وقد اشبعنا القول فيه تقريرا
واعتراضا في كتابي المرصاد وقد قيل للآية معنى آخر وهو انه لما نزل في المتخلفين
ما نزل سبق المؤمنون الى النفير وانقطعوا عن التفقه فامروا ان ينفر من كل
فرقة طائفة الى الجهاد ويبقى اعقابهم يتفقهون حتى لا ينقطع التفقه الذي هو
الجهاد الاكبر لان الجدال بالحجة هو الاصل والمقصود من البعثة فيكون الضمير
في ليتفقهوا ولينذروا للبواقي من الفرق بعد الطوائف النافرة للغزو وفي رجعوا
للطوائف اي ولينذر البواقي قومهم النافرين اذا رجعوا اليهم بما حصلوا
ايام غيبتهم من العلوم يا ايها الذين امنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار
امروا بقتال الاقرب منهم فالاقرب كما امر رسول الله اولا بانذار عشيرته
فان الاقرب احق بالشفقة والاستصلاح وقيل هم يهود حوالي المدينة كقريظة

والنضير وخيبر وفدك والروم فانهم كانوا يسكنون الشام وهو قريب من
المدينة وليجدوا فيكم غلظة شدة وصبرا على القتال وقرئ بفتح الغين
وضمها وهما لغتان فيها واعلموا ان الله مع المتقين بالحراسة والاعانة
واذا ما انزلت سورة فمنهم فمن المنافقين من يقول انكارا واستهزاء
ايكم زادته هذه السورة ايمانا وقرئ ايكم بالنصب على اضمار فعل
يفسره زادته فاما الذين امنوا فزادتهم ايمانا بزيادة العلم الحاصل
من تدبر السورة وانضمام الايمان بها وبما فيها الى ايمانهم وهم يستبشرون
بنزولها لانه سبب لزيادة كمالهم وارتفاع درجاتهم واما الذين في
قلوبهم مرض كفر فزادتهم رجسا الى رجسهم كفرا بها مضموما الى الكفر
بغيرها وماتوا وهم كافرون واستحكم ذلك فيهم حتى ماتوا عليه اولا يرون
يعني المنافقين وقرئ بالتاء انهم يفتنون يبتلون باصناف البليات او بالجهاد
مع رسول الله فيعاينون ما يظهر عليه من الايات في كل عام مرة او مرتين
ثم لا يتوبون لا ينتبهون ولا يتوبون من نفاقهم ولا هم يذكرون
ولا يعتبرون واذا ما انزلت سورة نظر بعضهم الى بعض تغامزوا بالعيون
انكارا لها وسخرية او غيظا لما فيها من عيوبهم هل يراكم من احد اي يقولون
هل يراكم احد ان قمتم من حضرة الرسول فان لم يرهم احد قاموا وان يرهم احد
اقاموا ثم انصرفوا عن حضرته مخافة الفضيحة صرف الله قلوبهم عن الايمان
وهو يحتمل الاخبار والدعاء بانهم بسبب انهم قوم لا يفقهون لسوء فهمهم
او عدم تدبرهم لقد جاءكم رسول من انفسكم من جنسكم عربي مثلكم وقرئ
من انفسكم اي من اشرفكم عزيز عليه شديد شاق ما عنتم عنتكم ولقاؤكم
المكروه حريص عليكم اي على ايمانكم وصلاح شانكم بالمؤمنين منكم ومن غيركم
رؤف رحيم قدم الابلغ منهما وهو الرؤف لان الرافة شدة الرحمة محافظة
على الفواصل فان تولوا عن الايمان بك فقل حسبي الله فانه يكفيك معرتهم
ويعينك عليهم لا اله الا هو كالدليل عليه عليه توكلت فلا ارجو ولا اخاف الا
منه وهو رب العرش العظيم الملك العظيم او الجسم الاعظم المحيط الذي تنزل
منه الاحكام والمقادير وقرئ العظيم بالرفع وعن ابي ان اخر ما نزل هاتان
الايتان وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما نزل القران علي الا اية اية وحرفا
حرفا ما خلا سورة براءة وقل هو الله احد فانهما انزلتا علي ومعهما سبعون الف
صف من الملايكة

[illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم الر فخمها ابن كثير ونافع وحفص وامالها الباقون
اجراء لالف الراء مجرى المنقلبة من الياء تلك ايات الكتاب الحكيم اشارة
الى ما تضمنته السورة او القران من الاي والمراد من الكتاب احدهما ووصفه
بالحكيم لاشتماله على الحكم او لانه كلام حكيم او محكم اياته لم ينسخ شيء منها اكان
للناس عجبا استفهام انكار للتعجب وعجبا خبر كان واسمه ان اوحينا وقرئ
بالرفع على ان الامر بالعكس او على ان كان تامة وان اوحينا بدل من عجبا
واللام للدلالة على انهم جعلوه اعجوبة لهم يوجهون نحوه انكارهم واستهزاءهم
الى رجل منهم من افناء رجالهم دون عظيم من عظمائهم قيل كانوا يقولون
العجب ان الله لم يجد رسولا يرسله الى الناس الا يتيم ابي طالب وهو من فرط
حماقتهم وقصور نظرهم على الامور العاجلة وجهلهم بحقيقة الوحي والنبوة
هذا وانه عليه السلام لم يكن يقصر عن عظمائهم فيما يعتبرونه الا في المال وخفة
الحال اعون شيء في هذا الباب ولذلك كان اكثر الانبياء قبله كذلك وقيل
تعجبوا من انه بعث بشرا رسولا كما سبق ذكره في سورة الانعام ان انذر
الناس ان هي المفسرة او المخففة من الثقيلة فتكون في موقع مفعول اوحينا
وبشر الذين امنوا عمم الانذار اذ قلما من احد ليس فيه ما ينبغي ان ينذر منه
وخصص البشارة اذ ليس للكفار ما يصح ان يبشروا به ان لهم بان لهم قدم
صدق عند ربهم سابقة ومنزلة رفيعة سميت قدما لان السبق بها كما
سميت النعمة يدا لانها تعطى باليد واضافتها الى الصدق لتحققها والتنبيه
على انهم انما ينالونها بصدق القول والنية قال الكافرون ان هذا يعنون
الكتاب وما جاء به الرسول لسحر مبين وقرا ابن كثير والكوفيون لساحر على ان
الاشارة الى الرسول وفيه اعتراف بانهم صادفوا من الرسول امورا خارقة
للعادة معجزة اياهم عن المعارضة وقرئ ما هذا الا سحر مبين ان ربكم
الله الذي خلق السموات والارض التي هي اصول الممكنات في ستة
ايام ثم استوى على العرش يدبر الامر يقدر امر الكائنات على ما اقتضت
حكمته وسبقت به كلمته ويهيء بتحريكه اسبابها وينزلها منه والتدبير النظر
في ادبار الامور لتجيء محمودة العاقبة ما من شفيع الا من بعد اذنه

تقرير لعظمته وعز جلاله ورد على من زعم ان آلهتهم تشفع عند الله وفيه
اثبات الشفاعة لمن اذن له ذلكم الله اي الموصوف بتلك الصفات المقتضية
للالوهية والربوبية ربكم لا غير اذ لا يشاركه احد في شيء من ذلك فاعبدوه
وحدوه بالعبادة افلا تذكرون تتفكرون ادنى تفكر فينبهكم على انه
المستحق للربوبية والعبادة لا ما تعبدونه اليه مرجعكم جميعا بالموت
او بالنشور لا الى غيره فاستعدوا للقائه وعد الله مصدر موكد لنفسه لان
قوله اليه مرجعكم وعد من الله حقا مصدر آخر موكد لغيره وهو ما دل
عليه وعد الله انه يبدوا الخلق ثم يعيده بعد بدئه واهلاكه ليجزي
الذين امنوا وعملوا الصالحات بالقسط اي بعدله او بعدالتهم
وقيامهم على العدل في امورهم او بايمانهم لانه العدل القويم كما ان الشرك
ظلم عظيم وهو الاوجه لمقابلته والذين كفروا لهم شراب من حميم
وعذاب اليم بما كانوا يكفرون فان معناه ليجزي الذين كفروا بشراب
من حميم وعذاب اليم بسبب كفرهم لكنه غير النظم للمبالغة في استحقاقهم
للعقاب والتنبيه على ان المقصود بالذات من الابداء والاعادة هو الاثابة
والعقاب واقع بالعرض وانه تعالى يتولى اثابة المومنين بما يليق بلطفه
وكرمه ولذلك لم يعينه واما عقاب الكفرة فكانه داء ساقه اليهم سوء اعتقادهم
وسوء افعالهم والآية كالتعليل لقوله اليه مرجعكم جميعا فانه لما كان المقصود
من الابداء والاعادة مجازاة الله المكلفين على اعمالهم كان مرجع الجميع اليه
لا محالة ويؤيده قراءة من قرا انه يبدا بالفتح اي لانه ويجوز ان يكون منصوبا
او مرفوعا بما نصب وعد الله او بما نصب حقا هو الذي جعل الشمس ضياء
اي ذات ضياء وهو مصدر كقيام او جمع ضوء كسياط وسوط والياء فيه
منقلبة عن الواو وعن ابن كثير ضئاء بهمزتين في كل القران على القلب بتقديم
اللام على العين والقمر نورا اي ذا نور او سمي نورا للمبالغة وهو اعم من
الضوء كما عرفت وقيل ما بالذات ضوء وما بالعرض نور وقد نبه سبحانه
بذلك على انه خلق الشمس نيرة في ذاتها والقمر نيرا بعرض مقابلة الشمس والاكتساب
منها وقدره منازل الضمير لكل واحد اي قدر مسير كل واحد منهما منازل
او قدره ذا منازل او للقمر وتخصيصه بالذكر لسرعة سيره ومعاينة منازله
واناطة احكام الشرع به ولذلك علله بقوله لتعلموا عدد السنين والحساب
وحساب الاوقات من الاشهر والايام في معاملاتكم وتصرفاتكم ما خلق

الله ذلك الا بالحق الا ملتبسا بالحق مراعيا فيه مقتضى الحكمة البالغة يفصل
الآيات لقوم يعلمون فانهم المنتفعون بالتامل فيها وقرا ابن كثير والبصريان
وحفص يفصل بالياء ان في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في
السموات والارض من انواع الكائنات لآيات على وجود الصانع ووحدته
وكمال علمه وقدرته لقوم يتقون العواقب فانه يحملهم على التفكر والتدبر
ان الذين لا يرجون لقاءنا لا يتوقعونه لانكارهم البعث وذهولهم
بالمحسوسات عما وراءها ورضوا بالحيوة الدنيا من الآخرة لغفلتهم
عنها واطمانوا بها وسكنوا اليها مقصرين هممهم على لذائذها وزخارفها
او سكنوا فيها سكون من لا يزعج عنها والذين هم عن آياتنا غافلون
لا يتفكرون فيها لانهماكهم فيما يضادها والعطف اما لتغاير الوصفين
والتنبيه على ان الوعيد على الجمع بين الذهول عن الآيات راسا والانهماك
في الشهوات بحيث لا تخطر الآخرة ببالهم اصلا واما لتغاير الفريقين والمراد
بالاولين من انكر البعث ولم ير الا الحيوة الدنيا وبالآخرين من الهاه حب
العاجل عن التامل في الآجل والاعداد له اولئك ماواهم النار بما
كانوا يكسبون بما واظبوا عليه وتمرنوا به من المعاصي ان الذين امنوا
وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم بسبب ايمانهم الى سلوك
سبيل يؤدي الى الجنة او لادراك الحقائق كما قال عليه السلم من عمل بما
علم ورثه الله علم ما لم يعلم او لما يريده في الجنة ومفهوم الترتيب وان
دل على ان سبب الهداية هو الايمان والعمل الصالح لكن دل منطوق قوله
بايمانهم على استقلال الايمان بالسببية وان العمل الصالح كالتتمة والرديف
له تجري من تحتهم الانهار استيناف او خبر ثان او حال من الضمير
المنصوب على المعنى الاخير وقوله في جنات النعيم خبر او حال آخر منه
او من الانهار او متعلق بتجري او بيهدي دعواهم فيها اي دعاؤهم
سبحانك اللهم اللهم انا نسبحك تسبيحا وتحيتهم ما يحيي به بعضهم
بعضا او تحية الملائكة اياهم فيها سلام وآخر دعواهم آخر دعائهم
ان الحمد لله رب العالمين اي ان يقولوا ذلك ولعل المعنى انهم اذا
دخلوا الجنة وعاينوا عظمة الله وكبريائه مجدوه ونعتوه بنعوت الجلال
ثم حياهم الملئكة بالسلامة عن الآفات والفوز باصناف الكرامات او الله
تعالى فحمدوه واثنوا عليه بصفات الاكرام وان هي المخففة من الثقيلة

وقد قرئ بهما وبنصب الحمد ولو يعجل الله للناس الشر ولو يسرعه اليهم
استعجالهم بالخير وضع موضع تعجيله لهم بالخير اشعارا بسرعة اجابته
لهم في الخير حتى كان استعجالهم به تعجيل لهم او بان المراد شر استعجلوه
كقولهم فامطر علينا حجارة من السما وتقدير الكلام ولو يعجل الله للناس
الشر تعجيله للخير حين استعجلوه استعجالا كاستعجالهم بالخير فحذف منه
ما حذف لدلالة الباقي عليه لقضي اليهم اجلهم لاميتوا واهلكوا وقرا
ابن عامر ويعقوب لقضى على البنا للفاعل وهو الله تعالى وقرئ لقضينا
فنذر الذين لا يرجون لقاءنا في طغيانهم يعمهون عطف على فعل محذوف
دلت عليه الشرطية كانه قيل ولكن لا يعجل ولا يقضي فنذرهم امهالا لهم
واستدراجا واذا مس الانسان الضر دعانا لازالته مخلصا فيه لجنبه
ملقيا لجنبه اي مضطجعا او قاعدا او قايما وفايدة الترديد تعميم الدعا
لجميع الاحوال او لاصناف المضار فلما كشفنا عنه ضره مر مضى على طريقته
واستمر على كفره او مر عن موقف الدعا لا يرجع اليه كان لم يدعنا كانه لم
يدعنا فخفف وحذف ضمير الشان كما قال ونحر مشرق اللون كان ثدياه حقا
الى ضر مسه الى كشف ضر كذلك مثل ذلك التزيين زين للمسرفين ما
كانوا يعملون من الانهماك في الشهوات والاعراض عن العبادات
ولقد اهلكنا القرون من قبلكم يا اهل مكة لما ظلموا حين ظلموا بالتكذيب
واستعمال القوى والجوارح لا على ما ينبغي وجاءتهم رسلهم بالبينات
بالحجج الدالة على صدقهم وهو حال من الواو باضمار قد او عطف على ظلموا وما
كانوا ليؤمنوا وما استقام لهم ان يؤمنوا لفساد استعدادهم وخذلان الله لهم
وعلمه بانهم يموتون على كفرهم واللام لتاكيد النفي كذلك مثل ذلك الجزا
وهو اهلاكهم بسبب تكذيبهم للرسل واصرارهم عليه بحيث تحقق انه لا فايدة
في امهالهم نجزي القوم المجرمين نجزي كل مجرم او نجزيكم فوضع المظهر
موضع المضمر للدلالة على كمال جرمهم وانهم اعلام فيه ثم جعلناكم خلايف
في الارض من بعدهم استخلفناكم فيها بعد القرون التي اهلكناها استخلاف
من يختبر لننظر كيف تعملون اتعملون خيرا او شرا فنعاملكم على مقتضى
اعمالكم وكيف معمول تعملون فان معنى الاستفهام يحجب ان يعمل فيه ما قبله
وفايدته الدلالة على ان المعتبر في الجزا جهات الافعال وكيفياتها لا هي
من حيث ذاتها ولذلك يحسن الفعل تارة ويقبح اخرى واذا تتلى عليهم

اياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا يعني المشركين ايت بقران غير
هذا بكتاب اخر نقراه ليس فيه ما نستبعده من البعث والثواب والعقاب بعد
الموت او ما نكرهه من معايب الهتنا او بدله بان تجعل مكان الاية المشتملة
على ذلك اية اخرى ولعلهم سالوا ذلك كي يسعفهم اليه فيلزموه قل ما يكون
ما يصح لي ان ابدله من تلقاء نفسي من قبل نفسي وهو مصدر استعمل ظرفا
وانما اكتفى بالجواب عن التبديل لاستلزامه امتناعه امتناع الاتيان بقران
اخر ان اتبع الا ما يوحى الي تعليل لما يكون فان المتبع لغيره في امر لم
يستبد بالتصرف فيه بوجه وجواب النقض بنسخ بعض الايات ببعض ورد
للمعرض له بهذا السوال من ان القران كلامه واختراعه ولذلك قيد التبد
في الجواب وسماه عصيانا فقال اني اخاف ان عصيت ربي بالتبديل عذاب ب
يوم عظيم وفيه ايما بانهم استوجبوا العذاب بهذا الاقتراح قل لو شا
الله غير ذلك ما تلوته عليكم ولا ادراكم به ولا اعلمكم به على لساني وعن
ابن كثير ولادراكم بلام التاكيد اي لو شا الله ما تلوته عليكم ولاعلمكم على
لسان غيري والمعنى انه الحق الذي لا محيص عنه لو لم ارسل به لارسل به
غيري وقرئ ولا ادراتكم ولا ادراتكم بالهمزة فيهما على لغة من يقلب الالف
المبدلة من اليا همزة او على انه من الدرء بمعنى الدفع اي ولا جعلتكم بتلاوته
خصما تدرؤونني بالجدال والمعنى ان الامر بمشيئة الله لا بمشيئتي حتى اجعله على
نحو ما تشتهونه ثم قرر ذلك بقوله فقد لبثت فيكم عمرا مقدار عمر اربعين سنة
من قبله من قبل القران لا اتلوه ولا اعلمه فانه اشارة الى ان القران معجز
خارق للعادة فان من عاش بين اظهرهم اربعين سنة لم يمارس فيها علما ولم
يشاهد عالما ولم ينشئ قريضا ولا خطبة ثم قرا عليهم كتابا بذت فصاحته فصاحة ع
كل منطيق وعلا كل منثور ومنظوم واحتوى على قواعد علمي الاصول والفروع
واعرب عن اقاصيص الاولين واحاديث الاخرين على ما هي عليه علم انه معلم
به من الله افلا تعقلون اي افلا تستعملون عقولكم بالتدبر والتفكر لتعلموا
انه ليس الا من الله فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا تفادي مما اضافوا اليه
كناية او تظليم للمشركين بافترائهم على الله في قولهم انه لذو شريك وذو ولد
او كذب باياته فكفر بها انه لا يفلح المجرمون ويعبدون من دون الله
ما لا يضرهم ولا ينفعهم لانه جماد لا يقدر على ضر ولا نفع والمعبود ينبغي
ان يكون مثيبا ومعاقبا حتى تعود عبادته بجلب نفع او دفع ضر ويقولون

هؤلاء الاوثان شفعاؤنا عند الله تشفع لنا فيما يهمنا من امور الدنيا وفي
الآخرة ان يكن بعث وكانهم كانوا شاكين فيه وهذا من فرط جهالتهم حيث
تركوا عبادة الموجد الضار النافع الى عبادة ما يعلم قطعا انه لا يضر ولا
ينفع على توهم انه ربما يشفع لهم عنده قل اتنبئون الله اتخبرونه بما لا يعلم
وهو ان له شريكا وفيه تقريع وتهكم بهم او بهؤلاء شفعاء عنده وما لا يعلمه
العالم بجميع المعلومات لا يكون له تحقق ما في السموات ولا في الارض
حال من العائد المحذوف مؤكدة للنفي منبهة على ان ما تعبدون من دونه
اما سماوي واما ارضي ولا شيء من الموجودات فيهما الا وهو حادث مقهور
مثلكم لا يليق ان يشرك به سبحانه وتعالى عما يشركون عن اشراكهم وعن
الشركاء الذين يشركونهم وما كان الناس الا امة واحدة موحدين
على الفطرة او متفقين على الحق وذلك في عهد آدم عليه السلام الى ان
قتل قابيل هابيل او بعد الطوفان او على الضلال في فترة من الرسل فاختلفوا
باتباع الهوى والاباطيل او ببعثة الرسل فتبعتهم طائفة واصرت اخرى
ولولا كلمة سبقت من ربك بتاخير الحكم بينهم او العذاب الفاصل بينهم
الى يوم القيامة فانه يوم الفصل والجزاء لقضي بينهم عاجلا فيما فيه يختلفون
باهلاك المبطل وابقاء المحق ويقولون لولا انزل عليه آية من ربه اي من
الآيات التي اقترحوها فقل انما الغيب لله هو المختص بعلمه فلعله يعلم في
انزال الآيات المقترحة من مفاسد تصرف عن انزالها فانتظروا لنزول ما
اقترحتموه اني معكم من المنتظرين لما يفعل الله بكم لجحودكم ما انزل
عليه من الآيات العظام واقتراحكم غيره واذا اذقنا الناس رحمة صحة وسعة
من بعد ضراء مستهم كقحط ومرض اذا لهم مكر في آياتنا بالطعن فيها والاحتيال
في دفعها قيل قحط اهل مكة سبع سنين حتى كادوا يهلكون ثم رحمهم بالحيا
فطفقوا يقدحون في آيات الله ويكيدون رسوله قل الله اسرع مكرا منكم
قد دبر عقابكم قبل ان تدبروا كيدكم وانما دل على سرعتهم المفضل عليها كلمة
المفاجأة الواقعة جوابا لاذا الشرطية والمكر اخفاء الكيد وهو من الله اما
الاستدراج او الجزاء على المكر ان رسلنا يكتبون ما تمكرون تحقيق للانتقام
وتنبيه على ان ما دبروا في اخفائه لم يخف على الحفظة فضلا ان يخفى على
الله وعن يعقوب يمكرون بالياء ليوافق ما قبله هو الذي يسيركم يحملكم على
السير ويمكنكم منه في البر والبحر حتى اذا كنتم في الفلك في السفن وجرين

بهم بمن فيها عدل عن الخطاب الى الغيبة للمبالغة كانه تذكره لغيرهم ليتعجب
من حالهم وينكر عليهم بريح طيبة لينة الهبوب وفرحوا بها بتلك الريح جاءتها
جواب اذا والضمير للفلك او للريح الطيبة بمعنى تلقتها ريح عاصف ذات عصف
شديد الهبوب وجاءهم الموج من كل مكان يجيء الموج منه وظنوا انهم احيط
بهم اهلكوا وسدت عليهم مسالك الخلاص لمن احاطت به العدو دعوا الله
مخلصين له الدين من غير اشراك لتراجع الفطرة وزوال المعارض من
شدة الخوف وهو بدل من ظنوا بدل اشتمال لان دعاءهم من لوازم ظنهم
لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين على ارادة القول او مفعول
دعوا لانه من جملة القول فلما انجاهم اجابة لدعائهم اذا هم يبغون في
الارض فاجؤوا الفساد فيها وسارعوا الى ما كانوا عليه بغير الحق مبطلين
فيه وهو احتراز عن تخريب المسلمين ديار الكفرة واحراق زروعهم وقلع اشجارهم
فانها افساد بحق يا ايها الناس انما بغيكم على انفسكم فان وباله عليكم او انه
على امثالكم وابناء جنسكم متاع الحيوة الدنيا منفعة الحياة الدنيا لا تبقى ويبقى
عقابها ورفعه على انه خبر بغيكم وعلى انفسكم صلته او خبر محذوف تقديره
ذلك متاع الحيوة الدنيا او على انفسكم خبر بغيكم ونصبه حفص على انه مصدر
مؤكد اي تتمتعون متاع الحيوة الدنيا او مفعول البغي لانه بمعنى الطلب فيكون الجار
من صلته والخبر محذوف تقديره بغيكم متاع الحيوة الدنيا محذور او ضلال
او مفعول فعل دل عليه البغي وعلى انفسكم خبره ثم الينا مرجعكم في القيامة
فننبئكم بما كنتم تعملون بالجزاء عليه انما مثل الحيوة الدنيا حالها العجيبة في سرعة
تقضيها وذهاب نعيمها بعد اقبالها واغترار الناس بها كماء انزلناه من
السماء فاختلط به نبات الارض فاشتبك بسببه حتى خالط بعضه بعضا
مما ياكل الناس والانعام من الزرع والبقول والحشيش حتى اذا اخذت
الارض زخرفها تزينت باصناف النبات واشكالها والوانها المختلفة كعروس
اخذت من الوان الثياب والزين فتزينت بها وازينت اصله تزينت
فادغم وقد قرئ على الاصل وازينت على افعلت من غير اعلال كاغيلت والمعنى
صارت ذات زينة وازيانت كابياضت وظن اهلها انهم قادرون عليها
متمكنون من حصدها ورفع غلتها اتاها امرنا ضرب زرعها ما يجتاحه ليلا
او نهارا فجعلناها فجعلنا زرعها حصيدا شبيها بما حصد من اصله كان لم
تغن كان لم يغن زرعها اي لم يلبث والمضاف محذوف في الموضعين للمبالغة

وقرى بالياء على الاصل بالامس فيما قبيله وهو مثل في الوقت القريب والممثل
به مضمون الحكاية وهو زوال خضرة النبات فجاة وذهابه حطاما بعدما
كان غضا والتف وزين الارض حتى طمع فيه اهله وظنوا انه قد سلم من الجوائح
لا الماء وان ولي حرف التشبيه لانه من التشبيه المركب كذلك نفصل الآيات
لقوم يتفكرون فانهم المنتفعون به والله يدعو الى دار السلام دار السلامة
من التقضي والآفة او دار الله وتخصيص هذا الاسم ايضا للتنبيه على ذلك او دار
يسلم الله والملائكة فيها على من يدخلها والمراد الجنة ويهدي من يشاء
بالتوفيق الى صراط مستقيم هو طريقها وذلك الاسلام والتدرع بلباس
التقوى وفي تعميم الدعوة وتخصيص الهداية بالمشية دليل على ان الامر غير
الارادة وان المصر على الضلالة لم يرد الله رشده للذين احسنوا الحسنى المثوبة
الحسنى وزيادة وما يزيد على المثوبة تفضلا لقوله ويزيدهم من فضله
وقيل الحسنى مثل حسناتهم والزيادة عشرة امثالها الى سبعمائة ضعف واكثر
وقيل الزيادة مغفرة من الله ورضوان وقيل الحسنى الجنة والزيادة هو اللقاء
ولا يرهق وجوههم لا يغشاها قتر غبرة فيها سواد ولا ذلة هوان والمعنى لا
يرهقهم ما يرهق اهل النار او لا يرهقهم ما يوجب ذلك من حزن وسوء
حال اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون دائمون لا زوال فيها
ولا انقراض لنعيمها بخلاف الدنيا وزخارفها والذين كسبوا السيئات
جزاء سيئة بمثلها عطف على قوله للذين احسنوا الحسنى على مذهب من يجوز
في الدار زيد والحجرة عمرو او الذين مبتدا والخبر جزاء سيئة على تقدير وجزاء
الذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها اي ان تجازى سيئة بسيئة مثلها
لا يزاد عليها وفيه تنبيه على ان الزيادة هي الفضل او التضعيف او كانما
اغشيت او اولئك اصحاب النار وما بينهما اعتراض فجزاء سيئة مبتدا خبره
محذوف اي فجزاء سيئة بمثلها واقع او بمثلها على زيادة الباء او تقدير مقدر
بمثلها وترهقهم ذلة وقرئ بالياء ما لهم من الله من عاصم ما من احد يعصمهم
من سخط الله او من جهة الله ومن عنده كما يكون للمومنين كانما اغشيت وجوههم
قطعا من الليل مظلما لفرط سوادها وظلمتها ومظلما حال من الليل والعامل
فيه اغشيت لانه العامل في قطعا وهو موصوف بالجار والمجرور والعامل في
الموصوف عامل في الصفة او معنى الفعل في من الليل وقرا ابن كثير والكسائي
ويعقوب قطعا بالسكون وعلى هذا يصح ان يكون مظلما صفة له او حالا منه

اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون مما يحتج به الوعيدية والجواب
ان الآية في الكفار لاشتمال السيئات على الشرك والكفر ولان الذين احسنوا
يتناول اصحاب الكبيرة من اهل القبلة فلا يتناولهم قسيمه ويوم نحشرهم
جميعا يعني الفريقين جميعا ثم نقول للذين اشركوا مكانكم الزموا مكانكم حتى
تنظروا ما يفعل بكم انتم تاكيد للضمير المنتقل اليه من عامله وشركاؤكم
عطف عليه وقرئ بالنصب على المفعول معه فزيلنا بينهم ففرقنا بينهم
وقطعنا الوصل التي كانت بينهم وقال شركاؤهم ما كنتم ايانا تعبدون مجاز
عن براءة ما عبدوه من عبادتهم وانهم انما عبدوا في الحقيقة اهواءهم لانها الآمرة
بالاشراك لا ما اشركوا به وقيل ينطق الله الاصنام فتشافههم بذلك مكان الشفاعة
التي توقعوا منها وقيل المراد بالشركاء الملائكة والمسيح وقيل الشياطين فكفى
بالله شهيدا بيننا وبينكم فانه العالم بكنه الحال ان كنا عن عبادتكم لغافلين
ان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة هنالك في ذلك المقام تبلو كل
نفس ما اسلفت تختبر ما قدمت من عمل فتعاين نفعه وضره وقرا حمزة
والكسائي تتلو من التلاوة اي تقرا ذكر ما قدمت او من التلو اي تتبع عمله فيقوده
الى الجنة او الى النار وقرئ نبلو بالنون ونصب كل وابدال ما منه والمعنى
نختبرها اي نفعل بها فعل المختبر لحالها المتعرف لسعادتها وشقاوتها
بتعرف ما اسلفت من اعمالها ويجوز ان يراد نصيب بالبلاء اي العذاب كل
نفس عاصية بسبب ما اسلفت من الشر فيكون ما منصوبا بنزع الخافض
وردوا الى الله الى جزائه اياهم بما اسلفوا مولاهم الحق ربهم ومتولي امرهم
على الحقيقة لا ما اتخذوه مولى وقرئ الحق بالنصب على المدح او المصدر المؤكد
وضل عنهم وضاع عنهم ما كانوا يفترون من ان آلهتهم تشفع لهم او ما
كانوا يدعون انها آلهة قل من يرزقكم من السماء والارض اي منهما جميعا
فان الارزاق تحصل باسباب سماوية ومواد ارضية او من كل واحد منهما
توسعة عليكم وقيل من لبيان من على حذف المضاف اي من اهل السماء والارض
امن يملك السمع والابصار امن يستطيع خلقهما وتسويتهما او من يحفظهما
من الآفات مع كثرتها وسرعة انفعالهما من ادنى شيء ومن يخرج الحي من
الميت ويخرج الميت من الحي ومن يحيي ويميت ومن ينشئ الحيوان من النطفة
والنطفة منه ومن يدبر الامر ومن يلي تدبير امر العالم وهو تعميم بعد تخصيص
فسيقولون الله اذ لا يقدرون على المكابرة والعناد في ذلك لفرط وضوحه

فقل افلا تتقون انفسكم عقابه باشراككم اياه ما لا يشاركه في شي من ذلك
فذلكم الله ربكم الحق اي المتولي لهذه الامور المستحق للعبادة هو ربكم الثابت
ربوبيته لانه الذي انشاكم واحياكم ورزقكم ودبر اموركم فماذا بعد الحق
الا الضلال استفهام انكار اي ليس بعد الحق الا الضلال فمن تخطى الحق
الذي هو عبادة الله وقع في الضلال فانى تصرفون عن الحق الى الضلال
كذلك حقت كلمة ربك اي كما حقت الربوبية لله او ان الحق بعده الضلال
او انهم مصروفون عن الحق حقت كلمة الله وحكمه على الذين فسقوا تمردوا في كفرهم
وخرجوا عن حد الاستصلاح انهم لا يؤمنون بدل من الكلمة او تعليل لحقيتها
والمراد بها العدة بالعذاب قل هل من شركائكم من يبدو الخلق ثم
يعيده جعل الاعادة كالابدا في الالزام بها لظهور برهانها وان لم يساعد
عليها ولذلك امر الرسول بان ينوب عنهم في الجواب فقال قل الله يبدو
الخلق ثم يعيده لان لجاجهم لا يدعهم ان يعترفوا بها فانى تؤفكون تصرفون
عن قصد السبيل قل هل من شركائكم من يهدي الى الحق بنصب الحجج وارسال
الرسل والتوفيق للنظر والتدبر وهدى كما يعدى بالى لتضمنه معنى الانتهاء يعدى
باللام للدلالة على ان المنتهى غاية الهداية وانها لم تتوجه نحوه على سبيل الاتفاق
ولذلك عدي بها ما اسند الى الله قل الله يهدي للحق افمن يهدي الى الحق
احق ان يتبع امن لا يهدي الا ان يهدى ام الذي لا يهتدي الا ان يهدى
من قولهم هدى بنفسه اذا اهتدى او لا يهدي غيره الا ان يهديه وهذا حال
اشراف شركائهم كالملائكة والمسيح وعزير وقرا ابن كثير وورش عن نافع وابن
عامر يهدي بفتح الهاء وتشديد الدال ويعقوب وحفص بالكسر والتشديد والاصل
يهتدي فادغم وفتحت الهاء بحركة التاء او كسرت لالتقاء الساكنين وروى ابو بكر
يهدي باتباع الياء الهاء وقرا ابو عمرو بالادغام المجرد ولم يبال بالتقاء الساكنين
لان المدغم في حكم المتحرك وعن نافع مثله وقرئ الا ان يهدى على المبالغة
فما لكم كيف تحكمون بما يقتضي صريح العقل بطلانه وما يتبع اكثرهم فيما يعتقدونه
الا ظنا مستندا الى خيالات فارغة واقيسة فاسدة كقياس الغائب على الشاهد
والخالق على المخلوق بادنى مشاركة موهومة والمراد بالاكثر الجميع او من ينتمي
منهم الى تمييز ونظر ولا يرضى بالتقليد الصرف ان الظن لا يغني من الحق
من العلم والاعتقاد الحق شيا من الاغناء ويجوز ان يكون مفعولا به ومن
الحق حالا منه وفيه دليل على ان تحصيل العلم في الاصول واجب والاكتفا

بالتقليد والظن غير جائز ان الله عليم بما يفعلون وعيد على اتباعهم للظن
واعراضهم عن البرهان وما كان هذا القران ان يفترى من دون الله افترا
من الخلق ولكن تصديق الذي بين يديه مطابق لما تقدمه من الكتب
الالهية المشهود على صدقها ولا يكون كذبا كيف وهو لكونه معجزا دونها عيار
عليها شاهد على صحتها ونصبه بانه خبر لكان مقدرا او علة لفعل محذوف
تقديره لكن انزله الله تصديق الذي وقرئ بالرفع على تقدير ولكن هو تصديق
وتفصيل الكتاب وتفصيل ما حقق واثبت من العقايد والشرايع لا ريب
فيه منتفيا عنه الريب وهو خبر ثالث داخل في حكم الاستدراك ويجوز ان
يكون حالا من الكتاب فانه مفعول في المعنى وان يكون استينافا من رب
العالمين خبر اخر تقديره كائنا من رب العالمين او متعلق بتصديق او بتفصيل
ولا ريب فيه اعتراض او بالفعل المعلل بهما ويجوز ان يكون حالا من الكتاب
او الضمير في فيه ومساق الاية بعد المنع عن اتباع الظن لبيان ما يجب اتباعه
والبرهان عليه ام يقولون بل ايقولون افتراه محمد ومعنى الهمزة فيه الانكار
قل فاتوا بسورة مثله في البلاغة وحسن النظم وقوة المعنى على وجه الافترا
فانكم مثلي في العربية والفصاحة واشد تمرنا في النظم والعبارة وادعوا
من استطعتم ومع ذلك فاستعينوا بمن امكنكم ان تستعينوا به من دون الله
سوى الله تعالى فانه وحده قادر على ذلك ان كنتم صادقين انه اختلقه
بل كذبوا بل سارعوا الى التكذيب بما لم يحيطوا بعلمه بالقران اول ما سمعوه
قبل ان يتدبروا اياته ويحيطوا بالعلم بشانه او بما جهلوه ولم يحيطوا به علما
من ذكر البعث والجزا وساير ما يخالف دينهم ولما ياتهم تاويله ولم يقفوا
بعد على تاويله ولم يبلغ اذهانهم معانيه او ولم ياتهم بعد تاويل ما فيه من
الاخبار بالغيوب حتى يتبين لهم انه صدق ام كذب والمعنى ان القران معجز
من جهة اللفظ والمعنى ثم انهم فاجوا تكذيبه قبل ان يتدبروا نظمه ويتفحصوا
معناه ومعنى التوقع في لما انه قد ظهر لهم بالاخرة اعجازه لما كرر عليهم التحدي
فرازوا قواهم في معارضته فتضاءلت دونها او لما شاهدوا وقوع ما اخبر به
طبقا لاخباره مرارا فلم يقلعوا عن التكذيب تمردا وعنادا كذلك كذب
الذين من قبلهم انبياهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين فيه وعيد لهم
بمثل ما عوقب به من قبلهم ومنهم ومن المكذبين من يؤمن به من يصدق به
في نفسه ويعلم انه حق ولكن يعاند او من سيؤمن به ويتوب عن كفره ومنهم من

ومن يؤمن به في نفسه لفرط غباوته وقلة تدبره او فيما يستقبل بل يموت على
الكفر وربك اعلم بالمفسدين بالمعاندين او بالمصرين وان كذبوك
فان اصروا على تكذيبك بعد الزام الحجة فقل لي عملي ولكم عملكم فتبرأ
منهم فقد اعذرت والمعنى لي جزاء عملي ولكم جزاء عملكم حقا كان او باطلا انتم
بريئون مما اعمل وانا بريء مما تعملون لا تؤاخذون بعملي ولا اؤاخذ بعملكم
ولما فيه من ايهام الاعراض عنهم وتخلية سبيلهم قيل انه منسوخ باية السيف
ومنهم من يستمعون اليك اذا قرأت القرآن وعلمت الشرائع ولكن لا يقبلون
كالاصم الذي لا يسمع اصلا افانت تسمع الصم تقدر على اسماعهم ولو
كانوا لا يعقلون ولو انضم الى صممهم عدم تعقلهم وفيه تنبيه على ان
حقيقة استماع فهم المعنى المقصود ولذلك لا يوصف به البهائم وهو لا
يتأتى الا باستعمال العقل السليم في تدبره وعقولهم لما كانت ماوفة بمعارضة
الوهم ومتابعة الالف والتقليد تعذر افهامهم الحكم والمعاني الدقيقة
فلم ينتفعوا بسرد الالفاظ عليهم غير ما ينتفع به البهائم من كلام الناعق
ومنهم من ينظر اليك ويعاينون دلائل نبوتك ولكن لا يصدقون
افانت تهدي العمي تقدر على هدايتهم ولو كانوا لا يبصرون وان
انضم الى عدم البصر عدم البصيرة فان المقصود من الابصار هو الاعتبار
والاستبصار والعمدة في ذلك البصيرة ولذلك يحدس الاعمى المستبصر
ويتفطن لما لا يدركه البصير الاحمق والاية كالتعليل للامر بالتبري والاعراض
عنهم ان الله لا يظلم الناس شيئا بسلب حواسهم وعقولهم ولكن الناس
انفسهم يظلمون بافسادها وتفويت منافعها عليها وفيه دليل على ان للعبد
كسبا وانه ليس مسلوب الاختيار بالكلية كما زعمت المجبرة ويجوز ان يكون
وعيدا لهم بمعنى ان ما يحيق بهم يوم القيامة من العذاب عدل من الله لا يظلمهم
به ولكنهم ظلموا انفسهم باقتراف اسبابه ويوم يحشرهم كان لم يلبثوا
الا ساعة من النهار يستقصرون مدة لبثهم في الدنيا او القبور لهول ما
يرون والجملة التشبيهية في موقع الحال اي يحشرهم مشبهين بمن لم يلبث الا
ساعة او صفة ليوم والعائد محذوف تقديره كان لم يلبثوا قبله او لمصدر
محذوف اي حشرا كان لم يلبثوا قبله يتعارفون بينهم يعرف بعضهم بعضا
كانهم لم يتفارقوا الا قليلا وهذا اول ما نشروا ثم ينقطع التعارف لشدة
الامر عليهم وهو حال اخرى مقدرة او بيان لقوله كان لم يلبثوا او متعلق

الظرف

الظرف والتقدير يتعارفون يوم يحشرهم قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله
شهادة على خسرانهم والتعجب منه ويجوز ان يكون حالا من الضمير في يتعارفون
على ارادة القول وما كانوا مهتدين لطرق استعمال ما منحوا من المعاون في
تحصيل المعارف فاستكسبوا بها جهالات ادت بهم الى الردى والعذاب
الدائم واما نرينك نبصرنك بعض الذي نعدهم من العذاب كما اراه يوم
بدر او نتوفينك قبل ان نريك فالينا مرجعهم فنريكه في الاخرة وهو جواب
نتوفينك وجواب نرينك محذوف مثل فذاك ثم الله شهيد على ما يفعلون مجاز
عليه ذكر الشهادة واراد نتيجتها ومقتضاها ولذلك رتبها على الرجوع
بثم او مؤد شهادته على افعالهم يوم القيمة ولكل امة من الامم الماضية
رسول يبعث اليهم ليدعوهم الى الحق فاذا جاء رسولهم بالبينات فكذبوه
قضي بينهم بين الرسول ومكذبيه بالقسط بالعدل فانجي الرسول واهلك
المكذبون وهم لا يظلمون وقيل معناه لكل يوم القيامة رسول ينسب اليه فاذا
جاء رسولهم الموقف ليشهد عليهم بالكفر والايمان قضي بينهم بانجاء المؤمن
وعقاب الكافر لقوله وجيء بالنبيين والشهداء وقضي بينهم ويقولون متى
هذا الوعد استبعادا له واستهزاء به ان كنتم صادقين خطاب للنبي والمؤمنين
قل لا املك لنفسي ضرا ولا نفعا فكيف املك لكم فاستعجل في جلب العذاب
اليكم الا ما شاء الله ان املكه او لكن ما شاء الله من ذلك كائن لكل امة
اجل مضروب لهلاكهم اذا جاء اجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون
لا يتأخرون ولا يتقدمون فلا تستعجلوا فسيحين وقتكم وينجز وعدكم
قل ارايتم ان اتاكم عذابه الذي تستعجلون به بياتا وقت بيات واشتغال
بالنوم او نهارا حين كنتم مشتغلين بطلب معاشكم ماذا يستعجل منه المجرمون
اي شيء من العذاب يستعجلونه وكله مكروه لا يلائم الاستعجال وهو متعلق
بارايتم لانه بمعنى اخبروني والمجرمون وضع موضع الضمير للدلالة على انهم
لجرمهم ينبغي ان يفزعوا من مجيء الوعد لا ان يستعجلوه وجواب الشرط محذوف
وهو تندموا على الاستعجال او عرفوا خطاه ويجوز ان يكون الجواب ماذا كقولك
ان اتيتك ماذا تعطيني وتكون الجملة متعلقة بارايتم او بقوله اثم اذا ما وقع
امنتم به بمعنى ان اتاكم عذابه امنتم به بعد وقوعه حين لا ينفعكم الايمان
وماذا يستعجل اعتراض ودخول حرف الاستفهام على ثم لانكار التاخير الان
على ارادة القول اي قيل لهم اذا امنوا بعد وقوع العذاب الان امنتم به وعن

منهم

نافع الآن بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وقد كنتم به تستعجلون
تكذيبا واستهزاء ثم قيل للذين ظلموا عطف على قيل المقدر وذوقوا عذاب
الخلد المؤلم على الدوام هل تجزون الا بما كنتم تكسبون من الكفر والمعاصي
ويستنبئونك ويستخبرونك احق هو احق ما تقول من الوعد وادعاء
النبوة تقوله بجد ام باطل تهزل به قاله حيي بن اخطب لما قدم مكة والاظهر
ان الاستفهام فيه على اصله لقوله ويستنبئونك وقيل انه للانكار ويؤيده
انه قرئ آلحق هو فان فيه تعريضا بانه باطل والحق مبتدأ والضمير مرتفع به
ساد مسد الخبر او خبر مقدم والجملة في موضع النصب بيستنبئونك قل
اي وربي انه لحق ان العذاب لكائن او ما ادعاه لثابت وقيل كلا
الضميرين للقرآن واي بمعنى نعم وهو من لوازم القسم ولذلك يوصل بواو
في التصديق فيقال اي والله ولا يقال اي وحده وما انتم بمعجزين فائتين
العذاب ولو ان لكل نفس ظلمت بالشرك او التعدي على الغير ما في
الارض من خزائنها واموالها لافتدت به لجعلته فدية لها من العذاب
من قولهم افتداه بمعنى فداه واسروا الندامة لما رأوا العذاب لانهم
بهتوا لما عاينوا مما لم يحتسبوه من فظاعة الامر وهوله فلم يقدروا ان
ينطقوا وقيل اسروا الندامة اخلصوها لان اخفاءها اخلاصها او لانه
يقال سر الشيء لخالصه من حيث انها تخفى ويضن بها وقيل اظهروها
من قولهم اسر الشيء واسره اذا اظهره وقضي بينهم بالقسط وهم لا يظلمون
ليس تكريرا لان الاول قضاء بين الانبياء ومكذبيهم والثاني مجازاة المشركين
على الشرك او الحكومة بين الظالمين والمظلومين والضمير انما يتناولهم
لدلالة الظلم عليهم الا ان لله ما في السموات والارض تقرير لقدرته
تعالى على الاثابة والعقاب الا ان وعد الله حق ما وعده من الثواب
والعقاب كائن لا خلف فيه ولكن اكثرهم لا يعلمون لانهم لا يعلمون لقصور
عقلهم الا ظاهرا من الحيوة الدنيا هو يحيي ويميت في الدنيا فهو يقدر
عليهما في العقبى لان القادر لذاته لا يزول قدرته والمادة القابلة بالذات
للحيوة والموت قابلة لهما ابدا واليه ترجعون بالموت او النشور يا ايها
الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى و
رحمة للمؤمنين اي قد جاءكم كتاب جامع للحكمة العملية الكاشفة عن محاسن
الاعمال ومقابحها المرغبة في المحاسن والزاجرة عن المقابح والحكمة النظرية

التي هي شفاء لما في الصدور من الشكوك وسوء الاعتقاد وهدى الى الحق
واليقين ورحمة للمؤمنين حيث انزلت عليهم فنجوا بها من ظلمات الضلال الى
نور الايمان وتبدلت مقاعدهم من طبقات النيران بمصاعد من درجات
الجنان والتنكير فيها للتعظيم قل بفضل الله وبرحمته بانزال القرآن
والباء متعلقة بفعل يفسره قوله فبذلك فليفرحوا فان اسم الاشارة بمنزلة
الضمير تقديره بفضل الله وبرحمته فليعتنوا او فليفرحوا فبذلك فليفرحوا
وفائدة ذلك التكرير التاكيد والبيان بعد الاجمال وايجاب اختصاص الفضل
والرحمة بالفرح او بفعل دل عليه قد جاءتكم وذلك اشارة الى مصدره اي
فبمجيئها فليفرحوا والفاء بمعنى الشرط كانه قيل ان فرحوا بشيء فبهما ليفرحوا
او للربط بما قبلها والدلالة على ان مجيء الكتاب الجامع بين هذه الصفات موجب
للفرح وتكريرها للتاكيد كقوله فاذا هلكت فعند ذلك فاجزعي وعن يعقوب
فلتفرحوا بالتاء على الاصل المرفوض وقد روي مرفوعا ويؤيده انه قرئ فافرحوا
هو خير مما يجمعون من حطام الدنيا فانها الى الزوال وهو ضمير ذلك وقرأ
ابن عامر تجمعون على معنى فبذلك فليفرح المؤمنون فهو خير مما تجمعونه ايها
المخاطبون قل ارأيتم ما انزل الله لكم من رزق جعل الرزق منزلا لانه
مقدر في السماء محصل باسباب منها وما في موضع النصب بانزل او بارأيتم
فانه بمعنى اخبروني ولكم دل على ان المراد منه ما حل ولذلك وبخ على التبعيض
فقال فجعلتم منه حراما وحلالا مثل هذه انعام وحرث حجر ما في بطون
هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا قل الله اذن لكم في التحريم
والتحليل فتقولون ذلك بحكمه ام على الله تفترون في نسبة ذلك اليه ويجوز
ان تكون المنفصلة متصلة بارأيتم وقل مكرر للتاكيد وان يكون الاستفهام
للانكار وام منقطعة ومعنى الهمزة فيها تقرير لافترائهم على الله وما ظن
الذين يفترون على الله الكذب اي شيء ظنهم يوم القيمة ايحسبون ان لا
يجازوا عليه وهو منصوب بالظن ويدل عليه انه قرئ بلفظ الماضي لانه كائن
وفي ابهام الوعيد تهديد عظيم ان الله لذو فضل على الناس حيث انعم
عليهم بالعقل وهداهم بارسال الرسل وانزال الكتب ولكن اكثرهم لا يشكرون
هذه النعمة وما تكون في شان ولا تكون في امر واصله الهمز من شأنت شأنه
اذا قصدت قصده والضمير في وما تتلو منه له لان تلاوة القرآن معظم شأن
الرسول او لان القراءة تكون لشأن فيكون التقدير من اجله ومفعول تتلو

من قرآن على ان من تبعيضية مزيدة لتاكيد النفي او للقرآن واضماره قبل الذكر
ثم بيانه تفخيم له او لله ولا تعملون من عمل تعميم للخطاب بعد تخصيصه بمن هو
راسهم ولذلك ذكر حيث خص ما فيه فخامة وذكر حيث عم ما يتناول الجليل
والحقير الا كنا عليكم شهودا رقباء مطلعين عليه اذ تفيضون فيه تخوضون
وتندفعون وما يعزب عن ربك ولا يبعد عنه ولا يغيب عن علمه وقرا
الكسائي بكسر الزاي من مثقال ذرة موازن نملة صغيرة او هباء في الارض
ولا في السماء اي في الوجود والامكان فان العامة لا تعرف ممكنا غيرهما
ليس فيهما ولا متعلقا بهما وتقديم الارض لان الكلام في حال اهلها والمقصود
منه البرهان على احاطة علمه بها ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا في
كتاب مبين كلام برأسه مقرر لما قبله ولا نافية واصغر اسمها وفي كتاب خبرها
وقرأ حمزة ويعقوب بالرفع على الابتداء والخبر ومن عطف على مثقال ذرة وجعل
الفتح بدل الكسر لامتناع الصرف او على محله مع الجار جعل الاستثناء منقطعا
والمراد بالكتاب اللوح المحفوظ الا ان اولياء الله الذين يتولونه بالطاعة
ويتولاهم بالكرامة لا خوف عليهم من لحوق مكروه ولا هم يحزنون بفوات
مأمول والاية مجملة فسره قوله الذين امنوا وكانوا يتقون وقيل الذين
امنوا وكانوا يتقون بيان لتوليهم لهم البشرى في الحيوة وهو ما بشر به المتقين
في كتابه وعلى لسان نبيه وما يريهم من الرؤيا الصالحة وما يسنح لهم
من المكاشفات وبشرى الملائكة عند النزع وفي الاخرة بتلقي الملائكة
اياهم مسلمين مبشرين بالفوز والكرامة بيان لتوليه لهم ومحل الذين امنوا
النصب او الرفع على المدح او على وصف الاولياء او على الابتداء وخبره لهم البشرى
لا تبديل لكلمات الله لا تغيير لاقواله ولا اخلاف لمواعيده ذلك اشارة
الى كونهم مبشرين في الدارين هو الفوز العظيم هذه الجملة والتي قبلها
اعتراض لتحقيق المبشر به وتعظيم شأنه وليس من شرطه ان يقع بعده كلام
يتصل بما قبله ولا يحزنك قولهم اشراكهم وتكذيبهم وتهديدهم وقرأ
نافع يحزنك من احزنه وكلاهما بمعنى ان العزة لله جميعا استئناف بمعنى
التعليل ويدل عليه القراءة بالفتح كأنه قيل لا تحزن بقولهم ولا تبال بهم
لان الغلبة لله جميعا لا يملك غيره شيئا منها فهو يقهرهم وينصرك عليهم هو
السميع لاقوالهم العليم بعزماتهم فيكافئهم عليها الا ان لله من في السموات
ومن في الارض من الملائكة والثقلين واذا كان هؤلاء الذين هم اشرف

الممكنات

الممكنات عبيد لا يصلح احد منهم للربوبية فما لا يعقل منها احق ان لا يكون
له ندا او شريكا فهو كالدليل على قوله وما يتبع الذين يدعون من دون
الله شركاء اي شركاء على الحقيقة وان كانوا يسمونها شركاء ويجوز ان تكون
شركاء مفعول يدعون ومفعول يتبع محذوف دل عليه ان يتبعون الا الظن
اي ما يتبعون يقينا وانما يتبعون ظنهم انها شركاء ويجوز ان تكون ما استفهامية
منصوبة بيتبع وموصولة معطوفة على من وقرئ تدعون بالتاء والمعنى اي شيء
يتبع الذين تدعونهم شركاء من الملائكة والنبيين اي انهم لا يتبعون الا الله
ولا يعبدون غيره فما لكم لا تتبعونهم فيه كقوله اولئك الذين يدعون يبتغون
الى ربهم الوسيلة فيكون الزاما بعد برهان وما بعده مصروف عن خطابهم
لبيان سندهم ومنشأ رأيهم وان هم الا يخرصون يكذبون فيما ينسبون الى
الله او يحزرون ويقدرون انها شركاء تقديرا باطلا هو الذي جعل لكم
الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا تنبيه على كمال قدرته وعظيم نعمته
المتوحد هو بها ليدلهم على تفرده باستحقاق العبادة وانما قال مبصرا ولم يقل
لتبصروا فيه تفرقة بين الظرف المجرد والظرف الذي هو سبب ان في ذلك
لايات لقوم يسمعون سماع تدبر واعتبار قالوا اتخذ الله ولدا اي
تبناه سبحانه تنزيه له عن التبني فانه لا يصح الا ممن يتصور له الولد وتعجب من كلمتهم
الحمقاء هو الغني علة لتنزيهه فان اتخاذ الولد مسبب عن الحاجة له ما
في السموات وما في الارض تقرير لغناه ان عندكم من سلطان بهذا
نفي لمعارض ما اقامه من البرهان مبالغة في تجهيلهم وتحقيقا لبطلان قولهم وبهذا
متعلق بسلطان او نعت له او بعندكم كانه قيل ان عندكم في هذا سلطان
اتقولون على الله ما لا تعلمون توبيخ وتقريع على اختلاقهم وجهلهم وفيه
دليل على ان كل قول لا دليل عليه فهو جهالة وان العقائد لا بد لها من قاطع
وان التقليد فيها غير سائغ قل ان الذين يفترون على الله الكذب باتخاذ
الولد واضافة الشريك اليه لا يفلحون لا ينجون من النار ولا يفوزون
بالجنة متاع في الدنيا خبر مبتدأ محذوف اي افتراؤهم متاع في الدنيا يقيمون
به رياستهم في الكفر او حياتهم او تقلبهم متاع او مبتدأ خبره محذوف اي لهم
تمتع في الدنيا ثم الينا مرجعهم بالموت فيلقون الشقاء المؤبد ثم نذيقهم العذاب
الشديد بما كانوا يكفرون بسبب كفرهم واتل عليهم نبأ نوح خبره مع
قومه اذ قال لقومه يا قوم ان كان كبر عليكم عظم عليكم وشق مقامي

نفسي كقولك فعلت كذا لمكان فلان او كوني واقامتي بينكم مدة مديدة او قيامي
على الدعوة وتذكيري اياكم بايات الله فعلى الله توكلت وثقت به فاجمعوا
امركم فاعزموا عليه وشركاءكم اي مع شركائكم ويؤيده القراءة بالرفع
عطفا على الضمير المتصل وجاز من غير ان يؤكد للفصل وقيل انه معطوف على
امركم بحذف المضاف اي وامر شركائكم وقيل انه منصوب بفعل محذوف
تقديره وادعوا شركاءكم وقد قرئ به وعن نافع فاجمعوا من الجمع والمعنى امرهم
بالعزم او الاجتماع على قصده والسعي في اهلاكه على اي وجه يمكنهم ثقة
بالله وقلة مبالاة بهم ثم لا يكن امركم في قصدي عليكم غمة مستورا واجعلوه
ظاهرا مكشوفا من غمه اذا ستره او ثم لا يكن حالكم عليكم غما اذا اهلكتموني
وتخلصتم عن ثقل مقامي وتذكيري ثم اقضوا ادوا الي ذلك الامر الذي
تريدون بي وقرئ ثم افضوا بالفاء اي انتهوا الي بشركم او ابرزوا الي من
افضى اذا خرج الى الفضاء ولا تنظرون ولا تمهلوني فان توليتم اعرضتم
عن تذكيري فما سألتكم من اجر يوجب توليكم لثقله عليكم واتهامكم اياي
لاجله او يفوتني بتوليكم ان اجري ما ثوابي على الدعوة والتذكير الا على
الله لا تعلق له بكم يثيبني به امنتم او توليتم وامرت ان اكون من المسلمين
المنقادين لحكمه لا اخالف امره ولا ارجو غيره فكذبوه فاصروا على تكذيبه
بعد ما الزمهم الحجة وبين ان توليهم ليس الا لعنادهم وتمردهم لا جرم حقت
عليهم كلمة العذاب فنجيناه من الغرق ومن معه في الفلك وكانوا ثمانين
وجعلناهم خلائف من الهالكين واغرقنا الذين كذبوا باياتنا بالطوفان
فانظر كيف كان عاقبة المنذرين تعظيم لما جرى عليهم وتحذير لمن كذب
الرسول وتسلية له ثم بعثنا ارسلنا من بعده من بعد نوح رسلا الى قومهم
كل رسول الى قومه فجاؤهم بالبينات بالمعجزات الواضحة المبينة لدعواهم
فما كانوا ليؤمنوا فما استقام لهم ان يؤمنوا لشدة شكيمتهم في الكفر وخذلان
الله اياهم بما كذبوا به من قبل اي بسبب تعودهم تكذيب الحق وتمرنهم
عليه قبل بعثة الرسل كذلك نطبع على قلوب المعتدين بخذلانهم لانهماكهم
في الضلال واتباع المالوف وفي امثال ذلك دليل على ان الافعال واقعة
بقدرة الله وكسب العبد وقد مر تحقيقه ثم بعثنا من بعدهم من بعد هؤلاء الرسل
موسى وهرون الى فرعون وملائه باياتنا بالايات التسع فاستكبروا
عن اتباعها وكانوا قوما مجرمين معتادين الاجرام فلذلك تهاونوا

برسالة

هـ

برسالة ربهم واجترؤوا على ردها فلما جاءهم الحق من عندنا وعرفوه بتظاهر
المعجزات القاهرة المزيحة للشك قالوا من فرط تمردهم ان هذا لسحر مبين
ظاهر انه سحر او فائق في فنه واضح فيما بين اخوانه قال موسى اتقولون للحق
لما جاءكم انه لسحر فحذف المحكي المقول لدلالة ما قبله عليه ولا يجوز ان يكون
اسحر هذا لانهم بتوا القول بل هو استئناف بانكار ما قالوه اللهم الا ان يكون
الاستفهام فيه للتقرير والمحكي مفهوم قولهم ويجوز ان يكون معنى اتقولون
للحق اتعيبونه من قولهم فلان يخاف القالة كقوله سمعنا فتى يذكرهم فيستغنى
عن المفعول ولا يفلح الساحرون من تمام كلام موسى للدلالة على انه ليس
بسحر فانه لو كان سحرا لاضمحل ولم يبطل سحر السحرة ولان العالم بانه لا يفلح الساحر
لا يسحر او من تمام قولهم ان جعل اسحر هذا محكيا كانهم قالوا اجئتنا بالسحر
تطلب به الفلاح ولا يفلح الساحرون قالوا اجئتنا لتلفتنا لتصرفنا واللفت
والفتل اخوان عما وجدنا عليه اباءنا من عبادة الاصنام وتكون لكما
الكبرياء في الارض الملك فيها سمي بها لاتصاف الملوك بالكبر او التكبر على الناس
باستتباعهم وما نحن لكما بمؤمنين بمصدقين فيما جئتما به وقال فرعون
ائتوني بكل ساحر وقرأ حمزة والكسائي بكل سحار عليم حاذق فيه فلما
جاء السحرة قال لهم موسى القوا ما انتم ملقون فلما القوا قال موسى ما
جئتم به السحر اي الذي جئتم به هو السحر لا ما سماه فرعون وقومه سحرا وقرأ
ابو عمرو آلسحر على ان ما استفهامية مرفوعة بالابتداء وجئتم به خبرها
وآلسحر بدل منه او خبر مبتدأ محذوف تقديره اهو السحر او مبتدأ خبره محذوف
اي السحر ويجوز ان ينتصب ما بفعل يفسره ما بعده تقديره اي شيء اتيتم
ان الله سيبطله سيمحقه او سيظهر بطلانه ان الله لا يصلح عمل المفسدين
لا يثبته ولا يقويه وفيه دليل على ان السحر افساد وتمويه لا حقيقة له
ويحق الله الحق ويثبته بكلماته باوامره وقضاياه وقرئ بكلمته ولو كره
المجرمون ذلك فما آمن لموسى في مبدأ امره الا ذرية من قومه الا اولاد
من اولاد قومه بني اسرائيل دعاهم فلم يجيبوه خوفا من فرعون الا طائفة من
شبانهم وقيل الضمير لفرعون والذرية طائفة من شبانهم آمنوا به ومؤمن
آل فرعون وامرأته آسية وخازنه وزوجته وماشطته على خوف من فرعون
وملائهم اي مع خوف منهم والضمير لفرعون وجمعه على ما هو المعتاد في
ضمير العظماء او على ان المراد بفرعون آله كما يقال ربيعة ومضر وللذرية

او للقوم ان يفتنهم ان يعذبهم فرعون وهو بدل منه او مفعول خوف وافراده
بالضمير للدلالة على ان الخوف من الملا كان بسببه وان فرعون لعال في
الارض لغالب فيها وانه لمن المسرفين في الكبر والعتو حتى ادعى الربوبية
واسترق اسباط الانبيا وقال موسى لما راى تخوف المومنين به يا قوم
ان كنتم امنتم بالله فعليه توكلوا فثقوا به واعتمدوا عليه ان كنتم مسلمين
مستسلمين لقضا الله مخلصين له وليس هذا من تعليق الحكم بشرطين فان
المعلق بالايمان وجوب التوكل فانه المقتضي له والمشروط بالاسلام حصوله
فانه لا يوجد مع التخليط ونظيره ان دعاك زيد فاجبه ان قدرت فقالوا
على الله توكلنا لانهم كانوا مومنين مخلصين ولذلك اجيبت دعوتهم ربنا
لا تجعلنا فتنة موضع فتنة للقوم الظالمين اي لا تسلطهم علينا فيفتنونا
ونجنا برحمتك من القوم الكافرين من كيدهم وشوم مشاهدتهم وفي تقديم
التوكل على الدعا تنبيه على ان الداعي ينبغي ان يتوكل اولا لتجاب دعوته واوحينا
الى موسى واخيه ان تبوا اي اتخذا مباءة لقومكما بمصر بيوتا تسكنون فيها
وترجعون اليها للعبادة واجعلوا انتما وقومكما بيوتكم تلك البيوت قبلة
مصلى وقيل مساجد متوجهة نحو القبلة يعني الكعبة وكان موسى يصلي اليها
واقيموا الصلوة فيها امروا بذلك اول امرهم لئلا يظهر عليهم الكفرة فيوذوهم
ويفتنوهم عن دينهم وبشر المومنين بالنصرة في الدنيا والجنة في العقبى وانما
ثني الضمير اولا لان التبوء للقوم واتخاذ المعابد مما يتعاطاه روس القوم
بتشاور ثم جمع لان جعل البيوت مساجد والصلوة مما ينبغي ان يفعله كل احد
ثم وحد لان البشارة في الاصل وظيفة صاحب الشريعة وقال موسى ربنا
انك اتيت فرعون وملاه زينة ما يتزين به من اللباس والمراكب ونحوهما
واموالا في الحيوة الدنيا وانواعا من المال ربنا ليضلوا عن سبيلك دعا
عليهم بلفظ الامر بما علم من ممارسة احوالهم انه لا يكون غيره كقولك ليلعن
الله ابليس وقيل اللام للعاقبة وهي متعلقة باتيت ويحتمل ان تكون للعلة لان
ايتا النعم على الكفر استدراج وتثبيت على الضلال ولانهم لما جعلوها سببا
للضلال فكانهم اوتوها ليضلوا فيكون ربنا تكريرا للاول تاكيدا وتنبيها على ان
المقصود عرض ضلالهم وكفرانهم تقدمة لقوله ربنا اطمس على اموالهم اهلكها
والطمس المحق وقرئ واطمس بالضم واشدد على قلوبهم اي واقسها واطبع عليها
حتى لا تنشرح للايمان فلا يومنوا حتى يروا العذاب الاليم جواب للدعا او دعا

بلفظ

بلفظ النهي او عطف على ليضلوا وما بينهما دعا معترض قال قد اجيبت
دعوتكما يعني موسى وهرون لانه كان يومن فاستقيما فاثبتا على ما انتما عليه
من الدعوة والزام الحجة ولا تستعجلا فان ما طلبتما كاين ولكن في وقته روي
انه مكث فيهم بعد الدعا اربعين سنة ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون
طريق الله في الاستعجال او عدم الوثوق والاطمينان بوعد الله وعن
ابن عامر ولا تتبعان بالنون الخفيفة وكسرها لالتقا الساكنين ولا تتبعان
من تبع ولا تتبعان ايضا وجاوزنا ببني اسرايل البحر اي جوزناهم في البحر
حتى بلغوا الشط حافظين لهم وقرئ جوزنا وهو من فعل المرادف لفاعل
كضعف وضاعف فاتبعهم فادركهم يقال تبعته حتى اتبعته فرعون وجنوده
بغيا وعدوا باغين وعادين او للبغي والعدو وقرئ وعدوا حتى اذا ادركه
الغرق لحقه قال امنت انه اي بانه لا اله الا الذي امنت به بنوا اسرايل
وانا من المسلمين وقرا حمزة والكسائي انه بالكسر على اضمار القول او الاستيناف
بدلا او تفسيرا لامنت فنكب عن الايمان اوان القبول وبالغ فيه حين لا يقبل
الان اتومن الان وقد ايست من نفسك ولم يبق لك اختيار وقد عصيت قبل
قبل ذلك مدة عمرك وكنت من المفسدين الضالين المضلين عن الايمان
فاليوم ننجيك ننقذك مما وقع فيه قومك من قعر البحر ونجعلك طافيا او نلقيك
على نجوة من الارض ليراك بنو اسرايل وقرا يعقوب ننجيك من انجى وقرئ ننحيك
بالحا اي نلقيك بناحية الساحل ببدنك في موضع الحال اي ببدنك
عاريا عن الروح او كاملا سويا او عريانا من غير لباس او بدرعك وكانت له
درع من ذهب يعرف بها وقرئ بابدانك اي باجزا البدن كلها كقولهم
هوى باجرامه او بدروعك كانه كان مظاهرا بينها لتكون لمن خلفك اية
لمن وراك علامة وهم بنو اسرايل اذ كان في نفوسهم من عظمته ما خيل
اليهم انه لا يهلك حتى كذبوا موسى عليه السلام حين اخبرهم بغرقه الى
ان عاينوه مطروحا على ممرهم من الساحل او لمن ياتي بعدك من القرون اذا
سمعوا مال امرك ممن شاهدك عبرة ونكالا عن الطغيان او حجة تدلهم على
ان الانسان على ما كان عليه من عظم الشان وكبريا الملك مملوك مقهور بعيد
عن مظان الربوبية وقرئ لمن خلقك اي لخالقك اية كسائر الايات فان
افراده اياك بالالقا الى الساحل دليل على انه تعمد منه لكشف تزويرك
واماطة الشبهة في امرك وذلك دليل على كمال قدرته وعلمه وارادته

وهذا الوجه ايضا محتمل على المشهور وان كثيرا من الناس عن اياتنا لغافلون
لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها ولقد بوانا بني اسرائيل مبوا صدق
منزلا صالحا مرضيا وهو الشام ومصر ورزقناهم من الطيبات من اللذائذ
فما اختلفوا حتى جاءهم العلم فما اختلفوا في امر دينهم الا من بعد ما
قروا التورية وعلموا احكامها او في امر محمد عليه السلم الا من بعد ما علموا
صدقه بنعوته وتظاهر معجزاته ان ربك يقضي بينهم يوم القيمة فيما كانوا
فيه يختلفون فيميز الحق عن المبطل بالانجاء والاهلاك فان كنت في شك
مما انزلنا اليك من القصص على سبيل الفرض والتقدير فاسال الذين
يقرون الكتاب من قبلك فانه محقق عندهم ثابت في كتبهم على نحو ما
القينا اليك والمراد تحقيق ذلك والاستشهاد بما في الكتب المتقدمة وان
القران مصدق لما فيها او وصف اهل الكتاب بالرسوخ في العلم بصحة ما
انزل اليه او تهييج الرسول وزيادة تثبيته لا امكان وقوع الشك له ولذلك
قال عليه السلم لا اشك ولا اسال وقيل الخطاب للنبي والمراد امته او لكل
من يسمع اي ان كنت ايها السامع في شك مما نزلنا على لسان نبينا اليك وفيه
تنبيه على ان من خالجته شبهة في الدين ينبغي ان يسارع الى حلها بالرجوع
الى اهل العلم لقد جاءك الحق من ربك واضحا انه لا مدخل للمرية فيه
بالايات القاطعة فلا تكونن من الممترين بالتزلزل عما انت عليه من الجزم
واليقين ولا تكونن من الذين كذبوا بايات الله فتكون من الخاسرين
ايضا من باب التهييج والتثبيت وقطع الاطماع عنه لقوله فلا تكونن ظهيرا
للكافرين ان الذين حقت عليهم ثبتت عليهم كلمت ربك بانهم يموتون
على الكفر ويخلدون في العذاب لا يؤمنون اذ لا يكذب كلامه ولا ينتقض
قضاؤه ولو جاءتهم كل اية فان السبب الاصلي لايمانهم وهو تعلق ارادة الله
به مفقود حتى يروا العذاب الاليم وحينئذ لا ينفعهم كما لم ينفع فرعون فلو
لا كانت قرية امنت فهلا كانت قرية من القرى التي اهلكناها امنت
قبل معاينة العذاب ولم تؤخر اليها كما اخر فرعون فنفعها ايمانها بان
يقبله الله منها ويكشف العذاب عنها الا قوم يونس لكن قوم يونس لما امنوا
اول ما راوا امارة العذاب ولم يؤخروه الى حلوله كشفنا عنهم عذاب
الخزي في الحيوة الدنيا ويجوز ان تكون الجملة في معنى النفي لتضمن حرف
التحضيض معناه فيكون الاستثناء متصلا لان المراد من القرى اهاليها

كام

كانه قال ما امن اهل قرية من القرى العاصية فنفعهم ايمانهم الا قوم يونس ويؤيده
قراءة الرفع على البدل ومتعناهم الى حين الى اجالهم روي ان يونس عليه
السلم بعث الى نينوى من الموصل فكذبوه واصروا عليه فوعدهم بالعذاب
الى ثلث وقيل الى اربعين فلما دنى الموعد اغامت السماء غيما اسود ذا دخان
شديد فهبط حتى غشى مدينتهم فهابوا فطلبوا يونس فلم يجدوه فايقنوا صدقه
فلبسوا المسوح وبرزوا الى الصعيد بانفسهم ونسائهم وصبيانهم ودوابهم
وفرقوا بين كل والدة وولدها فحن بعضها الى بعض فعلت الاصوات والعجيج
واخلصوا التوبة واظهروا الايمان وتضرعوا الى الله فرحمهم وكشف عنهم وكان
يوم عاشوراء يوم الجمعة ولو شاء ربك لامن من في الارض كلهم بحيث لا يشذ منهم
احد جميعا مجتمعين على الايمان لا يختلفون فيه وهو دليل على القدرية في انه
تعالى لم يشا ايمانهم اجمعين وان من شاء ايمانه يؤمن لا محالة والتقييد بمشيئة
الالجاء خلاف الظاهر افانت تكره الناس بما لم يشا الله منهم حتى يكونوا
مؤمنين وترتيب الاكراه على المشيئة بالفاء وايلاؤها حرف الاستفهام للانكار
وتقديم الضمير على الفعل للدلالة على ان خلاف المشيئة مستحيل فلا يمكنه تحصيله
بالاكراه عليه فضلا عن الحث والتحريض عليه اذ روي انه كان حريصا على ايمان
قومه شديد الاهتمام به فنزلت ولذلك قرره بقوله وما كان لنفس ان تؤمن الا
باذن الله الا بارادته والطافه وتوفيقه فلا تجهد نفسك في هداها فانه الى
الله ويجعل الرجس العذاب او الخذلان فانه سببه وقرئ بالزاي وقرا ابو بكر
ونجعل بالنون على الذين لا يعقلون لا يستعملون عقولهم بالنظر في الحجج والايات
او لا يعقلون دلايله واحكامه لما على قلوبهم من الطبع ويؤيد الاول قوله قل
انظروا تفكروا ماذا في السموات والارض من عجايب صنعه لتدلكم على وحدته
وكمال قدرته وماذا ان جعلت استفهامية علقت انظروا عن العمل وما تغني الايات
والنذر عن قوم لا يؤمنون في علم الله وحكمه وما نافية او استفهامية في
موضع النصب فهل ينتظرون الا مثل ايام الذين خلوا من قبلهم مثل
وقايعهم ونزول باس الله بهم اذ لا يستحقون غيره من قولهم ايام العرب
لوقايعها قل فانتظروا اني معكم من المنتظرين لذلك او فانتظروا هلاكي
اني معكم من المنتظرين هلاككم ثم ننجي رسلنا والذين امنوا عطف على محذوف
دل عليه الا مثل ايام الذين خلوا كانه قيل نهلك الامم ثم ننجي رسلنا ومن
امن بهم على حكاية الحال الماضية كذلك حقا علينا ننج المؤمنين كذلك

الآخنا واعا كذلك ننجي محمدا وصحبه حين نهلك المشركين وحقا علينا اعترا
ونصبه بفعله المقدر وقيل بدل من كذلك قل يا ايها الناس خطاب لاهل
مكة ان كنتم في شك من ديني وصحته فلا اعبد الذين تعبدون من
دون الله ولكن اعبد الله الذي يتوفاكم فهذا خلاصة ديني اعتقادا
وعملا فاعرضوها على العقل الصرف وانظروا فيها بعين الانصاف لتعلموا
صحتها وهو انى لا اعبد ما تخلقونه وتعبدونه ولكن اعبد خالقكم الذى يوجدكم
ويتوفاكم وانما خص التوفي بالذكر للتهديد وامرت ان اكون من المومنين
بما دل عليه العقل ونطق به الوحي وحذف الجار من ان يجوز ان يكون من
المطرد مع ان وان وان يكون من غيره كقوله امرتك الخير فافعل ما امرت
به فقد تركتك ذا مال وذا نسب وان اقم وجهك للدين عطف على ان
اكون غير ان صلة ان محكية بصيغة الامر ولا فرق بينهما في الغرض لان
المقصود وصلها بما يتضمن معنى المصدر ليدل معه عليه وصيغ الافعال كلها
لذلك سواء الخبر منها والطلب والمعنى وامرت بالاستقامة في الدين والاستبداد
فيه باداء الفرايض والانتهاء عن القبايح او في الصلاة باستقبال القبلة
حنيفا حال من الدين او الوجه ولا تكونن من المشركين ولا تدع من دون
الله ما لا ينفعك ولا يضرك بنفسه ان دعوته او خذلته فان فعلت
فان دعوته فانك اذا من الظالمين جزاء الشرط وجواب السوال مقدر
عن تبعة الدعاء وان يمسسك الله بضر وان يصبك به فلا كاشف له
يرفعه الا هو الا الله وان يردك بخير فلا راد فلا دافع لفضله الذي
اراد لك به ولعله ذكر الارادة مع الخير والمس مع الضر مع تلازم الامرين
للتنبيه على ان الخير مراد بالذات وان الضر انما مسهم لا بالقصد الاول
ووضع الفضل موضع الضمير للدلالة على انه متفضل بما يريد بهم من الخير
لا استحقاق لهم عليه ولم يستثن لان مراد الله لا يمكن رده يصيب به
بالخير من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم فتعرضوا لرحمته بالطاعة
ولا تياسوا من غفرانه بالمعصية قل يا ايها الناس قد جاءكم الحق من ربكم
رسوله والقران ولم يبق لكم عذر فمن اهتدى بالايمان والمتابعة فانما
يهتدي لنفسه لان نفعه لها ومن ضل بالكفر بهما فانما يضل عليها
لان وبال الضلال عليها وما انا عليكم بوكيل بحفيظ موكول الي
امركم وانما انا نذير وبشير واتبع ما يوحى اليك بالامتثال والتبليغ

واصبر

واصبر على دعوتهم وتحمل اذيتهم حتى يحكم الله بالنصرة او بالامر بالقتال
وهو خير الحاكمين اذ لا يمكن الخطا في حكمه لاطلاعه على السرائر اطلاعه على
الظواهر عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة يونس اعطي من الاجر عشر
حسنات بعدد من صدق بيونس وكذب به وبعدد من غرق مع فرعون

[illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم الر كتاب مبتدا وخبر او كتاب خبر
مبتدا محذوف احكمت اياته نظمت نظما محكما لا يعتريه اخلال
من جهة اللفظ والمعنى او منعت من الفساد والنسخ فان المراد ايات السورة
وليس فيها منسوخ او احكمت بالحجج والدلائل او جعلت حكيمة منقول من حكم
بالضم اذا صار حكيما لانها مشتملة على امهات الحكم النظرية والعملية
ثم فصلت بالفوايد من العقايد والاحكام والمواعظ والاخبار او بجعلها
سورا او بالانزال نجما نجما او فصل فيها ولخص ما يحتاج اليه وقرئ ثم
فصلت اي فرقت بين الحق والباطل واحكمت اياته ثم فصلت على البنا
للمتكلم وثم للتفاوت في الحكم او للتراخي في الاخبار من لدن حكيم خبير صفة
اخرى لكتاب او خبر بعد خبر او صلة لاحكمت او فصلت وهو تقرير لاحكامها
وتفصيلها على اكمل ما ينبغي باعتبار ما ظهر امره وما خفي الا تعبدوا الا الله
لان لا تعبدوا وقيل ان مفسرة لان في تفصيل الايات معنى القول ويجوز
ان يكون كلاما مبتدا للاغراء على التوحيد او الامر بالتبري عن عبادة الغير
كانه قيل ترك عبادة غير الله بمعنى الزموه او اتركوها تركا انني لكم منه من الله
نذير وبشير بالعقاب على الشرك والثواب على التوحيد وان استغفروا
ربكم عطف ان لا تعبدوا ثم توبوا اليه ثم توصلوا الى مطلوبكم بالتوبة
فان المعرض عن طريق الحق لا بد له من رجوع وقيل استغفروا من الشرك ثم
توبوا الى الله بالطاعة ويجوز ان يكون ثم لتفاوت ما بين الامرين يمتعكم
متاعا حسنا يعيشكم في امن ودعة الى اجل مسمى هو اخر اعماركم المقدرة
او لا يهلككم بعذاب الاستيصال والارزاق والاجال وان كانت متعلقة
بالاعمال لكنها مسماة بالاضافة الى كل واحد ولا تتغير ويوت كل ذي
فضل فضله ويعط كل ذي فضل في دينه جزاء فضله في الدنيا وفي الاخرة

وهو وعد للموحد التايب بخير الدارين وان تولوا وان تتولوا فاني اخاف
عليكم عذاب يوم كبير يوم القيامة وقيل يوم الشدايد وقد ابتلوا بالقحط
حتى اكلوا الجيف وقرئ وان تولوا من ولي الى الله مرجعكم رجوعكم في ذلك
اليوم وهو شاذ عن القياس وهو على كل شيء قدير فيقدر على تعذيبهم
اشد عذاب وكانه تقرير لكبر اليوم الا انهم يثنون صدورهم يثنونها
عن الحق وينحرفون عنه او يعطفونها على الكفر وعداوة النبي او يولون ظهورهم
وقرئ تثنوني بالتاء والياء من اثنوني وهو بناء المبالغة وتثنون واصله تثنونن
من الثن وهو الكلا الضعيف اراد به ضعف قلوبهم او مطاوعة صدورهم
للثني وتثنئن من اثنان كابياض بالهمز ليستخفوا منه من الله بسرهم فلا
يطلع رسوله والمؤمنين عليه قيل انها نزلت في المنافقين وفيه نظر اذ الاية
مكية والنفاق حدث بالمدينة الا حين يستغشون ثيابهم الا حين ياوون
الى فراشهم ويتغطون ثيابهم يعلم ما يسرون في قلوبهم وما يعلنون بافواههم
يستوي في علمه سرهم وعلنهم فكيف يخفى عليه ما عسى يظهرونه انه عليم بذات
الصدور بالاسرار ذات الصدور او بالقلوب واحوالها وما من دابة في
الارض الا على الله رزقها غذاؤها ومعاشها لتكفله اياه تفضلا ورحمة وانما
اتى بلفظ الوجوب تحقيقا لوصوله وحملا على التوكل فيه ويعلم مستقرها
ومستودعها اماكنها في الحيوة والممات او الاصلاب والارحام او مساكنها
من الارض حين وجدت بالفعل ومودعها من المواد والمقار حين كانت بعد
بالقوة كل كل واحد من الدواب واحوالها في كتاب مبين مذكور في اللوح المحفوظ
وكانه اريد بالاية بيان كونه عالما بالمعلومات كلها وبما بعدها بيان كونه قادرا
على الممكنات باسرها تقريرا للتوحيد ولما سبق من الوعد والوعيد وهو الذي
خلق السموات والارض في ستة ايام اي خلقهما وما فيهما كما مر بيانه
في الاعراف او ما في جهتي العلو والسفل وجمع السموات دون الارض لاختلاف
العلويات بالاصل والذات دون السفليات وكان عرشه على الماء قبل خلقهما
لم يكن حايل بينهما لا انه كان موضوعا على متن الماء واستدل به على امكان
الخلا وان الماء اول حادث بعد العرش من اجرام هذا العالم وقيل كان
الماء على متن الريح والله اعلم بذلك ليبلوكم ايكم احسن عملا متعلق بخلق
اي خلق ذلك كخلق من خلق ليعاملكم معاملة المبتلي لاحوالكم كيف تعملون
فان جملة ذلك اسباب ومواد لوجودكم ومعاشكم وما تحتاج اليه اعمالكم

ودلايل

ودلايل وامارات تستدلون بها وتستنبطون منها وانما جاز تعليق فعل
البلوى لما فيه من معنى العلم من حيث انه طريق اليه كالنظر والاستماع وانما
ذكر صيغة التفضيل والاختبار الشامل لفرق المكلفين باعتبار الحسن والقبح
للتحريض على احاسن المحاسن والتحضيض على الترقي دايما في مراتب العلم
والعمل فان المراد بالعمل ما يعم عمل القلب والجوارح ولذلك قال النبي صلى الله
عليه وسلم ايكم احسن عقلا واورع عن محارم الله واسرع في طاعة الله
والمعنى ايكم اكمل علما وعملا ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن
الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين اي ما البعث او القول به او القران
المتضمن لذكره الا كالسحر في الخديعة او البطلان وقرا حمزة والكسائي الا ساحر
على ان الاشارة الى القايل وقرئ ايكم بالفتح على تضمن قلت معنى ذكرت
او ان تكون ان بمعنى عل اي ولئن قلت لعلكم مبعوثون بمعنى توقعوا بعثكم
ولا تبتوا بانكاره لعدوه من قبيل ما لا حقيقة له مبالغة في انكاره ولئن
اخرنا عنهم العذاب الموعود الى امة معدودة الى جماعة من الاوقات
قليلة ليقولن استهزاء ما يحبسه ما يمنعه من الوقوع الا يوم ياتيهم كيوم
بدر ليس مصروفا عنهم ليس العذاب مدفوعا عنهم ويوم منصوب بخبر ليس
مقدم عليه وهو دليل على جواز تقديم خبرها عليها وحاق بهم واحاط
بهم وضع الماضي موضع المستقبل تحقيقا ومبالغة في التهديد ما كانوا
به يستهزءون اي العذاب الذي كانوا به يستعجلون فوضع يستهزءون
موضع يستعجلون لان استعجالهم كان استهزاء ولئن اذقنا الانسان
منا رحمة ولئن اعطيناه نعمة بحيث يجد لذتها ثم نزعناها منه سلبنا تلك
النعمة منه انه ليئوس قطوع رجاءه من فضل الله لقلة صبره وعدم ثقته
به كفور مبالغ في كفران ما سلف له من النعمة ولئن اذقناه نعماء بعد ضراء
مسته كصحة بعد سقم وغنى بعد عدم وفي اختلاف الفعلين نكتة لا تخفى
ليقولن ذهب السيئات عني اي المصايب التي ساءتني انه لفرح بطر
بالنعم مغتر بها فخور على الناس مشغول عن الشكر والقيام بحقها وفي لفظ
الاذاقة والمس تنبيه على ان ما يجده الانسان في الدنيا من النعم والمحن
كالانموذج لما يجده في الاخرة وانه يقع في الكفران والبطر بادنى شيء لان الذوق
ادراك الطعم والمس مبدا الوصول الا الذين صبروا على الضراء ايمانا بالله
واستسلاما لقضائه وعملوا الصالحات شكرا لالائه سابقها ولاحقها

ق

اولئك لهم مغفرة لذنوبهم واجر كبير اقله الجنة والاستثناء من الانسان
لان المراد به الجنس فاذا كان محلى باللام افاد الاستغراق ومن حمله على الكافر
لسبق ذكرهم جعل الاستثناء منقطعا فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك
تترك تبليغ بعض ما يوحى اليك وهو ما يخالف راي المشركين مخافة ردهم
واستهزائهم به ولا يلزم من توقع الشيء لوجود ما يدعو اليه وقوعه لجواز
ان يكون ما يصرف عنه وهو عصمة الرسل عن الخيانة في الوحي والتقية في
التبليغ ههنا وضائق به صدرك وعارض لك احيانا ضيق صدر بان تتلوه
عليهم مخافة ان يقولوا لولا انزل عليه كنز ينفقه في الاستتباع كالملوك
او جاء معه ملك يصدقه وقيل الضمير في به مبهم يفسره ان يقولوا انما
انت نذير ليس عليك الا الانذار بما اوحي اليك ولا عليك ردوا او اقترحوا
فما بالك يضيق به صدرك والله على كل شيء وكيل فتوكل اليه فانه عالم
بحالهم وفاعل بهم جزاء اقوالهم وافعالهم ام يقولون افتراه ام منقطعة
والهاء لما يوحى قل فاتوا بعشر سور مثله في البيان وحسن النظم تحداهم
اولا بعشر سور ثم لما عجزوا عنها سهل الامر عليهم وتحداهم بسورة وتوحيد
المثل باعتبار كل واحد مفتريات مختلقات من عند انفسكم ان صح اني اختلقته
من عند نفسي فانكم عرب فصحاء مثلي تقدرون على مثل ما اقدر عليه بل انتم اقدر
لتعلمكم القصص والاشعار وتعودكم القريض والنظم وادعوا من استطعتم
من دون الله الى المعاونة على المعارضة ان كنتم صادقين انه مفترى فان لم
يستجيبوا لكم باتيان ما دعوتم اليه وجمع الضمير اما لتعظيم الرسول او لان
المؤمنين ايضا كانوا يتحدونهم وكان امر الرسول متناولا لهم من حيث انه يجب
اتباعه عليهم في كل امر الا ما خصه الدليل وللتنبيه على ان التحدي مما يوجب
رسوخ ايمانهم وقوة يقينهم فلا يغفلون عنه ولذلك رتب عليه قوله فاعلموا
انما انزل بعلم الله ملتبسا بما لا يعلمه الا الله ولا يقدر عليه سواه وان لا اله
الا هو واعلموا ان لا اله الا الله لانه العالم القادر بما لا يعلم ولا يقدر عليه
غيره ولظهور عجز آلهتهم ولتنصيص هذا الكلام الثابت صدقه باعجازه عليه
وفيه تهديد واقناط من ان يجيرهم من باس الله آلهتهم فهل انتم مسلمون ثابتون
على الاسلام راسخون فيه مخلصون اذا تحقق عندكم اعجازه مطلقا ويجوز ان
يكون الكل خطابا للمشركين والضمير في لم يستجيبوا لمن استطعتم اي فان لم يستجيبوا
لكم الى المظاهرة لعجزهم وقد عرفتم من انفسكم القصور عن المعارضة فاعلموا

سابعا

انه

انه نظم لا يعلمه الا الله وانه منزل من عنده وان ما دعاكم اليه من التوحيد
حق فهل انتم داخلون في الاسلام بعد قيام الحجة القاطعة وفي مثل هذا الاستفهام
ايجاب بليغ لما فيه من معنى الطلب والتنبيه على قيام الموجب وزوال العذر
من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها باحسانه وبره نوف اليهم اعمالهم
فيها نوصل اليهم جزاء اعمالهم في الدنيا من الصحة والرياسة وسعة الرزق
وكثرة الاولاد وقرئ يوف بالياء اي يوف الله وتوف على البناء للمفعول ونوفي
بالتخفيف والرفع لان الشرط ماض كقوله وان اتاه كريم يوم مسغبة يقول
لا مالي ولا حرم وهم فيها لا يبخسون لا ينقصون شيئا من اجورهم والاية
في اهل الرياء وقيل في المنافقين وقيل في الكفرة وبرهم اولئك الذين ليس لهم
في الاخرة الا النار مطلقا في مقابلة ما عملوا لانهم استوفوا ما يقتضيه صور
اعمالهم الحسنة وبقيت لهم اوزار العزائم السيئة وحبط ما صنعوا فيها لانه
لم يبق له ثواب في الاخرة او لم يكن لانهم لم يريدوا به وجه الله والعمدة في اقتضاء
ثوابها هو الاخلاص ويجوز تعليق الظرف بصنعوا على ان الضمير للدنيا
وباطل في نفسه ما كانوا يعملون لانه لم يعمل على ما ينبغي وكان كل واحدة من
الجملتين علة لما قبلها وقرئ باطلا على انه مفعول يعملون وما ابهامية او في
معنى المصدر كقوله ولا خارجا من في زور كلام وبطل على الفعل افمن كان
على بينة من ربه برهان من الله يدله على الحق والصواب فيما ياتيه ويذره
والهمزة لانكار ان يعقب من هذا شانه هؤلاء المقصرين همهم وافكارهم على
الدنيا وان تقارب بينهم في المنزلة وهو الذي اغنى عن ذكر الخبر وتقديره
افمن كان على بينة كمن يريد الحيوة الدنيا وهو حكم يعم كل مؤمن مخلص وقيل المراد
النبي صلى الله عليه وسلم وقيل مؤمنوا اهل الكتاب ويتلوه ويتبع ذلك البرهان
الذي هو دليل العقل شاهد منه شاهد من الله يشهد بصحته وهو القران
ومن قبله ومن قبل القران كتاب موسى يعني التورية فانها ايضا تتلوه في
التصديق او البينة هو القران ويتلوه من التلاوة والشاهد جبريل او لسان
الرسول على ان الضمير له او من التلو والشاهد ملك يحفظه والضمير في يتلوه
اما لمن او للبينة باعتبار المعنى ومن قبله كتاب موسى جملة مبتدأة وقرئ كتاب
بالنصب عطفا على الضمير في يتلوه اي يتلو القران شاهد ممن كان على بينة
دالة على انه حق كقوله ويشهد شاهد من بني اسرائيل ويقرأ من قبل القران التورية
اماما كتابا مؤتما به في الدين ورحمة على المنزل عليهم لانه الوصلة الى الفوز

غايب

بخير الدارين اولئك اشارة الى من كان على بينة يؤمنون به بالقرآن ومن
يكفر به من الاحزاب من اهل مكة ومن تحزب معهم على رسول الله فالنار موعده
يرده لا محالة فلا تك في مرية منه من الموعد او القرآن وقرئ مرية بالضم
وهما الشك انه الحق من ربك ولكن اكثر الناس لا يؤمنون لقلة نظرهم
واختلال فكرهم ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا كأن اسند اليه ما لم ينزله
او نفى عنه ما انزله اولئك يعرضون على ربهم في الموقف بان يحبسوا
وتعرض اعمالهم ويقول الاشهاد من الملائكة والنبيين او من جوارحهم وهو جمع
شاهد كاصحاب او شهيد كاشراف هؤلاء الذين كذبوا على ربهم الا لعنة الله على
الظالمين تهويل عظيم مما يحيق بهم حينئذ لظلمهم بالكذب على الله الذين يصدون
عن سبيل الله عن دينه ويبغونها عوجا يصفونها بالانحراف عن الحق
والصواب او يبغون اهلها ان يعوجوا بالردة وهم بالآخرة هم كافرون والحال
انهم كافرون بالآخرة وتكرير هم لتأكيد كفرهم واختصاصهم به اولئك لم يكونوا
معجزين في الارض اي ما كانوا معجزين الله في الدنيا ان يعاقبهم وما كان لهم
من دون الله من اولياء يمنعونهم من العقاب ولكنه اخر عقابهم الى هذا اليوم
ليكون اشد وادوم يضاعف لهم العذاب استئناف وقرأ ابن كثير وابن عامر
ويعقوب يضعف بالتشديد ما كانوا يستطيعون السمع لتصامهم عن الحق
وبغضهم له وما كانوا يبصرون لتعاميهم عن آيات الله وكأنه العلة
في مضاعفة العذاب وقيل هو بيان ما نفاه من ولاية الآلهة بقوله وما كان
لهم من دون الله من اولياء فان ما لا يسمع ولا يبصر لا يصلح للولاية وقوله يضاعف
لهم العذاب اعتراض اولئك الذين خسروا انفسهم باشتراء عبادة الآلهة
بعبادة الله وضل عنهم ما كانوا يفترون من الآلهة وشفاعتها او خسروا
بما بدلوا وضاع عنهم ما حصلوا فلم يبق معهم سوى الحسرة والندامة
لا جرم انهم في الآخرة هم الاخسرون لا احد ابين واكثر خسرانا منهم
ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات واخبتوا الى ربهم اطمأنوا اليه
وخشعوا له من الخبت وهي الارض المطمئنة اولئك اصحاب الجنة هم فيها
خالدون دائمون مثل الفريقين الكافر والمؤمن كالاعمى والاصم والبصير
والسميع يجوز ان يراد به تشبيه الكافر بالاعمى لتعاميه عن آيات الله وبالاصم
لتصامه عن استماع كلام الله وتأبيه عن تدبر معانيه وتشبيه المؤمن بالسميع
والبصير لان امره بالضد فيكون كل منهما مشبها باثنين باعتبار وصفين او تشبيه

الكافر

٢٥

الكافر بالجامع بين العمى والصمم والمؤمن بالجامع بين ضديهما والعاطف لعطف
الصفة على الصفة كقوله الصابح فالغانم فالآيب وهذا من باب اللف والطباق
هل يستويان هل يستوي الفريقان مثلا تمثيلا او صفة او حالا افلا تذكرون
بضرب الامثال والتأمل فيها ولقد ارسلنا نوحا الى قومه اني لكم بأني
لكم وقرأ نافع وعاصم وابن عامر وحمزة بالكسر على ارادة القول نذير مبين
ابين لكم موجبات العذاب ووجه الخلاص ان لا تعبدوا الا الله بدل من اني
لكم او مفعول مبين ويجوز ان تكون مفسرة متعلقة بارسلنا او بنذير اني اخاف
عليكم عذاب يوم اليم مؤلم وهو في الحقيقة صفة المعذب لكن يوصف به
العذاب وزمانه على طريقة جد جده ونهاره صائم للمبالغة فقال الملأ الذين كفروا
من قومه ما نراك الا بشرا مثلنا لا مزية لك علينا تخصك بالنبوة
ووجوب الطاعة وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا اخساؤنا
جمع ارذل فانه بالغلبة صار مثل الاسم كالاكبر او اراذل جمع ارذل بادي الرأي
ظاهر الرأي من غير تعمق من البدو او اول الرأي من البدء والياء مبدلة من الهمزة
لانكسار ما قبلها وقرأ ابو عمرو بالهمزة وانتصابه بالظرف على حذف المضاف
اي وقت حدوث بادي الرأي والعامل فيه اتبعك وانما استرذلوهم
لفقرهم فانهم لما لم يعلموا الا ظاهرا من الحياة كان الاحظ بها اشرف عندهم
والمحروم منها ارذل وما نرى لكم لك ولمتبعيك علينا من فضل يؤهلكم
للنبوة واستحقاق المتابعة بل نظنكم كاذبين اياك في دعوى النبوة واياهم
في دعوى العلم بصدقك فغلب المخاطب على الغائبين قال يا قوم ارأيتم
اخبروني ان كنت على بينة من ربي حجة شاهدة بصحة دعواي وآتاني
رحمة من عنده بإيتاء البينة او النبوة فعميت عليكم فخفيت عليكم فلم يهدكم
وتوحيد الضمير لان البينة في نفسها هي الرحمة او لان خفاءها يوجب خفاء
النبوة او على تقدير فعميت بعد البينة وحذفها للاختصار او لانه لكل واحدة
منهما وقرأ حمزة والكسائي وحفص فعميت اي اخفيت وقرئ فعماها على ان الفعل
لله انلزمكموها انكرهكم على الاهتداء بها وانتم لها كارهون لا تختارونها
ولا تتأملون فيها وحيث اجتمع ضميران وليس احدهما مرفوعا وقدم الاعرف منهما
جاز في الثاني الفصل والوصل ويا قوم لا اسألكم عليه على التبليغ وهو وان لم
يذكر فمعلوم مما ذكر مالا جعلا ان اجري الا على الله فانه المأمول منه
وما انا بطارد الذين آمنوا جواب لهم حين سألوا طردهم انهم ملاقوا

الملاء

الدنيا

هم

ربهم فيخاصمون طاردهم عنده او انهم يلاقونه ويفوزون بقربه فكيف
اطردهم ولكني اراكم قوما تجهلون بلقاء ربكم او باقدارهم او في التماس
طردهم او تسفهون عليهم بان تدعوهم اراذل ويا قوم من ينصرني من
الله بدفع انتقامه ان طردتهم وهم بتلك الصفة والمثابة افلا تذكرون
لتعرفوا ان التماس طردهم وتوقيف الايمان عليه ليس بصواب ولا اقول لكم عندي
خزائن الله رزقه وامواله حتى جحدتم فضلي ولا اعلم الغيب عطف على عندي
خزائن الله اي ولا اقول انا اعلم الغيب حتى تكذبوني استبعادا او حتى اعلم ان
هؤلاء اتبعوني بادي الراي من غير بصيرة وعقد قلب وعلى الثاني يجوز عطفه
على اقول ولا اقول اني ملك حتى تقولوا ما انت الا بشر مثلنا ولا اقول
للذين تزدري اعينكم ولا اقول في شان من استرذلتموهم لفقرهم لن يؤتيهم
الله خيرا فان ما اعد الله لهم في الاخرة خير مما اتاكم في الدنيا الله اعلم بما
في انفسهم اني اذا لمن الظالمين ان قلت شيئا من ذلك والازدراء افتعال
من زرى عليه اذا عابه قلبت تاؤه دالا لتجانس الراء في الجهر واسناده الى الاعين
للمبالغة والتنبيه على انهم استرذلوهم بادي الرؤية من غير روية وبما عاينوا
من رثاثة حالهم وقلة منالهم دون تامل في معانيهم وكمالاتهم قالوا يا نوح
قد جادلتنا خاصمتنا فاكثرت جدالنا فاطلته او اتيت بانواعه فاتنا بما
تعدنا من العذاب ان كنت من الصادقين في الدعوى والوعيد فان مناظرتك
لا تؤثر فينا قال انما ياتيكم به الله ان شاء عاجلا او اجلا وما انتم بمعجزين
بدفع العذاب او الهرب منه ولا ينفعكم نصحي ان اردت ان انصح لكم
شرط ودليل جواب والجملة دليل جواب قوله ان كان الله يريد ان يغويكم
وتقدير الكلام ان كان الله يريد ان يغويكم فان اردت ان انصح لكم لا ينفعكم
نصحي ولذلك يقول لو قال الرجل انت طالق ان دخلت الدار ان كلمت زيدا فدخلت
ثم كلمت لم تطلق وهو جواب لما اوهموا من ان جداله كلام بلا طائل وهو دليل
على ان ارادة الله يصح تعلقها بالاغواء وان خلاف مراده محال وقيل ان يغويكم
ان يهلككم من غوى الفصيل غوى اذا بشم فهلك هو ربكم خالقكم والمتصرف
فيكم وفق ارادته واليه ترجعون فيجازيكم على اعمالكم ام يقولون افتراه
قل ان افتريته فعلي اجرامي وباله وقرئ اجرامي على الجمع وانا بريء مما تجرمون
من اجرامكم في اسناد الافتراء الي واوحي الى نوح انه لن يؤمن من قومك
الا من قد امن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون اقنطه الله من ايمانهم ونهاه

ان

ان يتم بما فعلوه من التكذيب والايذاء واصنع الفلك باعيننا ملتبسا باعيننا
عبر بكثرة آلة الحس الذي يحفظ به الشيء ويراعى عن الاختلال والزيغ عن
المبالغة في الحفظ والرعاية على طريقة التمثيل ووحينا اليك كيف تصنعها
ولا تخاطبني في الذين ظلموا ولا تراجعني فيهم ولا تدعني باستدفاع العذاب
عنهم انهم مغرقون محكوم عليهم بالاغراق فلا سبيل الى كفه ويصنع الفلك
حكاية حال ماضية وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه استهزءوا به لعمله
السفينة فانه كان يعملها في برية بعيدة من الماء اوان عزته وكانوا يضحكون
منه ويقولون له صرت نجارا بعدما كنت نبيا قال ان تسخروا منا فانا نسخر
منكم كما تسخرون اذا اخذكم الغرق في الدنيا والحرق في الاخرة وقيل
المراد بالسخرية الاستجهال فسوف تعلمون من ياتيه عذاب يخزيه
يعني به اياهم وبالعذاب الغرق ويحل عليه وينزل او يحل عليه حلول
الدين الذي لا انفكاك عنه عذاب مقيم دائم وهو عذاب النار حتى اذا
جاء امرنا غاية لقوله ويصنع الفلك وما بينهما حال من الضمير فيه او حتى
هي التي يبتدأ بعدها الكلام وفار التنور نبع الماء فيه وارتفع كالقدر يفور
والتنور تنور الخبز ابتدأ منه النبوع على خرق العادة وكان في الكوفة في
موضع مسجدها او في الهند او بعين وردة من ارض الجزيرة وقيل التنور وجه
الارض او اشرف موضع فيها قلنا احمل فيها في السفينة من كل من كل نوع
من الحيوانات المنتفع بها زوجين اثنين ذكرا وانثى هذا على قراءة حفص والباقون
اضافوا على معنى احمل اثنين من كل زوجين اي من كل صنف ذكر وصنف انثى
واهلك عطف على زوجين او اثنين والمراد امراته وبنوه ونساؤهم الا
من سبق عليه القول بانه من المغرقين يريد ابنه كنعان وامه فانهما كانا
كافرين ومن امن والمؤمنين من غيرهم وما امن معه الا قليل قيل كانوا تسعة
وسبعين زوجته المسلمة وبنوه الثلاثة حام وسام ويافث ونساؤهم واثنان
وسبعون رجلا وامرأة من غيرهم روي انه عليه السلام اتخذ السفينة
في سنتين من الساج وكان طولها ثلاثمائة ذراع وعرضها خمسين وسمكها ثلثين
وجعل لها ثلاثة بطون فحمل في اسفلها الدواب والوحش وفي اوسطها الانس
وفي اعلاها الطير وقال اركبوا فيها اي صيروا فيها وجعل ذلك ركوبا
لانها في الماء كالمركوب في الارض بسم الله مجراها ومرساها متصل باركبوا
حال من الواو اي اركبوا فيها مسمين الله تعالى او قائلين بسم الله وقت

قون

اجراءها وارساءها او مكانهما على ان المجرى والمرسى للوقت او المكان او
للمصدر والمضاف محذوف كقولهم اتيتك خفوق النجم وانتصابهما بما قدرناه
حالا ويجوز رفعهما بسم الله على ان المراد بهما المصدر او جملة من مبتدا او خبر
اي اجراؤها بسم الله على ان بسم الله خبر او صلة والخبر محذوف وهي اما جملة
مقتضبة لا تعلق لها بما قبلها او حال مقدرة من الواو او الهاء وروي انه كان
اذا اراد ان تجري قال بسم الله فجرت واذا اراد ان ترسو قال بسم الله
فرست ويجوز ان يكون الاسم مقحما كقوله ثم اسم السلام عليكما وقرأ حمزة
والكسائي وعاصم برواية حفص مجريها بالفتح من جرى وقرئ مرسيها ايضا
من رسا وكلاهما يحتمل الثلثة ومجريها ومرسيها بلفظ الفاعل صفتين لله ان
ربي لغفور رحيم اي لولا مغفرته لفرطاتكم ورحمته اياكم لما نجاكم وهي
تجري بهم متصل بمحذوف دل عليه اركبوا اي فركبوا مسمين وهي تجري وهم
فيها في موج كالجبال في موج من الطوفان وهو ما يرتفع من الماء عند اضطرا
كل موجة منها كجبل في تراكمها وارتفاعها وما قيل من ان الماء طبق ما بين السما
والارض وكانت السفينة تجري في جوفه ليس بثابت والمشهور انه علا شوامخ
الجبال خمسة عشر ذراعا وان صح فلعل ذلك قبل التطبيق ونادى نوح
ابنه كنعان وقرئ ابنها وابنه بحذف الالف على ان الضمير لامرأته وكان
ربيبه وقيل كان لغير رشده لقوله تعالى فخانتاهما وهو خطا اذ الانبيا
عصمت من ذلك والمراد بالخيانة في الدين وقرئ ابناه على الندبة ولكونها
حكاية سوغ حذف الحرف وكان في معزل عزل فيه نفسه عن ابيه وعن
دينه مفعل للمكان من عزله عنه اذا ابعده يا بني اركب معنا في السفينة
والجمهور كسروا اليا لتدل على يا الاضافة المحذوفة في جميع القرآن غير ابن
كثير فانه وقف عليها في لقمان في الموضع الاول باتفاق الرواة وفي الثالث
في رواية قنبل وعاصم فانه فتح ها هنا اقتصارا على الفتح من الالف المبدلة
من يا الاضافة واختلفت الرواية عنه في سائر المواضع وقد ادغم البا
في الميم ابو عمرو والكسائي وحفص لتقاربهما ولا تكن مع الكافرين في
الدين والانعزال قال ساوي الى جبل يعصمني من الماء ان يغرقني
قال لا عاصم اليوم من امر الله الا من رحم الا الراحم وهو الله تعالى
او الا مكان من رحمهم الله وهم المؤمنون رد بذلك ان يكون اليوم معتصم
من جبل ونحوه يعصم اللائذ به الا معتصم المؤمنين وهو السفينة وقيل لا عا

يعني لا ذا عصمة كقوله في عيشة راضية وقيل الاستثناء منقطع اي لكن من
رحمه الله يعصمه وحال بينهما الموج بين نوح وابنه او بين ابنه والجبل
فكان من المغرقين فصار من المهلكين بالماء وقيل يا ارض ابلعي ماءك
ويا سماء اقلعي نوديا بما ينادى به اولوا العلم وامرا بما يؤمرون به تمثيلا
لكمال قدرته وانقيادهما لما يشاء تكوينه فيهما بالامر المطاع الذي يامر المطاع
لحكمه المبادر الى امتثال امره مهابة من عظمته وخشية من اليم عقابه
والبلع النشف والاقلاع الامساك وغيض الماء نقص وقضي الامر وانجز
ما وعد من اهلاك الكافرين وانجاء المؤمنين واستوت واستقرت السفينة
على الجودي جبل بالموصل وقيل بالشام وقيل بآمل روي انه ركب السفينة
عاشر رجب ونزل عنها عاشر المحرم فصام ذلك اليوم فصار سنة وقيل
بعدا للقوم الظالمين هلاكا لهم يقال بعد بعدا وبعدا اذا بعد بعدا بعيدا
بحيث لا يرجى عوده ثم استعير للهلاك وخص بدعاء السوء والاية في غاية
الفصاحة لفخامة لفظها وحسن نظمها والدلالة على كنه الحال مع الايجاز
الخالي عن الاخلال وايراد الاخبار على البنا للمفعول دلالة على تعظيم الفا
وانه متعين في نفسه مستغن عن ذكره اذ لا يذهب الوهم الى غيره للعلم بان
مثل هذه الافعال لا يقدر عليه سوى الواحد القهار ونادى نوح ربه
اراد نداءه بدليل عطف قوله فقال رب ان ابني من اهلي فان النداء وان
وعدك الحق وان كل وعد تعده حق لا يتطرق اليه الخلف وقد وعدت ان
تنجي اهلي فما حاله او فما له لم ينج ويجوز ان يكون النداء قبل غرقه وانت احكم
الحاكمين لانك اعلمهم واعدلهم او لانك اكثر حكمة من ذوي الحكم على ان
الحاكم من الحكمة كالدارع من الدرع قال يا نوح انه ليس من اهلك لقطع
الولاية بين المؤمن والكافر واشار اليه بقوله انه عمل غير صالح فانه تعليل
لنفي كونه من اهله واصله انه ذو عمل فاسد فجعل ذاته ذات العمل للمبالغة
كقول الخنساء تصف ناقة ترتع ما رتعت حتى اذا ادكرت فانما هي اقبال وادبار
ثم بدل الفاسد بغير الصالح تصريحا بالمناقضة بين وصفيهما وانتفاء ما اوجب
النجاة لمن نجا من اهله عنه وقرأ الكسائي ويعقوب انه عمل غير صالح فلا تسئلن
ما ليس لك به علم ما لا تعلم اصواب هو ام ليس كذلك وانما سمى نداءه سؤالا
لتضمن ذكر الوعد بنجاة اهله استنجازه في شأن ولده او استفسار المانع
للانجاز في حقه وانما سماه جهلا وزجره عنه بقوله اني اعظك ان تكون

عل

لن

من الجاهلين لان استثناء من سبق عليه القول من اهله قد دله على الحال
واغناه عن السؤال لكن اشغله حب الولد عنه حتى اشتبه الامر عليه وقرا
ابن كثير بفتح اللام والنون الشديدة وكذا نافع وابن عامر غير انهما كسرا
النون على ان اصله تسالنني فحذفت نون الوقاية لاجتماع النونات
وكسرت الشديدة للياء ثم حذفت اكتفاء بالكسرة وعن نافع اثباتها
في الوصل قال رب اني اعوذ بك ان اسالك فيما يستقبل ما ليس لي
به علم ما لا علم لي بصحته والا تغفر لي وان لم تغفر لي ما فرط مني من
السؤال وترحمني بالتوبة والتفضل علي اكن من الخاسرين اعمالا قيل
يا نوح اهبط بسلام منا انزل من السفينة مسلما من المكاره من جهتنا
او مسلما عليك مكرما وبركات عليك ومباركا عليك او زيادات في
نسلك حتى تصير ادما ثانيا وقرئ اهبط بالضم وبركة على التوحيد وهو
الخير النامي وعلى امم ممن معك وعلى امم هم الذين معك سموا امما
لتحزبهم او تشعب الامم منهم او وعلى امم ناشئة ممن معك والمراد بهم المؤمنون
لقوله وامم سنمتعهم اي وممن معك امم سنمتعهم في الدنيا ثم يمسهم منا
عذاب اليم في الاخرة والمراد بهم الكفار من ذرية من معه وقيل هم قوم هود
وصالح ولوط وشعيب والعذاب ما نزل بهم تلك اشارة الى قصة
نوح ومحلها الرفع بالابتداء وخبرها من انباء الغيب اي بعضها نوحيها
اليك خبر ثان والضمير لها اي موحاة اليك او حال من الانباء او هو
الخبر ومن انباء متعلق به او حال من الهاء ما كنت تعلمها انت ولا قومك
من قبل هذا خبر اخر اي مجهولة عندك وعند قومك من قبل ايحائنا
اليك او حال من الهاء في نوحيها او الكاف في اليك اي جاهلا انت وقومك
بها وفي ذكرهم تنبيه على انه لم يتعلمه اذ لم يخالط غيرهم وانهم مع كثرتهم
لما لم يسمعوه فكيف بواحد منهم فاصبر على مشاق الرسالة واذية القوم
كما صبر نوح ان العاقبة في الدنيا بالظفر وفي الاخرة بالفوز للمتقين
عن الشرك والمعاصي والى عاد اخاهم هودا عطف على قوله نوحا الى
قومه وهودا عطف بيان قال يا قوم اعبدوا الله وحده ما لكم من اله
غيره وقرئ بالجر حملا على المحل وروحده ان انتم الا مفترون على
الله باتخاذ الاوثان شركاء وجعلها شفعاء يا قوم لا اسالكم عليه اجرا
ان اجري الا على الذي فطرني خاطب كل رسول به قومه ازاحة

للتهمة

للتهمة وتمحيضا للنصيحة فانها لا تنجع ما دامت مشوبة بالمطامع افلا تعقلون
افلا تستعملون عقولكم فتعرفوا المحق من المبطل والصواب من الخطا ويا قوم
استغفروا ربكم ثم توبوا اليه اطلبوا مغفرة الله بالايمان ثم توسلوا
اليها بالتوبة وايضا التبري عن الغير انما يكون بعد الايمان بالله والرغبة
فيما عنده يرسل السماء عليكم مدرارا كثير الدر ويزدكم قوة الى قوتكم
ويضاعف قوتكم وانما رغبهم بكثرة المطر وزيادة القوة لانهم كانوا اصحاب
زروع وعمارات وقيل حبس الله عنهم القطر واعقم ارحام نسائهم ثلثين سنة
فوعدهم هود عليه السلام على الايمان والتوبة كثرة الامطار وتضاعف القوة
بالتناسل ولا تتولوا ولا تعرضوا عما ادعوكم اليه مجرمين مصرين على اجرامكم
قالوا يا هود ما جئتنا ببينة بحجة تدل على صحة دعواك وهو لفرط
عنادهم وعدم اعتدادهم بما جاءهم من المعجزات وما نحن بتاركي الهتنا
بتاركي عبادتها عن قولك صادرين عن قولك حال من الضمير في تاركي
وما نحن لك بمؤمنين اقناط له من الاجابة والتصديق ان نقول الا
اعتراك ما نقول الا قولنا اعتراك اي اصابك من عراه يعروه اذا اصابه
بعض الهتنا بسوء بجنون لسبك اياها وصدك عنها ومن ذلك تهذي
وتتكلم بالخرافات والجملة مفعول نقول والا لغو لان الاستثناء مفرغ
قال اني اشهد الله واشهدوا اني بريء مما تشركون من دونه فكيدوني جميعا
ثم لا تنظرون اجاب به عن مقالتهم الحمقاء بان اشهد الله تعالى على براءته من
الهتهم وفراغه عن اضرارهم تاكيدا لذلك وتثبيتا وامرهم بان يشهدوا عليه
استهانة بهم وان يجتمعوا على الكيد في اهلاكه من غير انظار حتى اذا اجتهدوا
فيه وراوا انهم عجزوا عن اخرهم وهم الاقوياء الاشداء ان يضروه لم يبق لهم
شبهة ان الهتهم التي هي جماد لا يضر ولا ينفع لا تتمكن من اضراره انتقاما منه
وهذا من جملة معجزاته فان مواجهة الواحد الجم الغفير من الجبابرة الفتاك
العطاش الى اراقة دمه بهذا الكلام ليس الا للثقة بالله وتثبطهم عن اضراره
ليس الا لعصمته اياه ولذلك عقبه بقوله اني توكلت على الله ربي وربكم
تقريرا له والمعنى انكم وان بذلتم غاية وسعكم لم تضروني فاني متوكل على الله
واثق وهو مالكي ومالككم لا يحيق بي ما لم يرده ولا تقدرون على ما لم
يقدره ثم برهن عليه بقوله ما من دابة الا هو اخذ بناصيتها اي الا
وهو مالك لها قادر عليها يصرفها على ما يريد بها والاخذ بالنواصي تمثيل

لذلك ان ربي على صراط مستقيم اي انه على الحق والعدل لا يضيع
عنده معتصم ولا يفوته ظالم فان تولوا فان تتولوا فقد ابلغتكم ما
ارسلت به فقد اديت ما علي من الابلاغ والزام الحجة فلا تفريط مني
ولا عذر لكم فقد ابلغتكم ما ارسلت به اليكم ويستخلف ربي قوما غيركم
استيناف بالوعيد لهم بان الله يهلكهم ويستخلف قوما اخرين في ديارهم
واموالهم او عطف على الجواب بالفا ويويده القراءة بالجزم على الموضع وكانه
قيل وان تتولوا يعذبني ويستخلف ولا تضرونه بتوليكم شيئا من الضرر
ومن جزم يستخلف اسقط النون منه ان ربي على كل شي حفيظ رقيب
فلا يخفى عليه اعمالكم ولا يغفل عن مجازاتكم او حافظ مستولي عليه فلا
يمكن ان يضره شي ولما جا امرنا عذابنا او امرنا بالعذاب نجينا هودا والذين
امنوا معه برحمة منا وكانوا اربعة الاف ونجيناهم من عذاب غليظ
تكرير لبيان ما نجاهم عنه وهو السموم كانت تدخل انوف الكفرة وتخرج
من ادبارهم فتقطع اعضاءهم والمراد به تنجيتهم من عذاب الاخرة ايضا
والتعريض بان المهلكين كما عذبوا في الدنيا بالسموم فهم معذبون في
الاخرة بالعذاب الغليظ وتلك عاد انث اسم الاشارة باعتبار
القبيلة او لان الاشارة الى قبورهم واثارهم جحدوا بايات ربهم كفروا
بها وعصوا رسله لانهم عصوا رسولهم ومن عصى رسولا فكانما عصى الكل لانهم
امروا بطاعة كل رسول واتبعوا امر كل جبار عنيد يعني كبراءهم الطاغين
وعنيد من عند عندا وعندا وعنودا اذا طغى والمعنى عصوا من دعاهم الى
الايمان وما ينجيهم واطاعوا من دعاهم الى الكفر وما يرديهم واتبعوا
في هذه الدنيا لعنة ويوم القيمة اي جعلت اللعنة تابعة لهم في الدارين
تكبهم في العذاب الا ان عادا كفروا ربهم جحدوه او كفروا نعمه او كفروا
به فحذف الجار الا بعدا لعاد دعاء عليهم بالهلاك والمراد به الدلالة على
انهم كانوا مستوجبين لما نزل عليهم بسبب ما حكي عنهم وانما كرر الا واعاد
ذكرهم تفظيعا لامرهم وحثا على الاعتبار بحالهم قوم هود عطف بيان
لعاد وفايدته تمييزهم عن عاد الثانية عاد ارم والايماء الى ان استحقاقهم
للبعد بما جرى بينهم وبين هود والى ثمود اخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا
الله ما لكم من اله غيره هو انشاكم من الارض هو كونكم منها لا غيره فانه
خلق ادم ومواد النطف التي خلق نسله منها من التراب واستعمركم فيها

عمركم فيها واستبقاكم من العمر واقدركم على عمارتها وامركم بها وقيل هو
من العمرى بمعنى اعمركم فيها دياركم ويرثها منكم بعد انصرام اعماركم او جعلكم
معمرين دياركم تسكنونها مدة عمركم ثم تتركونها لغيركم فاستغفروه ثم
توبوا اليه ان ربي قريب قريب الرحمة مجيب لداعيه قالوا يا صالح قد كنت
فينا مرجوا قبل هذا لما نرى فيك من مخايل الرشد والسداد ان تكون لنا
سيدا او مستشارا في الامور او ان توافقنا في الدين فلما سمعنا هذا القول
منك انقطع رجاونا عنك اتنهانا ان نعبد ما يعبد اباونا على حكاية الحال
الماضية واننا لفي شك مما تدعونا اليه من التوحيد والتبري عن الاوثان
مريب موقع في الريبة من اراب او ذي ريبة على الاسناد المجازي من اراب
قال يا قوم ارايتم ان كنت على بينة من ربي بيان وبصيرة وحرف الشك
باعتبار المخاطبين واتاني منه رحمة نبوة فمن ينصرني من الله فمن يمنعني
من عذابه ان عصيته في تبليغ رسالته والمنع عن الاشراك به فما تزيدونني
اذا باستتباعكم اياي غير تخسير غير ان تخسروني بابطال ما منحني الله به
والتعرض لعذابه او فما تزيدونني بما تقولون لي غير ان انسبكم الى الخسران
ويا قوم هذه ناقة الله لكم اية انتصب اية على الحال وعاملها معنى الاشارة
ولكم حال منها تقدمت عليها لتنكيرها فذروها تاكل في ارض الله ترع نباتها
وتشرب ماءها ولا تمسوها بسوء فياخذكم عذاب قريب عاجل لا يتراخى
عن مسكم لها بالسوء الا يسيرا وهو ثلثة ايام فعقروها فقال تمتعوا في
داركم عيشوا في منازلكم او في داركم الدنيا ثلثة ايام الاربعا والخميس
والجمعة ثم تهلكون ذلك وعد غير مكذوب اي غير مكذوب فيه فاتسع
فيه باجرايه مجرى المفعول به كقوله ويوم شهدناه سليما وعامرا او غير
مكذوب على المجاز وكان الواعد قال له اني بك فان وفي صدق والا
كذبه او وعد غير كذب على انه مصدر كالمجلود والمعقول فلما جا امرنا
نجينا صالحا والذين امنوا معه برحمة منا ومن خزي يومئذ اي ونجيناهم
من خزي يومئذ وهو هلاكهم بالصيحة او ذلهم وفضيحتهم يوم القيمة
وعن نافع يومئذ بالفتح على اكتساب المضاف البناء من المضاف اليه ان ربك
هو القوي العزيز القادر على كل شي والغالب عليه واخذ الذين ظلموا الصيحة
فاصبحوا في ديارهم جاثمين قد سبق تفسير ذلك في سورة الاعراف
كان لم يغنوا فيها الا ان ثمود كفروا ربهم نونه ابو بكر ههنا وفي النجم

والكسائي في جميع القرآن وابن كثير ونافع وابن عامر وابو عمرو في قوله
الا بعدا لثمود ذهابا الى الحي او الاب الاكبر ولقد جاءت رسلنا ابرهيم
يعني الملئكة قيل كانوا تسعة وقيل ثلثة جبريل وميكائيل واسرافيل بالبشرى
ببشارة الولد وقيل بهلاك قوم لوط قالوا سلاما سلمنا عليك سلاما
ويجوز نصبه بقالوا على معنى ذكروا سلاما قال سلام اي امركم او جوابي
سلام او وعليكم سلام رفعه اجابة باحسن من تحيتهم وقرا حمزة والكسائي
سلم وكذلك في الذاريات وهما لغتان كحرم وحرام وقيل المراد به الصلح
فما لبث ان جاء بعجل حنيذ فما ابطأ مجيئه او فما ابطأ في المجيء به او فما
تأخر عنه والجار مقدر او محذوف والحنيذ المشوي بالرضف وقيل الذي
يقطر ودكه من حنذت الفرس اذا عرقته بالجلال كقوله بعجل سمين فلما
رأى ايديهم لا تصل اليه لا يمدون اليه ايديهم نكرهم واوجس منهم
خيفة انكر ذلك منهم وخاف ان يريدوا به مكروها وانكر واستنكر بمعنى
والايجاس الادراك وقيل الاضمار قالوا له لما احسوا منه اثر الخوف
لا تخف انا ارسلنا الى قوم لوط انا ملائكة مرسلة اليهم بالعذاب وانما
لم نمد اليه ايدينا لانا لا ناكل وامرأته قائمة وراء الستر تسمع محاورتهم
او على رؤسهم للخدمة فضحكت سرورا بزوال الخيفة او بهلاك اهل
الفساد او باصابة رأيها فانها كانت تقول لابرهيم اضمم اليك لوطا فاني
اعلم ان العذاب ينزل بهذا القوم وقيل فضحكت فحاضت قال وعهدي بسلمى
ضاحكا في لبانة ولم يعد حقا ثديها ان تحلما ومنه ضحكت السمرة اذا سال
صمغها وقرئ بفتح الحاء فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب نصبه
ابن عامر وحمزة وحفص بفعل يفسره ما دل عليه الكلام وتقديره ووهبنا لها
من وراء اسحق يعقوب وقيل انه على معطوف موضع باسحق او على لفظ اسحق
وفتحته للجر فانه غير مصروف ورد للفصل بينه وبين ما عطف بالظرف
وقرأ الباقون بالرفع على انه مبتدأ خبره الظرف اي ويعقوب مولود من بعده
وقيل الوراء ولد الولد ولعله سمي به لانه بعد الولد وعلى هذا تكون اضافته
الى اسحق ليس من حيث ان يعقوب وراءه بل من حيث انه وراء ابرهيم من جهته
وفيه نظر والاسمان يحتمل وقوعهما في البشارة كيحيى ويحتمل وقوعهما
في الحكاية بعد ان ولدا فسميا به وتوجيه البشارة اليها للدلالة على ان الولد
المبشر به يكون منها ولانها كانت عقيمة حريصة على الولد قالت يا ويلتى

من ح

يا عجبا واصله في الشر فاطلق في كل امر فظيع وقرئ بالياء على الاصل أألد
وانا عجوز ابنة تسعين او تسع وتسعين وهذا بعلي زوجي واصله القائم
بالامر شيخا ابن مائة او مائة وعشرين ونصبه على الحال والعامل فيها
معنى اسم الاشارة وقرئ بالرفع على انه خبر محذوف اي هو شيخ او خبر بعد خبر
او هو الخبر وبعلي بدل ان هذا لشيء عجيب يعني الولد من هرمين وهو استعجاب
من حيث العادة دون القدرة ولذلك قالوا اتعجبين من امر الله رحمة الله
وبركاته عليكم اهل البيت منكرين عليها فان خوارق العادات باعتبار
اهل بيت النبوة ومهبط المعجزات وتخصيصهم بمزيد النعم والكرامات
ليس ببدع ولا حقيق بان يستغربه عاقل فضلا عمن نشأت وشابت في ملاحظة
الآيات واهل البيت نصب على المدح او النداء لقصد التخصيص كقولهم اللهم
اغفر لنا ايتها العصابة انه حميد فاعل ما يستوجب به الحمد مجيد كثير الخير
والاحسان فلما ذهب عن ابرهيم الروع ما اوجس من الخيفة واطمأن قلبه
بعرفانهم وجاءته البشرى بدل الروع يجادلنا في قوم لوط يجادل
رسلنا في شأنهم ومجادلته اياهم قوله ان فيها لوطا وهو اما جواب لما جيء
به مضارعا على حكاية الحال او لانه في سياق الجواب بمعنى الماضي كجواب
لو او دليل جوابه المحذوف مثل اجترأ على خطابنا او شرع في جدالنا او متعلق
به اقيم مقامه مثل اخذ او اقبل يجادلنا ان ابرهيم لحليم غير عجول على الانتقام
من المسيء اواه كثير التأوه من الذنوب والتأسف على الناس منيب راجع
الى الله والمقصود من ذلك بيان الحامل على المجادلة وهو رقة قلبه وفرط
ترحمه يا ابرهيم على ارادة القول اي قالت الملئكة اعرض عن هذا الجدال
انه قد جاء امر ربك قدره بمقتضى قضائه الازلي بعذابهم وهو اعلم بحالهم
وانهم آتيهم عذاب غير مردود مصروف بجدال ولا دعاء ولا غير ذلك
ولما جاءت رسلنا لوطا سيء بهم ساءه مجيئهم لانهم جاؤا في صورة غلمان
فظن انهم اناس فخاف عليهم ان يقصدهم قومه فيعجز عن مدافعتهم وضاق
بهم ذرعا وضاق بمكانهم صدره وهو كناية عن شدة الانقباض للعجز عن مدافعة
المكروه والاحتيال فيه وقال هذا يوم عصيب شديد من عصبه اذا شده
وجاءه قومه يهرعون اليه يسرعون اليه كانهم يدفعون دفعا لطلب الفاحشة
من اضيافه ومن قبل ومن قبل ذلك الوقت كانوا يعملون السيئات الفواحش
فتمرنوا بها ولم يستحيوا منها حتى جاؤا يهرعون اليها مجاهرين قال يا قوم

هؤلاء بناتي فدى بهن اضيافه كرما وحمية والمعنى هؤلاء بناتي فتزوجوهن وكانوا
يطلبونهن قبل ولا يجيبهم لخبثهم وعدم كفاءتهم لا لحرمة المسلمات على الكفار
فانه شرع طار او مبالغة في تناهي خبث ما يرومونه حتى ان ذاك اهون منه
او اظهارا لشدة امتعاضه من ذلك كي يرقوا له وقيل المراد بالبنات نساؤهم
فان كل نبي ابو امته من حيث الشفقة والتربية وفي حرف ابن مسعود وازواجه
امهاتهم وهو اب لهم هن اطهر لكم انظف فعلا او اقل فحشا كقولك الميتة
اطيب من المغصوب واحل منه وقرئ اطهر بالنصب على ان هن خبر بناتي كقولك
هذا اخي هو لا فصل فانه لا يقع بين الحال وصاحبها فاتقوا الله بترك الفواحش
او بايثارهن عليهم ولا تخزون ولا تفضحوني من الخزي او ولا تخجلوني من الخزاية
بمعنى الحياء في ضيفي في شأنهم فان اخزاء ضيف الرجل اخزاؤه اليس منكم رجل
رشيد يهتدي الى الحق ويرعوي عن القبيح قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك
من حق حاجة وانك لتعلم ما نريد وهو اتيان الذكران قال لو ان لي بكم
قوة لو قويت بنفسي على دفعكم او اوي الى ركن شديد اي قوي اتمنع به
عنكم شبهه بركن الجبل في شدته وعن النبي صلى الله عليه وسلم رحم الله اخي
لوطا كان يأوي الى ركن شديد وقرئ او آوي بالنصب باضمار ان كانه قال
لو ان لي بكم قوة او اويا وجواب لو محذوف تقديره لدفعتكم روي انه اغلق بابه
دون اضيافه واخذ يجادلهم من وراء الباب فتسوروا الجدار فلما رات
الملائكة ما على لوط من الكرب قالوا يا لوط انا رسل ربك لن يصلوا
اليك لن يصلوا الى اضرارك باضرارنا فهون عليك ودعنا واياهم فخلاهم
ان يدخلوا فضرب جبريل بجناحه وجوههم فطمس اعينهم واعماهم فخرجوا
يقولون النجا النجا فان في بيت لوط سحرة فاسر باهلك بالقطع من
الاسراء وقرأ ابن كثير ونافع بالوصل حيث وقع في القرآن من السرى بقطع
من الليل بطائفة منه ولا يلتفت منكم احد ولا يتخلف او لا ينظر الى ورائه
والنهي في اللفظ لاحد وفي المعنى للوط الا امراتك استثناء من قوله فاسر
باهلك ويدل عليه انه قرئ فاسر باهلك بقطع من الليل الا امراتك وهذا
انما يصح على تأويل الالتفات بالتخلف فانه ان فسر بالنظر الى الوراء في الذهاب
ناقض ذلك قراءة ابن كثير وابي عمرو بالرفع على البدل من احد ولا يجوز حمل
القراءتين على الروايتين في انه خلفها مع قومها او اخرجها فلما سمعت صوت
العذاب التفتت وقالت يا قوماه فادركها حجر فقتلها لان القواطع لا يصح

حملها على المعاني المتناقضة والاولى جعل الاستثناء في القراءتين عن قوله ولا يلتفت
مثله في قوله ما فعلوه الا قليل ولا بعد ان يكون اكثر القراء على غير الافصح ولا
يلزم من ذلك امرها بالالتفات بل عدم نهيها عنه استصلاحا ولذلك علله
على طريقة الاستئناف بقوله انه مصيبها ما اصابهم ولا يحسن جعل الاستثناء
منقطعا على قراءة الرفع ان موعدهم الصبح كانه علة الامر بالاسراء اليس الصبح
بقريب جواب لاستعجال لوط واستبطائه العذاب فلما جاء امرنا عذابنا
او امرنا به ويؤيده الاصل وجعل التعذيب مسببا عنه بقوله جعلنا عاليها
سافلها فانه جواب لما وكان حقه جعلوا عاليها اي الملائكة المامورون به
فاسند الى نفسه من حيث انه المسبب تعظيما للامر فانه روي ان جبريل عليه
السلام ادخل جناحه تحت مدائنهم ورفعها الى السماء حتى سمع اهل السماء
نباح الكلاب وصياح الديكة ثم قلبها عليهم وامطرنا عليها على المدن او على
شذاذها حجارة من سجيل من طين متحجر لقوله حجارة من طين واصله سنك كل
فعرب وقيل انه من اسجله اذا ارسله او ادر عطيته والمعنى من مثل الشيء المرسل
او من مثل العطية في الادرار او من السجل اي مما كتب الله ان يعذبهم به وقيل
اصله من سجين اي من جهنم فابدلت نونه لاما منضود نضد معدا لعذابهم
او نضد في الارسال يتابع بعضه بعضا كقطار الامطار او نضد بعضه على بعض
والصق به مسومة معلمة للعذاب وقيل معلمة ببياض وحمرة او بسيما تتميز به
عن حجارة الارض او باسم من يرمى به عند ربك في خزائنه وما هي من الظالمين
ببعيد فانهم بظلمهم حقيق بان تمطر عليهم وفيه وعيد لكل ظالم وعنه عليه
السلام انه سأل جبريل فقال يعني ظالمي امتك ما من ظالم منهم الا وهو بعرض
حجر يسقط عليه من ساعة الى ساعة وقيل الضمير للقرى اي هي قريبة من ظالمي
مكة يمرون بها في اسفارهم الى الشام وتذكير البعيد على تأويل الحجر او المكان
والى مدين اخاهم شعيبا اراد اولاد مدين بن ابراهيم عليه السلام
او اهل مدين وهو بلد بناه فسمي باسمه قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله
غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان امرهم بالتوحيد اولا فانه ملاك الامر
ثم نهاهم عما اعتادوه من البخس المنافي للعدل المخل بحكمة التعاوض اني اراكم
بخير بسعة تغنيكم عن البخس او بنعمة حقها ان تتفضلوا على الناس شكرا عليها لا
ان تنقصوا حقوقهم او بسعة فلا تزيلوها بما انتم عليه وهو في الجملة علة النهي
واني اخاف عليكم عذاب يوم محيط لا يشذ منه احد منكم وقيل عذاب

مهلك من قوله واحيط بثمره والمراد عذاب يوم القيمة او عذاب الاستيصال
ووصف اليوم بالاحاطة وهي صفة العذاب لاشتماله عليه ويا قوم اوفوا
المكيال والميزان صرح الامر بالايفاء بعد النهي عن ضده مبالغة
وتنبيها على انه لا يكفيهم الكف عن تعمد التطفيف بل يلزمهم السعي في الايفاء
ولو بزيادة لا يتاتى دونها بالقسط بالعدل والسوية من غير زيادة و
نقصان فان الازدياد ايضا وهو مندوب غير مامور به وقد يكون محظورا
ولا تبخسوا الناس اشياءهم تعميم بعد تخصيص فانه اعم من ان يكون في
المقدار او في غيره وكذا قوله ولا تعثوا في الارض مفسدين فان العثو
يعم تنقيص الحقوق وغيره من انواع الفساد وقيل المراد بالبخس المكس
كاخذ العشور من المعاملات والعثو السرقة وقطع الطريق والغارة وفائدة
الحال اخراج ما يقصد به الاصلاح كما فعله الخضر عليه السلام وقيل معناه
ولا تعثوا في الارض مفسدين امر دينكم ومصالح اخرتكم بقيت الله ما ابقاه
لكم من الحلال بعد التنزه عما حرم عليكم خير لكم مما تجمعون بالتطفيف
ان كنتم مومنين بشرط ان تومنوا فان خيريتها باستتباع الثواب مع
النجاة وذلك مشروط بالايمان او ان كنتم مصدقين لي في قولي لكم وقيل البقية
الطاعة لقوله والباقيات الصالحات وقرئ تقية الله بالتاء وهي تقواه
التي تكف عن المعاصي وما انا عليكم بحفيظ احفظكم عن القبائح او احفظ
عليكم اعمالكم فاجازيكم عليها وانما انا ناصح مبلغ وقد اعذرت حين انذرت
او لست بحافظ عليكم نعم الله لو لم تتركوا سوء صنيعكم قالوا يا شعيب
اصلواتك تامرك ان نترك ما يعبد اباؤنا من الاصنام اجابوا به بعد
امرهم بالتوحيد على الاستهزاء به والتهكم بصلوته والاشعار بان مثله
لا يدعو اليه داع عقلي وانما دعاك اليه خطرات ووساوس من جنس ما
تواظب عليه وكان كثير الصلوة فلذلك جمعوا وخصوا بالذكر وقرا حمزة
والكسائي وحفص على الافراد والمعنى اصلواتك تامرك بتكليف ان نترك
فحذف المضاف لان الرجل لا يومر بفعل غيره او ان نفعل في اموالنا ما
نشاء عطف على ما اي وان نترك فعلنا ما نشاء في اموالنا وقرئ بالتاء
فيهما على ان العطف على ان نترك وهو جواب النهي عن التطفيف والامر
بالايفاء وقيل كان ينهاهم عن تقطيع الدراهم والدنانير فارادوا به ذلك
انك لانت الحليم الرشيد تهكموا به وقصدوا وصفه بضد ذلك او

انكار

انكار ما سمعوا منه واستبعاده بانه موسوم بالحلم والرشد المانعين عن
المبادرة الى امثال ذلك قال يا قوم ارايتم ان كنت على بينة من ربي
ورزقني منه رزقا حسنا اشارة الى ما اتاه من المال الحلال وجواب
الشرط محذوف تقديره فهل يسع لي مع هذا الانعام الجامع للسعادات
الروحانية والجسمانية ان اخون في وحيه واخالفه في امره ونهيه وهو اعتذار
عما انكروا عليه من تغيير المالوف والنهي عن دين الاباء والضمير في منه لله اي من
عنده وباعانته بلا كد مني في تحصيله وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم
عنه اي وما اريد ان اتي ما انهاكم عنه لاستبد به فلو كان صوابا لاثرته
ولم اعرض عنه فضلا ان انهى عنه يقال خالفت زيدا الى كذا اذا قصدته
وهو مول عنه وخالفته عنه اذا كان الامر بالعكس ان اريد الا الاصلاح
ما استطعت ما اريد الا ان اصلحكم بامري بالمعروف ونهيي عن المنكر
ما دمت استطيع الاصلاح فلو وجدت الصلاح فيما انتم عليه لما نهيتكم عنه
ولهذه الاجوبة الثلثة على هذا النسق شان وهو التنبيه على ان العاقل يجب
ان يراعي في كل ما ياتيه ويذره احد حقوق ثلثة اهمها واعلاها حق الله وثانيها
حق النفس وثالثها حق الناس وكل ذلك يقتضي ان امركم بما امرتكم به وانهاكم
عما نهيتكم عنه وما مصدرية واقعة موقع الظرف وقيل خبرية بدل
من الاصلاح اي المقدار الذي استطعته او اصلاح ما استطعته فحذف
المضاف وما توفيقي الا بالله وما توفيقي لاصابة الحق والصواب الا بهدايته
ومعونته عليه توكلت فانه القادر المتمكن من كل شيء وما عداه عاجز
في حد ذاته بل معدوم ساقط عن درجة الاعتبار وفيه اشارة الى محض
التوحيد الذي هو اقصى مراتب العلم بالمبدا واليه انيب اشارة الى معرفة
المعاد وهو ايضا يفيد الحصر بتقديم الصلة على الله وفي هذه الكلمات طلب
التوفيق لاصابة الحق فيما ياتي ويذره من الله والاستعانة به في مجامع امره
والاقبال عليه بشراشره وحسم اطماع الكفار واظهار الفراغ عنهم وعدم
المبالاة بمعاداتهم وتهديدهم بالرجوع الى الله للجزاء ويا قوم لا يجرمنكم
لا يكسبنكم شقاقي معاداتي ان يصيبكم مثل ما اصاب قوم نوح
من الغرق او قوم هود من الريح او قوم صالح من الرجفة وان بصلتها
ثاني مفعولي جرم فانه تعدى الى واحد والى اثنين ككسب وعن ابن كثير
يجرمنكم بالضم وهو منقول من المتعدي الى مفعول واحد والاول افصح فان اجرم

اقل دورانا على السنة الفصحاء وقرئ مثل بالفتح لاضافته الى المبني كقوله
لم يمنع الشرب منها غير ان نطقت حمامة في غصون ذات اوقال وما قوم
لوط منكم ببعيد زمانا او مكانا فان لم تعتبروا بمن قبلهم فاعتبروا بهم
او ليسوا ببعيد منكم في الكفر والمساوي فلا يبعد عنكم ما اصابهم وافراد
البعيد لان المراد وما اهلاكهم او وما هم بشيء بعيد ولا يبعد ان يسوي في
امثاله بين المذكر والمؤنث لانها على زنة المصادر كالصهيل والشهيق واستغفروا
ربكم ثم توبوا اليه عما انتم عليه ان ربي رحيم عظيم الرحمة للتائبين ودود
فاعل بهم من اللطف والاحسان ما يفعل البليغ المودة بمن يوده وهو وعد
على التوبة بعد الوعيد على الاصرار قالوا يا شعيب ما نفقه ما نفهم كثيرا مما
تقول كوجوب التوحيد وحرمة البخس وما ذكرت دليلا عليهما وذلك لقصور
عقلهم وعدم تفكرهم وقيل قالوا ذلك استهانة بكلامه او لانهم لم يلقوا
اليه اذهانهم لشدة نفرتهم عنه وانا لنراك فينا ضعيفا لا قوة لك فتمتنع
منا ان اردنا بك سوءا او مهينا لا عز لك وقيل اعمى بلغة حمير وهو مع عدم
مناسبته يرده التقييد بالظرف ومنع بعض المعتزلة استنباء الاعمى قياسا
على القضاء والشهادة والفرق بين ولولا رهطك قومك وعزتهم عندنا
لكونهم على ملتنا لا لخوف من شوكتهم فان الرهط من الثلاثة الى العشرة
وقيل الى التسعة لرجمناك لقتلناك برمي الاحجار او باصعب وجه وما
انت علينا بعزيز فتمنعنا عزتك عن الرجم وهذا ديدن السفيه المحجوج
يقابل الحجج والآيات بالسب والتهديد وفي ايلاء الضمير حرف النفي
تنبيه على ان الكلام فيه لا في ثبوت العزة وان المانع لهم عن ايذائه عزة
قومه ولذلك قال يا قوم ارهطي اعز عليكم من الله واتخذتموه وراءكم
ظهريا وجعلتموه كالمنسي المنبوذ وراء الظهر باشراككم به والاهانة برسوله
فلا تبقون على الله وتبقون على رهطي وهو يحتمل الانكار والتوبيخ والرد
والتكذيب والظهري منسوب الى الظهر والكسر من تغييرات النسب ان ربي
بما تعملون محيط فلا يخفى عليه شيء منها فيجازي عليها ويا قوم اعملوا على
مكانتكم اني عامل سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه سبق
مثله في سورة الانعام والفاء في فسوف تعلمون ثمة للتصريح بان الاصرار
والتمكن فيما هم عليه سبب لذلك وحذفها ههنا لانه جواب سائل قال فماذا
يكون بعد ذلك فهو ابلغ في التهويل ومن هو كاذب عطف على من يأتيه

لانه قسيم له كقولك ستعلم الصادق والكاذب بل لانهم لما اوعدوه وكذبوه
قال سوف تعلمون من المعذب والكاذب مني ومنكم وقيل كان قياسه ومن هو
صادق لينصرف الاول اليهم والثاني اليه لكنهم لما كانوا يدعونه كاذبا
قال ومن هو كاذب على زعمهم وارتقبوا فانتظروا ما اقول لكم اني معكم
رقيب منتظر فعيل بمعنى الراقب كالصريم او المراقب كالعشير او المرتقب كالرفيع ولما
جاء امرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا انما ذكره بالواو كما
في قصة عاد اذ لم يسبقه ذكر وعد يجري مجرى السبب له بخلاف قصتي صالح
ولوط فانه ذكر بعد الوعد وذلك قوله وعد غير مكذوب وقوله ان موعدهم
الصبح فلذلك جاء بفاء السببية واخذت الذين ظلموا الصيحة قيل صاح
بهم جبريل فهلكوا فاصبحوا في ديارهم جاثمين ميتين واصل الجثوم اللزوم
في المكان كان لم يغنوا فيها كان لم يقيموا فيها الا بعدا لمدين كما بعدت
ثمود شبههم بهم لان عذابهم كان ايضا بالصيحة غير ان صيحتهم كانت من
تحتهم وصيحة مدين كانت من فوقهم وقرئ بعدت بالضم على الاصل فان
الكسر تغيير لتخصيص معنى البعد بما يكون بسبب الهلاك والبعد مصدر لهما
والبعد مصدر المكسور ولقد ارسلنا موسى باياتنا بالتوراة او المعجزات
وسلطان مبين وهو المعجزات القاهرة او العصا وافرادها بالذكر لانها ابهرها
ويجوز ان يراد بهما واحد اي ولقد ارسلناه بالجامع بين كونه اياتنا وسلطانا
له على نبوته واضحا في نفسه او موضحا اياها فان ابان جاء لازما ومتعديا
والفرق بينهما ان الاية تعم الامارة والدليل القاطع والسلطان يخص القاطع
والمبين يخص بما فيه جلاء الى فرعون وملائه فاتبعوا امر فرعون فاتبعوا
امره بالكفر بموسى او فما اتبعوا موسى الهادي الى الحق المؤيد بالمعجزات القاهرة
الباهرة واتبعوا طريقة فرعون المنهمك في الضلال والطغيان الداعي الى
ما لا يخفى فساده على من له ادنى مسكة من العقل لفرط جهالتهم وعدم استبصارهم
وما امر فرعون برشيد مرشد او ذي رشد وانما هو غي محض وضلال
صريح يقدم قومه يوم القيامة الى النار كما كان يقدمهم في الدنيا
الى الضلال يقال قدم بمعنى تقدم فاوردهم النار ذكره بلفظ الماضي مبالغة الماضي ص
في تحققه ونزل النار لهم منزلة الماء فسمى اتيانها موردا ثم قال وبئس الورد
المورود اي بئس المورد الذي وردوه فانه يراد لتبريد الاكباد وتسكين
العطش والنار بالضد والاية كالدليل على قوله وما امر فرعون برشيد فان من

هذا عاقبته لم يكن في امره رشد او تفسير له على ان المراد بالرشد ما يكون
مامون العاقبة حميدها واتبعوا في هذه لعنة ويوم القيمة اي يلعنون
في الدنيا والاخرة بئس الرفد المرفود بئس العون المعان او العطا المعطى
واصل الرفد ما يضاف الى غيره ليعمده والمخصوص بالذم محذوف اي رفدهم
وهو اللعنة في الدارين ذلك اي ذلك النبا من انبا القرى المهلكة نقصه عليك
مقصوص عليك منها قائم من تلك القرى باق كالزرع القائم وحصيد
ومنها عافي الاثر كالزرع المحصود والجملة مستانفة وقيل حال من الهاء في
نقصه وليس بصحيح اذ لا واو ولا ضمير وما ظلمناهم باهلاكنا اياهم ولكن
ظلموا انفسهم بان عرضوها له بارتكاب ما يوجبه فما اغنت عنهم فما
نفعتهم ولا قدرت ان تدفع عنهم الهتهم التي يدعون من دون الله
من شيء لما جاء امر ربك حين جاءهم عذابه ونقمته وما زادوهم غير
تتبيب هلاك او تخسير وكذلك ومثل ذلك الاخذ اخذ ربك وقرئ
اخذ ربك بالفعل فيكون محل الكاف النصب على المصدر اذا اخذ القرى
اي اهلها وقرئ اذ لان المعنى على المضي وهي ظالمة حال من القرى وهي في
الحقيقة لاهلها لكنها لما اقيمت مقامه اجريت عليها وفائدتها الاشعار
بانهم اخذوا لظلمهم وانذار كل ظالم ظلم نفسه او غيره من وخامة العاقبة
ان اخذه اليم شديد وجيع غير مرجو الخلاص عنه وهو مبالغة في
التهديد والتحذير ان في ذلك اي فيما نزل بالامم الهالكة او فيما قصه الله
تعالى من قصصهم لاية لعبرة لمن خاف عذاب الاخرة يعتبر به عظته
لعلمه بان ما حاق بهم انموذج مما اعد الله للمجرمين في الاخرة او ينزجر به عن موجباته
لعلمه بانه من اله مختار يعذب من يشا ويرحم من يشا فان من انكر الاخرة واحال
فناء هذا العالم لم يقل بالفاعل المختار وجعل تلك الوقائع لاسباب فلكية
اتفقت في تلك الايام لا لذنوب المهلكين بها ذلك اشارة الى يوم القيمة
وعذاب الاخرة دل عليه يوم مجموع له الناس اي يجمع له الناس والتغيير
للدلالة على ثبات معنى الجمع لليوم وانه من شانه لا محالة وان الناس لا ينفكون
عنه فهو ابلغ من قوله يوم يجمعكم ليوم الجمع ومعنى الجمع له الجمع لما فيه من
المحاسبة والمجازاة وذلك يوم مشهود اي مشهود فيه اهل السموات
والارضين فاتسع فيه باجرا الظرف مجرى المفعول به كقوله في محفل من نواصي
الناس مشهود اي كثير شاهدوه ولو جعل اليوم مشهودا في نفسه لبطل الغرض

من

من تعظيم اليوم وتمييزه فان سائر الايام كذلك وما نؤخره اي اليوم الا لاجل
معدود الا لانتهاء مدة معدودة متناهية على حذف المضاف واراد مدة
التاجيل كلها بالاجل لا منتهاها فانه غير معدود يوم يات اي الجزا او اليوم
لقوله ان تاتيهم الساعة على ان يوم بمعنى حين او الله تعالى كقوله هل ينظرون
الا ان ياتيهم الله ونحوه وقرا ابن عامر وعاصم وحمزة يات بحذف اليا اجتزا
عنها بالكسرة لا تكلم نفس لا تتكلم بما ينفع وينجي من جواب او شفاعة وهو الناصب
للظرف ويحتمل نصبه باضمار اذكر او بالانتهاء المحذوف الا باذنه الا باذن
الله كقوله لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وهذا في موقف وقوله هذا يوم
لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون في موضع اخر او الماذون فيه هي
الجوابات الحقة والممنوع عنه هي الاعذار الباطلة فمنهم شقي وجبت له
النار بمقتضى الوعيد وسعيد وجبت له الجنة بموجب الوعد والضمير لاهل الموقف
وان لم يذكر لانه معلوم مدلول عليه بقوله لا تكلم نفس او للناس فاما
الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق الزفير اخراج النفس والشهيق رده
واستعمالهما في اول النهيق واخره والمراد بهما الدلالة على شدة كربهم
وغمهم وتشبيه حالهم بمن استولت الحرارة على قلبه وانحصر فيه روحه او تشبيه
صراخهم باصوات الحمير وقرئ شقوا بالضم خالدين فيها ما دامت السموات
والارض ليس لارتباط دوامهم في النار بدوامها فان النصوص دالة على تابيد
دوامهم وانقطاع دوامها بل التعبير عن التابيد والمبالغة بما كانت العرب
يعبرون به عنه على سبيل التمثيل ولو كان للارتباط لم يلزم ايضا من زوال
السموات والارض زوال عذابهم ولا من دوامهم دوامهما الا من قبيل المفهوم
لان دوامهما كالملزوم لدوامه وقد عرفت ان المفهوم لا يقاوم المنطوق وقيل
المراد سموات الاخرة وارضها ويدل عليه قوله تعالى يوم تبدل الارض
غير الارض والسموات وان اهل الاخرة لا بد لهم من مظل ومقل وفيه نظر لانه
تشبيه بما لا يعرف اكثر الخلق وجوده ودوامه ومن عرفه فانما يعرفه بما يدل
على دوام الثواب والعقاب فلا يجدي له التشبيه الا ما شاء ربك استثناء
من الخلود في النار لان بعضهم وهم فساق الموحدين يخرجون منها وذلك
كاف في صحة الاستثناء لان زوال الحكم عن الكل يكفيه زواله عن البعض
وهم المراد بالاستثناء الثاني فانهم مفارقون عن الجنة ايام عذابهم فان
التابيد من مبدا معين ينتقض باعتبار الابتداء كما ينتقض باعتبار الانتهاء وهؤلاء

وهؤلاء وان شقوا بعصيانهم فقد سعدوا بايمانهم ولا يقال فعلى هذا لم يكن قوله
فمنهم شقي وسعيد تقسيما صحيحا لان من شرطه ان يكون صفة كل قسم منتفية
عن قسيمه لان ذلك الشرط حيث التقسيم لانفصال حقيقي او مانع من الجمع وههنا
المراد ان اهل الموقف لا يخرجون عن القسمين وان حالهم لا يخلو عن السعادة
والشقاوة وذلك لا يمنع اجتماع الامرين في شخص باعتبارين او لان اهل النار
ينقلون منها الى الزمهرير وغيره من العذاب احيانا وكذلك اهل الجنة ينعمون
بما هو اعلى من الجنة كالاتصال بجناب القدس والفوز برضوان الله ولقائه او من
اصل الحكم والمستثنى زمان توقفهم في الموقف للحساب لان ظاهره يقتضي ان
يكونوا في النار حين يأتي اليوم او مدة لبثهم في الدنيا والبرزخ ان كان الحكم مطلقا
غير مقيد باليوم وعلى هذا التأويل يحتمل ان يكون الاستثناء من الخلود على ما
عرفت وقيل هو من قوله لهم فيها زفير وشهيق وقيل الا ههنا بمعنى سوى كقولك
علي الف الا الالفان القديمان والمعنى سوى ما شاء ربك من الزيادة التي لا تخطر
على مدة بقاء السموات والارض ان ربك فعال لما يريد من غير اعتراض واما الذين
سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء
ربك عطاء غير مجذوذ غير مقطوع وهو تصريح بان الثواب لا ينقطع وتنبيه
على ان المراد من الاستثناء في الثواب ليس الانقطاع ولاجله فرق بين الثواب والعقاب
في التأبيد وقرأ حمزة والكسائي وحفص سعدوا على البناء للمفعول من سعده الله بمعنى اسعده
وعطاء نصب على المصدر المؤكد اي اعطوا عطاء او الحال من الجنة فلا تك في مرية
شك بعد ما انزل عليك من حال الناس مما يعبد هؤلاء من عبادة هؤلاء المشركين
في انها ضلال مؤد الى مثل ما حل بمن قبلهم ممن قصصت عليك سوء عاقبة عبادتهم
او من حال ما يعبدون في انه يضر ولا ينفع ما يعبدون الا كما يعبد آباؤهم
من قبل استئناف معناه تعليل النهي عن المرية اي هم وآباؤهم سواء في الشرك اي ما
يعبدون عبادة الا كعبادتهم او ما يعبدون شيئا الا مثل ما عبدوه من الاوثان
وقد بلغك ما لحق آباءهم من ذلك فسيلحقهم مثله لان التماثل في الاسباب
يقتضي التماثل في المسببات ومعنى كما يعبد كما كان يعبد فحذف لدلالة قبل عليه
وانا لموفوهم نصيبهم حظهم من العذاب كآبائهم او من الرزق فيكون عذرا
لتأخير العذاب عنهم مع قيام ما يوجبه غير منقوص حال من النصيب لتقييد
التوفية فانك تقول وفيته حقه وتريد به وفاء بعضه ولو مجازا ولقد آتينا
موسى الكتاب فاختلف فيه فآمن به قوم وكفر به قوم كما اختلف هؤلاء

في القرآن ولولا كلمة سبقت من ربك يعني كلمة الانظار الى يوم القيامة
لقضي بينهم بانزال ما يستحقه المبطل ليتميز به عن المحق وانهم وان كفار قومك
لفي شك منه من القرآن مريب موقع للريبة وان كلا وان كل المختلفين المؤمنين
منهم والكافرين والتنوين بدل المضاف اليه وقرأ ابن كثير ونافع وابو بكر بالتخفيف
مع الاعمال اعتبارا للاصل لما ليوفينهم ربك اعمالهم اللام الاولى موطئة
للقسم والثانية للتأكيد او بالعكس وما مزيدة بينهما للفصل وقرأ ابن عامر
وعاصم وحمزة لما بالتشديد على ان اصله لمن ما فقلبت النون ميما للادغام
فاجتمعت ثلث ميمات فحذفت اولاهن والمعنى لمن الذين يوفينهم ربك جزاء اعمالهم
وقرئ لما بالتنوين اي جميعا كقوله اكلا لما وان كل لما على ان ان نافية ولما بمعنى الا
وقد قرئ به انه بما يعملون خبير فلا يفوته شيء وان خفي فاستقم كما امرت لما بين
امر المختلفين في التوحيد والنبوة واطنب في شرح الوعد والوعيد امر رسوله
صلى الله عليه وسلم بالاستقامة مثل ما امر بها وهي شاملة للاستقامة
في العقائد كالتوسط بين التشبيه والتعطيل بحيث يبقى العقل مصونا من الطرفين
والاعمال من تبليغ الوحي وبيان الشرائع كما انزل والقيام بوظائف العبادات
من غير تفريط وافراط مفوت للحقوق ونحوها وهو في غاية العسر ولذلك
قال عليه السلام شيبتني سورة هود ومن تاب معك اي تاب من الشرك والكفر
وآمن معك وهو عطف على المستكن في استقم وان لم يؤكد بمنفصل لقيام الفاصل
مقامه ولا تطغوا ولا تخرجوا عما حد لكم انه بما تعملون بصير فهو مجازيكم
عليه وهو في معنى التعليل للامر والنهي وفي الآية دليل على وجوب اتباع النصوص
من غير تصرف وانحراف بنحو قياس واستحسان ولا تركنوا الى الذين ظلموا ولا
تميلوا اليهم ادنى ميل فان الركون هو الميل اليسير كالتزيي بزيهم وتعظيم ذكرهم
واستدامته فتمسكم النار بركونكم اليهم واذا كان الركون الى من وجد منه
ما يسمى ظلما كذلك فما ظنك بالركون الى الظالمين اي الموسومين بالظلم ثم
بالميل اليهم كل الميل ثم بالظلم نفسه والانهماك فيه ولعل الآية ابلغ ما يتصور
في النهي عن الظلم والتهديد عليه وخطاب الرسول ومن معه من المؤمنين بها للتثبيت
على الاستقامة التي هي العدل فان الزوال عنها بالميل الى احد طرفي افراط وتفريط
فانه ظلم على نفسه او غيره بل ظلم في نفسه وقرئ فتمسكم بكسر التاء على لغة تميم
وتركنوا على البناء للمفعول من اركنه وما لكم من دون الله من اولياء من انصار
يمنعون العذاب عنكم والواو للحال ثم لا تنصرون اي ثم لا ينصركم الله اذ سبق

الى حكمه ان يعذبكم ولا يبقى عليكم وثم لاستبعاد نصره اياهم وقد اوعدهم
بالعذاب عليه واوجبه لهم ويجوز ان يكون منزلا منزلة الفا بمعنى الاستبعاد
فانه لما بين ان الله معذبهم وان غيره لا يقدر على نصرهم انتج ذلك انهم لا ينصرون
اصلا واقم الصلوة طرفي النهار غدوة وعشية وانتصابه على الظرف
لانه مضاف اليه وزلفا من الليل وساعات منه قريبة من النهار فانه من ازلفه
اذا قربه وهو جمع زلفة وصلوة الغداة صلوة الصبح لانها اقرب الصلوات
من اول النهار وصلوة العشية العصر وقيل الظهر والعصر لان ما بعد الزوال
عشي وصلوة الزلف المغرب والعشا وقرى زلفا بضمتين وضمة وسكون كبسر
وبسر في بسرة وزلفى بمعنى زلفة كقربى وقربة ان الحسنات يذهبن السيئات
يكفرنها وفي الحديث ان الصلوة الى الصلوة كفارة لما بينهما ما اجتنبت الكبائر
وفي سبب النزول ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اني قد اصبت
من امراة غير اني لم اتها فنزلت ذلك اشارة الى قوله فاستقم وما بعده وقيل
الى القران ذكرى للذاكرين عظة للمتعظين واصبر على الطاعات وعن
المعاصي فان الله لا يضيع اجر المحسنين عدول عن المضمر ليكون كالبرهان
على المقصود ودليلا على ان الصلوة والصبر احسان وايماء بانه لا يعتد بهما
دون الاخلاص فلولا كان فهلا كان من القرون من قبلكم اولوا بقية
من الراي والعقل او اولو فضل وانما سمي بقية لان الرجل يستبقي افضل
ما يخرجه ومنه يقال فلان من بقية القوم اي من خيارهم ويجوز ان
يكون مصدرا كالتقية اي ذوي ابقاء على انفسهم وصيانة لها من العذاب
ويؤيده انه قرى بقية وهي المرة من مصدر بقاه يبقيه اذا راقبه ينهون
عن الفساد في الارض الا قليلا ممن انجينا منهم لكن قليلا منهم انجاهم
لانهم كانوا كذلك ولا يصح اتصاله الا اذا جعل استثناء من النفي اللازم للتحضيض
واتبع الذين ظلموا ما اترفوا فيه ما انعموا فيه من الشهوات واهتموا
بتحصيل اسبابها واعرضوا عما وراء ذلك وكانوا مجرمين كافرين كانه
اراد ان يبين ما كان السبب لاستئصال الامم السالفة وهو فشو الظلم فيهم
واتباعهم للهوى وترك النهي عن المنكرات مع الكفر وقوله واتبع عطف على مضمر
دل عليه الكلام اذ المعنى فلم ينهوا عن الفساد واتبع الذين ظلموا وكانوا مجرمين
عطف على اتبع او اعتراض وقرى واتبع اي اتبعوا جزاء ما اترفوا فتكون الواو
للحال ويجوز ان يفسر به المشهورة ويعضده تقدم الانجا وما كان ربك

ليهلك

ليهلك القرى بظلم بشرك واهلها مصلحون فيما بينهم لا يضمون الى شركهم
فسادا وتباغيا وذلك لفرط رحمته ومسامحته في حقوقه ومن ذلك قدم
الفقهاء عند تزاحم الحقوق حقوق العباد وقيل الملك يبقى مع الكفر ولا
يبقى مع الظلم ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة مسلمين كلهم وهو دليل
ظاهر على ان الامر غير الارادة وانه تعالى لم يرد الايمان من كل احد وان ما
اراده يجب وقوعه ولا يزالون مختلفين بعضهم على الحق وبعضهم على
الباطل لا تكاد تجد اثنين يتفقان مطلقا الا من رحم ربك الا ناسا هداهم
الله من فضله فاتفقوا على ما هو اصول دين الحق والعمدة فيه ولذلك خلقهم
ان كان الضمير للناس فالاشارة الى الاختلاف واللام للعاقبة او اليه والى
الرحمة وان كان لمن فالى الرحم وتمت كلمة ربك وعيده او قوله للملائكة
لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين اي من عصاتهما اجمعين او منهما
اجمعين لا من احدهما وكلا وكل نباء نقص عليك من انباء الرسل نخبرك به
ما نثبت به فؤادك بيان لكلا او بدل منه وفائدته التنبيه على المقصود من
الاقتصاص وهو زيادة يقينه وطمانينة قلبه وثبات نفسه على اداء الرسالة
واحتمال اذى الكفار او مفعول وكلا منصوب على المصدر بمعنى كل نوع
من انواع الاقتصاص نقص عليك ما نثبت به فؤادك من انباء الرسل وجاءك
في هذه السورة او الانباء المقتصة عليك الحق ما هو حق وموعظة وذكرى
للمؤمنين اشارة الى سائر فوائده العامة وقل للذين لا يؤمنون اعملوا
على مكانتكم على حالكم انا عاملون على حالنا وانتظروا بنا الدوائر
انا منتظرون ان ينزل بكم نحو ما نزل على امثالكم ولله غيب السموات
والارض خاصة لا يخفى عليه خافية مما فيهما واليه يرجع الامر كله فيرجع
لا محالة امرهم وامرك اليه فاعبده وتوكل عليه فانه كافيك وفي تقديم
الامر بالعبادة على التوكل تنبيه على انه انما ينفع العابد وما ربك بغافل
عما تعملون انت وهم فيجازي كلا ما يستحقه وقرا نافع وحفص وابن عامر
بالتاء هنا وفي اخر النمل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة هود
اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح ومن كذب به وهود وصالح
وشعيب ولوط وابراهيم وموسى وكان يوم القيمة من السعداء ان شاء الله تعالى

[illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم الر تلك آيات الكتاب المبين تلك اشارة
الى آيات السورة وهي المراد بالكتاب اي تلك الآيات آيات السورة الظاهر
امرها في الاعجاز او الواضحة معانيها او المبينة لمن تدبرها انها من عند الله
او لليهود ما سألوا اذ روي ان علماءهم قالوا لكبراء المشركين سلوا محمدا لم انتقل
آل يعقوب من الشام الى مصر وعن قصة يوسف فنزلت انا انزلناه اي الكتاب
قرآنا عربيا سمي البعض قرآنا لانه في الاصل اسم جنس يقع على الكل والبعض
وصار علما بالغلبة ونصبه على الحال وهو في نفسه اما توطئة للحال التي هي
عربيا او حال لانه مصدر بمعنى مفعول وعربيا صفة له او حال من الضمير فيه او حال
بعد حال وفي كل ذلك خلاف لعلكم تعقلون علة لانزاله بهذه الصفة
اي انزلناه مجموعا او مقروءا بلغتكم كي تفهموه وتحيطوا بمعانيه وتستعملوا فيه
عقولكم فتعلموا ان اقتصاصه كذلك ممن لم يتعلم القصص معجز لا يتصور الا بالايحاء
نحن نقص عليك احسن القصص احسن الاقتصاص لانه اقتص على ابدع الاساليب
او احسن ما يقص لاشتماله على العجائب والحكم والآيات والعبر فعل بمعنى مفعول
كالنقض والسلب واشتقاقه من قص اثره اذا اتبعه بما اوحينا بايحائنا
اليك هذا القرآن يعني السورة ويجوز ان يجعل هذا مفعول نقص على
ان احسن نصب على المصدر وان كنت من قبله لمن الغافلين عن هذه القصة
لم يخطر ببالك ولم يقرع سمعك قط وهو تعليل لكونه موحى وان هي المخففة
من الثقيلة واللام هي الفارقة اذ قال يوسف بدل من احسن القصص ان جعل
مفعولا بدل الاشتمال او منصوب باضمار اذكر ويوسف عبري ولو كان عربيا
لصرف وقرئ بفتح السين وكسرها على التلعب به لا على انه مضارع بني للمفعول
او الفاعل من آسف لان المشهورة شهدت بعجمته لابيه يعقوب بن اسحق
ابن ابراهيم يا ابت اصله يا ابي فعوض عن الياء تاء التانيث لتناسبهما
في الزيادة ولذلك قلبها هاء في الوقف ابن كثير وابو عمرو ويعقوب
وكسرها لانها عوض حرف يناسبها وفتحها ابن عامر في كل القرآن لانها
حركة اصلها او لانه كان يا ابتا فحذف الالف وبقي الفتحة وانما جاز يا ابتا
ولم يجز يا ابتي لانه جمع بين العوض والمعوض وقرئ بالضم اجراء لها مجرى
الاسماء المؤنثة بالتاء من غير اعتبار التعويض وانما لم تسكن كاصلها لانها
حرف صحيح منزل منزلة الاسم فيجب تحريكها ككاف الخطاب اني رايت
من الرؤيا لا من الرؤية لقوله لا تقصص رؤياك وقوله هذا تاويل رؤياي

احد عشر كوكبا والشمس والقمر روي عن جابر ان يهوديا جاء الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال اخبرني يا محمد عن النجوم التي راهن يوسف فسكت
فنزل جبريل فاخبره بذلك فقال ان اخبرتك هل تسلم قال نعم فقال جريان
والطارق والذيال وقابس وعمودان والفليق والمصبح والضروح والفرغ
ووثاب وذو الكتفين رآها يوسف والشمس والقمر نزلن من السماء وسجدن
له فقال اليهودي اي والله انها لاسماؤها رايتهم لي ساجدين استيناف
ببيان حالهم التي رآهم عليها فلا تكرير وانما اجريت مجرى العقلاء لوصفها
بصفاتهم قال يا بني تصغير ابن صغره للشفقة او لصغر السن لانه كان ابن
ثنتي عشرة سنة وقرا حفص هنا وفي الصافات بفتح الياء لا تقصص رؤياك
على اخوتك فيكيدوا لك كيدا فيحتالوا لاهلاكك حيلة فهم يعقوب
عليه السلام من رؤياه ان الله يصطفيه لرسالته ويفوقه على اخوته فخاف
عليه حسدهم وبغيهم والرؤيا كالرؤية غير انها مختصة بما يكون في النوم فرق
بينهما بحرفي التانيث كالقربة والقربى وهي انطباع الصورة المنحدرة من افق
المتخيلة الى الحس المشترك والصادقة منها انما تكون باتصال النفس بالملكوت
لما بينهما من التناسب عند فراغها من تدبير البدن ادنى فراغ فتتصور بما فيها
مما يليق بها من المعاني الحاصلة هناك ثم ان المتخيلة تحاكيه بصورة تناسبه فترسلها
الى الحس المشترك فتصير مشاهدة ثم ان كانت شديدة المناسبة لذلك المعنى
بحيث لا يكون التفاوت الا بالكلية والجزئية استغنت الرؤيا عن التعبير والا احتاج
اليه وانما عدي كاد باللام وهو متعد بنفسه لتضمنه معنى فعل يعدى به تاكيدا
ولذا اكد بالمصدر وعلل بقوله ان الشيطان للانسان عدو مبين ظاهر
العداوة لما فعل بآدم وحواء فلا يالو جهدا في تسويلهم واثارة الحسد فيهم حتى
يحملهم على الكيد وكذلك اي وكما اجتباك لمثل هذه الرؤيا الدالة على شرف
وعز وكمال نفس يجتبيك ربك للنبوة والملك او لامور عظام والاجتباء
من جبيت الشيء اذا حصلته لنفسك ويعلمك كلام مبتدا خارج عن التشبيه
كانه قيل وهو يعلمك من تاويل الاحاديث من تعبير الرؤيا لانها احاديث
الملك ان كانت صادقة واحاديث النفس او الشيطان ان كانت كاذبة او من
تاويل غوامض كتب الله وسنن الانبياء وكلمات الحكماء وهو اسم جمع للحديث
كاباطيل اسم جمع للباطل ويتم نعمته عليك بالنبوة او بان يصل نعمة الدنيا
بنعمة الآخرة وعلى آل يعقوب يريد سائر بنيه ولعله استدل على نبوتهم

بضوء الكواكب ونسله كما اتمها على ابويك بالرسالة وقيل على ابرهيم بالخلة
والانجاء من النار وعلى اسحق بانقاذه من الذبح وفدايه بذبح عظيم من قبل
قبلك او من قبل هذا الوقت ابرهيم واسحق عطف بيان لابويك ان ربك
عليم بمن يستحق الاجتبا حكيم يفعل الاشيا على ما ينبغي لقد كان في يوسف
واخوته اي في قصتهم ايات دلايل قدرة الله وحكمته او علامات نبوتك
للسايلين لمن سال عن قصتهم والمراد باخوته علاته العشرة وهم يهوذا وروبيل
وشمعون ولاوي وزبالون ويشجر ودينة من بنت خالته ليا تزوجها يعقوب
اولا فلما توفيت تزوج اختها راحيل فولدت له بنيامين ويوسف وقيل جمع بينهما
ولم يكن الجمع محرما حينئذ واربعة اخرون دان ونفتالي وجاد واشر من سريتين
زلفة وبلهة اذ قالوا ليوسف واخوه بنيامين وتخصيصه بالاضافة لاختصاصه
بالاخوة من الطرفين احب الى ابينا منا وحده لان افعل من لا يفرق فيه بين الواحد
وما فوقه والمذكر وما يقابله بخلاف اخويه فان الفرق واجب في المحلى جائز في
المضاف ونحن عصبة والحال انا جماعة اقويا احق بالمحبة من صغيرين لا كفاية
فيهما والعصبة والعصابة العشرة فصاعدا سموا بذلك لان الامور تعصب
بهم ان ابانا لفي ضلال مبين لتفضيله المفضول او لترك التعديل في المحبة
روي انه كان احب اليه لما يرى فيه من المخايل وكان اخوته يحسدونه فلما راى
الرويا ضاعف له المحبة بحيث لم يصبر عنه فتبالغ حسدهم حتى حملهم على التعرض
له اقتلوا يوسف من جملة المحكي بعد قوله اذ قالوا كانهم اتفقوا على ذلك
الا من قال لا تقتلوا وقيل انما قاله شمعون او دان ورضي به الاخرون او اطرحوه
ارضا منكورة بعيدة من العمران وهو معنى تنكيرها وابهامها ولذلك نصبت كالظروف
المبهمة يخل لكم وجه ابيكم جواب الامر والمعنى يصف لكم وجه ابيكم فيقبل
بكليته عليكم ولا يلتفت عنكم الى غيركم ولا ينازعكم في محبته احد وتكونوا
جزم بالعطف على يخل او نصب باضمار ان من بعده بعد يوسف او الفراغ من امره
او قتله او طرحه قوما صالحين تايبين الى الله عما جنيتم او صالحين مع
ابيكم يصلح ما بينكم وبينه بعذر تمهدونه او صالحين في امر دنياكم فانه ينتظم
لكم بعده بخلو وجه ابيكم قال قايل منهم يعني يهوذا وكان احسنهم فيه
رايا وقيل روبيل لا تقتلوا يوسف فان القتل عظيم والقوه في غيابة الجب
في قعره سمي بها لغيبوبته عن عين الناظر وقرا نافع في غيابات في الموضعين على
الجمع كانه لتلك الجب غيابات وقرئ غيبة وغيابات بالتشديد يلتقطه

بعض السيارة بعض الذين يسيرون في الارض ان كنتم فاعلين بمشورتي او ان
كنتم على ان تفعلوا ما يفرق بينه وبين ابيه قالوا يا ابانا ما لك لا تامنا على
يوسف لم تخافنا عليه وانا له لناصحون ونحن نشفق عليه ونريد له الخير
ارادوا به استنزاله عن رايه في حفظه منهم لما تنسم من حسدهم والمشهور
تامنا بالادغام باشمام وعن نافع ترك الاشمام ومن الشواذ ترك الادغام
لانهما من كلمتين وتيمنا بكسر التا ارسله معنا غدا الى الصحرا نرتع نتسع في اكل
الفواكه ونحوها ونلعب بالاستباق والانتضال وقرا ابن كثير نرتع بكسر
العين على انه من ارتعى يرتعي ونافع بالكسر والياء فيه وفي يلعب وقرا الكوفيون
ويعقوب بالياء والسكون على اسناد الفعل الى يوسف وقرئ يرتع من ارتع
ماشيته ويرتع بكسر العين ونلعب بالرفع على الابتدا وانا له لحافظون ان
يناله مكروه قال اني ليحزنني ان تذهبوا به لشدة مفارقته علي وقلة
صبري عنه واخاف ان ياكله الذيب لان الارض كانت مذابة وقيل
راى في المنام ان الذيب قد شد على يوسف وكان يحذره وقد همزها على الاصل ابن
كثير ونافع في رواية اليزيدي وابو عمرو وقفا وعاصم وابن عامر وحمزة درجا
واشتقاقه من تذاءبت الريح اذا هبت من كل جهة وانتم عنه غافلون لاشتغالكم
بالرتع واللعب او لقلة اهتمامكم بحفظه قالوا لئن اكله الذيب ونحن عصبة
اللام موطئة للقسم وجوابه انا اذا لخاسرون ضعفا مغبونون او مستحقون
لان يدعى عليهم بالخسار والواو في ونحن للحال فلما ذهبوا به واجمعوا ان يجعلوه
في غيابة الجب وعزموا على القايه فيها والبير بير بيت المقدس او بير بارض الاردن
او بين مصر ومدين او على ثلثة فراسخ من مقام يعقوب وجواب لما محذوف مثل
فعلوا به ما فعلوا من الاذى فقد روي انهم لما برزوا به الى الصحرا اخذوا
يوذونه ويضربونه حتى كادوا يقتلونه فجعل يصيح ويستغيث فقال يهوذا اما عاهدتموني
ان لا تقتلوه فاتوا به الى البير فدلوه فيها فتعلق بشفيرها فربطوا يديه ونزعوا
قميصه ليلطخوه بالدم ويحتالوا به على ابيهم فقال يا اخوتاه ردوا علي قميصي
اتوارى به فقالوا ادع الاحد عشر كوكبا والشمس والقمر يلبسوك ويونسوك فلما
بلغ نصفها القوه وكان فيها ما فسقط ثم اوى الى صخرة كانت فيها فقام عليها
يبكي فجاءه جبريل بالوحي كما قال واوحينا اليه وكان ابن سبع عشرة سنة وقيل
كان مراهقا اوحي اليه في صغره كما اوحي الى يحيى وعيسى عليهما السلام وفي
القصص ان ابرهيم السلام حين القي في النار جرد عن ثيابه فاتاه جبريل بقميص

من حرير الجنة فالبسه اياه فدفعه ابرهيم الى اسحق واسحق الى يعقوب فجعله
في تميمة علقها على يوسف فاخرجه جبريل فالبسه اياه لتنبئنهم بامرهم
هذا لتحدثنهم بما فعلوا بك وهم لا يشعرون انك يوسف لعلو شانك
وبعده عن اوهامهم وطول العهد المغير للحلى والهيات وذلك اشارة
الى ما قال لهم بمصر حين دخلوا عليه ممتارين فعرفهم وهم له منكرون بشره
بما يؤول اليه امره ايناسا له وتطييبا لقلبه وقيل وهم لا يشعرون متصل باوحينا
اي انسناه بالوحي وهم لا يشعرون ذلك وجاؤا اباهم عشاء اخر النهار
وقرئ عُشَيا وهو تصغير عشي وعُشًا بالضم والقصر جمع اعشى اي عشوا من البكا
يبكون متباكين روي انه لما سمع بكاءهم فزع وقال ما لكم يا بني واين يوسف
قالوا يا ابانا انا ذهبنا نستبق نتسابق في العدو والرمي وقد يشترك
الافتعال والتفاعل كالانتضال والتناضل وتركنا يوسف عند متاعنا
فاكله الذئب وما انت بمؤمن لنا بمصدق لنا ولو كنا صادقين لسوء
ظنك بنا وفرط محبتك ليوسف وجاؤا على قميصه بدم كذب اي ذي
كذب بمعنى مكذوب فيه ويجوز ان يكون وصفا بالمصدر للمبالغة وقرئ بالنصب
على الحال من الواو اي جاؤا كاذبين وكدب بالدال غير المعجمة اي كدرا وطريا
وقيل اصله البياض الخارج على اظفار الاحداث فشبه به الدم اللاصق على القميص
وعلى قميصه في موضع النصب على الظرف اي فوق قميصه او على الحال من الدم
ان جوز تقديمها على المجرور روي انه لما سمع خبر يوسف صاح وسال قميصه
فاخذه القاه على وجهه وبكى حتى خضب وجهه بدم القميص وقال ما رايت
كاليوم ذيبا احلم من هذا اكل ابني ولم يمزق عليه قميصه ولذلك بل سولت
لكم انفسكم امرا اي سهلت لكم وهونت في اعينكم امرا عظيما من السول
وهو الاسترخاء فصبر جميل اي فامري صبر جميل او فصبر جميل اجمل وفي الحديث
الصبر الجميل الذي لا شكوى فيه اي الى الخلق والله المستعان على ما
تصفون على احتمال ما تصفونه من هلاك يوسف وهذه الجريمة كانت قبل
استنبائهم ان صح وجاءت سيارة رفقة يسيرون من مدين الى مصر فنزلوا
قريبا من الجب وكان ذلك بعد ثلث من القائه فيه فارسلوا واردهم الذي
يرد الما ويستقي لهم وكان مالك بن ذعر الخزاعي فادلى دلوه فارسلها
في الجب ليملاها فتدلى بها يوسف فلما راه قال يا بشرى هذا غلام نادى
البشرى بشارة لنفسه او لقومه كانه قال تعالي فهذا اوانك وقيل هو اسم

صاحب له ناداه ليعينه على اخراجه وقرا غير الكوفيين يا بشراي بالاضافة
وامال فتحة الراء حمزة والكسائي وقرا ورش بين اللفظين وقرئ يا بشري بالا
وهو لغة وبشراي بالسكون على قصد الوقف واسروه اي الوارد واصحابه
من سائر الرفقة وقيل اخفوا امره وقالوا لهم دفعه الينا اهل الما لنبيعه لهم
بمصر وقيل الضمير لاخوة يوسف وذلك ان يهوذا كان ياتيه كل يوم بالطعام
فاتاه يومئذ فلم يجده فيها فاخبر اخوته فاتوا الرفقة وقالوا هذا غلام ابق منا
فاشتروه فسكت يوسف مخافة ان يقتلوه بضاعة نصب على الحال اي اخفوه
متاعا للتجارة واشتقاقه من البضع فانه ما بضع من المال للتجارة والله عليم
بما يعملون لم يخف عليه اسرارهم او صنيع اخوة يوسف بابيهم واخيهم وشروه
وباعوه وفي مرجع الضمير الوجهان او اشتروه من اخوته بثمن بخس مبخوس لزيفه
او نقصانه دراهم بدل من الثمن معدودة قليلة فانهم كانوا يزنون ما بلغ
الاوقية ويعدون ما دونها قيل كان عشرين درهما وقيل اثنين وعشرين
وكانوا فيه في يوسف من الزاهدين الراغبين عنه والضمير في وكانوا ان
كان للاخوة فظاهر وان كان للرفقة وكانوا بايعين فزهدهم فيه لانهم التقطوه
والملتقط للشيء متهاون به خايف من انتزاعه مستعجل في بيعه وان كانوا
مبتاعين فلانهم اعتقدوا انه ابق وفيه متعلق بالزاهدين ان جعل اللام للتعريف
وان جعل بمعنى الذي فهو متعلق بمحذوف يبينه الزاهدين لان متعلق الصلة
لا يتقدم على الموصول وقال الذي اشتراه من مصر وهو العزيز الذي كان على
خزاين مصر واسمه قطفير او اطفير وكان الملك يومئذ ريان بن الوليد العمليقي
وقد امن بيوسف ومات في حيوته وقيل كان فرعون موسى عاش اربعمائة بدليل
قوله ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات والمشهور انه من اولاد فرعون يوسف
والاية من قبيل خطاب الاولاد باحوال الاباء روي انه اشتراه العزيز وهو ابن
سبع عشرة سنة ولبث في منزله ثلث عشرة سنة واستوزره الريان وهو ابن
ثلث وثلثين وتوفي وهو ابن مائة وعشرين واختلف فيما اشتراه به من جعل شراه
غير الاول فقيل عشرون دينارا وزوجا نعل وثوبان ابيضان وقيل ملؤه
فضة وقيل ذهبا لامراته راعيل او زليخا اكرمي مثواه اجعلي مقامه عندنا
كريما اي حسنا والمعنى احسني تعهده عسى ان ينفعنا في ضياعنا واموالنا
ونستظهر به في مصالحنا او نتخذه ولدا نتبناه وكان عقيما لما تفرس فيه
من الرشد ولذلك قيل افرس الناس ثلثة عزيز مصر وابنة شعيب التي قالت

بابنا استاجره وابو بكر حين استخلف عمر وكذلك مكنا ليوسف في الارض
وكما مكنا محبته في قلب العزيز او كما مكناه في منزله او كما انجيناه وعطفنا عليه
العزيز مكناه فيها ولنعلمه من تاويل الاحاديث عطف على مضمر تقديره ليتصرف
فيها بالعدل ولنعلمه اي كان القصد في انجائه وتمكينه الى ان يقيم العدل
ويدبر امور الناس ويعلم معاني كتب الله واحكامه فينفذها او تعبير المنامات
المنبهة عن الحوادث الكائنة ليستعد لها ويشتغل بتدبيرها قبل ان تحل كما
فعل لسنيه والله غالب على امره لا يرده شيء ولا ينازعه فيما يشاء او على امر
يوسف اراد به اخوة يوسف شيئا واراد الله غيره فلم يكن الا ما اراده ولكن
اكثر الناس لا يعلمون ان الامر كله بيده او لطائف صنعه وخفايا لطفه
ولما بلغ اشده منتهى اشتداد جسمه وقوته وهو سن الوقوف ما بين الثلثين
والاربعين وقيل سن الشباب ومبداه بلوغ الحلم آتيناه حكما وهو العلم
المؤيد بالعمل او حكما بين الناس وعلما يعني تاويل الاحاديث وكذلك نجزي
المحسنين تنبيه على انه تعالى انما آتاه ذلك جزاء على احسانه في عمله واتقائه
في عنفوان امره وراودته التي هو في بيتها عن نفسه طلبت منه وتمحلت
ان يواقعها من راد يرود اذا جاء وذهب لطلب شيء ومنه الرائد وغلقت
الابواب قيل كانت سبعة والتشديد للتكثير او للمبالغة في الايثاق وقالت
هيت لك اي اقبل وبادر او تهيات والكلمة على الوجهين اسم فعل بني على
الفتح كاين واللام للتبيين كالتي في سقيا لك وقرا ابن كثير بالضم تشبيها له
بحيث ونافع وابن عامر بالفتح وكسر الهاء كعيط وهي لغة فيه وقرئ هيت
كجير وهئت كجئت من هاء يهيء اذا تهيا وعلى هذا فاللام من صلته قال معاذ
الله اعوذ بالله معاذا انه ان الشان ربي احسن مثواي سيدي قطفير احسن
تعهدي اذ قال لك في اكرمي مثواه فما جزاؤه ان اخونه في اهله وقيل الضمير
لله اي انه خالقي واحسن منزلتي بان عطف على قلبه فلا اعصيه انه لا يفلح
الظالمون المجازون الحسن بالسيء وقيل الزناة فان الزنا ظلم على الزاني
وعلى المزني باهله ولقد همت به وهم بها قصدت مخالطته وقصد
مخالطتها والهم بالشيء قصده والعزم عليه ومنه الهمام وهو الذي اذا هم
بشيء امضاه والمراد بهمه ميل الطبع ومنازعة الشهوة لا القصد الاختياري
وذلك مما لا يدخل تحت التكليف بل الحقيق بالمدح والاجر الجزيل من الله من يكف
نفسه عن الفعل عند قيام هذا الهم او مشارفة الهم كقولك قتلته لو لم اخف الله

لولا

لولا ان راى برهان ربه في قبح الزنا وسوء مغبته لخالطها لشبق الغلمة
وكثرة المبالغة ولا يجوز ان يجعل وهم بها جواب لولا فانها في حكم ادوات الشرط
فلا يتقدم عليها جوابها بل الجواب محذوف يدل عليه وهو وقيل راى جبريل وقيل
تمثل له يعقوب عاضا على انامله وقيل قطفير وقيل نودي يا يوسف انت مكتوب
في الانبياء وتعمل عمل السفهاء كذلك اي مثل ذلك التثبيت ثبتناه او الامر مثل
ذلك لنصرف عنه السوء خيانة السيد والفحشاء الزنا انه من عبادنا
المخلصين الذين اخلصهم الله لطاعته وقرا ابن كثير وابو عمرو وابن عامر
ويعقوب بالكسر في كل القران اي الذين اخلصوا دينهم واستبقا الباب
اي تسابقا الى الباب فحذف الجار او ضمن الفعل معنى الابتدار وذلك ان
يوسف فر منها ليخرج واسرعت وراءه لتمنعه الخروج وقدت قميصه من
دبر اجتذبته من ورائه فانقد قميصه والقد الشق طولا والقط الشق عرضا
والفيا سيدها وصادفا زوجها لدى الباب قالت ما جزاء من اراد باهلك
سوءا الا ان يسجن او عذاب اليم ايهاما بانها فرت منه تبرئة لساحتها
عند زوجها وتغييره على يوسف واغراءه به انتقاما منه وما نافية او استفهامية
بمعنى اي شيء جزاؤه الا السجن قال هي راودتني عن نفسي طالبتني بالمؤاتاة
وانما قال ذلك دفعا لما عرضته له من السجن والعذاب ولو لم تكذب عليه لما قاله
وشهد شاهد من اهلها قيل ابن عم لها وقيل ابن خال لها صبيا في المهد وعن
النبي صلى الله عليه وسلم تكلم اربعة صغارا ابن ماشطة فرعون وشاهد يوسف
وصاحب جريج وعيسى عليه السلام وانما القى الله الشهادة على لسان اهلها
لتكون الزم عليها ان كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين
لانه يدل على انها قدت قميصه من قدامه بالدفع عن نفسها او انه اسرع خلفها
فتعثر بذيله فانقد جيبه وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين
لانه يدل على انها تبعته فاجتذبت ثوبه فقدته والشرطية محكية على ارادة
القول او على ان فعل الشهادة من القول وتسميتها شهادة لانها ادت مؤداها
والجمع بين ان وكان على تاويل ان يعلم انه كان ونحوه ونظيره قولك ان احسنت
الي فقد احسنت اليك من قبل فان معناه ان تمنن علي باحسانك امنن عليك
باحساني السابق وقرئ من قبل ومن دبر بالضم لانهما قطعا عن الاضافة كقبل وبعد
بالفتح كانهما جعلا علمين للجهتين فمنعا الصرف وبسكون العين فلما راى قميصه
قد من دبر قال انه ان قولك ما جزاء من اراد باهلك سوءا او ان السوء وان تهمها

من ص

الامر من كيدكن من حيلتكن والخطاب لها ولسائر النساء ان كيدكن عظيم
فان كيد النسا الطف واعلق بالقلب واشد تاثيرا في النفس ولانهن يواجهن به
الرجال والشيطان يوسوس به مسارقة يوسف حذف منه حرف الندا لقربه
وتفطنه للحديث اعرض عن هذا اكتمه ولا تذكره واستغفري لذنبك يا زليخا
انك كنت من الخاطئين من القوم المذنبين من خطي اذا اذنب متعمدا والتذكير
للتغليب وقال نسوة هي اسم لجمع امراة وتانيثه بهذا الاعتبار غير حقيقي
ولذلك جرد فعله وضم النون لغة فيها في المدينة ظرف لقال اي اشعن
الحكاية في مصر او صفة نسوة وكن خمسا زوجة الحاجب والساقي والخباز
والسجان وصاحب الدواب امرات العزيز تراود فتاها عن نفسه تطلب
مواقعة غلامها اياها والعزيز بلسان العرب الملك واصل فتى فتي لقولهم
فتيان والفتوة شاذة قد شغفها حبا شق شغاف قلبها وهو حجابه حتى
وصل الى فواده حبا ونصبه على التمييز لصرفه الفعل عنه وقري شعفها
من شعف البعير اذا هنأه بالقطران فاحرقه انا لنراها في ضلال مبين
ضلال عن الرشد وبعد عن الصواب فلما سمعت بمكرهن باغتيابهن وانما
سماه مكرا لانهن اخفينه كما يخفي الماكر مكره او قلن ذلك لتريهن يوسف او لانها
استكتمتهن سرها فافشينه عليها ارسلت اليهن تدعوهن قيل دعت اربعين
امراة فيهن الخمس واعتدت لهن متكأ ما يتكئن عليه من الوسايد وآتت
كل واحدة منهن سكينا حتى يتكئن والسكاكين بايديهن فاذا اخرج عليهن
يبهتن ويشغلن عن نفوسهن فتقع ايديهن على ايديهن فيقطعنها فيبكتن
بالحجة او يهاب يوسف من مكرها اذا خرج وحده على اربعين امراة في ايديهن
الخناجر وقيل متكأ طعاما او مجلس طعام فانهم كانوا يتكئون للطعام والشراب
ترفا ولذلك نهي عنه قال جميل فظللنا بنعمة واتكأنا وشربنا الحلال من قلله
وقيل المتكأ طعام يحز حزا كان القاطع يتكئ عليه بالسكين وقري متكا بحذف
الهمزة ومتكاء باشباع الفتحة كمنتزاح ومتكا وهو الاترج او ما يقطع من متك
الشي اذا بتكه ومتكا من تكي يتكا اذا اتكأ وقالت اخرج عليهن فلما رأينه
اكبرنه عظمنه وهبن حسنه الفائق وعن النبي صلى الله عليه وسلم رايت يوسف
ليلة المعراج كالقمر ليلة البدر وقيل كان يرى تلالؤ وجهه على الجدرات
وقيل اكبرن بمعنى حضن من اكبرت المراة اذا حاضت لانها تدخل الكبر بالحيض
والهاء ضمير للمصدر او ليوسف على حذف اللام اي حضن له من شدة الشوق كما

قال المتنبي خف الله واستر ذا الجمال ببرقع فان لحت حاضت في الخدور العواتق
وقطعن ايديهن جرحنها بالسكاكين من فرط الدهشة وقلن حاش لله تنزيها
له من صفات العجز وتعجبا من قدرته على خلق مثله واصله حاشا كما قراه ابو عمرو
في الدرج فحذفت الفه الاخيرة تخفيفا وهو حرف يفيد معنى التنزيه في باب الاستثنا
فوضع موضع التنزيه واللام للبيان كما في قولك سقيا لك وقري حاشا الله
بغير لام بمعنى براءة الله وحاشا لله بالتنوين على تنزيله منزلة المصدر وقيل حاشا
فاعل من الحشا الذي هو الناحية وفاعله ضمير يوسف اي صار في ناحية الله
مما يتوهم فيه ما هذا بشرا لان هذا الجمال غير معهود للبشر وهو لغة الحجاز
في اعمال ما عمل ليس لمشاركتهما في نفي الحال وقري بشر بالرفع على لغة تميم وبشرى
اي بعبد مشترى لئيم ان هذا الا ملك كريم فان الجمع بين الجمال الرايق
والكمال الفايق والعصمة البالغة من خواص الملايكة او لان جماله فوق جمال
البشر ولا يفوقه الا الملك قالت فذلكن الذي لمتنني فيه اي فهو ذلك
الكنعاني الذي لمتنني في الافتتان به قبل ان تتصورنه حق تصوره ولو تصورته
بما عاينتن لعذرتنني او فهذا هو الذي لمتنني فيه فوضع ذلك موضع هذا
رفعا لمنزلة المشار اليه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم فامتنع طالبا
للعصمة اقرت لهن حين عرفت انهن يعذرنها كي يعاونها على الانة عريكته
ولئن لم يفعل ما آمره اي ما آمر به فحذف الجار او امري اياه بمعنى موجب
امري فيكون الضمير ليوسف ليسجنن وليكونا من الصاغرين الاذلا وهو
من صغر بالكسر يصغر صغرا وصغارا او الصغير من صغر بالضم صغرا وقري
ليكونن وهو يخالف خط المصحف لان النون كتبت فيه بالالف كنسفعا على
حكم الوقف وذلك في الخفيفة لشبهها بالتنوين قال رب السجن وقرا يعقوب
بالفتح على المصدر احب الي مما يدعونني اليه اي آثر عندي من مواتاتها
زنا نظرا الى العاقبة وان كان هذا مما تشتهيه النفوس وذلك مما تكرهه واسناد
الدعوة اليهن جميعا لانهن خوفنه من مخالفتها وزين له مطاوعتها او دعونه الى
انفسهن وقيل انما ابتلي بالسجن لقوله هذا وانما كان الاولى به ان يسال الله
العافية ولذلك رد رسول الله على من كان يسال الصبر والا تصرف عني
وان لم تصرف عني كيدهن في تحبيب ذلك الي وتحسينه عندي بالتثبيت على
العصمة اصب اليهن اميل الى جانبهن او الى انفسهن بطبعي ومقتضى شهوتي
والصبوة الميل الى الهوى ومنه الصبا لان النفوس تستطيبها وتميل اليها واكن

اصبُ من الصبابة وهي الشوق واكن من الجاهلين من السفهاء بارتكاب ما
يدعونني اليه فان الحكيم لا يفعل القبيح او من الذين لا يعملون بما يعلمون فانهم
والجهال سوا فاستجاب له ربه فاجاب الله دعاءه الذي تضمنه قوله والا
تصرف فصرف عنه كيدهن فثبته بالعصمة حتى وطن نفسه على مشقة السجن
وآثرها على اللذة المتضمنة للعصيان انه هو السميع لدعاء الملتجئين اليه
العليم باحوالهم وما يصلحهم ثم بدا لهم من بعد ما راوا الايات ثم ظهر للعزيز
واهله من بعد ما راوا الشواهد الدالة على براءة يوسف كشهادة الصبي وقد
القميص وقطع النسا ايديهن واستعصامه عنهن وفاعل بدا مضمر يفسره ليسجننه
حتى حين وذلك لانها خدعت زوجها وحملته على سجنه زمانا حتى تبصر ما
يكون منه او يحسب الناس انه المجرم فلبث في السجن سبع سنين وقرئ بالتاء
على ان بعضهم خاطب به العزيز على التعظيم او العزيز ومن يليه وعتى بلغة
بلغة هذيل ودخل معه السجن فتيان اي ادخل يوسف السجن واتفق ان
ادخل حينئذ آخران من عبيد الملك شرابيه وخبازه للاتهام بانهما يريدان
يسمانه قال احدهما يعني الشرابي اني اراني اي في المنام وهي حكاية حال
ماضية اعصر خمرا اي عنبا وسماه خمرا باعتبار ما يؤول اليه وقال الآخر
اي الخباز اني اراني احمل فوق راسي خبزا تاكل الطير منه تنهش منه
نبئنا بتاويله انا نراك من المحسنين من الذين يحسنون تاويل الرؤيا
او من العالمين وانما قالا ذلك لانهما رأياه في السجن يذكر الناس ويعبر
رؤياهم او من المحسنين الى اهل السجن فاحسن الينا بتاويل ما راينا ان كنت
تعرفه قال لا ياتيكما طعام ترزقانه الا نباتكما بتاويله اي بتاويل ما
قصصتما علي او بتاويل الطعام يعني بيان ماهيته وكيفيته فانه يشبه
تفسير المشكل كانه اراد ان يدعوهما الى التوحيد ويرشدهما الطريق القويم
قبل ان يسعف الى ما سالاه منه كما هو طريقة الانبيا والنازلين منازلهم
من العلما في الهداية والارشاد فقدم ما يكون معجزة لهم من الاخبار بالغيب
ليدلهما على صدقه في الدعوة والتعبير قبل ان ياتيكما ذلكما اي ذلك
التاويل مما علمني ربي بالالهام والوحي وليس من قبيل التكهن والتنجم اني
تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون تعليل لما قبله
اي علمني ذلك لاني تركت ملة اوليك واتبعت ملة آبائي ابرهيم واسحق
ويعقوب او كلام مبتدا لتمهيد الدعوة واظهار انه من بيت النبوة ليقوي

رغبتهما في الاستماع اليه والوثوق عليه ولذلك جوّز للخامل ان يصف
نفسه حتى يعرف فيقتبس منه وتكرير الضمير للدلالة على اختصاصهم وتاكيد
كفرهم بالآخرة ما كان لنا ما صح لنا معشر الانبيا ان نشرك بالله من شيء
اي شيء كان ذلك اي التوحيد من فضل الله علينا بالوحي وعلى الناس وعلى
سائر الناس ببعثتنا لارشادهم وتثبيتهم عليه ولكن اكثر الناس المبعوث
اليهم لا يشكرون هذا الفضل فيعرضون عنه ولا ينتبهون او من فضل
الله علينا وعليهم بنصب الدلايل وانزال الآيات ولكن اكثرهم لا ينظرون
اليها ولا يستدلون بها فيلغونها كمن يكفر النعمة ولا يشكرها يا صاحبي السجن
اي يا ساكنيه او يا صاحبيّ فيه فاضافهما اليه على الاتساع كقوله يا سارق الليلة
اهل الدار ءارباب متفرقون شتى متعددة متساوية الاقدام خير ام الله الواحد
المتوحد بالالوهية القهار الغالب الذي لا يعادله ولا يقاومه غيره ما تعبدون
من دونه خطاب لهما ولمن على دينهما من اهل مصر الا اسما سميتموها انتم
وآباؤكم ما انزل الله بها من سلطان اي الا اشيا باعتبار اسامي اطلقتم
عليها من غير حجة تدل على تحقق مسمياتها فيها فكانكم لا تعبدون الا الاسما
المجردة والمعنى انكم سميتم ما لم تدل على استحقاقه الالهية عقل ولا نقل آلهة
ثم اخذتم تعبدونها باعتبار ما تطلقون عليها ان الحكم في امر العبادة
الا لله لانه المستحق لها بالذات من حيث انه الواجب لذاته الموجد للكل
والمالك لامره امر على لسان انبيائه ان لا تعبدوا الا اياه الذي دلت
عليه الحجج ذلك الدين القيم الحق وانتم لا تميزون المعوج عن القويم
وهذا من التدرج في الدعوة والزام الحجة بين لهم اولا رجحان التوحيد
على اتخاذ الآلهة على طريق الخطابة ثم برهن على ان ما تسمونها آلهة وتعبدونها
لا تستحق الالهية فان استحقاق العبادة اما بالذات واما بالغير وكلا
القسمين منتف عنها ثم نص على ما هو الحق القويم والدين المستقيم الذي لا
يقتضي العقل غيره ولا يرتضي العلم دونه ولكن اكثر الناس لا يعلمون فيخبطون
في جهالاتهم يا صاحبي السجن اما احدكما يعني الشرابي فيسقي ربه خمرا كما
كان يسقيه قبل ويعود الى ما كان عليه واما الآخر يريد به الخباز فيصلب
فتاكل الطير من راسه فقالا كذبنا فقال قضي الامر الذي فيه تستفتيان
اي قطع الامر الذي تستفتيان فيه وهو ما يؤول اليه امركما ولذلك
وحّده فانهما وان استفتيا في امرين لكنهما ارادا استبانة عاقبة ما

نزل بهما وقال للذي ظن انه ناج منهما الظان يوسف ان ذكر ذلك
عن اجتهاد وان ذكره عن وحي فهو الناجي الا ان يؤول الظن باليقين اذكرني
عند ربك اذكر حالي عند الملك كي يخلصني فانساه الشيطان ذكر ربه
فانسى الشرابي ان يذكره لربه فاضاف اليه المصدر لملابسته له او على تقدير
ذكر اخبار ربه او انسى يوسف ذكر الله حتى استعان بغيره ويؤيده قوله عليه
السلام رحم الله اخي يوسف لو لم يقل اذكرني عند ربك لما لبث في السجن سبعا
بعد الخمس والاستعانة بالعباد في كشف الشدائد وان كانت محمودة في الجملة
لكنها لا تليق بمنصب الانبياء فلبث في السجن بضع سنين البضع ما بين الثلث
الى التسع من البضع وهو القطع وقال الملك اني ارى سبع بقرات سمان
يأكلهن سبع عجاف لما دنا فرجه رأى الملك سبع بقرات سمان خرجن
من نهر يابس وسبع بقرات مهازيل فابتلعت المهازيل السمان وسبع سنبلات
خضر قد انعقد حبها واخر يابسات وسبع اخر يابسات قد ادركت فالتوت
اليابسات على الخضر حتى غلبن عليها وانما استغنى عن بيان حالها بما قص
من حال البقرات واجرى السمان على المميز دون المميز لان التمييز بها ووصف
السبع الثاني بالعجاف لتعذر التمييز بها مجردا عن الموصوف فانه لبيان
الجنس وقياسه عجف لانه جمع عجفاء لكنه حمل على سمان لانه نقيضه يا ايها الملأ
افتوني في رؤياي عبروها ان كنتم للرؤيا تعبرون ان كنتم عالمين
بعبارة الرؤيا وهي الانتقال من الصور الخيالية الى المعاني النفسانية التي
هي مثالها من العبور وهو المجاوزة وعبرت الرؤيا عبارة اثبت من عبرتها
تعبيرا واللام للبيان او لتقوية العامل فان الفعل لما اخر عن مفعوله ضعف
فقوي باللام كاسم الفاعل او لتضمين تعبرون معنى فعل يعدى باللام كأنه قيل
ان كنتم تنتدبون لعبارة الرؤيا قالوا اضغاث احلام اي هذه اضغاث
احلام وهي تخاليطها جمع ضغث واصله ما جمع من اخلاط النبات وحزم
فاستعير للرؤيا الكاذبة وانما جمعوا للمبالغة في وصف الحلم بالبطلان كقولهم
فلان يركب الخيل او لتضمنه اشياء مختلفة وما نحن بتأويل الاحلام بعالمين
يريدون بالاحلام المنامات الباطلة خاصة اي ليس لها تأويل عندنا
وانما التأويل للمنامات الصادقة فكأنه مقدمة ثانية للعذر في جهلهم
بتأويله وقال الذي نجا منهما من صاحبي السجن وهو الشرابي وادكر
بعد امة وتذكر يوسف بعد جماعة من الزمان مجتمعة اي مدة طويلة

وقرئ إمة بكسر الهمزة وهي النعمة اي بعد ما انعم عليه بالنجاة وأمه اي نسيان
يقال أمه يأمه امها اذا نسي والجملة اعتراض ومفعول القول انا انبئكم بتأويله
فارسلون اي الى من عنده علمه او الى السجن يوسف ايها الصديق اي فارسل
الى يوسف فجاء فقال يا يوسف وانما وصفه بالصديق وهو المبالغة في الصدق
لانه جرب احواله وعرف صدقه في تأويل رؤياه ورؤيا صاحبه افتنا في سبع
بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر واخر يابسات
اي في رؤيا ذلك لعلي ارجع الى الناس اعود الى الملك ومن عنده او الى
اهل البلد اذ قيل ان السجن لم يكن فيه لعلهم يعلمون تأويلها او فضلك ومكانك
وانما لم يبت الكلام فيهما لانه لم يكن جازما بالرجوع فربما اخترم دونه ولا
من علمهم قال تزرعون سبع سنين دأبا اي على عادتكم المستمرة وانتصابه
على الحال بمعنى دائبين او المصدر باضمار فعله اي تدأبون دأبا وتكون
الجملة حالا وقرأ حفص دأبا بفتح الهمزة وكلاهما مصدر دأب في العمل وقيل
تزرعون امر اخرجه في صورة الخبر مبالغة لقوله فما حصدتم فذروه
في سنبله لئلا يأكله السوس وهو على الاول نصيحة خارجة عن العبارة الا
قليلا مما تأكلون في تلك السنين ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد
يأكلن ما قدمتم لهن اي يأكل اهلهن ما ادخرتم لاجلهن فاسند اليهن على المجاز
تطبيقا بين المعبر والمعبر به الا قليلا مما تحصنون تحرزون لبذور الزراعة
ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس يمطرون من الغيث او يغاثون
من القحط من الغوث وفيه يعصرون ما يعصر كالعنب والزيتون لكثرة
الثمار وقيل يحلبون الضروع وقرأ حمزة والكسائي بالتاء على تغليب المستفتي
وقرئ على البناء للمفعول من عصره اذا انجاه ويحتمل ان يكون المبني للفاعل
منه اي يغيثهم الله ويغيث بعضهم بعضا او من اعصرت السحابة عليهم
فعدي بنزع الخافض او بتضمينه معنى المطر وهذه بشارة بشرهم بها بعد ان
اول البقرات السمان والسنبلات الخضر بسنين مخصبة والعجاف واليابسات
بسنين مجدبة وابتلاع العجاف السمان بأكل ما جمع في السنين المخصبة في السنين
المجدبة ولعله علم ذلك بالوحي او بان انتهاء الجدب بالخصب او بان السنة
الالهية على ان يوسع على عباده بعد ما ضيق عليهم وقال الملك ائتوني به
بعد ما جاءه الرسول بالتعبير فلما جاءه الرسول ليخرجه قال ارجع الى ربك
فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن ايديهن وانما تأنى في الخروج وقدم

سؤال النسوة وفحص حاله لتظهر براءة ساحته ويعلم انه سجن ظلما فلا يقدر الحاسد
ان يتوسل به الى تقبيح امره وفيه دليل على انه ينبغي ان يجتهد في نفي التهم ويتقي
مواقعها وعن النبي صلى الله عليه وسلم لو كنت مكانه ولبثت في السجن ما لبث
لاسرعت الاجابة وانما قال فاسأله ما بال النسوة ولم يقل فاسأله ان يفتش عن حالهن
تهييجا له على البحث وتحقيق الحال وانما لم يتعرض لسيدته مع ما صنعت به كرما
ومراعاة للادب وقرئ النسوة بضم النون ان ربي بكيدهن عليم حين قلن لي
اطع مولاتك وفيه تعظيم لكيدهن والاستشهاد بعلم الله عليه وعلى انه بريء
مما قذف به والوعيد لهن على كيدهن قال ما خطبكن قال الملك لهن ما شأنكن
والخطب امر يحق ان يخاطب فيه صاحبه اذ راودتن يوسف عن نفسه قلن
حاش لله تنزيه له وتعجب من قدرته على خلق عفيف مثله ما علمنا عليه من سوء
من ذنب قالت امرأت العزيز الآن حصحص الحق ثبت واستقر من حصحص
البعير اذا القى مباركه ليناخ قال حصحص في صم الصفا ثفناته وناء بسلمى
نوءة ثم صمما او ظهر من حص شعره اذا استأصله بحيث ظهرت بشرة راسه وقرئ
على البناء للمفعول انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين في قوله هي
راودتني عن نفسي ذلك ليعلم قاله يوسف لما عاد اليه الرسول واخبره بكلامهن
اي ذلك التثبت ليعلم العزيز اني لم اخنه بالغيب بظهر الغيب وهو حال من الفاعل
او المفعول اي لم اخنه وانا غائب عنه او وهو غائب عني او ظرف اي بمكان
الغيب وراء الاستار والابواب المغلقة وان الله لا يهدي كيد الخائنين
لا ينفذه ولا يسدده او لا يهدي الخائنين بكيدهم فاوقع الفعل على الكيد مبالغة
وفيه تعريض براعيل في خيانتها زوجها وتوكيد لامانته ولذلك عقبه بقوله
وما ابرئ نفسي اي لا انزهها تنبيها على انه لم يرد بذلك تزكية نفسه والعجب
بحاله بل اظهار ما انعم الله عليه من العصمة والتوفيق وعن ابن عباس انه لما قال
ليعلم اني لم اخنه قال له جبريل ولا حين هممت فقال ذلك ان النفس لامارة
بالسوء من حيث انها بالطبع مائلة الى الشهوات تهتم بها وتستعمل القوى
والجوارح في اثرها كل الاوقات الا ما رحم ربي الا وقت رحمة ربي او الا ما
رحمه الله من النفوس فعصمه عن ذلك وقيل الاستثناء منقطع اي ولكن رحمة
ربي هي التي تصرف الاساءة وقيل الاية حكاية قول راعيل والمستثنى نفس يوسف
واضرابه وعن ابن كثير ونافع بالسو على قلب الهمزة واوا ثم الادغام ان ربي
غفور رحيم يغفر هم النفس ويرحم من يشاء بالعصمة او يغفر للمستغفر لذنبه

المعترف على نفسه ويرحمه ما استغفره واسترحمه مما ارتكبه وقال الملك
ائتوني به استخلصه لنفسي اجعله خالصا لنفسي فلما كلمه فلما اتوا به وكلمه وشاهد
منه الرشد والدهاء قال انك اليوم لدينا مكين ذو مكانة ومنزلة امين
مؤتمن على كل شيء روي انه لما خرج من السجن اغتسل وتنظف ولبس ثيابا جددا فلما
دخل على الملك قال اللهم اني اسألك من خيره واعوذ بعزتك وقدرتك من شره
ثم سلم عليه ودعا له بالعبرانية فقال ما هذا اللسان قال لسان عمي وكان
الملك يعرف سبعين لسانا فكلمه بها فاجابه بجميعها فتعجب منه فقال احب
ان اسمع رؤياي منك فحكاها ونعت له البقرات والسنابل واماكنها على ما
راها فاجلسه على السرير وفوض اليه امره وقيل توفي قطفير في تلك الليالي
فنصبه منصبه وزوج منه راعيل فوجدها عذراء وولد له منها افرايم وميشا
قال اجعلني على خزائن الارض ولني امرها والارض ارض مصر اني حفيظ لها
ممن لا يستحقها عليم بوجوه التصرف فيها ولعله عليه السلام لما راى انه
يستعمله في امره لا محالة آثر ما تعم فوائده وتجل عوائده وفيه دليل على جواز
طلب التولية واظهار انه مستعد لها والتولي من يد الكافر اذا علم انه لا سبيل
الى اقامة الحق وسياسة الخلق الا بالاستظهار به وعن مجاهد ان الملك اسلم
على يده وكذلك مكنا ليوسف في الارض ارض مصر يتبوأ منها حيث يشاء
ينزل من بلادها حيث يهوى وقرأ ابن كثير نشاء بالنون نصيب برحمتنا من نشاء
في الدنيا والاخرة ولا نضيع اجر المحسنين بل نوفي اجورهم عاجلا وآجلا ولاجر
الاخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون الشرك والفواحش لعظمه ودوامه
وجاء اخوة يوسف روي انه لما استوزره الملك اقام العدل واجتهد في تكثير
الزراعات وضبط الغلات حتى دخلت السنون المجدبة وعم القحط مصر
والشام ونواحيهما وتوجه اليه الناس فباعهم اولا بالدراهم والدنانير
حتى لم يبق معهم شيء منها ثم بالحلي والجواهر ثم بالدواب ثم بالضياع والعقار
ثم برقابهم حتى استرقهم جميعا ثم عرض الامر على الملك فقال الراي رايك فاعتقهم
ورد عليهم اموالهم وكان قد اصاب كنعان ما اصاب سائر البلاد فارسل
يعقوب بنيه غير بنيامين اليه للميرة فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون اي
عرفهم يوسف ولم يعرفوه لطول العهد ومفارقتهم اياه في سن الحداثة ونسيانهم
اياه وتوهمهم انه هلك وبعد حاله التي راوه عليها من حاله حين فارقوه وقلة
تأملهم في حلاه من التهيب والاستعظام فلما جهزهم بجهازهم اصلحهم بعدتهم

واوقر ركابهم بما جاوا لاجله والجهاز ما يعد من الامتعة للنقلة كعدد
السفر وما يحمل من بلدة الى اخرى وما تزف به المراة الى زوجها وقرئ بجهازهم
بالكسر قال ائتوني باخ لكم من ابيكم روي انهم لما دخلوا عليه قال من
انتم وما امركم لعلكم عيون قالوا معاذ الله انما نحن بنو اب واحد وهو شيخ
صديق نبي من الانبياء اسمه يعقوب قال كم انتم قالوا كنا اثني عشر فذهب احدنا
الى البرية فهلك قال فكم انتم هنا قالوا عشرة قال فاين الحادي عشر قالوا
عند ابينا يتسلى به من الهالك قال فمن يشهد لكم قالوا لا يعرفنا ههنا من يشهد
لنا قال فدعوا بعضكم عندي رهينة وائتوني باخيكم من ابيكم حتى اصدقكم فاقترعوا
فاصابت شمعون وقيل كان يوسف يعطي لكل نفر حملا فسالوا حملا زائدا لاخ
لهم من ابيهم فاعطاهم وشرط عليهم ان ياتوه به ليعلم صدقهم الا ترون اني
اوفي الكيل اتمه وانا خير المنزلين للضيف والمضيفين لهم وكان احسن
انزالهم وضيافتهم فان لم تاتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون
لا تقربوني ولا تدخلوا دياري وهو اما نهي او نفي معطوف على الجزاء قالوا سنراود
عنه اباه سنجتهد في طلبه من ابيه وانا لفاعلون ذلك لا نتوانى فيه وقال
لفتيانه لغلمانه الكيالين جمع فتى وقرا حمزة والكسائي وحفص لفتيانه على
جمع الكثرة ليوافق قوله اجعلوا بضاعتهم في رحالهم فانه وكل بكل رحل
واحدا يعبي فيه بضاعتهم التي شروا بها الطعام وكانت نعالا وادما وانما
فعل ذلك توسيعا وتفضلا عليهم وترفعا من ان ياخذ ثمن الطعام منهم وخوفا
من ان لا يكون عند ابيهم ما يرجعون به لعلهم يعرفونها لعلهم يعرفون
حق ردها او لكي يعرفوها اذا انقلبوا الى اهلهم وفتحوا اوعيتهم لعلهم
يرجعون لعل معرفتهم ذلك تدعوهم الى الرجوع فلما رجعوا الى ابيهم
قالوا يا ابانا منع منا الكيل حكم بمنعه بعد هذا الرجوع ان لم نذهب
ببنيامين فارسل معنا اخانا نكتل نرفع المانع من الكيل ونكتل ما
نحتاج اليه وقرا حمزة والكسائي بالياء على اسناده الى الاخ اي يكتل لنفسه
فينضم اكتياله الى اكتيالنا وانا له لحافظون عن ان يناله مكروه قال هل
امنكم عليه الا كما امنتكم على اخيه من قبل وقد قلتم في يوسف وانا له لحافظون
فالله خير حفظا فاتوكل عليه وافوض امري اليه وهو ارحم الراحمين فارجو
ان يرحمني بحفظه ولا يجمع علي مصيبتين وانتصاب حفظا على التمييز وحافظا
في قراءة حمزة والكسائي وحفص يحتمله والحال كقولهم لله دره فارسا وقرئ

خير حافظ وخير الحافظين ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت
اليهم وقرئ ردت بنقل كسرة الدال المدغمة الى الراء نقلها في بيع وقيل
قالوا يا ابانا ما نبغي ماذا نطلب هل من مزيد على ذلك اكرمنا واحسن
مثوانا وباع منا ورد علينا متاعنا او نطلب وراء ذلك احسانا او لا
نبغي في القول ولا نزيد فيما حكينا لك من احسانه وقرئ ما تبغي على الخطاب
اي اي شيء تطلب وراء هذا من الاحسان او من الدليل على صدقنا هذه بضاعتنا
ردت الينا استئناف موضح لقوله ما نبغي ونمير اهلنا معطوف على محذوف
اي ردت الينا فنستظهر بها ونمير اهلنا بالرجوع الى الملك ونحفظ
اخانا عن المخاوف في ذهابنا وايابنا ونزداد كيل بعير وسق بعير باستصحاب
اخينا هذا اذا كانت ما استفهامية فاما اذا كانت نافية احتمل ذلك واحتمل
ان يكون الجمل معطوفة على ما نبغي اي لا نبغي فيما نقول ونمير اهلنا ونحفظ
اخانا ذلك كيل يسير اي مكيل قليل لا يكفينا استقلوا ما كيل لهم فارادوا
ان يضاعفوه بالرجوع الى الملك ويزدادوا اليه ما يكال لاخيهم ويجوز
ان تكون الاشارة الى كيل بعير اي ذلك شيء قليل لا يضايقنا فيه الملك ولا
يتعاظمه وقيل انه من كلام يعقوب ومعناه ان حمل بعير شيء يسير لا يخاطر
لمثله بالولد قال لن ارسله معكم اذ رايت منكم ما رايت حتى تؤتوني
موثقا من الله حتى تعطوني ما اتوثق به من عند الله اي عهدا موكدا بذكر الله
لتاتنني به جواب القسم اذ المعنى حتى تحلفوا بالله لتاتنني به الا ان يحاط
بكم الا ان تغلبوا فلا تطيقوا ذلك او الا ان تهلكوا جميعا وهو استثناء
مفرغ من اعم الاحوال والتقدير لتاتنني به على كل حال الا حال الاحاطة
بكم او من اعم العلل على ان قوله لتاتنني به في تاويل النفي اي لا تمتنعون من الاتيان
به الا للاحاطة بكم كقولك اقسمت بالله الا فعلت اي ما اطلب منك الا
فعلك فلما اتوه موثقهم عهدهم قال الله على ما نقول من طلب الموثق
واتيانه وكيل رقيب مطلع وقال يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا
من ابواب متفرقة لانهم كانوا ذوي جمال وابهة مشتهرين في مصر بالقربة
والكرامة عند الملك فخاف عليهم ان يدخلوا كوكبة واحدة فيعانوا ولعله
لم يوصهم بذلك في الكرة الاولى لانهم كانوا مجهولين حينئذ او كان الداعي
اليها خوفه على بنيامين وللنفس اثار منها العين والذي يدل عليه قوله صلى
الله عليه وسلم في عوذته اللهم اني اعوذ بكلمات الله التامات من كل هامة

وعين لامة وما اغني عنكم من الله من شيء مما قضى عليكم بما اشرت به اليكم فان الحذر
لا يمنع القدر ان الحكم الا لله يصيبكم لا محالة ان قضى عليكم سوءا ولا ينفعكم
ذلك عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون جمع بين الحرفين في عطف
الجملة على الجملة لتقدم الصلة للاختصاص كان الواو للعطف والفاء لافادة
التسبب فان فعل الانبياء سبب لان يقتدى بهم ولما دخلوا من حيث امرهم ابوهم
اي من ابواب متفرقة في البلد ما كان يغني عنهم راي يعقوب واتباعهم
من الله من شيء مما قضاه عليهم كما قال يعقوب فسرقوا واخذ بنيامين بوجدان الصواع
في رحله وتضاعفت المصيبة على يعقوب الا حاجة في نفس يعقوب استثناء
منقطع اي ولكن حاجة في نفسه يعني شفقته عليهم وحزازته من ان يعانوا قضاها
اظهرها ووصى بها وانه لذو علم لما علمناه بالوحي ونصب الحجج ولذلك قال وما
اغني عنكم من الله من شيء ولم يغتر بتدبيره ولكن اكثر الناس لا يعلمون سر القدر
وانه لا يغني عنه الحذر ولما دخلوا على يوسف آوى اليه اخاه ضم اليه بنيامين
على الطعام او في المنزل روي انه اضافهم فاجلسهم مثنى مثنى فبقي بنيامين
وحيدا فبكى وقال لو كان اخي يوسف حيا لجلس معي فاجلسه معه على مائدته
ثم قال لينزل كل اثنين بيتا وهذا لا ثاني له فيكون معي فبات عنده وقال له اتحب
ان اكون اخاك بدل اخيك الهالك قال من يجد اخا مثلك ولكن لم يلدك يعقوب
ولا راحيل قال اني انا اخوك فلا تبتئس فلا تحزن افتعال من البؤس بما
كانوا يعملون في حقنا فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية المشربة في رحل
اخيه قيل كانت مشربة جعلت صاعا يكال به وقيل كانت تسقى الدواب بها
ويكال فيها وكانت من فضة وقيل من ذهب وقرئ وجعل على حذف جواب
فلما تقديره امهلهم حتى انطلقوا ثم اذن مؤذن نادى مناد ايتها العير انكم
لسارقون لعله لم يقله بامر يوسف او كان تعبية السقاية والنداء عليها
برضا بنيامين وقيل معناه انكم لسارقون يوسف من ابيه او انكم لسارقون
والعير القافلة وهو اسم الابل التي عليها الاحمال لانها تعير اي تتردد فقيل
لاصحابها كقوله عليه السلام يا خيل الله اركبي وقيل جمع عير واصلها فعل
كسقف فعل به ما فعل ببيض تجوز به لقافلة الحمير ثم استعير لكل قافلة
قالوا واقبلوا عليهم ماذا تفقدون اي شيء ضاع عنكم والفقد غيبة الشيء عن
الحس بحيث لا يعرف مكانه وقرئ تفقدون من افقدته اذا وجدته فقيدا
قالوا نفقد صواع الملك وقرئ صاع وصوع بالضم والفتح والعين والغين

وصواع

وصواع من الصياغة ولمن جاء به حمل بعير من الطعام جعلا له وانا به زعيم
كفيل اؤديه الى من رده وفيه دليل على جواز الجعالة وضمان الجعل قبل تمام
العمل قالوا تالله قسم فيه معنى التعجب والتاء بدل من الباء مختصة باسم الله
لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الارض وما كنا سارقين استشهدوا بعلمهم
على براءة انفسهم لما عرفوا منهم في كرتي مجيئهم ومداخلتهم للملك مما يدل
على فرط امانتهم كرد البضاعة التي جعلت في رحالهم وكعم الدواب لئلا تتناول
زرعا او طعاما لاحد قالوا فما جزاؤه فما جزاء السارق او السرق او الصواع
على حذف المضاف ان كنتم كاذبين في ادعاء البراءة قالوا جزاؤه من وجد
في رحله فهو جزاؤه اي جزاء سرقته اخذ من وجد في رحله واسترقاقه
هكذا كان شرع يعقوب وقوله فهو جزاؤه تقرير للحكم والزام له او خبر
من والفاء لتضمنها معنى الشرط او جواب لها على انها شرطية والجملة كما
هي خبر جزاؤه على اقامة الظاهر فيها مقام الضمير كانه قيل جزاؤه من وجد
في رحله فهو هو كذلك نجزي الظالمين بالسرقة فبدأ باوعيتهم فبدأ المؤذن
وقيل يوسف لانهم ردوا الى مصر قبل وعاء اخيه بنيامين نفيا للتهمة ثم استخرجها
اي السقاية او الصواع لانه يذكر ويؤنث من وعاء اخيه وقرئ بضم الواو
وبقلبها همزة كذلك مثل ذلك الكيد كدنا ليوسف بان علمناه اياه واوحينا
به اليه ما كان ليأخذ اخاه في دين الملك ملك مصر لان دينه الضرب
وتغريم ضعف ما اخذ دون الاسترقاق وهو بيان للكيد الا ان يشاء الله ان
يجعل ذلك الحكم حكم الملك فالاستثناء من اعم الاحوال ويجوز ان يكون منقطعا
اي لكن اخذه بمشيئة الله واذنه نرفع درجات من نشاء بالعلم كما رفعنا
درجته وفوق كل ذي علم عليم ارفع درجة منه واحتج به من زعم انه تعالى
عالم بذاته اذ لو كان ذا علم لكان فوقه من هو اعلم منه والجواب ان المراد كل ذي
علم من الخلق لان الكلام فيهم ولان العليم هو الله تعالى ومعناه الذي له
العلم البالغ لغة ولانه لا فرق بينه وبين قولنا فوق كل العلماء عليم وهو مخصوص
قالوا ان يسرق بنيامين فقد سرق اخ له من قبل يعنون يوسف قيل ورث
عمته من ابيها منطقة ابراهيم وكانت تحضن يوسف وتحبه فلما شب اراد
يعقوب انتزاعه منها فشدت المنطقة على وسطه ثم اظهرت ضياعها فتفحص
عنها فوجدت محزومة عليه فصارت احق به في حكمهم وقيل كان لابي امه
صنم فسرقه وكسره والقاه في الجيف وقيل كان في البيت عناق او دجاج فاعطى

السابل فاسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم اكنها ولم يظهرها لهم والضمير
للاجابة او المقالة او نسبة السرقة اليه وقيل انها كناية بشريطة التفسير
وتفسيرها قوله قال انتم شر مكانا فانه بدل من اسرها والمعنى قال في نفسه
انتم شر مكانا اي منزلة في السرقة لسرقتكم اخاكم او في سوء الصنيع مما كنتم
عليه وتانيثها باعتبار الكلمة او الجملة وفيه نظر اذ المفسر بالجملة لا يكون الا
ضمير الشان والله اعلم بما تصفون وهو يعلم ان الامر ليس كما تصفون قالوا
يا ايها العزيز ان له ابا شيخا كبيرا في السن او القدر ذكروا له حاله استعطافا
له عليه فخذ احدنا مكانه بدله فان اباه ثكلان على اخيه الهالك مستانس به
انا نراك من المحسنين الينا فاتمم احسانك او من المتعودين الاحسان
فلا تغير عادتك قال معاذ الله ان ناخذ الا من وجدنا متاعنا عنده
فان اخذ غيره ظلم على فتواكم فلو اخذنا احدكم مكانه انا اذا لظالمون في
مذهبكم هذا وان مراده ان الله اذن ان اخذ من وجدنا الصاع في رحله
لمصلحته ورضاه عليه فلو اخذت غيره كنت ظالما فلما استياسوا منه
يئسوا من يوسف واجابته اياهم وزيادة السين والتا للمبالغة خلصوا انفردوا
واعتزلوا نجيا متناجين وانما وحده لانه مصدر او بزنته كما قيل هم صديق
وجمعه انجية كندي واندية قال كبيرهم في السن وهو روبيل او في الراي
وهو شمعون وقيل يهوذا الم تعلموا ان اباكم قد اخذ عليكم موثقا من الله
عهدا وثيقا وانما جعل حلفهم بالله موثقا منه لانه باذن منه وتاكيد من جهته
ومن قبل ومن قبل هذا ما فرطتم في يوسف قصرتم في شانه وما مزيدة
ويجوز ان تكون مصدرية في موقع النصب بالعطف على مفعول تعلموا ولا
باس بالفصل بين العاطف والمعطوف بالظرف او على اسم ان وخبره في
يوسف او من قبل او الرفع بالابتدا والخبر من قبل وفيه نظر لان قبل اذا كان خبرا
او صلة لا يقطع عن الاضافة حتى لا ينقص وان تكون موصولة اي ما فرطتموه
بمعنى ما قدمتموه في حقه من الخيانة ومحله ما تقدم فلن ابرح الارض فلن افارق
ارض مصر حتى ياذن لي ابي في الرجوع اليه او يحكم الله لي او يقضي لي
بالخروج منها او بخلاص اخي منهم او بالمقاتلة معهم لتخليصه روي انهم
كلموا العزيز في اطلاقه فقال روبيل ايها الملك والله لتتركنا او لاصيحن صيحة
تضع منها الحوامل ووقفت شعور جسده فخرجت من ثيابه فقال يوسف لابنه
قم الى جنبه فمسه وكان بنو يعقوب اذا غضب احدهم فمسه الاخر ذهب

غضبه

غضبه فقال روبيل من هذا ان في هذا البلد لبزرا من بزر يعقوب
وهو خير الحاكمين لان حكمه لا يكون الا بالحق ارجعوا الى ابيكم فقولوا
يا ابانا ان ابنك سرق على ما شاهدناه من ظاهر الامر وقرئ سُرِّق اي
نسب الى السرقة وما شهدنا الا بما علمنا بان راينا ان الصواع
استخرج من وعايه وما كنا للغيب لباطن الحال حافظين فلا ندري انه
سرق او سُرِّق ودس الصاع في رحله او ما كنا للعواقب عالمين فلم ندر حين
اعطيناك الموثق انه سيسرق او انك تصاب به كما اصبت بيوسف واسال القرية
التي كنا فيها يعنون مصر او قرية بقربها لحقهم المنادي فيها والمعنى
ارسل الى اهلها واسالهم عن القصة والعير التي اقبلنا فيها واصحاب العير
التي توجهنا فيهم وكنا معهم وانا لصادقون تاكيد في محل القسم قال بل
سولت اي فلما رجعوا الى ابيهم وقالوا له ما قال لهم اخوهم قال بل سولت
اي زينت وسهلت لكم انفسكم امرا اردتموه وقربتموه والا فما ادرى
الملك ان السارق يوخذ بسرقته فصبر جميل اي فامري صبر جميل او فصبر
جميل اجمل عسى الله ان ياتيني بهم جميعا بيوسف وبنيامين واخيهما
الذي توقف بمصر انه هو العليم بحالي وحالهم الحكيم في تدبيرها وتولى
عنهم واعرض عنهم كراهة لما صادف منهم وقال يا اسفا على يوسف
اي يا اسفي تعالى فهذا اوانك والاسف اشد الحزن والحسرة والالف بدل
من يا المتكلم وانما تاسف على يوسف دون اخويه والحادث رزؤهما لان
رزاه كان قاعدة المصيبات وكان غضا اخذ بمجامع قلبه ولانه كان واثقا
بحياتهما دون حياته وفي الحديث لم تعط امة من الامم انا لله وانا اليه راجعون
عند المصيبة الا امة محمد صلى الله عليه وسلم الا ترى الى يعقوب حين اصابه
ما اصابه لم يسترجع وقال يا اسفا وابيضت عيناه من الحزن لكثرة بكائه
من الحزن كان العبرة محقت سوادها وقيل ضعف بصره وقيل عمي وقرئ
من الحَزَن وفيه دليل على جواز التاسف والبكا عند التفجع ولعل امثال
ذلك لا يدخل تحت التكليف فانه قل من يملك نفسه عند الشدايد ولقد
بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ولده ابراهيم وقال القلب يجزع
والعين تدمع ولا نقول ما يسخط الرب وانا عليك يا ابراهيم لمحزونون
فهو كظيم مملو من الغيظ على اولاده ممسك له في قلبه لا يظهره فعيل بمعنى
مفعول كقوله وهو مكظوم من كظم السقا اذا شده على ملئه او بمعنى فاعل

كقوله والكاظمين الغيظ من كظم الغيظ اذا اجترعه واصله كظم البعير
جرته يردها في جوفه قالوا تالله تفتؤ تذكر يوسف اي لا تفتؤ ولا تزال
تذكره تفجعا عليه فحذف لا كما في قوله فقلت يمين الله ابرح قاعدا لانه لا يلتبس
بالاثبات فان القسم اذا لم يكن معه علامة الاثبات كان على النفي حتى تكون
حرضا مريضا مشفيا على الهلاك وقيل الحرض الذي اذابه هم او مرض وهو في
الاصل مصدر ولذلك لا يؤنث ولا يجمع والنعت بالكسر كدنف ودنف وقد
قرئ به وبضمتين كجنب او تكون من الهالكين من الميتين قال انما اشكو بثي
وحزني همي الذي لا اقدر الصبر عليه من البث بمعنى النشر الى الله لا الى احد
منكم ومن غيركم فخلوني وشكايتي واعلم من الله من صنعه ورحمته وانه
لا يخيب داعيه ولا يدع الملتجي اليه ما لا تعلمون او من الله بنوع الالهام
ما لا تعلمون من حياة يوسف قيل راى ملك الموت في المنام فسأله عنه
فقال هو حي وقيل علم من رؤيا يوسف انه لا يموت حتى يخر له اخوته سجدا
يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف واخيه فتعرفوا خبرهما وتفحصوا
عن حالهما والتحسس طلب الاحساس ولا تيأسوا من روح الله لا تقنطوا من
فرجه وتنفيسه وقرئ من روح الله اي من رحمته التي يحيى بها العباد
انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون بالله وصفاته فان العارف
لا يقنط من رحمته في شيء من الاحوال فلما دخلوا عليه قالوا يا ايها العزيز
بعد ما رجعوا الى مصر رجعة ثانية مسنا واهلنا الضر شدة الجوع
وجئنا ببضاعة مزجاة ردية او قليلة ترد وتدفع رغبة عنها من ازجيته
اذا دفعته ومنه تزجية الزمان قيل كانت دراهم زيوفا وقيل صوفا وسمنا
وقيل الصنوبر والحبة الخضراء وقيل الاقط وسويق المقل فاوف لنا الكيل
فاتمم لنا الكيل وتصدق علينا برد اخينا او بالمسامحة وقبول المزجاة
او بالزيادة على ما يساويها واختلف في ان حرمة الصدقة تعم الانبيا
او تختص بنبينا صلى الله عليه وعليهم السلام ان الله يجزي المتصدقين احسن
الجزاء والتصدق التفضل مطلقا ومنه قوله عليه السلام في القصر هذه
صدقة تصدق الله بها فاقبلوا صدقته لكنه اختص عرفا بما يبتغى به ثواب
من الله قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه اي هل علمتم قبحه فتبتم
عنه وفعلهم باخيه افراده عن يوسف واذلاله حتى كان لا يستطيع ان
يكلمهم الا بعجز وذلة اذ انتم جاهلون قبحه فلذلك اقدمتم عليه

او عاقبته

او عاقبته وانما قال ذلك تنصحا لهم وتحريضا على التوبة وشفقة عليهم لما راى
من عجزهم وتمسكنهم لا معاتبة وتثريبا وقيل اعطوه كتاب يعقوب في تخليص
بنيامين وذكروا له ما هو فيه من الحزن على فقد يوسف واخيه فقال لهم ذلك
وانما جهلهم لان فعلهم فعل الجهال او لانهم كانوا حينئذ صبيانا طياشين
قالوا ائنك لانت يوسف استفهام تقرير ولذلك حقق بان واللام عليه
وقرأه ابن كثير على الايجاب قيل عرفوه بروائه وشمائله حين كلمهم به وقيل
تبسم فعرفوه بثناياه وقيل رفع التاج عن راسه فراوا علامة بقرنه تشبه
الشامة البيضاء وكانت لسارة ويعقوب مثلها قال انا يوسف وهذا اخي
من ابي وامي ذكره تعريفا لنفسه به وتفخيما لشانه وادخالا له في قوله قد من
الله علينا اي بالسلامة والكرامة انه من يتق اي يتق الله ويصبر على البليا
او على الطاعات وعن المعاصي فان الله لا يضيع اجر المحسنين وضع المحسنين
موضع الضمير للتنبيه على ان المحسن من جمع بين التقوى والصبر قالوا تالله
لقد اثرك الله علينا اختارك علينا بحسن الصورة وكمال السيرة وان كنا
لخاطئين والحال ان شاننا انا كنا مذنبين بما فعلنا معك قال لا تثريب
عليكم لا تعنيف عليكم تفعيل من الثرب وهو الشحم الذي يغشي الكرش للازالة
كالتجليد فاستعير للتقريع الذي يمزق العرض ويذهب ماء الوجه اليوم
متعلق بالتثريب او بالمقدر للخبر او الحال او وقع خبرا للا تثريب والمعنى لا اثربكم
اليوم الذي هو مظنته فما ظنكم بسائر الايام او بقوله يغفر الله لكم لانه
صفح عن جريمتهم حينئذ واعترفوا بها حينئذ وهو ارحم الراحمين فانه يغفر
الصغائر والكبائر ويتفضل على التائب ومن كرم يوسف انهم لما عرفوه ارسلوا
اليه وقالوا انك تدعونا بالبكرة والعشي الى الطعام ونحن نستحيي منك
لما فرط منا فيك فقال ان اهل مصر كانوا ينظرون الي بالعين الاولى ويقولون
سبحان من بلغ عبدا بيع بعشرين درهما ما بلغ ولقد شرفت بكم وعظمت في
عيونهم حيث علموا انكم اخوتي واني من حفدة ابراهيم اذهبوا بقميصي هذا
القميص الذي كان عليه وقيل القميص المتوارث الذي كان في التعويذ فالقوه
على وجه ابي يات بصيرا يرجع بصيرا اي ذا بصر واتوني انتم وابي باهلكم
اجمعين بنسائكم وذراريكم ومواليكم ولما فصلت العير من مصر خرجت
من عمرانها قال ابوهم لمن حضره اني لاجد ريح يوسف اوجده الله ريح
ما عبق بقميصه من ريحه حين اقبل اليه يهوذا من ثمانين فرسخا لولا ان تفندون

وان

تنسبوني الى الفند وهو نقصان عقل يحدث من هرم ولذلك لا يقال عجوز مفندة
لان نقصان عقلها ذاتي وجواب لولا محذوف تقديره لصدقتموني او لقلت
انه قريب قالوا اي الحاضرون تالله انك لفي ضلالك القديم لفي ذهابك
عن الصواب قدما بالافراط في محبة يوسف والاكثار من ذكره والتوقع للقائه
فلما ان جاء البشير يهوذا روي انه قال كما احزنته بحمل قميصه الملطخ بالدم
اليه فافرحه بحمل هذا اليه القاه على وجهه طرح البشير القميص على وجه
يعقوب او يعقوب نفسه فارتد بصيرا عاد بصيرا لما انتعش فيه من القوة
قال الم اقل لكم اني اعلم من الله ما لا تعلمون من حيوة يوسف وانزال
الفرج وقيل اني اعلم كلام مبتدا والمقول لا تياسوا من روح الله او اني لاجد
ريح يوسف قالوا يا ابانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين ومن
حق المعترف بذنبه ان يصفح عنه ويسال له المغفرة قال سوف استغفر لكم
ربي انه هو الغفور الرحيم اخره الى السحر او الى صلوة الليل او الى ليلة
الجمعة تحريا لوقت الاجابة او الى ان يستحل لهم من يوسف او يعلم انه عفى
عنهم فان عفو المظلوم شرط المغفرة ويؤيده ما روي انه استقبل القبلة
قائما يدعو وقام يوسف خلفه يؤمن وقاموا خلفهما اذلة خاشعين حتى نزل
جبريل وقال ان الله قد اجاب دعوتك في ولدك وعقد مواثيقهم بعدك
على النبوة وهو ان صح فدليل على نبوتهم وان ما صدر عنهم كان قبل استنبائهم
فلما دخلوا على يوسف روي انه وجه اليه رواحل واموالا ليتجهز اليه
بمن معه واستقبله يوسف والملك باهل مصر وكان اولاده الذين دخلوا
معه مصر اثنين وسبعين رجلا وامراة وكانوا حين خرجوا مع موسى ستمائة
الف وخمسمائة وبضعة وسبعين رجلا سوى الذرية والهرمى اوى اليه
ابويه ضم اليه اباه وخالته واعتنقهما نزلها منزلة الام تنزيل العم منزلة
الاب في قوله واله اباءك ابراهيم واسمعيل واسحق او لان يعقوب تزوجها
بعد امه والرابة تدعى اما وقال ادخلوا مصر ان شاء الله امنين من القحط
واصناف المكاره والمشية متعلقة بالدخول المكيف بالامن والدخول الاول
كان في موضع خارج البلد حين استقبلهم ورفع ابويه على العرش وخروا
له سجدا تحية وتكرمة له فان السجود كان عندهم يجري مجراها وقيل
معناه خروا لاجله سجدا شكرا وقيل الضمير لله والواو لابويه واخوته والرفع
مؤخر عن الخرور وان قدم لفظا للاهتمام بتعظيمه لهما وقال يا ابت هذا

تاويل

تاويل رؤياي من قبل التي رايتها ايام الصبا قد جعلها ربي حقا صدقا وقد
احسن بي اذ اخرجني من السجن ولم يذكر الجب لئلا يكون تثريبا عليهم
وجاء بكم من البدو من البادية لانهم كانوا اصحاب المواشي واهل
البدو من بعد ان نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي افسد بيننا وحرش
من نزغ الرائض الدابة اذا نخسها وحملها على الجري ان ربي لطيف لما
يشاء لطيف التدبير له اذ ما من صعب الا وينفذ فيه مشيته ويتسهل دونها
انه هو العليم بوجوه المصالح والتدابير الحكيم الذي يفعل كل شي في
وقته وعلى وجه يقتضي الحكمة روي ان يوسف طاف بابيه عليهما السلام في
خزائنه فلما ادخله خزانة القرطاس قال يا بني ما اغفلك عندك هذه القراطيس
وما كتبت الي على ثمان مراحل قال امرني جبريل قال او ما تساله قال انت
ابسط مني اليه فساله قال جبريل الله امرني بذلك لقولك واخاف ان
ياكله الذيب قال فهلا خفتني رب قد اتيتني من الملك بعض الملك وهو ملك
مصر وعلمتني من تاويل الاحاديث الكتب والرؤيا ومن ايضا للتبعيض لانه
لم يؤت كل التاويل فاطر السموات والارض مبدعهما وانتصابه على انه
صفة المنادي او منادي براسه انت وليي ناصري او متولي امري في
الدنيا والاخرة اي الذي يتولاني بالنعم فيهما توفني مسلما اقبضني والحقني
بالصالحين من آبائي او بعامة الصالحين في الرتبة والكرامة روي ان
يعقوب اقام معه اربعا وعشرين سنة ثم توفي واوصى ان يدفن بالشام
الى جنب ابيه فذهب به ودفنه ثمة ثم عاد وعاش بعده ثلثا وعشرين سنة
ثم تاقت نفسه الى الملك المخلد فتمنى الموت فتوفاه الله طيبا طاهرا فتخاصم
اهل مصر في مدفنه حتى هموا بالقتال فراوا ان يجعلوه في صندوق من مرمر
ويدفنوه في النيل بحيث يمر عليه الماء ثم يصل الى مصر ليكونوا شرعا فيه
ثم نقله موسى الى مدفن ابائه وكان عمره مائة وعشرين سنة وقد ولد له
من راعيل افرائيم وميشا وهو جد يوشع بن نون ورحمة امراة ايوب ذلك
اشارة الى ما ذكر من نبا يوسف والخطاب فيه للرسول وهو مبتدا من انباء
الغيب نوحيه اليك خبران له وما كنت لديهم اذ اجمعوا امرهم وهم
يمكرون كالدليل عليهما والمعنى ان هذا النبا غيب لم تعرفه الا بالوحي لانك
لم تحضر اخوة يوسف حين عزموا على ما هموا به من ان يجعلوه في غيابة الجب
وهم يمكرون به وبابيه ليرسله معهم ومن المعلوم الذي لا يخفى على مكذبيك

انك ما لقيت احدا سمع ذلك فتعلمه منه وانما حذف هذا الشق استغنا
بذكره في غير هذه القصة كقوله ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا
وما اكثر الناس ولو حرصت على ايمانهم وبالغت في اظهار الايات
عليهم بمؤمنين لعنادهم وتصميمهم على الكفر وما تسئلهم عليه على الانبا
او القران من اجر جعل كما يفعله حملة الاخبار ان هو الا ذكر عظة من الله
[illegible] للعالمين عامة وكاين من اية وكم من اية والمعنى وكاي عدد شئت من
الدلايل الدالة على وجود الصانع وحكمته وكمال قدرته وتوحيده في السموات
والارض يمرون عليها على الايات ويشاهدونها وهم عنها معرضون
لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها وقرئ والارض بالرفع على انه مبتدا
خبره يمرون فيكون لها الضمير في عليها وبالنصب على ويطؤون وقرئ
والارض يمشون عليها اي يترددون فيها فيرون اثار الامم الهالكة وما
يؤمن اكثرهم بالله في اقرارهم بوجوده وخالقيته الا وهم مشركون
بعبادة غيره او باتخاذ الاحبار اربابا او نسبة التبني اليه او القول
بالنور والظلمة او النظر الى الاسباب ونحو ذلك وقيل الاية في مشركي
مكة وقيل في المنافقين وقيل في اهل الكتاب افامنوا ان تاتيهم غاشية
من عذاب الله عقوبة تغشاهم وتشملهم او تاتيهم الساعة بغتة فجاة
من غير سابقة علامة وهم لا يشعرون باتيانها غير مستعدين لها قل
هذه سبيلي يعني الدعوة الى التوحيد والاعداد للمعاد ولذلك فسر
السبيل بقوله ادعوا الى الله وقيل هو حال من اليا على بصيرة بيان وحجة
واضحة غير عميا انا تاكيد للمستتر في ادعوا او على بصيرة لانه حال منه
او مبتدا خبره على بصيرة ومن اتبعني عطف عليه وسبحان الله وما انا
من المشركين وانزهه تنزيها من الشركا وما ارسلنا من قبلك الا رجالا
رد لقولهم لو شا ربنا لانزل ملايكة وقيل معناه نفي استنبا النسا يوحي اليهم
كما اوحي اليك ويميزوا بذلك عن غيرهم وقرا حفص نوحي في كل القران
ووافقه حمزة والكسائي في الحرف الثاني في سورة الانبيا من اهل القرى
لان اهلها اعلم واحلم من اهل البدو افلم يسيروا في الارض فينظروا
كيف كان عاقبة الذين من قبلهم من المكذبين بالرسل والايات فيحذروا
تكذيبك او من المشغوفين بالدنيا المتهالكين عليها فيقلعوا عن حبها ولدار
الاخرة ولدار الحال او الساعة او الحياة الاخرة خير للذين اتقوا الشرك

والمعاصي افلا يعقلون يستعملون عقولهم ليعرفوا انها خير وقرا نافع
وابن عامر وعاصم ويعقوب بالتا حملا على قوله قل هذه سبيلي اي قل لهم
افلا تعقلون حتى اذا استياس الرسل غاية محذوف دل عليه الكلام
اي لا يغررهم تمادي ايامهم فان من قبلهم امهلوا حتى ايس الرسل عن النصر
عليهم في الدنيا او عن ايمانهم لانهماكهم في الكفر مترفهين متمادين فيه من غير
وازع وظنوا انهم قد كذبوا اي كذبتهم انفسهم حين حدثتهم بانهم ينصرون
او كذبهم القوم بوعد الايمان وقيل الضمير للمرسل اليهم اي وظن المرسل
اليهم ان الرسل قد كذبوهم بالدعوة والوعيد وقيل الاول للمرسل اليهم
والثاني للرسل اي وظنوا ان الرسل قد كذبوا واخلفوا فيما وعد لهم من النصر
وخلط الامر عليهم ومما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان الرسل ظنوا
انهم اخلفوا ما وعدهم الله من النصر ان صح فقد اراد بالظن ما يهجس في القلب
على طريق الوسوسة هذا او ان المراد به المبالغة في التراخي والامهال على
سبيل التمثيل وقرا غير الكوفيين بالتشديد اي وظن الرسل ان القوم قد كذبوهم
فيما اوعدوهم وقرئ كذبوا بالتخفيف وبنا الفاعل اي وظنوا انهم قد كذبوا
فيما حدثوا به عند قومهم لما تراخى عنهم ولم يروا له اثرا جاهم نصرنا فنجي
من نشا النبي والمومنين وانما لم يعينهم للدلالة على انهم الذين يستاهلون
ان يشا نجاتهم لا يشاركهم فيه غيرهم وقرا ابن عامر وعاصم ويعقوب
على لفظ الماضي المبني للمفعول وقرئ فنجا ولا يرد باسنا عن القوم المجرمين
اذا نزل بهم وفيه بيان المشيين لقد كان في قصصهم في قصص الانبيا
واممهم او في قصة يوسف واخوته عبرة لاولي الالباب لذوي العقول
المبرا عن شوايب الالف والركون الى الحس ما كان حديثا يفترى ما
كان القران حديثا مفترى ولكن تصديق الذي بين يديه من الكتب الالهية
وتفصيل كل شي يحتاج اليه في الدين اذ ما من امر ديني الا وله سند
من القران بوسط او غير وسط وهدى من الضلال ورحمة ينال بها
خير الدارين لقوم يومنون يصدقونه وعن النبي صلى الله عليه وسلم
علموا ارقاكم سورة يوسف فانه ايما مسلم تلاها وعلمها اهله وما ملكت
يمينه هون الله عليه سكرات الموت واعطاه القوة ان لا يحسد مسلما

[illegible]

هم

الآتي لدقوله ويقول الذين كفروا الآية وهي خمس واربعون اية بسم الله الرحمن الرحيم
المر قيل معناه انا الله اعلم واري تلك ايات الكتاب يعني بالكتاب السورة
وتلك اشارة الى اياتها اي تلك الايات ايات السورة الكاملة او القران والذي
انزل اليك من ربك هو القران كله ومحله الجر بالعطف على الكتاب
عطف العام على الخاص او احدى الصفتين على الاخرى او الرفع بالابتدا
وخبره الحق والجملة كالحجة على الجملة الاولى وتعريف الخبر وان دل
على اختصاص المنزل بكونه حقا فهو اعم من المنزل صريحا او ضمنا كالمثبت
بالقياس وغيره مما نطق المنزل بحسن اتباعه ولكن اكثر الناس لا يومنون
لاخلالهم بالنظر والتامل فيه الله الذي رفع السموات مبتدا وخبر
ويجوز ان يكون الموصول صفة والخبر يدبر الامر بغير عمد اساطين جمع
عماد كاهاب واهب او عمود كاديم وادم وقرئ عمد كرسل ترونها صفة
لعمد او استيناف للاستشهاد برويتهم السموات كذلك وهو دليل على وجود
الصانع الحكيم فان ارتفاعها على ساير الاجسام المساوية لها في حقيقة الجرمية
واختصاصها بما يقتضي ذلك لا بد وان يكون لمخصص ليس بجسم ولا جسماني
يرجح بعض الممكنات على بعض بارادته وعلى هذا المنهاج ساير ما ذكر من الايات
ثم استوى على العرش بالحفظ والتدبير وسخر الشمس والقمر ذللهما لما
اراد منهما كالحركة المستمرة على حد من السرعة ينفع في حدوث الكاينات
وبقايها كل يجري لاجل مسمى لمدة معينة يتم فيها ادواره او لغاية مضروبة
ينقطع دونها سيره وهي اذا الشمس كورت واذا النجوم انكدرت يدبر
الامر امر ملكوته من الايجاد والاعدام والاحيا والاماتة وغير ذلك
يفصل الايات ينزلها ويبينها مفصلة او يحدث الدلايل واحدا بعد
واحد لعلكم بلقاء ربكم توقنون لكي تتفكروا فيها وتتحققوا كمال
قدرته فتعلموا ان من قدر على خلق هذه الاشيا وتدبيرها قدر على الاعادة
والجزا وهو الذي مد الارض بسطها طولا وعرضا لتثبت عليها الاقدام
ويتقلب عليها الحيوان وجعل فيها رواسي جبالا ثوابت من رسا
الشي اذا ثبت جمع راسية والتاء للتانيث على انها صفة اجبل او للمبالغة
وانهارا ضمها الى الجبال وعلق بهما فعلا واحدا من حيث ان الجبال اسباب
لتولدها ومن كل الثمرات متعلق بقوله جعل فيها زوجين اثنين
اي وجعل فيها من جميع انواع الثمرات صنفين اثنين كالحلو والحامض والا

والابيض والصغير والكبير يغشي الليل النهار يلبسه مكانه فيصير الجو مظلما
بعد ما كان مضيئا وقرا حمزة والكسائي وابو بكر يغشي بالتشديد ان في ذلك
لايات لقوم يتفكرون فيها فان تكونها وتخصيصها بوجه دون وجه
دليل على وجود صانع حكيم دبر امرها وهيا اسبابها وفي الارض قطع متجاورات
بعضها طيبة وبعضها سبخة وبعضها رخوة وبعضها صلبة وبعضها يصلح
للزرع دون الشجر وبعضها بالعكس ولولا تخصيص قادر موقع لافعاله على وجه
دون وجه لم يكن كذلك لاشتراك تلك القطع في الطبيعة الارضية
وما يلزمها ويعرض لها بتوسط ما يعرض من الاسباب السماوية من حيث انها
متضامة متشاركة في النسب والاوضاع وجنات من اعناب وزرع ونخيل
وبساتين فيها انواع الاشجار والزروع وتوحيد الزرع لانه مصدر في اصله
وقرا ابن كثير وابو عمرو ويعقوب وحفص وزرع ونخيل بالرفع عطف على وجنات
صنوان نخلات اصلها واحد وغير صنوان ومتفرقات مختلفة الاصول
وقرا حفص بالضم وهو لغة تميم كقنوان في جمع قنو يسقى بماء واحد ونفضل
بعضها على بعض في الاكل في الثمر شكلا وقدرا ورايحة وطعما وذلك
ايضا مما يدل على الصانع الحكيم فان اختلافها مع اتحاد الاصول والاسباب
لا يكون الا بتخصيص قادر مختار وقرا ابن عامر وعاصم ويعقوب يسقى بالتذكير
على تاويل ما ذكر وحمزة والكسائي يفضل بالياء ليطابق قوله يدبر الامر ان
في ذلك لايات لقوم يعقلون يستعملون عقولهم بالتفكر وان تعجب يا
محمد من انكارهم البعث فعجب قولهم حقيق بان يتعجب منه فان من قدر على
انشا ما قص عليك كانت الاعادة ايسر شي عليه والايات المعدودة كما هي
دالة على وجود المبدا فهي دالة على امكان الاعادة من حيث انها تدل على كمال
علمه وقدرته وقبول المواد لانواع تصرفاته اذا كنا ترابا اانا لفي خلق جديد
بدل من قولهم او مفعول له والعامل في اذا محذوف دل عليه اانا لفي خلق جديد
اولئك الذين كفروا بربهم لانهم كفروا بقدرته على البعث واولئك الاغلال
في اعناقهم مقيدون بالضلال لا يرجى خلاصهم او يغلون يوم القيامة
واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون لا ينفكون عنها وتوسط الفصل
لتخصيص الخلود بالكفار ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة بالعقوبة
قبل العافية وذلك انهم استعجلوا ما هددوا به من عذاب الدنيا استهزاء وقد
خلت من قبلهم المثلات عقوبات امثالهم من المكذبين فما لهم لم يعتبروا بها

وا يجوز واحلول مثلها عليهم والمثلة بفتح الثاء وضمها كالصدقة والصدقة
العقوبة لانها مثل المعاقب عليه ومنه المثال للقصاص وامثلت الرجل من صاحبه
اذا اقصصته وقرئ المثلات باتباع الفاء العين والمثلات بالتخفيف بعد الاتباع
والمثلات على انها جمع مثلة كركبة وركبات وان ربك لذو مغفرة للناس
على ظلمهم مع ظلمهم انفسهم ومحله النصب على الحال والعامل فيه المغفرة
والتقييد به دليل على جواز العفو قبل التوبة فان التائب ليس على ظلمه ومن منع
ذلك خص الظلم بالصغائر المكفرة لمجتنب الكبائر او اول المغفرة بالستر والامهال
وان ربك لشديد العقاب للكفار او لمن شاء وعن النبي صلى الله عليه وسلم
لولا عفو الله وتجاوزه لما هنأ احدا العيش ولولا وعيده وعقابه لاتكل كل
احد ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه آية من ربه لعدم اعتدادهم
بالآيات المنزلة عليه واقتراحا لنحو ما اوتي موسى وعيسى صلوات الله عليهما
انما انت منذر مرسل للانذار كغيرك من الرسل وما عليك الا الاتيان
بما تصح به نبوتك من جنس المعجزات لا بما يقترح عليك ولكل قوم هاد نبي
مخصوص بمعجزات من جنس ما هو الغالب عليهم يهديهم الى الحق ويدعوهم الى
الصواب او قادر على هدايتهم وهو الله تعالى لكن لا يهدي الا من يشاء هدايته
بما ينزل من الآيات ثم اردف ذلك ما يدل على كمال علمه وقدرته وشمول قضائه
وقدره تنبيها على انه تعالى قادر على انزال ما اقترحوه وانما لم ينزل لعلمه بان
اقتراحهم للعناد دون الاسترشاد وانه تعالى قادر على هدايتهم وانما لم
يهدهم لسبق قضائه عليهم بالكفر فقال الله يعلم ما تحمل كل انثى اي حملها
او ما تحمله انه على اي حال هو من الاحوال الحاضرة والمترقبة وما تغيض
الارحام وما تزداد وما تنقصه وما تزداده في الجثة والمدة والعدد
واقصى مدة الحمل اربع سنين عندنا وخمس عند مالك وسنتان عند ابي
حنيفة روي ان الضحاك ولد لسنتين وهرم ابن حيان لاربع سنين واعلى
عدده لا حد له وقيل نهايته ما عرف اربعة واليه ذهب ابو حنيفة وقال الشافعي
اخبرني شيخ باليمن ان امرأته ولدت بطونا في كل بطن خمسة وقيل نقصان الدم
للحيض وازدياده وغاض جاء متعديا ولازما وكذا ازداد قال تعالى وازدادوا تسعا
ازداد وازدادوا تسعا فان جعلتهما لازمين تعين ما ان تكون مصدرية واسنادهما
الى الارحام على المجاز فانهما لله او لما فيهما وكل شيء عنده بمقدار بقدر
لا يجاوزه ولا ينقص عنه كقوله انا كل شيء خلقناه بقدر فانه تعالى خص كل حادث

بوقت

بوقت وحال معينين وهيأ له اسبابا مسوقة اليه تقتضي ذلك عالم الغيب
الغائب عن الحس والشهادة الحاضر له الكبير العظيم الشان الذي لا يخرج
عن علمه شيء المتعال المستعلي على كل شيء بقدرته او الذي كبر عن نعت المخلوقين
وتعالى عنه سواء منكم من اسر القول في نفسه ومن جهر به لغيره
ومن هو مستخف بالليل طالب للخفاء في مختبأ بالليل وسارب بارز بالنهار
يراه كل احد من سرب سروبا اذا برز وهو عطف على من او مستخف على ان
من في معنى الاثنين كقوله نكن مثل من يا ذئب يصطحبان كأنه قال سواء منكم
اثنان مستخف بالليل وسارب بالنهار والآية متصلة بما قبلها مقررة لكمال
علمه وشموله له لمن اسر او جهر او استخفى او سرب معقبات ملائكة تعتقب
في حفظه جمع معقبة من عقب مبالغة عقبه اذا جاء على عقبه كأن بعضهم يعقب
بعضا او لانهم يعقبون اقواله وافعاله فيكتبونها او اعتقب فادغمت التاء
في القاف والتاء للمبالغة او لان المراد بالمعقبات جماعات وقرئ معاقيب
جمع معقب ومعقبة على تعويض الياء من احدى القافين من بين يديه ومن
خلفه من جوانبه او من الاعمال ما قدم واخر يحفظونه من امر الله من بأسه
متى اذنب بالاستمهال او الاستغفار له او يحفظونه من المضار او يراقبون
احواله من اجل امر الله وقد قرئ به وقيل من بمعنى الباء وقيل من امر الله صفة
ثانية لمعقبات وقيل المعقبات الحرس والجلاوزة حول السلطان يحفظونه
في توهمه من قضاء الله ان الله لا يغير ما بقوم من العافية والنعمة حتى يغيروا
ما بانفسهم من الاحوال الجميلة بالاحوال القبيحة واذا اراد الله بقوم
سوءا فلا مرد له فلا رد له والعامل في اذا ما دل عليه الجواب وما لهم من
دونه من وال ممن يلي امرهم فيدفع عنهم السوء وفيه دليل على ان خلاف
مراد الله محال هو الذي يريكم البرق خوفا من اذاه وطمعا في الغيث
وانتصابهما على العلة بتقدير المضاف اي اراده خوف وطمع او التأويل بالاخافة
والاطماع او الحال من البرق او المخاطبين على اضمار ذوي او اطلاق المصدر
بمعنى المفعول او الفاعل للمبالغة وقيل يخاف المطر من يضره ويطمع فيه من ينفعه
وينشئ السحاب الغيم المنسحب في الهواء الثقال وهو جمع ثقيلة وانما وصفت
به السحاب لانه اسم جنس في معنى الجمع ويسبح الرعد ويسبح سامعوه بحمده
ملتبسين به فيضجون بسبحان الله والحمد لله او يدل الرعد بنفسه على وحدانية
الله تعالى وكمال قدرته ملتبسا بالدلالة على فضله ونزول رحمته وعن ابن عباس

رضي الله عنهما سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن الرعد فقال ملك موكل بالسحاب
معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب **والملائكة من خيفته** من خوف الله
واجلاله وقيل الضمير للرعد **ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء** فيهلكه
وهم يجادلون في الله حيث يكذبون رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يصفه
به من كمال العلم والقدرة والتفرد بالالوهية واعادة الناس ومجازاتهم والجدال
التشدد في الخصومة من الجدل وهو الفتل والواو اما لعطف الجملة على الجملة
او للحال فانه روي ان عامر بن الطفيل واربد بن ربيعة اخا لبيد وفدا على رسول
الله صلى الله عليه وسلم قاصدين لقتله فاخذه عامر بالمجادلة ودار اربد من خلفه
ليضربه بالسيف فتنبه له الرسول صلى الله عليه وسلم وقال اللهم اكفنيهما بما
شئت فارسل على اربد صاعقة فقتلته ورمى عامرا بغدة فمات في بيت سلولية
وكان يقول غدة كغدة البعير وموت في بيت سلولية **وهو شديد المحال**
المماحلة والمكايدة لاعدائه من محل بفلان اذا كاده وعرضه للهلاك ومنه
تمحل اذا تكلف استعمال الحيلة ولعل اصله المحل بمعنى القحط وقيل فعال من
المحل بمعنى القوة وقيل مفعل من الحول او الحيلة اعل على غير قياس ويعضده انه قرئ
بفتح الميم على انه مفعل من حال يحول اذا احتال ويجوز ان يكون بمعنى الفقار
فيكون مثلا في القوة والقدرة كقولهم فساعد الله اشد وموساه احد **له دعوة
الحق** الدعاء الحق فانه الذي يحق ان يعبد او يدعى الى عبادته دون غيره او له
الدعوة المجابة فان من دعاه اجاب ويؤيده ما بعده والحق على الوجهين ما
يناقض الباطل واضافة الدعوة اليه لما بينهما من الملابسة او على تاويل دعوة
المدعو الحق وقيل الحق هو الله وكل دعاء اليه دعوة الحق والمراد بالجملتين ان
كانت الاية في عامر واربد ان اهلاكهما من حيث لم يشعرا به محال من الله واجابة
لدعوة رسوله او دلالة على انه على الحق وان كانت عامة فالمراد وعيد الكفرة
على مجادلة رسول الله صلى الله عليه وسلم بحلول محاله بهم وتهديدهم باجابة
دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم او بيان ضلالهم وفساد رايهم **والذين
يدعون** اي والاصنام الذين يدعوهم المشركون فحذف الراجع او والمشركون
الذين يدعون الاصنام فحذف المفعول لدلالة **من دونه** عليه **لا يستجيبون
لهم بشيء** من الطلبات **الا كباسط كفيه** الا استجابة كاستجابة من بسط
كفيه **الى الماء ليبلغ فاه** يطلب منه ان يبلغه **وما هو ببالغه** لانه جماد لا
يشعر بدعائه ولا يقدر على اجابته والاتيان بغير ما جبل عليه وكذلك

آلهتهم وقيل شبهوا في قلة جدوى دعائهم لها بمن اراد ان يغترف الماء ليشربه
وقرئ تدعون بالتاء وباسط بالتنوين **وما دعاء الكافرين الا في ضلال** في
ضياع وخسار وباطل **ولله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها**
يحتمل ان يكون السجود على حقيقته فانه يسجد له الملائكة والمؤمنون من الثقلين
طوعا حالتي الشدة والرخاء والكفرة كرها حال الشدة والضرورة **وظلالهم** بالعرض
وان يراد به انقيادهم لاحداث ما اراده منهم شاؤوا او كرهوا وانقياد ظلالهم
لتصريفه اياها بالمد والتقليص وانتصاب طوعا وكرها بالحال او العلة وقوله
بالغدو والآصال ظرف ليسجد والمراد بهما الدوام او حال من الظلال
وتخصيص الوقتين لان الامتداد والتقليص اظهر فيهما والغدو جمع غداة كقني
وقناة والآصال جمع اصيل وهو ما بين العصر والمغرب وقيل الغدو مصدر ويؤيده
انه قرئ والايصال وهو الدخول في الاصيل **قل من رب السموات والارض**
خالقهما ومتولي امرهما **قل الله** اجب عنهم بذلك اذ لا جواب لهم سواه ولانه
البين الذي لا يمكن المراء فيه او لقنهم الجواب به **قل افاتخذتم من دونه**
ثم الزمهم بذلك ان اتخاذهم منكر بعيد عن مقتضى العقل **اولياء لا يملكون
لانفسهم نفعا ولا ضرا** لا يقدرون ان يجلبوا اليها نفعا او يدفعوا عنها
ضرا فكيف يستطيعون انفاع الغير ودفع الضر عنه وهو دليل ثان على ضلالهم
وفساد رايهم في اتخاذهم اولياء رجاء ان يشفعوا لهم **قل هل يستوي الاعمى
والبصير** المشرك الجاهل بحقيقة العبادة والموجب لها والموحد العالم بذلك
وقيل المعبود الغافل عنكم والمعبود المطلع على احوالكم **ام هل تستوي الظلمات
والنور** الشرك والتوحيد وقرا حمزة والكسائي وابو بكر بالياء **ام جعلوا لله شركاء**
بل اجعلوا والهمزة للانكار وقوله **خلقوا كخلقه** صفة لشركاء داخلة في حكم
الانكار **فتشابه الخلق عليهم** خلق الله وخلقهم والمعنى انهم ما اتخذوا
لله شركاء خالقين مثله حتى يتشابه عليهم الخلق فيقولوا هؤلاء خلقوا كما
خلق الله فاستحقوا العبادة كما استحقها ولكنهم اتخذوا شركاء عاجزين
لا يقدرون على ما يقدر عليه الخلق فضلا عما يقدر عليه الخالق **قل الله خالق
كل شيء** لا خالق غيره فيشاركه في العبادة جعل الخلق موجبا للعبادة ولازما
لاستحقاقها ثم نفاه عما سواه ليدل على قوله **وهو الواحد** اي المتوحد بالالوهية
القهار الغالب على كل شيء **انزل من السماء ماء** من السحاب او من جانب السماء
او من السماء نفسها فان المبادي منه **فسالت اودية** انهار جمع واد وهو الموضع

الذي يسيل الماء فيه بكثرة فاتسع فيه واستعمل للماء الجاري فيه وتنكيرها لان
المطر ياتي على تناوب بين البقاع بقدرها بمقدارها الذي علم الله انه نافع غير ضار
او بمقدارها في الصغر والكبر فاحتمل السيل زبدا رفعه والزبد وضر الغليان
رابيا عاليا ومما توقدون عليه في النار يعم الفلزات كالذهب والفضة
والحديد والنحاس على وجه التهاون بها اظهارا لكبريائه ابتغاء حلية طلب
حلية او متاع كالاواني والات الحرب والحرث والمقصود من ذلك بيان
منافعها زبد مثله اي ومما توقدون عليه زبد مثل زبد الماء وهو خبثه ومن
للابتداء او للتبعيض وقرا حمزة والكسائي وحفص بالياء على ان الضمير للناس
واضماره للعلم به كذلك يضرب الله الحق والباطل مثل الحق والباطل فانه
مثل الحق في افادته وثباته بالماء الذي ينزل من السماء فتسيل به الاودية على قدر
الحاجة والمصلحة فينتفع به انواع المنافع ويمكث في الارض بان يثبت بعضه
في منافعه ويسلك بعضه في عروق الارض الى العيون والقني والابار وبالفلز
الذي ينتفع به في صوغ الحلي واتخاذ الامتعة المختلفة ويدوم ذلك مدة
متطاولة والباطل في قلة نفعه وسرعة زواله بزبدهما وبين ذلك بقوله فاما
الزبد فيذهب جفاء يجفا به اي يرمي به السيل او الفلز المذاب وانتصابه
على الحال وقرئ جفالا والمعنى واحد واما ما ينفع الناس كالماء وخلاصة
الفلز فيمكث في الارض ينتفع به اهلها كذلك يضرب الله الامثال
لايضاح المشتبهات للذين استجابوا للمؤمنين الذين استجابوا لربهم
الحسنى الاستجابة الحسنى والذين لم يستجيبوا له وهم الكفرة واللام متعلقة
بيضرب على انه جعل ضرب المثل لشان الفريقين ضرب المثل لهما وقيل للذين
استجابوا خبر الحسنى وهي المثوبة او الجنة والذين لم يستجيبوا مبتدا خبره
لو ان لهم ما في الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به وهو على الاول
كلام مبتدا لبيان مآل غير المستجيبين اولئك لهم سوء الحساب وهو
المناقشة فيه بان يحاسب الرجل بذنبه لا يغفر منه شيء ومأواهم مرجعهم
جهنم وبئس المهاد المستقر والمخصوص بالذم محذوف افمن يعلم انما انزل
اليك من ربك الحق فيستجيب كمن هو اعمى عمى القلب لا يستبصره فيستجيب
والهمزة لانكار ان يقع شبهة في تشابههما بعد ما ضرب من المثل انما يتذكر
اولوا الالباب ذوو العقول المبرأة عن مشايعة الالف ومعارضة الوهم
الذين يوفون بعهد الله ما عقدوه على انفسهم من الاعتراف بربوبيته

حين

حين قالوا بلى او ما عهد الله عليهم في كتبه ولا ينقضون الميثاق ما وثقوه
من المواثيق بينهم وبين الله وبين العباد وهو تعميم بعد تخصيص والذين يصلون
ما امر الله به ان يوصل من الرحم وموالاة المؤمنين والايمان بجميع الانبيا
ويندرج في ذلك مراعاة جميع حقوق الناس ويخشون ربهم وعيده عموما ويخافون
سوء الحساب خصوصا فيحاسبون انفسهم قبل ان يحاسبوا والذين صبروا
على ما تكرهه النفس ويخالفه الهوى ابتغاء وجه ربهم طلبا لرضاه لا لجزاء او سمعة
ونحوهما واقاموا الصلوة المفروضة وانفقوا مما رزقناهم بعضه الذي
وجب عليهم انفاقه سرا لمن لم يعرف بالمال وعلانية لمن عرف به ويدرؤن
بالحسنة السيئة ويدفعونها بها فيجازون الاساءة بالاحسان او يتبعون
الحسنة السيئة فتمحوها اولئك لهم عقبى الدار عاقبة الدنيا وما ينبغي ان
يكون مآل وهي الجنة والجملة خبر الموصولات ان رفعت بالابتدا وان جعلت
صفات لاولي الالباب فاستيناف بذكر ما استوجبوا بتلك الصفات جنات
عدن بدل من عقبى الدار او مبتدا خبره يدخلونها والعدن الاقامة اي جنات
يقيمون فيها وقيل هو بطنان الجنة ومن صلح من آبائهم وازواجهم وذرياتهم
عطف على المرفوع في يدخلون وانما ساغ للفصل بالضمير الاخر او مفعول
معه والمعنى انه يلحق بهم من صلح من اهلهم وان لم يبلغ مبلغ فضلهم تبعا
لهم وتعظيما لشانهم وهو دليل على ان الدرجة تعلو بالشفاعة وان الموصوفين
بتلك الصفات يقرن بعضهم ببعض لما بينهم من القرابة والوصلة في دخول
الجنة زيادة في انسهم والتقييد بالصلاح دلالة على ان مجرد الانساب لا
ينفع والملائكة يدخلون عليهم من كل باب من ابواب المنازل او من
ابواب الفتوح والتحف قائلين سلام عليكم بشارة بدوام السلامة بما صبرتم
متعلق بعليكم او بمحذوف اي هذا بما صبرتم لا بسلام فان الخبر فاصل
والباء للسببية او البدلية فنعم عقبى الدار وقرئ فنعم بفتح النون والاصل نعم
فسكن العين بنقل كسرتها الى الفاء وبغيره والذين ينقضون عهد الله يعني
مقابلي الاولين من بعد ميثاقه من بعد ما اوثقوه به من الاقرار والقبول
ويقطعون ما امر الله به ان يوصل ويفسدون في الارض بالظلم وتهييج الفتن
اولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار عذاب جهنم او سوء عاقبة الدنيا لانه
في مقابلة عقبى الدار الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر يوسعه ويضيقه
وفرحوا اي اهل مكة بالحيوة الدنيا بما بسط لهم في الدنيا وما الحيوة الدنيا

اهلها

في الآخرة في جنب الآخرة إلا متاع إلا متعة لا تدوم كعجالة الراكب وزاد الراعي
والمعنى أنهم أشروا بما نالوا من الدنيا ولم يصرفوه فيما يستوجبون به نعيم
الآخرة واغتروا بما هو في جنبه نزر قليل النفع سريع الزوال ويقول الذين
كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه قل إن الله يضل من يشاء باقتراح الآيات
بعد ظهور المعجزات ويهدي إليه من أناب أقبل إلى الحق ورجع عن العناد
وهو جواب يجري مجرى التعجب من قولهم كأنه قال قل لهم ما أعظم عنادكم إن
الله يضل من يشاء ممن كان على صفتكم فلا سبيل إلى اهتدائهم وإن أنزلت
كل آية ويهدي إليه من أناب بما جئت به بل بأدنى منه من الآيات الذين
آمنوا بدل من من أو خبر مبتدأ محذوف وتطمئن قلوبهم بذكر الله أنسا
به واعتمادا عليه ورجاء منه أو بذكر رحمته بعد القلق من خشيته أو بذكر
دلائله الدالة على وجوده ووحدانيته أو بكلامه يعني القرآن الذي هو
أقوى المعجزات ألا بذكر الله تطمئن القلوب تسكن إليه الذين آمنوا
وعملوا الصالحات مبتدأ خبره طوبى لهم وهو فعلى من الطيب قلبت ياؤه
واوا لضمة ما قبلها مصدر لطاب كبشرى وزلفى ويجوز فيه الرفع والنصب
ولذلك قرئ وحسن مآب بالنصب كذلك مثل ذلك يعني إرسال
الرسل قبلك أرسلناك في أمة قد خلت من قبلها أمم تقدمتها أمم أرسلوا
إليهم فليس ببدع إرسالك إليها لتتلو عليهم الذي أوحينا إليك لتقرأ
عليهم الكتاب الذي أوحيناه إليك وهم يكفرون بالرحمن وحالهم أنهم
يكفرون بالبليغ الرحمة الذي أحاطت بهم نعمته ووسعت كل شيء رحمته فلم يشكروا
نعمه وخصوصا ما أنعم الله عليهم بإرسالك إليهم وإنزال القرآن الذي هو
مناط الدينية والدنياوية عليهم وقيل نزلت في مشركي مكة قيل لهم اسجدوا
للرحمن فقالوا وما الرحمن قل هو ربي أي الرحمن خالقي ومتولي أمري لا إله
إلا هو لا مستحق للعبادة سواه عليه توكلت في نصرتي عليكم وإليه متاب
مرجعي ومرجعكم ولو أن قرآنا سيرت به الجبال شرط حذف جوابه والمراد
منه تعظيم شأن القرآن أو المبالغة في عناد الكفرة وتصميمهم أي ولو أن
كتابا زعزعت به الجبال عن مقارها أو قطعت به الأرض تصدعت من خشية
الله عند قراءته أو شققت فجعلت أنهارا وعيونا أو كلم به الموتى فتقرأه
أو فتسمع وتجيب عند قراءته لكان هذا القرآن لأنه الغاية في الإعجاز والنهاية
في التذكير والإنذار أو لما آمنوا به كقوله ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة الآية

وبين

وقيل إن قريشا قالوا يا محمد إن سرك أن نتبعك فسير بقرآنك الجبال عن
مكة حتى تتسع لنا فنتخذ فيها بساتين وقطائع أو سخر لنا به الريح لنركبها ونتجر
إلى الشام أو ابعث لنا به قصي بن كلاب وغيره من آبائنا ليكلمونا فيك فنزلت
وعلى هذا فتقطيع الأرض قطعها بالسير وقيل الجواب مقدم وهو قوله وهم يكفرون
بالرحمن وما بينهما اعتراض وتذكير كلم خاصة لاشتمال الموتى على المذكر
الحقيقي بل لله الأمر جميعا بل لله القدرة على كل شيء وهو إضراب عما تضمنه
لو من معنى النفي أي بل الله قادر على الإتيان بما اقترحوه من الآيات إلا أن إرادته
لم تتعلق بذلك لعلمه بأنه لا تلين له شكيمتهم ويؤيد ذلك قوله أفلم ييأس
الذين آمنوا عن إيمانهم مع ما رأوا من أحوالهم وذهب أكثرهم إلى أن معناه
أفلم يعلم لما روي أن عليا وابن عباس رضي الله عنهم وجماعة من الصحابة
والتابعين قرأوا أفلم يتبين وهو تفسيره وإنما استعمل اليأس بمعنى العلم لأنه
مسبب عن العلم بأن المأيوس عنه لا يكون ولذلك علقه بقوله أن لو يشاء
الله لهدى الناس جميعا فإن معناه نفي هدى بعض الناس لعدم تعلق المشيئة
باهتدائهم وهو على الأول متعلق بمحذوف تقديره أفلم ييأس الذين آمنوا
من إيمانهم علما منهم أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا أو بآمنوا ولا يزال
الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا من الكفر وسوء الأعمال قارعة داهية
تقرعهم وتقلعهم أو تحل قريبا من دارهم فيفزعون منها ويتطاير إليهم
شررها وقيل الآية في كفار مكة فإنهم لا يزالون مصابين بما صنعوا برسول
الله صلى الله عليه وسلم فإنه كان عليه السلام لا يزال يبعث السرايا فتغير
حواليهم وتختطف مواشيهم وعلى هذا يجوز أن يكون تحل خطابا للرسول
صلى الله عليه وسلم فإنه حل بجيشه قريبا من دارهم عام الحديبية حتى
يأتي وعد الله الموت أو القيامة أو فتح مكة إن الله لا يخلف الميعاد لامتناع
الكذب في كلامه ولقد استهزئ برسل من قبلك فأمليت للذين كفروا
تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ووعيد للمستهزئين به والمقتدين
عليه والإملاء أن يترك ملاوة من الزمان في دعة وأمن ثم أخذتهم فكيف
كان عقاب أي عقابي إياهم أفمن هو قائم على كل نفس رقيب عليه بما
كسبت من خير أو شر لا يخفى عليه شيء من أعمالهم ولا يفوت عنده شيء من جزائهم
والخبر محذوف تقديره كمن ليس كذلك وجعلوا لله شركاء استئناف أو عطف
على كسبت إن جعل ما مصدرية أو لم يوحدوه وجعلوا عطف عليه ويكون

الظاهر فيه موضع المضمر للتنبيه على انه المستحق للعبادة وقوله قل سموهم تنبيها على ان هولاء الشركا لا يستحقونها والمعنى صفوهم فانظروا هل لهم ما يستحقون به العبادة ويستاهلون الشركة ام تنبئونه بل اتنبئونه وقرئ تنبئونه بالتخفيف بما لا يعلم في الارض شركا يستحقون العبادة لا يعلمهم او صفا لهم يستحقونها لاجلها لا يعلمها وهو العالم بكل شيء ام بظاهر من القول ام تسمونهم شركا بظاهر من القول من غير حقيقة واعتبار معنى كتسمية الزنجي كافورا وهذا الاحتجاج بليغ على اسلوب عجيب ينادي على نفسه بالاعجاز بل زين للذين كفروا مكرهم تمويههم فتخيلوا اباطيل ثم خالوها او كيدهم للاسلام بشركهم وصدوا عن السبيل سبيل الحق وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو وابن عامر وصدوا بالفتح اي وصدوا الناس عن الايمان وقرئ بالكسر وصد بالتنوين ومن يضلل الله يخذله فما له من هاد يوفقه للهدى لهم عذاب في الحيوة الدنيا بالقتل والاسر وسائر ما يصيبهم من المصائب ولعذاب الاخرة اشق لشدته ودوامه وما لهم من الله من عذابه او من رحمته من واق حافظ مثل الجنة التي وعد المتقون صفتها التي هي مثل في الغرابة وهو مبتدا خبره محذوف عند سيبويه اي فيما قصصنا عليكم مثل الجنة وقيل خبره تجري من تحتها الانهار على طريقة قولك صفة زيد اسمر او على حذف موصوف اي مثل الجنة جنة تجري من تحتها الانهار او على زيادة المثل وهو على قول سيبويه حال من العائد المحذوف اكلها دائم لا ينقطع ثمرها وظلها اي وظلها كذلك لا ينسخ كما ينسخ في الدنيا بالشمس تلك اي الجنة الموصوفة عقبى الذين اتقوا مالهم ومنتهى امرهم وعقبى الكافرين النار لا غير وفي ترتيب النظمين اطماع للمتقين واقناط للكافرين والذين اتيناهم الكتاب يفرحون بما انزل اليك يعني المسلمين من اهل الكتاب كابن سلام واصحابه ومن امن من النصارى وهم ثمانون رجلا اربعون بنجران وثمانية باليمن واثنان وثلثون بالحبشة او عامتهم فانهم كانوا يفرحون بما يوافق كتبهم ومن الاحزاب يعني كفرتهم الذين تحزبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعداوة ككعب بن الاشرف واصحابه والسيد والعاقب واشياعهما من ينكر بعضه وهو ما يخالف شرائعهم او ما يوافق ما حرفوه منها قل انما امرت ان اعبد الله ولا اشرك به جواب للمنكرين اي قل لهم اني امرت فيما انزل الي بان اعبد الله واوحده

وهو العمدة في الدين ولا سبيل لكم الى انكاره واما ما تنكرونه لما يخالف شرائعكم فليس ببدع مخالفة الشرائع والكتب الالهية في جزئيات الاحكام وقرئ ولا اشرك بالرفع على الاستيناف اليه ادعو لا الى غيره واليه مآب واليه مرجعي للجزاء لا الى غيره وهذا هو القدر المتفق عليه بين الانبيا فاما ما عدا ذلك من التفاريع فمما يختلف بالاعصار والامم فلا معنى لانكاركم المخالفة فيه وكذلك ومثل هذا الانزال المشتمل على اصول الديانات المجمع عليها انزلناه حكما يحكم في القضايا والوقائع بما تقتضيه الحكمة عربيا مترجما بلسان العرب ليسهل لهم فهمه وحفظه وانتصابه على الحال ولئن اتبعت اهواءهم التي يدعونك اليها كتقرير دينهم والصلاة الى قبلتهم بعد ما حولت عنها بعد ما جاءك من العلم بنسخ ذلك ما لك من الله من ولي ولا واق ينصرك ويمنع العقاب عنك وهو حسم لاطماعهم وتهييج للمومنين على الثبات في دينهم ولقد ارسلنا رسلا بشرا مثلك وجعلنا لهم ازواجا وذرية نساء واولادا كما هي لك وما كان لرسول وما صح له ولم يكن في وسعه ان ياتي باية تقترح عليه وحكم يلتمس منه الا باذن الله فانه المليء بذلك لكل اجل كتاب لكل وقت وامد حكم يكتب على العباد على ما يقتضيه استصلاحهم يمحو الله ما يشاء ينسخ ما يستصوب نسخه ويثبت ما تقتضيه حكمته وقيل يمحو السيئات التائب ويثبت الحسنات مكانها وقيل يمحو من كتاب الحفظة ما لا يتعلق به جزاء ويترك غيره مثبتا او يثبت ما راه وحده في صميم قلبه وقيل يمحو قوما ويثبت اخرين وقيل يمحو الفاسدات ويثبت الكائنات وقرا نافع وابن عامر وحمزة والكسائي ويثبت بالتشديد وعنده ام الكتاب اصل الكتب وهو اللوح المحفوظ اذ ما من كائن الا وهو مكتوب فيه وان ما نرينك بعض الذي نعدهم او نتوفينك وكيف ما دارت الحال اريناك بعض ما اوعدناهم او توفيناك قبله فانما عليك البلاغ لا غير وعلينا الحساب للمجازاة لا عليك فلا تحتفل باعراضهم ولا تستعجل بعذابهم فانا فاعلون له وهذا طلائعه اولم يروا انا ناتي الارض ارض الكفرة ننقصها من اطرافها بما نفتحه على المسلمين منها والله يحكم لا معقب لحكمه لا راد له وحقيقته الذي يعقب الشيء بالابطال ومنه قيل لصاحب الحق معقب لانه يقفو غريمه بالاقتضاء والمعنى انه حكم للاسلام بالاقبال وعلى الكفر بالادبار وذلك كائن لا يمكن تغييره ومحل لا مع المنفي النصب على الحال اي يحكم نافذا حكمه وهو سريع الحساب فيحاسبهم عما قليل في الاخرة بعد ما عذبهم بالقتل والاجلاء في الدنيا وقد مكر الذين من قبلهم بانبيائهم

والمومنون منهم فلله المكر جميعا اذ لا يوبه بمكر دون مكر فانه القادر على ما
هو المقصود منه دون غيره يعلم ما تكسب كل نفس فيعد جزاها وسيعلم الكفار
لمن عقبى الدار من الحزبين حيثما ياتيهم العذاب المعد لهم وهم في غفلة منه
وهذا كالتفسير لمكر الله بهم واللام يدل على ان المراد بالعقبى العاقبة المحمودة
مع ما في الاضافة الى الدار كما عرفت وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو والكافر على
ارادة الجنس وقرى الكافرون الذين كفروا والكفر اي اهله وسيعلم من اعلمه
اذا اخبره ويقول الذين كفروا لست مرسلا قيل المراد بهم رؤسا اليهود
قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم فانه اظهر من الادلة على رسالتي ما يغني عن
شاهد يشهد عليها ومن عنده علم الكتاب علم القران وما الف عليه من النظم
المعجز او علم التوبة وهو ابن سلام واضرابه او علم اللوح المحفوظ وهو الله اي وكفى
بالذي يستحق العبادة والذي لا يعلم ما في اللوح الا هو شهيدا بيننا فيخزي الكاذب
منا ويويده قراءة من قرا ومن عنده بالكسر وعلم الكتاب على الاول مرتفع بالظرف
فانه معتمد على الموصول ويجوز ان يكون مبتدا والظرف خبره وهو متعين على الثانية
وقرى ومن عنده علم على الحرف والبنا للمفعول عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من
قرا سورة الرعد اعطي من الاجر عشر حسنات بوزن كل سحاب مضى وكل سحاب
يكون الى يوم القيامة وبعث يوم القيامة من الموفين بعهد الله

[illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم الر كتاب اي هو كتاب انزلناه اليك لتخرج
الناس بدعايك اياهم الى ما تضمنه من الظلمات من انواع الضلال الى النور
الى الهدى باذن ربهم بتوفيقه وتسهيله مستعار من الاذن الذي هو تسهيل
الحجاب وهو صلة لتخرج او حال من فاعله او مفعوله الى صراط العزيز الحميد
بدل من قوله الى النور بتكرير العامل او استيناف على انه جواب لمن يسال عنه
واضافة الصراط الى الله اما لانه مقصده او المظهر له وتخصيص الوصفين للتنبيه
على انه لا يذل سالكه ولا يخيب سابله الله الذي له ما في السموات وما
في الارض على قراة نافع وابن عامر مبتدا وخبر او الله خبر محذوف والذي صفته
وعلى قراة الباقين عطف بيان للعزيز لانه كالعلم لاختصاصه بالمعبود على الحق
وويل للكافرين من عذاب شديد وعيد لمن كفر بالكتاب ولم يخرج به
من الظلمات الى النور والويل نقيض الوال وهو النجاة واصله النصب لانه

مصدر

مصدرا الا انه لم يشتق منه لكنه رفع لافادة الثبات الذين يستحبون الحيوة
الدنيا على الاخرة يختارونها عليها فان المختار للشي يطلب من نفسه ان يكون
احب اليها من غيره ويصدون عن سبيل الله بتعويق الناس عن الايمان وقرى
ويصدون من اصده وهو منقول من صد صدودا اذا تنكب وليس فصيحا
لان في صده مندوحة عن تكلف التعدية ويبغونها عوجا ويبغون
لها زيغا ونكوبا عن الحق ليقدحوا فيه فحذف الجار واوصل الفعل الى
الضمير والموصول بصلته يحتمل الجر صفة للكافرين والنصب على الذم والرفع
عليه او على انه مبتدا خبره اولئك في ضلال بعيد اي ضلوا عن الحق ووقعوا
عنه بمراحل والبعد في الحقيقة للضال فوصف به فعله للمبالغة او للامر
الذي به الضلال فوصف به لملابسته وما ارسلنا من رسول الا بلسان
قومه الا بلغة قومه الذي هو منهم وبعث فيهم ليبين لهم ما امروا به
فيفهموه عنه بيسر وسرعة ثم ينقلوه ويترجموه لغيرهم فانهم اولى الناس
اليه بان يدعوهم واحق بان ينذرهم ولذلك امر النبي صلى الله عليه وسلم
بانذار عشيرته اولا ولو نزل على من بعث الى امم مختلفة كتب على السنتهم استقل
ذلك بنوع من الاعجاز لكن ادى الى الضلال الكلمة واضاعه فضل الاجتهاد
في تعلم الالفاظ ومعانيها والعلوم المتشعبة منها وما في اتعاب القرايح
وكد النفس من القرب المقتضية لجزيل الثواب وقرى بلسن وهو لغة فيه
كريش وريش ولسن بضمتين وضمة وسكون على الجمع كعمد وعمد وقيل الضمير
في قومه لمحمد صلى الله عليه وسلم وانه تعالى انزل الكتب كلها بالعربية ثم
ترجمها جبريل عليه السلام او كل نبي بلغة المنزل عليهم وذلك يرده
قوله ليبين لهم فانه ضمير القوم والتورية والانجيل ونحوهما لم ينزل ليبين
للعرب فيضل الله من يشاء فيخذله عن الايمان ويهدي من يشاء بالتوفيق
له وهو العزيز فلا يغلب على مشيته الحكيم الذي لا يضل ولا يهدي الا
لحكمة ولقد ارسلنا موسى باياتنا يعني اليد والعصا وساير معجزاته
ان اخرج قومك من الظلمات الى النور بمعنى اي اخرج لان في الارسال
معنى القول او بان اخرج فان صيغ الافعال سوا في الدلالة على المصدر
فيصح ان يوصل بها ان الناصبة وذكرهم بايام الله بوقايعه التي وقعت
على الامم الداثرة وايام العرب حروبها وقيل بنعمايه وبلايه ان في ذلك
لايات لكل صبار شكور يصبر على بلايه ويشكر لنعمايه فانه اذا سمع

نزل على من قبله من البلاء وافيض عليهم من النعماء اعتبر وتنبه لما يجب عليه
من الصبر والشكر وقيل المراد لكل مومن وانما عبر عنهم بذلك تنبيها
على ان الصبر والشكر عنوان المومن واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة
الله عليكم اذ انجاكم من آل فرعون اي اذكروا نعمته وقت انجائه اياكم
ويجوز ان ينتصب بعليكم ان جعلت مستقرة غير صلة للنعمة وذلك اذا
اريدت بها العطية دون الانعام ويجوز ان يكون بدلا من نعمة الله بدل الاشتمال
يسومونكم سوء العذاب ويذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم احوال
من آل فرعون او من ضمير المخاطبين والمراد بالعذاب ههنا غير المراد
في سورة البقرة والاعراف لانه مفسر بالتذبيح والقتل ثمة ومعطوف عليه
التذبيح ههنا وهو اما جنس العذاب او استعبادهم واستعمالهم بالاعمال
الشاقة وفي ذلكم من حيث انه باقدار الله اياهم وامهالهم فيه بلاء من ربكم
عظيم ابتلاء منه ويجوز ان تكون الاشارة الى الانجاء والمراد بالبلاء النعمة
واذ تأذن ربكم ايضا من كلام موسى وتأذن بمعنى اذن كتوعد واوعد
غير انه ابلغ لما في التفعل من معنى التكلف والمبالغة لئن شكرتم يا بني
اسرائيل ما انعمت عليكم من الانجاء وغيره بالايمان والعمل الصالح لازيدنكم
نعمة الى نعمة ولئن كفرتم ان عذابي لشديد فلعلي اعذبكم على الكفران
عذابا شديدا ومن عادة اكرم الاكرمين ان يصرح بالوعد ويعرض بالوعيد
والجملة مفعول قول مقدر او مفعول تأذن على انه جرى مجرى قال لانه
ضرب منه وقال موسى ان تكفروا انتم ومن في الارض جميعا من الثقلين
فان الله لغني عن شكركم حميد مستحق للحمد في ذاته محمود يحمده الملائكة
وتنطق بنعمه ذرات المخلوقات فما ضررتم بالكفران الا انفسكم حيث حرمتموها
مزيد الانعام وعرضتموها للعذاب الشديد الم يأتكم نبؤا الذين من
قبلكم قوم نوح وعاد وثمود من كلام موسى او كلام مبتدأ من الله والذين
من بعدهم لا يعلمهم الا الله جملة وقعت اعتراضا او الذين من بعدهم
عطف على ما قبله ولا يعلمهم اعتراض والمعنى انهم لكثرتهم لا يعلم عددهم
الا الله ولذلك قال ابن مسعود رضي الله عنه كذب النسابون جاءتهم
رسلهم بالبينات فردوا ايديهم في افواههم فعضوها غيظا مما
جاءت به الرسل كقوله عضوا عليكم الانامل من الغيظ او وضعوها عليها
تعجبا منه او استهزاء عليه كمن غلبه الضحك او اسكاتا للانبياء وامرا لهم

باطباق

باطباق الافواه او اشاروا بها الى السنتهم وما نطقت به من قولهم انا
كفرنا تنبيها على ان لا جواب لهم سواه او ردوها في افواه الانبياء يمنعونهم
من التكلم وعلى هذا يحتمل ان يكون تمثيلا وقيل الايدي بمعنى الايادي
اي ردوا ايادي الانبياء التي هي مواعظهم وما اوحي اليهم من الحكم والشرائع
في افواههم لانهم اذا كذبوها ولم يقبلوها فكانهم ردوها الى حيث جاءت
منه وقالوا انا كفرنا بما ارسلتم به على زعمكم وانا لفي شك مما تدعوننا
اليه من الايمان وقرئ تدعونا بالادغام مريب موقع في الريبة او ذي
ريبة وهي قلق النفس وان لا يطمئن الى الشيء قالت رسلهم أفي الله شك
ادخلت همزة الانكار على الظرف لان الكلام في المشكوك فيه لا في الشك
اي انما ندعوكم الى الله وهو لا يحتمل الشك لكثرة الادلة وظهور دلالتها
عليه واشاروا الى ذلك بقوله فاطر السموات والارض وهو صفة او بدل
وشك مرتفع بالظرف يدعوكم الى الايمان ببعثه ايانا ليغفر لكم او يدعو
الى المغفرة كقولك دعوته لينصرني على اقامة المفعول له مقام المفعول به
من ذنوبكم بعض ذنوبكم وهو ما بينكم وبينه فان الاسلام يجبه دون
المظالم وقيل جيء بمن في خطاب الكفرة دون المومنين في جميع القرآن تفرقة
بين الخطابين ولعل المعنى فيه ان المغفرة حيث جاءت في خطاب الكفار مرتبة
على الايمان وحيث جاءت في خطاب المومنين مشفوعة بالطاعة والتجنب عن المعاصي
ونحو ذلك فيتناول الخروج عن المظالم ويؤخركم الى اجل مسمى الى
وقت سماه الله وجعله آخر اعماركم قالوا ان انتم الا بشر مثلنا لا فضل
لكم علينا فلم تخصون بالنبوة دوننا ولو شاء الله ان يبعث الى البشر رسلا
لبعث من جنس افضل تريدون ان تصدونا عما كان يعبد آباؤنا بهذه
الدعوى فأتونا بسلطان مبين يدل على فضلكم واستحقاقكم لهذه المزية
او على صحة ادعائكم النبوة كانهم لم يعتبروا ما جاءوا به من البينات والحجج
واقترحوا عليهم آية اخرى تعنتا ولجاجا قالت لهم رسلهم ان نحن الا
بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده سلموا مشاركتهم في
الجنس وجعلوا الموجب لاختصاصهم بالنبوة فضل الله ومنه عليهم وفيه دليل
على ان النبوة عطائية وان ترجيح بعض الجائزات على بعض بمشيئته تعالى وما
كان لنا ان نأتيكم بسلطان الا باذن الله اي ليس الينا الاتيان بالآيات
ولا تستبد به استطاعتنا حتى نأتي بما اقترحتموه وانما هو امر يتعلق بمشيئته

تعالى فخص كل نبي بنوع من الآيات وعلى الله فليتوكل المؤمنون فلنتوكل
عليه في الصبر على معاندتكم ومعاداتكم عمموا الامر للاشعار بما يوجب
التوكل وقصدوا به انفسهم قصدا اوليا الا ترى قوله وما لنا ان لا نتوكل
على الله اي اي عذر لنا في ان لا نتوكل وقد هدانا سبلنا التي بها نعرفه ونعلم
ان الامور كلها بيده وقرا ابو عمرو بالتخفيف ههنا وفي العنكبوت ولنصبرن
على ما آذيتمونا جواب قسم محذوف اكدوا به توكلهم وعدم مبالاتهم
بما يجري من الكفار عليهم وعلى الله فليتوكل المتوكلون فليثبت
المتوكلون على ما استحدثوه من توكلهم المسبب عن ايمانهم وقال الذين
كفروا لرسلهم لنخرجنكم من ارضنا او لتعودن في ملتنا حلفوا
على ان يكون احد الامرين اما اخراجهم للرسل او عودهم الى ملتهم
وهو بمعنى الصيرورة لانهم لم يكونوا على ملتهم قط ويجوز ان يكون
الخطاب لكل رسول ولمن آمن معه فغلبوا الجماعة على الواحد فاوحى
اليهم ربهم اي الى رسلهم لنهلكن الظالمين على اضمار القول او اجرا
الايحاء مجراه لانه نوع منه ولنسكننكم الارض من بعدهم اي ارضهم
وديارهم لقوله واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق
الارض ومغاربها وقرئ ليهلكن وليسكننكم بالياء اعتبارا لاوحى كقولك
اقسم زيد ليخرجن ذلك اشارة الى الموحى به وهو اهلاك الظالمين
واسكان المؤمنين لمن خاف مقامي موقفي وهو الموقف الذي يقيم فيه
العباد للحكومة يوم القيامة او قيامي عليه وحفظي لاعماله وقيل المقام
مقحم وخاف وعيد اي وعيدي بالعذاب وعذابي الموعود للكفار واستفتحوا
سالوا من الله الفتح على اعدائهم او القضاء بينهم وبين اعاديهم من الفتاحة
كقوله ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وهو معطوف على فاوحى والضمير
للانبياء وقيل للكفرة وقيل للفريقين فان كلهم سالوا ان ينصر المحق ويهلك
المبطل وقرئ بلفظ الامر عطفا على لنهلكن وخاب كل جبار عنيد اي ففتح
لهم فافلح المؤمنون وخاب كل عات متكبر على الله معاند للحق فلم يفلح ومعنى
الخيبة اذا كان الاستفتاح من الكفرة او من الفريقين كان اوقع من ورائه
جهنم اي من بين يديه فانه مرصد بها واقف على شفيرها في الدنيا مبعوث
اليها في الآخرة وقيل من وراء حياته وحقيقته ما توارى عنك ويسقى من
ماء عطف على محذوف تقديره من ورائه جهنم يلقى فيها ما يلقى ويسقى

من

من ماء صديد عطف بيان لماء وهو ما يسيل من جلود اهل النار يتجرعه
يتكلف جرعه وهو صفة لماء او حال من الضمير في يسقى ولا يكاد يسيغه ولا
يقارب ان يسيغه فكيف يسيغه بل يغص به فيطول عذابه والسوغ جواز
الشراب على الحلق بسهولة وقبول نفس ويأتيه الموت من كل مكان اي اسبابه
من الشدائد تحيط به من جميع الجهات وقيل من كل مكان من جسده حتى من
اصول شعره وابهام رجليه وما هو بميت فيستريح ومن ورائه ومن بين
يديه عذاب غليظ اي يستقبل في كل وقت عذابا اشد مما هو عليه وقيل
هو الخلود في النار وقيل حبس الانفاس وقيل الآية منقطعة عن قصة
الرسل نازلة في اهل مكة طلبوا الفتح الذي هو المطر في سنتهم التي ارسل
الله عليهم بدعوة رسوله فخيب رجاءهم فلم يسقهم ووعدهم ان يسقيهم
في جهنم بدل سقياهم صديد اهل النار مثل الذين كفروا بربهم مبتدأ خبره
محذوف اي فيما يتلى عليكم صفتهم التي هي مثل في الغرابة او قوله اعمالهم
كرماد وهي على الاول جملة مستأنفة لبيان مثلهم وقيل اعمالهم بدل من مثل
والخبر كرماد اشتدت به الريح حملته واسرعت الذهاب به وقرا نافع
الرياح في يوم عاصف العصف اشتداد الريح وصف به زمانه للمبالغة
كقولهم نهاره صائم وليله قائم شبه صنائعهم من الصدقة وصلة الرحم
واغاثة الملهوف وعتق الرقاب ونحو ذلك من مكارمهم في حبوطها
لبنائها على غير اساس من معرفة الله والتوجه بها اليه او اعمالهم للاصنام
برماد طيرته الريح العاصفة لا يقدرون يوم القيامة مما كسبوا من
اعمالهم على شيء لحبوطه فلا يرون له اثرا من الثواب وهو فذلكة التمثيل
ذلك اشارة الى ضلالهم مع حسبانهم انهم محسنون هو الضلال البعيد
فانه الغاية في البعد عن طريق الحق الم تر خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم
والمراد به امته وقيل لكل واحد من الكفرة على التلوين ان الله خلق السموات
والارض بالحق بالحكمة والوجه الذي يحق ان يخلق وقرا حمزة والكسائي
خالق السموات ان يشأ يذهبكم ويات بخلق جديد يعدمكم ويخلق
خلقا آخر مكانكم رتب ذلك على كونه خالقا للسموات والارض استدلالا
به عليه فان من خلق اصولهم وما يتوقف عليه تخليقهم ثم كونهم بتبديل الصور
وتغيير الطبايع قدر ان يبدلهم بخلق آخر ولم يمتنع عليه ذلك كما قال وما
ذلك على الله بعزيز بمتعذر او متعسر فانه قادر لذاته لا اختصاص له

بمقدورهم دون مقدوره من هذا شانه كان حقيقا بان يؤمن به ويعبد رجاء
لثوابه وخوفا من عقابه يوم الجزاء وبرزوا لله جميعا اي يبرزون من قبورهم
يوم القيامة لامر الله ومحاسبته الله على ظنهم فانهم كانوا يخفون ارتكاب
الفواحش ويظنون انها تخفى على الله فاذا كان يوم القيامة انكشفوا لله عند
انفسهم وانما ذكر بلفظ الماضي لتحقق وقوعه فقال الضعفاء الاتباع جمع
ضعيف يريد به ضعاف الراي وانما كتبت بالواو على لفظ من يفخم الالف قبل الهمزة
فيميلها الى الواو للذين استكبروا لرؤسائهم الذين استتبعوهم واستغووهم
انا كنا لكم تبعا في تكذيب الرسل والاعراض عن نصائحهم وهو جمع تابع كغائب
وغيب او مصدر نعت به للمبالغة او على اضمار مضاف فهل انتم مغنون عنا
دافعون عنا من عذاب الله من شيء من الاولى للبيان واقعة موقع الحال
والثانية للتبعيض واقعة موقع المفعول اي بعض الشيء الذي هو عذاب الله
ويجوز ان يكونا للتبعيض اي بعض شيء هو بعض عذاب الله والاعراب ما
سبق ويحتمل ان تكون الاولى والثانية مصدرا اي فهل انتم مغنون بعض
العذاب بعض الاغناء قالوا اي الذين استكبروا جوابا عن معاتبة الاتباع
واعتذارا عما فعلوا بهم لو هدانا الله للايمان ووفقنا له لهديناكم ولكن
ضللنا فاضللناكم اي اخترنا لكم ما اخترناه لانفسنا او لو هدانا الله طريق
النجاة من العذاب لهديناكم واغنيناه عنكم كما عرضناكم له لكن سد دوننا
طريق الخلاص سواء علينا اجزعنا ام صبرنا مستويان علينا الجزع والصبر
ما لنا من محيص منجى ومهرب من العذاب من الحيص وهو العدول على جهة
الفرار وهو يحتمل ان يكون مكانا كالمبيت ومصدرا كالمغيب ويجوز ان يكون
قوله سواء علينا من كلام الفريقين ويؤيده ما روي انهم يقولون تعالوا
نجزع فيجزعون خمسمائة عام فلا ينفعهم فيقولون تعالوا نصبر فيصبرون
كذلك ثم يقولون سواء علينا وقال الشيطان لما قضي الامر احكم وفرغ
منه ودخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار خطيبا في الاشقياء من الثقلين
ان الله وعدكم وعد الحق وعدا من حقه ان ينجز او وعدا انجزه وهو الوعد
للبعث والجزاء ووعدتكم وعد الباطل وهو ان لا بعث ولا حساب وان كانا
فالاصنام تشفع لكم فاخلفتكم جعل تبين خلف وعده كالاخلاف منه
وما كان لي عليكم من سلطان تسلط فالجئكم الى الكفر والمعاصي الا ان
دعوتكم الا دعائي اياكم اليها بتسويلي وهو ليس من جنس السلطان ولكنه على طريقة

قولهم

قولهم تحية بينهم ضرب وجيع ويجوز ان يكون الاستثناء منقطعا فاستجبتم
لي اسرعتم اجابتي فلا تلوموني بوسوستي فان من صرح بالعداوة لا يلام
بامثال ذلك ولوموا انفسكم حيث اطعتموني اذ دعوتكم ولم تطيعوا
ربكم لما دعاكم واحتجت المعتزلة بامثال ذلك على استقلال العبد بافعاله
وليس فيها ما يدل عليه اذ يكفي لصحتها ان يكون لقدرة العبد مدخل ما في فعله
وهو الكسب الذي يقوله ما انا بمصرخكم بمغيثكم من العذاب وما انتم
بمصرخي بمغيثي وقرا حمزة بكسر الياء على الاصل في التقاء الساكنين وهو اصل
مرفوض في مثله لما فيه من اجتماع ياءين وثلاث كسرات مع ان حركة ياء الاضافة
الفتح فاذا لم تكسر وقبلها الف فبالحري ان لا تكسر وقبلها ياء او على لغة من يزيد
ياء على ياء الاضافة اجراء لها مجرى الهاء والكاف في ضربته واعطيتكه وحذف الياء
اكتفاء بالكسرة اني كفرت بما اشركتمون من قبل ما اما مصدرية ومن
متعلقة باشركتموني اي كفرت اليوم باشراككم اياي من قبل هذا اليوم
اي في الدنيا بمعنى تبرات منه واستنكرته كقوله ويوم القيامة يكفرون
بشرككم او موصولة بمعنى من نحو ما في قولهم سبحان ما سخركن لنا ومن متعلقة
بكفرت اي كفرت بالذي اشركتمونيه وهو الله تعالى بطاعتكم اياي فيما
دعوتكم اليه من عبادة الاصنام وغيرها من قبل اشراككم حين رددت امره
بالسجود لادم واشرك منقول من شركت زيدا للتعدية الى مفعول ثان ان
الظالمين لهم عذاب اليم تتمة كلامه او ابتداء كلام من الله تعالى وفي حكاية
امثال ذلك لطف للسامعين وايقاظ لهم حتى يحاسبوا انفسهم ويتدبروا
عواقبهم وادخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها
الانهار خالدين فيها باذن ربهم باذن الله وامره والمدخلون هم
الملائكة وقرئ ادخل على التكلم فيكون قوله باذن ربهم متعلقا بقوله
تحيتهم فيها سلام اي تحييهم الملائكة بالسلام باذن ربهم الم تر كيف
كيف ضرب الله مثلا كيف اعتمده ووضعه كلمة طيبة كشجرة طيبة اي جعل
كلمة طيبة كشجرة طيبة وهو تفسير لقوله ضرب الله مثلا ويجوز ان تكون
كلمة بدلا من مثلا وكشجرة صفتها او خبر مبتدا محذوف اي هي كشجرة
وان تكون اول مفعولي ضرب اجراء لها مجرى جعل وقد قرئت بالرفع على
الابتداء اصلها ثابت في الارض ضارب بعروقه فيها وفرعها واعلاها
في السماء ويجوز ان يريد وفروعها اي افنانها على الاكتفاء بلفظ الجنس لاكتساب

الاستغراق من الاضافة وقوي ثابت اصلها والاول على اصله ولذلك
قيل انه اقوى ولعل الثاني ابلغ تؤتي اكلها تعطي ثمرها كل حين اقته
الله لاثمارها باذن ربها بارادة خالقها وتكوينه ويضرب الله الامثال
للناس لعلهم يتذكرون لان في ضربها زيادة افهام وتذكير فانه
تصوير للمعاني وادناء لها من الحس ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة كمثل
شجرة خبيثة اجتثت استوصلت واخذت جثتها بالكلية من فوق الارض
لان عروقها قريبة منه ما لها من قرار استقرار واختلف في الكلمة والشجرة
ففسرت الكلمة الطيبة بكلمة التوحيد ودعوة الاسلام والقران والكلمة
الخبيثة بالاشراك بالله والدعاء الى الكفر وتكذيب الحق ولعل المراد بهما ما
يعم ذلك فالكلمة الطيبة ما اعربت عن حق او دعت الى صلاح والكلمة
الخبيثة ما كان على خلاف ذلك وفسرت الشجرة الطيبة بالنخلة وروي
ذلك مرفوعا وبشجرة في الجنة والخبيثة بالحنظلة والكشوث ولعل المراد
بهما ايضا ما يعم ذلك يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت اي الذي
ثبت بالحجة عندهم وتمكن في قلوبهم في الحيوة الدنيا فلا يزلون اذا
افتتنوا في دينهم كزكريا ويحيى وجرجيس وشمسون والذين فتنهم اصحاب
الاخدود وفي الاخرة فلا يتلعثمون اذا سئلوا عن معتقدهم في الموقف
ولا تدهشهم اهوال القيامة وروي انه عليه الصلوة والسلام ذكر قبض
روح المومن فقال ثم تعاد روحه في جسده فياتيه ملكان فيجلسانه في
قبره ويقولان له من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول ربي الله وديني
الاسلام ونبيي محمد فينادي مناد من السما ان صدق عبدي فذلك قوله
يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت ويضل الله الظالمين الذين ظلموا
انفسهم بالاقتصار على التقليد فلا يهتدون الى الحق ولا يثبتون في مواقف
الفتن ويفعل الله ما يشا من تثبيت بعض واضلال اخرين من غير اعتراض
عليه الم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا اي شكر نعمته كفرا بان وضعوه
مكانه او بدلوا نفس النعمة كفرا فانهم لما كفروها سلبت منهم فصاروا
تاركين لها محصلين الكفر بدلها كاهل مكة خلقهم الله واسكنهم حرمه
وجعلهم قوام بيته ووسع عليهم ابواب رزقه وشرفهم بمحمد صلى الله عليه وسلم
فكفروا ذلك فقحطوا سبع سنين واسروا وقتلوا يوم بدر وصاروا اذلا فبقوا
مسلوبي النعمة موصوفين بالكفر وعن عمر وعلي هم الافجران من قريش بنو

المغيرة وبنو امية فاما بنو المغيرة فكفيتموهم يوم بدر واما بنو امية
فمتعوا الى حين واحلوا قومهم الذين شايعوهم في الكفر دار البوار دار
الهلاك بحملهم على الكفر جهنم عطف بيان لها يصلونها حال منها او من القوم
اي داخلين فيها مقاسين لحرها او مفسر لفعل مقدر ناصب لجهنم وبئس
القرار اي وبئس المقر جهنم وجعلوا لله اندادا ليضلوا عن سبيله الذي هو
التوحيد وقرا ابن كثير وابو عمرو ورويس عن يعقوب بفتح اليا وليس الضلال
ولا الاضلال غرضهم في اتخاذ الانداد لكن لما كان نتيجته جعل كالغرض
قل تمتعوا بشهواتكم او بعبادة الاوثان فانها من قبيل الشهوات التي يتمتع
بها وفي التهديد بصيغة الامر ايذان بان المهدد عليه كالمطلوب لافضائه
الى المهدد به وان الامرين كائنان لا محالة ولذلك علله بقوله فان مصيركم
الى النار وان المخاطب لانهماكه فيه كالمامور به من امر مطاع قل لعبادي
الذين امنوا خصهم بالاضافة تنويها لهم وتنبيها على انهم المقيمون لحقوق
العبودية ومفعول قل محذوف يدل عليه جوابه اي قل لعبادي الذين امنوا
اقيموا الصلوة وانفقوا يقيموا الصلوة وينفقوا مما رزقناهم فيكون ايذانا
بانهم لفرط مطاوعتهم الرسول بحيث لا ينفك فعلهم عن امره وانه كالسبب
الموجب له ويجوز ان يقدرا بلام الامر ليصح تعلق القول بهما وانما حسن
ذلك هاهنا ولم يحسن في قوله محمد تفد نفسك كل نفس اذا ما خفت من امر
تبالا لدلالة قل عليه وقيل هما جوابا اقيموا وانفقوا مقامين مقامهما وهو ضعيف
لانه لا بد من مخالفة ما بين الشرط وجوابه ولان امر المواجهة لا يجاب
بلفظ الغيبة اذا كان الفاعل واحدا سرا وعلانية منتصبان على المصدر
اي انفاق سر وعلانية او على الحال اي ذوي سر وعلانية او على الظرف
اي وقتي سر وعلانية والاحب اعلان الواجب واخفا المتطوع به من قبل
ان ياتي يوم لا بيع فيه فيبتاع المقصر ما يتدارك به تقصيره او يفدي به
نفسه ولا خلال ولا مخالة فيشفع لك خليل او من قبل ان ياتي يوم لا انتفاع
فيه بمبايعة ولا مخالة وانما ينتفع فيه بالانفاق لوجه الله وقرا ابن كثير
وابو عمرو ويعقوب بالفتح فيهما على النفي العام الله الذي خلق السموات
والارض مبتدا وخبر وانزل من السما ما فاخرج به من الثمرات رزقا
لكم تعيشون به وهو يشمل المطعوم والملبوس ورزقا مفعول لاخرج ومن
الثمرات بيان له او حال منه ويحتمل عكس ذلك ويجوز ان يراد به المصدر

لينتصب بالعلة او المصدر لان اخرج في معنى رزق سخر لكم الفلك لتجري
في البحر بامره بمشيئته الى حيث توجهتم وسخر لكم الانهار فجعلها معدة
لانتفاعكم وتصرفكم وقيل تسخير هذه الاشيا تعليم كيفية اتخاذها وسخر
لكم الشمس والقمر دائبين يدابان في سيرهما وانارتهما واصلاح ما
يصلحانه من المكونات وسخر لكم الليل والنهار يتعاقبان لسباتكم
ومعاشكم واتاكم من كل ما سالتموه اي بعض جميع ما سالتموه يعني من
كل شي سالتموه شيا فان الموجود من كل صنف بعض ما في قدرة الله ولعل
المراد بما سالتموه ما كان حقيقا بان يسال لاحتياج الناس اليه سيل او لم يسال
وما يحتمل ان تكون موصولة وموصوفة ومصدرية ويكون المصدر بمعنى
المفعول وقري من كل بالتنوين اي واتاكم من كل شي ما احتجتم اليه وسالتموه
بلسان الحال ويجوز ان تكون ما نافية في موقع الحال اي واتاكم من كل شي
غير سائليه وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها لا تحصروها ولا تطيقوا
عد انواعها فضلا عن افرادها فانها غير متناهية وفيه دليل على ان المفرد
يفيد الاستغراق بالاضافة ان الانسان لظلوم يظلم النعمة باغفال
شكرها او يظلم نفسه بان يعرضها للحرمان كفار شديد الكفران وقيل
ظلوم في الشدة يشكو ويجزع كفار في النعمة يجمع ويمنع واذ قال ابرهيم
رب اجعل هذا البلد بلد مكة امنا ذا امن لمن فيها والفرق بينه
وبين قوله اجعل هذا بلدا امنا ان المسول في الاول ازالة الخوف عنه
وتصييره امنا وفي الثاني جعله من البلاد الامنة واجنبني وبني بعد
واياهم ان نعبد الاصنام واجعلنا منها في جانب وقري واجنبني
وهما على لغة نجد واما اهل الحجاز فيقولون جنبني شره وفيه دليل على ان
عصمة الانبيا بتوفيق الله وحفظه اياهم وهو بظاهره لا يتناول احفاده
وجميع ذريته وزعم ابن عيينة ان اولاد اسمعيل عليه السلام لم يعبدوا
الصنم محتجا به وانما كانت لهم حجارة يدورون بها ويسمونها الدوار
ويقولون البيت حجر فحيث ما نصبنا حجرا فهو بمنزلته رب انهن اضللن
كثيرا من الناس فلذلك سالت منك العصمة واستعذت بك من
اضلالهن واسناد الاضلال اليهن باعتبار السببية كقوله وغرتهم الحيوة
الدنيا فمن تبعني على ديني فانه مني اي بعضي لا ينفك عني في امر الدين ومن
عصاني فانك غفور رحيم تقدر ان تغفر له وترحمه ابتدا او بعد

التوفيق

التوفيق للتوبة وفيه دليل على ان كل ذنب فلله ان يغفره حتى الشرك الا ان
الوعد فرق بينه وبين غيره ربنا اني اسكنت من ذريتي اي بعض ذريتي
او ذرية من ذريتي فحذف المفعول وهم اسمعيل ومن ولد منه فان اسكانه
متضمن لاسكانهم بواد غير ذي زرع يعني وادي مكة فانها حجرية لا
تنبت عند بيتك المحرم الذي حرمت التعرض له والتهاون به او لم يزل
معظما ممتنعا تهابه الجبابرة او منع منه الطوفان فلم يستول عليه ولذلك
سمي عتيقا اي اعتق منه ولو دعا بهذا الدعا اول ما قدم فلعله قال ذلك
باعتبار ما كان او ما سيول اليه روي ان هاجر كانت لسارة فوهبتها من ابرهيم
عليه السلام فولدت منه اسمعيل فغارت عليهما فناشدته ان يخرجهما من
عندها فاخرجهما الى ارض مكة فاظهر الله عين زمزم ثم ان جرهم راوا ثم طيورا
فقالوا لا طير الا على الما فقصدوه فراوهما وعندهما عين فقالوا اشركينا
في مايك نشركك في البانا ففعلت ربنا ليقيموا الصلوة اللام لام كي وهي
متعلقة باسكنت اي ما اسكنتهم بهذا الوادي البلقع من كل مرتفق ومرتزق
الا لاقامة الصلوة عند بيتك المحرم وتكريره لتاكيد وتوسطه للاشعار
بانها المقصودة بالذات من اسكانهم ثم والمقصود من الدعا توفيقهم لها
وقيل لام الامر والمراد هو الدعا لهم باقامة الصلوة كانه طلب منهم الاقامة
وسال من الله ان يوفقهم لها فاجعل افئدة من الناس اي افئدة من افئدة
الناس ومن للتبعيض ولذلك قيل لو قال افئدة الناس لازدحمت عليهم فارس
والروم ولحجت اليهود والنصارى او للابتدا كقولك القلب مني سقيم اي
افئدة ناس وقرا هشام افئدة بخلف عنه بيا بعد الهمزة وقري افدة وهي يحتمل
ان تكون مقلوب افئدة كادر في ادور وان تكون اسم فاعل من افدت الرحلة
اذا عجلت اي جماعة يعجلون نحوهم وافده بطرح الهمزة للتخفيف وان كان
الوجه فيه اخراجها بين بين ويجوز ان تكون من افد تهوي اليهم تسرع
اليهم شوقا وودادا وقري تهوى على البنا للمفعول من اهوى اليه غيره
وتهوي من هوي يهوى اذا احب وتعديته بالي لتضمين معنى النزوع وارزقهم
من الثمرات مع سكناهم واديا لا نبات فيه لعلهم يشكرون تلك النعمة
فاجاب الله دعوته فجعله حرما امنا يجبى اليه ثمرات كل شي حتى يوجد فيه
الفواكه الربيعية والصيفية والخريفية في يوم واحد ربنا انك تعلم ما
نخفي وما نعلن تعلم سرنا كما تعلم علننا والمعنى انك اعلم باحوالنا ومصالحنا

وارحم بنا منا بانفسنا فلا حاجة لنا الى الطلب لكنا ندعوك اظهارا لعبوديتك
وافتقارا الى رحمتك واستعجالا لنيل ما عندك وقيل ما نخفي من وجد الفرقة
وما نعلن من التضرع اليك والتوكل عليك وتكرير النداء للمبالغة في التضرع
واللجا الى الله وما يخفى على الله من شيء في الارض ولا في السماء لانه العالم
بعلم ذاتي يستوي نسبته الى كل معلوم ومن للاستغراق الحمد لله الذي
وهب لي على الكبر اي وهب لي وانا كبير آيس عن الولد قيد الهبة بحال
الكبر استعظاما للنعمة واظهارا لما فيه من الاية اسمعيل واسحق روي انه
ولد له اسمعيل لتسع وتسعين سنة واسحق لمائة واثنتي عشرة سنة ان ربي
لسميع الدعاء اي لمجيبه من قولك سمع الملك كلامي اذا اعتد به وهو من
ابنية المبالغة العاملة عمل الفعل اضيف الى مفعوله او فاعله على اسناد السماع
الى دعاء الله على المجاز وفيه اشعار بانه دعا ربه وسال منه الولد فاجابه
ووهب له سؤله حين ما وقع الياس منه ليكون من اجل النعم واجلاها
رب اجعلني مقيم الصلوة معدلا لها مواظبا عليها ومن ذريتي عطف
على المنصوب في اجعلني والتبعيض لعلمه باعلام الله او استقراء عادته في الامم
الماضية انه يكون في ذريته كفار ربنا وتقبل دعاء واستجب دعائي او تقبل
عبادتي ربنا اغفر لي ولوالدي وقرئ ولابوي وقد تقدم عذر استغفاره
لهما وقيل اراد بهما آدم وحواء وللمؤمنين يوم يقوم الحساب يثبت مستعار
من القيام على الرجل كقولهم قامت الحرب على ساق او يقوم اليه اهله
فحذف المضاف او اسند اليه قيامهم مجازا ولا تحسبن الله غافلا عما
يعمل الظالمون خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد به تثبيته
على ما هو عليه من انه مطلع على احوالهم وافعالهم لا يخفى عليه خافية والوعد
بانه معاقبهم على قليله وكثيره لا محالة او لكل من توهم غفلة جهلا بصفاته
واغترارا بامهاله وقيل انه تسلية للمظلوم وتهديد للظالم انما يؤخرهم
يؤخر عذابهم وعن ابي عمرو بالنون ليوم تشخص فيه الابصار اي تشخص
ابصارهم فلا تقر في اماكنها من هول ما ترى مهطعين مسرعين الى
الداعي او مقبلين بابصارهم لا يطرفون هيبة وخوفا واصل الكلمة هو الاقبال
على الشيء مقنعي رؤوسهم رافعيها لا يرتد اليهم طرفهم بل تبقى عيونهم
شاخصة لا تطرف او لا يرجع اليهم نظرهم فينظروا الى انفسهم وافئدتهم
هواء خلاء اي خالية عن الفهم لفرط الحيرة والدهشة ومنه يقال للاحمق

وللجبان

وللجبان قلبه هواء اي لا رأي فيه ولا قوة قال زهير من الظلمان جؤجؤه هواء
وقيل خالية عن الخير خاوية عن الحق وانذر الناس يا محمد يوم ياتيهم العذاب
يعني يوم القيامة او يوم الموت فانه اول ايام عذابهم وهو مفعول ثان
لانذر فيقول الذين ظلموا بالشرك والتكذيب ربنا اخرنا الى اجل قريب
اخر العذاب عنا او ردنا الى الدنيا وامهلنا الى حد من الزمان قريب او اخر
آجالنا وابقنا مقدار ما نؤمن بك ونجيب دعوتك نجب دعوتك ونتبع
الرسل جواب للامر ونظيره لولا اخرتني الى اجل قريب فاصدق واكن من
الصالحين اولم تكونوا اقسمتم من قبل ما لكم من زوال على ارادة
القول وما لكم جواب القسم جاء بلفظ الخطاب على المطابقة دون الحكاية
والمعنى اقسمتم انكم باقون في الدنيا لا تزالون بالموت ولعلهم اقسموا بطرا
وغرورا او دل عليه حالهم حيث بنوا شديدا واملوا بعيدا وقيل اقسموا
انهم لا ينتقلون الى دار اخرى وانهم اذا ماتوا لا يزالون عن تلك الحالة
الى حالة اخرى كقوله واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت
وسكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم بالكفر والمعاصي كعاد وثمود
واصل سكن ان يعدى بفي كقر وغني واقام وقد يستعمل بمعنى التبوء فيجري
مجراه كقولك سكنت الدار وتبين لكم كيف فعلنا بهم بما تشاهدون
في منازلهم من اثار ما نزل بهم وما تواتر عندكم من اخبارهم وضربنا
لكم الامثال من احوالهم اي بينا لكم انكم مثلهم في الكفر واستحقاق
العذاب او صفات ما فعلوا وفعل بهم التي هي في الغرابة كالامثال
المضروبة وقد مكروا مكرهم المستفرغ فيه جهدهم لابطال الحق وتقرير
الباطل وعند الله مكرهم ومكتوب عنده فعلهم فهو مجازيهم عليه او عنده
ما يمكرهم به جزاء لمكرهم وابطالا له وان كان مكرهم في العظم والشدة
لتزول منه الجبال مسوى لازالة الجبال ومعدا او قيل ان نافية واللام
مؤكدة لها كقوله وما كان الله ليعذبهم على ان الجبال مثل لامر النبي صلى الله
عليه وسلم ونحوه وقيل مخففة من الثقيلة والمعنى انهم مكروا ليزيلوا ما هو كالجبال
الراسية ثباتا وتمكنا من آيات الله وشرائعه وقرا الكسائي لتزول بالفتح والرفع
على انها المخففة واللام هي الفاصلة ومعناه تعظيم مكرهم وقرئ بالفتح والنصب
على لغة من يفتح لام كي وقرئ وان كاد مكرهم فلا تحسبن الله مخلف وعده
رسله مثل قوله انا لننصر رسلنا كتب الله لاغلبن انا ورسلي واصله مخلف

رسله وعده فقدم المفعول الثاني ايذانا بانه لا يخلف الوعد اصلا كقوله
ان الله لا يخلف الميعاد واذا لم يخلف وعده احدا كيف يخلف رسله ان الله
عزيز غالب لا يماكر قادر لا يدافع ذو انتقام لاوليائه من اعدائه يوم تبدل
الارض غير الارض بدل من يوم ياتيهم او ظرف للانتقام او مقدر باذكر
او لا يخلف وعده ولا يجوز ان ينتصب بمخلف لان ما قبل ان لا يعمل فيما
بعده والسموات عطف على الارض وتقديره والسموات غير السموات
والتبديل يكون في الذات كقولك بدلت الدراهم بالدنانير وعليه
بدلناهم جلودا غيرها وفي الصفة كقولك بدلت الحلقة خاتما اذا
اذبتها وغيرت شكلها وعليه قوله يبدل الله سيئاتهم حسنات والاية
تحتملهما وعن علي رضي الله عنه تبدل ارضا من فضة وسموات من ذهب
وعن ابن مسعود وانس يحشر الناس على ارض بيضاء لم يخطئ عليها احد خطيئة
وعن ابن عباس هي تلك الارض وانما تغير صفاتها ويدل عليه ما روي
ابو هريرة انه عليه الصلوة والسلام قال تبدل الارض غير الارض فتبسط
وتمد مد الاديم العكاظي لا ترى فيها عوجا ولا امتا واعلم انه لا يلزم
على الوجه الاول ان يكون الحاصل بالتبديل ارضا وسما على الحقيقة ولا
يبعد على الثاني ان يجعل الله الارض جهنم والسموات الجنة على ما اشعر
به قوله تعالى كلا ان كتاب الابرار لفي عليين وقوله ان كتاب الفجار لفي سجين
وبرزوا من اجداثهم لله الواحد القهار لمحاسبته ومجازاته وتوصيفه
بالوصفين للدلالة على ان الامر في غاية الصعوبة كقوله لمن الملك اليوم
لله الواحد القهار فان الامر اذا كان لواحد غلاب لا يغالب فلا مستغاث
لاحد الى غيره ولا مستجار وترى المجرمين يومئذ مقرنين قرن بعضهم
مع بعض بحسب مشاركتهم في العقايد والاعمال كقوله واذا النفوس زوجت
او قرنوا مع الشيطان او مع ما اكتسبوا من العقايد الزايغة دون الملكات
الفاضلة او قرنت ايديهم وارجلهم الى رقابهم بالاغلال وهو يحتمل
ان يكون تمثيلا لمواخذتهم على ما اقترفته ايديهم وارجلهم في الاصفاد
متعلق بمقرنين او حال من ضميره والصفد القيد وقيل الغل قال سلامة بن
جندل وزيد الخيل قد لاقى صفادا يعض بساعد وبعظم ساق واصله الشد
سرابيلهم قمصانهم من قطران وجاء قطران لغتين فيه وهو ما يتحلب من
الابهل فيطبخ فتهنأ به الابل الجربى فيحرق الجرب بحدته وهو اسود منتن

تشتعل فيه النار بسرعة يطلى به جلود اهل النار حتى يكون طلاوه لهم كالقمص
ليجتمع عليهم لذع القطران ووحشة لونه ونتن ريحه مع اسراع النار في جلودهم
على ان التفاوت بين القطرانين كالتفاوت بين النارين ويحتمل ان يكون تمثيلا
لما يحيط بجوهر النفس من الملكات الردية والهيات الوحشية فيجلب اليها انواعا
من الغموم والالام وعن يعقوب قطرآن والقطر النحاس او الصفر المذاب
والآن المتناهي حره والجملة حال ثانية او حال من الضمير في مقرنين وتغشى
وجوههم النار اي وتتغشاها لانهم لم يتوجهوا بها الى الحق ولم يستعملوا
في تدبر مشاعرهم وحواسهم التي خلقت فيها لاجله كما تطلع على افئدتهم
لانها فارغة عن المعرفة مملوة بالجهالات ونظيره افمن يتقي بوجهه
سوء العذاب يوم القيامة وقوله يوم يسحبون في النار على وجوههم ليجزي
الله كل نفس اي يفعل بهم ذلك ليجزي كل نفس مجرمة ما كسبت او كل نفس
من مجرمة او مطيعة لانه اذا بين ان المجرمين معاقبون لاجرامهم علم
ان المطيعين يثابون لطاعتهم ويتعين ذلك ان علق اللام ببرزوا ان
الله سريع الحساب لانه لا يشغله حساب عن حساب هذا اشارة الى
القران او السورة او ما فيه من العظة والتذكير او ما وصفه من قوله ولا
تحسبن الله بلاغ للناس كفاية لهم في الموعظة ولينذروا به عطف على محذوف
اي لينصحوا ولينذروا بهذا البلاغ فتكون اللام متعلقة بالبلاغ ويجوز
ان يتعلق بمحذوف تقديره ولينذروا به انزل او تلي وقرئ بفتح الياء من
نذر به اذا علمه واستعد له وليعلموا انما هو اله واحد بالنظر والتامل
فيما فيه من الآيات الدالة عليه او المنبهة على ما يدل عليه وليذكر اولوا
الالباب فيرتدعوا عما يرديهم ويتدرعوا بما يحظيهم واعلم انه سبحانه
ذكر لهذا البلاغ ثلاث فوايد هي الغاية والحكمة في انزال الكتب تكميل
الرسل للناس واستكمال القوة النظرية التي منتهى كمالها التوحيد واستصلاح
القوة العملية الذي هو التدرع بلباس التقوى جعلنا الله من الفائزين بهما
وعن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة ابراهيم اعطي من الاجر عشر
حسنات بعدد من عبد الاصنام وعدد من لم يعبد

سورة [illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم الر تلك ايات الكتاب وقران مبين

الاشارة الى آيات السورة والكتاب هو السورة وكذا القرآن وتنكيره للتفخيم
اي آيات الجامع لكونه كتابا كاملا وقرآنا يبين الرشد من الغي بيانا
غريبا ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين حين عاينوا حال المسلمين
عند نزول النصر او حلول الموت او يوم القيامة وقرأ نافع وعاصم ربما
بالتخفيف وقرئ ربما بالفتح والتخفيف وفيه ثمان لغات ضم الراء وفتحه
مع التشديد والتخفيف وبتاء التأنيث ودونها وما كافة تكفه عن الجر فيجوز
دخوله على الفعل وحقه ان يدخل الماضي لكن لما كان المترقب في اخبار
الله تعالى كالماضي في تحققه اجري مجراه وقيل ما نكرة موصوفة كقوله ربما
تكره النفوس من الامر له فرجة كحل العقال ومعنى التقليل فيه الايذان بانهم
لو كانوا يودون الاسلام مرة فبالحري ان يسارعوا اليه فكيف وهم يودونه
كل ساعة وقيل تدهشهم اهوال القيامة فان حانت منهم افاقة في بعض الاوقات
تمنوا ذلك والغيبة في حكاية ودادتهم كالغيبة في قولك حلف بالله ليفعلن ذرهم
دعهم ياكلوا ويتمتعوا بدنياهم ويلههم الامل ويشغلهم توقعهم لطول
الاعمار واستقامة الاحوال عن الاستعداد للمعاد فسوف يعلمون سوء صنيعهم
اذا عاينوا جزاءه والغرض اقناط الرسول صلى الله عليه وسلم من ارعوائهم
وايذانه بانهم من اهل الخذلان وان نصحهم بعد اشتغال بما لا طائل
تحته وفيه الزام للحجة وتحذير عن ايثار التنعم وما يؤدي اليه طول
الامل وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم اجل مقدر كتب في
اللوح والمستثنى جملة واقعة صفة لقرية والاصل ان لا تدخلها الواو كقوله
الا لها منذرون ولكن لما شابهت صورتها صورة الحال ادخلت عليها
تأكيدا للصوقها بالموصوف ما تسبق من امة اجلها وما يستأخرون
اي وما يستأخرون عنه وتذكير ضمير امة للحمل على المعنى وقالوا يا ايها
الذي نزل عليه الذكر نادوا به النبي صلى الله عليه وسلم على التهكم الا ترى
الى ما نادوه له وهو قوله انك لمجنون ونظير ذلك قول فرعون ان
رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون والمعنى انك لتقول قول المجانين
حين تدعي ان الله نزل عليك الذكر اي القرآن لوما تأتينا ركب لو مع
ما كما ركب مع لا للمعنيين امتناع الشيء لوجود غيره والتحضيض بالملائكة
ليصدقوك ويعضدوك على الدعوة كقوله لولا انزل عليه ملك فيكون معه
نذيرا او للعقاب على تكذيبنا كما اتت الامم المكذبة ان كنت من الصادقين

في دعواك ما تنزل الملائكة بالتاء مسند الى ضمير اسم الله وقرأ حمزة والكسائي
وحفص بالنون وابو بكر بالتاء والبناء للمفعول ورفع الملائكة وقرئ تنزل بمعنى
تتنزل الا بالحق الا تنزيلا ملتبسا بالحق اي بالوجه الذي قدره واقتضته
حكمته ولا حكمة في ان يأتيكم بصورة تشاهدونها فانه لا يزيدكم الا لبسا
ولا في معاجلتكم بالعقوبة فان منكم ومن ذراريكم من سبقت كلمتنا له بالايمان
وقيل الحق الوحي او العذاب وما كانوا اذا منظرين اذا جواب لهم وجزاء
الشرط مقدر اي ولو نزلنا الملائكة ما كانوا منظرين انا نحن نزلنا الذكر
رد لانكارهم واستهزائهم ولذلك اكده من وجوه وقرره بقوله وانا
له لحافظون اي من التحريف والزيادة والنقص بان جعلناه معجزا مباينا
لكلام البشر بحيث لا يخفى تغيير نظمه على اهل اللسان او نفي تطرق الخلل اليه في الدوام
بضمان الحفظ له كما نفى ان يطعن فيه بانه المنزل له وقيل الضمير في له للنبي
صلى الله عليه وسلم ولقد ارسلنا من قبلك في شيع الاولين في فرقهم
جمع شيعة وهي الفرقة المتفقة على طريق ومذهب من شاعه اذا تبعه
واصله الشياع وهو الحطب الصغار يوقد به الكبار والمعنى نبأنا رجالا
فيهم وجعلناهم رسلا فيما بينهم وما يأتيهم من رسول الا كانوا به
يستهزئون كما يفعل هؤلاء وهو تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وما للحال
لا يدخل الا مضارعا بمعنى الحال او ماضيا قريبا منه وهذا على حكاية الحال
الماضية كذلك نسلكه ندخله في قلوب المجرمين والسلك ادخال الشيء
في الشيء كالخيط في المخيط والرمح في المطعون والضمير للاستهزاء وفيه دليل
على انه تعالى يوجد الباطل في قلوبهم وقيل للذكر فان الضمير الآخر في قوله
لا يؤمنون به له وهو حال من هذا الضمير والمعنى مثل ذلك السلك نسلك هذا
الذكر في قلوب المجرمين مكذبا غير مؤمن به او بيان للجملة المتضمنة له و
الاحتجاج ضعيف اذ لا يلزم من تعاقب الضمائر توافقها في المرجوع اليه
ولا يتعين ان تكون الجملة حالا من الضمير لجواز ان تكون حالا من المجرمين
ولا ينافي كونها مفسرة للمعنى الاول بل يقويه وقد خلت سنة الاولين
اي سنة الله فيهم بان خذلهم وسلك الكفر في قلوبهم او باهلاك من كذب
الرسل منهم فيكون وعيدا لاهل مكة ولو فتحنا عليهم على هؤلاء المقترحين
بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون يصعدون اليها ويرون عجائبها
طول نهارهم مستوضحين لما يرون او تصعد الملائكة وهم يشاهدونهم

لقالوا من غلوهم في العناد وتشكيكهم في الحق انما سكرت ابصارنا سدت
عن الابصار بالسحر من السكر ويدل عليه قراءة ابن كثير بالتخفيف او حيرت
من السكر ويدل عليه قراءة من قرا سكرت بل نحن قوم مسحورون قد سحرنا
محمد بذلك كما قالوه عند ظهور غيره من الآيات وفي كلمتي الحصر والاضراب
دلالة على البت بان ما يرونه لا حقيقة له بل هو باطل خيل اليهم بنوع من السحر
ولقد جعلنا في السماء بروجا اثني عشر مختلفة الهيئات والخواص على ما
دل عليه الرصد والتجربة مع بساطة السماء وزيناها بالاشكال والهيئات
البهية للناظرين المعتبرين المستدلين بها على قدرة مبدعها وتوحيد
صانعها وحفظناها من كل شيطان رجيم فلا يقدر ان يصعد
اليها ويوسوس اهلها ويتصرف في امرها ويطلع على احوالها الا من استرق
السمع بدل من كل شيطان واستراق السمع اختلاسه سرا شبه به خطفتهم
اليسيرة من قطان السموات لما بينهم من المناسبة في الجوهر او بالاستدلال
من اوضاع الكواكب وحركاتها وعن ابن عباس رضي الله عنهما انهم كانوا
لا يحجبون عن السموات فلما ولد عيسى منعوا من ثلاث سموات فلما ولد محمد
صلى الله عليه وسلم منعوا من كلها بالشهب ولا يقدح فيه تكونها قبل المولد
لجواز ان يكون لها اسباب اخر وقيل الاستثناء منقطع اي ولكن من استرق
السمع فاتبعه فتبعه ولحقه شهاب مبين ظاهر للمبصرين والشهاب
شعلة نار ساطعة وقد يطلق للكوكب والسنان لما فيهما من البريق
والارض مددناها بسطناها والقينا فيها رواسي جبالا ثوابت وانبتنا
فيها في الارض او فيها وفي الجبال من كل شيء موزون مقدر بمقدار
معين تقتضيه حكمته او مستحسن متناسب من قولهم كلام موزون او ما
يوزن ويقدر او له وزن في ابواب النعمة والمنفعة وجعلنا لكم فيها
معايش تعيشون بها من المطاعم والملابس وقرئ بالهمز على التشبيه
بشمائل ومن لستم له برازقين عطف على معايش او على محل لكم ويريد
به العيال والخدم والمماليك وسائر ما يظنون انهم يرزقونهم
ظنا كاذبا فان الله يرزقهم واياهم وفذلكة الآية الاستدلال
بجعل الارض ممدودة بمقدار وشكل معينين مختلفة الاجزاء في الوضع
محدثة فيها انواع النبات والحيوان المختلفة خلقة وطبيعة مع جواز ان لا
يكون كذلك على كمال قدرته وتناهي حكمته والتفرد في الالوهية والامتنان

على العباد بما انعم عليهم في ذلك ليوحدوه ويعبدوه ثم تابع في ذلك وقال
وان من شيء الا عندنا خزائنه اي وما من شيء الا ونحن قادرون على ايجاده
وتكوينه اضعاف ما وجد منه فضرب الخزائن مثلا لاقتداره او شبه
مقدوراته بالاشياء المخزونة التي لا يحوج اخراجها الى كلفة واجتهاد
وما ننزله من بقاع القدرة الا بقدر معلوم حده الحكمة وتعلقت به
المشيئة فان تخصيص بعضها بالايجاد في بعض الاوقات على بعض الصفات
والحالات لا بد له من مخصص حكيم وارسلنا الرياح لواقح حوامل شبه
الريح التي جاءت بخير من انشاء سحاب ماطر بالحامل كما شبه ما لا يكون
كذلك بالعقيم او ملقحات للشجر والسحاب ونظيره الطوائح بمعنى المطيحات
في قوله ومختبط مما تطيح الطوائح وقرئ وارسلنا الريح على تاويل الجنس
فانزلنا من السماء ماء فاسقيناكموه فجعلناه لكم سقيا وما انتم له بخازنين
قادرين متمكنين من اخراجه نفى عنهم ما اثبته لنفسه او حافظين في الغدران
والعيون والآبار وذلك ايضا يدل على المدبر الحكيم كما يدل حركة الهواء
في بعض الاوقات من بعض الجهات على وجه ينتفع به الناس فان طبيعة الماء
تقتضي الغور فوقوفه دون حده لا بد له من سبب مخصص وانا لنحن نحيي
بايجاد الحيوة في بعض الاجسام القابلة لها ونميت بازالتها وقد اول الحيوة
بما يعم الحيوان والنبات وتكرير الضمير للدلالة على الحصر ونحن الوارثون
الباقون اذا مات الخلائق كلها ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد
علمنا المستاخرين من استقدم ولادة وموتا ومن استاخر او من خرج
من اصلاب الرجال ومن لم يخرج بعد او من تقدم في الاسلام والجهاد
وسبق الى الطاعة او تاخر لا يخفى علينا شيء من احوالكم وهو بيان لكمال
علمه بعد الاحتجاج على كمال قدرته فان ما يدل على قدرته دليل على علمه
وقيل رغب رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصف الاول فازدحموا
عليه فنزلت وقيل ان امراة حسناء كانت تصلي خلف رسول الله صلى
الله عليه وسلم فتقدم بعض القوم لئلا ينظر اليها وتاخر بعض لينظرها
فنزلت وان ربك هو يحشرهم لا محالة للجزاء وتوسيط الضمير للدلالة على
انه القادر والمتولي لحشرهم لا غير وتصدير الجملة بان لتحقيق الوعد
والتنبيه على ان ما سبق من الدلالة على كمال قدرته وعلمه بتفصيل الاشياء
يدل على صحة الحكم كما صرح به بقوله انه حكيم باهر الحكمة متقن في افعاله

عليم وسع علمه كل شيء ولقد خلقنا الانسان من صلصال من طين يابس
يصلصل اي يصوت اذا نقر وقيل هو من صلصل اذا انتن تضعيف صل
من حما طين تغير واسود من طول مجاورة الما وهو صفة صلصال
اي كاين من حما مسنون مصور ماخوذ من سنة الوجه او مصبوب ليفرغ
ليبس او منتن كالجواهر المذابة تصب في القوالب من السن وهو الصب
كانه افرغ الحما فصور منها تمثال انسان اجوف فيبس حتى اذا نقر صلصل
ثم غير ذلك طورا بعد طور حتى سواه ونفخ فيه او منتن من سننت الحجر
على الحجر اذا حككته به فان ما يسيل منهما يكون منتنا ويسمى سنينا والجان
ابا الجن وقيل ابليس ويجوز ان يراد به الجنس كما هو الظاهر من الانسان
لان تشعب الجنس لما كان من شخص واحد خلق من مادة واحدة كان الجنس
باسره مخلوقا منها وانتصابه بفعل يفسره خلقناه من قبل من قبل خلق
الانسان من نار السموم من نار الحر الشديد النافذ في المسام ولا
يمتنع خلق الحيوة في الاجرام البسيطة كما لا يمتنع خلقها في الجواهر المجردة
فضلا عن الاجساد المولفة التي الغالب فيها الجزء الناري فانها اقبل
لها من التي الغالب فيها الجزء الارضي وقوله من نار باعتبار الغالب
كقوله خلقكم من تراب ومساق الاية كما هو للدلالة على كمال قدرة الله في بيان
بدء خلق الثقلين فهو للتنبيه على المقدمة الثانية التي يتوقف عليها امكان
الحشر وهو قبول المواد للجمع والاحيا واذ قال ربك واذكر وقت قوله
للملايكة اني خالق بشرا من صلصال من حما مسنون فاذا سويته
عدلت خلقته وهيأته لنفخ الروح فيه ونفخت فيه من روحي حتى جرى
اثاره في تجاويف اعضايه فحيي واصل النفخ اجراء الريح في تجويف جسم
اخر ولما كان الروح يتعلق اولا بالبخار اللطيف المنبعث من القلب وتفيض
عليه القوة الحيوانية فيسري حاملا لها في تجويف الشرايين الى اعماق
البدن جعل تعليقه بالبدن نفخا واضافة الروح الى نفسه لما مر في النسا
فقعوا له فاسقطوا له ساجدين امر من وقع يقع فسجد الملايكة كلهم
اجمعون اكد بتاكيدين للمبالغة في التعميم ومنع التخصيص وقيل اكد بالكل
للاحاطة وباجمعين للدلالة على انهم سجدوا مجتمعين دفعة وفيه نظر اذ
لو كان الامر كذلك كان الثاني حالا لا تاكيدا الا ابليس ان جعل منقطعا
اتصل به قوله ابى ان يكون مع الساجدين اي ولكن ابليس ابى وان

جعل متصلا كان استينافا على انه جواب سايل قال هلا سجد قال يا ابليس ما
لك ان لا تكون اي غرض لك في ان لا تكون مع الساجدين لادم قال لم
اكن لاسجد اللام لتاكيد النفي اي لا يصح مني وينافي حالي ان اسجد لبشر جسماني
كثيف وانا ملك روحاني خلقته من صلصال من حما مسنون وهو اخس
العناصر وخلقتني من نار وهي اشرفها استنقص ادم باعتبار النوع والاصل
وقد سبق الجواب عنه في سورة الاعراف قال فاخرج منها من السما او الجنة
او زمر الملايكة فانك رجيم مطرود من الخير والكرامة فان من يطرد
يرجم بالحجر او شيطان يرجم بالشهب وهو وعيد يتضمن الجواب عن شبهته
وان عليك اللعنة هذا الطرد والابعاد الى يوم الدين فانه منتهى امد
اللعن فانه يناسب ايام التكاليف لا زمان الجزاء وما في قوله فاذن موذن
بينهم ان لعنة الله على الظالمين بمعنى اخر ينسى عنده هذه وقيل
انما حد اللعن به لانه ابعد غاية يضربها الناس ولانه يعذب فيه بما ينسي
اللعن معه فيصير كالزايل قال رب فانظرني فاخرني والفا متعلقة بمحذوف
دل عليه فاخرج منها فانك رجيم الى يوم يبعثون اراد ان يجد فسحة
في الاغوا ونجاة عن الموت اذ لا موت بعد وقت البعث فاجابه الى الاول
دون الثاني قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم المسمى
فيه اجلك عند الله او انقراض الناس كلهم وهو النفخة الاولى عند الجمهور
ويجوز ان يكون المراد بالايام الثلاثة يوم القيامة واختلاف العبارات
لاختلاف الاعتبارات فعبر عنه اولا بيوم الجزا لما عرفته وثانيا بيوم البعث
اذ به يحصل العلم بانقطاع التكليف واليأس عن التضليل وثالثا بالمعلوم لوقوعه
في الكلامين ولا يلزم من ذلك ان لا يموت فلعله يموت اول اليوم ويبعث
الخلايق في تضاعيفه وهذه المخاطبة وان لم تكن بواسطة لم تدل على
منصب ابليس لان خطاب الله له على سبيل الاهانة والاذلال قال رب بما
اغويتني الباء للقسم وما مصدرية وجوابه لازينن لهم في الارض والمعنى
اقسم باغوايك اياي لازينن لهم المعاصي في الدنيا التي هي دار الغرور
كقوله اخلد الى الارض وفي انعقاد القسم بافعال الله تعالى خلاف وقيل
للسببية والمعتزلة اولوا الاغوا بالنسبة الى الغي او التسبب له بامره اياه
بالسجود لادم عليه السلام او بالاضلال عن طريق الجنة واعتذروا لعن امهاله
الله له وهو سبب لزيادة غيه وتسليط له على اغوا بني ادم بان الله تعالى

علم منه وممن تبعه انهم يموتون على الكفر ويصيرون الى النار امهل اولم
يمهل وان في امهاله تعريضا لمن خالفه لاستحقاق مزيد الثواب وضعف
ذلك لا يخفى على ذوي الالباب ولاغوينهم اجمعين ولاحملنهم اجمعين
على الغواية الا عبادك منهم المخلصين الذين اخلصتهم لطاعتك وطهرتهم
من الشوائب فلا يعمل فيهم كيدي وقرا ابن كثير وابن عامر وابو عمرو بالكسر
في كل القران اي الذين اخلصوا نفوسهم لله قال هذا صراط علي حق علي ان
اراعيه مستقيم لا انحراف عنه والاشارة الى ما تضمنه الاستثناء وهو
تخلص المخلصين من اغوائه والاخلاص على معنى انه طريق علي يؤدي الى الوصول
الي من غير اعوجاج وضلال وقرئ علي من علو الشرف ان عبادي ليس
لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين تصديق لابليس فيما
استثناه وتغيير الوضع لتعظيم المخلصين ولان المقصود بيان عصمتهم
وانقطاع مخالب الشيطان عنهم او تكذيب له فيما اوهم ان له سلطانا على
من ليس بمخلص من عباده فان منتهى تزيينه التحريض والتدليس كما قال وما كان
لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي وعلى هذا يكون الاستثناء
منقطعا وعلى الاول يدفع قول من شرط ان يكون المستثنى اقل من الباقي
لافضائه الى تناقض الاستثنائين وان جهنم لموعدهم لموعد الغاوين او
المتبعين اجمعين تاكيد للضمير او حال والعامل فيها الموعد ان جعلته
مصدرا على تقدير مضاف ومعنى الاضافة ان جعلته اسم مكان فانه لا يعمل
لها سبعة ابواب يدخلون فيها لكثرتهم او طبقات ينزلونها بحسب مراتبهم
في المتابعة وهي جهنم ثم لظى ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية ولعل
تخصيص العدد لانحصار جميع المهلكات في الركون الى المحسوسات ومتابعة
القوة الشهوية والغضبية او لان اهلها سبع فرق لكل باب منهم من
الاتباع جزء مقسوم افرز له فاعلاها للموحدين العصاة والثاني لليهود
والثالث للنصارى والرابع للصابئين والخامس للمجوس والسادس للمشركين
والسابع للمنافقين وقرا ابو بكر جزء بالتثقيل وقرئ جز على حذف الهمزة
والقاء حركتها على الزاي ثم الوقف عليه بالتشديد ثم اجرى الوصل مجرى الوقف
ومنهم حال منه او من المستكن في الظرف لا في مقسوم لان الصفة لا
تعمل فيما تقدم موصوفها ان المتقين من اتباعه في الكفر والفواحش فان
غيرها مكفرة في جنات وعيون لكل واحد جنة وعين او لكل عدة

منهما لقوله ولمن خاف مقام ربه جنتان ثم قوله ومن دونهما جنتان وفي
مثل الجنة التي وعد المتقون فيها انهار من ماء غير اسن الاية وقرا نافع وابو
عمرو وحفص وهشام وعيون والعيون بضم العين حيث وقع والباقون
بكسر العين ادخلوها على ارادة القول وقرئ بقطع الهمزة وكسر الخاء
على انه ماض فلا يكسر التنوين بسلام سالمين او مسلما عليكم امنين من الافة
والزوال ونزعنا في الدنيا بما الف بين قلوبهم او في الجنة بتطييب نفوسهم
ما في صدورهم من غل من حقد كان في الدنيا وعن علي رضي الله عنه ارجو
ان اكون انا وعثمان وطلحة والزبير منهم او من التحاسد على درجات
الجنة ومراتب القرب اخوانا حال من الضمير في جنات او فاعل ادخلوها او الضمير
في امنين او الضمير المضاف اليه والعامل فيها معنى الاضافة وكذا قوله على
سرر متقابلين ويجوز ان يكونا صفتين لاخوانا او حالين من ضميره لانه
بمعنى متصافين وان يكون متقابلين حالا من المستقر في على سرر لا يمسهم فيها
نصب استئناف او حال بعد حال او حال من الضمير في متقابلين وما هم
منها بمخرجين فان تمام النعمة بالخلود نبئ عبادي اني انا الغفور الرحيم
وان عذابي هو العذاب الاليم فذلكة ما سبق من الوعد والوعيد وتقرير
له وفي ذكر المغفرة دليل على انه لم يرد بالمتقين من يتقي الذنوب باسرها
كبيرها وصغيرها وفي توصيف ذاته بالغفران والرحمة دون التعذيب
ترجيح الوعد وتاكيده وفي عطف ونبئهم عن ضيف ابراهيم على نبئ عبادي
تحقيق لهما بما يعتبرون به اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما اي نسلم عليك
سلاما او سلمنا سلاما قال انا منكم وجلون خائفون وذلك لانهم
دخلوا بغير اذن وبغير وقت او لانهم امتنعوا من الاكل والوجل اضطراب
النفس لتوقع ما يكره قالوا لا توجل وقرئ لا تاجل ولا توجل من اوجله
ولا تواجل من واجله بمعنى اوجله انا نبشرك استئناف في معنى التعليل
للنهي عن الوجل فان المبشر لا يخاف منه وقرا حمزة نبشرك من بشره بغلام هو
اسحق لقوله فبشرناها باسحق عليم اذا بلغ قال ابشرتموني على ان مسني الكبر تعجب
من ان يولد له مع مس الكبر اياه او انكار لان يبشر به في مثل هذه الحال وكذا
قوله فبم تبشرون اي فباي اعجوبة تبشروني او فباي شيء تبشرون فان
البشارة بما لا يتصور وقوعه عادة بشارة بغير شيء وقرا ابن كثير بكسر النون
مشددة في كل القران على ادغام نون الجمع في نون الوقاية ونافع بكسرها

مخففة على حذف نون الجمع استثقالا لاجتماع المثلين ودلالة بالباقي ونون
الوقاية على الياء قالوا بشرناك بالحق بما يكون لا محالة او باليقين الذي
لا لبس فيه او بطريقة هي حق وهو قول الله وامره فلا تكن من القانطين من
الايسين من ذلك فانه تعالى قادر على ان يخلق بشرا من غير ابوين فكيف
من شيخ فان وعجوز عاقر وكان استعجاب ابراهيم عليه السلام باعتبار
العادة دون القدرة ولذلك قال ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون
المخطئون طريق المعرفة فلا يعرفون سعة رحمة الله وكمال علمه وقدرته
كما قال لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون وقرأ ابو عمرو والكسائي
يقنط بالكسر وقرئ بالضم وماضيهما قنط بالفتح قال فما خطبكم ايها
المرسلون اي فما شأنكم الذي ارسلتم لاجله سوى البشارة ولعله علم
ان كمال المقصود ليس البشارة لانهم كانوا عددا والبشارة لا تحتاج الى العدد
ولذلك اكتفى بالواحد في بشارة زكريا ومريم عليهما السلام او لانهم
بشروه في تضاعيف الحال لازالة الوجل ولو كانت تمام المقصود لابتدؤوا
بها قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين يعني قوم لوط الا آل لوط
ان كان استثناء من قوم كان منقطعا اذ القوم مقيد بالاجرام وان كان
استثناء من الضمير في مجرمين كان متصلا والقوم والارسال شاملين
للمجرمين وآل لوط المؤمنين به وكان المعنى انا ارسلنا الى قوم اجرم
كلهم الا آل لوط منهم لنهلك المجرمين وننجي آل لوط ويدل عليه قوله
انا لمنجوهم اجمعين اي مما يعذب به القوم وهو استئناف اذا اتصل
الاستثناء ومتصل بآل لوط جار مجرى خبر لكن اذا انقطع وعلى هذا
جاز ان يكون قوله الا امرأته استثناء من آل لوط او من ضميرهم وعلى
الاول لا يكون الا من ضميرهم لاختلاف الحكمين اللهم الا ان يجعل انا
لمنجوهم اعتراضا قدرنا انها لمن الغابرين الباقين مع الكفرة لتهلك
معهم وقرأ ابو بكر عن عاصم ههنا وفي النمل قدرنا بالتخفيف وانما علق
والتعليق من خواص افعال القلوب لتضمنه معنى العلم ويجوز ان يكون
قدرنا اجري مجرى قلنا لان التقدير بمعنى القضاء قول واصله جعل الشيء على
مقدار غيره واسنادهم اياه الى انفسهم وهو فعل الله تعالى لما لهم من القرب
والاختصاص به فلما جاء آل لوط المرسلون قال انكم قوم منكرون
تنكركم نفسي وتنفر عنكم مخافة ان تطرقوني بشر قالوا بل جئناك بما كانوا

فيه يمترون اي ما جئناك بما تنكرنا لاجله بل جئناك بما يسرك ويشفي لك من
عدوك وهو العذاب الذي توعدتهم به فيمترون فيه واتيناك بالحق
باليقين من عذابهم وانا لصادقون فيما اخبرناك به فاسر باهلك فاذهب
بهم في الليل وقرأ الحجازيان بوصل الالف من السرى وهما بمعنى وقرئ
فسر من السير بقطع من الليل في طائفة من الليل وقيل في آخره قال افتحي الباب
وانظري في النجوم كم علينا من قطع ليل واتبع ادبارهم وكن على اثرهم
تذودهم وتسرع بهم وتطلع على حالهم ولا يلتفت منكم احد لينظر ما
وراءه فيرى من الهول ما لا يطيقه او فيصيبه ما اصابهم او ولا ينصرف
احدكم ولا يتخلف لغرض فيصيبه العذاب وقيل نهوا عن الالتفات ليوطنوا
نفوسهم على المهاجرة وامضوا حيث تؤمرون الى حيث امركم الله بالمضي
اليه وهو الشام او مصر فعدي وامضوا الى حيث وتؤمرون الى ضميره
المحذوف على الاتساع وقضينا اليه اي اوحينا اليه مقضيا ولذلك عدي
بالى ذلك الامر مبهم يفسره ان دابر هؤلاء مقطوع ومحله النصب
على البدل منه وفي ذلك تفخيم للامر وتعظيم له وقرئ بالكسر على الاستئناف
والمعنى انهم يستأصلون عن آخرهم حتى لا يبقى منهم احد مصبحين داخلين
في الصبح وهو حال من هؤلاء او من الضمير في مقطوع وجمعه للحمل على المعنى
فان دابر هؤلاء في معنى مدبري هؤلاء وجاء اهل المدينة سدوم يستبشرون
باضياف لوط طمعا فيهم قال ان هؤلاء ضيفي فلا تفضحون بفضيحة
ضيفي فان من اسيء الى ضيفه فقد اسيء اليه واتقوا الله في ركوب الفاحشة
ولا تخزون ولا تذلون بسببهم من الخزي وهو الهوان او ولا تخجلون
فيهم من الخزاية وهو الحياء قالوا اولم ننهك عن العالمين عن ان تجير
منهم احدا وتمنع بيننا وبينهم فانهم كانوا يتعرضون لكل احد وكان
لوط يمنعهم عنه بقدر وسعه او عن ضيافة الناس وانزالهم قال هؤلاء
بناتي يعني نساء القوم فان نبي كل امة بمنزلة ابيهم وفيه وجوه ذكرت
في سورة هود ان كنتم فاعلين قضاء الوطر او ما اقول لكم لعمرك قسم
بحياة المخاطب وهو النبي صلى الله عليه وسلم وقيل لوط قالت الملائكة
له ذلك والتقدير لعمرك قسمي وهو لغة في العمر يختص به القسم لايثار
الاخف فيه لانه كثير الدور على السنتهم انهم لفي سكرتهم لفي غوايتهم
او شدة غلمتهم التي ازالت عقولهم وتمييزهم بين خطائهم والصواب

الذي يشار به اليهم يعمهون يتحيرون فكيف يسمعون نصحك وقيل الضمير
لقريش والجملة اعتراض فاخذتهم الصيحة يعني صيحة هائلة مهلكة وقيل
صيحة جبريل عليه السلام مشرقين داخلين في وقت شروق الشمس
فجعلنا عاليها عالي المدينة او عالي قراهم سافلها وصارت منقلبة
بهم وامطرنا عليهم حجارة من سجيل من طين متحجر او طين عليه كتاب
من السجل وقد تقدم مزيد بيان لهذه القصة في سورة هود ان في ذلك
لآيات للمتوسمين المتفكرين المتفرسين الذين يتثبتون في نظرهم حتى
يعرفوا حقيقة الشيء بسمته وانها وان المدينة او القرى لبسبيل مقيم
ثابت تسلكه الناس ويرون آثارها ان في ذلك لآية للمؤمنين بالله
ورسله وان كان اصحاب الايكة لظالمين هم قوم شعيب كانوا يسكنون
الغيضة فبعثه الله اليهم فكذبوه فاهلكوا بالظلة والايكة الشجرة المتكاثفة
فانتقمنا منهم بالاهلاك وانهما يعني سدوم والايكة وقيل الايكة
ومدين فانه كان مبعوثا اليهما فكان ذكر احدهما منبها على الآخر لبامام
مبين لبطريق واضح والامام اسم ما يؤتم به فسمي به اللوح ومطمر البناء
لانهما مما يؤتم به ولقد كذب اصحاب الحجر المرسلين يعني ثمود كذبوا صالحا
ومن كذب واحدا من الرسل فكانما كذب الجميع ويجوز ان يراد بالمرسلين
صالحا ومن معه من المؤمنين والحجر واد بين المدينة والشام كانوا يسكنونها
وآتيناهم آياتنا فكانوا عنها معرضين يعني آيات الكتاب المنزل على
نبيهم او معجزاته كالناقة وسقبها وشربها ودرها او ما نصب لهم من
الادلة وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين من الانهدام ونقب
اللصوص وتخريب الاعداء لوثاقتها او من العذاب لفرط غفلتهم او حسبانهم
ان الجبال تحميهم فاخذتهم الصيحة مصبحين فما اغنى عنهم ما كانوا
يكسبون من بناء البيوت الوثيقة واستكثار الاموال والعدد وما
خلقنا السماوات والارض وما بينهما الا بالحق الا خلقا ملتبسا
بالحق لا يلائم استمرار الفساد ودوام الشرور فلذلك اقتضت الحكمة
اهلاك امثال هؤلاء وازاحة فسادهم من الارض وان الساعة لآتية
فينتقم الله لك فيها ممن كذبك فاصفح الصفح الجميل ولا تعجل بالانتقام
منهم وعاملهم معاملة الصفوح الحليم وقيل هو منسوخ بآية السيف
ان ربك هو الخلاق الذي خلقك وخلقهم وبيده امرك وامرهم

العليم بحالك وحالهم فهو حقيق بان تكل اليه ليحكم بينكم او هو الذي
خلقكم وعلم الاصلح لكم وقد علم ان الصفح اليوم اصلح وفي مصحف عثمان
رضي الله عنه وانه هو الخالق وهو يصلح للقليل والكثير والخلاق يختص
ولقد آتيناك سبعا سبع آيات وهي الفاتحة وقيل سبع سور وهي
الطوال وسابعتها الانفال والتوبة فانهما في حكم سورة ولذلك لم
يفصل بينهما بالتسمية وقيل التوبة وقيل يونس او الحواميم السبع وقيل سبع
صحائف وهي الاسباع من المثاني بيان للسبع والمثاني من التثنية او الثناء
فان كل ذلك مثنى تكرر قراءته او الفاظه او قصصه ومواعظه او مثنى عليه
بالبلاغة والاعجاز او مثن على الله بما هو اهله من صفاته العظمى واسمائه
الحسنى ويجوز ان يراد بالمثاني القرآن او كتب الله كلها فتكون من للتبعيض
والقرآن العظيم ان اريد بالسبع الآيات او السور فمن عطف الكل على
البعض او العام على الخاص وان اريد به الاسباع فمن عطف احد الوصفين
على الآخر لا تمدن عينيك لا تطمح ببصرك طموح راغب الى ما متعنا به
ازواجا منهم اصنافا من الكفار فانه مستحقر بالاضافة الى ما اوتيته
فانه كمال مطلوب بالذات مفض الى دوام اللذات وفي حديث ابي بكر ر
الله عنه من اوتي القرآن فرأى ان احدا اوتي من الدنيا افضل مما اوتي فقد
صغر عظيما وعظم صغيرا وروي انه صلى الله عليه وسلم وافى باذرعات
سبع قوافل ليهود بني قريظة والنضير فيها انواع البز والطيب والجوهر وسائر
الامتعة فقال المسلمون لو كانت هذه الاموال لنا لتقوينا بها ولانفقناها
في سبيل الله فقال لهم قد اعطيتم سبع آيات هي خير من هذه القوافل السبع
ولا تحزن عليهم انهم لم يؤمنوا وقيل انهم المتمتعون به واخفض جناحك
للمؤمنين وتواضع لهم وارفق بهم وقل اني انا النذير المبين انذركم
ببيان وبرهان ان عذاب الله نازل بكم ان لم تؤمنوا كما انزلنا على
المقتسمين مثل العذاب الذي انزلنا عليهم فهو وصف لمفعول النذير اقيم
مقامه والمقتسمون هم الاثنا عشر الذين اقتسموا مداخل مكة ايام الموسم
لينفروا الناس عن الايمان بالرسول صلى الله عليه وسلم فاهلكهم الله يوم
بدر او الرهط الذين اقتسموا اي تقاسموا على ان يبيتوا صالحا عليه السلام
وقيل هو صفة مصدر محذوف ولقد آتيناك فانه بمعنى انزلنا اليك والمقتسمون
هم الذين جعلوا القرآن عضين حيث قالوا عنادا بعضه حق موافق للتوراة

والانجيل وبعضه باطل مخالف لهما او قسموه الى شعر وسحر وكهانة واساطير
الاولين او اهل الكتاب امنوا ببعض كتبهم وكفروا ببعض على ان القران ما
يقرؤنه من كتبهم فيكون ذلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ويكون
قوله لا تمدن الى اخره اعتراضا مد لهما الذين جعلوا القران عضين
اجزاء جمع عضة واصلها عضوة من عضى الشاة اذا جعلها اعضاء وقيل
فعلة من عضهته اذا بهته وفي الحديث لعن رسول الله صلى الله عليه
وسلم العاضهة والمستعضهة وقيل اسحارا وعن عكرمة العضه السحر
وانما جمع جمع السلامة جبرا لما حذف منه والموصول بصلته صفة
للمقتسمين او مبتدا خبره فوربك لنسألنهم اجمعين عما كانوا يعملون
من التقسيم او النسبة الى السحر فيجازيهم عليه وقيل عام في كل ما فعلوا
من الكفر والمعاصي فاصدع بما تؤمر فاجهر به من صدع بالحجة اذا تكلم
بها جهارا او فافرق به بين الحق والباطل واصله الابانة والتمييز وما
مصدرية او موصولة والراجع محذوف اي بما تؤمر به من الشرائع واعرض
عن المشركين فلا تلتفت الى ما يقولون انا كفيناك المستهزئين بقمعهم
واهلاكهم قيل كانوا خمسة من اشراف قريش الوليد بن المغيرة والعاص بن
وايل وعدي بن قيس والاسود بن عبد يغوث والاسود بن المطلب يبالغون
في ايذاء النبي صلى الله عليه وسلم والاستهزاء به فقال جبريل لرسول الله صلى
الله عليه وسلم امرت ان اكفيكهم فاومى الى ساق الوليد فمر بنبال فتعلق
بثوبه سهم فلم ينعطف تعظما لاخذه فاصاب عرقا في عقبه فقطعه فمات
واومى الى اخمص العاص فدخلت فيها شوكة فانتفخت رجله حتى صارت
كالرحى ومات واشار الى انف حارث فامتخط قيحا فمات والى اسود
ابن عبد يغوث وهو قاعد في اصل شجرة فجعل ينطح راسه بالشجرة ويضرب
وجهه بالشوك حتى مات والى عيني الاسود بن المطلب فعمي الذين يجعلون
مع الله الها اخر فسوف يعلمون عاقبة امرهم في الدارين ولقد نعلم
انك يضيق صدرك بما يقولون من الشرك والطعن في القران
والاستهزاء بك فسبح بحمد ربك فافزع الى الله فيما نابك بالتسبيح
والتحميد يكفك ويكشف الغم عنك او فنزهه عما يقولون حامدا له على
ان هداك للحق وكن من الساجدين من المصلين وعنه صلى الله عليه
وسلم انه كان اذا حزبه امر فزع الى الصلوة واعبد ربك حتى ياتيك اليقين

اي الموت فانه متيقن لحاقه كل حي مخلوق والمعنى فاعبده ما دمت حيا ولا
تخل بالعبادة لحظة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الحجر كان
له من الاجر عشر حسنات بعدد المهاجرين والانصار والمستهزئين بمحمد صلعم

[illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم اتى امر الله فلا تستعجلوه كانوا يستعجلون
ما اوعدهم الرسول صلى الله عليه وسلم من قيام الساعة او اهلاك الله
اياهم كما فعل يوم بدر استهزاء وتكذيبا ويقولون ان صح ما يقوله فالاصنام
تشفع لنا وتخلصنا منه فنزلت والمعنى ان الامر الموعود به بمنزلة الاتي
المتحقق من حيث انه واجب الوقوع فلا تستعجلوا وقوعه فانه لا خير لكم
فيه ولا خلاص لكم عنه سبحانه وتعالى عما يشركون تبرأ وجل عن ان
يكون له شريك فيدفع ما اراد بهم وقرا حمزة والكسائي بالتاء على وفق قوله
فلا تستعجلوه والباقون بالياء على تلوين الخطاب او على ان الخطاب للمؤمنين
او لهم ولغيرهم لما روي انه لما نزلت اتى امر الله فوثب النبي صلى الله عليه
وسلم ورفع الناس رؤسهم فنزلت فلا تستعجلوه ينزل الملائكة بالروح
بالوحي او القران فانه يحيي به القلوب الميتة بالجهل او يقوم في الدين مقام
الروح في الجسد وذكر عقيب ذلك اشارة الى الطريق الذي به علم الرسول
ما تحقق موعدهم به ودنوه وازاحة لاستبعادهم واختصاصه بالعلم
به وقرا ابن كثير وابو عمرو ينزل من انزل وعن يعقوب مثله وعنه تنزل
بمعنى تتنزل وقرا ابو بكر تنزل على المضارع المبني للمفعول من التنزيل من امره
بامره ومن اجله على من يشاء من عباده ان يتخذه رسولا ان انذروا بان
انذروا اي اعلموا من نذرت بكذا اذا علمته انه لا اله الا انا فاتقون
ان الشان لا اله الا انا فاتقون او خوفوا اهل الكفر والمعاصي بانه لا اله
الا انا وقوله فاتقون رجوع الى مخاطبتهم بما هو المقصود وان مفسرة
لان الروح بمعنى الوحي الدال على القول او مصدرية في موضع الجر بدلا
من الروح او النصب بنزع الخافض او مخففة من الثقيلة والاية تدل على
ان نزول الوحي بواسطة الملائكة وان حاصله التنبيه على التوحيد الذي هو
منتهى كمال القوة العلمية والامر بالتقوى الذي هو اقصى كمالات القوة
العملية وان النبوة عطائية والايات التي بعدها دليل وحدانيته من

منين

حيث انها تدل على انه تعالى هو الموجد لاصول العالم وفروعه على وفق
الحكمة والمصلحة ولو كان له شريك لقدر على ذلك فيلزم التمانع خلق
السموات والارض بالحق اوجدهما على مقدار وشكل واوضاع وصفات
مختلفة قدرها وخصصها بحكمته تعالى عما يشركون منها او مما
يفتقر في وجوده وبقائه اليهما ومما لا يقدر على خلقهما وفيه دليل على انه
تعالى ليس من قبيل الاجرام خلق الانسان من نطفة جماد لا حس لها ولا
حراك سيالة لا تحفظ الوضع والشكل فاذا هو خصيم منطيق مجادل مبين
للحجة او خصيم مكافح لخالقه قائل من يحيي العظام وهي رميم روي ان ابي
ابن خلف اتى النبي صلى الله عليه وسلم بعظم رميم وقال يا محمد اترى الله
يحيي هذا بعد ما قد رم فنزلت والانعام الابل والبقر والغنم وانتصابها
بمضمر يفسره خلقها لكم او بالعطف على الانسان وخلقها لكم بيان ما خلق
لاجله وما بعده تفصيل له فيها دفء ما يدفأ به فيقي البرد ومنافع نسلها
ودرها وظهورها وانما عبر عنها بالمنافع ليتناول عوضها ومنها تاكلون
اي تاكلون ما يوكل منها من اللحوم والشحوم والالبان وتقديم الظرف
للمحافظة على رؤس الاي او لان الاكل منها هو المعتاد المعتمد عليه في المعاش
واما الاكل من سائر الحيوانات الماكولة فعلى سبيل التداوي او التفكه ولكم
فيها جمال زينة حين تريحون تردونها من مراعيها الى مراحها بالعشي
وحين تسرحون تخرجونها بالغداة الى المراعي فان الافنية تتزين بها
في الوقتين ويجل اهلها في اعين الناظرين اليها وتقديم الاراحة لان
الجمال فيها اظهر فانها تقبل ملأى البطون حافلة الضروع ثم تاوي الى
الحظائر حاضرة لاهلها وقرئ حينا على ان تريحون وتسرحون وصف له
بمعنى تريحون فيه وتسرحون فيه وتحمل اثقالكم احمالكم الى بلد لم
تكونوا بالغيه ان لم تكن فضلا ان تحملوها على ظهوركم اليه الا بشق الانفس
الا بكلفة ومشقة وقرئ بالفتح وهو لغة فيه وقيل المفتوح مصدر شق الامر
اليه واصله الصدع والمكسور بمعنى النصف كانه ذهب نصف قوته بالتعب
ان ربكم لرؤف رحيم حيث رحمكم بخلقها لانتفاعكم وتيسير الامر عليكم والخيل
والبغال والحمير عطف على الانعام لتركبوها وزينة اي لتركبوها ولتتزينوا
بها زينة وقيل هي معطوفة على محل لتركبوها وتغيير النظم لان الزينة بفعل
الخالق والركوب ليس بفعله ولان المقصود من خلقها الركوب واما التزين

بها فحاصل بالعرض وقرئ بغير واو وعلى هذا يحتمل ان يكون علة لتركبوها
او مصدرا في موقع الحال من احد الضميرين اي متزينين او متزينا بها
واستدل به على حرمة لحومها ولا دليل فيه اذ لا يلزم من تعليل الفعل
بما يقصد منه غالبا ان لا يقصد منه غيره اصلا ويدل عليه ان الاية مكية
وعامة المفسرين والمحدثين على ان الحمر الاهلية حرمت عام خيبر ويخلق ما
ما لا تعلمون لما فصل الحيوانات التي يحتاج اليها غالبا احتياجا ضروريا
او غير ضروري اجمل غيرها ويجوز ان يكون اخبارا بان له من الخلائق ما
لا علم لنا به وان يراد به ما خلق في الجنة والنار مما لم يخطر على قلب بشر وعلى
الله قصد السبيل بيان مستقيم الطريق الموصل الى الحق او اقامة السبيل
وتعديلها رحمة وفضلا او عليه قصد السبيل يصل اليه من يسلكه لا محالة
يقال سبيل قصد وقاصد اي مستقيم كانه يقصد الوجه الذي يقصده السالك
لا يميل عنه والمراد بالسبيل الجنس ولذلك اضاف اليه القصد وقال ومنها
جائر حائد عن القصد او عن الله وتغيير الاسلوب لانه ليس بحق على الله ان
يبين طرق الضلالة ولان المقصود بيان سبيله وتقسيم السبيل الى القصد
والجائر انما جاء بالعرض وقرئ ومنكم جائر اي عن القصد ولو شاء لهديكم اجمعين
اي ولو شاء هدايتكم اجمعين لهداكم الى قصد السبيل هداية مستلزمة للاهتداء
هو الذي انزل من السماء من السحاب او من جانب السماء ماء لكم منه
شراب ما تشربونه ولكم صلة انزل او خبر شراب ومن تبعيضية متعلقة
به وتقديمها يوهم حصر المشروب فيه ولا باس به لان مياه العيون والابار
منه لقوله فسلكه ينابيع وقوله فاسكناه في الارض ومنه شجر ومنه يكون
شجر يعني الشجر الذي ترعاه المواشي وقيل كل ما ينبت على الارض شجر قال
تعلفها اللحم اذ عز الشجر والخيل في اطعامها اللحم ضرر فيه تسيمون ترعون
من سامت الماشية واسامها صاحبها واصلها السومة وهي العلامة
لانها تؤثر بالرعي علامات ينبت لكم به الزرع وقرأ ابو بكر بالنون على
التفخيم والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات وبعض كلها
اذ لم ينبت في الارض كل ما يمكن من الثمار ولعل تقديم ما يسام فيه على ما
يوكل منه لانه سيصير غذاء حيوانيا هو اشرف الاغذية ومن هذا تقديم
الزرع والتصريح بالاجناس الثلاثة وترتيبها ان في ذلك لاية لقوم
يتفكرون على وجود الصانع وحكمته فان من تامل ان الحبة تقع في الارض

وتصل اليها الداوة تنفذ فيها فينشق اعلاها ويخرج منه ساق الشجرة ويشق
اسفلها فيخرج منه عروقها ثم تنمو ويخرج منه الاوراق والازهار
والاكمام والثمار ويشتمل كل منها على اجسام مختلفة الاشكال والطباع
مع اتحاد المواد ونسبة الطبايع السفلية والتاثيرات الفلكية الى الكل
علم ان ذلك ليس الا بفعل فاعل مختار مقدس عن منازعة الاضداد والانداد
ولعل فصل الاية لذلك وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم
بان هياها لمنافعكم مسخرات بامره حال من الجميع اي نفعكم بها حال كونها
مسخرات لله خلقها ودبرها كيف شاء او لما خلقن له بايجاده وتقديره او لحكمه
وفيه ايذان بالجواب عما عسى يقال ان المؤثر في تكوين النبات حركات الكواكب
واوضاعها فان ذلك ان سلم فلا ريب في انها ايضا ممكنة الذات والصفات
واقعة على بعض الوجوه المحتملة فلا بد لها من موجد مخصص مختار واجب
الوجود دفعا للدور والتسلسل او مصدر ميمي جمع لاختلاف النوع وقرا حفص
والنجوم مسخرات على الابتداء والخبر فيكون تعميما للحكم بعد تخصيصه ورفع
ابن عامر الشمس والقمر ايضا ان في ذلك لايات لقوم يعقلون جمع الاية
وذكر العقل لانها تدل انواعا من الدلالة ظاهرة لذوي العقول السليمة
غير محوجة الى استيفاء فكر كاحوال النبات وما ذرا لكم في الارض عطف
على الليل اي وسخر لكم ما خلق لكم فيها من حيوان ونبات مختلفا الوانه
اصنافه فانها تتخالف باللون غالبا ان في ذلك لاية لقوم يذكرون
ان اختلافها في الطباع والهيئات والمناظر ليس الا بصنع صانع حكيم وهو
الذي سخر البحر جعله بحيث تتمكنون من الانتفاع به بالركوب والاصطياد
والغوص لتاكلوا منه لحما طريا هو السمك ووصفه بالطراوة لانه ارطب
اللحوم يسرع اليه الفساد فيسارع الى اكله ولاظهار قدرته في خلقه عذبا
طريا في ماء زعاق وتمسك به مالك والثوري على ان من حلف ان لا
ياكل لحما حنث باكل السمك واجيب عنه بان مبنى الايمان على العرف وهو لا يفهم
منه عند الاطلاق الا ترى ان الله سمى الكافر دابة ولا يحنث الحالف على
ان لا يركب دابة بركوبه وتستخرجوا منه حلية تلبسونها كاللؤلؤ والمرجان
اي يلبسها نساؤكم فاسند اليهم لانهن من جملتهم ولانهن يتزين بها لاجلهم
وترى الفلك السفن مواخر فيه جواري فيه تشقه بحيزومها من المخر
وهو شق الماء وقيل صوت جري الفلك ولتبتغوا من فضله من سعة رزقه

تركبونها

بركوبها للتجارة ولعلكم تشكرون اي تعرفون نعم الله فتقومون بحقها
ولعل تخصيصه بتعقيب الشكر لانه اقوى في باب الانعام من حيث انه جعل
المهالك سببا للانتفاع وتحصيل المعاش والقى في الارض رواسي جبالا رواسي
ان تميد بكم كراهة ان تميل بكم وتضطرب وذلك لان الارض قبل ان يخلق
فيها الجبال كانت كرة خفيفة بسيطة الطبع وكان من حقها ان تتحرك بالاستدارة
كالافلاك او ان تتحرك بادنى سبب للتحريك فلما خلقت الجبال على وجهها
تفاوتت جوانبها وتوجهت الجبال بثقلها نحو المركز فصارت كالاوتاد
التي تمنعها عن الحركة وقيل لما خلق الله الارض جعلت تمور فقالت الملائكة
ما هي بمقر احد على ظهرها فاصبحت وقد ارسيت بالجبال وانهارا وجعل
فيها انهارا لان القى فيه معناه وسبلا لعلكم تهتدون لمقاصدكم
او الى معرفة الله وعلامات معالم يستدل بها السابلة من جبل ومنهل وريح
ونحو ذلك وبالنجم هم يهتدون بالليل في البراري والبحار والمراد بالنجم
الجنس ويدل عليه قراءة وبالنجم بضمتين وضمة وسكون على الجمع وقيل الثريا
والفرقدان وبنات نعش والجدي ولعل الضمير لقريش لانهم كانوا كثيري
الاسفار للتجارة مشهورين بالاهتداء في مسايرهم بالنجوم واخراج الكلام
عن سنن الخطاب وتقديم النجم واقحام الضمير للتخصيص كانه قيل وبالنجم خصوصا
هؤلاء خصوصا يهتدون فالاعتبار بذلك والشكر عليه الزم لهم واوجب عليهم
افمن يخلق كمن لا يخلق انكار بعد اقامة الدلائل المتكاثرة على كمال قدرته
وتناهي حكمته والتفرد بخلق ما عدد من مبدعاته لان يساويه ويستحق مشاركته
ما لا يقدر على خلق شيء من ذلك بل على ايجاد شيء ما وكان حق الكلام افمن لا
يخلق كمن يخلق لكنه عكس تنبيها على انهم بالاشراك بالله جعلوه من جنس المخلوقات
العجزة شبيها بها والمراد بمن لا يخلق كل ما عبد من دون الله مغلبا فيه اولو
العلم منهم او الاصنام واجراؤها مجرى اولي العلم لانهم سموها الهة ومن
حق الاله ان يعلم او للمشاكلة بينه وبين من يخلق او للمبالغة وكانه قيل
ان من يخلق ليس كمن لا يخلق من اولي العلم فكيف بما لا علم عنده افلا تذكرون
فتعرفوا فساد ذلك كله فانه لجلائه كالحاصل للعقل الذي يحضر عنده بادنى
تذكر والتفات وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها لا تضبطوا عددها
فضلا ان تطيقوا القيام بشكرها اتبع ذلك تعداد النعم والزام الحجة على
تفرده باستحقاق العبادة تنبيها على ان وراء ما عدد نعما لا تنحصر وان حق

عبادته غير معتد وان الله لغفور حيث يتجاوز عن تقصيركم في اداء شكرها
رحيم لا يقطعها لتفريطكم فيه ولا يعاجلكم بالعقوبة على كفرانها والله يعلم
ما تسرون وما تعلنون من عقائدكم واعمالكم وهو وعيد وتزييف للشرك
باعتبار العلم والذين تدعون من دون الله اي والالهة الذين تعبدونهم
من دونه وقرأ ابو بكر يدعون بالياء وقرأ حفص ثلثها بالياء لا يخلقون شيئا
لما نفى المشاركة بين من يخلق ومن لا يخلق بين انها لا تخلق شيئا لينتج انهم
لا يشاركونه ثم اكد ذلك بان اثبت لهم صفات تنافي الالوهية فقال
وهم يخلقون لانها ذوات ممكنة مفتقرة الوجود الى التخليق والاله
ينبغي ان يكون واجب الوجود اموات هم اموات لا تعتريهم الحيوة او اموات
حالا او مالا غير احياء بالذات ليتناول كل معبود والاله ينبغي ان يكون
حيا بالذات لا يعتريه الممات وما يشعرون ايان يبعثون ولا يعلمون
وقت بعثهم او بعث عبدتهم فكيف يكون لهم وقت جزاء على عبادتهم
والاله ينبغي ان يكون عالما بالغيوب مقدرا للثواب والعقاب وفيه تنبيه
على ان البعث من توابع التكليف الهكم اله واحد تكرير للمدعى بعد اقامة
الحجج فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون بيان
لما اقتضى اصرارهم بعد وضوح الحق وذلك عدم ايمانهم بالآخرة فان المؤمن
بها يكون طالبا للدلائل متأملا فيما يسمع فينتفع به والكافر بها يكون حاله
بالعكس وانكار قلوبهم ما لا يعرف الا بالبرهان اتباعا للاسلاف وركونا
الى المألوف فانه ينافي النظر والاستكبار عن اتباع الرسول وتصديقه والالتفات
الى قوله والاول هو العمدة في الباب ولذلك رتب عليه ثبوت الاخرين لا جرم
حقا ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون فيجازيهم وهو في موضع الرفع
بجرم لانه مصدر او فعل انه لا يحب المستكبرين فضلا عن الذين استكبروا
عن توحيده او اتباع الرسول واذا قيل لهم ماذا انزل ربكم القائل بعضهم
على التهكم او الوافدون عليهم او المسلمون قالوا اساطير الاولين اي ما تدعون
نزوله او المنزل اساطير الاولين وانما سموه منزلا على التهكم او على الفرض
اي على تقدير انه منزل فهو اساطير لا تحقيق فيه والقائلون له قيل هم المقتسمون
ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيمة اي قالوا ذلك اضلالا للناس فحملوا اوزار
ضلالهم كاملة فان اضلالهم نتيجة رسوخهم في الضلال ومن اوزار الذين
يضلونهم وبعض اوزار ضلال من يضلونهم وهو حصة التسبب بغير علم حال

من

من المفعول اي يضلون من لا يعلم انهم ضلال وفائدتها الدلالة على ان
جهلهم لا يعذرهم اذ كان عليهم ان يبحثوا ويميزوا بين المحق والمبطل الا ساء ما
يزرون بئس شيئا يزرونه فعلهم قد مكر الذين من قبلهم اي سووا منصوبات
ليمكروا بها رسل الله فاتى الله بنيانهم من القواعد فاتاها امره من جهة
العمد التي بنوا عليها بان ضعضعت فخر عليهم السقف من فوقهم وصار
سبب هلاكهم واتاهم العذاب من حيث لا يشعرون لا يحتسبون ولا
يتوقعون وهو على سبيل التمثيل وقيل المراد به نمرود بن كنعان بنى الصرح
ببابل سمكه خمسة آلاف ذراع ليترصد امر السماء فاهب الله الريح فخر عليه وعلى
قومه فهلكوا ثم يوم القيمة يخزيهم يذلهم او يعذبهم بالنار لقوله ربنا انك
من تدخل النار فقد اخزيته ويقول اين شركاءي اضاف الى نفسه استهزاء
او حكاية لاضافتهم زيادة في توبيخهم وقرأ البزي بخلاف عنه اين شركاي
بغير همزة والباقون بهمزة الذين كنتم تشاقون فيهم تعادون المؤمنين في
شأنهم وقرأ نافع بكسر النون بمعنى تشاقونني فان مشاقة المؤمنين كمشاقة الله
قال الذين اوتوا العلم اي الانبياء والعلماء الذين كانوا يدعونهم الى التوحيد
فيشاقونهم ويتكبرون عليهم او الملائكة ان الخزي اليوم والسوء الذلة
والعذاب على الكافرين وفائدة قولهم اظهار الشماتة وزيادة الاهانة
وحكايته لان يكون لطفا لمن سمعه الذين تتوفاهم الملائكة وقرأ حمزة بالياء
وقرأ البزي بادغام التاء في التاء وموضع الموصول يحتمل الاوجه الثلاثة
ظالمي انفسهم بان عرضوها للعذاب المخلد فالقوا السلم فسالموا واخبتوا
حين عاينوا العذاب ما كنا نعمل من سوء قائلين ما كنا نعمل من سوء كفر وعدوان
ويجوز ان يكون تفسيرا للسلم على ان المراد به القول الدال على الاستسلام
بلى اي فتجيبهم الملائكة بلى ان الله عليم بما كنتم تعملون فهو يجازيكم عليه
وقيل قوله فالقوا السلم الى آخر الآية استيناف ورجوع الى شرح حالهم يوم
القيمة وعلى هذا اول من لم يجوز الكذب يومئذ ما كنا نعمل من سوء بانا لم نكن
في زعمنا واعتقادنا عاملين سوءا واحتمل ان يكون الراد عليهم هو الله
او اولوا العلم فادخلوا ابواب جهنم كل صنف بابها المعد له وقيل ابواب
جهنم اصناف عذابها خالدين فيها فلبئس مثوى المتكبرين جهنم وقيل
للذين اتقوا يعني المؤمنين ماذا انزل ربكم قالوا خيرا اي انزل خيرا وفي
نصبه دليل على انهم لم يتلعثموا في الجواب واطبقوا على السؤال معترفين

بالان ال على خلاف الكفرة روي ان احيا العرب كانوا يبعثون ايام
الموسم من ياتيهم بخبر النبي صلى الله عليه وسلم فاذا جا الوافد المقتسمين
قالوا له ما قالوا واذا جا المومنين قالوا له ذلك للذين احسنوا في هذه
الدنيا حسنة مكافاة في الدنيا ولدار الاخرة خير اي ولثوابهم في الاخرة
خير منها وهو عدة للذين اتقوا على قولهم ويجوز ان يكون بما بعده حكاية
لقولهم بدلا وتفسيرا لخيرا على انه منتصب بقالوا ولنعم دار المتقين دار
الاخرة فحذفت لتقدم ذكرها وقوله جنات عدن خبر مبتدا محذوف ويجوز
ان يكون المخصوص بالمدح يدخلونها تجري من تحتها الانهار لهم فيها
ما يشاوون من انواع المشتهيات وفي تقديم الظرف تنبيه على ان الانسان
لا يجد جميع ما يريده الا في الجنة كذلك يجزي الله المتقين مثل هذا
الجزا يجزيهم وهو يويد الوجه الاول الذين تتوفاهم الملئكة طيبين
طاهرين من ظلم انفسهم بالكفر والمعاصي لانه في مقابلة ظالمي انفسهم وقيل
فرحين ببشارة الملائكة اياهم بالجنة او طيبين بقبض ارواحهم لتوجه
نفوسهم بالكلية الى حضرة القدس يقولون سلام عليكم لا يحيقكم
بعد مكروه ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون حين تبعثون فانها معدة
لكم على اعمالكم وقيل هذا التوفي وفاة الحشر لان الامر بالدخول حينئذ
هل ينظرون ما ينتظر الكفار المار ذكرهم الا ان تاتيهم الملائكة لقبض
ارواحهم وقرا حمزة والكسائي بالياء او ياتي امر ربك القيامة او العذاب
المستاصل كذلك مثل ذلك الفعل من الشرك والتكذيب فعل الذين
من قبلهم فاصابهم ما اصابوا وما ظلمهم الله بتدميرهم ولكن كانوا
انفسهم يظلمون بكفرهم ومعاصيهم المودية اليه فاصابهم سيئات
ما عملوا اي جزا سيئات اعمالهم على حذف المضاف او تسمية الجزا باسمها
وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون واحاط بهم جزاوه والحيق لا يستعمل
الا في الشر وقال الذين اشركوا لو شا الله ما عبدنا من دونه من شي
نحن ولا اباونا ولا حرمنا من دونه من شي انما قالوا ذلك استهزا ومنعا
للبعثة والتكليف متمسكين بان ما شا الله يجب وما لم يشا يمتنع فما الفائدة
فيهما او انكارا لقبح ما انكر عليهم من الشرك وتحريم البحاير ونحوها
محتجين بانها لو كانت مستقبحة لما شا الله صدورها عنهم ولشا خلافه
ملجئا اليه لا اعتذارا اذ لم يعتقدوا قبح اعمالهم وفيما بعده تنبيه على الجواب

من الشبهتين كذلك فعل الذين من قبلهم فاشركوا بالله وحرموا حله وردوا
رسله فهل على الرسل الا البلاغ المبين الا الابلاغ الموضح للحق وهو ان لم
يوثر في هدى من شا الله هداه لكنه يودي اليه على سبيل التوسط وما شا
الله وقوعه لا مطلقا بل باسباب قدرها له ثم بين ان البعثة امر جرت به السنة
الالهية في الامم كلها سببا لهدى من اراد اهتداه وزيادة لضلال من اراد
ضلاله كالغذا الصالح فانه ينفع المزاج السوي ويقويه ويضر المنحرف ويفنيه
ثم بين بقوله ولقد بعثنا في كل امة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا
الطاغوت بامر بعبادة الله واجتناب الطاغوت فمنهم من هدى الله
وفقهم للايمان بارشادهم ومنهم من حقت عليه الضلالة اذ لم يوفقهم ولم
يرد هداهم وفيه تنبيه على فساد الشبهة الثانية من الدلالة على ان تحقق الضلال
وثباته بفعل الله وارادته من حيث انه قسيم من هدى الله وقد صرح به في
الاية الاخرى فسيروا في الارض يا معشر قريش فانظروا كيف كان عاقبة
المكذبين من عاد وثمود وغيرهم لعلكم تعتبرون ان تحرص يا محمد على هداهم
فان الله لا يهدي من يضل من يريد ضلاله وهو المعني بمن حقت عليه الضلالة
وقرا غير الكوفيين لا يهدى على البنا للمفعول وهو ابلغ وما لهم من ناصرين
من ينصرهم ويدفع العذاب عنهم واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث
الله من يموت عطف على وقال الذين اشركوا ايذانا بانهم كما انكروا التوحيد
انكروا البعث مقسمين عليه زيادة في البت على فساده ولقد رد الله عليهم
ابلغ رد فقال بلى يبعثهم وعدا مصدر موكد لنفسه وهو ما دل عليه بلى
فان يبعث موعد من الله عليه انجازه لامتناع الخلف في وعده او لان
البعث مقتضى حكمته حقا صفة اخرى للوعد ولكن اكثر الناس لا يعلمون
انهم يبعثون اما لعدم علمهم بانه من مواجب الحكمة التي جرت عادته
بمراعاتها واما لقصور نظرهم بالمالوف فيتوهمون امتناعه ثم انه تعالى
بين الامرين فقال ليبين لهم اي يبعثهم ليبين لهم الذي يختلفون فيه
وهو الحق وليعلم الذين كفروا انهم كانوا كاذبين فيما كانوا يزعمون
وهو اشارة الى السبب الداعي الى البعث المقتضي له من حيث الحكمة وهو المميز
بين الحق والباطل والمحق والمبطل بالثواب والعقاب ثم قال انما قولنا
لشي اذا اردناه ان نقول له كن فيكون وهو بيان امكانه وتقريره
تكوين الله تعالى بمحض قدرته ومشيته لا توقفه على سبق المواد والمدد

ولا لزم التسلسل وكما امكن له تكوين الاشيا ابتدا بلا سبق مادة ومثال
امكن له تكوينها اعادة بعده ونصبه ابن عامر والكسائي فيكون عطفا على
يقول او جوابا للامر والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا هم رسول الله
صلى الله عليه وسلم واصحابه المهاجرون ظلمهم قريش فهاجر بعضهم الى
الحبشة ثم الى المدينة وبعضهم الى المدينة او المحبوسون المعذبون بمكة
بعد هجرة رسول الله وهم بلال وصهيب وخباب وعمار وعابس وابو جندل
وسهيل وقوله في الله اي في حقه ولوجهه لنبوئنهم في الدنيا حسنة مباءة
حسنة وهي المدينة او تبوئة حسنة ولاجر الاخرة اكبر مما تعجل لهم
في الدنيا وعن عمر رضي الله عنه انه كان اذا اعطى رجلا من المهاجرين عطا
قال له خذ بارك الله لك فيه هذا ما وعدك الله في الدنيا وما ادخر لك
في الاخرة افضل لو كانوا يعلمون الضمير للكفار اي لو علموا ان الله يجمع
لهؤلا المهاجرين خير الدارين لوافقوهم او للمهاجرين اي لو علموا ذلك
لزادوا في اجتهادهم وصبرهم الذين صبروا على الشدائد كاذى الكفرة
ومفارقة الوطن ومحله النصب او الرفع على المدح وعلى ربهم يتوكلون منقطعين
الى الله مفوضين اليه الامر كله وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم رد
لقول قريش الله اعظم من ان يكون رسوله بشرا اي جرت السنة الالهية
بان لا يبعث للدعوة العامة الا بشرا يوحي اليه على السنة الملائكة والحكمة في
ذلك قد ذكرت في سورة الانعام فان شككتم فيه فاسألوا اهل الذكر اهل
الكتاب وعلما الاخبار ليعلموكم ان كنتم لا تعلمون وفي الاية دليل على انه
تعالى لم يرسل امراة ولا ملكا للدعوة العامة واما قوله جاعل الملائكة
رسلا معناه رسلا الى الملائكة او الى الانبيا وقيل لم يبعثوا الى الانبيا
الا متمثلين بصورة الرجال ورد بما روي انه صلى الله عليه وسلم راى جبريل
صلوات الله عليه على صورته التي هو عليها مرتين وعلى وجوب المراجعة
الى العلما فيما لا يعلم بالبينات والزبر اي ارسلناهم بالبينات والزبر اي
المعجزات والكتب كانه جواب قائل بم ارسلوا ويجوز ان يتعلق بما ارسلنا
داخلا في الاستثنا مع رجالا اي وما ارسلنا الا رجالا بالبينات كقولك
ما ضربت الا زيدا بالسوط او صفة لهم اي رجالا ملتبسين بالبينات
او بيوحي على المفعولية او حالا من القائم مقام فاعله وهو اليهم على ان قوله
فاسألوا اعتراض او بلا يعلمون على ان الشرط للتبكيت والالزام وانزلنا

اليك

الايات الذكر اي القران وانما سمي ذكرا لانه موعظة وتنبيه لتبين للناس ما
نزل اليهم في الذكر بتوسط انزاله اليك مما امروا به ونهوا عنه ومما تشابه
عليهم والتبيين اعم من ان ينص بالمقصود او يرشد الى ما يدل عليه كالقياس ودليل
العقل ولعلهم يتفكرون وارادة ان يتاملوا فيه فيتنبهوا للحقائق افامن الذين
مكروا السيئات اي المكرات السيئات وهم الذين احتالوا لهلاك الانبيا
او الذين مكروا برسول الله صلى الله عليه وسلم وراموا صد اصحابه عن الايمان
ان يخسف الله بهم الارض كما خسف بقارون او ياتيهم العذاب من حيث
لا يشعرون بغتة من جانب السما كما فعل بقوم لوط او ياخذهم في تقلبهم
اي متقلبين في مسايرهم ومتاجرهم فما هم بمعجزين او ياخذهم على تخوف
على مخافة بان يهلك قوما قبلهم فيتخوفوا فياتيهم العذاب وهم متخوفون
او على ان ينقصهم شيا بعد شي في انفسهم واموالهم حتى يهلكوا من تخوفته اذا
تنقصته روي ان عمر رضي الله عنه قال على المنبر ما تقولون فيها فسكتوا
فقام شيخ من هذيل فقال هذه لغتنا التخوف التنقص فقال هل تعرف العرب ذلك
في اشعارها قال نعم قال شاعرنا ابو كبير يصف ناقته تخوف الرحل منها
تامكا قردا كما تخوف عود النبعة السفن فقال عمر عليكم بديوانكم لا تضلوا
فقالوا وما ديواننا قال شعر الجاهلية فان فيه تفسير كتابكم ومعاني كلامكم
فان ربكم لرءوف رحيم حيث لا يعاجلكم بالعقوبة اولم يروا الى ما خلق
الله من شي استفهام انكار اي قد راوا امثال هذه الصنائع فما بالهم لم يتفكروا
فيها ليظهر لهم كمال قدرته وقهره فيخافوا منه وما موصولة مبهمة بيانها
وقرا حمزة والكسائي تروا بالتا وقرا ابو عمرو تتفيؤ بالتا يتفيؤا ظلاله اي
اولم ينظروا الى المخلوقات التي لها ظلال متفيئة عن اليمين والشمائل عن ايمانها
وشمائلها اي عن جانبي كل واحد منها استعارة من يمين الانسان وشماله ولعل
توحيد اليمين وجمع الشمائل باعتبار اللفظ والمعنى كتوحيد الضمير في ظلاله
وجمعه في قوله سجدا لله وهم داخرون وهما حالان من الضمير في ظلاله
والمراد من السجود الاستسلام سوا كان بالطبع او الاختيار يقال سجدت
النخلة اذا مالت لكثرة الحمل وسجد البعير اذا طاطا راسه ليركب او سجدا
حال من الظلال وهم داخرون حال من الضمير والمعنى يرجع الظلال بارتفاع
الشمس وانحدارها او باختلاف مشارقها ومغاربها بتقدير الله تعالى من
جانب الى جانب منقادة لما قدر لها من التفيؤ او واقعة على الارض ملتصقة

ين

نها

بهما على هيئة الساجد والاجرام في انفسها ايضا داخرة اي صاغرة منقادة
لافعال الله تعالى فيها وجمع داخرون بالواو لان من جملتها من يعقل او لان
الدخور من اوصاف العقلاء وقيل المراد باليمين والشمائل يمين الفلك وهو
جانبه الشرقي لان الكواكب تظهر منه آخذة في الارتفاع والسطوع وشماله
وهو الجانب الغربي المقابل له فان الظلال في اول النهار تبتدي من المشرق
واقعة على الربع الغربي ولله يسجد ما في السموات وما في الارض اي ينقاد
انقيادا يعم الانقياد لارادته وتأثيره طبعا والانقياد لتكليفه وامره
طوعا ليصح اسناده الى عامة اهل السموات والارض وقوله من دابة بيان
لهما لان الدبيب هي الحركة الجسمانية سواء كان في ارض او سماء والملائكة
عطف على المبين به عطف جبريل عليه السلام على الملائكة للتعظيم او عطف
المجردات على الجسمانيات وبه احتج من قال ان الملائكة ارواح مجردة او بيان
لما في الارض والملائكة تكرير لما في السموات وتعيين له اجلالا وتعظيما
او المراد بها ملائكتها من الحفظة وغيرهم وما لما استعمل للعقلاء كما
استعمل لغيرهم كان استعماله حيث اجتمع القبيلان اولى من اطلاق من
تغليبا للعقلاء وهم لا يستكبرون عن عبادته يخافون ربهم من فوقهم
يخافونه ان يرسل عذابا من فوقهم او يخافونه وهو فوقهم بالقهر
لقوله وهو القاهر فوق عباده والجملة حال من الضمير في لا يستكبرون
او بيان له وتقرير لان من خاف الله لم يستكبر عن عبادته ويفعلون ما
يؤمرون من الطاعة والتدبير وفيه دليل على ان الملائكة مكلفون مدارون
بين الخوف والرجاء وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين ذكر العدد مع ان
المعدود يدل عليه دلالة على ان مساق النهي اليه او ايماء بان الاثنينية
تنافي الالهية كما ذكر الواحد في قوله انما هو اله واحد للدلالة على
المقصود اثبات الوحدانية دون الالهية او للتنبيه على ان الوحدة
من لوازم الالهية فاياي فارهبون نقل من الغيبة الى التكلم مبالغة
في الترهيب وتصريحا بالمقصود كانه قال فانا ذلك الاله الواحد فاياي
فارهبون لا غير وله ما في السموات والارض خلقا وملكا وله الدين
اي الطاعة واصبا لازما لما تقرر من انه الاله وحده والحقيق بان
يرهب منه وقيل واصبا من الوصب اي وله الدين ذا كلفة وقيل الدين الجزاء
اي وله الجزاء دائما لا ينقطع ثوابه لمن آمن وعقابه لمن كفر افغير الله تتقون

ولا ضار سواه كما لا نافع غيره كما قال وما بكم من نعمة فمن الله واي شيء اتصل
بكم من نعمة فهو من الله وما شرطية او موصولة متضمنة معنى الشرط باعتبار الاخبار
دون الحصول فان استقرار النعمة بهم يكون سببا للاخبار بانها من الله لا
لحصولها منه ثم اذا مسكم الضر فاليه تجأرون فما تتضرعون الا اليه
والجؤار رفع الصوت في الدعاء والاستغاثة ثم اذا كشف الضر عنكم
اذا فريق منكم بربهم يشركون وهم كفاركم ليكفروا بعبادة غيره
هذا اذا كان الخطاب عاما فان كان خاصا بالمشركين كان من للبيان كانه
قال فاذا فريق وهم انتم ويجوز ان يكون من للتبعيض على ان يعتبر بعضهم
كقوله فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد ليكفروا بما آتيناهم من نعمة الكشف عنهم
كانهم قصدوا بشركهم كفران النعمة او انكار كونها من الله فتمتعوا امر تهديد
فسوف تعلمون اغلظ وعيده وقرئ فيمتعوا مبنيا للمفعول عطفا على ليكفروا
وعلى هذا جاز ان يكون اللام لام الامر الوارد للتهديد والفاء للجواب
ويجعلون لما لا يعلمون اي لآلهتهم التي لا علم لها لانها جماد فيكون الضمير
او التي لا يعلمونها فيعتقدون فيها جهالات مثل انها تنفعهم وتشفع لهم على
ان العائد الى ما محذوف او لجهلهم على ان ما مصدرية والمجعول له محذوف للعلم
به نصيبا مما رزقناهم من الزرع والانعام تالله لتسألن عما كنتم تفترون
من انها آلهة حقيقة بالتقرب اليها وهو وعيد لهم عليه ويجعلون لله البنات
كانت خزاعة وكنانة يقولون الملائكة بنات الله سبحانه تنزيه له من قولهم
او تعجب منه ولهم ما يشتهون يعني البنين ويجوز فيما يشتهون الرفع بالابتداء
والنصب بالعطف على البنات على ان الجعل بمعنى الاختيار وهو وان افضى الى
ان يكون ضمير الفاعل والمفعول لشيء واحد لكنه لا يبعد تجويزه في المعطوف
واذا بشر احدهم بالانثى اخبر بولادتها ظل وجهه صار او دام النهار
كله مسودا من الكآبة والحياء من الناس واسوداد الوجه كناية عن الاغتمام
والتشوير وهو كظيم مملو غيظا من المرأة يتوارى من القوم يستخفي منهم
من سوء ما بشر به من سوء المبشر به عرفا ايمسكه محدثا نفسه متفكرا في ان
يتركه على هون ذل ام يدسه في التراب ام يخفيه ويئده وتذكير الضمير للفظ
ما وقرئ بالتأنيث فيهما الا ساء ما يحكمون حيث يجعلون لمن تعالى عن الولد
ما هذا محله عندهم للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء صفة السوء
وهي الحاجة الى الولد المنادية بالموت واستبقاء الذكور استظهارا بهم وكرا

الاناث وودهم خشية الاملاق ولله المثل الاعلى وهو الوجوب الذاتي
والغنى المطلق والجود الفايق والنزاهة عن صفات المخلوقين وهو العزيز
الحكيم المتفرد بكمال القدرة ولو يواخذ الله الناس بظلمهم بكفرهم ومعاصيهم
ما ترك عليها على الارض وانما اضمرها من غير ذكر لدلالة الناس والدابة
عليها من دابة قط بشوم ظلمهم وعن ابن مسعود رضى الله عنه كاد الجعل
يهلك في جحره بذنب ادم او من دابة ظالمة وقيل لو اهلك الاباء بكفرهم
لم يكن الابناء ولكن يوخرهم الى اجل مسمى سماه لاعمارهم او لعذابهم
كي يتوالدوا فاذا جاء اجلهم لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون بل
هلكوا او عذبوا حينئذ لا محالة ولا يلزم من عموم الناس واضافة الظلم
اليهم ان يكونوا كلهم ظالمين حتى الانبيا عليهم الصلوة والسلام لجواز ان يضاف
اليهم ما شاع فيهم وصدر عن اكثرهم ويجعلون لله ما يكرهون اي ما
يكرهونه لانفسهم من البنات والشركا في الرياسة والاستخفاف بالرسل
وارذال الاموال وتصف السنتهم الكذب مع ذلك وهو ان لهم الحسنى
اي عند الله كقوله ولين رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى وقري الكذب
جمع كذوب صفة للالسنة لا جرم ان لهم النار رد لكلامهم واثبات لضده
وانهم مفرطون مقدمون الى النار من افرطته في طلب الما اذا قدمته وقرا
نافع بكسر الرا على انه من الافراط في المعاصي وقري بالتشديد مفتوحا من فرطته
في طلب الما ومكسورا من التفريط في الطاعات تالله لقد ارسلنا الى امم
من قبلك فزين لهم الشيطان اعمالهم فاصروا على قبايحها وكفروا
بالمرسلين فهو وليهم اليوم اي في الدنيا وعبر باليوم عن زمانها او فهو
وليهم حين كان يزين لهم او يوم القيامة على انه حكاية حال ماضية
او اتية ويجوز ان يكون الضمير لقريش اي زين الشيطان للكفرة المتقدمين
اعمالهم وهو ولي هولا اليوم يغرهم ويغوي بهم وان يقدر مضاف اي فهو
ولي امثالهم والولي القرين او الناصر فيكون نفيا للناصر لهم على ابلغ الوجوه
ولهم عذاب اليم في القيمة وما انزلنا عليك الكتاب الا لتبين
للناس الذي اختلفوا فيه من التوحيد والقدر واحوال المعاد واحكام الافعال
وهدى ورحمة لقوم يومنون معطوفان على محل لتبين فانهما فعلا المنزل
بخلاف التبيين والله انزل من السما ما فاحيا به الارض بعد موتها
انبت فيها انواع النبات بعد يبسها ان في ذلك لاية لقوم يسمعون

سماع

سماع تدبر وانصاف وان لكم في الانعام لعبرة دلالة يعبر بها من الجهل
الى العلم نسقيكم مما في بطونه استيناف لبيان العبرة وانما ذكر
الضمير ووحده ههنا للفظ وانثه في سورة المومنين للمعنى فان الانعام
اسم جمع ولذلك عده سيبويه في المفردات المبنية على افعال كاخلاق واكياش
ومن قال انه جمع نعم جعل الضمير للبعض فان اللبن لبعضها دون جميعها
او لواحده او له على المعنى فان المراد به الجنس وقرا نافع وابن عامر وابو بكر
ويعقوب نسقيكم بالفتح ههنا وفي المومنين من بين فرث ودم لبنا فانه
يخلق من بعض اجزا الدم المتولد من الاجزا اللطيفة التي في الفرث وهو الاشيا
الماكولة المنهضمة بعض الانهضام في الكرش وعن ابن عباس رضي الله عنهما
ان البهيمة اذا اعتلفت وانطبخ العلف في كرشها كان اسفله فرثا واوسطه
لبنا واعلاه دما ولعله ان صح فالمراد ان اوسطه يكون مادة اللبن واعلاه
مادة الدم الذي يغذي البدن لانهما لا يتكونان في الكرش بل الكبد
يجذب صفاوة الطعام المنهضم في الكرش ويبقى ثفله وهو الفرث ثم يمسكها
ريثما يهضمها هضما ثانيا فيحدث اخلاطا اربعة معها مائية فتميز القوة
المميزة تلك المائية بما زاد على قدر الحاجة من المرتين وتدفعها الى الكلية
والمرارة والطحال ثم توزع الباقي على الاعضا بحسبها فيجري الى كل حقه
على ما يليق به بتقدير الحكيم العليم ثم ان كان الحيوان انثى زاد اخلاطها
على قدر غذائها لاستيلا البرد والرطوبة على مزاجها فيندفع الزايد اولا
الى الرحم لاجل الجنين فاذا انفصل انصب ذلك الزايد او بعضه الى الضروع
فيبيض لمجاورة لحومها الغددية البيض فيصير لبنا ومن تدبر صنع الله في احداث
الاخلاط والالبان واعداد مقارها ومجاريها والاسباب المولدة لها
والقوي المتصرفة فيها كل وقت على ما يليق به اضطر الى الاقرار بكمال حكمته
وتناهي رحمته ومن الاولى تبعيضية لان اللبن بعض ما في بطونها والثانية
ابتدائية كقولك سقيت من الحوض لان بين الفرث والدم المحل الذي يبتدا
منه الاسقا وهي متعلقة بنسقيكم او حال من لبنا قدمت عليه لتنكيره وللتنبيه
على انه موضع العبرة خالصا صافيا لا يستصحبه لون الدم ولا رايحة
الفرث او مصفى عما يصحبه من الاجزا الكثيفة بتضييق مخرجه سايغا للشاربين
سهل المرور في حلقهم وقري بالتشديد والتخفيف ومن ثمرات النخيل والاعناب
متعلق بمحذوف اي ونسقيكم من ثمرات النخيل والاعناب اي من عصيرهما

وقوله تتخذون منه سكرا استيناف لبيان الاسقاء او بتتخذون ومنه
تكرير للظرف تاكيدا او خبر لمحذوف صفته تتخذون اي ومن ثمرات
النخيل والاعناب ثمر تتخذون منه وتذكير الضمير على الوجهين لانه للمضاف
المحذوف الذي هو العصير او لان الثمرات بمعنى الثمر والسكر مصدر
سمي به الخمر ورزقا حسنا كالتمر والزبيب والدبس والخل والاية ان
كانت سابقة على تحريم الخمر فدالة على كراهتها والا فجامعة بين العتاب
والمنة وقيل السكر النبيذ وقيل الطعم قال جعلت اعراض الكرام سكرا
اي تنقلت باعراضهم وقيل ما يسد الجوع من السكر فيكون الرزق ما
يحصل من اثمانه ان في ذلك لاية لقوم يعقلون يستعملون عقولهم
بالنظر والتامل في الايات واوحى ربك الى النحل الهمها وقذف في
قلوبها وقرئ الى النحل بفتحتين ان اتخذي بان اتخذي ويجوز ان تكون
مفسرة لان في الايحاء معنى القول وتانيث الضمير على المعنى فان النحل
مذكر من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون ذكر بحرف التبعيض
لانها لا تبني في كل جبل وكل شجر وكل ما يعرش من كرم او سقف ولا في
كل مكان منها وانما سمي ما تبنيه لتتعسل فيه بيتا تشبيها ببناء الانسان
لما فيه من حسن الصنعة وصحة القسمة التي لا يقوى عليها حذاق المهندسين
الا بالات وانظار دقيقة ولعل ذكره للتنبيه على ذلك وقرئ بيوتا بكسر الباء
للياء وقرا ابو بكر وابن عامر يعرشون بضم الراء ثم كلي من كل الثمرات من
كل ثمرة تشتهينها مرها وحلوها فاسلكي ما اكلت سبل ربك في مسالكه
التي يحيل فيها بقدرته النور المر عسلا من اجوافك او فاسلكي الطرق
التي الهمك في عمل العسل او فاسلكي راجعة الى بيوتك سبل ربك
لا تتوعر عليك ولا تلتبس ذللا جمع ذلول وهي حال من السبل اي مذللة
ذللها الله وسهلها لك او من الضمير في اسلكي اي وانت ذلل منقادة
لما امرت به يخرج من بطونها عدل به عن خطاب النحل الى خطاب الناس
لانه محل الانعام عليهم والمقصود من خلق النحل والهامه لاجلهم شراب
يعني العسل لانه مما يشرب واحتج به من زعم ان النحل تاكل الازهار والاوراق
العطرة فيستحيل في باطنها عسلا ثم تقي ادخارا للشتاء ومن زعم انها تلتقط
بافواهها اجزاء طلية حلوة صغيرة متفرقة على الاوراق والازهار وتضعها
في بيوتها ادخارا فاذا اجتمع في بيوتها شيء كثير منها كان العسل فسر البطون

بالافواه

بالافواه مختلف الوانه ابيض واحمر واصفر واسود بسبب اختلاف
سن النحل او الفصل فيه شفاء للناس اما بنفسه كما في الامراض البلغمية او مع
غيره كما في سائر الامراض اذ قل ما يكون معجون الا والعسل جزء منه مع ان
التنكير فيه مشعر بالتبعيض ويجوز ان يكون للتعظيم وعن قتادة ان رجلا
جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان اخي يشتكي بطنه فقال اسقه
العسل فذهب ثم رجع فقال قد سقيته فما نفع فقال اذهب فاسقه عسلا
فقد صدق الله وكذب بطن اخيك فسقاه فشفاه الله فبرأ فكانما انشط من عقال
وقيل الضمير للقران او لما بين الله من احوال النحل ان في ذلك لاية لقوم
يتفكرون فان من تدبر اختصاص النحل بتلك العلوم الدقيقة والافعال
العجيبة حق التدبر علم قطعا انه لا بد له من قادر حكيم يلهمها ذلك ويحملها
عليه والله خلقكم ثم يتوفاكم باجال مختلفة ومنكم من يرد الى ارذل العمر
اخسه يعني الهرم الذي يشابه الطفولية في نقصان القوة والعقل وقيل
هو خمس وتسعون سنة وقيل خمس وسبعون سنة لكيلا يعلم بعد علم شيئا ليصير
الى حالة شبيهة بحال الطفولية في النسيان وسوء الفهم ان الله عليم بمقادير
اعمارهم قدير يميت الشاب النشيط ويبقي الهرم الفاني وفيه تنبيه على ان
تفاوت اجال الناس ليس الا بتقدير قادر حكيم ركب ابنيتهم وعدل امزجتهم
على قدر معلوم ولو كان ذلك مقتضى الطبائع لم يبلغ التفاوت هذا المبلغ
والله فضل بعضكم على بعض في الرزق فمنكم غني ومنكم فقير ومنكم موالي
يتولون رزقهم ورزق غيرهم ومنكم مماليك حالهم على خلاف ذلك فما الذين
فضلوا برادي رزقهم بمعطي رزقهم على ما ملكت ايمانهم على مماليكهم
فان ما يردون عليهم رزقهم الذي جعله الله في ايديهم فهم فيه سواء فالموالي
والمماليك سواء في ان الله رزقهم فالجملة لازمة للجملة المنفية او مقررة لها ويجوز
ان يكون واقعة موقع الجواب كانه قيل فما الذين فضلوا برادي رزقهم على ما
ملكت ايمانهم فيستووا في الرزق على انه رد وانكار على المشركين فانهم يشركون
بالله بعض مخلوقاته في الالوهية ولا يرضون ان يشاركهم عبيدهم فيما انعم
الله عليهم فيساويهم فيه افبنعمة الله يجحدون حيث يتخذون له شركاء فانه
يقتضي ان يضاف اليهم بعض ما انعم الله عليهم ويجحدوا انه من عند الله او حيث
انكروا امثال هذه الحجج بعد ما انعم الله عليهم بايضاحها والباء لتضمن الجحود
معنى الكفر وقرا ابو بكر تجحدون بالتاء لقوله خلقكم وفضل بعضكم والله جعل لكم

من انفسكم ازواجا اي من جنسكم لتأنسوا بها ولتكون اولادكم مثلكم وقيل
هو خلق حوا من آدم وجعل لكم من ازواجكم بنين وحفدة واولادا اولاد
او بنات فان الحافد هو المسرع في الخدمة والبنات يخدمن في البيوت
اتم خدمة وقيل هم الاختان على البنات وقيل الربائب ويجوز ان يراد بها
البنون انفسهم والعطف لتغاير الوصفين ورزقكم من الطيبات من اللذائذ
او الحلالات ومن للتبعيض فان المرزوق في الدنيا انموذج منها افبالباطل
يؤمنون وهو ان الاصنام تنفعهم او ان من الطيبات ما يحرم عليهم كالبحائر
والسوائب وبنعمت الله هم يكفرون حيث اضافوا نعمه الى الاصنام او حرموا
ما احل الله لهم وتقديم الصلة على الفعل اما للاهتمام او لايهام التخصيص
مبالغة او للمحافظة على الفواصل ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم
رزقا من السموات والارض شيئا من مطر ونبات ورزقا ان جعلته مصدرا
فشيئا منصوب به والا فبدل منه ولا يستطيعون ان يملكوه او لا استطاعة
لهم اصلا وجمع الضمير فيه وتوحيده في لا يملك لان ما مفرد في معنى الالهة
ويجوز ان يعود الى الكفار اي ولا يستطيع هؤلاء مع انهم احياء متصرفون
شيئا من ذلك فكيف بالجماد فلا تضربوا لله الامثال فلا تجعلوا له مثلا
تشركونه به او تقيسونه عليه فان ضرب المثل تشبيه حال بحال ان الله يعلم
فساد ما يعولون عليه من القياس على ان عبادة عبيد الملك ادخل في
التعظيم من عبادته وعظم جرمكم فيما تفعلون وانتم لا تعلمون ذلك
ولو علمتموه لما اجترأتم عليه فهو تعليل للنهي او انه يعلم كنه الاشياء وانتم
لا تعلمونه فدعوا رايكم دون نصه ويجوز ان يراد فلا تضربوا لله الامثال
فانه يعلم كيف تضرب الامثال وانتم لا تعلمون ثم علمهم كيف تضرب فضرب
مثلا لنفسه ولمن عبد دونه فقال ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على
شيء ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق منه سرا وجهرا هل يستوون
مثل ما يشرك به بالمملوك العاجز عن التصرف راسا ومثل نفسه بالحر
المالك الذي رزقه الله مالا كثيرا فهو يتصرف فيه وينفق منه كيف يشاء
واحتج بامتناع الاشتراك والتسوية بينهما مع تشاركهما في الجنسية والمخلوقية
على امتناع التسوية بين الاصنام التي هي اعجز المخلوقات وبين الله الغني القادر
على الاطلاق وقيل هو تمثيل للكافر المخذول والمؤمن الموفق وتقييد العبد
بالمملوك للتمييز عن الحر فانه ايضا عبد الله وسلب القدرة للتمييز عن المكاتب

والماذون

والماذون وجعله قسيما للمالك المتصرف يدل على ان المملوك لا يملك والاظهر
ان من موصوفة ليطابق عبدا وجمع الضمير في يستوون لانه للجنسين فان المعنى
هل يستوي الاحرار والعبيد الحمد لله كل الحمد لله لا يستحقه غيره فضلا عن العبادة
لانه مولى النعم كلها بل اكثرهم لا يعلمون فيضيفون نعمه الى غيره ويعبدونه
لاجلها وضرب الله مثلا رجلين احدهما ابكم ولد اخرس لا يفهم ولا يفهم
لا يقدر على شيء من الصنائع والتدابير لنقصان عقله وهو كل على مولاه عيال
وثقل على من يلي امره اينما يوجهه حيثما يرسله مولاه في امر وقرئ يوجه
على البناء للمفعول ويوجه بمعنى يتوجه كقوله اينما اوجه الق سعدا وتوجه
بلفظ الماضي لا يأت بخير بنجح وكفاية مهم هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل
ومن هو فهم منطيق ذو كفاية ورشد ينفع الناس بحثهم على العدل الشامل
لمجامع الفضائل وهو على صراط مستقيم وهو في نفسه على طريق مستقيم
لا يتوجه الى مطلب الا ويبلغه باقرب سعي وانما قابل تلك الصفات بهذين
الوصفين لانهما كمال ما يقابلهما وهذا تمثيل ثان ضربه الله لنفسه وللاصنام
لابطال المشاركة بينه وبينها او للمؤمن والكافر ولله غيب السموات
والارض يختص به علمه لا يعلمه غيره وهو ما غاب فيهما عن العباد بان لم
يكن محسوسا ولم يدل عليه محسوس وقيل يوم القيامة فان علمه غائب عن
اهل السموات والارض وما امر الساعة وما امر قيام الساعة في سرعته
وسهولته الا كلمح البصر الا كرجع الطرف من اعلى الحدقة الى اسفلها
او هو اقرب او امرها اقرب منه بان يكون في زمان نصف تلك الحركة بل في
الان الذي يبتدا فيه فانه تعالى يحيي الخلائق دفعة وما يوجد دفعة
كان في ان واو للتخيير او بمعنى بل وقيل معناه ان قيام الساعة وان تراخى
فهو عند الله كالشيء الذي تقولون فيه هو كلمح البصر او هو اقرب مبالغة
في استقرابه ان الله على كل شيء قدير فيقدر ان يحيي الخلائق دفعة كما قدر
ان احياهم متدرجا ثم دل على قدرته فقال والله اخرجكم من بطون امها تكم
وقرأ الكسائي بكسر الهمزة على انه لغة او اتباع لما قبلها وحمزة بكسرها
وكسر الميم والهاء مزيدة مثلها في اهراق لا تعلمون شيئا جاهلين مستصحبين
جهل الجمادية وجعل لكم السمع والابصار والافئدة اداة تتعلمون
بها فتحسون بمشاعركم جزئيات الاشياء فتدركونها ثم تتنبهون بقلوبكم
لمشاركات ومباينات بينها بتكرار الاحساس حتى يتحصل لكم العلوم البديهية

وتمكنوا من تحصيل المعالم الكسبية بالنظر فيها لعلكم تشكرون كي تعرفوا
ما انعم عليكم طورا بعد طور فتشكروه الم يروا الى الطير قرا ابن عامر وحمزة
ويعقوب بالتاء على انه خطاب للعامة مسخرات مذللات للطيران بما خلق
لها من الاجنحة والاسباب المواتية له في جو السماء في الهوا المتباعد من الارض
ما يمسكهن فيه الا الله فان ثقل جسدها يقتضي سقوطها ولا علاقة فوقها
ولا دعامة تحتها تمسكها ان في ذلك لآيات تسخير الطير للطيران
بان خلقها خلقة يمكن معها الطيران وخلق الجو بحيث يمكن الطيران فيه
وامساكها في الهوا على خلاف طبعها لقوم يؤمنون لانهم هم المنتفعون
بها والله جعل لكم من بيوتكم سكنا موضعا تسكنون فيه وقت اقامتكم كالبيوت
المتخذة من الحجر والمدر فعل بمعنى مفعول وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا
هي القباب المتخذة من الادم ويجوز ان يتناول المتخذة من الوبر والصوف
والشعر فانها من حيث انها نابتة على جلودها يصدق عليها انها من جلودها
تستخفونها تجدونها خفيفة يخف عليكم حملها ونقلها يوم ظعنكم وقت
ترحالكم او ضربها وضعها ويوم اقامتكم وقت الحضر او النزول وقرا
الحجازيان والبصريان يوم بالفتح وهي لغة ومن اصوافها واوبارها
واشعارها الصوف للضائنة والاوبار للابل والشعر للمعز واضافتها الى
ضمير الانعام لانها من جملتها اثاثا ما يلبس ويفرش ومتاعا ما يتجر به الى حين
الى مدة من الزمان فانها لصلابتها تبقى مدة مديدة او الى حين مماتكم
او الى ان تقضوا منه اوطاركم والله جعل لكم مما خلق من الشجر والجبل
والابنية وغيرها ظلالا تتقون به حر الشمس وجعل لكم من الجبال
اكنانا مواضع تسكنون بها من الكهوف والبيوت المنحوتة فيها جمع كن وجعل
لكم سرابيل ثيابا من الصوف والكتان والقطن وغيرها تقيكم الحر خصه
بالذكر اكتفاء باحد الضدين اولان وقاية الحر كانت اهم عندهم وسرابيل
تقيكم بأسكم يعني الدروع والجواشن والسربال يعم كل ما يلبس كذلك
كاتمام هذه النعم التي تقدمت يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون اي ينظرون
في نعمه فيؤمنون به وينقادون لحكمه وقرئ تسلمون من السلامة اي تشكرون
وتسلمون من العذاب او تنظرون فيها فتسلمون من الشرك وقيل تسلمون
من الجراح بلبس الدروع فان تولوا اعرضوا ولم يقبلوا منك فانما عليك
البلاغ المبين فلا يضرك فانما عليك البلاغ وقد بلغت وهذا من اقامة

السبب مقام المسبب يعرفون نعمة الله اي يعرفون المشركون نعمة الله التي
عددها وغيرها حيث يعترفون بها وبانها من الله ثم ينكرونها بعبادتهم غير
المنعم بها وقولهم انها بشفاعة الهتنا او بسبب كذا او باعراضهم عن اداء حقوقها
وقيل نعمة الله نبوة محمد صلى الله عليه وسلم عرفوها بالمعجزات ثم انكروها عنادا
ومعنى ثم استبعاد الانكار بعد المعرفة واكثرهم الكافرون الجاحدون عنادا
وذكر الاكثر اما لان بعضهم لم يعرف الحق لنقصان العقل او التفريط
في النظر او لم تقم عليه الحجة لانه لم يبلغ حد التكليف واما لانه يقام مقام الكل
كما في قوله بل اكثرهم لا يعلمون ويوم نبعث من كل امة شهيدا وهو نبيها يشهد
لهم وعليهم بالايمان والكفر ثم لا يؤذن للذين كفروا في الاعتذار اذ لا
عذر لهم وقيل في الرجوع الى الدنيا وثم لزيادة ما يحيق بهم من شدة المنع
عن الاعتذار لما فيه من الاقناط الكلي على ما يمنون به من شهادة الانبيا
ولا هم يستعتبون ولا هم يسترضون من العتبى وهي الرضا وانتصاب يوم
بمحذوف تقديره اذكر او خوفهم او يحيق بهم ما يحيق وكذا قوله واذا راى
الذين ظلموا العذاب عذاب جهنم فلا يخفف عنهم اي العذاب ولا هم
ينظرون يمهلون واذا راى الذين اشركوا شركاءهم اوثانهم التي دعوها
شركا او الشياطين الذين يشاركوهم في الكفر بالحمل عليه قالوا ربنا هؤلاء
شركاؤنا الذين كنا ندعوا من دونك نعبدهم او نطيعهم وهو اعتراف
بانهم كانوا مخطئين في ذلك او التماس بان يشطر عذابهم فالقوا اليهم
القول انكم لكاذبون اي اجابوهم بالتكذيب في انهم شركاء الله او انهم ما عبدوهم في
حقيقة وانما عبدوا اهواءهم كقوله كلا سيكفرون بعبادتهم ولا يمتنع انطاق
الله الاصنام به حينئذ او في انهم حملوهم على الكفر والزموهم اياه كقوله
وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي والقوا والقى الذين
ظلموا الى الله يومئذ السلم الاستسلام لحكمه بعد الاستكبار في الدنيا
وضل عنهم وضاع عنهم وبطل ما كانوا يفترون من ان الهتهم ينصرونهم
ويشفعون لهم حين كذبوهم وتبرؤوا منهم الذين كفروا وصدوا عن سبيل
الله بالمنع عن الاسلام والحمل على الكفر زدناهم عذابا لصدهم فوق
العذاب المستحق بكفرهم بما كانوا يفسدون بكونهم مفسدين بصدهم
ويوم نبعث في كل امة شهيدا عليهم من انفسهم يعني نبيهم فان نبي كل
امة بعث منهم وجئنا بك يا محمد شهيدا على هؤلاء على امتك ونزلنا

عليك الكتاب استئنافا او حالا باضمار قد تبيانا بيانا بليغا لكل شيء من
امور الدين على التفصيل او على الاجمال بالاحالة الى السنة او القياس وهدى
ورحمة للجميع وانما حرمان المحروم من تفريطه وبشرى للمسلمين خاصة
ان الله يأمر بالعدل بالتوسط في الامور اعتقادا كالتوحيد المتوسط
بين التعطيل والتشريك والقول بالكسب المتوسط بين محض الجبر والقدر
وعملا كالتعبد باداء الواجبات المتوسط بين البطالة والترهب وخلقا كالجود
المتوسط بين البخل والتبذير والاحسان احسان الطاعات وهو اما بحسب
الكمية كالتطوع بالنوافل او بحسب الكيفية كما قال صلى الله عليه وسلم الاحسان
ان تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك وايتاء ذي القربى
واعطاء الاقارب ما يحتاجون اليه وهو تخصيص بعد تعميم للمبالغة
وينهى عن الفحشاء عن الافراط في متابعة القوة الشهوية كالزنا فانه اقبح
احوال الانسان واشنعها والمنكر ما ينكر على متعاطيه في اثارة القوة
الغضبية والبغي والاستعلاء والاستيلاء على الناس والتجبر عليهم فانها
الشيطنة التي هي مقتضى القوة الوهمية ولا يوجد من الانسان شر الا وهو
مندرج في هذه الاقسام صادر بتوسط احدى هذه القوى الثلاث ولذلك
قال ابن مسعود رضي الله عنه هي اجمع اية في القرآن للخير والشر وصارت
سبب اسلام عثمان بن مظعون ولو لم يكن في القرآن غير هذه الاية لصدق
عليه انه تبيان لكل شيء وهدى للعالمين ولعل ايرادها عقيب قوله ونزلنا
عليك الكتاب للتنبيه عليه يعظكم بالامر والنهي والميز بين الخير والشر لعلكم
تذكرون تتعظون واوفوا بعهد الله يعني البيعة لرسول الله صلى الله
عليه وسلم على الاسلام لقوله تعالى ان الذين يبايعونك انما يبايعون
الله وقيل كل امر يجب الوفاء به ولا يلائمه قوله اذا عاهدتم وقيل النذور وقيل
الايمان بالله ولا تنقضوا الايمان ايمان البيعة او مطلق الايمان بعد
توكيدها توثيقها بذكر الله ومنه اكد بقلب الواو همزة وقد جعلتم الله
عليكم كفيلا شاهدا بتلك البيعة فان الكفيل مراع لحال المكفول به رقيب
عليه ان الله يعلم ما تفعلون في نقض الايمان والعهود ولا تكونوا كالتي
نقضت غزلها ما غزلته مصدر بمعنى المفعول من بعد قوة متعلق بنقضت
اي نقضت غزلها من بعد ابرام واحكام انكاثا طاقات نكث فتلها
جمع نكث وانتصابه على الحال من غزلها او المفعول الثاني لنقضت فانه بمعنى

صيرتموها والمراد به تشبيه الناقض بمن هذا شأنه وقيل التي نقضت غزلها
ريطة بنت سعد بن تيم القرشية فانها كانت خرقاء تفعل ذلك تتخذون
ايمانكم دخلا بينكم حال من الضمير في ولا تكونوا او في الجار الواقع موقع
الخبر اي لا تكونوا متشبهين بامرأة هذا شأنها متخذي ايمانكم مفسدة ودخلا
بينكم واصل الدخل ما يدخل الشيء ولم يكن منه ان تكون امة هي اربى من امة
بان تكون جماعة ازيد عددا واوفر مالا من جماعة والمعنى لا تغدروا بقوم
لكثرتهم وقلتكم او لكثرة منابذيهم وقوتهم كقريش فانهم كانوا اذا راوا شوكة
في اعادي حلفائهم نقضوا عهدهم وحالفوا اعداءهم انما يبلوكم الله به الضمير
لان تكون امة لانه بمعنى المصدر اي يختبركم بكونهم اربى لينظر ايتمسكون
بحبل الوفا بعهد الله وبيعة رسوله ام تغترون بكثرة قريش وشوكتهم وقلة
المؤمنين وضعفهم وقيل الضمير للربو وقيل للامر بالوفا وليبينن لكم يوم
القيامة ما كنتم فيه تختلفون اذا جازاكم على اعمالكم بالثواب والعقاب
ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة متفقة على الاسلام ولكن يضل من يشاء
بالخذلان ويهدي من يشاء بالتوفيق ولتسئلن عما كنتم تعملون سؤال
تبكيت ومجازاة ولا تتخذوا ايمانكم دخلا بينكم تصريح بالنهي عنه بعد
التضمين تأكيدا ومبالغة في قبح المنهي فتزل قدم عن محجة الاسلام بعد ثبوتها
عليها والمراد اقدامهم وانما وحد ونكر للدلالة على ان زلل قدم واحدة عظيم
فكيف باقدام كثيرة وتذوقوا السوء العذاب في الدنيا بما صددتم عن
سبيل الله بصدودكم عن الوفا او صدكم غيركم عنه فان من نقض البيعة
وارتد جعل ذلك سنة لغيره ولكم عذاب عظيم في الاخرة ولا تشتروا
بعهد الله ولا تستبدلوا بعهد الله وبيعة رسوله ثمنا قليلا عرضا يسيرا وهو
ما كانت قريش يعدون لضعاف المسلمين ويشرطون لهم على الارتداد انما
عند الله من النصر والتنعيم في الدنيا والثواب في الاخرة هو خير لكم مما يعدونكم
ان كنتم تعلمون ان كنتم من اهل العلم والتمييز ما عندكم من اعراض الدنيا
ينفد ينقضي ويفنى وما عند الله من خزائن رحمته باق لا ينفد وهو تعليل
الحكم السابق ودليل على ان نعيم اهل الجنة باق ولنجزين الذين صبروا
اجرهم على الفاقة واذى الكفار او مشاق التكاليف وقرأ ابن كثير وعاصم بالنون
باحسن ما كانوا يعملون بما ترجح فعله من اعمالهم كالواجبات والمندوبات
او بجزاء احسن من اعمالهم من عمل صالحا من ذكر او انثى بينه بالنوعين دفعا

للتخصيص وهو مؤمن إذ لا اعتداد بأعمال الكفرة في استحقاق الثواب وإنما
المتوقع عليها تخفيف العقاب فلنحيينه حياة طيبة في الدنيا يعيش عيشا
طيبا فإنه إن كان موسرا فظاهر وإن كان معسرا كان تطيب عيشه بالقناعة
والرضا بالقسمة وتوقع الأجر العظيم في الآخرة بخلاف الكافر فإنه إن كان
معسرا فظاهر وإن كان موسرا لم يدعه الحرص وخوف الفوات أن يتهنأ
بعيشه وقيل في الآخرة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون من
الطاعة فإذا قرأت القرآن إذا أردت قراءته كقوله إذا قمتم إلى الصلاة
فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم فاسأل الله أن يعيذك من وساوسه
لئلا يوسوسك في القراءة والجمهور على أنه للاستحباب وفيه دليل على أن
المصلي يستعيذ في كل ركعة لأن الحكم المرتب على شرط يتكرر بتكرره قياسا
وتعقيبه لذكر العمل الصالح والوعد عليه إيذان بأن الاستعاذة عند القراءة
من هذا القبيل وعن ابن مسعود رضي الله عنه قرأت على رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقلت أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم فقال قل أعوذ
بالله من الشيطان هكذا أقرأنيه جبريل عن القلم عن اللوح المحفوظ إنه ليس له
سلطان تسلط وولاية على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون على
أولياء الله المؤمنين به والمتوكلين عليه فإنهم لا يطيعون أوامره ولا يقبلون
وساوسه إلا فيما يحتقرون على ندور وغفلة ولذلك أمروا بالاستعاذة
فذكر السلطنة بعد الأمر بالاستعاذة لئلا يتوهم منه أن له سلطانا
إنما سلطانه على الذين يتولونه يحبونه ويطيعونه والذين هم به
بالله أو بسبب الشيطان مشركون وإذا بدلنا آية مكان آية بالنسخ
فجعلنا الآية الناسخة مكان المنسوخة لفظا أو حكما والله أعلم بما ينزل
من المصالح فلعل ما يكون مصلحة في وقت تصير مفسدة بعده فينسخه
وما لا يكون مصلحة حينئذ تكون مصلحة الآن فيثبته مكانه وقرأ ابن كثير
وأبو عمرو ينزل بالتخفيف قالوا أي الكفرة إنما أنت مفتر متقول على الله
تأمر بشيء ثم يبدو لك فتنهى عنه وهو جواب إذا والله أعلم بما ينزل وهو اعتراض
لتوبيخ الكفار على قولهم والتنبيه على فساد سندهم ويجوز أن تكون حالا
بل أكثرهم لا يعلمون حكمة الأحكام ولا يميزون الخطأ من الصواب
قل نزله روح القدس يعني جبريل وإضافة الروح إلى القدس وهو الطهر
كقولهم حاتم الجود وقرأ ابن كثير روح القدس بالتخفيف وفي ينزل ونزله

بتريه

ن

تنبيه على أن إنزاله مدرجا على حسب المصالح بما يقتضي التبديل من ربك بالحق
ملتبسا بالحكمة ليثبت الذين آمنوا على الإيمان بأنه كلامه فإنهم إذا سمعوا
الناسخ وتدبروا ما فيه من رعاية الصلاح والحكمة رسخت عقائدهم
واطمأنت قلوبهم وهدى وبشرى للمسلمين المنقادين لحكمه وهما معطوفان
على محل ليثبت أي تثبيتا وهداية وبشارة وفيه تعريض بحصول أضداد
ذلك لغيرهم وقرئ ليثبت بالتخفيف ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه
بشر يعنون جبرا الرومي غلام عامر بن الحضرمي وقيل جبرا ويسارا كانا يصنعان
السيف بمكة ويقرآن التوراة والإنجيل وكان الرسول صلى الله عليه وسلم
يمر عليهما ويسمع ما يقرآنه وقيل عايشا غلام حويطب بن عبد العزى قد
أسلم وكان صاحب كتب وقيل سلمان الفارسي لسان الذي يلحدون إليه
أعجمي لغة الرجل الذي يميلون قولهم عن الاستقامة إليه مأخوذ من لحد
القبر وقرأ حمزة والكسائي يلحدون بفتح اليا اللسان أعجمي غير بين وهذا
القرآن لسان عربي مبين ذو بيان وفصاحة والجملتان مستأنفتان
لإبطال طعنهم وتقريره يحتمل وجهين أحدهما أن ما سمعه منه كلام
أعجمي لا يفهمه هو ولا أنتم والقرآن عربي تفهمونه بأدنى تأمل فكيف يكون
ما تلقفه منه وثانيهما هب أنه تعلم منه المعنى باستماع كلامه لكن لم يتلقف
منه اللفظ لأن ذاك أعجمي وهذا عربي والقرآن كما هو معجز باعتبار المعنى
فهو معجز من حيث اللفظ مع أن العلوم الكثيرة التي في القرآن لا يمكن
تعلمها إلا بملازمة معلم فائق في تلك العلوم مدة متطاولة فكيف يعلم
جميع ذلك من غلام سوقي سمع منه بعض أوقات مروره عليه كلمات أعجمية
لعلهما لم يعرفا معناها وطعنهم في القرآن بأمثال هذه الكلمات الركيكة
دليل على غاية عجزهم إن الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يصدقون أنها
من عند الله لا يهديهم الله إلى الحق أو إلى سبيل النجاة وقيل إلى الجنة
ولهم عذاب أليم في الآخرة هددهم على كفرهم بالقرآن بعد ما أماط
شبهتهم ورد طعنهم فيه ثم قلب الأمر عليهم فقال إنما يفتري الكذب
الذين لا يؤمنون بآيات الله لأنهم لا يخافون عقابا يردعهم عنه وأولئك
إشارة إلى الذين كفروا أو إلى قريش هم الكاذبون أي الكاذبون على
الحقيقة أو الكاملون في الكذب لأن تكذيب آيات الله والطعن فيها بهذه
الخرافات أعظم الكذب أو الذين عادتهم الكذب لا يصرفهم عنه دين ولا مروءة

او الكاذبون في قولهم انما انت مفتر او انما يعلمه بشر من كفر بالله من بعد ايمانه
بدل من الذين لا يؤمنون وما بينهما اعتراض او من اولئك او من الكاذبون
او مبتدا خبره محذوف دل عليه قوله فعليهم غضب ويجوز ان ينتصب بالذم
وان يكون من شرطية محذوفة الجواب الا من اكره على الافتراء او كلمة الكفر
استثناء متصل لان الكفر لغة يعم القول والعقد كالايمان وقلبه مطمئن
بالايمان لم تتغير عقيدته وفيه دليل على ان الايمان هو التصديق بالقلب
ولكن من شرح بالكفر صدرا اعتقده وطاب به نفسا فعليهم غضب
من الله ولهم عذاب عظيم اذ لا اعظم من جرمه روي ان قريشا اكرهوا
عمارا وابويه ياسرا وسمية على الارتداد فربطوا سمية بين بعيرين ووجئ
بحربة في قبلها وقالوا انك اسلمت من اجل الرجال فقتلت وقتلوا ياسرا وهما
اول قتيلين في الاسلام واعطاهم عمار بلسانه ما ارادوا مكرها فقيل
يا رسول الله ان عمارا كفر فقال كلا ان عمارا ملئ ايمانا من قرنه الى قدمه
واختلط الايمان بلحمه ودمه فاتى عمار رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو يبكي فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح عينيه وقال ما لك ان
عادوا لك فعد لهم بما قلت وهو دليل على جواز التكلم بالكفر عند الاكراه
وان كان الافضل ان يتجنب عنه اعزازا للدين كما فعله ابواه لما روي ان مسيلمة
اخذ رجلين فقال لاحدهما ما تقول في محمد قال رسول الله قال فما تقول
في فقال انت ايضا فخلاه وقال للاخر ما تقول في محمد قال رسول الله
قال فما تقول في فقال انا اصم فاعاد اليه ثلاثا فاعاد جوابه فقتله فبلغ
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اما الاول فقد اخذ برخصة الله واما
الثاني فقد صدع بالحق فهنيئا له الجنة ذلك اشارة الى الكفر بعد الايمان
بانهم استحبوا الحياة الدنيا على الاخرة بسبب انهم اثروها عليها وان
الله لا يهدي القوم الكافرين اي الكافرين في علمه الى ما يوجب ثبات الايمان
ولا يعصمهم عن الزيغ اولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم
وابصارهم فابت عن ادراك الحق والتامل فيه واولئك هم الغافلون
الكاملون في الغفلة اذ اغفلتهم الحالة الراهنة عن تدبر العواقب لا جرم
انهم في الاخرة هم الخاسرون اذ ضيعوا اعمارهم وصرفوها فيما
افضى بهم الى العذاب المخلد ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا
اي عذبوا كعمار بالولاية والنصر فثم لتباعد حال هؤلاء عن حال اولئك

وقرا ابن عامر فتنوا بالفتح اي بعد ما عذبوا المؤمنين كالحضرمي اكره مولاه
جبرا حتى ارتد ثم اسلما وهاجرا ثم جاهدوا وصبروا على الجهاد وما اصابهم
من المشاق ان ربك من بعدها من بعد الهجرة والجهاد والصبر لغفور
لما فعلوا قبل رحيم ينعم عليهم مجازاة على ما صنعوا بعد يوم تاتي كل نفس
منصوب برحيم او باذكر تجادل عن نفسها تجادل عن ذاتها وتسعى في خلاصها
لا يهمها شان غيرها فتقول نفسي نفسي وتوفى كل نفس ما عملت جزاء ما عملت
وهم لا يظلمون لا ينقصون اجورهم وضرب الله مثلا قرية اي جعلها مثلا
لكل قوم انعم الله عليهم فابطرتهم النعمة فكفروا فانزل الله بهم نقمته او لمكة
كانت امنة مطمئنة لا يزعج اهلها خوف ياتيها رزقها اقواتها رغدا
واسعة من كل مكان من نواحيها فكفرت بانعم الله بنعمه جمع نعمة على ترك
الاعتداد بالتاء كدرع وادرع او جمع نعم كبؤس وابؤس فاذاقها الله لباس
الجوع والخوف استعار الذوق لادراك اثر الضرر واللباس لما غشيهم
واشتمل عليهم من الجوع والخوف واوقع الاذاقة عليه بالنظر الى المستعار
له كقول كثير غمر الرداء اذا تبسم ضاحكا غلقت لضحكته رقاب المال
فانه استعار الرداء للمعروف لانه يصون عرض صاحبه صون الرداء لما يلقى
عليه واضاف اليه الغمر الذي هو وصف المعروف والنوال وقد ينظر الى المستعار
كقوله ينازعني ردائي عبد عمرو رويدك يا اخا عمرو بن بكر لي الشطر
الذي ملكت يميني ودونك فاعتجر منه بشطر استعار الرداء السيف ثم قال
فاعتجر نظرا الى المستعار بما كانوا يصنعون بصنيعهم ولقد جاءهم
رسول منهم يعني محمدا صلى الله عليه وسلم والضمير لاهل مكة عاد الى ذكرهم
بعد ما ذكر مثلهم فكذبوه فاخذهم العذاب وهم ظالمون اي حال
التباسهم بالظلم والعذاب ما اصابهم من الجدب الشديد او وقعة بدر
فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا امرهم باكل ما احل الله لهم وشكر ما
انعم عليهم بعد ما زجرهم عن الكفر وهددهم عليه بما ذكر من التمثيل والعذاب
الذي حل بهم صدا لهم عن صنيع الجاهلية ومذاهبها الفاسدة واشكروا
نعمة الله ان كنتم اياه تعبدون تطيعون او ان صح زعمكم انكم تقصدون
بعبادة الالهة عبادته انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما
اهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم لما امرهم
بتناول ما احل لهم عدد عليهم محرماته ليعلم ان ما عداها حل لهم ثم اكد

بالنهي عن التحليل والتحريم بأهوائهم فقال ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم
الكذب هذا حلال وهذا حرام كما قالوا ما في بطون هذه الأنعام
خالصة لذكورنا الآية وسياق الكلام يقتضي تصدير الجملة بإنما حصر
المحرمات في الأجناس الأربعة إلا ما ضم إليه دليل كالسباع والحمر الأهلية
وانتصاب الكذب بلا تقولوا وهذا حلال وهذا حرام بدل منه أو متعلق
بتصف على إرادة القول أي ولا تقولوا الكذب لما تصفه ألسنتكم فتقولوا
هذا حلال وهذا حرام أو مفعول لا تقولوا والكذب منتصب بتصف وما
مصدرية أي ولا تقولوا هذا حلال وهذا حرام لوصف ألسنتكم الكذب
أي لا تحرموا ولا تحللوا لمجرد قول تنطق به ألسنتكم من غير دليل ووصف
ألسنتكم الكذب مبالغة في وصف كلامهم بالكذب كأن حقيقة الكذب كانت
مجهولة وألسنتهم تصفها وتعرفها بكلامهم هذا ولذلك عد من فصيح
الكلام كقولهم وجهها يصف الجمال وعينها تصف السحر وقرئ الكذب بالجر
بدلا من ما والكذب جمع كذوب أو كذاب بالرفع صفة للألسنة وبالنصب
على الذم أو بمعنى الكلم الكواذب لتفتروا على الله الكذب تعليل لا يتضمن
الغرض إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون لما كان المفتري
يفتري لتحصيل مطلوب نفى عنهم الفلاح وبينه بقوله متاع قليل أي ما
يفترون لأجله أو ما هم فيه منفعة قليلة تنقطع عن قريب ولهم عذاب أليم
في الآخرة وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك أي في سورة
الأنعام في قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر من قبل متعلق
بقصصنا أو بحرمنا وما ظلمناهم بالتحريم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون
حيث فعلوا ما عوقبوا به عليه وفيه تنبيه على الفرق بينهم وبين غيرهم
في التحريم وأنه كما يكون للعقوبة ثم إن ربك للذين عملوا السوء بجهالة
بسببها أو ملتبسين بها ليعم الجهل بالله وبعقابه وعدم التدبر في العواقب
لغلبة الشهوة والسوء يعم الافتراء على الله وغيره ثم تابوا من بعد ذلك
وأصلحوا إن ربك من بعدها من بعد التوبة لغفور لذلك السوء
رحيم يثيب على الإنابة إن إبراهيم كان أمة لكماله واستجماعه فضائل
لا تكاد توجد إلا مفرقة في أشخاص كثيرة كقوله وليس من الله بمستنكر
أن يجمع العالم في واحد وهو رئيس الموحدين وقدوة المحققين الذي
جادل فرق المشركين وأبطل مذاهبهم الزائغة بالحجج الدامغة ولذلك

التدبر صح

عقب

عقب ذكره تزييف مذاهب المشركين من الشرك والطعن في النبوة وتحريم
ما أحله أو لأنه كان وحده مؤمنا وكان سائر الناس كفارا وقيل هي فعلة
بمعنى مفعول كالرحلة والنخبة من أمه إذا قصده أو اقتدى به فإن الناس
كانوا يؤمونه للاستفادة ويقتدون بسيرته لقوله إني جاعلك للناس إماما
قانتا لله مطيعا له قائما بأوامره حنيفا مائلا عن الباطل ولم يك من
المشركين كما زعموا فإن قريشا كانوا يزعمون أنهم على ملة إبراهيم شاكرا
لأنعمه ذكر بلفظ القلة للتنبيه على أنه كان لا يخل بشكر النعم القليلة فكيف بالكثيرة
اجتباه للنبوة وهداه إلى صراط مستقيم في الدعوة إلى الله وآتيناه
في الدنيا حسنة بأن حببه إلى الناس حتى أن أرباب الملل يتولونه ويثنون
عليه ورزقه أولادا طيبة وعمرا طويلا في السعة والطاعة وإنه في
الآخرة لمن الصالحين لمن أهل الجنة كما سأله بقوله وألحقني بالصالحين
ثم أوحينا إليك يا محمد وثم إما لتعظيمه والتنبيه على أن أجل ما أوتي إبراهيم
اتباع الرسول عليه الصلاة والسلام ملته أو لتراخي أيامه أن اتبع ملة إبراهيم
حنيفا في التوحيد والدعوة إليه بالرفق وإيراد الدلائل مرة بعد أخرى
والمجادلة مع كل أحد على حسب فهمه وما كان من المشركين بل كان قدوة
الموحدين إنما جعل السبت تعظيم السبت والتخلي فيه للعبادة على الذين
اختلفوا فيه أي على نبيهم وهم اليهود أمرهم موسى عليه السلام أن
يتفرغوا للعبادة يوم الجمعة فأبوا وقالوا نريد يوم السبت لأنه تعالى
فرغ فيه من خلق السموات والأرض فألزمهم الله السبت وشدد الأمر عليهم
وقيل معناه إنما جعل وبال السبت وهو المسخ على الذين اختلفوا فيه فأحلوا
الصيد فيه تارة وحرموه أخرى واحتالوا له الحيل وذكرهم هاهنا لتهديد
المشركين كذكر القرية التي كفرت بأنعم الله وإن ربك ليحكم بينهم يوم
القيامة فيما كانوا فيه يختلفون بالمجازاة على الاختلاف أو بمجازاة
كل فريق من الآبين والمعظمين بما يستحقه ادع من بعثت إليهم إلى سبيل
ربك إلى الإسلام بالحكمة بالمقالة المحكمة وهو الدليل الموضح للحق المزيح
للشبهة والموعظة الحسنة الخطابات المقنعة والعبر النافعة فالأولى
لدعوة خواص الأمة الطالبين للحقائق والثانية لدعوة عوامهم
وجادلهم وجادل معانديهم بالتي هي أحسن بالطريقة التي هي أحسن
طرق المجادلة من الرفق واللين وإيثار الوجه الأيسر والمقدمات

التي هي أحسن فإن ذلك أنفع في تسكين لهبهم وتبيين شغبهم إن ربك هو
أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين أي إنما عليك البلاغ
والدعوة وأما حصول الهداية والضلال والمجازاة عليهما فلا إليك
بل الله أعلم بالضالين والمهتدين وهو المجازي لهم وإن عاقبتم فعاقبوا
بمثل ما عوقبتم به لما أمره بالدعوة وبين طرقها أشار إليه وإلى من تابعه
بترك المخالفة ومراعاة العدل مع من يناصبهم فإن الدعوة لا تنفك
عنه من حيث إنها تتضمن رفض العادات وترك الشهوات والقدح
في دين الأسلاف والحكم عليهم بالكفر والضلال وقيل إنه عليه السلام
لما رأى حمزة وقد مثل به فقال والله لئن أظفرني الله بهم لأمثلن بسبعين
مكانك فنزلت فكفر عن يمينه وفيه دليل على أن للمقتص أن يماثل الجاني
وليس له أن يجاوزه وحث على العفو تعريضا بقوله وإن عاقبتم وتصريحا
على الوجه الآكد بقوله ولئن صبرتم لهو أي الصبر خير للصابرين
من الانتقام للمنتقمين ثم صرح بالأمر به لرسوله صلى الله عليه وسلم
لأنه أولى الناس به لزيادة علمه بالله ووثوقه عليه فقال واصبر وما
صبرك إلا بالله إلا بتوفيقه وتثبيته ولا تحزن عليهم على الكافرين
أو على المؤمنين وما فعل بهم ولا تك في ضيق مما يمكرون في ضيق
صدر من مكرهم وقرأ ابن كثير في ضيق بالكسر هنا وفي النمل وهما لغتان
كالقول والقيل ويجوز أن يكون الضيق تخفيف ضيق إن الله مع الذين
اتقوا المعاصي والذين هم محسنون في أعمالهم بالولاية والفضل
أو مع الذين اتقوا بتعظيم أمره والذين هم محسنون بالشفقة على خلقه
عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة النحل لم يحاسبه الله بما أنعم عليه
في دار الدنيا وإن مات في يوم تلاها أو ليلة كان له من الأجر كالذي مات وأحسن الوصية

و آيات ١١١

وقيل إلا قوله وإن كادوا ليفتنونك إلى آخر ثمان آيات وهي مائة وعشر
آيات بسم الله الرحمن الرحيم سبحان الذي أسرى بعبده
ليلا سبحان اسم بمعنى التسبيح الذي هو التنزيه وقد يستعمل علما له فيقطع
عن الإضافة ويمنع الصرف قال قد قلت لما جاءني فخره سبحان من علقمة
الفاخر وانتصابه بفعل متروك إظهاره وتصدير الكلام به للتنزيه

عن

عن العجز عما ذكر بعده وأسرى وسرى بمعنى وليلا نصب على الظرف وفائدته
الدلالة بتنكيره على تقليل مدة الإسراء ولذلك قرئ من الليل أي بعضه
كقوله ومن الليل فتهجد به من المسجد الحرام بعينه لما روي أنه عليه الصلاة
والسلام قال بينا أنا في المسجد الحرام في الحجر عند البيت بين النائم واليقظان
إذ أتاني جبريل عليه السلام بالبراق أو من الحرم وسماه المسجد الحرام لأن كله مسجد
أو لأنه محيط به ليطابق المبدأ المنتهى لما روي أنه كان نائما في بيت أم هانئ
بعد صلاة العشاء فأسري به ورجع من ليلته وقص القصة عليها وقال مثل
لي النبيون وصليت بهم ثم خرج إلى المسجد وأخبر به قريشا فتعجبوا منه استحالة
وارتد ناس ممن آمن به وسعى رجال إلى أبي بكر رضي الله عنه فقال إن كان
قال لقد صدق قالوا أتصدقه على ذلك قال إني لأصدقه على أبعد من
ذلك فسمي الصديق واستنعته طائفة سافروا إلى بيت المقدس فجلي
له فطفق ينظر إليه وينعته لهم فقالوا أما النعت فقد أصاب فقالوا أخبرنا
عن عيرنا فأخبرهم بعدد جمالها وأحوالها وقال تقدم يوم كذا مع طلوع
الشمس يقدمها جمل أورق فخرجوا يشتدون إلى الثنية فصادفوا العير كما
أخبر ثم لم يؤمنوا وقالوا ما هذا إلا سحر مبين وكان ذلك قبل الهجرة بسنة
واختلف في أنه كان في المنام أو في اليقظة بروحه أو بجسده والأكثر على
أنه أسري بجسده إلى بيت المقدس ثم عرج به إلى السماوات حتى انتهى إلى
سدرة المنتهى ولذلك تعجبت قريش واستحالوه والاستحالة مدفوعة
بما ثبت في الهندسة أن ما بين طرفي قرص الشمس ضعف ما بين طرفي كرة
الأرض مائة ونيفا وستين مرة ثم إن طرفها الأسفل يصل موضع طرفها (لموضع)
الأعلى في أقل من ثانية وقد برهن في الكلام أن الأجسام متساوية في
قبول الأعراض وأن الله قادر على كل الممكنات فيقدر أن يخلق مثل هذه
الحركة السريعة في بدن النبي صلى الله عليه وسلم أو فيما يحمله والتعجب
من لوازم المعجزات إلى المسجد الأقصى بيت المقدس لأنه لم يكن
حينئذ وراءه مسجد الذي باركنا حوله ببركات الدين والدنيا لأنه
مهبط الوحي ومتعبد الأنبياء من لدن موسى ومحفوف بالأنهار والأشجار
لنريه من آياتنا كذهابه في برهة من الليل مسيرة شهر ومشاهدة بيت
المقدس وتمثل الأنبياء له ووقوفه على مقاماتهم وصرف الكلام من الغيبة
إلى التكلم لتعظيم تلك البركات والآيات وقرئ ليريه بالياء إنه هو

السميع لاقوال محمد عليه الصلوة والسلام البصير بافعاله فيكرمه ويقربه
على حسب ذلك وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني اسرائيل الا
تتخذوا اي على ان لا تتخذوا كقولك كتبت اليه ان افعل وقرا ابو عمرو
بالياء على ان لا يتخذوا من دوني وكيلا ربا تكلون اليه اموركم غيري
ذرية من حملنا مع نوح نصب على الاختصاص او النداء ان قرئ لا تتخذوا
بالتاء او على انه احد مفعولي لا تتخذوا ومن دوني حال من وكيلا فيكون
كقوله ولا يامركم ان تتخذوا الملئكة والنبيين اربابا وقرئ بالرفع على
انه خبر محذوف او بدل من واو يتخذوا وذرية بكسر الذال وفيه تذكير
بانعام الله عليهم في انجاء ابائهم من الغرق بحملهم مع نوح في السفينة
انه ان نوحا عليه السلام كان عبدا شكورا يحمد الله تعالى على مجامع
حالاته وفيه ايماء بان انجاءه ومن معه كان ببركة شكره وحث للذرية
على الاقتداء به وقيل الضمير لموسى عليه السلام وقضينا الى بني اسرائيل
واوحينا اليهم وحيا مقضيا مبتوتا في الكتاب في التورية لتفسدن
في الارض جواب قسم محذوف او وقضينا على اجراء القضاء المبتوت مجرى
القسم مرتين افسادتين اولاهما مخالفة احكام التورية وقتل شعيا
وثانيتهما قتل زكريا ويحيى وقصد قتل عيسى عليه السلام ولتعلن علوا
كبيرا ولتستكبرن عن طاعة الله او لتظلمن الناس فاذا جاء وعد
اولاهما وعد عقاب اولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا بخت نصر عامل
لهراسف على بابل وجنوده وقيل جالوت الجزري وقيل سنحاريب
من اهل نينوى اولي باس شديد ذي قوة وبطش في الحرب شديد
فجاسوا ترددوا لطلبكم وقرئ بالحاء وهما اخوان خلال الديار
وسطها للقتل والغارة فقتلوا كبارهم وسبوا صغارهم وحرقوا التورية
وخربوا المسجد والمعتزلة لما منعوا تسليط الله الكافر على ذلك اولوا البعث
بالتخلية وعدم المنع وكان وعدا مفعولا وكان وعد عقابهم لا بد
ان يفعل ثم رددنا لكم الكرة اي الدولة والغلبة عليهم على الذين
بعثوا عليكم وذلك بان القى الله في قلب بهمن ابن اسفنديار لما ورث
الملك من جده كشتاسف بن لهراسف شفقة عليهم فرد اسراءهم الى الشام
وملك دانيال عليهم فاستولوا على من كان فيها من اتباع بخت نصر او بان
سلط داود على جالوت فقتله وامددناكم باموال وبنين وجعلناكم

اكثر نفيرا مما كنتم والنفير من ينفر مع الرجل من قومه وقيل جمع نفر وهم
المجتمعون للذهاب الى العدو ان احسنتم احسنتم لانفسكم لان ثوابه
لها وان اساتم فلها فان وبالها عليها وانما ذكرها باللام ازدواجا فاذا
جاء وعد الاخرة وعد عقوبة المرة الاخرة ليسوءوا وجوهكم اي بعثناهم
ليسوءوا وجوهكم ليجعلوها بادية اثار المساءة فيها فحذف لدلالة ذكره
اولا عليه وقرا ابن عامر وحمزة وابو بكر ليسوء على التوحيد والضمير فيه
للوعد او للبعث او لله ويعضده قراءة الكسائي بالنون وقرئ لنسوءن بالنون
والياء والنون المخففة والمثقلة ولنسوءن بفتح اللام على الاوجه الاربعة
على انه جواب اذا واللام في قوله وليدخلوا المسجد متعلق بمحذوف وهو
وبعثناهم كما دخلوه اول مرة وليتبروا وليهلكوا ما علوا ما غلبوه واستولوا
عليه او مدة علوهم تتبيرا وذلك بان سلط الله عليهم الفرس مرة اخرى
فغزاهم ملك بابل من ملوك الطوائف اسمه جودرز وقيل حردوس قيل
دخل صاحب الجيش مذبح قرابينهم فوجد فيه دما يغلي فسالهم عنه
فقالوا دم قربان لم يقبل منا فقال ما صدقوني فقتل عليه الوفا منهم فلم
يهدا الدم قال ان لم تصدقوني ما تركت منكم احدا فقالوا انه دم يحيى
فقال لمثل هذا ينتقم ربكم منكم ثم قال يا يحيى قد علم ربي وربك ما اصاب
قومك من اجلك فاهدا باذن الله قبل ان لا ابقي احدا منهم فهدا عسى ربكم
ان يرحمكم بعد المرة الاخرة وان عدتم نوبة اخرى عدنا مرة ثالثة
الى عقوبتكم وقد عادوا بتكذيب محمد صلى الله عليه وسلم وقصد قتله فعاد
الله بتسليطه عليهم فقتل قريظة واجلى بني النضير وضرب الجزية على
الباقين هذا لهم في الدنيا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا محبسا لا يقدر
الخروج منها ابد الاباد وقيل بساطا كما يبسط الحصير ان هذا القران
يهدي للتي هي اقوم للحالة او الطريقة التي هي اقوم الحالات او الطرق
ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا كبيرا وقرا حمزة
والكسائي يبشر بالتخفيف وان الذين لا يؤمنون بالاخرة اعتدنا لهم
عذابا اليما عطف على ان لهم اجرا كبيرا والمعنى انه بشر المؤمنين بثوابهم
وعقاب اعدائهم او على يبشر باضمار يخبر ويدع الانسان بالشر ويدعو
الله عند غضبه بالشر على نفسه واهله وماله او يدعوه بما يحسبه خيرا وهو
شر دعاءه بالخير مثل دعائه بالخير وكان الانسان عجولا يسارع الى

كل ما يخطر بباله لا ينظر الى عاقبته وقيل المراد ادم فانه لما انتهى الروح
الى سرته ذهب لينهض فسقط روي انه عليه الصلوة والسلام دفع
اسيرا الى سودة بنت زمعة فرحمته لانينه فارخت كتافه فهرب فدعا عليها
بقطع اليد ثم ندم فقال اللهم انما انا بشر فمن دعوت عليه فاجعل دعائي
رحمة له فنزلت ويجوز ان يريد بالانسان الكافر وبالدعا استعجاله
بالعذاب استهزا كقول النضر بن الحارث اللهم انصر خير الحزبين اللهم
ان كان هذا هو الحق من عندك فاجيب له فضرب عنقه يوم بدر صبرا
وجعلنا الليل والنهار ايتين تدلان على القادر الحكيم بتعاقبهما على
نسق واحد بامكان غيره فمحونا اية الليل اي الاية التي هي الليل
بالاشراق والاضافة فيهما للتبيين كاضافة العدد الى المعدود
وجعلنا اية النهار مبصرة مضيئة او مبصرة للناس من ابصره فبصر
او مبصرا اهله كقولهم اجبن الرجل اذا كان اهله جبنا وقيل الايتان القمر
والشمس وتقدير الكلام وجعلنا نيري الليل والنهار ايتين او جعلنا
الليل والنهار ذوي ايتين ومحونا اية الليل التي هي القمر جعلناها مظلمة
في نفسها مطموسة النور او نقص نورها شيئا فشيئا الى المحاق وجعل
اية النهار التي هي الشمس مبصرة جعلناها ذات شعاع تبصر الاشيا
بضوئها لتبتغوا فضلا من ربكم لتطلبوا في بياض النهار اسباب معاشكم
وتتوصلوا به الى استبانة اعمالكم ولتعلموا باختلافهما او بحركاتهما عدد
السنين والحساب وجنس الحساب وكل شيء تفتقرون اليه في امر الدين
والدنيا فصلناه تفصيلا بيناه بيانا غير ملتبس وكل انسان الزمناه
طائره عمله وما قدر له كانه طير اليه من عش الغيب ووكر القدر لما كانوا
يتيمنون ويتشاءمون بسنوح الطائر وبروحه استعير لما هو سبب
الخير والشر من قدر الله وعمل العبد في عنقه لزوم الطوق في عنقه
ونخرج له يوم القيامة كتابا هي صحيفة عمله او نفسه المنتقشة بآثار
اعماله فان الافعال الاختيارية تحدث في النفس احوالا ولذلك يفيد
تكريرها لها ملكات ونصبه بانه مفعول او حال من مفعول محذوف وهو
ضمير الطائر ويعضده قراءة يعقوب ويخرج من خرج يخرج ويخرج اي
الله عز وجل يلقاه منشورا لكشف الغطا وهما صفتان للكتاب او يلقاه
صفة ومنشورا حال من مفعوله وقرا ابن عامر يلقاه على البنا للمفعول

من لقيته كذا اقرأ كتابك على ارادة القول كفى بنفسك اليوم عليك
حسيبا اي كفى نفسك والباء مزيدة وحسيبا تمييز وعلى صلته لانه
اما بمعنى الحاسب كالصريم بمعنى الصارم وضريب القداح بمعنى ضاربها
من حسب عليه كذا او بمعنى الكافي فوضع موضع الشهيد لانه يكفي المدعي
ما اهمه وتذكيره على ان الحساب والشهادة مما يتولاه الرجال او على
تاويل النفس بالشخص من اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل
فانما يضل عليها لا ينجي اهتداؤه غيره ولا يردي ضلاله سواه ولا
تزر وازرة وزر اخرى ولا تحمل حاملة وزرا وزر نفس اخرى
بل انما تحمل وزرها وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا يبين
الحجج ويمهد الشرايع فيلزمهم الحجة وفيه دليل على ان لا وجوب قبل
الشرع واذا اردنا ان نهلك قرية واذا تعلقت ارادتنا باهلاك
قوم لانفاذ قضائنا السابق او دنا وقته المقدر كقولهم اذا اراد المريض
ان يموت ازداد مرضه شدة امرنا مترفيها متنعميها بالطاعة
على لسان رسول بعثناه اليهم ويدل على ذلك ما قبله وما بعده فان الفسق
هو الخروج من الطاعة والتمرد في العصيان فيدل على الطاعة من طريق
المقابلة وقيل امرناهم بالفسق لقوله ففسقوا فيها كقوله امرته فقرا
فانه لا يفهم منه الا الامر بالقراءة على ان الامر مجاز من الحمل عليه او
التسبب له بان صب عليهم من النعم ما ابطرهم وافضى بهم الى الفسوق
ويحتمل ان لا يكون له مفعول منوي كقولهم امرته فعصاني وقيل معناه
كثرنا يقال امرت الشيء وآمرته فامر اذا كثرته وفي الحديث خير المال سكة
مابورة ومهرة مامورة اي كثيرة النتاج وهو ايضا مجاز من معنى الطلب
ويؤيده قراءة يعقوب امرنا ورواية امّرنا عن ابي عمرو ويحتمل ان يكون منقولا
من امر بالضم امارة اي جعلناهم امرا وتخصيص المترفين لان غيرهم يتبعهم
ولانهم اسرع الى الحماقة واقدر على الفجور فحق عليها القول يعني كلمة
العذاب السابق بحلوله او بظهور معاصيهم او بانهماكهم في المعاصي
فدمرناها تدميرا اهلكناها باهلاك اهلها وتخريب ديارها وكم اهلكنا
وكثيرا اهلكنا من القرون بيان لكم وتمييز له من بعد نوح كعاد وثمود
وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا يدرك بواطنها وظواهرها
فيعاقب عليها وتقديم الخبير لتقدمه متعلقه من كان يريد العاجلة

مقصورا عليها همّ عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد قيد المعجل والمعجل
له بالمشية والارادة لانه لا يجد كل متمن ما يتمناه ولا كل واحد جميع ما يهواه
وليعلم ان الامر بالمشية والهم فضل ولمن نريد بدل من له بدل البعض
وقرئ يشاء والضمير فيه لله حتى يطابق المشهورة وقيل لمن فيكون مخصوصا
بمن اراد الله به ذلك وقيل الاية في المنافقين كانوا يراءون المسلمين
ويغزون معهم ولم يكن غرضهم الا مساهمتهم في الغنائم ونحوها ثم
جعلنا له جهنم يصليها مذموما مدحورا مطرودا من رحمة الله
ومن اراد الاخرة وسعى لها سعيها حقها من السعي وهو الاتيان بما
امر والانتهاء عما نهي لا التقرب بما يخترعون بآرائهم وفائدة اللام اعتبار
النية والاخلاص وهو مؤمن ايمانا صحيحا لا شرك معه ولا تكذيب فانه
العمدة فاولئك الجامعون للشرائط الثلاثة كان سعيهم مشكورا
من الله اي مقبولا عنده مثابا عليه فان شكر الله الثواب على الطاعة كلا
كل واحد من الفريقين والتنوين بدل من المضاف اليه نمد بالعطاء مرة
بعد اخرى ونجعل آنفه مددا لسالفه هؤلاء وهؤلاء بدل من كلا من عطاء
ربك من معطاه متعلق بنمد وما كان عطاء ربك محظورا ممنوعا
لا يمنعه في الدنيا من مؤمن ولا كافر تفضلا انظر كيف فضلنا بعضهم
على بعض في الرزق وانتصاب كيف بفضلنا على الحال وللاخرة اكبر
درجات واكبر تفضيلا اي التفاوت في الاخرة اكبر لان التفاوت
فيها بالجنة ودرجاتها والنار ودركاتها لا تجعل مع الله الها اخر
الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم والمراد به امته او لكل احد فتقعد
فتصير من قولهم شحذ الشفرة حتى قعدت كانها حربة او فتعجز من قولهم
قعد عن الشيء اذا عجز عنه مذموما مخذولا جامعا على نفسك الذم من
الملائكة والمؤمنين والخذلان من الله ومفهومه ان الموحد يكون ممدوحا
منصورا وقضى ربك وامر امرا مقطوعا به ان لا تعبدوا بان لا تعبدوا
الا اياه لان غاية التعظيم لا تحق الا لمن له غاية العظمة ونهاية الانعام
وهو كالتفصيل لسعي الاخرة ويجوز ان تكون مفسرة ولا ناهية وبالوالدين
احسانا وبان تحسنوا او واحسنوا بالوالدين احسانا لانهما السبب
الظاهر للوجود والتعيش ولا يجوز ان تتعلق الباء بالاحسان لان صلته
لا يتقدم عليه اما يبلغن عندك الكبر احدهما او كلاهما اما ان

الشرطية زيدت عليها ما تأكيدا ولذلك صح لحوقها النون المؤكدة هو
للفعل واحدهما فاعل يبلغن ويدل عليه قراءة حمزة والكسائي يبلغان و
عليهما بدل من يبلغان الراجع الى الوالدين وكلاهما عطف على احدهما فاعلا
او بدلا ولذلك لم يجز ان يكون تأكيدا للالف ومعنى عندك ان يكونا
في كنفك وكفالتك فلا تقل لهما اف فلا تضجر مما يستقذر منهما وتستثقل
من مؤنهما وهو صوت يدل على التضجر وقيل اسم الفعل الذي هو اتضجر وهو
مبني على الكسر لالتقاء الساكنين وتنوينه في قراءة نافع وحفص للتنكير وقرأ
ابن كثير وابن عامر ويعقوب بالفتح على التخفيف وقرئ به منونا وبالضم للاتباع
كمنذ منونا وغير منون والنهي عن ذلك يدل على المنع من سائر انواع الايذاء
قياسا بطريق الاولى وقيل عرفا كقولك فلان لا يملك النقير والقطمير
ولذلك منع رسول الله صلى الله عليه وسلم حذيفة من قتل ابيه وهو في صف
المشركين فنهى عما يؤذيهما بعد الامر بالاحسان بهما ولا تنهرهما ولا تزجرهما
عما لا يعجبك باغلاظ وقيل النهي والنهر والنهم اخوات وقل لهما بدل
التأفيف والنهر قولا كريما جميلا لا شراسة فيه واخفض لهما جناح الذل
تذلل لهما وتواضع فيهما جعل للذل جناحا كما جعل لبيد في قوله وغداة
ريح قد كشفت وقرة اذ اصبحت بيد الشمال زمامها للشمال يدا او للقرة
زماما وامره بخفضها مبالغة او اراد جناحه كقوله واخفض جناحك
للمؤمنين واضافته الى الذل للبيان والمبالغة كما اضيف حاتم الى الجود
والمعنى واخفض لهما جناحك الذليل وقرئ الذل بالكسر وهو الانقياد والنعت
منه ذلول من الرحمة من فرط رحمتك عليهما لافتقارهما الى من كان افقر
خلق اليهما وقل رب ارحمهما وادع الله ان يرحمهما برحمته الباقية
ولا تكتف برحمتك الفانية وان كانا كافرين لان من الرحمة ان يهديهما
كما ربياني صغيرا رحمة مثل رحمتهما علي وتربيتهما وارشادهما لي في
صغري وفاء بوعدك للراحمين روي ان رجلا قال لرسول الله صلى
الله عليه وسلم ان ابوي بلغا من الكبر اني الي منهما ما وليا مني في الصغر
فهل قضيتهما قال لا فانهما كانا يفعلان ذلك وهما يحبان بقاءك وانت
تفعل ذلك وانت تريد موتهما ربكم اعلم بما في نفوسكم من قصد البر اليهما
واعتقاد ما يجب لهما من التوقير وكانه تهديد على ان يضمر لهما كراهة
واستثقالا ان تكونوا صالحين قاصدين الصلاح فانه كان للا

للتوابين غفورا ما فرط منهم عند حرج الصدر من اذية وتقصير وفيه
تشديد عظيم ويجوز ان يكون عاما لكل تائب ويندرج فيه الجاني على
ابويه جناية اولياء لوروده على اثره وآت ذا القربى حقه من صلة
الرحم وحسن المعاشرة والبر عليهم وقال ابو حنيفة حقهم اذا كانوا
محارم فقرا ان ينفق عليهم وقيل المراد بذي القربى اقارب الرسول صلى
الله عليه وسلم والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا بصرف المال
فيما لا ينبغي وانفاقه على وجه الاسراف واصل التبذير التفريق وعن النبي
صلى الله عليه وسلم قال لسعد وهو يتوضأ ما هذا السرف قال في الوضوء
سرف قال نعم وان كنت على نهر جار ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين
امثالهم في الشرارة فان التضييع والاتلاف شر او اصدقاءهم واتباعهم
لانهم يطيعونهم في الاسراف والصرف في المعاصي روي انهم كانوا ينحرون
الابل ويتياسرون عليها ويبذرون اموالهم في السمعة فنهاهم الله عن
ذلك وامرهم بالانفاق في القربات وكان الشيطان لربه كفورا
مبالغا في الكفر به فينبغي ان لا يطاع واما تعرضن عنهم وان اعرضت
عن ذي القربى والمسكين وابن السبيل حياء من الرد ويجوز ان يراد بالاعراض
عنهم ان لا ينفعهم على سبيل الكناية ابتغاء رحمة من ربك ترجوها
لانتظار رزق الله ترجوه ان يأتيك فتعطيه او منتظرين له وقيل
معناه لفقد رزق من ربك ترجوه ان يفتح لك فوضع الابتغاء موضعه
لانه مسبب عنه ويجوز ان يتعلق بالجواب الذي هو قوله فقل لهم قو
لا ميسورا اي فقل لهم قولا لينا ابتغاء رحمة الله برحمتك عليهم باجمال
القول لهم والميسور من يسر الامر مثل سعد الرجل ونحس وقيل القول
الميسور الدعاء لهم بالميسور وهو اليسر مثل اغناكم الله رزقنا الله واياكم
ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط تمثيلان
لمنع الشحيح واسراف المبذر نهى عنهما وامر بالاقتصاد بينهما الذي
هو الكرم فتقعد ملوما فتصير ملوما عند الله وعند الناس بالاسراف
وسوء التدبير محسورا نادما او منقطعا بك لا شيء عندك من حسره
السفر اذا بلغ منه وعن جابر بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس
اذ اتاه صبي ان امي تستكسيك درعا فقال من ساعة الى ساعة فعد
الينا فذهب الى امه فقالت قل له ان امي تستكسيك الدرع الذي عليك

فدخل

فدخل داره ونزع قميصه واعطاه وقعد عريانا واذن بلال وانتظروا
الصلوة فلم يخرج فانزل الله ذلك ثم سلاه بقوله ان ربك يبسط الرزق
لمن يشاء ويقدر يوسعه ويضيقه بمشيئته التابعة للحكمة فليس ما يرهقك
من الاضاقة الا لمصلحتك انه كان بعباده خبيرا بصيرا يعلم سرهم
وعلنهم فيعلم من مصالحهم ما يخفى عليهم ويجوز ان يريد ان البسط
والقبض من امر الله العالم بالسرائر والظواهر فاما العباد فعليهم ان يقتصدوا
او انه تعالى يبسط تارة ويقبض اخرى فاستنوا بسنته ولا تقبضوا كل
القبض ولا تبسطوا كل البسط وان يكون تمهيدا لقوله ولا تقتلوا اولادكم
خشية املاق مخافة الفاقة وقتلهم اولادهم هو وأدهم بناتهم
مخافة الفقر فنهاهم عنه وضمن لهم ارزاقهم فقال نحن نرزقهم واياكم
ان قتلهم كان خطأ كبيرا ذنبا كبيرا لما فيه من قطع التناسل وانقطاع النوع
والخطأ الاثم يقال خطئ خطأ كاثم اثما وقرأ ابن عامر خطأ وهو اسم من
اخطأ يضاد الصواب وقيل لغة فيه كمثل ومثل وحذر وحذر وقرأ ابن
كثير خطاء بالمد والكسر وهو اما لغة او مصدر خاطأ وهو وان لم يسمع لكنه
جاء تخاطأ في قوله تخاطأه القناص حتى وجدته وخطؤه في منبع الماء
راسب وهو مبني عليه وقرئ خطاء بالفتح والمد وخطأ بحذف الهمزة مفتوحا
ومكسورا ولا تقربوا الزنا بالعزم والاتيان بالمقدمات فضلا ان تباشروه
انه كان فاحشة فعلة ظاهرة القبح زائدة وساء سبيلا وبئس طريقا طريقه
وهو الغصب على الابضاع المؤدي الى قطع الانساب وهيج الفتن ولا
تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق الا باحدى ثلاث كفر بعد ايمان
وزنا بعد احصان وقتل مؤمن معصوم عمدا ومن قتل مظلوما غير
مستوجب للقتل فقد جعلنا لوليه للذي يلي امره بعد وفاته وهو الوارث
سلطانا تسلطا بالمؤاخذة بمقتضى القتل على من عليه او بالقصاص على القاتل
فان قوله مظلوما يدل على ان القتل عمد عدوان فان الخطأ لا يسمى ظلما
فلا يسرف اي القاتل في القتل بان يقتل من لا يحق قتله فان العاقل
لا يفعل ما يعود عليه بالهلاك او الولي بالمثلة وقتل غير القاتل ويؤيد
الاول قراءة ابي فلا تسرفوا وقرأ حمزة والكسائي فلا تسرف على خطاب احدهما
انه كان منصورا علة للنهي على الاستئناف والضمير اما للمقتول فانه
منصور في الدنيا بثبوت القصاص بقتله وفي الآخرة بالثواب واما لوليه

فان الله نصره حيث اوجب القصاص له وامر الولاة بمعونته واما الذي
يقتله الولي اسرافا بايجاب القصاص او التعزير والوزر على المسرف ولا
تقربوا مال اليتيم فضلا ان يتصرف فيه الا بالتي هي احسن الا
بالطريقة التي هي احسن حتى يبلغ اشده غاية لجواز التصرف الذي يدل
عليه الاستثنا واوفوا بالعهد بما عاهدكم الله من تكاليفه او ما عاهدتموه
وغيره ان العهد كان مسؤلا مطلوبا يطلب من المعاهد ان لا يضيعه
ويفي به او مسؤلا عنه يسال الناكث ويعاتب عليه او يسال العهد لم نكثت
تبكيتا للناكث كما يقال للموؤدة باي ذنب قتلت فيكون تخييلا ويجوز ان يراد
ان صاحب العهد كان مسؤلا واوفوا الكيل اذا كلتم ولا تبخسوا
فيه وزنوا بالقسطاس المستقيم بالميزان السوي وهو رومي
عرب ولا يقدح ذلك في عربية القران لان العجمي اذا استعملته العرب
واجرته مجرى كلامهم في الاعراب والتعريف والتنكير ونحوها صار
عربيا وقرا حمزة والكسائي وحفص بكسر القاف ذلك خير واحسن
تاويلا واحسن عاقبة تفعيل من آل اذا رجع ولا تقف ولا تتبع وقرئ
ولا تقف من قاف اثره اذا قفاه ومنه القافة ما ليس لك به علم ما لم
يتعلق به علمك تقليدا او رجما بالغيب واحتج به من منع اتباع الظن
وجوابه ان المراد بالعلم هو الاعتقاد الراجح المستفاد من سند سوا كان
قطعا او ظنا واستعماله بهذا المعنى شايع وقيل انه مخصوص بالعقايد
وقيل بالرمي وشهادة الزور ويؤيده قوله عليه الصلاة والسلام من
قفا مؤمنا بما ليس فيه حبسه الله في ردغة الخبال حتى ياتي بالمخرج
وقول الكميت ولا ارمي البري بغير ذنب ولا اقفو الحواصن ان قفينا
ان السمع والبصر والفواد كل اولئك اي كل هذه الاعضا فاجراها
مجرى العقلا لما كانت مسؤلة عن احوالها شاهدة على صاحبها هذا
وان اولا وان غلب في العقلا لكنه من حيث انه اسم جمع لذا وهو يعم
القبيلين جا لغيرهم كقوله والعيش بعد اولئك الايام كان عنه مسؤلا
في ثلثتها ضمير كل اي كان كل واحد منها مسؤلا عن نفسه يعني عما فعل
به صاحبه ويجوز ان يكون الضمير في عنه لمصدر لا تقف او لصاحب
السمع والبصر وقيل مسؤل مسند الى عنه كقوله غير المغضوب عليهم والمعنى
يسال صاحبه عنه وهو خطا لان الفاعل وما يقوم مقامه لا يتقدم

وفيه

وفيه دليل على ان العبد مواخذ بعزمه على المعصية وقرئ والفواد بقلب
الهمزة واوا بعد الضمة ثم ابدالها بالفتح ولا تمش في الارض مرحا اي
ذا مرح وهو الاختيال وقرئ مرحا وهو باعتبار الحكم ابلغ وان كان
المصدر اكد من صريح النعت انك لن تخرق الارض لن تجعل فيها خرقا
بشدة وطاتك ولن تبلغ الجبال طولا بتطاولك وهو تهكم بالمختال
وتعليل للنهي بان الاختيال حماقة مجردة لا تعود بجدوى ليس في التذلل
كل ذلك اشارة الى الخصال الخمسة والعشرين المذكورة من قوله لا تجعل
مع الله الها اخر وعن ابن عباس رضي الله عنهما انها المكتوبة في الواح
موسى كان سيئه يعني المنهي عنه فان المذكورات مامورات ومناهي وقرا
الحجازيان والبصري سيئة على انها خبر كان والاسم ضمير كل وذلك
اشارة الى ما نهي عنه خاصة وعلى هذا قوله عند ربك مكروها بدل
من سيئة او صفة لها محمولة على المعنى فانه بمعنى سيئا وقد قرئ به ويجوز
ان ينتصب مكروها على الحال من المستكن في كان او في الظرف على انه
صفة سيئة والمراد به المبغوض المقابل للمرضي لا ما يقابل المراد لقيام القاطع
على ان الحوادث كلها واقعة بارادته تعالى ذلك اشارة الى الاحكام
المتقدمة مما اوحى اليك ربك من الحكمة الذي معرفة الحق لذاته
والخير للعمل به ولا تجعل مع الله الها اخر كرره للتنبيه على ان التوحيد
مبدا الامر ومنتهاه فان من لا قصد له بطل عمله ومن قصد بفعله او تركه
غيره ضاع سعيه وانه راس الحكمة وملاكها ورتب عليه اولا ما هو عايدة
الشرك في الدنيا وثانيا ما هو نتيجته في العقبى فقال فتلقى في جهنم
ملوما تلوم نفسك مدحورا مبعدا من رحمة الله افاصفاكم ربكم
بالبنين خطاب للذين قالوا الملايكة بنات الله والهمزة للانكار والمعنى
افخصكم ربكم بافضل الاولاد وهم البنون واتخذ من الملايكة اناثا
بنات لنفسه هذا خلاف ما عليه عقولكم وعادتكم انكم لتقولون
قولا عظيما باضافة الاولاد اليه وهي خاصة بعض الاجسام لسرعة
زوالها ثم بتفضيل انفسكم عليه حيث تجعلون له ما تكرهون ثم بجعل
الملايكة الذين هم من اشرف خلق الله ادونهم ولقد صرفنا كررنا
هذا المعنى بوجوه من التقرير في هذا القران في مواضع منه ويجوز
ان يراد بهذا القران ابطال اضافة البنات اليه على تقدير ولقد صرفنا

القول في هذا المعنى او اوقعنا التصريف فيه وقرئ صرفنا بالتخفيف ليذ
كروا وقرا حمزة والكسائي ليذكروا من الذكر الذي هو بمعنى التذكر وما
يزيدهم الا نفورا عن الحق وقلة طمانينة اليه قل لو كان معه الهة كما
تقولون ايها المشركون وقرا ابن كثير وحفص بالياء فيه وفيما بعده على
ان الكلام مع الرسول صلى الله عليه وسلم ووافقهما نافع وابن عامر وابو
عمرو ويعقوب وابو بكر في الثانية على ان الاولى مما امر الرسول صلى الله
عليه وسلم ان يخاطب به المشركين والثانية مما نزه به نفسه عن مقالتهم اذا
لابتغوا الى ذي العرش سبيلا جواب عن قولهم وجزاء للو والمعنى لطلبوا
الى من هو مالك الملك سبيلا بالمعازة كما يفعل الملوك بعضهم مع بعض
او بالتقرب اليه والطاعة لعلمهم بقدرته وعجزهم كقوله اولئك الذين
يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة سبحانه تنزيه له وتعالى عما يقولون
علوا تعاليا كبيرا متباعدا غاية البعد عما يقولون فانه في اعلى مراتب
الوجود وهو كونه واجب الوجود والبقاء لذاته واتخاذ الولد من ادنى
مراتبه فانه من خواص ما يمتنع بقاؤه تسبح له السموات السبع والارض
ومن فيهن وان من شيء الا يسبح بحمده ينزهه عما هو من لوازم الامكان
وتوابع الحدوث بلسان الحال حيث يدل بامكانها وحدوثها على الصانع
القديم الواجب لذاته ولكن لا تفقهون تسبيحهم ايها المشركون لاخلالكم
بالنظر الصحيح الذي به يفهم تسبيحهم ويجوز ان يحمل التسبيح على المشترك
بين اللفظ والدلالة لاسناده الى ما يتصور منه اللفظ والى ما لا يتصور
منه وعليهما عند من جوز اطلاق اللفظ على معنييه وقرا ابن كثير ونافع
وابن عامر وابو بكر يسبح بالياء انه كان حليما حين لم يعاجلكم بالعقوبة
على غفلتكم وشرككم غفورا لمن تاب منكم واذا قرات القران جعلنا
بينك وبين الذين لا يؤمنون بالاخرة حجابا يحجبهم عن فهم ما تقراه
عليهم مستورا ذا ستر كقوله وعده ماتيا وقولهم سيل مفعم او مستورا
عن الحس او بحجاب اخر لا يفهمون ولا يفهمون انهم لا يفهمون نفى عنهم ان
يفهموا ما انزل عليهم من الايات بعد ما نفى عنهم التفقه للدلالات المنصوبة
في الانفس والافاق تقريرا له وبيانا لكونهم مطبوعين على الضلالة
كما صرح به بقوله وجعلنا على قلوبهم اكنة تكنها وتحول دونها عن ادراك
الحق وفهمه ان يفقهوه كراهة ان يفقهوه ويجوز ان يكون مفعولا

لما دل عليه قوله وجعلنا على قلوبهم اكنة اي منعناهم ان يفقهوه وفي
اذانهم وقرا يمنعهم عن استماعه ولما كان القران معجزا من حيث اللفظ
والمعنى اثبت لمنكريه ما يمنع عن فهم المعنى وادراك اللفظ واذا ذكرت
ربك في القران وحده واحدا غير مشفوع به الهتهم مصدر وقع موقع
الحال واصله يحد وحده بمعنى واحدا وحده ولوا على ادبارهم نفورا
هربا من استماع التوحيد ونفرة او تولية ويجوز ان يكون جمع نافر كقاعد
وقعود نحن اعلم بما يستمعون به بسببه ولاجله من الهزء بك وبالقران
اذ يستمعون اليك ظرف لاعلم وكذا واذ هم نجوى اي نحن اعلم بغرضهم
من الاستماع حين هم مستمعون اليك مضمرون له وحين هم ذو نجوى
يتناجون به ونجوى مصدر ويحتمل ان يكون جمع نجي اذ يقول الظالمون
ان تتبعون الا رجلا مسحورا مقدر باذكر او بدل من اذ هم نجوى على
وضع الظالمين موضع الضمير للدلالة على ان تناجيهم بقولهم هذا
والمسحور الذي سحر فزال عقله وقيل الذي له سحر وهو الرئة اي الا رجلا
يتنفس ياكل ويشرب مثلكم انظر كيف ضربوا لك الامثال مثلوك بالشاعر
والساحر والكاهن والمجنون فضلوا عن الحق في جميع ذلك فلا يستطيعون
سبيلا الى طعن يوجه فيتهافتون ويخبطون كالمتحير في امره لا يدري
ما يصنع او الى الرشاد وقالوا ائذا كنا عظاما ورفاتا وحطاما ائنا
لمبعوثون خلقا جديدا على الانكار والاستبعاد لما بين غضاضة الحي
ويبوسة الرميم من المباعدة والمنافاة والعامل في اذا ما دل عليه مبعوثون
لا نفسه لان ما بعد ان لا يعمل فيما قبلها وخلقا مصدر او حال قل جوابا
لهم كونوا حجارة او حديدا او خلقا مما يكبر في صدوركم اي مما يكبر عندكم
عن قبول الحياة لكونه ابعد شيء منها فان قدرته تعالى لا تقصر عن احيائكم
لاشتراك الاجسام في قبول الاعراض فكيف اذا كنتم عظاما مرفوتة
وقد كانت غضة موصوفة بالحيوة قبل والشيء اقبل لما عهد فيه مما لم يعهد
فسيقولون من يعيدنا قل الذي فطركم اول مرة وكنتم ترابا وما
هو ابعد منه من الحيوة فسينغضون اليك رؤوسهم فيحركونها
نحوك تعجبا واستهزاء ويقولون متى هو قل عسى ان يكون قريبا فان كل
ما هو آت قريب وانتصابه على الخبر او الظرف اي يكون في زمان قريب
وان يكون اسم عسى وخبره والاسم مضمر يوم يدعوكم فتستجيبون اي

يوم يبعثكم فتنبعثون استعار لهما الدعا والاستجابة للتنبيه على سرعتهما
وتيسر امرهما وان المقصود منهما الاحضار للمحاسبة والجزا بحمده
حال منهم اي حامدين لله على كمال قدرته كما قيل انهم ينفضون التراب
عن روسهم ويقولون سبحانك اللهم وبحمدك او منقادين لبعثه انقياد
الحامدين عليه وتظنون ان لبثتم الا قليلا وتستقصرون مدة لبثكم
في القبور كالذي مر على قرية او مدة حيوتكم لما ترون من الهول وقل لعبادي
يعني المومنين يقولوا التي هي احسن الكلمة التي هي احسن ولا يخاشنوا
ان الشيطان ينزغ بينهم يهيج بينهم المرا والشر فلعل المخاشنة بهم
تفضي الى العناد وازدياد الفساد ان الشيطان كان للانسان عدوا
مبينا ظاهر العداوة ربكم اعلم بكم ان يشا يرحمكم او ان
يشا يعذبكم تفسير للتي هي احسن وما بينهما اعتراض اي قولوا لهم هذه
الكلمة ونحوها ولا تصرحوا بانهم من اهل النار فانه يهيجهم على الشر مع
ان ختام امرهم غيب لا يعلمه الا الله وما ارسلناك عليهم وكيلا موكولا
اليك امرهم تقسرهم على الايمان وانما ارسلناك مبشرا ونذيرا فدارهم
ومر اصحابك بالاحتمال منهم روي ان المشركين افرطوا في ايذائهم
فشكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وقيل شتم عمر رجل فهم به
فامره الله بالعفو وربك اعلم بمن في السموات والارض وباحوالهم
فيختار منهم لنبوته وولايته من يشا وهو رد لاستبعاد قريش ان يكون
يتيم ابي طالب نبيا وان يكون العراة الجوع اصحابه ولقد فضلنا بعض
النبيين على بعض بالفضايل النفسانية والتبري عن العلايق الجسمانية
لا بكثرة الاموال والاتباع حتى داود فان شرفه بما اوحي اليه من الكتاب
لا بما اوتي من الملك قيل هو اشارة الى تفضيل رسول الله وقوله واتينا
داود زبورا تنبيه على وجه تفضيله وهو انه خاتم الانبيا وامته خير
الامم المدلول عليه بما كتب في الزبور من ان الارض يرثها عبادي
الصالحون وتنكيره ههنا وتعريفه في قوله ولقد كتبنا في الزبور لانه في
الاصل فعول للمفعول كالحلوب او المصدر كالقبول ويؤيده قراءة حمزة
بالضم وهو كالعباس والفضل او لان المراد اتينا داود بعض الزبر او بعضا
من الزبور فيه ذكر الرسول قل ادعوا الذين زعمتم انها الهة من دونه
كالملكة والمسيح وعزير فلا يملكون فلا يستطيعون كشف الضر عنكم

كالمرض والفقر والقحط ولا تحويلا ولا تحويل ذلك منكم الى غيركم
اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة هؤلا الالهة
يبتغون الى الله القربة بالطاعة ايهم اقرب بدل من واو يبتغون اي
يبتغي من هو اقرب منهم الى الله الوسيلة فكيف بغير الاقرب ويرجون
رحمته ويخافون عذابه كساير العباد فكيف يزعمون انهم الهة ان عذاب
ربك كان محذورا حقيقا بان يحذره كل احد حتى الرسل والملايكة
وان من قرية الا نحن مهلكوها قبل يوم القيمة بالموت والاستيصال
او معذبوها عذابا شديدا بالقتل وانواع البلية كان ذلك في الكتاب
في اللوح المحفوظ مسطورا مكتوبا وما منعنا ان نرسل بالايات وما
صرفنا عن ارسال الايات التي اقترحتها قريش الا ان كذب بها الاولون
الا تكذيب الاولين الذين هم امثالهم في الطبع كعاد وثمود وانها لو ارسلت
لكذبوا بها تكذيب اولئك واستوجبوا الاستيصال على ما مضت به سنتنا
وقد قضينا ان لا نستاصلهم لان فيهم من يومن او يلد من يومن ثم ذكر
بعض الامم المهلكة بتكذيب الايات المقترحة وقال واتينا ثمود الناقة
بسؤالهم مبصرة بينة ذات ابصار او بصاير او جاعلتهم ذوي بصاير
وقرئ بالفتح فظلموا بها فكفروا بها او فظلموا انفسهم بسبب عقرها
وما نرسل بالايات اي بالايات المقترحة الا تخويفا من نزول
العذاب المستاصل فان لم يخافوا نزل او بغير المقترحة كالمعجزات
وايات القران الا تخويفا بعذاب الاخرة فان امر من بعثت اليهم موخر
الى يوم القيمة والبا مزيدة او في موقع الحال والمفعول محذوف واذ
قلنا لك واذكر اذ اوحينا اليك ان ربك احاط بالناس فهم في قبضة
قدرته او احاط بقريش بمعنى اهلكهم من احاط بهم العدو فهو بشارة
بوقعة بدر والتعبير بلفظ الماضي لتحقق وقوعه وما جعلنا الرويا
التي اريناك ليلة المعراج وتعلق به من قال انه كان في المنام ومن قال
انه كان في اليقظة فسر الرويا بالروية او عام الحديبية حين راى انه
دخل مكة وفيه ما ينفي ان الاية مكية الا ان يقال راها بمكة وحكاها
حينئذ ولعله رويا راها في وقعة بدر لقوله اذ يريكهم الله في منامك
قليلا ولما روي انه لما ورد ماءه قال لكاني انظر الى مصارع القوم
هذا مصرع فلان هذا مصرع فلان فتسامعت به قريش واستسخروا منه

وقيل راى قوما من بني امية يرقون منبره وينزون عليه نزو القردة
فقال هو حظهم من الدنيا يعطونه باسلامهم وعلى هذا كان المراد
بقوله الا فتنة للناس ماحدث في ايامهم والشجرة الملعونة في القرآن
عطف على الرؤيا وهي شجرة الزقوم لما سمع المشركون ذكرها قالوا ان محمدا
يزعم ان الجحيم تحرق الحجارة ثم يقول ينبت فيها الشجر ولم يعلموا ان من
قدر ان يحمي وبر السمندل من ان ياكله النار واحشاء النعامة من اذى
الجمر وقطع الحديد المحماة الحمر التي يبتلعها قدر ان يخلق في النار شجرة
لا تحرقها ولعنها في القرآن لعن طاعميها وصفت به على المجاز للمبالغة
او وصفها بانها في اصل الجحيم فانه ابعد مكان من الرحمة او بانها مكروهة
مؤذية من قولهم طعام ملعون لما كان ضارا وقد اولت بالشيطان وابي
جهل والحكم بن ابي العاص وقرئت بالرفع على الابتداء والخبر محذوف اي
والشجرة الملعونة في القرآن كذلك ونخوفهم بانواع التخويف فما يزيدهم
الا طغيانا كبيرا الا عتوا متجاوز الحد واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم
فسجدوا الا ابليس قال ءاسجد لمن خلقت طينا لمن خلقته من طين
فنصب بنزع الخافض ويجوز ان يكون حالا من الراجع الى الموصول اي
خلقته وهو طين او منه اي ااسجد له واصله طين وفيه على الوجوه ايماء
بعلة الانكار قال ارايتك هذا الذي كرمت علي الكاف لتاكيد الخطاب
لا محل له من الاعراب وهذا مفعول اول والذي صفته والمفعول الثاني
محذوف لدلالة صلته عليه والمعنى اخبرني عن هذا الذي كرمته علي بامري
بالسجود له لم كرمته علي لئن اخرتني الى يوم القيامة كلام مبتدا واللام
موطئة للقسم وجوابه لاحتنكن ذريته الا قليلا اي لاستاصلنهم بالاغواء
الا قليلا لا اقدر ان اقاوم شكيمتهم من احتنك الجراد الارض اذا جرد
ما عليها اكلا ماخوذ من الحنك وانما علم ان ذلك يتسهل له اما استنباطا
من قول الملائكة اتجعل فيها من يفسد فيها مع التقرير او تفرسا من خلقه
ذا وهم وشهوة وغضب قال اذهب امض لما قصدته وهو طرد وتخلية
بينه وبين ما سولت له نفسه فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم جزاؤك
وجزاؤهم فغلب المخاطب على الغائب ويجوز ان يكون الخطاب للتابعين
على الالتفات جزاء موفورا مكملا من قولهم فر لصاحبك عرضه فرة وانتصاب
جزاء على المصدر باضمار فعله او بما في جزاؤكم من معنى تجازون او حال

موطئة

موطئة لقوله موفورا واستفزز واستخف من استطعت منهم ان تستفزه
والفز الخفيف بصوتك بدعائك الى الفساد واجلب عليهم وصح عليهم
من الجلبة وهي الصياح بخيلك ورجلك باعوانك من راكب وراجل
والخيل الخيالة ومنه قوله صلى الله عليه وسلم يا خيل الله اركبي والرجل
اسم جمع للراجل كالصحب والركب ويجوز ان يكون تمثيلا لتسلطه على من
يغويه بمغوار صوت على قوم فاستفزهم من اماكنهم واجلب عليهم بجنده
حتى استاصلهم وقرا حفص ورجلك بالكسر وغيره بالضم وهما لغتان كندس
وندس ومعناه وجمعك الرجل وقرئ ورجالك ورجالك وشاركهم في
الاموال بحملهم على كسبها وجمعها من الحرام والتصرف فيها على ما لا ينبغي
والاولاد بالحث على التوصل الى الولد بالسبب المحرم والاشراك فيه
بتسميته عبد العزى والتضليل بالحمل على الاديان الزائغة والحرف الذميمة
والافعال القبيحة وعدهم المواعيد الباطلة كشفاعة الالهة والاتكال
على كرامة الاباء وتاخير التوبة لطول الامل وما يعدهم الشيطان الا
غرورا اعتراض لبيان مواعيده والغرور تزيين الخطا بما يوهم انه صواب
ان عبادي يعني المخلصين وتعظيم الاضافة والتقييد في قوله الا عبادك
منهم المخلصين يخصصهم ليس لك عليهم سلطان اي على اغوائهم قدرة
وكفى بربك وكيلا يتوكلون به في الاستعاذة منك على الحقيقة ربكم الذي
يزجي هو الذي يجري لكم الفلك في البحر لتبتغوا من فضله الربح وانواع
الامتعة التي لا تكون عندكم انه كان بكم رحيما حيث هيا لكم ما تحتاجون
اليه وسهل عليكم ما تعسر من اسبابه واذا مسكم الضر في البحر خوف الغرق
ضل من تدعون ذهب عن خواطركم كل من تدعونه في حوادثكم الا اياه
وحده فانكم حينئذ لا يخطر ببالكم سواه ولا تدعون لكشفه الا اياه او ضل
من تعبدونه عن اغاثتكم الا الله فلما نجاكم من الغرق الى البر اعرضتم
عن التوحيد وقيل اتسعتم في كفران النعم كقول ذي الرمة عطاء فتى
تمكن في المعالي ۰ فاعرض في المكارم واستطالا ۰ وكان الانسان كفورا
كالتعليل للاعراض افامنتم الهمزة فيه للانكار والفاء للعطف على محذوف
تقديره انجوتم فامنتم فحملكم ذلك على الاعراض فان من قدر ان يهلككم
في البحر بالغرق قادر ان يهلككم في البر بالخسف وغيره ان يخسف
بكم جانب البر ان يقلبه الله وانتم عليه او يقلبه بسببكم فبكم حال او صلة

وقرأ ابن كثير وابو عمرو بالنون فيه وفي الاربعة التي بعده وفي ذكر الخطاب
تنبيه على انهم لما وصلوا الساحل كفروا واعرضوا وان الجوانب والجهات
في قدرته سوا لا معقل يومن فيه من اسباب الهلاك او يرسل عليكم حاصبا
ريحا تحصب اي ترمي بالحصباء ثم لا تجدوا لكم وكيلا يحفظكم من ذلك فانه
لا راد لفعله ام امنتم ان يعيدكم فيه في البحر تارة اخرى بخلق دواع تلجئكم
الى ان ترجعوا فتركبوه فيرسل عليكم قاصفا من الريح لا تمر بشي الا قصفته
اي كسرته فيغرقكم وعن يعقوب بالتا على اسناده الى ضمير الريح بما كفرتم
بسبب اشراككم او كفرانكم نعمة الانجاء ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا
مطالبا يتبعنا بالانتصار او صرف ولقد كرمنا بني ادم بحسن الصورة
والمزاج الاعدل واعتدال القامة والتميز بالعقل والافهام بالنطق
والاشارة والخط والتهدي الى اسباب المعاش والمعاد والتسلط على
ما في الارض والتمكن من الصناعات وانسياق الاسباب والمسببات
العلوية والسفلية الى ما يعود عليهم بالمنافع الى غير ذلك مما يقف
الحصر دون احصائه ومن ذلك ما ذكره ابن عباس رضي الله عنهما
وهو ان كل حيوان يتناول طعامه بفيه الا الانسان فانه يرفعه اليه
بيده وحملناهم في البر والبحر على الدواب والسفن من حملته حملا
اذا جعلت له ما يركبه او حملناهم فيهما حتى لم تخسف بهم الارض
ولم يغرقهم الماء ورزقناهم من الطيبات المستلذات مما يحصل
بفعلهم وبغير فعلهم وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا
بالغلبة والاستيلا او بالشرف والكرامة والمستثنى من جنس الملايكة
او الخواص منهم ولا يلزم من عدم تفضيل الجنس عدم تفضيل بعض افراده
والمسئلة موضع نظر وقد اول الكثير بالكل وفيه تعسف يوم ندعوا
نصب باضمار اذكر او ظرف لما دل عليه ولا يظلمون وقرئ يدعو ويدعى
ويدعو على قلب الالف واوا على لغة من يقول افعو في افعى او على ان
الواو علامة الجمع كما في قوله واسروا النجوى الذين ظلموا او ضميره وكل
بدل منه والنون محذوفة لقلة المبالاة بها فانها ليست الا علامة
في الرفع وهو يقدر كما في يدعى كل اناس بامامهم من ايتموا به من نبي
او مقدم في الدين او كتاب او دين وقيل بكتاب اعمالهم التي قدموها
فيقال يا صاحب كتاب كذا اي تنقطع علقة الانساب وتبقى نسبة الاعمال

وقيل

وقيل بالقوى الحاملة لهم على عقايدهم وافعالهم وقيل بامهاتهم جمع
ام كخف وخفاف والحكمة في ذلك اجلال عيسى عليه السلام واظهار شرف
الحسن والحسين وان لا يفتضح اولاد الزنا فمن اوتي من المدعوين
كتابه بيمينه اي كتاب عمله فاولئك يقرؤن كتابهم ابتهاجا وتبجحا
بما يرون فيه ولا يظلمون فتيلا ولا ينقصون من اجورهم ادنى شي
وجمع اسم الاشارة والضمير لان من اوتي في معنى الجمع وتعليق القراة
باتيان الكتاب باليمين يدل على ان من اوتي كتابه بشماله اذا اطلع على
ما فيه غشيهم من الخجل والحيرة ما يحبس السنتهم عن القراة ولذلك
لم يذكرهم مع ان قوله ومن كان في هذه اعمى فهو في الاخرة
اعمى ايضا مشعر بذلك فان الاعمى لا يقرأ الكتاب والمعنى من كان
في هذه الدنيا اعمى القلب لا يبصر رشده كان في الاخرة اعمى لا يرى طريق
النجاة واضل سبيلا منه في الدنيا لزوال الاستعداد وفقدان
الالة والمهلة وقيل لان الاهتدا بعد لا ينفعه والاعمى مستعار من فاقد
الحاسة وقيل الثاني للتفضيل من عمي بقلبه كالاجهل والابله ولذلك
لم يمله ابو عمرو ويعقوب فان افعل التفضيل تمامه بمن فكانت الفه
في حكم المتوسط كما في اعمالكم بخلاف النعت فان الفه واقعة في الطرف
لفظا وحكما فكانت معرضة للامالة من حيث انها تصير يا في التثنية
وقد امالهما حمزة والكسائي وابو بكر وان كادوا ليفتنونك نزلت
في ثقيف قالوا لا ندخل في امرك حتى تعطينا خصالا نفتخر بها على العرب
لا نعشر ولا نحشر ولا نجبي في صلاتنا وكل ربوا لنا فهو لنا وكل ربوا علينا
فهو موضوع عنا وان تمتعنا باللات سنة وان تحرم وادينا كما حرمت
مكة فان قالت العرب لم فعلت ذلك فقل ان الله امرني وقيل في قريش
قالوا لا نمكنك من استلام الحجر حتى تلم بالهتنا وتمسها بيدك وان هي
المخففة واللام هي الفارقة والمعنى ان الشان قاربوا بمبالغتهم ان يوقعوك
في الفتنة بالاستنزال عن الذي اوحينا اليك من الاحكام لتفتري
علينا غيره غير ما اوحينا اليك واذا لاتخذوك خليلا ولو اتبعت
مرادهم لاتخذوك بافتتانك وليا لهم بريا من ولايتي ولولا ان
ثبتناك ولولا تثبيتنا اياك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا لقاربت
ان تميل الى اتباع مرادهم والمعنى انك كنت على صدد الركون اليهم

ربنا

لقوة خدعهم وشدة احتيالهم لكن ادركتك عصمتنا فمنعت ان تقرب
من الركون فضلا من ان تركن اليه وهو صريح في انه صلى الله عليه وسلم
ما هم باجابتهم مع قوة الداعي اليها ودليل على ان العصمة بتوفيق
الله وحفظه اذا لاذقناك اي لو قاربت لاذقناك ضعف الحياة
وضعف الممات اي عذاب الدنيا وعذاب الاخرة ضعف ما يعذب
به في الدارين بمثل هذا الفعل غيرك لان خطأ الخطير اخطر وكان
اصل الكلام عذابا ضعفا في الحيوة وعذابا ضعفا في الممات بمعنى
مضاعفا ثم حذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه ثم اضيفت كما
يضاف موصوفها وقيل الضعف من اسماء العذاب وقيل المراد بضعف
الحياة عذاب الاخرة وبضعف الممات عذاب القبر ثم لا تجد لك
علينا نصيرا يدفع العذاب عنك وان كادوا وان كاد اهل مكة
ليستفزونك ليزعجونك بمعاداتهم من الارض ارض مكة ليخرجوك
منها واذا لا يلبثون خلفك ولو خرجت لا يبقون بعد خروجك
الا قليلا الا زمانا قليلا وقد كان كذلك فانهم اهلكوا ببدر بعد
هجرته وقيل الاية نزلت في اليهود حسدوا مقام النبي بالمدينة فقالوا
الشام مقام الانبياء فان كنت نبيا فالحق بها حتى نؤمن بك فوقع ذلك
في قلبه فخرج مرحلة فنزلت فرجع ثم قتل منهم بنو قريظة واجلي بنو
النضير بقليل وقرئ لا يلبثوا منصوبا باذن على انه معطوف على جملة
قوله وان كادوا ليستفزونك لا على خبر كاد فان اذن لا تعمل اذا كان
معتمدا ما بعدها على ما قبلها وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي ويعقوب
وحفص خلافك وهو لغة فيه قال عفت الديار خلافهم فكانما
بسط الشواطب بينهن حصيرا سنة من قد ارسلنا قبلك من رسلنا
نصب على المصدر اي سن الله ذلك سنة وهو ان يهلك كل امة اخرجوا
رسولهم من بين اظهرهم فالسنة لله واضافتها الى الرسل لانها
من اجلهم ويدل عليه ولا تجد لسنتنا تحويلا اي تغييرا اقم الصلوة
لدلوك الشمس لزوالها ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم اتاني
جبريل لدلوك الشمس حين زالت فصلى بي الظهر وقيل لغروبها واصل
التركيب للانتقال ومنه الدلك فان الدالك لا يستقر يده وكذا كل ما تركب
من الدال واللام كدلج ودلح ودلع ودلف ودله وقيل الدلوك من الدلك

لان الناظر اليها يدلك عينيه ليدفع شعاعها واللام للتأقيت مثلها
في لثلاث خلون الى غسق الليل الى ظلمته وهو وقت صلاة العشاء
الاخرة وقرآن الفجر وصلوة الصبح سميت قرآنا لانه ركنها كما سميت ركوعا
وسجودا واستدل به على وجوب القراءة فيها ولا دليل فيه لجواز ان يكون
التجوز لكونها مندوبة فيها نعم لو فسر بالقرآن في صلاة الفجر دل الامر
باقامتها على الوجوب فيها نصا وفي غيرها قياسا ان قرآن الفجر كان
مشهودا تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار او شواهد القدرة من
تبدل الظلمة بالضياء والنوم الذي هو اخو الموت بالانتباه او كثير من المصلين
او من حقه ان يشهده الجم الغفير والاية جامعة للصلوات الخمس ان فسر
الدلوك بالزوال ولصلوات الليل وحدها ان فسر بالغروب وقيل المراد
بالصلوة صلاة المغرب وقوله لدلوك الشمس الى غسق الليل بيان لمبدأ
الوقت ومنتهاه واستدل به على ان الوقت يمتد الى غروب الشفق ومن
الليل فتهجد به وبعض الليل فاترك الهجود للصلاة والضمير للقرآن نافلة
لك فريضة زائدة لك على الصلوات المفروضة او فضيلة لك لاختصاص
وجوبه بك عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا مقاما يحمده القائم
فيه وكل من عرفه وهو مطلق في كل مقام يتضمن كرامة والمشهور انه مقام
الشفاعة لما روى ابو هريرة انه صلى الله عليه وسلم قال هو المقام الذي اشفع
فيه لامتي ولاشعاره بان الناس يحمدونه لقيامه فيه وما ذاك الا مقام
الشفاعة وانتصابه على الظرف باضمار فعله اي فيقيمك مقاما او بتضمين
يبعثك معناه او الحال بمعنى ان يبعثك ذا مقام وقل رب ادخلني اي
في القبر مدخل صدق ادخالا مرضيا واخرجني اي منه عند البعث
مخرج صدق اخراجا ملقى بالكرامة وقيل المراد ادخال المدينة
والاخراج من مكة وقيل ادخاله مكة ظاهرا عليها واخراجه منها
آمنا من المشركين وقيل ادخاله الغار واخراجه منه سالما وقيل
ادخاله فيما حمله من اعباء الرسالة واخراجه منه مؤديا حقه وقيل ادخاله
في كل ما يلابسه من مكان او امر واخراجه منه وقرئ مدخل ومخرج
بالفتح على معنى ادخلني فادخل دخولا واخرجني فاخرج خروجا واجعل
لي من لدنك سلطانا نصيرا حجة تنصرني على من خالفني او ملكا
ينصر الاسلام على الكفر فاستجاب له بقوله فان حزب الله هم الغالبون

ليظهره على الدين كله ليستخلفنهم في الارض وقل جاء الحق الاسلام
وزهق الباطل وذهب وهلك الشرك من زهق روحه اذا خرج ان
الباطل كان زهوقا مضمحلا غير ثابت عن ابن مسعود رضي الله عنه انه
صلى الله عليه وسلم دخل مكة يوم الفتح وفيها ثلثمائة وستون صنما فجعل
ينكت بمخصرة في عين واحد منها ويقول جاء الحق وزهق الباطل فينكب
لوجهه حتى القى جميعها وبقي صنم خزاعة فوق الكعبة وكان من صفر فقال
يا علي ارم به فصعد فرمى به فكسره وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة
للمؤمنين في تقويم دينهم واستصلاح نفوسهم كالدواء الشافي للمرضى
ومن للبيان فان كله كذلك وقيل انه للتبعيض والمعنى ان منه ما يشفي من
المرض كالفاتحة وآيات الشفاء وقرأ البصري ننزل بالتخفيف ولا يزيد
الظالمين الا خسارا لتكذيبهم وكفرهم واذا انعمنا على الانسان
بالصحة والسعة اعرض عن ذكر الله ونأى بجانبه لوى عطفه وبعد
بنفسه عنه كانه مستغن مستبد بامره ويجوز ان يكون كناية عن الاستكبار
لانه من عادة المستكبرين وقرأ ابن عامر من رواية ابن ذكوان هنا وفي
فصلت وناء على القلب او على انه بمعنى نهض واذا مسه الشر من مرض
او فقر كان يؤوسا شديد اليأس من روح الله قل كل يعمل على شاكلته
قل كل احد يعمل على طريقته التي تشاكل حاله في الهدى والضلالة
او جوهر روحه واحواله التابعة لمزاج بدنه فربكم اعلم بمن هو اهدى
سبيلا اسد طريقا وابين منهجا وقد فسرت الشاكلة بالطبيعة والعادة
والدين ويسألونك عن الروح الذي يحيى به بدن الانسان ويدبره
قل الروح من امر ربي من الابداعيات الكائنة بكن من غير مادة
وتولد من اصل كاعضاء جسده او وجد بامر ربي وحدث بتكوينه على
ان السؤال عن قدمه وحدوثه وقيل مما استأثر الله بعلمه لما روي
ان اليهود قالوا لقريش سلوه عن اصحاب الكهف وعن ذي القرنين
وعن الروح فان اجاب عنها او سكت فليس بنبي وان اجاب عن بعض
وسكت عن بعض فهو نبي فبين لهم القصتين وابهم امر الروح وهو مبهم في
التورية وقيل الروح جبريل وقيل خلق اعظم من الملك وقيل القرآن
ومن امر ربي معناه من وحيه وما اوتيتم من العلم الا قليلا تستفيده
بتوسط حواسكم فان اكتساب العقل للمعارف النظرية انما هي من

الضروريات

الضروريات المستفادة من احساس الجزئيات فلذلك قيل من فقد
حسا فقد فقد علما ولعل اكثر الاشياء لا يدركه الحس ولا شيئا من احواله
المعرفة لذاته وهو اشارة الى ان الروح مما لا يمكن معرفة ذاته الا
بعوارض تميزه عما يلتبس به فلذلك اقتصر على هذا الجواب كما اقتصر موسى
عليه السلام في جواب وما رب العالمين بذكر بعض صفاته روي انه
صلى الله عليه وسلم لما قال لهم ذلك قالوا انحن مختصون بهذا الخطاب
فقال بل نحن وانتم فقالوا ما اعجب شانك ساعة تقول ومن يؤت الحكمة
فقد اوتي خيرا كثيرا وساعة تقول هذا فنزلت ولو ان ما في الارض من
شجرة اقلام وما قالوه لسوء فهمهم لان الحكمة الانسانية ان يعلم من
الخير والحق ما تسعه القوة البشرية بل ما ينتظم به معاشه ومعاده وهو
بالاضافة الى معلومات الله التي لا نهاية لها قليل ينال به خير الدارين وهو
بالاضافة اليه كثير ولئن شئنا لنذهبن بالذي اوحينا اليك اللام
الاولى موطئة للقسم ولنذهبن جوابه النائب مناب جزاء الشرط والمعنى
ان شئنا ذهبنا بالقرآن ومحوناه عن المصاحف والصدور ثم لا تجد لك به
علينا وكيلا من يتوكل علينا باسترداده مسطورا محفوظا الا رحمة من ربك
فانها ان نالتك فلعلها تسترده عليك ويجوز ان يكون استثناء منقطعا
بمعنى ولكن رحمة من ربك تركته غير مذهوب به فيكون امتنانا بابقائه
بعد المنة في تنزيله ان فضله كان عليك كبيرا كارساله وانزال الكتاب
عليه وابقائه في حفظه قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا
بمثل هذا القرآن في البلاغة وحسن النظم وكمال المعنى لا يأتون بمثله
وفيهم العرب العرباء وارباب البيان واهل التحقيق وهو جواب قسم
محذوف دل عليه اللام الموطئة ولولا هي لكان جواب الشرط بلا جزم
لكون الشرط ماضيا كقول زهير • وان اتاه خليل يوم مسألة • يقول لا
غائب مالي ولا حرم • ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ولو تظاهروا
على الاتيان به ولعله لم يذكر الملائكة لان اتيانهم بمثله لا يخرجه
عن كونه معجزة ولانهم كانوا وسائط في اتيانه ويجوز ان تكون الاية تقريرا
لقوله ثم لا تجد لك به علينا وكيلا ولقد صرفنا كررنا بوجوه مختلفة
زيادة في التقرير والبيان للناس في هذا القرآن من كل مثل من كل معنى
هو كالمثل في غرابته ووقوعه موقعا في الانفس فأبى اكثر الناس الا كفورا

الاجحودا وانما جاز ذلك ولم يجز ضربت الا زيدا لانه متاول بالنفي وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا تعنتا واقتراحا بعدما لزمتهم الحجة ببيان اعجاز القران وانضمام غيره من المعجزات اليه وقرا الكوفيون ويعقوب تفجر بالتخفيف والارض ارض مكة والينبوع عين لا ينضب ماؤها يفعول من نبع الماء كيعبوب من عب الماء اذا زخر او تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الانهار خلالها تفجيرا او يكون لك بستان يشتمل على ذلك او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا من السماء يعنون قوله تعالى او نسقط عليهم كسفا من السماء وهو كقطع لفظا ومعنى وقد سكنه ابن كثير وابو عمرو وحمزة والكسائي ويعقوب في جميع القران الا في الطور وابن عامر الا في هذه السورة وابو بكر ونافع في غيرهما وحفص في ما عدا الطور وهو اما مخفف من المفتوح كسدر وسدر او فعل بمعنى مفعول كالطحن او تاتي بالله والملائكة قبيلا كفيلا بما تدعيه اي شاهدا على صحته ضامنا لدركه او مقابلا كالعشير بمعنى المعاشر وهو حال من الله وحال الملائكة محذوفة لدلالتها عليها كما حذف الخبر في قوله فاني وقيار بها لغريب او جماعة فيكون حالا من الملائكة او يكون لك بيت من زخرف من ذهب وقد قرئ به واصله الزينة او ترقى في السماء في معارجها ولن نؤمن لرقيك وحده حتى تنزل علينا كتابا نقروه وكان فيه تصديقك قل سبحان ربي تعجبا من اقتراحاتهم او تنزيها لله من ان ياتي او يتحكم عليه او يشاركه احد في القدرة وقرا ابن كثير وابن عامر قال سبحان اي قال الرسول هل كنت الا بشرا رسولا كسائر الرسل وكانوا لا ياتون قومهم الا بما يظهره الله عليهم على ما يلائم حال قومهم ولم يكن امر الايات اليهم ولا لهم ان يتحكموا على الله حتى تخيرتموها علي هذا الجواب المجمل واما التفصيل فقد ذكر في ايات اخر كقوله ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس ولو فتحنا عليهم بابا وما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى اي وما منعهم الايمان بعد نزول الوحي وظهور الحق الا ان قالوا ابعث الله بشرا رسولا الا قولهم هذا والمعنى انه لم يبق لهم شبهة تمنعهم عن الايمان بمحمد والقران الا انكارهم ان يرسل الله بشرا قل جوابا لشبهتهم لو كان في الارض ملائكة يمشون كما يمشي بنو ادم مطمئنين ساكنين فيها لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا لتمكنهم من الاجتماع

به والتلقي منه واما الانس فعامتهم عماة عن ادراك الملك والتلقف منه فان ذلك مشروط بنوع من التناسب والتجانس وملكا يحتمل ان يكون حالا من رسولا وان يكون موصوفا به وكذلك بشرا والاول اوفق قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم على اني رسول الله اليكم باظهار المعجزات على وفق دعواي او على اني بلغت ما ارسلت به اليكم وانكم عاندتم وشهيدا نصب على الحال او التمييز انه كان بعباده خبيرا بصيرا يعلم احوالهم الباطنة منها والظاهرة فيجازيهم عليها وفيه تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم وتهديد للكفار ومن يهد الله فهو المهتدي ومن يضلل فلن تجد لهم اولياء من دونه يهدونهم ونحشرهم يوم القيمة على وجوههم يسحبون عليها او يمشون بها روي انه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يمشون على وجوههم قال الذي امشاهم على اقدامهم قادر على ان يمشيهم على وجوههم عميا وبكما وصما لا يبصرون ما يقر اعينهم ولا يسمعون ما يلذ مسامعهم ولا ينطقون بما يقبل منهم لانهم في دنياهم لم يستبصروا بالايات والعبر وتصاموا عن استماع الحق وابوا ان ينطقوا بالصدق ويجوز ان يحشروا بعد الحساب من الموقف الى النار مؤوفي القوى والحواس ماواهم جهنم كلما خبت سكن لهبها بان اكلت جلودهم ولحومهم زدناهم سعيرا توقدا بان نبدل جلودهم ولحومهم فتعود ملتهبة مستعرة بهم كانهم لما كذبوا بالاعادة بعد الافناء جزاهم الله بان لا يزالوا على الاعادة والافناء واليه اشار بقوله ذلك جزاؤهم بانهم كفروا باياتنا وقالوا ائذا كنا عظاما ورفاتا ائنا لمبعوثون خلقا جديدا لان الاشارة الى ما تقدمه من عذابهم اولم يروا اولم يعلموا ان الله الذي خلق السموات والارض قادر على ان يخلق مثلهم فانهم ليسوا اشد خلقا منهم ولا الاعادة اصعب عليه من الابداء وجعل لهم اجلا لا ريب فيه هو الموت او القيامة فابى الظالمون مع وضوح الحق الا كفورا الا جحودا قل لو انتم تملكون خزائن رحمة ربي خزائن رزقه وسائر نعمه وانتم مرفوع بفعل يفسره ما بعده كقول حاتم لو ذات سوار لطمتني وفائدة هذا الحذف والتفسير المبالغة مع الايجاز والدلالة على الاختصاص اذا لامسكتم خشية الانفاق لبخلتم مخافة النفاد بالانفاق اذ لا احد الا ويختار النفع لنفسه ولو اثر غيره بشيء فانما يوثره لعوض يفوقه فهو اذن بخيل

بالاضافة الى جود الله وكرمه هذا وان البخل اغلب فيهم وكان الانسان
قتورا بخيلا لان بناء امره على الحاجة والضنة بما يحتاج اليه وملاحظة
العوض فيما يبذل ولقد اتينا موسى تسع ايات بينات هي العصى
واليد والجراد والقمل والضفادع والدم وانفجار الماء من الحجر وانتقال الجبل
ونتق الطور على بني اسرائيل وقيل الطوفان والسنون ونقص الثمرات
مكان الثلثة الاخيرة وعن صفوان ان يهوديا سال النبي صلى الله عليه وسلم
عنها فقال ان لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس
التي حرم الله الا بالحق ولا تسحروا ولا تاكلوا الربا ولا تمشوا ببري الى
ذي سلطان ليقتله ولا تقذفوا المحصنة ولا تفروا من الزحف وعليكم خاصة
اليهود ان لا تعدوا في السبت فقبل اليهودي يده ورجله فعلى هذا
المراد بالايات الاحكام العامة للملل الثابتة في كل الشرايع سميت
بذلك لانها تدل على حال من يتعاطى متعلقها في الاخرة من السعادة
والشقاوة وقوله وعليكم خاصة اليهود ان لا تعدوا حكم مستانف زايد
على الجواب ولذلك غير فيه سياق الكلام فسال بني اسرائيل اذ جاءهم
فقلنا له سلهم من فرعون ليرسلهم معك او سلهم عن حال دينهم ويؤيده
قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فسال على لفظ الماضي بغير همز وهو لغة
قريش واذ متعلق بقلنا او بسال على هذه القراءة او فسل يا محمد بني اسرائيل
عن ما جرى بين موسى وفرعون اذ جاءهم او عن الايات ليظهر للمشركين
صدقك او لتتسلى نفسك او لتعلم انه تعالى لو اتى بما اقترحوا لاصروا
على العناد والمكابرة كمن قبلهم او ليزداد يقينك لان تظاهر الادلة
توجب قوة اليقين وطمانينة القلب وعلى هذا كان اذ نصبا باتينا او باضمار
يخبروك على انه جواب الامر او باضمار اذكر على الاستيناف فقال له
فرعون اني لاظنك يا موسى مسحورا سحرت فتخبط عقلك قال لقد علمت
يا فرعون وقرا الكسائي بالضم على اخباره عن نفسه ما انزل هؤلاء يعني
الايات الا رب السموات والارض بصاير بينات تبصرك صدقي
ولكنك تعاند وانتصابه على الحال واني لاظنك يا فرعون مثبورا
مصروفا عن الخير مطبوعا على الشر من قولهم ما ثبرك عن هذا اي ما
صرفك او هالكا قارع ظنه بظنه وشتان ما بين الظنين فان ظن فرعون
كذب بحت وظن موسى يحوم حول اليقين من تظاهر اماراته وقيل ان

موسى ص

لاخالك

لاخالك يا فرعون مثبورا على ان المخففة واللام هي الفارقة فاراد ان
يستفزهم ان يستخف موسى وقومه وينفيهم من الارض ارض مصر او الارض
مطلقا بالقتل والاستيصال فاغرقناه ومن معه جميعا فعكسنا
عليه مكره فاستفززناه وقومه بالاغراق وقلنا من بعده من بعد فرعون
واغراقه لبني اسرائيل اسكنوا الارض التي اراد ان يستفزكم منها فاذا
جاء وعد الاخرة الكرة او الحياة او الساعة او الدار الاخرة يعني قيام
القيامة جئنا بكم لفيفا مختلطين اياكم واياهم ثم نحكم بينكم ونميز سعداكم
من اشقياكم واللفيف الجماعات من قبايل شتى وبالحق انزلناه وبالحق
نزل اي وما انزلنا القران الا ملتبسا بالحق المقتضي لانزاله وما نزل الا
ملتبسا بالحق الذي اشتمل عليه وقيل وما انزلناه من السما الا محفوظا
بالرصد من الملايكة وما نزل على الرسول الا محفوظا بهم من تخليط الشياطين
ولعله اراد به نفي اعتراء البطلان اول الامر واخره وما ارسلناك الا
مبشرا للمطيع بالثواب ونذيرا للعاصي من العقاب فلا عليك الا
التبشير والانذار وقرانا فرقناه نزلناه مفرقا منجما وقيل فرقنا فيه الحق
من الباطل فحذف الجار كما في قوله ويوم شهدناه وقرئ بالتشديد
لكثرة نجومه فانه نزل في تضعيف عشرين سنة لتقراه على الناس على
مكث على مهل وتؤده فانه ايسر للحفظ واعون في الفهم وقرئ بالفتح
وهو لغة فيه ونزلناه تنزيلا على حسب الحوادث قل امنوا به او لا
تؤمنوا فان ايمانكم بالقران لا يزيده كمالا وامتناعكم عنه لا يورثه نقصا
وقوله ان الذين اوتوا العلم من قبله تعليل له اي ان لم تؤمنوا به
فقد امن به من هو خير منكم وهم العلماء الذين قرؤا الكتب السابقة وعرفوا
حقيقة الوحي وامارات النبوة وتمكنوا من الميز بين المحق والمبطل
اورأوا نعتك وصفة ما انزل اليك في تلك الكتب ويجوز ان يكون
تعليلا لقل على سبيل التسلية كانه قيل تسل بايمان العلماء عن ايمان الجهلة
ولا تكترث بايمانهم واعراضهم اذا يتلى عليهم القران يخرون للاذقان
سجدا يسقطون على وجوههم تعظيما لامر الله او شكرا لانجاز وعده
في تلك الكتب ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم على فترة من الرسل وانزال
القران عليه ويقولون سبحان ربنا عن خلف الموعد ان كان وعد
ربنا لمفعولا انه كان وعده كاينا لا محالة ويخرون للاذقان يبكون

كرره لاختلاف الحال والسبب فان الاول للشكر عند انجاز الوعد والثاني لما اثر فيهم من مواعظ القران حال كونهم باكين من خشية الله وذكر الذقن لانه اول ما يلقى الارض من وجه الساجد واللام فيه لاختصاص الخرور
ويزيدهم سماع القران خشوعا كما يزيدهم علما ويقينا بالله قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن نزلت حين سمع المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا الله يا رحمن فقالوا انه ينهانا ان نعبد الهين وهو يدعوا الها اخر وقالت اليهود انك لتقل ذكر الرحمن وقد اكثره الله في التورية والمراد على الاول هو التسوية بين اللفظين فانهما مطلقان على ذات واحدة وان اختلف اعتبار اطلاقهما والتوحيد انما هو للذات الذي هو المعبود وعلى الثاني انهما سيان في حسن الاطلاق والافضاء الى المقصود وهو اجوب لقوله ايا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى والدعاء في الاية بمعنى التسمية وهو يتعدي الى مفعولين حذف اولهما استغناء عنه واو للتخيير والتنوين في ايا عوض من المضاف اليه وما صلة لتاكيد ما في اي من الابهام والضمير في له للمسمى لان التسمية له لا للاسم وكان اصل الكلام ايا ما تدعوا فهو حسن فوضع موضعه فله الاسماء الحسنى للمبالغة والدلالة على ما هو الدليل عليه وكونها حسنى لدلالتها على صفات الجلال والاكرام ولا تجهر بصلاتك بقراءة صلاتك حتى تسمع المشركين فان ذلك يحملهم على السب واللغو فيها ولا تخافت بها حتى لا تسمع من خلفك من المومنين وابتغ بين ذلك سبيلا من الجهر والمخافتة سبيلا وسطا فان الاقتصاد في جميع الامور محبوب روي ان ابا بكر رضي الله عنه كان يخفت ويقول اناجي ربي وقد علم حاجتي وعمر رضي الله عنه كان يجهر ويقول اطرد الشيطان واوقظ الوسنان فلما نزلت امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا بكر ان يرفع قليلا وعمر ان يخفض قليلا وقيل معناه لا تجهر بصلاتك كلها ولا تخافت بها باسرها وابتغ بين ذلك سبيلا بالاخفات نهارا والجهر ليلا وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك في الالوهية ولم يكن له ولي من الذل ولي يواليه من اجل مذلة به ليدفعها بموالاته نفى عنه ان يكون له ما يشاركه من جنسه ومن غير جنسه اختيارا واضطرارا او ما يعاونه ويقويه ورتب الحمد عليه للدلالة على انه الذي يستحق جنس الحمد لانه سبحانه كامل الذات المتفرد بالايجاد المنعم على الاطلاق

وما عداه ناقص مملوك نعمة او منعم عليه ولذلك عطف عليه قوله وكبره تكبيرا وفيه تنبيه على ان العبد وان بالغ في التنزيه والتمجيد واجتهد في العبادة والتحميد ينبغي ان يعترف بالقصور عن حقه في ذلك روي انه صلى الله عليه وسلم اذا افصح الغلام من بني عبد المطلب علمه هذه الاية وعنه صلى الله عليه وسلم من قرا سورة بني اسرائيل فرق قلبه عند ذكر الوالدين كان له قنطار في الجنة والقنطار الف اوقية ومايتا اوقية

وقيل الا قوله واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم الاية وهي مائة واحدى عشرة اية بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب يعني القران رتب استحقاق الحمد على انزاله تنبيها على انه اعظم نعمائه وذلك لانه الهادي الى ما فيه كمال العباد والداعي الى ما به ينتظم صلاح المعاش والمعاد ولم يجعل له عوجا شيئا من العوج باختلال في اللفظ وتناف في المعنى او انحراف من الدعوة الى جناب الحق وهو في المعاني كالعوج في الاعيان قيما مستقيما معتدلا لا افراط فيه ولا تفريط او قيما بمصالح العباد فيكون وصفا له بالتكميل بعد وصفه بالكمال او على الكتب السابقة يشهد بصحتها وانتصابه بمضمر تقديره جعله قيما او على الحال من الضمير في له او من الكتاب على ان الواو في ولم يجعل للحال دون العطف اذ لو كان للعطف لكان المعطوف فاصلا بين ابعاض المعطوف عليه ولذلك قيل فيه تقديم وتاخير وقرئ قيما بالتخفيف لينذر باسا شديدا اي لينذر الذين كفروا عذابا شديدا فحذف المفعول الاول اكتفاء بدلالة القرينة واقتصارا على الغرض المسوق اليه من لدنه صادرا من عنده وقرا ابو بكر باسكان الدال اسكان الباء من سبع مع الاشمام ليدل على اصله وكسر النون لالتقاء الساكنين وكسر الهاء للاتباع ويبشر المومنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا حسنا هو الجنة ماكثين فيه في الاجر ابدا بلا انقطاع وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا خصهم بالذكر وكرر الانذار متعلقا بهم استعظاما لكفرهم وانما لم يذكر المنذر به استغناء بتقدم ذكره ما لهم به من علم اي بالولد او باتخاذه او بالقول والمعنى انهم يقولونه عن جهل مفرط وتوهم

كاذب او تقليد لما سمعوه من اوائلهم من غير علم بالمعنى الذي ارادوا
به فانهم كانوا يطلقون الاب والابن بمعنى المؤثر والاثر او بالله اذ لو
علموه لما جوزوا نسبة الاتخاذ اليه ولا لآبائهم الذي يقولونه بمعنى
التبني كبرت كلمة عظمت مقالتهم هذه في الكفر لما فيها من التشبيه
والتشريك وايهام احتياجه تعالى الى ولد يعينه ويخلفه الى غير ذلك
من الزيغ وكلمة نصب على التمييز وقرئ بالرفع على الفاعلية تخرج من افواههم
صفة لها تفيد استعظام اجترائهم على اخراجها من افواههم والخارج
بالذات هو الهواء الحامل لها وقيل صفة محذوف هو المخصوص بالذم لان
كبر ههنا بمعنى بئس وقرئ كبرت بالسكون مع الاشمام ان يقولون الا
كذبا فلعلك باخع نفسك قاتلها على آثارهم اذا ولوا عن الايمان
شبهه لما تداخله من الوجد على توليهم بمن فارقته اعزته فهو يتحسر على
آثارهم ويبخع نفسه وجدا عليهم وقرئ باخع نفسك على الاضافة ان لم
يؤمنوا بهذا الحديث بهذا القرآن اسفا للتأسف عليهم او متأسفا
عليهم والاسف فرط الحزن والغضب وقرئ ان بالفتح على لان فلا يجوز
اعمال باخع الا اذا جعل حكاية حال ماضية انا جعلنا ما على الارض
من الحيوان والنبات والمعادن زينة لها ولاهلها لنبلوهم ايهم احسن
عملا في تعاطيه وهو من زهد فيه ولم يغتر به وقنع منه بما يزجي به
ايامه وصرفه على ما ينبغي وفيه تسكين لرسول الله صلى الله عليه وسلم
وانا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا تزهيد فيه والجرز الارض
التي قطع نباتها من الجرز وهو القطع والمعنى انا لنعيد ما عليها من
الزينة ترابا مستويا بالارض ونجعله كصعيد املس لا نبات فيه ام حسبت
بل احسبت ان اصحاب الكهف والرقيم في ابقاء حياتهم مدة مديدة
كانوا من آياتنا عجبا وقصتهم بالاضافة الى خلق ما على الارض
من الاجناس والانواع الفائتة للحصر على طبائع متباعدة وهيئات مختلفة
تعجب الناظرين من مادة واحدة ثم ردها اليها ليس بعجيب مع انه
من آيات الله كالنزر الحقير والكهف الغار الواسع في الجبل والرقيم
اسم الجبل او الوادي الذي فيه كهفهم او اسم قريتهم او كلبهم قال امية
ابن ابي الصلت ۞ وليس بها الا الرقيم مجاورا ۞ وصيدهم والقوم في الكهف
همد ۞ او لوح رصاصي او حجري رقمت فيه اسماؤهم وجعلت على باب

الكهف وقيل اصحاب الرقيم قوم آخرون كانوا ثلاثة خرجوا يرتادون لاهلهم
فاخذتهم السماء فاووا الى الكهف فانحطت صخرة وسدت بابه فقال احدهم
اذكروا ايكم عمل حسنة لعل الله يرحمنا ببركته فقال واحد استعملت اجراء
ذات يوم فجاء رجل وسط النهار وعمل في بقيته مثل عملهم فاعطيته مثل اجرهم
فغضب احدهم وترك اجره فوضعته في جانب البيت ثم مر بي بقر فاشتريت
به فصيلة فبلغت ما شاء الله فرجع الي بعد حين شيخا ضعيفا لا اعرفه وقال
ان لي عندك حقا وذكره حتى عرفته فدفعتها اليه جميعا اللهم ان كنت
فعلت ذلك لوجهك فافرج عنا فانصدع الجبل حتى راوا الضوء وقال
آخر كان لي فضل واصابت الناس شدة فجاءتني امراة فطلبت مني معروفا فقلت
والله ما هو دون نفسك فابت وعادت ثم رجعت ثلاثا ثم ذكرت لزوجها
فقال اجيبي له واغيثي عيالك فاتت وسلمت الي نفسها فلما تكشفتها وهممت
بها ارتعدت فقلت ما لك فقالت اخاف الله فقلت لها خفتيه في الشدة
ولم اخفه في الرخاء فتركتها واعطيتها ملتمسها اللهم ان كنت فعلته لوجهك
فافرج عنا فانصدع حتى تعارفوا وقال الثالث كان لي ابوان همان
وكانت لي غنم وكنت اطعمهما واسقيهما ثم ارجع الى غنمي فحبسني ذات يوم
غيث فلم ابرح حتى امسيت فاتيت اهلي واخذت محلبي فحلبت فيه ومضيت
اليهما فوجدتهما نائمين فشق علي ان اوقظهما فوقفت جالسا ومحلبي على يدي
حتى ايقظهما الصبح فسقيتهما اللهم ان كنت فعلته لوجهك فافرج عنا ففرج
الله عنهم فخرجوا وقد رفع ذلك نعمان بن بشير اذ اوى الفتية الى الكهف
يعني فتية من اشراف الروم ارادهم دقيانوس على الشرك فابوا وهربوا
الى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة توجب لنا المغفرة والرزق
والامن من العدو وهيئ لنا من امرنا من الامر الذي نحن عليه من مفارقة
الكفار رشدا نصير بسببه راشدين مهتدين او اجعل امرنا كله رشدا
كقولك رايت منك اسدا واصل التهيئة احداث هيئة الشيء فضربنا على
آذانهم اي ضربنا عليهم حجابا يمنع السماع بمعنى انمناهم انامة لا تنبههم
منها الاصوات فحذف المفعول كما حذف في قولهم بنى على امراته في الكهف
سنين ظرفان لضربنا عددا اي ذوات عدد ووصف السنين به يحتمل
التقليل والتكثير فان مدة لبثهم كبعض يوم عنده ثم بعثناهم ايقظناهم لنعلم
ليتعلق علمنا تعلقا حاليا مطابقا لتعلقه اولا تعلقا استقباليا اي الحزبين

المختلفين منهم او من غيرهم في مدة لبثهم احصى لما لبثوا امدا ضبط امدا
لزمان لبثهم وما في اي من معنى الاستفهام علق عنه لنعلم فهو مبتدا
واحصى خبره وهو فعل ماض وامدا مفعول له ولما لبثوا حال منه او مفعول
له وقيل انه المفعول واللام مزيدة وما موصولة وامدا تمييز وقيل احصى
اسم تفضيل من الاحصاء بحذف الزوائد كقولهم هو احصى للمال وافلس
من ابن المذلق وامدا نصب بفعل دل عليه كقوله واضرب منا بالسيوف
القوانسا نحن نقص عليك نبأهم بالحق بالصدق انهم فتية شبان
جمع فتى كصبي وصبية آمنوا بربهم وزدناهم هدى بالتثبيت وربطنا
على قلوبهم وقويناها بالصبر على هجر الوطن والاهل والمال والجراءة على
اظهار الحق والرد على دقيانوس الجبار اذ قاموا بين يديه فقالوا ربنا
رب السموات والارض لن ندعو من دونه الها لقد قلنا اذا شططا
والله لقد قلنا قولا ذا شطط اي ذا بعد عن الحق مفرط في الظلم هؤلاء
مبتدا قومنا عطف بيانه اتخذوا من دونه آلهة خبره وهو اخبار في
معنى الانكار لولا يأتون هلا يأتون عليهم على عبادتهم بسلطان
بين ببرهان ظاهر فان الدين لا يؤخذ الا به وفيه دليل على ان ما لا
دليل عليه من الديانات مردود وان التقليد فيه غير جائز فمن اظلم ممن
افترى على الله كذبا بنسبة الشريك اليه واذ اعتزلتموهم خطاب
بعضهم لبعض وما يعبدون الا الله عطف على الضمير المنصوب اي
واذ اعتزلتم القوم ومعبوديهم الا الله فانهم كانوا يعبدون الله ويعبدون
الاصنام كسائر المشركين ويجوز ان تكون ما مصدرية على تقدير واذ
اعتزلتموهم وعبادتهم الا عبادة الله وان تكون نافية على انه اخبار
من الله تعالى عن الفتية بالتوحيد معترض بين اذ وجوابه لتحقيق اعتزالهم
فأووا الى الكهف ينشر لكم ربكم يبسط لكم ويوسع عليكم من رحمته
في الدارين ويهيئ لكم من امركم مرفقا ما ترتفقون به اي تنتفعون
وجزمهم بذلك لنصوع يقينهم وقوة وثوقهم بفضل الله وقرأ نافع وابن
عامر مرفقا بفتح الميم وكسر الفاء وهو مصدر جاء شاذا كالمرجع والمحيض فان
قياسه بالفتح وترى الشمس لو رأيتهم والخطاب لرسول الله صلى الله
عليه وسلم او لكل احد اذا طلعت تزاور عن كهفهم تميل عنه ولا يقع
شعاعها عليهم فيؤذيهم لان الكهف كان جنوبيا او لان الله زورها

عنهم واصلها تتزاور فادغمت التاء في الزاي وقرأ الكوفيون بحذفها
وابن عامر ويعقوب تزور كتحمر وقرئ تزوار كتحمار وكلها من الزور
بمعنى الميل ذات اليمين جهة اليمين وحقيقتها الجهة ذات اسم اليمين
واذا غربت تقرضهم تقطعهم وتصرم عنهم ذات الشمال يعني
يمين الكهف وشماله لقوله وهم في فجوة منه اي وهم في متسع من الكهف
يعني في وسطه بحيث ينالهم روح الهواء ولا يؤذيهم كرب الغار ولا
حر الشمس وذلك لان باب الكهف في مقابلة بنات نعش واقرب المشارق
والمغارب الى محاذاته مشرق رأس السرطان ومغربه والشمس اذا كان
مدارها مداره تطلع مائلة عنه مقابلة لجانبه الايمن وهو الذي
يلي المغرب وتغرب محاذية لجانبه الايسر فيقع شعاعها على جنبيه و
يحلل عفونته ويعدل هواءه ولا تقع عليهم فتؤذي اجسامهم وتبلي ثيابهم
ذلك من آيات الله اي شأنهم وايواؤهم الى كهف شأنه كذلك او اخبارك
قصتهم او ازورار الشمس عنهم وقرضها طالعة وغاربة من آيات الله
من يهد الله بالتوفيق فهو المهتد الذي اصاب الفلاح والمراد
به اما الثناء عليهم او التنبيه على ان امثال هذه الآيات كثيرة ولكن
المنتفع بها من وفقه الله للتأمل فيها والاستبصار بها ومن يضلل ومن
يخذله فلن تجد له وليا مرشدا من يليه ويرشده وتحسبهم ايقاظا
لانفتاح عيونهم او لكثرة تقلبهم وهم رقود نيام ونقلبهم في رقدتهم
ذات اليمين وذات الشمال كيلا تأكل الارض ما يليها من ابدانهم
على طول الزمان وقرئ ويقلبهم بالياء والضمير لله تعالى وتقلبهم على
المصدر منصوبا بفعل يدل عليه وتحسبهم اي وترى تقلبهم وكلبهم قيل هو
كلب مروا به فتبعهم فطردوه فانطقه الله فقال انا احب احباء الله فناموا
وانا احرسكم او كلب راع مروا به فتبعهم وتبعه الكلب ويؤيده قراءة
من قرأ وكالبهم اي وصاحبهم باسط ذراعيه حكاية حال ماضية
ولذلك اعمل اسم الفاعل بالوصيد بفناء الكهف وقيل الوصيد الباب
وقيل العتبة لو اطلعت عليهم فنظرت اليهم وقرئ لو اطلعت بضم الواو
لوليت منهم فرارا لهربت منهم وفرارا يحتمل المصدر لانه نوع من التولية
والعلة والحال ولملئت منهم رعبا خوفا يملأ صدرك لما البسهم الله
من الهيبة او لعظم اجرامهم وانفتاح عيونهم وقيل لوحشة مكانهم وعن

رق

اي شانهم

معاوية انه غزا الروم فمرّ بالكهف فقال لو كشف لنا عن هولا فنظرنا
اليهم فقال ابن عباس رضي الله عنهما ليس لك ذلك قد منع الله تعالى
من هو خير منك فقال لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا فلم يسمع
وبعث ناسا فلما دخلوا جاءت ريح فاحرقتهم وقرا الحجازيان لملّئت
بالتشديد للمبالغة وابن عامر والكسائي ويعقوب رعبا بالتثقيل
وكذلك بعثناهم وكما انمناهم آية على كمال قدرتنا بعثناهم آية على كمال
قدرتنا ليتساءلوا بينهم ليسأل بعضهم بعضا فيتعرفوا حالهم وما
صنع الله بهم فيزدادوا يقينا على كمال قدرة الله ويستبصروا به امر البعث
ويشكروا ما انعم الله به عليهم قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا
يوما او بعض يوم بنا على غالب ظنهم لان النايم لا يحصي مدة نومه
ولذلك احالوا العلم الى الله قالوا ربكم اعلم بما لبثتم ويجوز ان يكون
ذلك قول بعضهم وهذا انكار الآخرين عليهم وقيل انهم دخلوا الكهف
غدوة وانتبهوا ظهيرة فظنوا انهم في يومهم او اليوم الذي بعده قالوا
ذلك فلما نظروا الى طول اظفارهم واشعارهم قالوا هذا ثم لما علموا
ان الامر ملتبس لا طريق الى علمه اخذوا فيما يهمهم وقالوا فابعثوا
احدكم بورقكم هذه الى المدينة والورق الفضة مضروبة كانت
او غيرها وقرا ابو بكر وحمزة وابو عمرو وروح عن يعقوب بالتخفيف
وقرئ بالتثقيل وادغام القاف في الكاف وبالتخفيف مكسور الواو
مدغما او غير مدغما وغير مدغم ورده المدغم لالتقاء الساكنين على
غير حده وحملهم له دليل على ان التزود راي المتوكلين والمدينة
طرسوس فلينظر ايها اي اهلها ازكى طعاما احل واطيب واكثر
او ارخص فليأتكم برزق منه وليتلطف وليتكلف اللطف في المعاملة
حتى لا يغبن او في التخفي حتى لا يعرف ولا يشعرن بكم احدا ولا يفعلن
ما يؤدي الى الشعور انهم ان يظهروا عليكم ان يطلعوا عليكم او يظفروا
بكم والضمير للاهل المقدر في ايها يرجموكم يقتلوكم بالرجم او يعيدوكم
في ملتهم او يصيروكم اليها كرها من العود بمعنى الصيرورة وقيل كانوا
اولا على دينهم فآمنوا ولن تفلحوا اذا ابدا ان دخلتم في ملتهم وكذلك
اعثرنا عليهم وكما انمناهم وبعثناهم لتزداد بصيرتهم اطلعنا
عليهم ليعلموا ليعلم الذين اطلعناهم على حالهم ان وعد الله بالبعث او الموعود

الذي

الذي هو البعث حق لان نومهم وانتباههم كحال من يموت ثم يبعث وان
الساعة لا ريب فيها وان القيامة لا ريب في امكانها فان من توفى
نفوسهم وامسكها ثلثمائة سنين حافظا ابدانها عن التحلل والتفتت
ثم ارسلها قدر ان يتوفى نفوس جميع الناس ممسكا اياها الى ان يحشر ابدانها
فيردها عليهم اذ يتنازعون ظرف لاعثرنا اي اعثرنا عليهم حين يتنازعون
بينهم امرهم امر دينهم كان بعضهم يقول تبعث الارواح مجردة وبعضهم
يقول يبعثان معا ليرتفع الخلاف ويتبين انهما يبعثان معا او امر الفتية
حين اماتهم الله ثانيا فقال بعضهم ماتوا وقال آخرون ناموا نومهم
اول مرة او قالت طائفة نبني عليهم بنيانا يسكنه الناس ويتخذونه قرية
وقال آخرون لنتخذن عليهم مسجدا يصلى فيه كما قال تعالى فقالوا ابنوا
عليهم بنيانا ربهم اعلم بهم قال الذين غلبوا على امرهم لنتخذن
عليهم مسجدا وقوله ربهم اعلم بهم اعتراض اما من الله ردا على الخائضين
في امرهم من اوليك المتنازعين او من المتنازعين فيهم على عهد الرسول
او من المتنازعين للرد الى الله بعد ما تذاكروا امرهم وتناقلوا الكلام
في انسابهم واحوالهم فلم يتحقق لهم ذلك حكي ان المبعوث لما دخل السوق
واخرج الدراهم وكان عليها اسم دقيانوس اتهموه بانه وجد كنزا فذهبوا به
الى الملك وكان نصرانيا موحدا فقص عليه القصص فقال بعضهم ان
آباءنا اخبرونا ان فتية فروا بدينهم من دقيانوس فلعلهم هولا فانطلق
الملك واهل المدينة من مومن وكافر فابصروهم وكلموهم ثم قالت الفتية
للملك نستودعك الله ونعيذك به من شر الجن والانس ثم رجعوا الى مضاجعهم
فماتوا فدفنهم الملك في الكهف وبنى عليهم مسجدا وقيل لما انتهوا الى الكهف
قال لهم الفتى مكانكم حتى ادخل اولا لئلا يفزعوا فدخل فعمي عليهم المدخل
فبنوا ثم مسجدا سيقولون اي الخائضون في قصتهم في عهد الرسول
صلى الله عليه وسلم من اهل الكتاب والمومنين ثلثة رابعهم كلبهم اي هم
ثلثة رجال يربعهم كلبهم بانضمامه اليهم قيل هو قول اليهود وقيل قول
السيد من نصارى نجران وكان يعقوبيا ويقولون خمسة سادسهم كلبهم
قاله النصارى او العاقب منهم وكان نسطوريا رجما بالغيب يرمون
رميا بالخبر الخفي الذي لا مطلع لهم عليه واتيانا به او ظنا بالغيب من قولهم
رجم بالظن اذا ظن وانما لم يذكر بالسين اكتفاء بعطفه على ما هو فيه ويقو

زعون

سبعة وثامنهم كلبهم انما قاله المسلمون باخبار الرسول صلى
الله عليه وسلم لهم عن جبريل عليه السلام وايما الله اليه بان اتبعه
قوله قل ربي اعلم بعدتهم ما يعلمهم الا قليل واتبع الاولين قوله
رجما بالغيب وبان اثبت العلم بهم لطايفة بعد ما حصر اقوال الطوايف
في الثلاثة المذكورة فان عدم ايراد رابع في نحو هذا المحل دليل العدم
مع ان الاصل نفيه ثم رد الاولين بان اتبعهما قوله رجما بالغيب ليعين
الثالث وبان ادخل فيه الواو على الجملة الواقعة صفة للنكرة تشبيها
لها بالواقعة حالا عن المعرفة لتاكيد لصوق الصفة بالموصوف والدلالة
على ان اتصافه بها امر ثابت وعن علي رضي الله عنه هم سبعة وثامنهم
كلبهم اسماوهم يمليخا ومكشلينا ومشلينا هولا اصحاب يمين الملك
ومرنوش ودبرنوش وشادنوش اصحاب يساره وكان يستشيرهم
والسابع الراعي الذي وافقهم واسم كلبهم قطمير واسم مدينتهم افسوس
وقيل الاقوال الثلاثة لاهل الكتاب والقليل منهم فلا تمار فيهم الا مرا
ظاهرا فلا تجادل في شان الفتية الا جدالا ظاهرا غير متعمق فيه وهو
ان تقص عليهم ما في القران من غير تجهيل لهم في الرد عليهم ولا تستفت
فيهم منهم احدا ولا تسال احدا منهم عن قصتهم سوال مسترشد
فان فيما اوحي اليك لمندوحة عن غيره مع انه لا علم لهم بها ولا سوال
متعنت تريد تفضيح المسول عنه وتزييف ما عنده فانه مخل بمكارم الاخلاق
ولا تقولن لشايء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشا الله نهي تاديب
من الله لنبيه صلى الله عليه وسلم حين قالت اليهود لقريش سلوه عن
الروح واصحاب الكهف وذي القرنين فسالوه فقال ايتوني غدا اخبركم
ولم يستثن فابطا عليه الوحي بضع عشر يوما حتى شق عليه وكذبته قريش
والاستثنا من النهي اي ولا تقولن لاجل شي تعزم عليه اني فاعله فيما
يستقبل الا بان يشا الله اي الا ملتبسا بمشيته قايلا ان شا الله
او الا وقت ان يشا الله ان تقوله بمعنى ان ياذن لك فيه ولا يجوز
تعليقه بفاعل لان استثنا اقتران المشية بالفعل غير سديد واستثنا
اعتراضها دونه لا يناسب النهي واذكر ربك مشية ربك وقل ان
شا الله لما روي انه لما نزل قال صلى الله عليه وسلم ان شا الله اذا
نسيت اذا فرط منك نسيان لذلك ثم تذكرته وعن ابن عباس

رضي

رضي الله عنهما ولو بعد سنة ما لم يحنث ولذلك جوز تاخير الاستثنا عنه
وعامة الفقها على خلافه لانه لو صح ذلك لم يتقرر اقرار ولا طلاق
ولا عتاق ولم يعلم صدق ولا كذب وليس في الاية والخبر ان الاستثنا
المتدارك به من القول السابق بل هو من مقدر مدلول به عليه ويجوز
ان يكون المعنى واذكر ربك بالتسبيح والاستغفار اذا نسيت الاستثنا
مبالغة في الحث عليه او اذكر ربك وعقابه اذا تركت بعض ما امرك به
ليبعثك على التدارك او اذكره اذا اعتراك النسيان ليذكرك المنسي
وقل عسى ان يهدين ربي لاقرب من هذا رشدا لاقرب
رشدا واظهر دلالة على اني نبي من نبا اصحاب الكهف وقد هداه لاعظم
من ذلك كقصص الانبيا المتباعد عنه ايامهم والاخبار بالغيوب
والحوادث النازلة في الاعصار المستقبلة الى قيام الساعة او لاقرب
رشدا وادنى خيرا من المنسي ولبثوا في كهفهم ثلثماية سنين وازدادوا
تسعا يعني لبثهم فيه احيا مضروبا على اذانهم وهو بيان لما اجمل قبل
وقيل انه حكاية كلام اهل الكتاب فانهم اختلفوا في مدة لبثهم كما اختلفوا
في عدتهم فقال بعضهم ثلث ماية وقال بعضهم ثلثماية وتسع سنين وقرا
حمزة والكسائي ثلثماية سنين بالاضافة على وضع الجمع موضع الواحد
ويحسنه هاهنا ان علامة الجمع فيه جبر لما حذف من الواحد وان الاصل
في العدد اضافته الى الجمع ومن لم يضف ابدل السنين من ثلاث قل الله
اعلم بما لبثوا له غيب السموات والارض له ما غاب فيهما وخفي من احوال
اهلها فلا خلق يخفى عليه علما ابصر به واسمع ذكر بصيغة التعجب للدلالة
على ان امره في الادراك خارج عما عليه ادراك السامعين والمبصرين
اذ لا يحجبه شي ولا يتفاوت دونه لطيف وكثيف وصغير وكبير وخفي وجلي
والها تعود الى الله ومحله الرفع على الفاعلية والبا مزيدة عند سيبويه
وكان اصله ابصر اي صار ذا بصر ثم نقل الى صيغة الامر بمعنى الانشا
فبرز الضمير لعدم لياقة الصيغة له او لزيادة البا كما في قوله وكفى به والنصب
على المفعولية عند الاخفش والفاعل ضمير المامور وهو كل احد والبا مزيدة
ان كانت الهمزة للتعدية ومعدية ان كانت الهمزة للتعدية ومعدية
ان كانت للصيرورة ما لهم الضمير لاهل السموات والارض من دونه من
من يتولى امورهم ولا يشرك في حكمه في قضايه احدا منهم ولا يجعل

لهم فيه مدخلا وقرا ابن عامر وقالون عن يعقوب بالتاء والجزم على نهى كل احد
من الاشراك ثم لما دل اشتمال القران على قصة اصحاب الكهف من حيث
انها من المغيبات بالاضافة الى الرسول صلى الله عليه وسلم على انه
وحي معجز امره بان يداوم درسه ويلازم اصحابه فقال واتل ما اوحي
اليك من كتاب ربك اي من القران ولا تسمع لقولهم ايت بقران غير
هذا او بدله لا مبدل لكلماته لا احد يقدر على تبديلها وتغييرها
ولن تجد من دونه ملتحدا ملتجا تعدل اليه ان هممت به واصبر نفسك
واحبسها وثبتها مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي في
مجامع اوقاتهم او في طرفي النهار وقرا ابن عامر بالغدوة وفيه ان
غدوة علم في الاكثر فيكون اللام فيه على تاويل التنكير يريدون
وجهه رضا الله وطاعته ولا تعد عيناك عنهم ولا تجاوزهم نظرك
الى غيرهم وتعديته بعن لتضمنه معنى نبا وقرى ولا تعد عينيك ولا
تعد من اعداه وعداه والمراد نهي الرسول صلى الله عليه وسلم ان يزدري
بفقرا المومنين وتعلو عينه عن رثاثة زيهم طموحا الى طراوة زي
الاغنيا تريد زينة الحيوة الدنيا حال من الكاف في المشهورة ومن
المستكن في الفعل في غيرها ولا تطع من اغفلنا قلبه من جعلنا قلبه غافلا
عن ذكرنا كامية بن خلف في دعائك الى طرد الفقرا عن مجلسك لصناديد
قريش وفيه تنبيه على ان الداعي له الى هذا الاستدعا غفلة قلبه عن المعقو
وانهماكه في المحسوسات حتى خفي عليه ان الشرف بحلية النفس لا بزينة
الجسد وانه لو اطاعه كان مثله في الغباوة والمعتزلة لما غاظهم اسناد
الاغفال الى الله قالوا انه مثل اجبنته اذا وجدته كذلك او نسبته
اليه او من اغفل ابله اذا تركها بغير سمة اي لم نسمه بذكرنا كقلوب
الذين كتبنا في قلوبهم الايمان واحتجوا على ان المراد ليس ظاهره ما ذكر
اولا بقوله واتبع هواه وجوابه ما مر غير مرة وقرى اغفلنا باسناد
الفعل الى القلب على معنى حسبنا قلبه غافلين عن ذكرنا اياه بالموا
وكان امره فرطا اي تقدما على الحق ونبذا له ورا ظهره يقال فرس فرط
اي متقدم على الخيل ومنه الفرط وقل الحق من ربكم ما يكون من جهة
الله لا ما يقتضيه الهوى ويجوز ان يكون الحق خبر محذوف ومن ربكم
حالا فمن شا فليومن ومن شا فليكفر لا ابالي بايمان من امن وكفر

من

من كفر وهو لا يقتضي استقلال العبد بفعله وان كان بمشيته فمشيته
ليست بمشيته انا اعتدنا هيانا للظالمين نارا احاط بهم سرادقها
فسطاطها شبه به ما يحيط بهم من النار وقيل السرادق الحجرة التي تكون
حول الفسطاط وقيل سرادقها دخانها وقيل حائط من نار وان يستغيثوا
من العطش يغاثوا بماء كالمهل كالحديد المذاب وقيل كدردي الزيت
وهو على طريقة قوله فاعتبوا بالصيلم يشوي الوجوه اذا قدم ليشرب
من فرط حرارته وهو صفة ثانية لماء او حال من المهل والضمير في الكاف
بيس الشراب المهل وساءت النار مرتفقا متكا واصل الارتفاق
نصب المرفق تحت الخد وهو لمقابلة قوله وحسنت مرتفقا والا فلا ارتفاق
لاهل النار ان الذين امنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع اجر من
احسن عملا خبر ان الاولى هي الثانية بما في خبرها والراجع محذوف
تقديره من احسن عملا منهم او مستغنى عنه بعموم من احسن عملا كما هو مستغنى
في قولك نعم الرجل زيد او واقع موقعه الظاهر فان من احسن عملا على
الحقيقة لا يحسن اطلاقه الا على الذين امنوا وعملوا الصالحات او اوليك
لهم جنات عدن تجري من تحتهم الانهار وما بينهما اعتراض وعلى
الاول استيناف لبيان الاجر او خبر ثان يحلون فيها من اساور من ذهب
من الاولى للابتدا والثانية للبيان صفة لاساور وتنكيرها لتعظيم حسنها
من الاحاطة به وهو جمع اسورة او اسوار في جمع سوار ويلبسون ثيابا
خضرا لان الخضرة احسن الالوان واكثرها طراوة من سندس واستبرق
مما رق من الديباج وما غلظ منه جمع بين النوعين للدلالة على ان فيها
ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين متكئين فيها على الارائك على السرر
كما هو هيئة المتنعمين نعم الثواب نعم الجنة ونعيمها وحسنت الارائك
مرتفقا متكا واضرب لهم مثلا للكافرين والمومنين رجلين حال رجلين
مقدرين او موجودين قيل هما اخوان من بني اسرائيل كافر اسمه قطروس ومومن
اسمه يهوذا ورثا من ابيهما ثمانية الاف دينار فتشاطرا فاشترى الكافر
بها ضياعا وعقارا وصرفها المومن في وجوه الخير وال امرهما الى ما حكاه
الله وقيل المثل لهما اخوان من بني مخزوم كافر وهو الاسود بن عبد الاسد
ومومن هو ابو سلمة عبد الله زوج ام سلمة قبل رسول الله صلى الله عليه
وسلم جعلنا لاحدهما جنتين بستانين من اعناب من الكروم والجملة

بتمامها بيان التمثيل او صفة للرجلين وحففناهما بنخل وجعلنا النخل
محيطة بهما مؤزرا بها كرومهما يقال حفه القوم اذا طافوا به وحففته
بهم اذا جعلتهم حافين حوله فيزيد البا مفعولا ثانيا كقولك غشيته به
وجعلنا بينهما زرعا وسطهما ليكون كل منهما جامعا للاقوات والفواكه
متواصل العمارة على الشكل الحسن والترتيب الانيق كلتا الجنتين اتت اكلها
ثمرها وافراد الضمير لافراد كلتا وقرئ كل الجنتين اتى اكله ولم تظلم منه ولم
تنقص من اكلها شيئا يعهد في سائر البساتين فان الثمار تتم في عام وتنقص في
عام غالبا وفجرنا خلالهما نهرا ليدوم شربهما فانه الاصل ويزيد بهاؤهما
وعن يعقوب وفجرنا بالتخفيف وكان له ثمر انواع من المال سوى الجنتين
من ثمر ماله اذا كثره وقرا عاصم بفتح الثا والميم وابو عمرو بضم الثا واسكان
الميم والباقون بضمهما وكذلك في قوله واحيط بثمره فقال لصاحبه
وهو يحاوره يراجعه في الكلام من حار اذا رجع انا اكثر منك مالا
واعز نفرا حشما واعوانا وقيل اولادا ذكورا لانهم الذين ينفرون معه
ودخل جنته بصاحبه يطوف به فيها ويفاخره بها وافراد الجنة لان المراد
ما هو جنته وما متع به من الدنيا تنبيها على انه لا جنة له غيرها ولا حظ
له في الجنة التي وعد المتقون او لاتصال كل واحدة من جنتيه بالاخرى
او لان الدخول يكون في واحدة واحدة وهو ظالم لنفسه ضار لها بعجبه
وكفره قال ما اظن ان تبيد ان تفنى هذه الجنة ابدا لطول امله وتمادي
غفلته واغتراره بمهلته وما اظن الساعة قائمة كائنة ولئن رددت
الى ربي بالبعث كما زعمت لاجدن خيرا منها من جنته وقرا الحجازيان
والشامي منهما اي من الجنتين منقلبا مرجعا وعاقبة لانها فانية وتلك
باقية وانما اقسم على ذلك لاعتقاده انه تعالى انما اولاه ما اولاه لاستئهاله
له واستحقاقه اياه لذاته وهو معه اينما يلقاه قال له صاحبه وهو يحاوره
اكفرت بالذي خلقك من تراب لانه اصل مادتك او مادة اصلك
ثم من نطفة فانها مادتك القريبة ثم سواك رجلا ثم عدلك وكملك
انسانا ذكرا بالغا مبلغ الرجال جعل كفره بالبعث كفرا بالله لان منشاه
الشك في كمال قدرة الله ولذلك رتب الانكار على خلقه اياه من التراب
فان من قدر على بدء خلقه منه قدر ان يعيده منه لكنا هو الله ربي ولا
اشرك بربي احدا اصله لكن انا فحذفت الهمزة بنقل الحركة او دونه فتلاقت

النونان فكان الادغام وقرا ابن عامر ويعقوب في رواية بالالف في
الوصل لتعويضها من الهمزة او لاجرا الوصل مجرى الوقف وقد قرئ لكن
انا على الاصل وهو ضمير الشان وهو بالجملة الواقعة خبره خبر انا او ضمير
الله والله بدله وربي خبره والجملة خبر انا والاستدراك من اكفرت كانه
قال انت كافر بالله لكني مؤمن به وقد قرئ لكن هو الله ربي ولكن انا لا اله الا
هو ربي ولولا اذ دخلت جنتك قلت وهلا قلت عند دخولها ما شا
الله الامر ما شا الله او ما شا الله كائن على ان ما موصولة او اي شي شا الله
كان على انها شرطية والجواب محذوف والمراد تقرير انها وما فيها بمشية الله ان
شا ابقاها وان شا اباداها لا قوة الا بالله وقلت لا قوة الا بالله اعترافا
بالعجز على نفسك والقدرة لله فان ما تيسر لك من عمارتها وتدبير امرها
بمعونته واقداره وعن النبي صلى الله عليه وسلم من راى شيا فاعجبه فقال
ما شا الله لا قوة الا بالله لم يضره ان ترن انا اقل منك مالا وولدا
يحتمل ان يكون انا فصلا وان يكون تاكيدا للمفعول الاول وقرئ اقل
بالرفع على انه خبر انا والجملة مفعول ثان لترن وفي قوله وولدا دليل
لمن فسر النفر بالاولاد فعسى ربي ان يؤتين خيرا من جنتك في الدنيا
او في الاخرة لايماني وهو جواب الشرط ويرسل عليها على جنتك لكفرك
حسبانا من السما مرامي جمع مرماة وهو السهام الذي يرمى جمع حسبانة
وهي الصواعق وقيل هو مصدر بمعنى الحساب والمراد به التقدير بتخريبها
او عذاب حساب الاعمال السيئة فتصبح صعيدا زلقا ارضا ملسا
يزلق عليها باستئصال نباتها واشجارها او يصبح ماؤها غورا غائرا
في الارض مصدر وصف به كالزلق فلن تستطيع له طلبا للما الغائر تردد
في رده واحيط بثمره واهلك امواله حسبما توقعه صاحبه وانذره منه وهو
ماخوذ من احاط به العدو فانه اذا احاط به غلبه واذا غلبه اهلكه ونظيره
اتى عليه اذا اهلكه من اتى عليهم العدو اذا جاءهم مستعليا عليهم فاصبح
يقلب كفيه ظهرا لبطن تلهفا وتحسرا على ما انفق فيها في عمارتها وهو متعلق
بيقلب لان تقليب الكفين كناية عن الندم فكانه قيل فاصبح يندم او حال
اي متحسرا على ما انفق فيها وهي خاوية ساقطة على عروشها بان سقطت
عروشها على الارض وسقطت الكروم فوقها ويقول عطف على يقلب
او حال من ضميره يا ليتني لم اشرك بربي احدا كانه تذكر موعظة اخيه

وعلم انه اتى من قبل شركه فتمنى لو لم يكن مشركا فلم يهلك الله بستانه ويحتمل
ان يكون توبة من الشرك وندما على ما سبق منه ولم يكن له فئة وقرأ
حمزة والكسائي بالياء لتقدمه ينصرونه يقدرون على نصره بدفع الاهلاك
او رد المهلك او الاتيان بمثله من دون الله فانه القادر على ذلك وحده
وما كان منتصرا وما كان ممتنعا بقوته عن انتقام الله منه هنالك في
ذلك المقام وتلك الحال الولاية لله الحق النصرة له وحده لا يقدر
عليها غيره تقرير لقوله ولم تكن له فئة ينصرونه او ينصر فيها اولياءه المؤمنين
على الكفرة كما نصر فيما فعل بالكافر اخاه المؤمن ويعضده قوله هو خير
ثوابا وخير عقبا اي لاوليائه وقرأ حمزة والكسائي بالكسر ومعناها
السلطان والملك اي هنالك السلطان له لا يغلب ولا يمتنع منه او لا
يعبد غيره كقوله واذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فيكون
تنبيها على ان قوله يا ليتني لم اشرك كان عن اضطرار وجزع عما دهاه وقيل
هنالك اشارة الى الآخرة وقرأ حمزة والكسائي الحق بالرفع صفة للولاية
وقرئ بالنصب على المصدر المؤكد وقرأ عاصم وحمزة عقبا بالسكون وقرئ
عقبى وكلها بمعنى العاقبة واضرب لهم مثل الحيوة الدنيا اذكر لهم ما تشبهه
الحيوة الدنيا في زهرتها وسرعة زوالها او صفتها الغريبة كماء هو كماء ويجوز
ان يكون مفعولا ثانيا لاضرب على انه بمعنى صير انزلناه من السماء فاختلط
به نبات الارض فالتف بسببه وخالط بعضه بعضا من كثرته وتكاثفه
او نجع في النبات حتى روي ورف وعلى هذا كان حقه فاختلط بنبات
الارض لكن لما كان كل من المختلطين موصوفا بصفة صاحبه عكس للمبالغة
في كثرته فاصبح هشيما مهشوما مكسورا تذروه الرياح تفرقه وقرئ
تذريه من اذرى والمشبه به ليس الماء ولا حاله بل الكيفية المنتزعة من
الجملة وهي حال النبات المنبت بالماء يكون اخضر وارفا ثم هشيما تطيره
الرياح فيصير كان لم يكن وكان الله على كل شيء من الانشاء والافناء
مقتدرا قادرا المال والبنون زينة الحيوة الدنيا يتزين بها الانسان
في دنياه ويفنى عنه عن قريب والباقيات الصالحات واعمال الخير
التي تبقى له ثمرتها ابد الآباد ويندرج فيها ما فسرت به من الصلوات
الخمس واعمال الحج وصيام رمضان وسبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله
اكبر والكلام الطيب خير عند ربك من المال والبنين ثوابا عائدة وخير

املا

املا لان صاحبها ينال به في الآخرة ما كان يؤمل بها في الدنيا ويوم
نسير الجبال واذكر يوم نقلعها ونسيرها في الجو او نذهب بها فنجعلها
هباء منبثا ويجوز عطفه على عند ربك اي الباقيات الصالحات خير
عند الله ويوم القيامة وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر تسير بالتاء
والبناء للمفعول وقرئ تسير من سارت وترى الارض بارزة بادية
برزت من تحت الجبال ليس عليها ما يسترها وقرئ ترى على بناء المفعول
وحشرناهم وجمعناهم الى الموقف ومجيئه ماضيا بعد نسير وترى لتحقق
الحشر او للدلالة على ان حشرهم قبل التسيير ليعاينوه ويشاهدوا ما وعد
لهم وعلى هذا تكون الواو للحال باضمار قد فلم نغادر فلم نترك منهم
احدا يقال غادره واغدره اذا تركه ومنه الغدر لترك الوفاء والغدير
لما غادره السيل وقرئ بالياء وعرضوا على ربك شبه حالهم بحال
الجند المعروضين على السلطان لا ليعرفهم بل ليامر فيهم صفا
مصطفين لا يحجب احد احدا لقد جئتمونا على اضمار القول على وجه
يكون حالا او عاملا في يوم نسير كما خلقناكم اول مرة عراة لا شيء
معكم من المال والولد كقوله ولقد جئتمونا فرادى او احياء كخلقتكم الاولى
كقوله بل زعمتم الن نجعل لكم موعدا وقتا لانجاز الوعد بالبعث
والنشور وان الانبياء كذبوكم به وبل للخروج من قصة الى اخرى ووضع
الكتاب صحائف الاعمال في الايمان والشمائل او في الميزان وقيل هو كناية
عن وضع الحساب فترى المجرمين مشفقين خائفين مما فيه من الذنوب
ويقولون يا ويلتنا ينادون هلكتهم التي هلكوها من بين الهلكات
مال هذا الكتاب تعجبا من شأنه لا يغادر صغيرة هنة صغيرة ولا
كبيرة الا احصاها الا عدها واحاط بها ووجدوا ما عملوا حاضرا
مكتوبا في الصحف ولا يظلم ربك احدا فيكتب عليه ما لم يفعل او يزيد
في عقابه الملائم لعمله واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا
ابليس كرره في مواضع لكونه مقدمة للامور المقصود بيانها في تلك المحال
وههنا لما شنع على المفتخرين واستقبح صنيعهم قرر ذلك بانه من سنن
ابليس او لما بين حال المغرور بالدنيا والمعرض عنها وكان سبب الاغترار
بها حب الشهوات وتسويل الشيطان زهدهم اولا في زخارف الدنيا
بانها عرضة الزوال والاعمال الصالحة خير وابقى من انفسها واعلاها

ثم نفرهم عن الشيطان بتذكير ما بينهم من العداوة القديمة وهكذا
مذهب كل تكرير في القرآن كان من الجن حال باضمار قد او استيناف
للتعليل كانه قيل ما له لم يسجد فقيل كان من الجن ففسق عن امر ربه
فخرج عن امره بترك السجود والفا للتسبيب وفيه دليل على ان الملك لا
يعصي البتة وانما عصى ابليس لانه كان جنيا في اصله والكلام المستقصى فيه
في سورة البقرة افتتخذونه اعقيب ما وجد منه تتخذونه والهمزة للانكار
والتعجب وذريته اولاده او اتباعه وسماهم ذريته مجازا اولياء من
دوني وتستبدلونهم فتطيعونهم بدل طاعتي وهم لكم عدو بئس
للظالمين بدلا من الله ابليس وذريته ما اشهدتهم خلق السموات
والارض ولا خلق انفسهم نفي احضار ابليس وذريته خلق السموات
والارض واحضار بعضهم خلق بعض ليدل على نفي الاعتضاد بهم في
ذلك كما صرح به بقوله وما كنت متخذ المضلين عضدا اي اعوانا في
رد الاتخاذهم اولياء من دون الله شركا له في العبادة فان استحقاق
العبادة من توابع الخالقية والاشتراك فيه يستلزم الاشتراك فيها فوضع
المضلين موضع الضمير ذما لهم واستبعادا للاعتضاد بهم وقيل الضمير
للمشركين والمعنى ما اشهدتهم خلق ذلك وما خصصتهم بعلوم لا يعرفها
غيرهم حتى لو امنوا اتبعهم الناس كما يزعمون فلا تلتفت الى قولهم طمعا
في نصرتهم للدين فانه لا ينبغي لي ان اعتضد بالمضلين لديني ويعضده قراءة
من قرأ وما كنت على خطاب الرسول صلى الله عليه وسلم وقرئ متخذ المضلين
على الاصل وعضدا بالتخفيف وعضدا بالاتباع وعضدا كخدم جمع عاضد
من عضده اذا قواه ويوم يقول اي الله للكافر وقرأ حمزة بالنون نادوا
شركائي الذين زعمتم انهم شركاء او شفعاء لكم ليمنعوكم من عذابي
واضافة الشركاء على زعمهم للتوبيخ والمراد ما عبد من دونه وقيل ابليس
وذريته فدعوهم فنادوهم للاغاثة فلم يستجيبوا لهم فلم يغيثوهم
وجعلنا بينهم بين الكفار والهتهم موبقا مهلكا يشتركون فيه وهو
النار او عداوة هي في شدتها هلاك كقول عمر رضي الله عنه لا يكن حبك
كلفا ولا بغضك تلفا اسم مكان او مصدر من وبق يوبق وبقا اذا هلك
وقيل البين الوصل اي وجعلنا تواصلهم في الدنيا هلاكا يوم القيامة
ورأى المجرمون النار فظنوا انهم مواقعوها مخالطوها واقعون

فيها ولم يجدوا عنها مصرفا انصرافا او مكانا ينصرفون اليه ولقد
صرفنا في هذا القرآن للناس من كل مثل من كل جنس يحتاجون اليه
وكان الانسان اكثر شيء يتأتى منه الجدل جدلا خصومة بالباطل وانتصابه
على التمييز وما منع الناس ان يؤمنوا من الايمان اذ جاءهم الهدى
وهو الرسول الداعي والقرآن المبين ويستغفروا ربهم ومن الاستغفار
عن الذنوب الا ان تأتيهم سنة الاولين الا طلب او انتظار او تقدير ان
تأتيهم سنة الاولين وهو الاستئصال فحذف المضاف واقيم المضاف اليه
مقامه او يأتيهم العذاب عذاب الآخرة قبلا عيانا وقرأ الكوفيون قبلا
بضمتين وهو لغة فيه او جمع قبيل بمعنى انواع وقرئ بفتحتين وهو ايضا
لغة يقال لقيته مقابلة وقبلا وقبلا وقبلا وقبليا وانتصابه على الحال من الضمير
او العذاب وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين للمؤمنين والكافرين
ويجادل الذين كفروا بالباطل باقتراح الآيات بعد ظهور المعجزات
والسؤال عن قصة اصحاب الكهف ونحوها تعنتا ليدحضوا به ليزيلوا
بالجدال الحق عن مقره ويبطلوه من ادحاض القدم وهو ازلاقها وذلك
قولهم للرسل ما انتم الا بشر مثلنا لو شاء الله لانزل ملائكة ونحو ذلك واتخذوا
اياتي يعني القرآن وما انذروا وانذارهم او والذي انذروا به من العقاب
هزوا استهزاء وقرئ هزوا بالسكون وهو ما يستهزأ به ومن اظلم ممن ذكر
بآيات ربه بالقرآن فاعرض عنها فلم يتدبرها ولم يتذكر بها ونسي ما
قدمت يداه من الكفر والمعاصي فلم يتفكر في عاقبتهما انا جعلنا على قلوبهم
اكنة تعليل لاعراضهم ونسيانهم بانهم مطبوع على قلوبهم ان يفقهوه كراهة
ان يفقهوه وتذكير الضمير وافراده للمعنى وفي اذانهم وقرا يمنعهم ان يسمعوه
حق استماعه وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا اذا ابدا تحقيقا ولا
تقليدا لانهم لا يفقهون ولا يسمعون واذا كما عرفت جزاء وجواب للرسول
صلى الله عليه وسلم على تقدير قوله تعالى ما لي لا ادعوهم فان حرصه على اسلامهم
يدل عليه وربك الغفور البليغ المغفرة ذو الرحمة الموصوف بالرحمة لو
يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب استشهاد على ذلك بامهالها
قريش مع افراطهم في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم بل لهم موعد
وهو يوم بدر او يوم القيامة لن يجدوا من دونه موئلا منجى يقال وأل
اذا نجا ووأل اليه اذا لجأ اليه وتلك القرى يعني قرى عاد وثمود واضرابهم

وتلك مبتدأ خبره اهلكناهم او مفعول مضمر مفسر به والقرى صفته
ولا بد من تقدير مضاف في احدهما ليكون مرجع الضمائر لما ظلموا
كقريش بالتكذيب والمراء وانواع المعاصي وجعلنا لمهلكهم موعدا
لاهلاكهم وقتا معلوما لا يستاخرون عنه ساعة ولا يستقدمون فليعتبروا
بهم ولا يغتروا بتاخر العذاب عنهم وقرا ابو بكر لمهلكهم بفتح الميم واللام
اي لهلاكهم وحفص بكسر اللام حملا على ما شذ من مصادر يفعل كالمرجع
والمحيض واذ قال موسى مقدر باذكر لفتاه يوشع بن نون بن افرائيم
ابن يوسف عليهم السلام فانه كان يخدمه ويتبعه ولذلك سماه فتاه
وقيل لعبده لا ابرح لا ازال اسير فحذف الخبر لدلالة حاله وهو السفر
وقوله حتى ابلغ مجمع البحرين من حيث انها تستدعي ذا غاية عليه ويجوز
ان يكون اصله لا يبرح مسيري حتى ابلغ على ان حتى ابلغ هو الخبر فحذف
المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فانقلب الضمير والفعل وان يكون
لا ابرح بمعنى لا ازول عما انا عليه من السير والطلب ولا افارقه فلا يستدعي
الخبر ومجمع البحرين ملتقى بحري فارس والروم مما يلي المشرق وعد لقاء
الخضر فيه وقيل البحران موسى وخضر عليهما السلام فان موسى كان بحر
علم الظاهر وخضر كان بحر علم الباطن وقرئ مجمع بكسر الميم على الشذوذ
من يفعل كالمشرق والمطلع او امضي حقبا او اسير زمانا طويلا والمعنى
حتى يقع اما بلوغ المجمع او مضي الحقب وحتى ابلغ الا ان امضي زمانا اتيقن
معه فوات المجمع والحقب الدهر وقيل ثمانون سنة وقيل سبعون روي
ان موسى عليه السلام خطب الناس بعد هلاك القبط ودخوله مصر خطبة
بليغة فاعجب بها فقيل له هل تعلم احدا اعلم منك فقال لا فاوحى الله
اليه بل عبدنا الخضر وهو بمجمع البحرين وكان الخضر في ايام افريدون
وكان على مقدمة ذي القرنين الاكبر وبقي الى ايام موسى وقيل ان موسى
سال ربه اي عبادك احب اليك قال الذي يذكرني ولا ينساني قال
فاي عبادك اقضى قال الذي يقضي بالحق ولا يتبع الهوى قال فاي عبادك
اعلم قال الذي يبتغي علم الناس الى علمه عسى ان يصيب كلمة تدله على هدى
او ترده عن ردى فقال ان كان في عبادك اعلم مني فادللني عليه قال اعلم
منك الخضر قال اين اطلبه قال على الساحل عند الصخرة قال كيف لي به قال
تاخذ حوتا في مكتل فحيث فقدته فهو هناك فقال لفتاه اذا فقدت

الحوت

الحوت فاخبرني فذهبا يمشيان فلما بلغا مجمع بينهما اي مجمع البحرين
وبينهما ظرف اضيف اليه على الاتساع او بمعنى الوصل نسيا حوتهما
نسي موسى ان يطلبه ويتعرف حاله ويوشع ان يذكر له ما راى من حياته
ووقوعه في البحر روي ان موسى عليه السلام رقد فاضطرب الحوت المشوي
ووثب في البحر معجزة لموسى او للخضر وقيل توضا يوشع من عين الحيوة فانتضح
الماء عليه فعاش فوثب في الماء وقيل نسيا تفقد امره وما يكون منه امارة
على الظفر بالمطلوب فاتخذ سبيله في البحر سربا فاتخذ الحوت طريقه
في البحر مسلكا من قوله وسارب بالنهار وقيل امسك الله جرية الماء على
الحوت فصار كالطاق عليه ونصبه على المفعول الثاني وفي البحر حال منه
او من السبيل ويجوز تعلقه باتخذ فلما جاوزا المجمع البحرين قال لفتاه آتنا
غداءنا ما نتغدى به لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا قيل لم ينصب حتى
جاوز الموعد فلما جاوزه وسار الليلة والغد الى الظهر القي عليه الجوع
والنصب وقيل لم يعي موسى في سفر غيره ويؤيده التقييد باسم الاشارة
قال ارايت اذ اوينا ارايت ما دهاني اذ اوينا الى الصخرة يعني الصخرة
التي رقد عندها موسى وقيل هي الصخرة التي دون نهر الزيت فاني نسيت
الحوت فقدته او نسيت ذكره بما رايت منه وما انسانيه الا الشيطان
ان اذكره اي وما انساني ذكره الا الشيطان ان اذكره بدل من الضمير
وقرئ ان اذكركه وهو اعتذار عن نسيانه بشغل الشيطان له بوساوسه
والحال وان كانت عجيبة لا ينسى مثلها لكنه لما ضري بمشاهدة امثالها
عند موسى والفها قل اهتمامه بها ولعله نسي ذلك لاستغراقه في الاستبصار
وانجذاب شراشره الى جناب القدس بما عراه من مشاهدة الآيات
الباهرة وانما نسبه الى الشيطان هضما لنفسه او لان عدم احتمال القوة
للجانبين واشتغالها باحدهما يعد من نقصان واتخذ سبيله في
البحر عجبا سبيلا عجبا وهو كونه كالسرب واتخاذ عجبا والمفعول الثاني
هو الظرف وقيل هو مصدر فعله المضمر اي قال في آخر كلامه او موسى
في جوابه عجبا تعجبا من تلك الحال وقيل الفعل لموسى اي اتخذ موسى
سبيل الحوت في البحر عجبا قال ذلك اي امر الحوت ما كنا نبغ نطلب لانه
امارة المطلوب فارتدا على آثارهما فرجعا في الطريق الذي جاءا
فيه قصصا يقصان قصصا اي يتبعان آثارهما اتباعا او مقتصين

حتى اتيا الصخرة فوجدا عبدا من عبادنا الجمهور على انه الخضر واسمه
بليا بن ملكان وقيل اليسع وقيل الياس آتيناه رحمة من عندنا هي
الوحي والنبوة وعلمناه من لدنا علما مما يختص بنا ولا يعلم الا بتوفيقنا
وهو علم الغيوب قال له موسى هل اتبعك على ان تعلمن على شرط ان
تعلمني وهو في موضع الحال من الكاف مما علمت رشدا علما ذا رشد وهو اصا
بة الخير وقرا البصريان بفتحتين وهما لغتان كالبخل والبخل وهو مفعول تعلمني
ومفعول علمت العائد المحذوف وكلاهما منقولان من علم الذي له
مفعول واحد ويجوز ان يكون علة لاتبعك او مصدرا باضمار فعله ولا
ينافي نبوته وكونه صاحب شريعة ان يتعلم من غيره ما لم يكن شرطا في
ابواب الدين فان الرسول ينبغي ان يكون اعلم ممن ارسل اليه فيما بعث به
من اصول الدين وفروعه لا مطلقا وقد راعى في ذلك غاية التواضع والادب
فاستجهل نفسه واستاذن ان يكون تابعا له وسال منه ان يرشده وينعم
عليه بتعليم بعض ما انعم الله عليه قال انك لن تستطيع معي صبرا نفى عنه
استطاعة الصبر معه على وجوه من التاكيد كانها مما لا يصح ولا يستقيم
وعلل ذلك واعتذر عنه بقوله وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا اي
وكيف تصبر وانت نبي على ما اتولى من امور ظاهرها مناكر وبواطنها
لم يحط بها خبرك وخبرا تمييز او مصدر لان لم تحط به بمعنى لم تخبره
قال ستجدني ان شاء الله صابرا معك غير منكر عليك وقرا نافع وحده
بفتح الياء ولا اعصي لك امرا عطف على صابرا اي ستجدني صابرا
وغير عاص او على ستجدني وتعليق الوعد بالمشيئة اما للتيمن او لعلمه
بصعوبة الامر فان مشاهدة الفساد والصبر على خلاف المعتاد
شديد فلا خلف وفيه دليل على ان افعال العباد واقعة بمشيئة الله
قال فان اتبعتني فلا تسالني عن شيء فلا تفاتحني بالسؤال عن شيء انكرته
مني ولم تعلم وجه صحته حتى احدث لك منه ذكرا حتى ابتديك
ببيانه وقرا نافع وابن عامر فلا تسالني بالنون الثقيلة فانطلقا
على الساحل يطلبان السفينة حتى اذا ركبا في السفينة خرقها اخذ
الخضر فاسا فخرق السفينة بان قلع لوحين من الواحها قال اخرقتها
لتغرق اهلها فان خرقها سبب لدخول الماء فيها المفضي الى غرق
اهلها وقرئ ليغرق بالتشديد للتكثير وقرا حمزة والكسائي ليغرق اهلها

على اسناده الى الاهل لقد جئت شيئا امرا اتيت امرا عظيما من امر الامر
اذا عظم قال الم اقل انك لن تستطيع معي صبرا تذكير لما ذكره
قبل قال لا تؤاخذني بما نسيت بالذي نسيته او بشيء نسيته يعني وصيته
بان لا يعترض عليه او بنسياني اياها وهو اعتذار بالنسيان اخرجه
في معرض النهي عن المؤاخذة مع قيام المانع لها وقيل المراد بالنسيان الترك
اي لا تؤاخذني بما تركت من وصيتك اول مرة وقيل انه من معاريض
الكلام والمراد شيء اخر نسيه ولا ترهقني من امري عسرا ولا تغشني عسرا
من امري بالمضايقة والمؤاخذة على المنسي فان ذلك يعسر علي متابعتك
وعسرا مفعول ثاني لترهق فانه يقال رهقه اذا غشيه وارهقه اياه وقرئ
عسرا بضمتين فانطلقا اي بعد ما خرجا من السفينة حتى اذا لقيا
غلاما فقتله قيل فتل عنقه وقيل ضرب براسه الحائط وقيل اضجعه
فذبحه والفاء للدلالة على انه كما لقيه قتله من غير ترو واستكشاف حال
ولذلك قال اقتلت نفسا زكية بغير نفس اي طاهرة من الذنوب
وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو ورويس عن يعقوب زاكية والاول
ابلغ وقال ابو عمرو الزاكية التي لم تذنب قط والزكية التي اذنبت
ثم غفرت ولعله اختار الاول لذلك فانها كانت صغيرة لم تبلغ الحلم
او انه لم يرها قد اذنبت ذنبا يقتضي قتلها او قتلت نفسا فتقاد بها
نبه به على ان القتل انما يباح حدا او قصاصا وكلا الامرين منتف ولعل
تغيير النظم بان جعل خرقها جزاء واعتراض موسى مستانفا وفي الثانية
قتله من جملة الشرط واعتراضه جزاء لان القتل اقبح والاعتراض عليه
ادخل فكان جديرا بان يجعل عمدة الكلام ولذلك فصله بقوله لقد
جئت شيئا نكرا اي منكرا وقرا نافع في رواية قالون وورش وابن
عامر ويعقوب وابو بكر نكرا بضمتين قال الم اقل لك انك لن تستطيع
معي صبرا زاد فيه لك مكافحة بالعتاب على رفض الوصية ووسما بقلة
الثبات والصبر لما تكرر منه الاشمئزاز والاستنكار ولم يرعو بالتذكير
اول مرة حتى زاد في الاستنكار ثاني مرة قال ان سالتك عن شيء
بعدها فلا تصاحبني وان سالت صحبتك وعن يعقوب فلا تصحبني اي
فلا تجعلني صاحبك قد بلغت من لدني عذرا قد وجدت عذرا من قبلي
لما خالفتك ثلاث مرات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله

اخي موسى استحيى فقال ذلك لو كنا مع صاحبه لابصر اعجب الاعاجيب وقرا
نافع لدني بتحريك النون والاكتفاء بها عن نون الدعامة كقدني من نصر
الخبيبين قدي وابو بكر لدني بتحريك النون واسكان الدال اسكان الضاد
من عضد فانطلقا حتى اذا اتيا اهل قرية قرية انطاكية وقيل ابلة
بصرة وقيل باجروان ارمينية استطعما اهلها فابوا ان يضيفوهما
وقرئ يضيفوهما من اضافه يقال ضافه اذا نزل به ضيفا واضافه
انزله واصل التركيب للميل يقال ضاف السهم عن الغرض اذا مال فوجدا
فيها جدارا يريد ان ينقض يداني ان يسقط فاستعيرت الارادة للمشارفة
كما استعير لها الهم والعزم قال يريد الرمح صدر ابي براء ويعدل عن دماء
بني عقيل وقال ان دهرا يلف شملي بجمل لزمان يهم بالاحسان وانقض
انفعل من قضضته اذا كسرته ومنه انقضاض الطير والكواكب لهويه
او افعل من النقض وقرئ ان ينقض وان ينقاص بالصاد المهملة من انقاصت
السن اذا انشقت طولا فاقامه بعمارته او بعمود عمده به وقيل مسحه بيده
فقام وقيل نقضه وبناه قال لو شئت لاتخذت عليه اجرا تحريضا
على اخذ الجعل لينتعشا به او تعريضا بانه فضول لما في لو من النفي كانه
لما راى الحرمان ومساس الحاجة واشتغاله بما لا يعنيه لم يتمالك
نفسه واتخذ افتعل من تخذ كاتبع من تبع وليس من الاخذ عند البصريين
وقرا ابن كثير والبصريان لتخذت واظهر ابن كثير ويعقوب وحفص الذال
وادغمه الباقون قال هذا فراق بيني وبينك الاشارة الى الفراق
الموعود بقوله فلا تصاحبني او الى الاعتراض الثالث او الوقت اي
هذا الاعتراض سبب فراقنا او هذا الوقت وقته واضافة الفراق
الى البين اضافة المصدر الى الظرف على الاتساع وقد قرئ على الاصل
سانبئك بتاويل ما لم تستطع عليه صبرا بالخبر الباطن فيما لم
تستطع الصبر عليه لكونه منكرا من حيث الظاهر اما السفينة فكانت
لمساكين يعملون في البحر لمحاويج وهو دليل على ان المسكين يطلق على
من يملك شيئا اذا لم يكفه وقيل سموا مساكين لعجزهم عن دفع الملك
او لزمانتهم فانها كانت لعشرة اخوة خمسة زمنى وخمسة يعملون في البحر
فاردت ان اعيبها اجعلها ذات عيب وكان وراءهم ملك قدامهم
او خلفهم وكان رجوعهم عليه واسمه جلندى بن كركر وقيل منولة بن

جلندى

جلندى الازدي ياخذ كل سفينة غصبا من اصحابها وكان حق النظم
ان يتاخر قوله فاردت ان اعيبها عن قوله وكان وراءهم ملك لان
ارادة التعييب مسبب عن خوف الغصب وانما قدم للعناية او لان السبب
لما كان مجموع الامرين خوف الغصب ومسكنة الملاك رتبه على اقوى
الجزئين وادعاهما وعقبه بالاخر على سبيل التقييد والتتميم وقرئ كل سفينة
صالحة والمعنى عليها واما الغلام فكان ابواه مؤمنين فخشينا ان
يرهقهما ان يغشيهما طغيانا وكفرا بنعمتهما بعقوقه فيلحقهما شرا او يقرن
بايمانهما طغيانه وكفره فيجتمع في بيت واحد مؤمنان وطاغ كافر او يعديهما
فيرتدا باضلاله او بممالاتهما على طغيانه وكفره حبا له وانما خشي ذلك
لان الله اعلمه وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان نجدة الحروري كتب
اليه كيف قتله وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن قتل الولدان فكتب اليه
ان علمت من حال الولدان ما علمه عالم موسى فلك ان تقتله وقرئ
فخاف ربك اي فكره كراهة من خاف سوء عاقبة ويجوز ان يكون قوله
فخشينا حكاية قول الله عز وجل فاردنا ان يبدلهما ربهما خيرا منه
اي يرزقهما بدله ولدا خيرا منه زكاة طهارة من الذنوب والاخلاق
الردية واقرب رحما رحمة وعطفا على والديه قيل ولدت لهما جارية
فتزوجها نبي فولدت نبيا هدى الله به امة من الامم وقرا نافع وابو عمرو
يبدلهما بالتشديد وابن عامر ويعقوب رحما بالتثقيل وانتصابه على التمييز
والعامل اسم التفضيل وكذلك زكاة واما الجدار فكان لغلامين يتيمين
في المدينة قيل اسمهما اصرم وصريم واسم المقتول جيسون وكان تحته
كنز لهما من ذهب وفضة روي ذلك مرفوعا والذم على كنزهما
في قوله والذين يكنزون الذهب والفضة لمن لا يؤدي زكاتهما وما تعلق
بهما من الحقوق وقيل من كتب العلم وقيل كان لوحا من ذهب مكتوب فيه
عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن وعجبت لمن يؤمن بالرزق كيف يتعب
وعجبت لمن يؤمن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل
وعجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمئن اليها لا اله الا
الله محمد رسول الله وكان ابوهما صالحا تنبيه على ان سعيه في ذلك
كان لصلاحه قيل كان بينهما وبين الاب الذي حفظا فيه سبعة اباء وكان
سياحا وكان اسمه كاشح فاراد ربك ان يبلغا اشدهما اي الحلم

بهما

وكمال الرأي ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك مرحومين من ربك
ويجوز ان يكون علة او مصدرا لاراد فان ارادة الخير رحمة وقيل متعلق
بمحذوف تقديره فعلت ما فعلت رحمة من ربك ولعل اسناد الارادة
اولا الى نفسه لانه المباشر للتعييب وثانيا الى الله والى نفسه لان التبديل
باهلاك الغلام وايجاد الله بدله وثالثا الى الله وحده لانه لا مدخل له في
بلوغ الغلامين او لان الاول في نفسه شر والثالث خير والثاني ممتزج
او لاختلاف حال العارف في الالتفات الى الوسائط وما فعلته وما
فعلت ما رأيته عن امري عن رأيي وانما فعلته بامر الله عز وجل ومبنى
ذلك على انه متى تعارض ضرران يجب تحمل اهونهما لدفع اعظمهما وهو
اصل ممهد غير ان الشرائع في تفاصيله مختلفة ذلك تاويل ما لم تسطع
عليه صبرا اي ما لم تستطع فحذف التاء تخفيفا ومن فوائد هذه القصة
ان لا يعجب المرء بعلمه ولا يبادر الى انكار ما لا يستحسنه فلعل فيه سرا
لا يعرفه وان يداوم على التعلم ويتذلل للمعلم ويراعي الادب في المقال
وان ينبه المجرم على جرمه ويعفو عنه حتى يتحقق اصراره ثم يهاجر عنه
ويسألونك عن ذي القرنين يعني اسكندر الرومي ملك فارس والروم
وقيل المشرق والمغرب ولذلك سمي ذا القرنين او لانه طاف قرني الدنيا
شرقها وغربها وقيل لانه انقرض في ايامه قرنان من الناس وقيل كان
له قرنان اي ضفيرتان وقيل كان لتاجه قرنان ويحتمل انه لقب لشجاعته
كما يقال الكبش للشجاع كانه ينطح اقرانه واختلف في نبوته مع الاتفاق
على ايمانه وصلاحه والسائلون هم اليهود سألوه امتحانا او مشركوا
مكة قل سأتلو عليكم منه ذكرا خطاب للسائلين والهاء لذي القرنين
وقيل لله انا مكنا له في الارض اي مكنا له امره من التصرف فيها كيف شاء
فحذف المفعول وآتيناه من كل شيء اراده وتوجه اليه سببا وصلة
توصله اليه من العلم والقدرة والالة فاتبع سببا اي فاراد بلوغ المغرب
فاتبع سببا يوصله اليه وقرأ الكوفيون وابن عامر بقطع الالف مخففة
التاء حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة ذات
حمأة من حمئت البئر اذا صارت ذات حمأة وقرأ ابن عامر وحمزة
والكسائي وابو بكر حامية اي حارة ولا تنافي بينهما لجواز ان تكون
العين جامعة للوصفين او حمية على ان ياءها مقلوبة عن الهمزة لكسر ما

قبلها

قبلها ولعله بلغ ساحل المحيط فرآها كذلك اذ لم يكن في مطمح بصره
غير الماء ولذلك قال وجدها تغرب ولم يقل كانت تغرب وقيل ان ابن عباس
سمع معاوية يقرأ حامية فقال حمئة فبعث معاوية الى كعب الاحبار كيف
تجد الشمس تغرب قال في ماء وطين كذلك نجده في التوراة ووجد عندها
عند تلك العين قوما قيل كان لباسهم جلود الوحش وطعامهم ما لفظه
البحر وكانوا كفارا فخيره الله بين ان يعذبهم او يدعوهم الى الايمان
كما حكى بقوله قلنا يا ذا القرنين اما ان تعذب اي بالقتل على كفرهم
واما ان تتخذ فيهم حسنا بالارشاد وتعليم الشرائع وقيل خيره بين
القتل والاسر وسماه احسانا في مقابلة القتل ويؤيد الاول قوله قال
اما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد الى ربه فيعذبه عذابا نكرا
اي فاختار الدعوة فقال اما من دعوته فظلم نفسه بالاصرار على كفره
او استمر على ظلمه الذي هو الشرك فنعذبه انا ومن معي في الدنيا بالقتل
ثم يعذبه الله في الاخرة عذابا منكرا لم يعهد مثله واما من آمن وعمل
صالحا وهو ما يقتضيه الايمان فله في الدارين جزاء الحسنى فعلته
الحسنى وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب وحفص جزاء منونا منصوبا على
الحال اي فله المثوبة الحسنى مجزيا بها او على المصدر لفعله المقدر حالا
اي يجزي بها جزاء او التمييز وقرئ منصوبا غير منون على ان تنوينه
حذف لالتقاء الساكنين ومنونا مرفوعا على انه المبتدأ والحسنى بدله
ويجوز ان يكون اما واما للتقسيم دون التخيير اي ليكن شأنك معهم
اما التعذيب واما الاحسان فالاول لمن اصر على الكفر والثاني لمن تاب
عنه ونداء الله اياه ان كان نبيا فبوحي وان كان غيره فبالهام او على لسان
نبي وسنقول له من امرنا مما نامر به يسرا سهلا ميسرا غير شاق
وتقديره ذا يسر وقرئ بضمتين ثم اتبع سببا ثم اتبع طريقا يوصله الى
حتى اذا بلغ مطلع الشمس يعني الموضع الذي تطلع الشمس عليه اولا من
معمورة الارض وقرئ بفتح اللام على اضمار مضاف اي مكان مطلع الشمس
فانه مصدر وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا من اللباس
او البناء فان ارضهم لا تمسك الابنية او انهم اتخذوا الاسراب بدل الابنية
كذلك اي امر ذي القرنين كما وصفناه في رفعة المكان وبسطة الملك
او امره فيهم كامره في اهل المغرب من التخيير والاختيار ويجوز ان يكون صفة

مصدر محذوف او لوجد او لنجعل او صفة قوم اي على قوم مثل ذلك
القبيل الذي تغرب عليهم الشمس في الكفر والحكم وقد احطنا بما لديه
من الجنود والآلات والعدد والاسباب خبرا علما تعلق بظواهره وخفاياه
والمراد ان كثرة ذلك بلغت مبلغا لا يحيط به الا علم اللطيف الخبير ثم
اتبع سببا يعني طريقا ثالثا معترضا بين المشرق والمغرب آخذا من الجنوب
الى الشمال حتى اذا بلغ بين السدين بين الجبلين المبني عليهما سده وهما
جبلا ارمينية واذربيجان وقيل جبلان في اواخر الشمال في منقطع ارض
الترك منيفان من ورائهما ياجوج وماجوج وقرا نافع وابن عامر وحمزة
والكسائي وابو بكر ويعقوب بين السدين بالضم وهما لغتان وقيل المضموم
لما خلقه الله والمفتوح لما عمله الناس لانه في الاصل مصدر سمي به حدث
يحدثه الناس وقيل بالعكس وبين هاهنا مفعول به وهو من الظروف
المتصرفة وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا لغرابة
لغتهم وقلة فطنتهم وقرا حمزة والكسائي لا يفقهون اي لا يفهمون
السامع كلامهم ولا يبينونه لتلعثمهم فيه قالوا يا ذا القرنين اي قال
مترجمهم وفي مصحف ابن مسعود قال الذين من دونهم ان ياجوج و
ماجوج قبيلتان من ولد يافث بن نوح وقيل ياجوج من الترك وماجوج
من الجيل وهما اسمان اعجميان بدليل منع الصرف وقيل عربيان من
اج الظليم اذا اسرع واصلهما الهمز كما قرا عاصم ومنع صرفهما للتعريف
والتانيث مفسدون في الارض اي في ارضنا بالقتل والتخريب واتلاف
الزروع قيل كانوا يخرجون الربيع فلا يتركون اخضر الا اكلوه ولا يابسا
الا احتملوه وقيل كانوا ياكلون الناس فهل نجعل لك خرجا جعلا نخرجه
من اموالنا وقرا حمزة والكسائي خراجا وكلاهما واحد كالنول والنوال
وقيل الخراج على الارض والذمة والخرج المصدر على ان تجعل بيننا وبينهم
سدا يحجز دون خروجهم علينا وقد ضمه من ضم السدين غير حمزة والكسائي
قال ما مكني فيه ربي خير اي ما جعلني فيه مكينا من المال والملك
خير مما تبذلون لي من الخراج ولا حاجة لي اليه وقرا ابن كثير مكنني على
الاصل فاعينوني بقوة اي بقوة فعلة او بما اتقوى به من الآلات
اجعل بينكم وبينهم ردما حاجزا حصينا وهو اكبر من السد من قولهم
ثوب مردم اذا كان رقاعا فوق رقاع آتوني زبر الحديد قطعه والزبرة

القطعة

القطعة الكبيرة وهو لا ينافي رد الخراج والاقتصار على المعونة لان
الايتاء بمعنى المناولة ويدل عليه قراءة ابي بكر ردما ايتوني بكسر التنوين موصولة
الهمزة على معنى جيئوني بزبر الحديد والباء محذوفة حذفها في امرتك
الخير ولان اعطاء الآلة من الاعانة بالقوة دون الخراج على العمل
حتى اذا ساوى بين الصدفين بين جانبي الجبلين بتنضيدها وقرا
ابن كثير وابن عامر والبصريان بضمتين وابو بكر بضم الصاد وسكون
الدال وقرئ بفتح الصاد وضم الدال وكلها لغات من الصدف وهو الميل
لان كلا منهما منعزل عن الآخر ومنه التصادف للتقابل قال انفخوا اي
قال للعملة انفخوا في الاكوار والحديد حتى اذا جعله جعل المنفوخ فيه
نارا كالنار بالاحماء قال آتوني افرغ عليه قطرا اي آتوني قطرا اي
نحاسا مذابا افرغ عليه قطرا فحذف الاول لدلالة الثاني عليه وبه تمسك
البصريون على ان اعمال الثاني من العاملين المتوجهين نحو معمول
واحد اولى اذ لو كان قطرا مفعول آتوني لاضمر مفعول افرغ حذرا من
الالتباس وقرا حمزة وابو بكر قال ايتوني موصولة الالف فما اسطاعوا
بحذف التاء حذرا من تلاقي متقاربين وقرا حمزة بالادغام جامعا
بين الساكنين على غير حده وقرئ بقلب السين صادا ان يظهروه ان يعلوه
بالصعود لارتفاعه وانملاسه وما استطاعوا له نقبا لثخنه وصلابته
وقيل حفر للاساس حتى بلغ الماء وجعله من الصخر والنحاس المذاب والبنيان
من زبر الحديد بينها الحطب والفحم حتى ساوى اعلى الجبلين ثم وضع المنافيخ
حتى صارت كالنار فصب النحاس المذاب عليه فاختلط والتصق بعضه
ببعض وصار جبلا صلدا وقيل بناه من الصخور مرتبطا بعضها ببعض بكلاليب
حديد ونحاس مذاب في تجاويفها قال هذا رحمة من ربي هذا السد او الاقدار على
تسويته رحمة من ربي على عباده فاذا جاء وعد ربي وقت وعده بخروج
ياجوج وماجوج او بقيام الساعة بان شارف يوم القيامة جعله دكا
مدكوكا مبسوطا مسوى بالارض مصدر بمعنى مفعول ومنه جمل ادك
لمنبسط السنام وقرا الكوفيون دكاء بالمد اي ارضا مستوية وكان وعد
ربي حقا كائنا لا محالة وهو آخر حكاية ذي القرنين وتركنا بعضهم يومئذ
يموج في بعض وجعلنا بعض ياجوج وماجوج حين يخرجون مما وراء السد
يموجون في بعض مزدحمين في البلاد او يموج بعض الخلق في بعض فيضطر

ابو نجيه

ويختلطون انسهم وجنهم حيارى ويوتدع ونفخ في الصور لقيام الساعة
فجمعناهم جمعا للحساب والجزاء وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين
وابرزناها واظهرناها لهم الذين كانت اعينهم في غطاء عن ذكري
عن آياتي التي ينظر اليها فاذكر بالتوحيد والتعظيم وكانوا لا يستطيعون
سمعا استماعا لذكري وكلامي لافراط صممهم عن الحق فان الاصم قد يستطيع
السمع اذا صيح به وهؤلاء كانهم اصمت مسامعهم بالكلية افحسب الذين
كفروا افظنوا والاستفهام للانكار ان يتخذوا عبادي اتخاذهم الملائكة
والمسيح من دوني اولياء معبودين نافعهم او لا اعذبهم به فحذف المفعول
الثاني كما يحذف الخبر للقرينة او سد ان يتخذوا مسد مفعوليه وقرئ
افحسب الذين كفروا اي افكافيهم في النجاة وان بما في حيزه مرتفع بانه
فاعل حسب فان النعت اذا اعتمد على الهمزة ساوى الفعل في العمل او خبر
له انا اعتدنا جهنم للكافرين نزلا ما يقام للنزيل وفيه تهكم وتنبيه
على ان لهم وراءها من العذاب ما يستحقر دونه قل هل ننبئكم بالاخسرين
اعمالا نصب على التمييز وجمع لانه من اسماء الفاعلين او لتنوع اعمالهم الذين
ضل سعيهم في الحياة الدنيا ضاع وبطل لكفرهم وعجبهم كالرهابنة
فانهم خسروا دنياهم واخراهم ومحله الرفع على الخبر المحذوف فانه جواب
السؤال او الجر على البدل او النصب على الذم وهم يحسبون انهم يحسنون
صنعا لعجبهم واعتقادهم انهم على الحق اولئك الذين كفروا بآيات
ربهم بالقرآن او بدلائله المنصوبة على التوحيد والنبوة ولقائه بالبعث
على ما هو عليه او لقاء عذابه فحبطت اعمالهم بكفرهم فلا يثابون عليها
فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا فنزدري بهم ولا نجعل لهم مقدارا
واعتبارا او فلا نضع لهم ميزانا يوزن به اعمالهم لانحباطها ذلك الا
ذلك وقوله جزاؤهم جهنم جملة مبينة له ويجوز ان يكون ذلك مبتدأ
والجملة خبره والعائد محذوف اي جزاؤهم به او جزاؤهم بدله وجهنم خبره
او جزاؤهم خبره وجهنم عطف بيان للخبر بما كفروا واتخذوا آياتي
ورسلي هزوا اي بسبب ذلك ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات
كانت لهم جنات الفردوس نزلا فيما سبق من حكم الله ووعده والفردوس
اعلى درجات الجنة واصله البستان الذي يجمع الكرم والنخل خالدين
فيها حال مقدرة لا يبغون عنها حولا تحولا اذ لا يجدون اطيب منها

حتى تنازعهم اليه انفسهم ويجوز ان يراد به تاكيد للخلود قل لو كان
البحر مدادا ما يكتب به وهو اسم ما يمد به الشيء كالحبر للدواة والسليط
للسراج لكلمات ربي لكلمات علمه وحكمته لنفد البحر لنفد جنس البحر باسره
لان كل جسم متناه قبل ان تنفد كلمات ربي فانها غير متناهية لا تنفد
كعلمه وقرأ حمزة والكسائي بالياء ولو جئنا بمثله بمثل البحر الموجود مددا زيادة
ومعونة لان مجموع المتناهيين متناه بل مجموع ما يدخل في الوجود من الاجسام
لا يكون الا متناهيا للدلائل القاطعة على تناهي الابعاد والمتناهي ينفد
قبل ان ينفد غير المتناهي لا محالة وقرأ حمزة والكسائي ينفد بالياء ومددا
بكسر الميم جمع مدة وهي ما يستمده الكاتب ومدادا وسبب نزولها ان اليهود
قالوا في كتابكم ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وتقرؤون وما اوتيتم
من العلم الا قليلا قل انما انا بشر مثلكم لا ادعي الاحاطة على كلماته
يوحى الي انما الهكم اله واحد وانما تميزت عنكم بذلك فمن كان يرجو
لقاء ربه يؤمل حسن لقائه او يخاف سوء لقائه فليعمل عملا صالحا
يرتضيه الله ولا يشرك بعبادة ربه احدا بان يرائيه ويطلب منه اجرا
روي ان جندب بن زهير قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اني لاعمل العمل
لله فاذا اطلع عليه احد سرني فقال ان الله لا يقبل ما شورك فيه فنزلت
تصديقا له وعنه عليه الصلوة والسلام اتقوا الشرك الاصغر قالوا وما
الشرك الاصغر قال الرياء والاية جامعة لخلاصتي العلم والعمل وهما التوحيد
والاخلاص في الطاعة وعن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأها عند مضجعه
كان له نورا في مضجعه يتلألأ الى مكة حشو ذلك النور ملائكة يصلون
عليه حتى يقوم فان كان مضجعه بمكة كان له نورا يتلألأ من مضجعه الى
البيت المعمور حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يستيقظ
وعنه صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الكهف من آخرها كانت له نورا
من قرنه الى قدمه ومن قرأها كلها كانت له نورا من الارض الى السماء

بسم الله الرحمن الرحيم كهيعص امال ابو عمرو الهاء لان الفات اسماء
التهجي ياءات وابن عامر وحمزة الياء والكسائي وابو بكر كليهما ذكر رحمة
ربك خبر ما قبله ان اول بالسورة او القرآن فانه مشتمل عليه او خبر

محذوف اي هذا المتلو ذكر رحمة ربك او مبتدا حذف خبره اي فيما يتلى
عليكم ذكرها وقرئ ذكر رحمة على الماضي وذكر على الامر عبده مفعول الرحمة
او الذكر على ان الرحمة فاعله على الاتساع كقولك ذكرني جود زيد زكريا
بدل منه او عطف بيان له اذ نادى ربه نداء خفيا لان الاخفاء والجهر عند
الله سيان والاخفاء اشد اخباتا واكثر اخلاصا او لئلا يلام على طلب الولد
في ابان الكبر او لئلا يطلع عليه مواليه الذين خافهم او لان ضعف الهرم
اخفى صوته واختلف في سنه حينئذ فقيل ستون وقيل سبعون وخمس وسبعون
وخمس وثمانون قال رب اني وهن العظم مني تفسير للنداء والوهن الضعف
وتخصيص العظم لانه دعامة البدن واصل بنائه ولانه اصلب ما فيه فاذا
وهن كان ما وراءه اوهن وتوحيده لان المراد به الجنس وقرئ وهن بالضم
والكسر ونظيره كمل في الحركات الثلاث واشتعل الراس شيبا شبه الشيب
في بياضه وانارته بشواظ النار وانتشاره وفشوه في الشعر باشتعالها
ثم اخرجه مخرج الاستعارة واسند الاشتعال الى الراس الذي هو مكان
الشيب مبالغة وجعله مميزا ايضاحا للمقصود واكتفي باللام عن الاضافة
للدلالة على ان علم المخاطب بتعين المراد يغني عن التقييد ولم اكن بدعائك
رب شقيا بل كلما دعوتك استجبت لي وهو توسل بما سلف معه من الاستجابة
وتنبيه على ان المدعو له وان لم يكن معتادا فاجابته معتادة وانه تعالى عوده
بالاجابة واطمعه فيها ومن حق الكريم ان لا يخيب من اطمعه واني خفت
الموالي يعني بني عمه وكانوا اشرار بني اسرائيل فخاف ان لا يحسنوا خلافته
على امته ويبدلوا عليهم دينهم من ورائي بعد موتي وعن ابن كثير بالمد والقصر
بفتح اليا وهو متعلق بمحذوف او بمعنى الموالي اي خفت فعل الموالي من
ورائي او الذين يلون الامر من ورائي وقرئ خفت الموالي من ورائي اي
قلوا وعجزوا عن اقامة الدين بعدي او خفوا ودرجوا قدامي فعلى هذا
كان الظرف متعلقا بخفت وكانت امراتي عاقرا لا تلد فهب لي من لدنك
فان مثله لا يرجى الا من فضلك وكمال قدرتك فاني وامراتي لا نصلح للولادة
وليا من صلبي يرثني ويرث من ال يعقوب صفتان له وجزمهما ابو عمرو
والكسائي على انهما جواب الدعاء والمراد وراثة الشرع والعلم فان الانبياء
لا يورثون المال وقيل يرثني الحبورة فانه كان حبرا ويرث من ال يعقوب
الملك وهو يعقوب بن اسحق عليهما السلام وقيل كان يعقوب اخا زكريا

او عمران بن ماثان من نسل سليمان وقرئ يرثني وارث ال يعقوب على
الحال من احد الضميرين او يرث بالتصغير لصغره ووارث من ال
يعقوب على انه فاعل يرثني وهذا يسمى التجريد في علم البيان لانه جرد عن المذكور
اولا مع انه المراد واجعله رب رضيا ترضاه قولا وعملا يا زكريا انا
نبشرك بغلام اسمه يحيى جواب لندائه ووعد باجابة دعائه وانما تولى
تسميته تشريفا له لم نجعل له من قبل سميا لم يسم احد بيحيى قبله وهو شاهد
بان التسمية بالاسامي الغريبة تنويه للمسمى وقيل سميا شبيها كقوله هل تعلم
له سميا لان المتماثلين يتشاركان في الاسم والاظهر انه اعجمي وان كان
عربيا فمنقول عن فعل كيعيش ويعمر وقيل سمي به لانه حيي به رحم امه او لان
دين الله حيي بدعوته قال رب انى يكون لي غلام وكانت امراتي عاقرا
وقد بلغت من الكبر عتيا قساوة ونحولا في المفاصل والعظام واصله
عتوو كقعود فاستثقلوا توالي الضمتين والواوين فكسروا التاء فانقلبت الواو
الاولى ياء ثم قلبت الثانية وادغمت وقرا حمزة والكسائي وحفص عتيا
بالكسر وانما استعجب الولد من شيخ فان وعجوز عاقر اعترافا بان المؤثر
فيه كمال قدرته وان الوسائط عند التحقيق ملغاة قال كذلك قال اي الله او
الملك المبلغ للبشارة تصديقا له كذلك الامر كذلك ويجوز ان تكون
الكاف منصوبة بقال في قال ربك وذلك اشارة الى مبهم يفسره هو علي
هين ويؤيد الاول قراءة من قرا وهو علي هين اي الامر كما قلت او كما وعدت
وهو على ذلك يهون علي او كما وعدت وهو علي هين لا احتاج فيما اريد ان
افعله الى الاسباب ومفعول قال الثاني محذوف وقد خلقتك من قبل
ولم تك شيئا بل كنت معدوما صرفا وفيه دليل على ان المعدوم ليس بشيء
وقرا حمزة والكسائي وقد خلقناك قال رب اجعل لي اية علامة اعلم
بها وقوع ما بشرتني به قال ايتك الا تكلم الناس ثلاث ليال
سوي الخلق ما بك من خرس ولا بكم وانما ذكر الليالي هنا والايام في
ال عمران للدلالة على انه استمر عليه المنع من كلام الناس والتجرد للذكر
والشكر ثلثة ايام ولياليهن فخرج على قومه من المحراب من المصلى او من
الغرفة فاوحى اليهم فاومى اليهم لقوله الا رمزا وقيل كتب لهم على الارض
ان سبحوا صلوا او نزهوا ربكم بكرة وعشيا طرفي النهار ولعله كان
مامورا بان يسبح ويامر قومه بان يوافقوه ويحتمل ان تكون مصدرية

وان تكون مفسرة بالخبر على تقدير القول خذ الكتاب التورية بقوة بجد
واستظهار بالتوفيق وآتيناه الحكم صبيا يعني الحكمة وفهم التورية
وقيل النبوة احكم الله عقله في صباه واستنباه وحنانا من لدنا ورحمة منا
عليه او رحمة وتعطفا في قلبه على ابويه وغيرهما عطفا على الحكم وزكوة
وطهارة من الذنوب او صدقة اي تصدق الله به على ابويه او مكنه ووفقه
للتصدق على الناس وكان تقيا مطيعا متجنبا عن المعاصي وبرا بوالديه
وبارا بهما ولم يكن جبارا عصيا عاقا او عاصي ربه وسلام عليه من الله
يوم ولد من ان يناله الشيطان بما ينال به بني آدم ويوم يموت من عذاب
القبر ويوم يبعث حيا من عذاب النار وهول القيامة واذكر في
الكتاب في القرآن مريم يعني قصتها اذ انتبذت اعتزلت بدل من
مريم بدل الاشتمال لان الاحيان مشتملة على ما فيها او بدل الكل لان
المراد بمريم قصتها وبالظرف الامر الواقع فيه وهما واحد او ظرف
لمضاف مقدر وقيل اذ بمعنى ان المصدرية كقولك اكرمتك اذ لم تكرمني
فتكون بدلا لا محالة من اهلها مكانا شرقيا شرقي بيت المقدس او
شرقي دارها ولذلك اتخذ النصارى المشرق قبلة ومكانا ظرف او مفعول
لان انتبذت متضمنة معنى اتت فاتخذت من دونهم حجابا سترا
فارسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا قيل قعدت في مشرفة
للاغتسال من الحيض محتجبة بشيء يسترها وكانت تتحول من المسجد الى
بيت خالتها اذا حاضت اليه وتعود اليه اذا طهرت فبينما هي في
مغتسلها اتاها جبريل متمثلا بصورة شاب امرد سوي الخلق لتستانس
بكلامه ولعله لتهيج شهوتها فتحدر نطفتها الى رحمها قالت اني اعوذ
بالرحمن منك من غاية عفافها ان كنت تقيا تتقي الله وتحتفل
بالاستعاذة وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله اي فاني
عائذة منك او فتتعظ بتعويذي او فلا تتعرض لي ويجوز ان يكون للمبالغة
اي ان كنت تقيا متورعا فاني اعوذ منك فكيف اذا لم تكن كذلك قال
انما انا رسول ربك الذي استعذت به لاهب لك غلاما لاكون
سببا في هبته بالنفخ في الدرع ويجوز ان يكون حكاية لقول الله سبحانه
وتعالى ويؤيده قراءة ابي عمرو والاكثر عن نافع ويعقوب بالياء زكيا طاهرا
من الذنوب او ناميا على الخير اي مترقيا من سن الى سن على الخير والصلاح

قالت اني يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم يباشرني رجل بالحلال
لان هذه الكنايات انما تطلق فيه اما الزنا فانما يقال فيه خبث بها او
ونحو ذلك ويعضده عطف قوله ولم اك بغيا عليه وهو فعول من البغي
قلبت واوه ياء وادغمت ثم كسرت الغين اتباعا ولذلك لم تلحقه التاء او فعيل
بمعنى فاعل ولم تلحقه التاء لانه للمبالغة او للنسب كطالق قال كذلك قال
ربك هو علي هين ولنجعله اية اي ونفعل ذلك لنجعله او لنبين به قدرتنا
ولنجعله وقيل عطف على ليهب على طريقة الالتفات اية للناس علامة
لهم وبرهانا على كمال قدرتنا ورحمة منا على العباد يهتدون بارشاده
وكان امرا مقضيا تعلق به قضاء الله في الازل او قدر وسطر في اللوح
او كان امرا حقيقا بان يقضى ويفعل لكونه اية ورحمة فحملته بان نفخ في درعها
فدخلت النفخة في جوفها وكانت مدة حملها سبعة اشهر وقيل ستة وقيل
ثمانية ولم يعش مولود وضع لثمانية غيره وقيل ساعة كما حملته نبذته وسنها
ثلاث عشرة سنة وقيل عشر سنين وقد حاضت حيضتين فانتبذت به
فاعتزلت وهو في بطنها كقوله تدوس بنا الجماجم والتريبا والجار والمجرور
في موضع الحال مكانا قصيا بعيدا من اهلها وراء الجبل وقيل اقصى الدار
فاجاءها المخاض فالجاها المخاض وهو في الاصل منقول من جاء لكنه
خص به في الاستعمال كآتى في اعطى وقرئ المخاض بالكسر وهما مصدر مخضت
المراة اذا تحرك الولد في بطنها للخروج الى جذع النخلة لتستتر به وتعتمد
عليه عند الولادة وهو ما بين العرق والغصن وكانت نخلة يابسة لا راس لها
ولا خضرة وكان الوقت شتاء والتعريف اما للجنس او للعهد اذ لم يكن ثم
غيرها وكانت كالمتعالم عند الناس ولعله تعالى الهمها ذلك ليريها من
آياتها ما يسكن روعتها وليطعمها الرطب الذي هو خرسة النفساء الموافقة
لها قالت يا ليتني مت قبل هذا استحياء من الناس ومخافة لومهم وقرا
ابو عمرو وابن كثير وابن عامر وابو بكر مت من مات يموت وكنت نسيا
ما من شانه ان ينسى ولا يطلب ونظيره الذبح لما يذبح وقرا حمزة وحفص
بالفتح وهو لغة فيه او مصدر سمي به وقرئ به وبالهمز وهو الحليب المخلوط
بالماء ينسؤه اهله لقلته منسيا منسي الذكر بحيث لا يخطر ببالهم وقرئ
بكسر الميم على الاتباع فناداها من تحتها عيسى وقيل جبريل كان يتقبل
الولد وقيل تحتها اسفل من مكانها وقرا نافع وحمزة والكسائي وحفص وروح

قالت

من تحتها بالكسر والجر على ان في نادى ضمير احدهما وقيل الضمير في تحتها
للنخلة الا تحزني اي لا تحزني او بان لا تحزني قد جعل ربك
تحتك سريا جدولا هكذا روي مرفوعا وقيل سيدا من السرو وهو عيسى
وهزي اليك بجذع النخلة واميليه اليك والبا مزيدة للتاكيد او
افعل الهز والامالة به او هزي الثمرة بهزه والهز تحريك بجذب ودفع
تساقط عليك تتساقط فادغمت التا الثانية في السين وحذفها
حمزة وقرا يعقوب باليا وحفص تساقط من ساقطت بمعنى اسقطت
وقرى تتساقط ويسقط وتسقط فالتا للنخلة واليا للجذع رطبا جنيا تمييز
او مفعول روي انها كانت يابسة لا راس لها ولا ثمر وكان الوقت شتا
فهزتها فجعل الله لها راسا وخوصا ورطبا وتسليتها بذلك لما فيه من
المعجزات الدالة على براة ساحتها فان مثلها لا يتصور لمن يرتكب الفواحش
والمنبهة لمن راها على ان من قدر ان يثمر النخلة اليابسة في الشتاء قدر
ان يحبلها من غير فحل وانه ليس ببدع من شانها مع ما فيه من الطعام والشراب
ولذلك رتب عليه الامرين فقال فكلي واشربي اي من الرطب وما السري
او من الرطب وعصيره وقري عينا وطيبي نفسك وارفضي عنها ما احزنها
وقري وقري بالكسر وهي لغة نجد واشتقاقه من القرار فان العين اذا
رات ما يسر النفس سكنت اليه من النظر الى غيره او من القر فان دمعة
السرور باردة ودمعة الحزن حارة ولذلك يقال قرة العين وسخنتها
للمحبوب والمكروه فاما ترين من البشر احدا فان ترى ادميا وقرى
ترئن على لغة من يقول لبأت بالحج لتآخ بين الهمزة وحرف اللين فقولي
اني نذرت للرحمن صوما صمتا وقد قرى به او صياما وكانوا لا يتكلمون
في صيامهم فلن اكلم اليوم انسيا بعد ان اخبرتكم بنذري وانما اكلم
الملائكة واناجي ربي وقيل اخبرتهم بنذرها بالاشارة وامرها بذلك
لكراهة المجادلة والاكتفا بكلام عيسى فانه قاطع في قطع الطاعن فاتت
به مع ولدها قومها تحمله راجعة اليهم بعدما طهرت من النفاس حاملة
اياه قالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا بديعا منكرا من فري الجلد
يا اخت هرون يعني هرون النبي وكانت من اعقاب من كان معه
في طبقة الاخوة وقيل كانت من نسله وكان بينهما الف سنة وقيل هو
رجل صالح او طالح كان في زمانهم شبهوها به تهكما او لما راوا قبل من صلاحها

اوشتموها

او شتموها به ما كان ابوك امرا سوء وما كانت امك بغيا تقرير
لان ما جاءت به فري وتنبيه على ان الفواحش من اولاد الصالحين افحش فاشارت
اليه الى عيسى اي كلموه ليجيبكم قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا
ولم نعهد صبيا في المهد كلمه عاقل وكان زائدة والظرف صلة من وصبيا
حال من المستكن فيه او تامة او دائمة كقوله وكان الله عليما حكيما او بمعنى
صار قال اني عبد الله انطقه الله به اولا لانه اول المقامات والرد
على من يزعم ربوبيته اتاني الكتاب الانجيل وجعلني نبيا وجعلني
مباركا نفاعا معلما للخير والتعبير بلفظ الماضي اما باعتبار ما سبق في قضائه
او بجعل المحقق وقوعه كالواقع وقيل اكمل الله عقله واستنباه طفلا اينما
كنت حيث كنت واوصاني وامرني بالصلاة والزكاة زكاة المال ان ملكته
او تطهير النفس عن الرذائل ما دمت حيا وبرا بوالدتي وبارا بها عطف
على مباركا وقري بالكسر على انه مصدر وصف به او منصوب بفعل دل عليه
اوصاني اي وكلفني برا ويؤيده القراءة بالكسر والجر عطفا على الصلاة ولم
يجعلني جبارا شقيا عند الله من فرط تكبره والسلام علي يوم ولدت
ويوم اموت ويوم ابعث حيا كما هو على يحيى والتعريف للعهد والاظهر انه
للجنس والتعريض باللعن على اعدائه فانه لما جعل جنس السلام على نفسه عرض
بان ضده عليهم كقوله تعالى والسلام على من اتبع الهدى فانه تعريض بان
العذاب على من كذب وتولى ذلك عيسى ابن مريم اي الذي تقدم نعته
هو عيسى ابن مريم لا ما تصفه النصارى وهو تكذيب لهم فيما يصفونه على
الوجه الابلغ والطريق البرهاني حيث جعله الموصوف باضداد ما يصفونه
ثم عكس الحكم قول الحق خبر محذوف اي هو قول الحق الذي لا ريب فيه
والاضافة للبيان والضمير للكلام السابق او لتمام القصة وقيل صفة عيسى
او بدله او خبر ثان ومعناه كلمة الله وقرا عاصم وابن عامر ويعقوب قول بالنصب
على انه مصدر مؤكد وقري قال الحق وهو بمعنى القول الذي فيه يمترون
في امره يشكون او يتنازعون فقالت اليهود ساحر وقالت النصارى
ابن الله وقري بالتا على الخطاب ما كان لله ان يتخذ من ولد سبحانه
تكذيب للنصارى وتنزيه لله عما بهتوه اذا قضى امرا فانما يقول له كن
فيكون تبكيت لهم بان من اذا اراد شيئا اوجده بكن كان منزها من شبه
الخلق والحاجة في اتخاذ الولد باحبال الاناث وقرا ابن عامر فيكون

بالنصب على الجواب وان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم
سبق تفسيره في سورة ال عمران وقرا الحجازيان والبصري بان ان بالفتح على
ولان وقيل انه معطوف على الصلوة فاختلف الاحزاب من بينهم اليهود
والنصارى او فرق النصارى نسطورية قالوا انه ابن الله ويعقوبية قالوا
هو الله هبط الى الارض ثم صعد الى السما وملكانية قالوا هو عبد الله ونبيه
فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم من شهود يوم عظيم هوله وحسابه
وجزاه وهو يوم القيمة او من وقت الشهود او من مكانه فيه او من شهادة
ذلك اليوم عليهم وهو ان تشهد عليهم الملائكة والانبيا والسنتهم وارجلهم
بالكفر والفسوق او من وقت الشهادة او من مكانها وقيل هو ما شهدوا
به في عيسى وامه اسمع بهم وابصر تعجب معناه ان اسماعهم وابصارهم
يوم ياتوننا اي يوم القيمة جدير بان يتعجب منهما بعد ما كانوا صما عميا
في الدنيا او التهديد بما سيسمعون ويبصرون يومئذ وقيل امر بان يسمعهم
ويبصرهم مواعيد ذلك اليوم وما يحيق بهم فيه والجار والمجرور على
الاول في موضع الرفع وعلى الثاني في موضع النصب لكن الظالمون اليوم
في ضلال مبين اوقع الظالمين موقع الضمير اشعارا بانهم ظلموا انفسهم
حيث اغفلوا الاستماع والنظر حين ينفعهم وسجل على اغفالهم بانه ضلال
بين وانذرهم يوم الحسرة يوم يتحسر الناس المسيء على اسائته والمحسن على
قلة احسانه اذ قضي الامر فرغ من الحساب وتصادر الفريقان الى الجنة
والنار واذ بدل من اليوم او ظرف للحسرة وهم في غفلة وهم لا يومنون
حال متعلقة بقوله في ضلال مبين وما بينهما اعتراض او بانذرهم اي
انذرهم غافلين غير مومنين فيكون حالا متضمنة للتعليل انا نحن نرث
الارض ومن عليها لا يبقى لاحد غيرنا عليها وعليهم ملك ولا ملك او
نتوفى الارض ومن عليها بالافنا والاهلاك توفي الوارث لارثه والينا
يرجعون يردون للجزا واذكر في الكتاب ابرهيم انه كان صديقا ملازما
للصدق كثير التصديق لكثرة ما صدق به من غيوب الله واياته وكتبه
ورسله نبيا استنباه الله اذ قال بدل من ابرهيم وما بينهما اعتراض
او متعلق بكان او بصديقا نبيا لابيه يا ابت التا معوضة من يا الاضافة
ولذلك لا يقال يا ابتي ويقال يا ابتا وانما تذكر للاستعطاف ولذلك كرر
لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر فيعرف حالك ويسمع ذكرك ويرى خضوعك

ولا يغني عنك شيئا في جلب نفع ودفع ضر دعاه الى الهدى وبين ضلاله
واحتج عليه ابلغ احتجاج وارشده برفق وحسن ادب حيث لم يصرح بضلاله
بل طلب العلة التي تدعوه الى عبادة ما يستخف به العقل الصريح ويابى الركون
اليه فضلا عن عبادته التي هي غاية التعظيم ولا تحق الا لمن له الاستغنا
التام والانعام العام وهو الخالق الرازق المحيي المميت المعاقب المثيب
ونبه على ان العاقل ينبغي ان يفعل ما يفعل لغرض صحيح والشي لو كان حيا
مميزا سميعا بصيرا مقتدرا على النفع والضر ولكن ممكنا لاستنكف العقل القويم
عن عبادته وان كان اشرف الخلق كالملائكة والنبيين لما يراه مثله في الحاجة
والانقياد للقدرة الواجبة فكيف اذا كان جمادا لا يسمع ولا يبصر ثم دعاه
الى ان يتبعه ليهديه الحق القويم والصراط المستقيم لما لم يكن محظوظا من
العلم الالهي مستقلا بالنظر السوي فقال يا ابت اني قد جاءني من العلم
ما لم ياتك فاتبعني اهدك صراطا سويا ولم يسم اباه بالجهل المفرط
ولا نفسه بالعلم الفائق بل جعل نفسه كرفيق له في مسير يكون اعرف
بالطريق ثم ثبطه عما كان عليه بانه مع خلوه عن النفع مستلزم للضر فانه في
الحقيقة عبادة الشيطان من حيث انه الامر به فقال يا ابت لا تعبد الشيطان
واستهجن ذلك وبين وجه الضر فيه بان الشيطان مستعص على ربك المولي
للنعم كلها بقوله ان الشيطان كان للرحمن عصيا ومعلوم ان المطاوع
للعاصي عاص وكل عاص حقيق بان تسترد منه النعم وينتقم منه ولذلك عقبه
بتخويفه سوء عاقبته وما يجره اليه فقال يا ابت اني اخاف ان يمسك
عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا قرينا في اللعن او العذاب
تليه وتليك او ثابتا في موالاته فانه اكبر من العقاب كما ان رضوان الله اكبر
من الثواب وذكر الخوف والمس وتنكير العذاب اما للمجاملة او لخفا
العاقبة ولعل اقتصاره على عصيان الشيطان من جناياته لارتقاء همته في
الربانية او لانه ملاكها او لانه من حيث انه نتيجة معاداته لادم وذريته
منبه عليها قال اراغب انت عن الهتي يا ابرهيم قابل استعطافه
ولطفه في الارشاد بالفظاظة وغلظ العناد فناداه باسمه ولم يقابل
يا ابت بيا بني واخره وقدم الخبر على المبتدا وصدره بالهمزة لانكار
نفس الرغبة على ضرب من التعجب كانها مما لا يرغب عنها عاقل ثم هدده
فقال لئن لم تنته عن مقالك فيها والرغبة عنها لارجمنك بلساني

يعني الشتم والذم او بالحجارة حتى تموت او تبعد مني واهجرني عطف على ما
دل عليه لأرجمنك اي فاحذرني واهجرني مليا زمانا طويلا من الملاوة
او مليا بالذهاب عني قال سلام عليك توديع ومتاركة ومقابلة للسيئة
بالحسنة اي لا اصيبك بمكروه ولا اقول لك بعد ما يؤذيك ولكن سأستغفر لك
ربي لعله يوفقك للتوبة والايمان فان حقيقة الاستغفار للكافر
استدعا التوفيق لما يوجب مغفرته وقد مر تقريره في سورة التوبة انه كان
بي حفيا بليغا في البر والالطاف واعتزلكم وما تدعون من دون
الله بالمهاجرة بديني وادعوا ربي واعبده وحده عسى ان لا اكون بدعاء
ربي شقيا خائبا ضائع السعي مثلكم في دعاء آلهتكم وفي تصدير الكلام
بعسى للتواضع وهضم النفس والتنبيه على ان الاجابة والاثابة تفضل
غير واجب وان ملاك الامر خاتمته وهو غيب فلما اعتزلهم وما يعبدون
من دون الله بالهجرة الى الشام وهبنا له اسحق ويعقوب بدل من فارقهم
من الكفرة وقيل انهما قصد الشام اتى اولا حران وتزوج بسارة وولد
له اسحق وولد منه يعقوب ولعل تخصيصهما بالذكر لانهما شجرتا الانبيا
او لانه اراد ان يذكر اسمعيل بفضله على الانفراد وكلا جعلنا نبيا وكلا
منهما او منهم ووهبنا لهم من رحمتنا النبوة والاموال والاولاد
وجعلنا لهم لسان صدق عليا يفتخر بهم الناس ويثنون عليهم استجابة
لدعوته واجعل لي لسان صدق في الآخرين والمراد باللسان ما يوجد
به ولسان العرب لغتهم واضافته الى الصدق وتوصيفه بالعلو للدلالة
على انهم احقا بما يثنون عليهم وان محامدهم لا تخفى على تباعد الاعصار
وتحول الدول وتبدل الملك واذكر في الكتاب موسى انه كان مخلصا
موحدا اخلص عبادته عن الشرك والريا او اسلم وجهه لله واخلص نفسه
عما سواه وقرأ الكوفيون بالفتح على ان الله اخلصه وكان رسولا نبيا
ارسله الله الى الخلق فانبأهم عنه ولذلك قدم رسولا مع انه اخص واعلى
وناديناه من جانب الطور الايمن من ناحيته اليمنى من اليمين وهي
التي تلي يمين موسى او من جانبه الميمون من اليمن بان تمثل له الكلام من
تلك الجهة وقربناه تقريب تشريف شبهه بمن قربه الملك لمناجاته
نجيا مناجيا حال من احد الضميرين وقيل مرتفعا من النجوة وهو الارتفاع
لما روي انه رفع فوق السموات حتى سمع صرير القلم ووهبنا له من رحمتنا

من اجل رحمتنا او بعض رحمتنا اخاه معاضدة اخيه وموازرته اجابة
لدعوته واجعل لي وزيرا من اهلي فانه كان اسن من موسى وهو مفعول او
بدل على ان تكون من للتبعيض هرون عطف بيان له نبيا حال منه واذكر
في الكتاب اسمعيل انه كان صادق الوعد ذكره بذلك لانه المشهور
به والموصوف باشيا في هذا الباب لم تعهد من غيره وناهيك انه وعد
الصبر على الذبح فقال ستجدني ان شاء الله من الصابرين فوفى وكان رسولا
نبيا يدل على ان الرسول لا يلزم ان يكون صاحب شريعة فان اولاد
ابراهيم كانوا على شريعته وكان يأمر اهله بالصلوة والزكوة اشتغالا
بالاهم وهو ان يقبل الرجل على نفسه ومن هو اقرب الناس اليه بالتكميل
قال تعالى وانذر عشيرتك الاقربين وامر اهلك بالصلوة قوا انفسكم واهليكم
نارا وقيل اهله امته فان الانبيا آبا الامم وكان عند ربه مرضيا لاستقامة
اقواله وافعاله واذكر في الكتاب ادريس وهو سبط شيث وجد ابي
نوح واسمه اخنوخ واشتقاق ادريس من الدرس يرده منع صرفه نعم لا يبعد
ان يكون معناه في تلك اللغة قريبا من ذلك فلقب به لكثرة درسه
اذ روي انه تعالى انزل عليه ثلاثين صحيفة وانه اول من خط بالقلم ونظر
في علم النجوم والحساب انه كان صديقا نبيا ورفعناه مكانا عليا
يعني شرف النبوة والزلفى عند الله وقيل الجنة وقيل السماء السادسة
او الرابعة اولئك اشارة الى المذكورين في السورة من زكريا الى ادريس
الذين انعم الله عليهم بانواع النعم الدينية والدنياوية من النبيين
بيان للموصول من ذرية آدم بدل منه باعادة الجار ويجوز ان يكون
من فيه للتبعيض لان المنعم عليهم اعم من الانبيا واخص من الذرية
وممن حملنا مع نوح اي ومن ذرية من حملنا خصوصا وهم من عدا ادريس
فان ابرهيم كان من ذرية سام ابن نوح ومن ذرية ابرهيم الباقون
واسرائيل عطف على ابرهيم اي ومن ذرية اسرائيل وكان منهم موسى وهرون
وزكريا ويحيى وعيسى وفيه دليل على ان اولاد البنات من الذرية وممن
هدينا ومن جملة من هديناه الى الحق واجتبينا للنبوة والكرامة اذا
تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا خبر لاولئك ان جعلت
الموصول صفته واستيناف ان جعلته خبره لبيان خشيتهم من الله واخباتهم
له مع ما لهم من علو الطبقة في شرف النسب وكمال النفس والزلفى من الله

عز وجل وعن النبي عليه الصلاة والسلام اتلوا القرآن وابكوا فان لم تبكوا
فتباكوا والبكا جمع باك كالسجود في جمع ساجد وقرئ بكيا بالكسر للاتباع
غير حقيقي فخلف من بعدهم خلف فعقبهم وجاء بعدهم عقب سوء يقال
خلف صدق بالفتح وخلف سوء بالسكون اضاعوا الصلاة تركوها او اخروها
عن وقتها واتبعوا الشهوات كشرب الخمر واستحلال نكاح الاخت من
الاب والانهماك في المعاصي وعن علي رضي الله عنه واتبعوا الشهوات من بنى
المشيد وركب المنظور ولبس المشهور فسوف يلقون غيا شرا كقوله فمن يلق
خيرا يحمد الناس امره ومن يغو لا يعدم على الغي لائما او جزاء غي كقوله يلق اثاما
او غيا عن طريق الجنة وقيل هو واد في جهنم يستعيذ منه اوديتها الا من تاب
وآمن وعمل صالحا يدل على ان الآية في الكفرة فاولئك يدخلون الجنة
وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابو بكر ويعقوب على البناء للمفعول من ادخل ولا
يظلمون شيئا ولا ينقصون شيئا من جزاء اعمالهم ويجوز ان ينتصب شيئا
على المصدر وفيه تنبيه بان كفرهم السابق لا يضرهم ولا ينقص اجورهم
جنات عدن بدل من الجنة بدل البعض لاشتمالها عليها او منصوب
على المدح وقرئ بالرفع على انه خبر محذوف وعدن علم لانه المضاف اليه
في العلم او علم للعدن بمعنى الاقامة كبرة ولذلك صح وصف ما اضيف اليه
بقوله التي وعد الرحمن عباده بالغيب اي وعدها اياهم وهي غائبة
عنهم او وهم غائبون عنها او وعدهم بايمانهم بالغيب انه ان الله كان
وعده الذي هو الجنة مأتيا يأتيها اهلها الموعود لهم لا محالة وقيل هو
من اتى اليه احسانا اي مفعولا منجزا لا يسمعون فيها لغوا فضول كلام
الا سلاما ولكن يسمعون قولا يسلمون فيه من العيب والنقيصة او الا
تسليم الملائكة عليهم او تسليم بعضهم على بعض على الاستثناء المنقطع
او على معنى ان التسليم ان كان لغوا فلا يسمعون لغوا سواه كقوله ولا
عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب وعلى معنا لا
الدعاء بالسلامة واهلها اغنياء عنه فهو من باب اللغو ظاهرا وانما فائدته
الاكرام ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا على عادة المتنعمين والتوسط
بين الزهادة والرغابة وقيل المراد دوام الرزق ودروره تلك الجنة
التي نورث من عبادنا من كان تقيا نبقيها عليهم من ثمرة تقواهم
كما يبقى على الوارث مال مورثه والوراثة اقوى لفظ يستعمل في التمليك

والاستحقاق

والاستحقاق من حيث انها لا تعقب بفسخ ولا استرجاع ولا تبطل برد ولا اسقاط
وقيل يورث المتقون من الجنة المساكن التي كانت لاهل النار لو اطاعوا زيادة
في كرامتهم وعن يعقوب نورث بالتشديد وما نتنزل الا بامر ربك حكاية
قول جبريل حين استبطأه رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سئل عن قصة
الكهف وذي القرنين والروح ولم يدر ما يجيب ورجا ان يوحى اليه فابطأ
عليه خمسة عشر يوما وقيل اربعين حتى قال المشركون ودعه ربه وقلاه
ثم نزل ببيان ذلك والتنزل النزول على مهل لانه مطاوع نزل وقد يطلق
بمعنى النزول مطلقا كما يطلق نزل بمعنى انزل والمعنى وما ننزل وقتا غب
وقت الا بامر الله على ما تقتضيه حكمته وقرئ وما يتنزل بالياء والضمير للوحي
له ما بين ايدينا وما خلفنا وما بين ذلك وهو ما نحن فيه من الاماكن
والاحايين لا ننتقل من مكان الى مكان او لا ننزل في زمان دون زمان
الا بامره ومشيئته وما كان ربك نسيا اي تاركا لك اي ما كان عدم
النزول الا لعدم الامر به ولم يكن ذلك عن ترك الله لك وتوديعه
اياك كما زعمت الكفرة وانما كان لحكمة رآها فيه وقيل اول الآية حكاية
قول المتقين حين يدخلون الجنة والمعنى وما ننزل الجنة الا بامر الله
ولطفه وهو مالك الامور كلها السالفة والمترقبة والحاضرة فما وجدناه
وما نجده من لطفه وفضله وقوله وما كان ربك نسيا تقرير من الله لقولهم
اي وما كان ناسيا لاعمال العاملين وما وعدهم من الثواب عليها وقوله
رب السموات والارض وما بينهما بيان لامتناع النسيان عليه وهو
خبر محذوف او بدل من ربك فاعبده واصطبر لعبادته خطاب للرسول
مرتب عليه اي لما عرفت ربك بانه لا ينبغي له ان ينساك او اعمال العمال
فاقبل على عبادته واصطبر عليها ولا تتشوش بابطاء الوحي وهزء الكفرة وانما
عدي باللام لتضمنه معنى الثبات للعبادة فيما يورد عليه من الشدائد
والمشاق كقولك للمحارب اصطبر لقرنك هل تعلم له سميا مثلا يستحق
ان يسمى الها او احدا يسمى الله فان المشركين وان سموا الصنم الها لم يسموه الله
قط وذلك لظهور احديته وتعالي ذاته عن المماثلة بحيث لم يقبل اللبس
والمكابرة وهو تقرير للامر اي اذا صح ان لا احد مثله ولا يستحق العبادة
غيره لم يكن بد من التسليم لامره والاشتغال بعبادته والاصطبار على
مشاقها ويقول الانسان المراد به الجنس باسره فان المقول مقول فيما بينهم

وان لم يقله كلهم كقولك بنو فلان قتلوا فلانا والقاتل واحد منهم او بعضهم
المعهود وهم الكفرة او ابي بن خلف فانه اخذ عظاما بالية ففتها وقال يزعم
محمد انا نبعث بعد ما نموت ائذا ما مت لسوف اخرج حيا من الارض
او من حال الموت وتقديم الظرف وايلاؤه حرف الانكار لان المنكر كون
ما بعد الموت وقت الحياة وانتصابه بفعل دل عليه اخرج لا به لان ما
بعد اللام لا يعمل فيما قبلها وهي هاهنا مخلصة للتوكيد مجردة عن معنى الحال
كما خلصت الهمزة واللام في يا الله للتعويض فساغ اقترانها بحرف الاستقبال
وروى عن ابن ذكوان اذا ما مت بهمزة واحدة مكسورة على الخبر اولا يذكر
الانسان عطف على يقول وتوسط همزة الانكار بينه وبين العاطف مع
ان الاصل ان تتقدمهما للدلالة على ان المنكر بالذات هو المعطوف وان
المعطوف عليه انما نشا منه فانه لو تذكر وتامل انا خلقناه من قبل ولم
يك شيئا بل كان عدما صرفا لم يقل ذلك فانه اعجب من جمع المواد بعد التفريق
وايجاد مثل ما كان منها من الاعراض وقرا نافع وابن عامر وعاصم وقالون
عن يعقوب يذكر من الذكر الذي يراد به التفكر وقرئ يتذكر على الاصل فوربك
لنحشرنهم اقسام باسمه مضافا الى نبيه تحقيقا للامر وتفخيما لشان
والشياطين عطف او مفعول معه لما روي ان الكفرة يحشرون مع قرنائهم
من الشياطين الذين اغووهم كل مع شيطانه في سلسلة وهذا وان كان مخصوصا
بهم ساغ نسبته الى الجنس باسره فانهم اذا حشروا وفيهم الكفرة مقرونين
بالشياطين فقد حشروا جميعا معهم ثم لنحضرنهم حول جهنم ليرى
السعداء ما نجاهم الله منه فيزدادوا غبطة وسرورا وينال الاشقياء ما
ادخروا لمعادهم عدة ويزدادوا غيظا من رجوع السعداء عنهم الى دار
الثواب وشماتتهم عليهم جثيا على ركبهم لما يدهمهم من هول المطلع او لانه
من توابع التواقف للحساب قبل التواصل الى الثواب والعقاب واهل
الموقف جاثون لقوله وترى كل امة جاثية على المعتاد في مواقف التقاول
وان المراد بالانسان الكفرة فلعلهم يساقون جثاة من الموقف الى شاطئ
جهنم اهانة بهم او لعجزهم عن القيام لما عراهم من الشدة وقرا حمزة والكسائي
وحفص جثيا بكسر الجيم ثم لننزعن من كل شيعة من كل امة شايعت دينا
ايهم اشد على الرحمن عتيا من كان اعصى واعتى منهم فنطرحهم فيها
وفي ذكر الاشد تنبيه على انه تعالى يعفو كثيرا من اهل العصيان ولو خص ذلك

بالكفرة

بالكفرة فالمراد انه يميز من طوائفهم اعتاهم فاعتاهم ويطرحهم في النار
على الترتيب او يدخل كلا طبقتها التي تليق به وايهم مبني على الضم عند سيبويه
لان حقه ان يبنى كسائر الموصولات لكنه اعرب حملا على كل وبعض للزوم
الاضافة فاذا حذف صدر صلته زاد نقصه فعاد الى حقه ومنصوب المحل
بننزعن ولذلك قرئ منصوبا او مرفوع عند غيره اما بالابتداء على انه استفهامي
وخبره اشد والجملة محكية وتقدير الكلام لننزعن من كل شيعة الذين يقال
فيهم ايهم اشد او معلق عنها لننزعن لتضمنه معنى التمييز اللازم للعلم او
مستانفة والفعل واقع على من كل شيعة على زيادة من او على معنى لننزعن
بعض كل شيعة واما الشيعة لانها بمعنى تشيع وعلى للبيان او متعلق بافعل
وكذا الباء في قوله ثم لنحن اعلم بالذين هم اولى بها صليا اي لنحن اعلم
بالذين هم اولى بالصلي او صليهم اولى بالنار وهم المنتزعون ويجوز ان
يراد بهم وباشدهم عتيا رؤساء الشيع فان عذابهم مضاعف لضلالهم واضلالهم
وان منكم وما منكم التفات الى الانسان ويؤيده انه قرئ وان منهم
الا واردها الا واصلها وحاضر دونها يمر بها المؤمنون وهي خامدة
وتنهار بغيرهم وعن جابر انه عليه الصلوة والسلام سئل عنه فقال اذا دخل
اهل الجنة الجنة قال بعضهم لبعض اليس وعدنا ربنا ان نرد النار فيقال لهم قد وردتموها
وهي خامدة واما قوله تعالى اولئك عنها مبعدون فالمراد عن عذابها
وقيل ورودها الجواز على الصراط فانه ممدود عليها كان على ربك حتما
مقضيا كان ورودهم واجبا اوجبه الله على نفسه وقضى بان وعد به وعدا
لا يمكن خلفه وقيل اقسم عليه ثم ننجي الذين اتقوا فيساقون الى الجنة وقرا
الكسائي ويعقوب ننجي بالتخفيف وقرئ ثم بفتح الثاء اي هنالك ونذر الظالمين
فيها جثيا منهارا بهم كما كانوا وهو دليل على ان المراد بالورود الجثو حواليها
وان المؤمنين يفارقون الفجرة الى الجنة بعد تجاثيهم وتبقى الفجرة فيها
منهارا بهم على هيئاتهم واذا تتلى عليهم اياتنا بينات مرتلات الالفاظ
مبينات المعاني بنفسها او ببيان الرسول او واضحات الاعجاز قال الذين
كفروا للذين امنوا لاجلهم او معهم اي الفريقين المؤمنين والكافرين خير
مقاما موضع قيام او مكانا وقرا ابن كثير بالضم اي موضع اقامة ومنزل
واحسن نديا مجلسا ومجتمعا والمعنى انهم لما سمعوا الايات الواضحات
وعجزوا عن معارضتها والدخل عليها اخذوا في الافتخار بما لهم من حظوظ

الدنيا والاستدلال على ان زيادة حظهم فيها يدل على فضلهم وحسن
حالهم عند الله تعالى لقصور نظرهم على الحال وعلمهم بظاهر من الحيوة
الدنيا فرد عليهم ذلك ايضا مع التهديد نقضا بقوله وكم اهلكنا قبلهم
من قرن هم احسن اثاثا ورئيا وكم مفعول اهلكنا ومن قرن بيان وانما
سمى اهل كل عصر قرنا لانه يتقدم من بعدهم وهم احسن صفة لكم واثاثا
تمييز عن النسبة وهو متاع البيت وقيل هو ما جد منه والخرثي ما رث والرئي
المنظر فعل من الرؤية لما يرى كالطحن والخبز وقرا نافع وابن عامر ريا على قلب
الهمزة وادغامها او على انه من الري الذي هو النعمة وابو بكر ريا على القلب
وقرئ ريا بحذف الهمزة وزيا من الزي وهو الجمع فانه محاسن مجموعة ثم بين
ان تمتعهم استدراج وليس باكرام وانما العيار على الفضل والنقص ما يكون
في الاخرة قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا فيمده ويمهله
بطول العمر والتمتع به وانما اخرجه على لفظ الامر ايذانا بان امهاله
مما ينبغي ان يفعله استدراجا وقطعا للمعاذير كقوله انما نملي لهم ليزدادوا
اثما وكقوله اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر حتى اذا راوا ما يوعدون
غاية المد وقيل غاية قول الذين كفروا للذين امنوا اي الفريقين خير حتى
اذا راوا ما يوعدون اما العذاب واما الساعة تفصيل للموعود فانه
اما العذاب في الدنيا وهو غلبة المسلمين عليهم وتعذيبهم اياهم قتلا واسرا
واما يوم القيامة وما ينالهم فيه من الخزي والنكال فسيعلمون من هو
شر مكانا من الفريقين بان عاينوا الامر على عكس ما قدروه وعاد ما متعوا
به خذلانا ووبالا عليهم وهو جواب الشرط والجملة محكية بعد حتى واضعف
جندا اي فئة وانصارا قابل به احسن نديا من حيث ان حسن النادي باجتماع
وجوه القوم واعيانهم وظهور شوكتهم واستظهارهم ويزيد الله الذين
اهتدوا هدى عطف على الشرطية المحكية بعد القول كانه لما بين ان امهال
الكافر وتمتيعه بالحيوة الدنيا ليس لفضله اراد ان يبين ان قصور حظ المؤمن
منها ليس لنقصه بل لان الله عز وجل اراد به ما هو خير وعوضه منه وقيل
عطف على فليمدد لانه في معنى الخبر كانه قيل من كان في الضلالة يزيد الله
في ضلاله ويزيد المقابل له هداية والباقيات الصالحات الطاعات
التي تبقى عايدتها ابد الاباد ويدخل فيها ما قيل من الصلوات الخمس وقوله
سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر خير عند ربك ثوابا عا

عايدة مما متع به الكفرة من النعم المخدجة الفانية التي يفتخرون بها سيما ومآل
النعيم المقيم ومآل هذه الحسرة والعذاب الدائم كما اشار اليه بقوله وخير
مردا والخير هاهنا اما لمجرد الزيادة او على طريقة قولهم الصيف احر
من الشتاء اي ابلغ في حره منه في برده افرايت الذي كفر باياتنا وقال
لاوتين مالا وولدا نزلت في العاص بن وايل كان لخباب عليه مال
فتقاضاه فقال له لا حتى تكفر بمحمد قال لا والله لا اكفر بمحمد حيا ولا ميتا
ولا حين بعثت قال فاذا بعثت جئتني فيكون لي ثم مال وولد فاعطيك ولما
كانت الرؤية اقوى سند الاخبار استعمل ارايت بمعنى الاخبار والفاء على
اصلها في التعقيب والمعنى اخبر بقصة هذا الكافر عقيب حديث اولئك
وقرا حمزة والكسائي ولدا وهو جمع ولد كاسد في اسد او لغة فيه كالعرب
والعرب اطلع الغيب اقد بلغ من عظمة شانه الى ان ارتقى الى علم الغيب
الذي توحد به الواحد القهار حتى ادعى ان يؤتى في الاخرة مالا وولدا
وتالى عليه ام اتخذ عند الرحمن عهدا او اتخذ من عالم الغيوب عهدا
بذلك فانه لا يتوصل الى العلم به الا باحد هذين الطريقين وقيل العهد
كلمة الشهادة والعمل الصالح فان وعد الله بالثواب عليهما كالعهد عليه
كلا ردع وتنبيه على انه مخطئ فيما تصوره لنفسه سنكتب ما يقول سنظهر
له انا كتبنا كقوله اذا ما انتسبنا لم تلدني لئيمة اي تبين اني لم تلدني لئيمة
او سننتقم منه انتقام من كتب جريمة العدو وحفظها عليه فان نفس الكتبة لا
تتاخر عن القول لقوله تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد ونمد له
من العذاب مدا ونطول له من العذاب ما يستاهله او نزيد عذابه
ونضاعفه له لكفره وافترائه واستهزائه على الله ولذلك اكده بالمصدر
دلالة على فرط غضبه عليه ونرثه بموته ما يقول يعني المال والولد ويأتينا
يوم القيامة فردا لا يصحبه مال ولا ولد كان له في الدنيا فضلا ان يؤتى ثم
زائدا وقيل فردا رافضا لهذا القول منفردا عنه واتخذوا من دون
الله الهة ليكونوا لهم عزا ليتعززوا بهم حيث يكونون لهم وصلة الى الله تعالى
وشفعاء عنده كلا ردع وانكار لتعززهم بها سيكفرون بعبادتهم سيجحد
الالهة عبادتهم ويقولون ما عبدتمونا لقوله اذ تبرا الذين اتبعوا من الذين
اتبعوا وسينكرون لسوء العاقبة انهم عبدوها لقوله ثم لم تكن فتنتهم
الا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين ويكونون عليهم ضدا يؤيد الاول

اذا افتر الضد بضد العز اي ويكونون عليهم ذلا او بضدهم على معنى انهم
تكون معونة في عذابهم بان توقد بها نيرانهم او جعل الواو للكفرة اي يكون
كافرين بهم بعد ان كانوا يعبدونها وتوحيده لوحدة المعنى الذي به مضادتهم
فانهم بذلك كالشيء الواحد ونظيره قوله عليه الصلاة والسلام وهم يد
على من سواهم وقرئ كلا بالتنوين على قلب الالف نونا في الوقف قلب الف
الاطلاق في قوله اقلي اللوم عاذل والعتابن وعلى معنى كل هذا الراي كلا
وكلا على اضمار فعل يفسره ما بعده اي سيجحدون كلا سيكفرون بعبادتهم
الم تر انا ارسلنا الشياطين على الكافرين بان سلطناهم عليهم او قيضنا
لهم قرناء تؤزهم ازا تهزهم وتغريهم على المعاصي بالتسويلات وتحبيب الشهوات
والمراد تعجيب رسول الله صلى الله عليه وسلم من اقاويل الكفرة وتماديهم
في الغي وتصميمهم على الكفر بعد وضوح الحق على ما نطقت به الايات
المتقدمة فلا تعجل عليهم بان يهلكوا حتى تستريح انت والمؤمنون من
شرورهم وتطهر الارض من فسادهم انما نعد لهم ايام اجالهم عدا والمعنى
لا تعجل بهلاكهم فانه لم يبق لهم الا ايام محصورة وانفاس معدودة يوم
نحشر المتقين نجمعهم الى الرحمن الى ربهم الذي غمرهم برحمته ولاختيار
هذا الاسم في هذه السورة شان ولعله لان مساق الكلام فيها لتعداد
نعمه الجسام وشرح حال الشاكرين لها والكافرين بها وفدا وافدين عليه
كما يفد الوفاد على الملوك منتظرين لكرامتهم وانعامهم ونسوق المجرمين
كما تساق البهائم الى جهنم وردا عطاشا فان من يرد الماء لا يرده الا لعطش
او كالدواب التي ترد الماء لا يملكون الشفاعة الضمير فيه للعباد المدلول
عليهم بذكر القسمين وهو الناصب لليوم الا من اتخذ عند الرحمن عهدا
الا من تحلى بما يستعد به ويستاهل ان يشفع للعصاة من الايمان والعمل
الصالح على ما وعد الله او الا من اتخذ من الله اذنا فيها لقوله لا تنفع الشفاعة
الا من اذن له الرحمن من قولهم عهد الامير الى فلان بكذا اذا امره به ومحله
الرفع على البدل من الضمير او النصب على تقدير المضاف اي الا شفاعة
من اتخذ او على الاستثناء وقيل الضمير للمجرمين والمعنى لا يملكون الشفاعة
فيهم الا من اتخذ عند الرحمن عهدا يستعد به ان يشفع له بالاسلام وقالوا
اتخذ الرحمن ولدا الضمير يحتمل الوجهين لان هذا لما كان مقولا فيما
بين الناس جاز ان ينسب اليهم لقد جئتم شيئا ادا على الالتفات للمبالغة

في الذم والتسجيل عليهم بالجراة على الله والاد بالفتح والكسر العظيم المنكر
والادة الشدة وادني الامر واداني اثقلني وعظم علي تكاد السموات وقرا
نافع والكسائي بالياء يتفطرن منه يتشققن مرة بعد اخرى وقرا ابو عمرو
وابن عامر وحمزة وابو بكر ويعقوب ينفطرن والاول ابلغ لان التفعل مطاوع
فعل والانفعال مطاوع فعل ولان اصل التفعل للتكلف وتنشق الارض
وتخر الجبال هدا تهد هدا او مهدودة او لانها تهد اي تكسر وهو تقرير
لكونه ادا والمعنى ان هول هذه الكلمة وعظمها بحيث لو تصور بصورة محسوس
لم تتحملها هذه الاجرام العظام وتفتت من شدتها او ان فظاعتها مجلبة
لغضب الله بحيث لولا حلمه لخرب العالم وبدد قوائمه غضبا على من تفوه بها
ان دعوا للرحمن ولدا يحتمل النصب على العلة لتكاد او لهدا على حذف
اللام وافضاء الفعل اليه والجر باضمار اللام او بالابدال من الهاء في منه والرفع
على انه خبر محذوف تقديره الموجب لذلك ان دعوا او فاعل هدا اي هدها
دعاء الولد للرحمن وهو من دعا بمعنى سمى المتعدي الى مفعولين وانما اقتصر
على المفعول الثاني ليحيط بكل ما ادعي له ولدا او من دعا بمعنى نسب الذي
مطاوعه ادعى الى فلان اذا انتسب اليه وما ينبغي للرحمن ان يتخذ ولدا
ولا يليق به اتخاذ الولد ولا ينطلب له لو طلب مثلا لانه مستحيل ولعل
ترتيب الحكم بصفة الرحمانية للاشعار بان كل ما عداه نعمة ومنعم عليه
فلا يجانس من هو مبدا النعم كلها ومولي اصولها وفروعها فكيف يمكن ان يتخذه
ولدا ثم صرح به في قوله ان كل من في السموات والارض اي ما منهم
الا اتي الرحمن عبدا الا وهو مملوك له ياوي اليه بالعبودية والانقياد
وقرئ ات الرحمن على الاصل لقد احصاهم حصرهم واحاط بهم بحيث لا
يخرجون عن حوزة علمه وقبضة قدرته وعدهم عدا عد اشخاصهم وانفاسهم
وافعالهم فان كل شيء عنده بمقدار وكلهم اتيه يوم القيمة فردا منفردا
عن الاتباع والانصار فلا يجانسه شيء من ذلك ليتخذه ولدا ولا يناسبه
ليشرك به ان الذين امنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا
سيحدث لهم في القلوب مودة من غير تعرض منهم لاسبابها وعن النبي
صلى الله عليه وسلم اذا احب الله عبدا يقول لجبريل احببت فلانا فاحبه
فيحبه جبريل عليه السلام ثم ينادي في السماء ان الله قد احب فلانا فاحبوه
فيحبه اهل السماء ثم توضع له المحبة في الارض والسين لان السورة مكية

سهم

وكانوا متفرقين حينئذ بين الكفرة فودهم ذلك اذا جاء الاسلام او لما
يوعدون في القيامة حين تعرض حسناتهم على رؤس الاشهاد فينزع ما في
صدورهم من الغل فانما يسرناه بلسانك بان انزلناه بلغتك والبا
بمعنى على او على اصله لتضمن يسرناه معنى انزلنا اي انزلناه بلغتك لتبشر
به المتقين الصائرين الى التقوى وتنذر به قوما لدا اشدا الخصومة
اخذين في كل لديد اي شق من المرا لفرط لجاجهم فبشر به وانذر وكم
اهلكنا قبلهم من قرن تخويف للكفرة وتجسير للرسول على انذارهم
هل تحس منهم من احد هل تشعر باحد منهم وتراه او تسمع لهم ركزا
وقرئ تسمع من اسمعت والركز الصوت الخفي واصل التركيب هو الخفا ومنه
ركز الرمح اذا غيب طرفه في الارض والركاز المال المدفون عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة مريم اعطي عشر حسنات بعدد من
كذب زكريا وصدق به ويحيى ومريم وعيسى وساير الانبيا المذكورين
فيها وبعدد من دعا الله في الدنيا ومن لم يدع الله

بسم الله الرحمن الرحيم طه فخمها قالون وابن كثير وابن
عامر وحفص ويعقوب على الاصل وفخم الطا وحده ابو عمرو وورش
لاستعلائه وامالهما الباقون وهما من اسما الحروف ومن قال معناه
يا رجل او يا طاهر او يا هاذ الرتبيف وقيل معناه يا رجل على لغة عك
فان صح فلعل اصله يا هذا فتصرفوا فيه بالقلب والاختصار والاستشهاد
بقوله ان السفاهة طاها في خلائقكم لا قدس الله اخلاق الملاعين
ضعيف لجواز ان يكون قسما كقوله حم لا ينصرون وقرئ طه على انه امر
للرسول بان يطا الارض بقدميه فانه كان يقوم في تهجده على احدى رجليه
وان اصله طا فقلبت همزته ها او قلبت في يطا الفا كقوله لا هناك
المرتع ثم بني عليه الامر وضم اليه ها السكت وعلى هذا يحتمل ان يكون اصل
طه طاها والالف مبدلة من الهمزة والها كناية الارض لكن يرد ذلك
كتبتهما على صورة الحرف وكذا التفسير بيا رجل او اكتفي بشطري الكلمتين
وعبر عنهما باسمهما ما انزلنا عليك القران لتشقى خبر طه ان جعلته
مبتدا على انه مؤول بالسورة او القران فيه واقع موقع العايد وجواب ان

جعلته مقسما به ومنادى له ان جعلته ندا او استيناف ان كانت جملة فعلية
او اسمية باضمار مبتدا او طايفة من الحروف محكية والمعنى ما انزلنا عليك
القران لتتعب بفرط تاسفك على كفر قريش اذ ما عليك الا ان تبلغ او بكثرة
الرياضة وكثرة التهجد والقيام على ساق والشقا شايع بمعنى التعب ومنه
اشقى من رايض المهر وسيد القوم اشقاهم ولعله عدل اليه للاشعار بانه
انزل عليه ليسعد وقيل رد وتكذيب للكفرة فانهم لما راوا كثرة عبادته
قالوا انك لتشقى بترك ديننا وان القران انزل عليك لتشقى به الا تذكرة
لكن تذكيرا وانتصابها على الاستثنا المنقطع ولا يجوز ان يكون بدلا من محل
لتشقى لاختلاف الجنسين ولا مفعولا له لانزلنا فان الفعل الواحد لا
يتعدى الى العلتين وقيل هي مصدر في موقع الحال من الكاف او القران
او مفعول له على ان لتشقى متعلق بمحذوف هو صفة القران اي ما انزلنا
عليك القران المنزل لتتعب بتبليغه الا تذكرة لمن يخشى لمن في قلبه خشية ورقة تتاثر
بالانذار او لمن علم الله منه انه يخشى بالتخويف منه فانه المنتفع به تنزيلا
نصب باضمار فعله او بيخشى او على المدح او البدل من تذكرة ان جعل حالا
وان جعل مفعولا له لفظا او معنى فلا لان الشي لا يعلل بنفسه ولا بنوعه
ممن خلق الارض والسموات العلى مع ما بعده الى قوله له الاسما
الحسنى تفخيم لشان المنزل بعرض تعظيم المنزل بذكر افعاله وصفاته
على الترتيب الذي هو عند العقل فبدا بخلق الارض والسموات التي هي
اصول العالم وقدم الارض لانها اقرب الى الحس واظهر عنده من السموات
العلى وهو جمع العليا تانيث الاعلى ثم اشار الى وجه احداث الكاينات
وتدبير امرها بان قصد العرش فاجرى منه الاحكام والتقادير وانزل
منه الاسباب على ترتيب ومقادير حسبما اقتضته حكمته وتعلقت به مشيته
فقال الرحمن على العرش استوى له ما في السموات وما في الارض وما
بينهما وما تحت الثرى ليدل بذلك على كمال قدرته وارادته
ولما كانت القدرة تابعة للارادة وهي لا تنفك عن العلم عقب ذلك
باحاطة علمه تعالى بجليات الامور وخفياتها على سوا فقال وان تجهر
بالقول فانه يعلم السر واخفى اي وان تجهر بذكر الله ودعايه فاعلم
بانه غني عن جهرك فانه يعلم السر واخفى منه وهو ضمير النفس وفيه تنبيه
على ان شرع الذكر والدعا والجهر فيهما ليس لاعلام الله بل لتصوير النفس

بالذكر ورسوخه فيها ومنعها عن الاشتغال بغيره وهضمها بالتضرع والجوا
لما ظهر بذلك انه المستجمع لصفات الالوهية بين انه المنفرد بها والمتوحد
بمقتضاها فقال الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى ومن في ممن خلق
صلة لتنزيلا او صفة له والانتقال من التكلم الى الغيبة للتفنن في الكلام
وتفخيم المنزل من وجهين اسناد انزاله الى ضمير الواحد العظيم الشان ونسبته
الى المختص بصفات الجلال والاكرام والتنبيه على انه واجب الايمان والانقياد
له من حيث انه كلام من هذا شانه ويجوز ان يكون انزلنا حكاية كلام جبريل
والملائكة النازلين معه وقرئ الرحمن بالجر صفة لمن خلق فيكون على العرش
استوى خبر محذوف وكذا ان رفع الرحمن على المدح دون الابتدا ويجوز ان
يكون خبرا ثانيا والثرى الطبقة الترابية من الارض وهي اخر طبقاتها والحسنى
تانيث الاحسن وفضل اسما الله تعالى على ساير الاسما في الحسن لدلالتها
على معان هي اشرف المعاني وهل اتاك حديث موسى قفا تمهيد
نبوته عليه السلام قصة موسى ليأتم به في تحمل اعبا النبوة وتبليغ الرسالة
والصبر على مقاساة الشدايد فان هذه السورة من اوايل ما نزل اذ رأى
نارا ظرف للحديث لانه حدث او مفعول لاذكر قيل انه استاذن شعيبا
عليهما السلام في الخروج الى امه وخرج باهله فلما وافى وادي طوى وفيه
الطور ولد له ابن في ليلة شاتية مظلمة مثلجة وكانت ليلة الجمعة
وقد اضل الطريق وتفرقت ماشيته اذ راى من جانب الطور نارا فقال
لاهله امكثوا اقيموا مكانكم وقرأ حمزة لاهله امكثوا هنا وفي القصص بضم
الهاء في الوصل والباقون بكسرها فيه اني انست نارا ابصرتها ابصارا
لا شبهة فيه وقيل الايناس ابصار ما يونس به لعلي اتيكم منها
بقبس بشعلة من النار وقيل جمرة او اجد على النار هدى هاديا يدلني
على الطريق او يهديني ابواب الدين فان افكار الابرار مايلة اليها في
كل ما يعن لهم ولما كان حصولهما مترقبا بنى الامر فيهما على الرجا بخلاف
الايناس فانه كان محققا ولذلك حققه لهم ليوطنوا انفسهم عليه ومعنى
الاستعلاء في على النار ان اهلها مشرفون عليها او مستعلون المكان القريب
منها كما قال سيبويه في مررت بزيد انه لصوق بمكان يقرب منه فلما اتاها
اي النار وجد نارا بيضا تتقد في شجرة خضرا نودي يا موسى اني انا
ربك فتحه ابن كثير وابو عمرو اي باني وكسره الباقون باضمار القول

او اجرا النداء مجراه وتكرير الضمير للتوكيد والتحقيق قيل انه لما نودي
قال من المتكلم قال اني انا الله فوسوس اليه ابليس لعلك تسمع كلام شيطان
فقال انا عرفت انه كلام الله باني اسمعه من جميع الجهات وبجميع الاعضا
وهو اشارة الى انه عليه السلام تلقى من ربه كلامه تلقيا روحانيا ثم تمثل
ذلك الكلام لبدنه وانتقل الى الحس المشترك فانتقش به من غير اختصاص
بعضو وجهة فاخلع نعليك امر بذلك لان الحفوة تواضع وادب
ولذلك طاف السلف حافين وقيل لنجاسة نعليه لانهما كانتا من جلد حمار
غير مدبوغ وقيل معناه فرغ قلبك من الاهل والولد انك بالواد المقدس
تعليل للامر باحترام البقعة والمقدس يحتمل المعنيين طوى عطف بيان للوادي
ونونه ابن عامر والكوفيون بتاويل المكان وقيل هو كثنى من الطي مصدر
لنودي او المقدس اي نودي ندائين او قدس مرتين وانا اخترتك اصطفيتك
للنبوة وقرأ حمزة وانا اخترناك فاستمع لما يوحى للذي يوحى اليك او للوحي
واللام يحتمل التعلق بكل من الفعلين انني انا الله لا اله الا انا فاعبدني
بدل لما يوحى دال على انه مقصور على تقرير التوحيد الذي هو منتهى العلم
والامر بالعبادة التي هي كمال العمل واقم الصلوة لذكري خصها بالذكر
وافردها بالامر للعلة التي اناط بها اقامتها وهو تذكر المعبود وشغل
القلب واللسان بذكره وقيل لذكري لاني ذكرتها في الكتب وامرت بها
او لان اذكرك بالثنا او لذكري خاصة لا ترائي بها ولا تشوبها بذكر غيري
وقيل لاوقات ذكري وهي مواقيت الصلوة او لذكر صلاتي لما روي انه
عليه الصلوة والسلام قال من نام عن صلاة او نسيها فليصلها اذا
ذكرها ان الله تعالى يقول واقم الصلوة لذكري ان الساعة اتية
كاينة لا محالة اكاد اخفيها اريد اخفا وقتها او اقرب ان اخفيها فلا
اقول انها اتية ولولا ما في الاخبار باتيانها من اللطف وقطع الاعذار
لما اخبرت به او اكاد اظهرها من اخفاه اذا سلب عنه خفاه ويويده القراة
بالفتح من خفاه اذا اظهره لتجزى كل نفس بما تسعى متعلق باتية او باخفيها
على المعنى الاخير فلا يصدنك عنها عن تصديق الساعة او عن الصلوة
من لا يومن بها نهي للكافر ان يصد موسى عنها والمراد نهيه ان ينصد
عنها كقوله لا اريتك ههنا تنبيها على ان فطرته السليمة لو خليت بحالها
لا اختارها ولم يعرض عنها وانه ينبغي ان يكون راسخا في دينه فان صد

الكافر انما يكون بسبب ضعفه فيه واتبع هواه ميل نفسه الى اللذات
المحسوسة المخدجة فقصر نظره عن غيرها فتردى فتهلك بالانصداد
بصده وما تلك استفهام يتضمن استيقاظا لما يريه فيها من العجائب بيمينك
حال من معنى الاشارة وقيل صلة تلك يا موسى تكرير لزيادة الاستئناس
والتنبيه قال هي عصاي وقرئ عصي على لغة هذيل اتوكأ عليها
اعتمد عليها اذا اعييت او وقفت على راس القطيع واهش بها على غنمي واخبط
الورق بها على رؤس غنمي وقرئ اهِش وكلاهما من هش الخبز يهش اذا انكسر
لهشاشته وقرئ بالسين من الهس وهو زجر الغنم اي انحي عليها زاجرا لها
ولي فيها مارب اخرى حاجات اخر مثل ان كان اذا سار القاها على
عاتقه فعلق بها ادواته وعرض الزندين على شعبتيها والقى عليه الكساء واستظل
به واذا قصر الرشا وصله بها واذا تعرضت السباع لغنمه قاتل بها وكانه
عليه السلام فهم ان المقصود من السؤال ان يذكر حقيقتها وما يرى من
منافعها حتى اذا راها بعد ذلك على خلاف تلك الحقيقة ووجد منها
خصايص اخر خارقة للعادة مثل ان تشتعل شعبتاه بالليل كالشمع و
تصيران دلوا عند الاستقا وتطول بطول البير وتحارب عنه اذا
ظهر عدو وينبع الما بركزها وينضب بنزعها وتورق وتثمر اذا اشتهى
ثمرة فركزها علم ان ذلك ايات باهرة ومعجزات قاهرة احدثها الله
فيها لاجله وليست من خواصها فذكر حقيقتها ومنافعها مفصلا
ومجملا على معنى انها من جنس العصا تنفع منافع امثالها ليطابق جوابه
الغرض الذي فهمه قال القها يا موسى فالقاها فاذا هي حية تسعى
قيل لما القاها انقلبت حية صفرا بغلظ العصا ثم تورمت وعظمت
فلذلك سماها جانا تارة نظرا الى المبدا وثعبانا مرة باعتبار المنتهى
وحية اخرى بالاسم الذي يعم الحالين وقيل كانت في ضخامة الثعبان
وجلادة الجان ولذلك قال كانها جان قال خذها ولا تخف فانه
لما راها حية تسرع وتبتلع الحجر والشجر خاف وهرب منها سنعيدها
سيرتها الاولى هيئتها وحالتها المتقدمة وهي فعلة من السير
تجوز بها للطريقة والهيئة وانتصابها على نزع الخافض او على ان اعاد
منقول من عاده بمعنى عاد اليه او على الظرف اي سنعيدها في طريقتها
او على تقدير فعلها اي سنعيد العصا بعد ذهابها تسير سيرتها الاولى

فتنفع بها ما كنت تنفعه قبل قيل لما قال له ربه ذلك اطمأنت نفسه
حتى ادخل يده في فمها واخذ بلحييها واضمم يدك الى جناحك اي
جنبك تحت العضد يقال لكل ناحيتين جناحان كجناحي العسكر استعارة
من جناحي الطاير سميا بذلك لانه يجنحهما عند الطيران تخرج بيضاء
كانها مشعة من غير سوء من غير عاهة وقبح كني به عن البرص كما كني بالسوء
عن العورة لان الطباع تعافه وتنفر عنه اية اخرى معجزة ثانية حال
من ضمير تخرج كبيضا او من ضميرها او مفعول باضمار خذ او دونك لنريك
من اياتنا الكبرى متعلق بهذا المضمر او بما دل عليه اية او القصة
اي دللنا بها او فعلنا ذلك لنريك والكبرى صفة اياتنا او مفعول لنريك
ومن اياتنا حال منها اذهب الى فرعون بهاتين الايتين وادعه الى العبادة
انه طغى عصى وتكبر قال رب اشرح لي صدري ويسر لي امري لما امره
الله بخطب عظيم وامر جسيم ساله ان يشرح صدره ويفسح قلبه لتحمل اعبائه
والصبر على مشاقه والتلقي لما ينزل عليه ويسهل الامر عليه باحداث الاسباب
ورفع الموانع وفايدة لي ابهام المشروح والميسر اولا ثم رفعه بذكر الصدر
والامر تاكيدا ومبالغة واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي فانما يحسن
التبليغ من البليغ وكان في لسانه رتة من جمرة ادخلها فاه وذلك ان
فرعون حمله يوما فاخذ لحيته ونتفها فغضب وامر بقتله فقالت اسية
انه صبي لا يفرق بين الجمر والياقوت فاحضرا بين يديه فاخذ الجمرة
فوضعها في فيه ولعل تبييض يده كان لذلك وقيل احترقت يده واجتهد
فرعون في علاجها فلم تبرا ثم لما دعاه قال الى اي رب تدعوني قال الى
الذي ابرا يدي وقد عجزت عنه واختلف في زوال العقدة بكمالها
فمن قال به تمسك بقوله قد اوتيت سؤلك يا موسى ومن لم يقل احتج
بقوله هو افصح مني لسانا وقوله ولا يكاد يبين واجاب عن الاول
بانه لم يسال حل عقدة لسانه مطلقا بل عقدة تمنع الافهام ولذلك نكرها
وجعل يفقهوا جواب الامر ومن لساني يحتمل ان يكون صفة عقدة وان
يكون صلة احلل واجعل لي وزيرا من اهلي هرون اخي يعينني على ما كلفتني
به واشتقاق الوزير اما من الوزر لانه يحمل الثقل عن اميره او من الوزر
وهو الملجا لان الامير يعتصم برايه ويلتجي اليه في اموره ومنه
الموازرة وقيل اصله ازير من الازر بمعنى القوة فعيل بمعنى مفاعل كالعشير

والجليس قلبت همزته واوا كقلبها في موازر ومفعولا اجعل وزيرا
وهرون قدم ثانيهما للعناية به ولي صلة او حال او لي وزيرا وهرون
عطف بيان للوزير او وزيرا من اهلي ولي تبيين كقوله ولم يكن له كفوا احد
واخي على الوجوه بدل من هرون او مبتدا خبره اشدد به ازري واشركه
في امري على لفظ الامر وقراهما ابن عامر بلفظ الخبر على انهما جواب الامر
كي نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا فان التعاون يهيج الرغبات ويؤدي
الى تكاثر الخير وتزايده انك كنت بنا بصيرا عالما باحوالنا وان التعاون
مما يصلحنا وان هرون نعم المعين لي فيما امرتني به قال قد اوتيت سؤلك
يا موسى اي مسؤلك فعل بمعنى مفعول كالخبز والاكل بمعنى المخبوز والماكول
ولقد مننا عليك مرة اخرى انعمنا عليك في وقت اخر اذ اوحينا
الى امك بالهام او في منام او على لسان نبي في وقتها او ملك لا على
وجه النبوة كما اوحي الى مريم ما يوحى ما لا يعلم الا بالوحي او مما ينبغي ان
يوحى ولا يخل به لعظم شانه وفرط الاهتمام ان اقذفيه في التابوت
بان اقذفيه او اي اقذفيه لان الوحي بمعنى القول فاقذفيه في اليم والقذف
يقال للالقاء وللوضع كقوله تعالى وقذف في قلوبهم الرعب وكذلك الرمي
كقوله غلام رماه الله بالحسن يافعا فليلقه اليم بالساحل لما كان القاء
البحر اياه على الساحل امرا واجب الحصول لتعلق الارادة به جعل البحر
كانه ذو تمييز مطيع امر بذلك واخرج الجواب مخرج الامر والاولى ان تجعل
الضمائر كلها لموسى مراعاة للنظم فالمقذوف في البحر والملقى الى الساحل
وان كان التابوت بالذات فهو موسى بالعرض يأخذه عدو لي وعدو
له جواب فليلقه وتكرير عدو للمبالغة او لان الاول باعتبار الواقع
والثاني باعتبار المتوقع قيل انها جعلت في التابوت قطنا ووضعته
فيه ثم قيرته والقته في اليم وكان يشرع الى بستان فرعون نهر فدفعه
الماء اليه فاداه الى بركة في البستان وكان فرعون جالسا على راسها
مع امراته اسية بنت مزاحم فامر به فاخرج ففتح فاذا هو صبي اصبح الناس
وجها فاحبه حبا شديدا كما قال والقيت عليك محبة مني اي محبة
كائنة مني قد زرعتها في القلوب بحيث لا يكاد يصبر عنك من راك فلذلك
احبك فرعون ويجوز ان يتعلق مني بالقيت اي احببتك ومن احبه
الله احبته القلوب وظاهر اللفظ ان اليم القاه بساحله وهو شاطيه

لان الماء يسيله فالتقط منه لكن لا يبعد ان يؤول الساحل بجنب فوهة
نهره ولتصنع على عيني ولتربى ويحسن اليك وانا راعيك وراقبك
والعطف على علة مضمرة مثل ليتعطف عليك او على الجملة السابقة با ضمار
فعل معلل مثل فعلت ذلك وقرئ ولتصنع بكسر اللام وسكونها والجزم
على انه امر ولتصنع بالنصب وفتح التاء اي وليكون عملك على عين مني لئلا
تخالف به عن امري اذ تمشي اختك ظرف لالقيت او لتصنع او بدل من
اذ اوحينا على ان المراد بها وقت متسع فتقول هل ادلكم على من يكفله
وذلك انه كان لا يقبل ثدي المراضع فجاءت اخته مريم متفحصة خبره فصا دفتهم
يطلبون له مرضعة يقبل ثديها فقالت هل ادلكم فجاءت بامه فقبل ثديها
فرجعناك الى امك وفاء بقولنا انا رادوه اليك كي تقر عينها بلقائك
ولا تحزن هي بفراقك او انت على فراقها وفقد اشفاقها وقتلت نفسا
نفس القبطي الذي استغاثه عليه الاسرائيلي فنجيناك من الغم غم قتله خوفا
من عقاب الله واقتصاص فرعون بالمغفرة والامن منه بالهجرة الى مدين
وفتناك فتونا وابتليناك ابتلاء او انواعا من الابتلاء على انه جمع فتن
او فتنة على ترك الاعتداد بالتاء كحجوز وبدور في حجزة وبدرة فخلصناك
مرة بعد اخرى وهو اجمال لما ناله في سفره من الهجرة عن الوطن ومفارقة
الالاف والمشي راجلا على حذر وفقد الزاد واجر نفسه الى غير ذلك
اوله ولما سبق ذكره فلبثت سنين في اهل مدين لبثت فيهم عشر
سنين قضاء لاوفى الاجلين ومدين على ثمان مراحل من مصر ثم جئت
على قدر قدرته لان اكلمك واستنبئك غير مستقدم وقته المعين
ولا مستأخر او على مقدار من السن يوحى فيه الى الانبياء يا موسى كرره
عقيب ما هو غاية الحكاية للتنبيه على ذلك واصطنعتك لنفسي
واصطفيتك لمحبتي مثله فيما خوله من الكرامة بمن قربه الملك واستخلصه
لنفسه اذهب انت واخوك باياتي بمعجزاتي ولا تنيا ولا تفترا ولا
تقصرا وقرئ تنيا بكسر التاء في ذكري لا تنسياني حيثما تقلبتما وقيل
في تبليغ ذكري والدعاء الي اذهبا الى فرعون انه طغى امر به اولا موسى
وحده وههنا اياه واخاه فلا تكرير قيل اوحي الى هرون ان يتلقى
موسى وقيل سمع بمقبله فاستقبله فقولا له قولا لينا مثل هل لك الى
ان تزكى واهديك الى ربك فتخشى فانه دعوة في صورة عرض ومشورة

حذارا ان تحمله على ان يسطو عليكما او احتراما لما له من حق التربية عليك
وقيل كنياه وكان له ثلاث كنى ابو العباس وابو الوليد وابو مرة وقيل
عداه شبابا لا يهرم بعده وملكا لا ينزع الا بالموت لعله يتذكر او يخشى
متعلق باذهبا او قولا اي باشرا الامر على رجائكما وطمعكما انه يثمر ولا
يخيب سعيكما فان الراجي مجتهد والآيس متكلف والفائدة في ارسالهما
والمبالغة عليهما في الاجتهاد مع علمه بانه لا يؤمن الزام الحجة وقطع المعذرة
واظهار ما حدث في تضاعيف ذلك من الآيات والتذكر للمتحقق والخشية
للمتوهم ولذلك قدم الاول اي ان لم يتحقق صدقكما ولم يتذكر فلا اقل
ان يتوهمه فيخشى قالا ربنا اننا نخاف ان يفرط علينا ان يعجل علينا
بالعقوبة ولا يصبر الى اتمام الدعوة واظهار المعجزة من فرط اذا تقدم
ومنه الفارط وفرس فرط يسبق الخيل وقرئ يُفرط من افرطته اذا حملته
على العجلة اي نخاف ان يحمله حامل من استكبار او خوف على الملك او شيطان
انسي او جني على المعاجلة بالعقاب ويفرط من الافراط في الاذية او ان
يطغى ان يزداد طغيانا فيتخطى الى ان يقول فيك ما لا ينبغي لجرأته
وقساوته واطلاقه من حسن الادب قال لا تخافا انني معكما بالحفظ والنصر
اسمع وارى ما يجري بينكما وبينه من قول وفعل فاحدث في كل حال
ما يصرف شره عنكما ويوجب نصرتي لكما ويجوز ان لا يقدر شيء على معنى
انني حافظكما سامعا مبصرا والحافظ اذا كان قادرا سميعا بصيرا تم الحفظ
فأتياه فقولا انا رسولا ربك فارسل معنا بني اسرائيل اطلقهم
ولا تعذبهم بالتكاليف الصعبة وقتل الولدان فانهم كانوا في يدي
القبط يستخدمونهم ويتعبونهم في العمل ويقتلون ذكور اولادهم
في عام دون عام وتعقيب الاتيان بذلك دليل على ان تخليص المؤمنين
من الكفرة اهم من دعوتهم الى الايمان ويجوز ان يكون للتدريج في
الدعوة قد جئناك بآية من ربك جملة مقررة لما تضمنه الكلام السابق
من دعوى الرسالة وانما وحد الآية وكان معه آيتان لان المراد
اثبات الدعوى ببرهانها لا الاشارة الى وحدة الحجة وتعددها
وكذلك قوله قد جئتكم ببينة فأت بآية او لو جئتك بشيء مبين والسلام
على من اتبع الهدى وسلام الملائكة وخزنة الجنة على المهتدين او السلامة
في الدارين لهم انا قد اوحي الينا ان العذاب على من كذب وتولى ان

عذاب المنزلين على المكذبين للرسل ولعل تغيير النظم والتصريح بالوعيد
والتوكيد فيه لان التهديد في اول الامر اهم وانجع وبالواقع اليق قال
فمن ربكما يا موسى اي بعدما اتياه وقالا له ما امرا به ولعله حذف لدلالة
الحال عليه فان المطيع اذا امر بشيء فعله وانما خاطب الاثنين وخص
موسى بالنداء لانه الاصل وهرون وزيره وتابعه او لانه عرف ان له
رتة ولاخيه فصاحة فاراد ان يفحمه ويدل عليه قوله ام انا خير من هذا
الذي هو مهين ولا يكاد يبين قال ربنا الذي اعطى كل شيء من الانواع
خلقه صورته وشكله الذي يطابق كماله الممكن له او اعطى خليقته كل شيء
يحتاجون اليه ويرتفقون به فقدم المفعول الثاني لانه المقصود بيانه وقيل
اعطى كل حيوان نظيره في الخلق والصورة زوجا وقرئ خلقه صفة للمضاف
اليه او المضاف على شذوذ فيكون المفعول الثاني محذوفا اي اعطى كل
مخلوق ما يصلحه ثم هدى ثم عرفه كيف يرتفق بما اعطي وكيف يتوصل
به الى بقائه وكماله اختيارا او طبعا وهو جواب في غاية البلاغة لاختصاره
واعرابه عن الموجودات باسرها على مراتبها ودلالته على ان الغني القادر
بالذات المنعم على الاطلاق هو الله تعالى وان جميع ما عداه مفتقر اليه
منعم عليه في حد ذاته وصفاته وافعاله ولذلك بهت الذي كفر وافحم
عن الدخل عليه فلم ير الا صرف الكلام عنه قال فما بال القرون الاولى
فما حالهم بعد موتهم من السعادة والشقاوة قال علمها عند ربي اي
انه غيب لا يعلمه الا الله وانما انا عبد مثلك لا اعلم منه الا ما اخبرني به
في كتاب مثبت في اللوح المحفوظ ويجوز ان يكون تمثيلا لتمكنه في علمه
بما استحفظه العالم وقيده بالكتبة ويؤيده لا يضل ربي ولا ينسى
والضلال ان تخطئ الشيء في مكانه فلم تهتد اليه والنسيان ان تذهب
عنه بحيث لا يخطر ببالك وهما محالان على العالم بالذات ويجوز ان
يكون سؤاله دخلا على احاطة قدرة الله بالاشياء كلها وتخصيصه ابعاضها
بالصور والخواص المختلفة بان ذلك يستدعي علمه بتفاصيل الاشياء
وجزئياتها والقرون الخالية مع كثرتهم وتمادي مدتهم وتباعد
اطرافهم كيف احاط علمه بهم وباجزائهم واحوالهم فيكون معنى الجواب
ان علمه تعالى محيط بذلك كله وانه مثبت عنده لا يضل ولا ينسى الذي
جعل لكم الارض مهادا مرفوع صفة لربي او خبر لمحذوف او منصوب

على المدح وقرأ الكوفيون هنا وفي الزخرف مهدا اي كالمهد تتمهدونها
وهو مصدر سمي به والباقون مهادا وهو اسم ما يمهد كالفراش او جمع
مهد ولم يختلفوا في الذي في النبأ وسلك لكم فيها سبلا وجعل
لكم فيها سبلا بين الجبال والاودية والبراري تسلكونها من ارض الى ارض
لتبلغوا منافعها وانزل من السماء ماء مطرا فاخرجنا به عدل به
من لفظ الغيبة الى صيغة التكلم على الحكاية لكلام الله عز وجل تنبيها
على ظهور ما فيه من الدلالة على كمال القدرة والحكمة وايذانا بانه
مطاع تنقاد الاشياء المختلفة لمشيئته وعلى هذا نظائره كقوله الم تر ان
الله انزل من السماء ماء فاخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها امن خلق
السموات والارض وانزل لكم من السماء ماء فانبتنا به حدائق ازواجا
اصنافا سميت بذلك لازدواجها واقتران بعضها ببعض من نبات
بيان وصفة لازواجا وكذلك شتى ويحتمل ان تكون صفة للنبات فانه
من حيث انه مصدر في الاصل يستوي فيه الواحد والجمع وهو جمع شتيت
كمريض ومرضى اي متفرقات في الصور والاعراض والمنافع يصلح بعضها
للناس وبعضها للبهائم فلذلك قال كلوا وارعوا انعامكم وهو حال
من ضمير فاخرجنا على ارادة القول اي اخرجنا اصناف النبات قائلين
كلوا وارعوا والمعنى معديها لانتفاعكم بالاكل والعلف آذنين فيه
ان في ذلك لآيات لاولي النهى لذوي العقول الناهية عن اتباع
الباطل وارتكاب القبائح جمع نهية منها خلقناكم فان التراب اصل
خلقة اول آبائكم واول مواد ابدانكم وفيها نعيدكم بالموت وتفكيك
الاجزاء ومنها نخرجكم تارة اخرى بتأليف اجزائكم المتفتتة المختلطة
بالتراب على الصورة السابقة ورد الارواح اليها ولقد اريناه آياتنا
بصرناه اياها او عرفناه صحتها كلها تأكيد لشمول الانواع او لشمول
الافراد على ان المراد بآياتنا آيات معهودة هي الآيات التسع المختصة
بموسى او انه عليه السلام اراه آياته وعدد عليه ما اوتي غيره من المعجزات
فكذب موسى من فرط عناده وابى الايمان والطاعة لعتوه قال اجئتنا
لتخرجنا من ارضنا ارض مصر بسحرك يا موسى هذا تعلل وتحير ودليل
على انه علم كونه محقا حتى خاف منه على ملكه فان الساحر لا يقدر ان يخرج
ملكا مثله من ارضه فلنأتينك بسحر مثله مثل سحرك فاجعل بيننا

وبينك موعدا وعدا لقوله لا نخلفه نحن ولا انت فان الاخلاف
لا يلائم الزمان والمكان وانتصاب مكانا سوى بفعل دل عليه المصدر
لا به فانه موصوف او بانه بدل من موعدا على تقدير مكان مضاف اليه
وعلى هذا يكون طباق الجواب في قوله قال موعدكم يوم الزينة من حيث
المعنى فان يوم الزينة يدل على مكان مشتهر باجتماع الناس فيه في ذلك اليوم
او باضمار مثل مكان موعدكم مكان يوم الزينة كما هو على الاول او وعد
وعد يوم الزينة وقرئ يوم بالنصب وهو ظاهر في ان المراد بهما المصدر
ومعنى سوى منتصفا يستوي مسافته الينا واليك وهو في النعت كقولهم
قوم عدى في الشذوذ وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة ويعقوب بالضم وقيل
في يوم الزينة يوم عاشوراء او يوم النيروز او يوم عيد كان لهم في كل عام
وانما عينه ليظهر الحق ويزهق الباطل على رؤوس الاشهاد ويشيع ذلك
في الاقطار وان يحشر الناس ضحى عطف على اليوم او الزينة وقرئ على البناء
للفاعل بالتاء على خطاب فرعون والياء على ان فيه ضمير اليوم او ضمير فرعون
على ان الخطاب لقومه فتولى فرعون فجمع كيده ما يكاد به يعني
السحرة وآلاتهم ثم اتى بالموعد قال لهم موسى ويلكم لا تفتروا
على الله كذبا بان تدعوا آياته سحرا فيسحتكم بعذاب فيهلككم
ويستأصلكم به وقرأ حمزة والكسائي وحفص ويعقوب برواية رويس
بالضم من الاسحات وهو لغة نجد وتميم والسحت لغة الحجاز وقد
خاب من افترى كما خاب فرعون فانه افترى واحتال ليبقى الملك عليه
فلم ينفعه فتنازعوا امرهم بينهم اي تنازعت السحرة في امر موسى
حين سمعوا كلامه فقال بعضهم ليس هذا من كلام السحرة واسروا النجوى
بان موسى ان غلبنا اتبعناه او تنازعوا واختلفوا فيما يعارضون به
موسى وتشاوروا في السر وقيل الضمير لفرعون وقومه وقالوا قالوا
ان هذان لساحران تفسير لاسروا النجوى كانهم تشاوروا في تلفيقه
حذرا ان يغلبا فيتبعهما الناس وهذان اسم ان على لغة بلحارث
ابن كعب فانهم جعلوا الالف للتثنية واعربوا المثنى تقديرا وقيل
اسمها ضمير الشأن المحذوف وهذان لساحران خبرها وقيل ان
بمعنى نعم وما بعدها مبتدأ وخبر وفيهما ان اللام لا يدخل خبر
المبتدأ وقيل اصله انه هذان لهما ساحران فحذف الضمير وفيه ان

الموكد باللام لا يليق به الحذف وقرا ابو عمرو ان هذين وهو ظا
وابن كثير وحفص ان هذان على انها هي المخففة واللام هي الفارقة
او النافية واللام بمعنى الا يريدان ان يخرجاكم من ارضكم بالاستيلا
عليها بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى بمذهبكم الذي هو افضل
المذاهب باظهار مذهبه واعلاء دينه لقوله اني اخاف ان يبدل
دينكم وقيل اراد و باهل طريقتكم وهو بنو اسرائيل فانهم كانوا ارباب
علم فيما بينهم لقول موسى ارسل معنا بني اسرائيل وقيل الطريقة اسم لوجوه
القوم واشرافهم من حيث انهم قدوة لغيرهم فاجمعوا كيدكم فازمعوه
واجعلوه مجمعا عليه لا يتخلف عنه واحد منكم وقرا فاجمعوا ويعضده قو
فجمع كيده والضمير في قالوا ان كان للسحرة فهو قول بعضهم لبعض ثم ائتوا
صفا مصطفين لانه اهيب في صدور الرائين قيل كانوا سبعين الفا
مع كل منهم حبل وعصا واقبلوا عليه اقبالة واحدة وقد افلح اليوم من
استعلى فاز بالمطلوب من غلب وهو اعتراض قالوا يا موسى اما ان
تلقي واما ان نكون اول من القى اي بعدما اتوا مراعاة للادب وان
بما بعدها منصوب بفعل مضمر او مرفوع بخبر محذوف اي اختر
القاءك اولا او القاءنا والامر القاؤك او القاؤنا قال بل القوا مقابلة
ادب بادب وعدم مبالاة بسحرهم واسعافا الى ما اوهموا من الميل
الى البدء بذكرهم الاول في شقهم وتغيير النظم الى وجه ابلغ ولان
يبرزوا ما معهم ويستنفدوا اقصى وسعهم ثم يظهر الله سلطانه فيقذف
بالحق على الباطل فيدمغه فاذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم
انها تسعى اي فالقوا فاذا حبالهم وعصيهم وهي للمفاجاة والتحقيق
انها ايضا ظرفية تستدعي متعلقا ينصبها وجملة تضاف اليها لكنها
خصت بان يكون المتعلق فعل المفاجاة والجملة ابتدائية والمعنى
فالقوا ففاجا موسى وقت تخيل سعي حبالهم وعصيهم من سحرهم وذلك
بانهم لطخوها بالزيبق فلما ضربت عليها الشمس اضطربت فخيل اليه
انها تتحرك وقرا ابن عامر برواية ابن ذكوان وروح تخيل بالتاء على
اسناده الى ضمير الحبال والعصي وابدال انها تسعى منه بدل الاشتمال
وقرئ يخيل على اسناده الى الله وتخيل بمعنى تتخيل فاوجس في نفسه خيفة
موسى فاضمر فيها خوفا من مفاجاته على ما هو مقتضى الجبلة البشرية

او من يخالج الناس شك فلا يتبعوه قلنا لا تخف ما توهمت انك انت الاعلى
تعليل للنهي وتقرير لغلبته موكدا بالاستيناف وحرف التحقيق
وتكرير الضمير وتعريف الخبر ولفظ العلو الدال على الغلبة الظاهرة
وصيغة التفضيل والق ما في يمينك ابهمه ولم يقل عصاك تحقيرا
لها اي لا تبال بكثرة حبالهم وعصيهم والق العويد التي في يدك او تعظيما
لها اي لا تحتفل بكثرة هذه الاجرام وعظمها فان في يمينك ما هو اعظم
منها اثرا فالقه تلقف ما صنعوا تبتلعه بقدرة الله تعالى واصله
تتلقف فحذفت احدى التاءين وتاء المضارعة تحتمل التانيث والخطاب
على اسناد الفعل الى المسبب وقرا ابن عامر برواية ابن ذكوان بالرفع
على الحال او الاستيناف وحفص بالجزم والتخفيف على انه من لقفته بمعنى
تلقفته وانه بتشديد التا انما صنعوا كيد ساحر ان الذي زوروا
وافتعلوا وقرئ بالنصب على ان ما كافة وهو مفعول صنعوا وقرا حمزة
كيد سحر بمعنى ذي سحر او بتسمية الساحر سحرا على المبالغة او باضافة
الكيد الى السحر للبيان كقولهم علم فقه وانما وحد الساحر لانه المراد
به الجنس المطلق ولذلك قال ولا يفلح الساحر اي هذا الجنس وتنكير
الاول لتنكير المضاف كقول العجاج يوم ترى النفوس ما اعدت في
سعي دنيا طالما قد مدت كانه قيل انما صنعوا كيد سحري حيث اتى
حيث كان او اين اقبل فالقي السحرة سجدا اي فالقى فتلقفت فتحقق عند
السحرة انه ليس بسحر وانما هو من ايات الله ومعجزة من معجزاته فالقاهم ذلك
على وجوههم سجدا لله توبة عما صنعوا واعتابا وتعظيما لما راوا قالوا
امنا برب هرون وموسى قدم هرون لكبر سنه او لروي الاي او لان
فرعون ربى موسى في صغره فلو اقتصر على موسى او قدم ذكره فربما توهم
ان المراد فرعون وذكر هرون على الاتباع روي انهم راوا في سجودهم
الجنة ومنازلهم فيها قال امنتم له اي لموسى واللام لتضمن الفعل
معنى الاتباع وقرا قنبل وحفص امنتم على الخبر والباقون على الاستفهام
قبل ان اذن لكم في الايمان له انه لكبيركم لعظيمكم في فنكم واعلمكم
به او لاستاذكم الذي علمكم السحر وانتم تواطاتم على ما فعلتم
فلاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف اليد اليمنى والرجل اليسرى
ومن ابتدائية كان القطع ابتدا من مخالفة العضو العضو وهي مع

المجرور بها في حيز النصب على الحال اي لاقطعنها مختلفات وقرئ
لاقطعن ولاصلبن بالتخفيف ولاصلبنكم في جذوع النخل شبه
تمكن المصلوب بالجذع بتمكن المظروف بالظرف وهو اول من صلب
ولتعلمن اينا يريد نفسه وموسى لقوله امنتم له واللام مع الايمان
في كتاب الله تعالى اراد به توضيع موسى والهزء به فانه لم يكن من
التعذيب في شيء وقيل رب موسى الذي امنوا به اشد عذابا وابقى
اي ادوم عقابا قالوا لن نؤثرك نختارك على ما جاءنا موسى به
ويجوز ان يكون الضمير فيه لما من البينات المعجزات الواضحات
والذي فطرنا عطف على ما جاءنا او قسم فاقض ما انت قاض ما
انت قاضيه اي صانعه او حاكم به انما تقضي هذه الحيوة الدنيا
انما تصنع ما تهواه او تحكم بما تراه في هذه الدنيا والاخرة خير وابقى
فهو كالتعليل لما قبله والتمهيد لما بعده وقرئ تقضى هذه الحيوة الدنيا
كقولك صيم يوم الجمعة انا امنا بربنا ليغفر لنا خطايانا من الكفر
والمعاصي وما اكرهتنا عليه من السحر في معارضة المعجزة روي انهم
قالوا لفرعون ارنا موسى نائما فوجدوه تحرسه العصا فقالوا ما
هذا بسحر فان الساحر اذا نام بطل سحره فابى الا ان يعارضوه والله
خير وابقى جزاء او خير ثوابا وابقى عقابا انه ان الامر من يأت ربه
مجرما بان يموت على كفره وعصيانه فان له جهنم لا يموت فيها
فيستريح ولا يحيى حياة مهناة ومن يأته مؤمنا قد عمل الصالحات
في الدنيا فاولئك لهم الدرجات العلى المنازل الرفيعة
جنات عدن بدل من الدرجات تجري من تحتها الانهار
خالدين فيها حال والعامل فيها معنى الاشارة او الاستقرار
وذلك جزاء من تزكى تطهر من ادناس الكفر والمعاصي والايات
الثلاث يحتمل ان تكون من كلام السحرة وان يكون ابتداء كلام من الله
ولقد اوحينا الى موسى ان اسر بعبادي اي من مصر فاضرب
لهم طريقا فاجعل لهم من قولهم ضرب له في ماله سهما او فاتخذ
من ضرب اللبن اذا عمله في البحر يبسا يابسا مصدر وصف به يقال
يبس يبسا ويبسا كسقم سقما وسقما ولذلك وصف به المؤنث فقيل
شاة يبس للتي جف لبنها وقرئ يبسا وهو اما مخفف منه او وصف

على فعل كصعب او جمع يابس كصحب وصف به الواحد مبالغة كقوله كان
قلوب رحلي حين ضمت حوالب غرزا ومعا جياعا او لتعدده معنى
فانه جعل لكل سبط منه طريقا لا تخاف دركا حال من المامور
اي آمنا من ان يدرككم العدو او صفة ثانية والعائد محذوف
وقرأ حمزة لا تخف على انه جواب الامر ولا تخشى استئناف اي وانت لا
تخشى الغرق او عطف عليه والالف فيه للاطلاق كقوله وتظنون بالله
الظنونا او حال بالواو والمعنى لا تخشى الغرق فاتبعهم فرعون بجنوده
وذلك ان موسى خرج بهم اول الليل فاخبر فرعون بذلك فقص اثرهم
والمعنى فاتبعهم فرعون نفسه ومعه جنوده فحذف المفعول الثاني
وقيل فاتبعهم بمعنى فاتبعهم ويؤيده القراءة به والباء للتعدية وقيل
الثاني زائدة والمعنى فاتبعهم جنوده وذادهم خلفهم فغشيهم من اليم
ما غشيهم الضمير لجنوده او له ولهم وفيه مبالغة ووجازة اي غشيهم
ما سمعت قصته ولا يعرف كنهه الا الله وقرئ فغشاهم ما غشاهم اي
غطاهم ما غطاهم والفاعل هو الله تعالى او ما غشاهم او فرعون لانه
الذي ورطهم للهلاك واضل فرعون قومه وما هدى اي اضلهم
في الدين وما هداهم وهو تهكم به في قوله وما اهديكم الا سبيل الرشاد
او اضلهم في البحر وما نجى يا بني اسرائيل خطاب لهم بعد انجائهم
من البحر واهلاك فرعون على اضمار قلنا او للذين منهم في عهد النبي
صلى الله عليه وسلم بما فعل بآبائهم قد انجيناكم من عدوكم فرعون
وقومه وواعدناكم جانب الطور الايمن لمناجاة موسى وانزال
التورية عليه وانما عدى المواعدة اليهم وهي لموسى او له وللسبعين
المختارين للملابسة ونزلنا عليكم المن والسلوى يعني في التيه
كلوا من طيبات ما رزقناكم لذائذه او حلاله وقرأ حمزة
والكسائي انجيتكم وواعدتكم ما رزقتكم على التاء وقرئ ووعدتكم
ووعدناكم والايمن بالجر على الجوار نحو جحر ضب خرب ولا تطغوا فيه
فيما رزقناكم بالاخلال بشكره والتعدي لما حد الله لكم فيه كالسرف
والبطر والمنع عن المستحق فيحل عليكم غضبي فيلزمكم عذابي ويجب
لكم من حل الدين اذا وجب اداؤه ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى
فقد تردى وهلك وقيل وقع في الهاوية وقرأ الكسائي يحل ويحلل

بالضم من حل يحل اذا نزل وانى لغفار لمن تاب عن الشرك وآمن
بما يجب الايمان به وعمل صالحا ثم اهتدى ثم استقام على الهدى
المذكور وما اعجلك عن قومك يا موسى سوال عن سبب العجلة
يتضمن انكارها من حيث انها نقيصة في نفسها انضم اليها اغفال القوم
وايهام التعظم عليهم فلذلك اجاب موسى عن الامرين وقدم جواب
الانكار لانه اهم قال هم اولاء على اثري ما تقدمتهم الا بخطى
يسيرة لا يعتد بها عادة وليس بيني وبينهم الا مسافة قريبة يتقدم
بها الرفقة بعضهم بعضا وعجلت اليك رب لترضى فان المسارعة
الى امتثال امرك والوفا بعهدك يوجب مرضاتك قال فانا قد
فتنا قومك من بعدك ابتليناهم بعبادة العجل بعد خروجك
من بينهم وهم الذين خلفهم مع هرون وكانوا ستمائة الف ما نجا
من عبادة العجل منهم الا اثنا عشر الفا واضلهم السامري باتخاذ
العجل والدعا الى عبادته وقرى واضلهم اي اشدهم ضلالة لانه
كان ضالا مضلا وان صح انهم اقاموا على الدين بعد ذهابه عشرين ليلة
وحسبوها باياتها اربعين وقالوا قد اكملنا العدة ثم كان امر العجل
وان هذا الخطاب كان له عند مقدمه اذ ليس في الاية ما يدل عليه كان
ذلك اخبارا من الله له عن المترقب بلفظ الواقع على عادته فان اصل
وقوع الشي ان يكون في علمه ومقتضى مشيته والسامري منسوب الى قبيلة
من بني اسرائيل يقال لها السامرة وقيل كان علجا من كرمان وقيل من اهل
باجرما واسمه موسى بن ظفر وكان منافقا فرجع موسى الى قومه
بعد ما استوفى الاربعين واخذ التورية غضبان عليهم اسفا حزينا
بما فعلوا قال يا قوم الم يعدكم ربكم وعدا حسنا بان يعطيكم التورية
فيها هدى ونور افطال عليكم العهد اي الزمان يعني زمان مفارقته
لهم ام اردتم ان يحل عليكم غضب من ربكم يجب عليكم بعبادة ما
هو مثل في الغباوة فاخلفتم موعدي وعدكم اياي بالثبات على الايمان
بالله والقيام على ما امرتكم به وقيل هو من اخلفت وعده اذا وجدت
الخلف فيه اي فوجدتم الخلف في وعدي لكم بالعود بعد الاربعين
وهو لا يناسب الترتيب على الترديد ولا على السوق الذي يليه ولا جوابهم
له قالوا ما اخلفنا موعدك بملكنا بان ملكنا امرنا اذ لو خلينا وامرنا

ولم يسول لنا السامري لما اخلفناه وقرا نافع وعاصم بملكنا بالفتح
وحمزة والكسائي بالضم وتثليثها في الاصل لغات في مصدر ملكت
الشي ولكنا حملنا اوزارا من زينة القوم احمالا من حلي القبط التي
استعرناها منهم حين هممنا بالخروج من مصر باسم العرس وقيل استعاروا
لعيد كان لهم ثم لم يردوا عند الخروج مخافة ان يعلموا به وقيل هي ما
القاه البحر على الساحل بعد اغراقهم فاخذوه ولعلهم سموها اوزارا
لانها آثام فان الغنائم لم تكن تحل بعد او لانهم كانوا مستامنين وليس
للمستامن ان ياخذ من مال الحربي فقذفناها اي في النار فكذلك
القى السامري اي ما كان معه منها روي انهم لما حسبوا ان العدة
قد كملت قال لهم السامري انما اخلف موسى ميعادكم لما معكم من حلي القوم
وهو حرام عليكم فالراي ان تحفر حفيرة ونسجر فيها النار ونقذف كل ما معنا
فيها ففعلوا وقرا ابو عمرو وحمزة والكسائي وابو بكر وروح حملنا
بالفتح والتخفيف فاخرج لهم عجلا جسدا من تلك الحلي المذابة
له خوار صوت العجل فقالوا يعني السامري ومن افتتن به اول ما راه
هذا الهكم واله موسى فنسي اي فنسيه موسى وذهب يطلبه
عند الطور او فنسي السامري اي ترك ما كان عليه من اظهار الايمان
افلا يرون افلا يعلمون ان لا يرجع اليهم قولا انه لا يرجع اليهم
كلاما ولا يرد عليهم جوابا وقرى يرجع بالنصب وفيه ضعف لان ان الناصبة صبه
لا تقع بعد افعال اليقين ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا ولا يقدر على انفاعهم
واضرارهم ولقد قال لهم هرون من قبل من قبل رجوع موسى او قول
السامري كانه اول ما وقع عليه بصره حين طلع من الحفرة توهم ذلك
وبادر الى تحذيرهم يا قوم انما فتنتم به بالعجل وان ربكم الرحمن
لا غير فاتبعوني واطيعوا امري في الثبات على الدين قالوا لن نبرح
عليه على العجل وعبادته عاكفين مقيمين حتى يرجع الينا موسى
وهذا الجواب يويد الوجه الاول قال يا هرون اي قال له موسى
لما رجع ما منعك اذ رايتهم ضلوا بعبادة العجل الا تتبعني ان تتبعني
في الغضب لله والمقاتلة مع من كفر به او ان تاتي عقبي وتلحقني ولا مزيدة
كما في قوله ما منعك الا تسجد افعصيت امري بالصلابة في الدين
والمحاماة عليه قال يا ابن ام خص الام استعطافا وترقيقا وقيل لانه

كان اخاه من الام والجمهور على انهما كانا من اب وام لا تاخذ بلحيتي
ولا براسي اي بشعر راسي قبض عليهما يجره اليه من شدة غيظه وفرط
غضبه لله وكان عليه السلام حديدا خشنا متصلبا في كل شي فلم يتمالك
حين راهم يعبدون العجل اني خشيت ان تقول فرقت بين بني اسرائيل
لو قاتلت او فارقت بعضهم ببعض ولم ترقب قولي حين قلت اخلفني في
قومي واصلح فان الاصلاح كان في حفظ الدهماء والمداراة بهم الى ان
ترجع اليهم فتدارك الامر برايك قال فما خطبك يا سامري
اي ثم اقبل عليه وقال له منكرا ما خطبك اي ما طلبك له وما الذي
حملك عليه وهو مصدر خطب الشي اذا طلبه قال بصرت بما لم يبصروا به
وقرا حمزة والكسائي بالتاء على الخطاب اي علمت بما لم تعلموه وفطنت
لما لم تفطنوا له وهو ان الرسول الذي جاءك روحاني لا يمس اثره شيا
الا احياه او رايت ما لم تروه وهو ان جبريل جاءك على فرس الحيوة قيل انما
عرفه لان امه القته حين ولدته خوفا من فرعون وكان جبريل يغذوه
حتى استقل فقبضت قبضة من اثر الرسول من تربة موطيه والقبضة
المرة من القبض واطلق على المقبوض كضرب الامير وقرئ بالصاد والاول
للاخذ بجميع الكف والثاني للاخذ باطراف الاصابع ونحوهما الخضم
والقضم والرسول جبرايل ولعله لم يسمه لانه لم يعرف انه جبريل او اراد
ان ينبه على الوقت وهو حين ارسل اليه ليذهب به الى الطور فنبذتها
في الحلي المذابة او في جوف العجل حتى حيي وكذلك سولت لي نفسي
زينته وحسنته الي قال فاذهب فان لك في الحيوة عقوبة على ما
فعلت ان تقول لا مساس خوفا من ان يمسك احد فتاخذك الحمى
ومن مسك فتحامى الناس ويحاموك فتكون طريدا وحيدا كالوحشي
النافر وقرئ لا مساس كفجار وهو علم للمسة وان لك موعدا في الاخرة
لن تخلفه لن يخلفك الله وينجزه لك في الاخرة بعدما عاقبك في الدنيا
وقرا ابن كثير والبصريان بكسر اللام اي لن تخلف الواحد اتاه وستاتيه
لا محالة فحذف المفعول الاول لان المقصود هو الموعد ويجوز ان يكون
من اخلفت الموعد اذا وجدته خلفا وقرئ بالنون على حكاية قول
الله وانظر الى الهك الذي ظلت عليه عاكفا ظللت على عبادته
مقيما فحذف اللام الاولى تخفيفا وقرئ بكسر الظاء على نقل حركة اللام

اليها

اليها لنحرقنه اي بالنار ويؤيده قراءة لنحرقنه او بالمبرد على انه مبالغة
في حرق اذا برد بالمبرد ويعضده قراءة لنحرقنه ثم لننسفنه لنذرينه
رمادا او مبرودا وقرئ بضم السين في اليم نسفا فلا يصادف منه
شي والمقصود من ذلك زيادة عقوبته واظهار غباوة المفتتنين به
لمن له ادنى نظر انما الهكم المستحق لعبادتكم الله الذي لا اله الا هو
اذ لا احد يماثله او يدانيه في كمال العلم والقدرة وسع كل شي علما وسع
علمه كل ما يصح ان يعلم لا العجل الذي يصاغ ويحرق وان كان حيا في نفسه
كان مثلا في الغباوة وقرئ وسع بتشديد السين فيكون انتصاب علما
على المفعولية لانه وان انتصب على التمييز في المشهور لكنه فاعل في المعنى
فلما عدي الفعل بالتضعيف الى المفعولين صار مفعولا كذلك مثل ذلك
الاقتصاص يعني اقتصاص قصة موسى نقص عليك من انباء ما قد سبق
من اخبار الامور الماضية والامم الدارجة تبصرة لك وزيادة في علمك
وتكثيرا لمعجزاتك وتنبيها وتذكيرا للمستبصرين من امتك وقد اتيناك من لدنا
ذكرا كتابا مشتملا على هذه الاقاصيص والاخبار حقيقا بالتفكر والاعتبار
والتنكير فيه للتعظيم وقيل ذكرا جميلا وصيتا عظيما بين الناس من اعرض
عنه عن الذكر الذي هو القران الجامع لوجوه السعادة والنجاة وقيل
عن الله فانه يحمل يوم القيمة وزرا عقوبة ثقيلة فادحة على كفره وذنوبه
سماها وزرا تشبيها في ثقلها على المعاقب وصعوبة احتمالها بالحمل الذي
يفدح الحامل وينقض ظهره او اثما عظيما خالدين فيه في الوزر او في
حمله والجمع فيه والتوحيد في اعرض للحمل على المعنى واللفظ وساء
لهم يوم القيمة حملا اي بئس لهم ففيه ضمير مبهم يفسره حملا والمخصوص
بالذم محذوف اي ساء حملهم وزرا واللام في لهم للبيان كما في هيت لك
ولو جعل ساء بمعنى احزن والضمير الذي فيه للوزر اشكل امر اللام ونصب
حملا ولم يفد مزيد معنى يوم ينفخ في الصور وقرا ابو عمرو بالنون على
اسناد النفخ الى الامر به تعظيما له او للنافخ وقرئ بالياء المفتوحة على ان
فيه ضمير الله او ضمير اسرافيل وان لم يجر ذكره لانه المشهور بذلك وقرئ
في الصور وهو جمع صورة وقد سبق بيان ذلك ونحشر المجرمين يومئذ
وقرئ ويحشر المجرمون زرقا زرق العيون وصفوا بذلك لان الزرقة
اسوء الوان العين وابغضها الى العرب لان الروم كانوا اعدا اعدائهم

وهم زرق ولذلك قالوا في صفة العدو اسود الكبد اصهب السبال
ازرق العين او عميا فان حدقة الاعمى تزراق يتخافتون بينهم يخفضون
اصواتهم لما يملا صدورهم من الرعب والهول والخفت خفض الصوت
واخفاؤه ان لبثتم الا عشرا اي في الدنيا يستقصرون مدة لبثهم فيها
لزوالها او لاستطالتهم مدة الاخرة او لتاسفهم عليها لما عاينوا الشدائد
وعلموا انهم استحقوها على اضاعتها في قضاء الاوطار واتباع الشهوات
او في القبر لقوله ويوم تقوم الساعة الى اخر الايات نحن اعلم بما يقو
لون وهو مدة لبثهم اذ يقول امثلهم طريقة اعدلهم رايا او عملا ان
لبثتم الا يوما استرجاح لقول من يكون اشد تقالا منهم ويسالونك
عن الجبال عن مآل امرها وقد سال عنه رجل من ثقيف فقل ينسفها
ربي نسفا يجعلها كالرمل ثم يرسل عليها الرياح فتفرقها فيذرها
فيذر مقارها او الارض واضمارها من غير ذكر لدلالة الجبال عليها
كقوله ما ترك على ظهرها من دابة قاعا خاليا صفصفا مستويا كان
اجزاءها على صف واحد لا ترى فيها عوجا ولا امتا اعوجاجا ولا نتوا
ان تاملت فيها بالقياس الهندسي وثلاثتها احوال مترتبة فالاولان باعتبا
ر الاحساس والثالث باعتبار المقياس ولذلك ذكر العوج بالكسر وهو يخص
المعاني والامت هو النتو اليسير وقيل لا ترى استيناف مبين للحالين
يومئذ اي يوم اذ نسفت على اضافة اليوم الى وقت النسف ويجوز ان
يكون بدلا ثانيا من يوم القيمة يتبعون الداعي داعي الله الى المحشر قيل
هو اسرافيل يدعو الناس قايما على صخرة بيت المقدس فيقبلون من كل
اوب الى صوبه لا عوج له لا يعوج له مدعو ولا يعدل عنه وخشعت
الاصوات للرحمن خضعت لمهابته فلا تسمع الا همسا صوتا خفيا
ومنه الهميس لصوت اخفاف الابل وقد فسر الهمس بخفق اقدامهم ونقلها
الى المحشر يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن الاستثنا
من الشفاعة اي الا شفاعة من اذن او من اعم المفاعيل اي الا من اذن
في ان يشفع له فان الشفاعة تنفعه فمن على الاول مرفوع بالبدلية وعلى
الثاني منصوب على المفعولية واذن يحتمل ان يكون من الاذن او من
الاذن ورضي له قولا اي ورضي لمكانه عند الله قوله في الشفاعة او رضي
لاجله قول الشافع في شانه او قوله لاجله وفي شانه يعلم ما بين ايديهم

ما تقدمهم من الاحوال وما خلفهم وما بعدهم مما يستقبلونه ولا
يحيطون به علما ولا يحيط علمهم بمعلوماته وقيل بذاته وقيل الضمير
لاحد الموصولين او لمجموعهما فانهم لم يعلموا جميع ذلك ولا تفصيل ما علموا
منه وعنت الوجوه للحي القيوم ذلت وخضعت له خضوع العناة وهم
الاسارى في يد الملك القهار وظاهرها يقتضي العموم ويجوز ان يراد
بها المجرمين فيكون اللام بدل الاضافة ويؤيده وقد خاب من حمل
ظلما وهو يحتمل الحال والاستيناف لبيان ما لاجله عنت وجوههم ومن
يعمل من الصالحات بعض الطاعات وهو مؤمن اذ الايمان شرط في صحة
الطاعات وقبول الخيرات فلا يخاف ظلما منع ثواب مستحق بالوعد
ولا هضما ولا كسرا منه بنقصان او جزاء ظلم وهضم لانه لم يظلم غيره ولم
يهضم حقه وقرئ فلا يخف على النهي وكذلك عطف على كذلك نقص
اي مثل ذلك الانزال او مثل انزال هذه الايات المتضمنة للوعيد
انزلناه قرانا عربيا كله على هذه الوتيرة وصرفنا فيه من الوعيد
مكررين فيه ايات الوعيد لعلهم يتقون المعاصي فتصير التقوى
لهم ملكة او يحدث لهم ذكرا عظة واعتبارا حين يسمعونها فيثبطهم
عنها ولهذه النكتة اسند التقوى اليهم والاحداث الى القران فتعالى
الله في ذاته وصفاته عن مماثلة المخلوقين لا يماثل كلامه كلامهم كما
لا يماثل ذاته ذاتهم الملك النافذ امره ونهيه الحقيق بان يرجى
وعده ويخشى وعيده الحق في ملكوتيته لذاته او الثابت في ذاته
وصفاته ولا تعجل بالقران من قبل ان يقضى اليك وحيه نهي عن
الاستعجال في تلقي الوحي من جبريل ومساوقته في القراءة حتى يتم وحيه
بعد ذكر الانزال على سبيل الاستطراد وقيل نهي عن تبليغ ما كان
مجملا قبل ان ياتي بيانه وقل رب زدني علما اي سل الله زيادة العلم
بدل الاستعجال فان ما اوحي اليك تناله لا محالة ولقد عهدنا الى
آدم ولقد امرناه يقال تقدم الملك اليه واوعز اليه وعزم عليه وعهد
اليه اذا امره واللام جواب قسم محذوف وانما عطف قصة ادم على قوله
وصرفنا فيه من الوعيد للدلالة على ان اساس بني ادم على العصيان و
عرقهم راسخ في النسيان من قبل من قبل هذا الزمان فنسي العهد ولم
يعن به حتى غفل عنه او ترك ما وصي به من الاحتراز عن الشجرة ولم نجد له

عزما تصميم رأي وثبات على الأمر إذ لو كان ذا عزيمة وتصلب لم يزله
الشيطان ولم يستطع تغريره ولعل ذلك كان في بدء أمره قبل أن يجرب
الأمور ويذوق شريها وأريها وعن النبي صلى الله عليه وسلم لو وزنت
أحلام بني آدم بحلم آدم لرجح حلمه وقد قال تعالى ولم نجد له عزما وقيل
عزما على الذنب لأنه أخطأ ولم يتعمد ولم نجد إن كان من الوجود الذي
بمعنى العلم فله عزما مفعولاه وإن كان من الوجود المناقض للعدم فله حال
من عزما أو متعلق بنجد وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم مقدر
باذكر أي اذكر حاله في ذلك الوقت ليتبين لك أنه نسي ولم يكن من أولي
العزيمة والثبات فسجدوا إلا إبليس قد سبق القول فيه أبى جملة
مستأنفة لبيان ما منعه من السجود وهو الاستكبار وعلى هذا لا يقدر له
مفعول مثل السجود المدلول عليه بقوله فسجدوا لأن المعنى أظهر الإباء
عن المطاوعة فقلنا يا آدم إن هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما
فلا يكونن سببا لإخراجكما والمراد نهيهما عن أن يكونا بحيث يتسبب
الشيطان إلى إخراجهما من الجنة فتشقى أفرده بإسناد الشقاء إليه
بعد اشتراكهما في الخروج اكتفاء باستلزام شقائه شقاءها من حيث إنه قيم
عليها ومحافظة على الفواصل أو لأن المراد بالشقاء التعب في طلب المعاش
وذلك وظيفة الرجال ويؤيده قوله إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى
وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى فإنه بيان وتذكير لما له في الجنة
من أسباب الكفاية وأقطاب الكفاف التي هي الشبع والري والكسوة والكن
مستغنيا عن اكتسابها والسعي في تحصيل أعراض ما عسى ينقطع ويزول منها
بذكر نقائضها ليطرق سمعه بأصناف الشقوة المحذر منها وقرأ نافع
وأبو بكر وإنك لا تظمأ بكسر الهمزة والباقون بفتحها والعاطف وإن
ناب عن إن لكنه ناب من حيث إنه حرف عامل لا من حيث إنه حرف
تحقيق فلا يمتنع دخوله على امتناع دخول إن عليه فوسوس إليه الشيطان
فأنهى إليه وسوسته قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد الشجرة
التي من أكل منها خلد ولم يمت أصلا فأضافها إلى الخلد وهو الخلود لأنه
سببه بزعمه وملك لا يبلى لا يزول ولا يضعف فأكلا منها فبدت لهما
سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة أخذا يلزقان
الورق على سوآتهما للتستر وهو ورق التين وعصى آدم ربه بأكل الشجرة

فغوى

فغوى فضل عن المطلوب وخاب حيث طلب الخلد بأكل الشجرة أو عن المأمور
به أو عن الرشد حيث اغتر بقول العدو وقرئ فغوي من غوي الفصيل إذا اتخم
من اللبن وفي النعي عليه بالعصيان والغواية مع صغر زلته تعظيم للزلة
وزجر بليغ لأولاده عنها ثم اجتباه ربه اصطفاه وقربه بالحمل على التوبة
والتوفيق لها من جبى إلي كذا فاجتبيته مثل جليت علي العروس فاجتليتها
وأصل الكلمة الجمع فتاب عليه فقبل توبته لما تاب وهدى على الثبات
على التوبة والتشبث بأسباب العصمة قال اهبطا منها جميعا الخطاب
لآدم وحواء أو له ولإبليس ولما كانا أصل الذرية خاطبهما مخاطبتهم
فقال بعضكم لبعض عدو لأمر المعاش كما عليه الناس من التجاذب والتحارب
أو لاختلال حال كل من النوعين بواسطة الآخر ويؤيد الأول قوله
فإما يأتينكم مني هدى كتاب ورسول فمن اتبع هداي فلا
يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة ومن أعرض عن ذكري عن الهدى
الذاكر لي والداعي إلى عبادتي فإن له معيشة ضنكا ضيقا مصدر
وصف به ولذلك يستوي فيه المذكر والمؤنث وقرئ ضنكى كسكرى وذلك
لأن مجامع همته ومطامح نظره يكون إلى أعراض الدنيا متهالكا على ازديادها
خائفا على انتقاصها بخلاف المؤمن الطالب للآخرة مع أنه تعالى قد
يضيق بشؤم الكفر ويوسع ببركة الإيمان كما قال وضربت عليهم الذلة
والمسكنة ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل ولو أن أهل القرى آمنوا الآيات
وقيل هو الضريع والزقوم في النار وقيل عذاب القبر ونحشره وقرئ بسكون
الهاء على لفظ الوقف وبالجزم عطفا على محل فإن له معيشة لأنه جواب الشرط
يوم القيامة أعمى أعمى البصر أو القلب ويؤيد الأول قال رب لم حشرتني
أعمى وقد كنت بصيرا وقد أمالهما حمزة والكسائي لأن الألف منقلبة
من الياء وفرق أبو عمرو بأن الأول رأس الآية ومحل الوقف فهو جدير
بالتغيير قال كذلك أي مثل ذلك فعلت ثم فسره فقال أتتك آياتنا
واضحة نيرة فنسيتها فعميت عنها وتركتها غير منظور إليها وكذلك
ومثل تركك إياها اليوم تنسى تترك في العمى والعذاب وكذلك
نجزي من أسرف بالانهماك في الشهوات والإعراض عن الآيات
ولم يؤمن بآيات ربه بل كذبها وخالفها ولعذاب الآخرة وهو
الحشر على العمى وقيل عذاب النار أي والنار بعد ذلك أشد وأبقى من

ضنكا بعيش ومنه ومن يعمي ولعله اذا دخل النار زاد عماه ليرى
محله وحاله او مما فعله من ترك الايات والكفر بها افلم يهد لهم مسند
الى الله او الى الرسول او ما دل عليه كم اهلكنا قبلهم من القرون اي
اهلاكنا اياهم او الجملة بمضمونها والفعل على الاولين معلق يجري
مجرى اعلم ويدل عليه القراة بالنون يمشون في مساكنهم ويشاهدون
اثار هلاكهم ان في ذلك لايات لاولي النهى لذوي العقول الناهية
عن التغافل والتعامي ولولا كلمة سبقت من ربك وهي العدة بتاخير
عذاب هذه الامة الى الاخرة لكان لزاما لكان مثل ما نزل بعاد
وثمود لازما لهولاء الكفرة وهو مصدر وصف به او اسم اله سمي به
اللازم لفرط لزومه كقولهم لزاز خصم واجل مسمى عطف على كلمة اي
ولولا العدة بتاخير العذاب واجل مسمى لاعمارهم او لعذابهم وهو
يوم القيامة او يوم بدر لكان العذاب لزاما والفصل للدلالة على استقلال
كل منهما بنفي لزوم العذاب ويجوز عطفه على المستكن في كان اي لكان
الاخذ العاجل واجل مسمى لازمين لهم فاصبر على ما يقولون وسبح
بحمد ربك وصل وانت حامد لربك على هدايته وتوفيقه او نزهه
عن الشرك وسائر ما يضيفون اليه من النقائص حامدا له على ما ميزك
بالهدى معترفا بانه المولى للنعم كلها قبل طلوع الشمس يعني الفجر وقبل
غروبها يعني الظهر والعصر لانهما في اخر النهار او العصر وحده ومن
اناء الليل ومن ساعاته جمع انى بالكسر والقصر او انا بالفتح والمد
فسبح يعني المغرب والعشا وانما قدم الزمان فيه لاختصاصه بمزيد
الفضل فان القلب فيه اجمع والنفس اميل الى الاستراحة فكانت العبادة
فيه احمز ولذلك قال تعالى ان ناشئة الليل هي اشد وطا واقوم قيلا واطراف
النهار تكرير لصلاتي الصبح والمغرب ارادة الاختصاص ومجيئه بلفظ
الجمع لامن الالباس كقوله ظهراهما مثل ظهور الترسين او امر بصلاة
الظهر فانه نهاية النصف الاول من النهار وبداية النصف الاخير
وجمعه باعتبار النصفين او لان النهار جنس او بالتطوع في اجزا النهار
لعلك ترضى متعلق بسبح اي سبح في هذه الاوقات طمعا ان تنال
عند الله ما به ترضى نفسك وقرا الكسائي وابو بكر بالبنا للمفعول اي
يرضيك ربك ولا تمدن عينيك اي نظر عينيك الى ما متعنا به

استحسانا له وتمنيا ان يكون لك مثله ازواجا منهم اصنافا من الكفرة
ويجوز ان يكون حالا من الضمير والمفعول منهم اي الى الذي متعنا
به وهو اصناف بعضهم او ناسا منهم زهرة الحياة الدنيا منصوب
بمحذوف دل عليه متعنا او به على تضمينه معنى اعطينا او بالبدل من محل به
او من ازواجا بتقدير مضاف ودونه او بالذم وهي الزينة والبهجة وقرا
يعقوب بالفتح وهو لغة كالجهرة او جمع زاهر وصف لهم بانهم زاهرو الدنيا
لتنعمهم وبهاء زيهم بخلاف ما عليه المومنون الزهاد لنفتنهم فيه
لنبلوهم ونختبرهم فيه او لنعذبهم في الاخرة بسببه ورزق ربك وما
ادخر لك في الاخرة او ما رزقك من الهدى والنبوة خير مما منحهم في الدنيا
وابقى فانه لا ينقطع وامر اهلك بالصلاة امره بان يامر اهل بيته
او التابعين له من امته بالصلاة بعدما امره بها ليتعاونوا على الاستعانة
على خصاصتهم ولا يهتموا بامر المعيشة ولا يلتفتوا لفت ارباب الثروة
واصطبر عليها وداوم عليها لا نسالك رزقا ان ترزق نفسك و
اهلك نحن نرزقك واياهم ففرغ بالك لامر الاخرة والعاقبة
المحمودة للتقوى لذي التقوى روي انه عليه السلام اذا اصاب
اهله ضر امرهم بالصلاة وتلا هذه الاية وقالوا لولا ياتينا باية
من ربه باية تدل على صدقه في ادعا النبوة او باية مقترحة انكارا
لما جا به من الايات او للاعتداد به تعنتا وعنادا فالزمهم باتيانه
بالقران الذي هو ام المعجزات واعظمها وابقاها لان حقيقة المعجزة
اختصاص مدعي النبوة بنوع من العلم او العمل على وجه خارق للعادة
ولا شك ان العلم اصل العمل واعلى منه قدرا وابقى اثرا فكذا ما كان
من هذا القبيل ونبههم ايضا على وجه ابين من وجوه اعجازه المختصة
بهذا الباب فقال اولم تاتهم بينة ما في الصحف الاولى من التورية
والانجيل وسائر الكتب السماوية فان اشتماله على زبدة ما فيها من
العقايد والاحكام الكلية مع ان الاتي بها امي لم يرها ولم يتعلم ممن
علمها اعجاز بين وفيه اشعار بانه كما يدل على نبوته برهان لما تقدمه
من الكتب من حيث انه معجز وتلك ليست كذلك بل هي مفتقرة الى ما
يشهد على صحتها وقرئ الصحف بالتخفيف ولو انا اهلكناهم بعذاب
من قبله من قبل محمد او البينة والتذكير لانها في معنى البرهان او المراد

بها القران لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع اياتك من
قبل ان نذل بالقتل والسبي في الدنيا ونخزى بدخول النار يوم القيمة
وقد قرئ بالبنا للمفعول قل كل اي كل واحد منا ومنكم متربص منتظر
لما يؤول اليه امرنا وامركم فتربصوا وقرئ فتمتعوا فستعلمون من اصحاب
الصراط السوي المستقيم وقرئ السواء اي الوسط الجيد والسوء و
السوأى والسوء اي الشر والسوي وهو تصغيره ومن اهتدى من
الضلالة ومن في الموضعين للاستفهام ومحلها الرفع بالابتدا ويجوز
ان تكون الثانية موصولة بخلاف الاولى لعدم العايد فيكون معطوفا
على محل الجملة الاستفهامية المعلق عنها الفعل على ان العلم بمعنى
المعرفة او على اصحاب وعلى الصراط على ان المراد به النبي عليه السلام
وعنه عليه الصلوة والسلام من قرا سورة طه اعطي يوم القيمة ثواب المهاجرين والانصار

بسم الله الرحمن الرحيم اقترب للناس حسابهم بالاضافة
الى ما مضى او عند الله لقوله انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا وقوله
ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده وان يوما عند ربك
كالف سنة مما تعدون او لان كل ما هو ات قريب وانما البعيد ما انقرض
ومضى واللام صلة لاقترب او تاكيد للاضافة واصله اقترب حساب
الناس ثم اقترب للناس الحساب ثم اقترب للناس حسابهم وخص الناس
بالكفار لتقييدهم بقوله وهم في غفلة معرضون اي في غفلة من الحساب
معرضون عن التفكر فيه وهما خبران للضمير ويجوز ان يكون الظرف حالا
من المستكن في معرضون ما ياتيهم من ذكر ينبههم عن سنة الغفلة و
الجهالة من ربهم صفة لذكر او صلة لياتيهم محدث تنزيله ليكرر
على اسماعهم التنبيه كي يتعظوا وقرئ بالرفع حملا على المحل الا استمعوه
وهم يلعبون يستهزءون به ويستسخرون منه لتناهي غفلتهم وفرط
اعراضهم عن النظر في الامور والتفكر في العواقب وهم يلعبون حال من
الواو وكذلك لاهية قلوبهم اي استمعوه جامعين بين الاستهزاء والتلهي
والذهول عن التفكر فيه ويجوز ان يكون من واو يلعبون وقرئت بالرفع
على انه خبر اخر للضمير واسروا النجوى بالغوا في اخفائها او جعلوها

بحيث خفي تناجيهم بها الذين ظلموا بدل من واو واسروا للايماء بانهم ظلموا
فيما اسروا به او فاعل له والواو لعلامة الجمع او مبتدا والجملة المتقدمة
خبره واصله وهؤلاء اسروا النجوى فوضع الموصول موضعه تسجيلا على فعلهم
بانه ظلم او منصوب على الذم هل هذا الا بشر مثلكم افتاتون السحر وانتم
تبصرون باسره في موضع النصب بدلا من النجوى او مفعولا لقول مقدر
كانهم استدلوا بكونه بشرا على كذبه في ادعا الرسالة لاعتقادهم ان
الرسول لا يكون الا ملكا واستلزموا منه ان ما جاء به من الخوارق كالقران
سحر فانكروا حضوره وانما اسروا به تشاورا في استنباط ما يهدم امره
ويظهر فساده للناس عامة قال ربي يعلم القول في السما والارض جهرا كان
او سرا فضلا عما اسروا به وهو اكد من قوله قل انزله الذي يعلم السر في
السموات والارض ولذلك اختير ههنا وليطابق قوله واسروا النجوى
وقرا حمزة والكسائي وحفص قال بالاخبار عن الرسول وهو السميع العليم
فلا يخفى عليه ما تسرون ولا ما تضمرون بل قالوا اضغاث احلام بل
افتراه بل هو شاعر اضراب لهم عن قولهم هو سحر الى انه تخاليط الاحلام
ثم الى انه كلام افتراه ثم الى انه قول شاعر والظاهر ان بل الاولى لتمام
حكاية والابتدا باخرى او للاضراب عن تحاورهم في شان الرسول
وما ظهر عليه من الايات الى تقاولهم في امر القران والثانية والثالثة
للاضراب عن كونه اباطيل خيلت اليه وخلطت عليه الى كونه مفتريات
اختلقها من تلقا نفسه ثم الى انه كلام شعري يخيل الى السامع معاني
لا حقيقة لها ويرغب فيها ويجوز ان يكون الكل من الله تنزيلا لاقوالهم في
درج الفساد لان كونه شعرا ابعد من كونه مفترى لانه مشحون بالحقايق
والحكم ليس فيه ما يناسب قول الشعرا وهو من كونه احلاما لانه مشتمل
على مغيبات كثيرة طابقت الواقع والمفترى لا يكون كذلك بخلاف الاحلام
ولانهم جربوا رسول الله نيفا واربعين سنة وما سمعوا منه كذبا قط وهو
من كونه سحرا لانه يجانسه من حيث انهما من الخوارق فلياتنا باية كما ارسل
الاولون اي كما ارسل به الاولون مثل اليد البيضا والعصا وابرا الاكمه
واحيا الموتى وصحة التشبيه من حيث ان الارسال يتضمن الاتيان بالاية
ما امنت قبلهم من قرية من اهل قرية اهلكناها باقتراح الايات
لما جاءتهم افهم يؤمنون لو جئتهم بها وهم اعتى منهم وفيه تنبيه على ان

عدم الاتيان بالمقترح للابقا عليهم اذ لو اتى به ولم يومنوا استوجبوا
عذاب الاستئصال كمن قبلهم وما ارسلنا قبلك الا رجالا يوحي
اليهم فسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون جواب لقولهم هل هذا
الا بشر مثلكم فامرهم ان يسالوا اهل الكتاب عن حال الرسل المتقدمة
لتزول عنهم الشبهة والاحالة اليهم اما للالزام فان المشركين كانوا
يشاورونهم في امر النبي ويثقون بقولهم وان اخبار الجم الغفير توجب
العلم وان كانوا كفارا وقرا حفص نوحي بالنون وما جعلناهم جسدا
لا ياكلون الطعام وما كانوا خالدين نفي لما اعتقدوا انها من خواص
الملك عن الرسل تحقيقا لانهم كانوا ابشارا امثالهم وقيل جواب لقولهم
مال هذا الرسول ياكل الطعام وما كانوا خالدين تاكيد وتقرير له فان
التعيش بالطعام من توابع التحليل المودي الى الفنا وتوحيد الجسد لارادة
الجنس ولانه مصدر في الاصل او على حذف المضاف او على تاويل الضمير
بكل واحد وهو جسم ذو لون ولذلك لا يطلق على الما والهوى ومنه الجساد
للزعفران وقيل جسم ذو تركيب لان اصله لجمع الشي واشتداده ثم صدقناهم
الوعد اي في الوعد فانجيناهم ومن نشاء يعني المومنين بهم ومن في
ابقايه حكمة كمن سيؤمن هو او واحد من ذريته ولذلك حميت العرب عن
عذاب الاستيصال واهلكنا المسرفين في الكفر والمعاصي لقد انزلنا
اليكم كتابا يعني القران فيه ذكركم صيتكم لقوله وانه لذكر لك ولقومك
او موعظتكم او ما تطلبون به حسن الذكر من مكارم الاخلاق افلا تعقلون
فتومنون وكم قصمنا من قرية واردة عن غضب عظيم لان القصم سن تلازم
الاجزا بخلاف الفصم كانت ظالمة صفة لاهلها وصفت بها لما اقيمت
مقامه وانشانا بعدها بعد هلاك اهلها قوما اخرين مكانهم
فلما احسوا باسنا فلما ادركوا شدة عذابنا ادراك المشاهد المحسوس
والضمير للاهل المحذوف اذا هم منها يركضون يهربون مسرعين
راكضين دوابهم او مشبهين بهم من فرط اسراعهم لا تركضوا على ارادة
القول اي قيل لهم استهزا لا تركضوا اما بلسان الحال او المقال والقائل
ملك او من ثم من المومنين وارجعوا الى ما اترفتم فيه من التنعم والتلذذ
والاتراف ابطار النعمة ومساكنكم التي كانت لكم لعلكم تسالون
غدا عن اعمالكم او تعذبون فان السوال من مقدمات العذاب او تقصدون

للسوال

٢٦٣

للسوال والتشاور في المهام والنوازل قالوا يا ويلنا انا كنا ظالمين
لما راوا العذاب ولم يروا وجه النجاة فلذلك لم ينفعهم وقيل ان اهل
حضورا من قرى اليمن بعث اليهم نبي فقتلوه فسلط الله عليهم بخت نصر
فوضع السيف فيهم فنادى مناد من السما يا لثارات الانبيا فندموا وقالوا
ذلك فما زالت تلك دعواهم فما زالوا يرددون ذلك وانما سماها
دعوى لان المولول كانه يدعو الويل ويقول يا ويل تعال فهذا اوانك
وكل من تلك ودعواهم يحتمل الاسمية والخبرية حتى جعلناهم حصيدا مثل
الحصيد وهو النبت المحصود ولذلك لم يجمع خامدين ميتين من خمدت
النار وهو مع حصيدا بمنزلة المفعول الثاني كقولك جعلته حلوا حامضا
اذ المعنى وجعلناهم جامعين لمماثلة الحصيد والخمود او صفة له او حال
من ضميره وما خلقنا السما والارض وما بينهما لاعبين وانما خلقناها
مشحونة بضروب البدايع تبصرة للنظار وتذكرة لذوي الاعتبار
وتسبيبا لما ينتظم به امور العباد في المعاش والمعاد فينبغي ان يتسلقوا
بها الى تحصيل الكمال ولا يغتروا بزخارفها فانها سريعة الزوال
لو اردنا ان نتخذ لهوا ما يتلهى به ويلعب لاتخذناه من لدنا
من جهة قدرتنا او من عندنا مما يليق بحضرتنا من المجردات لا من الاجسام
المرفوعة والاجرام المبسوطة كعادتكم في رفع السقوف وتزويقها
وتسوية الفرش وتزيينها وقيل اللهو الولد بلغة اليمن وقيل الزوجة
والمراد الرد على النصارى ان كنا فاعلين ذلك ويدل على جوابه
الجواب المتقدم وقيل ان نافية والجملة كالنتيجة للشرطية بل نقذف
بالحق على الباطل اضراب عن اتخاذ اللهو وتنزيه لذاته من اللعب
بل من شاننا ان نغلب الحق الذي من جملته الجد على الباطل الذي
من عداده اللهو فيدمغه فيمحقه وانما استعار لذلك القذف وهو
الرمي البعيد المستلزم لصلابة المرمي والدمغ الذي هو كسر الدماغ
بحيث يشق غشاه المودي الى زهوق الروح تصويرا لابطاله به ومبالغة
فيه وقرئ فيدمغه بالنصب كقوله • سأترك منزلي لبني تميم والحق بالحجاز
فاستريحا ووجهه مع بعده الحمل على المعنى والعطف على الحق فاذا
هو زاهق هالك والزهوق ذهاب الروح وذكره لترشيح المجاز
ولكم الويل مما تصفون مما تصفونه به مما لا يجوز عليه وهو في موضع

لغة

الحال وما مصدرية او موصولة او موصوفة وله من في السموات والارض خلقا وملكا ومن عنده يعني الملائكة المنزلين منه لكرامتهم عليه منزلة المقربين عند الملوك وهو معطوف على من في السموات وافراده للتعظيم او لانه اعم منه من وجه او المراد به نوع من الملائكة متعال عن التبوء في السماء والارض او مبتدا خبره لا يستكبرون عن عبادته لا يتعظمون عنها ولا يستحسرون ولا يعيون منها وانما جيء بالاستحسار الذي هو ابلغ من الحسور تنبيها على ان عبادتهم بثقلها ودوامها حقيقة بان يستحسر منها ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار ينزهونه ويعظمونه دائما لا يفترون حال من الواو في يسبحون او هو استئناف او حال من ضمير قبله ام اتخذوا آلهة بل اتخذوا آلهة والهمزة لانكار اتخاذهم من الارض صفة لآلهة او متعلقة بالفعل على معنى الابتداء وفائدتها التحقير دون التخصيص هم ينشرون الموتى وهم وان لم يصرحوا به لكن لزم ادعاؤهم لها الالهية فان من لوازمها الاقتدار على جميع الممكنات والمراد به تجهيلهم والتهكم بهم وللمبالغة في ذلك زيد الضمير الموهم لاختصاص الانشار بهم لو كان فيهما آلهة الا الله غير الله وصف بالا لما تعذر الاستثناء لعدم شمول ما قبلها لما بعدها ودلالته على ملازمة الفساد لكون الآلهة فيهما دونه والمراد ملازمته لكونهما مطلقا او معه حملا لها على غير كما استثني بغير حملا عليها ولا يجوز الرفع على البدل لانه متفرع على الاستثناء ومشروط بان يكون في كلام غير موجب لفسدتا لبطلتا لما يكون بينهما من الاختلاف والتمانع فانها ان توافقت في المراد تطاردت عليه القدر وان تخالفت فيه تعاوقت عنه فسبحان الله رب العرش المحيط بجميع الاجسام الذي هو محل التدابير ومنشأ التقادير عما يصفون من اتخاذ الشريك والصاحبة والولد لا يسأل عما يفعل لعظمته وقوة سلطانه وتفرده بالالوهية والسلطنة الذاتية وهم يسألون لانهم مملوكون مستعبدون والضمير للآلهة او العباد ام اتخذوا من دونه آلهة كرره استعظاما لكفرهم واستفظاعا لامرهم وتبكيتا واظهارا لجهلهم او ضما لانكار ما يكون لهم سندا من النقل الى انكار ما يكون لهم دليلا من العقل على معنى اوجدوا آلهة ينشرون الموتى فاتخذوهم آلهة لما وجدوا

فيهم

فيهم من خواص الالوهية او وجدوا في الكتب الالهية الامر باشراكهم فاتخذوهم متابعة للامر ويعضد ذلك انه رتب على الاول ما يدل على فساده عقلا وعلى الثاني ما يدل على فساده نقلا قل هاتوا برهانكم على ذلك اما من العقل او من النقل فانه لا يصح القول بما لا دليل عليه كيف وقد تطابقت الحجج على بطلانه عقلا ونقلا هذا ذكر من معي وذكر من قبلي من الكتب السماوية فانظروا هل تجدون فيها الا الامر بالتوحيد والنهي عن الاشراك والتوحيد لما لم يتوقف على صحته بعثة الرسل وانزال الكتب صح الاستدلال فيه بالنقل ومن معي امته ومن قبلي الامم المتقدمة واضافة الذكر اليهم لانه عظتهم وقرئ بالتنوين والاعمال وبه وبمن الجارة على ان مع اسم هو ظرف كقبل وبعد وشبههما بل اكثرهم لا يعلمون الحق فلا يميزون بينه وبين الباطل وقرئ الحق بالرفع على انه خبر محذوف وسط للتاكيد بين السبب والمسبب فهم معرضون عن التوحيد واتباع الرسول من اجل ذلك وما ارسلنا من قبلك من رسول الا يوحى اليه انه لا اله الا انا فاعبدون تعميم بعد تخصيص فان ذكر من قبلي من حيث انه خبر لاسم الاشارة مخصوص بالموجود بين اظهرهم وهو الكتب الثلاثة وقرأ حفص وحمزة والكسائي نوحي اليه بالنون وكسر الحاء والباقون بالياء وفتح الحاء وقالوا اتخذ الرحمن ولدا نزلت في خزاعة حيث قالوا الملائكة بنات الله سبحانه تنزيه له عن ذلك بل عباد بل هم عباد من حيث انهم مخلوقون وليسوا باولاد مكرمون مقربون وفيه تنبيه على مدحض القوم وقرئ بالتشديد لا يسبقونه بالقول لا يقولون شيئا حتى يقوله كما هو ديدن العبيد المؤدبين واصله لا يسبق قولهم قوله فنسب السبق اليهم وجعل القول محله واداته تنبيها على استهجان السبق المعرض به للقائلين على الله ما لم يقله وانيب اللام عن الاضافة اختصارا وتجافيا عن تكرير الضمير وقرئ لا يسبقونه بالضم من سابقته فسبقته اسبقه وهم بامره يعملون لا يعملون قط ما لم يأمرهم به يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم لا يخفى عليه خافية مما قدموا واخروا وهو كالعلة لما قبله والتمهيد لما بعده فانهم لاحاطته بذلك يضبطون انفسهم ويراقبون احوالهم ولا يشفعون الا لمن ارتضى ان يشفع له مهابة منه وهم من خشيته عظمته ومهابته

مشفقون مرتعدون واصل الخشية خوف مع تعظيم ولذلك خص بها
العلما والاشفاق خوف مع اعتنا فان عدي بمن فمعنى الخوف فيه اظهر
وان عدي بعلى فبالعكس ومن يقل منهم من الملائكة او من الخلائق
انى اله من دونه فذلك نجزيه جهنم يريد به نفي النبوة وادعا
ذلك عن الملائكة وتهديد المشركين بتهديد مدعي الربوبية كذلك
نجزي الظالمين من ظلم بالاشراك وادعا الربوبية اولم ير الذين
كفروا اولم يعلموا وقرا ابن كثير بغير واو ان السموات والارض كانتا
رتقا ذات رتق او مرتوقتين وهو الضم والالتحام اي كانتا شيئا واحدا
وحقيقة متحدة ففتقناهما بالتنويع والتمييز او كانت السموات
واحدة ففتقت بالتحريكات المختلفة حتى صارت افلاكا وكانت الارضون
واحدة فجعلت بالاختلاف كيفياتها واحوالها طبقات او اقاليم وقيل
كانتا بحيث لا فرجة بينهما ففرج وقيل كانتا رتقا لا تمطر ولا تنبت
ففتقناهما بالمطر والنبات فيكون المراد بالسماوات سما الدنيا
وجمعها باعتبار الافاق او السموات باسرها على ان لها مدخلا ما في
الامطار والكفرة وان لم يعلموا ذلك فهم متمكنون من العلم به نظرا
فان الفتق عارض مفتقر الى موثر واجب ابتدا او بوسط او استفسارا
من العلما ومطالعة للكتب وانما قال كانتا ولم يقل كن لان المراد جماعة
السموات وجماعة الارض وقري رتقا بالفتح على تقدير شيئا رتقا اي
مرتوقا كالرفض بمعنى المرفوض وجعلنا من الما كل شي حي وخلقنا
من الما كل حيوان كقوله والله خلق كل دابة من ما وذلك لانه لاعظم
مواده ولفرط احتياجه اليه وانتفاعه به بعينه او صيرنا كل شي
حي بسبب من الما لا يحيى دونه وقري حيا على انه صفة كل او مفعول
ثاني والظرف لغو والشي مخصوص بالحيوان افلا يؤمنون مع ظهور
الايات وجعلنا في الارض رواسي ثابتات من رسا اذا ثبت
ان تميد بهم كراهة ان تميل بهم وتضطرب وقيل لان لا تميد فحذف
لا لامن الالباس وجعلنا فيها في الارض او الرواسي فجاجا سبلا
مسالك واسعة وانما قدم فجاجا وهو وصف له ليصير حالا فيدل
على انه حين خلقها خلقها كذلك او ليبدل منها سبلا فيدل ضمنا على
انه خلقها ووسعها للسابلة مع ما يكون فيه من التوكيد لعلهم يهتدون

الى مصالحهم وجعلنا السما سقفا محفوظا عن الوقوع بقدرته او
الفساد والانحلال الى الوقت المعلوم بمشيته او استراق السمع
بالشهب وهم عن اياتها احوالها الدالة على وجود الصانع ووحدته
وكمال قدرته وتناهي حكمته التي يحس ببعضها ويبحث عن بعضها في علمي
الطبيعة والهيئة معرضون غير متفكرين وهو الذي خلق الليل والنهار
والشمس والقمر بيان لبعض تلك الايات كل في فلك اي كل واحد منهما
والتنوين بدل المضاف اليه والمراد بالفلك الجنس كقولهم كساهم الامير حلة
يسبحون يسرعون على سطح الفلك اسراع السابح على سطح الما وهو خبر كل
والجملة حال من الشمس والقمر وجاز انفرادهما بها لعدم اللبس والضمير
لهما وانما جمع باعتبار المطالع وجعل واو العقلا لان السباحة فعلهم وما جعلنا
لبشر من قبلك الخلد افان مت فهم الخالدون نزلت حين قالوا نتربص به
ريب المنون وفي معناه قوله فقل للشامتين بنا افيقوا سيلقى الشامتون
كما لقينا والفا لتعلق الشرط بما قبله والهمزة لانكاره بعدما تقرر ذلك
كل نفس ذائقة الموت ذائقة مرارة مفارقتها جسدها وهو برهان
على ما انكروه ونبلوكم ونعاملكم معاملة المختبر بالشر والخير بالبلايا
والنعم فتنة ابتلا مصدر من غير لفظه والينا ترجعون فنجازيكم
حسب ما يوجد منكم من الصبر والشكر وفيه ايما بان المقصود من هذه
الحيوة الابتلا والتعريض للثواب والعقاب تقريرا لما سبق واذا راك
الذين كفروا ان يتخذونك الا هزوا ما يتخذونك الا مهزوا
به ويقولون اهذا الذي يذكر الهتكم اي بسوء وانما اطلقه لدلالة
الحال فان ذكر العدو لا يكون الا بسوء وهم بذكر الرحمن بالتوحيد او بارشاد
الخلق ببعث الرسل وانزال الكتب رحمة عليهم او بالقران هم كافرون منكرون
فهم احق ان يهزأ بهم وتكرير الضمير للتاكيد والتخصيص ولحيلولة الصلة
بينه وبين الخبر خلق الانسان من عجل كانه خلق منه لفرط استعجاله
وقلة ثباته كقولك زيد من الكرم جعل ما طبع عليه بمنزلة المطبوع هو منه
مبالغة في لزومه له ولذلك قيل انه على القلب ومن عجلته مبادرته الى
الكفر واستعجال الوعيد روي انها نزلت في النضر بن الحارث حين استعجل
سأريكم اياتي نقماتي في الدنيا كوقعة بدر وفي الاخرة عذاب النار
فلا تستعجلون بالاتيان بها والنهي عما جبلت عليه نفوسهم ليقعدوها

عن مرادها ويقولون متى هذا الوعد وقت وعد العذاب او القيمة
ان كنتم صادقين يعنون النبي واصحابه لو يعلم الذين كفروا حين لا
يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون محذوف
الجواب وحين مفعول يعلم اي لو يعلموا الوقت الذي يستعجلون منه
بقولهم متى هذا الوعد وهو حين تحيط بهم النار من كل جانب بحيث لا
يقدرون على دفعها ولا يجدون ناصرا يمنعها لما استعجلوا ويجوز ان
يترك مفعول يعلم ويضمر لحين فعل بمعنى لو كان لهم علم لما استعجلوا
يعلمون بطلان ما هم عليه حين لا يكفون وانما وضع الظاهر فيه موضع
الضمير للدلالة على ما اوجب لهم ذلك بل تاتيهم العدة او النار او الساعة
بغتة فجاة مصدر او حال وقرئ بفتح الغين فتبهتهم فتغلبهم او تحيرهم
وقرئ الفعلان بالياء والضمير للوعد او الحين وكذا في قوله فلا يستطيعون
ردها لان الوعد بمعنى النار او العدة والحين بمعنى الساعة ويجوز ان
يكون للنار او للبغتة ولا هم ينظرون ولا يمهلون وفيه تذكير بامهالهم
في الدنيا ولقد استهزئ برسل من قبلك تسلية لرسول الله صلى الله
عليه وسلم فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزءون وعد
له بان ما يفعلونه به يحيق بهم كما حاق بالمستهزئين بالانبياء ما فعلوا
يعني جزاؤه قل يا محمد للمستهزئين من يكلؤكم يحفظكم بالليل والنهار
من الرحمن من باسه ان اراده بكم وفي لفظ الرحمن تنبيه على ان لا كالئ
غير رحمته العامة وان اندفاعه بمهلته بل هم عن ذكر ربهم معرضون
لا يخطرونه ببالهم فضلا ان يخافوا باسه حتى اذا كلئوا منه عرفوا الكالئ
وصلحوا للسؤال عنه ام لهم الهة تمنعهم من دوننا بل الهم الهة تمنعهم
من العذاب تتجاوز منعنا او من عذاب يكون من عندنا والاضرابان
عن الامر بالسؤال على الترتيب فانه عن المعرض الغافل عن الشيء بعيد
وعن المعتقد لنقيضه ابعد لا يستطيعون نصر انفسهم ولا هم منا
يصحبون استيناف بابطال ما اعتقدوه فان من لا يقدر على نصر
نفسه ولا يصحبه نصر من الله كيف ينصر غيره بل متعنا هؤلاء واباءهم
حتى طال عليهم العمر اضراب عما توهموا ببيان ما هو الداعي الى حفظهم
وهو الاستدراج والتمتيع بما قدر لهم من الاعمار او عن الدلالة
على بطلانه ببيان ما اوهمهم ذلك وهو انه تعالى متعهم بالحيوة الدنيا

واهملهم

واهملهم حتى طالت اعمارهم فحسبوا ان لا يزالوا كذلك وانه بسبب ما
هم عليه ولذلك عقبه بما يدل على انه امل كاذب فقال افلا يرون انا
ناتي الارض ارض الكفرة ننقصها من اطرافها بتسليط المسلمين عليها
وهو تصوير لما يجريه الله على ايدي المسلمين افهم الغالبون رسول الله والمؤمنين
قل انما انذركم بالوحي بما اوحي الي ولا يسمع الصم الدعاء وقرأ ابن عامر
ولا تسمع على خطاب النبي وقرئ بالياء على ان فيه ضميره وانما سماهم الصم
ووضعه موضع ضميرهم للدلالة على تصامهم وعدم انتفاعهم بما يسمعون
اذا ما ينذرون منصوب بيسمع او بالدعاء والتقييد به لان الكلام
في الانذار او للمبالغة في تصامهم وتجاسرهم ولئن مستهم نفحة ادنى
شيء وفيه مبالغات ذكر المس وما في النفحة من معنى القلة فان اصل النفح
هبوب رائحة الشيء والبناء الدال على المرة من عذاب ربك من الذي
ينذرون به ليقولن يا ويلنا انا كنا ظالمين لدعوا على انفسهم بالويل
واعترفوا عليها بالظلم ونضع الموازين القسط العدل توزن بها صحائف
الاعمال وقيل وضع الموازين تمثيل لارصاد الحساب السوي والجزاء على
حسب الاعمال بالعدل وافراد القسط لانه مصدر وصف به للمبالغة ليوم
القيمة لجزاء يوم القيمة او لاهله او فيه كقولك جئت لخمس خلون من الشهر
فلا تظلم نفس شيئا من حقه او من الظلم وان كان مثقال حبة من خردل
اي وان كان العمل او الظلم مقدار حبة ورفع نافع مثقال على كان التامة
اتينا بها احضرناها وقرئ اتينا بمعنى جازينا بها من الايتاء فانه قريب
من اعطينا او من المواتاة فانهم اتوه بالاعمال واتاهم بالجزاء او اثبنا من
الثواب وجئنا والضمير للمثقال وتانيثه لاضافته الى الحبة وكفى بنا حاسبين
اذ لا مزيد على علمنا وعدلنا ولقد اتينا موسى وهرون الفرقان وضياء
وذكرا للمتقين اي الكتاب الجامع لكونه فارقا بين الحق والباطل وضياء
يستضاء به في ظلمات الحيرة وذكرا يتعظ به المتقون او ذكر ما يحتاجون
اليه من الشرائع وقيل الفرقان النصر وقيل فلق البحر وقرئ ضياء بغير واو
على انه حال من الفرقان الذين يخشون ربهم صفة للمتقين او مدح لهم
منصوب او مرفوع بالغيب حال من الفاعل او من المفعول وهم من الساعة
مشفقون خائفون وفي تصديره الضمير وبناء الحكم عليه مبالغة وتعريض وهذا
ذكر يعني القرآن مبارك كثير خيره انزلناه على محمد افانتم له منكرون

استفهام توبيخ ولقد اتينا ابراهيم رشده الاهتداء لوجوه الصلاح
واضافته ليدل على انه رشد مثله وان له شانا وقرئ رشده وهو لغة
من قبل من قبل موسى وهرون او محمد وقيل من قبل استنبائه او بلوغه
حيث قال اني وجهت وكنا به عالمين علمنا انه اهل لما اتيناه او جامع لمحا
سن الاوصاف ومكارم الخصال وفيه اشارة الى ان فعله تعالى باختيار
وحكمة وانه عالم بالجزئيات اذ قال لابيه وقومه متعلق باتينا او برشده
او بمحذوف اي اذكر من اوقات رشده وقت قوله ما هذه التماثيل
التي انتم لها عاكفون تحقير لشانها وتوبيخ على اجلالها فان التمثال
صورة لا روح فيها لا تضر ولا تنفع واللام للاختصاص لا للتعدية
فان تعدية العكوف بعلى والمعنى وانتم فاعلون العكوف لها ويجوز ان
يأول بعلى او يضمن العكوف معنى العبادة قالوا وجدنا اباءنا لها عابدين
فقلدناهم وهو جواب عما لزم الاستفهام من السؤال عما اقتضى عبادتها
وحملهم عليها قال لقد كنتم انتم واباؤكم في ضلال مبين منخرطون
في سلك ضلال لا يخفى على عاقل لعدم استناد الفريقين الى دليل والتقليد
ان جاز فانما يجوز لمن علم في الجملة انه على حق قالوا اجئتنا بالحق ام
انت من اللاعبين فانهم لاستبعادهم تضليل اباءهم ظنوا انما قاله
على وجه الملاعبة فقالوا اتجد بقولك ام تلعب به قال بل ربكم رب
السموات والارض الذي فطرهن اضراب عن كونه لاعبا باقامة البرهان
على ما ادعاه هو من السموات والارض او للتماثيل وهو ادخل في تضليلهم
والزام الحجة عليهم وانا على ذلكم المذكور من التوحيد من الشاهدين
من المتحققين له والمبرهنين عليه فان الشاهد من تحقق الشيء وحققه
وتالله وقرئ بالباء وهي الاصل والتاء بدل من الواو المبدلة منها وفيها
تعجب لاكيدن اصنامكم لاجتهدن في كسرها ولفظ الكيد وما في
التاء من التعجب لصعوبة الامر وتوقفه على نوع من الحيل بعد ان تولوا
عنها مدبرين الى عيدكم ولعله قال ذلك سرا فجعلهم جذاذا قطاعا
فعال بمفعول كالحطام من الجذ وهو القطع وقرأ الكسائي بالكسر وهو
لغة او جمع جذيذ كخفاف وخفيف وقرئ بالضم وجذذا جمع جذيذ وجذذا
جمع جذة الا كبيرا لهم للاصنام كسر غيره واستبقاه وجعل الفاس في
عنقه لعلهم اليه يرجعون لانه غلب على ظنه انهم لا يرجعون الا

اليه

اليه لتفرده واشتهاره بعداوة الهتهم فيحاجهم بقوله بل فعله كبيرهم
فيحجهم او لانهم يرجعون الى الكبير فيسالونه عن كاسرها اذ من شان
المعبود ان يرجع اليه في حل العقد فيبكتهم بذلك او الى الله اي يرجعون
الى توحيده عند تحققهم عجز الهتهم قالوا حين رجعوا من فعل هذا بالهتنا
انه لمن الظالمين بجرأته على الالهة الحقيقة بالاعظام او بافراطه في
حطمها او بتوريط نفسه للهلاك قالوا سمعنا فتى يذكرهم يعيبهم فلعله
فعله ويذكر ثاني مفعولي سمع او صفة لفتى مصححة لان يتعلق به السمع
وهو ابلغ في نسبة الذكر اليه يقال له ابراهيم هو ابراهيم ويجوز رفعه
بالفعل لان المراد به الاسم قالوا فاتوا به على اعين الناس مرأى
منهم بحيث تتمكن صورته في اعينهم تمكن الراكب على المركوب لعلهم يشهدون
بفعله او قوله او يحضرون عقوبتنا له قالوا ءانت فعلت هذا بالهتنا
يا ابراهيم حين احضروه قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم ان
كانوا ينطقون اسند الفعل اليه تجوزا لان غيظه لما راى من زيادة
تعظيمهم له سبب لمباشرته اياه وتقريرا لنفسه مع الاستهزاء والتبكيت
على اسلوب تعريضي كما لو قال لك من لا يحسن الخط فيما كتبته بخط رشيق
انت كتبت هذا فقلت بل كتبته انت او حكاية لما يلزم من مذهبهم جوازه
وقيل انه في المعنى متعلق بقوله ان كانوا ينطقون وما بينهما اعتراض
او الى ضمير فتى او ابراهيم وقوله كبيرهم هذا مبتدأ وخبر ولذلك وقف
على فعله وما روي انه عليه السلام قال لابراهيم ثلاث كذبات تسميه
للمعاريض كذبا لما شابهت صورتها صورته فرجعوا الى انفسهم وراجعوا
عقولهم فقالوا فقال بعضهم لبعض انكم انتم الظالمون بهذا السؤال
او بعبادة ما لا ينطق ولا يضر ولا ينفع لا من ظلمتموه بقولكم انه لمن
الظالمين ثم نكسوا على رؤسهم انقلبوا الى المجادلة بعد ما استقاموا
بالمراجعة شبه عودهم الى الباطل بصيرورة اسفل الشيء مستعليا
على اعلاه وقرئ نكسوا بالتشديد ونكسوا اي نكسوا انفسهم لقد علمت
ما هؤلاء ينطقون فكيف تأمرنا بسؤالها وهو على ارادة القول قال افتعبدون
من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم انكار لعبادتهم لها بعد
اعترافهم بانها جمادات لا تنفع ولا تضر فانه ينافي الالوهية اف لكم
ولما تعبدون من دون الله تضجر منه على اصرارهم بالباطل البين واف

صوت المتضجر ومعناه قبحا ونتنا واللام لبيان المتافف له افلا تعقلون
قبح صنيعكم قالوا اخذا في المضارة لما عجزوا عن المحاجة حرقوه فان
النار اهول ما يعاقب به وانصروا الهتكم بالانتقام لها ان كنتم فاعلين
ان كنتم ناصرين لها نصرا مؤزرا والقايل فيهم رجل من اكراد فارس اسمه
هيون خسف به الارض وقيل نمرود قلنا يا نار كوني بردا وسلاما ذات
برد وسلام اي ابردي بردا غير ضار وفيه مبالغات جعل النار
المسخرة لقدرته مامورة مطيعة واقامة كوني ذات برد مقام ابردي
ثم حذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه وقيل نصب سلاما بفعله
اي وسلمنا سلاما عليه روي انهم بنوا حظيرة بكوثى وجمعوا فيها نارا
عظيمة ثم وضعوه في المنجنيق مغلولا فرموا به فيها فقال له جبريل
هل لك حاجة فقال اما اليك فلا فقال له فسل ربك فقال حسبي من
سوالي علمه بحالي فجعل الله ببركة قوله الحظيرة روضة ولم يحترق
منه الا وثاقه فاطلع عليه نمرود من الصرح فقال اني مقرب الى الهك
فذبح اربعة الاف بقرة وكف عن ابرهيم وكان اذ ذاك ابن ستة عشرة
سنة وانقلاب النار هوا طيبة ليس ببدع غير انه هكذا على خلاف
المعتاد فهو اذا من معجزاته وقيل كانت النار بحالها لكنه تعالى دفع
عنه اذاها كما ترى في السمندر ويشعر به قوله على ابرهيم وارادوا به
كيدا مكرا في اضراره فجعلناهم الاخسرين اخسر من كل خاسر لما عاد
سعيهم برهانا قاطعا على انهم على الباطل وابراهيم على الحق وموجبا
لمزيد درجته واستحقاقهم اشد ونجيناه ولوطا الى الارض التي
باركنا فيها للعالمين اي من العراق الى الشام وبركاته العامة ان
اكثر الانبيا بعثوا فيه فانتشرت في العالمين شرايعهم التي هي مبادي
الكمالات والخيرات الدينية والدنيوية وقيل كثرة النعم والخصب
الغالب روي انه نزل بفلسطين ولوط بالموتفكة وبينهما مسيرة
يوم وليلة ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة عطية فهي حال منهما
او ولد ولد او زيادة على ما سال وهو اسحق فيختص بيعقوب ولا باس
للقرينة وكلا يعني الاربعة جعلنا صالحين بان وفقناهم للصلاح
وحملناهم عليه فصاروا كاملين وجعلناهم ايمة يقتدى بهم يهدون
الناس الى الحق بامرنا لهم بذلك وارسالنا اياهم حتى صاروا مكملين

واوحينا

واوحينا اليهم فعل الخيرات ليحثوهم عليه فيتم كمالهم بانضمام
العمل الى العلم واصله ان تفعل الخيرات ثم فعلا الخيرات ثم فعل الخيرات
وكذلك واقام الصلوة وايتاء الزكوة وهو من عطف الخاص على العام
للتفضيل وحذف تا الاقامة المعوضة من احدى الالفين لقيام المضاف
اليه مقامها وكانوا لنا عابدين موحدين مخلصين في العبادة ولذلك
قدم الصلة ولوطا اتيناه حكما حكمة او نبوة او فصلا بين الخصوم
وعلما بما ينبغي علمه للانبيا ونجيناه من القرية قرية سدوم التي
كانت تعمل الخبايث يعني اللواط وصفها بصفة اهلها واسندها
اليها على حذف المضاف واقامتها مقامه ويدل عليه انهم كانوا قوم
سوء فاسقين فانه كالتعليل له وادخلناه في رحمتنا في اهل رحمتنا
او في جنتنا انه من الصالحين الذين سبقت لهم منا الحسنى ونوحا
اذ نادى اذ دعا الله على قومه بالهلاك من قبل من قبل المذكورين
فاستجبنا له دعاه فنجيناه واهله من الكرب العظيم من الطوفان
او اذى قومه والكرب الغم الشديد ونصرناه مطاوع انتصر اي جعلناه
منتصرا من القوم الذين كذبوا باياتنا انهم كانوا قوم سوء فاغرقناهم
اجمعين لاجتماع الامرين فانهما لذي الشر وانهما لم يجتمعا في قوم
الا واهلكهم الله وداود وسليمان اذ يحكمان في الحرث في الزرع
وقيل في كرم تدلت عناقيده اذ نفشت فيه غنم القوم رعته ليلا
وكنا لحكمهم شاهدين لحكم الحاكمين والمتحاكمين عالمين ففهمناها
سليمان الضمير للحكومة او للفتوى وقرئ فافهمناها روي ان داود
حكم بالغنم لصاحب الحرث فقال سليمان وهو ابن احدى عشرة سنة
غير هذا ارفق بهما امر بدفع الغنم الى اهل الحرث فينتفعون بالبانها
واولادها وشعرها والحرث الى ارباب الغنم يقومون عليه حتى يعود
الى ما كان ثم يترادان ولعلهما قالا اجتهادا والاول نظير قول ابي
حنيفة في العبد الجاني والثاني مثل قول الشافعي بغرم الحيلولة للعبد
المغصوب اذا ابق وحكمه في شرعنا عند الشافعي وجوب ضمان المتلف
بالليل اذ المعتاد ضبط الدواب ليلا وكذلك قضى النبي عليه السلام لما
دخلت ناقة البرا حايطا وافسدته فقال على اهل الاموال حفظها بالنهار
وعلى اهل الماشية حفظها بالليل وعند ابي حنيفة لا ضمان الا ان يكون

هم

معها حافظ لقوله عليه السلام جرح العجماء جبار وكلا آتينا حكما وعلما
دليل على أن خطأ المجتهد لا يقدح فيه وقيل على أن كل مجتهد مصيب وهو
مخالف لمفهوم قوله ففهمناها ولولا النقل لاحتمل توافقهما على أن قوله
ففهمناها لإظهار ما تفضل عليه في صغره وسخرنا مع داود الجبال
يسبحن يقدسن الله معه إما بلسان الحال أو بصوت يتمثل له أو بخلق
الله فيها وقيل يسرن معه من السباحة وهو حال أو استئناف لبيان و
التسخير ومع متعلقة بسخرنا أو يسبحن والطير عطف على الجبال أو مفعول
معه وقرئ بالرفع على الابتداء أو العطف على الضمير على ضعف وكنا فاعلين
لأمثاله فليس ببدع منا وإن كان عجيبا عندكم وعلمناه صنعة لبوس لكم
عمل الدرع وهو في الأصل اللباس قال البس لكل حالة لبوسها قيل كانت
صفائح فحلقها وسردها ولكم متعلق بعلم أو صفة للبوس لتحصنكم
من بأسكم بدل منه بدل الاشتمال بإعادة الجار والضمير لداود أو للبوس
وفي قراءة ابن عامر وحفص بالتاء للصنعة أو للبوس على تأويل الدرع وفي
أبي بكر ورويس بالنون لله عز وجل فهل أنتم شاكرون ذلك أمر أخرجه
في صورة الاستفهام للمبالغة والتقريع ولسليمن وسخرنا له ولعل اللام
فيه دون الأول لأن الخارق فيه عائد إلى سليمان نافع له وفي الأول
أمر يظهر في الجبال والطير مع داود وبالإضافة إليه الريح عاصفة شديدة
الهبوب من حيث إنها تبعد بكرسيه في مدة يسيرة كما قال غدوها شهر
ورواحها شهر وكانت رخاء في نفسها طيبة وقيل كانت رخاء تارة وعاصفة
أخرى حسب إرادته تجري بأمره بمشيئته حال ثانية أو بدل من الأولى
أو حال من ضميرها إلى الأرض التي باركنا فيها إلى الشام رواحا بعد
ما سار منه بكرة وكنا بكل شيء عالمين فنجريه على ما تقتضيه الحكمة
ومن الشياطين من يغوصون له في البحار ويخرجون نفائسها
ومن عطف على الريح أو مبتدأ خبره ما قبله وهي نكرة موصولة ويعملون
عملا دون ذلك ويتجاوزون ذلك إلى أعمال أخر كبناء المدن والقصور
واختراع الصنائع الغريبة كقوله يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل
وكنا لهم حافظين أن يزيغوا عن أمره أو يفسدوا على ما هو مقتضى جبلتهم
وأيوب إذ نادى ربه أني مسني الضر بأني مسني الضر وقرئ بالكسر
على إضمار القول أو تضمين النداء معناه والضر بالفتح شائع في كل ضرر

وبالضم خاص بما في النفس كمرض وهزال وأنت أرحم الراحمين وصف
ربه بغاية الرحمة بعد ما ذكر نفسه بما يوجبها واكتفى بذلك عن عرض المطلوب
لطفا في السؤال وكان روميا من ولد عيص بن إسحق استنبأه الله وكثر
أهله وماله فابتلاه الله بهلاك أولاده بهدم بيت عليهم وذهاب أمواله
والمرض في بدنه ثماني عشرة سنة أو ثلث عشرة أو سبعا وسبعة أشهر وسبع
ساعات روي أن امرأته ماخير بنت ميشا بن يوسف أو رحمة بنت
افرايثم بن يوسف قالت له يوما لو دعوت الله فقال كم كانت مدة الرخاء
فقالت ثمانين سنة فقال أستحيي من الله أن أدعوه وما بلغت مدة بلائي
مدة رخائي فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر بالشفاء من مرضه
وآتيناه أهله ومثلهم معهم بأن ولد له ضعف ما كان أو أحيي
ولده وولد له منهم نوافل رحمة من عندنا وذكرى للعابدين رحمة
على أيوب وتذكرة لغيره من العابدين ليصبروا كما صبر فيثابوا كما
أثيب أو لرحمتنا للعابدين فإنا نذكرهم بالإحسان ولا ننساهم وإسماعيل
وإدريس وذا الكفل يعني إلياس وقيل يوشع وقيل زكريا سمي به لأنه
كان ذا حظ من الله أو تكفل أمته أو له ضعف عمل أنبياء زمانه وثوابهم
والكفل يجيء بمعنى النصيب والكفالة والضعف كل أي كل هؤلاء من الصابرين
على مشاق التكاليف وشدائد النوب وأدخلناهم في رحمتنا يعني النبوة
أو نعمة الآخرة إنهم من الصالحين الكاملين في الصلاح وهم الأنبياء
فإن صلاحهم معصوم عن كدر الفساد وذا النون وصاحب الحوت
يونس بن متى إذ ذهب مغاضبا لقومه لما برم لطول دعوتهم وشدة
شكيمتهم وتمادي إصرارهم مهاجرا عنهم قبل أن يؤمر وقيل وعدهم
بالعذاب فلم يأتهم لميعادهم بتوبتهم ولم يعرف الحال فظن أنه
كذبهم وغضب من ذلك وهو من بناء المغالبة للمبالغة أو لأنه أغضبهم
بالمهاجرة لخوفهم لحوق العذاب عندها وقرئ مغضبا فظن أن لن
نقدر عليه لن نضيق عليه أو لن نقضي عليه بالعقوبة من القدر ويعضده
أنه قرئ مثقلا أو لن نعمل فيه قدرتنا وقيل هو تمثيل لحاله بحال من ظن
أن لن نقدر عليه في مراغمته قومه من غير انتظار لأمرنا أو خطرة شيطان
سبقت إلى وهمه فسمي ظنا للمبالغة وقرئ بالياء وقرأ يعقوب على البناء
للمفعول وقرئ به فنادى في الظلمات في الظلمة الشديدة المتكاثفة

او ظلمات بطن الحوت والبحر والليل ان لا اله الا انت بانه لا اله الا انت
سبحانك ان يعجزك شيء اني كنت من الظالمين لنفسي بالمبادرة الى المهاجرة
وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما من مكروب يدعو بهذا الدعاء الا
استجيب له فاستجبنا له ونجيناه من الغم بان قذفه الحوت الى الساحل
بعد اربع ساعات كان في بطنه وقيل ثلثة ايام والغم غم الالتقام
وقيل غم الخطيئة وكذلك ننجي المؤمنين من غموم دعوا الله فيها بالاخلاص
وفي الامام نجي ولذلك اخفى الجماعة النون الثانية فانها من حروف
الفم وقرا ابن عامر وابو بكر بتشديد الجيم على ان اصله ننجي فحذفت النون
الثانية كما حذفت التاء في تظاهرون وهي وان كانت فاء فحذفها اوقع
من حروف المضارعة التي لمعنى ولا يقدح فيه اختلاف حركتي النونين
فان الداعي الى الحذف اجتماع المثلين مع تعذر الادغام وامتناع الحذف
في نجا من حروف السبق وقيل هو ماض مجهول اسند الى ضمير المصدر وسكن
اخره تخفيفا ورد بانه لا يسند الى المصدر والمفعول مذكور والماضي
لا يسكن اخره وزكريا اذ نادى ربه رب لا تذرني فردا وحيدا
بلا ولد يرثني وانت خير الوارثين فان لم ترزقني من يرثني فلا ابالي
به فاستجبنا له ووهبنا له يحيى واصلحنا له زوجه اي اصلحناها
للولادة بعد عقرها او لزكريا بتحسين خلقها وكانت حردة انهم يعني
المتوالدين والمذكورين من الانبياء كانوا يسارعون في الخيرات
يبادرون الى ابواب الخير ويدعوننا رغبا ورهبا ذوي رغب
او راغبين في الثواب راجين للاجابة او في الطاعة وخائفين
العقاب او المعصية وكانوا لنا خاشعين مخبتين او وجلين
والمعنى انهم نالوا من الله ما نالوا بهذه الخصال والتي احصنت
فرجها من الحلال والحرام يعني مريم فنفخنا فيها في عيسى فيها اي
احييناه في جوفها وقيل فعلنا النفخ فيها من روحنا من الروح الذي
هو بامرنا وحده او من جهة روحنا جبريل وجعلناها وابنها اي
قصتهما او حالهما ولذلك وحد قوله اية للعالمين فان من تامل حالهما
تحقق كمال قدرة الصانع تعالى ان هذه امتكم ان ملة التوحيد
او الاسلام ملتكم التي يجب عليكم ان تكونوا عليها فكونوا عليها امة واحدة
غير مختلفة فيما بين الانبياء ولا مشاركة لغيرها في صحة الاتباع وقرئ

امتكم بالنصب على البدل وامة بالرفع على الخبر وقرئتا بالرفع على انهما
خبران وانا ربكم لا اله لكم غيري فاعبدون لا غير وتقطعوا
امرهم بينهم صرف الى الغيبة التفاتا لينعى على الذين تفرقوا في الدين
وجعلوا امره قطعا موزعة بقبيح فعلهم الى غيرهم كل من الفرق المتحزبة
الينا راجعون فنجازيهم فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن بالله
ورسله فلا كفران لسعيه فلا تضييع لسعيه استعير لمنع الثواب
كما استعير الشكر لاعطائه ونفي نفي الجنس للمبالغة وانا له لسعيه كاتبون
مثبتون في صحيفة عمله لا يضيع بوجه ما وحرام على قرية وممتنع على
اهلها غير متصور منهم توفي حرم اهلكناها حكمنا باهلاكها او وجدناها
هالكة انهم لا يرجعون رجوعهم الى التوبة او الحيوة ولا صلة او عدم
رجوعهم الى الجزاء وهو مبتدا خبره حرام او فاعل له ساد مسد خبره
او دليل عليه وتقديره توبتهم او حيوتهم او عدم بعثهم او لانهم لا يرجعون
ولا ينيبون وحرام خبر محذوف اي وحرام عليها ذاك وهو المذكور
في الاية المتقدمة ويؤيده القراءة بالكسر وقيل حرام عزم وموجب عليهم
انهم لا يرجعون حتى اذا فتحت ياجوج وماجوج متعلق بحرام
او بمحذوف دل عليه الكلام او بلا يرجعون اي يستمر الامتناع او الهلاك
او عدم الرجوع الى قيام الساعة وظهور اماراتها وهو فتح سد ياجوج
وماجوج وحتى هي التي يحكى الكلام بعدها والمحكي هي الجملة الشرطية
وقرا ابن عامر ويعقوب فتحت بالتشديد وهم يعني ياجوج وماجوج
او الناس كلهم من كل حدب نشز من الارض وقرئ جدث وهو القبر
ينسلون يسرعون من نسلان الذئب وقرئ بضم السين واقترب الوعد
الحق وهو يوم القيمة فاذا هي شاخصة ابصار الذين كفروا جواب
الشرط واذا للمفاجاة وتسد مسد الفاء الجزائية كقوله اذا هم يقنطون
فاذا جاءت الفاء معها تظاهرت على وصل الجزاء بالشرط فيتاكد والضمير
للقصة او مبهم يفسره الابصار يا ويلنا مقدر بالقول واقع موقع
الحال من الموصول قد كنا في غفلة من هذا لم نعلم انه حق بل كنا ظالمين
لانفسنا بالاخلال بالنظر وعدم الاعتداد بالنذر انكم وما تعبدون
من دون الله يحتمل الاوثان وابليس واعوانه لانهم بطاعتهم لهم في
حكم عبدتهم لما روي انه عليه الصلوة والسلام لما تلى الاية على المشركين

قال له ابن الزبعرى قد خصمتك ورب الكعبة أليس اليهود عبدوا
عزيرا والنصارى عبدوا المسيح وبنو مليح عبدوا الملائكة فقال عليه
الصلوة والسلام بل هم عبدوا الشياطين التي امرتهم بذلك فانزل
الله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الآية وعلى هذا يعم الخطاب ويكون
ما مأولا بمن او بما يعمه ويدل عليه ما روي ان ابن الزبعرى قال هذا شيء
لآلهتنا خاصة او لكل من عبد من دون الله فقال عليه السلام بل لكل
من عبد من دون الله ويكون قوله ان الذين بيانا للتجوز او التخصيص
تأخر عن الخطاب حصب جهنم ما يرمى به اليها وتهيج به من حصبه
يحصبه اذا رماه بالحصباء وقرئ بسكون الصاد وصفا بالمصدر انتم
لها واردون استيناف او بدل من حصب جهنم واللام معوضة هولاء صح
من على للاختصاص والدلالة على ان ورودهم لاجلها لو كان هؤلاء آلهة
ما وردوها لان المواخذ المعذب لا يكون الها وكل فيها خالدون
لا خلاص لهم عنها لهم فيها زفير انين وتنفس شديد وهو من اضافة
فعل البعض الى الكل للتغليب ان اريد بما يعبدون الاصنام وهم
فيها لا يسمعون من الهول وشدة العذاب وقيل لا يسمعون ما
يسرهم ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الخصلة الحسنى وهي
السعادة او التوفيق للطاعة او البشرى بالجنة اولئك عنها
مبعدون لانهم يرفعون الى اعلى عليين روي ان عليا رضي الله
عنه خطب وقرأ هذه الآية ثم قال انا منهم وابو بكر وعمر وعثمان
وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف وابو عبيدة
ابن الجراح ثم اقيمت الصلاة فقام يجر رداءه ويقول لا يسمعون حسيسها
بدل من مبعدون او حال من ضميره سيق للمبالغة في ابعادهم عنها
والحسيس صوت يحس به وهم فيما اشتهت انفسهم خالدون دائمون
في غاية التنعم وتقديم الظرف للاختصاص والاهتمام به لا يحزنهم
الفزع الاكبر النفخة الاخيرة لقوله يوم ينفخ في الصور ففزع من
في السموات ومن في الارض او الانصراف الى النار او حين يطبق على
النار او يذبح الموت وتتلقاهم الملائكة تستقبلهم مهنئين هذا يومكم
يوم ثوابكم وهو مقدر بالقول الذي كنتم توعدون في الدنيا
يوم نطوي السماء مقدر باذكر او ظرف لا يحزنهم او تتلقاهم او حال

مقدرة من العائد المحذوف من توعدون والمراد بالطي ضد النشر
او المحو من قولك اطو عني هذا الحديث وذلك لانها نشرت مظلة
لبني آدم فاذا انتقلوا قوضت عنهم وقرئ بالياء وبالتاء والبناء للمفعول
كطي السجل للكتاب طيا كطي الطومار لاجل الكتابة او لما يكتب
او كتب فيه ويدل عليه قراءة حمزة والكسائي وحفص على الجمع اي للمعاني
الكثيرة المكتوبة فيه وقيل السجل ملك يطوي كتب الاعمال اذا رفعت
اليه او كاتب كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقرئ السجل كالدلو
والسجل كالعتل وهما لغتان فيه كما بدأنا اول خلق نعيده اي نعيد
ما خلقناه مبتدأ اعادة مثل بدأنا اياه في كونهما ايجادا عن العدم او جمعا
من الاجزاء المتبددة والمقصود بيان صحة الاعادة بالقياس على الابداء
لشمول الامكان الذاتي المصحح للمقدورية وتناول القدرة القديمة
لهما على السواء وما كافة او مصدرية واول مفعول لبدأنا او مفعول
فعل يفسره نعيده او موصولة والكاف متعلقة بمحذوف يفسره نعيده
اي نعيد مثل الذي بدأناه واول خلق ظرف لبدأنا او حال من ضمير
الموصول المحذوف وعدا مقدر بفعله تأكيدا لنعيده او منتصب به لانه
عدة بالاعادة علينا اي علينا انجازه انا كنا فاعلين ذلك لا محالة
ولقد كتبنا في الزبور كتاب داود من بعد الذكر اي التوراة وقيل
المراد بالزبور جنس الكتب المنزلة وبالذكر اللوح المحفوظ ان الارض
ارض الجنة او الارض المقدسة يرثها عبادي الصالحون يعني
عامة المؤمنين او الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغار بها
او امة محمد عليه الصلوة والسلام ان في هذا اي فيما ذكر من الاخبار
والمواعظ والوعيد لبلاغا لكفاية او لسبب بلوغ الى البغية لقوم
عابدين همهم العبادة دون العادة وما ارسلناك الا رحمة للعالمين
لان ما بعثت به سبب لاسعادهم وموجب لصلاح معاشهم ومعادهم
وقيل كونه رحمة للكفار امنهم به من الخسف والمسخ وعذاب الاستيصال
قل انما يوحى الي انما الهكم اله واحد اي ما يوحى الي الا انه لا
اله لكم الا اله واحد وذلك لان المقصود الاصلي من بعثته مقصور
على التوحيد فالاولى لقصر الحكم على الشيء والثانية على العكس فهل انتم
مسلمون مخلصون العبادة لله على مقتضى الوحي المصدق بالحجة

وقد عرفت ان التوحيد مما يصح اثباته بالسمع فان تولوا عن التوحيد فقل آذنتكم اعلمتكم ما امرت به او حربي لكم على سواء مستوين في الاعلام به او مستوين انا وانتم في العلم بما اعلمتكم به او في المعاداة او ايذانا على سواء وقيل اعلمتكم اني على سواء اي عدل واستقامة راي بالبرهان المنير اليقين وان ادري وما ادري اقريب ام بعيد ما توعدون من غلبة المسلمين او الحشر لكنه كائن لا محالة انه يعلم الجهر من القول ما تجاهرون به من الطعن في الاسلام ويعلم ما تكتمون من الاحن والاحقاد للمسلمين فيجازيكم عليه وان ادري لعله فتنة لكم وما ادري لعل تاخير جزائكم استدراج لكم وزيادة في افتتانكم او امتحان لينظر كيف تعملون ومتاع الى حين وتمتيع الى اجل مقدر تقتضيه مشيئته قال رب احكم بالحق اقض بيننا وبين اهل مكة بالعدل المقتضي لاستعجال العذاب والتشديد عليهم وقرا حفص قال على حكاية قول رسول الله وقرئ رب بالضم وربي احكم على بناء التفضيل واحكم من الاحكام وربنا الرحمن كثير الرحمة على خلقه المستعان المطلوب منه المعونة على ما تصفون من الحال بان الشوكة تكون لهم وان راية الاسلام تخفق اياما ثم تسكن وان الموعود به لو كان حقا لنزل بهم فاجاب الله دعوة رسوله فخيب امانيهم ونصر رسوله عليهم وفي اقاصيص آباء وعن النبي صلعم من قرا اقترب حاسبه الله حسابا يسيرا وصافحه وسلم عليه كل نبي ذكر اسمه في القرآن

الا ست آيات من هذان خصمان الى صراط الحميد وهي ثمان وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة تحريكها للاشياء على الاسناد المجازي او تحريك الاشياء فيها فاضيفت اليها اضافة معنوية بتقدير في او اضافة المصدر الى الظرف على اجرائه مجرى المفعول به وقيل هي زلزلة تكون قبيل طلوع الشمس من مغربها واضافتها الى الساعة لانها من اشراطها شيء عظيم هائل علل امرهم بالتقوى بفظاعة الساعة ليتصوروها بعقولهم ويعلموا انه لا يؤمنهم سوى التدرع بلباس التقوى فيبقوا على انفسهم ويقوها بملازمة التقوى يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما ارضعت

تصوير لهولها والضمير للزلزلة ويوم منصوب بتذهل وقرئ تذهل مجهولا ومعروفا اي تذهلها الزلزلة والذهول الذهاب عن الامر بدهشة والمقصود الدلالة على ان هولها بحيث اذا دهشت التي القمت الرضيع ثديها نزعته عن فيه وذهلت عنه وما موصولة او مصدرية وتضع كل ذات حمل حملها جنينها وترى الناس سكارى كانهم سكارى وما هم بسكارى على الحقيقة ولكن عذاب الله شديد فارهقهم هوله بحيث طير عقولهم واذهب تمييزهم وقرئ ترى من اريتك قائما او رايتك قائما بنصب الناس ورفعه على انه نائب الفاعل وتانيثه على تاويل الجماعة وافراده بعد جمعه لان الزلزلة يراها الجميع واثر السكر انما يراه كل احد على غيره وقرا حمزة والكسائي سكرى كعطشى اجراء للسكر مجرى العلل ومن الناس من يجادل في الله بغير علم نزلت في النضر بن الحارث وكان جدلا يقول الملائكة بنات الله والقرآن اساطير الاولين ولا بعث بعد الموت وهي تعم اضرابه ويتبع في المجادلة او في عامة احواله كل شيطان مريد متجرد للفساد واصله العري كتب عليه على الشيطان انه من تولاه تبعه والضمير للشان فانه يضله خبر لمن او جواب له والمعنى كتب عليه اضلال من تولاه لانه جبل عليه وقرئ بالفتح على تقدير فشانه انه يضله لا على العطف فانه يكون بعد تمام الكلام وقرئ بالكسر في الموضعين على حكاية المكتوب او اضمار القول او تضمين الكتب معناه ويهديه الى عذاب السعير بالحمل على ما يؤدي اليه يا ايها الناس ان كنتم في ريب من البعث من امكانه وكونه مقدورا وقرئ من البعث بالتحريك كالجلب فانا خلقناكم اي فانظروا في بدء خلقكم فانه يزيح ريبكم فانا خلقناكم من تراب بخلق آدم منه او الاغذية التي يتكون منها المني ثم من نطفة مني من النطف وهو الصب ثم من علقة قطعة من الدم جامدة ثم من مضغة قطعة من اللحم وهي في الاصل قدر ما يمضغ مخلقة وغير مخلقة مسواة لا نقص فيها ولا عيب وغير مسواة او تامة وساقطة او مصورة وغير مصورة لنبين لكم بهذا التدريج قدرتنا وحكمتنا وان ما قبل التغير والفساد والتكون مرة قبلها اخرى وان من قدر على تغييره وتصويره اولا قدر على ذلك ثانيا وحذف المفعول ايماء الى ان افعاله هذه يتبين بها من قدرته وحكمته ما لا يحيط

به الذكر ونقر في الارحام ما نشاء اي نثبت الى اجل مسمى هو وقت الوضع
وادناه بعد ستة اشهر واقصاه آخر اربع سنين وقرئ ونقر بالنصب
وكذا قوله ثم نخرجكم طفلا عطفا على نبين كان خلقهم مدرجا لغرض
تبيين القدرة وتقريرهم في الارحام حتى يولدوا وينشؤوا ويبلغوا حد
التكليف ويقرآن بالياء رفعا ونصبا ويقر بالياء ونقر من قررت الماء اذا صببته
وطفلا حال اجريت على تأويل كل واحد او للدلالة على الجنس او لانه في
الاصل مصدر ثم لتبلغوا اشدكم كمالكم في القوة والعقل جمع شدة
كالانعم جمع نعمة كأنها شدة في الامور ومنكم من يتوفى عند بلوغ
الاشد او قبله وقرئ يتوفى اي يتوفاه الله ومنكم من يرد الى
ارذل العمر الهرم والخرف وقرئ بسكون الميم لكيلا يعلم من بعد
علم شيئا ليعود كهيئته الاولى في اوان الطفولية من سخافة العقل
وقلة الفهم فينسى ما علمه وينكر من عرفه والآية استدلال ثان على امكان
البعث بما يعتري الانسان في اسنانه من الامور المختلفة والاحوال المتضادة
فان من قدر على ذلك قدر على نظائره وترى الارض هامدة ميتة يابسة
من همدت النار اذا صارت رمادا فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت
تحركت بالنبات وربت وانتفخت وقرئ ربأت اي ارتفعت وانبتت
من كل زوج من كل صنف بهيج حسن رائق وهذه دلالة ثالثة كررها
الله في كتابه لظهورها وكونها مشاهدة ذلك اشارة الى ما ذكر من
خلق الانسان في اطوار مختلفة وتحويله على احوال متضادة واحياء
الارض بعد موتها وهو مبتدأ خبره بان الله هو الحق اي بسبب انه
الثابت في نفسه الذي به تتحقق الاشياء وانه يحيي الموتى وانه يقدر
على احيائها والا لما احيا النطفة والارض الميتة وانه على كل شيء
قدير لان قدرته لذاته الذي نسبته الى الكل على سواء فلما دلت
المشاهدة على قدرته على احياء بعض الاموات لزم اقتداره على احياء كلها
وان الساعة آتية لا ريب فيها فان التغير من مقدمات الانصرام
وطلائعه وان الله يبعث من في القبور بمقتضى وعده الذي لا يقبل
الخلف ومن الناس من يجادل في الله بغير علم تكرير للتأكيد ولما نيط
به من الدلالة بقوله ولا هدى ولا كتاب منير على انه لا سند
له من استدلال او وحي او الاول في المقلدين وهذا في المقلدين

والمراد بالعلم العلم الفطري ليصح عطف الهدى والكتاب عليه ثاني
عطفه متكبرا وثني العطف كناية عن التكبر كلي الجيد او معرضا عن الحق
استخفافا به وقرئ بفتح العين اي مانع تعطفه ليضل عن سبيل الله علة
للجدال وقرأ ابن كثير وابو عمرو ورويس بفتح الياء على ان اعراضه عن الهدى
المتمكن منه بالاقبال على الجدال الباطل خروج من الهدى الى الضلال
وانه من حيث مؤداه كالغرض له له في الدنيا خزي وهو ما اصابه
يوم بدر ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق المحرق وهو النار
ذلك بما قدمت يداك على الالتفات او ارادة القول اي يقال
له يوم القيامة ذلك الخزي والتعذيب بسبب ما اقترفته من الكفر والمعاصي
وان الله ليس بظلام للعبيد وانما هو مجازيهم على اعمالهم والمبالغة
لكثرة العبيد ومن الناس من يعبد الله على حرف على طرف من الدين لا
ثبات له فيه كالذي يكون على طرف الجيش فان احس بظفر قر والا فر
فان اصابه خير اطمأن به وان اصابته فتنة انقلب على وجهه روي
انها نزلت في اعاريب قدموا الى المدينة وكان احدهم اذا صح بدنه ونتجت
فرسه مهرا سويا وولدت امرأته غلاما سويا وكثر ماله وماشيته قال ما
اصبت منذ دخلت في ديني هذا الا خيرا واطمأن وان كان الامر بخلافه
قال ما اصبت الا شرا وانقلب وعن ابي سعيد ان يهوديا اسلم فاصابته
مصائب فتشاءم بالاسلام فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اقلني فقال
ان الاسلام لا يقال فنزلت خسر الدنيا والآخرة بذهاب عصمته وحبوط
عمله بالارتداد وقرئ خاسر بالنصب على الحال والرفع على الفاعلية
ووضع الظاهر موضع الضمير تنصيصا على خسرانه او على انه خبر محذوف
ذلك هو الخسران المبين اذ لا خسران مثله يدعو من دون الله ما
لا يضره وما لا ينفعه يعبد جمادا لا يضر بنفسه ولا ينفع ذلك هو
الضلال البعيد عن المقصد مستعار من ضلال من ابعد في التيه
ضلالا يدعو لمن ضره بكونه معبودا لانه يوجب القتل في الدنيا والعذاب
في الآخرة اقرب من نفعه الذي يتوقع بعبادته وهو الشفاعة والتوسل
بها الى الله واللام معلقة بيدعو من حيث انه بمعنى يزعم والزعم قول مع
اعتقاد او داخلة على الجملة الواقعة مقولا اجراء له مجرى يقول اي يقول
الكافر ذلك بدعاء وصراخ حين يرى استضراره به او مستأنفة على ان

يدعوا تكرير للاول ومن مبتدأ خبره لبئس المولى الناصر ولبئس العشير
الصاحب ان الله يدخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات
تجري من تحتها الانهار ان الله يفعل ما يريد من اثابة الموحد
الصالح وعقاب المشرك لا دافع له ولا مانع من كان يظن ان لن ينصره
الله في الدنيا والاخرة كلام فيه اختصار والمعنى ان الله ناصر رسوله
في الدنيا والاخرة فمن كان يظن خلاف ذلك ويتوقعه من غيظه وقيل
المراد بالنصر الرزق والضمير لمن فليمدد بسبب الى السماء ثم ليقطع
فليستقص في ازالة غيظه او جزعه بان يفعل كل ما يفعله الممتلى
غيظا او المبالغ جزعا حتى يمد حبلا الى سماء بيته فيختنق به من قطع
اذا اختنق فان المختنق يقطع نفسه بحبس مجاريه او فليمدد حبلا الى سماء
الدنيا ثم ليقطع به المسافة حتى يبلغ غايته فيجتهد في دفع نصره او تحصيل
رزقه وقرأ ورش وابو عمرو وابن عامر ثم ليقطع بكسر اللام فلينظر فليتصور
في نفسه هل يذهبن كيده فعله ذلك وسماه على الاول كيدا لانه منتهى
ما يقدر عليه ما يغيظ غيظه او الذي يغيظه من نصر الله وقيل نزلت
في قوم مسلمين استبطؤوا نصر الله لاستعجالهم وشدة غيظهم على المشركين
وكذلك ومثل ذلك الانزال انزلناه انزلنا القران كله ايات بينات
واضحات وان الله يهدي ولان الله يهدي به او يثبت على الهدى
من يريد هدايته او ثباته انزله كذلك مبينا ان الذين امنوا والذين
هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين اشركوا ان الله
يفصل بينهم يوم القيمة بالحكومة بينهم واظهار المحق منهم على المبطل
او الجزاء فيجازي كلا ما يليق به ويدخله المحل المعد له وانما دخلت
ان على كل واحد من طرفي الجملة لمزيد التاكيد ان الله على كل شيء شهيد
عالم به مراقب لاحواله الم تر ان الله يسجد له من في السموات ومن في
الارض يتسخر لقدرته ولا يتأبى عن تدبيره او يدل بذلته على عظمة
مدبره ومن يجوز ان يعم اولي العقل وغيرهم على التغليب فيكون قوله
والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب افردها بالذكر
لشهرتها واستبعاد ذلك منها وقرئ والدواب بالتخفيف كراهة
التضعيف او الجمع بين ساكنين وكثير من الناس عطف عليها ان جوز
اعمال اللفظ الواحد في كل واحد من مفهوميه واسناده باعتبار احدهما

الى امرين باعتبارين والاخر الى اخر فان تخصيص الكثير يدل على خصوص المعنى
وهو وضع للجبهة المسند اليهم او مبتدأ خبره محذوف دل عليه خبر
قسيمه نحو حق له الثواب او فاعل فعل مضمر اي ويسجد له كثير من الناس
سجود طاعة وكثير حق عليه العذاب بكفره وابائه عن الطاعة ويجوز
ان يجعل وكثير تكريرا للاول مبالغة في تكثير المحقوقين بالعذاب وان
يعطف به على الساجدين بالمعنى العام موصوفا بما بعده وقرئ حق بالضم
وحقا باضمار فعله ومن يهن الله بالشقاوة فما له من مكرم يكرمه
بالسعادة وقرئ بالفتح بمعنى الاكرام ان الله يفعل ما يشاء من الاكرام
والاهانة هذان خصمان اي فوجان مختصمان ولذلك قال اختصموا
حملا على المعنى ولو عكس جاز والمراد بهما المؤمنون والكافرون في ربهم
في دينه او في ذاته وصفاته وقيل تخاصمت اليهود والمؤمنون فقال
اليهود نحن احق بالله واقدم منكم كتابا ونبينا قبل نبيكم وقال المؤمنون
نحن احق بالله امنا بمحمد وبنبيكم وبما انزل الله من كتاب وانتم تعرفون
كتابنا ونبينا ثم كفرتم به حسدا فنزلت فالذين كفروا فصل لخصومتهم
وهو المعنى بقوله تعالى ان الله يفصل بينهم يوم القيمة قطعت لهم قدرت
على مقادير جثثهم وقرئ بالتخفيف ثياب من نار نيران تحيط بهم
احاطة الثياب يصب من فوق رؤسهم الحميم حال من الضمير في
لهم او خبر ثان والحميم الماء الحار يصهر به ما في بطونهم والجلود اي
يؤثر من فرط حرارته في باطنهم تاثيره في ظاهرهم فتذاب به احشاؤهم
كما تذاب به جلودهم والجملة حال من الحميم او من ضميرهم وقرئ بالتشديد
للتكثير ولهم مقامع من حديد سياط منه يجلدون بها جمع مقمعة
وحقيقتها ما يقمع به اي يكف بعنف كلما ارادوا ان يخرجوا منها
من النار من غم من غمومها بدل من الهاء باعادة الجار اعيدوا فيها
اي فخرجوا اعيدوا لان الاعادة لا تكون الا بعد الخروج وقيل
يضربهم لهيب النار فيرفعهم الى اعلاها فيضربون بالمقامع فيهوون
فيها وذوقوا اي وقيل لهم ذوقوا عذاب الحريق النار البالغة
في الاحراق ان الله يدخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات
تجري من تحتها الانهار غير الاسلوب فيه واسند الادخال الى الله
تعالى واكده بان احمادا لحال المؤمنين وتعظيما لشأنهم يحلون فيها

من حليت المرأة اذا ألبستها الحلي وقرئ بالتخفيف والمعنى واحد من أساور
صفة مفعول محذوف وأساور جمع أسورة وهي جمع سوار من ذهب
بيان له ولؤلؤا عطف عليها لا على ذهب لأنه لم يعهد السوار منه إلا
أن يراد المرصعة به ونصبه نافع وعاصم عطفا على محلها أو إضمار الناصب
مثل ويؤتون وترك أبو بكر والسوسي عن أبي عمرو الهمزة الأولى وروى
حفص بهمزتين وقرئ لؤلؤا بقلب الثانية واوا ولوليا بقلبهما واوين
ثم قلب الثانية ياء ولوليا بقلبهما ياءين ولول كادل ولباسهم فيها حرير غير
أسلوب الكلام فيه للدلالة على أن الحرير ثيابهم المعتادة أو للمحافظة
على هيئة الفواصل وهدوا إلى الطيب من القول وهو قولهم الحمد لله الذي
صدقنا أو كلمة التوحيد وهدوا إلى صراط الحميد المحمود نفسه أو عاقبته
وهو الجنة أو الحق أو المستحق لذاته الحمد وهو الله تعالى وصراطه الإسلام
إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله لا يريد به حالا ولا استقبالا
وإنما يريد استمرار الصدود منهم كقولهم فلان يعطي ويمنع ولذلك حسن
عطفه على الماضي وقيل هو حال من فاعل كفروا وخبر إن محذوف دل عليه
آخر الآية أي معذبون والمسجد الحرام عطف على سبيل الله وأوله الحنفية
بمكة واستشهدوا بقوله الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه
والباد أي المقيم فيه والطارئ على عدم جواز بيع دورها وإجارتها
وهو مع ضعفه معارض بقوله تعالى الذين أخرجوا من ديارهم وشرى عمر دار
السجن فيها من غير نكير وسواء خبر مقدم والجملة مفعول ثان لجعلناه إن جعل
للناس حالا من الهاء وإلا فحال من المستكن فيه ونصبه حفص على أنه المفعول
أو الحال والعاكف مرتفع به وقرئ العاكف بالجر على أنه بدل من الناس
ومن يرد فيه مما ترك مفعوله ليتناول كل متناول وقرئ بالفتح من الورود
بإلحاد عدول عن القصد بظلم بغير حق وهما حالان مترادفان أو الثاني
بدل من الأول بإعادة الجار أو صلة له أي ملحدا بسبب الظلم كالإشراك
واقتراف الآثام نذقه من عذاب أليم جواب لمن وإذ بوأنا لإبراهيم
مكان البيت أي واذكر إذ عيناه وجعلنا له مباءة وقيل اللام زائدة
ومكان ظرف أي وإذ أنزلناه فيه قيل رفع البيت إلى السماء وانطمس
أيام الطوفان فأعلم الله مكانه بريح أرسلها فكنست ما حوله فبناه على
أسه القديم أن لا تشرك بي شيئا وطهر بيتي للطائفين والقائمين

والركع السجود أن مفسرة لبوأنا من حيث إنه تضمن معنى تعبدنا لأن التبوئة
من أجل العبادة أو مصدرية موصولة بالنهي أي فعلنا ذلك لئلا تشرك
بعبادتي وتطهر بيتي من الأوثان والأقذار لمن يطوف به ويصلي فيه
ولعله عبر عن الصلاة بأركانها للدلالة على أن كل واحد منها مستقل
باقتضاء ذلك كيف وقد اجتمعت وقرئ يشرك بالياء وأذن في الناس ناد
فيهم وقرئ وآذن بالحج بدعوة الحج والأمر به روي أنه عليه السلام صعد
أبا قبيس فقال يا أيها الناس حجوا بيت ربكم فأسمعه الله من في أصلاب الرجال
وأرحام النساء فيما بين المشرق والمغرب ممن سبق في علمه أن يحج وقيل الخطاب
لرسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بذلك في حجة الوداع يأتوك رجالا
مشاة جمع راجل كقائم وقيام وقرئ بضم الراء مخفف الجيم ومثقله ورجالى
كعجالى وعلى كل ضامر أي وركبانا على كل بعير مهزول أتعبه بعد
الشقة فهزله يأتين صفة لضامر محمول على معناه وقرئ يأتون صفة
للرجال والركبان أو استئناف فيكون الضمير للناس من كل فج عميق طريق
بعيد وقرئ معيق يقال بئر بعيدة العمق والمعق ليشهدوا ليحضروا
منافع لهم دينية ودنيوية وتنكيرها لأن المراد بها نوع من المنافع
مخصوص بهذه العبادة ويذكروا اسم الله عند إعداد الهدايا والضحايا
وذبحها وقيل كنى بالذكر عن النحر لأن ذبح المسلمين لا ينفك عنه تنبيها
على أنه المقصود مما يتقرب به إلى الله في أيام معلومات هي عشر ذي
الحجة وقيل أيام النحر على ما رزقهم من بهيمة الأنعام علق الفعل بالمرزوق
وبينه بالبهيمة تحريضا على التقرب وتنبيها على مقتضي الذكر فكلوا منها
من لحومها أمر بذلك إباحة وإزاحة لما عليه أهل الجاهلية من التحرج
منه أو ندبا إلى مواساة الفقراء ومساواتهم وهذا في التطوع دون
الواجب وأطعموا البائس الذي أصابه بؤس أي شدة الفقير
المحتاج والأمر فيه للوجوب وقد قيل به في الأول ثم ليقضوا تفثهم
ثم ليزيلوا وسخهم بقص الشارب والأظفار ونتف الإبط والاستحداد
عند الإحلال وليوفوا نذورهم ما ينذرون من البر في حجهم وقيل
مواجب الحج وقرأ أبو بكر بفتح الواو وتشديد الفاء وليطوفوا طواف الركن
الذي به تمام التحلل فإنه قرينة قضاء التفث وقيل طواف الوداع بالبيت
العتيق القديم لأنه أول بيت وضع للناس أو المعتق من تسلط

الجبابرة فكم من جبار سار إليه ليهدمه فمنعه الله وأما الحجاج فإنما قصد
إخراج ابن الزبير منه دون التسلط عليه ذلك خبر محذوف أي الأمر
ذلك وهو وأمثاله يطلق للفصل بين كلامين ومن يعظم حرمات الله
أحكامه وسائر ما لا يحل هتكه أو الحرم وما يتعلق بالحج من التكاليف
وقيل الكعبة والمسجد الحرام والبلد الحرام والشهر الحرام والمحرم فهو خير
فالتعظيم خير له عند ربه ثوابا وأحلت لكم الأنعام إلا ما يتلى
عليكم إلا المتلو عليكم تحريمه وهو ما حرم منها لعارض كالميتة وما أهل
به لغير الله فلا تحرموا منها غير ما حرم الله كالبحيرة والسائبة فاجتنبوا
الرجس من الأوثان فاجتنبوا الرجس الذي هو الأوثان كما تجتنب الأنجاس
وهو غاية المبالغة في النهي عن تعظيمها والتنفير عن عبادتها واجتنبوا
قول الزور تعميم بعد تخصيص فإن عبادة الأوثان رأس الزور كأنه
لما حث على تعظيم الحرمات أتبعه ذلك ردا لما كانت الكفرة عليه من
تحريم البحائر والسوائب وتعظيم الأوثان والافتراء على الله بأنه حكم بذلك
وقيل شهادة الزور لما روي أنه عليه الصلوة والسلام قال عدلت
شهادة الزور الإشراك بالله ثلثا وتلا هذه الآية والزور من الزور
وهو الانحراف كما أن الإفك من الأفك وهو الصرف فإن الكذب منحرف
مصروف عن الواقع حنفاء لله مخلصين له غير مشركين به وهما حالان
من الواو ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء لأنه سقط من أوج
الإيمان إلى حضيض الكفر فتخطفه الطير فإن الأهواء المردية توزع
أفكاره وقرأ نافع وحده فتخطفه بفتح الخاء وتشديد الطاء أو تهوي به
الريح في مكان سحيق بعيد فإن الشيطان قد طوح به في الضلالة
وأو للتخيير كما في قوله أو كصيب أو للتنويع فإن المشركين من لا خلاص له من صر
أصلا ومنهم من يمكن خلاصه بالتوبة ولكن على بعد ويجوز أن يكون من
التشبيهات المركبة فيكون المعنى ومن يشرك بالله فقد هلكت نفسه هلاكا
يشبه أحد الهلاكين ذلك ومن يعظم شعائر الله دين الله أو فرائض
الحج ومواضع نسكه أو الهدايا لأنها من معالم الحج وهو أوفق لظاهر ما
بعده وتعظيمها أن يختارها سمانا غالية الأثمان روي أنه عليه الصلوة
والسلام أهدى مائة بدنة فيها جمل لأبي جهل في أنفه برة من ذهب وأن
عمر أهدى نجيبة طلبت منه بثلثمائة دينار فإنها من تقوى القلوب فإن

تعظيمها

تعظيمها الله من أفعال ذوي تقوى القلوب فحذفت هذه المضافات
والعائد إلى من وذكر القلوب لأنها منشأ التقوى والفجور والآمرة بهما
لكم فيها منافع إلى أجل مسمى ثم محلها إلى البيت العتيق أي لكم فيها
منافع درها ونسلها وصوفها وظهورها إلى أن تنحر وقت نحرها منتهية إلى
البيت أي ما يليه من الحرم وثم تحتمل التراخي في الوقت والتراخي في الرتبة
أي لكم فيها منافع دنيوية إلى وقت النحر وبعده منافع دينية أعظم منها
وهو على الأولين إما متصل بحديث الأنعام والضمير فيه لها أو المراد على الأول
لكم فيها منافع دينية تنتفعون بها إلى أجل مسمى هو الموت ثم محلها منتهية
إلى البيت الذي ترفع إليه الأعمال ويكون فيه ثوابها وهو البيت المعمور
أو الجنة وعلى الثاني لكم فيها منافع التجارات في الأسواق إلى وقت
المراجعة ثم وقت الخروج منها منتهية إلى الكعبة بالإحلال بطواف الزيارة
ولكل أمة ولكل أهل دين جعلنا منسكا متعبدا أو قربانا يتقربون
به إلى الله وقرأ حمزة والكسائي بالكسر أي موضع نسك ليذكروا اسم الله
دون غيره ويجعلوا نسكهم لوجهه علل الجعل به تنبيها على أن المقصود
من المناسك تذكر المعبود على ما رزقهم من بهيمة الأنعام عند ذبحها
وفيه تنبيه على أن القربان يجب أن يكون نعما فإلهكم إله واحد
فله أسلموا أخلصوا التقرب أو الذكر ولا تشوبوه بالإشراك وبشر المخبتين
المتواضعين أو المخلصين فإن الإخبات صفتهم الذين إذا ذكر الله وجلت
قلوبهم هيبة منه لإشراق أشعة جلاله عليها والصابرين على ما أصابهم بهم.
من المصائب والكلف والمقيمي الصلوة في أوقاتها وقرئ والمقيمين
الصلاة على الأصل ومما رزقناهم ينفقون في وجوه الخير والبدن جمع
بدنة كخشبة وخشب وأصله الضم وقد قرئ به وإنما سميت بها الإبل لعظم
بدنها مأخوذة من بدن بدانة ولا يلزم من مشاركة البقر لها في إجزائها
عن سبعة بقوله عليه الصلوة والسلام البدنة عن سبعة والبقرة عن
سبعة تناول اسم البدنة لها شرعا بل الحديث يمنع ذلك وانتصابه بفعل
يفسره جعلناها لكم ومن رفعه جعله مبتدأ من شعائر الله من أعلام
دينه التي شرعها الله لكم فيها خير دينية ودنيوية فاذكروا اسم الله
عليها بأن تقولوا عند ذبحها الله أكبر لا إله إلا الله والله أكبر اللهم منك
وإليك صواف قائمات قد صففن أيديهن وأرجلهن وقرئ صوافن من صفن

الفرس اذا قام على ثلاث قوائم وعلى طرف سنبك الرابعة لان البدنة
تعقل احدى يديها فتقوم على ثلث وصوافنا بابدال التنوين من حرف الاطلاق
عند الوقف وصوافي اي خوالص لوجه الله وصواف على لغة من يسكن اليا
مطلقا كقولهم اعط القوس باريها فاذا وجبت جنوبها سقطت على
الارض وهو كناية عن الموت فكلوا منها واطعموا القانع الراضي بما عنده
وبما يعطى من غير مسألة ويؤيده انه قرئ القنع اي السائل من قنعت اليه
قنوعا اذا خضعت له في السؤال والمعتر والمعترض بالسؤال او المعترض
بغير سؤال وقرئ والمعتري يقال عره وعراه واعتره واعتراه كذلك
مثل ما وصفنا من نحرها قياما سخرناها لكم مع عظمها وقوتها حتى تأخذوها
منقادة فتعقلوها وتحبسوها صافة قوائمها ثم تطعنون في لباتها لعلكم
تشكرون انعامنا عليكم بالتقرب والاخلاص لن ينال الله لن يصيب
رضاه ولن يقع منه موقع القبول لحومها المتصدق بها ولا دماؤها
المهراقة بالنحر من حيث انها لحوم ودماء ولكن يناله التقوى منكم ولكن
يناله ما يصحبه من تقوى قلوبكم التي تدعوكم الى تعظيم امر الله والتقرب
اليه والاخلاص له وقيل كان اهل الجاهلية اذا نحروا القرابين لطخوا
الكعبة بدمائها قربة الى الله فهم به المسلمون فنزلت كذلك سخرها
لكم كرره تذكرة للنعمة وتعليلا له بقوله لتكبروا الله اي لتعرفوا عظمته
باقتداره على ما لا يقدر عليه غيره فتوحدوه بالكبرياء وقيل هو التكبير عند
الاحلال والذبح على ما هداكم ارشدكم الى طريق تسخيرها وكيفية
التقرب بها وما يحتمل المصدرية والخبرية وعلى متعلقة بتكبروا لتضمنه
معنى الشكر وبشر المحسنين المخلصين فيما يأتونه ويذرونه ان الله
يدفع عن الذين امنوا غائلة المشركين وقرأ نافع وابن عامر والكوفيون
يدافع اي يبالغ في الدفع مبالغة من يغالب فيه ان الله لا يحب كل
خوان في امانة الله كفور لنعمته كمن يتقرب الى الاصنام بذبيحته فلا
يرتضي فعلهم ولا ينصرهم اذن رخص وقرأ ابن كثير وابن عامر وحمزة
والكسائي على البناء للفاعل وهو الله للذين يقاتلون المشركون والمأذون
فيه محذوف لدلالته عليه وقرأ نافع وابن عامر وحفص بفتح التاء اي
للذين يقاتلهم المشركون بانهم ظلموا بسبب انهم ظلموا وهم اصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم كان المشركون يؤذونهم وكانوا يأتونه من بين مضروب

ومشجوج

ومشجوج يتظلمون اليه فيقول لهم اصبروا فاني لم اومر بالقتال حتى هاجروا
نزلت وهي اول اية نزلت في القتال بعد ما نهي عنه في نيف وسبعين اية
وان الله على نصرهم لقدير وعد لهم بالنصر كما وعد بدفع اذى الكفار
عنهم الذين اخرجوا من ديارهم يعني مكة بغير حق بغير موجب استحقوا
به الا ان يقولوا ربنا الله على طريقة قول النابغة ولا عيب فيهم
غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب وقيل منقطع ولولا دفع الله
الناس بعضهم ببعض بتسليط المؤمنين منهم على الكافرين لهدمت لخربت
باستيلاء المشركين على اهل الملل وقرأ نافع دفاع وقرأ نافع وابن كثير لهدمت
بالتخفيف صوامع صوامع الرهبانية وبيع وبيع النصارى وصلوات
وكنائس اليهود سميت بها لانها يصلى فيها وقيل اصلها صلوتا بالعبرية فعربت
ومساجد ومساجد المسلمين يذكر فيها اسم الله كثيرا صفة للاربع او لمساجد
خصت بها تفضيلا ولينصرن الله من ينصره من ينصر دينه وقد انجز
وعده بان سلط المهاجرين والانصار على صناديد العرب واكاسرة العجم
وقياصرتهم واورثهم ارضهم وديارهم ان الله لقوي على نصرهم
عزيز لا يمانعه شيء الذين ان مكناهم في الارض اقاموا الصلوة واتوا
الزكوة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر وصف للذين اخرجوا وهو
ثناء قبل بلاء وفيه دليل على صحة امر الخلفاء الراشدين اذ لم يستجمع ذلك
غيرهم من المهاجرين وقيل بدل ممن ينصره ولله عاقبة الامور فان مرجعها
الى حكمه وفيه تاكيد لما وعده وان يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم
نوح وعاد وثمود وقوم ابرهيم وقوم لوط واصحاب مدين تسلية
له بان قومه ان كذبوه فهو ليس باوحدي في التكذيب فان هؤلاء قد كذبوا
رسلهم قبل قومه وكذب موسى غير فيه النظم وبني الفعل للمفعول
لان قومه بنو اسرائيل ولم يكذبوه وانما كذبه القبط ولان تكذيبه
كان اشنع واياته كانت اعظم واشيع فامليت للكافرين فامهلتهم
حتى انصرمت اجالهم المقدرة ثم اخذتهم فكيف كان نكير انكاري عليهم
بتغيير النعمة محنة والحياة هلاكا والعمارة خرابا فكأين من قرية اهلكناها
باهلاك اهلها وقرأ البصريان بغير لفظ التعظيم وهي ظالمة اي اهلها
فهي خاوية على عروشها ساقطة حيطانها على سقوفها بان تعطلت بنيانها
فخرت سقوفها ثم تهدمت حيطانها فسقطت فوق السقوف او خالية

ها

مع بقاء عروشها وسلامتها فيكون الجار متعلقا بخاوية ويجوز أن يكون
خبرا بعد خبر أي هي خالية وهي على عروشها أي مظلة عليها بأن سقطت
وبقيت الحيطان مائلة مشرفة عليها والجملة معطوفة على أهلكناها لا
على وهي ظالمة فإنها حال والإهلاك ليس حال خوائها فلا محل لها إن نصبت
كأين بمقدر يفسره أهلكناها وإن رفعته بالابتداء فمحلها الرفع وبئر معطلة
عطف على قرية أي وكم بئر عامرة في البوادي تركت لا يستقى منها لهلاك
أهلها وقرئ بالتخفيف من أعطله بمعنى عطله وقصر مشيد مرفوع أو مجصص
أخليناه عن ساكنيه وذلك يقوي أن معنى خاوية على عروشها خالية مع
بقاء عروشها وقيل المراد ببئر بئر في سفح جبل بحضرموت وبقصر قصر مشرف
على قلته كانا لقوم حنظلة بن صفوان من بقايا قوم صالح فلما قتلوه أهلكهم
الله وعطلهما أفلم يسيروا في الأرض حث لهم على أن يسافروا ليروا مصارع
المهلكين فيعتبروا وهم وإن كانوا قد سافروا فلم يسافروا لذلك فتكون
لهم قلوب يعقلون بها ما يجب أن يعقل من التوحيد بما حصل لهم من الاستبصار
والاستدلال أو آذان يسمعون بها ما يجب أن يسمع من الوحي والتذكير
بحال من شاهد آثارهم فإنها لا تعمى الأبصار الضمير للقصة أو مبهم
يفسره الأبصار وفي تعمى راجع إليه والظاهر أقيم مقامه ولكن تعمى
القلوب التي في الصدور عن الاعتبار أي ليس الخلل في مشاعرهم وإنما
أيفت عقولهم باتباع الهوى والانهماك في التقليد وذكر الصدور للتأكيد
ونفي التجوز وفضل التنبيه على أن العمى الحقيقي ليس المتعارف الذي يخص
البصر قيل لما نزلت ومن كان في هذه أعمى قال ابن أم مكتوم يا رسول الله
أنا في الدنيا أعمى أفأكون في الآخرة أعمى فنزلت ويستعجلونك بالعذاب
المتوعد به ولن يخلف الله وعده لامتناع الخلف في خبره فيصيبهم ما
أوعدهم به ولو بعد حين لكنه صبور لا يعجل بالعقوبة وإن يوما عند
ربك كألف سنة مما تعدون بيان لتناهي صبره وتأنيه حتى استقصر
المدد الطوال أو لتمادي عذابه وطول أيامه حقيقة أو من حيث إن
أيام الشدائد مستطالة وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي بالياء وكأين
من قرية وكم من أهل قرية فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه
في الإعراب ورجع الضمائر والأحكام مبالغة في التعميم والتهويل وإنما
عطف الأولى بالفاء وهذه بالواو لأن الأولى بدل من قوله فكيف كان نكير

وهذه في حكم ما تقدمها من الجملتين لبيان أن المتوعد به يحيق بهم لا محالة
وإن تأخر لعادته تعالى أمليت لها كما أمهلتكم وهي ظالمة مثلكم ثم أخذتها
بالعذاب وإلي المصير وإلى حكمي مرجع الجميع قل يا أيها الناس إنما
أنا لكم نذير مبين أوضح لكم ما أنذركم به والاقتصار على الإنذار مع
عموم الخطاب وذكر الفريقين لأن صدر الكلام ومساقه للمشركين وإنما
ذكر المؤمنين وثوابهم زيادة في غيظهم فالذين آمنوا وعملوا الصالحات
لهم مغفرة لما بدر منهم ورزق كريم هي الجنة والكريم من كل نوع ما يجمع
فضائله والذين سعوا في آياتنا بالرد والإبطال معاجزين مسابقين
مشاقين للساعين فيها بالقبول والتحقيق من عاجزه فأعجزه وعجزه إذا
سابقه فسبقه لأن كلا من المتسابقين يطلب إعجاز الآخر عن اللحاق به وقرأ
ابن كثير وأبو عمرو معجزين على أنه حال مقدرة أولئك أصحاب الجحيم النار
الموقدة وقيل اسم دركة وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الرسول
من بعثه الله بشريعة مجددة يدعو الناس إليها والنبي يعمه ومن بعثه
لتقرير شرع سابق كأنبياء بني إسرائيل الذين كانوا بين موسى وعيسى عليهما
السلام ولذلك شبه النبي صلى الله عليه وسلم علماء أمته بهم فالنبي أعم من
الرسول ويدل عليه أنه عليه الصلاة والسلام سئل عن الأنبياء فقال مائة
ألف وأربعة وعشرون ألفا قيل فكم الرسل منهم قال ثلاثمائة وثلاثة عشر جما
غفيرا وقيل الرسول من جمع إلى المعجزة كتابا عليه والنبي غير الرسول من لا كتاب
له وقيل الرسول من يأتيه الملك بالوحي والنبي يقال له ولمن يوحى إليه في المنام
إلا إذا تمنى إذا زور في نفسه ما يهواه ألقى الشيطان في أمنيته في تشهيه
ما يوجب اشتغاله بالدنيا كما قال عليه الصلاة والسلام وإنه ليغان على
قلبي فأستغفر الله في اليوم سبعين مرة فينسخ الله ما يلقي الشيطان فيبطله
ويذهب به بعصمته عن الركون إليه والإرشاد إلى ما يزيحه ثم يحكم الله آياته
ثم يثبت الله آياته الداعية إلى الاستغراق في أمر الآخرة والله عليم بأحوال
الناس حكيم فيما يفعله بهم قيل حدث نفسه بزوال المسكنة فنزلت وقيل
تمنى لحرصه على إيمان قومه أن ينزل عليه ما يقربهم إليه فاستمر به ذلك
حتى كان في ناديهم فنزلت عليه سورة والنجم فأخذ يقرؤها فلما بلغ ومناة
الثالثة الأخرى وسوس إليه الشيطان حتى سبق لسانه سهوا إلى أن قال
تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لترتجى ففرح به المشركون حتى شايعوه

بالسجود لما سجد في اخرها بحيث لم يبق في المسجد مؤمن ولا مشرك الا سجد
ثم نبهه جبريل عليه السلام فاغتم به فعزاه الله بهذه الاية وهو مردود
عند المحققين وان صح فابتلاء يتميز به الثابت على الايمان عن المتزلزل
فيه وقيل تمنى قرأ كقوله تمنى كتاب الله اول ليله تمنى داود الزبور على رسل
وامنيته قراءته والقاء الشيطان فيها ان تكلم بذلك رافعا صوته بحيث
ظن السامعون انه من قراءة النبي وقد رد ايضا بانه يخل بالوثوق على
القران ولا يندفع بقوله فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله اياته لانه
ايضا يحتمله والاية تدل على جواز السهو على الانبياء وتطرق الوسوسة
اليهم ليجعل ما يلقي الشيطان علة لتمكين الشيطان منه وذلك
يدل على ان الملقى امر ظاهر عرفه المحق والمبطل فتنة للذين في قلوبهم
مرض شك ونفاق والقاسية قلوبهم المشركون وان الظالمين يعني
الفريقين فوضع الظاهر موضع ضميرهم قضاء عليهم بالظلم لفي شقاق
بعيد عن الحق او عن الرسول والمؤمنين وليعلم الذين اوتوا العلم انه
الحق من ربك ان القران هو الحق النازل من عند الله او تمكين الشيطان
من الالقاء هو الحق الصادر من الله لانه مما جرت به عادته في جنس الانس من
لدن ادم فيؤمنوا به بالقران او بالله فتخبت له قلوبهم بالانقياد والخشية
وان الله لهادي الذين امنوا فيما اشكل الى صراط مستقيم هو نظر
صحيح يوصلهم الى ما هو الحق فيه ولا يزال الذين كفروا في مرية في
شك منه من القران او الرسول او مما القى الشيطان في امنيته يقولون
ما باله ذكرها بخير ثم ارتد عنه حتى تاتيهم الساعة القيامة او اشراطها
او الموت بغتة فجاة او ياتيهم عذاب يوم عقيم يوم حرب يقتلون
فيه كيوم بدر سمي به لان اولاد النساء يقتلون فيه فيصرن كالعقم او لان
المقاتلين ابناء الحرب فاذا قتلوا صارت عقيما فوصف اليوم بوصفها
اتساعا او لانه لا خير لهم فيه ومنه الريح العقيم لما لم تنشئ مطرا او لم تلقح
شجرا او لانه لا مثل له لقتال الملائكة فيه او يوم القيامة على ان المراد بالساعة
غيره او على وضعه موضع ضميرها للتهويل الملك يومئذ لله التنوين
فيه ينوب عن الجملة التي دلت عليه الغاية اي يوم تزول مريتهم يحكم بينهم
بالمجازاة والضمير يعم المؤمنين والكافرين لتفصيله بقوله فالذين امنوا
وعملوا الصالحات في جنات النعيم والذين كفروا وكذبوا باياتنا فاولئك

لهم عذاب مهين وادخال الفاء في خبر الثاني دون الاول تنبيه على ان
اثابة المؤمنين بالجنات تفضل من الله تعالى وان عذاب الكافرين مسبب
من اعمالهم ولذلك قال لهم عذاب ولم يقل هم في العذاب والذين هاجروا
في سبيل الله ثم قتلوا في الجهاد او ماتوا ليرزقنهم الله رزقا حسنا الجنة
ونعيمها وانما سوى بين من قتل في الجهاد ومن مات حتف انفه في الوعد
لاستوائهما في القصد واصل العمل روي ان بعض الصحابة قالوا يا نبي الله
هؤلاء الذين قتلوا قد علمنا ما اعطاهم الله من الخير ونحن نجاهد معك كما
جاهدوا فما لنا ان متنا فنزلت وان الله لهو خير الرازقين فانه يرزق
بغير حساب ليدخلنهم مدخلا يرضونه هو الجنة فيها ما يحبونه وان
الله لعليم باحوالهم واحوال معاديهم حليم لا يعاجل في العقوبة ذلك
الامر ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به ولم يزد في الاقتصاص وانما
سمي الابتداء بالعقاب الذي هو الجزاء للازدواج او لانه سببه ثم بغي عليه
بالمعاودة الى العقوبة لينصرنه الله لا محالة ان الله لعفو غفور للمنتصر
حيث اتبع هواه في الانتقام واعرض عما ندب الله اليه بقوله ولمن صبر وغفر
ان ذلك لمن عزم الامور وفيه تعريض بالحث على العفو والمغفرة فانه تعالى
مع كمال قدرته وتعالي شانه لما كان يعفو ويغفر فغيره بذلك اولى وتنبيه
على انه قادر على العقوبة اذ لا يوصف بالعفو الا القادر على ضده ذلك
اي ذلك النصر بان الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل
بسبب ان الله قادر على تغليب بعض الامور على بعض جار عادته على المداولة
بين الاشياء المتعاندة ومن ذلك ايلاج احد الملوين في الاخر بان يزيد فيه
ما ينقص منه او بتحصيل ظلمة الليل في مكان ضوء النهار بتغييب الشمس وعكس
ذلك باطلاعها وان الله سميع يسمع قول المعاقب والمعاقب بصير يرى
افعالهما فلا يهملهما ذلك الوصف بكمال القدرة والعلم بان الله هو الحق
الثابت في نفسه الواجب لذاته وحده فان وجوب وجوده ووحدته
يقتضيان ان يكون مبدأ لكل ما يوجد سواه عالما بذاته وبما عداه او
الثابت الالهية ولا يصلح لها الا من كان قادرا عالما بذاته وان ما يدعون
من دونه الهة وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر وابو بكر بالتاء على مخاطبة
المشركين وقرئ بالبناء للمفعول فيكون الواو لما فانه في معنى الالهة هو الباطل
المعدوم في حد ذاته او باطل الالوهية وان الله هو العلي على الاشياء

له

الكبير عن ان يكون له شريك لا شي اعلى منه شانا واكبر سلطانا الم تر ان
الله انزل من السما ما استفهام تقرير فلذلك رفع فتصبح الارض مخضرة
عطفا على انزل اذ لو نصب جوابا لدل على نفي الاخضرار كما في قولك الم تر اني
جئتك فتكرمني والمقصود اثباته وانما عدل به عن صيغة الماضي للدلالة
على بقاء اثر المطر زمانا بعد زمان ان الله لطيف يصل علمه او لطفه الى كل
ما جل ودق خبير بالتدابير الظاهرة والباطنة له ما في السموات وما
في الارض خلقا وملكا وان الله لهو الغني في ذاته عن كل شي الحميد المستوجب
للحمد بصفاته وافعاله الم تر ان الله سخر لكم ما في الارض جعلها مذللة
لكم معدة لمنافعكم والفلك عطف على ما او على اسم ان وقري بالرفع
على الابتدا تجري في البحر بامره حال منها او خبر ويمسك السما ان تقع
على الارض من ان تقع او كراهة ان تقع بان خلقها على صورة متداعية الى
الاستمساك الا باذنه الا بمشيته وذلك يوم القيمة وفيه رد لاستمساكها
بذاتها فانها مساوية لساير الاجسام في الجسمية فتكون قابلة للميل الهابط
قبول غيرها ان الله بالناس لرؤف رحيم حيث هيا لهم اسباب الاستدلال
وفتح عليهم ابواب المنافع ودفع عنهم انواع المضار وهو الذي احياكم
بعد ان كنتم جمادا عناصر ونطفا ثم يميتكم اذا جا اجالكم ثم يحييكم في الاخرة
ان الانسان لكفور لجحود للنعم مع ظهورها لكل امة اهل دين جعلنا
منسكا متعبدا او شريعة تعبدوا بها وقيل عيدا هم ناسكوه ينسكونه فلا
ينازعنك سائر ارباب الملل في الامر اي في امر الدين او النسايك لانهم
بين جهال واهل عناد او لان امر دينك اظهر من ان يقبل النزاع وقيل المراد
نهي الرسول عن الالتفات الى قولهم وتمكينهم من المناظرة المودية الى نزاعهم
فانها انما تنفع طالب الحق وهولا اهل مرا او عن منازعتهم كقولك لا يضاربنك
زيد وهذا انما يجوز في افعال المغالبة للتلازم وقيل نزلت في كفار خزاعة
قالوا للمسلمين ما لكم تاكلون ما قتلتم ولا تاكلون ما قتله الله وقري فلا ينزعنك
على تهييج الرسول والمبالغة في تثبيته على دينه على انه من نازعته فنزعته
اذا غلبته وادع الى ربك الى توحيده وعبادته انك لعلى هدى مستقيم
طريق الى الحق سوي وان جادلوك وقد ظهر الحق ولزمت الحجة فقل
الله اعلم بما تعملون من المجادلة الباطلة وغيرها فيجازيكم عليها وهو وعيد
فيه رفق الله يحكم بينكم يفصل بين المومنين منكم والكافرين بالثواب

والعقاب يوم القيمة كما فصل في الدنيا بالحجج والايات فيما كنتم فيه تختلفون
من امر الدين الم تعلم ان الله يعلم ما في السما والارض فلا يخفى عليه شي ان
ذلك في كتاب هو اللوح المحفوظ كتبه فيه قبل حدوثه فلا يهمنك امرهم مع
علمنا به وحفظنا له ان ذلك ان الاحاطة به واثباته في اللوح المحفوظ او الحكم
بينكم على الله يسير لان علمه مقتضى ذاته المتعلق بكل المعلومات على سوا ويعبدون
من دون الله ما لم ينزل به سلطانا حجة تدل على جواز عبادته وما ليس
لهم به علم حصل لهم من ضرورة العقل او استدلاله وما للظالمين وما للذين
ارتكبوا مثل هذا الظلم من نصير يقرر مذهبهم او يدفع العذاب عنهم واذا
تتلى عليهم اياتنا من القران بينات واضحات الدلالة على العقايد الحقة
والاحكام الالهية تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر الانكار لفرط نكيرهم
للحق وغيظهم لاباطيل اخذوها تقليدا وهذا منتهى الجهالة وللاشعار
بذلك وضع الذين كفروا موضع الضمير او ما يقصدونه من الشر يكادون
يسطون بالذين يتلون عليهم اياتنا يثبون ويبطشون بهم قل افانبئكم
بشر من ذلكم من غيظكم على التالين وسطوتكم عليهم او مما اصابكم من
الضجر بسبب ما تلوا عليكم النار اي هو النار كانه جواب سايل قال وما هو
ويجوز ان يكون مبتدا خبره وعدها الله الذين كفروا وقري بالنصب على
الاختصاص وبالجر بدلا من شر فتكون الجملة استينافا كما اذا وقعت خبرا
او حالا منها وبيس المصير النار يا ايها الناس ضرب مثل بين لكم حال
مستغربة او قصة رايعة ولذلك سماها مثلا او جعل لله مثل اي مثل في استحقاق
العبادة فاستمعوا له للمثل او لشانه استماع تدبر وتفكر ان الذين تدعون
من دون الله يعني الاصنام وقرا يعقوب بالياء وقري مبنيا للمفعول والراجع
محذوف على الاولين لن يخلقوا ذبابا لا يقدرون على خلقه مع صغره
لان لن بما فيها من تاكيد النفي دالة على منافاة ما بين المنفي والمنفي عنه والذباب
من الذب لانه يذب وجمعه اذبة وذبان ولو اجتمعوا له جوابه المقدر في
موضع حال جي بها للمبالغة اي لا يقدرون على خلقه مجتمعين له متعاونين عليه
فكيف اذا كانوا منفردين وان يسلبهم الذباب شيا لا يستنقذوه منه جهلهم
غاية التجهيل بان اشركوا الها قدر على المقدورات كلها وتفرد بايجاد الموجودات
باسرها تماثيل هي اعجز الاشيا وبين ذلك بانها لا تقدر على خلق اقل الاحيا واذلها
ولو اجتمعوا له بل لا يقدرون على هذا وهذا الاقل الاذل ويعجز عن ذبه

عن نفسها واستنقاذ ما تختطفه من عندها قيل كانوا يطلونها بالطيب والعسل
ويغلقون عليها الابواب فيدخل الذباب من الكوى فياكله ضعف الطالب
والمطلوب عابد الصنم ومعبوده او الذباب يطلب ما يسلب عن الصنم من
الطيب والصنم يطلب الذباب منه السلب او الصنم والذباب كانه يطلبه
ليستنقذ منه ما سلبه فلو حققت وجدت الصنم اضعف بدرجة ما قدروا
الله حق قدره ما عرفوه حق معرفته حيث اشركوا به وسموا باسمه ما هو ابعد
الاشياء عنه مناسبة ان الله لقوي على خلق الممكنات باسرها عزيز لا يغلبه
شيء والهتهم التي تدعونها عاجزة عن اقلها مقهورة من اذلها الله يصطفي
من الملائكة رسلا يتوسطون بينه وبين الانبياء بالوحي ومن الناس
يدعون سائرهم الى الحق ويبلغون اليهم ما نزل عليهم كانه لما قرر وحدانيته
في الالوهية ونفى ان يشاركه غيره في صفاتها بين ان له عبادا مصطفين
للرسالة يتوسل باجابتهم والاقتداء بهم الى عبادة الله سبحانه وهو اعلى
المراتب ومنتهى الدرجات لمن عداه من الموجودات تقريرا للنبوة وتزييفا
لقولهم ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى والملائكة بنات الله ونحو
ذلك ان الله سميع بصير مدرك للاشياء كلها يعلم ما بين ايديهم
وما خلفهم عالم بواقعها ومترقبها والى الله ترجع الامور واليه
مرجع الامور كلها لانه مالكها بالذات لا يسأل عما يفعل من الاصطفاء
وغيره وهم يسألون يا ايها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا اي في صلوتكم
امرهم بهما لانهم ما كانوا يفعلونهما اول الاسلام او صلوا وعبر عن الصلوة
بهما لانهما اعظم اركانها او اخضعوا لله وخروا له سجدا واعبدوا ربكم
بسائر ما تعبدكم به وافعلوا الخير وتحروا ما هو خير واصلح فيما تاتون
وتذرون كنوافل الطاعات وصلة الارحام ومكارم الاخلاق لعلكم
تفلحون اي افعلوا هذه كلها وانتم راجون الفلاح غير متيقنين له واثقين
على اعمالكم والاية اية سجدة عندنا لظاهر ما فيها من الامر بالسجود ولقوله
عليه الصلوة والسلام فضلت سورة الحج بسجدتين من لم يسجدهما فلا يقرأها
وجاهدوا في الله لله ومن اجله اعداء دينه الظاهرة كاهل الزيغ والباطنة
كالهوى والنفس وعنه عليه الصلوة والسلام انه رجع من غزوة تبوك فقال
رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر حق جهاده اي جهادا فيه
حقا خالصا لوجهه فعكس واضيف الحق الى الجهاد مبالغة كقولك هو حق

عالم واضيف الجهاد الى الضمير اتساعا او لانه مختص بالله من حيث انه
مفعول لوجه الله ومن اجله هو اجتباكم اختاركم لدينه ولنصرته وفيه
تنبيه على المقتضي للجهاد والداعي اليه وفي قوله وما جعل عليكم في الدين
من حرج اي ضيق بتكليف ما يشتد القيام به عليكم اشارة الى انه لا مانع
لهم عنه ولا عذر لهم في تركه او الى الرخصة في اغفال بعض ما امرهم به حيث
شق عليهم لقوله عليه الصلوة والسلام اذا امرتكم بشيء فاتوا منه ما
استطعتم وقيل ذلك بان جعل لهم من كل ذنب مخرجا بان رخص لهم في المضايق
وفتح عليهم ابواب التوبة وشرع لهم الكفارات في حقوقه والاروش والديات
في حقوق العباد ملة ابيكم ابراهيم منتصبة على المصدر بفعل دل
عليه مضمون ما قبلها بحذف المضاف اي وسع دينكم توسعة ملة
ابيكم او على الاغراء او على الاختصاص وانما جعله اباهم لانه ابو رسول
الله صلى الله عليه وسلم وهو كالاب لامته من حيث انه سبب لحياتهم
الابدية ووجودهم على الوجه المعتد به في الاخرة او لان اكثر العرب
كانوا من ذريته فغلبوا على غيرهم هو سماكم المسلمين من قبل القران
في الكتب المتقدمة وفي هذا اي في القران والضمير لله ويدل عليه انه
قرئ الله سماكم او لابراهيم وتسميتهم مسلمين في القران وان لم يكن منه
كان بسبب تسميته من قبل في قوله ومن ذريتنا امة مسلمة لك وقيل وفي
هذا تقديره وفي هذا بيان تسميته اياكم مسلمين ليكون الرسول يوم
القيمة متعلق بسماكم شهيدا عليكم بانه بلغكم فيدل على قبول شهادته
لنفسه اعتمادا على عصمته او بطاعة من اطاع وعصيان من عصى وتكونوا
شهداء على الناس بتبليغ الرسل اليهم فاقيموا الصلوة واتوا الزكوة
فتقربوا الى الله بانواع الطاعات لما خصكم بهذا الفضل والشرف
واعتصموا بالله وثقوا به في مجامع اموركم ولا تطلبوا الاعانة والنصرة
الا منه هو موليكم ناصركم ومتولي اموركم فنعم المولى ونعم النصير
هو اذ لا مثل له في الولاية والنصرة بل لا مولى ولا نصير سواه في الحقيقة
عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحج اعطي من الاجر كحجة حجها
وعمرة اعتمرها بعدد من حج واعتمر فيما مضى وفيما بقي

عند البصريين وثماني عشر عند الكوفيين بسم الله الرحمن الرحيم
قد أفلح المؤمنون قد فازوا بأمانيهم وقد تثبت المتوقع كما أن لما تنفيه
ويدل على ثباته إذا دخل على الماضي ولذلك تقربه من الحال ولما كان المؤمنون
متوقعين ذلك من فضل الله صدرت بها بشارتهم وقرأ ورش عن نافع قد
افلح بإلقاء حركة الهمزة على الدال وحذفها وقرئ قد أفلحوا على لغة أكلوني البراغيث
أو على الإبهام والتفسير وأُفلح اجتزاء بالضمة عن الواو وأُفلح على البناء للمفعول
الذين هم في صلاتهم خاشعون خائفون من الله متذللون له ملزمون
أبصارهم مساجدهم روي أنه عليه الصلاة والسلام كان يصلي رافعا
بصره إلى السماء فلما نزلت رمى ببصره نحو مسجده وأنه رأى رجلا يعبث بلحيته
فقال لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه والذين هم عن اللغو عما لا يعنيهم
من قول وفعل معرضون معرضون لما بهم من الجد ما شغلهم عنه وهو
أبلغ من الذين لا يلهون من وجوه جعل الجملة اسمية وبناء الحكم على الضمير
والتعبير عنه بالاسم وتقديم الصلة عليه وإقامة الإعراض مقام الترك ليدل
على بعدهم عنه رأسا مباشرة وتسببا وميلا وحضورا فإن أصله أن يكون
في عرض غير عرضه وكذلك قوله والذين هم للزكاة فاعلون وصفهم
بذلك بعد وصفهم بالخشوع في الصلاة ليدل على أنهم بلغوا الغاية
في القيام على الطاعات البدنية والمالية والتجنب عن المحرمات وسائر
ما توجب المروءة اجتنابه والزكاة تقع على المعنى والعين والمراد الأول
لأن الفاعل فاعل الحدث لا المحل الذي هو موقعه والثاني على تقدير
حذف مضاف والذين هم لفروجهم حافظون لا يبذلونها إلا على
أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم زوجاتهم أو سرياتهم وعلى صلة
لحافظين من قولك احفظ على عنان فرسي أو حال أي حفظوها في كافة
الأحوال إلا في حال التزوج أو التسري أو بفعل دل عليه غير ملومين وإنما
قال ما إجراء للمماليك مجرى غير العقلاء إذ الملك أصل شائع فيه وإفراد
ذلك بعد تعميم قوله والذين هم عن اللغو معرضون لأن المباشرة أشهى
الملاهي إلى النفس وأعظمها خطرا فإنهم غير ملومين الضمير لحافظون
أو لمن دل عليه الاستثناء أي فإن بذلوها لأزواجهم أو إمائهم فإنهم غير
ملومين على ذلك فمن ابتغى وراء ذلك المستثنى فأولئك هم العادون
الكاملون في العدوان والذين هم لأماناتهم وعهدهم لا يؤتمنون

عليه

عليه ويعاهدون من جهة الحق أو الخلق راعون قائمون بحفظها و
إصلاحها وقرأ ابن كثير هنا وفي المعارج لأمانتهم على الإفراد لأمن الإلباس
أو لأنها في الأصل مصدر والذين هم على صلواتهم يحافظون يواظبون
عليها ويؤدونها في أوقاتها ولفظ الفعل فيه لما في الصلاة من التجدد و
التكرر ولذلك جمعه غير حمزة والكسائي وليس ذلك تكريرا لما وصفهم
به أولا فإن الخشوع في الصلاة غير المحافظة عليها وفي تصدير الأوصاف
وختمها بأمر الصلاة تعظيم لشأنها أولئك الجامعون لهذه الصفات
هم الوارثون الأحقاء بأن يسموا وراثا دون غيرهم الذين يرثون
الفردوس بيان لما يرثونه وتقييد للوراثة بعد إطلاقها تفخيما لها وتأكيد
وهي مستعارة لاستحقاقهم الفردوس من أعمالهم وإن كان بمقتضى وعده مبالغة
فيه وقيل إنهم يرثون من الكفار منازلهم فيها حيث فوتوها على أنفسهم لأنه
تعالى خلق لكل إنسان منزلا في الجنة ومنزلا في النار هم فيها خالدون
أنث الضمير لأنه اسم للجنة أو لطبقتها العليا ولقد خلقنا الإنسان
من سلالة من خلاصة سلت من بين الكدر من طين متعلق بمحذوف
لأنه صفة لسلالة أو من بيانية أو بمعنى سلالة لأنها في معنى مسلولة
فتكون ابتدائية كالأولى والإنسان آدم خلق من صفوة سلت من الطين
أو الجنس فإنهم خلقوا من سلالات جعلت نطفا بعد أدوار وقيل المراد
بالطين آدم لأنه خلق منه والسلالة نطفته ثم جعلناه ثم جعلنا نسله
فحذف المضاف نطفة بأن خلقناه منها أو ثم جعلنا السلالة نطفة وتذكير
الضمير على تأويل الجوهر أو المسلول أو الماء في قرار مكين مستقر حصين
يعني الرحم وهو في الأصل صفة للمستقر وصف به المحل للمبالغة كما عبر عنه
بالقرار ثم خلقنا النطفة علقة بأن أحلنا النطفة البيضاء علقة حمرا
فخلقنا العلقة مضغة فصيرناها قطعة لحم فخلقنا المضغة عظاما
بأن صلبناها فكسونا العظام لحما مما بقي من المضغة أو مما أنبتنا عليها
مما يصل إليها واختلاف العواطف لتفاوت الاستحالات والجمع لاختلافها
في الهيئة والصلابة وقرأ ابن عامر وأبو بكر على التوحيد فيهما اكتفاء باسم
الجنس عن الجمع وقرئ بإفراد أحدهما وجمع الآخر ثم أنشأناه خلقا آخر
وهو صورة البدن أو الروح أو القوى بنفخه فيه أو المجموع وثم لما بين
الخلقين من التفاوت واحتج به أبو حنيفة على أن من غصب بيضة فأفرخت

لغة

عنه لزمه ضمان البيضة لا الفرخ لانه خلق آخر فتبارك الله فتعالى
شأنه في قدرته وحكمته احسن الخالقين المقدرين تقديرا فحذف المميز
لدلالة الخالقين عليه ثم انكم بعد ذلك لميتون لصائرون الى الموت
لا محالة ولذلك ذكر النعت الذي للثبوت دون اسم الفاعل وقد قرئ به
ثم انكم يوم القيمة تبعثون للمحاسبة والمجازاة ولقد خلقنا فوقكم
سبع طرائق سبع سموات لانها طورق بعضها فوق بعض مطارقة النعل
وكل ما فوقه مثله فهو طريقة او لانها طرق الملائكة او الكواكب فيها مسيرها
وما كنا عن الخلق عن ذلك المخلوق الذي هو السموات او عن جميع المخلوقات
غافلين مهملين امرها بل نحفظها عن الزوال والاختلال وندبر امرها حتى
يبلغ منتهى ما قدر لها من الكمال حسب ما اقتضته الحكمة وتعلقت به المشية
وانزلنا من السماء ماء بقدر بتقدير يكثر نفعه ويقل ضرره او بمقدار ما
علمنا من صلاحهم فاسكناه فجعلناه ثابتا مستقرا في الارض وانا على
ذهاب به على ازالته بالافساد او التصعيد او التعميق بحيث يتعذر استنباطه
لقادرون كما كنا قادرين على انزاله وفي تنكير ذهاب ايماء الى كثرة طرقه
ومبالغة في الايعاد به ولذلك جعل ابلغ من قوله قل ارايتم ان اصبح ماؤكم
غورا فمن ياتيكم بماء معين فانشانا لكم به بالماء جنات من نخيل
واعناب لكم فيها في الجنات فواكه كثيرة تتفكهون بها ومنها ومن
الجنات ثمارها وزروعها تاكلون تغذيا او ترزقون وتحصلون
معايشكم من قولهم فلان ياكل من حرفته ويجوز ان يكون الضميران للنخيل
والاعناب اي لكم في ثمرتها انواع من الفواكه الرطب والعنب والتمر والزبيب
والعصير والدبس وغير ذلك وطعام تاكلونه وشجرة عطف على جنات
وقرئ بالرفع على الابتداء اي ومما انشئ لكم به شجرة تخرج من طور سيناء
جبل موسى بين مصر وايلة وقيل بفلسطين وقد يقال له طور سينين ولا
يخلو من ان يكون الطور للجبل وسيناء اسم بقعة اضيف اليها او المركب
منهما علم له كامرئ القيس ومنع صرفه للتعريف والعجمة او التانيث على تاويل
البقعة لا للالف لانه فيعال كديماس من السناء بالمد وهو الرفعة او بالقصر
وهو النور او ملحق بفعلال كعلباء من السين او لا فعلال بالف التانيث بحاله
سيناء على قراءة الكوفيين والشامي ويعقوب فانه فيعال ككيسان او فعلاء
كصحراء لا فعلال اذ ليس في كلامهم وقرئ بالكسر والقصر تنبت بالدهن اي

تنبت

تنبت ملتبسا بالدهن ومستصحبا له ويجوز ان تكون الباء صلة معدية
لتنبت كما في قولك ذهبت بزيد وقرأ ابن كثير وابو عمرو ويعقوب في رواية
تنبت وهو اما من انبت بمعنى نبت كقول زهير رايت ذوي الحاجات عند
بيوتهم قطينا لهم حتى اذا انبت البقل او على تقدير تنبت زيتونها ملتبسا
بالدهن وقرئ على البناء للمفعول وهو كالاول وتثمر بالدهن وتخرج الدهن
وتنبت بالدهان وصبغ للآكلين معطوف على الدهن جار على اعرابه عطف
احد وصفي الشيء على الآخر اي تنبت بالشيء الجامع بين كونه دهنا يدهن به
ويسرج به وكونه اداما يصبغ فيه الخبز اي يغمس فيه للائتدام وقرئ وصباغ
كدباغ في دبغ وان لكم في الانعام لعبرة تعتبرون بحالها وتستدلون
بها نسقيكم مما في بطونها من الالبان او من العلف فان اللبن
يتكون منه فمن للتبعيض او للابتداء ولكم فيها منافع كثيرة في ظهورها
واصوافها وشعورها ومنها تاكلون فتنتفعون باعيانها وعليها وعلى
الانعام فان منها ما يحمل عليه كالابل والبقر وقيل المراد الابل لانها هي
المحمول عليها عندهم والمناسب للفلك فانها سفائن البر قال ذو الرمة
سفينة بر تحت خدي زمامها فيكون الضمير فيه كالضمير في وبعولتهن
احق بردهن وعلى الفلك تحملون في البر والبحر ولقد ارسلنا نوحا
الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله الى آخر القصص مسوق لبيان كفران
الناس ما عدد عليهم من النعم المتلاحقة وما حاق بهم من زوالها ما
لكم من اله غيره استيناف لتعليل الامر بالعبادة وقرأ الكسائي
غيره بالجر على اللفظ افلا تتقون افلا تخافون ان يزيل عنكم نعمه
فيهلككم ويعذبكم برفضكم عبادته الى عبادة غيره وكفرانكم نعمه التي
لا تحصونها فقال الملأ الاشراف الذين كفروا من قومه لعوامهم
ما هذا الا بشر مثلكم يريد ان يتفضل عليكم ان يطلب الفضل عليكم
ويسودكم ولو شاء الله ان يرسل رسولا لانزل ملائكة رسلا ما
سمعنا بهذا في آبائنا الاولين يعنون نوحا اي ما سمعنا به انه
نبي او ما كلمهم به من الحث على عبادة الله ونفي اله غيره او من دعوى النبوة
وذلك اما من فرط عنادهم او لانهم كانوا في فترة متطاولة ان هو الا
رجل به جنة اي جنون ولاجله يقول ذلك فتربصوا به فاحتملوه
وانتظروا حتى حين لعله يفيق من جنونه قال بعدما ايس من ايمانهم

رب انصرني باهلاكهم او بانجاز ما اوعدتهم من العذاب بما كذبون
بدل تكذيبهم اياي او بسببه فاوحينا اليه ان اصنع الفلك باعيننا
بحفظنا نحفظه ان تخطئ فيه او يفسده عليك مفسد ووحينا وامرنا
وتعليمنا كيف تصنع فاذا جاء امرنا بالركوب او نزول العذاب وفار
التنور روي انه قيل لنوح اذا فار الماء من التنور اركب انت ومن معك
فلما نبع الماء منه اخبرته امرأته فركب ومحله في مسجد الكوفة عن يمين الداخل
مما يلي باب كندة وقيل عين وردة من الشام وفيه وجوه اخر ذكرتها في
هود فاسلك فيها فادخل فيها يقال سلك فيه وسلكه غيره قال تعالى ما
سلككم في سقر من كل زوجين اثنين من كل امتي الذكر والانثى واحدين
مزدوجين وقرأ حفص من كل بالتنوين اي من كل نوع زوجين واثنين
تاكيد واهلك اي واهل بيتك او ومن آمن معك الا من سبق عليه
القول منهم اي القول من الله باهلاكه لكفره وانما جيء بعلى لان
السابق ضار كما جيء باللام حيث كان نافعا في قوله ان الذين سبقت
لهم منا الحسنى ولا تخاطبني في الذين ظلموا بالدعاء لهم بالانجاء انهم
مغرقون لا محالة لظلمهم بالاشراك والمعاصي ومن هذا شأنه لا يشفع
له ولا يشفع فيه كيف وقد امره بالحمد على النجاة منهم بهلاكهم بقوله
فاذا استويت انت ومن معك على الفلك فقل الحمد لله الذي
نجانا من القوم الظالمين كقوله فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد
لله رب العالمين وقل رب انزلني في السفينة او في الارض منزلا
مباركا يتسبب لمزيد الخير في الدارين وقرأ غير ابي بكر منزلا بمعنى انزالا
او موضع انزال وانت خير المنزلين ثناء مطابق لدعائه امره بان
يشفعه به مبالغة فيه وتوسلا به الى الاجابة وانما افرده بالامر
والمعلق به ان يستوي هو ومن معه اظهارا لفضله واشعارا بان في
دعائه مندوحة عن دعائهم فانه يحيط بهم ان في ذلك فيما فعل بنوح
وقومه لآيات يستدل بها ويعتبر اولوا الاستبصار والاعتبار وان كنا
لمبتلين لمصيبين قوم نوح ببلاء عظيم او ممتحنين عبادنا بهذه الآيات
وان هي المخففة واللام هي الفارقة ثم انشأنا من بعدهم قرنا آخرين
هم عاد او ثمود فارسلنا فيهم رسولا منهم هو هود او صالح وانما
جعل القرن موضع الارسال ليدل على انه لم يأتهم من مكان غير مكانهم

اوحى اليه وهو بين اظهرهم ان اعبدوا الله ما لكم من اله غيره تفسير
لارسلنا اي قلنا لهم على لسان الرسول اعبدوا الله افلا تتقون عذاب
الله وقال الملأ من قومه الذين كفروا لعله ذكر بالواو لان كلامهم
لم يتصل بكلام الرسول بخلاف قول قوم نوح وحيث استؤنف به فعلى
تقدير سؤال وكذبوا بلقاء الآخرة بلقاء ما فيها من الثواب والعقاب
او بمعادهم الى الحيوة الثانية بالبعث واترفناهم ونعمناهم في الحيوة
الدنيا بكثرة الاموال والاولاد ما هذا الا بشر مثلكم في الصفة
والحال يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون تقرير للمماثلة
وما خبرية والعائد الى الثاني منصوب محذوف او مجرور حذف مع
الجار لدلالة ما قبله عليه ولئن اطعتم بشرا مثلكم فيما يأمركم
انكم اذا لخاسرون حيث اذللتم انفسكم واذن جزاء للشرط وجواب
للذين قاولوهم من قومهم ايعدكم انكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما
مجردة عن اللحوم والاعصاب انكم مخرجون من الاجداث او من
العدم تارة اخرى الى الوجود وانكم تكرير للاول أكد به لما طال الفصل
بينه وبين خبره او انكم مخرجون مبتدأ خبره الظرف المقدم او فاعل
للفعل المقدر جوابا للشرط والجملة خبر الاول اي انكم اخراجكم اذا متم
او انكم اذا متم وقع اخراجكم ويجوز ان يكون خبر الاول محذوفا لدلالة
خبر الثاني عليه لا ان يكون الظرف لان اسمه جثة هيهات هيهات
بعد التصديق او الصحة لما توعدون او بعد ما توعدون واللام
للبيان كما في هيت لك كأنهم لما صوتوا بكلمة الاستبعاد قيل فما هذا
الاستبعاد قالوا لما توعدون وقيل هيهات بمعنى البعد وهو مبتدأ
خبره لما توعدون وقرئ بالفتح منونا للتنكير وبالضم منونا على انه جمع
هيهة وغير منون تشبيها بقبل وبالكسر على الوجهين وبالسكون على
لفظ الوقف وبابدال التاء هاء ان هي الا حياتنا الدنيا اصله ان
الحياة الا حياتنا الدنيا فاقيم الضمير مقام الاولى لدلالة الثانية عليها
حذرا عن التكرير واشعارا بان تعينها مغن عن التصريح بها كقوله
هي النفس ما حملتها تتحمل ومعناه لا حياة الا هذه الحياة لان ان نافية
دخلت على هي التي في معنى الحياة الدالة على الجنس فكانت مثل لا التي تنفي ما
بعدها نفي الجنس نموت ونحيا يموت بعضنا ويولد بعضنا وتتابع

بمبعوثين بعد الموت ان هو ما هو الا رجل افترى على الله كذبا فيما
يدعيه من ارساله له وفيما يعد من البعث وما نحن له بمؤمنين بمصدقين
قال رب انصرني عليهم وانتقم لي منهم بما كذبون بسبب تكذيبهم اياي
قال عما قليل عن زمان قليل وما صلة لتوكيد معنى القلة او نكرة موصوفة
ليصبحن نادمين على التكذيب اذا عاينوا العذاب فاخذتهم الصيحة
صيحة جبريل صاح عليهم صيحة هائلة تصدعت منها قلوبهم فماتوا
واستدل به على ان القرن قوم صالح بالحق بالوجه الثابت الذي لا
دافع له او بالعدل من الله كقولك فلان يقضي بالحق او بالوعد الصدق
فجعلناهم غثاء شبههم في دمارهم بغثاء السيل وهو حميله كقول العرب
سال به الوادي لمن هلك فبعدا للقوم الظالمين يحتمل الاخبار والدعاء
وبعدا مصدر بعد اذا هلك وهو من المصادر التي تنصب بافعال لا يستعمل
اظهارها واللام لبيان من دعي عليه بالبعد ووضع الظاهر موضع ضميرهم
للتعليل ثم انشانا من بعدهم قرونا اخرين يعني قوم صالح ولوط
وشعيب وغيرهم ما تسبق من امة اجلها الوقت الذي حد لهلاكها
ومن مزيدة للاستغراق وما يستاخرون الاجل ثم ارسلنا رسلنا
تترا متواترين واحدا بعد واحد من الوتر وهو الفرد والتاء بدل من
الواو كتولج وتيقور والالف للتانيث لان الرسل جماعة وقرا ابو عمرو
وابو بكر وابن كثير بالتنوين على انه مصدر بمعنى المتواترة وقع حالا
كلما جاء امة رسولها كذبوه اضاف الرسل مع الارسال الى المرسل
ومع المجيء الى المرسل اليهم لان الارسال الذي هو مبتدا الامر منه والمجيء
الذي هو منتهاه اليهم فاتبعنا بعضهم بعضا في الاهلاك وجعلناهم
احاديث لم يبق منهم الا حكايات يسمر بها وهو اسم جمع للحديث او جمع
احدوثة وهي ما يتحدث به تلهيا فبعدا لقوم لا يؤمنون ثم ارسلنا
موسى واخاه هرون باياتنا بالايات التسع وسلطان مبين وحجة
واضحة ملزمة للخصم ويجوز ان يراد به العصا وافرادها لانها اول
المعجزات وامها تعلقت بها معجزات شتى كانقلابها حية وتلقفها ما
افكته السحرة وانفلاق البحر وانفجار العيون من الحجر بضربهما بها وحراستها
ومصيرها شمعة وشجرة خضراء مثمرة ورشاء ودلوا وان يراد به المعجزات
وبالايات الحجج وان يراد بهما المعجزات فانها ايات النبوة ومعجزة بينة

على ما يدعيه النبي الى فرعون وملئه فاستكبروا عن الايمان والمتابعة
وكانوا قوما عالين متكبرين فقالوا انؤمن لبشرين مثلنا ثنى البشر
لانه يطلق للواحد كقوله بشرا سويا كما يطلق للجمع كقوله فاما ترين من
البشر احدا ولم يثن المثل لانه في حكم المصدر وهذه القصص كما ترى
تشهد بان قصارى شبه المنكرين للنبوة قياس حال الانبياء على احوالهم لما
بينهم من المماثلة في الحقيقة وفساده يظهر للمستبصر بادنى تامل فان النفوس
البشرية وان تشاركت في اصل القوى والادراك لكنها متباينة الاقدام
فيهما فكما ترى في جانب النقصان اغبياء لا يعود عليهم الفكر برشادة يمكن
ان يكون في طرف الزيادة اغنياء عن التفكر والتعلم في اكثر الاشياء واغلب
الاحوال فيدركون ما لا يدرك غيرهم ويعلمون ما لا ينتهي اليه علمهم واليه
اشار بقوله تعالى قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد
وقومهما يعني بني اسرائيل لنا عابدون خادمون منقادون كالعباد
فكذبوهما فكانوا من المهلكين من الغرق في بحر قلزم ولقد اتينا
موسى الكتاب التورية لعلهم لعل بني اسرائيل ولا يجوز عود الضمير
الى فرعون وقومه لان التورية نزلت بعد اغراقهم يهتدون الى المعارف
والاحكام وجعلنا ابن مريم وامه اية بولادتها اياه من غير مسيس فالاية
امر واحد مضاف اليهما او جعلنا ابن مريم اية بان تكلم في المهد وظهرت
منه معجزات اخر وامه اية بان ولدت من غير مسيس فحذفت الاولى
لدلالة الثانية عليها واويناهما الى ربوة الى ارض بيت المقدس فانها
مرتفعة او دمشق او رملة فلسطين او مصر فان قراها على ربا وقرا ابن
عامر وعاصم بفتح الراء وقرئ رباوة بالضم والكسر ذات قرار مستقر من ارض
منبسطة وقيل ذات ثمار وزروع فان ساكنيها يستقرون فيها لاجلها
ومعين وماء معين ظاهر جار على وجه الارض فعيل من معن الماء اذا جرى
واصله الابعاد في الشيء او من الماعون وهو المنفعة لانه نفاع او مفعول
من عانه اذا ادركه بعينه لانه لظهوره مدرك بالعيون وصف ماؤها
بذلك لانه الجامع لاسباب التنزه وطيب المكان يا ايها الرسل كلوا من
الطيبات نداء وخطاب لجميع الانبياء لا على انهم خوطبوا بذلك دفعة
لانهم ارسلوا في ازمنة مختلفة بل على معنى ان كلا منهم خوطب به
في زمانه فيدخل عيسى دخولا اوليا ويكون ابتداء الكلام ذكر تنبيها

على ان تهيئة اسباب التنعم لم تكن له خاصة وان اباحة الطيبات للانبيا
شرع قديم واحتجاجا على الرهبانية في رفض الطيبات او حكاية لما ذكر
لعيسى وامه عند ايوائهما الى الربوة ليقتديا بالرسل في تناول ما رزقا
وقيل النداء له ولفظ الجمع للتعظيم والطيبات ما يستلذ من المباحات وقيل
الحلال الصافي القوام فالحلال ما لا يعصى الله فيه والصافي ما لا ينسى
الله فيه والقوام ما يمسك النفس ويحفظ العقل واعملوا صالحا فانه المقصود
منكم والنافع عند ربكم اني بما تعملون عليم فاجازيكم عليه وان هذه
اي ولان هذه والمعلل به فاتقون او واعلموا ان هذه وقيل انه معطوف
على ما تعملون وقرا ابن عامر بالتخفيف والكوفيون بالكسر على الاستئناف امتكم
امة واحدة ملتكم ملة واحدة اي متحدة في العقائد واصول الشرايع او
جماعتكم جماعة واحدة متفقة على الايمان والتوحيد في العبادة ونصب
امة على الحال وانا ربكم فاتقون في شق العصا ومخالفة الكلمة فتقطعوا
امرهم بينهم تقطعوا امر دينهم وجعلوه اديانا مختلفة او فتفرقوا
وتحزبوا وامرهم منصوب بنزع الخافض او التمييز والضمير لما دل عليه
الامة من اربابها او لها زبرا قطعا جمع زبور الذي بمعنى الفرقة ويؤيده
القراءة بفتح الباء فانه جمع زبرة وهو حال من امرهم او من الواو او مفعول
ثان لتقطعوا فانه متضمن معنى جعل وقيل كتبا من زبرت الكتاب فيكون
مفعولا ثانيا او حالا من امرهم او على تقدير مثل كتب وقرئ بتخفيف الباء
كرسل في رسل كل حزب من المتحزبين بما لديهم من الدين فرحون معجبون
معتقدون انهم على الحق فذرهم في غمرتهم في جهالتهم شبهها بالماء
الذي يغمر القامة لانهم مغمورون فيها او لاعبون بها وقرئ في غمراتهم
حتى حين الى ان يقتلوا او يموتوا ايحسبون انما نمدهم به ان ما نعطيهم
ونجعله مددا لهم من مال وبنين بيان لما وليس خبرا له فانه غير معاتب
عليه وانما المعاتب اعتقادهم ان ذلك خير لهم فخبره نسارع لهم في
الخيرات والراجع محذوف والمعنى ايحسبون ان الذي نمدهم به نسارع
به لهم فيما فيه خيرهم واكرامهم بل لا يشعرون بل هم كالبهائم لا فطنة
لهم ولا شعور ليتاملوا فيعلموا ان ذلك الامداد استدراج لا مسارعة
في الخير وقرئ يمدهم على الغيبة وكذلك يسارع ويسرع ويحتمل ان يكون
فيهما ضمير الممد به ويسارع مبنيا للمفعول ان الذين هم من خشية ربهم

من خوف عذابه مشفقون حذرون والذين هم بآيات ربهم المنصوبة
والمنزلة يؤمنون بتصديق مدلولها والذين هم بربهم لا يشركون
شركا جليا ولا خفيا والذين يؤتون ما آتوا يعطون ما اعطوه من الصدقات
وقرئ يأتون ما أتوا اي يفعلون من الطاعات وقلوبهم وجلة خائفة
ان لا يقبل منهم وان لا يقع على الوجه اللائق فيؤاخذ به انهم الى ربهم
راجعون لان مرجعهم اليه او ان مرجعهم وهو يعلم ما يخفى عليهم اولئك
يسارعون في الخيرات يرغبون في الطاعات اشد الرغبة فيبادرونها
او يسارعون في نيل الخيرات الدنيوية الموعودة على صالح الاعمال بالمبادرة
اليها كقوله فآتاهم الله ثواب الدنيا فيكون اثباتا لهم ما نفي عن اضدادهم
وهم لها سابقون لاجلها فاعلون السبق او سابقون الناس الى الطاعة
او الثواب او الجنة او سابقوها اي ينالونها قبل الآخرة حيث عجلت لهم في
الدنيا كقوله هم لها عاملون ولا نكلف نفسا الا وسعها قدر طاقتها
يريد به التحريض على ما وصف به الصالحين وتسهيله على النفوس ولدينا
كتاب يعني اللوح او صحيفة الاعمال ينطق بالحق بالصدق لا يوجد فيه
ما يخالف الواقع وهم لا يظلمون بزيادة عقاب او نقصان ثواب بل
قلوبهم قلوب الكفرة في غمرة في غفلة غامرة لها من هذا من الذي
وصف به هؤلاء او من كتاب الحفظة ولهم اعمال خبيثة من دون ذلك
متجاوزة لما وصفوا به او متخطية عما هم عليه من الشرك هم لها عاملون معتادون
فعلها حتى اذا اخذنا مترفيهم متنعميهم بالعذاب يعني القتل يوم بدر
او الجوع حين دعا عليهم الرسول فقال اللهم اشدد وطأتك على مضر
واجعلها عليهم سنين كسني يوسف فقحطوا حتى اكلوا الكلاب والجيف والعظام
المحترقة اذا هم يجأرون فاجأوا الصراخ بالاستغاثة وهو جواب
الشرط والجملة مبتدأة بعد حتى ويجوز ان يكون الجواب لا تجأروا اليوم
فانه مقدر بالقول اي قيل لهم لا تجأروا اليوم انكم منا لا تنصرون
تعليل للنهي اي لا تجأروا فانه لا ينفعكم اذ لا تمنعون منا او لا يلحقكم نصر
ومعونة من جهتنا قد كانت آياتي تتلى عليكم يعني القرآن فكنتم على
اعقابكم تنكصون تعرضون مدبرين عن سماعها وتصديقها والعمل
بها والنكوص الرجوع قهقرى مستكبرين به الضمير للبيت وشهرة استكبارهم
وافتخارهم بانهم قوامه اغنت عن سبق ذكره او لآياتي فانها بمعنى كتابي

والبا متعلقة بمستكبرين لانه بمعنى مكذبين ولان استكبارهم على المسلمين
حدث بسبب استماعه او بقوله سامرا اي تسمرون بذكر القران والطعن
فيه وهو في الاصل مصدر جاء على لفظ الفاعل كالعاقبة وقرئ سمّرا جمع
سامر تهجرون من الهجر بالفتح اما بمعنى القطيعة او الهذيان اي تعرضون
عن القران او تهذون في شانه والهجر بالضم الفحش ويؤيد الثاني قراءة نافع
تهجرون من اهجر وقرئ تهجّرون على المبالغة افلم يدبروا القول اي
القران ليعلموا انه الحق من ربهم باعجاز لفظه ووضوح مدلوله ام جاءهم
ما لم يات اباءهم الاولين من الرسول والكتاب او من الامن من عذاب
الله فلم يخافوا كما خاف اباؤهم الاقدمون كاسمعيل واعقابه فامنوا به وبكتبه
ورسله واطاعوه ام لم يعرفوا رسولهم بالامانة والصدق وحسن
الخلق وكمال العلم مع عدم التعلم الى غير ذلك مما هو صفة الانبيا فهم له
منكرون دعواه لاحد هذه الوجوه اذ لا وجه له غيرها فان انكار
الشي قطعا او ظنا انما يتجه اذا ظهر امتناعه بحسب النوع او الشخص او بحث
عما يدل عليه اقصى ما يمكن فلم يوجد ام يقولون به جنة فلا يبالون
بقوله وكانوا يعلمون انه ارجحهم عقلا واتقنهم نظرا بل جاءهم بالحق
واكثرهم للحق كارهون لانه يخالف شهواتهم واهواءهم فلذلك
انكروه وانما قيد الحكم بالاكثر لانه كان منهم من ترك الايمان استنكافا
من توبيخ قومه او لقلة فطنته وعدم فكرته لا كراهة للحق ولو اتبع الحق
اهواءهم بان كان في الواقع الهة شتى لفسدت السموات والارض
ومن فيهن كما سبق تقريره في قوله لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا
وقيل لو اتبع الحق اهواءهم وانقلب باطلا لذهب ما قام به العالم
فلا يبقى او لو اتبع الحق الذي جاء به محمد اهواءهم وانقلب شركا لجاء الله
بالقيمة واهلك العالم من فرط غضبه او لو اتبع الله اهواءهم بان انزل
ما يشتهونه من الشرك والمعاصي لخرج عن الالوهية ولم يقدر ان يمسك
السموات والارض وهو على اصل المعتزلة بل اتيناهم بذكرهم بالكتاب
الذي هو ذكرهم اي وعظهم او صيتهم او الذكر الذي تمنوه بقولهم لو ان
عندنا ذكرا من الاولين وقرئ بذكراهم فهم عن ذكرهم معرضون
لا يلتفتون اليه ام تسالهم قيل انه قسيم قوله ام به جنة خرجا اجرا على
اداء الرسالة فخراج ربك رزقه في الدنيا او ثوابه في العقبى خير

لسعته ودوامه ففيه مندوحة لك عن عطائهم والخرج بازاء الدخل يقال
لكل ما تخرجه الى غيرك والخراج غالب في الضريبة على الارض ففيه اشعار
بالكثرة واللزوم فيكون ابلغ ولذلك عبر عن عطاء الله اياه وقرأ ابن عامر
خرجا فخرج وحمزة والكسائي خراجا فخراج للمزاوجة وهو خير الرازقين
تقرير لخيرية خراجه وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم تشهد العقول
السليمة على استقامته لا عوج فيه يوجب اتهامهم له واعلم انه سبحانه
وتعالى الزمهم الحجة وازاح العلة في هذه الايات بان حصر اقسام
ما يؤدي الى الانكار والاتهام وبين انتفاءها ما عدا كراهة الحق وقلة
الفطنة وان الذين لا يؤمنون بالاخرة عن الصراط عن الصراط السوي
لناكبون لعادلون عنه فان خوف الاخرة اقوى البواعث على طلب
الحق وسلوك طريقه ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر يعني القحط
للجوا لثبتوا واللجاج التمادي في الشي في طغيانهم افراطهم في الكفر والاستكبار
عن الحق وعداوة الرسول والمومنين يعمهون عن الهدى روي انهم قحطوا
حتى اكلوا العلهز فجاء ابو سفيان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
انشدك الله والرحم الست تزعم انك بعثت رحمة للعالمين قتلت الاباء
بالسيف والابناء بالجوع فنزلت ولقد اخذناهم بالعذاب يعني القتل
يوم بدر فما استكانوا لربهم وما يتضرعون بل اقاموا على عتوهم
واستكبارهم واستكان استفعل من الكون لان المفتقر انتقل من كون الى
كون او افتعل من السكون اشبعت فتحته وليس من عادتهم التضرع وهو
استشهاد على ما قبله حتى اذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد يعني
الجوع فانه اشد من الاسر والقتل اذا هم فيه مبلسون متحيرون
ايسون من كل خير حتى جاءك اعتاهم يستعطفك وهو الذي انشأ
لكم السمع والابصار لتحسوا بها ما نصب من الايات والافئدة
لتتفكروا فيها وتستدلوا بها الى غير ذلك من المنافع الدينية والدنيوية
قليلا ما تشكرون تشكرونها شكرا قليلا لان العمدة في شكرها استعمالها
فيما خلقت لاجله والاذعان لمانحها من غير اشراك وما صلة للتاكيد وهو
الذي ذراكم في الارض خلقكم وبثكم فيها بالتناسل واليه تحشرون تجمعون
يوم القيمة بعد تفرقكم وهو الذي يحيي ويميت وله اختلاف الليل
والنهار مختص به تعاقبهما لا يقدر عليه غيره فيكون رد النسبة الى الشمس

حقيقة او لامره وقضائه تعاقبهما او انتقاص احدهما وازدياد الاخر
افلا تعقلون بالنظر والتامل ان الكل منا وان قدرتنا تعم الممكنات
كلها وان البعث من جملتها وقرئ بالياء على ان الخطاب السابق لتغليب
المؤمنين بل قالوا اي كفار مكة مثل ما قال الاولون اباؤهم ومن دان
بدينهم قالوا ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون استبعادا
ولم يتاملوا انهم كانوا قبل ذلك ايضا ترابا فخلقوا لقد وعدنا نحن
واباؤنا هذا من قبل ان هذا الا اساطير الاولين الا اكاذيبهم التي
كتبوها جمع اسطورة لانه يستعمل فيما يتلهى به كالاعاجيب والاضاحيك وقيل
جمع اسطار جمع سطر قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون ان
كنتم من اهل العلم او من العالمين بذلك فيكون استهانة بهم وتقريرا لفرط
جهالتهم حتى جهلوا مثل هذا الجلي الواضح والزاما بما لا يمكن لمن له مسكة
من العلم انكاره ولذلك اخبر عن جوابهم قبل ان يجيبوا فقال سيقولون لله
لان العقل الصريح قد اضطرهم بادنى نظر الى الاقرار بانه خالقها قل اي
بعد ما قالوه افلا تذكرون فتعلموا ان من فطر الارض ومن فيها ابتداء
قدر على ايجادها ثانيا فان بدء الخلق ليس اهون من اعادته وقرئ تتذكرون
على الاصل قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم فانها
اعظم من ذلك سيقولون لله قرا ابو عمرو ويعقوب بغير لام فيه وفيما بعده
على ما يقتضيه لفظ السؤال قل افلا تتقون عقابه فلا تشركوا به بعض مخلوقاته
ولا تنكروا قدرته على بعض مقدوراته قل من بيده ملكوت كل شيء ملكه
غاية ما يمكن وقيل خزائنه وهو يجير يغيث من يشاء ويحرسه ولا يجار عليه
ولا يغاث احد ولا يمنع منه وتعديته بعلى لتضمن معنى النصرة ان كنتم تعلمون
سيقولون لله قل فانى تسحرون فمن اين تخدعون وتصرفون عن الرشد
مع ظهور الامر وتظاهر الادلة بل اتيناهم بالحق من التوحيد والوعد
بالنشور وانهم لكاذبون حيث انكروا ذلك ما اتخذ الله من ولد
لتقدسه عن مماثلة احد وما كان معه من اله يساهمه في الالوهية اذا لذهب
كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض جواب محاجتهم وجزاء شرط
حذف لدلالة ما قبله عليه اي لو كان معه الهة كما تقولون لذهب كل واحد
منهم بما خلقه واستبد به وامتاز ملكه عن ملك الاخرين ووقع بينهم التحارب
والتغالب كما هو حال ملوك الدنيا فلم يكن بيده وحده ملكوت كل شيء واللازم

باطل بالاجماع والاستقراء وقيام البرهان على استناد جميع الممكنات الى واجب
واحد سبحان الله عما يصفون من الولد والشريك لما سبق من الدليل
على فساده عالم الغيب والشهادة خبر مبتدا محذوف وقد جره ابن كثير
وابن عامر وابو عمرو ويعقوب وحفص على الصفة وهو دليل اخر على نفي
الشريك بناء على توافقهم في انه المتفرد بذلك ولهذا رتب عليه فتعالى عما
يشركون بالفاء قل رب اما تريني ان كان لا بد من ان تريني لان ما والنون
للتاكيد ما يوعدون من العذاب في الدنيا والاخرة رب فلا تجعلني في
القوم الظالمين قرينا لهم في العذاب وهو اما لهضم النفس او لان شؤم الظلمة
قد يحيق بمن وراءهم كقوله واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة
عن الحسن ان الله تعالى اخبر نبيه ان له في امته نقمة ولم يطلعه على وقتها فامره
بهذا الدعاء وتكرير النداء وتصدير كل واحد من الشرط والجزاء به فضل تضرع
وجؤار وانا على ان نريك ما نعدهم لقادرون لكنا نؤخره علما بان
بعضهم او بعض اعقابهم يؤمنون او لانا لا نعذبهم وانت فيهم ولعله
رد لانكارهم الموعود واستعجالهم له استهزاء به وقيل قد اراه وهو قتل بدر
او فتح مكة ادفع بالتي هي احسن السيئة وهو الصفح عنها والاحسان في مقابلتها
لكن بحيث لم يؤد الى وهن في الدين وقيل هي كلمة التوحيد والسيئة الشرك
وقيل هو الامر بالمعروف والسيئة المنكر وهو ابلغ من ادفع بالحسنة السيئة
لما فيه من التنصيص على التفضيل نحن اعلم بما يصفون بما يصفونك به او بوصفهم
اياك على خلاف حالك واقدر على جزائهم فكل الينا امرهم وقل رب
اعوذ بك من همزات الشياطين وساوسهم واصل الهمز النخس ومنه
مهماز الرائض شبه حثهم الناس على المعاصي بهمز الراضة الدواب على المشي
والجمع للمرات او لتنوع الوساوس او لتعدد المضاف اليه واعوذ بك رب
ان يحضرون يحوموا حولي في شيء من الاحوال وتخصيص حال الصلاة
وقراءة القران وحلول الاجل لانها احرى الاحوال بان يخاف عليه حتى
اذا جاء احدهم الموت متعلق بيصفون وما بينهما اعتراض لتاكيد الاغضاء
بالاستعاذة بالله من الشيطان ان يزله عن الحلم ويغريه على الانتقام او بقوله
انهم لكاذبون قال تحسرا على ما فرط فيه من الايمان والطاعة لما اطلع على
الامر رب ارجعون ردوني الى الدنيا والواو لتعظيم المخاطب وقيل
لتكرير قوله ارجعني كما قيل في قفا قفا اطرقا لعلي اعمل صالحا فيما تركت

في الايمان الذي تركته اي لعلي اتي بالايمان واعمل فيه وقيل في المال
او في الدنيا وعنه عليه الصلوة والسلام اذا عاين المومن الملائكة قالوا
انرجعك الى الدنيا فيقول الى دار الهموم والاحزان بل قدوما الى الله تعالى
واما الكافر فيقول رب ارجعون كلا ردع عن طلب الرجعة واستبعاد لها
انها كلمة يعني قوله رب ارجعون الى اخره والكلمة الطائفة من الكلام
المنتظم بعضها مع بعض هو قائلها لا محالة لتسلط الحسرة عليه ومن
ورائهم امامهم والضمير للجماعة برزخ حائل بينهم وبين الرجعة
الى يوم يبعثون يوم القيمة وهو اقناط كلي عن الرجوع الى الدنيا لما
علم انه لا رجعة يوم البعث الى الدنيا وانما الرجوع فيه الى حياة تكون في
الاخرة فاذا نفخ في الصور لقيام الساعة والقراءة بفتح الواو وبه وبكسر
الصاد يويد ان الصور ايضا جمع الصورة فلا انساب بينهم تنفعهم
لزوال التعاطف والتراحم من فرط الحيرة واستيلاء الدهشة بحيث يفر
المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه او يفتخرون بها يومئذ كما يفعلون
اليوم ولا يتساءلون ولا يسال بعضهم بعضا لاشتغاله بنفسه وهو لا
يناقض قوله واقبل بعضهم على بعض يتساءلون لانه عند النفخة وذلك
عند المحاسبة او دخول اهل الجنة الجنة والنار النار فمن ثقلت موازينه
موزونات عقائده واعماله اي فمن كانت له عقائد واعمال صالحة يكون لها
وزن عند الله وقدر فاولئك هم المفلحون الفائزون بالنجاة والدرجات
ومن خفت موازينه ولم يكن له ما يكون له وزن وهم الكفار لقوله
فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا فاولئك الذين خسروا انفسهم غبنوها
حيث ضيعوا زمان استكمالها وابطلوا استعدادها لنيل كمالها في جهنم
خالدون بدل من الصلة او خبر ثان لاولئك تلفح وجوههم النار تحرقها
واللفح كالنفح الا انه اشد تاثيرا وهم فيها كالحون من شدة الاحتراق
والكلوح تقلص الشفتين عن الاسنان وقرئ كلحون الم تكن اياتي تتلى
عليكم على اضمار القول اي يقال لهم الم تكن فكنتم بها تكذبون تا
وتذكير لهم بما استحقوا هذا العذاب لاجله قالوا ربنا غلبت علينا
شقوتنا ملكتنا بحيث صارت احوالنا مودية الى سوء العاقبة
وقرا حمزة والكسائي شقاوتنا بالفتح كالسعادة وقرئ بالكسر كالكتابة
وكنا قوما ضالين عن الحق ربنا اخرجنا منها من النار فان عدنا الى

التكذيب فانا ظالمون لانفسنا قال اخسؤا فيها اسكتوا سكوت هوان
فانها ليست مقام سوال من خسات الكلب اذا زجرته فخسا ولا تكلمون
في رفع العذاب او لا تكلمون راسا قيل ان اهل النار يقولون الف سنة
ربنا ابصرنا وسمعنا فيجابون حق القول مني فيقولون الفا ربنا امتنا
اثنتين فيجابون ذلكم بانه اذا دعي الله وحده فيقولون الفا يا مالك
ليقض علينا ربك فيجابون انكم ماكثون فيقولون الفا ربنا اخرنا الى
اجل قريب فيجابون اولم تكونوا اقسمتم من قبل فيقولون الفا ربنا اخرجنا
نعمل صالحا فيجابون اولم نعمركم فيقولون الفا رب ارجعون فيجابون
اخسؤا فيها ثم لا يكون لهم الا زفير وشهيق وعواء انه ان الشان وقرئ
بالفتح اي لانه كان فريق من عبادي يعني المومنين وقيل الصحابة وقيل
اهل الصفة يقولون ربنا امنا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الراحمين
فاتخذتموهم سخريا هزوا وقرا نافع وحمزة والكسائي هنا وفي ص بالضم
وهما مصدر سخر زيدت فيهما ياء النسب للمبالغة وعند الكوفيين المكسور
بمعنى الهزء والمضموم من السخرة بمعنى الانقياد والعبودية حتى انسوكم ذكري
من فرط تشاغلكم بالاستهزاء بهم فلم تخافوني في اوليائي وكنتم منهم تضحكون
استهزاء بهم اني جزيتهم اليوم بما صبروا على اذاكم انهم هم الفائزون
فوزهم بمجامع مراداتهم مخصوصين به وهو ثاني مفعولي جزيتهم وقرا
حمزة والكسائي بالكسر استينافا قال اي الله او الملك المامور بسوالهم
وقرا ابن كثير وحمزة والكسائي قل على الامر للملك او لبعض روساء اهل النار
كم لبثتم في الارض احياء وامواتا في القبور عدد سنين تمييز لكم قالوا
لبثنا يوما او بعض يوم استقصارا لمدة لبثهم فيها بالنسبة الى خلودهم
في النار او لانها كانت ايام سرورهم وايام السرور قصار او لانها منقضية
والمنقضي في حكم المعدوم فاسال العادين الذين يتمكنون من عد ايامها
ان اردت تحقيقها فانا لما نحن فيه من العذاب مشغولون عن تذكرها
واحصائها او الملائكة الذين يعدون اعمار الناس ويحصون اعمالهم وقرئ
العادين بالتخفيف اي الظلمة فانهم يقولون ما نقول والعادين اي القدماء
المعمرين فانهم ايضا يستقصرون قال وفي قراءة حمزة والكسائي قل ان
لبثتم الا قليلا لو انكم كنتم تعلمون تصديق لهم في مقالهم
افحسبتم انما خلقناكم عبثا توبيخ على تغافلهم وعبثا حال بمعنى عابثين

او مفعول له اي لم نخلقكم تلهيا بكم وانما خلقناكم لنتعبدكم ونجازيكم
على اعمالكم وهو كالدليل على البعث وانكم الينا لا ترجعون معطوف
على انما خلقناكم او عبثا وقرا حمزة والكسائي ويعقوب بفتح التا وكسر الجيم
فتعالى الله الملك الحق الذي يحق له الملك مطلقا فان من عداه مملوك
بالذات مالك بالعرض من وجه دون وجه وفي حال دون حال لا اله
الا هو فان من عداه عبيده رب العرش الكريم الذي يحيط بالاجرام
وينزل منه محكمات الاقضية والاحكام ولذلك وصفه بالكرم او لنسبته
الى اكرم الاكرمين وقرئ بالرفع على انه صفة الرب ومن يدع مع الله
الها اخر يعبده افرادا او اشراكا لا برهان له به صفة اخرى لاله لازمة
له فان الباطل لا برهان به جي بها للتاكيد وبنا الحكم عليه تنبيها على ان
التدين بما لا دليل عليه ممنوع فضلا عما دل الدليل على خلافه او اعتراض
بين الشرط والجزا لذلك فانما حسابه عند ربه فهو مجاز له مقدار ما
يستحقه انه لا يفلح الكافرون ان الشان وقرئ بالفتح على التعليل او
الخبر اي حسابه عدم الفلاح بدا السورة بتقرير فلاح المومنين وختمها
بنفي الفلاح عن الكافرين ثم امر رسوله بان يستغفره ويسترحمه فقال
وقل رب اغفر وارحم وانت خير الراحمين عن النبي صلى الله عليه
وسلم من قرا سورة المومنين بشرته الملايكة بالروح والريحان وما
تقر به عينه عند نزول ملك الموت وعنه عليه الصلوة والسلام انه
قال لقد انزلت علي عشر ايات من اقامهن دخل الجنة ثم قرا قد افلح المومنون
حتى ختم العشر وروي ان اولها واخرها من كنوز الجنة من عمل بثلاث
ايات من اولها واتعظ باربع من اخرها فقد نجا وافلح

بسم الله الرحمن الرحيم سورة اي هذه سورة او فيما اوحينا
اليك سورة انزلناها صفتها ومن نصبها جعله مفسرا لناصبها فلا يكون
له محل الا اذا قدر اتل او دونك ونحوه وفرضناها وفرضنا ما فيها من
الاحكام وشدده ابن كثير وابو عمرو لكثرة فرايضها او المفروض عليهم
او للمبالغة في ايجابها وانزلنا فيها ايات بينات واضحات الدلالة
لعلكم تذكرون فتتقون المحارم وقرئ بتخفيف الذال الزانية

والزاني اي فيما انزلنا او فرضنا حكمهما وهو الجلد ويجوز ان يرفعا
بالابتدا والخبر فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة والفا لتضمنهما معنى
الشرط اذ اللام بمعنى الذي وقريا بالنصب على اضمار فعل يفسره الظاهر وهو
احسن من نصب سورة للامر والزان بلا يا وانما قدم الزانية لان الزنا
في الاغلب يكون بتعرضها للرجل وعرض نفسها عليه ولان مفسدته تتحقق
بالاضافة اليها والجلد ضرب الجلد وهو حكم يخص من ليس بمحصن لما دل
على ان حد المحصن هو الرجم وزاد الشافعي عليه تغريب الحر سنة لقوله عليه
الصلوة والسلام البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام وليس في الاية ما يدفعه
لينسخ احدهما بالاخر نسخا مقبولا او مردودا وله في العبد ثلاثة اقوال و
الاحصان بالحرية والبلوغ والعقل والاصابة في نكاح صحيح واعتبرت
الحنفية الاسلام ايضا وهو مردود برجمه عليه الصلوة والسلام يهوديين
ولا يعارضه من اشرك بالله فليس بمحصن اذ المراد المحصن الذي يقتص له من المسلم
ولا تاخذكم بهما رافة رحمة في دين الله في طاعته واقامة حده فتعطلوه
او تسامحوا فيه ولذلك قال عليه الصلوة والسلام لو سرقت فاطمة بنت محمد
لقطعت يدها وقرا ابن كثير بفتح الهمزة وقريت بالمد على فعالة ان كنتم تومنون
بالله واليوم الاخر فان الايمان يقتضي الجد في طاعة الله والاجتهاد في اقامة
احكامه وهو من باب التهييج وليشهد عذابهما طايفة من المومنين زيادة
في التنكيل فان التفضيح قد ينكل اكثر مما ينكل التعذيب والطايفة فرقة يمكن
ان تكون حافة حول شي من الطوف واقلها ثلثة وقيل واحد او اثنان والمراد
جمع يحصل به التشهير الزاني لا ينكح الا زانية او مشركة والزانية لا ينكحها
الا زان او مشرك اذ الغالب ان المايل الى الزنا لا يرغب في نكاح الصوالح
والمسافحة لا يرغب فيها الصلحا فان المشاكلة علة الالفة والتضام والمخالفة
سبب للنفرة والافتراق وكان حق المقابلة ان يقال والزانية لا تنكح الا من
زان او مشرك لكن المراد بيان احوال الرجال في الرغبة فيهن لان الاية نزلت
في ضعفة المهاجرين لما هموا ان يتزوجوا بغايا يكرين انفسهن لينفقن عليهم
من اكتسابهن على عادة الجاهلية ولذلك قدم الزاني وحرم ذلك على المومنين
لانه تشبه بالفساق وتعرض للتهمة وتسبب لسوء المقالة والطعن في النسب
وغير ذلك من المفاسد ولذلك عبر عنه بالتحريم مبالغة وقيل النفي
بمعنى النهي وقد قرئ به والحرمة على ظاهرها والحكم مخصوص بالسبب الذي

ورحمه او منسوخ بقوله وانكحوا الايامى منكم فانه يتناول المسافحات
ويؤيده انه عليه الصلوة والسلام سئل عن ذلك فقال اوله سفاح واخره
نكاح والحرام لا يحرم الحلال وقيل المراد بالنكاح الوطي فيؤول الى نهي الزنا
عن الزنا الا بزانية والزانية ان يزني بها الا زان وهو فاسد والذين
يرمون المحصنات يقذفونهن بالزنا لوصف المقذوفات بالاحصان
وذكرهن عقيب الزواني واعتبار اربعة شهدا بقوله ثم لم ياتوا باربعة
شهدا فاجلدوهم ثمانين جلدة والقذف بغيره مثل يا فاسق ويا شارب
الخمر يوجب التعزير كقذف غير المحصن والاحصان ههنا بالحرية والبلوغ
والعقل والاسلام والعفة عن الزنا ولا فرق فيه بين الذكر والانثى وتخصيص
المحصنات لخصوص الواقعة او لان قذف النسا اغلب واشنع ولا يشترط
اجتماع الشهود عند الادا ولا يعتبر شهادة زوج المقذوفة خلافا لابي
حنيفة ولكن ضربه اخف من ضرب الزنا لضعف سببه واحتماله ولذلك
نقص عدده ولا تقبلوا لهم شهادة اي شهادة كانت لانه مفتر وقيل شهادتهم
في القذف ولا يتوقف ذلك على استيفا الجلد خلافا لابي حنيفة فان الامر
بالجلد والنهي عن القبول سيان في وقوعهما جوابا للشرط لا ترتيب بينهما
فيترتبان عليه دفعة كيف وحاله قبل الجلد اسوء مما بعده ابدا ما
لم يتب وعند ابي حنيفة الى اخر عمره واولئك هم الفاسقون المحكوم
بفسقهم الا الذين تابوا من بعد ذلك عن القذف واصلحوا اعمالهم
بالتدارك ومنه الاستسلام للحد او الاستحلال عن المقذوف والاستثنا
راجع الى اصل الحكم وهو اقتضا الشرط لهذه الامور ولا يلزم سقوط الحد
به كما قيل لان من تمام التوبة الاستسلام له او الاستحلال ومحل المستثنى النصب
على الاستثنا وقيل الى النهي ومحله الجر على البدل منهم في لهم وقيل الى الاخيرة
ومحله النصب لانه عن موجب وقيل منقطع متصل بما بعده فان الله غفور رحيم
علة للاستثنا والذين يرمون ازواجهم ولم يكن لهم شهدا الا انفسهم
نزلت في هلال بن امية راى رجلا على فراشه وانفسهم بدل من شهدا
او صفة لهم على ان الا بمعنى غير فشهادة احدهم اربع شهادات فالواجب
شهادة احدهم او فعليهم شهادة احدهم واربع نصب على المصدر وقد
رفعه حمزة والكسائي وحفص على انه خبر شهادة بالله متعلق بشهادات
لانها اقرب وقيل بشهادة لتقدمها انه لمن الصادقين اي فيما رماها

به من الزنا واصله على انه بحذف الجار وكسر ان وعلق العامل عنه
باللام تاكيدا والخامسة والشهادة الخامسة ان لعنة الله عليه ان
كان من الكاذبين في الرمي وقرأ نافع ويعقوب بالتخفيف في الموضعين
هذا لعان الرجل وحكمه سقوط حد القذف عنه وحصول الفرقة بينهما
بنفسه فرقة فسخ عندنا لقوله عليه الصلوة والسلام المتلاعنان لا يجتمعان
ابدا وبتفريق الحاكم فرقة طلاق عند ابي حنيفة ونفي الولد ان تعرض له فيه
وثبوت حد الزنا على المراة لقوله ويدرؤ عنها العذاب اي الحد
ان تشهد اربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين فيما رماني به
والخامسة ان غضب الله عليها ان كان من الصادقين في ذلك
ورفع الخامسة بالابتدا وما بعدها الخبر او بالعطف على ان تشهد ونصبها
حفص عطفا على اربع وقرأ نافع ويعقوب ان لعنة الله وان غضب الله بتخفيف
النون فيهما ورفع التاء وكسر الضاد من غضب ورفع الهاء من اسم الله والباقون
بتشديد النون ونصب التاء وفتح الضاد وجر الهاء ولولا فضل الله عليكم
ورحمته وان الله تواب حكيم متروك الجواب للتعظيم اي لفضحكم
وعاجلكم بالعقوبة ان الذين جاؤا بالافك بابلغ ما يكون من الكذب
من الافك وهو الصرف لانه قول مافوك عن وجهه والمراد ما افك به على
عائشة رضي الله عنها وذلك انه عليه الصلوة والسلام استصحبها في بعض
الغزوات فاذن ليلة بالقفول بالرحيل فمشت لقضاء حاجة ثم عادت الى
الرحل فلمست صدرها فاذا عقد من جزع ظفار قد انقطع فرجعت لتلتمسه
فظن الذي كان يرحلها انها دخلت في الهودج فرحله على مطيتها وسار
فلما عادت الى منزلها لم تجد ثم احدا فجلست كي يرجع اليها منشد وكان
صفوان بن معطل السلمي قد عرس وراء الجيش فادلج فاصبح عند منزلها فعرفها
فاناخ راحلته فركبتها فقادها حتى اتيا الجيش فاتهمت به عصبة منكم
جماعة منكم وهي من العشرة الى الاربعين وكذلك العصابة يريد عبد الله
ابن ابي وزيد بن رفاعة وحسان بن ثابت ومسطح بن اثاثة وحمنة
بنت جحش ومن ساعدهم وهي خبر ان وقوله لا تحسبوه شرا لكم
مستانف والخطاب للرسول وابي بكر وعائشة وصفوان والهاء للافك
بل هو خير لكم لاكتسابكم به الثواب العظيم وظهور كرامتكم على الله بانزال
ثماني عشرة اية في براءتكم وتعظيم شانكم وتهويل الوعيد لمن تكلم فيكم والثنا

قون

على من طعن بكم خيرا لكل امرئ منهم ما اكتسب من الاثم لكل جزاء ما
اكتسب بقدر ما خاض فيه مختصا به والذي تولى كبره معظمه وقرا
يعقوب بالضم وهو لغة فيه منهم من الخائضين وهو ابن ابي فانه بدا
به واذاعه عداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم او هو وحسان ومسطح
فانهما شايعاه بالتصريح به والذي بمعنى الذين له عذاب عظيم في الآخرة
او في الدنيا بان جلدوا وصار ابن ابي مطرودا مشهورا بالنفاق وحسان
اعمى اشل اليدين ومسطح مكفوف البصر لولا هلا اذ سمعتموه ظن المؤمنون
والمؤمنات بانفسهم خيرا بالذين منهم من المؤمنين والمؤمنات
لقوله ولا تلمزوا انفسكم وانما عدل فيه من الخطاب الى الغيبة مبالغة
في التوبيخ واشعارا بان الايمان يقتضي ظن الخير بالمؤمنين والكف عن الطعن
فيهم وذب الطاعنين كما يذبونهم عن انفسهم وانما جاز الفصل بين لولا
وفعله بالظرف لانه منزل منزلته من حيث انه لا ينفك عنه ولذلك يتسع
فيه ما لا يتسع في غيره وذلك لان ذكر الظرف اهم فان التحضيض على ان
لا يخلوا باوله وقالوا هذا افك مبين كما يقول المستيقن المطلع على
الحال لولا جاءوا عليه باربعة شهداء فاذ لم ياتوا بالشهداء فاولئك
عند الله هم الكاذبون من جملة المقول تقريرا لكونه كذبا فان ما لا
حجة عليه كذب عند الله اي في حكمه ولذلك رتب الحد عليه ولولا فضل
الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة لولا هذه لامتناع الشيء
لوجود غيره والمعنى لولا فضل الله عليكم في الدنيا بانواع النعم التي من
جملتها الامهال للتوبة ورحمته في الآخرة بالعفو والمغفرة المقدران
لكم لمسكم عاجلا فيما افضتم فيه خضتم فيه عذاب عظيم يستحقر دونه
اللوم والجلد اذ ظرف لمسكم او افضتم تلقونه بالسنتكم ياخذه بعضكم
من بعض بالسؤال عنه يقال تلقى القول وتلقنه وتلقفه وقرئ تتلقونه
على الاصل وتلقونه من لقيه اذا لقفه وتلقونه بكسر حرف المضارعة
وتلقونه من القائه بعضهم على بعض وتلقونه وتالقونه من الولق والالق
وهو الكذب وتثقفونه من ثقفته اذا طلبته فوجدته وتقفونه اي
تتبعونه وتقولون بافواهكم ما ليس لكم به علم اي وتقولون
كلاما مختصا بالافواه بلا مساعدة من القلوب لانه ليس تعبيرا عن علم
به في قلوبكم كقوله يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم وتحسبونه

هينا سهلا لا تبعة له وهو عند الله عظيم في الوزر واستجرار العذاب
فهذه ثلاثة آثام مترتبة علق بها مس العذاب العظيم تلقي الافك بالسنتهم
والتحدث به من غير تحقق واستصغارهم لذلك وهو عند الله عظيم ولولا
اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا ان نتكلم بهذا ما ينبغي وما يصح لنا
يجوز ان تكون الاشارة الى القول المخصوص وان تكون الى نوعه فان قذف
آحاد الناس محرم فضلا عن تعرض الصديقة ابنة الصديق حرمة رسول الله
سبحانك هذا تعجب ممن يقول ذلك واصله ان يذكر عند كل متعجب تنزيها
لله تعالى من ان يصعب عليه مثله ثم كثر واستعمل لكل متعجب او تنزيه لله تعالى
من ان تكون حرمة نبيه فجورها تنفر عنه وتخل بمقصود الزواج بخلاف كفرها
فيكون تقريرا لما قبله وتمهيدا لقوله بهتان عظيم لعظمة المبهوت عليه فان
حقارة الذنوب وعظمها باعتبار متعلقاتها يعظكم الله ان تعودوا لمثله
كراهة ان تعودوا او في ان تعودوا ابدا ما دمتم احياء مكلفين ان كنتم
مؤمنين فان الايمان يمنع عنه وفيه تهييج وتقريع ويبين الله لكم الآيات
الدالة على الشرائع ومحاسن الآداب كي تتعظوا وتتادبوا والله عليم بالاحوال
كلها حكيم في تدابيره ولا يجوز الكشخنة على نبيه ولا يقرره عليها ان الذين
يحبون يريدون ان تشيع ان تنتشر الفاحشة في الذين آمنوا لهم
عذاب اليم في الدنيا والآخرة بالحد والسعير الى غير ذلك والله يعلم
ما في الضمائر وانتم لا تعلمون فعاقبوا في الدنيا على ما دل عليه الظاهر
والله سبحانه يعاقب على ما في القلوب من حب الاشاعة ولولا فضل الله
عليكم ورحمته تكرير للمنة بترك المعاجلة بالعقاب للدلالة على عظم
الجريمة ولذا عطف قوله وان الله رؤف رحيم على حصول فضله ورحمته
عليهم وحذف الجواب وهو مستغنى عنه بذكره مرة يا ايها الذين آمنوا لا
تتبعوا خطوات الشيطان باشاعة الفاحشة وقرئ بفتح الطاء وقرا
نافع والبزي وابو عمرو وابو بكر وحمزة بسكونها ومن يتبع خطوات
الشيطان فانه يامر بالفحشاء والمنكر بيان لعلة النهي عن اتباعه والفحشاء
ما افرط قبحه والمنكر ما انكره الشرع ولولا فضل الله عليكم ورحمته
بتوفيق التوبة الماحية للذنوب وشرع الحدود المكفرة لها ما زكى
طهر من دنسها منكم من احد ابدا آخر الدهر ولكن الله يزكي من يشاء
بحمله على التوبة وقبولها والله سميع لمقالتهم عليم بنياتهم ولا ياتل

ولا يحلف افتعال من الالية او ولا يقصر من الالو ويؤيد الاول انه قرئ
ولا يتال وانه نزل في ابي بكر وقد حلف ان لا ينفق على مسطح بعد وكان ابن
خالته وكان من فقراء المهاجرين اولوا الفضل منكم في الدين والسعة
في المال وفيه دليل على فضل ابي بكر وشرفه ان يؤتوا على ان لا يؤتوا او في
ان يؤتوا وقرئ بالتاء على الالتفات اولي القربى والمساكين والمهاجرين
في سبيل الله صفات لموصوف واحد اي ناسا جامعين لها لان الكلام
فيمن كان كذلك او لموصوفات اقيمت مقامها فيكون ابلغ في تعليل المقصود
وليعفوا ما فرط منهم وليصفحوا بالاغماض عنه الا تحبون ان يغفر
الله لكم على عفوكم وصفحكم واحسانكم الى من اساء اليكم والله غفور
رحيم مع كمال قدرته فتخلقوا باخلاقه روي انه عليه الصلوة والسلام قرأها
على ابي بكر فقال بلى احب ورجع الى مسطح نفقته ان الذين يرمون المحصنات
العفائف الغافلات عما قذفن به المؤمنات بالله ورسوله استباحة
لعرضهن وطعنا في الرسول والمؤمنين كابن ابي لعنوا في الدنيا والآخرة
كما طعنوا فيهن ولهم عذاب عظيم لعظم ذنوبهم وقيل هو حكم كل قاذف
ما لم يتب وقيل مخصوص بمن قذف ازواج النبي صلى الله عليه وسلم ولذلك
قال ابن عباس رضي الله عنهما لا توبة له ولو فتشت وعيدات القرآن لم تجد
اغلظ مما نزل في افك عائشة يوم تشهد عليهم ظرف لما في لهم من معنى
الاستقرار لا للعذاب لانه موصوف وقرأ حمزة والكسائي للتقدم والفصل
السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون يعترفون بها بانطاق
الله اياها بغير اختيارهم او بظهور آثار عليها وفي ذلك مزيد تهويل للعذاب
يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق جزاءهم المستحق ويعلمون لمعاينتهم الامر
ان الله هو الحق المبين الثابت بذاته الظاهر الوهيته لا يشاركه في ذلك
غيره ولا يقدر على الثواب والعقاب سواه او ذو الحق البين اي العادل الظاهر
عدله ومن كان هذا شأنه ينتقم من الظالم للمظلوم لا محالة الخبيثات
للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون
للطيبات اي الخبائث يتزوجن الخباث وبالعكس وكذلك اهل الطيب
فيكون كالدليل على قوله اولئك يعني اهل بيت النبي او الرسول وعائشة
وصفوان مبرؤن مما يقولون اذ لو صدق لم تكن زوجته ولم يقرر عليه
وقيل الخبيثات والطيبات من الاقوال والاشارة الى الطيبين والضمير في

يقولون

يقولون للآفكين اي مبرؤن مما يقولون فيهم او للخبيثين والخبيثات اي
مبرؤن من ان يقولوا مثل قولهم لهم مغفرة ورزق كريم يعني الجنة ولقد
برأ الله اربعة باربعة برأ يوسف عليه السلام بشاهد من اهلها وموسى
من قول اليهود فيه بالحجر الذي ذهب بثوبه ومريم بانطاق ولدها وعائشة
بهذه الآيات مع هذه المبالغات وما ذلك الا لاظهار منصب الرسول واعلاء
منزلته يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم التي تسكنونها
فان الآجر والمعير ايضا لا يدخلان الا باذن حتى تستأنسوا تستأذنوا
من الاستيناس بمعنى الاستعلام من آنس الشيء اذا ابصره فان المستأذن مستعلم
للحال مستكشف انه هل يراد دخوله او يؤذن له او من الاستيناس الذي
هو خلاف الاستيحاش فان المستأذن مستوحش خائف ان لا يؤذن له فاذا
اذن استأنس وتتعرفوا هل ثم انسان من الانس وتسلموا على اهلها بان
تقولوا السلام عليكم أأدخل وعنه عليه الصلوة والسلام التسليم ان
يقول السلام عليكم أأدخل ثلاث مرات فان اذن له دخل والا رجع
ذلكم خير لكم اي الاستيذان والتسليم خير لكم من ان تدخلوا بغتة
او من تحية الجاهلية كان الرجل منهم اذا دخل بيتا غير بيته قال حييتم صباحا
وحييتم مساء ودخل فربما اصاب الرجل مع امرأته في لحاف وروي ان
رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم استأذن على امي قال نعم قال لا خادم
لها غيري استأذن عليها كلما دخلت قال اتحب ان تراها عريانة قال لا قال
فاستأذن لعلكم تذكرون متعلق بمحذوف اي انزل عليكم او قيل لكم
هذا ارادة ان تذكروا وتعملوا بما هو اصلح لكم فان لم تجدوا فيها احدا
ياذن لكم فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم حتى يأتي من يأذن لكم فان المانع
من الدخول ليس الاطلاع على العورات فقط بل وعلى ما يخفيه الناس عادة
مع ان التصرف في ملك الغير بغير اذنه محظور واستثنى ما اذا عرض
فيه حرق او غرق او كان فيه منكر ونحوها وان قيل لكم ارجعوا
فارجعوا ولا تلحوا هو ازكى لكم الرجوع اطهر عما لا يخلو الالحاح والوقوف
على الباب عنه من الكراهية وترك المروءة وانفع لدينكم ودنياكم والله بما
تعملون عليم فيعلم ما تأتون وما تذرون مما خوطبتم به فيجازيكم عليه ليس
عليكم جناح ان تدخلوا بيوتا غير مسكونة كالربط والخانات والحوا
فيها متاع استمتاع لكم كالاستكنان من الحر والبرد وايواء الامتعة والجلوس

للمعاملة وذلك استثنا من الحكم السابق لشموله البيوت المسكونة وغيرها
والله يعلم ما تبدون وما تكتمون وعيد لمن دخل مدخلا لفساد او تطلع
على عورات قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم اي عما يكون نحو محرم
ويحفظوا فروجهم الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم ولما كان المستثنى
منه كالشاذ والنادر بخلاف الغض اطلقه وقيد الغض بحرف التبعيض وقيل
حفظ الفروج ههنا خاصة سترها ذلك ازكى لهم انفع لهم او اطهر لما
فيه من البعد عن الريبة ان الله خبير بما يصنعون لا يخفى عليه اجالة
ابصارهم واستعمال سائر حواسهم وتحريك جوارحهم وما يقصدون
بها فليكونوا على حذر منه في كل حركة وسكون وقل للمؤمنات يغضضن
من ابصارهن فلا ينظرن الى ما لا يحل لهن النظر اليه من الرجال ويحفظن
فروجهن بالتستر او التحفظ عن الزنا وتقديم الغض لان النظر بريد الزنا
ولا يبدين زينتهن كالحلي والثياب والاصباغ فضلا عن مواضعها لمن
لا يحل له ان تبدي له الا ما ظهر منها عند مزاولة الاشيا كالثياب
والخواتم فان في سترها حرجا وقيل المراد بالزينة مواقعها على حذف
المضاف او ما يعم المحاسن الخلقية والتزيينية والمستثنى هو الوجه
والكفان لانهما ليسا بعورة والاظهر ان هذا في الصلاة لا في النظر فان
كل بدن الحرة عورة لا يحل لغير الزوج والمحرم النظر الى شيء منها الا لضرورة
كالمعالجة وتحمل الشهادة وليضربن بخمرهن على جيوبهن سترا
لاعناقهن وقرا نافع وعاصم وابو عمرو وهشام بضم الجيم ولا يبدين
زينتهن كرره لبيان من يحل له الابداء ومن لا يحل له الا لبعولتهن فانهم
المقصودون بالزينة ولهم ان ينظروا الى جميع بدنهن حتى الفرج بكره
او ابائهن او اباء بعولتهن او ابنائهن او ابناء بعولتهن او اخوانهن او بني   او آبائهن صح
اخوانهن او بني اخواتهن لكثرة مداخلتهم عليهن واحتياجهن الى مداخلتهم
وقلة توقع الفتنة من قبلهم لما في الطباع من النفرة عن مماسة القرائب
ولهم ان ينظروا منهن ما يبدو عند المهنة والخدمة وانما لم يذكر الاعمام
والاخوال لانهم في معنى الاخوان او لان الاحوط ان يتسترن عنهم حذر
ان يصفوهن لابنائهم او نسائهن يعني المؤمنات فان الكافرات
لا يتحرجن عن وصفهن للرجال او النساء كلهن وللعلماء في ذلك خلاف
او ما ملكت ايمانهن يعم الاما والعبيد لما روي انه عليه الصلوة

والسلم

والسلام اتى فاطمة بعبد وهبه لها وعليها ثوب اذا قنعت به راسها
لم يبلغ رجليها واذا غطت رجليها لم يبلغ راسها فقال عليه السلام انه
ليس عليك باس انما هو ابوك وغلامك وقيل المراد بها الاما وعبد المراة
كالاجنبي او التابعين غير اولي الاربة من الرجال اي اولي الحاجة
الى النسا وهم الشيوخ الهم والممسوحون وفي المجبوب والخصي خلاف
وقيل البله الذين يتبعون لفضل طعامهم ولا يعرفون شيئا من امور النسا   الناس صح
وقرا ابن عامر وابو بكر غير بالنصب على الحال او الطفل الذين لم يظهروا
على عورات النسا لعدم تمييزهم من الظهور بمعنى الاطلاع او لعدم بلوغهم
حد الشهوة من الظهور بمعنى الغلبة والطفل جنس وضع موضع الجمع اكتفا
بدلالة الوصف عليه ولا يضربن بارجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن
ليتقعقع خلخالها فيعلم انها ذات خلخال فان ذلك يورث ميلا في
الرجال وهو ابلغ من النهي عن اظهار الزينة وادل على المنع من رفع الصوت
وتوبوا الى الله جميعا ايه المؤمنون اذ لا يكاد يخلو احد منكم من تفريط
سيما في الكف عن الشهوات وقيل توبوا مما كنتم تفعلونه في الجاهلية فانه
وان جب بالاسلام لكنه يجب الندم عليه والعزم على الكف عنه كلما يتذكر
لعلكم تفلحون بسعادة الدارين وانكحوا الايامى منكم والصالحين
من عبادكم وامائكم لما نهى عما عسى ان يفضي الى السفاح المخل بالنسب
المقتضي للالفة وحسن التربية ومزيد الشفقة المودية الى بقا النوع
بعد الزجر عنه مبالغة فيه امر بالنكاح الحافظ له والخطاب للاوليا
والسادة وفيه دليل على وجوب تزويج المولية والمملوكة وذلك عند
طلبها واشعار بان المراة والعبد لا يستبدان به اذ لو استبدا لما
وجب على الولي والمولى وايامى مقلوب ايايم كيتامى جمع ايم وهو العزب
ذكرا كان او انثى بكرا او ثيبا قال فان تنكحي انكح وان تتايمي وان كنت افتى
منكم اتايم وتخصيص الصالحين لان احصان دينهم والاهتمام بشانهم
اهم وقيل المراد الصالحون للنكاح والقيام بحقوقه ان يكونوا فقراء
يغنهم الله من فضله رد لما عسى ان يمنع من النكاح والمعنى لا يمنعن
فقر الخاطب والمخطوبة من المناكحة فان في فضل الله غنية عن المال
فانه غاد ورائح او وعد من الله بالاغنا لقوله عليه الصلوة والسلام
اطلبوا الغنى في هذه الاية ولكن مشروط بالمشية لقوله تعالى فان

خفي عليه فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء والله واسع ذو سعة
لا تنفد نعمته او لا تنتهي قدرته عليم يبسط الرزق ويقدر على ما تقتضيه
حكمته وليستعفف وليجتهد في العفة وقمع الشهوة الذين لا يجدون
نكاحا اسبابه ويجوز ان يراد بالنكاح ما ينكح به او بالوجدان التمكن
منه حتى يغنيهم الله من فضله فيجدوا ما يتزوجون به والذين يبتغون
الكتاب المكاتبة وهو ان يقول الرجل لمملوكه كاتبتك على كذا من الكتاب
لان السيد كتب على نفسه عتقه اذا ادى المال او لانه مما يكتب لتاجيله
او من الكتب بمعنى الجمع لان العوض فيه يكون منجما بنجوم يضم بعضها
الى بعض مما ملكت ايمانكم عبدا كان او امة والموصول بصلته
مبتدا خبره فكاتبوهم او مفعول لمضمر هذا تفسيره والفا لتضمن معنى
الشرط والامر فيه للندب عند اكثر العلما لان الكتابة معاوضة
تتضمن الارفاق فلا تجب كغيرها واحتجاج الحنفية باطلاقه على جواز
الكتابة الحالة ضعيف لان المطلق لا يعم مع ان العجز عن الادا في الحال
يمنع صحتها كما في السلم فيما لا يوجد عند المحل ان علمتم فيهم خيرا امانة وقدرة
على ادا المال بالاحتراف وقد روي مثله مرفوعا وقيل صلاحا في الدين
وقيل مالا وضعفه ظاهر لفظا ومعنى وهو شرط للامر فلا يلزم من عدمه
عدم الجواز واتوهم من مال الله الذي اتاكم امر للموالي كما قبله بان
يبذلوا لهم شيئا من اموالهم وفي معناه حط شي من مال الكتابة وهو
للوجوب عند الاكثر ويكفي اقل ما يتمول وعن علي رضي الله عنه يحط
الربع وعن ابن عباس الثلث وقيل ندب لهم الى الانفاق عليهم بعد
ان يؤدوا ويعتقوا وقيل امر لعامة المسلمين باعانة المكاتبين واعطائهم
سهمهم من الزكاة ويحل للمولى وان كان غنيا لانه لا ياخذه صدقة
كالداين والمشتري ويدل عليه قوله عليه الصلوة والسلام في حديث
بريرة هو لها صدقة ولنا هدية ولا تكرهوا فتياتكم اماءكم على البغا
على الزنا كانت لعبد الله بن ابي ست جوار يكرههن على الزنا وضرب
عليهن الضرايب فشكا بعضهن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت
ان اردن تحصنا تعففا شرط للاكراه فانه لا يوجد دونه وان جعل
شرطا للنهي لم يلزم من عدمه جواز الاكراه لجواز ان يكون ارتفاع النهي
بامتناع المنهي عنه وايثار ان على اذا لان ارادة التحصن من الاما كالشاذ

النادر لتبتغوا عرض الحيوة الدنيا ومن يكرههن فان الله من بعد
اكراههن غفور رحيم اي لهن او له ان تاب والاول اوفق للظاهر
ولما في مصحف ابن مسعود من بعد اكراههن لهن غفور رحيم ولا يرد عليه
ان المكرهة غير اثمة فلا حاجة الى المغفرة لان الاكراه لا ينافي المواخذة
بالذات ولذلك حرم على المكره القتل واوجب عليه القصاص ولقد انزلنا
اليكم ايات مبينات يعني الايات التي بينت في هذه السورة واو
ضحت
فيها الاحكام والحدود وقرا ابن عامر وحمزة والكسائي وحفص في
الموضعين هنا وفي الطلاق بالكسر لانها واضحات تصدقها الكتب
المتقدمة والعقول المستقيمة من بين بمعنى تبين او لانها بينت الاحكام
والحدود ومثلا من الذين خلوا من قبلكم اي ومثلا من امثال من قبلكم
اي وقصة عجيبة مثل قصصهم وهي قصة عايشة فانها كقصة يوسف
ومريم وموعظة للمتقين يعني ما وعظ به في تلك الايات وتخصيص
المتقين لانهم المنتفعون بها وقيل المراد بالايات القران والصفات
المذكورة صفاته الله نور السموات والارض النور في الاصل كيفية
تدركها الباصرة اولا وبواسطتها سائر المبصرات كالكيفية الفائضة
الفائضة من النيرين على الاجرام الكثيفة المحاذية لهما وهو بهذا المعنى
لا يصح اطلاقه على الله تعالى الا بتقدير مضاف كقولك زيد كرم بمعنى ذو
كرم او على تجوز اما بمعنى منور السموات والارض وقد قرئ به فانه تعالى
نورها بالكواكب وما يفيض عنها من الانوار او بالملائكة والانبيا او مدبرها
من قولهم للرئيس الفايق في التدبير نور القوم لانهم يهتدون به في الامور
او موجدها فان النور ظاهر بذاته مظهر لغيره واصل الظهور هو الوجود
كما ان اصل الخفا هو العدم والله سبحانه موجود بذاته موجد لما عداه
او الذي به يدرك او يدرك اهلها من حيث انه يطلق على الباصرة
لتعلقها به او لمشاركتها له في توقف الادراك عليه ثم على البصيرة
لانها اقوى ادراكا فانها تدرك نفسها وغيرها من الكليات والجزئيات
الموجودات والمعدومات وتغوص في بواطنها وتتصرف فيها بالتركيب
والتحليل ثم ان هذه الادراكات ليست لذاتها والا لما فارقتها فهي اذن
من سبب يفيضها عليها وهو الله سبحانه وتعالى ابتدا او بتوسط من الملائكة
والانبيا ولذلك سموا انوارا ويقرب منه قول ابن عباس معناه هادي

من فيهما فهم بنوره يهتدون فاضافته اليهما للدلالة على سعة اشراقه
او لاشتمالهما على الانوار الحسية والعقلية وقصور الادراكات البشرية
عليهما وعلى المتعلق بهما والمدلول لهما مثل نوره صفة نوره العجيبة كمشكاة
كصفة مشكاة وهي الكوة الغير النافذة فيها مصباح سراج ضخم ثاقب
وقيل المشكاة الانبوبة في وسط القنديل والمصباح الفتيلة المشتعلة
المصباح في زجاجة في قنديل من الزجاج الزجاجة كأنها كوكب
دري مضيء متلالئ كالزهرة في صفائه وزهرته منسوب الى الدر او فعيل
كمريق من الدرء فانه يدفع الظلام بضوئه او بعض ضوئه بعضا من لمعانه
الا انه قلبت همزته ياء ويدل عليه قراءة حمزة وابي بكر على الاصل وقراءة
ابي عمرو والكسائي دريء كشريب وقد قرئ به مقلوبا يوقد من شجرة
مباركة زيتونة اي ابتدأ ثقوب المصباح من شجرة الزيتون المتكاثر
نفعه بان رويت ذبالته بزيتها وفي ابهام الشجرة ووصفها بالبركة ثم ابدال
الزيتونة عنها تفخيم لشانها وقرأ نافع وابن عامر وحفص بالياء والبناء للمفعول
من اوقد وحمزة والكسائي وابو بكر بالتاء كذلك على اسناده الى الزجاجة
بحذف المضاف وقرئ توقد بمعنى تتوقد ويوقد بحذف التاء لاجتماع زيادتين
وهو غريب لا شرقية ولا غربية تقع الشمس عليها حينا دون حين بل بحيث
تقع عليها طول النهار كالتي تكون على قلة او صحراء واسعة فان ثمرتها
تكون انضج وزيتها اصفى او لا نابتة في شرق المعمورة وغربها بل في وسطها
وهو الشام فان زيتونه اجود الزيتون او لا في مضحى تشرق الشمس عليها دائما
فتحرقها او في مقناة تغيب عنها دائما فتتركها نيا وفي الحديث لا خير في شجرة
ولا في نبات في مقناة ولا خير فيهما في مضحى يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه
نار اي يكاد يضيء بنفسه من غير نار لتلالؤه وفرط وبيصه نور على نور
نور متضاعف فان نور المصباح زاد في انارته صفاء الزيت وزهرة القنديل
وضبط المشكاة لاشعته وقد ذكر في معنى التمثيل وجوه الاول انه تمثيل
للهدى الذي دل عليه الآيات البينات في جلاء مدلولها وظهور ما تضمنته
من الهدى بالمشكاة المنعوتة او تشبيه للهدى من حيث انه محفوف بظلمات
اوهام الناس وخيالاتهم بالمصباح وانما ولي الكاف المشكاة لاشتمالها
عليه وتشبيهه به بالشمس او تمثيل لما نور الله به قلب المؤمن من المعارف
والعلوم بنور المشكاة المنبث فيها من مصباحها ويؤيده قراءة ابي مثل نوره

قوله الثاني واضافه الفهيم بتحاذه دبل
على ان اطلاقه عليه مجاز عن ظاهره

المؤمن او تمثيل لما منح الله به عباده من القوى الدراكة الخمس المترتبة التي
نيط بها المعاش والمعاد وهي الحساسة التي تدرك المحسوسات بالحواس
الخمس والخيالية التي تحفظ صور تلك المحسوسات لتعرضها على القوة
العقلية متى شاءت والعقلية التي تدرك الحقائق الكلية والمفكرة وهي التي
تؤلف المعقولات لتستنتج منها علم ما لم تعلم والقوة القدسية التي تتجلى فيها
لوائح الغيب واسرار الملكوت المختصة بالانبياء والاولياء المعنية بقوله تعالى
ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا بالاشياء الخمسة المذكورة
في الآية وهي المشكاة والزجاجة والمصباح والشجرة والزيت فان الحساسة
كالمشكاة لان محلها كالكوى ووجهها الى الظاهر لا تدرك ما وراءها
واضاءتها بالمعقولات لا بالذات والخيالية كالزجاجة في قبول صور المدركات
من الجوانب وضبطها للانوار العقلية وانارتها بما يشتمل عليها من المعقولات
والعاقلة كالمصباح لاضاءتها بالادراكات الكلية والمعارف الالهية والمفكرة
كالشجرة المباركة لتأديتها الى ثمرات لا نهاية لها الزيتونة المثمرة بالزيت
الذي هو مادة المصباح التي لا تكون شرقية ولا غربية لتجردها عن اللواحق
الجسمية او لوقوعها بين الصور والمعاني متصرفة في القبيلين منتفعة من
الجانبين والقوة القدسية كالزيت فانها لصفائها وشدة ذكائها تكاد
تضيء بالمعارف من غير تفكر ولا تعلم او تمثيل للقوة العقلية في مراتبها بذلك
فانها في مبدأ امرها خالية عن العلوم مستعدة لقبولها كالمشكاة ثم تنتقش
بالعلوم الضرورية بتوسط احساس الجزئيات بحيث تتمكن من تحصيل
النظريات فتصير كالزجاجة متلالئة في نفسها قابلة للانوار وذلك
التمكن ان كان بفكر واجتهاد فكالشجرة الزيتونة وان كان بالحدس
فكالزيت وان كان بقوة قدسية فكالذي يكاد زيتها يضيء لانها تكاد
تعلم ولو لم تتصل بملك الوحي والالهام الذي مثله النار من حيث ان
العقول تشتعل عنها ثم اذا حصلت لها العلوم بحيث تتمكن من استحضارها
متى شاءت كان كالمصباح فاذا استحضرها كان نورا على نور يهدي الله
لنوره لهذا النور الثاقب من يشاء فان الاسباب دون مشيئته لاغية
اذ بها تمامها ويضرب الله الامثال للناس ادناء للمعقول من المحسوس
توضيحا وبيانا والله بكل شيء عليم معقولا كان او محسوسا ظاهرا
كان او خفيا وفيه وعد ووعيد لمن تدبرها ولمن لم يكترث بها في بيوت

متعلق بما قبله اي كمشكاة في بعض بيوت او توقد في بيوت فيكون تقييدا
للممثل به بما يكون تحبيرا ومبالغة فيه فان قناديل المساجد تكون اعظم
او بممثله لصلوة المؤمنين وابدانهم بالمساجد ولا ينافي جمع البيوت
وحدة المشكاة اذ المراد بها ماله هذا الوصف بلا اعتبار وحدة ولا كثرة
او بما بعده وهو يسبح وفيها تكرير مؤكد لا يذكر لانه من صلة ان فلا يعمل
فيما قبله او بمحذوف مثل سبحوا في بيوت والمراد بها المساجد لان الصفة
تلائمها وقيل المساجد الثلاثة والتنكير للتعظيم اذن الله ان ترفع بالبنا
او التعظيم ويذكر فيها اسمه عام فيما يتضمن ذكره حتى المذاكرة في افعاله
والمباحثة في احكامه يسبح له فيها بالغدو والآصال ينزهونه
او يصلون له فيها بالغدوات والعشايا والغدو مصدر اطلق للوقت
ولذلك حسن اقترانه بالآصال وهو جمع اصيل وقرئ والايصال وهو
الدخول في الاصيل وقرا ابن عامر وعاصم يسبح بالفتح على اسناده الى احد
الظروف الثلاثة ورفع رجال بما يدل عليه وقرئ بالتاء مكسورا لتانيث
الجمع ومفتوحا على اسناده الى اوقات الغدو رجال لا تلهيهم تجارة
لا تشغلهم معاملة رابحة ولا بيع عن ذكر الله مبالغة بالتعميم بعد التخصيص
ان اريد به مطلق المعاوضة او بافراد ما هو اهم من قسمي التجارة فان
الربح يتحقق بالبيع ويتوقع بالشرى وقيل المراد بالتجارة الشرى فانه
اصلها ومبداها وقيل الجلب لانه الغالب فيها ومنه يقال تجر في كذا اذا
جلبه وفيه ايماء بانهم تجار واقام الصلوة عوض فيه الاضافة من التاء
المعوضة عن العين الساقطة بالاعلال كقوله واخلفوك عدا الامر
الذي وعدوا وايتاء الزكوة ما يجب اخراجه من المال للمستحقين يخافون
يوما مع ما هم عليه من الذكر والطاعة تتقلب فيه القلوب والابصار
تضطرب وتتغير من الهول او تتقلب احوالها فتفقه القلوب ما لم تكن تفقه
وتبصر الابصار ما لم تكن تبصر او تتقلب القلوب من توقع النجاة وخوف
الهلاك والابصار من اي ناحية يوخذ بهم ويوتى كتابهم ليجزيهم الله
متعلق بيسبح او لا تلهيهم او يخافون احسن ما عملوا احسن جزاء ما عملوا
الموعود لهم من الجنة ويزيدهم من فضله اشياء لم يعدهم على اعمالهم
ولم تخطر ببالهم والله يرزق من يشاء بغير حساب تقرير للزيادة
وتنبيه على كمال القدرة ونفاذ المشية وسعة الاحسان والذين كفروا

اعمالهم كسراب بقيعة والذين كفروا حالهم على ضد ذلك فان اعمالهم التي
يحسبونها صالحة نافعة عند الله يجدونها لاغية مخيبة في العاقبة كالسراب
وهو ما يرى في الفلاة من لمعان الشمس عليها وقت الظهيرة فيظن انه ماء
يسرب اي يجري والقيعة بمعنى القاع وهو الارض المستوية وقيل جمع
كجار وجيرة وقرئ بقيعات كديمات في ديمة يحسبه الظمآن ماء اي العطشان
وتخصيصه لتشبيه الكافر به في شدة الخيبة عند مسيس الحاجة حتى اذا
جاءه جاء ما توهمه ماء او موضعه لم يجده شيئا مما ظنه ووجد الله عنده
عقابه او زبانيته او وجده محاسبا اياه فوفاه حسابه استعراضا او مجازاة
والله سريع الحساب لا يشغله حساب عن حساب روي انها نزلت في
عتبة بن ربيعة بن امية تعبد في الجاهلية والتمس الدين فلما جاء الاسلام
كفر او كظلمات عطف على كسراب واو للتخيير فان اعمالهم لكونها لاغية
لا منفعة لها كالسراب ولكونها خالية عن نور الحق كالظلمات المتراكمة
من لج البحر والامواج والسحاب او للتنويع فان اعمالهم ان كانت حسنة
فكالسراب وان كانت قبيحة فكالظلمات او للتقسيم باعتبار وقتين فانها
كالظلمات في الدنيا والسراب في الآخرة في بحر لجي عميق منسوب الى اللج
وهو معظم الماء يغشاه يغشى البحر موج من فوقه موج اي امواج مترادفة
متراكمة من فوقه من فوق الموج الثاني سحاب غطى النجوم وحجب
انوارها والجملة صفة اخرى للبحر ظلمات اي هذه ظلمات بعضها فوق
بعض وقرا ابن كثير ظلمات بالجر على ابدالها من الاولى وباضافة السحاب
اليها في رواية البزي اذا اخرج يده وهي اقرب ما يرى اليه لم يكد يراها
لم يقرب ان يراها فضلا ان يراها كقوله اذا غير النأي المحبين لم يكد
رسيس الهوى من حب مية يبرح والضماير للواقع في البحر وان لم يجر ذكره لدلالة
المعنى عليه ومن لم يجعل الله له نورا ومن لم يقدر له الهداية ولم يوفقه
لاسبابها فما له من نور خلاف الموفق الذي له نور على نور الم
تر تعلم علما يشبه المشاهدة في اليقين والوثاقة بالوحي او الاستدلال ان الله
يسبح له من في السموات والارض ينزه ذاته عن كل نقص وآفة اهل
السموات والارض ومن لتغليب العقلاء والملائكة والثقلان بما يدل عليه
من مقال او دلالة حال والطير على الاول تخصيص لما فيها من الصنع الظاهر
والدليل الباهر ولذلك قيدها بقوله صافات فان اعطاء الاجرام

التقيله فانه تقوى على الوقوف في الجو صافات باسطة اجنحتها بما فيها
من القبض والبسط حجة قاطعة على كمال قدرة الصانع ولطف تدبيره
كل واحد مما ذكر او من الطير قد علم صلاته وتسبيحه اي قد علم
الله دعاءه وتنزيهه اختيارا او طبعا لقوله والله عليم بما يفعلون او علم
كل على تشبيه حاله في الدلالة على الحق والميل الى النفع على وجه يخصه
بحال من علم ذلك مع انه لا يبعد ان يلهم الله الطير دعاء وتسبيحا كما الهمها
علوما دقيقة في اسباب تعيشها لا تكاد تهتدي اليها العقلاء ولله ملك
السموات والارض فانه الخالق لهما ولما فيهما من الذوات والصفات
والافعال من حيث انها ممكنة واجبة الانتهاء الى الواجب والى الله المصير
مرجع الجميع الم تر ان الله يزجي سحابا يسوق ومنه البضاعة المزجاة
فانها يزجيها كل احد ثم يولف بينه بان يكون قزعا فيضم بعضه الى
بعض وبهذا الاعتبار صح بينه اذ المعنى بين اجزائه وقرا نافع برواية ورش
يولف غير مهموز ثم يجعله ركاما متراكما بعضه فوق بعض فترى الودق
المطر يخرج من خلاله من فتوقه جمع خلل كجبال في جبل وقرئ من خلله
وينزل من السما من الغمام وكل ما علاك فهو سما من جبال فيها من قطع
عظام تشبه الجبال في عظمها او جمودها من برد بيان للجبال والمفعول
محذوف اي ينزل مبتديا من السما من جبال فيها من برد بردا ويجوز
ان يكون من الثانية او الثالثة للتبعيض واقعة موقع المفعول وقيل المراد
بالسما المظله وفيها جبال من برد كما في الارض جبال من حجر وليس في
العقل قاطع يمنعه والمشهور ان الابخرة اذا تصاعدت ولم تحللها
حرارة فبلغت الطبقة الباردة من الهوى وقوي البرد هناك اجتمع وصار
سحابا فان لم يشتد البرد تقاطر مطرا وان اشتد فان وصل الى الاجزا
البخارية قبل اجتماعها نزل ثلجا والا نزل بردا وقد يبرد الهوى بردا مفرطا
فينقبض وينعقد سحابا وينزل منه المطر والثلج وكل ذلك لا بد وان
يستند الى ارادة الواجب الحكيم لقيام الدليل على انها الموجبة لاختصاص
الحوادث بمحالها واوقاتها واليه اشار بقوله فيصيب به من يشاء
ويصرفه عن من يشاء والضمير للبرد يكاد سنا برقه ضوء برقه وقرئ
بالمد بمعنى العلو وبادغام الدال في السين وبرقه بفتح الرا وهو جمع برقة
وهي المقدار من البرق كالغرفة وبضمها للاتباع يذهب بالابصار بابصار

الناظرين

الناظرين اليه من فرط الاضاءة وذلك اقوى دليل على كمال القدرة
من حيث انه توليد الضد من الضد وقرئ يذهب على زيادة الباء يقلب
الله الليل والنهار بالمعاقبة بينهما او بنقص احدهما وزيادة الاخر
او بتغيير احوالهما بالحر والبرد والظلمة والنور او بما يعم ذلك ان
في ذلك فيما تقدم ذكره لعبرة لاولي الابصار لدلالة على وجود
الصانع القديم وكمال قدرته واحاطة علمه ونفاذ مشيته وتنزهه
عن الحاجة وما يفضي اليها لمن يرجع الى بصيرة والله خلق كل دابة
حيوان يدب على الارض وقرا حمزة والكسائي خالق كل دابة بالاضافة
من ماء هو جزء مادته او ماء مخصوص هو النطفة فيكون تنزيلا
للغالب منزلة الكل اذ من الحيوانات ما يتولد لا عن النطفة وقيل
من ماء متعلق بدابة وليس صلة لخلق فمنهم من يمشي على بطنه كالحية
وانما سمي الزحف مشيا على الاستعارة للمشاكلة ومنهم من يمشي على
رجلين كالانس والطير ومنهم من يمشي على اربع كالنعم والوحش
ويندرج فيه ما له اكثر من اربع كالعناكب فان اعتمادها اذا مشت على
على اربع وتذكير الضمير لتغليب العقلاء والتعبير عن الاصناف ليوا فق
التفصيل الجملة والترتيب لتقديم ما هو اعرف في القدرة يخلق الله ما
يشا مما ذكر ومما لم يذكر بسيطا ومركبا على اختلاف الصور والاعضا
والهيات والحركات والطبايع والقوى والافعال مع اتحاد العناصر
بمقتضى مشيته ان الله على كل شي قدير فيفعل ما يشا لقد انزلنا
ايات مبينات للحقايق بانواع الدلايل والله يهدي من يشا بالتوفيق
للنظر فيها والتدبر لمعانيها الى صراط مستقيم هو دين الاسلام الموصل
الى درك الحق والفوز بالجنة ويقولون امنا بالله وبالرسول نزلت
في بشر المنافق خاصم يهوديا فدعاه الى كعب بن الاشرف وهو يدعوه الى
النبي عليه الصلوة والسلام وقيل في مغيرة بن وايل خاصم عليا في ارض
فابى ان يحاكمه الى الرسول واطعنا اي واطعناهما ثم يتولى بالامتناع
عن قبول حكمه فريق منهم من بعد ذلك بعد قولهم هذا وما اولئك
بالمومنين اشارة الى القايلين باسرهم فيكون اعلاما من الله بان جميعهم
وان امنوا بلسانهم لم تومن قلوبهم او الى الفريق منهم وسلب الايمان
عنهم لتوليهم والتعريف فيه للدلالة على انهم ليسوا بالمومنين الذين عرفتهم

وهم المخلصون في الايمان والثابتون عليه واذا دعوا الى الله ورسوله
ليحكم بينهم اي ليحكم النبي فانه الحاكم ظاهرا والمدعو اليه وذكر الله
لتعظيمه والدلالة على ان حكمه في الحقيقة حكم الله اذا فريق منهم معرضون
فاجا فريق منهم الاعراض اذا كان الحق عليهم لعلمهم بانك لا تحكم لهم وهو
شرح للتولي ومبالغة فيه وان يكن لهم الحق اي الحكم لا عليهم يأتوا
اليه مذعنين منقادين لعلمهم بانه يحكم لهم والى صلة ليأتوا او لمذعنين
وتقديمه للاختصاص افي قلوبهم مرض كفر او ميل الى الظلم ام ارتابوا
بان راوا منك تهمة فزال ثقتهم ويقينهم بك ام يخافون ان يحيف الله
عليهم ورسوله في الحكومة بل اولئك هم الظالمون اضراب عن
القسمين الاخيرين لتحقيق القسم الاول ووجه التقسيم ان امتناعهم
اما لخلل فيهم او في الحاكم والثاني اما ان يكون محققا عندهم او متوقعا
وكلاهما باطل لان منصب نبوته وفرط امانته يمنعه فتعين الاول وظلمهم
يعم خلل عقيدتهم وميل نفوسهم الى الحيف والفصل لنفي ذلك عن غيرهم
سيما المدعو الى حكمه انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله
ورسوله ليحكم بينهم ان يقولوا سمعنا واطعنا واولئك هم المفلحون
على عادته في اتباع ذكر المحق المبطل والتنبيه على ما ينبغي بعد انكاره
لما لا ينبغي وقرئ قول بالرفع وليحكم على البناء للمفعول واسناده الى
ضمير مصدره على معنى ليفعل الحكم ومن يطع الله ورسوله فيما يأمرانه
او في الفرائض والسنن ويخش الله على ما صدر عنه من الذنوب ويتقه
فيما بقي من عمره وقرأ يعقوب وقالون عن نافع بلا ياء وابو عمرو وابو بكر
وخلاد بخلاف عنه بسكون الهاء وحفص بسكون القاف واختلاس كسرة
الهاء فشبه تقه بكتف وخفف والهاء في الوقف ساكنة بالاتفاق فاولئك
هم الفائزون بالنعيم المقيم واقسموا بالله جهد ايمانهم انكار الامتناع
عن حكمه لئن امرتهم بالخروج عن ديارهم واموالهم ليخرجن جواب
لاقسموا على الحكاية قل لا تقسموا على الكذب طاعة معروفة اي
المطلوب منكم طاعة معروفة لا اليمين والطاعة النفاقية المنكرة
او طاعة معروفة امثل منها او لتكن طاعة وقرئت بالنصب على اطيعوا
طاعة ان الله خبير بما تعملون فلا يخفى عليه سرائركم قل اطيعوا
الله واطيعوا الرسول امر بتبليغ ما خاطبهم الله تعالى به على الحكاية

مبالغة

مبالغة في تبكيتهم فان تولوا فانما عليه على محمد ما حمل من التبليغ
وعليكم ما حملتم من الامتثال وان تطيعوه في حكمه تهتدوا الى الحق وما
على الرسول الا البلاغ المبين التبليغ الموضح لما كلفتم به وقد ادى
وانما بقي ما حملتم فان اديتم فلكم وان توليتم فعليكم وعد الله الذين
امنوا منكم وعملوا الصالحات خطاب للرسول وللامة او له
ومن معه ومن للبيان ليستخلفنهم في الارض ليجعلنهم خلفاء متصرفين
في الارض تصرف الملوك في مماليكهم وهو جواب قسم مضمر تقديره وعدهم
الله واقسم ليستخلفنهم او الوعد في تحققه منزل منزلة القسم كما استخلف
الذين من قبلهم يعني بني اسرائيل استخلفهم في مصر والشام بعد الجبابرة
وقرأ ابو بكر بضم التاء وكسر اللام واذا ابتدأ ضم الالف والباقون بفتحهما
فاذا ابتدؤوا كسروا الالف وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وهو الاسلام
بالتقوية والتثبيت وليبدلنهم من بعد خوفهم من الاعداء وقرأ ابو بكر وابن
كثير بالتخفيف امنا منهم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه
مكثوا بمكة عشر سنين خائفين ثم هاجروا الى المدينة وكانوا يصبحون
في السلاح ويمسون فيه حتى انجز الله وعده فاظهرهم على العرب كلهم وفتح
لهم بلاد الشرق والغرب وفيه دليل على صحة النبوة للاخبار عن الغيب
على ما هو به وخلافة الخلفاء الراشدين اذ لم يجتمع الموعود والموعود
عليه لغيرهم بالاجماع وقيل الخوف من العذاب والامن منه في الاخرة
يعبدونني حال من الذين لتقييد الوعد بالثبات على التوحيد واستئناف
ببيان المقتضي للاستخلاف والامن لا يشركون بي شيئا حال من الواو
اي يعبدونني غير مشركين ومن كفر ومن ارتد او كفر هذه النعمة بعد ذلك
بعد الوعد او حصول الخلافة فاولئك هم الفاسقون الكاملون
في فسقهم حيث ارتدوا بعد وضوح مثل هذه الايات او كفروا تلك
النعمة العظيمة واقيموا الصلوة واتوا الزكوة واطيعوا الرسول
في سائر ما امركم به ولا يبعد عطف ذلك على اطيعوا الله فان الفاصل
وعد على المامور به فيكون تكرير الامر بطاعة الرسول للتاكيد وتعليق
الرحمة بها او المندرجة فيه بقوله لعلكم ترحمون كما علق به الهدى
لا تحسبن الذين كفروا معجزين في الارض لا تحسبن يا محمد الكفار معجزين
الله عن ادراكهم واهلاكهم وفي الارض صلة معجزين او ولا تحسبن الكفا

في الارض احدا معجز الله فيكون معجزين في الارض مفعوليه او ولا يحسبوهم
معجزين فحذف المفعول الاول لان الفاعل والمفعولين لشيء واحد فاكتفي
بذكر اثنين عن الثالث وقرا ابن عامر وحمزة بالتاء وهو كالاول في الاحتمال
ومأواهم النار عطف عليه من حيث المعنى كانه قيل الذين كفروا ليسوا معجزين
ومأواهم النار لان المقصود من النهي عن الحسبان تحقيق نفي الاعجاز
ولبئس المصير المأوى الذين يصيرون اليه يا ايها الذين آمنوا
ليستأذنكم الذين ملكت ايمانكم رجوع الى تتمة الاحكام السابقة
بعد الفراغ من الايات الدالة على وجوب الطاعة فيما سلف من الاحكام
وغيره والوعد عليها والوعيد على الاعراض عنها والمراد به خطاب الرجال
والنساء غلب فيه الرجال لما روي ان غلام اسما بنت ابي مرثد دخل عليها
في وقت كرهته فنزلت وقيل ارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم مدلج
ابن عمرو الانصاري وكان غلاما وقت الظهيرة ليدعوا عمر فدخل وهو
نايم وقد انكشف عنه ثوبه فقال عمر لوددت ان الله عز وجل نهى اباءنا
وابناءنا وخدمنا ان لا يدخلوا علينا هذه الساعات الا باذن ثم انطلق معه
الى النبي فوجد وقد انزلت عليه هذه الاية والذين لم يبلغوا الحلم
منكم والصبيان الذين لم يبلغوا من الاحرار فعبر عن البلوغ بالاحتلام
لانه اقوى دلائله ثلاث مرات في اليوم والليلة مرة من قبل صلاة
الفجر لانه وقت القيام من المضاجع وطرح ثياب النوم ولبس ثياب اليقظة
ومحله النصب بدلا من ثلاث مرات او الرفع خبر المحذوف اي هي من قبل
صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم اي لليقظة للقيلولة من الظهيرة
بيان للحين ومن بعد صلاة العشاء لانه وقت التجرد عن اللباس والالتحاف
باللحاف ثلاث عورات لكم اي هي ثلاث اوقات يختل فيها تستركم
ويجوز ان يكون مبتدا وخبره ما بعده واصل العورة الخلل ومنه اعور
المكان ورجل اعور وقرا ابو بكر وحمزة والكسائي ثلاث بالنصب بدلا من
ثلاث مرات ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن بعد هذه الاوقات
في ترك الاستيذان وليس فيه ما ينافي اية الاستيذان فينسخها لانه في
الصبيان ومماليك المدخول عليه وتلك في الاحرار البالغين طوافون عليكم
اي هم طوافون استيناف ببيان العذر المرخص في ترك الاستيذان وهو
المخالطة وكثرة المداخلة وفيه دليل على تعليل الاحكام وكذا في الفرق

بين الاوقات الثلاث وغيرها بانها عورات بعضكم على بعض بعضكم
طائف على بعض او يطوف بعضكم على بعض كذلك مثل ذلك التبيين يبين الله
لكم الايات اي الاحكام والله عليم باحوالكم حكيم فيما شرع لكم
واذا بلغ الاطفال منكم الحلم فليستاذنوا كما استاذن الذين من قبلهم الذين
بلغوا من قبلهم في الاوقات كلها واستدل به من اوجب استيذان
العبد البالغ على سيدته وجوابه ان المراد بهم المعهودون الذين جعلوا
قسيما للمماليك فلا يندرجون فيهم كذلك يبين الله لكم اياته
والله عليم حكيم كرره تاكيدا ومبالغة في الامر بالاستيذان والقواعد
من النساء العجائز اللاتي قعدن عن الحيض والحمل اللاتي لا يرجون
نكاحا لا يطمعون فيه لكبرهن فليس عليهن جناح ان يضعن ثيابهن
اي الثياب الظاهرة كالجلباب والملافة لان اللام في القواعد بمعنى
اللاتي او لوصفها بها غير متبرجات بزينة غير مظهرات زينة مما
امر باخفائه في قوله ولا يبدين زينتهن واصل التبرج التكلف في اظهار
ما يخفى من قولهم سفينة بارجة لا غطاء عليها والبرج سعة العين بحيث
يرى بياضها محيطا بسوادها كله لا يغيب منه شيء الا انه خص بكشف المرأة
زينتها ومحاسنها للرجال وان يستعففن خير لهن من الوضع لانه ابعد
من التهمة والله سميع لمقالتهن للرجال عليم بمقصودهن ليس على الاعمى
حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج نفي لما كانوا يتحرجون
في مواكلة الاصحاء حذرا من استقذارهم او اكلهم من بيت من يدفع
اليهم المفتاح ويبيح لهم التبسط فيه اذا خرج الى الغزو وخلفهم على
المنازل مخافة ان لا يكون ذلك من طيبة قلب او من اجابة من يدعوهم
الى بيوت ابائهم او اولادهم واقاربهم فيطعمونهم كراهة ان يكونوا
كلا عليهم وهذا انما يكون اذا علم رضا صاحب البيت باذن او قرينة
او كان في اول الاسلام ثم نسخ بقوله لا تدخلوا بيوت النبي الا ان يؤذن
لكم الى طعام وقيل نفي للحرج عنهم في القعود عن الجهاد وهو لا يلائم
ما قبله وما بعده ولا على انفسكم ان تاكلوا من بيوتكم من البيوت
التي فيها ازواجكم وعيالكم ويدخل فيها بيوت الاولاد لان بيت
الولد كبيته لقوله عليه الصلوة والسلام انت ومالك لابيك وقوله
ان اطيب ما ياكل المرء من كسبه وان ولده من كسبه او بيوت اباءكم

امهاتكم او بيوت اخوانكم او بيوت اخواتكم او بيوت اعمامكم
او بيوت عماتكم او بيوت اخوالكم او بيوت خالاتكم او ما
ملكتم مفاتحه وهو ما يكون تحت ايديكم وتصرفكم من ضيعة او ماشية
وكالة او حفظا وقيل بيوت المماليك والمفاتح جمع مفتح وهو ما يفتح به
وقرئ مفتاحه او صديقكم او بيوت صديقكم فانهم ارضى بالتبسط
في اموالهم واسر به وهو يقع على الواحد والجمع كالخليط هذا كله انما يكون اذا
علم رضى صاحب البيت باذن او قرينة ولذلك خصص هؤلاء فانه يعتاد التبسط
بينهم او كان في اول الاسلام فنسخ فلا احتجاج للحنفية به على ان لا قطع
بسرقة مال المحرم ليس عليكم جناح ان تاكلوا جميعا او اشتاتا
مجتمعين او متفرقين نزلت في بني ليث بن عمرو من كنانة كانوا يتحرجون
ان ياكل الرجل وحده او في قوم من الانصار اذا نزل بهم ضيف لا ياكلون
الا معه او في قوم تحرجوا عن الاجتماع على الطعام لاختلاف الطعام
في القرازم والنهمة فاذا دخلتم بيوتا من هذه البيوت فسلموا على
انفسكم على اهلها الذين هم منكم دينا وقرابة تحية من عند الله ثابتة
بامره مشروعة من لدنه ويجوز ان يكون صلة للتحية فانه طلب الحيوة
وهي من عنده وانتصابها بالمصدر لانها بمعنى التسليم مباركة لانها
يرجى بها زيادة الخير والثواب طيبة تطيب بها نفس المستمع وعن انس
انه عليه الصلوة والسلام قال متى لقيت احدا من امتي فسلم عليه يطل عمرك
واذا دخلت بيتك فسلم عليهم يكثر خير بيتك وصل صلاة الضحى
فانها صلوة الابرار الاوابين كذلك يبين الله لكم الايات كرره
ثالثا لمزيد التاكيد وتفخيم الاحكام المختتمة به وفصل الاولين بما هو
المقتضي لذلك وهذا بما هو المقصود منه فقال لعلكم تعقلون اي
الحق والخير انما المؤمنون اي الكاملون في الايمان الذين امنوا
بالله ورسوله من صميم قلوبهم واذا كانوا معه على امر جامع كالجمعة
والاعياد والحروب والمشاورة في الامور ووصف الامر بالجمع للمبالغة
وقرئ امر جميع لم يذهبوا حتى يستاذنوه يستاذنوا رسول الله صلى
الله عليه وسلم فياذن لهم واعتباره في كمال الايمان لانه كالمصداق لصحته
والمميز للمخلص فيه عن المنافق فان ديدنه التسلل والفرار ولتعظيم
الجرم في الذهاب عن مجلس رسول الله بغير اذنه ولذلك اعاده مؤكدا

على اسلوب ابلغ فقال ان الذين يستاذنونك اولئك الذين يؤمنون بالله
ورسوله فانه يفيد ان المستاذن مؤمن لا محالة وان الذاهب بغير اذن ليس
كذلك فاذا استاذنوك لبعض شانهم ما يعرض لهم من المهام وفيه ايضا
مبالغة وتضييق للامر فاذن لمن شئت منهم تفويض للامر الى راي
الرسول عليه الصلوة والسلام واستدل به على ان بعض الاحكام مفوضة
الى رايه ومن منع ذلك قيد المشية بان تكون تابعة لعلمه بصدقه وكان
المعنى فاذن لمن علمت ان له عذرا واستغفر لهم الله بعد الاذن فان الاستئذان
ولو لعذر قصور لانه تقديم لامر الدنيا على امر الدين ان الله غفور لفرطات
العباد رحيم بالتيسير عليهم لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء
بعضكم بعضا لا تقيسوا دعاءه اياكم على دعاء بعضكم بعضا في جواز
الاعراض والمساهلة في الاجابة والرجوع بغير اذن فان المبادرة الى اجابته
واجبة والمراجعة بغير اذنه محرمة وقيل لا تجعلوا نداءه وتسميته كنداء
بعضكم بعضا باسمه ورفع الصوت به والنداء وراء الحجرة ولكن بلقبه المعظم
مثل يا نبي الله ويا رسول الله مع التوقير والتواضع وخفض الصوت او لا
تجعلوا دعاءه عليكم كدعاء بعضكم على بعض فلا تبالوا بسخطه فان دعاءه
موجب او لا تجعلوا دعاءه ربه كدعاء صغيركم كبيركم يجيبه مرة ويرده
اخرى فان دعاءه مستجاب قد يعلم الله الذين يتسللون منكم يتسللون
قليلا قليلا من الجماعة ونظير تسلل تدرج وتدخل لواذا ملاوذة بان
يستتر بعضهم ببعض حتى يخرج او يلوذ بمن يؤذن له فينطلق معه كانه تابعه
وانتصابه على الحال وقرئ بالفتح فليحذر الذين يخالفون عن امره يخالفون
امره بترك مقتضاه ويذهبون سمتا خلاف سمته وعن لتضمنه معنى الاعراض
او يصدون عن امره دون المؤمنين من خالفه عن الامر اذا صد عنه دونه
وحذف المفعول لان المقصود بيان المخالف والمخالف عنه والضمير لله فان
الامر له في الحقيقة او للرسول فانه المقصود بالذكر ان تصيبهم فتنة محنة
في الدنيا او يصيبهم عذاب اليم في الاخرة واستدل به على ان الامر للوجوب
فانه يدل على ان ترك مقتضى الامر مقتض لاحد العذابين فان الامر بالحذر
عنه يدل على حسنه المشروط بقيام المقتضي له وذلك يستلزم الوجوب
الا ان لله ما في السموات والارض قد يعلم ما انتم عليه ايها المكلفون
من المخالفة والموافقة والنفاق والاخلاص وانما اكد علمه بقد لتاكيد الوعيد

ويوم يرجعون اليه يوم يرجع المنافقون اليه للجزاء ويجوز ان يكون الخطاب ايضا مخصوصا بهم على طريق الالتفات فينبئهم بما عملوا من سوء الاعمال بالتوبيخ والمجازاة عليه والله بكل شيء عليم لا يخفى عليه خافية عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة النور اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد كل مؤمن ومؤمنة فيما مضى وفيما بقي

بسم الله الرحمن الرحيم تبارك الذي نزل الفرقان على عبده تكاثر خيره من البركة وهي كثرة الخير او تزايد عن كل شيء وتعالى عنه في صفاته وافعاله فان البركة تتضمن معنى الزيادة وترتيبه على انزال الفرقان لما فيه من كثرة الخير او لدلالته على تعاليه وقيل دام من بروك الطير على الماء ومنه البركة لدوام الماء فيها وهو لا يتصرف فيه ولا يستعمل الا لله تعالى والفرقان مصدر فرق بين الشيئين اذا فصل بينهما سمي به القرآن لفصله بين الحق والباطل بتقريره او المحق والمبطل باعجازه او لكونه مفصولا بعضه عن بعض في الانزال وقرئ على عباده وهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وامته لقوله لقد انزلنا اليكم او الانبياء على ان الفرقان اسم جنس للكتب السماوية ليكون العبد او الفرقان للعالمين نذيرا للجن والانس منذرا او انذارا كالنكير بمعنى الانكار وهذه الجملة وان لم تكن معلومة لكنها لقوة دليلها اجريت مجرى المعلوم وجعلت صلة الذي له ملك السموات والارض بدل من الاول او مدح مرفوع او منصوب ولم يتخذ ولدا كزعم النصارى ولم يكن له شريك في الملك كقول الثنوية اثبت له الملك مطلقا ونفى ما يقوم مقامه وما يقاومه فيه ثم نبه على ما يدل عليه فقال وخلق كل شيء احدثه احداثا مراعيا فيه التقدير حسب ارادته كخلقه الانسان من مواد مخصوصة وصور واشكال معينة فقدره تقديرا فقدره وهيأه لما اراد منه من الخصائص والافعال كتهيئة الانسان للادراك والفهم والنظر والتدبير واستنباط الصنائع المتنوعة ومزاولة الاعمال المختلفة الى غير ذلك او فقدره للبقاء الى اجل مسمى وقد يطلق الخلق لمجرد الايجاد من غير نظر الى وجه الاشتقاق فيكون المعنى واوجد كل شيء فقدره في ايجاده حتى لا يكون متفاوتا واتخذوا

من دونه آلهة لما تضمن الكلام اثبات التوحيد والنبوة اخذ في الرد على المخالفين فيهما لا يخلقون شيئا وهم يخلقون لان عبدتهم ينحتونهم ويصورونهم ولا يملكون ولا يستطيعون لانفسهم ضرا دفع ضر ولا نفعا ولا جلب نفع ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا ولا يملكون اماتة احد واحياءه اولا وبعثه ثانيا ومن كان كذلك فبمعزل عن الالوهية لعرائه عن لوازمها واتصافه بما ينافيها وفيه تنبيه على ان الاله يجب ان يكون قادرا على البعث والجزاء وقال الذين كفروا ان هذا الا افك كذب مصروف عن وجهه افتراه اختلقه واعانه عليه قوم آخرون اي اليهود فانهم يلقون اليه اخبار الامم وهو يعبر عنه بعبارته وقيل جبر ويسار وعداس وقد سبق في قوله انما يعلمه بشر فقد جاءوا ظلما بجعل الكلام المعجز افكا مختلقا متلقفا من اليهود وزورا بنسبة ما هو بريء منه اليه واتى وجاء يطلقان بمعنى فعل فيعديان تعديته وقالوا اساطير الاولين ما سطره المتقدمون اكتتبها كتبها لنفسه او استكتبها وقرئ على البناء للمفعول لانه امي واصله اكتتبها كاتب له فحذف اللام وافضى الفعل الى الضمير فصار اكتتبها اياه كاتب ثم حذف الفاعل وبني الفعل للضمير فاستتر فيه فهي تملى عليه بكرة واصيلا ليحفظها فانه امي لا يقدر ان يكرر من الكتاب او ليكتب قل انزله الذي يعلم السر في السموات والارض لانه اعجزكم عن آخركم بفصاحته وتضمنه اخبارا عن مغيبات مستقبلة واشياء مكنونة لا يعلمها الا عالم الاسرار فكيف تجعلونه اساطير الاولين انه كان غفورا رحيما فلذلك لا يعجل في عقوبتكم على ما تقولون مع كمال قدرته عليها واستحقاقكم ان يصب عليكم العذاب صبا وقالوا مال هذا الرسول ما لهذا الذي يزعم الرسالة وفيه استهانة وتهكم ياكل الطعام كما ناكل ويمشي في الاسواق لطلب المعاش كما نمشي والمعنى ان صح دعواه فما باله لم يخالف حاله حالنا وذلك لعمههم وقصور نظرهم على المحسوسات فان تميز الرسل عمن عداهم ليس بامور جسمانية وانما هو باحوال نفسانية كما اشار اليه بقوله تعالى انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا ليعلم صدقه بتصديق الملك او يلقى اليه كنز فيستظهر به ويستغني عن تحصيل المعاش او تكون له جنة ياكل منها هذا على سبيل التنزل اي ان لم يلق اليه كنز فلا اقل ان

يكون له بستان كالدهاقين والمياسير فيتعيش بريعه وقرأ حمزة والكسائي
بالنون وقال الظالمون وضع الظالمين موضع ضميرهم تسجيلا عليهم بالظلم
فيما قالوه ان تتبعون الا رجلا مسحورا سحر فغلب على عقله
وقيل ذا سحر وهو الرئة اي بشرا لا ملكا انظر كيف ضربوا لك الامثال
اي قالوا فيك الاقوال الشاذة واخترعوا لك الاحوال النادرة فضلوا
عن الطريق الموصل الى معرفة خواص النبي والمميز بينه وبين المتنبي
فخبطوا خبط عشوا فلا يستطيعون سبيلا الى القدح في نبوتك او الى
الرشد والهدى تبارك الذي ان شاء جعل لك في الدنيا خيرا من ذلك
مما قالوا ولكن اخره الى الاخرة لانه خير وابقى جنات تجري من تحتها
الانهار بدل من خيرا ويجعل لك قصورا عطف على محل الجزاء وقرأ ابن
كثير وابو بكر بالرفع لان الشرط اذا كان ماضيا جاز في جزائه الجزم
والرفع كقوله وان اتاه خليل يوم مسألة يقول لا غائب مالي ولا حرم
ويجوز ان يكون استئنافا بوعد ما يكون له في الاخرة وقرئ بالنصب
على انه جواب بالواو بل كذبوا بالساعة فقصرت انظارهم على الحطام
الدنيوية وظنوا ان الكرامة انما هي بالمال وطعنوا فيك لفقرك او فلذلك
كذبوك لا لما تمحلوا من المطاعن الفاسدة او فكيف يلتفتون الى هذا الجواب
ويصدقونك بما وعد الله لك في الاخرة او فلا تعجب من تكذيبهم اياك
فانه اعجب منه واعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا نارا شديدة الاشتعال
وقيل هو اسم لجهنم فيكون صرفه باعتبار المكان اذا رأتهم اذا كانت
بمرأى منهم لقوله عليه الصلوة والسلام لا تتراءى ناراهما اي لا تتقاربان
بحيث يكون احدهما بمرأى من الاخر على المجاز والتأنيث لانه بمعنى
النار او جهنم من مكان بعيد هو اقصى ما يمكن ان ترى منه سمعوا لها
تغيظا وزفيرا صوت تغيظ شبه صوت غليانها بصوت المغتاظ وزفيره
وهو صوت يسمع من جوفه هذا وان الحياة لما لم تكن مشروطة عندنا
بالبنية امكن ان يخلق الله فيها حياة فترى وتتغيظ وتزفر وقيل ان
ذلك لزبانيتها فنسب اليها على حذف المضاف واذا القوا منها مكانا
في مكان ومنها بيان تقدم فصار حالا ضيقا لزيادة العذاب فان
الكرب مع الضيق والروح مع السعة ولذلك وصف الله الجنة بان
عرضها السموات والارض مقرنين قرنت ايديهم الى اعناقهم بالسلاسل

دعوا هنالك في ذلك المكان ثبورا هلاكا اي يتمنون الهلاك وينادونه
فيقولون يا ثبوراه تعال فهذا حينك لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا
اي يقال لهم ذلك وادعوا ثبورا كثيرا لان عذابكم انواع كثيرة وكل
نوع منها ثبور لشدته او لانه لا ينقطع فهو في كل وقت ثبور قل اذلك
خير ام جنة الخلد التي وعد المتقون الاشارة الى العذاب والاستفهام
والتفضيل والترديد للتقريع مع التهكم او الى الكنز والجنة والراجع الى
الموصول محذوف واضافة الجنة الى الخلد للمدح او للدلالة على خلودها
او التمييز عن جنان الدنيا كانت لهم في علم الله او اللوح او لان ما
وعد الله في تحققه كالواقع جزاء على اعمالهم بالوعد ومصيرا ينقلبون
اليه ولا يمنع كونها جزاء لهم ان يتفضل بها على غيرهم برضاهم مع جواز
ان يراد بالمتقين من يتقي الكفر والتكذيب لانهم في مقابلتهم لهم فيها
ما يشاؤون ما يشاؤونه من النعيم ولعله تقصر همم كل طائفة على ما يليق
برتبته اذ الظاهر ان الناقص لا يدرك شيئا فالكامل بالتشهي وفيه
تنبيه على ان كل المرادات لا تحصل الا في الجنة خالدين حال من احد
ضمائرهم كان على ربك وعدا مسؤولا الضمير في كان لما يشاؤون
والوعد الموعود اي كان ذلك موعودا حقيقا بان يسأل ويطلب او
مسؤولا سأله الناس في دعائهم ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك او
الملائكة بقولهم ربنا وادخلهم جنات عدن وما في على من معنى الوجوب
لامتناع الخلف في وعده ولا يلزم منه الالجاء الى الانجاز فان تعلق
الارادة بالموعود مقدم على الوعد الموجب للانجاز ويوم يحشرهم
للجزاء وقرئ بكسر الشين وقرأ ابن كثير ويعقوب وحفص بالياء وما يعبدون
من دون الله يعم كل معبود سواه واستعمال ما اما لان وضعه اعم ولذلك
يطلق لكل شبح يرى ولا يعرف او لانه اريد به الوصف كانه قيل ومعبوديهم
او لتغليب الاصنام تحقيرا او اعتبارا لغلبة عبادها او يخص الملائكة وعزيرا
والمسيح بقرينة السؤال والجواب او الاصنام ينطقها الله او تتكلم بلسان
الحال كما قيل في كلام الايدي والارجل فيقول اي للمعبودين وهو على تلوين
الخطاب وقرأ ابن عامر بالنون أأنتم اضللتم عبادي هؤلاء ام هم ضلوا
السبيل لاخلالهم بالنظر الصحيح واعراضهم عن المرشد النصيح وهو استفهام
تقريع وتبكيت للعبدة واصله أأضللتم ام ضلوا فغير النظم ليلي حرف

الاستفهام المقصود بالسؤال وهو المتولي للفعل دونه لانه محقق لا شبهة
فيه والا لما توجه العتاب وحذف صلة ضل للمبالغة قالوا سبحانك
تعجبا مما قيل لهم لانهم اما ملايكة او انبيا معصومون او جمادات لا تقدر
على شي او اشعارا بانهم الموسومون بتسبيحه وتوحيده فكيف يليق بهم
اضلال عبيده او تنزيها لله عن الانداد ما كان ينبغي لنا ما يصح لنا ان
نتخذ من دونك من اوليا للعصمة او لعدم القدرة فكيف يصح لنا ان
ندعو غيرنا ان يتولى احدا دونك وقرئ نتخذ على البنا للمفعول من اتخذ
الذي له مفعولان كقوله واتخذ الله ابراهيم خليلا ومفعوله الثاني من اوليا
ومن للتبعيض وعلى الاول مزيدة لتاكيد النفي ولكن متعتهم واباءهم
بانواع النعم فاستغرقوا في الشهوات حتى نسوا الذكر حتى غفلوا
عن ذكرك او التذكر لالايك والتدبر في اياتك وهو نسبة للضلال
اليهم من حيث انه بكسبهم واسناد له الى ما فعل الله بهم فحملهم عليه
وهو عين ما ذهبنا اليه فلا تنتهض حجة علينا للمعتزلة وكانوا في قضائك
قوما بورا هالكين مصدر وصف به ولذلك يستوي فيه الواحد والجمع
او جمع باير كعايذ وعوذ فقد كذبوكم التفات الى العبدة بالاحتجاج
والالزام على حذف القول والمعنى فقد كذبكم المعبودون بما تقولون
في قولكم انهم آلهة او هؤلاء اضلونا والبا بمعنى في او مع المجرور بدل
من الضمير وعن ابن كثير بالياء اي كذبوكم بقولهم سبحانك ما كان ينبغي
لنا فما يستطيعون اي المعبودون وقرا حفص بالتاء على خطاب العابدين
صرفا دفعا للعذاب عنكم وقيل حيلة من قولهم انه ليتصرف اي يحتال
ولا نصرا فيعينكم عليه ومن يظلم منكم ايها المكلفون نذقه عذابا
كبيرا هي النار والشرط وان عم كل من كفر او فسق لكنه في اقتضايه
الجزا مقيد بعدم المزاحم وفاقا وهو التوبة والاحباط بالطاعة
اجماعا وبالعفو عندنا وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم
لياكلون الطعام ويمشون في الاسواق اي الا رسلا انهم فحذف
الموصوف لدلالة المرسلين عليه واقيمت الصفة مقامه كقوله وما
منا الا له مقام معلوم ويجوز ان تكون حالا اكتفي فيها بالضمير وهو جواب
لقولهم مال هذا الرسول ياكل الطعام ويمشي في الاسواق وقرئ يمشون
اي يمشيهم حوايجهم او الناس وجعلنا بعضكم ايها الناس لبعض فتنة

ابتلا ومن ذلك ابتلا الفقرا بالاغنيا والمرسلين بالمرسل اليهم ومناصبتهم
لهم العداوة وايذاهم لهم وهو تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم
على ما قالوه بعد نقضه وفيه دليل على القضا والقدر اتصبرون علة
للجعل والمعنى وجعلنا بعضكم لبعض فتنة لنعلم ايكم يصبر ونظيره قوله
ليبلوكم ايكم احسن عملا او حث على الصبر على ما افتتنوا به وكان ربك
بصيرا بمن يصبر او بالصواب فيما يبتلي به وغيره وقال الذين لا يرجون
لا يؤملون لقانا بالخير لكفرهم بالبعث او لا يخافون لقانا بالشر على
لغة تهامة واصل اللقا الوصول الى الشي ومنه الروية فانه الوصول
الى المرئي والمراد به الوصول الى جزائه ويمكن ان يراد به الروية على
الاول لولا هلا انزل علينا الملايكة فتخبرنا بصدق محمد وقيل فيكونون رسلا
الينا او نرى ربنا فيامرنا بتصديقه واتباعه لقد استكبروا في انفسهم
اي في شانها حتى ارادوا لها ما يتفق للافراد من الانبيا الذين هم اكمل
خلق الله في اكمل اوقاتها وما اعظم من ذلك وعتوا وتجاوزوا الحد
في الظلم عتوا كبيرا بالغا اقصى مراتبه حيث عاينوا المعجزات القاهرة فاعرضوا
عنها واقترحوا لانفسهم الخبيثة ما سدت دونه مطامح النفوس القدسية
واللام جواب قسم محذوف وفي الاستيناف بالجملة حسن واشعار
بالتعجب من استكبارهم وعتوهم كقوله وجارة جساس ابانا بنابها كليبا
غلت ناب كليب بواؤها يوم يرون الملايكة ملايكة الموت او العذاب
ويوم نصب باذكر او بما دل عليه لا بشرى يومئذ للمجرمين فانه بمعنى
يمنعون البشرى او يعدمونها ويومئذ تكرير او خبر وللمجرمين تبيين او
خبر ثان او ظرف لما يتعلق به اللام او لبشرى ان قدرت منونة غير
مبنية مع لا فانها لا تعمل وللمجرمين اما عام يتناولهم بحكمه من طريق
البرهان ولا يلزم من نفي البشرى لعامة المجرمين حينيذ نفي البشرى
بالعفو والشفاعة في وقت اخر واما خاص وضع موضع ضميرهم تسجيلا
على جرمهم واشعارا بما هو المانع للبشرى والموجب لما يقابلها ويقولون
حجرا محجورا عطف على المدلول اي ويقول الكفرة حينيذ هذه الكلمة
استعاذة وطلبا من الله ان يمنع لقاهم وهي مما كانوا يقولون عند لقا
عدو او هجوم مكروه او يقولها الملايكة بمعنى حراما محرما عليكم الجنة
او البشرى وقرئ حجرا بالضم واصله الفتح غير انه لما اختص بموضع مخصوص

غير كقعدك او عمرك ولذلك لا يتصرف فيه ولا يظهر ناصبه ووصفه
بمحجورا للتاكيد كقولهم موت مائت وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه
هباء منثورا اي وعمدنا الى ما عملوا في كفرهم من المكارم كقرى الضيف
وصلة الرحم واغاثة الملهوف فاحبطناه لفقد ما هو شرط اعتباره
وهو تشبيه حالهم واعمالهم بحال قوم استعصوا سلطانهم فقدم الى
اسبابهم فمزقها وابطلها ولم يبق لها اثرا والهباء غبار يرى في شعاع
الشمس يطلع من الكوة من الهبوة وهي الغبار ومنثورا صفته شبه به عملهم
المحبط في حقارته وعدم نفعه ثم بالمنثور منه في انتشاره بحيث لا يمكن
نظمه او تفرقه نحو اغراضهم التي كانوا يتوجهون به نحوها او مفعول
ثالث من حيث انه كالخبر بعد الخبر كقوله كونوا قردة خاسئين اصحاب
الجنة يومئذ خير مستقرا مكانا يستقر فيه في اكثر الاوقات للتجالس
والتحادث واحسن مقيلا مكانا يؤوى اليه للاسترواح بالازواج
والتمتع بهن تجوزا له من مكان القيلولة على التشبيه او لانه لا يخلو
من ذلك غالبا اذ لا نوم في الجنة وفي احسن رمز الى ما يتزين به مقيلهم
من حسن الصورة وغيره من التحاسين ويحتمل ان يراد باحدهما المصدر
او الزمان اشارة الى ان مكانهم وزمانهم اطيب ما يتخيل من الامكنة
والازمان والتفضيل اما لارادة الزيادة مطلقا او بالاضافة الى
ما للمترفين في الدنيا روي انه يفرغ من الحساب في نصف ذلك اليوم
فيقيل اهل الجنة في الجنة واهل النار في النار ويوم تشقق السماء
اصله تتشقق فحذف التاء وادغمها ابن كثير ونافع وابن عامر ويعقوب
بالغمام بسبب طلوع الغمام منها وهو الغمام المذكور في قوله هل ينظرون
الا ان ياتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة ونزل الملائكة تنزيلا في
ذلك الغمام بصحائف اعمال العباد وقرا ابن كثير وننزل وقرئ ونزلت
وانزل ونزل الملائكة بحذف نون الكلمة الملك يومئذ الحق للرحمن
الثابت له لان كل ملك يبطل يومئذ فلا يبقى الا ملكه فهو الخبر وللرحمن
صلته او تبيين ويومئذ معمول الملك لا الحق لانه متاخر او صفته
والخبر يومئذ او للرحمن وكان يوما على الكافرين عسيرا شديدا ويوم
يعض الظالم على يديه من فرط الحسرة وعض اليدين واكل البنان
وحرق الاسنان ونحوها كنايات عن الغيظ والحسرة لانها من روادفها

والمراد بالظالم الجنس وقيل عقبة بن ابي معيط كان يكثر مجالسة النبي عليه
الصلوة والسلام فدعاه الى ضيافته فابى ان ياكل طعامه حتى ينطق بالشهادتين
ففعل وكان ابي بن خلف صديقه فعاتبه وقال صبأت فقال لا ولكن ابى
ان ياكل من طعامي وهو في بيتي فاستحييت منه فشهدت له فقال لا ارضى
منك الا ان تاتيه فتطا قفاه وتبزق في وجهه فوجده ساجدا في دار الندوة
ففعل ذلك فقال عليه السلام لا القاك خارجا من مكة الا علوت راسك
بالسيف فاسر يوم بدر فامر عليا بقتله وطعن ابيا باحد في المبارزة فرجع
الى مكة ومات يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا طريقا الى
النجاة او طريقا واحدا وهو طريق الحق ولم تتشعب بي طرق الضلالة
يا ويلتى وقرئ بالياء على الاصل ليتني لم اتخذ فلانا خليلا يعني من اضله
وفلان كناية عن الاعلام كما ان هنا كناية عن الاجناس لقد اضلني عن الذكر
عن ذكر الله او كتابه او موعظة الرسول او كلمة الشهادة بعد اذ جاءني
وتمكنت منه وكان الشيطان يعني الخليل المضل او ابليس لانه حمله على
مخالته ومخالفة الرسول او كل من تشيطن من جن وانس للانسان
خذولا يواليه حتى يؤديه الى الهلاك ثم يتركه ولا ينفعه فعول من
الخذلان وقال الرسول محمد يومئذ او في الدنيا بثا الى الله يا رب
ان قومي قريشا اتخذوا هذا القرآن مهجورا بان تركوه وصدوا عنه
وعنه عليه الصلوة والسلام من تعلم القرآن فاعلق مصحفه لم يتعاهده
ولم ينظر فيه جاء يوم القيمة متعلقا به يقول يا رب عبدك هذا اتخذني
مهجورا اقض بيني وبينه او هجروا ولغوا فيه اذا سمعوه او زعموا انه
هجر واساطير الاولين فيكون اصله مهجورا فيه فحذف الجار ويجوز ان
يكون بمعنى الهجر كالمجلود والمعقول وفيه تخويف لقومه لان الانبياء اذا
شكوا الى الله قومهم عجل لهم العذاب وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا
من المجرمين كما جعلناه لك فاصبر كما صبروا وفيه دليل على انه خالق
الشر والعدو يحتمل الواحد والجمع وكفى بربك هاديا الى طريق قهرهم
ونصيرا لك عليهم وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن اي انزل
عليه كخبر بمعنى اخبر لئلا يناقض قوله جملة واحدة دفعة واحدة كالكتب
الثلاثة وهو اعتراض لا طائل تحته لان الاعجاز لا يختلف بنزوله جملة
او مفرقا مع ان للتفريق فوائد منها ما اشار اليه بقوله كذلك لنثبت به

فؤادك اي كذلك انزلناه مفرقا لنقوي بتفريقه فؤادك على حفظه
وفهمه لان حاله يخالف حال موسى وداود وعيسى حيث كان اميا وكانوا
يكتبون فلو القي عليه جملة تعنى بحفظه ولعله لم يستتب له فان التلقف
لا يتأتى الا شيئا فشيئا ولان نزوله بحسب الوقائع يوجب مزيد البصيرة
وغوص في المعنى ولانه اذا انزل منجما وهو يتحدى بكل نجم فيعجزون عن
معارضته زاد ذلك قوة قلبه ولانه اذا انزل به جبرئيل حالا بعد حال يثبت
به فؤاده ومنها معرفة الناسخ والمنسوخ ومنها انضمام القرائن الحالية
الى الدلالات اللفظية فانه يعين على البلاغة وكذلك صفة مصدر
محذوف والاشارة الى انزاله مفرقا فانه مدلول عليه بقوله لولا نزل
عليه القران جملة واحدة ويحتمل ان يكون من تمام كلام الكفرة ولذلك
وقف عليه فيكون حالا والاشارة الى الكتب السابقة واللام على الوجهين
متعلق بمحذوف ورتلناه ترتيلا وقرأناه عليك شيئا بعد شيء على تؤدة
وتمهل في عشرين سنة او ثلاث وعشرين واصل الترتيل في الاسنان
وهو تفليجها ولا يأتونك بمثل سؤال عجيب كأنه مثل في البطلان يريدون
به القدح في نبوتك الا جئناك بالحق الدامغ له في جوابه واحسن تفسيرا
وبما هو احسن بيانا او معنى من سؤالهم او لا يأتونك بحال عجيبة يقولون
هلا كانت هذه حالك الا اعطيناك من الاحوال ما يحق لك في حكمتنا وما
هو احسن كشفا لما بعثت له الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم
اي مقلوبين او مسحوبين اليها او متعلقة قلوبهم بالسفليات متوجهة
وجوههم اليها وعنه عليه الصلوة والسلام يحشر الناس يوم القيمة على
ثلثة اصناف صنف على الدواب وصنف على الاقدام وصنف على الوجوه
وهو ذم منصوب او مرفوع او مبتدا خبره اولئك شر مكانا واضل
سبيلا والمفضل عليه هو الرسول على طريقة قوله قل هل انبئكم بشر من
ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه كأنه قيل ان حاملهم على
هذه الاسولة تحقير مكانه وتضليل سبيله ولا يعلمون حالهم ليعلموا انهم
شر مكانا واضل سبيلا وقيل انه متصل بقوله اصحاب الجنة يومئذ خير
مستقرا ووصف السبيل بالضلال من الاسناد المجازي للمبالغة ولقد
اتينا موسى الكتاب وجعلنا معه اخاه هرون وزيرا يوازره
في الدعوة واعلاء الكلمة ولا ينافي ذلك مشاركته في النبوة لان المشار

في الامر متوازر عليه فقلنا اذهبا الى القوم الذين كذبوا يعني
فرعون وقومه بآياتنا فدمرناهم تدميرا اي فذهبا اليهم فكذبوهما
فدمرناهم فاقتصر على حاشيتي القصة اكتفاء بما هو المقصود منها وهو الزام
الحجة ببعثة الرسل واستحقاق التدمير بتكذيبهم والتعقيب باعتبار الحكم
لا الوقوع وقرئ فدمرتهم فدمراهم فدمرا بهم على التاكيد بالنون
الثقيلة وقوم نوح لما كذبوا الرسل كذبوا نوحا ومن قبله او نوحا وحده
ولكن تكذيب واحد من الرسل كتكذيب الكل او بعثة الرسل مطلقا كالبراهمة
اغرقناهم بالطوفان وجعلناهم اي وجعلنا اغراقهم او قصتهم للناس
اية عبرة واعتدنا للظالمين عذابا اليما يحتمل التعميم والتخصيص
فيكون وضعا للظاهر موضع المضمر تظليما لهم وعادا وثمودا عطف على هم
في جعلناهم او على الظالمين لان المعنى ووعدنا الظالمين وقرئ وثمود على
تاويل القبيلة واصحاب الرس قوم كانوا يعبدون الاصنام فبعث الله
اليهم شعيبا فكذبوه فبيناهم حول الرس وهو البير الغير المطوية فانهارت
فخسف بهم وبديارهم وقيل الرس قرية بفلج اليمامة كان فيها بقايا ثمود
فبعث اليهم نبي فقتلوه فهلكوا وقيل الاخدود وقيل بير بانطاكية قتلوا
فيها حبيبا النجار وقيل هم اصحاب حنظلة بن صفوان النبي ابتلاهم الله بطير
عظيم كان فيها من كل لون وسموها عنقا لطول عنقها وكانت تسكن
جبلهم الذي يقال له فتخ او دمخ وتنقض على صبيانهم فتخطفهم اذا اعوزها
الصيد ولذلك سميت مغربا فدعا عليها حنظلة فاصابتها الصاعقة
ثم انهم قتلوه فاهلكوا وقيل قوم كذبوا نبيهم ورسوه اي دسوه في بير
وقرونا واهل اعصار قيل القرن اربعون سنة وقيل سبعون وقيل مائة
وعشرون بين ذلك اشارة الى ما ذكر كثيرا لا يعلمها الا الله وكلا ضربنا
له الامثال بينا له القصص العجيبة من قصص الاولين انذارا واعذارا
فلما اصروا اهلكوا كما قال وكلا تبرنا تتبيرا فتتناه تفتيتا ومنه التبر
لفتات الذهب والفضة وكلا الاول منصوب بما دل عليه ضربنا كانذرنا
والثاني بتبرنا لانه فارغ له ولقد اتوا يعني قريشا مروا مرارا في متاجرهم
الى الشام على القرية التي امطرت مطر السوء يعني سدوم عظمى قرى
قوم لوط امطرت عليها الحجارة افلم يكونوا يرونها في مرار مرورهم
فيتعظون بما يرون فيها من اثار عذاب الله بل كانوا لا يرجون نشورا

بل كانوا كفرة لا يتوقعون نشورا او لا عاقبة فلذلك لم ينظروا ولم يتعظوا
فمروا بها كما مرت ركابهم او لا يؤملون نشورا كما يؤمله المؤمنون
طمعا في الثواب او يخافونه على اللغة التهامية واذا راوك ان يتخذونك
الا هزوا ما يتخذونك الا موضع هزو او مهزوا به اهذا الذي بعث
الله رسولا محكي بعد قول مضمر والاشارة للاستحقار واخراج بعث الله
رسولا في معرض التسليم بجعله صلة وهم على غاية الانكار تهكم واستهزاء
ولولاه لقالوا اهذا الذي زعم انه بعثه الله رسولا ان كاد ليضلنا
عن الهتنا ليصرفنا عن عبادتها بفرط اجتهاده في الدعاء الى التوحيد
وكثرة ما يورده مما يسبق الى الذهن انها حجج ومعجزات لولا ان صبرنا
عليها ثبتنا عليها واستمسكنا بعبادتها ولولا في مثله تقيد للحكم المطلق
من حيث المعنى دون اللفظ وسوف يعلمون حين يرون العذاب
من اضل سبيلا كالجواب لقولهم ان كاد ليضلنا فانه يفيد نفي ما يلزمه
ويكون الموجب له وفيه وعيد ودلالة على انه لا يهملهم وان امهلهم
ارايت من اتخذ الهه هواه بان اطاعه وبنى عليه دينه لا يسمع حجة
ولا يتبصر دليلا وانما قدم المفعول الثاني للعناية به افانت تكون
عليه وكيلا حفيظا تمنعه عن الشرك والمعاصي وحاله هذا فالاستفهام
الاول للتقرير والتعجب والثاني للانكار ام تحسب بل اتحسب ان اكثرهم
يسمعون او يعقلون فتجدي لهم الايات والحجج فتهتم بشانهم وتطمع
في ايمانهم وهو اشد مذمة مما قبله حتى حق بالاضراب عنه اليه وتخصيص
الاكثر لانه كان منهم من امن ومنهم من عقل الحق وكابر استكبارا وخوفا
على الرياسة ان هم الا كالانعام في عدم انتفاعهم بقرع الايات
اذانهم وعدم تدبرهم فيما شاهدوا من الدلائل والمعجزات بل هم اضل
سبيلا من الانعام لانها تنقاد لمن يتعهدها وتميز من يحسن اليها ممن يسيء
اليها وتطلب ما ينفعها وتجتنب ما يضرها وهؤلاء لا ينقادون لربهم ولا
يعرفون احسانه من اساءة الشيطان ولا يطلبون الثواب الذي هو اعظم
المنافع ولا يتقون العقاب الذي هو اشد المضار ولانها ان لم تعتقد
حقا ولم تكتسب خيرا لم تعتقد باطلا ولم تكتسب شرا بخلاف هؤلاء ولان
جهالتها لا تضر باحد وجهالة هؤلاء تؤدي الى هيج الفتن وصد الناس
عن الحق ولانها غير متمكنة من طلب الكمال فلا تقصير منها ولا ذم وهؤلاء

مقصرون

مقصرون ومستحقون اعظم العقاب على تقصيرهم الم تر الى ربك
الم تنظر الى صنعه كيف مد الظل كيف بسطه او الم تنظر الى الظل كيف
مده ربك فغير النظم اشعارا بان المعقول من هذا الكلام لوضوح
برهانه وهو دلالة حدوثه وتصرفه على الوجه النافع باسباب ممكنة
على ان ذلك فعل الصانع الحكيم كالمشاهد المرئي فكيف بالمحسوس منه او
الم ينته علمك الى ان ربك كيف مد الظل وهو فيما بين طلوع الفجر والشمس
وهو اطيب الاحوال فان الظلمة الخالصة تنفر الطبع وتسد النظر وشعاع
الشمس يسخن الجو ويبهر البصر ولذلك وصف به الجنة فقال وظل ممدود
ولو شاء لجعله ساكنا ثابتا من السكنى او غير متقلص من السكون بان
يجعل الشمس مقيمة على وضع واحد ثم جعلنا الشمس عليه دليلا فانه
لا يظهر للحس حتى تطلع فيقع ضوؤها على بعض الاجرام او لا يوجد ولا يتفاوت
الا بسبب حركتها ثم قبضناه الينا اي ازلناه بايقاع الشعاع موقعه لما عبر عن احداثه
بالمد بمعنى التسيير عبر عن ازالته بالقبض الى نفسه الذي هو في معنى الكف قبضا
يسيرا قليلا قليلا حسبما ترتفع الشمس لينتظم بذلك مصالح الكون ويتحصل
به ما لا يحصى من منافع الخلق وثم في الموضعين لتفاضل الامور او لتفاضل
مبادي اوقات ظهورها وقيل مد الظل لما بنى السماء بلا نير ودحى الارض تحتها
فالقت عليها ظلها ولو شاء لجعله ثابتا على تلك الحال ثم خلق الشمس عليه
دليلا اي مسلطا عليه مستتبعا اياه كما يستتبع الدليل المدلول او دليلا
لطريق من يهديه فانه يتفاوت بحركتها ويتحول بتحولها ثم قبضناه الينا
قبضا يسيرا شيئا فشيئا الى ان ينتهي غاية نقصانه او قبضا سهلا عند قيام
الساعة بقبض اسبابه من الاجرام المظلة والمظل عليها وهو الذي جعل
لكم الليل لباسا شبه ظلامه باللباس في ستره والنوم سباتا
راحة للابدان بقطع المشاغل واصل السبت القطع او موتا كقوله وهو
الذي يتوفاكم بالليل لانه قطع الحياة ومنه المسبوت للميت وجعل النهار
نشورا ذا نشور اي انتشار ينتشر فيه الناس للمعاش او بعث من النوم
بعث الاموات فيكون اشارة الى ان النوم واليقظة انموذج للموت
والنشور وعن لقمان عليه السلام يا بني كما تنام فتوقظ كذلك تموت فتنشر
وهو الذي ارسل الرياح وقرا ابن كثير على التوحيد ارادة للجنس نشرا ناشرا
للسحاب جمع نشور وقرا ابن عامر بالسكون على التخفيف وحمزة والكسائي

به وبفتح النون على انه مصدر وصف به وعاصم بشرا تخفيف بشرا جمع بشور
بمعنى مبشر بين يدي رحمته يعني قدام المطر وانزلنا من السماء ماء طهورا
مطهرا لقوله ليطهركم به وهو اسم لما يتطهر به كالوضوء والوقود لما يتوضا
ويوقد به قال عليه الصلوة والسلام التراب طهور المؤمن طهور اناء احدكم
اذا ولغ الكلب فيه ان يغسل سبعا احداهن بالتراب وقيل بليغا في الطهارة
وفعول وان غلب في المعنيين لكنه قد جاء للمفعول كالضبوث وللمصدر كالقبول
وللاسم كالذنوب وتوصيفه به اشعارا بالنعمة فيه وتتميما للمنة فيما بعده
فان الماء الطهور اهنأ وانفع مما خالطه ما يزيل طهوريته وتنبيه على ان ظواهرهم
لما كانت مما ينبغي ان يطهروها فبواطنهم بذلك اولى لنحيي به بلدة ميتا
بالنبات وتذكير ميتا لان البلدة في معنى البلد ولانه غير جار على الفعل
كسائر ابنية المبالغة فاجري مجرى الجامد ونسقيه مما خلقنا انعاما
واناسي كثيرا يعني اهل البوادي الذين يعيشون بالحيا ولذلك نكر
الانعام والاناسي وتخصيصهم لان اهل المدن والقرى يقيمون بقرب الانهار
والمنابع فبهم وبما حولهم من الانعام غنية عن سقيا السماء وسائر الحيوانات
تبعد في طلب الماء فلا يعوزها الشرب غالبا مع ان مساق هذه الآيات كما
هو للدلالات على عظيم القدرة فهو لتعداد انواع النعمة والانعام قنية الاناسي
وعامة منافعهم وعلية معاشهم منوطة بها ولذلك قدم سقيها على سقيهم
كما قدم عليها احياء الارض فانه سبب لحياتها وتعيشها وقرئ نسقيه وسقى
واسقى لغتان وقيل اسقاه جعل له سقيا واناسي بحذف ياء وهو جمع انسي
او انسان كظرابي في ظربان على ان اصله اناسين فقلبت النون ياء ولقد
صرفناه بينهم صرفنا هذا القول بين الناس في القرآن وسائر الكتب
او المطر بينهم في البلدان المختلفة والاوقات المتغايرة والصفات
المتفاوتة من وابل وطل وغيرهما وعن ابن عباس رضي الله عنهما ما عام
امطر من عام ولكن الله قسم ذلك بين عباده على ما يشاء وتلا هذه الآية
او في الانهار والمنافع ليذكروا ليتفكروا ويعرفوا كمال القدرة وحق النعمة
في ذلك ويقوموا بشكره او ليعتبروا بالصرف عنهم واليهم وقرأ حمزة والكسائي
بسكون الذال وضم الكاف فابى اكثر الناس الا كفورا الا كفران
النعمة وقلة الاكتراث لها او جحودها بان يقولوا مطرنا بنوء كذا ومن لا يرى
الامطار الا من الانواء كان كافرا بخلاف من يرى انها من خلق الله والانواء

وسائط وامارات بجعله تعالى ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا نبيا
ينذر اهلها فيخف عليك اعباء النبوة ولكن قصرنا الامر عليك اجلالا
لك وتعظيما لشانك وتفضيلا لك على سائر الرسل فقابل ذلك بالثبات
والاجتهاد في الدعوة واظهار الحق فلا تطع الكافرين فيما يريدونك
عليه وهو تهييج له وللمؤمنين وجاهدهم به بالقرآن او بترك طاعتهم
الذي يدل عليه فلا تطع والمعنى انهم يجتهدون في ابطال حقك فقابلهم
بالاجتهاد في مخالفتهم وازاحة باطلهم جهادا كبيرا لان مجاهدة السفهاء
بالحجج اكبر من مجاهدة الاعداء بالسيف او لان مخالفتهم ومعاداتهم فيما
بين اظهرهم مع عتوهم وظهورهم او لانه جهاد مع كل الكفرة لانه مبعوث
الى كافة القرى وهو الذي مرج البحرين خلاهما متجاورين متلاصقين
بحيث لا يتمازجان من مرج دابته اذا خلاها هذا عذب فرات قامع للعطش
من فرط عذوبته وهذا ملح اجاج بليغ الملوحة وقرئ ملح على فعل
ولعل اصله مالح فخفف كبرد في بارد وجعل بينهما برزخا حاجزا
من قدرته وحجرا محجورا وتنافرا بليغا كان كلا منهما يقول للآخر ما يقوله
المتعوذ عنه وقيل حدا محدودا وذلك كدجلة تدخل البحر فتشقه
فتجري في خلاله فراسخ لا يتغير طعمها وقيل المراد بالبحر العذب النهر العظيم
مثل النيل وبالبحر الملح البحر الكبير وبالبرزخ ما يحول بينهما من الارض
فتكون القدرة في الفصل واختلاف الصفة مع ان مقتضى طبيعة اجزاء
كل عنصر ان تضامت وتلاصقت وتشابهت في الكيفية وهو الذي خلق
من الماء بشرا يعني الذي خمر به طينة آدم او جعله جزءا من مادة البشر
لتجتمع وتسلس وتقبل الاشكال والهيئات بسهولة او النطفة فجعله نسبا
وصهرا اي قسمه قسمين ذوي نسب اي ذكورا ينسب اليهم وذوات صهر
اي اناثا يصاهر بهن كقوله وجعل منه الزوجين الذكر والانثى وكان
ربك قديرا حيث خلق من مادة واحدة بشرا ذا اعضاء مختلفة وطباع
متباعدة وجعله قسمين متقابلين وربما يخلق من نطفة واحدة توأمين
ذكرا وانثى ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم يعني
الاصنام او كل ما عبد من دون الله اذ ما من مخلوق يستقل بالنفع والضر
وكان الكافر على ربه ظهيرا يظاهر الشيطان بالعداوة والشرك والمراد
بالكافر الجنس او ابو جهل وقيل هينا مهينا لا وقع له عنده تعالى من قولهم

ظهريا به اذا نبذته خلف ظهرك فيكون كقوله ولا يكلمهم الله ولا ينظر
اليهم وما ارسلناك الا مبشرا ونذيرا للمؤمنين والكافرين قل ما
اسألكم عليه على تبليغ الرسالة الذي يدل عليه الا مبشرا ونذيرا من اجر
الا من شاء الا فعل من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا ان يتقرب اليه
ويطلب الزلفى عنده بالايمان والطاعة فصور ذلك بصورة الاجر من
حيث انه مقصود فعله واستثناه منه قلعا لشبهة الطمع واظهارا لغاية
الشفقة حيث اعتد بانفاعك نفسك بالتعرض للثواب والتخلص عن العقاب
اجرا وافيا مرضيا به مقصورا عليه واشعارا بان طاعتهم تعود عليه
بالثواب من حيث انها بدلالته وقيل الاستثناء منقطع معناه لكن من شاء
ان يتخذ الى ربه سبيلا فليفعل وتوكل على الحي الذي لا يموت في استكفاء
شرورهم والاغناء عن اجورهم فانه الحقيق بان يتوكل عليه دون الاحياء
الذين يموتون فانهم اذا ماتوا ضاع من توكل عليهم وسبح بحمده ونزهه
عن صفات النقصان مثنيا عليه باوصاف الكمال طالبا لمزيد الانعام
بالشكر على سوابغه وكفى به بذنوب عباده ما ظهر منها وما بطن خبيرا
مطلعا فلا عليك ان آمنوا او كفروا الذي خلق السموات والارض
وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش قد سبق الكلام فيه
ولعل ذكره زيادة تقرير لكونه حقيقا بان يتوكل عليه من حيث انه الخالق
للكل والمتصرف فيه وتحريض على الثبات والتاني في الامر فانه تعالى مع
كمال قدرته وسرعة نفاذ امره في كل مراد خلق الاشياء على تؤدة وتدرج
الرحمن خبر للذي ان جعلته مبتدأ او لمحذوف ان جعلته صفة للحي او بدل
من المستكن في استوى وقرئ بالجر صفة للحي فاسأل به خبيرا فاسأل عما
ذكر من الخلق والاستواء عالما يخبرك بحقيقته وهو الله تعالى او جبريل او
من وجده في الكتب المتقدمة ليصدقك فيه وقيل الضمير للرحمن والمعنى
ان انكروا اطلاقه على الله فاسأل عنه من يخبرك من اهل الكتاب ليعرفوا
مجيء ما يرادفه في كتبهم وعلى هذا يجوز ان يكون الرحمن مبتدأ والخبر ما بعده
والسؤال كما يعدى بعن لتضمنه معنى التفتيش يعدى بالباء لتضمنه معنى الاعتناء
وقيل انه صلة خبيرا واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن لانهم
ما كانوا يطلقونه على الله او لانهم ظنوا انه اراد به غيره ولذلك قالوا انسجد
لما تامرنا اي للذي تامرناه يعني تامرنا بسجوده او لامرك لنا من غير عرفان

وقيل لانه كان معربا لم يسمعوه وقرأ حمزة والكسائي يأمرنا بالياء على انه قول بعضهم
لبعض وزادهم اي الامر بالسجود للرحمن نفورا عن الايمان تبارك الذي
جعل في السماء بروجا يعني البروج الاثني عشر سميت به وهي القصور العالية
لانها للكواكب السيارة كالمنازل لسكانها واشتقاقها من التبرج وهو الظهور
وجعل فيها سراجا يعني الشمس لقوله وجعل الشمس سراجا وقرأ حمزة والكسائي
سرجا وهي الشمس والكواكب الكبار وقمرا منيرا مضيئا بالليل وقرئ وقمرا اي
ذا قمر وهو جمع قمراء ويحتمل ان يكون بمعنى القمر كالرشد والرشد والعرب
والعرب وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة اي ذوي خلفة يخلف كل منهما
الاخر بان يقوم مقامه فيما ينبغي ان يعمل فيه او بان يعتقبا لقوله واختلاف
الليل والنهار وهي للحالة من خلف كالركبة والجلسة لمن اراد ان يذكر ان
يتذكر آلاء الله ويتفكر في صنعه فيعلم انه لا بد له من صانع حكيم واجب
الذات رحيم على العباد او اراد شكورا ان يشكر الله تعالى على ما فيه من النعم
او ليكونا وقتين للذاكرين والشاكرين من فاته ورده في احدهما تداركه في
الاخر وقرأ حمزة ان يذكر من ذكر بمعنى تذكر وكذلك ليذكروا ووافقه الكسائي
فيه وعباد الرحمن مبتدأ خبره اولئك يجزون الغرفة او الذين يمشون على
الارض واضافتهم الى الرحمن للتخصيص والتفضيل او لانهم الراسخون في عبادته
على ان عباد جمع عابد كتاجر وتجار هونا هينين او مشيا هينا مصدر وصف
به والمعنى انهم يمشون بسكينة وتواضع واذا خاطبهم الجاهلون قالوا
سلاما تسلما منكم ومتاركة لكم لا خير بيننا وبينكم ولا شر او سدادا
من القول يسلمون فيه من الايذاء والاثم ولا ينافيه آية القتال لتنسخه
فان المراد به هو الاغضاء عن السفهاء وترك مقابلتهم في الكلام والذين
يبيتون لربهم سجدا وقياما في الصلاة وتخصيص البيتوتة لان العبادة
بالليل احمز وابعد من الرياء وتاخير القيام للروي وهو جمع قائم او مصدر
اجري مجراه والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها
كان غراما لازما ومنه الغريم لملازمته وهو ايذان بانهم مع حسن
مخالقتهم مع الخلق واجتهادهم في عبادة الحق وجلون من العذاب
مبتهلون الى الله في صرفه عنهم لعدم اعتدادهم باعمالهم ووثوقهم
على استمرار احوالهم انها ساءت مستقرا ومقاما اي بئست مستقرا
وفيها ضمير مبهم يفسره المميز والمخصوص بالذم ضمير محذوف به يرتبط

الجملة باسم ان او حزنت وفيها ضمير اسم ان ومستقرا حال او تمييز والجملة
تعليل للعلة الاولى وتعليل ثان وكلاهما يحتملان الحكاية والابتدا
من الله والذين اذا انفقوا لم يسرفوا لم يجاوزوا حد الكرم ولم يقتروا ولم
يضيقوا تضييق الشحيح وقيل الاسراف هو الانفاق في المحارم والتقتير
منع الواجب وقرا الكوفيون ونافع وابن عامر ولم يقتروا بضم اليا من اقتر
وقري بالتشديد والكل واحد وكان بين ذلك قواما وسطا وعدلا
سمي به لاستقامة الطرفين كما سمي سوا لاستوائهما وقري بالكسر وهو ما
يقام به الحاجة لا يفضل عنها ولا ينقص وهو خبر ثان او حال موكدة ويجوز
ان يكون الخبر وبين ذلك لغوا وقيل انه اسم كان لكنه مبني لاضافته
الى غير متمكن وهو ضعيف لانه بمعنى القوام فيكون كالاخبار بالشي عن نفسه
والذين لا يدعون مع الله الها اخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله اي
حرمها بمعنى حرم قتلها الا بالحق متعلق بالقتل المحذوف او بلا يقتلون
ولا يزنون نفى عنهم امهات المعاصي بعد ما اثبت لهم اصول الطاعات اظهارا
لكمال ايمانهم واشعارا بان الاجر المذكور موعود للجامع بين ذلك وتعريضا
للكفرة باضداده ولذلك عقبه بالوعيد تهديدا لهم فقال ومن يفعل ذلك
يلق اثاما جزا اثم او اثما باضمار الجزا وقري اياما اي شدايد يقال يوم ذو
ايام اي صعب يضاعف له العذاب يوم القيامة بدل من يلق لانه في معناه
كقوله متى تاتنا تلمم بنا في ديارنا تجد حطبا جزلا ونارا تاججا وقرا ابو بكر
بالرفع على الاستيناف او الحال وكذلك ويخلد فيه مهانا وابن كثير ويعقوب
يضعف بالجزم وابن عامر بالرفع فيهما مع التشديد وحذف الالف في يضعف
وقري ويخلد على البنا للمفعول مخففا وقري مثقلا وتضعف له العذاب مضاعفة
العذاب لانضمام المعصية الى الكفر ويدل عليه قوله الا من تاب وامن
وعمل عملا صالحا فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات بان يمحو سوابق
معاصيهم بالتوبة ويثبت مكانها لواحق طاعاتهم او يبدل ملكة المعصية
في النفس بملكة الطاعة وقيل بان يوفقه لاضداد ما سلف منه او بان
يثبت له بدل كل عقاب ثوابا وكان الله غفورا رحيما فلذلك يعفو عن
السيئات ويثيب على الحسنات ومن تاب عن المعاصي بتركها والندم
عليها وعمل صالحا يتلافى به ما فرط او خرج عن المعاصي ودخل في الطاعة
فانه يتوب الى الله يرجع الى الله بذلك متابا مرضيا عند الله ماحيا للعقاب

محصلا للثواب او يتوب متابا الى الله الذي يحب التائبين ويصطنع بهم
او فانه يرجع الى الله والى ثوابه مرجعا حسنا وهذا تعميم بعد تخصيص والذين
لا يشهدون الزور لا يقيمون الشهادة الباطلة او لا يحضرون محاضر
الكذب فان مشاهدة الباطل شركة فيه واذا مروا باللغو ما يجب ان يلغى و
يطرح مروا كراما معرضين عنه مكرمين انفسهم عن الوقوف عليه والخوض
فيه ومن ذلك الاغضا عن الفواحش والصفح عن الذنوب والكناية عما يستهجن
التصريح به والذين اذا ذكروا بايات ربهم بالوعظ او القراة لم يخروا
عليها صما وعميانا لم يقيموا عليها غير واعين لها ولا متبصرين بما فيها
كمن لا يسمع ولا يبصر بل اكبوا عليها سامعين باذان واعية مبصرين بعيون
راعية فالمراد من النفي نفي الحال دون الفعل كقولك لا يلقاني زيد مسلما
وقيل الها للمعاصي المدلول عليها باللغو والذين يقولون ربنا هب لنا
من ازواجنا وذرياتنا قرة اعين بتوفيقهم للطاعة وحيازة الفضايل
فان المومن اذا شاركه اهله في طاعة الله سر بهم قلبه وقرت بهم عينه
لما يرى من مساعدتهم له في الدين وتوقع لحوقهم به في الجنة ومن ابتدائية
او بيانية كقولك رايت منك اسدا وقرا ابو عمرو وحمزة والكسائي وابو بكر
وذريتنا وتنكير الاعين لارادة تنكير القرة تعظيما وتقليلها لان المراد
اعين المتقين وهي قليلة بالاضافة الى عيون غيرهم واجعلنا للمتقين اماما
يقتدون بنا في امر الدين باضافة العلم والتوفيق للعمل وتوحيده لدلالة
على الجنس وعدم اللبس كقوله ثم يخرجكم طفلا او لانه مصدر في اصله او لان
المراد واجعل كل واحد منا او لانهم كنفس واحدة لاتحاد طريقتهم واتفاق
كلمتهم وقيل جمع ام كصايم وصيام ومعناه قاصدين لهم مقتدين بهم
اولئك يجزون الغرفة اعلى مواضع الجنة وهي اسم جنس اريد به الجمع كقوله
وهم في الغرفات امنون والقراة بها وقيل هي من اسما الجنة بما صبروا بصبرهم
على المشاق من مضض الطاعات ورفض الشهوات وتحمل المجاهدات
ويلقون فيها تحية وسلاما دعا بالتعمير والسلامة اي تحييهم الملائكة
ويسلمون عليهم او يحيي بعضهم بعضا ويسلم عليه او تبقية دايمة وسلامة
من كل افة وقرا حمزة والكسائي وابو بكر يلقون من لقي خالدين فيها لا يموتون
ولا يخرجون حسنت مستقرا ومقاما مقابل ساءت مستقرا معنى ومثله
اعرابا قل ما يعبؤا بكم ربي ما يصنع بكم من عبات الجيش اذا هياته

اولا يعتد بكم لولا دعاؤكم لولا عبادتكم فان شرف الانسان وكرامته
بالمعرفة والطاعة والا فهو وسائر الحيوانات سوا وقيل معناه ما يصنع
بعذابكم لولا دعاؤكم معه الهة وما ان جعلت استفهامية فمحلها النصب
على المصدر كانه قيل اي عبا يعبا بكم فقد كذبتم بما اخبرتكم حيث
خالفتموه وقيل فقد قصرتم في العبادة من قولهم كذب القتال اذا لم
يبالغ فيه وقرئ فقد كذب الكافرون اي الكافرون منكم لان توجه
الخطاب الى الناس عامة بما وجد في جنسهم من العبادة والتكذيب فسوف
يكون لزاما يكون جزاء التكذيب لازما يحيق بكم لا محالة او اثره لازما
بكم حتى يكبكم في النار وانما اضمر من غير ذكر للتهويل والتنبيه على انه
مما لا يكتنهه الوصف وقيل المراد قتل يوم بدر وانه لوزم بين القتلى
لزاما وقرئ لزاما بمعنى اللزوم كالثبات والثبوت عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرا سورة الفرقان لقي الله وهو مومن بان الساعة اتية لا ريب فيها وادخل الجنة بغير نصب

الا قوله والشعراء يتبعهم الغاوون الى اخرها وهي مايتان وسبع وعشرون
اية بسم الله الرحمن الرحيم طسم قرا حمزة والكسائي وابو بكر
بالامالة ونافع بين بين كراهة العود الى الياء المهروب منها واظهر نونه
حمزة لانه في الاصل منفصل عما بعده تلك ايات الكتاب المبين الظاهر
اعجازه وصحته والاشارة الى السورة او القران على ما مر في اول البقرة
لعلك باخع نفسك قاتل نفسك واصل البخع ان يبلغ بالذبح البخاع
بالبا وهو عرق مستبطن الفقار وذلك اقصى حد الذبح وقرئ باخع نفسك
بالاضافة ولعل للاشفاق اي اشفق على نفسك ان تقتلها الا يكونوا
مومنين لئلا يومنوا او خيفة ان لا يومنوا ان نشا ننزل عليهم من السما
اية دلالة ملجئة الى الايمان او بلية قاسرة عليه فظلت اعناقهم لها
خاضعين منقادين واصله فظلوا لها خاضعين فاقحمت الاعناق لبيان
موضع الخضوع وترك الخبر على اصله وقيل لما وصفت الاعناق بصفات
العقلا اجريت مجراهم وقيل المراد بها الروسا او الجماعات من قولهم
جانا عنق من الناس لفوج منهم وقرئ خاضعة وظلت عطف على ننزل
عطف فاكن على فاصدق لانه لو قيل انزلنا بدله لصح وما ياتيهم من ذكر

موعظة

٤١١

موعظة او طائفة من القران من الرحمن بوحيه الى نبيه محدث مجدد
انزاله لتكرير التذكير وتنويع التقرير الا كانوا عنه معرضين الا
جددوا اعراضا عنه واصرارا على ما كانوا عليه فقد كذبوا اي بالذكر
بعد اعراضهم وامعنوا في تكذيبه بحيث ادى بهم الى الاستهزا به المخبر
به ضمنا في قوله فسياتيهم اي اذا مسهم عذاب الله يوم بدر او يوم
القيمة انباء ما كانوا به يستهزون من انه كان حقا ام باطلا وكان
حقيقا بان يصدق ويعظم قدره او يكذب فيستخف امره اولم يروا الى
الارض اولم ينظروا الى عجايبها كم انبتنا فيها من كل زوج صنف كريم
محمود كثير المنفعة وهو صفة لكل ما يحمد ويرضى وههنا يحتمل ان تكون
مقيدة لما يتضمن الدلالة على القدرة وان تكون مبينة على انه ما من نبت
الا وله فايدة اما وحده او مع غيره وكل لاحاطة الازواج وكم لكثرتها
ان في ذلك ان في انبات تلك الاصناف او في كل واحد لاية على ان
منبتها تام القدرة والحكمة سابغ النعمة والرحمة وما كان اكثرهم مومنين
في علم الله وقضايه فلذلك لا ينفعهم امثال هذه الايات العظام
وان ربك لهو العزيز الغالب القادر على الانتقام من الكفرة الرحيم حيث
امهلهم او العزيز في انتقامه ممن كفر الرحيم لمن تاب وامن واذ نادى
ربك موسى مقدر باذكر او ظرف لما بعده ان ائت اي ائت او بان ائت
القوم الظالمين بالكفر واستعباد بني اسرايل وذبح اولادهم قوم فرعون
بدل من الاول او عطف بيان له ولعل الاقتصار على القوم للعلم بان
فرعون كان اولى بذلك الا يتقون استيناف اتبعه ارساله اليهم للا نذار
تعجيبا له من افراطهم في الظلم واجترايهم عليه وقرئ بالتا على الالتفات
اليهم زجرا لهم وغضبا عليهم وهم وان كانوا غيبا حينئذ اجروا مجرى الحاضرين
في كلام المرسل اليهم من حيث انه مبلغه اليهم واسماعه مبدا اسماعهم
مع ما فيه من مزيد الحث على التقوى لمن تدبره وتامل مورده وقرئ
بكسر النون اكتفا بها عن يا الاضافة ويحتمل ان يكون بمعنى الا يا ناس اتقون
كقوله الا يا اسجدوا قال رب اني اخاف ان يكذبون ويضيق صدري
ولا ينطلق لساني فارسل الى هرون رتب استدعا ضم اخيه اليه واشراكه كه
له في الامر على الامور الثلاثة خوف التكذيب وضيق القلب انفعالا عنه
وازدياد الحبسة في اللسان بانقباض الروح الى باطن القلب عند ضيقه

بحيث لا ينطلق لانها اذا اجتمعت مست الحاجة الى معين يقوي قلبه وينوب
منابه متى تعتريه حبسة حتى لا تختل دعوته ولا تنبتر حجته وليس ذلك
تعللا منه وتوقفا في تلقي الامر بل طلبا لما يكون معونة على امتثاله
وتمهيد عذره فيه وقرا يعقوب ويضيق ولا ينطلق بالنصب عطفا على يكذبوا
فيكونان من جملة ما خاف عنه ولهم علي ذنب اي تبعة ذنب فحذف المضاف او
سمي باسمه والمراد قتل القبطي وانما سماه ذنبا على زعمهم وهذا اختصار قصته
المبسوطة في مواضع فاخاف ان يقتلون به قبل اداء الرسالة وهو ايضا
ليس تعللا وانما هو استدفاع للبلية المتوقعة كما ان ذلك استمداد واستظهار
في امر الدعوة وقوله قال كلا فاذهبا باياتنا اجابة له الى الطلبتين بوعد
لدفع اللائم بردعه عن الخوف وضم اخيه اليه في الارسال فالخطاب في
فاذهبا على تغليب الحاضر لانه معطوف على الفعل الذي يدل عليه كلا كانه
قيل ارتدع يا موسى عما تظن فاذهب انت والذي طلبته انا معكم يعني
موسى وهرون وفرعون مستمعون سامعون لما يجري بينكما وبينه
فاظهركما عليه مثل نفسه تعالى بمن حضر مجادلة قوم استماعا لما يجري
بينهم وترقبا لامداد الاوليا منهم مبالغة في الوعد بالاعانة ولذلك
تجوز بالاستماع الذي هو بمعنى الاصغا للسمع الذي هو مطلق ادراك
الحروف والاصوات وهو خبر ثان او الخبر وحده ومعكم لغو فاتيا فرعون
فقولا انا رسول رب العالمين افراد الرسول لانه مصدر وصف به
فانه مشترك بين المرسل والرسالة قال لقد كذب الواشون ما فهت
عندهم بسر ولا ارسلتهم برسول ولذلك ثني تارة وافرد اخرى او لا
تحادهما للاخوة او لوحدة المرسل والمرسل به او لانه اراد ان كل واحد
منا ان ارسل معنا بني اسرائيل اي ارسل لتضمن الرسول معنى الارسال
المتضمن معنى القول والمراد خلهم يذهبوا معنا الى الشام قال اي فرعون
لموسى بعد ما اتياه فقالا له ذلك الم نربك فينا في منازلنا وليدا
طفلا سمي به لقربه من الولادة ولبثت فينا من عمرك سنين قيل لبث
فيهم ثلثين سنة ثم خرج الى مدين عشر سنين ثم عاد اليهم يدعوهم الى
الله ثلثين سنة ثم بقي بعد الغرق خمسين وفعلت فعلتك التي فعلت
يعني قتل القبطي وبخه به معظما اياه بعد ما عدد عليه نعمته وقرئ فعلتك
بالكسر لانها كانت قتلة بالوكز وانت من الكافرين بنعمتي حتى عمدت الى

قتل خواصي وممن تكفرهم الآن فانه عليه السلام كان يعايشهم بالتقية
فهو حال من احدى التائين ويجوز ان يكون حكما مبتدأ عليه بانه من الكافرين
بالاهيته او بنعمته لما عاد عليه بالمخالفة او من الذين كانوا يكفرون في
دينهم قال فعلتها اذا وانا من الضالين من الجاهلين وقد قرئ به والمعنى
من الفاعلين فعل اولي الجهل والسفه او من المخطئين لانه لم يتعمد قتله
او الذاهلين عما يؤول اليه الوكز لانه اراد به التاديب او الناسين من
قوله ان تضل احداهما ففررت منكم لما خفتكم فوهب لي ربي حكما
حكمة وجعلني من المرسلين رد اولا بذلك ما وبخه به قدحا في
نبوته ثم كر على ما عدد عليه من النعمة ولم يصرح برده لانه كان صدقا
غير قادح في دعواه بل نبه على انه كان في الحقيقة نقمة لكونه مسببا
عنها فقال وتلك نعمة تمنها علي ان عبدت بني اسرائيل اي وتلك
التربية نعمة تمنها علي ظاهرا وهي في الحقيقة تعبيدك بني اسرائيل وقصدهم
بذبح ابنائهم فانه السبب في وقوعي اليك وحصولي في تربيتك وقيل
انه مقدر بهمزة الانكار اي او تلك نعمة تمنها علي وهي ان عبدت ومحل
ان عبدت الرفع على انه خبر محذوف او بدل نعمة او الجر باضمار الباء
او النصب بحذفها وقيل تلك اشارة الى خصلة شنعاء مبهمة وان عبدت
عطف بيانها والمعنى تعبيدك بني اسرائيل نعمة تمنها علي وانما وحد الخطاب
في تمنها وجمع فيما قبله لان المنة كانت منه وحده والخوف والفرار منه
ومن ملائه قال فرعون وما رب العالمين لما سمع جواب ما طعن به فيه
وراى انه لم يرعو بذلك شرع في الاعتراض على دعواه فبدا بالاستفسار
عن حقيقة المرسل قال رب السموات والارض وما بينهما عرفه باظهر
خواصه واثاره لما امتنع تعريف الافراد الا بذكر الخواص والافعال
واليه اشار بقوله ان كنتم موقنين اي ان كنتم موقنين الاشياء محققين
لها علمتم ان هذه الاجرام المحسوسة ممكنة لتركبها وتعددها وتغير احوالها
فلها مبدئ واجب لذاته وذلك المبدئ لا بد وان يكون مبدئا لسائر
الممكنات ما يمكن ان يحس منها وما لا يمكن والا لزم تعدد الواجب او استغنا
بعض الممكنات عنه وكلاهما محال ثم ذلك الواجب لا يمكن تعريفه الا
بلوازمه الخارجية لامتناع التعريف بنفسه وبما هو داخل فيه لاستحالة
التركيب في ذاته قال لمن حوله الا تستمعون جوابه سالته عن حقيقته وهو

يذكر افعاله او يزعم انه رب السموات وهي واجبة متحركة لذواتها كما هو
مذهب الدهرية او غير معلوم افتقارها الى مؤثر قال ربكم ورب
آبائكم الاولين عدولا الى ما لا يمكن ان يتوهم فيه ويشك في افتقاره
الى مصور حكيم ويكون اقرب الى الناظر واوضح عند التامل قال ان رسولكم
الذي ارسل اليكم لمجنون اساله عن شي ويجيبني عن آخر وسماه رسولا
على السخرية قال رب المشرق والمغرب وما بينهما تشاهدون كل يوم
انه يأتي بالشمس من المشرق ويحركها على مدار غير مدار اليوم الذي قبله
حتى يبلغها الى المغرب على وجه نافع ينتظم به امور الكائنات ان كنتم
تعقلون ان كان لكم عقل علمتم ان لا جواب لكم فوق ذلك لاينهم اولا
ثم لما راى شدة شكيمتهم خاشنهم وعارضهم بمثل مقالتهم قال لئن اتخذت
الها غيري لاجعلنك من المسجونين عدولا الى التهديد عن المحاجة
بعد الانقطاع وهكذا ديدن المعاند المحجوج واستدل به على ادعائه
الالوهية وانكاره للصانع وان تعجبه بقوله الا تستمعون من نسبة الربوبية
الى غيره ولعله كان دهريا اعتقد ان من ملك قطرا وتولى امره بقوة طالعه
استحق العبادة من اهله واللام في من المسجونين للعهد اي ممن عرفت حالهم
في سجوني فانه كان يطرحهم في هوة عميقة حتى يموتوا ولذلك جعل ابلغ
من لاسجننك قال اولو جئتك بشي مبين اي اتفعل ذلك ولو جئتك
بشي يبين صدق دعواي يعني المعجزة فانها الجامعة بين الدلالة على وجود
الصانع وحكمته والدلالة على صدق مدعي نبوته فالواو للحال وليها
الهمزة بعد حذف الفعل قال فات به ان كنت من الصادقين في ان لك
بينة او في دعواك فان مدعي النبوة لا بد له من حجة فالقى عصاه فاذا
هي ثعبان مبين ظاهر ثعبانيته واشتقاق الثعبان من ثعبت الماء فانثعب
اذا فجرته فانفجر ونزع يده فاذا هي بيضاء للناظرين روي ان فرعون
لما راى الاية الاولى قال فهل غيرها فاخرج يده قال فما فيها فادخلها
في ابطه ثم نزعها ولها شعاع يكاد يغشي الابصار ويسد الافق قال للملا
حوله مستقرين حوله فهو ظرف وقع موقع الحال ان هذا لساحر عليم فائق
في علم السحر يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره فماذا تامرون بهره
سلطان المعجزة حتى حطه عن دعوى الربوبية الى مؤامرة القوم وايتمارهم
وتنفيرهم عن موسى واظهار الاستشعار عن ظهوره واستيلائه على ملكه

قالوا ارجه واخاه اخر امرهما وقيل احبسهما وابعث في المدائن حاشرين
شرطا يحشرون السحرة يأتوك بكل سحار عليم يفضلون عليه في هذا الفن
وامالها ابن عامر وابو عمرو والكسائي وقرئ بكل ساحر فجمع السحرة لميقات
يوم معلوم لما وقت به من ساعات يوم معين وهو وقت الضحى من يوم الزينة
وقيل للناس هل انتم مجتمعون فيه استبطاء لهم في الاجتماع حثا على مباد (رتهم)
اليه كقول تابط شرا هل انت باعث دينار لحاجتنا او عبد رب اخا عون
ابن مخراق اي ابعث احدهما الينا سريعا لعلنا نتبع السحرة ان كانوا هم
الغالبين لعلنا نتبعهم في دينهم ان غلبوا والترجي باعتبار الغلبة المقتضية
للاتباع ومقصودهم الاصلي ان لا يتبعوا لا ان يتبعوا السحرة فساقوا الكلام
مساق الكناية لانهم اذا اتبعوهم لم يتبعوا موسى فلما جاء السحرة قالوا لفرعون (موسى م)
ائن لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين قال نعم وانكم اذا لمن المقربين التزم
لهم الاجر والقربة عنده زيادة عليه ان غلبوا فاذن على ما تقتضيه من الجواب
والجزاء وقرئ نعم بالكسر وهما لغتان قال لهم موسى القوا ما انتم ملقون
اي بعد ما قالوا له اما ان تلقي واما ان نكون نحن الملقين ولم يرد به امرهم
بالسحر والتمويه بل الاذن في تقديم ما هم فاعلوه لا محالة توسلا به الى
اظهار الحق فالقوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون انا لنحن الغالبون
اقسموا بعزته على ان الغلبة لهم لفرط اعتقادهم في انفسهم واتيانهم
باقصى ما يمكن ان يؤتى به من السحر فالقى موسى عصاه فاذا هي تلقف تبتلع
وقرا حفص تلقف بالتخفيف ما يافكون ما يقلبونه عن وجهه بتمويههم وتزويرهم
فيخيلون حبالهم وعصيهم انها حيات تسعى او افكهم تسمية للمافوك به
مبالغة فالقي السحرة ساجدين لعلمهم بان مثله لا يتاتى بالسحر وفيه
دليل على ان منتهى السحر تمويه وتزويق يخيل شيئا لا حقيقة له وان التبحر في
كل فن نافع وانما بدل الخرور بالالقاء ليشاكل ما قبله ويدل على انهم
لما راوا ما راوا لم يتمالكوا انفسهم فكانهم اخذوا فطرحوا على وجوههم
وانه تعالى القاهم بما خولهم من التوفيق قالوا امنا برب العالمين بدل
من القي بدل الاشتمال او حال باضمار قد رب موسى وهارون ابدال
للتوضيح ودفع التوهم والاشعار على ان الموجب لايمانهم ما اجراه على
ايديهما قال امنتم له قبل ان اذن لكم انه لكبيركم الذي علمكم
السحر فعلمكم شيئا دون شيء ولذلك غلبكم او فواعدكم ذلك وتواطاتم

عليه اراد به التلبيس على قومه لئلا يعتقدوا انهم امنوا عن بصيرة وظهور
حق وقرأ حمزة والكسائي وابو بكر وروح أآمنتم بهمزتين فلسوف تعلمون
وبال ما فعلتم وقوله لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف ولاصلبنكم
اجمعين بيان له قالوا لا ضير لا ضرر علينا في ذلك انا الى ربنا منقلبون
بما توعدنا به فان الصبر عليه محاء للذنوب موجب للثواب والقرب من
الله او بسبب من اسباب الموت والقتل انفعها وارجاها انا نطمع ان
يغفر لنا ربنا خطايانا ان كنا لان كنا اول المؤمنين من اتباع فرعون
او من اهل المشهد والجملة في المعنى تعليل ثان لنفي الضير او تعليل للعلة
المتقدمة وقرئ ان كنا على الشرط لهضم النفس وعدم الثقة بالخاتمة او على
طريقة المدل بامره ان احسنت اليك فلا تنس حقي واوحينا الى موسى
ان اسر بعبادي وذلك بعد سنين اقام بين اظهرهم يدعوهم
الى الحق ويظهر لهم الآيات فلم يزيدوا الا عتوا وفسادا وقرأ نافع وابن
كثير ان اسر بكسر النون ووصل الالف من سرى وقرئ ان سر من السير
انكم متبعون يتبعكم فرعون وجنوده وهو علة الامر بالاسراء اي اسر
بهم حتى اذا اتبعوكم مصبحين كان لكم تقدم عليهم بحيث لا يدركونكم قبل
وصولكم الى البحر بل يكونون على اثركم حين تلجون البحر فيدخلون مدخلكم
فاطبقه عليهم فاغرقهم فارسل فرعون حين اخبر بسراهم في المدائن
حاشرين العساكر ليتبعوهم ان هؤلاء لشرذمة قليلون على ارادة
القول وانما استقلهم وكانوا ستمائة وسبعين الفا بالاضافة الى جنوده
اذ روي انه خرج وكانت مقدمته سبعمائة الف والشرذمة الطائفة
القليلة ومنها ثوب شراذم لما بلي وتقطع وقليلون باعتبار انهم اسباط
كل سبط منهم قليل وانهم لنا لغائظون لفاعلون ما يغيظنا وانا
لجميع حذرون وانا لجمع من عادتنا الحذر واستعمال الحزم في الامور
اشار اولا الى عدم ما يمنع اتباعهم من شوكتهم ثم الى تحقق ما يدعوا
اليه من فرط عداوتهم ووجوب التيقظ في شأنهم حثا عليه واعتذر
بذلك الى اهل المدائن كي لا يظن به ما يكسر سلطانه وقرأ ابن ذكوان
عن ابن عامر والكوفيون حاذرون والاول للثبات والثاني للتجدد
وقيل الحاذر المؤدي في السلاح وهو ايضا من الحذر لان ذلك انما
يفعل حذرا وقرئ حادرون بالدال اي اقوياء قال احب الصبي السوء

من اجل امه وابغضه من بغضها وهو حادر او تاموا السلاح فان ذلك يوجب
الحدارة في اجسامهم فاخرجناهم بان خلقنا داعية الخروج بهذا السبب
فحملتهم عليه من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم يعني المنازل الحسنة
والمجالس البهية كذلك مثل ذلك الاخراج اخرجنا فهو مصدر
او مثل ذلك المقام الذي كان لهم على انه صفة مقام او الامر كذلك فيكون
خبر المحذوف واورثناها بني اسرائيل فاتبعوهم وقرئ فاتبعوهم مشرقين
داخلين في وقت شروق الشمس فلما تراءى الجمعان تقاربا بحيث رأى كل
واحد منهما الآخر وقرئ تراءت الفئتان قال اصحاب موسى انا لمدركون
لملحقون وقرئ لمدركون من ادرك الشيء اذا تتابع ففني اي انا لمتتابعون
في الهلاك على ايديهم قال كلا لن يدركوكم فان الله وعدكم الخلاص منهم
ان معي ربي بالحفظ والنصرة سيهدين طريق النجاة منهم روي ان
مؤمن آل فرعون كان بين يدي موسى فقال اين امرت فهذا البحر امامك
وقد غشيك آل فرعون فقال امرت بالبحر ولعلي اومر بما اصنع فاوحينا
الى موسى ان اضرب بعصاك البحر القلزم او النيل فانفلق اي فضرب
فانفلق وصار اثني عشر فرقا بينها مسالك فكان كل فرق كالطود
العظيم كالجبل المنيف الثابت في مقره فدخلوا في شعابها كل سبط
في شعب وازلفنا وقربنا ثم الآخرين فرعون وقومه حتى دخلوا على
اثرهم مداخلهم وانجينا موسى ومن معه اجمعين بحفظ البحر على تلك
الهيئة الى ان عبروا ثم اغرقنا الآخرين باطباقه عليهم ان في ذلك لآية
وأية آية وما كان اكثرهم مؤمنين وما تنبه عليها اكثرهم اذ لم يؤمن بها
احد ممن بقي في مصر من القبط وبنو اسرائيل بعد ما نجوا سألوا بقرة يعبدونها
واتخذوا العجل وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة وان ربك لهو
العزيز المنتقم من اعدائه الرحيم باوليائه واتل عليهم على مشركي العرب
نبأ ابراهيم اذ قال لابيه وقومه ما تعبدون سألهم ليريهم ان ما
يعبدونه لا يستحق العبادة قالوا نعبد اصناما فنظل لها عاكفين فاطالوا
جوابهم بشرح حالهم معه تبجحا به وافتخارا ونظل هاهنا بمعنى ندوم وقيل
كانوا يعبدونها بالنهار دون الليل قال هل يسمعونكم يسمعون دعاكم
او يسمعونكم تدعون فحذف ذلك لدلالة اذ تدعون عليه وقرئ يسمعونكم
اي يسمعونكم الجواب عن دعائكم ومجيئه مضارعا مع اذ على حكاية الحال

الماضية استحقارا لها او ينفعونكم على عبادتكم لها او يضرون من
اعرض عنها قالوا بل وجدنا اباءنا كذلك يفعلون اضربوا عن ان
يكون لهم سمع او يتوقع منهم ضر او نفع والتجاوا الى التقليد قال افرأيتم ما
كنتم تعبدون انتم واباؤكم الاقدمون فان التقدم لا يدل على الصحة
ولا ينقلب به الباطل حقا فانهم عدو لي يريد انهم اعداء لعابديهم من حيث
انهم يتضررون من جهتهم فوق ما يتضرر الرجل من جهة عدوه او ان المغري
بعبادتهم اعدى اعدائهم وهو الشيطان لكنه صور الامر في نفسه تعريضا
لهم فانه انفع في النصح من التصريح واشعارا بانها نصيحة بدا بها نفسه ليكون
ادعى الى القبول وافراد العدو لانه في الاصل مصدر او بمعنى النسب الا رب
العالمين استثناء منقطع او متصل على ان الضمير لكل معبود عبدوه وكان
من ابائهم من عبد الله الذي خلقني فهو يهدين لانه يهدي كل مخلوق
لما خلق له من امور المعاش والمعاد كما قال والذي قدر فهدى هداية
مدرجة من مبدا ايجاده الى منتهى اجله يتمكن بها من جلب المنافع
ودفع المضار مبداها بالنسبة الى الانسان هداية الجنين الى امتصاص
دم الطمث من الرحم ومنتهاها الهداية الى طريق الجنة والتنعم بلذائذها
والفاء السببية ان جعل الموصول مبتدا وللعطف ان جعل صفة رب العالمين
فيكون اختلاف النظم لتقدم الخلق واستمرار الهداية وقوله والذي
هو يطعمني ويسقين على الاول مبتدا محذوف الخبر لدلالة ما قبله
عليه وكذا اللذان بعده وتكرير الموصول على الوجهين للدلالة على ان
كل واحدة من الصلات مستقلة باقتضاء الحكم واذا مرضت فهو يشفين
عطف على يطعمني ويسقين لانه من روادفهما من حيث ان الصحة والمرض
في الاغلب يتبعان المأكول والمشروب وانما لم ينسب المرض اليه تعالى
لان مقصوده تعديد النعم ولا ينتقض باسناد الاماتة اليه فان الموت من
حيث انه لا يحس به لا ضرر فيه انما الضرر في مقدماته وهي المرض ثم
لاهل الكمال وصلة الى نيل المحاب التي يستحقر دونها الحيوة الدنيوية
وخلاص من انواع المحن والبلية ولان المرض في غالب الامر انما يحدث
بتفريط من الانسان في مطاعمه ومشاربه وبما بين الاخلاط والاركان
من التنافي والتنافر والصحة انما تحصل باستحفاظ اجتماعها والاعتدال
المخصوص عليها قهرا وذلك بقدرة العزيز الحكيم والذي يميتني ثم يحيين

في الاخرة والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين ذكر ذلك هضما
لنفسه وتعليما للامة ان يجتنبوا ويكونوا على حذر وطلب ان يغفر لهم ما
يفرط منهم واستغفارا لما عسى ان يندر منه من الصغائر وحمل الخطيئة على
كلماته الثلاث اني سقيم بل فعله كبيرهم وقوله هي اختي ضعيف لانها
معاريض وليست خطايا رب هب لي حكما كمالا في العلم والعمل استعد به
خلافة الحق ورياسة الخلق والحقني بالصالحين ووفقني للكمال في
العمل لانتظم به في عداد الكاملين في الصلاح الذين لا يشوب صلاحهم
كبير ذنب ولا صغيره واجعل لي لسان صدق في الاخرين جاها وحسن
صيت في الدنيا يبقى اثره الى يوم الدين ولذلك ما من امة الا وهم محبون
له مثنون عليه او صادقا من ذريتي يجدد اصل ديني ويدعو الناس الى ما
كنت ادعوهم اليه وهو محمد صلى الله عليه وسلم واجعلني من ورثة
جنة النعيم في الاخرة وقد مر معنى الوراثة فيها واغفر لابي بالهداية
والتوفيق للايمان انه كان من الضالين طريق الحق وان كان هذا
الدعاء بعد موته فلعله كان لظنه انه كان يخفي الايمان تقية من نمرود
ولذلك وعده به او لانه لم يمنع بعد من الاستغفار ولا تخزني بمعاتبتي
على ما فرطت او بنقص رتبتي عن رتبة بعض الوراث او تعذيبي لخفاء العاقبة
وجواز التعذيب عقلا او بتعذيب والدي او ببعثه في عداد الضالين
وهو من الخزي بمعنى الهوان او من الخزاية بمعنى الحياء يوم يبعثون الضمير
للعباد لانهم معلومون او للضالين يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من
اتى الله بقلب سليم اي لا ينفعان احدا الا مخلصا سليم القلب عن الكفر
وميل المعاصي وسائر افاته او لا ينفعان الا مال من هذا شانه وبنوه
حيث انفق ماله في سبيل البر وارشد بنيه الى الحق وحثهم على الخير
وقصد بهم ان يكونوا عباد الله مطيعين شفعاء له يوم القيمة وقيل الاستثناء
مما دل عليه المال والبنون اي لا ينفع غنى الا غناه وقيل منقطع والمعنى
ولكن سلامة من اتى الله بقلب سليم تنفعه وازلفت الجنة للمتقين
بحيث يرونها من الموقف فيتبجحون بانهم المحشورون اليها وبرزت
الجحيم للغاوين فيرونها مكشوفة فيتحسرون على انهم المسوقون اليها
وفي اختلاف الفعلين ترجيح لجانب الوعد وقيل لهم اين ما كنتم تعبدون
من دون الله اي اين الهتكم الذين تزعمون انهم شفعاكم هل ينصرونكم

بدفع العذاب عنكم او ينتصرون بدفعه عن انفسهم لانهم وآلهتهم
يدخلون النار كما قال فكبكبوا فيها هم والغاوون اي الالهة
وعبدتهم والكبكبة تكرير الكب لتكرير معناه كان من القي في النار ينكب
مرة بعد اخرى حتى يستقر في قعرها وجنود ابليس متبعوه من عصاة
الثقلين او شياطينه اجمعون تاكيد للجنود ان جعل مبتدا خبره ما بعده
او للضمير وما عطف عليه وكذا الضمير المنفصل وما يعود اليه في قوله
قالوا وهم فيها يختصمون تالله ان كنا لفي ضلال مبين على ان الله
ينطق الاصنام فتخاصم العبدة ويؤيده الخطاب في قوله اذ نسويكم
برب العالمين اي في استحقاق العبادة ويجوز ان تكون الضمائر
للعبدة كما في قالوا والخطاب للمبالغة في التحسر والندامة والمعنى انهم
مع تخاصمهم في مبدا ضلالهم معترفون بانهماكهم في الضلالة متحسرون
عليها وما اضلنا الا المجرمون فما لنا من شافعين كما للمؤمنين
من الملائكة والانبياء ولا صديق حميم اذ الاخلاء يومئذ بعضهم
لبعض عدو الا المتقين او فما لنا من شافعين ولا صديق ممن نعدهم
شفعاء واصدقاء او وقعنا في مهلكة لا يخلصنا منها شافع ولا صديق
وجمع الشافع ووحدة الصديق لكثرة الشفعاء في العادة وقلة الصديق
ولان الصديق الواحد يسعى اكثر مما يسعى الشفعاء او لاطلاق الصديق
على الجمع كالعدو لانه في الاصل مصدر كالحنين والصهيل فلو ان لنا كرة
تمني للرجعة واقيم فيه لو مقام ليت لتلاقيهما في معنى التقدير او شرط حذف
جوابه فنكون من المؤمنين جواب التمني او عطف على كرة اي لو ان لنا
ان نكر فنكون ان في ذلك فيما ذكر من قصة ابراهيم لاية لحجة وعظة
لمن اراد ان يستبصر بها ويعتبر فانها جاءت على انظم ترتيب واحسن
تقرير يتفطن المتامل فيها لغزارة علمه لما فيها من الاشارة الى اصول
العلوم الدينية والتنبيه على دلائلها وحسن دعوته للقوم وحسن مخالقته
معهم وكمال اشفاقه عليهم وتصوير الامر في نفسه واطلاق الوعد والوعيد
على سبيل الحكاية تعريضا وايقاظا لهم ليكون ادعى لهم الى الاستماع والقبول
وما كان اكثرهم اكثر قومه مؤمنين به وان ربك لهو العزيز
القادر على تعجيل الانتقام الرحيم بالامهال لكي يؤمنوا هم او واحد
من ذريتهم كذبت قوم نوح المرسلين القوم مؤنثة ولذلك

يصح

يصح على قوله وقد مر الكلام في تكذيبهم المرسلين اذ قال لهم اخوهم
نوح لانه كان منهم الا تتقون الله فتتركوا عبادة غيره اني لكم رسول
امين مشهور بالامانة فيكم فاتقوا الله واطيعون فيما امركم به من التوحيد
والطاعة لله وما اسئلكم عليه على ما انا عليه من الدعاء والنصح من اجر ان
اجري الا على رب العالمين فاتقوا الله واطيعون كرره للتاكيد والتنبيه
على دلالة كل واحد من امانته وحسم طمعه على وجوب طاعته فيما يدعوهم
اليه فكيف اذا اجتمعا وقرا نافع وابن عامر وابو عمرو وحفص بفتح الياء
في اجري في الكلمات الخمس قالوا انؤمن لك واتبعك الارذلون الاقلون
جاها ومالا جمع الارذل على الصحة وقرئ يعقوب واتباعك وهو جمع
تابع كشاهد واشهاد او تبع كبطل وابطال وهذا من سخافة عقلهم وقصور
رايهم على الحطام الدنيوية حتى جعلوا اتباع المقلين فيها مانعا عن اتباعهم
وايمانهم بما يدعوهم اليه ودليلا على بطلانه واشاروا بذلك على ان
اتباعهم ليس عن نظر وبصيرة وانما هو لتوقع مال ورفعة فلذلك
قال وما علمي بما كانوا يعملون انهم عملوه اخلاصا او طمعا في طعمة
وما علي الا اعتبار الظاهر ان حسابهم الا على ربي ما حسابهم على
بواطنهم الا على الله فانه المطلع عليها لو تشعرون لعلمتم ذلك ولكنكم
تجهلون فتقولون ما لا تعلمون وما انا بطارد المؤمنين جواب لما اوهم
قولهم من استدعاء طردهم وتوقيف ايمانهم عليه حيث جعلوا اتباعهم
المانع عنه وقوله ان انا الا نذير مبين كالعلة له اي ما انا الا رجل
مبعوث لانذار المكلفين عن الكفر والمعاصي سواء كانوا اعزاء او اذلاء
فكيف يليق بي طرد الفقراء لاستتباع الاغنياء او ما علي الا انذاركم انذارا
بينا بالبرهان الواضح فلا علي ان اطردهم لاسترضائكم قالوا لئن لم
تنته يا نوح عما تقول لتكونن من المرجومين من المشتومين او المضروبين
بالحجارة قال رب ان قومي كذبون اظهارا لما يدعو عليهم لاجله
وهو تكذيبهم الحق لا تخويفهم له واستخفافهم فافتح بيني وبينهم فتحا فاحكم
بيني وبينهم من الفتاحة ونجني ومن معي من المؤمنين من قصدهم او شؤم
عملهم فانجيناه ومن معه في الفلك المشحون المملوء ثم اغرقنا بعد
انجائه الباقين من قومه ان في ذلك لاية شاعت وتواترت وما كان
اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذبت عاد المرسلين

انه باعتبار القبيلة وهو في الاصل اسم ابيهم اذ قال لهم اخوهم هود الا
تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسألكم
عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين تصدير القصص بها دلالة
على ان البعثة مقصورة على الدعاء الى معرفة الحق والطاعة فيما يقرب
المدعو الى ثوابه ويبعده عن عقابه وكان الانبياء متفقون على ذلك وان
اختلفوا في بعض التفاريع مبرؤون عن المطامع الدنية والاغراض الدنيوية
اتبنون بكل ريع بكل مكان مرتفع ومنه ريع الارض لارتفاعها
اية علما للمارة تعبثون ببنائها اذ كانوا يهتدون بالنجوم في اسفارهم
فلا يحتاجون اليها او بروج الحمام او بنيانا يجتمعون اليها للعبث
بمن يمر عليهم او قصورا يفتخرون بها وتتخذون مصانع ماخذ الماء
وقيل قصورا مشيدة وحصونا لعلكم تخلدون فتحكمون بنيانها واذا
بطشتم بسوط او سيف بطشتم جبارين متسلطين غاشمين بلا
رافة ولا قصد تاديب ونظر في العاقبة فاتقوا الله بترك هذه الاشيا
واطيعون فيما ادعوكم اليه فانه انفع لكم واتقوا الذي امدكم
بما تعلمون كرره مرتبا على امداد الله اياهم بما يعرفونه من انواع
النعم تعليلا وتنبيها على الوعد عليه بدوام الامداد والوعيد على
تركه بالانقطاع ثم فصل بعض تلك النعم كما فصل بعض مساويهم المدلول
عليها اجمالا بالانكار في الا تتقون مبالغة في الايقاظ والحث على
التقوى فقال امدكم بانعام وبنين وجنات وعيون ثم اوعدهم
فقال اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم في الدنيا والاخرة
فانه كما قدر على الانعام قدر على الانتقام قالوا سواء علينا اوعظت
ام لم تكن من الواعظين فانا لا نرعوي عما نحن عليه وتغيير شق النفي
عما تقتضيه المقابلة للمبالغة في قلة اعتدادهم بوعظه ان هذا الا خلق
الاولين ما هذا الذي جئتنا به الا كذب الاولين او ما خلقنا هذا
الا خلقهم نحيا ونموت مثلهم ولا بعث ولا حساب وقرا نافع وابن
عامر وعاصم وحمزة خلق بضمتين اي ما هذا الذي جئت به الا عادة الاولين
كانوا يلفقون مثله او ما هذا الذي نحن عليه من الدين الا خلق الاولين
وعادتهم ونحن بهم مقتدون او ما هذا الذي نحن عليه من الحيوة
والموت الا عادة قديمة لم يزل الناس عليها وما نحن بمعذبين على ما

نحن عليه فكذبوه فاهلكناهم بسبب التكذيب بريح صرصر ان في ذلك
لاية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم
كذبت ثمود المرسلين اذ قال لهم اخوهم صالح الا تتقون اني
لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسألكم عليه من اجر
ان اجري الا على رب العالمين اتتركون في ما هاهنا امنين انكار
لان يتركوا كذلك او تذكير بالنعمة في تخلية الله اياهم في اسباب تنعمهم
امنين ثم فسره بقوله في جنات وعيون وزروع ونخل طلعها هضيم لطيف
لين للطف الثمر او لان النخل انثى وطلع اناث النخل الطف وهو ما يطلع
منها كنصل السيف في جوفه شماريخ القنو او متدل منكسر من كثرة الحمل
وافراد النخل لفضله على سائر اشجار الجنات او لان المراد بها غيرها
من الاشجار وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين بطرين او حاذقين من
الفراهة وهي النشاط فان الحاذق يعمل بنشاط وطيب قلب وقرئ فرهين
وهو ابلغ فاتقوا الله واطيعون ولا تطيعوا امر المسرفين استعير
للطاعة التي هي انقياد الامر لامتثال الامر او نسب حكم الامر الى امره
مجازا الذين يفسدون في الارض وصف موضح لاسرافهم ولذلك عطف
ولا يصلحون على يفسدون دلالة على خلوص فسادهم قالوا انما انت
من المسحرين الذين سحروا كثيرا حتى غلب على عقلهم او من ذوي السحر وهي الرية
اي من الاناسي فيكون ما انت الا بشر مثلنا تاكيدا له فات باية ان
كنت من الصادقين في دعواك قال هذه ناقة اي بعد ما اخرجها
الله من الصخرة بدعائه كما اقترحوها لها شرب نصيب من الماء كالسقي
والقيت للحظ من السقي والقوت وقرئ بالضم ولكم شرب يوم
معلوم فاقتصروا على شربكم ولا تزاحموها في شربها ولا تمسوها بسوء
كضرب وعقر فياخذكم عذاب يوم عظيم عظم اليوم لعظم ما يحل
فيه وهو ابلغ من تعظيم العذاب فعقروها اسند العقر الى كلهم لان
عاقرها انما عقرها برضاهم ولذلك اخذوا جميعا فاصبحوا نادمين على
عقرها خوفا من حلول العذاب لا توبة او عند معاينة العذاب ولذلك
لم ينفعهم فاخذهم العذاب اي العذاب الموعود ان في ذلك لاية
وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم في نفي الايمان
عن اكثرهم في هذا المعرض ايماء بانه لو امن اكثرهم او شطرهم لما

أخذوا بالعذاب وأن قريشا إنما عصموا عن مثله ببركة من آمن منهم كذبت
قوم لوط المرسلين إذ قال لهم أخوهم لوط ألا تتقون إني لكم رسول
أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر إن أجري
إلا على رب العالمين أتأتون الذكران من العالمين أي أتأتون من
بين من عداكم من العالمين الذكران لا يشارككم فيه غيركم أو أتأتون الذكران
من أولاد آدم مع كثرتهم وغلبة الإناث فيهم كأنهن قد أعوزتكم فالمراد
بالعالمين على الأول كل ما ينكح وعلى الثاني الناس وتذرون ما خلق
لكم ربكم لأجل استمتاعكم من أزواجكم للبيان إن أريد به جنس الإناث
أو للتبعيض إن أريد به العضو المباح منهن فيكون تعريضا بأنهم كانوا يفعلون
مثل ذلك بنسائهم أيضا بل أنتم قوم عادون متجاوزون عن حد الشهوة
حيث زادوا على سائر الناس بل الحيوانات أو مفرطون في المعاصي وهذا
من جملة ذاك أو أحقاء بأن توصفوا بالعدوان لارتكابكم هذه الجريمة
قالوا لئن لم تنته يا لوط عما تدعيه أو عن نهينا وتقبيح أمرنا لتكونن من
المخرجين من المنفيين من بين أظهرنا ولعلهم كانوا يخرجون من أخرجوه
على عنف وسوء حال قال إني لعملكم من القالين من المبغضين غاية
البغض لا أقف عن الإنكار عليه بالإيعاد وهو أبلغ من أن يقول إني لعملكم
قال لدلالته على أنه معدود في زمرتهم مشهور بأنه من جملتهم رب
نجني وأهلي مما يعملون أي من شؤمه وعذابه فنجيناه وأهله أجمعين
أهل بيته والمتبعين له على دينه بإخراجه من بينهم بعد حلول العذاب
بهم إلا عجوزا هي امرأة لوط في الغابرين مقدرا في الباقين في العذاب
إذ أصابها حجر في الطريق فأهلكها لأنها كانت مائلة إلى القوم راضية
بفعلهم وقيل كانت فيمن بقيت في القرية فإنها لم تخرج مع لوط ثم دمرنا
الآخرين أهلكناهم وأمطرنا عليهم مطرا قيل أمطر الله على شذاذ القوم
حجارة فأهلكتهم فساء مطر المنذرين اللام فيه للجنس حتى يصح وقوع
المضاف إليه فاعل ساء والمخصوص بالذم محذوف وهو مطرهم إن في ذلك
لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وإن ربك لهو العزيز الرحيم كذب
أصحاب الأيكة المرسلين الأيكة غيضة تنبت ناعم الشجر يريد غيضة
بقرب مدين تسكنها طائفة فبعث الله إليهم شعيبا كما بعث إلى مدين وكان
أجنبيا منهم فلذلك قال إذ قال لهم شعيب ألا تتقون ولم يقل أخوهم

شعيب وقيل الأيكة شجر ملتف وكان شجرهم الدوم وهو المقل وقرأ ابن
كثير ونافع وابن عامر بحذف الهمزة وإلقاء حركتها على اللام وقرئت كذلك
مفتوحة على أنها ليكة وهي اسم بلدهم وإنما كتبت ها هنا وفي ص بغير
الألف اتباعا للفظ إني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما
أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين أوفوا الكيل
أتموه ولا تكونوا من المخسرين حقوق الناس بالتطفيف وزنوا بالقسطاس
المستقيم بالميزان السوي وهو إن كان عربيا فإن كان من القسط
ففعلاس بتكرير العين وإلا ففعلال وقرأ حمزة والكسائي وحفص بكسر
القاف ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تنقصوا شيئا من حقوقهم ولا تعثوا
في الأرض مفسدين بالقتل والغارة وقطع الطريق واتقوا الذي خلقكم
والجبلة الأولين وذوي الجبلة الأولين يعني من تقدمهم من الخلائق
قالوا إنما أنت من المسحرين وما أنت إلا بشر مثلنا أتوا بالواو للدلالة
على أنه جامع بين وصفين منافيين للرسالة مبالغة في تكذيبه وإن نظنك
لمن الكاذبين في دعواك فأسقط علينا كسفا من السماء قطعة منها
ولعله جواب لما أشعر به الأمر بالتقوى من التهديد وقرأ حفص بفتح السين
إن كنت من الصادقين في دعواك قال ربي أعلم بما تعملون وبعذابه
منزل عليكم ما أوجبه لكم في وقته المقدر له لا محالة فكذبوه فأخذهم
عذاب يوم الظلة على نحو ما اقترحوا بأن سلط الله الحر عليهم سبعة
أيام حتى غلت أنهارهم فأظلتهم سحابة فاجتمعوا تحتها فأمطرت عليهم
نارا فاحترقوا إنه كان عذاب يوم عظيم إن في ذلك لآية وما كان
أكثرهم مؤمنين وإن ربك لهو العزيز الرحيم هذا آخر القصص
السبع المذكورة على سبيل الاختصار تسلية لرسول الله صلى الله عليه
وسلم وتهديدا للمكذبين به واطراد نزول العذاب على تكذيب الأمم
بعد إنذار الرسل به واقتراحهم له استهزاء وعدم مبالاة به يدفع أن يقال
إنه كان بسبب اتصالات فلكية أو كان ابتلاء لهم لا مؤاخذة على تكذيبهم
وإنه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلبك تقرير
لحقية تلك القصص وتنبيه على إعجاز القرآن ونبوة محمد صلى الله عليه
وسلم فإن الإخبار عنها ممن لم يتعلمها لا يكون إلا وحيا من الله عز وجل
والقلب إن أراد به الروح فذاك وإن أراد به العضو فتخصيصه لأن المعا

الروحانية انما تنزل اولا على الروح ثم تنتقل منه الى القلب لما بينهما
من التعلق ثم تتصعد منه الى الدماغ فينتقش بها لوح المتخيلة والروح
الامين جبرئيل فانه امين الله على وحيه وقرا ابن عامر وابو بكر وحمزة
والكسائي بتشديد الزاي ونصب الروح والامين لتكون من المنذرين
عما يودي الى عذاب من فعل او ترك بلسان عربي مبين واضح المعنى
لئلا يقولوا ما نصنع بما لا نفهمه فهو متعلق بنزل ويجوز ان يتعلق بالمنذرين
اي لتكون ممن انذروا بلغة العرب وهم هود وصالح واسمعيل وشعيب
ومحمد عليهم الصلوة والسلام وانه لفي زبر الاولين وان ذكره او معناه
لفي الكتب المتقدمة اولم يكن لهم اية على صحة القران او نبوة محمد صلى الله
عليه وسلم ان يعلمه علماء بني اسرائيل ان يعرفوه بنعته المذكور في كتبهم
وهو تقرير لكونه دليلا وقرا ابن عامر تكن بالتاء واية بالرفع على انها الاسم
والخبر لهم وان يعلمه بدلا او الفاعل اية ولهم وان يعلمه بدل حالا او ان
الاسم ضمير القصة واية خبر ان يعلمه والجملة خبر يكن ولو نزلناه على بعض
الاعجمين كما هو زيادة في اعجازه او بلغة العجم فقراه عليهم ما كانوا به
مومنين لفرط عنادهم واستكبارهم او لعدم فهمهم واستنكافهم من
اتباع العجم والاعجمين جمع اعجمي على التخفيف ولذلك جمع جمع السلامة كذلك
سلكناه ادخلناه في قلوب المجرمين والضمير للكفر المدلول عليه بقوله
ما كانوا به مومنين فتدل الاية على انه بخلق الله وقيل للقران اي ادخلنا
فيها فعرفوا معانيه واعجازه ثم لم يومنوا به عنادا لا يومنون به حتى
يروا العذاب الاليم الملجئ الى الايمان فياتيهم بغتة في الدنيا والاخرة
وهم لا يشعرون باتيانه فيقولوا هل نحن منظرون تحسرا وتاسفا
افبعذابنا يستعجلون فيقولون امطر علينا حجارة فاتنا بما تعدنا
وحالهم عند نزول العذاب طلب النظرة افرايت ان متعناهم سنين ثم
جاءهم ما كانوا يوعدون ما اغنى عنهم ما كانوا يمتعون لم يغن
عنهم تمتعهم المتطاول في دفع العذاب وتخفيفه وما اهلكنا من قرية الا
لها منذرون انذروا اهلها الزاما للحجة ذكرى تذكرة ومحلها النصب على
العلة او المصدر لانها في معنى الانذار او الرفع على انها صفة منذرون با
ذووا او بجعلهم ذكرى لامعانهم في التذكرة او خبر مبتدا محذوف والجملة
اعتراضية وما كنا ظالمين فنهلك غير الظالمين وقبل الانذار وما تنزلت به

الشياطين كما زعم المشركون انه من قبيل ما تلقي الشياطين على الكهنة
وما ينبغي لهم وما يصح لهم ان ينزلوا به وما يستطيعون وما يقدرون
انهم عن السمع لكلام الملائكة لمعزولون لانه مشروط بمشاركة في صفا
الذات وقبول فيضان الحق والانتقاش بالصور الملكوتية ونفوسهم خبيثة
ظلمانية شريرة بالذات لا تقبل ذلك والقران مشتمل على حقائق ومغيبات
لا يمكن تلقيها الا من الملائكة فلا تدع مع الله الها اخر فتكون من المعذبين
تهييج لازدياد الاخلاص ولطف لسائر المكلفين وانذر عشيرتك الاقربين
الاقرب منهم فالاقرب فان الاهتمام بشانهم اهم روي انه لما نزلت
صعد الصفا وناداهم فخذا فخذا حتى اجتمعوا اليه فقال لهم لو اخبرتكم
ان بسفح هذا الجبل خيلا اكنتم مصدقي قالوا نعم قال فاني نذير لكم بين
يدي عذاب شديد واخفض جناحك لمن اتبعك من المومنين لين
جانبك لهم مستعار من خفض الطائر جناحه اذا اراد ان ينحط ومن للتبيين
لان من اتبع اعم ممن اتبع لدين او غيره او للتبعيض على ان المراد من المومنين
المشارفون للايمان او المصدقون باللسان فان عصوك ولم يتبعوك
فقل اني بري مما تعملون مما تعملونه او من اعمالكم وتوكل على العزيز الرحيم
الذي يقدر على قهر اعدائه ونصر اوليائه يكفك شر من يعصيك منهم
ومن غيرهم وقرا نافع وابن عامر فتوكل على الابدال من جواب الشرط
الذي يراك حين تقوم الى التهجد وتقلبك في الساجدين وترددك
في تصفح احوال المتهجدين كما روي انه لما نسخ فرض قيام الليل طاف تلك
الليلة ببيوت اصحابه لينظر ما يصنعون حرصا على كثرة طاعاتهم فوجدها
كبيوت الزنابير لما سمع من دندنتهم بذكر الله والتلاوة او تصرفك فيما
بين المصلين بالقيام والركوع والسجود والقعود اذا اممتهم وانما وصفه
الله تعالى بعلمه بحاله التي بها يستاهل ولايته بعد ان وصفه بان من شانه
قهر اعدائه ونصر اوليائه تحقيقا للتوكل وتطمينا لقلبه عليه انه هو السميع
بما تقوله العليم بما تنويه هل انبئكم على من تنزل الشياطين
تنزل على كل افاك اثيم لما بين ان القران لا يصح ان يكون مما تنزلت به
الشياطين اكد ذلك بان بين ان محمدا عليه السلام لا يصلح ان ينزلوا
عليه من وجهين احدهما انه انما يكون على شرير كذاب كثير الاثم فان
اتصال الانسان بالغائبات لما بينهما من التناسب والتوادد وحال محمد

صلى الله عليه وسلم على خلاف ما يدعون وثانيهما قوله يلقون السمع وأكثرهم كاذبون أي الأفاكون يلقون السمع إلى الشياطين فيتلقون منهم ظنونا وأمارات لنقصان علمهم فيضمون إليها على حسب تخيلاتهم أشياء لا يطابق أكثرها كما جاء في الحديث الكلمة يخطفها الجني فيقرها في أذن وليه فيزيد فيها أكثر من مائة كذبة ولا كذلك محمد صلى الله عليه وسلم فإنه أخبر عن مغيبات كثيرة لا تحصى وقد طابق كلها وقد فسر الأكثر بالكل كقوله كل أفاك والأظهر أن الأكثرية باعتبار أقوالهم على معنى أن هؤلاء قل من يصدق منهم فيما يحكي عن الجني وقيل الضمائر للشياطين أي يلقون السمع إلى الملأ الأعلى قبل أن يرجموا فيختطفون منهم بعض المغيبات ويوحون به إلى أوليائهم أو يلقون مسموعهم منهم إلى أوليائهم وأكثرهم كاذبون فيما يوحون به إليهم إذ يسمعونهم لا على نحو ما تكلمت به الملائكة لشرارتهم أو لقصور فهمهم أو ضبطهم أو إفهامهم والشعراء يتبعهم الغاوون وأتباع محمد ليسوا كذلك وهو استئناف أبطل كونه شاعرا وقرره بقوله ألم تر أنهم في كل واد يهيمون لأن أكثر مقدماتهم خيالات لا حقيقة لها وأغلب كلماتهم في النسيب بالحرم والغزل والابتهار وتمزيق الأعراض والقدح في الأنساب والوعد الكاذب والافتخار الباطل ومدح من لا يستحقه والإطراء فيه وإليه أشار بقوله وأنهم يقولون ما لا يفعلون وكأنه لما كان إعجاز القرآن من جهة المعنى واللفظ وقد قدحوا في المعنى بأنه مما تنزلت به الشياطين وفي اللفظ بأنه من جنس كلام الشعراء تكلم في القسمين وبين منافاة القرآن لهما ومضادة حال الرسول لحال أربابهما وقرأ نافع يتبعهم على التخفيف وقرئ بالتشديد وتسكين العين تشبيها لبعد بعضد إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا استثناء للشعراء المؤمنين الصالحين الذين يكثرون ذكر الله ويكون أكثر أشعارهم في التوحيد والثناء على الله والحث على طاعته ولو قالوا هجوا أرادوا به الانتصار ممن هجاهم ومكافحة هجاة المسلمين كعبد الله بن رواحة وحسان بن ثابت والكعبين وكان عليه الصلوة والسلام يقول لحسان قل وروح القدس معك وعن كعب بن مالك أنه عليه الصلوة والسلام قال له اهجهم فوالذي نفسي بيده لهو أشد عليهم من النبل وسيعلم الذين ظلموا

اي

أي منقلب ينقلبون تهديد شديد لما في سيعلم من الوعيد البليغ وفي الذين ظلموا من الإطلاق والتعميم وفي أي منقلب ينقلبون أي بعد الموت من الإبهام والتهويل وقد تلاهما أبو بكر لعمر رضي الله عنهما حين عهد إليه وقرئ أي منفلت ينفلتون من الانفلات وهو النجاة والمعنى أن الظالمين يطمعون أن ينفلتوا من عذاب الله وسيعلمون أن ليس لهم وجه من وجوه الانفلات عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الشعراء كان له من الأجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح وكذب به وهود وصالح وشعيب وإبراهيم وبعدد من كذب بعيسى وصدق بمحمد صلى الله عليه وسلم

بسم الله الرحمن الرحيم طس تلك آيات القرآن وكتاب مبين الإشارة إلى آي السورة والكتاب المبين إما اللوح وإبانته أنه خط فيه ما هو كائن فهو تبيينه للناظرين فيه وتأخيره باعتبار تعلق علمنا به وتقديمه في الحجر باعتبار الوجود أو القرآن وإبانته لما أودع فيه من الحكم والأحكام أو لصحته بإعجازه وعطفه على القرآن كعطف إحدى الصفتين على الأخرى وتنكيره للتعظيم وقرئ وكتاب بالرفع على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه هدى وبشرى للمؤمنين حالان من الآيات والعامل فيهما معنى الإشارة أو بدلان منها أو خبران آخران أو خبران لمحذوف الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة الذين يعملون الصالحات من الصلاة والزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون من تتمة الصلة والواو للحال أو للعطف وتغيير النظم للدلالة على قوة يقينهم وثباته وأنهم الأوحدون فيه أو جملة اعتراضية كأنه قيل وهؤلاء الذين يؤمنون ويعملون الصالحات هم الموقنون بالآخرة فإن تحمل المشاق إنما يكون لخوف العاقبة والوثوق على المحاسبة وتكرير الضمير للاختصاص إن الذين لا يؤمنون بالآخرة زينا لهم أعمالهم زين لهم أعمالهم القبيحة بأن جعلها مشتهاة للطبع محبوبة للنفس أو الأعمال الحسنة التي وجب عليهم أن يعملوها بترتيب المثوبات عليها فهم يعمهون عنها لا يدركون ما يتبعها من ضر أو نفع أولئك الذين لهم سوء العذاب كالقتل والأسر يوم بدر وهم في الآخرة هم الأخسرون أشد الناس خسرانا لفوات المثوبة واستحقاق العقوبة وإنك لتلقى القرآن

لتوتاه من لدن حكيم عليم اي حكيم واي عليم والجمع بينهما مع ان العلم
داخل في الحكمة لعموم العلم ودلالة الحكمة على اتقان الفعل والاشعار
بان علوم القران منها ما هي حكمة كالعقائد والشرائع ومنها ما ليس كذلك
كالقصص والاخبار عن المغيبات ثم شرع في بيان بعض تلك العلوم بقوله
اذ قال موسى لاهله اني آنست نارا اي اذكر قصته اذ قال ويجوز ان
يتعلق بعليم سآتيكم منها بخبر اي عن حال الطريق لانه قد ضله
وجمع الضمير ان صح انه لم يكن معه غير امرأته لما كنى عنها بالاهل والسين
للدلالة على بعد المسافة او الوعد بالاتيان وان ابطأ او آتيكم بشهاب
قبس شعلة نار مقبوسة واضافة الشهاب اليه لانه يكون قبسا وغير قبس
ونونه الكوفيون ويعقوب على ان القبس بدل منه او وصف له لانه بمعنى المقبوس
والعدتان على سبيل الظن ولذلك عبر عنهما بصيغة الترجي في طه
والترديد للدلالة على انه ان لم يظفر بهما لم يعدم احدهما بناء على ظاهر
الامر وثقة بعادة الله انه لا يكاد يجمع حرمانين على عبده لعلكم تصطلون
رجاء ان تستدفئوا بها والصلاء النار العظيمة فلما جاءها نودي ان بورك
اي بورك فان النداء فيه معنى القول او بان بورك على انها مصدرية
او مخففة من الثقيلة والتخفيف وان اقتضى التعويض بلا او قد او السين
او سوف لكنه دعاء وهو يخالف غيره في احكام كثيرة من في النار ومن حولها
من في مكان النار وهو البقعة المباركة المذكورة في قوله تعالى نودي من
شاطئ الوادي الايمن في البقعة المباركة ومن حول مكانها والظاهر انه
عام في كل من في تلك الوادي وحواليها من ارض الشام الموسومة
بالبركات لكونها مبعث الانبياء وكفاتهم احياء وامواتا وخصوصا تلك
البقعة التي كلم الله فيها موسى وقيل المراد موسى والملائكة الحاضرون
وتصدير الخطاب بذلك بشارة بانه قد قضي له امر عظيم تنتشر بركته في اقطار
الشام وسبحان الله رب العالمين من تمام ما نودي به لئلا يتوهم
من سماع كلامه تشبيها وللتعجب من عظمة ذلك الامر او تعجب من موسى لما
دهاه من عظمته يا موسى انه انا الله الهاء للشان وانا الله جملة مفسرة له
او للمتكلم وانا خبره والله بيان له العزيز الحكيم صفتان ممهدتان لما اراد
ان يظهره يريد انا القوي القادر على ما يبعد عن الاوهام كقلب العصا حية
الفاعل كل ما يفعله بحكمة وتدبير والق عصاك عطف على بورك اي نودي

ان بورك من في النار وان الق عصاك ويدل عليه قوله وان الق عصاك
بعد قوله ان يا موسى اني انا الله بتكرير ان فلما رآها تهتز تتحرك باضطراب
كانها جان حية خفيفة سريعة وقرئ جأن على لغة من جد في الهرب
من التقاء الساكنين ولى مدبرا ولم يعقب ولم يرجع من عقب المقاتل
اذا كر بعد الفرار وانما رعب لظنه ان ذلك لامر اريد به ويدل عليه قوله
يا موسى لا تخف اي من غيري ثقة بي او مطلقا لقوله اني لا يخاف لدي
المرسلون حين يوحى اليهم من فرط الاستغراق فانهم اخوف الناس اي من
الله او لا يكون لهم عندي سوء عاقبة فيخافون منه الا من ظلم ثم بدل
حسنا بعد سوء فاني غفور رحيم استثناء منقطع استدرك به ما يختلج
في الصدر من نفي الخوف عن كلهم وفيهم من فرطت منه صغيرة فانهم وان
فعلوها اتبعوا فعلها ما يبطلها ويستحقون به من الله مغفرة ورحمة وقصد
تعريض موسى بوكزه القبطي وقيل متصل وثم بدل مستانف معطوف على
محذوف اي من ظلم ثم بدل ذنبه بالتوبة وادخل يدك في جيبك لانه
كان مدرعة صوف لا كم لها وقيل الجيب القميص لانه يجاب اي يقطع تخرج
بيضاء من غير سوء آفة كبرص في تسع آيات في جملتها او معها على ان
التسع هي الفلق والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمسة
والجدب في بواديهم والنقصان في مزارعهم ولمن عد العصا واليد من التسع
ان يعد الاخيرين واحدا ولا يعد الفلق لانه لم يبعث به الى فرعون او
اذهب في تسع آيات على انه استئناف بالارسال فيتعلق به الى فرعون وقومه
وعلى الاول يتعلق بنحو مبعوثا او مرسلا انهم كانوا قوما فاسقين
تعليل للارسال فلما جاءتهم آياتنا بان جاءهم موسى بها مبصرة بينة اسم
فاعل اطلق للمفعول اشعارا بانها لفرط اجتلائها للابصار بحيث تكاد
تبصر نفسها لو كانت مما يبصر او ذات تبصر من حيث انها تهدي والعمي
لا تهتدي فضلا ان تهدي او مبصرة كل من نظر اليها وتأمل فيها وقرئ مبصرة
اي مكانا يكثر فيه التبصر قالوا هذا سحر مبين واضح سحريته وجحدوا
بها وكذبوا بها واستيقنتها انفسهم وقد استيقنتها لان الواو للحال
ظلما لانفسهم وعلوا ترفعا عن الايمان وانتصابهما على العلة من جحدوا
فانظر كيف كان عاقبة المفسدين وهو الاغراق في الدنيا والاحراق
في الاخرى ولقد آتينا داود وسليمان علما طائفة من العلم وهو علم الحكم

والشرايع او علما اي علم وقالا الحمد لله عطفه بالواو اشعارا بان ما
قالاه بعض ما اتيا به في مقابلة هذه النعمة كانه قال ففعلا شكرا له ما
فعلا وقالا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين يعني
من لم يؤت علما او مثل علمهما وفيه دليل على فضل العلم وشرف اهله حيث
شكرا على العلم وجعلاه اساس الفضل ولم يعتبرا دونه مما اوتيا من
الملك الذي لم يؤته غيرهما وتحريض للعالم على ان يحمد الله على ما اتاه
من فضله وان يتواضع ويعتقد انه وان فضل على كثير فقد فضل عليه كثير
وورث سليمان داود النبوة او العلم او الملك بان قام مقامه في
ذلك دون سائر بنيه وكانوا تسعة عشر وقال يا ايها الناس علمنا
منطق الطير واوتينا من كل شيء تشهيرا لنعمة الله وتنويها بها ودعاء
للناس الى التصديق بذكر المعجزة التي هي علم منطق الطير وغير ذلك من عظائم
ما اوتيه والنطق والمنطق في التعارف كل لفظ يعبر به عما في الضمير مفردا
كان او مركبا وقد يطلق لكل ما يصوت به على التشبيه او التبع كقولهم
نطقت الحمامة ومنه الناطق والصامت للحيوان والجماد فان الاصوات
الحيوانية من حيث انها تابعة للتخيلات منزلة منزلة العبارات سيما
وفيها ما يتفاوت باختلاف الاغراض بحيث يفهمها ما من جنسه ولعل
سليمان عليه السلام مهما سمع صوت حيوان علم بقوته القدسية التخيل
الذي صوته والغرض الذي توخاه به ومن ذلك ما حكي انه مر ببلبل يصوت
ويترقص فقال يقول اذا اكلت نصف تمرة فعلى الدنيا العفا وصاحت
فاختة فقال انها تقول ليت الخلق لم يخلقوا فلعله كان صوت البلبل
عن شبع وفراغ بال وصياح الفاختة عن مقاساة شدة وتالم قلب والضمير
في علمنا واوتينا له ولابيه او له وحده على عادة الملوك لمراعاة قواعد
السياسة والمراد من كل شيء كثرة ما اوتي كقولك فلان يقصده كل احد
ويعلم كل شيء ان هذا لهو الفضل المبين الذي لا يخفى على احد وحشر
وجمع لسليمان جنوده من الجن والانس والطير فهم يوزعون يحبسون
يحبس اولهم على اخرهم ليتلاحقوا حتى اذا اتوا على واد النمل واد
بالشام كثير النمل وتعدية الفعل اليه بعلى اما لان اتيانهم كان من عال
او لان المراد قطعه من قولهم اتى على الشيء اذا انفده وبلغ اخره كانهم ارادوا
ان ينزلوا اخريات الوادي قالت نملة يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم

كانها لما رأتهم متوجهين الى الوادي فرت عنهم مخافة حطمهم وتبعها
غيرها فصاحت صيحة تنبهت بها ما بحضرتها من النمال فتبعتها فشبه
ذلك بمخاطبة العقلاء ومناصحتهم ولذلك اجروا مجراهم مع انه لا
يمتنع خلق الله فيها العقل والنطق لا يحطمنكم سليمان وجنوده
نهي لهم عن الحطم والمراد نهيها عن التوقف بحيث يحطمونها كقولهم لا
ارينك ههنا فهو استئناف او بدل من الامر لا جواب له فان النون لا يدخله
في السعة وهم لا يشعرون انهم يحطمونكم اذ لو شعروا لم يفعلوا كانها
شعرت عصمة الانبياء من الظلم والايذاء او قيل استئناف اي فهم سليمان
والقوم لا يشعرون فتبسم ضاحكا من قولها تعجبا من حذرها وتحذيرها
واهتدائها الى مصالحها او سرورا بما خصه الله به من ادراك همسها
وفهم غرضها ولذلك سأل توفيق شكره وقال رب اوزعني ان اشكر
نعمتك اجعلني ازع شكر نعمتك عندي اي اكفه وارتبطه لا ينفلت عني
بحيث لا انفك عنه وقرأ البزي وورش بفتح ياء اوزعني التي انعمت علي وعلى
والدي ادرج فيه ذكر والديه تكثيرا للنعمة وتعميما لها فان النعمة عليهما
نعمة عليه والنعمة عليه يرجع نفعها اليهما سيما الدينية وان اعمل صالحا
ترضاه اتماما للشكر واستدامة للنعمة وادخلني برحمتك في عبادك
الصالحين في عدادهم الجنة وتفقد الطير وتعرف الطير فلم يجد
فيها الهدهد فقال ما لي لا ارى الهدهد ام كان من الغائبين ام
منقطعة كانه لما لم يره ظن انه حاضر ولا يراه لساتر او غيره فقال ما لي
لا اراه ثم احتاط فلاح له انه غائب فاضرب عن ذلك واخذ يقول اهو
غائب كانه يسأل عن صحة ما لاح له لاعذبنه عذابا شديدا كنتف ريشه
والقائه في الشمس او حيث النمل تاكله او جعله مع ضده في قفص او
لاذبحنه ليعتبر ابناء جنسه او لياتيني بسلطان مبين بحجة تبين عذره
والحلف في الحقيقة على احد الاولين بتقدير عدم الثالث لكن لما اقتضى
ذلك وقوع احد الامور الثلاثة ثلث المحلوف عليه بعطفه عليهما
وقرأ ابن كثير او لياتينني بنونين الاول مفتوحة مشددة فمكث غير بعيد
زمانا غير بعيد يريد به الدلالة على سرعة رجوعه خوفا منه وقرأ عاصم
بفتح الكاف فقال احطت بما لم تحط به يعني حال سبا وفي مخاطبته
اياه بذلك تنبيه له على ان في ادنى خلق الله من احاط علما بما لم يحط

به ليتحاقر اليه نفسه وتتصاغر لديه علمه وقرئ بادغام الطا في التا
باطباق وبغير اطباق وجئتك من سبا وقرا ابن كثير برواية البزي
وابو عمرو غير مصروف على تاويل القبيلة او البلدة وقرا القواس بهمزة ساكنة
بنبا يقين بخبر محقق روي انه عليه السلام لما اتم بنا بيت المقدس
تجهز للحج فوافى الحرم واقام به ما شا ثم توجه لليمن فخرج من مكة صباحا
فوافى صنعا ظهيرة فاعجبته نزاهة ارضها فنزل بها ثم لم يجد الما وكان
الهدهد رايده لانه يحس طلب الما فتفقده لذلك فلم يجده اذ حلق حين
نزل سليمان فراى هدهدا واقعا فانحط اليه فتواصفا وطار معه لينظر
ما وصف له ثم رجع بعد العصر وحكى ما حكى ولعل في عجايب قدرة
الله وما خص به خاصة عباده اشيا اعظم من ذلك يستكبرها من يعرفها
ويستنكرها من ينكرها اني وجدت امراة تملكهم يعني بلقيس بنت
شراحيل بن مالك بن الريان والضمير لسبا او لاهلها واوتيت من
كل شي يحتاج اليه الملوك ولها عرش عظيم عظمه بالنسبة اليها
او الى عروش امثالها وقيل كان ثلثين ذراعا في ثلثين عرضا وسمكا
او ثمانين في ثمانين من ذهب وفضة مكللا بالجواهر وجدتها وقومها
يسجدون للشمس من دون الله كانهم كانوا يعبدونها وزين لهم
الشيطان اعمالهم عبادة الشمس وغيرها من مقابح افعالهم فصدهم
عن السبيل سبيل الحق والصواب فهم لا يهتدون اليه الا يسجدوا
لله فصدهم لان لا يسجدوا او زين لهم ان لا يسجدوا على انه بدل من اعمالهم
او لا يهتدون الى ان يسجدوا بزيادة لا وقرا الكسائي ويعقوب الا بالتخفيف
على انها للتنبيه ويا للندا ومناداه محذوف اي الا يا قوم اسجدوا كقوله
وقالت الا يا اسمع نعظك بخطة فقلت سميعا فانطقي واصيبي وعلى هذا
صح ان يكون استينافا من الله او من سليمان والوقف على لا يهتدون ويكون
امرا بالسجود وعلى الاول ذما على تركه وعلى الوجهين يقتضي وجوب
السجود في الجملة لا عند قراتها وقرئ وهلا بقلب الهمزة ها وهلا تسجدون
وهلا تسجدوا على الخطاب الذي يخرج الخبء في السموات والارض
ويعلم ما يخفون وما يعلنون وصف له بما يوجب اختصاصه باستحقاق
السجود من التفرد بكمال القدرة والعلم حثا على سجوده وردا على من يسجد
لغيره والخبء ما خفي في غيره واخراجه اظهاره وهو يعم اشراق الكواكب

وانزال

وانزال الامطار وانبات النبات بل الانشا فانه اخراج ما في الشي بالقوة الى
الفعل والابداع فانه اخراج ما في الامكان والعدم الى الوجوب والوجود
ومعلوم انه يختص بالواجب لذاته وقرا حفص والكسائي ما تخفون وما تعلنون
بالتا الله لا اله الا هو رب العرش العظيم الذي هو اول الاجرام واعظمها
والمحيط بجملتها فبين العظيمين بون عظيم قال سننظر سنتعرف من النظر
بمعنى التامل اصدقت ام كنت من الكاذبين اي ام كذبت والتغيير
للمبالغة ومحافظة الفواصل اذهب بكتابي هذا فالقه اليهم ثم تول
عنهم ثم تنح عنهم الى مكان قريب تتوارى فيه فانظر ماذا يرجعون ماذا
يرجع بعضهم الى بعض من القول قالت اي بعد ما القي اليها يا ايها الملا
اني القي الي كتاب كريم لكرم مضمونه او مرسله او لانه كان مختوما
او لغرابة شانه اذ كانت مستلقية في بيت مغلقة الابواب فدخل الهدهد
من كوة والقاه على نحرها بحيث لم تشعر به انه من سليمان استيناف كانه
قيل لها ممن هو وما هو فقالت انه اي ان الكتاب او العنوان من
سليمان وانه وان المكتوب او المضمون وقرئا بالفتح على الابدال من كتاب
او التعليل لكرمه بسم الله الرحمن الرحيم الا تعلوا علي ان مفسرة
او مصدرية فيكون بصلته خبر محذوف اي هو او المقصود ان لا تعلوا او بدل
من كتاب واتوني مسلمين مومنين او منقادين وهذا الكلام في غاية الوجازة
مع كمال الدلالة على المقصود لاشتماله على البسملة الدالة على ذات الصانع
وصفاته صريحا او التزاما والنهي عن الترفع الذي هو ام الرذايل والامر
بالاسلام الجامع لامهات الفضايل وليس الامر فيه بالانقياد قبل اقامة
الحجة على رسالته حتى يكون استدعا للتقليد فان القا الكتاب اليها على تلك
الحالة من اعظم الدلالة قالت يا ايها الملا افتوني في امري اجيبوني
في امري الفتي واذكروا ما تستصوبون فيه ما كنت قاطعة امرا ما ابت
امرا حتى تشهدون الا بمحضركم استعطفتهم بذلك ليمالئوها على الاجابة
قالوا نحن اولوا قوة بالاجساد والعدد واولوا باس شديد نجدة
وشجاعة والامر اليك موكول فانظري ماذا تامرين من المقاتلة
والصلح نطعك ونتبع رايك قالت ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها
تزييف لما احست منهم من الميل الى المقاتلة بادعائهم القوى الذاتية
والعرضية واشعار بانها ترى الصلح مخافة ان يتخطى سليمن خططهم الى ...

ما يصادفونه من اموالهم وعماراتهم ثم ان الحرب سجال لا يدري عاقبتها وجعلوا
اعزة اهلها اذلة بنهب اموالهم وتخريب ديارهم الى غير ذلك من الاهانة
والاسر وكذلك يفعلون تاكيد لما وصفت من حالهم وتقرير بان
ذلك من عاداتهم الثابتة المستمرة او تصديق لها من الله عز وجل واني مرسلة
اليهم بهدية بيان لما ترى تقديمه في المصالحة والمعنى اني مرسلة
رسلا بهدية ادفعه بها عن ملكي فناظرة بم يرجع المرسلون من
حاله حتى اعمل بحسب ذلك روي انها بعثت منذر بن عمرو في وفد وارسلت
معهم غلمانا على زي الجواري وجواري على زي الغلمان وحقا فيه درة عذراء
وجزعة معوجة الثقب وقالت ان كان نبيا ميز بين الغلمان والجواري
وثقب الدرة ثقبا مستويا وسلك في الخرزة خيطا فلما وصلوا الى معسكره
وراوا عظم شانه تقاصرت اليهم نفوسهم فلما وقفوا بين يديه وقد سبقهم
جبريل بالحال وطلب الحق واخبر عما فيه فامر الارضة فاخذت شعرة ونفذت
في الدرة وامر دودة بيضاء فاخذت الخيط ونفذت في الجزعة ودعا بالماء
وكانت الجارية تاخذ الماء بيدها فتجعله في الاخرى ثم تضرب به وجهها
والغلام كما ياخذه يضرب به وجهه ثم رد الهدية فلما جاء سليمان اي الرسول
او ما اهدت اليه وقرئ فلما جاءوا قال اتمدونن بمال خطاب للرسول
ومن معه او للرسول والمرسل على تغليب المخاطب وقرا حمزة ويعقوب
بالادغام وقرئ بنون واحدة وبنونين وحذف الياء فما آتاني الله من
النبوة والملك الذي لا مزيد عليه خير مما آتاكم فلا حاجة لي الى هديتكم
ولا وقع لها عندي بل انتم بهديتكم تفرحون لانكم لا تعلمون الا ظاهرا
من الحياة الدنيا فتفرحون بما يهدى اليكم حبا لزيادة اموالكم او بما
تهدونه افتخارا على امثالكم والاضراب عن انكار الامداد بالمال عليه
وتعليله الى بيان السبب الذي حملهم عليه وهو قياس حاله على حالهم في قصور
الهمة بالدنيا والزيادة فيها ارجع ايها الرسول اليهم الى بلقيس وقومها
فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها لا طاقة لهم بمقاومتها ولا قدرة بهم
ولنخرجنهم منها من سبأ اذلة بذهاب ما كانوا فيه من العز وهم صاغرون
اسراء مهانون قال يا ايها الملأ ايكم ياتيني بعرشها اراد بذلك
ان يريها بعض ما خصه الله به من العجائب الدالة على عظيم القدرة وصدقه
في دعوى النبوة ويختبر عقلها بان ينكر عرشها فينظر اتعرفه ام تنكره قبل

ان ياتوني مسلمين فانها اذا اتت مسلمة لم يحل اخذه الا برضاها قال
عفريت خبيث مارد من الجن بيان له لانه يقال للرجل الخبيث المعفر اقرانه
وكان اسمه ذكوان او صخرا انا آتيك به قبل ان تقوم من مقامك مجلسك
للحكومة وكان يجلس الى نصف النهار واني عليه على حمله لقوي امين لا
اختزل منه شيئا ولا ابدله قال الذي عنده علم من الكتاب آصف بن برخيا
وزيره او الخضر او جبريل او ملك ايده الله به او سليمان نفسه فيكون التعبير
عنه بذلك للدلالة على شرف العلم وان هذه الكرامة كانت بسببه والخطاب
في انا آتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك للعفريت كانه استبطأه
فقال له ذلك او اراد اظهار معجزة في نقله فتحداهم اولا ثم اراهم انه يتأ
تى له ما لا يتهيأ لعفاريت الجن فضلا عن غيرهم والمراد بالكتاب جنس الكتب
المنزلة او اللوح وآتيك في الموضعين صالح للفعلية والاسمية والطرف
تحريك الاجفان للنظر فوضع موضعه ولما كان الناظر يوصف بارسال
الطرف كما في قوله وكنت اذا ارسلت طرفك رائدا لقلبك يوما اتعبتك
المناظر وصف برد الطرف والطرف بالارتداد والمعنى انك ترسل طرفك
نحو شيء فقبل ان ترده احضر عرشها بين يديك وهذا غاية في الاسراع
ومثل فيه فلما راه اي العرش مستقرا عنده حاصلا بين يديه قال
تلقيا للنعمة بالشكر على شاكلة المخلصين من عباد الله هذا من فضل ربي
تفضل به علي من غير استحقاق والاشارة الى التمكن من احضار العرش في مدة
ارتداد الطرف من مسيرة شهرين بنفسه او غيره والكلام في امكان مثله
قد مر في سورة الاسراء ليبلوني أأشكر بان اراه فضلا من الله بلا حول
مني ولا قوة واقوم بحقه ام اكفر بان اجد نفسي في البين او اقصر في اداء
موجبه ومحلهما النصب على البدل من الياء ومن شكر فانما يشكر لنفسه
لانه به يستجلب لها دوام النعمة ومزيدها ويحط عنها عبء الواجب
ويحفظها عن وصمة الكفران ومن كفر فان ربي غني عن شكره كريم بالانعام غني صح
عليه ثانيا قال نكروا لها عرشها بتغيير هيئته وشكله ننظر جواب الامر
وقرئ بالرفع على الاستئناف أتهتدي أم تكون من الذين لا يهتدون
الى معرفته او الجواب الصواب وقيل الى الايمان بالله ورسوله اذا رات
تقدم عرشها وقد خلفته مغلقة عليه الابواب موكلة عليه الحراس فلما
جاءت قيل اهكذا عرشك تشبيها عليها زيادة في امتحان عقلها اذ

ذكرت عنده بسخافة العقل قالت كانه هو ولم تقل هو لاحتمال ان يكون
مثله وذلك من كمال عقلها واوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين من
كلامها كانها ظنت انه اراد بذلك اختبار عقلها واظهار معجزة لها فقالت
اوتينا العلم بكمال قدرة الله وصحة نبوتك قبل هذه الحالة او المعجزة
بما تقدم من الآيات وقيل انه كلام سليمان وقومه عطفوه على جوابها
لما فيه من الدلالة على ايمانها بالله ورسوله حيث جوزت ان يكون ذلك
عرشها تجويزا غالبا واحضاره ثم من المعجزات التي لا يقدر عليها غير الله ولا
تظهر الا على الانبياء اي اوتينا العلم بالله وقدرته وصحة ما جاء من عند الله
قبلها وكنا منقادين لحكمه ولم نزل على دينه ويكون غرضهم فيه التحدث
بما انعم الله عليهم من التقدم في ذلك شكرا له وصدها ما كانت تعبد
من دون الله اي وصدها عبادتها الشمس عن التقدم الى الاسلام
او صدها الله عن عبادتها بالتوفيق للايمان انها كانت من قوم كافرين
وقرئ بالفتح على الابدال من فاعل صد على الاول اي صدها نشوءها
بين اظهر الكفار او التعليل له قيل لها ادخلي الصرح القصر وقيل عرصة
الدار فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها روي انه
قبل قدومها بنى قصرا صحنه من زجاج ابيض واجرى من تحته الماء والقى
فيه حيوانات البحر ووضع سريره في صدره فجلس عليه فلما ابصرته
ظنته ماء راكدا فكشفت عن ساقيها وقرأ ابن كثير برواية قنبل سأقيها
بالهمز حملا على جمعه سؤق وأسؤق قال انه اي ما ظنته ماء صرح
ممرد مملس من قوارير من الزجاج قالت رب اني ظلمت نفسي بعبادة
الشمس وقيل بظني بسليمان فانها حسبت انه يغرقها في اللجة واسلمت مع
سليمان لله رب العالمين فيما امر به عباده وقد اختلف في انه
تزوجها او زوجها من ذي تبع ملك همدان ولقد ارسلنا الى ثمود
اخاهم صالحا ان اعبدوا الله بان اعبدوه وقرئ بضم النون على
اتباعها الباء فاذا هم فريقان يختصمون ففاجؤا التفرق والاختصام
فآمن فريق وكفر فريق والواو لمجموع الفريقين قال يا قوم لم تستعجلون
بالسيئة بالعقوبة فتقولون ائتنا بما تعدنا قبل الحسنة قبل التوبة
فتؤخرونها الى نزول العذاب فانهم كانوا يقولون ان صدق ايعاده
تبنا حينئذ لولا تستغفرون الله قبل نزوله لعلكم ترحمون بقبولها

فانها

بعث
فانها لا تقبل حينئذ قالوا اطيرنا تشاءمنا بك وبمن معك اذ تتابعت
علينا الشدائد او وقع بيننا الافتراق منذ اخترعتم دينكم قال طائركم
سببكم الذي جاء منه شركم عند الله وهو قدره او عملكم المكتوب عنده
بل انتم قوم تفتنون تختبرون بتعاقب السراء والضراء والاضراب
من بيان طائرهم الذي هو مبدأ ما يحيق بهم الى ذكر ما هو الداعي اليه
وكان في المدينة تسعة رهط تسعة انفس وانما وقع تمييزا للتسعة
باعتبار المعنى والفرق بينه وبين النفر انه من الثلاثة او السبعة الى
العشرة والنفر من الثلاثة الى التسعة يفسدون في الارض ولا
يصلحون اي شأنهم الافساد الخالص عن شوب الصلاح قالوا اي
قال بعضهم لبعض تقاسموا بالله امر مقول او خبر وقع بدلا او حالا
باضمار قد لنبيتنه واهله لنباغتن صالحا واهله ليلا وقرأ حمزة
والكسائي بالتاء على خطاب بعضهم لبعض وقرئ بالياء على ان تقاسموا
خبر ثم لنقولن فيه القراءات الثلاث لوليه لولي دمه ما شهدنا
مهلك اهله فضلا ان تولينا اهلاكهم وهو يحتمل المصدر والزمان
والمكان وكذا مهلك في قراءة حفص فان مفعلا قد جاء مصدرا كمرجع
وقرأ ابو بكر بالفتح فيكون مصدرا وانا لصادقون ونحلف انا لصادقون
او والحال انا لصادقون فيما ذكرنا لان الشاهد للشيء غير المباشر له
عرفا او لانا ما شهدنا مهلكهم وحده بل مهلكه ومهلكهم كقولك ما رأيت
ثم رجلا بل رجلين ومكروا مكرا بهذه المواضعة ومكرنا مكرا
بان جعلناها سببا لاهلاكهم وهم لا يشعرون بذلك روي انه كان
لصالح في الحجر مسجد في شعب يصلي فيه فقالوا زعم انه يفرغ منا الى ثلاث
فنفرغ منه ومن اهله قبل الثلاث فذهبوا الى الشعب ليقتلوه فوقع عليهم
صخر حيالهم فطبقت عليهم فم الشعب فهلكوا ثم وهلك الباقون في
اماكنهم بالصيحة كما اشار اليه بقوله فانظر كيف كان عاقبة مكرهم
انا دمرناهم وقومهم اجمعين فكان ان جعلت ناقصة فخبرها
كيف وانا دمرناهم استئناف او خبر محذوف لا خبر كان لعدم العائد
وان جعلتها تامة فكيف حال وقرأ الكوفيون ويعقوب انا دمرناهم بالفتح
على انه خبر محذوف او بدل من اسم كان او خبر له وكيف حال فتلك بيوتهم
خاوية خالية من خوى البطن اذا خلا او ساقطة منهدمة من خوى النجم

ن

اذا استقط وهي حال عمل فيها معنى الاشارة وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدا
محذوف بما ظلموا بسبب ظلمهم ان في ذلك لاية لقوم يعلمون فيتعظون
وانجينا الذين امنوا صالحا ومن معه وكانوا يتقون الكفر والمعاصي
فلذلك خصوا بالنجاة ولوطا واذكر لوطا او وارسلنا لوطا لدلالة ولقد
ارسلنا عليه اذ قال لقومه بدل على الاول ظرف على الثاني اتاتون
الفاحشة وانتم تبصرون تعلمون فحشها من بصر القلب واقتراف القبائح
من العالم بقبحها اقبح او يبصرها بعضكم من بعض لانهم كانوا يعلنون
بها فتكون افحش اينكم لتاتون الرجال شهوة بيان لاتيانهم الفاحشة
وتعليله بالشهوة للدلالة على قبحه والتنبيه على ان الحكمة في المواقعة
طلب النسل لا قضاء الوطر من دون النساء اللاتي خلقن لذلك بل انتم قوم
تجهلون تفعلون فعل من يجهل قبحها او يكون سفيها لا يميز بين الحسن
والقبيح او تجهلون العاقبة والتاء فيه لكون الموصوف به في معنى المخاطب
فما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوا ال لوط من قريتكم
انهم اناس يتطهرون يتنزهون عن افعالنا او عن الاقذار ويعدون
فعلنا قذرا فانجيناه واهله الا امراته قدرناها من الغابرين
قدرنا كونها من الباقين في العذاب وامطرنا عليهم مطرا فساء مطر
المنذرين مر مثله قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى
امر رسوله عليه الصلوة والسلام بعد ما قص عليه القصص الدالة
على كمال قدرته وعظمة شانه وما خص به رسله من الايات الكبرى والانتصار
من اعدائهم بتحميده والسلام على المصطفين من عباده شكرا على ما انعم عليهم
وعلمه ما جهل من احوالهم وعرفانا لفضلهم وحق تقدمهم واجتهادهم
في الدين او لوطا بان يحمده على هلاك كفرة قومه ويسلم على من اصطفاه
بالعصمة من الفواحش والنجاة من الهلاك الله خير اما تشركون الزام
لهم وتهكم بهم وتسفيه لرايهم اذ من المعلوم ان لا خير فيما اشركوه
راسا حتى يوازن بينه وبين من هو مبدا كل خير وقرا ابو عمرو وعاصم
بالياء امن بل امن خلق السموات والارض التي هي اصول الكائنات
ومبادي المنافع وقرئ امن بالتخفيف على انه بدل من الله وانزل لكم
من السماء ماء فانبتنا به حدائق ذات بهجة عدل به عن الغيبة
الى التكلم لتاكيد اختصاص الفعل بذاته والتنبيه على ان انبات الحد

البهية المختلفة الانواع المتباعدة الطباع من المواد المتشابهة لا
يقدر عليه غيره كما اشار اليه بقوله ما كان لكم ان تنبتوا شجرها شجر
الحدائق وهي البساتين من الاحداق وهو الاحاطة االه مع الله اغيره
يقرن به ويجعل له شريكا وهو المتفرد بالخلق والتكوين وقرئ االها بالنصب
باضمار فعل مثل اتدعون او تشركون وبتوسيط مدة بين الهمزتين واخراج
الثانية بين بين وبدون ذلك ان يحقق الهمزتين ويتوسط مدة بين الهمزتين بل
هم قوم يعدلون عن الحق الذي هو التوحيد امن جعل الارض قرارا
بدل من امن خلق السموات وجعلها قرارا بابداء بعضها من الماء وتسويتها
بحيث يتاتى استقرار الانسان والدواب عليها وجعل خلالها وسطها
انهارا جارية وجعل لها رواسي جبالا يتكون فيها المعادن وينبع
من حضيضها المنابع وجعل بين البحرين العذب والمالح او خليجي
فارس والروم حاجزا برزخا وقد مر بيانه في الفرقان االه مع الله
بل اكثرهم لا يعلمون الحق فيشركون به امن يجيب المضطر اذا دعاه
المضطر الذي احوجه شدة ما به الى اللجا الى الله من الاضطرار وهو
افتعال من الضرورة واللام فيه للجنس لا للاستغراق فلا يلزم منه
اجابة كل مضطر ويكشف السوء ويدفع عن الانسان ما يسوءه ويجعلكم
خلفاء الارض خلفاء فيها بان ورثكم سكناها والتصرف فيها ممن قبلكم
االه مع الله الذي خصكم بهذه النعم العامة والخاصة قليلا ما تذكرون
اي تذكرون الاءه تذكرا قليلا وما مزيدة والمراد بالقلة العدم او الحقارة
المزيحة للفائدة وقرا ابو عمرو وروح بالياء وحمزة وحفص والكسائي
بالتاء وتخفيف الذال امن يهديكم في ظلمات البر والبحر بالنجوم وعلامات
الارض والظلمات ظلمات الليالي اضافها الى البر والبحر للملابسة او مشتبهات
الطرق يقال طريقة ظلماء وعمياء التي لا منار لها ومن يرسل الرياح بشرا
بين يدي رحمته يعني المطر ولو صح ان السبب الاكثري في تكون الريح معاودة
الادخنة الصاعدة من الطبقة البارده لانكسار حرها وتموجها الهوا
ولا شك ان الاسباب الفاعلية والقابلية لذلك من خلق الله والفاعل
للسبب فاعل المسبب االه مع الله يقدر على مثل ذلك تعالى الله عما يشركون
تعالى القادر الخالق عن مشاركة العاجز المخلوق امن يبدؤ الخلق
ثم يعيده والكفرة وان انكروا الاعادة فهم محجوجون بالحجج الدالة عليها

ج

ومن يرزقكم من السماء والارض اي باسباب سماوية وارضية ءاله مع
الله يفعل ذلك قل هاتوا برهانكم على ان غيره يقدر على شيء من ذلك
ان كنتم صادقين في اشراككم فان كمال القدرة من لوازم الالوهية
قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله لما بين اختصاصه
بالقدرة التامة الفائقة العامة اتبعه ما هو كاللازم له وهو التفرد
بعلم الغيب والاستثناء منقطع ورفع المستثنى على اللغة التميمية للدلالة
على انه تعالى ان كان ممن في السموات والارض ففيهما من يعلم الغيب مبالغة
في نفيه عنهم او متصل على ان المراد بمن في السموات والارض من تعلق علمه
بهما واطلع عليهما اطلاع الحاضر فيهما فانه يعم الله تعالى واولي العلم من
خلقه وهو موصول او موصوف وما يشعرون ايان يبعثون متى ينشرون
مركبة من اي وان وقرئ بكسر الهمزة والضمير لمن وقيل للكفرة بل ادارك
علمهم في الاخرة لما نفى عنهم علم الغيب واكد ذلك بنفي شعورهم بما هو ما
لا محالة بالغ فيه بان اضرب عنه وبين ان ما انتهى وتكامل فيه اسباب
علمهم من الحجج والايات وهو ان القيمة كائنة لا محالة لا يعلمونه كما ينبغي
بل هم في شك منها كمن تحير في امر لا يجد عليه دليلا بل هم منها عمون
لا يدركون دلائلها لاختلال بصيرتهم وهذا وان اختص بالمشركين
ممن في السموات والارض نسب الى جميعهم كما يسند فعل البعض الى الكل
والاضرابات الثلاث تنزيل لاحوالهم وقيل الاول اضراب عن نفي الشعور
بوقت القيمة عنهم ووصفهم باستحكام علمهم في امر الاخرة تهكما بهم وقيل
ادارك بمعنى انتهى واضمحل من قولهم ادركت الثمرة لانها غايتها التي عندها
تعدم وقرا نافع وابن عامر وحمزة والكسائي وحفص بل ادارك بمعنى
تتابع حتى استحكم او تتابع حتى انقطع من تدارك بنو فلان اذا تتابعوا
في الهلاك وابو عمرو وابن كثير وابو بكر ادرك واصله تفاعل وافتعل
وقرئ ءادرك بهمزتين وآدرك بالف بينهما وبل ادرك وبل اتدارك
وبلى ادرك وبلى ادارك وام ادرك وام تدارك وما فيه استفهام صريح
او مضمن من ذلك فانكار وما فيه بلى فاثبات لشعورهم وتفسير له بالادراك
على التهكم وما بعده اضراب عن التفسير مبالغة في نفيه ودلالة على ان
شعورهم بها انهم شاكون فيها بل انهم منها عمون او رد وانكار
وقال الذين كفروا ائذا كنا ترابا واباؤنا ائنا لمخرجون كالبيان

لعمهم

لعمهم والعامل في اذا ما دل عليه ائنا لمخرجون وهو نخرج لا مخرجون
لان كلا من الهمزة وان واللام مانعة من عمله فيما قبلها وتكرير الهمزة
للمبالغة في الانكار والمراد بالاخراج الاخراج من الاجداث او من حال
الفناء الى الحيوة وقرا نافع اذا كنا بهمزة واحدة مكسورة وقرا ابن عامر والكسائي
اننا لمخرجون بنونين على الخبر لقد وعدنا هذا نحن واباؤنا من قبل
من قبل وعد محمد وتقديم هذا على نحن لان المقصود بالذكر هو البعث
وحيث اخر فالمقصود به المبعوث ان هذا الا اساطير الاولين التي
هي كالاسمار قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين
تهديد لهم على التكذيب وتخويف بان ينزل بهم مثل ما نزل بالمكذبين
قبلهم والتعبير عنهم بالمجرمين ليكون لطفا للمؤمنين في ترك الجرائم
ولا تحزن عليهم على تكذيبهم واعراضهم ولا تكن في ضيق في حرج
صدر وقرا ابن كثير بكسر الضاد وهما لغتان وقرئ ضيق اي امر ضيق
مما يمكرون من مكرهم فان الله يعصمك من الناس ويقولون متى هذا
الوعد العذاب الموعود ان كنتم صادقين قل عسى ان يكون ردف
لكم تبعكم ولحقكم واللام مزيدة للتاكيد او الفعل مضمن معنى فعل يتعدى
باللام مثل دنا وقرئ بالفتح وهو لغة فيه بعض الذي تستعجلون حلوله وهو
عذاب يوم بدر وعسى ولعل وسوف في مواعيد الملوك كالجزم بها وانما
يطلقونه اظهارا لوقارهم واشعارا بان الرمز منهم كالتصريح وعليه
جرى وعد الله ووعيده وان ربك لذو فضل على الناس بتاخير عقوبتهم
على المعاصي والفضل والفاضلة الافضال وجمعها فضول وفواضل
ولكن اكثرهم لا يشكرون لا يعرفون حق النعمة فيه فلا يشكرون
بل يستعجلون بجهلهم وقوعه وان ربك ليعلم ما تكن صدورهم ما
تخفيه وقرئ بفتح التاء من كننت اي سترت وما يعلنون من عداوتك
فيجازيهم عليه وما من غائبة في السماء والارض خافية فيهما وهما من
الصفات الغالبة والتاء فيهما للمبالغة كما في الراوية او اسمان لما يغيب
ويخفى كالتاء في عاقبة وعافية الا في كتاب مبين بين او مبين ما فيه لمن
يطالعه والمراد اللوح او القضاء على الاستعارة ان هذا القران يقص
على بني اسرائيل اكثر الذي هم فيه يختلفون كالتشبيه والتنزيه واحوال
الجنة والنار وعزير والمسيح وانه لهدى ورحمة للمؤمنين فانهم المنتفعون

ي

بثهم

به ان ربك يقضي بينهم بين بني اسرائيل بحكمه بما يحكم به وهو الحق او بحكمته
ويدل عليه انه قرئ بحكمه وهو العزيز فلا يرد قضاؤه العليم بحقيقة
ما يقضي فيه وحكمه فتوكل على الله ولا تبال بمعاداتهم انك على الحق المبين
وصاحب الحق حقيق بالوثوق بحفظ الله ونصره انك لا تسمع الموتى تعليل
اخر للامر بالتوكل من حيث انه يقطع طمعه من متابعتهم ومعاضدتهم
راسا وانما شبهوا بالموتى لعدم انتفاعهم باستماع ما يتلى عليهم كما شبهوا
بالصم في قوله ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين فان اسماعهم
في هذه الحال ابعد وقرا ابن كثير ولا يسمع الصم وما انت بهادي العمي
عن ضلالتهم حيث الهداية لا تحصل الا بالبصر وقرا حمزة وحده وما انت
تهدي العمي ان تسمع اي ما يجدي اسماعك الا من يؤمن باياتنا من هو
في علم الله كذلك فهم مسلمون مخلصون من اسلم وجهه لله واذا وقع القول
عليهم اذا دنا وقوع معناه وهو ما وعدوا به من البعث والعذاب
اخرجنا لهم دابة من الارض وهي الجساسة روي ان طولها ستون
ذراعا ولها قوائم وزغب وريش وجناحان لا يفوتها هارب ولا
يدركها طالب وروي انه عليه الصلوة والسلام سئل عن مخرجها فقال
من اعظم المساجد حرمة على الله يعني المسجد الحرام تكلمهم من الكلام
وقيل من الكلم اذ قرئ تكلمهم وروي انها تخرج ومعها عصى موسى وخاتم سليمان
فتنكت بالعصا في مسجد المؤمن نكتة بيضاء فيبيض وجهه وبالخاتم في
انف الكافر نكتة سوداء فيسود وجهه ان الناس كانوا باياتنا خروجها
وسائر احوالها فانها من ايات الله وقيل القران وقرا الكوفيون ان
الناس بالفتح لا يوقنون لا يتيقنون وهي حكاية معنى قولها او حكايتها
لقول الله او علة خروجها او تكلمها على حذف الجار ويوم نحشر من
كل امة فوجا يعني يوم القيامة ممن يكذب باياتنا بيان للفوج
اي فوجا مكذبين ومن الاولى للتبعيض لان امة كل نبي واهل كل قرن
شامل للمصدقين والمكذبين فهم يوزعون يحبس اولهم على اخرهم
ليتلاحقوا وهو عبارة عن كثرة عددهم وتباعد اطرافهم حتى اذا جاءو
الى المحشر قال اكذبتم باياتي ولم تحيطوا بها علما الواو للحال اي اكذبتم
بها بادي الراي غير ناظرين فيها نظرا يحيط علمكم بكنهها وانها حقيقة
بالتصديق او التكذيب او للعطف اي اجمعتم بين التكذيب بها وعدم

الفا الاذهان لتحققها اماذا كنتم تعملون ام اي شي كنتم تعملون بعد
ذلك وهو للتبكيت اذ لم يفعلوا غير التكذيب من الجهل فلا يقدرون ان
يقولوا فعلنا غير ذلك ووقع القول عليهم حل بهم العذاب الموعود
وهو كبهم في النار بعد ذلك بما ظلموا بسبب ظلمهم وهو التكذيب بايات
الله فهم لا ينطقون باعتذار لشغلهم بالعذاب الم يروا ليتحقق لهم
التوحيد ويرشدهم الى تجويز الحشر وبعثة الرسل لان تعاقب النور والظلمة
على وجه مخصوص غير متعين بذاته لا يكون الا بقدرة قاهرة وان من
قدر على ابدال الظلمة بالنور في مادة واحدة قدر على ابدال الموت بالحياة
في مواد الابدان وان من جعل النهار ليبصروا فيه سببا من اسباب معاشهم
لعله لا يخل بما هو مناط جميع مصالحهم في معاشهم ومعادهم انا جعلنا
الليل ليسكنوا فيه بالنوم والقرار والنهار مبصرا فان اصله ليبصروا
فيه فبولغ فيه بجعل الابصار حالا من احوال المجعول عليه بحيث لا ينفك
عنها ان في ذلك لايات لقوم يؤمنون لدلالتها على الامور الثلاثة
ويوم ينفخ في الصور في الصور او القرن وقيل انه تمثيل لانبعاث الموتى
بانبعاث الجيش اذا نفخ في البوق ففزع من في السموات ومن في الارض
من الهول وعبر عنه بالماضي لتحقق وقوعه الا من شاء الله ان لا يفزع
بان يثبت قلبه قيل هم جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل وقيل الحور
والخزنة وحملة العرش وقيل الشهداء وقيل موسى لانه صعق مرة ولعل
المراد ما يعم ذلك وكل اتوه داخرين حاضرون الموقف بعد النفخة الثانية
او راجعون الى امره وقرا حمزة وحفص اتوه على الفعل وقرئ اتاه لتوحيد
لفظ الكل داخرين صاغرين وقرئ دخرين وترى الجبال تحسبها
جامدة ثابتة في مكانها وهي تمر مر السحاب في السرعة وذلك
لان الاجرام الكبار اذا تحركت في سمت واحد لا تكاد تتبين حركتها صنع
الله مصدر مؤكد لنفسه وهو مضمون الجملة المتقدمة كقوله وعد الله
الذي اتقن كل شيء احكم خلقه وسواه على ما ينبغي انه خبير بما تفعلون
عالم بظواهر الافعال وبواطنها فيجازيهم عليها كما قال من جاء بالحسنة
فله خير منها اذ ثبت له الشريف بالخسيس والباقي بالفاني وسبعمائة
بواحد وقيل خير منها اي خير حاصل من جهتها وهو الجنة وقرا ابن كثير وابو
عمرو وهشام خبير بما يفعلون بالياء والباقون بالتاء وهم من فزع

يومئذ امنون يعني به خوف عذاب يوم القيمة وبالاول ما يلحق الانسان
من التهيب لما يرى من الاهوال والعظايم ولذلك يعم الكافر والمومن و
الكوفيون بالتنوين لان المراد فزع واحد من افزاع ذلك اليوم وامن يعدى
بالجار وبنفسه كقوله افامنوا مكر الله وقرا الكوفيون ونافع يومئذ بفتح
الميم والباقون بكسرها ومن جا بالسيئة قيل بالشرك فكبت وجوههم
في النار فكبوا فيها على وجوههم ويجوز ان يراد بالوجوه انفسهم كما اريد
بالايدي في قوله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة هل تجزون الا ما كنتم تعملون
على الالتفات او باضمار القول اي قيل لهم ذلك انما امرت ان اعبد
رب هذه البلدة الذي حرمها امر الرسول ان يقول لهم ذلك بعد
ما بين المبدا والمعاد وشرح احوال القيمة اشعارا بانه قد اتم الدعوة
وقد كملت وما عليه بعد الا الاشتغال بشانه والاستغراق في عبادة
ربه وتخصيص مكة بهذه الاضافة تشريف لها وتعظيم لشانها وقرئ التي
حرمها وله كل شيء خلقا وملكا وامرت ان اكون من المسلمين المنقادين
او الثابتين على ملة الاسلام وان اتلوا القران وان اواظب على تلاوته
لينكشف لي حقايقه في تلاوته شيئا فشيئا او اتباعه وقرئ واتل عليهم
وان اتل فمن اهتدى باتباعه اياي في ذلك فانما يهتدي لنفسه
فان منافعه عايدة اليه ومن ضل بمخالفتي فقل انما انا من المنذرين
فلا علي وبال ضلاله اذ ما على الرسول الا البلاغ وقد بلغت وقل
الحمد لله على نعمة النبوة او على ما علمني ووفقني للعمل به سيريكم اياته
القاهرة في الدنيا كوقعة بدر وخروج دابة الارض او في الاخرة
فتعرفونها فتعرفون انها ايات الله ولكن حين لا تنفعكم المعرفة وما
ربك بغافل عما تعملون فلا تحسبوا ان تاخير عذابكم لغفلته عن اعمالكم
وقرئ بالياء عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة طس كان له من الاجر
عشر حسنات بعدد من صدق سليمان وكذب به وهود وصالح وابرهيم
وشعيب ويخرج من قبره وهو ينادي لا اله الا الله

وقيل الا قوله الذين اتيناهم الكتاب الى قوله الجاهلين وهي ثمان
وثمانون اية بسم الله الرحمن الرحيم طسم تلك ايات

الكتاب

الكتاب المبين نتلو عليك نقرا عليك بقراة جبريل ويجوز ان يكون
بمعنى ننزله مجازا من نبا موسى وفرعون بعض نباهما مفعول نتلوا
بالحق محقين لقوم يؤمنون لانهم المنتفعون به ان فرعون علا في الارض
استيناف مبين لذلك البعض والارض ارض مصر وجعل اهلها شيعا فرقا
يشيعونه فيما يريد او يشيع بعضهم في طاعته او اصنافا في استخدامه استعمل
كل صنف في عمل او احزابا بان اغرى بينهم العداوة كيلا يتفقوا عليه يستضعف
طائفة منهم وهم بنو اسرائيل والجملة حال من فاعل جعل او صفة شيعا
او استيناف وقوله يذبح ابناءهم ويستحيي نساءهم بدل منه وكان ذلك
لان كاهنا قال له يولد مولود في بني اسرائيل يذهب ملكك على يده وذلك
كان من غاية حمقه فانه لو صدق لم يندفع بالقتل وان كذب فما وجهه انه كان من
المفسدين فلذلك اجترا على قتل خلق كثير من اولاد الانبياء لتخيل فاسد
ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض اي نتفضل عليهم
بانقاذهم من باسه ونريد حكاية حال ماضية معطوفة على ان فرعون
علا من حيث انهما واقعان تفسيرا للنبا او حال من يستضعف ولا يلزم
من مقارنة الارادة للاستضعاف مقارنة المراد له لجواز ان يكون تعلق
الارادة به حينئذ تعلقا استقباليا مع ان منة الله بخلاصهم لما كانت
في شرف الوقوع منه جاز ان يجري مجرى المقارن ونجعلهم ايمة مقدمين
في امر الدين ونجعلهم الوارثين لما كان في ملك فرعون وقومه
ونمكن لهم في الارض ارض مصر والشام واصل التمكين ان يجعل للشيء
مكانا يتمكن فيه ثم استعير للتسليط واطلاق الامر ونري فرعون وهامان
وجنودهما منهم من بني اسرائيل ما كانوا يحذرون من ذهاب ملكهم
وهلاكهم على يد مولود منهم وقرا حمزة والكسائي ويرى بالياء وفرعون
وهامان وجنودهما بالرفع واوحينا الى ام موسى بالهام او رويا ان ارضعيه
ما امكنك اخفاؤه فاذا خفت عليه بان يحس به فالقيه في اليم في البحر يريد
النيل ولا تخافي عليه ضيعة ولا شدة ولا تحزني لفراقه انا رادوه اليك
عن قريب بحيث تامنين عليه وجاعلوه من المرسلين روي انها لما ضربها
الطلق دعت قابلة من الموكلات بحبالى بني اسرائيل فعالجتها فلما وقع موسى
على الارض هالها نور بين عينيه وارتعش مفاصلها ودخل حبه في قلبها
بحيث منعها من السعاية فارضعته ثلثة اشهر ثم الح فرعون في طلب المواليد

مان

واجتهد العيون في تفحصها فاتخذت له تابوتا فقذفته في النيل فالتقطه
آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا تعليل لالتقاطهم اياه بما هو عاقبته
ومؤداه تشبيها له بالغرض الحامل عليه وقرأ حمزة والكسائي حُزنا ان
فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين في كل شيء فليس ببدع
منهم ان قتلوا الوفا لاجله ثم اخذوه يربونه ليكبر ويفعل بهم ما كانوا يحذرون
او مذنبين فعاقبهم الله بان ربى عدوهم على ايديهم فالجملة اعتراض
لتاكيد خطائهم او لبيان الموجب لما ابتلوا به وقرئ خاطين تخفيف خاطئين
او خاطين الصواب الى الخطا وقالت امرأة فرعون اي لفرعون
حين اخرجته من التابوت قرة عين لي ولك وهو قرة عين لنا لانهما
لما راياه اخرج من التابوت احباه او لانه كانت له ابنة برصاء وعالجها
الاطباء بريق حيوان بحري يشبه الانسان فلطخت برصها بريقه فبرات
وفي الحديث انه قال لك لا لي ولو قال لي كما هو لك لهداه الله كما هداها
لا تقتلوه خطاب بلفظ الجمع للتعظيم عسى ان ينفعنا فان فيه مخايل
اليمن ودلائل النفع وذلك لما رات من نور بين عينيه وارتضاعه
ابهامه لبنا وبرء البرصاء بريقه او نتخذه ولدا او نتبناه فانه اهل له
وهم لا يشعرون حال من الملتقطين او من القائلة والمقول له وهم
لا يشعرون انهم على الخطا في التقاطه او في طمع النفع منه والتبني له او
من احد ضميري نتخذه على ان الضمير للناس اي وهم لا يشعرون انه
لغيرنا وقد تبنيناه واصبح فؤاد ام موسى فارغا صفرا من العقل لما
دهمها من الخوف والحيرة حين سمعت بوقوعه في يد فرعون كقوله
وافئدتهم هواء اي خلاء لا عقول فيها ويؤيده انه قرئ فرغا من قولهم
دماؤهم بينهم فرغ اي هدرا او من الهم لفرط وثوقها بوعد الله او
لسماعها ان فرعون عطف عليه وتبناه ان كادت لتبدي به انها
كادت لتظهر بموسى اي بامره وقصته من فرط الضجر او الفرح بتبنيه
لولا ان ربطنا على قلبها بالصبر والثبات لتكون من المؤمنين
من المصدقين بوعد الله او من الواثقين بحفظه لا بتبني فرعون وعطفه
وقرئ موسى اجراء للضمة في جار الواو مجرى ضمتها في استدعاء همزها همز
واو وجوه وهو علة الربط وجواب لولا محذوف دل عليه ما قبله
وقالت لاخته مريم قصيه اتبعي اثره وتتبعي خبره فبصرت به عن

جنب عن بعد وقرئ عن جانب وعن جنب وهو بمعناه وهم لا يشعرون
انها تقص وانها اخته وحرمنا عليه المراضع ومنعناه ان يرتضع
من المرضعات جمع مرضع او مرضع وهو الرضاع او موضعه وهو الثدي
من قبل من قبل قصها اثره فقالت هل ادلكم على اهل بيت يكفلونه
لكم لاجلكم وهم له ناصحون لا يقصرون في ارضاعه وتربيته روي
ان هامان لما سمعه قال انها لتعرفه واهله فخذوها حتى تخبركم بحاله
فقالت انما اردت وهم للملك ناصحون فامرها فرعون بان تاتي بمن يكفله
فاتت بامها وموسى على يد فرعون يبكي وهو يعلله فلما وجد ريحها استانس
والتقم ثديها فقال لها من انت منه فقد ابى كل ثدي الا ثديك فقالت اني
امراة طيبة الريح طيبة اللبن لا اوتى بصبي الا قبلني فدفعه اليها واجرى
عليها فرجعت به الى بيتها من يومها وهو قوله فرددناه الى امه كي تقر
عينها بولدها ولا تحزن بفراقه ولتعلم ان وعد الله حق علم مشاهدة
ولكن اكثرهم لا يعلمون ان وعده حق فيرتابون فيه او ان الغرض
الاصلي من الرد علمها بذلك وما سواه تبع وفيه تعريض بما فرط منها
حين سمعت بوقوعه في يد فرعون ولما بلغ اشده مبلغه الذي لا يزيد
عليه نشوه وذلك من ثلثين الى اربعين سنة فان العقل يكمل حينئذ وروي
انه لم يبعث نبي الا على راس الاربعين واستوى قده او عقله آتيناه حكما
نبوة وعلما بالدين او علم الحكماء والعلماء وسمتهم قبل استنبائه فلا يقول
ولا يفعل ما يستجهل فيه وهو اوفق لنظم القصة لانه استنبأه بعد الهجرة
في المراجعة وكذلك ومثل ذلك الذي فعلنا بموسى وامه نجزي المحسنين
على احسانهم ودخل المدينة ودخل مصر آتيا من قصر فرعون وقيل منف
او اسكندرية او حابين او عين الشمس من نواحيها على حين غفلة من اهلها
في وقت لا يعتاد دخولها ولا يتوقعونه فيه قيل كان وقت القيلولة وقيل
بين العشائين فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا
من عدوه احدهما ممن شايعه على دينه وهم بنو اسرائيل والآخر من مخالفيه
وهم القبط والاشارة على الحكاية فاستغاثه الذي من شيعته على
الذي من عدوه فساله ان يغيثه بالاعانة ولذلك عدي بعلى وقرئ
استعانه فوكزه موسى فضرب القبطي بجمع كفه وقرئ فلكزه اي فضرب
صدره فقضى عليه فقتله واصله انهى حياته من قوله وقضينا اليه ذلك

الامر قال هذا من عمل الشيطان لانه لم يومر بقتل الكفار او لانه كان
مامونا فيهم فلم يكن له اغتيالهم ولا يقدح ذلك في عصمته لكونه خطا وانما
عده من عمل الشيطان وسماه ظلما واستغفر عنه على عادتهم في استعظام محقرات
فرطت منهم انه عدو مضل مبين ظاهر العداوة قال رب اني ظلمت نفسي
بقتله فاغفر لي ذنبي فغفر له لاستغفاره انه هو الغفور لذنوب عباده
الرحيم بهم قال رب بما انعمت علي قسم محذوف الجواب اي اقسم بانعامك
علي بالمغفرة وغيرها لاتوبن فلن اكون ظهيرا للمجرمين او استعطاف اي
بحق انعامك علي اعصمني فلن اكون معينا لمن ادت معاونته الى جرم وعن
ابن عباس لم يستثن فابتلي به مرة اخرى وقيل معناه بما انعمت علي من القوة
اعين اولياءك فلن استعملها في مظاهرة اعدائك فاصبح في المدينة خائفا
يترقب يتوقع الاستقادة فاذا الذي استنصره بالامس يستصرخه
يستغيثه مشتق من الصراخ قال له موسى انك لغوي مبين بين الغواية
لانك تسببت لقتل رجل وتقاتل اخر فلما ان اراد ان يبطش بالذي هو
عدو لهما لموسى وللاسرائيلي لانه لم يكن على دينهما او لان القبط كانوا
اعداء بني اسرائيل قال يا موسى اتريد ان تقتلني كما قتلت نفسا بالامس
قاله الاسرائيلي لانه لما سماه غويا ظن انه يبطش عليه او القبطي وكان
توهم من قوله انه الذي قتل القبطي بالامس لهذا الاسرائيلي ان تريد
ما تريد الا ان تكون جبارا في الارض تتطاول على الناس ولا تنظر
الى العواقب وما تريد ان تكون من المصلحين بين الناس فتدفع التخاصم
بالتي هي احسن ولما قال هذا انتشر الحديث وارتقى الى فرعون وملائه
فهموا بقتله فخرج مومن ال فرعون وهو ابن عمه ليخبره بما قال وجاء
رجل من اقصى المدينة يسعى يسرع صفة لرجل او حال منه اذا جعل
من اقصى المدينة صفة له لا صلة لجاء لان تخصيصه بها يلحقه بالمعا
قال يا موسى ان الملا ياتمرون بك ليقتلوك يتشاورون بسببك
وانما سمي التشاور ائتمارا لان كلا من المتشاورين يامر الاخر ويأتمر
فاخرج اني لك من الناصحين اللام للبيان وليس صلة للناصحين لان معمول
الصلة لا يتقدم على الموصول فخرج منها من المدينة خائفا يترقب
لحوق طالب قال رب نجني من القوم الظالمين خلصني منهم واحفظني
من لحوقهم ولما توجه تلقاء مدين قبالة مدين من قرية شعيب سميت

باسم

باسم مدين ابن ابرهيم ولم تكن في سلطان فرعون وكان بينها وبين
مصر مسيرة ثمان قال عسى ربي ان يهديني سواء السبيل توكلا على الله
وحسن ظن به وكان لا يعرف الطرق فعن له ثلاث طرق فاخذ في اوسطها
وجاء الطلاب عقيبه فاخذوا في الاخريين ولما ورد ماء مدين وصل اليه
وهو بير كانوا يسقون منها وجد عليه وجد فوق شفيرها امة من الناس
جماعة كثيرة مختلفين يسقون مواشيهم ووجد من دونهم في مكان
اسفل من مكانهم امراتين تذودان تطردان يمنعان اغنامهما عن الماء كيلا تختلط
باغنامهم قال ما خطبكما ما شانكما تذودان قالتا لا نسقي حتى يصدر
الرعاء يصرف الرعاء مواشيهم عن الماء حذرا من مزاحمة الرجال وحذف
المفعول لان الغرض هو بيان ما يدل على عفتهما ويدعوه الى السقي لهما
ثم دونه وقرا ابو عمرو وابن عامر يصدر اي تنصرف وفي الرعاء بالضم
وهو اسم جمع كالرخال وابونا شيخ كبير كبير السن لا يستطيع ان يخرج
للسقي فيرسلنا اضطرارا فسقى لهما مواشيهما رحمة عليهما قيل كانت
الرعاة يضعون على راس البير حجرا لا يقله الا سبعة رجال او اكثر فاقله
وحده مع ما كان به من الوصب والجوع وجراحة القدم وقيل كانت بير
اخرى عليها صخرة فرفعها واستقى منها ثم تولى الى الظل فقال رب
اني لما انزلت الي لاي شيء انزلت الي من خير قليلا او كثيرا وحمله الاكثر
على الطعام فقير محتاج سائل ولذلك تعدى باللام وقيل معناه اني
لما انزلت من خير الدين صرت فقيرا في الدنيا لانه كان في سعة عند فرعون
والغرض منه اظهار التبجح والشكر على ذلك فجاءته احداهما تمشي على
استحياء اي مستحيية متخفرة قيل كانت الصغرى منهما وقيل الكبرى واسمها
صفوراء او صفراء وهي التي تزوجها موسى قالت ان ابي يدعوك ليجزيك
ليكافيك اجر ما سقيت لنا جزاء سقيك لنا ولعل موسى انما اجابها
ليتبرك برؤية الشيخ ويستظهر بمعرفته لا طمعا في الاجر بل روي انه
لما جاءه قدم اليه طعاما فامتنع عنه وقال انا اهل بيت لا نبيع ديننا
بالدنيا حتى قال شعيب هذه عادتنا مع كل من ينزل بنا هذا وان كل من
فعل معروفا فاهدي بشيء لم يحرم اخذه فلما جاءه وقص عليه القصص
قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين يريد فرعون وقومه قالت
احداهما يعني التي استدعته يا ابت استاجره لرعي الغنم ان خير من

استاجرت القوي الامين تعليل يجري مجرى الدليل على معنى
انه حقيق بالاستيجار وللمبالغة فيه جعل خير اسما وذكر الفعل
بلفظ الماضي للدلالة على انه امين مجرب معروف روي ان شعيبا
قال لها وما اعلمك بقوته وامانته فذكرت اقلال الحجر وانه صوب
راسه حتى بلغته رسالته وامرها بالمشي خلفه قال اني اريد ان انكحك
احدى ابنتي هاتين على ان تاجرني ان توجر نفسك مني او تكون لي
اجيرا او تثيبني من اجرك الله ثماني حجج ظرف على الاولين ومفعول به على
الثالث باضمار مضاف اي رعية ثماني حجج فان اتممت عشرا عمل عشر
حجج فمن عندك فاتمامه من عندك تفضلا لا من عندي الزاما عليك
وهذا استدعا العقد لا نفسه فلعله جرى على معين او بمهر اخر وبرعية
الاجل الاول ووعد له ان يوفي الاخير ان تيسر له قبل العقد وكانت الاغنام
للمزوجة مع انه يمكن اختلاف الشرايع وما اريد ان اشق عليك
بالزام اتمام العشر او المناقشة في مراعاة الاوقات واستيفا الاعمال
واشتقاق المشقة من الشق فان ما يصعب عليك يشق عليك اعتقادك
في اطاقته ورايك في مزاولته ستجدني ان شا الله من الصالحين
في حسن المعاملة ولين الجانب والوفا بالعهد قال ذلك بيني وبينك
اي ذلك الذي عاهدتني فيه قايم بيننا لا نخرج عنه ايما الاجلين اطولها
او اقصرهما قضيت وفيتك اياه فلا عدوان علي فلا تعتدي علي
بطلب الزيادة فكما لا اطالب بالزيادة على العشر لا اطالب بالزيادة
على الثماني او فلا اكون معتديا بترك الزيادة عليه كقولك لا اثم علي
وهو ابلغ في اثبات الخيرة وتساوي الاجلين في القضا من ان يقال ان
قضيت الاقصر فلا عدوان علي وقرى ايما كقوله تنظرت نصرا والسماكين
ايهما علي من الغيث استهلت مواطره واي الاجلين ما قضيت فما
مزيدة لتاكيد الفعل اي اي الاجلين جردت عزمي لقضايه وعدوان
بالكسر والله على ما نقول من المشارطة وكيل شاهد حفيظ فلما قضى
موسى الاجل وسار باهله بامراته روي انه قضى اقصى الاجلين ومكث بعد
ذلك عنده عشرا اخر ثم عزم على الرجوع انس من جانب الطور نارا ابصر
من الجهة التي تلي الطور قال لاهله امكثوا اني انست نارا لعلي
اتيكم منها بخبر عن الطريق او جذوة عود غليظ سوا كان في

راسه نار او لم تكن قال كثير حواطب ليلى تلتمس لها جزل الجذى غير
خوار ولا دعر وقيل هي القبس من النار جذوة شديدا عليه حرها
فالتها بها ولذلك بينه بقوله من النار وقرا عاصم بالفتح وحمزة
بالضم وكلها لغات لعلكم تصطلون تستدفئون بها فلما اتاها نودي
من شاطي الوادي الايمن اتاه النداء من شاطي الايمن لموسى في البقعة
المباركة متصل بالشاطي او صلة لنودي من الشجرة بدل من شاطي
بدل الاشتمال لانها كانت نابتة على الشاطي ان يا موسى اي يا موسى
اني انا الله رب العالمين هذا وان خالف ما في طه والنمل لفظا فهو
طبقه في المقصود وان الق عصاك فلما راها تهتز اي فالقاها فصارت
ثعبانا واهتزت فلما راها تهتز كانها جان في الهيئة والجثة او في السرعة
ولى مدبرا منهزما من الخوف ولم يعقب ولم يرجع يا موسى نودي يا موسى
اقبل ولا تخف انك من الامنين عن المخاوف فانه لا يخاف لدي المرسلون
اسلك يدك في جيبك ادخلها تخرج بيضا من غير سوء عيب واضمم
اليك جناحك يديك المبسوطتين تتقي بهما الحية كالخايف الفزع
بادخال اليمنى تحت عضد اليسرى وبالعكس او بادخالها في الجيب
فيكون تكريرا لغرض اخر وهو ان يكون ذلك في وجه العدو اظهار
جراة ومبدا لظهور معجزة ويجوز ان يراد بالضم التجلد والثبات
عند انقلاب العصا حية استعارة من حال الطاير فانه اذا خاف نشر
جناحيه واذا امن واطمان ضمهما اليه من الرهب من اجل الرهب اي
اذا عراك الخوف فافعل ذلك تجلدا وضبطا لنفسك وقرا ابن عامر
وعاصم وحمزة والكسايي وابو بكر بضم الرا وسكون الها وقرى بضمهما
وبالفتح والسكون والكل لغات فذانك اشارة الى العصا واليد وشدده
ابن كثير وابو عمرو ورويس برهانان حجتان وبرهان فعلان
لقولهم ابره الرجل اذا جا بالبرهان من قولهم بره الرجل اذا ابيض ويقال
برها وبرهرهة للمراة البيضا وقيل فعلال لقولهم برهن من ربك مرسلا
بهما الى فرعون وملايه انهم كانوا قوما فاسقين فكانوا احقا بان
يرسل اليهم قال رب اني قتلت منهم نفسا فاخاف ان يقتلون بها
واخي هرون هو افصح مني لسانا فارسله معي ردا معينا وهو في
الاصل اسم ما يعان به كالدف وقرا نافع ردا بالتخفيف يصدقني بتلخيص

الحق وتقرير الحجة وتزييف الشبهة إني أخاف أن يكذبون ولساني
لا يطاوعني عند المحاجة وقيل المراد تصديق القوم لتقريره وتوضيحه
لكنه أسند إليه إسناد الفعل إلى السبب وقرأ عاصم وحمزة يصدقني
بالرفع على أنه صفة والجواب محذوف قال سنشد عضدك بأخيك
سنقويك به فإن قوة الشخص بشدة اليد على مزاولة الأمور ولذلك
يعبر عنه باليد وشدتها بشدة العضد ونجعل لكما سلطانا غلبة أو
حجة فلا يصلون إليكما باستيلاء أو حجاج بآياتنا متعلق بمحذوف
أي اذهبا بآياتنا أو بنجعل أي نسلطكما بها أو بمعنى لا يصلون أي تمتنعون
منهم أو قسم جوابه لا يصلون أو بيان للغالبون في قوله أنتما ومن
اتبعكما الغالبون بمعنى أنه صلة لما بينه أو صلة له على أن اللام فيه
للتعريف لا بمعنى الذي فلما جاءهم موسى بآياتنا بينات قالوا ما هذا
إلا سحر مفترى سحر تختلقه لم يفعل قبل مثله أو سحر تعلمه ثم تفتريه على الله
أو سحر موصوف بالافتراء كسائر أنواع السحر وما سمعنا بهذا يعنون السحر
أو ادعاء النبوة في آبائنا الأولين كائنا في أيامهم وقال موسى ربي
أعلم بمن جاء بالهدى من عنده فيعلم أني محق وأنتم مبطلون وقرأ ابن
كثير قال بغير واو لأنه قال جوابا لمقالهم ووجه العطف أن المراد
حكاية القولين ليوازن الناظر بينهما فيميز صحيحهما من الفاسد ومن
تكون له عاقبة الدار العاقبة المحمودة فإن المراد بالدار الدنيا
وعاقبتها الأصلية هي الجنة لأنها خلقت مجازا إلى الآخرة والمقصود
منها بالذات هو الثواب والعقاب إنما قصدت بالعرض وقرأ حمزة
يكون بالياء إنه لا يفلح الظالمون لا يفوزون بالهدى في الدنيا
وحسن العاقبة في العقبى وقال فرعون يا أيها الملأ ما علمت لكم
من إله غيري نفى علمه بإله غيره دون وجوده إذ لم يكن عنده ما يقتضي
الجزم بعدمه ولذلك أمر ببناء الصرح ليصعد إليه ويطلع على الحال
بقوله فأوقد لي يا هامان على الطين فاجعل لي صرحا لعلي أطلع
إلى إله موسى كأنه توهم أنه لو كان لكان جسما في السماء يمكن الترقي إليه ثم
قال وإني لأظنه من الكاذبين أو أراد أن يبني له رصدا يترصد منها
أوضاع الكواكب فيرى هل فيها ما يدل على بعثة رسول وتبدل دولة
وقيل المراد بنفي العلم نفي المعلوم كقوله أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات

ولا في الأرض فإن معناه بما ليس فيهن وهذا من خواص العلوم الفعلية
فإنها لازمة لتحقق معلوماتها فيلزم من انتفائها انتفاؤها ولا كذلك
العلوم الانفعالية قيل أول من اتخذ الآجر فرعون ولذلك أمر باتخاذه
على وجه يتضمن تعليم الصنعة مع ما فيه من تعظيم ولذلك نادى هامان
باسمه بيا في وسط الكلام واستكبر هو وجنوده في الأرض بغير الحق
بغير استحقاق وظنوا أنهم إلينا لا يرجعون بالنشور وقرأ نافع وحمزة
والكسائي بفتح الياء وكسر الجيم فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم
كما مر بيانه وفيه فخامة وتعظيم لشأن الأخذ واستحقار للمأخوذين
كأنه أخذهم مع كثرتهم في كف وطرحهم في اليم ونظيره وما قدروا الله حق
قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه
فانظر يا محمد كيف كان عاقبة الظالمين وحذر قومك عن مثلها
وجعلناهم أئمة قدوة للضلال بالحمل على الإضلال وقيل بالتسمية
كقوله وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا أو بمنع الألطاف
الصادة عنه يدعون إلى النار إلى موجباتها من الكفر والمعاصي
ويوم القيامة لا ينصرون بدفع العذاب عنهم وأتبعناهم في هذه
الدنيا لعنة طردا عن الرحمة أو لعنا من اللاعنين تلعنهم الملائكة والمؤمنون
ويوم القيامة هم من المقبوحين من المطرودين أو ممن قبح وجوههم
ولقد آتينا موسى الكتاب التوراة من بعد ما أهلكنا القرون
الأولى أقوام نوح وهود وصالح ولوط بصائر للناس أنوارا
لقلوبهم تتبصر بها الحقائق وتميز بين الحق والباطل وهدى إلى
الشرائع التي هي سبل الله ورحمة لأنهم لو عملوا بها نالوا رحمة لعلهم
يتذكرون ليكونوا على حال يرجى منهم التذكر وقد فسر بالإرادة وفيه
ما عرفت وما كنت بجانب الغربي بجانب الوادي أو الطور فإنه كان
في شق الغرب من مقام موسى أو الجانب الغربي منه والخطاب لرسول الله
أي ما كنت حاضرا إذ قضينا إلى موسى الأمر إذ أوحينا إليه الأمر الذي
أردنا تعريفه وما كنت من الشاهدين للوحي إليه أو على الموحى إليه
وهم السبعون المختارون للميقات والمراد الدلالة على أن إخباره عن
ذلك من قبيل الإخبار عن المغيبات التي لا تعرف إلا بالوحي ولذلك
استدرك عنه بقوله ولكنا أنشأنا قرونا فتطاول عليهم العمر أي

ولكنا أوحيناه إليك لأنا أنشأنا قرونا مختلفة بعد موسى فتطاول عليهم
العمر فحرفت الأخبار وتغيرت الشرائع واندرست العلوم فحذف
المستدرك وأقام سببه مقامه وما كنت ثاويا مقيما في أهل مدين شعيب
والمؤمنين به تتلو عليهم تقرأ عليهم تعلما منهم آياتنا التي فيها قصتهم
ولكنا كنا مرسلين إياك ومخبرين لك بها وما كنت بجانب الطور
إذ نادينا لعل المراد به وقت ما أعطاه التوراة وبالأول حين ما استنبأه
لأنهما المذكوران في القصة ولكن رحمة من ربك ولكن علمناك رحمة
وقرئ بالرفع على هذه رحمة لتنذر قوما متعلق بالفعل المحذوف ما
أتاهم من نذير من قبلك لوقوعهم في فترة بينك وبين عيسى وهي
خمسمائة وخمسون سنة أو بينك وبين إسماعيل على أن دعوة موسى وعيسى
كانت مختصة ببني إسرائيل وما حواليهم لعلهم يتذكرون يتعظون
ولولا أن تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم فيقولوا ربنا لولا
أرسلت إلينا رسولا لولا الأولى امتناعية والثانية تحضيضية
واقعة في سياقها لأنها مما أجيبت بها بالفاء تشبيها لها بالأمر ومفعول
يقولوا المعطوف على تصيبهم بالفاء المعطية معنى السببية المنبهة
على أن القول هو المقصود بأن يكون سببا لانتفاء ما يجاب به وأنه لا
يصدر عنهم حتى تلجئهم العقوبة والجواب محذوف والمعنى لولا قولهم
إذا أصابتهم عقوبة بسبب كفرهم ومعاصيهم ربنا هلا أرسلت إلينا
رسولا يبلغنا آياتك فنتبعها ونكون من المصدقين ما أرسلناك أي
إنما أرسلناك قطعا لعذرهم وإلزاما للحجة عليهم فنتبع آياتك
يعني الرسول المصدق بنوع من المعجزات ونكون من المؤمنين فلما
جاءهم الحق من عندنا قالوا لولا أوتي مثل ما أوتي موسى من الكتاب
جملة واليد والعصا وغيرها اقتراحا وتعنتا أولم يكفروا بما أوتي
موسى من قبل يعني أبناء جنسهم في الرأي والمذهب وهم كفرة زمان
موسى وكان فرعون عربيا من أولاد عاد قالوا ساحران يعنون محمدا
وموسى وهرون أو موسى ومحمدا تظاهرا تعاونا بإظهار تلك الخوارق
أو بتوافق الكتابين وقرأ الكوفيون سحران بتقدير مضاف أو جعلهما
سحرين مبالغة أو إسناد تظاهرهما إلى فعلهما دلالة على سبب الإعجاز
وقرئ اظاهرا على الإدغام وقالوا إنا بكل كافرون أي بكل منهما

أو بكل الأنبياء قل فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما مما نزل
على موسى وعلي وإضمارهما للدلالة المعنى وهو يؤيد أن المراد بالساحرين
موسى ومحمد أتبعه إن كنتم صادقين أنا ساحران مختلقان وهذا من
الشروط التي يراد بها الإلزام والتبكيت ولعل مجيء حرف الشك للتهكم بهم
فإن لم يستجيبوا لك دعاءك إلى الإتيان بالكتاب الأهدى فحذف
المفعول للعلم به ولأن فعل الاستجابة يتعدى بنفسه إلى الدعاء وباللام
إلى الداعي فإذا عدي إليه حذف الدعاء غالبا كقوله وداع دعا يا من يجيب
إلى الندا فلم يستجبه عند ذاك مجيب فاعلم أنما يتبعون أهواءهم إذ لو
اتبعوا حجة لأتوا بها ومن أضل ممن اتبع هواه استفهام بمعنى النفي بغير
هدى من الله في موضع الحال للتوكيد أو التقييد فإن هوى النفس قد يوافق
الحق إن الله لا يهدي القوم الظالمين الذين ظلموا أنفسهم بالانهماك
في اتباع الهوى ولقد وصلنا لهم القول أتبعنا بعضه بعضا في الإنزال ليتصل
التذكير أو في النظم لتتقرر الدعوة بالحجة والمواعظ بالمواعيد والنصائح
بالعبر لعلهم يتذكرون فيؤمنون ويطيعون الذين آتيناهم الكتاب
من قبله هم به يؤمنون نزلت في مؤمني أهل الكتاب وقيل في أربعين
من أهل الإنجيل اثنان وثلاثون جاءوا مع جعفر من الحبشة وثمانية من
الشام والضمير في من قبله للقرآن كالمستكن في وإذا يتلى عليهم قالوا
آمنا به أي بأنه كلام الله إنه الحق من ربنا استئناف لبيان ما أوجب
إيمانهم به إنا كنا من قبله مسلمين استئناف آخر للدلالة على أن إيمانهم
به ليس مما أحدثوه حينئذ وإنما هو أمر تقادم عهده لما رأوا ذكره في الكتب
المتقدمة وكونهم على دين الإسلام قبل نزول القرآن أو تلاوته عليهم
باعتقادهم صحته في الجملة أولئك يؤتون أجرهم مرتين مرة على إيمانهم
بكتابهم ومرة على إيمانهم بالقرآن بما صبروا بصبرهم وثباتهم على الإيمانين
أو على الإيمان بالقرآن قبل النزول وبعده أو على أذى المشركين ومن هاجرهم
من أهل دينهم ويدرءون بالحسنة السيئة ويدفعون بالطاعة المعصية
لقوله عليه الصلاة والسلام أتبع الحسنة السيئة تمحها ومما رزقناهم
ينفقون في سبيل الخير وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه تكرما وقالوا
للاغين لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم متاركة لهم وتوديعا
ودعاء لهم بالسلامة عما هم فيه لا نبتغي الجاهلين لا نطلب صحبتهم ولا

نهم

نزيدها انك لا تهدي من احببت لا تقدر ان تدخله في الاسلام ولكن
الله يهدي من يشاء فيدخله في الاسلام وهو اعلم بالمهتدين بالمستعدين
لذلك والجمهور على انها نزلت في ابي طالب فانه لما احتضر جاءه رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقال يا عم قل لا اله الا الله كلمة احاج بها لك
عند الله قال يا ابن اخي قد علمت انك لصادق ولكني اكره ان يقال جزع
عند الموت وقالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف من ارضنا نخرج
منها نزلت في الحرث بن عثمان بن نوفل بن عبد مناف اتى النبي صلى
الله عليه وسلم فقال نحن نعلم انك على الحق ولكنا نخاف ان اتبعناك
وخالفنا العرب وانما نحن اكلة راس ان يتخطفونا من ارضنا فرد الله
عليهم بقوله اولم نمكن لهم حرما امنا اولم نجعل مكانهم حرما ذا امن
بحرمة البيت الذي فيه يتناحر العرب حوله وهم امنون فيه يجبى اليه
يحمل اليه ويجمع فيه وقرا نافع ويعقوب في رواية بالتاء ثمرات كل شيء
من كل اوب رزقا من لدنا فاذا كان هذا حالهم وهم عبدة الاصنام
فكيف نعرضهم للخوف والتخطف اذا ضموا الى حرمة البيت حرمة التوحيد
ولكن اكثرهم لا يعلمون جهلة لا يتفطنون له ولا يتفكرون ليعلموا وقيل
انه متعلق بقوله من لدنا اي قليل منهم يتدبرون فيعلمون ان ذلك
رزق من عند الله اذ لو علموا لما خافوا غيره وانتصاب رزقا على المصدر
من معنى يجبى او الحال من الثمرات لتخصصها بالاضافة ثم بين ان
الامر بالعكس فانهم احقاء بان يخافوا من باس الله على ما هم عليه بقوله
وكم اهلكنا من قرية بطرت معيشتها اي وكم من اهل قرية كانت
حالهم كحالهم في الامن وخفض العيش حتى اشروا فدمر الله عليهم وخرب
ديارهم فتلك مساكنهم خاوية لم تسكن من بعدهم من السكنى اذ لا يسكنها
الا المارة يوما او بعض يوم او لا يبقى من يسكنها الا قليلا من شوم
معاصيهم وكنا نحن الوارثين منهم اذ لم يخلفهم احد يتصرف تصرفهم
في ديارهم وساير متصرفاتهم وانتصاب معيشتها بنزع الخافض او بجعلها
ظرفا بنفسها كقولك زيد ظني مقيم او باضمار زمان مضاف اليها او مفعولا
على تضمين بطرت معنى كفرت وما كان ربك وما كانت عادته مهلك
القرى حتى يبعث في امها في اصلها التي هي اعمالها لان اهلها يكونون
افطن وانبل رسولا يتلو عليهم اياتنا لالزام الحجة وقطع وما كنا مهلكي

القرى الا واهلها ظالمون بتكذيب الرسل والعتو في الكفر وما اوتيتم
من شيء من اسباب الدنيا فمتاع الحيوة الدنيا وزينتها تتمتعون وتتزينون
به مدة حياتكم المنقضية وما عند الله وهو ثوابه خير في نفسه من
ذلك لانه لذة خالصة وبهجة كاملة وابقى لانه ابدي افلا تعقلون
فتستبدلون الذي هو ادنى بالذي هو خير وقرا ابو عمرو بالياء وهو ابلغ
في الموعظة افمن وعدناه وعدا حسنا وعدا بالجنة فان حسن الوعد
بحسن الموعود فهو لاقيه مدركه لا محالة لامتناع الخلف في وعده ولذلك
عطفه بالفاء المعطية معنى السببية كمن متعناه متاع الحيوة الدنيا الذي هو
مشوب بالالام مكدر بالمتاعب مستعقب للتحسر على الانقطاع ثم هو يوم
القيمة من المحضرين للحساب او العذاب وثم للتراخي في الزمان او الرتبة
وقرا نافع في رواية قالون والكسائي ثم هو بسكون الهاء تشبيها للمنفصل
بالمتصل وهذه الاية كالنتيجة للتي قبلها ولذلك رتب عليها بالفاء ويوم
يناديهم عطف على يوم القيمة او منصوب باذكر فيقول اين شركاءي
الذين كنتم تزعمون اي الذين كنتم تزعمونهم شركاءي فحذف المفعولان
لدلالة الكلام عليهما قال الذين حق عليهم القول بثبوت مقتضاه
وحصول مؤداه وهو قوله لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين وغيره
من ايات الوعيد ربنا هؤلاء الذين اغوينا اي هؤلاء الذين اغويناهم
فحذف الراجع الى الموصول اغويناهم كما غوينا اي اغويناهم فغووا
غيا مثل ما غوينا وهو استيناف للدلالة على انهم غووا باختيارهم
فانهم لم يفعلوا بهم الا وسوسة وتسويلا ويجوز ان يكون الذين صفة
واغويناهم الخبر لاجل ما اتصل به فافاده زيادة على الصفة وهو وان
فضلة لكنه صار من اللوازم تبرانا اليك منهم ومما اختاروه من الكفر
هوى منهم وهي تقرير للجملة المتقدمة ولذلك خلت من العاطف وكذا
ما كانوا ايانا يعبدون اي ما كانوا يعبدوننا وانما كانوا يعبدون
اهواءهم وقيل ما مصدرية متصلة بتبرانا اي تبرانا من عبادتهم ايانا
وقيل ادعوا شركاءكم فدعوهم من فرط الحيرة فلم يستجيبوا لهم
لعجزهم عن الاجابة والنصرة وراوا العذاب لازما بهم لو انهم كانوا
يهتدون بوجه من الحيل يدفعون به العذاب او الى الحق لما راوا العذاب
وقيل لو للتمني اي تمنوا انهم كانوا مهتدين ويوم يناديهم فيقول ماذا

الانبياء

اجبتم المرسلين عطف على الاول فانه تعالى يسالهم اولا عن اشراكهم
به ثم عن تكذيبهم الانبيا فعميت عليهم الانبا يومئذ فصارت كالعمى
عليهم لا تهتدي اليهم واصله فعموا عن الانبا لكنه عكس مبالغة ودلالة
على ان ما يحضر الذهن انما يفيض ويرد عليه من خارج فاذا اخطاه
لم تكن له حيلة الى استحضاره والمراد بالانبا ما اجابوا به الرسل او ما
يعمها واذا كانت الرسل يتتعتعون في الجواب عن مثل ذلك من الهول
ويفوضون الى علم الله تعالى فما ظنك بالضلال من اممهم وتعدية
الفعل بعلى لتضمنه معنى الخفا فهم لا يتساءلون لا يسال بعضهم
بعضا عن الجواب لفرط الدهشة او العلم بانه مثله فاما من تاب
من الشرك وامن وعمل صالحا وجمع بين الايمان والعمل الصالح فعسى
ان يكون من المفلحين عند الله وعسى تحقيق على عادة الكرام او ترجي
من التايب بمعنى فليتوقع ان يفلح وربك يخلق ما يشا ويختار
لا موجب عليه ولا مانع له ما كان لهم الخيرة اي التخير كالطيرة بمعنى
التطير وظاهره نفي الاختيار عنهم راسا والامر كذلك عند التحقيق فان
اختيار العباد مخلوق باختيار الله منوط بدواع لا اختيار لهم فيها
وقيل المراد انه ليس لاحد من خلقه ان يختار عليه ولذلك خلا عن العاطف
ويؤيده ما روي انه نزل في قولهم لولا نزل هذا القران على رجل من
القريتين عظيم وقيل ما موصولة مفعول ليختار والراجع اليه محذوف
والمعنى ويختار الذي كان لهم فيه الخيرة اي الخير والصلاح سبحان
الله تنزيها له ان ينازعه احد او يزاحم اختياره اختيار وتعالى عما
يشركون عن اشراكهم او مشاركة ما يشركون به وربك يعلم ما تكن
صدورهم كعداوة رسول الله وحقده وما يعلنون كالطعن فيه وهو
الله المستحق للعبادة لا اله الا هو لا احد يستحقها الا هو له الحمد في
الاولى والاخرة لانه المولي للنعم كلها عاجلها واجلها يحمده المومنون
في الاخرة كما حمدوه في الدنيا بقولهم الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن الحمد
لله الذي صدقنا وعده ابتهاجا بفضله والتذاذا بحمده وله الحكم القضا
النافذ في كل شي واليه ترجعون بالنشور قل ارايتم ان جعل الله عليكم
الليل سرمدا دايما من السرد وهو المتابعة والميم مزيدة كميم دلامص الى
يوم القيمة باسكان الشمس تحت الارض او تحريكها حول الافق الغاير

من اله غير الله ياتيكم بضيا كان حقه هل اله فذكر بمن على زعمهم ان غيره
الهة وعن ابن كثير بضئاء بهمزتين افلا تسمعون سماع تدبر واستبصار
قل ارايتم ان جعل الله عليكم النهار سرمدا الى يوم القيمة باسكانها
في وسط السما او تحريكها على مدار فوق الافق من اله غير الله ياتيكم
بليل تسكنون فيه استراحة عن متاعب الاشغال ولعله لم يصف الضيا
بما يقابله لان الضوء نعمة في ذاته مقصود بنفسه ولا كذلك الليل
ولان منافع الضوء اكثر مما يقابله ولذلك قرن به افلا تسمعون وبالليل
افلا تبصرون لان استفادة العقل من السمع اكثر من استفادته من البصر
ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه في الليل ولتبتغوا
من فضله في النهار بانواع المكاسب ولعلكم تشكرون ولكي
تعرفوا نعمة الله في ذلك فتشكروه عليها ويوم يناديهم فيقول اين
شركاي الذين كنتم تزعمون تقريع بعد تقريع للاشعار بانه لا شي
اجلب لغضب الله من الاشراك به او الاول لتقرير فساد رايهم والثاني
لبيان انه لم يكن عن سند وانما كان محض تشه وهوى ونزعنا واخرجنا
من كل امة شهيدا وهو نبيهم يشهد عليهم بما كانوا عليه في الدنيا فقلنا
للامم هاتوا برهانكم على صحة ما كنتم تدينون به فعلموا حينئذ ان الحق
لله في الالوهية لا يشاركه فيها احد وضل عنهم وغاب عنهم غيبة الضايع
ما كانوا يفترون من الباطل ان قارون كان من قوم موسى كان
ابن عمه يصهر بن قاهث بن لاوي وكان ممن امن به فبغى عليهم فطلب
الفضل عليهم وان يكونوا تحت امره او تكبر عليهم او ظلمهم قيل ذلك
حين ملكه فرعون على بني اسراييل او حسدهم لما روي انه قال لموسى
لك الرسالة ولهرون الحبورة وانا في غير شي الى متى اصبر واتيناه من
الكنوز من الاموال المدخرة ما ان مفاتحه مفاتح صناديقه جمع
مفتح بالكسر وهو ما يفتح به وقيل خزاينه وقياس واحدها المفتح لتنوء
بالعصبة اولي القوة خبر ان والجملة صلة ما وهو ثاني مفعولي اتى
وناء به الحمل اذا اثقله حتى اماله والعصبة والعصابة الجماعة الكثيرة
واعصوصبوا اجتمعوا وقرئ لينوء بالياء على اعطا المضاف حكم المضاف
اليه اذ قال له قومه منصوب بتنوء لا تفرح لا تبطر والفرح بالدنيا
مذموم مطلقا لانه نتيجة حبها والرضى بها والذهول عن ذهابها فان

يع
كان ص

العلم بما فيهما من اللذة مفارق لا محالة يوجب الترح كما قال ❊ اشد الغم
عندي في سرور تيقن عنه صاحبه انتقالا ولذلك قال تعالى ولا
تفرحوا بما آتاكم وعلل النهي ههنا بكونه مانعا من محبة الله تعالى فقال
ان الله لا يحب الفرحين اي بزخارف الدنيا وابتغ فيما آتاك الله
من الغنى الدار الآخرة بصرفه فيما يوجبها لك فان المقصود منه ان
يكون وصلة اليها ولا تنس ولا تترك ترك المنسي نصيبك من الدنيا
وهو ان تحصل بها آخرتك او تأخذ منها ما يكفيك واحسن الى عباد الله
كما احسن الله اليك فيما انعم عليك وقيل احسن بالشكر والطاعة
كما احسن اليك بالانعام ولا تبغ الفساد في الارض نهي له عما كان
عليه من الظلم والبغي ان الله لا يحب المفسدين لسوء افعالهم قال انما
اوتيته على علم عندي فضلت به على الناس واستوجبت به التفوق
عليهم بالجاه والمال وعلى علم في موضع الحال وهو علم التورية وكان
اعلمهم بها وقيل علم الكيميا وقيل علم التجارة والدهقنة وسائر المكاسب
وقيل علم بكنوز يوسف وعندي صفة له او متعلق باوتيته كقولك جاز
هذا عندي اي في ظني واعتقادي او لم يعلم ان الله قد اهلك من قبله
من القرون من هو اشد منه قوة واكثر جمعا تعجب وتوبيخ على اغتراره
بقوته وكثرة ماله مع علمه بذلك لانه قرأه في التورية وسمعه من حفاظ
التواريخ او رد لادعائه العلم وتعظمه به بنفي هذا العلم عنه اي
اعنده مثل ذلك العلم الذي ادعاه ولم يعلم هذا حتى يقي به نفسه مصارع
الهالكين ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون سؤال استعلام فانه
تعالى مطلع عليها او معاتبة فانهم يعذبون بها بغتة كانه لما هدد
قارون بذكر اهلاك من قبله ممن كانوا اقوى منه واغنى اكد ذلك بان
بين انه لم يكن مخصوصا بهم بل الله مطلع على ذنوب المجرمين كلهم معاقبهم عليها
لا محالة فخرج على قومه في زينته كما قيل انه خرج على بغلة شهباء عليه
الارجوان وعليها سرج من ذهب ومعه اربعة آلاف على زيه قال الذين
يريدون الحيوة الدنيا على ما هو عادة الناس من الرغبة يا ليت لنا
مثل ما اوتي قارون تمنوا مثله لا عينه حذرا من الحسد انه لذو حظ
عظيم من الدنيا وقال الذين اوتوا العلم باحوال الآخرة للمتمنين ويلكم
دعاء بالهلاك استعمل للزجر عما لا يرضى ثواب الله في الآخرة خير لمن آمن

وعمل صالحا مما اوتي قارون بل من الدنيا وما فيها ولا يلقاها الضمير
فيه للكلمة التي تكلم بها العلماء او للثواب فانه بمعنى المثوبة او الجنة
او للايمان والعمل الصالح فانهما في معنى السيرة والطريقة الا الصابرون
على الطاعات وعن المعاصي فخسفنا به وبداره الارض روي انه كان
يؤذي موسى عليه السلام كل وقت وهو يداريه لقرابته حتى نزلت الزكاة
فصالحه عن كل الف على واحد فحسبه فاستكثره فعمد الى ان يفضح موسى
بين بني اسرائيل ليرفضوه فبرطل بغية لترميه بنفسها فلما كان يوم العيد
قام موسى خطيبا وقال من سرق قطعناه ومن زنى غير محصن جلدناه
ومن زنا محصنا رجمناه فقال قارون ولو كنت فقال ولو كنت قال ان
بني اسرائيل يزعمون انك فجرت بفلانة فاحضرت فناشدها موسى بالله
ان تصدق فقالت جعل لي قارون جعلا على ان ارميك بنفسي فخر موسى
شاكيا منه الى ربه فاوحى اليه ان مر الارض بما شئت فقال يا ارض خذيه
فاخذته الى ركبتيه ثم قال خذيه فاخذته الى وسطه ثم قال خذيه فاخذته
الى عنقه ثم قال خذيه فخسفت به وكان قارون يتضرع اليه في هذه
الاحوال فلم يرحمه فاوحى الله اليه ما افظك استرحمك مرارا فلم ترحمه
وعزتي وجلالي لو دعاني مرة لاجبته ثم قال بنو اسرائيل انما فعله ليرثه
فدعا الله حتى خسف بداره وامواله فما كان له من فئة اعوان مشتقة
من فاوت راسه اذا اميلته ينصرونه من دون الله فيدفعون عنه عذابه
وما كان من المنتصرين الممتنعين منه من قولهم نصره من عدوه فانتصر
اذا منعه منه فامتنع واصبح الذين تمنوا مكانه منزلته بالامس منذ
زمان قريب يقولون ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده
ويقدر يبسط ويقدر بمقتضى مشيئته لا لكرامة تقتضي البسط ولا لهوان
يوجب القبض ويكأن عند البصريين مركب من وي للتعجب وكأن للتشبيه
والمعنى ما اشبه الامر ان الله يبسط وقيل من ويك بمعنى ويلك وان
وتقديره ويك اعلم لولا ان من الله علينا فلم يعطنا ما تمنينا لخسف بنا
لتوليده فينا ما ولده فيه فخسف به لاجله وقرأ حفص بفتح الخاء والسين
ويكأنه لا يفلح الكافرون لنعمة الله او المكذبون برسله وبما وعد
لهم من ثواب الآخرة تلك الدار الآخرة اشارة الى تعظيم كانه قال تلك التي
سمعت خبرها وبلغك وصفها والدار صفة والخبر نجعلها للذين لا يريدون

علوا في الارض غلبة وقهرا ولا فسادا ظلما على الناس كما اراده فرعون وقارون
والعاقبة المحمودة للمتقين ما لا يرضاه الله من جاء بالحسنة فله خير منها
ذاتا وقدرا ووصفا ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات
وضع فيه الظاهر موضع الضمير تهجينا لحالهم بتكرير اسناد السيئة اليهم
الا ما كانوا يعملون اي الا مثل ما كانوا يعملون فحذف المثل واقيم مقامه
ما كانوا يعملون مبالغة في المماثلة ان الذي فرض عليك القرآن اوجب
عليك تلاوته وتبليغه والعمل بما فيه لرادك الى معاد اي معاد وهو المقام
المحمود الذي وعدك ان يبعثك فيه او مكة التي اعتدت بها على انه من
العادة رده اليها يوم الفتح كانه لما حكم بان العاقبة للمتقين واكد ذلك
بوعد المحسنين ووعد المسيئين وعده بالعاقبة الحسنى في الدارين روي
انه لما بلغ جحفة في مهاجره اشتاق الى مولده ومولد ابائه فنزلت قل ربي
اعلم من جاء بالهدى وما يستحقه من الثواب والنصر ومن منتصبه بفعل
يفسره اعلم ومن هو في ضلال مبين وما يستحقه من العذاب والاذلال
يعني به نفسه والمشركين وهو تقرير للوعد السابق وكذا قوله وما كنت
ترجوا ان يلقى اليك الكتاب اي سنردك الى معادك كما القى اليك الكتاب
وما كنت ترجوه الا رحمة من ربك ولكن القاه رحمة منه ويجوز ان يكون
استثناء محمولا على المعنى كانه قال وما القي اليك الكتاب الا رحمة اي لاجل
الترحم فلا تكونن ظهيرا للكافرين بمداراتهم والتحمل عنهم والاجابة
الى طلبتهم ولا يصدنك عن آيات الله عن قراءتها والعمل بها بعد اذ
انزلت اليك وقت يصدك من اصد وادع الى ربك الى عبادته
وتوحيده ولا تكونن من المشركين بمساعدتهم ولا تدع مع الله الها
آخر هذا وما قبله للتهييج وقطع اطماع المشركين عن مساعدته لهم لا اله
الا هو كل شيء هالك الا وجهه الا ذاته فان ما عداه ممكن هالك في
حد ذاته معدوم له الحكم القضاء النافذ في الخلائق واليه ترجعون
للجزاء بالحق عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ طسم القصص كان له من الاجر بعدد
من صدق موسى وكذب به ولم يبق ملك في السموات والارض الا شهد له يوم القيامة انه كان صادقا

بسم الله الرحمن الرحيم الم سبق القول فيه فوقوع الاستفهام
بعده دليل على استقلاله بنفسه او بما يضمر معه احسب الناس الحسبان
ما يتعلق بمضامين الجمل للدلالة على جهة ثبوتها ولذلك اقتضى
مفعولين متلازمين او ما يسد مسدهما ان يتركوا ان يقولوا آمنا
وهم لا يفتنون فان معناه احسبوا تركهم غير مفتونين لقولهم آمنا
فالترك اول مفعوليه وغير مفتونين من تمامه ولقولهم هو الثاني
كقولك حسبت ضربه للتاديب وانفسهم متروكين غير مفتونين
لقولهم آمنا بل يمتحنهم الله بمشاق التكاليف كالمهاجرة والمجاهدة
ورفض الشهوات ووظائف الطاعات وانواع المصائب في الانفس
والاموال ليتميز المخلص من المنافق والثابت في الدين من المضطرب
فيه ولينالوا بالصبر عليها عوالي الدرجات فان مجرد الايمان وان
كان عن خلوص لا يقتضي غير الخلاص من الخلود في العذاب روي انها
نزلت في ناس من الصحابة جزعوا من اذى المشركين وقيل في عمار
وقد عذب في الله وقيل في مهجع مولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه رماه
عامر بن الحضرمي بسهم يوم بدر فقتله فجزع عليه ابواه وامرأته ولقد
فتنا الذين من قبلهم متصل باحسب او بلا يفتنون والمعنى ان ذلك
سنة قديمة جارية في الامم كلها فلا ينبغي ان يتوقع خلافه فليعلمن
الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين فليتعلقن علمه بالامتحان
تعلقا حاليا يتميز به الذين صدقوا في الايمان والذين كذبوا فيه
وينوط به ثوابهم وعقابهم ولذلك قيل المعنى وليميزن او ليجازين
وقرئ وليعلمن من الاعلام اي وليعلمنهم الناس او ليسمنهم بسمة
يعرفون بها يوم القيامة كبياض الوجوه وسوادها ام حسب الذين
يعملون السيئات الكفر والمعاصي فان العمل يعم افعال القلوب
والجوارح ان يسبقونا ان يفوتونا فلا نقدر ان نجازيهم على مساويهم
وهو ساد مسد مفعولي حسب وام منقطعة والاضراب فيها لان هذا
الحسبان ابطل من الاول ولهذا اعقبه بقوله ساء ما يحكمون اي بئس
الذي يحكمونه او حكما يحكمونه حكمهم هذا فحذف المخصوص بالذم من
كان يرجو لقاء الله في الجنة وقيل المراد بلقاء الله الوصول الى ثوابه
او الى العاقبة من الموت والبعث والحساب والجزاء على تمثيل حاله
بحال عبد قدم على سيده بعد زمان مديد وقد اطلع السيد على احواله

فاما ان تليماه بشر لما رضي من افعاله او سخط لما سخط منها فان اجل
الله فان الوقت المضروب للقايه لآتٍ لجاء واذا كان وقت اللقا
آتيا كان اللقا كاينا لا محالة فليبادر بما يحقق امله ويصدق رجاه
وما يستوجب القربة والرضى وهو السميع لاقوال العباد العليم بعقايدهم
وافعالهم ومن جاهد نفسه بالصبر على مضض الطاعة والكف عن الشهوات
فانما يجاهد لنفسه لان منفعته لها ان الله لغني عن العالمين فلا حاجة
به الى طاعتهم وانما كلف عباده رحمة عليهم ومراعاة لصلاحهم
والذين امنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم الكفر بالايمان
والمعاصي بما يتبعها من الطاعات ولنجزينهم احسن الذي كانوا يعملون
اي احسن جزا اعمالهم ووصينا الانسان بوالديه حسنا بايتايه فعلا
ذا حسن او كانه في ذاته حسن لفرط حسنه ووصى يجري مجرى امر معنى
وتصرفا وقيل هو بمعنى قال اي وقلنا له احسن بوالديه حسنا وقيل حسنا
منتصب بفعل مضمر على تقدير قول مفسر للتوصية اي وقلنا اولهما او افعل
بهما حسنا وهو او فق لما بعده وعليه يحسن الوقف على بوالديه وقرى
حسنا واحسانا وان جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم بالاهيته
عبر عن نفيها بنفي العلم بها اشعارا بان ما لا يعلم صحته لا يجوز اتباعه
وان لم يعلم بطلانه فضلا عما علم بطلانه فلا تطعهما في ذلك فانه لا
طاعة لمخلوق في معصية الخالق ولا بد من اضمار القول ان لم يضمر قبل
الي مرجعكم مرجع من امن منكم ومن اشرك ومن بر بوالديه ومن عق
فانبئكم بما كنتم تعملون بالجزا عليه والاية نزلت في سعد بن ابي
وقاص وامه حمنة فانها لما سمعت باسلامه حلفت ان لا تنتقل من الضح
ولا تطعم ولا تشرب حتى يرتد ولبثت ثلثة ايام كذلك وكذا التي في لقمن
والاحقاف والذين امنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم في الصالحين
في جملتهم والكمال في الصلاح منتهى درجات المومنين ومتمنى انبيا
الله والمرسلين او في مدخلهم الجنة ومن الناس من يقول امنا بالله
فاذا اوذي في الله بان عذبهم الكفرة على الايمان جعل فتنة الناس ما
يصيبهم من اذيتهم في الصرف عن الايمان كعذاب الله في الصرف
عن الكفر ولين جا نصر من ربك فتح وغنيمة ليقولن انا كنا معكم في
الدين فاشركونا فيه والمراد المنافقون او قوم ضعيف ايمانهم فارتدوا

من اذى المشركين ويويد الاول او ليس الله باعلم بما في صدور العالمين
من الاخلاص والنفاق وليعلمن الله الذين امنوا بقلوبهم وليعلمن المنافقين
فيجازي الفريقين وقال الذين كفروا للذين امنوا اتبعوا سبيلنا الذي
نسلكه في ديننا ولنحمل خطاياكم ان كان ذلك خطية او ان كان بعث و
مواخذة وانما امروا انفسهم بالحمل عاطفين على امرهم بالاتباع مبالغة
في تعليق الحمل بالاتباع والوعد بتخفيف الاوزار عنهم ان كانت تشجيعا
لهم عليه وبهذا الاعتبار رد عليهم وكذبهم بقوله وما هم بحاملين من
خطاياهم من شي انهم لكاذبون من الاولى للتبيين والثانية مزيدة
والتقدير وما هم بحاملين شيا من خطاياهم وليحملن اثقالهم اثقال ما
اقترفته انفسهم واثقالا مع اثقالهم واثقالا اخر معها لما تسببوا له
بالاضلال والحمل على المعاصي من غير ان ينتقص من اثقال من تبعهم شي
وليسالن يوم القيمة سوال تقريع وتبكيت عما كانوا يفترون من الاباطيل
التي اضلوا بها ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فلبث فيهم الف سنة
الا خمسين عاما بعد المبعث اذ روي انه بعث على راس اربعين ودعا
قومه تسعماية وخمسين وعاش بعد الطوفان ستين ولعل اختيار هذه
العبارة للدلالة على كمال العدد فان تسع ماية وخمسين قد يطلق على ما
يقرب منه ولما في ذكر الالف من تخييل طول المدة الى السامع فان المقصود
من القصة تسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم وتثبيته على ما يكابد من
الكفرة واختلاف المميزين لما في التكرير من البشاعة فاخذهم الطوفان
طوفان الما وهو لما طاف بكثرة من سيل او ظلام او نحوهما وهم ظالمون
بالكفر فانجيناه اي نوحا واصحاب السفينة ومن ركب معه من اولاده
واتباعه وكانوا ثمانين وقيل ثمانية وسبعين وقيل عشرة نصفهم ذكور
ونصفهم اناث وجعلناها اي السفينة او الحادثة اية للعالمين
يتعظون ويستدلون بها وابرهيم عطف على نوحا ونصب باضمار اذكر
وقرى بالرفع على تقدير ومن المرسلين ابرهيم اذ قال لقومه اعبدوا
الله ظرف لارسلنا اي ارسلناه حين كمل عقله وتم نظره بحيث عرف الحق
وامر الناس به او بدل منه بدل الاشتمال ان قدر باذكر واتقوه ذلكم
خير لكم مما انتم عليه ان كنتم تعلمون الخير والشر وتميزون ما هو خير
مما هو شر او كنتم تنظرون في الامور بنظر العلم دون نظر الجهل انما تعبدون

من دون الله اوثانا وتخلقون افكا وتكذبون كذبا في تسميتها الهة
وادعاء شفاعتها عند الله او تعملونها وتنحتونها للافك وهو استدلال
على شرارة ما هم عليه من حيث انه زور وباطل وقرئ تخلقون من خلق
للتكثير وتخلقون من تخلق للتكلف وافكا على انه مصدر كالكذب او نعت
بمعنى خلقا ذا افك ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم
رزقا دليل ثان على شرارة ذلك من حيث انه لا يجدي بطائل ورزقا
يحتمل المصدر بمعنى لا يستطيعون ان يرزقوكم وان يراد المرزوق وتنكيره
للتعميم فابتغوا عند الله الرزق كله فانه المالك له واعبدوه واشكروا
له متوسلين الى مطالبكم بعبادته مقيدين لما حفكم من النعم بشكره
او مستعدين للقائه بهما اليه ترجعون وقرئ بفتح التاء وان تكذبوا
وان تكذبوني فقد كذب امم من قبلكم من قبلي من الرسل فلم يضرهم
تكذيبهم وانما ضروا انفسهم حيث تسبب لما حل بهم من العذاب فكذا تكذيبكم
وما على الرسول الا البلاغ المبين الذي زال معه الشك وما عليه
ان يصدق ولا يكذب فالاية وما بعدها من جملة قصة ابرهيم الى قوله
فما كان جواب قومه ويحتمل ان يكون اعتراضا بذكر شان النبي عليه
الصلوة والسلام وقريش وهدم مذهبهم والوعيد على سوء صنيعهم
توسط بين طرفي قصته من حيث ان مساقها لتسلية لرسول الله عليه
الصلوة والسلام والتنفيس عنه بان اباه خليل الله كان ممنوا بنحو ما مني
به من شرك القوم وتكذيبهم وتشبيه حاله فيهم بحال ابرهيم في قومه
اولم يروا كيف يبدئ الله الخلق من مادة ومن غيرها وقرأ حمزة والكسائي
وابو بكر بالتاء على تقدير القول وقرئ يبدا ثم يعيده اخبار بالاعادة بعد
الموت معطوف على اولم يروا لا على يبدئ فان الرؤية غير واقعة
عليه ويجوز ان تأول الاعادة بان ينشئ في كل سنة مثل ما كان في السنة
السابقة من النبات والثمار ونحوهما ويعطف على يبدئ ان ذلك الاشارة
الى الاعادة او الى ما ذكر من الامرين على الله يسير اذ لا يفتقر في فعله
الى شيء قل سيروا في الارض حكاية كلام الله لابرهيم او محمد عليهما
السلام فانظروا كيف بدأ الخلق على اختلاف الاجناس والاحوال
ثم الله ينشئ النشأة الاخرة بعد النشأة الاولى التي هي الابداء فانه
والاعادة نشأتان من حيث ان كلا اختراع واخراج من العدم والافصا

باسم الله مع ايقاعه مبتدا بعد اضماره في بدا والقياس الاقتصار عليه
للدلالة على ان المقصود بيان الاعادة وان من عرف بالقدرة على
الابداء ينبغي ان يحكم له بالقدرة على الاعادة لانها اهون والكلام
في العطف ما مر وقرأ ابن كثير وابو عمرو النشاءة كالرافة ان الله على
كل شيء قدير لان قدرته لذاته ونسبة ذاته الى كل الممكنات على سوا
فيقدر على النشاة الاخرى كما قدر على النشاة الاولى يعذب من يشا
تعذيبه ويرحم من يشا رحمته واليه تقلبون تردون وما انتم بمعجزين
ربكم عن ادراككم في الارض ولا في السما ان فررتم من قضائه بالتواري
في الارض والهبوط في مهاويها والتحصن في السما او القلاع الذاهبة
فيها وقيل ولا من في السما كقول حسان امن يهجو رسول الله منكم ويمدحه
وينصره سوا وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير يحرسكم عن بلاء
يظهر من الارض او ينزل من السما ويدفعه عنكم والذين كفروا بايات
الله بدلائل وحدانيته او بكتبه ولقائه بالبعث اولئك يئسوا من رحمتي
اي ييئسون منها يوم القيمة فعبر عنه بالماضي للتحقيق والمبالغة او يئسوا
في الدنيا لانكار البعث والجزاء واولئك لهم عذاب اليم بكفرهم فما
كان جواب قومه قوم ابرهيم له وقرئ بالرفع على انه الاسم والخبر
الا ان قالوا اقتلوه او حرقوه وكان ذلك قول بعضهم لكن لما قيل
فيهم او رضي به الباقون اسند الى كلهم فانجاه الله من النار اي فقذفوه
في النار فانجاه منها بان جعلها عليه بردا وسلاما ان في ذلك في
انجائه منها لايات هي حفظه من اذى النار واخمادها مع عظمها في
زمان يسير وانشاء روض مكانها لقوم يؤمنون لانهم المنتفعون بالفحص عنها
والتامل فيها وقال انما اتخذتم من دون الله اوثانا مودة بينكم في
الحيوة الدنيا اي لتتوادوا بينكم وتتواصلوا لاجتماعكم على عبادتها
وثاني مفعولي اتخذتم محذوف ويجوز ان تكون مودة المفعول الثاني
بتقدير مضاف او بتاويلها بالمودودة اي اتخذتم اوثانا سبب المودة
بينكم وقرا نافع وابن عامر وابو بكر منونة ناصبة بينكم والوجه ما سبق
وابن كثير وابو عمرو والكسائي ورويس مرفوعة مضافة على انها خبر مبتدا
محذوف اي هي مودة او سبب مودة بينكم والجملة صفة اوثانا او خبر ان
على ان ما مصدرية او موصولة والعائد محذوف وهو المفعول الاول

وقريت مرفوعة منونة ومضافة بفتح بينكم كما قرئ لقد تقطع بينكم وقرئ
انما مودة بينكم ثم يوم القيمة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم
بعضا اي يقوم التناكر والتلاعن بينكم او بينكم وبين الاوثان على تغليب
المخاطبين كقوله ويكونون عليهم ضدا وماويكم النار وما لكم من ناصرين
يخلصونكم منها فامن له لوط هو ابن اخيه واول من امن به وقيل انه
امن به حين راى النار لم تحرقه وقال اني مهاجر من قومي الى ربي الى حيث
امرني ربي انه هو العزيز الذي يمنعني من اعدائي الحكيم الذي لا يامرني الا
بما فيه صلاحي روي انه هاجر من كوثى سواد الكوفة مع لوط وامراته سارة
ابنة عمه الى حران ثم منها الى الشام فنزل فلسطين ونزل لوط سدوم ووهبنا
له اسحق ويعقوب ولدا ونافلة حين ايس من الولادة من عجوز عاقر ولذلك
لم يذكر اسمعيل وجعلنا في ذريته النبوة فكثر منهم الانبيا والكتاب يريد
به الجنس ليتناول الكتب الاربعة واتيناه اجره على هجرته الينا في الدنيا
باعطا الولد في غير اوانه والذرية الطيبة واستمرار النبوة فيهم وانتماء
اهل الملل اليه والثنا والصلوة عليه الى اخر الدهر وانه في الاخرة لمن الصالحين
لفي عداد الكاملين في الصلاح ولوطا عطف على ابرهيم او على ما عطف
عليه اذ قال لقومه انكم لتاتون الفاحشة الفعلة البالغة
في القبح وقرا الحرميان وابن عامر وحفص بهمزة مكسورة على الخبر والباقون
على الاستفهام واجمعوا على الاستفهام في الثاني ما سبقكم بها من احد
من العالمين استيناف مقرر لفاحشتها من حيث انها مما اشمازت منه
الطباع وتحاشت عنها النفوس حتى اقدموا عليها لخبث طينتهم ائنكم لتاتون
الرجال وتقطعون السبيل وتتعرضون للسابلة بالقتل واخذ المال
او بالفاحشة حتى انقطعت الطرق او تقطعون سبيل النسل بالاعراض
عن الحرث واتيان ما ليس بحرث وتاتون في ناديكم في مجالسكم الغاصة
ولا يقال النادي الا لما فيه اهله المنكر كالجماع والضراط وحل الازار
وغير ذلك من القبائح وعدم المبالاة بها وقيل الخذف والرمي بالبنادق
فما كان جواب قومه الا ان قالوا ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين
في استقباح ذلك او في دعوى النبوة والمفهوم من التوبيخ قال رب انصرني
بانزال العذاب على القوم المفسدين بابتداع الفاحشة وسنها فيمن بعدهم
وصفهم بذلك مبالغة في استنزال العذاب واشعارا بانهم احقا

بان يعجل لهم العذاب ولما جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى بالبشارة
بالولد والنافلة قالوا انا مهلكوا اهل هذه القرية قرية سدوم والا ضافة
لفظية لان المعنى الاستقبال ان اهلها كانوا ظالمين تعليل لاهلاكهم
باصرارهم وتماديهم في ظلمهم الذي هو الكفر وانواع المعاصي قال ان
فيها لوطا اعتراض عليهم بان فيها من لم يظلم او معارضة للموجب بالمانع
وهو كون النبي بين اظهرهم قالوا نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله تسليم
لقوله مع ادعاء مزيد العلم به وانهم ما كانوا غافلين عنه وجواب عنه
بتخصيص الاهل بمن عداه واهله او تاقيت الاهلاك باخراجهم عنها وفيه
تاخير البيان عن الخطاب الا امراته كانت من الغابرين الباقين في
العذاب او القرية ولما ان جاءت رسلنا لوطا سيء بهم جاءته المساءة
والغم بسببهم مخافة ان يقصدهم قومه بسوء وان صلة لتاكيد الفعلين
واتصالهما وضاق بهم ذرعا وضاق بشانهم وتدبير امرهم ذرعه
اي طاقته كقولهم ضاقت يده وبازائه رحب ذرعه بكذا اذا كان مطيقا
له وذلك ان طويل الذراع ينال ما لا يناله قصير الذراع وقالوا لما راوا
فيه اثر الضجرة لا تخف ولا تحزن على تمكنهم منا انا منجوك واهلك
الا امراتك كانت من الغابرين وقرا حمزة والكسائي ويعقوب
لننجينه ومنجوك بالتخفيف ووافقهم ابو بكر وابن كثير في الثاني وموضع
الكاف الجر على المختار ونصب اهلك باضمار فعل او بالعطف على محلها
باعتبار الاصل انا منزلون على اهل هذه القرية رجزا من السماء
عذابا منها سمي بذلك لانه يقلق المعذب من قولهم ارتجز اذا ارتجس
اي اضطرب وقرا ابن عامر منزلون بالتشديد بما كانوا يفسقون
بسبب فسقهم ولقد تركنا منها اية بينة هي حكايتها الشائعة او اثار
الديار الخربة وقيل الحجارة الممطورة فانها كانت باقية بعد وقيل بقية
انهارها المسودة لقوم يعقلون يستعملون عقولهم في الاستبصار
والاعتبار وهو متعلق بتركنا او اية والى مدين اخاهم شعيبا فقال
يا قوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الاخر وافعلوا ما ترجون به ثوابه
فاقيم المسبب مقام السبب وقيل انه من الرجا بمعنى الخوف ولا تعثوا في
الارض مفسدين فكذبوه فاخذتهم الرجفة الزلزلة الشديدة وقيل
صيحة جبريل لان القلوب ترجف لها فاصبحوا في دارهم في بلدهم

او دهر ولم يجمع لامن اللبس جاثمين باركين على الركب ميتين وعادا
وثمودا منصوبان باضمار اذكر او فعل دل عليه ما قبله مثل اهلكنا وقرا
حمزة وحفص ويعقوب وثمود غير مصروف على تاويل القبيلة وقد تبين
لكم من مساكنهم اي تبين لكم بعض مساكنهم او اهلاكهم من جهة مساكنهم
اذا نظرتم اليها عند مروركم بها وزين لهم الشيطان اعمالهم من الكفر
والمعاصي فصدهم عن السبيل السوي الذي بين الرسل لهم وكانوا مستبصرين
متمكنين من النظر والاستبصار ولكنهم لم يفعلوا او متبينين ان العذاب
لاحق بهم باخبار الرسل لهم ولكنهم لجوا حتى هلكوا وقارون وفرعون
وهامان معطوفون على عادا وتقديم قارون لشرف نسبه ولقد جاءهم
موسى بالبينات فاستكبروا في الارض وما كانوا سابقين فائتين بل
ادركهم امر الله من سبق طالبه اذا فاته فكلا من المذكورين اخذنا
بذنبه عاقبناه بذنبه فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا اي ريحا عاصفا
فيها حصباء او ملكا رماهم بها كقوم لوط ومنهم من اخذته الصيحة
كمدين وثمود ومنهم من خسفنا به الارض كقارون ومنهم من اغرقنا
كقوم نوح وفرعون وقومه وما كان الله ليظلمهم ليعاملهم معاملة
الظالم فيعاقبهم بغير جرم وليس ذلك من عادته ولكن كانوا انفسهم
يظلمون بالتعريض للعذاب مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء
فيما اتخذوه معتمدا ومتكلا كمثل العنكبوت اتخذت بيتا فيما نسجته
في الوهن والخور بل ذلك اوهن فان لهذا حقيقة وانتفاعا ما او مثلهم
بالاضافة الى الموحد كمثله بالاضافة الى رجل بنى بيتا من حجر وجص
والعنكبوت يقع على الواحد والجمع والمذكر والمؤنث والتاء فيه كتاء طاغوت
ويجمع على عناكيب وعناكب وعكاب وعكبة واعكب وان اوهن البيوت
لبيت العنكبوت لا بيت اوهى واقل وقاية للحر والبرد منه لو كانوا
يعلمون يرجعون الى علم يعلموا ان هذا مثلهم وان دينهم اوهى من ذلك
ويجوز ان يكون المراد ببيت العنكبوت دينهم سماه به تحقيقا للتمثيل
فيكون المعنى وان اوهن ما يعتمد به في الدين دينهم ان الله يعلم ما يدعون
من دونه من شيء على اضمار القول اي قل للكفرة ان الله يعلم وقرا البصريان
ويعقوب بالياء حملا على ما قبله وما استفهامية منصوبة بيدعون ويعلم
معلقة عنها ومن للتبيين او نافية ومن مزيدة وشيء مفعول تدعون

او مصدرية وشيء مصدر او موصولة مفعول ليعلم ومفعول تدعون
عائده المحذوف والكلام على الاولين تجهيل لهم وتوكيد للمثل وعلى الاخيرين
وعيد لهم وهو العزيز الحكيم تعليل على المعنيين فان من فرط الغباوة
اشراك ما لا يعد شيئا بمن هذا شانه وان الجماد بالاضافة الى القادر
القاهر على كل شيء البالغ في العلم واتقان الفعل الغاية كالمعدوم وان
من هذا صفته قادر على مجازاتهم وتلك الامثال يعني هذا المثل
ونظايره نضربها للناس تقريبا لما بعد من افهامهم وما يعقلها ولا
يعقل حسنها وفائدتها الا العالمون الذين يتدبرون الاشياء
على ما ينبغي وعنه عليه الصلاة والسلام انه تلا هذه الآية فقال العالم
من عقل عن الله فعمل بطاعته واجتنب سخطه خلق الله السموات والارض
بالحق محقا غير قاصد به باطلا فان المقصود بالذات من خلقهما
افاضة الخير والدلالة على ذاته وصفاته كما اشار اليه بقوله ان في
ذلك لاية للمؤمنين لانهم المنتفعون بها اتل ما اوحي اليك من
الكتاب تقربا الى الله بقراءته وتحفظا لالفاظه واستكشافا لمعانيه
فان القاري المتامل قد ينكشف له بالتكرار ما لم ينكشف له اول ما قرع
سمعه واقم الصلوة ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر بان تكون
سببا للانتهاء عن المعاصي حال الاشتغال بها وغيرها من حيث انها تذكر
الله وتورث للنفس خشية منه روي ان فتى من الانصار كان يصلي مع
رسول الله الصلوات ولا يدع شيئا من الفواحش الا ركبه فوصف له فقال
ان صلاته ستنهاه فلم يلبث ان تاب ولذكر الله اكبر والصلوة اكبر
من ساير الطاعات وانما عبر عنها به للتعليل فان اشتمالها على ذكره هو
العمدة في كونها مفضلة على الحسنات ناهية عن السيئات او ولذكر الله اياكم
برحمته اكبر من ذكركم اياه بطاعته والله يعلم ما تصنعون منه ومن ساير
الطاعات فيجازيكم به احسن المجازاة ولا تجادلوا اهل الكتاب الا
بالتي هي احسن الا بالخصلة التي هي احسن كمعارضة الخشونة باللين
والغضب بالكظم والمشاغبة بالنصح وقيل هو منسوخ باية السيف اذ
لا مجادلة اشد منه وجوابه انه اخر الدواء وقيل المراد به ذوو العهد
منهم الا الذين ظلموا منهم بالافراط في الاعتداء والعناد او اثبات
الولد وقولهم يد الله مغلولة او بنبذ العهد ومنع الجزية وقولوا امنا

بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم هو من المجادلة بالتي هي أحسن وعن النبي
صلى الله عليه وسلم لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا
بالله وبكتبه ورسله فإن قالوا باطلا لم تصدقوهم وإن قالوا حقا لم تكذبوهم
وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون مطيعون له خاصة وفيه
تعريض باتخاذهم أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله وكذلك
ومثل ذلك الإنزال أنزلنا إليك الكتاب وحيا مصدقا لسائر الكتب
الإلهية وهو تحقيق لقوله فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به هم عبد الله
ابن سلام وأضرابه فآمنوا به أو من تقدم عهد الرسول من أهل الكتاب
ومن هؤلاء ومن العرب أو أهل مكة أو ممن في عهد الرسول من الكتابيين
من يؤمن به بالقرآن وما يجحد بآياتنا مع ظهورها وقيام الحجة عليها
إلا الكافرون إلا المتوغلون في الكفر فإن جزمهم به يمنعهم عن التأمل
فيما يفيد لهم صدقها لكونها معجزة بالإضافة إلى الرسول كما أشار إليه بقوله
وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك فإن ظهور هذا
الكتاب الجامع لأنواع العلوم الشريفة على أمي لم يعرف بالقراءة والتعلم
خارق للعادة وذكر اليمين تصوير للمنفي ونفي للتجوز في الإسناد إذا
لارتاب المبطلون أي لو كنت ممن يخط ويقرأ لقالوا لعله تعلمه أو التقطه
من كتب الأقدمين وإنما سماهم مبطلين لكفرهم أو لارتيابهم بانتفاء
وجه واحد من وجوه الإعجاز المتكاثرة وقيل لارتاب أهل الكتاب
لوجدانهم نعتك على خلاف ما في كتبهم فيكون إبطالهم باعتبار الواقع
دون المقدر بل هو بل القرآن آيات بينات في صدور الذين أوتوا
العلم يحفظونه لا يقدر أحد تحريفه وما يجحد بآياتنا إلا الظالمون
إلا المتوغلون في الظلم بالمكابرة بعد وضوح دلائل إعجازها حتى لم
يعتدوا بها وقالوا لولا أنزل عليه آية من ربه مثل ناقة صالح وعصى
موسى ومائدة عيسى وقرأ نافع وابن عامر والبصريان وحفص آيات قل
إنما الآيات عند الله ينزلها كما يشاء لست أملكها فآتيكم بما تقترحونه
وإنما أنا نذير مبين ليس من شأني إلا الإنذار وإبانته بما أعطيت
من الآيات أولم يكفهم آية مغنية عما اقترحوه أنا أنزلنا عليك
الكتاب يتلى عليهم تدوم تلاوته عليهم متحدين به فلا يزال معهم
آية ثابتة لا تضمحل بخلاف سائر الآيات أو يتلى عليهم يعني اليهود

بتحقيق

بتحقيق ما في أيديهم من نعتك ونعت دينك إن في ذلك في ذلك
الكتاب الذي هو آية مستمرة وحجة مبينة لرحمة لنعمة عظيمة وذكرى
لقوم يؤمنون وتذكرة لمن همه الإيمان دون التعنت وقيل إن ناسا
من المسلمين أتوا رسول الله بكتف كتب فيها بعض ما يقوله اليهود فقال
كفى بها ضلالة قوم أن يرغبوا عما جاءهم به نبيهم إلى ما جاء به غير نبيهم
فنزلت قل كفى بالله بيني وبينكم شهيدا بصدقي وقد صدقني
بالمعجزات أو بتبليغي ما أرسلت به إليكم ونصحي ومقابلتكم إياي بالتكذيب
والتعنت يعلم ما في السموات والأرض فلا يخفى عليه حالي وحالكم والذين
آمنوا بالباطل وهو ما يعبد من دون الله وكفروا بالله منكم أولئك هم
الخاسرون في صفقتهم حيث اشتروا الكفر بالإيمان ويستعجلونك
بالعذاب بقولهم أمطر علينا حجارة من السماء ولولا أجل مسمى لكل عذاب
أو قوم لجاءهم العذاب عاجلا وليأتينهم بغتة فجأة في الدنيا كوقعة
بدر أو الآخرة عند نزول الموت بهم وهم لا يشعرون بإتيانه يستعجلونك
بالعذاب وإن جهنم لمحيطة بالكافرين ستحيط بهم يوم يأتيهم العذا
أو هي كالمحيطة بهم الآن لإحاطة الكفر والمعاصي التي توجبها بهم
واللام للعهد على وضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على موجب الإحاطة
أو للجنس فيكون استدلالا بحكم الجنس على حكمهم يوم يغشاهم العذاب
ظرف لمحيطة أو مقدر مثل كان كيت وكيت من فوقهم ومن تحت أرجلهم
من جميع جوانبهم ويقول الله أو بعض ملائكته بأمره لقراءة ابن كثير وابن
عامر والبصريين بالنون ذوقوا ما كنتم تعملون أي جزاءه يا عبادي
الذين آمنوا إن أرضي واسعة فإياي فاعبدون أي إذا لم يتسهل
لكم العبادة في بلدة ولم يتيسر لكم إظهار دينكم فهاجروا إلى حيث يتمشى
لكم ذلك وعنه عليه الصلاة والسلام من فر بدينه من أرض إلى أرض
ولو كان شبرا استوجب الجنة وكان رفيق إبراهيم ومحمد والفاء جواب
شرط محذوف إذ المعنى إن أرضي واسعة إن لم تخلصوا العبادة لي في
أرض فأخلصوها في غيرها كل نفس ذائقة الموت تناله لا محالة ثم
إلينا ترجعون للجزاء ومن هذا عاقبته ينبغي أن يجتهد في الاستعداد
له وقرأ أبو بكر بالياء والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم لننزلنهم
من الجنة غرفا علالي وقرأ حمزة والكسائي لنثوينهم أي لنقيمنهم من الثوا

فيكون انتصاب غرفا لاجرائه مجرى لننزلنهم او بنزع الخافض او تشبيه
الظرف الموقت بالمبهم تجري من تحتها الانهار خالدين فيها نعم اجر
العاملين وقرئ فنعم والمخصوص بالمدح محذوف دل عليه ما قبله
الذين صبروا على اذية المشركين والهجرة للدين الى غير ذلك من المحن
والمشاق وعلى ربهم يتوكلون ولا يتوكلون الا على الله وكاين من دابة
لا تحمل رزقها لا تطيق حمله لضعفها او لا تدخره وانما تصبح ولا معيشة
عندها الله يرزقها واياكم ثم انها مع ضعفها وتوكلها واياكم مع قوتكم
واجتهادكم سواء في انه لا يرزقها واياكم الا الله لان رزق الكل بانسبا
هو المسبب لها وحده فلا تخافوا على معاشكم بالهجرة فانهم لما امروا بالهجرة
قال بعضهم كيف نقدم بلدة ليس لنا فيها معيشة فنزلت وهو السميع لقولكم
هذا العليم بضميركم ولئن سالتهم من خلق السموات والارض وسخر
الشمس والقمر المسؤول عنهم اهل مكة ليقولن الله لما تقرر في العقول وجوب
انتهاء الممكنات الى واجب الوجود فانى يؤفكون يصرفون عن توحيده
بعد اقرارهم بذلك الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر
له يحتمل ان يكون الموسع له والمضيق عليه واحدا على ان البسط والقبض
على التعاقب وان لا يكون وضع الضمير موضع من يشاء وابهامه لان من
يشاء مبهم ان الله بكل شيء عليم يعلم مصالحهم ومفاسدهم ولئن سالتهم
من نزل من السماء ماء فاحيا به الارض من بعد موتها ليقولن الله
معترفين بانه الموجد للممكنات باسرها اصولها وفروعها ثم انهم يشركون
به بعض مخلوقاته الذي لا يقدر على شيء من ذلك قل الحمد لله على ما عصمك
من مثل هذه او على تصديقك واظهار حجتك بل اكثرهم لا يعقلون
فيتناقضون حيث يقرون بانه المبدأ لكل ما عداه ثم انهم يشركون
به الصنم وقيل لا يعقلون ما تريد بتحميدك عند مقالهم وما هذه الحيوة
الدنيا اشارة تحقير وكيف لا وهي لا تزن عند الله جناح بعوضة
الا لهو ولعب الا كما يلهى ويلعب الصبيان يجتمعون عليه ويبتهجون به
ساعة ثم يتفرقون متعبين وان الدار الاخرة لهي الحيوان لهي دار
الحيوة الحقيقية لامتناع طريان الموت عليها او وجعلت هي في ذاتها
حياة للمبالغة والحيوان مصدر حي سمي به ذو الحياة واصله حييان
فقلبت الياء الثانية واوا وهو ابلغ من الحيوة لما في بناء فعلان من الحركة

والاضطراب اللازم للحياة ولذلك اختير عليها هاهنا لو كانوا يعلمون
لم يؤثروا عليها الدنيا التي اصلها عدم الحياة والحياة فيها عارضة سريعة
الزوال فاذا ركبوا في الفلك متصل بما دل عليه شرح حالهم اي هم
على ما وصفوا به من الشرك فاذا ركبوا البحر دعوا الله مخلصين له الدين
كائنين في صورة من اخلص دينه من المؤمنين حيث لا يذكرون الا الله
ولا يدعون سواه لعلمهم بانه لا يكشف الشدائد الا هو فلما نجاهم الى البر
اذا هم يشركون فاجؤوا المعاودة الى الشرك ليكفروا بما اتيناهم
اللام فيه لام كي اي يشركون ليكونوا كافرين بشركهم نعمة النجاة وليتمتعوا
باجتماعهم على عبادة الاصنام وتوادهم عليها او لام الامر على التهديد
ويؤيده قراءة ابن كثير وحمزة والكسائي وقالون عن نافع وليتمتعوا بالسكون
فسوف يعلمون عاقبة ذلك حين يعاينون اولم يروا يعني اهل مكة
انا جعلنا حرما امنا اي جعلنا بلدهم مصونا عن النهب والتعدي
امنا اهله عن القتل والسبي ويتخطف الناس من حولهم يختلسون قتلا
وسبيا اذ كانت العرب حوله في تغاور وتناهب افبالباطل بعد
هذه النعمة المكشوفة وغيرها مما لا يقدر عليه الا الله بالصنم او الشيطان
يؤمنون وبنعمة الله يكفرون حيث اشركوا به غيره وتقديم الصلتين
للاهتمام او الاختصاص على طريق المبالغة ومن اظلم ممن افترى
على الله كذبا بان زعم ان له شريكا او كذب بالحق لما جاءه يعني الرسول
او الكتاب وفي لما تسفيه لهم بانهم لم يتوقفوا ولم يتاملوا قط حين
جاءهم بل سارعوا اول ما سمعوه اليس في جهنم مثوى للكافرين تقرير
لثوائهم كقوله الستم خير من ركب المطايا اي الا يستوجبون الثواء
فيها وقد افتروا مثل هذا الكذب على الله وكذبوا بالحق مثل هذا
التكذيب او لاجترائهم اي الم يعلموا ان في جهنم مثوى للكافرين حتى
اجترؤوا هذه الجراءة والذين جاهدوا فينا في حقنا واطلاقه الجهاد
ليعم جهاد الاعادي الظاهرة والباطنة بانواعه لنهدينهم سبلنا
سبل السير الينا والوصول الى جنابنا او لنزيدنهم هداية الى سبل
الخير وتوفيقا لسلوكها كقوله والذين اهتدوا زادهم هدى وفي الحديث
من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم وان الله لمع المحسنين بالنصرة والاعانة
عن النبي عليه الصلوة والسلام من قرا سورة العنكبوت كان له من الاجر عشر حسنات بعدد كل المؤمنين والمنافقين

[illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم الم غلبت الروم في أدنى الأرض أرض
العرب منهم لأنها الأرض المعهودة عندهم أو في أدنى أرضهم من العرب
واللام بدل من الإضافة وهم من بعد غلبهم من إضافة المصدر إلى المفعول
وقرئ غلبهم وهو لغة كالحلب والحلب سيغلبون في بضع سنين فيما
روي أن فارس غزوا الروم فوافوهم بأذرعات وبصرى وقيل بالجزيرة
وهي أدنى أرض الروم من الفرس فغلبوا عليهم وبلغ الخبر مكة ففرح المشركون
وشمتوا بالمسلمين وقالوا أنتم والنصارى أهل كتاب ونحن وفارس أميون
وقد ظهر إخواننا على إخوانكم فلنظهرن عليكم فنزلت فقال لهم أبو بكر رضي
الله عنه لا يقرر الله أعينكم فوالله ليظهرن الروم على فارس بعد بضع سنين
فقال له أبي بن خلف كذبت اجعل بيننا وبينك أجلا أناحبك عليه فناحبه
على عشر قلائص من كل واحد منهما وجعل الأجل ثلاث سنين فأخبر أبو بكر رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال البضع ما بين الثلاث إلى التسع فزايده
في الخطر ومادّه في الأجل فجعلاها مائة قلوص إلى تسع سنين ومات
أبي من جرح رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد قفوله من أحد وظهرت
الروم على فارس يوم الحديبية فأخذ أبو بكر الخطر من ذرية أبي وجاء
به إلى رسول الله فقال تصدق به واستدل به الحنفية على جواز العقود
الفاسدة في دار الحرب وأجيب بأنه كان قبل تحريم القمار والآية من
دلائل النبوة لأنها إخبار عن الغيب وقرئ غلبت بالفتح وسيغلبون بالضم
ومعناه أن الروم غلبوا على ريف الشام والمسلمون سيغلبونهم وفي
السنة التاسعة من نزوله غزاهم المسلمون وفتحوا بعض بلادهم وعلى
هذا يكون إضافة الغلب إلى الفاعل لله الأمر من قبل ومن بعد من قبل
كونهم غالبين وهو وقت كونهم مغلوبين ومن بعد كونهم مغلوبين وهو
وقت كونهم غالبين أي له الأمر حين غلبوا وحين يغلبون ليس شيء منهما
إلا بقضائه وقرئ من قبلٍ ومن بعدٍ من غير تقدير مضاف إليه كأنه قيل
قبلا وبعدا أي أولا وآخرا ويومئذ ويوم تغلب الروم يفرح المؤمنون
بنصر الله من له كتاب على من لا كتاب له لما فيه من انقلاب التفاؤل وظهور
صدقهم فيما أخبروا به المشركين وغلبتهم في رهانهم وازدياد يقينهم

وثباتهم

وثباتهم في دينهم وقيل بنصر الله المؤمنين بإظهار صدقهم أو بأن ولّى
بعض أعدائهم بعضا حتى تفانوا ينصر من يشاء فينصر هؤلاء تارة وهؤلاء
أخرى وهو العزيز الرحيم ينتقم من عباده بالنصر عليهم تارة ويتفضل
عليهم بنصرهم أخرى وعد الله مصدر مؤكد لنفسه لأن ما قبله في معنى
الوعد لا يخلف الله وعده لامتناع الكذب عليه ولكن أكثر الناس لا يعلمون
وعده ولا صحته لجهلهم وعدم تفكرهم يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا
ما يشاهدونه منها والتمتع بزخارفها وهم عن الآخرة التي هي غايتها
والمقصود منها هم غافلون لا تخطر ببالهم وهم الثانية تكرير للأولى
أو مبتدأ وغافلون خبره والجملة خبر الأولى وهو على الوجهين مناد
على تمكن غفلتهم عن الآخرة المحققة لمقتضى الجملة المتقدمة المبدلة من
قوله لا يعلمون تقرير لجهالتهم وتشبيها لهم بالحيوانات المقصور
إدراكها من الدنيا ببعض ظاهرها فإن من العلم بظاهرها معرفة حقائقها
وصفاتها وخصائصها وأفعالها وأسبابها وكيفية صدورها منها وكيفية
التصرف فيها ولذلك نكر ظاهرا وأما باطنها فإنها مجاز إلى الآخرة
ووصلة إلى نيلها وأنموذج لأحوالها وإشعارا بأنه لا فرق بين عدم العلم
والعلم الذي يختص بظاهر الدنيا أولم يتفكروا في أنفسهم أولم يحدثوا
التفكر فيها أو لم يتفكروا في أمر أنفسهم فإنها أقرب إليهم من غيرها
ومرآة يجتلي فيها للمستبصر ما يجتلي له في الممكنات بأسرها ليتحقق لهم
قدرة مبدعها على إعادتها قدرته على إبدائها ما خلق الله السموات
والأرض وما بينهما إلا بالحق متعلق بقوله أو علم محذوف يدل
عليه الكلام وأجل مسمى ينتهي عنده ولا تبقى بعده وإن كثيرا من الناس
بلقاء ربهم بلقاء جزائه عند انقضاء الأجل المسمى أو قيام الساعة
لكافرون جاحدون يحسبون أن الدنيا أبدية وأن الآخرة لا تكون
أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم
تقرير لسيرهم في أقطار الأرض ونظرهم إلى آثار المدمرين قبلهم كانوا
أشد منهم قوة كعاد وثمود وأثاروا الأرض وقلبوا وجهها لاستنباط
المياه واستخراج المعادن وزرع البذور وغيرها وعمروها وعمروا في
الأرض أكثر مما عمروها من عمارة أهل مكة إياها فإنهم أهل واد غير
ذي زرع لا تبسط لهم في غيرها وفيه تهكم بهم من حيث إنهم مغترون بالدنيا

مفتخرون بها وهم اضعف حالا فيها اذ مدار امرها على التبسط في البلاد والتسلط على العباد والتصرف في اقطار الارض بانواع العمارة وهم ضعفاء ملجئون الى واد لا نفع لها وجاءتهم رسلهم بالبينات بالمعجزات او الايات الواضحات فما كان الله ليظلمهم ليفعل بهم ما يفعل الظلمة فيعذبهم من غير جرم ولا تذكير ولكن كانوا انفسهم يظلمون حيث عملوا ما ادى الى تدميرهم ثم كان عاقبة الذين اساؤا السوأى اي ثم كان عاقبتهم العقوبة السوأى او الخصلة السوأى فوضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على ما اقتضى ان تكون تلك عاقبتهم وانهم جاؤا بمثل افعالهم والسوأى تانيث الاسوء كالحسنى او مصدر كالبشرى نعت بها ان كذبوا بايات الله وكانوا بها يستهزؤن علة او بدل او عطف بيان للسوأى او خبر كان والسوأى مصدر اساؤا او مفعوله بمعنى ثم كان الذين اقترفوا الخطيئة ان طبع الله على قلوبهم حتى كذبوا الايات واستهزؤا بها ويجوز ان تكون السوأى صلة الفعل وان كذبوا تابعها والخبر محذوف للابهام والتهويل وان تكون ان مفسرة لان الاساءة اذا كانت مفسرة بالتكذيب والاستهزاء كانت مضمنة معنى القول وقرا ابن عامر والكوفيون عاقبة بالنصب على ان الاسم السوأى وان كذبوا على الوجه المذكور الله يبدؤ الخلق ينشئهم ثم يعيده يبعثهم ثم اليه ترجعون للجزاء والعدول الى الخطاب للمبالغة في المقصود وقرا ابو بكر وابو عمرو وروح بالياء على الاصل ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون يسكتون متحيرين ايسين يقال ناظرته فابلس اذا سكت وايس من ان يحتج ومنه الناقة المبلاس التي لا ترغو وقرئ بفتح اللام من ابلسه اذا اسكته ولم يكن لهم من شركائهم ممن اشركوهم بالله شفعاء يجيرونهم من عذاب الله ومجيئه بلفظ الماضي لتحققه وكانوا بشركائهم كافرين يكفرون بالهتهم حين يئسوا منهم وقيل كانوا في الدنيا كافرين بسببهم وكتب في المصحف شفعوا وعلموا بني اسرائيل بالواو والسوأى بالالف اثباتا للهمزة على صورة الحرف الذي منه حركتها ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون اي المؤمنون والكافرون لقوله فاما الذين امنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة ارض ذات ازهار وانهار يحبرون يسرون سرورا تهللت له وجوههم واما الذين كفروا وكذبوا باياتنا ولقاء الاخرة فاولئك في العذاب

مدخلون

مدخلون لا يغيبون عنه فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السموات والارض وعشيا وحين تظهرون اخبار في معنى الامر بتنزيه الله تعالى والثناء عليه في هذه الاوقات التي تظهر فيها قدرته وتتجدد فيها نعمته او دلالة على ان ما يحدث فيها من الشواهد الناطقة بتنزيهه واستحقاقه الحمد ممن له تمييز من اهل السموات والارض وتخصيص التسبيح بالمساء والصباح لان اثار القدرة والعظمة فيهما اظهر وتخصيص الحمد بالعشي الذي هو اخر النهار من عشي العين اذا نقص نورها والظهيرة التي هي وسطه لان تجدد النعم فيهما اكثر ويجوز ان يكون عشيا معطوفا على حين تمسون وقوله وله الحمد في السموات والارض اعتراضا وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان الاية جامعة للصلوات الخمس تمسون صلوة المغرب والعشاء وتصبحون صلوة الفجر وعشيا صلاة العصر وتظهرون صلوة الظهر ولذلك زعم الحسن انها مدنية لانه كان يقول كان الواجب بمكة ركعتين في اي وقت اتفقتا وانما فرضت الخمس بالمدينة والاكثر على انها فرضت بمكة وعنه عليه الصلوة والسلام من سره ان يكال له بالقفيز الاوفى فليقل فسبحان الله حين تمسون الاية وعنه من قال حين يصبح فسبحان الله حين تمسون الى قوله وكذلك تخرجون ادرك ما فاته في ليلته ومن قال حين يمسي ادرك ما فاته في يومه وقرئ حينا تمسون وحينا تصبحون اي تمسون فيه وتصبحون فيه يخرج الحي من الميت كالانسان من النطفة والطائر من البيضة ويخرج الميت من الحي النطفة والبيضة او يعقب الحياة الموت وبالعكس ويحيي الارض بالنبات بعد موتها يبسها وكذلك ومثل ذلك الاخراج تخرجون من قبوركم فانه ايضا تعقيب للحياة الموت وقرا حمزة والكسائي بفتح التاء ومن اياته ان خلقكم من تراب اي في اصل الانشاء لانه خلق اصلهم منه ثم اذا انتم بشر تنتشرون ثم فاجاتم وقت كونكم بشرا منتشرين في الارض ومن اياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لان حواء خلقت من ضلع ادم وسائر النساء خلقن من نطف الرجال او لانهن من جنسهم لا من جنس اخر لتسكنوا اليها لتميلوا اليها وتالفوها فان الجنسية علة للضم والاختلاف سبب للتنافر وجعل بينكم اي بين الرجال والنساء او بين افراد الجنس مودة ورحمة

بواسطة الزواج حال الشبق وغيرها بخلاف سائر الحيوانات
نظما لامر المعاش او بان تعيش الانسان متوقف على التعارف
والتعاون المحوج الى التوادّ والتراحم وقيل المودة كناية عن الجماع
والرحمة عن الولد لقوله ورحمة منا ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون
فيعلمون ما في ذلك من الحكم ومن آياته خلق السموات والارض
واختلاف السنتكم لغاتكم بان علّم كل صنف لغته او الهمه وضعها
واقدره عليها او اجناس نطقكم واشكاله فانك لا تكاد تسمع منطقين
متساويين في الكيفية والوانكم بياض الجلد وسواده او تخطيط
الاعضاء وهيئاتها والوانها وحلاها بحيث وقع التمايز والتعارف
حتى ان التوأمين مع توافق موادّهما واسبابهما والامور الملاقية
لهما في التخليق يختلفان في شيء من ذلك لا محالة ان في ذلك لآيات
للعالمين لا تكاد تخفى على عاقل من ملك او انس وجن وقرأ حفص بكسر
اللام ويؤيده قوله وما يعقلها الا العالمون ومن آياته منامكم بالليل
والنهار وابتغاؤكم من فضله منامكم في الزمانين لاستراحة
القوى النفسانية وقوة القوى الطبيعية وطلب معاشكم فيهما
او منامكم بالليل وابتغاؤكم بالنهار فلف وضم بين الزمانين والفعلين
بعاطفين اشعارا بان كلا من الزمانين وان اختص باحدهما فهو صالح
للآخر عند الحاجة ويؤيده سائر الآيات الواردة فيه ان في ذلك
لآيات لقوم يسمعون سماع تفهم واستبصار فان الحكمة فيه ظاهرة
ومن آياته يريكم البرق مقدر بان كقوله الا ايهذا الزاجري احضر
الوغى وان اشهد اللذات هل انت مخلدي او الفعل فيه منزل منزلة
المصدر كقولهم تسمع بالمعيدي خير من ان تراه او صفة لمحذوف تقديره
آية يريكم بها البرق كقوله فما الدهر الا تارتان فمنهما اموت واخرى
ابتغي العيش اكدح خوفا من الصاعقة للمسافر وطمعا في الغيث
للمقيم ونصبهما على العلة لفعل يلزم المذكور فان اراءتهم تستلزم رؤيتهم
او له على تقدير مضاف نحو ارادة خوف وطمع او تأويل الخوف والطمع
بالاخافة والاطماع كقولك فعلته رغما للشيطان او على الحال مثل
كلمته شفاها وينزل من السماء ماء وقرئ بالتشديد فيحيي به الارض
بالنبات بعد موتها يبسها ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون

يستعملون

يستعملون عقولهم في استنباط اسبابها وكيفية تكونها ليظهر لهم كمال
قدرة الصانع وحكمته ومن آياته ان تقوم السماء والارض بامره قيامهما
باقامته لهما او ارادته لقيامهما في حيزهما المعينين من غير مقيم محسوس
والتعبير بالامر للمبالغة في كمال القدرة والغنى عن الآلة ثم اذا دعاكم
دعوة من الارض اذا انتم تخرجون عطف على ان تقوم على تأويل مفرد
كانه قيل ومن آياته قيام السموات والارض بامره ثم خروجكم من القبور
اذا دعاكم دعوة واحدة فيقول ايها الموتى اخرجوا والمراد تشبيه سرعة
ترتب حصول ذلك على تعلق ارادته بلا توقف واحتياج الى تجشم عمل
بسرعة ترتب اجابة الداعي المطاع على دعائه وثم اما لتراخي زمانه
او لعظم ما فيه ومن الارض متعلق بدعا كقوله دعوته من اسفل الوادي
فطلع الي لا بتخرجون لان ما بعد اذا لا يعمل فيما قبلها واذا الثانية
للمفاجاة ولذلك نابت مناب الفاء في جواب الاولى وله من في السموات
والارض كل له قانتون منقادون لفعله فيهم لا يمتنعون عليه
وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده بعد هلاكهم وهو اهون عليه والاعادة
اسهل عليه من الاصل بالاضافة الى قدركم والقياس على اصولكم والا فهما
عليه سواء ولذلك قيل الهاء للخلق وقيل اهون بمعنى هين وتذكير هو لاهون
او لان الاعادة بمعنى ان يعيد وله المثل الاعلى الوصف العجيب الشأن كالقدرة
العامة والحكمة التامة ومن فسره بقول لا اله الا الله اراد به الوصف
بالوحدانية الاعلى الذي ليس لغيره ما يساويه او يدانيه في السموات
والارض يصفه به ما فيهما دلالة ونطقا وهو العزيز القادر الذي لا
يعجز عن ابداء ممكن واعادته الحكيم الذي يجري الافعال على مقتضى
حكمته ضرب لكم مثلا من انفسكم منتزعا من احوالها التي هي اقرب
الامور اليكم هل لكم من ما ملكت ايمانكم من مماليككم من شركاء
فيما رزقناكم من الاموال وغيرها فانتم فيه سواء فتكونون انتم
وهم فيه شرع يتصرفون فيه كتصرفكم مع انهم بشر مثلكم وانها معارة
لكم ومن الاولى للابتداء والثانية للتبعيض والثالثة مزيدة لتاكيد
الاستفهام الجاري مجرى النفي تخافونهم ان يستبدوا بتصرف فيه
كخيفتكم انفسكم كما يخاف الاحرار بعضهم من بعض كذلك مثل
ذلك التفصيل نفصل الآيات تبيينا فان التمثيل مما يكشف المعاني

ويوضحها لقوم يعقلون يستعملون عقولهم في تدبر الامثال بل اتبع
الذين ظلموا بالاشراك اهواءهم بغير علم جاهلين لا يكفهم شيء فان
العالم اذا اتبع هواه ربما ردعه علمه فمن يهدي من اضل الله فمن
يقدر على هدايته وما لهم من ناصرين يخلصونهم من الضلالة ويحفظونهم
من آفاتها فاقم وجهك للدين حنيفا فقومه له غير ملتفت او ملتفت
عنه وهو تمثيل للاقبال والاستقامة عليه والاهتمام به فطرة الله
خلقته نصب على الاغراء او المصدر بما دل عليه ما بعدها التي فطر الناس
عليها خلقهم عليها وهي قبولهم للحق وتمكنهم من ادراكه او ملة الاسلام
فانهم لو خلوا وما خلقوا عليه ادى بهم اليها وقيل العهد الماخوذ من آدم
وذريته لا تبديل لخلق الله لا يقدر احد ان يغيره او ما ينبغي ان يغير
ذلك اشارة الى الدين المامور باقامة الوجه له او الفطرة ان فسرت
بالملة الدين القيم المستوي الذي لا عوج فيه ولكن اكثر الناس لا
يعلمون استقامته لعدم تدبرهم منيبين اليه راجعين اليه من اناب
اذا رجع مرة بعد اخرى وقيل منقطعين اليه من الناب وهو حال من
الضمير في الناصب المقدر لفطرة الله او في اقم لان الآية خطاب للرسول
والامة لقوله واتقوه واقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين غير
انها صدرت بخطاب الرسول تعظيما له من الذين فرقوا دينهم بدل
من المشركين وتفريقهم اختلافهم فيما يعبدونه على اختلاف اهوائهم
وقرا حمزة والكسائي فارقوا بمعنى تركوا دينهم الذي امروا به وكانوا
شيعا فرقا تشايع كل امامها الذي اصل دينها كل حزب بما لديهم
فرحون مسرورون ظنا بانه الحق ويجوز ان يجعل فرحون صفة كل
على ان الخبر من الذين فرقوا واذا مس الناس ضر شدة دعوا ربهم
منيبين اليه راجعين اليه من دعاء غيره ثم اذا اذاقهم منه رحمة
خلاصا من تلك الشدة اذا فريق منهم بربهم يشركون فاجا فريق
منهم بالاشراك بربهم الذي عافاهم ليكفروا بما آتيناهم
اللام فيه للعاقبة وقيل للامر بمعنى التهديد لقوله فتمتعوا غير انه
التفت فيه مبالغة وقرئ وليتمتعوا فسوف تعلمون عاقبة تمتعكم
وقرئ بالياء على ان تمتعوا ماض ام انزلنا عليهم سلطانا حجة وقيل
ذا سلطان اي ملكا معه برهان فهو يتكلم تكلم دلالة كقوله هذا كتابنا

ينطق عليكم بالحق او نطق بما كانوا به يشركون باشراكهم وصحته او بالامر
الذي بسببه يشركون في الوهيته واذا اذقنا الناس رحمة نعمة من صحة
وسعة فرحوا بها بطروا بسببها وان تصبهم سيئة شدة بما قدمت
ايديهم بشؤم معاصيهم اذا هم يقنطون فاجاوا القنوط من رحمته وقرا
ابو عمرو والكسائي بكسر النون اولم يروا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء
ويقدر فما لهم لم يشكروا ولم يحتسبوا في السراء والضراء كالمؤمنين ان
في ذلك لآيات لقوم يؤمنون فيستدلون بها على كمال القدرة والحكمة
فآت ذا القربى حقه كصلة الرحم واحتج به الحنفية على وجوب النفقة
للمحارم وهو غير مشعر به والمسكين وابن السبيل ما وصف لهما من
الزكاة والخطاب للنبي عليه الصلاة والسلام او لمن بسط له الرزق
ولذلك رتب على ما قبله بالفاء ذلك خير للذين يريدون وجه
الله ذاته او جهته اي يقصدون بمعروفهم اياه خالصا او جهة التقرب
اليه لا جهة اخرى واولئك هم المفلحون حيث حصلوا بما بسط لهم
النعيم المقيم وما آتيتم من ربا زيادة محرمة في المعاملة او عطية
يتوقع بها مزيد مكافاة وقرا ابن كثير بالقصر بمعنى ما جئتم به من اعطاء
ربا ليربوا في اموال الناس ليزيد ويزكو في اموالهم فلا يربوا عند
الله فلا يزكو عنده ولا يبارك فيه وقرا نافع ويعقوب لتربوا اي
لتزيدوا او لتصيروا ذوي ربا وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله
تبتغون به وجهه خالصا فاولئك هم المضعفون ذوو الاضعاف
من الثواب ونظير المضعف المقوي والموسر لذي القوة واليسار
او الذين ضعفوا ثوابهم واموالهم ببركة الزكاة وقرئ بفتح العين
وتغييره عن سنن المقابلة عبارة ونظما للمبالغة والالتفات فيه للتعظيم
كانه خاطب به الملائكة وخواص الخلق تعريفا لحالهم او للتعميم
كانه قال فمن فعل ذلك فاولئك هم المضعفون والراجع منه محذوف
ان جعلت ما موصولة تقديره المضعفون به او فمؤتوه اولئك هم
المضعفون الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم
هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء اثبت له لوازم الالوهية ونفاها
راسا عما اتخذوه شركاء له من الاصنام وغيرها مؤكدا بالانكار على ما دل
عليه البرهان والعيان ووقع عليه الوفاق ثم استنتج من ذلك تقدسه

عن ان يكون له شركاء فقال سبحانه وتعالى عما يشركون ويجوز ان يكون
الموصول صفة والخبر هل من شركائكم والرابط من ذلكم لانه بمعنى من
افعاله ومن الاولى والثانية تفيدان شيوع الحكم في جنس الشركاء والافعال
والثالثة مزيدة لتعميم المنفي وكل منها مستقلة بتاكيد لتعجيز الشركاء وقرا حمزة
والكسائي بالتاء ظهر الفساد في البر والبحر كالجدب والموتان وكثرة الحرق
والغرق واخفاق الغاصة ومحق البركات وكثرة المضار والضلالة والظلم
وقيل المراد بالبحر قرى السواحل وقرى البحور بما كسبت ايدي الناس
بشؤم معاصيهم او بكسبهم اياه وقيل ظهر الفساد في البر بقتل قابيل اخاه
وفي البحر بان جلندي كان ياخذ كل سفينة غصبا ليذيقهم بعض الذي عملوا
بعض جزائه فان تمامه في الاخرة واللام للعلة او للعاقبة وعن ابن كثير
ويعقوب لنذيقهم بالنون لعلهم يرجعون عما هم عليه قل سيروا
في الارض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل لتشاهدوا مصداق
ذلك وتحققوا صدقه كان اكثرهم مشركين استيناف للدلالة على
ان سوء عاقبتهم كان لفشو الشرك وغلبته فيهم او كان الشرك في اكثرهم
وما دونه من المعاصي في قليل منهم فاقم وجهك للدين القيم البليغ
الاستقامة من قبل ان ياتي يوم لا مرد له لا يقدر ان يرده احد وقوله
من الله متعلق بياتي ويجوز ان يتعلق بمرد لانه مصدر على معنى لا يرده
الله لتعلق ارادته القديمة بمجيئه يومئذ يصدعون يتصدعون اي
يتفرقون فريق في الجنة وفريق في السعير كما قال من كفر فعليه كفره اي
وباله وهو النار المؤبدة ومن عمل صالحا فلانفسهم يمهدون يسوون
منزلا في الجنة وتقديم الظرف في الموضعين للدلالة على الاختصاص
ليجزي الذين امنوا وعملوا الصالحات من فضله علة ليمهدون او
ليصدعون والاقتصار على جزاء المؤمنين للاشعار بانه المقصود بالذات
والاكتفاء على فحوى قوله انه لا يحب الكافرين فان فيه اثبات البغض
لهم والمحبة للمؤمنين وتاكيد اختصاص الصلاح المفهوم من ترك ضميرهم
الى التصريح بهم تعليل له ومن فضله دال على ان الاثابة تفضل محض
وتاويله بالعطاء او الزيادة على الثواب عدول عن الظاهر ومن اياته
ان يرسل الرياح الشمال والصبا والجنوب فانها رياح الرحمة واما
الدبور فريح العذاب ومنه قوله عليه الصلوة والسلام اللهم اجعلها

رياحا ولا تجعلها ريحا وقرا ابن كثير وحمزة والكسائي الريح على ارادة الجنس
مبشرات بالمطر وليذيقكم من رحمته يعني المنافع التابعة لها
وقيل الخصب التابع لنزول المطر المسبب عنها والروح الذي هو مع
هبوبها والعطف على علة محذوفة دل عليها مبشرات او عليها باعتبار
المعنى كانه قيل ليبشركم وليذيقكم او على يرسل باضمار فعل معلل دل عليه
ولتجري الفلك بامره ولتبتغوا من فضله يعني تجارة البحر ولعلكم
تشكرون ولتشكروا نعمة الله فيها ولقد ارسلنا من قبلك رسلا
الى قومهم فجاؤوهم بالبينات فانتقمنا من الذين اجرموا بالتدمير
وكان حقا علينا نصر المؤمنين اشعار بان الانتقام لهم واظهار
لكرامتهم حيث جعلهم مستحقين على الله ان ينصرهم وعنه عليه الصلوة
والسلام ما من امرئ مسلم يرد عن عرض اخيه الا كان حقا على الله ان
يرد عنه نار جهنم ثم تلى ذلك وقد يوقف على حقا على انه متعلق بالانتقام
الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه متصلا تارة في السماء
في سمتها كيف يشاء سائرا وواقفا مطبقا وغير مطبق من جانب دون
الى غير ذلك ويجعله كسفا قطعا تارة اخرى وقرا ابن عامر بالسكون
على انه مخفف او جمع كسفة او مصدر وصف به فترى الودق المطر
يخرج من خلاله في التارتين فاذا اصاب به من يشاء من عباده يعني
بلادهم واراضيهم اذا هم يستبشرون بمجيء الخصب وان كانوا من قبل
ان ينزل عليهم المطر من قبله تكرير للتاكيد والدلالة على تطاول عهدهم
بالمطر واستحكام ياسهم وقيل الضمير للمطر او السحاب او الارسال
لمبلسين لايسين فانظر الى اثر رحمة الله اثر الغيث من النبات والا
وانواع الثمار ولذلك جمعه ابن عامر وحمزة والكسائي وحفص كيف يحيي
الارض بعد موتها وقرئ بالتاء على اسناده الى ضمير الرحمة ان ذلك
يعني الذي قدر على احياء الارض بعد موتها لمحيي الموتى لقادر على احيائهم
فانه احداث لمثل ما كان في مواد ابدانهم من القوى كما ان احياء الارض
احداث لمثل ما كان فيها من القوى النباتية هذا ومن المحتمل ان يكون
من الكائنات الراهنة ما يكون من مواد ما تفتت وتبددت من جنسها
في بعض الاعوام السالفة وهو على كل شيء قدير لان نسبة قدرته الى
جميع الممكنات على سواء ولئن ارسلنا ريحا فراوه مصفرا فراوا الاثر او

شجار

فانه مدلول عليه بما تقدم وقيل السحاب لانه اذا كان مصفرا لم يمطر
واللام موطئة للقسم دخلت على حرف الشرط وقوله لظلوا من بعده
يكفرون جواب سد مسد الجزاء ولذلك فسر بالاستقبال وهذه الآيات
ناعية على الكفار بقلة تثبتهم وعدم تدبرهم وسرعة تزلزلهم لعدم
تفكرهم وسوء رأيهم فان النظر السوي يقتضي ان يتوكلوا على الله ويلتجئوا
اليه بالاستغفار اذا احتبس القطر عنهم ولم ييأسوا من رحمته وان يبادروا
الى الشكر والاستدامة بالطاعة اذا اصابهم برحمته ولا يفرطوا في
الاستبشار وان يصبروا على بلائه اذا اضرب زرعهم بالاصفرار
ولا يكفروا نعمه فانك لا تسمع الموتى وهم مثلهم لما سدوا عن الحق مشاعرهم
ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين قيد الحكم به ليكون اشد استحالة
فان الاصم المقبل وان لم يسمع الكلام تفطن منه بواسطة الحركات
شيئا وقرأ ابن كثير بالياء مفتوحة ورفع الصم وما انت بهادي العمي
عن ضلالتهم سماهم عميا لفقدهم المقصود الحقيقي من الابصار او لعمى
قلوبهم وقرأ حمزة وحده تهدي العمي ان تسمع الا من يؤمن بآياتنا
فان ايمانهم يدعوهم الى تلقي اللفظ وتدبر المعنى ويجوز ان يراد بالمؤمن
المشارف للايمان فهم مسلمون لما تأمرهم به الله الذي خلقكم من ضعف
اي ابتدأكم ضعفاء وجعل الضعف اساس امركم كقوله خلق الانسان
ضعيفا او خلقكم من اصل ضعيف وهو النطفة ثم جعل من بعد ضعف
قوة وذلك اذا بلغتم الحلم او تعلق بابدانكم الروح ثم جعل من بعد
قوة ضعفا وشيبة اذا اخذ منكم السن وفتح عاصم وحمزة الضاد في جميعها
والضم اقوى لقول ابن عمر قرأتها على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقرأني
من ضعف وهما لغتان كالفقر والفقر والتنكير مع التكرير لان المتأخر ليس
عين المتقدم يخلق ما يشاء من ضعف وقوة وشيبة وهو العليم
القدير فان الترديد في الاحوال المختلفة مع امكان غيره دليل العلم
والقدرة ويوم تقوم الساعة القيامة سميت بها لانها تقوم في آخر ساعة
من ساعات الدنيا او لانها تقع بغتة وصارت علما لها بالغلبة كالكوكب
للزهرة يقسم المجرمون ما لبثوا في الدنيا او في القبور او فيما بين فناء
الدنيا والبعث اربعون وهو محتمل للساعات والايام والاعوام غير
ساعة استقلوا مدة لبثهم اضافة الى مدة عذابهم في الآخرة او نسيانا

كذلك

كذلك مثل ذلك الصرف عن الصدق والتحقيق كانوا يؤفكون يصرفون
في الدنيا وقال الذين اوتوا العلم والايمان من الملائكة والانس لقد لبثتم
في كتاب الله في علمه او قضائه او ما كتبه لكم اي اوجبه او اللوح او القرآن
وهو قوله ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون الى يوم البعث ردوا بذلك ما قالوه
وحلفوا عليه فهذا يوم البعث الذي انكرتموه ولكنكم كنتم لا تعلمون
انه حق لتفريطكم في النظر والفاء لجواب شرط محذوف تقديره ان كنتم منكرين
البعث فهذا يومه اي فقد تبين بطلان انكاركم فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا
معذرتهم وقرأ الكوفيون بالياء لان المعذرة بمعنى العذر او لان تأنيثها
غير حقيقي وقد فصل بينهما ولا هم يستعتبون لا يدعون الى ما يقتضي
اعتابهم اي ازالة عتبهم من التوبة والطاعة كما دعوا اليه في الدنيا من قولهم
استعتبني فلان فاعتبته اي استرضاني فارضيته ولقد ضربنا للناس في
هذا القرآن من كل مثل ولقد وصفناهم فيه بانواع الصفات التي هي
في الغرابة كالامثال مثل صفة المبعوثين يوم القيامة فيما يقولون وما يقال
لهم وما لا يكون لهم من الانتفاع بالمعذرة والاستعتاب او بينا لهم من كل
مثل ينبههم على التوحيد والبعث وصدق الرسول ولئن جئتهم بآية من
آيات القرآن ليقولن الذين كفروا من فرط عنادهم وقساوة قلوبهم
ان انتم يعنون الرسول والمؤمنين الا مبطلون مزورون كذلك مثل
ذلك الطبع يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون لا يطلبون العلم ويصرون
على خرافات اعتقدوها فان الجهل المركب يمنع ادراك الحق ويوجب
تكذيب المحق فاصبر على اذاهم ان وعد الله بنصرتك واظهار دينك
على الدين كله حق لا بد من انجازه ولا يستخفنك ولا يحملنك على الخفة
والقلق الذين لا يوقنون بتكذيبهم وايذائهم فانهم شاكون ضالون
لا يستبدع منهم ذلك وعن يعقوب بتخفيف النون وقرئ ولا يستحقنك
اي لا يزيغوك فيكونوا احق بك من المؤمنين عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم من قرأ سورة الروم كان له من الاجر عشر حسنات بعدد كل
ملك سبح الله بين السموات والارض وادرك ما ضيع في يومه وليلته

وقيل الآية في الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة فان وجوبهما

بالمدينة وهو ضعيف لانه لا ينافي شرعيتهما بمكة وقيل الا ثلاثا من
قوله ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام وآيها اربع وثلاثون
بسم الله الرحمن الرحيم الم تلك آيات الكتاب الحكيم سبق بيانه في
يونس هدى ورحمة للمحسنين حالان عن الآيات والعامل فيهما
معنى الاشارة ورفعهما حمزة على الخبر بعد الخبر او الخبر لمحذوف الذين
يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة وهم بالآخرة هم يوقنون بيان
لاحسانهم او تخصيص لهذه الثلاثة من شعبه لفضل اعتداد بها وتكرير
الضمير للتوكيد ولما حيل بينه وبين خبره اولئك على هدى من ربهم واولئك
هم المفلحون لاستجماعهم العقيدة الحقة والعمل الصالح ومن الناس
من يشتري لهو الحديث ما يلهي عما يعني كالاحاديث التي لا اصل لها
والاساطير التي لا اعتبار فيها والمضاحك وفضول الكلام والاضافة
بمعنى من وهي تبيينية ان اراد بالحديث المنكر وتبعيضية ان اراد به
الاعم منه وقيل نزلت في النضر بن الحارث اشترى كتب الاعاجم وكان
يحدث بها قريشا ويقول ان كان محمد يحدثكم بحديث عاد وثمود فانا
احدثكم بحديث رستم واسفنديار والاكاسرة وقيل كان يشتري القيان
ويحملهن على معاشرة من اراد الاسلام ومنعه عنه ليضل عن سبيل الله
دينه او قراءة كتابه وقرا ابن كثير وابو عمرو بفتح الياء بمعنى ليثبت على ضلاله
ويزيد فيه بغير علم بحال ما يشتريه او بالتجارة حيث استبدل القرآن
ويتخذها هزوا ويتخذ السبيل سخرية وقد نصبه حمزة والكسائي ويعقوب
وحفص عطفا على ليضل اولئك لهم عذاب مهين لاهانتهم الحق باستئثار
الباطل عليه واذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا متكبرا لا يعبأ بها كأن لم
يسمعها مشابها حاله حال من لم يسمعها كأن في اذنيه وقرا مشابها
من في اذنيه ثقل لا يقدر ان يسمع ويجوز ان يكونا استئنافين فبشره بعذاب
اليم اعلمه بان العذاب يحيقه لا محالة وقرا نافع في اذنيه وذكر البشارة
على التهكم ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم اي لهم
نعيم جنات فعكس للمبالغة خالدين فيها حال من الضمير في لهم او من جنات
والعامل ما تعلق به اللام وعد الله حقا مصدران مؤكدان الاول لنفسه
والثاني لغيره لان قوله لهم جنات وعد وليس كل وعد حقا وهو العزيز
الذي لا يغلبه شيء فيمنعه من انجاز وعده ووعيده الحكيم الذي لا يفعل

اللهو بقراءة صح

الا ما تستدعيه حكمته خلق السموات بغير عمد ترونها وقد سبق
في الرعد والقى في الارض رواسي جبالا شوامخ ان تميد بكم كراهة
ان تميل بكم فان بساطة اجزائها تقتضي تبدل احيازها واوضاعها
لامتناع اختصاص كل منها لذاته او لشيء من لوازمه بحيز ووضع معين
وبث فيها من كل دابة وانزلنا من السماء ماء فانبتنا فيها من كل
زوج كريم من كل صنف كثير المنفعة وكأنه استدل بذلك على عزته
التي هي كمال القدرة وحكمته التي هي كمال العلم ومهد به قاعدة التوحيد
وقررها بقوله هذا خلق الله فاروني ماذا خلق الذين من دونه
هذا الذي ذكر مخلوقه فماذا خلق آلهتكم حتى استحقوا مشاركته وماذا
نصب بخلق او ما مرتفع بالابتداء وخبره ذا بصلته واروني معلق
عنه بل الظالمون في ضلال مبين اضراب عن تبكيتهم الى التسجيل
عليهم بالضلال الذي لا يخفى على ناظر ووضع الظاهر موضع المضمر
للدلالة على انهم ظالمون باشراكهم ولقد آتينا لقمان الحكمة يعني
لقمان بن باعوراء من اولاد آزر ابن اخت ايوب او خالته وعاش
حتى ادرك داود واخذ منه العلم وكان يفتي قبل مبعثه فلما بعث قطع
الفتوى فقيل له في ذلك فقال الا اكتفي اذا كفيت والجمهور على انه كان
حكيما ولم يكن نبيا والحكمة في عرف العلماء استكمال النفس الانسانية
باقتباس العلوم النظرية واكتساب الملكة التامة على الافعال الفاضلة
على قدر طاقتها ومن حكمته انه صحب داود شهورا وكان يسرد الدرع
فلم يسأله عنها فلما اتمها لبسها وقال نعم لبوس الحرب انت فقال الصمت
حكمة وقليل فاعله فقال داود بحق ما سميت حكيما وان داود قال له
كيف اصبحت فقال اصبحت في يدي غيري ففكر داود فيه فصعق صعقة وانه
امر بان يذبح شاة ويأتي باطيب مضغتين منها فأتى باللسان والقلب
ثم بعد ايام امر بان يأتي باخبث مضغتين منها فأتى بهما ايضا فسأله عن
ذلك فقال هما اطيب شيء اذا طابا واخبث شيء اذا خبثا ان اشكر لله لان اشكر
او اي اشكر فان ايتاء الحكمة في معنى القول ومن يشكر فانما يشكر لنفسه
لان نفعه عائد اليها وهو دوام النعمة واستحقاق مزيدها ومن كفر فان
الله غني لا يحتاج الى الشكر حميد حقيق بالحمد وان لم يحمد او محمود ينطق
بحمده جميع مخلوقاته بلسان الحال واذ قال لقمان لابنه انعم او اشكم

استيناف صح

او تمام ان وهو يعظه يا بنى تصغير اشفاق وقرا ابن كثير يا بنى لا تشرك بالله
باسكان اليا وقنبل يا بنى اقم الصلوة باسكان اليا وحفص فيهما وفي يا بنى
انها ان تك بفتح اليا والبزي مثله في الاخير والباقون في الثلاثة بكسر
اليا لا تشرك بالله قيل كان كافرا فلم يزل به حتى اسلم ومن وقف على
لا تشرك جعل بالله قسما ان الشرك لظلم عظيم لانه تسوية بين من لا نعمة
الا منه ومن لا نعمة منه ووصينا الانسان بوالديه حملته امه وهنا
ذات وهن او تهن وهنا على وهن اي تضعف ضعفا فوق ضعف فانها
لا تزال يتضاعف ضعفها والجملة في موضع الحال وقرئ بالتحريك يقال
وهن يهن وهنا ووهن يوهن وهنا وفصاله في عامين وفطامه في انقضا
عامين وكانت ترضعه في تلك المدة وقرئ وفصله وفيه دليل على ان اقصى
مدة الرضاع حولان ان اشكر لي ولوالديك تفسير لوصينا او علة
له او بدل من والديه بدل الاشتمال وذكر الحمل والفصال في البين اعتراض
مؤكد للتوصية في حقها خصوصا ومن ثم قال عليه الصلوة والسلام لمن قال
له من ابر امك ثم امك ثم امك ثم اباك الي المصير فاحاسبك على شكرك
وكفرك وان جاهداك على ان تشرك بي ما ليس لك به علم باستحقاقه
الاشراك تقليدا لهما وقيل اراد بنفي العلم نفيه فلا تطعهما في ذلك وصاحبهما
في الدنيا معروفا صحابا معروفا يرتضيه الشرع ويقتضيه الكرم واتبع في
الدين سبيل من اناب الي بالتوحيد والاخلاص في الطاعة ثم الي مرجعكم
مرجعك ومرجعهما فانبئكم بما كنتم تعملون بان اجازيك على ايمانك
واجازيهما على كفرهما والآيتان معترضتان في تضاعيف وصية لقمان تاكيدا
لما فيها من النهي عن الشرك كانه قال وقد وصينا بمثل ما وصى به وذكر الوالدين
للمبالغة في ذلك فانهما مع انهما تلو الباري في استحقاق التعظيم والطاعة
لا يجوز تقليدهما في الاشراك فما ظنك بغيرهما ونزولهما في سعد بن ابي
وقاص وامه مكثت لاسلامه ثلاثا لم تطعم فيها شيئا ولذلك قيل من اناب
الي ابو بكر فانه اسلم بدعوته يا بني انها ان تك مثقال حبة من خردل
اي ان الخصلة من الاساءة او الاحسان ان تك مثلا في الصغر كحبة الخردل
ورفع نافع مثقال على ان الهاء ضمير القصة وكان تامة وتانيثها لاضافة
المثقال الى الحبة كقول الشاعر كما شرقت صدر القناة من الدم او لان المراد
به الحسنة او السيئة فتكن في صخرة او في السموات او في الارض في اخفى

مكان واحرزه كجوف صخرة او اعلاه كمحدب السموات او اسفله كمقعر الارض
وقرئ بكسر الكاف من وكن الطائر اذا استكن في وكنه يات بها الله
يحضرها فيحاسب عليها ان الله لطيف يصل علمه الى كل خفي خبير عالم
بكنهه يا بني اقم الصلوة تكميلا لنفسك وامر بالمعروف وانه عن المنكر
تكميلا لغيرك واصبر على ما اصابك من الشدائد سيما في ذلك ان
ذلك اشارة الى الصبر او الى كل ما امر به من عزم الامور مما عزمه الله
من الامور اي قطعه قطع ايجاب مصدر اطلق للمفعول ويجوز ان يكون
بمعنى الفاعل كقوله فاذا عزم الامر اي جد ولا تصعر خدك للناس لا
تمله عنهم ولا تولهم صفحة وجهك كما يفعله المتكبرون من الصعر وهو
الصيد داء يعتري البعير فيلوي عنقه وقرا نافع وابو عمرو وحمزة
والكسائي ولا تصاعر وقرئ ولا تصعر والكل واحد مثل علاه واعلاه وعالاه
ولا تمش في الارض مرحا اي فرحا مصدر وقع موقع الحال اي تمرح مرحا
او لاجل المرح وهو البطر ان الله لا يحب كل مختال فخور علة للنهي وتاخير
الفخور وهو مقابل للمصعر خده والمختال للماشي مرحا ليوافق رؤس الاي
واقصد في مشيك توسط فيه بين الدبيب والاسراع وعنه عليه
الصلوة والسلام سرعة المشي تذهب بهاء المؤمن وقول عائشة رضي الله
عنها كان اذا مشى اسرع فالمراد ما فوق دبيب المتماوت وقرئ بقطع
الهمزة من اقصد الرامي اذا سدد سهمه نحو الرمية واغضض من صوتك
وانقص منه واقصر ان انكر الاصوات اوحشها لصوت الحمير والحمار
مثل في الذم سيما نهاقه ولذلك يكنى عنه فيقال طويل الاذنين وفي
تمثيل الصوت المرتفع بصوته ثم اخراجه مخرج الاستعارة لانه مصدر
في الاصل الم تروا ان الله سخر لكم ما في السموات بان جعله اسبابا
محصلة لمنافعكم وما في الارض بان مكنكم من الانتفاع به بوسط او غير
وسط واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة محسوسة ومعقولة ما تعرفونه
وما لا تعرفونه وقد مر شرح النعمة وتفصيلها في الفاتحة وقرئ واصبغ
بالابدال وهو جار في كل سين اجتمع مع الغين او الخاء او القاف كصلخ
وصقر وقرا نافع وابو عمرو وحفص نعمه بالجمع والاضافة ومن الناس
من يجادل في الله في توحيده وصفاته بغير علم مستفاد من دليل ولا هدى
راجع الى رسول ولا كتاب منير انزله الله بل بالتقليد كما قال واذا قيل

لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه اباءنا وهو منع
صريح من التقليد في الاصول او لو كان الشيطان يدعوهم يحتمل ان
يكون الضمير لهم ولابائهم الى عذاب السعير الى ما يؤول اليه من التقليد
او الاشراك وجواب لو محذوف مثل لاتبعوه والاستفهام للانكار
والتعجب ومن يسلم وجهه الى الله بان فوض امره اليه واقبل بشراشره عليه
من اسلمت المتاع الى الزبون ويؤيده القراءة بالتشديد وحيث عدي باللام
فلتضمن معنى الاخلاص وهو محسن في عمله فقد استمسك بالعروة الوثقى
تعلق باوثق ما يتعلق به وهو تمثيل للمتوكل المشتغل بالطاعة بمن اراد ان
يترقى شاهق جبل فتمسك باوثق عرى الحبل المتدلي منه والى الله عاقبة
الامور اذ الكل صاير اليه ومن كفر فلا يحزنك كفره فانه لا يضرك
في الدنيا والاخرة وقرئ فلا يحزنك من احزن وليس بمستفيض الينا
مرجعهم في الدارين فننبئهم بما عملوا بالاهلاك والتعذيب ان الله
عليم بذات الصدور فمجاز عليه فضلا عما في الظاهر نمتعهم قليلا
تمتيعا قليلا او زمانا قليلا فان ما يزول بالنسبة الى ما يدوم نزر قليل
ثم نضطرهم الى عذاب غليظ يثقل عليهم ثقل الاجرام الغلاظ
او يضم الى الاحراق الضغط ولئن سالتهم من خلق السموات والارض
ليقولن الله لوضوح الدليل المانع من اسناد الخلق الى غيره بحيث اضطروا
الى اذعانه قل الحمد لله على الزامهم والجائهم الى الاعتراف بما يوجب
بطلان معتقدهم بل اكثرهم لا يعلمون ان ذلك يلزمهم لله ما في السموات
والارض لا يستحق العبادة فيهما غيره ان الله هو الغني عن حمد الحامد
الحميد المستحق للحمد وان لم يحمد ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام
ولو ثبت كون الاشجار اقلاما وتوحيد الشجرة لان المراد تفصيل
الاحاد والبحر يمده من بعده سبعة ابحر والبحر المحيط بسعته مداد
ممدود بسبعة ابحر فاغنى عن ذكر المداد بمده لانه من مد الدواة
وامدها ورفعه للعطف على محل ان ومعموليها ويمده حال او للابتداء
على انه مستانف او الواو للحال ونصبه البصريان بالعطف على اسم
ان او اضمار فعل يفسره يمده وقرئ بالياء والتاء ما نفدت كلمات الله
بكتبها بتلك الاقلام بذلك المداد وايثار جمع القلة للاشعار بان
ذلك لا يفي بالتعليل فكيف بالتكثير ان الله عزيز لا يعجزه شيء حكيم لا يخرج

عن علمه وحكمته امر والاية جواب لليهود سالوا رسول الله صلى الله
عليه وسلم او امروا وفد قريش ان يسالوه عن قوله وما اوتيتم من العلم
الا قليلا وقد انزل التورية وفيها علم كل شيء ما خلقكم ولا بعثكم الا
كنفس واحدة الا كخلقها وبعثها اذ لا يشغله شان عن شان لانه يكفي
لوجود الكل تعلق ارادته الواجبة مع قدرته الذاتية كما قال انما
امرنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون ان الله سميع يسمع كل مسموع
بصير يبصر كل مبصر لا يشغله ادراك بعضها عن بعض فكذلك الخلق
والبعث الم تر ان الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل
وسخر الشمس والقمر كل من النيرين يجري في فلكه الى اجل مسمى الى
منتهى معلوم الشمس الى اخر السنة والقمر الى اخر الشهر وقيل الى يوم
القيمة والفرق بينه وبين قوله لاجل مسمى ان الاجل هاهنا منتهى الجري
وثمة غرضه حقيقة او مجازا وكلا المعنيين حاصل في الغايات وان الله
بما تعملون خبير عالم بكنهه ذلك اشارة الى الذي ذكر من سعة
العلم وشمول القدرة وعجايب الصنع واختصاص الباري بها بان الله
هو الحق بسبب انه الثابت في ذاته الواجب من جميع جهاته او الثابت
الالهية وان ما تدعون من دونه الباطل المعدوم في حد ذاته
لا يوجد ولا يتصرف الا بجعله او الباطل الالهية وقرا البصريان
والكوفيون غير ابي بكر بالياء وان الله هو العلي الكبير مترفع على كل
شيء ومتسلط الم تر ان الفلك تجري في البحر بنعمة الله باحسانه في
تهيئة اسبابه وهو استشهاد اخر على باهر قدرته وكمال حكمته وشمول
انعامه والباء للصلة او الحال وقرئ الفلك بالتثقيل وبنعمات الله
بسكون العين وقد جوز في مثله الكسر والفتح والسكون ليريكم من اياته
دلايله ان في ذلك لايات لكل صبار على المشاق فيتعب نفسه
بالتفكر في الافاق والانفس شكور يعرف النعم ويتعرف مانحها
او للمؤمنين فان الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر واذا غشيهم
علاهم وغطاهم موج كالظلل كما يظل من جبل وسحاب او غيرهما وقرئ
كالظلال جمع ظلة كقلة وقلال دعوا الله مخلصين له الدين لزوال
ما ينازع الفطرة من الهوى والتقليد بما دهاهم من الخوف الشديد فلما
نجاهم الى البر فمنهم مقتصد مقيم على الطريق القصد الذي هو التوحيد

او متوسط في الكبر لانه يجاوره بعض الانهار وما يجحد باياتنا الا
كل ختار غدار فانه نقض للعهد الفطري او لما كان في البحر والختر
اشد الغدر كفور للنعم يا ايها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا
يجزي والد عن ولده لا يقضي عنه وقرئ لا يجزئ من اجزا اذا اغنى و
الراجع الى الموصوف محذوف اي لا يجزي فيه ولا مولود عطف على
والد او مبتدا خبره هو جاز عن والده شيئا وتغيير النظم للدلالة على
ان المولود اولى بان لا يجزي وقطع طمع من توقع من المؤمنين ان ينفع
اباه الكافر في الاخرة ان وعد الله بالثواب والعقاب حق لا يمكن
خلفه فلا تغرنكم الحيوة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور الشيطان
بان يرجيكم التوبة والمغفرة فيجسركم على المعاصي ان الله عنده علم الساعة
علم وقت قيامها لما روي ان الحارث بن عمرو اتى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال متى قيام الساعة واني قد القيت حباتي في الارض فمتى
السما تمطر وحمل امراتي ذكر ام انثى وما اعمل غدا واين اموت فنزلت
وعنه عليه الصلوة والسلام مفاتح الغيب خمس وتلا هذه الاية وينزل الغيث
في ابانه المقدر له والمحل المعين له في علمه وقرا نافع وابن عامر وعاصم
بالتشديد ويعلم ما في الارحام اذكر ام انثى اتام ام ناقص وما
تدري نفس ماذا تكسب غدا من خير او شر وربما تعزم على شي وتفعل
خلافه وما تدري نفس باي ارض تموت كما لا تدري في اي وقت تموت
روي ان ملك الموت مر على سليمان فجعل ينظر الى رجل من جلسائه
يديم النظر اليه فقال الرجل من هذا قال ملك الموت فقال كانه يريدني
فمر الريح بان تحملني وتلقيني بالهند ففعل فقال الملك كان دوام نظري
اليه تعجبا منه اذ امرت ان اقبض روحه بالهند وهو عندك وانما جعل
العلم والدراية للعبد لان فيها معنى الحيلة فيشعر بالفرق بين العلمين ويدل
على انه ان عمل حيلة وانفذ فيها وسعه لم يعرف ما هو الحق به من كسبه وعاقبته
فكيف بغيره مما لم ينصب له دليلا عليه وقرئ باية ارض وشبه سيبويه تانيثها
بتانيث كل في كلهن ان الله عليم يعلم الاشيا كلها خبير يعلم بواطنها
كما يعلم ظواهرها وعنه صلى الله عليه وسلم من قرا سورة لقمان كان له
لقمان رفيقا يوم القيامة واعطي من الحسنات عشرا
بعدد من عمل بالمعروف ونهى عن المنكر

بسم الله الرحمن الرحيم الم ان جعل اسما للسورة او القران
مبتدا خبره تنزيل الكتاب على ان التنزيل بمعنى المنزل وان جعل تعديدا
للحروف كان تنزيل خبر مبتدا محذوف او مبتدا خبره لا ريب فيه فيكون
من رب العالمين حالا من الضمير في فيه لان المصدر لا يعمل فيما بعد
الخبر ويجوز ان يكون خبرا ثانيا ولا ريب فيه حالا من الكتاب او اعتراض
والضمير في فيه لمضمون الجملة ويؤيده قوله ام يقولون افتراه فانه انكار
لكونه من رب العالمين وقوله بل هو الحق من ربك فانه تقرير له ونظم
الكلام على هذا انه اشار اولا الى اعجازه ثم رتب عليه ان تنزيله من رب
العالمين وقرر ذلك بنفي الريب عنه ثم اضرب عن ذلك الى ما يقولون
فيه على خلاف ذلك انكارا له وتعجبا منه فان ام منقطعة ثم اضرب
عنه الى اثبات انه الحق المنزل من الله وبين المقصود من تنزيله فقال
لتنذر قوما ما اتاهم من نذير من قبلك اذ كانوا اهل الفترة لعلهم
يهتدون بانذارك اياهم الله الذي خلق السموات والارض وما
بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش مر بيانه في سورة الاعراف
ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع ما لكم اذا جاوزتم رضى الله احد
ينصركم ويشفع لكم او ما لكم سواه ولي ولا شفيع بل الله الذي يتولى
مصالحكم وينصركم في مواطن نصركم على ان الشفيع متجوز به للناصر
فاذا خذلكم لم يبق لكم ولي ولا ناصر افلا تتذكرون بمواعظ الله يدبر
الامر من السما الى الارض يدبر امر الدنيا باسباب سماوية كالملائكة
وغيرها نازلة اثارها الى الارض ثم يعرج اليه ثم يصعد اليه ويثبت في
علمه موجودا في يوم كان مقداره الف سنة مما تعدون في برهة
من الزمان متطاولة يعني بذلك استطالة ما بين التدبير والوقوع
وقيل يدبر الامر باظهاره في اللوح فينزل به الملك ثم يعرج اليه في زمان
هو كالف سنة لان مسافة نزوله وعروجه مسيرة الف سنة فان ما بين
السما والارض مسيرة خمسمائة سنة وقيل يقضي قضاء الف سنة فينزل به
الملك ثم يعرج بعد الالف لالف اخر وقيل يدبر الامر الى قيام الساعة
ثم يرجع اليه الامر كله يوم القيمة وقيل يدبر المامور به من الطاعات

مثلا من السما الى الارض بالوحي ثم لا يعرج اليه خالصا كما يرتضيه الا في
مدة متطاولة لقلة المخلصين والاعمال الخلص وقري تعرج وتعدون
ذلك عالم الغيب والشهادة فيدبر امرها على وفق الحكمة العزيز الغالب
على امره الرحيم على عباده في تدبيره وفيه ايما بانه يراعي المصالح تفضلا
واحسانا الذي احسن كل شي خلقه موفرا عليه ما يستعده ويليق به
على وفق الحكمة والمصلحة وخلقه بدل من كل بدل الاشتمال وقيل علم
كيف يخلقه من قوله قيمة المرء ما يحسنه اي ما يحسن معرفته وخلقه مفعول
ثان وقرا نافع والكوفيون بفتح اللام على الوصف فالشي على الاول مخصوص
بمنفصل وعلى الثاني بمتصل وبدا خلق الانسان يعني ادم من طين ثم
جعل نسله ذريته سميت به لانها تنسل منه اي تنفصل من سلالة من
ما مهين ممتهن ثم سواه قومه بتصوير اعضائه على ما ينبغي ونفخ فيه
من روحه اضافه الى نفسه تشريفا واشعارا بانه خلق عجيب وان له
شانا له مناسبة ما الى الحضرة الربوبية ولاجله من عرف نفسه فقد
عرف ربه وجعل لكم السمع والابصار والافئدة خصوصا لتسمعوا
وتبصروا وتعقلوا قليلا ما تشكرون تشكرون شكرا قليلا وقالوا ءاذا
ضللنا في الارض اي صرنا ترابا مخلوطا بتراب الارض لا نتميز منه
او غبنا فيها وقري ضللنا بالكسر من ضل يضل وصللنا من صل اللحم اذا
انتن وقرا ابن عامر اذا على الخبر والعامل فيه ما دل عليه انا لفي خلق
جديد وهو نبعث او يجدد خلقنا وقرا نافع والكسائي ويعقوب انا
على الخبر والقائل ابي بن خلف واسناده الى جميعهم لرضاهم به بل
هم بلقاء ربهم بالبعث او بتلقي ملك الموت وما بعده كافرون جاحدون
قل يتوفاكم يستوفي نفوسكم لا يترك منها شيئا او لا يبقي منكم احدا والتفعل
والاستفعال يلتقيان كثيرا كتقصيته واستقصيته وتعجله واستعجله
ملك الموت الذي وكل بكم بقبض ارواحكم واحصا اجالكم ثم الى
ربكم ترجعون للحساب والجزا ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رووسهم
عند ربهم من الحيا والخزي ربنا قايلين ربنا ابصرنا ما وعدتنا وسمعنا
منك تصديق رسلك فارجعنا الى الدنيا نعمل صالحا انا موقنون اذ لم
يبق لنا شك بما شاهدنا وجواب لو محذوف تقديره لرايت امرا فظيعا
ويجوز ان يكون للتمني والمضي فيها وفي اذ لان الثابت في علم الله بمنزلة

الواقع

الواقع ولا يقدر لترى مفعول لان المعنى لو يكون منك روية في هذا
الوقت او يقدر ما دل عليه صلة اذ والخطاب للرسول او لكل احد
ولو شينا لاتينا كل نفس هداها ما تهتدي به الى الايمان والعمل الصالح
بالتوفيق له ولكن حق القول مني ثبت قضايي وسبق وعيدي وهو
لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين وذلك تصريح بعدم ايمانهم
لعدم المشية المسبب عن سبق الحكم بانهم من اهل النار ولا يرد فيه جعل
ذوق العذاب مسببا عن نسيانهم العاقبة وعدم تفكرهم فيها بقوله
فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا فانه من الوسايط والاسباب
المقتضية له انا نسيناكم تركناكم من الرحمة او في العذاب ترك المنسي
وفي استينافه وبنا الفعل على ان واسمها تشديد في الانتقام منهم وذوقوا
عذاب الخلد بما كنتم تعملون كرر الامر للتاكيد ولما نيط به من التصريح
بمفعوله وتعليله بافعالهم السيئة من التكذيب والمعاصي كما علله بتركهم
تدبر امر العاقبة والتفكر فيها دلالة على ان كلا منهما يقتضي ذلك انما
يومن باياتنا الذين اذا ذكروا بها وعظوا بها خروا سجدا خوفا من
عذاب الله وسبحوا نزهوه عما لا يليق به كالعجز عن البعث بحمد ربهم
حامدين له شكرا على ما وفقهم للاسلام واتاهم الهدى وهم لا يستكبرون
عن الايمان والطاعة كما يفعل من يصر مستكبرا تتجافى جنوبهم ترتفع
وتتنحى عن المضاجع الفرش ومواضع النوم يدعون ربهم داعين اياه
خوفا من سخطه وطمعا في رحمته وعن النبي صلى الله عليه وسلم في تفسيرها
قيام العبد من الليل وعنه عليه الصلوة والسلام اذا جمع الله الاولين
والاخرين جا مناد ينادي بصوت يسمع الخلايق كلهم سيعلم اهل
الجمع اليوم من اولى بالكرم ثم يرجع فينادي ليقم الذين كانت تتجافى
جنوبهم عن المضاجع فيقومون وهم قليل ثم يرجع فينادي ليقم الذين
كانوا يحمدون الله في البأسا والضرا فيقومون وهم قليل فيسرحون جميعا
الى الجنة ثم يحاسب سائر الناس وقيل كان ناس من الصحابة يصلون
من المغرب الى العشا فنزلت فيهم ومما رزقناهم ينفقون في وجوه
الخير فلا تعلم نفس ما اخفي لهم لا ملك مقرب ولا نبي مرسل من قرة اعين
مما تقر به عيونهم وعنه عليه الصلوة والسلام يقول الله اعددت
لعبادي الصالحين ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب

بشئ بله ما اطلعتم عليه اقرءوا ان شئتم فلا تعلم نفس ما اخفي لهم وقرأ حمزة
والكسائي ويعقوب اخفي على انه مضارع اخفيت وقرئ نخفي واخفي والفاعل
للكل هو الله تعالى وقرات اعين لاختلاف انواعها والعلم بمعنى المعرفة
وما موصولة او استفهامية تعلق عنها الفعل جزاء بما كانوا يعملون اي جوزوا
جزاء او اخفي الجزاء فان اخفاءه لعلو شانه وقيل هذا القوم اخفوا اعمالهم
فاخفى الله ثوابهم افمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا خارجا عن الايمان
لا يستوون في الشرف والمثوبة تاكيد وتصريح والجمع للحمل على المعنى
اما الذين امنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى فانها
المأوى الحقيقي والدنيا منزل لمرتحل عنها لا محالة وقيل المأوى
جنة من الجنات نزلا سبق في ال عمران بما كانوا يعملون بسبب اعمالهم
او على اعمالهم واما الذين فسقوا فمأواهم النار مكان جنة المأوى
للمؤمنين كلما ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا فيها عبارة عن خلودهم
فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون اهانة
لهم وزيادة في غيظهم ولنذيقنهم من العذاب الادنى عذاب الدنيا
يريد ما محنوا به من السنة سبع سنين والقتل والاسر دون العذاب
الاكبر عذاب الاخرة لعلهم لعل من بقي منهم يرجعون يتوبون
عن الكفر روي ان الوليد بن عقبة فاخر عليا يوم بدر فنزلت هذه
الايات ومن اظلم ممن ذكر بايات ربه ثم اعرض عنها فلم يتفكر فيها
وثم لاستبعاد الاعراض عنها مع فرط وضوحها وارشادها الى
اسباب السعادة بعد التذكير بها عقلا كما في بيت الحماسة لا يكشف
الغماء الا ابن حرة يرى غمرات الموت ثم يزورها انا من المجرمين منتقمون
فكيف بمن كان اظلم من كل ظالم ولقد اتينا موسى الكتاب كما اتيناك
فلا تكن في مرية شك من لقائه من لقائك الكتاب كقوله وانك
لتلقى القران فانا لقيناك من الكتاب مثل ما لقيناه منه وليس ذلك
ببدع لم يكن قط حتى ترتاب فيه او من لقاء موسى الكتاب او من لقائك
موسى وعنه عليه الصلوة والسلام رايت ليلة اسري بي موسى عليه
السلام رجلا ادم طوالا جعدا كانه من رجال شنوءة وجعلناه اي
المنزل على موسى هدى لبني اسرائيل وجعلنا منهم ائمة يهدون الناس
الى ما فيه من الحكم والاحكام بامرنا اياهم به او بتوفيقنا له لما صبروا

وقرأ حمزة والكسائي ورويس لما صبروا اي لصبرهم على الطاعة او عن
الدنيا وكانوا باياتنا يوقنون لامعانهم فيها النظر ان ربك هو يفصل
بينهم يوم القيامة يقضي فيميز الحق من الباطل بتمييز المحق من المبطل فيما كانوا
فيه يختلفون من امر الدين اولم يهد لهم الواو للعطف على منوي من
جنس المعطوف والفاعل ضمير ما دل عليه كم اهلكنا من قبلهم من القرون
اي كثرة من اهلكناهم من القرون الماضية او ضمير الله بدلالة القراءة
بالنون يمشون في مساكنهم يعني اهل مكة يمرون في متاجرهم على ديارهم
وقرئ يمشّون بالتشديد ان في ذلك لايات افلا يسمعون سماع تدبر
واتعاظ اولم يروا انا نسوق الماء الى الارض الجرز التي جرز نباتها
اي قطع وازيل لا التي لا تنبت فنخرج به زرعا وقيل اسم موضع باليمن
تاكل منه من الزرع انعامهم كالتبن والورق وانفسهم كالحب والتمر
افلا يبصرون فيستدلون به على كمال قدرته وفضله ويقولون متى
هذا الفتح النصر او الفصل بالحكومة من قوله ربنا افتح بيننا ان كنتم
صادقين في الوعد به قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا ايمانهم ولا هم
ينظرون وهو يوم القيامة فانه يوم نصر المؤمنين على الكفرة والفصل
بينهم وقيل يوم بدر او يوم فتح مكة والمراد بالذين كفروا المقتولون منهم
فيه فانه لا ينفعهم ايمانهم حال القتل ولا يمهلون وانطباقه جوابا عن
سؤالهم من حيث المعنى باعتبار ما عرف من غرضهم فانهم لما ارادوا به
الاستعجال تكذيبا واستهزاء اجيبوا بما يمنع الاستعجال فاعرض عنهم ولا
تبال بتكذيبهم وقيل هو منسوخ باية السيف وانتظر النصرة عليهم انهم
منتظرون الغلبة عليك وقرئ بالفتح على معنى انهم احقاء بان ينتظر هلاكهم
او ان الملائكة ينتظرونه عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ الم تنزيل
وتبارك الذي بيده الملك اعطي من الاجر كانما احيا ليلة القدر
وعنه من قرأ الم تنزيل في بيته لم يدخل الشيطان بيته ثلاثة ايام

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها النبي اتق الله ناداه بالنبي
وامره بالتقوى تعظيما له وتفخيما لشان التقوى والمراد به الامر بالثبات
ليكون مانعا له عما نهي عنه بقوله ولا تطع الكافرين والمنافقين فيما

يعودونهم في الدين روي ان ابا سفيان وعكرمة بن ابي جهل وابا
الاعور السلمي قدموا عليه في الموادعة التي كانت بينه وبينهم وقام معهم
ابن ابي ومعتب بن قشير وجد بن قيس فقالوا له ارفض ذكر الهتنا وقل ان
لها شفاعة وندعك وربك فنزلت ان الله كان عليما بالمصالح والمفاسد
حكيما لا يحكم الا بما تقتضيه الحكمة واتبع ما يوحى اليك من ربك
كالنهي عن طاعتهم ان الله بما تعملون خبيرا فموح اليك ما يصلحه ويغني
من الاستماع الى الكفرة وقرا ابو عمرو بالياء على ان الواو ضمير الكفرة
والمنافقين اي ان الله خبير بمكايدهم فيدفعها عنك وتوكل على الله
وكل امرك الى تدبيره وكفى بالله وكيلا موكولا اليه الامور كلها ما جعل
الله لرجل من قلبين في جوفه اي ما جمع قلبين في جوف لان القلب معدن
الروح الحيواني المتعلق للنفس الانساني اولا ومنبع القوى باسرها
وذلك يمنع التعدد وما جعل ازواجكم اللائي تظهرون منهن امهاتكم
وما جعل ادعياءكم ابناءكم وما جمع الزوجية والامومة في امراة ولا
الدعوة والبنوة في رجل والمراد بذلك رد ما كانت العرب تزعم من ان
اللبيب الاريب له قلبان ولذلك قيل لابي معمر او لجميل بن اسد الفهري
ذو القلبين والزوجة المظاهر عنها كالام ودعي الرجل ابنه ولذلك
كانوا يقولون لزيد بن حارثة الكلبي عتيق رسول الله صلى الله عليه وسلم
ابن محمد والمراد نفي الامومة والبنوة عن المظاهر عنها والمتبنى ونفي القلبين
لتمهيد اصل يحملان عليه والمعنى كما لم يجعل الله لرجل قلبين في جوف لادائه
الى التناقض وهو ان يكون كل منهما اصلا لكل القوى وغير اصل لم يجعل
الزوجة والدعي الذين لا ولادة بينهما وبينه امه وابنه الذين بينهما
وبينه ولادة وقرا ابو عمرو واللاي بالياء وحده على ان اصله اللاء بهمزة
فخففت وعن الحجازيين مثله وعنهما وعن يعقوب بالهمزة وحده واصل
تظهرون تتظهرون فادغمت التاء الثانية في الظاء وقرا ابن عامر تظاهرون
بالادغام وحمزة والكسائي بالحذف وعاصم تظاهرون من ظاهر وقرئ
تظهرون من ظهر بمعنى ظاهر كعقد بمعنى عاقد وتظهرون من التظهر ومعنى
الظهار ان يقول للزوجة انت علي كظهر امي ماخوذ من الظهر باعتبار
اللفظ كالتلبية من لبيك وتعديته بمن لتضمنه معنى التجنب لانه كان طلاقا
في الجاهلية وهو في الاسلام يقتضي الطلاق او الحرمة الى اداء الكفارة

كما عدي آلى بها وهو بمعنى حلف وذكر الظهر للكناية عن البطن الذي هو
عموده فان ذكره يقارب ذكر الفرج او للتغليظ في التحريم فانهم كانوا
يحرمون اتيان المراة وظهرها الى السماء وادعياء جمع دعي على الشذوذ وكانه شبه
بفعيل بمعنى فاعل فجمع جمعه ذلكم اشارة الى كل ما ذكر او الى الاخير
قولكم بافواهكم لا حقيقة له في الاعيان كقول الهاذي والله يقول
الحق ماله حقيقة عينية مطابقة له وهو يهدي السبيل سبيل الحق
ادعوهم لابائهم انسبوهم اليه وهو افراد للمقصود من اقواله الحقة
وقوله هو اقسط عند الله تعليل له والضمير لمصدر ادعوا واقسط افعل
تفضيل قصد به الزيادة مطلقا من القسط بمعنى العدل ومعناه البالغ
في الصدق فان لم تعلموا اباءهم فتنسبوهم اليهم فاخوانكم في الدين
فهم اخوانكم في الدين ومواليكم واولياؤكم فيه فقولوا هذا اخي
ومولاي بهذا التاويل وليس عليكم جناح فيما اخطاتم به ولا اثم
عليكم فيما فعلتموه من ذلك مخطئين قبل النهي او بعده على النسيان او
سبق اللسان ولكن ما تعمدت قلوبكم ولكن الجناح فيما تعمدت او ولكن
ما تعمدت فيه الجناح وكان الله غفورا رحيما لعفوه عن المخطئ واعلم
ان التبني لا عبرة به عندنا وعند ابي حنيفة يوجب عتق مملوكه ويثبت
النسب لمجهوله الذي يمكن الحاقه به النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم في
الامور كلها فانه لا يامرهم ولا يرضى منهم الا بما فيه صلاحهم ونجاحهم
بخلاف النفس فلذلك اطلق فيجب ان يكون احب اليهم من انفسهم
وامره انفذ عليهم من امرها وشفقتهم عليه اتم من شفقتهم عليها روي
انه عليه السلام اراد غزوة تبوك فامر الناس بالخروج فقال ناس نستاذن
اباءنا وامهاتنا فنزلت وقرئ وهو اب لهم اي في الدين فان كل نبي اب لامته
من حيث انه اصل فيما به الحياة الابدية ولذلك صار المؤمنون اخوة
وازواجه امهاتهم منزلات منزلتهن في التحريم واستحقاق التعظيم
وفيما عدا ذلك فكالاجنبيات ولذلك قالت عائشة رضي الله عنها
لسنا امهات النساء واولوا الارحام وذوو القرابات بعضهم اولى ببعض
في التوارث وهو نسخ لما كان في صدر الاسلام من التوارث بالهجرة
والموالاة في الدين في كتاب الله في اللوح او فيما انزل وهو هذه الاية
او اية المواريث او فيما فرض الله من المؤمنين والمهاجرين بيان لاولي

الارحام اوصلة لاولي اي واولوا الارحام بحق القرابة اولى بالميراث
من المومنين بحق الدين ومن المهاجرين بحق الهجرة الا ان تفعلوا الى
اوليائكم معروفا استثنا من اعم ما يقدر الاولوية فيه من النفع
والمراد بفعل المعروف التوصية او منقطع كان ذلك في الكتاب مسطورا
كان ما ذكر في الايتين ثابتا في اللوح او القران وقيل في التورية
واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم مقدر باذكر وميثاقهم عهودهم بتبليغ
الرسالة والدعا الى الدين القيم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى
وعيسى ابن مريم خصهم بالذكر لانهم مشاهير ارباب الشرايع وقدم نبينا
صلى الله عليه وسلم تعظيما له واخذنا منهم ميثاقا غليظا عظيم الشان
او موكدا باليمين والتكرير لبيان هذا الوصف ليسال الصادقين عن
صدقهم اي فعلنا ذلك ليسال الله يوم القيمة الانبيا الذين صدقوا
عهدهم عما قالوه لقومهم او تصديقهم اياهم تبكيتا لهم او المصدقين لهم
عن تصديقهم فان مصدق الصادق صادق او المومنين الذين صدقوا
عهدهم حين اشهدهم على انفسهم عن صدقهم عهدهم واعد للكافرين
عذابا اليما عطف على اخذنا من حيث ان بعثة الرسل واخذ الميثاق
منهم لاثابة المومنين او على ما دل عليه ليسال كانه قال فاثاب المومنين
واعد للكافرين يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاتكم
جنود يعني الاحزاب وهم قريش وغطفان ويهود قريظة والنضير
وكانوا زهاء اثني عشر الفا فارسلنا عليهم ريحا ريح الصبا وجنودا
لم تروها الملائكة روي انه عليه السلام لما سمع باقبالهم ضرب الخندق
على المدينة ثم خرج اليهم في ثلثة الاف والخندق بينه وبينهم ومضى
على الفريقين قريب شهر لا حرب بينهم الا الترامي بالنبل والحجارة
حتى بعث الله عليهم صبا باردة في ليلة شاتية فاحصرتهم وسفت
التراب في وجوههم واطفات نيرانهم وقلعت خيامهم وماجت الخيل
بعضها في بعض وكبرت الملائكة في جوانب العسكر فقال طلحة بن خويلد
الاسدي اما محمد فقد بداكم بالسحر فالنجا النجا فانهزموا من غير قتال
وكان الله بما تعملون من حفر الخندق وقرا البصريان بالياء اي بما
يعمل المشركون من التحزب والمحاربة بصيرا رائيا اذ جاوكم بدل من اذ
جاتكم من فوقكم من اعلى الوادي من قبل المشرق بنو غطفان ومن

اسفل منكم من اسفل الوادي من قبل المغرب قريش واذ زاغت الابصار
مالت عن مستوى نظرها حيرة وشخوصا وبلغت القلوب الحناجر رعبا
فان الرية تنتفخ من شدة الروع فيرتفع بارتفاعها الى راس الحنجرة
وهي منتهى الحلقوم مدخل الطعام والشراب وتظنون بالله الظنونا
الانواع من الظن فظن المخلصون الثبت القلوب ان الله منجز
وعده في اعلاء دينه او ممتحنهم فخافوا الزلل وضعف الاحتمال والضعاف
القلوب والمنافقون ما حكى عنهم والالف مزيدة في امثاله تشبيها
للفواصل بالقوافي وقد اجرى نافع وابن عامر وابو بكر فيها الوصل
مجرى الوقف ولم يزدها ابو عمرو وحمزة ويعقوب مطلقا وهو القياس
هنالك ابتلي المومنون اختبروا فظهر المخلص منهم من المنافق والثابت
من المتزلزل وزلزلوا زلزالا شديدا من شدة الفزع وقرئ زلزالا
بالفتح واذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ضعف اعتقاد
ما وعدنا الله ورسوله من الظفر واعلاء الدين الا غرورا وعدا باطلا
قيل قائله معتب بن قشير قال يعدنا محمد فتح فارس والروم واحدنا لا يقدر
ان يتبرز فرقا ما هذا الا وعد غرور واذ قالت طائفة منهم يعني اوس
ابن قيظي واتباعه يا اهل يثرب اهل المدينة وقيل هي اسم ارض وقعت المدينة
في ناحية منها لا مقام لكم لا موضع قيام لكم ههنا وقرا حفص بالضم على
انه مكان او مصدر من اقام فارجعوا الى منازلكم هاربين وقيل المعنى
لا مقام لكم على دين محمد فارجعوا الى الشرك واسلموه لتسلموا او لا مقام لكم
بيثرب فارجعوا كفارا ليمكنكم المقام بها ويستاذن فريق منهم النبي
للرجوع يقولون ان بيوتنا عورة غير حصينة واصلها الخلل ويجوز
ان يكون تخفيف العورة من عورت الدار اذا اختلت وقد قرئ بها وما
هي بعورة بل هي حصينة ان يريدون الا فرارا وما يريدون بذلك
الا الفرار من القتال ولو دخلت عليهم دخلت المدينة او بيوتهم من
اقطارها من جوانبها وحذف الفاعل للايماء بان دخول هؤلاء المتحزبين
عليهم ودخول غيرهم من العساكر سيان في اقتضا الحكم المرتب عليه ثم سئلوا
الفتنة الردة ومقاتلة المسلمين لاتوها لاعطوها وقرا الحجازيان بالقصر
لجاوها وفعلوها وما تلبثوا بها بالفتنة اي باعطائها الا يسيرا ريثما
للسوال والجواب وقيل ما لبثوا بالمدينة بعد الارتداد الا يسيرا ولقد

كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الادبار يعني بني حارثة عاهدوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد حين فشلوا ثم تابوا ان لا يعودوا
لمثله وكان عهد الله مسؤولا مسؤولا عن الوفاء به مجازا عليه قل لن ينفعكم
الفرار ان فررتم من الموت او القتل فانه لا بد لكل شخص من حتف انف
او قتل في وقت معين سبق به القضاء وجرى به القلم واذا لا تمتعون الا
قليلا اي وان نفعكم الفرار مثلا فمتعتم بالتاخير لم يكن ذلك التمتع الا
تمتعا او زمانا قليلا قل من ذا الذي يعصمكم من الله ان اراد بكم سوءا
او اراد بكم رحمة او يصيبكم بسوء ان اراد بكم رحمة فاختصر الكلام كما
في قوله متقلدا سيفا ورمحا او حمل الثاني على الاول لما في العصمة من معنى
المنع ولا يجدون لهم من دون الله وليا ينفعهم ولا نصيرا يدفع الضر عنهم
قد يعلم الله المعوقين منكم المثبطين منكم عن رسول الله وهم المنافقون
والقائلين لاخوانهم من ساكني المدينة هلم الينا قربوا انفسكم الينا وقد
ذكر اصله في الانعام ولا ياتون الباس الا قليلا اي اتيانا او زمانا
او باسا قليلا فانهم يعتذرون ويتثبطون ما امكن لهم او يخرجون مع المؤمنين
ولكن لا يقاتلون الا قليلا لقوله وما قاتلوا الا قليلا وقيل انه من تتمة
كلامهم ومعناه ولا ياتي اصحاب محمد حرب الاحزاب ولا يقاومونهم الا
قليلا اشحة عليكم بخلاء عليكم بالمعاونة او النفقة في سبيل الله او الظفر
والغنيمة جمع شحيح ونصبها على الحال من فاعل ياتون او المعوقين او على الذم
فاذا جاء الخوف رايتهم ينظرون اليك تدور اعينهم في احداقهم
كالذي يغشى عليه كنظر المغشي عليه او كدوران عينه او مشبهين به او مشبهة
بعينه من الموت من معالجة سكرات الموت خوفا ولواذا بك فاذا ذهب
الخوف وحيزت الغنائم سلقوكم ضربوكم بالسنة حداد ذربة يطلبون
الغنيمة والسلق البسط بقهر باليد او اللسان اشحة على الخير نصب على الحال
او الذم ويؤيده قراءة الرفع وليس بتكرير لان كلا منهما مقيد من وجه اولئك
لم يؤمنوا اخلاصا فاحبط الله اعمالهم فاظهر بطلانها اذ لم يثبت لهم اعمال
فتبطل او ابطل تصنعهم ونفاقهم وكان ذلك الاحباط على الله يسيرا هينا
لتعلق الارادة به وعدم ما يمنعه عنه يحسبون الاحزاب لم يذهبوا اي
هؤلاء لجبنهم يظنون ان الاحزاب لم ينهزموا وقد انهزموا ففروا الى داخل
المدينة وان يات الاحزاب كرة ثانية يودوا لو انهم بادون في الاعراب

لو انهم خارجون الى البدو وحاصلون بين الاعراب يسالون كل قادم
من جانب المدينة عن انبائكم عما جرى عليكم ولو كانوا فيكم هذه الكرة ولم
يرجعوا الى المدينة وكان قتال ما قاتلوا الا قليلا رياء وخوفا من التعيير
لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة خصلة حسنة من حقها ان يؤتسى
بها كالثبات في الحرب ومقاساة الشدائد او هو في نفسه قدوة يحسن التاسي
به كقولك في البيضة عشرون منا حديدا اي في نفسها هذا القدر من الحديد
وقرا عاصم بضم الهمزة وهو لغة فيه لمن كان يرجو الله واليوم الآخر اي ثواب الله
او لقاءه ونعيم الآخرة او ايام الله واليوم الآخر خصوصا وقيل هو كقولك ارجو
زيدا وفضله فان اليوم الآخر يوم الله بحسب الحكم والرجاء يحتمل الامل والخوف
ولمن كان صلة لحسنة او صفة لها وقيل بدل من لكم والاكثر على ان ضمير
المخاطب لا يبدل منه وذكر الله كثيرا وقرن بالرجاء كثرة الذكر المؤدية الى ملازمة
الطاعة فان المؤتسي بالرسول من كان كذلك ولما راى المؤمنون الاحزاب
قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله بقوله تعالى ام حسبتم ان تدخلوا الجنة
ولما ياتكم مثل الذين خلوا من قبلكم الآية وقوله عليه الصلاة والسلام سيشتد
الامر باجتماع الاحزاب عليكم والعاقبة لكم عليهم وقوله عليه الصلاة
والسلام انهم سائرون اليكم بعد تسع او عشر وقرا حمزة وابو بكر بكسر الراء
وفتح الهمزة وصدق الله ورسوله وظهر صدق خبر الله ورسوله او صدقا
في النصرة والثواب كما صدقا في البلاء واظهار الاسم للتعظيم وما زادهم
فيه ضمير لما راوا او الخطب او البلاء الا ايمانا بالله وبمواعيده وتسليما
لاوامره ومقاديره من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه
من الثبات مع الرسول والمقاتلة لاعلاء الدين من صدقني اذا قال لك
الصدق فان المعاهد اذا وفى بعهده فقد صدق فيه فمنهم من قضى نحبه
نذره بان قاتل حتى استشهد كحمزة ومصعب بن عمير وانس بن النضر
والنحب النذر استعير للموت لانه كنذر لازم في رقبة كل حيوان ومنهم
من ينتظر الشهادة كعثمان وطلحة وما بدلوا العهد ولا غيروه تبديلا
شيئا من التبديل روي ان طلحة ثبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم
احد حتى اصيبت يده فقال عليه الصلاة والسلام اوجب طلحة وفيه تعريض
لاهل النفاق ومرض القلب بالتبديل وقوله ليجزي الله الصادقين بصدقهم
ويعذب المنافقين ان شاء او يتوب عليهم تعليل للمنطوق والمعرض به

وكان المنافقين قصدوا بالتبديل عاقبة السوء كما قصد المخلصون بالثبات
والوفاء العاقبة الحسنى والتوبة عليهم مشروطة بتوبتهم او المراد بها التوفيق
للتوبة ان الله كان غفورا رحيما لمن تاب ورد الله الذين كفروا
يعني الاحزاب بغيظهم متغيظين لم ينالوا خيرا غير ظافرين وهما حالان
بتداخل او تعاقب وكفى الله المؤمنين القتال بالريح والملائكة وكان الله
قويا على احداث ما يريده عزيزا غالبا على كل شيء وانزل الذين ظاهروهم
ظاهروا الاحزاب من اهل الكتاب يعني قريظة من صياصيهم من حصونهم
جمع صيصة وهي ما يتحصن به ولذلك يقال لقرن الثور والظبي وشوكة
الديك وقذف في قلوبهم الرعب الرهب والخوف وقرئ بالضم فريقا
تقتلون وتاسرون فريقا وقرئ بضم السين روي ان جبريل اتى رسول
الله صلى الله عليه وسلم صبيحة الليلة التي انهزم فيها الاحزاب فقال اتنزع
لامتك والملائكة لم يضعوا السلاح ان الله يامرك بالسير الى بني قريظة
وانا عامد اليهم فاذن في الناس ان لا يصلوا العصر الا ببني قريظة فحاصرهم
احدى وعشرين او خمسا وعشرين حتى جهدهم الحصار فقال لهم تنزلون
على حكمي فابوا فقال على حكم سعد بن معاذ فرضوا به فحكم سعد بقتل
مقاتليهم وسبي ذراريهم ونسائهم فكبر النبي عليه السلام وقال لقد
حكمت بحكم الله من فوق سبعة ارقعة فقتل منهم ستمائة او اكثر واسر سبعمائة
واورثكم ارضهم مزارعهم وديارهم حصونهم واموالهم نقودهم ومواشيهم
واثاثهم روي انه عليه الصلوة والسلام جعل عقارهم للمهاجرين فتكلم فيه
الانصار فقال انكم في منازلكم فقال عمر اما تخمس كما خمست يوم بدر فقال
لا انما جعلت لي طعمة وارضا لم تطؤها كفارس والروم وقيل خيبر
وقيل كل ارض تفتح الى يوم القيمة وكان الله على كل شيء قديرا فيقدر
على كل ذلك يا ايها النبي قل لازواجك ان كنتن تردن الحيوة الدنيا
السعة والتنعم فيها وزينتها وزخارفها فتعالين امتعكن اعطكن
المتعة واسرحكن سراحا جميلا طلاقا من غير ضرار وبدعة روي انهن
سالنه ثياب الزينة وزيادة النفقة فنزلت فبدا بعائشة فخيرها فاختارت
الله ورسوله ثم اختارت الباقيات اختيارها فشكر لهن الله ذلك فانزل
لا يحل لك النساء من بعد وتعليق التسريح بارادتهن الدنيا وجعلها
قسيما لارادتهن الرسول تدل على ان المخيرة اذا اختارت زوجها لم تطلق

خلافا لزيد والحسن ومالك واحدى الروايتين عن علي ويؤيده قول
عائشة خيرنا رسول الله فاخترناه ولم يعده طلاقا وتقديم التمتيع على
التسريح المسبب عنه من الكرم وحسن الخلق وقيل لان الفرقة كانت
بارادتهن كاختيار المخيرة نفسها فانه طلقة رجعية عندنا وبائنة عند الحنفية
واختلف في وجوبه للمدخول بها وليس فيه ما يدل عليه وقرئ امتعكن
واسرحكن بالرفع على الاستيناف وان كنتن تردن الله ورسوله والدار
الاخرة فان الله اعد للمحسنات منكن اجرا عظيما يستحقر دونه الدنيا
وزينتها ومن للتبيين لانهن كلهن كن محسنات يا نساء النبي من يات منكن
بفاحشة بكبيرة مبينة ظاهر قبحها على قراءة ابن كثير وابي بكر والباقون
بكسر الياء يضاعف لها العذاب ضعفين ضعفي عذاب غيرهن اي مثليه
لان الذنب منهن اقبح فان زيادة قبحه تتبع زيادة فضل المذنب والنعمة
عليه ولذلك جعل حد الحر ضعفي حد العبد وعوتب الانبياء بما لا يعاتب به
غيرهم وقرا البصريان يضعف وابن كثير وابن عامر نضعف بالنون وبناء
الفاعل ونصب العذاب وكان ذلك على الله يسيرا لا يمنعه عن التضعيف
كونهن نساء النبي وكيف وهو سببه ومن يقنت منكن ومن يدم على الطاعة
لله ورسوله ولعل ذكر الله للتعظيم لقوله وتعمل صالحا نؤتها اجرها
مرتين مرة على الطاعة ومرة على طلبهن رضا النبي بالقناعة وحسن المعاشرة
وقرا حمزة والكسائي ويعمل بالياء حملا على لفظ من ويؤتها على ان فيه ضمير
اسم الله واعتدنا لها رزقا كريما في الجنة زيادة على اجرها يا نساء النبي
لستن كاحد من النساء اصل احد وحد بمعنى الواحد ثم وضع في النفي
العام مستويا فيه المذكر والمونث والواحد والكثير والمعنى لستن كجماعة
واحدة من جماعات النساء في الفضل ان اتقيتن مخالفة حكم الله ورسوله
فلا تخضعن بالقول فلا تجبن بقولكن خاضعا لينا مثل قول المريبات
فيطمع الذي في قلبه مرض فجور وقرئ بالجزم عطفا على محل النهي على
انه نهي مريض القلب عن الطمع عقيب نهيهن عن الخضوع بالقول وقلن قولا
معروفا حسنا بعيدا عن الريبة وقرن في بيوتكن من وقر يقر وقارا او من
قر يقر حذفت الاولى من راءي اقررن ونقلت كسرتها الى القاف فاستغني
عن همزة الوصل ويؤيده قراءة نافع وعاصم بالفتح من قررت اقر وهو لغة
فيه ويحتمل ان يكون من قار يقار اذا اجتمع ولا تبرجن ولا تتبخترن في

مشيكن تبرج الجاهلية الاولى تبرجا مثل تبرج النسا في ايام الجاهلية
القديمة قيل وهي ما بين ادم ونوح وقيل الزمان الذي ولد فيه كانت
المراة تلبس درعا من اللولو فتمشي وسط الطريق تعرض نفسها على الرجال
والجاهلية الاخرى ما بين عيسى ومحمد عليهما السلام وقيل الجاهلية
الاولى جاهلية الكفر قبل الاسلام والجاهلية الاخرى جاهلية الفسوق
في الاسلام ويعضده قوله عليه الصلوة والسلام لابي الدردا ان فيك
جاهلية قال جاهلية كفر او اسلام قال جاهلية كفر واقمن الصلوة
واتين الزكوة واطعن الله ورسوله في سائر ما امركن به ونهاكن عنه
انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس الذنب المدنس لعرضكم وهو تعليل
لامرهن ونهيهن على الاستيناف ولذلك عمم الحكم اهل البيت نصب
على الندا او المدح ويطهركم عن المعاصي تطهيرا واستعارة الرجس
للمعصية والترشيح بالتطهير للتنفير عنها وتخصيص الشيعة اهل البيت
بفاطمة وعلي وابنيهما رضي الله عنهم لما روي انه عليه الصلوة خرج
ذات غدوة وعليه مرط مرحل من شعر اسود فجلس فاتت فاطمة فادخلها
فيه ثم جا علي فادخله فيه ثم جا الحسن والحسين فادخلهما فيه ثم قال
انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت والاحتجاج بذلك على
عصمتهم وكون اجماعهم حجة ضعيف لان التخصيص بهم لا يناسب ما
قبل الاية وما بعدها والحديث يقتضي انهم اهل البيت لا انه ليس غيرهم
واذكرن ما يتلى في بيوتكن من ايات الله والحكمة من الكتاب
الجامع بين الامرين وهو تذكير بما انعم الله عليهن حيث جعلهن اهل بيت
النبوة ومهبط الوحي وما شاهدن من برحا الوحي مما يوجب قوة الايمان
والحرص على الطاعة حثا على الانتهاء والايتمار فيما كلفن به ان الله كان
لطيفا خبيرا يعلم ويدبر ما يصلح في الدين ولذلك خيركن ووعظكن
او يعلم ما يصلح للنبوة ومن يصلح ان يكون اهل بيته ان المسلمين والمسلمات
الداخلين في السلم المنقادين لحكم الله والمومنين والمومنات المصدقين
بما يجب ان يصدق والقانتين والقانتات المداومين على الطاعة
والصادقين والصادقات في القول والعمل والصابرين والصابرات
على الطاعات وعن المعاصي والخاشعين والخاشعات المتواضعين
لله بقلوبهم وجوارحهم والمتصدقين والمتصدقات بما وجب في مالهم

والصائمين والصائمات الصوم المفروض والحافظين فروجهم
والحافظات عن الحرام والذاكرين الله كثيرا والذاكرات بقلوبهم
والسنتهم اعد الله لهم مغفرة لما اقترفوا من الصغائر لانهن مكفرات
واجرا عظيما على طاعتهم والاية وعد لهن ولامثالهن على الطاعة والتدرع
بهذه الخصال روي ان ازواج النبي قلن يا رسول الله ذكر الله الرجال في
القران بخير فما فينا خير نذكر به فنزلت وقيل لما نزل فيهن ما نزل قال نسا
المسلمين فما نزل فينا شي فنزلت وعطف الاناث على الذكور لاختلاف
الجنسين وهو ضروري وعطف الزوجين على الزوجين لتغاير الوصفين
فليس بضروري ولذلك ترك في قوله مسلمات مومنات قانتات تائبات
عابدات وفائدته الدلالة على ان اعداد المعد لهم للجمع بين هذه الصفات
وما كان لمومن ولا مومنة ما صح له اذا قضى الله ورسوله امرا اي قضى
رسول الله وذكر الله لتعظيم امره والاشعار بان قضاه قضا الله لانه
نزل في زينب بنت جحش بنت عمته اميمة بنت عبد المطلب خطبها رسول
الله صلى الله عليه وسلم لزيد بن حارثة فابت هي واخوها عبد الله وقيل في ام كلثوم
بنت عقبة وهبت نفسها للنبي فزوجها من زيد ان تكون لهم الخيرة من امرهم
ان يختاروا من امرهم شيا بل يجب عليهم ان يجعلوا اختيارهم تبعا لاختيار
الله ورسوله والخيرة ما يتخير وجمع الضمير الاول لعموم مومن ومومنة
من حيث انهما في سياق النفي وجمع الثاني للتعظيم وقرا الكوفيون وهشام
يكون بالتاء ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا بين الانحراف
عن الصواب واذ تقول للذي انعم الله عليه بتوفيقه للاسلام وتوفيقك
لعتقه واختصاصه وانعمت عليه بما وفقك الله فيه وهو زيد ابن حارثة
امسك عليك زوجك زينب وذلك انه عليه الصلوة والسلام ابصرها
بعد ما انكحها اياه فوقعت في نفسه فقال سبحان الله مقلب القلوب فسمعت
زينب بالتسبيحة فذكرت لزيد ففطن ذلك ووقعت في نفسه كراهة
صحبتها فاتى النبي وقال اريد ان افارق صاحبتي فقال ما لك ارابك
منها شي قال لا والله ما رايت منها الا خيرا ولكنها لشرفها تتعظم علي فقال
له امسك عليك زوجك واتق الله في امرها فلا تطلقها ضرارا وتعللا
بتكبرها وتخفي في نفسك ما الله مبديه وهو نكاحها ان طلقها او ارادة
طلاقها وتخشى الناس تعييرهم اياك به والله احق ان تخشاه ان

كان فيه ما يخشى والواو للحال وليست المعاتبة على الاخفا وحده فانه
حسن بل على الاخفا لمخافة قالة الناس واظهار ما ينافي اضماره فان الاولى
في امثال ذلك ان يصمت او يفوض الامر الى ربه فلما قضى زيد منها وطرا
حاجة بحيث ملها ولم يبق له فيها حاجة وطلقها وانقضت عدتها زوجناكها
وقيل قضا الوطر كناية عن الطلاق مثل لا حاجة لي فيك وقرئ زوجتكها
والمعنى انه امر بتزويجها منه او جعلها زوجته بلا واسطة عقد ويؤيده
انها كانت تقول لسائر نسا النبي ان الله تولى انكاحي وانتن زوجكن اولياؤكن
وقيل كان السفير في خطبتها وذلك ابتلا عظيم وشاهد بين على قوة ايمانه
لكيلا يكون على المومنين حرج في ازواج ادعيائهم اذا قضوا منهن
وطرا علة للتزويج وهو دليل على ان حكمه وحكم الامة واحد الا ما خصه
الدليل وكان امر الله امره الذي يريده مفعولا مكونا لا محالة كما كان تزويج
زينب ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له قسم له وقدر من قولهم
فرض له في الديوان ومنه فروض العسكر لارزاقهم سنة الله سن ذلك
سنة في الذين خلوا من قبل من الانبيا وهو نفي الحرج عنهم فيما اباح
لهم وكان امر الله قدرا مقدورا قضا مقضيا وحكما مبتوتا الذين يبلغون
رسالات الله صفة للذين خلوا او مدح لهم منصوب او مرفوع وقرئ رسالة
الله ويخشونه ولا يخشون احدا الا الله تعريض بعد تصريح وكفى بالله
حسيبا كافيا للمخاوف او محاسبا فينبغي ان لا يخشى الا منه ما كان محمد
ابا احد من رجالكم على الحقيقة فيثبت بينه وبينه ما بين الوالد وولده
من حرمة المصاهرة وغيرها ولا ينتقض عمومه بكونه ابا للطاهر والقاسم
وابرهيم لانهم لم يبلغوا مبلغ الرجال ولو بلغوا لكانوا رجاله لا رجالهم
ولكن رسول الله وكل رسول ابو امته لا مطلقا بل من حيث انه شفيق ناصح
لهم واجب التوقير والطاعة عليهم وزيد منهم ليس بينه وبينه ولادة
وقرئ رسول الله بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف ولكن بالتشديد على
حذف الخبر اي ولكن رسول الله من عرفتم انه لم يعش له ولد ذكر
وخاتم النبيين واخرهم الذي ختمهم او ختموا به على قراة عاصم
بالفتح ولو كان له ابن بالغ لاق منصبه ان يكون نبيا كما قال عليه الصلوة
والسلام في ابرهيم حين توفي لو عاش لكان نبيا ولا يقدح فيه نزول عيسى
بعده لانه اذا نزل كان على دينه مع ان المراد انه اخر من نبئ وكان

الله بكل شيء عليما فيعلم من يليق بان يختم به النبوة وكيف ينبغي شانه
يا ايها الذين امنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا يغلب الاوقات ويعم انواع
ما هو اهله من التقديس والتحميد والتهليل والتمجيد وسبحوه بكرة واصيلا
اول النهار واخره خصوصا وتخصيصهما بالذكر للدلالة على فضلهما على
سائر الاوقات لكونهما مشهودين كافراد التسبيح من جملة الاذكار
لانه العمدة فيها وقيل الفعلان موجهان اليهما وقيل المراد بالتسبيح الصلوة
هو الذي يصلي عليكم بالرحمة وملائكته بالاستغفار لكم والاهتمام
بما يصلحكم والمراد بالصلوة المشترك وهو العناية بصلاح امركم وظهور
شرفكم مستعار من الصلا وقيل الترحم والانعطاف المعنوي ماخوذ
من الصلاة المشتملة على الانعطاف الصوري الذي هو الركوع والسجود
واستغفار الملائكة ودعاؤهم للمومنين ترحم عليهم سيما وهو سبب للرحمة
من حيث انهم مجابو الدعوة ليخرجكم من الظلمات الى النور من ظلمات
الكفر والمعصية الى نور الايمان والطاعة وكان بالمومنين رحيما حتى اعتنى
بصلاح امرهم وانافة قدرهم واستعمل في ذلك ملائكته المقربين
تحيتهم من اضافة المصدر الى المفعول اي يحيون يوم يلقونه يوم لقائه
عند الموت او الخروج من القبر او دخول الجنة سلام اخبار بالسلامة
عن كل مكروه وافة واعد لهم اجرا كريما هي الجنة ولعل اختلاف النظم
لمحافظة الفواصل والمبالغة فيما هو اهم يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا
على من بعثت اليهم بتصديقهم وتكذيبهم ونجاتهم وضلالهم وهو حال
مقدرة ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله الى الاقرار به وبتوحيده وبما
يجب الايمان به من صفاته باذنه بتيسيره اطلق له من حيث انه من اسبابه
وقيد به الدعوة ايذانا بانه امر صعب لا يتاتى الا بمعونة من جناب قدسه
وسراجا منيرا يستضاء به عن ظلمات الجهالة ويقتبس من نوره انوار البصائر
وبشر المومنين بان لهم من الله فضلا كبيرا على سائر الامم او على اجر اعمالهم
ولعله معطوف على محذوف مثل فراقب احوال امتك ولا تطع الكافرين
والمنافقين تهييج له على ما هو عليه من مخالفتهم ودع اذاهم ايذاهم
اياك ولا تحتفل به او ايذاءك اياهم مجازاة او مواخذة على كفرهم ولذلك
قيل انه منسوخ وتوكل على الله فانه يكفيكهم وكفى بالله وكيلا موكولا اليه
الامر في الاحوال كلها ولعله سبحانه وتعالى لما وصفه بخمس صفات

لهم

قابل كلا منهما بخطاب يناسبه فحذف مقابل الشاهد وهو الامر بالمراقبة لان
ما بعده كالتفصيل له وقابل المبشر بالامر ببشارة المومنين والنذير
بالنهي عن مراقبة الكفار والمبالاة باذاهم والداعي الى الله بتيسيره بالامر
بالتوكل عليه والسراج المنير بالاكتفا به فان من اناره الله برهانا على جميع
خلقه كان حقيقا بان يكتفى به عن غيره يا ايها الذين امنوا اذا نكحتم
المومنات ثم طلقتموهن من قبل ان تمسوهن تجامعوهن وقرا حمزة والكسايي
بالالف وضم التا فما لكم عليهن من عدة ايام يتربصن فيها بانفسهن
تعتدونها تستوفون عددها من عددت الدراهم فاعتدها كقولك كلته
فاكتاله او تعدونه والاسناد الى الرجال للدلالة على ان العدة حق الازواج
كما اشعر به فما لكم وعن ابن كثير تعتدونها مخففا على ابدال احدى الدالين
بالتا او على انه من الاعتدا بمعنى تعتدون فيها وظاهره يقتضي عدم وجوب
العدة بمجرد الخلوة وتخصيص المومنات والحكم عام للتنبيه على ان من
شان المومن ان لا ينكح الا مومنة تخيرا للنطفة وفايدة ثم ازاحة ما
عسى يتوهم ان تراخي الطلاق ريثما تمكن الاصابة كما يوثر في النسب يوثر
في العدة فمتعوهن اي ان لم يكن مفروضا لها فان الواجب للمفروض لها
نصف المفروض دون المتعة وهو سنة ويجوز ان يول التمتع لما يعمهما
او الامر بالمشترك بين الوجوب والندب فان المتعة سنة للمفروض لها
وسرحوهن اخرجوهن من منازلكم اذ ليس لكم عليهن عدة سراحا جميلا
من غير ضرار ولا منع حق ولا يجوز تفسيره بالطلاق السني لانه مرتب
على الطلاق والضمير لغير المدخول بهن يا ايها النبي انا احللنا لك ازواجك
اللاتي اتيت اجورهن مهورهن لان المهر اجر على البضع وتقييد الاحلال
له باعطايها معجلة لتوقف الحل عليه بل لايثار الافضل له كتقييد احلال
المملوكة بكونها مسبية بقوله وما ملكت يمينك مما افا الله عليك فان
المشتراة لا يتحقق بدو امرها وما جرى عليها وتقييد القرايب بكونها
مهاجرات معه في قوله وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك
وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك ويحتمل تقييد الحل بذلك في
حقه خاصة ويعضده قول ام هاني بنت ابي طالب خطبني رسول الله
فاعتذرت اليه فعذرني ثم انزل الله هذه الاية فلم احل له لاني لم اهاجر
معه كنت من الطلقا وامراة مومنة ان وهبت نفسها للنبي نصب بفعل

يفسره ما قبله او عطف على ما سبق ولا يدفعه التقييد بان التي للاستقبال
فان المعنى بالاحلال الاعلام اي اعلمنا انه يحل امراة مومنة تهب لك نفسها
ولا تطلب مهرا ان اتفق ولذلك نكرها واختلف في اتفاق ذلك والقايل
به ذكر انها ميمونة بنت الحارث وزينب بنت خزيمة الانصارية وام شريك
بنت جابر وخولة بنت حكيم وقري ان بالفتح اي لان وهبت او مدة ان وهبت
كقولك اجلس ما دام زيد جالسا ان اراد النبي ان يستنكحها شرط للشرط
الاول في استيجاب الحل فان هبتها نفسها منه لا يوجب له حلها الا بارادته
نكاحها فانها جارية مجرى القبول والعدول عن الخطاب الى الغيبة بلفظ
النبي مكررا ثم الرجوع اليه في قوله خالصة لك من دون المومنين ايذان
بانه مما خص به لشرف نبوته وتقرير لاستحقاقه الكرامة لاجله واحتج به اصحابنا
على ان النكاح لا ينعقد بلفظ الهبة لان اللفظ تابع للمعنى وقد خص عليه السلم
بالمعنى فيخص باللفظ والاستنكاح طلب النكاح والرغبة فيه وخالصة مصدر
موكد اي خلص احلالها او احلال ما احللنا لك على القيود المذكورة خلوصا
لك او حال من الضمير في وهبت او صفة لمصدر محذوف اي هبة خالصة
قد علمنا ما فرضنا عليهم في ازواجهم من شرايط العقد ووجوب القسم والمهر
بالوطي حيث لم يسم وما ملكت ايمانهم من توسيع الامر فيها انه كيف ينبغي
ان يفرض عليهم والجملة اعتراض بين قوله لكيلا يكون عليك حرج وبين
متعلقه وهو خالصة للدلالة على ان الفرق بينه وبين المومنين في نحو ذلك
لا لمجرد قصد التوسيع عليه بل لمعان تقتضي التوسيع عليه والتضييق عليهم
تارة والعكس اخرى وكان الله غفورا لما يعسر التحرز عنه رحيما بالتوسعة
في مظان الحرج ترجي من تشا منهن تؤخرها وتترك مضاجعتها وتووي
اليك من تشا وتضم اليك وتضاجعها او تطلق من تشا وتمسك من تشا
وقرا نافع وحمزة والكسايي وحفص ترجي بالياء والمعنى واحد ومن ابتغيت
طلبت ممن عزلت طلقت بالرجعة فلا جناح عليك في شي من ذلك ذلك
ادنى ان تقر اعينهن ولا يحزن ويرضين بما اتيتهن كلهن ذلك التفويض
الى مشيتك اقرب الى قرة عيونهن وقلة حزنهن ورضاهن جميعا لانه
حكم كلهن فيه سوا ثم ان سويت بينهن وجدن ذلك تفضلا منك وان
رجحت بعضهن علمن انه بحكم الله فتطمين نفوسهن وقري تقر بضم التا واعينهن
بالنصب وتقر على البنا للمفعول وكلهن تاكيد نون يرضين وقري بالنصب

تاكيد الهن والله يعلم ما في قلوبكم فاجتهدوا في احسانه وكان الله عليما
بذات الصدور حليما لا يعاجل بالعقوبة فهو حقيق بان يتقى لا يحل لك
النساء بالتاء لان تانيث الجمع غير حقيقي وقرا البصريان بالتاء من بعد
من بعد التسع وهو في حقه كالاربع في حقنا او من بعد اليوم حتى لو ماتت
واحدة لم يحل له نكاح اخرى ولا ان تبدل بهن من ازواج فتطلق واحدة
وتنكح مكانها اخرى ومن مزيدة لتاكيد الاستغراق ولو اعجبك حسنهن
حسن الازواج المستبدلة وهو حال من فاعل تبدل دون مفعوله وهو من
ازواج لتوغله في التنكير وتقديره مفروضا اعجابك بهن واختلف في ان
الاية محكمة او منسوخة بقوله ترجي من تشاء منهن وتؤوي اليك من تشاء
على المعنى الثاني وان تقدمها قراءة فهو مسبوق بها نزولا وقيل المعنى لا يحل
لك النساء من بعد الاجناس الاربعة اللاتي نص على احلالهن لك ولا ان
تبدل بهن ازواجا من اجناس اخر الا ما ملكت يمينك استثناء من النساء
لانه يتناول الازواج والاماء وقيل منقطع وكان الله على كل شيء رقيبا فتحفظوا
امركم ولا تتخطوا ما حد لكم يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوت النبي
الا ان يؤذن لكم الى وقت ان يؤذن لكم او الا ماذونا لكم الى طعام
متعلق بيؤذن لانه متضمن معنى يدعو للاشعار بانه لا يحسن الدخول على
الطعام من غير دعوة وان اذن كما اشعر به قوله غير ناظرين اناه غير
منتظرين وقته او ادراكه حال من فاعل لا تدخلوا او المجرور في لكم
وقرئ بالجر صفة لطعام فيكون جاريا على غير من هو له بلا ابراز الضمير
وهو غير جائز عند البصريين وقد امال حمزة والكسائي اناه لانه مصدر
انى الطعام اذا ادرك ولكن اذا دعيتم فادخلوا فاذا طعمتم فانتشروا
تفرقوا ولا تمكثوا والاية خطاب لقوم كانوا يتحينون طعام رسول الله
فيدخلون ويقعدون منتظرين لادراكه مخصوصة بهم وبامثالهم
والا لما جاز لاحد ان يدخل بيوته بالاذن لغير الطعام ولا اللبث
بعد الطعام لمهم ولا مستانسين لحديث لحديث بعضكم بعضا
او لحديث اهل البيت بالتسمع له عطف على ناظرين او مقدر بفعل اي
ولا تدخلوا او ولا تمكثوا ان ذلكم اللبث كان يؤذي النبي لتضييق
المنزل عليه وعلى اهله واشتغاله فيما لا يعنيه فيستحيي منكم من اخراجكم
لقوله والله لا يستحيي من الحق يعني ان اخراجكم حق فينبغي ان لا يترك

حياء كما لا يتركه الله ترك الحيي فامركم بالخروج وقرئ لا يستحي بحذف الياء
الاولى والقاء حركتها على الحاء واذا سالتموهن متاعا شيئا ينتفع به
فاسالوهن من وراء حجاب ستر روي ان عمر رضي الله عنه قال
يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر فلو امرت امهات المؤمنين بالحجاب
فنزلت وقيل انه عليه الصلوة والسلام كان يطعم ومعه بعض اصحابه
فاصاب يد رجل يد عايشة فكره النبي ذلك فنزلت ذلكم اطهر لقلوبكم
وقلوبهن من الخواطر الشيطانية وما كان لكم وما صح لكم ان تؤذوا
رسول الله ان تفعلوا ما يكرهه ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا
من بعد وفاته او فراقه وخص التي لم يدخل بها لما روي ان اشعث بن
قيس تزوج المستعيذة في ايام عمر فهم برجمها فاخبر بانه عليه الصلوة
والسلام فارقها قبل ان يمسها فترك من غير نكير ان ذلكم يعني ايذاءه
ونكاح نسائه كان عند الله عظيما ذنبا عظيما وفيه تعظيم من الله لرسوله
وايجاب لحرمته حيا وميتا ولذلك بالغ في الوعيد عليه فقال ان تبدوا
شيئا كنكاحهن على السنتكم او تخفوه في صدوركم فان الله كان
بكل شيء عليما فيعلم ذلك فيجازيكم به وفي هذا التعميم مع البرهان
على المقصود مزيد تهويل ومبالغة في الوعيد لا جناح عليهن في ابائهن
ولا ابنائهن ولا اخوانهن ولا ابناء اخوانهن ولا ابناء اخواتهن استثناء
لمن لا يجب الاحتجاب عنهم روي انه لما نزلت اية الحجاب قال الاباء
والابناء والاقارب يا رسول الله او نكلمهن ايضا من وراء حجاب فنزلت
وانما لم يذكر العم والخال لانهما بمنزلة الوالدين ولذلك سمي العم ابا
في قوله واله ابائك ابرهيم واسمعيل واسحق او لانه كره ترك الاحتجاب
عنهما مخافة ان يصفان لابنائهما ولا نسائهن يعني نساء المؤمنات
ولا ما ملكت ايمانهن من العبيد والاماء وقيل من الاماء خاصة وقد مر
في سورة النور واتقين الله فيما امرتن به ان الله كان على كل شيء شهيدا لا يخفى
عليه خافية ان الله وملائكته يصلون على النبي يعتنون باظهار شرفه
وتعظيم شانه يا ايها الذين امنوا صلوا عليه اعتنوا انتم ايضا فانكم اولى
بذلك وقولوا اللهم صل على محمد وسلموا تسليما وقولوا السلام عليك
ايها النبي وقيل وانقادوا لاوامره والاية تدل على وجوب الصلوة والسلام
عليه في الجملة وقيل تجب الصلوة كلما جرى ذكره لقوله عليه الصلوة والسلام

رغم انف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي وقوله من ذكرت عنده فلم يصل
علي فدخل النار فابعده الله وتجوز الصلاة على غيره تبعا وتكره استقلالا
لانه في العرف صار شعارا لذكر الرسل ولذلك كره ان يقال محمد عز
وجل وان كان عزيزا وجليلا ان الذين يؤذون الله ورسوله يرتكبون
ما يكرهانه من الكفر والمعاصي او يؤذون رسول الله بكسر رباعيته وقولهم
شاعر مجنون ونحو ذلك وذكر الله للتعظيم ومن جوز اطلاق اللفظ
الواحد على معنيين فسره بالمعنيين باعتبار المعمولين لعنهم الله ابعدهم من
رحمته في الدنيا والاخرة واعد لهم عذابا مهينا يهينهم مع الايلام
والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا بغير جناية
استحقوا بها فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا ظاهرا قيل انها نزلت في
المنافقين يؤذون عليا رضي الله عنه وقيل في اهل الافك وقيل في زناة
كانوا يتبعون النساء وهن كارهات يا ايها النبي قل لازواجك وبناتك
ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن يغطين وجوههن وابدانهن
بملاحفهن اذا برزن لحاجة ومن للتبعيض فان المراة ترخي بعض جلبابها
وتتلفع ببعض ذلك ادنى ان يعرفن يميزن من الاماء والقينات فلا
يؤذين فلا يؤذيهن اهل الريبة بالتعرض لهن وكان الله غفورا لما سلف
رحيما بعباده حيث يراعي مصالحهم حتى الجزئيات منها لئن لم ينته
المنافقون عن نفاقهم والذين في قلوبهم مرض ضعف ايمان وقلة ثبات
عليه او فجور عن تزلزلهم في الدين او فجورهم والمرجفون في المدينة
يرجفون اخبار السوء عن سرايا المسلمين ونحوها من ارجافهم واصله
التحريك من الرجفة وهي الزلزلة سمي به الاخبار الكاذب لكونه متزلزلا
غير ثابت لنغرينك بهم لنامرنك بقتالهم واجلائهم او ما يضطرهم
الى طلب الجلاء ثم لا يجاورونك عطف على لنغرينك وثم للدلالة
على ان الجلاء ومفارقة جوار الرسول اعظم ما يصيبهم فيها في المدينة
الا قليلا زمانا او جوارا قليلا ملعونين نصب على الشتم او الحال والا
شامل له ايضا اي لا يجاورونك الا ملعونين ولا يجوز ان ينتصب عن قوله
اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا لان ما بعد كلمة الشرط لا يعمل فيما
قبلها سنة الله في الذين خلوا من قبل مصدر مؤكد اي سن الله ذلك في
الامم الماضية وهو ان يقتل الذين نافقوا الانبياء وسعوا في وهنهم بالارجاف

ونحوه اينما ثقفوا ولن تجد لسنة الله تبديلا لابتداله او لا يقدر احد
ان يبدلها يسالك الناس عن الساعة عن وقت قيامها استهزاء او تعنتا
او امتحانا قل انما علمها عند الله لم يطلع عليه ملكا ولا نبيا وما يدريك
لعل الساعة تكون قريبا شيئا قريبا او تكون الساعة عن قريب وانتصابه
على الظرف ويجوز ان يكون التذكير لان الساعة في معنى اليوم وفيه
تهديد للمستعجلين واسكات للمتعنتين ان الله لعن الكافرين واعد
لهم سعيرا نارا شديدة الايقاد خالدين فيها ابدا لا يجدون وليا
يحفظهم ولا نصيرا يدفع العذاب عنهم يوم تقلب وجوههم في النار
تصرف من جهة الى جهة كاللحم يشوى بالنار او من حال الى حال وقرئ
تقلب بمعنى تتقلب وتقلب ومتعلق الظرف يقولون يا ليتنا اطعنا
الله واطعنا الرسولا فلن نبتلى بهذا العذاب وقالوا ربنا انا اطعنا
سادتنا وكبراءنا يعنون قادتهم الذين لقنوهم الكفر وقرا ابن عامر
ويعقوب ساداتنا على جمع الجمع للدلالة على الكثرة فاضلونا السبيلا
بما زينوا لنا ربنا آتهم ضعفين من العذاب مثلي ما آتيتنا لانهم
ضلوا واضلوا والعنهم لعنا كبيرا كثير العدد وقرا عاصم بالباء اي لعنا
هو اشد اللعن واعظمه يا ايها الذين امنوا لا تكونوا كالذين آذوا
موسى فبراه الله مما قالوا فاظهر براءته من مقولهم يعني مؤداه او مضمونه
وذلك ان قارون حرض امراة على قذفه بنفسها فعصمه الله كما مر في
القصص وانه اتهمه ناس بقتل هارون لما خرج معه الى الطور فمات
هناك فحملته الملائكة ومروا بهم حتى راوه غير مقتول وقيل احياه الله فاخبر
ببراءته او قذفوه بعيب في بدنه من برص او ادرة لفرط تستره حياء فاطلعهم
الله على انه بريء منه وكان عند الله وجيها ذا قربة ووجاهة وقرئ
وكان عبدا لله وجيها يا ايها الذين امنوا اتقوا الله في ارتكاب ما
يكرهه فضلا عما يؤذي رسوله وقولوا قولا سديدا قاصدا الى الحق
من سد يسد سدادا والمراد النهي عن ضده كحديث زينب من غير قصد
يصلح لكم اعمالكم يوفقكم للاعمال الصالحة او يصلحها بالقبول
والاثابة عليها ويغفر لكم ذنوبكم ويجعلها مكفرة باستقامتكم في القول
والعمل ومن يطع الله ورسوله في الاوامر والنواهي فقد فاز فوزا عظيما
يعيش في الدنيا حميدا وفي الاخرة سعيدا انا عرضنا الامانة على السموات

والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان
تقرير للوعد السابق بتعظيم الطاعة وسماها امانة من حيث انها واجبة
الاداء والمعنى انها لعظمة شانها بحيث لو عرضت على هذه الاجرام العظام
وكانت ذات شعور وادراك لابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان
مع ضعف بنيته ورخاوة قوته لاجرم فان الراعي لها والقائم بحقوقها
بخير الدارين انه كان ظلوما حيث لم يف بها ولم يراع حقها جهولا بكنه
عاقبتها وهذا وصف للجنس باعتبار الاغلب وقيل المراد بالامانة الطاعة
التي تعم الطبيعية والاختيارية وعرضها استدعاؤها الذي يعم طلب الفعل
من المختار وارادة صدوره من غيره وبحملها الخيانة فيها والامتناع
عن ادائها ومنه قولهم حامل الامانة ومحتملها لمن لا يؤديها فتبرا ذمته
ويكون الاباء عنه اتيانا بما يمكن ان يتاتى منه والظلم والجهالة للخيانة
والتقصير وقيل انه تعالى لما خلق هذه الاجرام خلق فيها فهما وقال لها
اني فرضت فريضة وخلقت جنة لمن اطاعني فيها ونارا لمن عصاني فقلن
نحن مسخرات على ما خلقتنا لا نحتمل فريضة ولا نبتغي ثوابا ولا عقابا ولما
خلق ادم عرض عليه مثل ذلك فتحمله وكان ظلوما لنفسه بتحمله ما يشق عليها
جهولا بوخامة عاقبته ولعل المراد بالامانة العقل والتكليف وبعرضها
عليهن اعتبارها بالاضافة الى استعدادهن وبابائهن الاباء الطبيعي الذي هو
عدم اللياقة والاستعداد وبحمل الانسان قابليته واستعداده لها وكونه
ظلوما جهولا لما غلب عليه من القوة الغضبية والشهوية وعلى هذا يحسن
ان يكون علة للحمل عليه فان من فوائد العقل ان يكون مهيمنا على القوتين
حافظا لهما عن التعدي ومجاوزة الحد ومعظم مقصود التكليف تعديلهما
وكسر سورتهما ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات
ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات تعليل للحمل من حيث انه نتيجته
كالتاديب للضرب في ضربته تاديبا وذكر التوبة في الوعد اشعارا بان
كونه ظلوما جهولا في جبلتهم لا يخليهم عن فرطات وكان الله غفورا رحيما
حيث تاب على فرطاتهم واثاب بالفوز على طاعاتهم قال عليه الصلوة والسلام من
قرا سورة الاحزاب وعلمها اهله وما ملكت يمينه اعطي الامان من عذاب القبر

وقيل الا والذين اوتوا العلم الاية واياتها خمس واربعون اية
بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي له ما في السموات
وما في الارض خلقا ونعمة فله الحمد في الدنيا لكمال قدرته وعلى تمام نعمته
وله الحمد في الاخرة لان ما في الاخرة ايضا كذلك وليس هذا من عطف
على المطلق فان الوصف بما يدل على انه المنعم بالنعم الدنيوية قيد الحمد
بها وتقديم الصلة للاختصاص فان النعم الدنيوية قد تكون بوسط
من يستحق الحمد لاجلها ولا كذلك نعم الاخرة وهو الحكيم الذي احكم
امور الدارين الخبير ببواطن الاشياء يعلم ما يلج في الارض كالغيث
ينفذ في موضع وينبع في اخر كالكنوز والدفائن والاموات وما يخرج
منها كالحيوان والنبات والفلزات وماء العيون وما ينزل من السماء
كالملائكة والكتب والمقادير والارزاق والانداء والصواعق وما يعرج
فيها كالملائكة واعمال العباد والابخرة والادخنة وهو الرحيم الغفور
للمفرطين في شكر نعمته مع كثرتها او في الاخرة مع ما له من سوابق هذه
النعم الفائتة للحصر وقال الذين كفروا لا تاتينا الساعة انكار
لمجيئها او استبطاء استهزاء بالوعد به قل بلى رد لكلامهم واثبات لما نفوه
وربي لتاتينكم عالم الغيب تكرير لايجابه مؤكدا بالقسم مقررا لوصف
المقسم به بصفات تقرر امكانه وتنفي استبعاده على ما مر وقرا
حمزة والكسائي علام الغيب للمبالغة وقرا نافع وابن عامر ورويس
عالم الغيب بالرفع على انه خبر محذوف او مبتدا خبره لا يعزب عنه مثقال
ذرة في السموات ولا في الارض وقرا الكسائي لا يعزب بالكسر ولا
اصغر من ذلك ولا اكبر الا في كتاب مبين جملة مؤكدة لنفي العزوب
ورفعهما بالابتداء ويؤيده القراءة بالفتح على نفي الجنس ولا يجوز عطف
المرفوع على مثقال والمفتوح على ذرة بانه فتح في موضع الجر لامتناع
الصرف لان الاستثناء يمنعه اللهم الا اذا جعل الضمير في عنه للغيب
وجعل المثبت في اللوح خارجا عنه لظهوره على المطالعين له فيكون
المعنى لا ينفصل عن الغيب شيء الا مسطورا في اللوح المحفوظ ليجزي الذين
امنوا وعملوا الصالحات علة لقوله لتاتينكم وبيان لما يقتضي اتيانها
اولئك لهم مغفرة ورزق كريم لا تعب فيه ولا من عليه والذين
سعوا في اياتنا بالابطال وتزهيد الناس فيها معاجزين مسابقين

أي يفوتونا وقرأ ابن كثير وأبو عمرو معجزين أي مثبطين عن الايمان من أراده
أولئك لهم عذاب من رجز من سيئ العذاب أليم مؤلم ورفعه ابن
كثير ويعقوب وحفص ويرى الذين أوتوا العلم ويعلم أولوا العلم
من الصحابة ومن شايعهم من الأمة أو من مسلمي أهل الكتاب الذي
أنزل إليك من ربك القرآن هو الحق ومن رفع الحق جعل هو
مبتدأ والحق خبره والجملة ثاني مفعولي يرى وهو مستأنف للاستشهاد
بأولي العلم على الجهلة الساعين في الآيات وقيل منصوب معطوف على
ليجزي أي وليعلم أولوا العلم عند مجيء الساعة أنه الحق عيانا كما علموه
الآن برهانا ويهدي إلى صراط العزيز الحميد الذي هو التوحيد
والتدرع بلباس التقوى وقال الذين كفروا قال بعضهم لبعض هل
ندلكم على رجل يعنون محمدا ينبئكم يحدثكم بأعجب الأعاجيب إذا
مزقتم كل ممزق إنكم لفي خلق جديد أنكم تنشئون خلقا جديدا بعد
أن تمزق أجسادكم كل تمزيق وتفريق بحيث تصير ترابا وتقديم الظرف
للدلالة على البعد والمبالغة فيه وعامله محذوف دل عليه ما بعده فإن
ما قبله لم يقارنه وما بعده مضاف إليه أو محجوب بينه وبينه بأن وممزق
يحتمل أن يكون مكانا بمعنى إذا مزقتم وذهبت بكم السيول كل مذهب
وطرحتكم كل مطرح وجديد بمعنى فاعل من جد كحد من حد وقيل بمعنى
مفعول من جد النساج الثوب إذا قطعه أفترى على الله كذبا أم به جنة
جنون توهمه ذلك ويلقيه على لسانه واستدل بجعلهم إياه قسيم الافتراء
غير معتقدين صدقه على أن بين الكذب والصدق واسطة وهو كل
خبر لا يكون عن بصيرة بالمخبر عنه وضعفه بين لأن الافتراء أخص من
الكذب بل الذين لا يؤمنون بالآخرة في العذاب والضلال
البعيد رد من الله عليهم ترديدهم وإثبات لهم ما هو أفظع من القسمين
وهو الضلال البعيد عن الصواب بحيث لا يرجى الخلاص منه وما هو
مؤداه من العذاب وجعله رسيلا له في الوقوع ومقدما عليه في
اللفظ للمبالغة في استحقاقهم له والبعد في الأصل صفة الضال
ووصف الضلال به على الإسناد المجازي أفلم يروا إلى ما بين أيديهم
وما خلفهم من السماء والأرض إن نشأ نخسف بهم الأرض أو نسقط
عليهم كسفا من السماء تذكير بما يعاينونه مما يدل على كمال قدرة الله

وما يحتمل فيه إزاحة لاستحالته الإحالة حتى جعلوه افتراء وهزءا و
تهديدا عليها والمعنى أعموا فلم ينظروا إلى ما أحاط بجوانبهم من السماء
والأرض ولم يتفكروا أهم أشد خلقا أم هي وإنا إن نشأ نخسف بهم الأرض
أو نسقط عليهم كسفا لتكذيبهم بالآيات بعد ظهور البينات وقرأ حمزة
والكسائي يشأ ويخسف ويسقط بالياء لقوله أفترى على الله وحفص كسفا
بالتحريك إن في ذلك النظر والفكر فيهما وما يدلان عليه لآية لدلالة
لكل عبد منيب راجع إلى ربه فإنه يكون كثير التأمل في أمره ولقد آتينا
داود منا فضلا أي على سائر الأنبياء وهو ما ذكر بعد أو على سائر
الناس فيندرج فيه النبوة والكتاب والملك والصوت الحسن يا جبال
أوبي معه رجعي معه التسبيح أو النوحة على الذنب وذلك إما بخلق
صوت مثل صوته فيها أو بحملها إياه على التسبيح إذا تأمل ما فيها أو
سيري معه حيث سار وقرئ أوبي من الأوب أي ارجعي في التسبيح كلما
رجع فيه وهو بدل من فضلا أو من آتينا بإضمار قولنا أو قلنا والطير
عطف على محل الجبال ويؤيده القراءة بالرفع عطفا على لفظها تشبيها
للحركة البنائية العارضة بالحركة الإعرابية أو على فضلا أو مفعول
معه لأوبي وعلى هذا يجوز أن يكون الرفع بالعطف على ضميره وكان أصل
النظم ولقد آتينا داود منا فضلا تأويب الجبال والطير فبدل بهذا
النظم لما فيه من الفخامة والدلالة على عظمة شأنه وكبرياء سلطانه
حيث جعل الجبال والطيور كالعقلاء المنقادين في نفاذ مشيئته فيهما
وألنا له الحديد جعلناه في يده كالشمع يصرفه كيف يشاء من غير إحماء
وطرق بالآلة أو بقوته أن اعمل أمرناه أن اعمل وأن مفسرة أو مصدرية
سابغات دروعا واسعات وقرئ صابغات وهو أول من اتخذها
وقدر في السرد وقدر في نسجها بحيث يتناسب حلقها أو قدر مساميرها
فلا تجعلها دقاقا فتقلق ولا غلاظا فتخرق ورد بأن دروعه لم تكن
مسمرة ويؤيده قوله وألنا له الحديد واعملوا صالحا الضمير فيه لداود
وأهله إني بما تعملون بصير فأجازيكم عليه ولسليمان الريح أي وسخرنا
له الريح وقرأ أبو بكر الريح بالرفع أي ولسليمان الريح مسخرة وقرئ
الرياح غدوها شهر ورواحها شهر جريها بالغداة مسيرة شهر
وبالعشي كذلك وقرئ غدوتها وروحتها وأسلنا له عين القطر النحاس

المذاب باسالة له من معدنه فنبع منه نبوع الماء من الينبوع ولذلك سماه
عيناً وكان ذلك باليمن ومن الجن من يعمل بين يديه عطف على الريح
ومن الجن حال متقدمة او جملة من مبتدأ وخبر باذن ربه بامره ومن
يزغ منهم عن امرنا ومن يعدل منهم عما امرناه من طاعة سليمان وقرئ
يزغ من ازاغه نذقه من عذاب السعير عذاب الآخرة يعملون له ما
يشاء من محاريب قصوراً حصينة ومساكن شريفة سميت به لانها يذب
عنها ويحارب عليها وتماثيل وصوراً او تماثيل للملائكة والانبياء على ما
اعتادوا من العبادات ليراها الناس فيعبدوا نحو عبادتهم وحرمة
التصاوير شرع مجدد وروي انهم عملوا اسدين في اسفل كرسيه ونسرين
فوقه فاذا اراد ان يصعد بسط الاسدان له ذراعيهما واذا قعد اظله
النسران باجنحتهما وجفان وصحاف كالجواب كالحياض الكبار جمع
جابية من الجباية وهي من الصفات الغالبة كالدابة وقدور راسيات
ثابتات على الاثافي لا تنزل عنها لعظمها اعملوا آل داود شكراً حكاية
لما قيل لهم وشكراً نصب على العلة اي اعملوا له واعبدوه شكراً او المصدر
لان العمل له شكر او الوصف له او الحال او المفعول به وقليل من عبادي الشكور
المتوفر على اداء الشكر بقلبه ولسانه وجوارحه اكثر اوقاته ومع ذلك لا
يوفي حقه لان توفيقه للشكر نعمة تستدعي شكراً آخر لا الى نهاية ولذلك
قيل الشكور من يرى عجزه من الشكر فلما قضينا عليه الموت اي على سليمان
ما دلهم على موته ما دل الجن وقيل آله الا دابة الارض اي الارضة
اضيفت الى فعلها وقرئ بفتح الراء وهو تأثر الخشبة من فعلها يقال ارضت
الارضة الخشبة ارضاً فارضت ارضاً مثل اكلت القوادح الاسنان اكلاً
فاكلت اكلاً تأكل منسأته عصاه من نسأت البعير اذا طردته لانها
يطرد بها وقرئ بفتح الميم وبتخفيف الهمزة قلباً وحذفاً على غير قياس اذ
القياس اخراجها بين بين ومنساة على مفعالة كميضاة في ميضاة ومن
سأته طرف عصاه مشتقاً من ساة القوس وفيه لغتان كما في قحة وقحة
وقرأ نافع وابو عمرو منساته بالف ساكنة بدلاً من الهمزة وابن ذكوان بهمزة
ساكنة وحمزة اذا وقف جعلها بين بين فلما خر تبينت الجن علمت الجن
بعد التباس الامر عليهم ان لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب
المهين انهم لو كانوا يعلمون الغيب كما يزعمون لعلموا موته حيث ما وقع

فلم يلبثوا بعده حولاً في تسخيره الى ان خر او ظهرت الجن وان بما في حيزه
بدل منه اي ظهر ان الجن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب
المهين وذلك ان داود اسس بيت المقدس في موضع فسطاط موسى
عليه السلام فمات قبل تمامه فوصى به الى سليمن فاستعمل الجن فيه فلم يتم
بعد اذ دنى اجله فاعلم به فاراد ان يعمي عليهم موته ليتموه فدعاهم فبنوا
عليه صرحاً من قوارير ليس له باب فقام يصلي متكئاً على عصاه فقبض روحه
وهو متكئ عليها فبقي كذلك حتى اكلتها الارضة فخر ثم فتحوا عنه وارادوا
ان يعرفوا وقت موته فوضعوا الارضة على العصا فاكلت يوماً وليلة
مقداراً فحسبوا على ذلك فوجدوه وقد مات منذ سنة وكان عمره ثلثاً
وخمسين سنة وملك وهو ابن ثلث عشرة سنة وابتدأ لعمارة بيت المقدس
لاربع مضين من ملكه لقد كان لسبإ لاولاد سبا بن يشجب بن يعرب
ابن قحطان ومنع الصرف عنه ابن كثير وابو عمرو لانه صار اسم القبيلة
وعن ابن كثير قلب همزته الفاً ولعله اخرجه بين بين فلم يؤده الراوي كما
وجب في مسكنهم في مواضع سكناهم وهي باليمن يقال لها مأرب بينها
وبين صنعاء مسيرة ثلاث وقرأ حمزة وحفص بالافراد والفتح والكسائي بالكسر
حملاً على ما شذ من القياس كالمسجد والمطلع آية علامة دالة على وجود
الصانع المختار وانه قادر على ما يشاء من الامور العجيبة مجاز للمحسن والمسيء
معاضدة للبرهان السابق كما في قصتي داود وسليمان جنتان بدل من
آية او خبر مبتدأ محذوف تقديره الآية جنتان وقرئ بالنصب على المدح
والمراد جماعتان من البساتين عن يمين وشمال جماعة عن يمين بلدهم
وجماعة عن شماله كل واحدة منهما في تقاربها وتضامها كانها جنة واحدة
او بستانا كل رجل منهم عن يمين مسكنه وعن شماله كلوا من رزق ربكم
واشكروا له حكاية لما قال لهم نبيهم او لسان الحال او دلالة بانهم كانوا
احقاء بان يقال لهم ذلك بلدة طيبة ورب غفور استئناف للدلالة على
موجب الشكر اي هذه البلدة التي فيها رزقكم بلدة طيبة وربكم الذي رزقكم
وطلب شكركم رب غفور فرطات من يشكره وقرئ الكل بالنصب على المدح
قيل كانت اخصب البلاد واطيبها لم يكن فيها عاهة ولا هامة فاعرضوا عن
الشكر فارسلنا عليهم سيل العرم سيل الامر العرم اي الصعب من عرم
الرجل فهو عارم وعريم اذا شرس خلقه وصعب او المطر الشديد او الجرذ

اضاف اليه السيل لانه نقب عليهم سكرا ضربت لهم بلقيس فحقنت به
ما الشجر وتركت فيه نقبا على مقدار ما يحتاجون اليه او المسناة التي
عقدت لهم سكرا على انه جمع عرمة وهي الحجارة المركومة وقيل اسم
واد جا السيل من قبله وكان ذلك بين عيسى ومحمد عليهما السلام وبدلناهم
بجنتيهم جنتين ذواتي اكل خمط ثمر بشع فان الخمط كل نبت
اخذ طعما من مرارة وقيل الاراك او كل شجر لا شوك له والتقدير اكل اكل
خمط فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه في كونه بدلا او عطف
بيان واثل وشي من سدر قليل معطوفان على اكل لا على خمط فان الاثل
هو الطرفا ولا ثمر له وقريا بالنصب عطفا على جنتين ووصف السدر بالقلة
فان جناه هو النبق مما يطيب اكله ولذلك يغرس في البساتين وتسمية البدل
جنتين للمشاكلة والتهكم وقرا ابو عمرو ود واكل بغير تنوين اللام وقرا
الحرميان بتخفيف اكل ذلك جزيناهم بما كفروا بكفرانهم النعمة او بكفرهم
بالرسل اذ روي انه بعث اليهم ثلثة عشر نبيا فكذبوهم وتقديم المفعول
للتعظيم لا للتخصيص وهل نجازي الا الكفور وهل نجازي بمثل ما فعلنا
بهم الا البليغ في الكفران او الكفر وقرا حمزة والكسائي ويعقوب وحفص
نجازي بالنون والكفور بالنصب وجعلنا بينهم وبين القرى التي
باركنا فيها بالتوسعة على اهلها وهي قرى الشام قرى ظاهرة متواصلة
يظهر بعضها لبعض او راكبة متن الطريق ظاهرة لابنا السبيل وقدرنا
فيها السير بحيث يقيل الغادي في قرية ويبيت الرائح في قرية الى ان
يبلغ الشام سيروا فيها على ارادة القول بلسان الحال او المقال
ليالي واياما متى شئتم من ليل او نهار آمنين لا يختلف الامن فيها
باختلاف الاوقات او سيروا آمنين وان طالت مدة سفركم فيها او سيروا
فيها ليالي اعماركم وايامها لا تلقون فيها الا الامن فقالوا ربنا
باعد بين اسفارنا اشروا النعمة وملوا العافية كبني اسرائيل فسالوا
الله ان يجعل بينهم وبين الشام مفاوز ليتطاولوا فيها على الفقرا بركوب
الرواحل وتزود الازواد فاجابهم الله بتخريب القرى المتوسطة وقرا
ابن كثير وابو عمرو وهشام بعد ويعقوب ربنا باعد بلفظ الخبر على
انه شكوى منهم لبعد سفرهم افراطا في الترفه وعدم الاعتداد بما
انعم الله عليهم فيه ومثله قراة من قرا ربنا بعد او بعد على اسم الندا واسناد

الفعل الى بين وظلموا انفسهم حيث بطروا النعمة او لم يعتدوا بها فجعلناهم
احاديث يتحدث الناس بهم تعجبا وضرب مثل فيقولون تفرقوا ايدي سبا
ومزقناهم كل ممزق ففرقناهم غاية التفريق حتى لحق غسان منهم بالشام
وانمار بيثرب وجذام بتهامة والازد بعمان ان في ذلك لايات لكل
صبار عن المعاصي شكور على النعم ولقد صدق عليهم ابليس ظنه
اي صدق في ظنه او صدق يظن ظنه مثل فعلته جهدك ويجوز ان يعدى
الفعل اليه بنفسه كما في صدق وعده لانه نوع من القول وشدده الكوفيون
بمعنى حقق ظنه او وجده صادقا وقرئ بنصب ابليس ورفع الظن مع التشديد
بمعنى وجده ظنه صادقا والتخفيف بمعنى قال له ظنه الصدق حين خيله
اغواهم وبرفعهما والتخفيف على الابدال وذلك اما ظنه بسبا حين
راى انهماكهم في الشهوات او ببني آدم حين راى اباهم آدم ضعيف
العزم او ما ركب فيهم من الشهوة والغضب او سمع من الملائكة اتجعل فيها
من يفسد فيها وقال لاضلنهم ولاغوينهم فاتبعوه الا فريقا من المؤمنين
الا فريقا هم المومنون لم يتبعوه وتقليلهم بالاضافة الى الكفار او الا فريقا
من فرق المومنين لم يتبعوه في العصيان وهم المخلصون وما كان
له عليهم من سلطان تسلط واستيلا بالوسوسة والاستغوا الا لنعلم
من يومن بالآخرة ممن هو منها في شك الا ليتعلق علمنا بذلك تعلقا
يترتب عليه الجزا او ليتميز المومن من الشاك او ليومن من قدر ايمانه ويشك
من قدر ضلاله والمراد من حصول العلم حصول متعلقه مبالغة وفي
نظم الصلتين نكتة لا تخفى وربك على كل شي حفيظ محافظ والزنتان
متآخيتان قل للمشركين ادعوا الذين زعمتم اي الذين زعمتموهم آلهة وهما
مفعولا زعم حذف الاول لطول الصلة والثاني لقيام صفته وهي من
دون الله ولا يجوز ان يكون هو مفعوله الثاني لانه لا يلتئم مع الضمير
كلاما ولا لا يملكون لانهم لا يزعمونه والمعنى ادعوهم فيما يهمكم من جلب
نفع او دفع ضر لعلهم يستجيبون لكم ان صح دعواكم ثم اجاب عنهم اشعارا
بتعين الجواب وانه لا يقبل المكابرة فقال لا يملكون بانفسهم واختيارهم
مثقال ذرة من خير او شر في السموات ولا في الارض في امر ما وذكرهما
للعموم العرفي او لان آلهتهم بعضها سماوية كالملائكة والكواكب وبعضها
ارضية كالاصنام او لان الاسباب القريبة للشر والخير سماوية وارضية

والجملة استئناف لبيان حالهم وما لهم فيهما من شرك من شركة لا خلقا
ولا ملكا وما له منهم من ظهير يعينه على تدبير امرهما ولا تنفع الشفاعة
عنده فلا ينفعهم شفاعتهم ايضا كما يزعمون اذ لا تنفع الشفاعة عند الله
الا لمن اذن له اذن له ان يشفع او اذن ان يشفع له لعلو شانه ولم
يثبت ذلك واللام على الاول كاللام في قولك الكرم لزيد وعلى الثاني
كاللام في جئتك لزيد وقرا ابو عمرو وحمزة والكسائي بضم الهمزة حتى
اذا فزع عن قلوبهم غاية لمفهوم الكلام من ان ثم توقفا وانتظارا للاذن
اي يتربصون فزعين حتى اذا كشف الفزع عن قلوب الشافعين والمشفوع
لهم بالاذن وقيل الضمير للملائكة وقد تقدم ذكرهم ضمنا وقرا ابن عامر و
يعقوب فزع على البنا للفاعل وقرئ فرغ اي نفي الوجل من فرغ الزاد اذا
فني قالوا قال بعضهم لبعض ماذا قال ربكم في الشفاعة قالوا الحق اي
قال القول الحق وهو الاذن بالشفاعة لمن ارتضى وهم المؤمنون وقرئ
بالرفع اي مقوله الحق وهو العلي الكبير ذو العلو والكبرياء ليس لملك
ولا نبي ان يتكلم ذلك اليوم الا باذنه قل من يرزقكم من السموات
والارض يريد به تقرير قوله لا يملكون قل الله اذ لا جواب سواه وفيه
اشعار بانهم ان سكتوا وتلعثموا في الجواب مخافة الالزام فهم مقرون
به بقلوبهم وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين اي وان
احد الفريقين من الموحدين المتوحد بالرزق والقدرة الذاتية بالعبادة
والمشركين به الجمادة النازل في ادنى المراتب الامكانية لعلى احد الامرين
من الهدى والضلال المبين وهو بعد ما تقدم من التقرير البليغ الدال
على من هو على الهدى ومن هو في الضلال ابلغ من التصريح لانه في صورة
الانصاف المسكت للخصم المشاغب ونظيره قول حسان اتهجوه ولست
له بكفوء فشركما لخيركما الفداء وقيل انه على اللف وفيه نظر واختلاف
الحرفين لان الهادي كمن صعد منارا ينظر الاشيا ويتطلع عليها او ركب
جوادا يركضه حيث يشا والضال كانه منغمس في ظلام مرتبك لا يرى
شيا او محبوس في مطمورة لا يستطيع ان يتفصى منها قل لا تسالون
عما اجرمنا ولا نسال عما تعملون هذا ادخل في باب الانصاف وابلغ
في الاخبات حيث اسند الاجرام الى انفسهم والعمل الى المخاطبين قل
يجمع بيننا ربنا يوم القيمة ثم يفتح بيننا بالحق يحكم ويفصل بان يدخل

المحقين الجنة والمبطلين النار وهو الفتاح الحاكم الفيصل في القضايا
المتعلقة العليم بما ينبغي ان يقضى به قل اروني الذين الحقتم به شركاء
لارى باي صفة الحقتموهم بالله في استحقاق العبادة وهو استفسار عن
شبهتهم بعد الزام الحجة عليهم زيادة في تبكيتهم كلا ردع لهم عن المشاركة
بعد ابطال المقايسة بل هو الله العزيز الحكيم الموصوف بالغلبة وكمال
القدرة والحكمة وهؤلاء الملحقون متسمون بالذلة متابية عن قبول العلم
والقدرة راسا والضمير لله او للشان وما ارسلناك الا كافة للناس
الا ارسالة عامة لهم من الكف فانها اذا عمتهم فقد كفتهم ان يخرج منها
احد منهم او الا جامعا لهم في الابلاغ فهي حال من الكاف والتا للمبالغة
ولا يجوز جعلها حالا من الناس على المختار بشيرا ونذيرا ولكن اكثر الناس
لا يعلمون فيحملهم جهلهم على مخالفتك ويقولون متى هذا الوعد من فرط جهلهم
الوعد يعنون المبشر به والمنذر عنه او الموعود بقوله يجمع بيننا ربنا
ان كنتم صادقين مخاطبين به رسول الله والمؤمنين قل لكم ميعاد يوم
وعد يوم او زمان وعد واضافته الى اليوم للتبيين ويؤيده انه قرئ على
البدل وقرئ يوما باضمار اعني لا تستاخرون عنه ساعة ولا تستقدمون
اذا فاجاكم وهو جواب تهديد جا مطابقا لما قصدوه بسؤالهم عن البعث
والانكار وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القران ولا بالذي بين
يديه ولا بما تقدمه من الكتب على البعث وقيل ان كفار مكة سالوا اهل
الكتاب عن الرسول فاخبروهم انهم يجدون نعته في كتبهم فغضبوا وقالوا
ذلك وقيل الذي بين يديه يوم القيمة ولو ترى اذ الظالمون موقوفون
عند ربهم اي في موضع المحاسبة يرجع بعضهم الى بعض القول يتحاورون
ويتراجعون القول يقول الذين استضعفوا يقول الاتباع للذين استكبروا
للرؤسا لولا انتم لولا اضلالكم وصدكم ايانا عن الايمان لكنا مؤمنين
باتباع الرسول قال الذين استكبروا للذين استضعفوا انحن صددناكم
عن الهدى بعد اذ جاءكم بل كنتم مجرمين انكروا انهم كانوا صادين لهم عن
الايمان واثبتوا انهم هم الذين صدوا انفسهم حيث اعرضوا عن الهدى
واثروا التقليد عليه ولذلك بنوا الانكار على الاسم وقال الذين استضعفوا
للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار اضراب عن اضرابهم اي لم يكن
اجرامنا الضلال بل مكركم لنا دائبا ليلا ونهارا حتى اغرتم علينا راينا اذ

حالة

كم

المحقين

تامروننا ان نكفر بالله ونجعل له اندادا والعاطف يعطفه على كلامهم
الاول واضافة المكر الى الظرف على الاتساع وقرئ مكر الليل بالنصب على
المصدرية ومكر الليل بالتنوين ونصب الظرف ومكر الليل من الكرور واسروا
الندامة لما راوا العذاب واضمروها لما يغان الندامة على الضلال والاضلال
واخفاها كل عن صاحبه مخافة التعيير او اظهروها فانه من الاضداد اذ الهمزة
تصلح للاثبات والسلب كما في اشكيته وجعلنا الاغلال في اعناق الذين
كفروا اي في اعناقهم فجاء بالظاهر تنويها بذمهم واشعارا بموجب اغلالهم
هل يجزون الا ما كانوا يعملون اي لا يفعل بهم ما يفعل الا جزاء على اعمالهم
وتعديته يجزي اما لتضمين معنى يقضي او لنزع الخافض وما ارسلنا في
قرية من نذير الا قال مترفوها تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم مما
مني به من قومه وتخصيص المتنعمين بالتكذيب لان الداعي المعظم الى التكبر
والمفاخرة بزخارف الدنيا الانهماك في الشهوات والاستهانة بمن لم
يحظ منها ولذلك ضموا التهكم والمفاخرة الى التكذيب فقالوا انا بما ارسلتم
به كافرون على مقابلة الجمع بالجمع وقالوا نحن اكثر اموالا واولادا
فنحن اولى بما تدعونه ان امكن وما نحن بمعذبين اما لان العذاب لا يكون
او لانه اكرمنا بذلك فلا يهيننا بالعذاب قل ردا لحسبانهم ان ربي يبسط
الرزق لمن يشاء ويقدر ولذلك يختلف فيه الاشخاص المتماثلة في الخصائص
والصفات ولو كان ذلك لكرامة وهوان يوجبانه لم يكن بمشيئته ولكن
اكثر الناس لا يعلمون فيظنون ان كثرة الاموال والاولاد للشرف والكرامة
وكثيرا ما يكون للاستدراج كما قال وما اموالكم ولا اولادكم بالتي
تقربكم عندنا زلفى قربة والتي اما لان المراد وما جماعة اموالكم واو
لادكم او لانها صفة محذوف كالتقوى والخصلة وقرئ بالذي اي بالشيء الذي
يقربكم الا من امن وعمل صالحا استثناء من مفعول تقربكم اي الاموال
والاولاد لا تقرب احدا الا المؤمن الصالح الذي ينفق ماله في سبيل الله
ويعلم ولده الخير ويربيه على الصلاح او من اموالكم واولادكم على حذف
المضاف فاولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا اي يجازون الضعف الى
عشر فما فوقه والاضافة اضافة المصدر الى المفعول وقرئ بالاعمال على
الاصل وعن يعقوب رفعهما على ابدال الضعف ونصب الجزاء على التمييز او المصدر
لفعله الذي دل عليه لهم وهم في الغرفات امنون من المكاره وقرئ

بفتح الراء وسكونها وقرا حمزة في الغرفة على ارادة الجنس والذين يسعون
في اياتنا بالرد والطعن فيها معاجزين مسابقين لانبيائنا او ظانين
انهم يفوتوننا اولئك في العذاب محضرون قل ان ربي يبسط الرزق
لمن يشاء من عباده ويقدر له يوسع عليه تارة ويضيق عليه اخرى فهذا في
شخص واحد باعتبار وقتين وما سبق في شخصين فلا تكرير وما انفقتم من
شيء فهو يخلفه عوضا اما عاجلا او اجلا وهو خير الرازقين فان غيره وسط
في ايصال رزقه لا حقيقة لرازقيته ويوم يحشرهم جميعا المستكبرين و
المستضعفين ثم يقول للملائكة اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون تقريعا
للمشركين وتبكيتا لهم واقناطا لهم عما كانوا يتوقعون من شفاعتهم وتخصيص
الملائكة لانهم اشرف شركائهم والصالحون للخطاب منهم ولان عبادتهم
مبدا الشرك واصله وقرا حفص بالياء فيهما قالوا سبحانك انت ولينا
من دونهم انت الذي نواليه من دونهم لا موالاة بيننا وبينهم كانهم بينوا
بذلك براءتهم من الرضا بعبادتهم ثم اضربوا عن ذلك ونفوا انهم عبدوهم
على الحقيقة بقولهم بل كانوا يعبدون الجن اي الشياطين حيث اطاعوهم
في عبادة غير الله وقيل كانوا يتمثلون لهم ويخيلون اليهم انهم الملائكة
فيعبدونهم اكثرهم بهم مؤمنون الضمير الاول للانس او للمشركين والاكثر
بمعنى الكل والثاني للجن فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا اذ
الامر فيه كله له لان الدار دار جزاء وهو سبحانه المجازي وحده ونقول
للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون عطف على لا يملك
مبين للمقصود من تمهيده واذا تتلى عليهم اياتنا بينات قالوا ما هذا
يعنون محمدا عليه السلام الا رجل يريد ان يصدكم عما كان يعبد اباؤكم
فيستتبعكم بما يستبدعه وقالوا ما هذا يعنون القران الا افك لعدم
مطابقة ما فيه الواقع مفترى باضافته الى الله سبحانه وقال الذين
كفروا للحق لما جاءهم لامر النبوة والاسلام او للقران والاول باعتبار
معناه وهذا باعتبار لفظه واعجازه ان هذا الا سحر مبين ظاهر سحريته
وفي تكرير الفعل والتصريح بذكر الكفرة وما في اللامين من الاشارة الى القائلين
والقول فيه وما في لما من المبادهة الى البت بهذا القول انكار عظيم له
وتعجيب بليغ منه وما اتيناهم من كتب يدرسونها فيها دليل على صحة
الاشراك وما ارسلنا اليهم قبلك من نذير يدعوهم اليه وينذرهم

هم

يلين

على تركه وقد بان من قبل ان لا وجه له فمن اين وقع لهم هذه الشبهة وهذا
في غاية التجهيل لهم والتسفيه لرايهم ثم هددهم فقال وكذب الذين
من قبلهم كما كذبوا وما بلغوا معشار ما آتيناهم وما بلغ هولاء عشر ما
آتينا اوليك من القوة وطول العمر وكثرة المال او ما بلغ اوليك عشر
ما آتينا هولاء من البينات والهدى فكذبوا رسلي فكيف كان نكير فحين
كذبوا رسلي جاءهم انكاري بالتدمير وكيف كان نكيري لهم فليحذر هولاء
من مثله ولا تكرير في كذب لان الاول للتكثير والثاني للتكذيب او الاول
مطلق والثاني مقيد ولذلك عطف عليه بالفاء قل انما اعظكم بواحدة
ارشدكم وانصح لكم بخصلة واحدة وهي ما دل عليه ان تقوموا لله وهو
القيام من مجلس رسول الله او الانتصاب في الامر خالصا لوجه الله معرضا
عن المراء والتقليد مثنى وفرادى متفرقين اثنين اثنين وواحدا واحدا
فان الازدحام يشوش الخاطر ويخلط القول ثم تتفكروا في امر محمد
وما جاء به لتعلموا حقيقته ومحله الجر على البدل او البيان او الرفع
او النصب باضمار هو او اعني ما بصاحبكم من جنة فتعلموا ما به جنون
يحمله على ذلك او استيناف منبه لهم على ان ما عرفوا من رجاحة عقله
كاف في ترجيح صدقه فانه لا يدعه ان يتصدى لادعاء امر خطير وخطب
عظيم من غير تحقق ووثوق ببرهان فيفتضح على رؤوس الاشهاد ويلقي
نفسه الى الهلاك فكيف وقد انضم اليه معجزات كثيرة وقيل ما استفهامية
والمعنى ثم تتفكروا اي شيء به من آثار الجنون ان هو الا نذير لكم بين
يدي عذاب شديد قدامه لانه مبعوث في نسم الساعة قل ما سالتكم
من اجر اي شيء سالتكم من اجر على الرسالة فهو لكم والمراد نفي السؤال
كانه جعل التنبي مستلزما لاحد الامرين اما الجنون واما توقع نفع دنيوي
عليه لانه اما ان يكون لغرض او غيره وايا ما كان يلزم احدهما ثم نفى كلا
منهما وقيل ما موصولة مراد بها ما سالهم بقوله ما اسالكم عليه من اجر
الا من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا ولا اسالكم عليه اجرا الا المودة في القربى
واتخاذ السبيل ينفعهم وقرباه قرباهم ان اجري الا على الله وهو على كل
شيء شهيد مطلع يعلم صدقي وخلوص نيتي وقرا ابن كثير وحمزة والكسائي
باسكان الياء قل ان ربي يقذف بالحق يلقيه وينزله على من يجتبيه من
عباده او يرمي به الباطل فيدمغه او يرمي به الى اقطار الآفاق فيكون وعدا

باظهار

فيكون وعدا باظهار الاسلام وافشائه علام الغيوب صفة محمولة على
محل ان واسمها او بدل من المستكن في يقذف او خبر ثان او خبر محذوف
وقرئ بالنصب صفة لربي او مقدرا باعني وقرا حمزة وابو بكر الغيوب بالكسر
كالبيوت والباقون بالضم كالعشور وقرئ بالفتح كالصبور على انه مبالغة
غايب قل جاء الحق اي الاسلام وما يبدئ الباطل وما يعيد وزهق
الباطل اي الشرك بحيث لم يبق له اثر ماخوذ من هلاك الحي فانه اذا هلك
لم يبق له ابداء ولا اعادة قال اقفر من اهله عبيد فاليوم لا يبدي ولا يعيد
وقيل الباطل ابليس او الصنم والمعنى لا ينشئ خلقا ولا يعيده او لا يبدي خيرا
لاهله ولا يعيد وقيل ما استفهامية منتصبة بما بعده قل ان ضللت عن
الحق فانما اضل على نفسي فان وبال ضلالي عليها لانه بسببها اذ هي الجاهلة
بالذات والامارة بالسوء وبهذا الاعتبار قابل الشرطية بقوله وان
اهتديت فبما يوحي الي ربي فان الاهتداء بهدايته وتوفيقه انه سميع
قريب يدرك قول كل ضال ومهتد وفعله وان اخفاه ولو ترى اذ فزعوا
عند الموت او البعث او يوم بدر وجواب لو محذوف مثل لرايت فظيعا
فلا فوت فلا يفوتون الله بهرب او تحصن واخذوا من مكان قريب
من ظهر الارض الى بطنها او من الموقف الى النار او من صحراء بدر الى القليب
والعطف على فزعوا او لا فوت ويؤيده انه قرئ واخذ عطفا على محله اي
فلا فوت هناك وهناك اخذ وقالوا آمنا به اي بمحمد وقد مر ذكره في
قوله ما بصاحبكم وانى لهم التناوش ومن اين لهم ان يتناولوا الايمان
تناولا سهلا من مكان بعيد فانه في حيز التكليف وقد بعد عنهم وهو
تمثيل حالهم في الاستخلاص بالايمان بعد ما فات عنهم وبعد عنهم او انه
بحال من يريد ان يتناول الشيء من غلوة تناوله من ذراع في الاستحالة وقرا
ابو عمرو والكوفيون غير حفص بالهمز على قلب الواو لضمها او انه من ناشت
الشيء اذا طلبته قال رؤبة اقحمني جار ابي الخاموش اليك ناش القدر
النؤوش او من ناشت اذا تاخرت ومنه قوله تمنى نيشا ان يكون اطاعني
وقد حدثت بعد الامور امور فيكون بمعنى التناول من بعد وقد كفروا
به بمحمد او بالعذاب من قبل من قبل ذلك اوان التكليف ويقذفون بالغيب
ويرجمون بالظن ويتكلمون بما لم يظهر لهم في الرسول عليه السلام من المطاعن
او في العذاب من البت على نفيه من مكان بعيد من جانب بعيد من امره

وهو النسبة التي الحقوها بالرسول وبحال الآخرة كما حكاه من قبل ولعله
تمثيل لحالهم في ذلك بحال من يرمي شيئا لا يراه من مكان بعيد لا مجال للظن
للظن في لحوقه ويقذفون على أن الشيطان يلقي إليهم ويلقنهم ذلك
والعطف على وقد كفروا على حكاية الحال الماضية او على قالوا فيكون تمثيلا
لحالهم بحال القاذف في تحصيل ما ضيعوه من الايمان في الدنيا وحيل بينهم
وبين ما يشتهون من نفع الايمان والنجاة به من النار كما فعل باشياعهم
من قبل باشباههم من كفرة الامم الدارجة انهم كانوا في شك مريب
موقع في الريبة او ذي ريبة منقول من المشكك او الشاك نعت به الشك للمبالغة
عن رسول الله عليه السلام من قرا سورة سبا لم يبق رسول ولا نبي الا كان له يوم القيمة رفيقا ومصافحا

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله فاطر السموات والارض مبدعهما
من الفطر بمعنى الشق كانه شق العدم باخراجهما منه والاضافة محضة
لانه بمعنى الماضي جاعل الملائكة رسلا وسايط بين الله وبين انبيائه
والصالحين من عباده يبلغون اليهم رسالاته بالوحي والالهام والرؤيا
الصادقة او بينه وبين خلقه يوصلون اليهم اثار صنعه اولي اجنحة مثنى
وثلاث ورباع ذوي اجنحة متعددة متفاوتة بتفاوت ما لهم من
المراتب ينزلون بها ويعرجون او يسرعون بها نحو ما وكلهم الله عليه فيتصرفون
فيه على ما امرهم به ولعله لم يرد خصوصية الاعداد ونفي ما زاد عليها
لما روي انه عليه الصلوة والسلام راى جبريل عليه السلام ليلة المعراج
وله ستمائة جناح يزيد في الخلق ما يشاء استيناف للدلالة على ان
تفاوتهم في ذلك بمقتضى مشيته ومودى حكمته لا امر تستدعيه ذواتهم
لان اختلاف الاصناف والانواع بالخواص والفصول ان كان لذواتهم
المشتركة لزم تنافي لوازم الامور المتفقة وهو محال والاية متناولة
زيادات الصور والمعاني كملاحة الوجه وحسن الصوت وحصافة
العقل وسماحة النفس ان الله على كل شيء قدير وتخصيص بعض الاشيا
بالتحصيل دون بعض انما هو من جهة الارادة ما يفتح الله للناس من رحمة
ما يطلق لهم ويرسل وهو من تجوز السبب للمسبب من رحمة كنعمة وامن وصحة
وعلم ونبوة فلا ممسك لها يحبسها وما يمسك فلا مرسل له يطلقه

الآخرة

واختلاف الضميرين لان الموصول الاول مفسر بالرحمة والثاني مطلق يتناولها
والغضب وفي ذلك اشعار بان رحمته سبقت غضبه من بعده من بعد
امساكه وهو العزيز الغالب على ما يشاء ليس لاحد ان ينازعه فيه الحكيم لا
يفعل الا بعلم واتقان ثم لما بين انه الموجد للملك والملكوت والمتصرف فيهما
على الاطلاق امر الناس بشكر انعامه فقال يا ايها الناس اذكروا نعمة الله
عليكم احفظوها بمعرفة حقها والاعتراف بها وطاعة موليها ثم انكر ان يكون
لغيره في ذلك مدخل فيستحق ان يشرك به بقوله هل من خالق غير الله
يرزقكم من السماء والارض لا اله الا هو فانى تؤفكون فمن اي وجه تصرفون
عن التوحيد الى اشراك غيره برفع غير للحمل على محل من خالق فانه
وصف او بدل فان الاستفهام بمعنى النفي او لانه فاعل خالق وجره حمزة
والكسائي حملا على لفظه وقد نصب على الاستثناء ويرزقكم صفة لخالق او
استيناف مفسر له او كلام مبتدا وعلى الاخير يكون اطلاق هل من خالق
مانعا من اطلاقه على غير الله وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك
اي فتاس بهم في الصبر على تكذيبهم فوضع فقد كذبت موضعه استغناء بالسبب
عن المسبب وتنكير رسل للتعظيم المقتضي زيادة التسلية والحث على المصابرة
والى الله ترجع الامور فيجازيكم واياهم على الصبر والتكذيب يا ايها
الناس ان وعد الله بالحشر والجزاء حق لا خلف فيه فلا تغرنكم الحيوة الدنيا
فيذهلكم التمتع بها عن طلب الاخرة والسعي لها ولا يغرنكم بالله الغرور الشيطان
بان يمنيكم المغفرة مع الاصرار على المعصية فانها وان امكنت لكن الذنب بهذا
التوقع كتناول السم اعتمادا على دفع الطبيعة وقرئ بالضم وهو مصدر
او جمع كقعود ان الشيطان لكم عدو عداوة عامة قديمة فاتخذوه عدوا
في عقائدكم وافعالكم وكونوا على حذر منه في مجامع احوالكم انما يدعو حزبه
ليكونوا من اصحاب السعير تقرير لعداوته وبيان لغرضه في دعوة شيعته
الى اتباع الهوى والركون الى الدنيا الذين كفروا لهم عذاب شديد والذين
امنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة واجر كبير وعيد لمن اجاب دعاءه ووعد
لمن خالفه وقطع للاماني الفارغة وبناء للامر كله على الايمان والعمل الصالح
وقوله افمن زين له سوء عمله فراه حسنا تقرير له اي افمن زين له سوء
عمله بان غلب وهمه وهواه على عقله حتى انتكس رايه فراى الباطل حقا والقبيح
حسنا كمن لم يزين له بل وفق حتى عرف الحق واستحسن الاعمال واستقبحها

بفعل

على ما دل عليه فحذف الجواب للدلالة فان الله يضل من يشاء ويهدي
من يشاء وقيل تقديره افمن زين له سوء عمله ذهبت نفسك عليهم حسرة
فحذف الجواب للدلالة فلا تذهب نفسك عليهم حسرات عليه ومعناه
فلا تهلك نفسك عليهم للحسرات على غيهم واصرارهم على التكذيب والفا
الثلاث للسببية غير ان الاوليين دخلتا على السبب والثالثة دخلت
على المسبب وجمع الحسرات للدلالة على تضاعف اغتمامه على احوالهم
او كثرة مساوي افعالهم المقتضية للتاسف وعليهم ليس صلة لها لان
صلة المصدر لا تتقدمه بل صلة تذهب او بيان للمتحسر عليه ان الله
عليم بما يصنعون فيجازيهم عليه والله الذي ارسل الرياح وقرا ابن كثير
وحمزة والكسائي الريح فتثير سحابا على حكاية الحال الماضية استحضارا
لتلك الصورة البديعة الدالة على كمال الحكمة ولان المراد بيان احداثها
بهذه الخاصية ولذلك اسنده اليها ويجوز ان يكون اختلاف الافعال
للدلالة على استمرار الامر فسقناه الى بلد ميت وقرا نافع وحمزة والكسائي
وحفص بتشديد اليا فاحيينا به الارض بالمطر النازل منه وذكر السحاب
كذكره او بالسحاب فانه سبب السبب او الصائر مطرا بعد موتها بعد يبسها
والعدول فيهما من الغيبة الى ما هو ادخل في الاختصاص لما فيهما من مزيد
الصنع كذلك النشور اي مثل احيا الموات نشور الاموات في صحة
المقدورية وليس بينهما الا احتمال اختلاف المادة في المقيس والمقيس عليه
وذلك لا مدخل له فيها وقيل في كيفية الاحيا فانه تعالى يرسل ماء من تحت
العرش تنبت منه اجساد الخلق من كان يريد العزة الشرف والمنعة
فلله العزة جميعا فليطلبها من عنده فان له كلها فاستغنى بالدليل عن
المدلول اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه بيان لما
يطلب به العزة وهو التوحيد والعمل الصالح وصعودهما اليه مجاز عن
قبوله اياهما او صعود الكتبة بصحيفتهما والمستكن في يرفعه للكلم فان
العمل لا يقبل الا بالتوحيد ويؤيده انه نصب العمل او للعمل فانه يحقق
الايمان ويقويه او لله وتخصيص العمل بهذا الشرف لما فيه من الكلفة
وقرئ يصعد على البنائين والمصعد هو الله تعالى او المتكلم به او الملك
وقيل الكلم الطيب يتناول الذكر والدعا وقراة القران وعنه عليه الصلوة
والسلام هو سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر اذا قالها العبد

عرج به الملك الى السماء فحيا بها وجه الرحمن فاذا لم يكن عمل صالح لم
تقبل والذين يمكرون السيئات المكرات السيئات يعني مكرات
قريش للنبي عليه والسلام في دار الندوة وتداورهم الراي في احدى
ثلاث حبسه وقتله واجلائه لهم عذاب شديد لا يؤبه دونه بما
يمكرون به ومكر اولئك هو يبور يفسد ولا ينفذ لان الامور مقدرة
لا تتغير به كما دل عليه والله خلقكم من تراب بخلق ادم منه ثم من نطفة
بخلق ذريته منها ثم جعلكم ازواجا ذكرانا واناثا وما تحمل من انثى
ولا تضع الا بعلمه الا معلومة له وما يعمر من معمر وما يمد في عمر من
مصيره الى الكبر ولا ينقص من عمره من عمر المعمر لغيره بان يعطى له عمر
ناقص من عمره او لا ينقص من عمر المنقوص عمره بجعله ناقصا والضمير له وان
لم يذكر لدلالة مقابله عليه او للمعمر على التسامح فيه ثقة بفهم السامع
كقولهم لا يثيب الله عبدا ولا يعاقبه الا بحق وقيل الزيادة والنقصان
في عمر واحد باعتبار اسباب مختلفة اثبتت في اللوح مثل ان يكون فيه
ان حج عمرو فعمره ستون سنة والا فاربعون وقيل المراد بالنقصان
ما يمر من عمره وينقص فانه يكتب في صحيفة عمره يوما فيوما وعن يعقوب
ولا ينقص على بنا الفاعل الا في كتاب هو علم الله او اللوح او الصحيفة
ان ذلك على الله يسير اشارة الى الحفظ او الزيادة والنقص وما يستوي
البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح اجاج ضرب
مثل المومن والكافر والفرات الذي يكسر العطش والسائغ الذي يسهل
انحداره والاجاج الذي يحرق بملوحته وقرئ سيغ بالتشديد والتخفيف
وملح على فعل ومن كل تاكلون لحما طريا وتستخرجون حلية تلبسونها
استطراد في صفة البحرين وما فيهما من النعم او تمام التمثيل والمعنى كما
انهما وان اشتركا في بعض الفوائد لا يتساويان من حيث انهما لا يتساويان
فيما هو المقصود بالذات من الما فانه خالط احدهما ما افسده وغيره
عن كمال فطرته لا يساوي المومن الكافر وان اتفقا اشتراكهما في بعض
الصفات كالشجاعة والسخاوة لاختلافهما فيما هو الخاصة العظمى
وبقا احدهما على الفطرة الاصلية دون الاخر او تفضيل للاجاج على الكافر
بما يشارك فيه العذب من المنافع والمراد بالحلية اللالى واليواقيت
وترى الفلك فيه في كل مواخر تشق الماء بجريها لتبتغوا من فضله

من فضل الله بالنقلة فيها واللام متعلقة بمواخر ويجوز ان يتعلق بما دل
عليه الافعال المذكورة ولعلكم تشكرون على ذلك وحرف الترجي
باعتبار ما يقتضيه ظاهر الحال يولج الليل في النهار ويولج النهار
في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري لاجل مسمى هي مدة دوره
او منتهاه او يوم القيمة ذلكم الله ربكم له الملك الاشارة الى الفاعل لهذه
الاشيا وفيها اشعار بان فاعليته لها موجبة لثبوت الاخبار المترادفة
ويحتمل ان يكون له الملك كلاما مبتدا في القران والذين تدعون من
دونه ما يملكون من قطمير للدلالة على تفرده بالالوهية والربوبية
والقطمير لفافة النواة ان تدعوهم لا يسمعوا دعاكم لانهم جماد ولو
سمعوا على سبيل الفرض ما استجابوا لكم لعدم قدرتهم على الانفاع
او لتبريهم منكم فيما يدعون لهم ويوم القيمة يكفرون بشرككم باشراككم
لهم يقرون ببطلانه او يقولون ما كنتم ايانا تعبدون ولا ينبئك مثل خبير
ولا يخبرك بالامر مخبر مثل خبير به اخبرك وهو الله سبحانه فانه الخبير به
على الحقيقة دون ساير المخبرين والمراد تحقيق ما اخبر به من حال الهتهم
ونفي ما يدعون لهم يا ايها الناس انتم الفقرا الى الله في انفسكم وما يعن
لكم وتعريف الفقرا للمبالغة في فقرهم كانهم لشدة افتقارهم وكثرة احتياجهم
هم الفقرا وان افتقار ساير الخلايق بالاضافة الى فقرهم غير معتد به
ولذلك قال وخلق الانسان ضعيفا والله هو الغني الحميد المستغني على
الاطلاق المنعم على ساير الموجودات حتى استحق عليهم الحمد ان يشا
يذهبكم ويات بخلق جديد بقوم اخرين اطوع منكم او بعالم اخر غير ما
تعرفونه وما ذلك على الله بعزيز بمتعذر او متعسر ولا تزر وازرة وزر
اخرى ولا تحمل نفس اثمة اثم نفس اخرى واما قوله وليحملن اثقالهم واثقالا
مع اثقالهم ففي الضالين المضلين فانهم يحملون اثقال اضلالهم مع اثقال
ضلالهم وكل ذلك اوزارهم ليس فيها شي من اوزار غيرهم وان تدع
مثقلة نفس اثقلتها الاوزار الى حملها تحمل بعض اوزارها لا يحمل منه
شي لم تجب لحمل شي منه نفي ان يحمل عنها ذنبها كما نفى ان يحمل عليها ذنب
غيرها ولو كان ذا قربى ولو كان المدعو ذا قرابتها فاضمر المدعو لدلالة
ان تدع عليه وقرى ذو قربى على حذف الخبر وهو اولى من جعل كان التامة
فانها لا تلايم نظم الكلام انما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب غايبين

عن عذابه او عن الناس في خلواتهم او غايبا عنهم عذابه واقاموا الصلوة
فانهم المنتفعون بالانذار لا غير واختلاف الفعلين لما مر ومن تزكى ومن تطهر
عن دنس المعاصي فانما يتزكى لنفسه اذ نفعه لها وقرى ومن ازكى فانما يزكي
وهو اعتراض موكد لخشيتهم واقامتهم الصلوة لانها من جملة التزكي والى
الله المصير فيجازيهم على تزكيهم وما يستوي الاعمى والبصير الكافر والمؤمن
وقيل هما مثلان للصنم ولله عز وجل ولا الظلمات ولا النور ولا الباطل
ولا الحق ولا الظل ولا الحرور ولا الثواب ولا العقاب ولا لتاكيد نفي
الاستوا وتكريرها على الشقين لمزيد التاكيد والحرور فعول من الحر غلب على
السموم وقيل السموم ما يهب نهارا والحرور ما يهب ليلا وما يستوي
الاحيا ولا الاموات تمثيل اخر للمؤمنين والكافرين ابلغ من الاول
ولذلك كرر الفعل وقيل للعلما والجهلا ان الله يسمع من يشا هدايته
فيوفقه لفهم اياته والاتعاظ بعظاته وما انت بمسمع من في القبور
ترشيح لتمثيل المصرين على الكفر بالاموات ومبالغة في اقناطه عنهم ان
انت الا نذير فما عليك الا الانذار واما الاسماع فلا اليك ولا حيلة
لك اليه في المطبوع على قلوبهم انا ارسلناك بالحق محقين او محقا او ارسالا
مصحوبا بالحق ويجوز ان يكون صلة لقوله بشيرا ونذيرا اي بشيرا بالوعد
الحق ونذيرا بالوعيد الحق وان من امة اهل عصر الا خلا مضى فيها نذير
من نبي او عالم ينذر عنه والاكتفا بذكره للعلم بان النذارة قرينة البشارة
سيما وقد قرن به من قبل ولان الانذار هو المقصود الاهم من البعثة وان
يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات بالمعجزات
الشاهدة على نبوتهم وبالزبر كصحف ابراهيم وبالكتاب المنير كالتورية
والانجيل على ارادة التفصيل دون الجمع ويجوز ان يراد بهما واحد والعطف
لتغاير الوصفين ثم اخذت الذين كفروا فكيف كان نكير اي انكاري
بالعقوبة الم تر ان الله انزل من السما ما فاخرجنا به ثمرات مختلفا
الوانها اجناسها او اصنافها على ان كلا منها اصناف مختلفة او هياتها
من الصفرة والحمرة ونحوهما ومن الجبال جدد اي ذو جدد اي خطط
وطرايق ويقال جدة الحمار للخطة السودا على ظهره وقرى جدد بالضم جمع
جديد بمعنى الجدة وجدد بفتحتين وهو الطريق الواضح بيض وحمر مختلف
الوانها بالشدة والضعف وغرابيب سود عطف على بيض او على جدد

كانه قيل ومن الجبال جدد مختلفة اللون ومنها غرابيب متحدة اللون
وهو تأكيد مضمر يفسره ما بعده فان الغربيب تأكيد للاسود ومن حق التأكيد
ان يتبع المؤكد ونظير ذلك في الصفة قول النابغة والمؤمن العائذات
الطير ومثله مزيد تأكيد لما فيه من التكرير باعتبار الاضمار والاظهار
ومن الناس والدواب والانعام مختلف الوانه كذلك كاختلاف
الثمار والجبال انما يخشى الله من عباده العلماء اذ شرط الخشية معرفة
المخشي والعلم بصفاته وافعاله فمن كان اعلم به كان اخشى منه ولذلك
قال عليه الصلوة والسلام اني اخشاكم لله واتقاكم وهذا اتبعه ذكر
افعاله الدالة على كمال قدرته وتقديم المفعول لان المقصود حصر الفاعلية
ولو اخر انعكس الامر وقرئ برفع اسم الله ونصب العلماء على ان الخشية
مستعارة للتعظيم فان المعظم يكون مهيبا ان الله عزيز غفور تعليل
لوجوب الخشية لدلالته على انه معاقب للمصر على طغيانه غفور للتائب عن
عصيانه ان الذين يتلون كتاب الله يداومون قراءته او متابعة ما
فيه حتى صارت سمة لهم وعنوانا والمراد بكتاب الله القرآن او جنس كتب
الله فيكون ثناء على المصدقين من الامم بعد اقتصاص حال المكذبين
واقاموا الصلوة وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية كيف اتفق من
غير قصد اليهما وقيل السر في المسنونة والعلانية في المفروضة يرجون
تجارة تحصيل ثواب بالطاعة وهو خبر ان لن تبور لن تكسد ولن تهلك
بالخسران صفة للتجارة وقوله ليوفيهم اجورهم علة لمدلوله اي ينتفي
عنها الكساد وتنفق عند الله ليوفيهم اجورهم بنفاقها اجور اعمالهم
او لمدلول ما عد من امتثالهم نحو فعلوا ذلك ليوفيهم او عاقبة ليرجون ويزيدهم
من فضله على ما يقابل اعمالهم انه غفور لفرطاتهم شكور لطاعاتهم
اي مجازيهم عليها وهو علة للتوفية والزيادة او خبر ان ويرجون حال
من واو انفقوا والذي اوحينا اليك من الكتاب يعني القرآن ومن للتبيين
او الجنس ومن للتبعيض هو الحق مصدقا لما بين يديه احقه مصدقا لما تقدمه
من الكتب السماوية حال مؤكدة لان حقيته تستلزم موافقته اياه في
العقائد واصول الاحكام ان الله بعباده لخبير بصير عالم بالبواطن و
الظواهر فلو كان في احوالك ما ينافي النبوة لم يوح اليك مثل هذا الكتاب
المعجز الذي هو عيار على سائر الكتب وتقديم الخبير للدلالة على ان العمدة

في ذلك الامور الروحانية ثم اورثنا الكتاب حكمنا بتوريثه منك او
نورثه فعبر عنه بالماضي لتحققه او اورثناه من الامم السالفة والعطف
على ان الذين يتلون والذي اوحينا اليك اعتراض لبيان كيفية التوريث
الذين اصطفينا من عبادنا يعني علماء الامة من الصحابة ومن بعدهم او الامة
باسرهم فان الله اصطفاهم على سائر الامم فمنهم ظالم لنفسه بالتقصير
في العمل به ومنهم مقتصد يعمل به في اغلب الاوقات ومنهم سابق بالخيرات
باذن الله بضم التعليم والارشاد الى العمل وقيل الظالم الجاهل والمقتصد
المتعلم والسابق العالم وقيل الظالم المجرم والمقتصد الذي خلط الصالح
بالسيئ والسابق الذي ترجحت حسناته بحيث صارت سيئاته مكفرة وهو
معنى قوله عليه الصلوة والسلام اما الذين سبقوا فاولئك يدخلون
الجنة يرزقون فيها بغير حساب واما الذين اقتصدوا فاولئك يحاسبون
حسابا يسيرا واما الذين ظلموا انفسهم فاولئك يحبسون في طول المحشر ثم
يتلقاهم الله برحمته وقيل الظالم الكافر على ان الضمير للعباد وتقديمه
لكثرة الظالمين ولان الظلم بمعنى الجهل والركون الى الهوى مقتضى الجبلة
والاقتصاد والسبق عارضان ذلك هو الفضل الكبير اشارة الى التوريث
او الاصطفاء او السبق جنات عدن يدخلونها مبتدأ وخبر والضمير
للثلاثة او للذين او للمقتصد والسابق فان المراد بهما الجنس وقرئ
جنة عدن وجنات منصوب بفعل يفسره الظاهر وقرأ ابو عمرو يدخلونها
على بناء المفعول يحلون فيها خبر ثان او حال مقدرة وقرئ يحلون من حليت
المرأة فهي حالية من اساور من ذهب من الاولى للتبعيض والثانية للتبيين
ولؤلؤا عطف على ذهب اي من ذهب مرصع باللؤلؤ او من ذهب في صفاء
اللؤلؤ ونصبه نافع وعاصم عطفا على محل من اساور ولباسهم فيها
حرير وقالوا الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن همهم من خوف العاقبة
او همهم من اجل المعاش او من وسوسة ابليس وغيرها وقرئ الحزن
ان ربنا لغفور للمذنبين شكور للمطيعين الذي احلنا دار المقامة
دار الاقامة من فضله من انعامه وتفضله اذ لا واجب عليه لا يمسنا فيها
نصب تعب ولا يمسنا فيها لغوب كلال اذ لا تكليف فيها ولا كد اتبع
نفي النصب نفي ما يتبعه مبالغة والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم
يحكم عليهم بموت ثان فيموتوا فيستريحوا ونصبه باضمار ان وقرئ فيموتون

عطف على يقضى كقوله ولا يؤذن لهم فيعتذرون ولا يخفف عنهم من
عذابها بل كلما خبت زيد إسعارها كذلك مثل ذلك الجزاء نجزي كل
كفور مبالغ في الكفر أو الكفران وقرأ أبو عمرو ويجزى على بناء المفعول
وإسناده إلى كل وقرئ يجازي وهم يصطرخون فيها يستغيثون
فيها يفتعلون من الصراخ وهو الصياح استعمل في الاستغاثة لجهد المستغيث
صوته ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل بإضمار القول
وتقييد العمل الصالح بالوصف المذكور للتحسر على ما عملوه من غير الصالح
والاعتراف به والإشعار بأن استخراجهم لتلافيه وأنهم كانوا يحسبون
أنه صالح والآن تحقق لهم خلافه أولم نعمركم ما يتذكر فيه من
تذكر وجاءكم النذير جواب من الله وتوبيخ لهم وما يتذكر فيه متناول
كل عمر يمكن المكلف فيه من التفكر والتذكر وقيل ما بين العشرين إلى
الستين وعنه عليه الصلاة والسلام العمر الذي أعذر الله فيه إلى ابن آدم
ستون سنة والعطف على معنى أولم نعمركم فإنه للتقرير كأنه قيل عمرناكم
وجاءكم النذير وهو النبي صلى الله عليه وسلم أو الكتاب وقيل العقل أو الشيب
أو موت الأقارب فذوقوا فما للظالمين من نصير يدفع العذاب
عنهم إن الله عالم غيب السماوات والأرض لا يخفى عليه خافية فلا يخفى
عليه أحوالهم إنه عليم بذات الصدور تعليل له لأنه إذا علم مضمرات
الصدور وهو أخفى ما يكون كان أعلم بغيرها هو الذي جعلكم خلائف
في الأرض ملقى إليكم مقاليد التصرف فيها وقيل خلفا بعد خلف جمع
خليفة والخلفاء جمع خليف فمن كفر فعليه كفره جزاء كفره ولا يزيد
الكافرين كفرهم عند ربهم إلا مقتا ولا يزيد الكافرين كفرهم
إلا خسارا بيان له والتكرير للدلالة على أن اقتضاء الكفر لكل واحد
من الأمرين مستقل باقتضاء قبحه ووجوب التجنب عنه والمراد بالمقت
وهو أشد البغض مقت الله وبالخسار خسار الآخرة قل أرأيتم شركاءكم
الذين تدعون من دون الله يعني آلهتهم والإضافة إليهم لأنهم جعلوهم
شركاء الله أو لأنفسهم فيما يملكونه أروني ماذا خلقوا من الأرض بدل
من أرأيتم بدل الاشتمال لأنه بمعنى أخبروني كأنه قال أخبروني عن هؤلاء
الشركاء أروني أي جزء من الأرض استبدوا بخلقه أم لهم شرك في السماوات
أم لهم شركة مع الله في خلق السماوات فاستحقوا بذلك شركة في الألوهية

ذاتية أم آتيناهم كتابا ينطق على أنا اتخذناهم شركاء فهم على بينة منه على حجة
من ذلك الكتاب بأن لهم شركة جعلية ويجوز أن يكون هم للمشركين كقوله
أم أنزلنا عليهم سلطانا وقرأ نافع وابن عامر ويعقوب وأبو بكر والكسائي
على بينات فيكون إيماء إلى أن الشرك خطير لا بد فيه من تعاضد الدلائل
بل إن يعد الظالمون بعضهم بعضا إلا غرورا لما نفى أنواع الحجج في
ذلك أضرب عنه بذكر ما حملهم عليه وهو تغرير الأسلاف الأخلاف أو الرؤساء
الأتباع بأنهم شفعاء عند الله يشفعون لهم بالتقرب إليهم إن الله يمسك
السماوات والأرض أن تزولا كراهة أن تزولا فإن الممكن حال بقائه
لا بد له من حافظ أو يمنعهما أن تزولا لأن الإمساك منع ولئن زالتا
إن أمسكهما ما أمسكهما من أحد من بعده من بعد الله أو من بعد الزوال
والجملة سادة مسد الجوابين ومن الأولى زائدة والثانية للابتداء إنه
كان حليما غفورا حيث أمسكهما وكانتا جديرتين بأن تهدا هدا كما قال
تكاد السماوات يتفطرن وتنشق الأرض وأقسموا بالله جهد أيمانهم
لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من إحدى الأمم وذلك أن قريشا
لما بلغهم أن أهل الكتاب كذبوا رسلهم قالوا لعن الله اليهود والنصارى
لو أتانا رسول لنكونن أهدى من إحدى الأمم أي من واحدة من الأمم
اليهود أو النصارى أو غيرهما أو من الأمة التي يقال فيها إحدى الأمم
تفضيلا لها على غيرها في الهدى والاستقامة فلما جاءهم نذير يعني
محمدا عليه الصلاة والسلام ما زادهم أي النذير أو مجيئه على التسبب
إلا نفورا تباعدا عن الحق استكبارا في الأرض بدل من نفورا أو مفعول
له ومكر السيئ أصله وأن مكروا المكر السيئ فحذف الموصوف استغناء
بوصفه ثم بدل أن مع الفعل بالمصدر ثم أضيف وقرأ حمزة وحده بسكون
الهمزة في الوصل ولا يحيق ولا يحيط المكر السيئ إلا بأهله وهو الماكر
وقد حاق بهم يوم بدر وقرئ ولا يحيق المكر أي لا يحيق الله فهل
ينظرون إلا سنت الأولين سنة الله فيهم بتعذيب مكذبيهم فلن تجد
لسنت الله تبديلا ولن تجد لسنت الله تحويلا إذ لا يبدلها بجعل
غير التعذيب تعذيبا ولا يحولها بأن ينقله من المكذبين إلى غيرهم وقوله
أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم
استشهاد عليه بما يشاهدونه في مسايرهم إلى الشام واليمن والعراق

من اثار الماضين وكانوا اشد منهم قوة وما كان الله ليعجزه من شيء ليسبقه ويفوته في السموات ولا في الارض انه كان عليما بالاشيا كلها قديرا عليها ولو يواخذ الله الناس بما كسبوا من المعاصي ما ترك على ظهرها على ظهر الارض من دابة من نسمة تدب عليها بشوم معاصيهم وقيل المراد بالدابة الانس وحده لقوله ولكن يوخرهم الى اجل مسمى هو يوم القيامة فاذا جا اجلهم فان الله كان بعباده بصيرا فيجازيهم على اعمالهم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الملايكة دعته ثمانية ابواب الجنة ان ادخل من اي باب شيت

وعنه عليه الصلاة والسلام يس تدعى المعمة تعم صاحبها خير الدارين والدافعة والقاضية تدفع عنه كل سوء وتقضي له كل حاجة وايها ثلث وثمانون اية بسم الله الرحمن الرحيم يس كالم في المعنى والاعراب وقيل معناه يا انسان بلغة طي على ان اصله يا انيسين فاقتصر على شطره لكثرة النداء به كما قيل من الله في ايمن الله وقرئ بالكسر كجير وبالفتح على البنا كاين او الاعراب على اتل يس او باضمار حرف القسم والفتحة لمنع الصرف وبالضم بنا كحيث او اعرابا على هذه يس وامال اليا حمزة والكسائي وابو بكر وادغم النون في واو والقران الحكيم ابن عامر وابو بكر والكسائي وورش ويعقوب وهي واو القسم او العطف ان جعل يس مقسما به انك لمن المرسلين على صراط مستقيم لمن الذين ارسلوا على صراط مستقيم وهو التوحيد والاستقامة في الامور فيجوز ان يكون على صراط خبرا ثانيا وحالا من المستكن في الجار والمجرور وفائدته وصف الشرع بالاستقامة صريحا وان دل عليه لمن المرسلين التزاما تنزيل العزيز الرحيم خبر محذوف والمصدر بمعنى المفعول وقرا ابن عامر وحمزة والكسائي وحفص بالنصب على اضمار اعني او فعله على انه على المصدر وقرئ بالجر على البدل من القران لتنذر قوما متعلق بتنزيل او بمعنى لمن المرسلين ما انذر اباوهم قوما غير منذر اباوهم يعني اباهم الاقربين لتطاول مدة الفترة فيكون صفة مبينة لشدة حاجتهم الى ارساله او الذي انذر به او شيا انذر به اباوهم الابعدون

فيكون مفعولا ثانيا لتنذر او انذار اباهم على المصدر فهم غافلون متعلق بالنفي على الاول اي لم ينذروا فبقوا غافلين وبقوله انك لمن المرسلين على الوجوه الاخر اي ارسلناك اليهم لتنذرهم فانهم غافلون لقد حق القول على اكثرهم يعني قوله لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين فهم لا يومنون لانهم ممن علم الله انهم لا يومنون انا جعلنا في اعناقهم اغلالا تقرير لتصميمهم على الكفر والطبع على قلوبهم بحيث لا تغني عنهم الايات والنذر بتمثيلهم بالذين غلت اعناقهم فهي الى الاذقان فالاغلال واصلة الى اذقانهم فلا تخليهم يطاطيون روسهم له فهم مقمحون رافعون روسهم غاضون ابصارهم في انهم لا يلتفتون لفت الحق ولا يعطفون اعناقهم نحوه ولا يطاطيون روسهم له وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا فاغشيناهم فهم لا يبصرون وبمن احاط بهم سدان يغطي ابصارهم بحيث لا يبصرون قدامهم وورا هم في انهم محبوسون في مطمورة الجهالة ممنوعون عن النظر في الايات والدلايل وقرا حمزة والكسائي وحفص سدا بالفتح وهو لغة فيه وقيل ما كان بفعل الناس فبالفتح وما كان بخلق الله فبالضم وقرئ فاعشيناهم من العشى وقيل الايتان في بني مخزوم حلف ابو جهل ان يرضخ راس النبي صلى الله عليه وسلم فاتاه وهو يصلي ومعه حجر ليدمغه فلما رفع يده انثنت الى عنقه ولزق الحجر بيده حتى فكوه عنها بجهد فرجع الى قومه فاخبرهم فقال مخزومي اخر انا اقتله بهذا الحجر فذهب فاعماه الله وسوا عليهم انذرتهم ام لم تنذرهم لا يومنون سبق في البقرة تفسيره انما تنذر انذارا يترتب عليه البغية المرومة من اتبع الذكر اي القران بالتامل فيه والعمل به وخشي الرحمن بالغيب خاف عقابه قبل حلوله ومعاينة اهواله او في سريرته ولا يغتر برحمته فانه كما هو رحمن منتقم قهار فبشره بمغفرة واجر كريم انا نحن نحيي الموتى الاموات بالبعث او الجهال بالهداية ونكتب ما قدموا ما اسلفوا من الاعمال الصالحة والطالحة واثارهم الحسنة كعلم علموه وحبيس وقفوه والسيئة كاشاعة باطل وتاسيس ظلم وكل شيء احصيناه في امام مبين يعني اللوح المحفوظ واضرب لهم ومثل لهم من قولهم هذه الاشيا على ضرب واحد اي مثال واحد وهو يتعدى الى مفعولين لتضمنه

معنى الجعل وهما مثلا أصحاب القرية على حذف المضاف أي اجعل
لهم مثل أصحاب القرية مثلا ويجوز أن يقتصر على واحد ويجعل المقدر
بدلا من الملفوظ أو بيانا له والقرية انطاكية إذ جاءها المرسلون بدل
من أصحاب القرية والمرسلون رسل عيسى إلى أهلها وإسناده تعالى إلى
نفسه في قوله إذ أرسلنا إليهم اثنين لأنه فعل رسوله وخليفته
وهما يحيى ويونس وقيل غيرهما فكذبوهما فعززنا فقوينا وقرأ
أبو بكر مخففا من عزه إذا غلبه وحذف المفعول لدلالة ما قبله عليه
ولأن المقصود ذكر المعزز به بثالث هو شمعون فقالوا إنا إليكم مرسلون
وذلك أنهم كانوا عبدة أصنام فأرسل إليهم عيسى اثنين فلما قربا من المدينة
رأيا حبيبا النجار يرعى غنما فسألهما فأخبراه فقال أمعكما آية فقالا
نشفي المريض ونبرئ الأكمه والأبرص وكان له ولد مريض فمسحاه فبرأ
فآمن حبيب وفشا الخبر فشفي على أيديهما خلق كثير وبلغ حديثهما
إلى الملك وقال لهما ألنا إله سوى آلهتنا قالا نعم من أوجدك وآلهتك
قال حتى أنظر في أمركما فحبسهما ثم بعث عيسى شمعون فدخل متنكرا وعاشر
أصحاب الملك حتى استأنسوا به وأوصلوه إلى الملك فأنس به فقال
له يوما سمعت أنك حبست رجلين فهل سمعت ما يقولانه قال لا فدعاهما
فقال شمعون من أرسلكما قالا الله الذي خلق كل شيء وليس له شريك
فقال صفاه وأوجزا فقالا يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد قال وما آيتكما
قالا ما يتمنى الملك فدعا بغلام مطموس العينين فدعوا الله حتى انشق
له بصر وأخذا بندقتين فوضعا في حدقتيه فصارتا مقلتين ينظر
بهما فقال له شمعون أرأيت لو سألت إلهك حتى يصنع مثل هذا حتى
يكون لك ولها الشرف قال ليس لي عنك سر إلهنا لا يسمع ولا يبصر
ولا يضر ولا ينفع ثم قال إن قدر إلهكما على إحياء ميت آمنا به فدعوا
بغلام مات منذ سبعة أيام فدعوا فقام فقال إني دخلت في سبعة
أودية من النار وأنا أحذركم ما أنتم فيه فآمنوا وقال فتحت أبواب
السماء فرأيت شابا حسنا يشفع لهؤلاء الثلاثة شمعون وهذان فلما
رأى شمعون أن قوله قد أثر فيه نصحه فآمن في جمع ومن لم يؤمن
صاح عليهم جبريل فهلكوا قالوا ما أنتم إلا بشر مثلنا لا مزية
لكم علينا تقتضي اختصاصكم بما تدعون ورفع بشر لانتقاض النفي

المقتضي

المقتضي إعمال ما بإلا وما أنزل الرحمن من شيء وحي ورسالة إن أنتم إلا
تكذبون في دعوى رسالته قالوا ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون استشهدوا
بعلم الله وهو يجري مجرى القسم وزادوا اللام المؤكدة لأنه جواب عن إنكارهم
وما علينا إلا البلاغ المبين الظاهر البين بالآيات الشاهدة لصحته
وهو المحسن للاستشهاد فإنه لا يحسن إلا ببينة قالوا إنا تطيرنا بكم تشاءمنا
بكم وذلك لاستغرابهم ما ادعوه واستقباحهم له وتنفرهم عنه لئن
لم تنتهوا عن مقالتكم هذه لنرجمنكم وليمسنكم منا عذاب أليم
قالوا طائركم معكم سبب شؤمكم معكم وهو سوء عقيدتكم وأعمالكم
وقرئ طيركم معكم أئن ذكرتم وعظتم به وجواب الشرط محذوف مثل
تطيرتم أو توعدتم بالرجم والتعذيب وقد زيد ألف بين الهمزتين وفتح
أن بمعنى أتطيرتم لأن ذكرتم وإن وأن بغير استفهام وأين ذكرتم بمعنى طائركم معكم
حيث جرى ذكركم وهو أبلغ بل أنتم قوم مسرفون قوم عادتكم الإسراف
في العصيان فمن ثم جاءكم الشؤم أو في الضلال ولذلك توعدتم وتشاءمتم
بمن يجب أن يكرم ويتبرك به وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى هو حبيب النجار
وكان ينحت أصنامهم وهو ممن آمن بمحمد عليه السلام وبينهما ستمائة سنة
وقيل كان في غار يعبد الله فلما بلغه خبر الرسل جاء وأظهر دينه قال يا قوم
اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسألكم أجرا على النصح وتبليغ الرسالة
وهم مهتدون إلى خير الدارين وما لي لا أعبد الذي فطرني على قراءة غير
حمزة فإنه يسكن الياء في الوصل تلطف بالإرشاد بإيراده في معرض المناصحة
لنفسه وإمحاض النصح حيث أراد لهم ما أراد لها والمراد تقريعهم على تركهم
عبادة خالقهم إلى عبادة غيره ولذلك قال وإليه ترجعون مبالغة في
التهديد ثم عاد إلى المساق الأول فقال أأتخذ من دونه آلهة إن يردن
الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيئا لا تنفعني شيئا ولا ينقذون
بالنصرة والمظاهرة إني إذا لفي ضلال مبين فإن إيثار ما لا ينفع ولا يدفع
ضرا بوجه ما على الخالق المقتدر على النفع والضر وإشراكه به ضلال بين
لا يخفى على عاقل وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بفتح الياء إني آمنت بربكم
الذي خلقكم فاسمعون فاسمعوا إيماني وقيل الخطاب للرسل فإنه لما نصح
قومه أخذوا يرجمونه فأسرع نحوهم قبل أن يقتلوه قيل ادخل الجنة قيل
له ذلك لما قتلوه بشرى بأنه من أهل الجنة أو إكراما وإذنا في دخولها كسائر

الشهدا وقيل ماهتوا بقتله فرفعه الله الى الجنة على ما قاله الحسن وانما لم يقل
له لان الغرض بيان المقول دون المقول له فانه معلوم والكلام استئناف
في حيز الجواب عن السوال عن حاله عند لقاء ربه بعد تصلبه في نصر دينه
ولذلك قال قال يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من
المكرمين فانه جواب عن السوال عن قوله عند ذلك القول له وانما تمنى
علم قومه بحاله ليحملهم على اكتساب مثلها بالتوبة عن الكفر والدخول في الايمان
والطاعة على دأب الاولياء في كظم الغيظ والترحم على الاعداء او ليعلموا انهم كانوا
على خطا عظيم في امره وانه كان على حق وقرئ المكرمين وما خبرية او مصدرية
والباء صلة يعلمون او استفهامية جاءت على الاصل والباء صلة غفر اي باي
شي غفر لي يريد به المهاجرة عن دينهم والمصابرة على اذيتهم وما انزلنا على
قومه من بعده من بعد اهلاكه او رفعه من جند من السما لاهلاكهم
كما انزلنا يوم بدر والخندق بل كفينا امرهم بصيحة ملك وفيه استحقار لاهلاكهم
وايما بتعظيم الرسول عليه الصلوة والسلام وما كنا منزلين وما صح في
حكمتنا ان ننزل جند الاهلاك قومه اذ قدرنا لكل شي سببا وجعلنا ذلك
سببا لانتصارك من قومك وقيل ما موصولة معطوفة على جند اي وما كنا
منزلين على من قبلهم من حجارة وريح وامطار شديدة ان كانت ما كانت
الاخذة او العقوبة الا صيحة واحدة صاح بها جبريل وقرئ بالرفع على
كان التامة فاذا هم خامدون ميتون شبهوا بالنار رمزا الى ان الحي
كالنار الساطع والميت كرمادها كما قال لبيد وما المرء الا كالشهاب
وضوئه يحور رمادا بعد اذ هو ساطع يا حسرة على العباد تعالي فهذه
من الاحوال التي من حقها ان تحضري فيها وهي ما دل عليها ما ياتيهم
من رسول الا كانوا به يستهزؤن فان المستهزئين بالناصحين المخلصين
المنوط بنصحهم خير الدارين احقاء بان يتحسروا ويتحسر عليهم وقد تلهف على
حالهم الملائكة والمؤمنون من الثقلين ويجوز ان يكون تحسرا من الله عليهم
على سبيل الاستعارة لتعظيم ما جنوه على انفسهم ويؤيده قراءة يا حسرتا
ونصبها لطولها بالجار المتعلق بها وقيل باضمار فعلها والمنادي محذوف
وقرئ يا حسرة العباد بالاضافة الى الفاعل او المفعول ويا حسره على العباد باجراء
الوصل مجرى الوقف الم يروا الم يعلموا وهو معلق عن قوله كم اهلكنا
قبلهم من القرون لان كم لا يعمل فيها ما قبلها وان كانت خبرية لان

اصلها

اصلها الاستفهام انهم اليهم لا يرجعون بدل من كم على المعنى اي الم يروا
كثرة اهلاكنا من قبلهم كونهم غير راجعين اليهم وقرئ بالكسر على الاستئناف
وان كل لما جميع لدينا محضرون يوم القيمة للجزاء وان مخففة من الثقيلة
واللام هي الفارقة وما مزيدة للتاكيد وقرا ابن عامر وعاصم وحمزة
لما بالتشديد بمعنى الا فيكون ان نافية وجميع فعيل بمعنى مفعول ولدينا
ظرف له او لمحضرون واية لهم الارض الميتة وقرا نافع بالتشديد اية
خبر للارض والجملة خبر اية او صفة لها اذ لم يرد بها معينة وهي الخبر او المبتدا
والاية خبرها او استئناف لبيان كونها اية واخرجنا منها حبا جنس الحب
فمنه ياكلون قدم الصلة للدلالة على ان الحب معظم ما يوكل ويعاش
به وجعلنا فيها جنات من نخيل واعناب من انواع النخل والعنب
ولذلك جمعهما دون الحب فان الدال على الجنس مشعر بالاختلاف ولا كذلك
الدال على الانواع وذكر النخيل دون الثمار ليطابق الحب والاعناب
لاختصاص شجرها بمزيد النفع وآثار الصنع وفجرنا فيها وقرئ بالتخفيف
والفجر والتفجير كالفتح والتفتيح لفظا ومعنا من العيون اي شيا من العيون
فحذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه او العيون ومن مزيدة عند
الاخفش لياكلوا من ثمره ثمر ما ذكر وهو الجنات وقيل الضمير لله على طريقة
الالتفات والاضافة اليه لان الثمر بخلقه تعالى وقرا حمزة والكسائي
بضمتين وهو لغة فيه او جمع ثمار وقرئ بضمة وسكون وما عملته ايديهم
عطف على الثمر والمراد ما يتخذ منه كالعصير والدبس ونحوهما وقيل ما
نافية والمراد ان الثمر بخلق الله لا بفعلهم ويؤيد الاول قراءة الكوفيين غير
حفص بلا هاء فان حذفه من الصلة احسن من غيرها افلا يشكرون امر
بالشكر من حيث انه انكار لتركه سبحان الذي خلق الازواج كلها الانواع
والاصناف مما تنبت الارض من النبات والشجر ومن انفسهم الذكر والانثى
ومما لا يعلمون وازواجا مما لم يطلعهم الله عليه ولم يجعل لهم طريقا الى
معرفته واية لهم الليل نسلخ منه النهار نزيله ونكشف عن مكانه
مستعار من سلخ الجلد والكلام في اعرابه ما سبق فاذا هم مظلمون
داخلون في الظلام والشمس تجري لمستقر لها لحد معين ينتهي اليه
دورها فشبه بمستقر المسافر اذا قطع مسيره او لكبد السما فان حركتها
فيه توجد ابطا بحيث يظن ان لها هناك وقفة قال والشمس حيرى لها بالجو

تدويم او لا استقرار لها على نهج مخصوص او لمنتهى مقدر لكل يوم من المشا
والمغارب فان لها في دورها ثلثمائة وستين مشرقا ومغربا تطلع
كل يوم من مطلع وتغرب من مغرب ثم لا تعود اليهما الى العام القابل
او لمنقطع جريها عند خراب العالم وقرئ لا مستقر لها اي لا سكون
فانها متحركة دائما ولا مستقر على ان لا بمعنى ليس ذلك الجري على هذا
التقدير المتضمن للحكم التي تكل الفطن عن احصائها تقدير العزيز الغالب
بقدرته على كل مقدور العليم المحيط علمه بكل معلوم والقمر قدرناه
قدرنا مسيره منازل اي في منازل وهي ثمانية وعشرون منزلة
الشرطين البطين الثريا الدبران الهقعة الهنعة الذراع النثرة الطرف
الجبهة الزبرة الصرفة العواء السماك الغفر الزبانا الاكليل القلب
الشولة النعائم البلدة سعد الذابح سعد بلع سعد السعود سعد
الاخبية فرغ الدلو المقدم فرغ الدلو المؤخر الرشا وهو بطن الحوت
ينزل كل ليلة في واحد منها لا يتخطاه ولا يتقاصر عنه فاذا كان في
اخر منازله وهو الذي يكون فيه قبيل الاجتماع دق واستقوس وقرأ
الكوفيون وابن عامر والقمر بنصب الرا حتى عاد كالعرجون كالشمراخ
المعوج فعلون من الانعراج وهو الاعوجاج وقرئ كالعرجون وهما
لغتان كالبزيون والبزيون القديم العتيق وقيل ما مر عليه حول فصاعدا
لا الشمس ينبغي لها يصح لها ويتسهل ان تدرك القمر في سرعة سيره
فان ذلك يخل بتكون النبات وتعيش الحيوان او في اثاره ومنافعه
او مكانه بالنزول الى محله او سلطانه فيطمس نوره وايلاء حرف النفي
الشمس للدلالة على انها مسخرة لا يتيسر لها الا ما اريد بها ولا الليل سابق
النهار يسبقه فيفوته ولكن يعاقبه وقيل المراد بهما اياتهما وهما
النيران وبالسبق سبق القمر الى سلطان الشمس فيكون عكسا للاول
وتبديل الادراك بالسبق لانه الملائم لسرعة سيره وكل وكلهم والتنوين
عوض المضاف اليه والضمير للشموس والاقمار فان اختلاف الاحوال
يوجب تعددا ما في الذات او الى الكواكب فان ذكرهما مشعر به
في فلك يسبحون يسيرون فيه بانبساط واية لهم انا حملنا ذريتهم
اولادهم الذين يبعثونهم الى تجاراتهم او صبيانهم ونساءهم الذين
يستصحبونهم فان الذرية تقع عليهن لانهن مزارعها وتخصيصهم لان

استقرارهم في السفن ومما شكهم فيها اعجب وقرأ نافع وابن عامر ذرياتهم
في الفلك المشحون المملوء وقيل المراد فلك نوح وحمل الله ذرياتهم
فيها انه حمل فيها اباءهم الاقدمين وفي اصلابهم ذرياتهم وتخصيص الذرية
لانه ابلغ في الامتنان وادخل في التعجب مع الايجاز وخلقنا لهم من
مثله من مثل الفلك ما يركبون من الابل فانها سفائن البر او السفن والزوارق او من السفينة
وان نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم فلا مغيث لهم يحرسهم عن الغرق او فلا
استغاثة كقولهم اتاهم الصريخ ولا هم ينقذون ينجون من الموت
به الا رحمة منا ومتاعا الا لرحمة ولتمتيع بالحياة الى حين زمان
قدر لاجالهم واذا قيل لهم اتقوا ما بين ايديكم وما خلفكم الوقائع
التي خلت والعذاب المعد في الاخرة او نوازل السماء ونوائب الارض
كقوله افلم يروا الى ما بين ايديهم وما خلفهم من السماء والارض او عذاب
الدنيا وعذاب الاخرة او عكسه او ما تقدم من الذنوب وما تأخر لعلكم
ترحمون لتكونوا راجين رحمة الله وجواب اذا محذوف دل عليه قوله
وما تأتيهم من اية من ايات ربهم الا كانوا عنها معرضين كانه
قال واذا قيل لهم اتقوا العذاب اعرضوا لانهم اعتادوه وتمرنوا عليه
واذا قيل لهم انفقوا مما رزقكم الله على محاويجكم قال الذين كفروا
بالصانع يعني معطلة كانوا بمكة للذين امنوا تهكما بهم من اقرارهم به
وتعليقهم الامور بمشيئته انطعم من لو يشاء الله اطعمه على زعمكم وقيل
قاله مشركوا قريش حين استطعمهم فقراء المؤمنين ايهاما بان الله لما كان
قادرا ان يطعمهم ولم يطعمهم فنحن احق بذلك وهذا من فرط جهالتهم
فان الله يطعم باسباب منها حث الاغنياء على اطعام الفقراء وتوفيقهم
له ان انتم الا في ضلال مبين حيث امرتمونا بما يخالف مشيئة
الله ويجوز ان يكون جوابا من الله لهم او حكاية جواب المؤمنين لهم ويقولون
متى هذا الوعد ان كنتم صادقين يعنون وعد البعث ما ينظرون
ما ينتظرون الا صيحة واحدة هي النفخة الاولى تأخذهم وهم
يخصمون يتخاصمون في متاجرهم ومعاملاتهم ولا يخطر ببالهم امرها
كقوله او تأتيهم الساعة بغتة وهم لا يشعرون واصله يختصمون فسكنت
التاء وادغمت ثم كسرت الخاء لالتقاء الساكنين وروى ابو بكر بكسر الياء
للاتباع وقرأ ابن كثير وورش وهشام بفتح الخاء على القاء حركة التاء

ايه وابو عمرو وقالون به مع اختلاس وعن نافع الفتح فيه والاسكان
وكانه جوز الجمع بين الساكنين اذا كان الثاني مدغما وقرا حمزه
يخصمون من خصمه اذا جادله فلا يستطيعون توصية في شيء من امورهم
ولا الى اهلهم يرجعون فيروا حالهم بل يموتون حيث تبغتهم الصيحة
ونفخ في الصور اي مرة ثانية وقد سبق في سورة المومنين فاذا هم
من الاجداث من القبور جمع جدث وقرئ بالفاء الى ربهم ينسلون
يسرعون وقرئ بالضم قالوا يا ويلنا وقرئ يا ويلتنا من بعثنا من مرقدنا
وقرئ من اهبنا من هب من نومه اذا انتبه ومن هبنا بمعنى اهبنا وفيه ترشيح
ورمز واشعار بانهم لاختلاط عقولهم يظنون انهم كانوا نياما وقرئ من بعثنا
ومن هبنا على من الجارة والمصدر وسكت حفص وحده عليها سكتة
لطيفة والوقف عليها في سائر القران هذا ما وعد الرحمن وصدق
المرسلون مبتدا وخبر وما مصدرية او موصولة محذوفة الراجع
او هذا صفة لمرقدنا وما وعد خبر محذوف او مبتدا خبره محذوف اي
ما وعد الرحمن وصدق المرسلون حق وهو من كلامهم وقيل جواب
للملايكة او المومنين عن سوالهم معدول عن سننه تذكيرا لكفرهم وتقريعا
لهم عليه وتنبيها بان الذي يهمهم هو السوال عن البعث دون الباعث
كانهم قالوا بعثكم الرحمن الذي وعدكم البعث وارسل اليكم الرسل فصدقوكم
وليس الامر كما تظنونه فانه ليس ببعث النائم فيهمكم السوال عن الباعث
وانما البعث الاكبر ذو الاهوال ان كانت ما كانت الفعلة الا صيحة
واحدة هي النفخة الاخيرة وقريت بالرفع على كان التامة فاذا هم جميع
لدينا محضرون بمجرد تلك الصيحة وفي ذلك تهوين امر البعث والحشر
واستغنائهما عن الاسباب التي ينوطان بها فيما يشاهدونه فاليوم لا
تظلم نفس شيئا ولا تجزون الا ما كنتم تعملون حكاية لما يقال لهم
حينيذ تصويرا للموعود وتمكينا له في النفوس وكذا قوله ان اصحاب الجنة
اليوم في شغل فاكهون متلذذون في النعمة من الفكاهة وفي تنكير شغل
وابهامه تعظيم لما هم فيه من البهجة والتلذذ وتنبيه على انه اعلى ما يحيط
به الافهام ويعرب عن كنهه الكلام وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو في
شغل بالسكون ويعقوب في رواية فكهون للمبالغة وهما خبران لان ويجوز
ان يكون في شغل صلة لفاكهون وقرئ فكهون بالضم وهو لغة كنطس

ونطس وفكهين وفاكهين على الحال من المستكن في الظرف وشغل بفتحتين
وبفتحة وسكون والكل لغات هم وازواجهم في ظلال جمع ظل كشعاب
او ظلة كقباب ويؤيده قراءة حمزة والكسائي في ظلل على الارائك على السرر
المزينة متكئون وهم مبتدا خبره في ظلال وعلى الارائك جملة مستانفة
او خبر ثان او متكئون خبر والجاران صلتان له او تاكيد للضمير في في شغل
او فاكهون وعلى الارائك متكئون خبر اخر لان وازواجهم عطف على هم
للمشاركة في الاحكام الثلاثة وفي ظلال حال من المعطوف والمعطوف عليه
لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون ما يدعون به لانفسهم يفتعلون من الدعاء
كاشتوى واجتمل اذا اشوى وجمل لنفسه او ما يتداعونه كقولك ارتموه بمعنى
تراموه او يتمنون من قولهم ادع علي ما شئت بمعنى تمنه علي او ما يدعونه
في الدنيا من الجنة ودرجاتها وما موصولة او موصوفة مرتفعة بالابتداء
ولهم خبرها وقوله سلام بدل منها او صفة اخرى ويجوز ان يكون خبرها
او خبر محذوف او مبتدا محذوف الخبر اي ولهم سلام وقرئ بالنصب على
المصدر او الحال اي لهم مرادهم خالصا قولا من رب رحيم اي يقول لهم
الله او يقال لهم قولا كاينا من جهته والمعنى ان الله يسلم عليهم بواسطة الملائكة
او بغير واسطة تعظيما لهم وذلك مطلوبهم ومتمناهم ويحتمل نصبه على
الاختصاص وامتازوا اليوم ايها المجرمون وانفردوا عن المومنين وذلك
حين يسار بهم الى الجنة كقوله ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون وقيل
اعتزلوا من كل خير او تفرقوا في النار فان لكل كافر بيتا ينفرد به لا يرى ولا
يرى الم اعهد اليكم يا بني ادم ان لا تعبدوا الشيطان من جملة ما يقال
لهم تقريعا والزاما للحجة وعهده اليهم ما نصب لهم من الحجج العقلية والسمعية
الامرة بعبادته الزاجرة عن عبادة غيره وجعلها عبادة الشيطان لانه
الامر بها والمزين لها وقرئ اعهد بكسر حرف المضارعة واحهد واحد على
لغة تميم انه لكم عدو مبين تعليل للمنع عن عبادته بالطاعة فيما يحملهم عليه
وان اعبدوني عطف على ان لا تعبدوا هذا صراط مستقيم اشارة الى
ما عهد اليهم او الى عبادته والجملة استيناف لبيان المقتضي للعهد بشقيه او بالاخير
والتنكير للمبالغة والتعظيم او للتبعيض فان التوحيد سلوك بعض
الطريق المستقيم ولقد اضل منكم جبلا كثيرا افلم تكونوا تعقلون
رجوع الى بيان معاداة الشيطان مع ظهور عداوته ووضوح اضلاله

لمن له ادنى عقل ورأي والجبل الخلق وقرأ يعقوب بضمتين وابن كثير
وحمزة والكسائي بهما مع تخفيف اللام وابن عامر وابو عمرو بضمة وسكون
مع التخفيف والكل لغات وقرئ جبلا جمع جبلة كخلقة وخلق وجيلا واحد
الاجيال هذه جهنم التي كنتم توعدون اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون
ذوقوا حرها اليوم بكفركم في الدنيا اليوم نختم على افواههم نمنعها من
الكلام وتكلمنا ايديهم وتشهد ارجلهم بما كانوا يكسبون بظهور آثار المعاصي
عليها ودلالتها على افعالها او بانطاق الله اياها وفي الحديث انهم يجحدون
ويخاصمون فيختم الله على افواههم وتكلم ايديهم وارجلهم ولو نشاء لطمسنا
على اعينهم لمسحنا اعينهم حتى تصير ممسوحة فاستبقوا الصراط فاستبقوا
الى الطريق الذي اعتادوا سلوكه وانتصابه بنزع الخافض او بتضمين الا
معنى الابتدار او جعل المسبوق اليه مسبوقا على الاتساع او بالظرف فانى
يبصرون الطريق وجهة السلوك فضلا عن غيره ولو نشاء لمسخناهم
بتغيير صورهم وابطال قواهم على مكانتهم مكانهم بحيث يجمدون فيه
وقرأ ابن كثير مكاناتهم فما استطاعوا مضيا ذهابا ولا يرجعون ولا رجوعا
فوضع الفعل موضعه للفواصل وقيل ولا يرجعون عن تكذيبهم وقرئ مضيا
باتباع الميم الضاد المكسورة لقلب الواو ياء كالعتي والعتي ومضيا كصبي والمعنى
انهم بكفرهم ونقضهم ما عهد اليهم احقاء بان يفعل بهم ذلك لكنا لم نفعل
لشمول الرحمة لهم واقتضاء الحكمة امهالهم ومن نعمره ومن نطل عمره
ننكسه في الخلق نقلبه فيه فلا يزال يتزايد ضعفه وانتقاص بنيته وقواه
عكس ما كان عليه بدء امره وقرأ عاصم وحمزة ننكسه من التنكيس وهو ابلغ
والنكس اشهر افلا يعقلون ان من قدر على ذلك قدر على الطمس والمسخ
فانه مشتمل عليهما وزيادة غير انه على تدرج وقرأ نافع وابن عامر برواية
ابن ذكوان ويعقوب بالتاء لجري الخطاب قبله وما علمناه الشعر رد
لقولهم ان محمدا شاعر اي ما علمناه الشعر بتعليم القرآن فانه غير مقفى
ولا موزون وليس معناه ما يتوخاه الشعراء من التخيلات المرغبة والمنفرة
ونحوها وما ينبغي له وما يصح له الشعر ولا يتأتى له ان اراد قرضه على ما
اختبرتم طبعه نحوا من الاربعين سنة وقوله انا النبي لا كذب انا ابن عبد
المطلب وقوله هل انت الا اصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت اتفاقي
من غير قصد وتكلف منه الى وقد يقع مثله كثيرا في تضاعيف المنثورات

على ان الخليل ما عد المشطور من الرجز شعرا هذا وقد روي انه حرك
البائين وكسر التاء الاولى بلا اشباع وسكن الثانية وقيل الضمير للقرآن
اي وما يصح للقرآن ان يكون شعرا ان هو الا ذكر عظة وارشاد من الله
وقرآن مبين وكتاب سماوي يتلى في المعابد ظاهر انه ليس كلام البشر
لما فيه من الاعجاز لينذر القرآن او الرسول ويؤيده قراءة نافع وابن
عامر ويعقوب بالتاء من كان حيا عاقلا فهما فان الغافل كالميت او مؤمنا
في علم الله فان الحيوة الابدية بالايمان وتخصيص الانذار به لانه المنتفع
به ويحق القول وتجب كلمة العذاب على الكافرين المصرين على الكفر
وجعلهم في مقابلة من كان حيا اشعارا بانهم لكفرهم وسقوط حجتهم
وعدم تأملهم اموات في الحقيقة اولم يروا انا خلقنا لهم مما عملت
ايدينا مما تولينا احداثه ولم يقدر على احداثه غيرنا وذكر الايدي
واسناد العمل اليها استعارة تفيد مبالغة في الاختصاص والتفرد
بالاحداث انعاما خصها بالذكر لما فيها من بدائع الفطرة وكثرة المنا فع
فهم لها مالكون متملكون بتمليكنا اياهم او متمكنون من ضبطها و
التصرف فيها بتسخيرنا اياها قال اصبحت لا احمل السلاح ولا املك
راس البعير ان نفرا وذللناها لهم وصيرناها منقادة لهم فمنها ركوبهم
مركوبهم وقرئ ركوبتهم وهي بمعناه كالحلوب والحلوبة وقيل جمع و
ركوبهم اي ذو ركوبهم اي فمن منافعها ركوبهم ومنها ياكلون اي
ما ياكلون لحمه ولهم فيها منافع من الجلود والاصواف والاوبار
ومشارب من اللبن جمع مشرب بمعنى الموضع او المصدر افلا يشكرون
نعم الله في ذلك اذ لولا خلقه لها وتذليله اياها كيف امكن التوسل الى
تحصيل هذه المنافع المهمة واتخذوا من دون الله آلهة اشركوها به
في العبادة بعد ان راوا منه تلك القدرة الباهرة والنعم المتظاهرة وعلموا
انه المتفرد بها لعلهم ينصرون رجاء ان ينصروهم فيما حزبهم من الامور
والامر بالعكس لانه لا يستطيعون نصرهم وهم لهم لآلهتهم جند محضرون
معدون لحفظهم والذب عنهم او محضرون اثرهم في النار فلا يحزنك
فلا يهمنك وقرئ بضم الياء من احزن قولهم في الله بالالحاد والشرك
او فيك بالتكذيب والتهجين انا نعلم ما يسرون وما يعلنون فيجا زيهم
عليه وكفى ذلك ان تتسلى به وهو تعليل للنهي على الاستئناف ولذلك

لو قوي انا بالقسم على حذف لام التعليل جاز اولم يرَ الانسان انا خلقناه
من نطفة فاذا هو خصيم مبين تسلية ثانية بتهوين ما يقولونه بالنسبة
الى انكارهم الحشر وفيه تقبيح بليغ لانكارهم حيث عجب منه وجعله افراطا
في الخصومة بيّنا ومنافاة لجحود القدرة على ما هو اهون مما عمله في بدء
خلقه ومقابلة النعمة التي لا مزيد عليها وهي خلقه من اخس شيء وامهنه
شريفا مكرما بالعقوق والتكذيب روي ان ابي بن خلف اتى النبي صلى الله
عليه وسلم بعظم بال يفتته بيده فقال اترى الله يحيي هذا بعد ما رمّ فقال
عليه الصلوة والسلام نعم ويبعثك ويدخلك النار فنزلت وقيل معنى فاذا
هو خصيم مبين فاذا هو بعد ما كان ماء مهينا مميز منطيق قادر على الخصام
معرب عما في نفسه وضرب لنا مثلا امرا عجيبا وهو نفي القدرة على احياء
الموتى وتشبيهه بخلقه بوصفه بالعجز عما عجزوا عنه ونسي خلقه خلقنا اياه
قال من يحيي العظام وهي رميم منكرا اياه مستبعدا له والرميم ما بلي من
العظام ولعله فعيل بمعنى فاعل من رمّ الشيء صار اسما بالغلبة ولذلك لم يؤنث
او بمعنى مفعول من رممته وفيه دليل على ان العظم ذو حياة يؤثر فيه الموت
كساير الاعضاء قل يحييها الذي انشاها اول مرة فان قدرته كما كانت لامتناع
التغير فيه والمادة على حالها في القابلية اللازمة لذاتها وهو بكل خلق
عليم يعلم تفاصيل المخلوقات بعلمه وكيفية خلقها فيعلم اجزاء الاشخاص المتفتتة
المتبددة اصولها وفصولها ومواقعها وطريق تمييزها وضم بعضها الى بعض
على النمط السابق واعادة الاعراض والقوى التي كانت فيها او احداث
مثلها الذي جعل لكم من الشجر الاخضر كالمرخ والعفار نارا بان يسحق المرخ
على العفار وهما خضراوان يقطر منهما الماء فتنقدح النار فاذا انتم منه توقدون
لا تشكون في انها نار تخرج منه فمن قدر على احداث النار من الشجر الاخضر مع
ما فيه من المائية المضادة لها بكيفية كان اقدر على اعادة الغضاضة فيما كان
غضا فيبس وبلي وقرئ من الشجر الخضراء على المعنى كقوله فمالئون منها البطون
اوليس الذي خلق السموات والارض مع كبر جرمهما وعظم شانهما
بقادر على ان يخلق مثلهم في الصغر والحقارة بالاضافة اليهما او مثلهم
في اصول الذات وصفاتها وهو المعاد وعن يعقوب يقدر بلى جواب من الله
لتقرير ما بعد النفي مشعر بانه لا جواب سواه وهو الخلاق العليم كثير المخلوقات
والمعلومات انما امره انما شانه اذا اراد شيئا ان يقول له كن اي تكوّن

فيكون

فيكون فهو يكون اي يحدث وهو تمثيل لتاثير قدرته في مراده بامر المطاع
للمطيع في حصول المامور من غير امتناع وتوقف وافتقار الى مزاولة عمل
واستعمال آلة قطعا لمادة الشبهة وهو قياس قدرة الله على قدرة الخلق ونصبه
ابن عامر والكسائي عطفا على يقول فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء
تنزيه له عما ضربوا له وتعجيب عما قالوا فيه معللا بكونه مالكا للملك كله قادرا
على كل شيء واليه ترجعون وعد ووعيد للمقرين والمنكرين وقرأ يعقوب بفتح
التاء وعن ابن عباس كنت لا اعلم ما روي في فضل يس كيف خصت به فاذا انه
لهذه الآية وعنه عليه الصلوة والسلام ان لكل شيء قلبا وقلب القرآن يس
من قرأها يريد بها وجه الله غفر الله له واعطي من الاجر كانما قرأ القرآن اثنتي
عشرة مرة وايما مسلم قرئ عنده اذا نزل به ملك الموت يس نزل بكل حرف
منها عشرة املاك يقومون بين يديه صفوفا يصلون عليه ويستغفرون له
ويشهدون غسله ويتبعون جنازته ويصلون عليه ويشهدون دفنه وايما
مسلم قرأ يس وهو في سكرات الموت لم يقبض ملك الموت روحه حتى يجيئه
رضوان بشربة من الجنة يشربها وهو على فراشه فيقبض روحه وهو ريان
ويمكث في قبره وهو ريان ولا يحتاج الى حوض من حياض الانبياء حتى يدخل الجنة وهو ريان

بسم الله الرحمن الرحيم والصافات صفا فالزاجرات
زجرا فالتاليات ذكرا اقسم بالملائكة الصافين في مقام العبودية على مراتب
باعتبارها تفيض عليهم الانوار الالهية منتظرين لامر الله الزاجرين الاجرام
العلوية والسفلية بالتدبير المامور فيها او الناس عن المعاصي بالهام الخير
او الشياطين عن التعرض لهم التالين آيات الله وجلايا قدسه على انبيائه
واوليائه او بطوائف الاجرام المرتبة كالصفوف المرصوصة والارواح
المدبرة لها والجواهر المقدسة المستغرقة في بحار القدس يسبحون الليل والنهار
لا يفترون او بنفوس العلماء الصافين في العبادات الزاجرين عن الكفر
والفسوق بالحجج والنصائح التالين آيات الله وشرائعه او بنفوس الغزاة الصافين
في الجهاد الزاجرين الخيل او العدو التالين ذكر الله لا يشغلهم عنه مبارزة
العدو والعطف لاختلاف الذوات او الصفات والفاء لترتيب الوجود كقوله
يالهف زيابة للحارث فالصابح فالغانم فالآيب فان الصف كمال والزجر

تكميل بالمنع عن الشرا والاستاقة الى قبول الخير والتلاوة افاضته او الرتبة
كقوله عليه الصلوة والسلام رحم الله المحلقين والمقصرين غير انه
لفضل المتقدم على المتاخر وهذا للعكس وادغم ابو عمرو وحمزة التا
فيما يليها لتقاربهما فانها من طرف اللسان واصول الثنايا ان الهكم
لوحد جواب القسم والفايدة فيه تعظيم المقسم به وتاكيد للمقسم عليه
على ما هو المالوف في كلامهم واما تحقيقه فبقوله رب السموات والارض
وما بينهما ورب المشارق فان وجودها وانتظامها على الوجه الاكمل
مع امكان غيره دليل على وجود الصانع الحكيم ووحدته على ما مر وهو
مر ورب بدل من واحد او خبر ثان او خبر محذوف وما بينهما يتناول
افعال العباد فيدل على انها من خلقه والمشارق مشارق الكواكب
او مشارق الشمس في السنة وهي ثلث مائة وستون مشرقا تشرق كل يوم في
واحد وبحسبها تختلف المغارب ولذلك اكتفى بذكرها مع ان الشروق
ادل على القدرة وابلغ في النعمة وما قيل انها مائة وثمانون انما يصح لو
لم تختلف اوقات الانتقال انا زينا السماء الدنيا القربى منكم بزينة
الكواكب بزينة هي الكواكب والاضافة للبيان ويعضده قراءة حمزة ويعقوب
وحفص بتنوين زينة وجر الكواكب على ابدالها منه او بزينة هي لها كاضوائها
واوضاعها او بان زين الكواكب فيها على اضافة المصدر الى المفعول
فانها كما جاءت اسما كالليقة جاءت مصدرا كالنسبة ويويده قراءة ابي بكر
بالتنوين والنصب على الاصل او بان زينها الكواكب على اضافته الى الفاعل
وركوز الثوابت في الكرة الثامنة وما عدا القمر من السيارات في الست
المتوسطة بينها وبين سماء الدنيا ان تحقق لم يقدح في ذلك فان اهل
الارض يرونها باسرها كجواهر مشرقة متلالية على سطحها الازرق باشكال
مختلفة وحفظا منصوب باضمار فعله او العطف على زينة باعتبار المعنى
كانه قال انا خلقنا الكواكب زينة للسماء وحفظا من كل شيطان مارد
خارج من الطاعة برمي بالشهب لا يسمعون الى الملا الاعلى كلام مبتدا
لبيان حالهم بعد ما حفظت السماء عنهم ولا يجوز جعله صفة لكل شيطان
فانه يقتضي ان يكون الحكم بالحفظ من شياطين لا يسمعون فلا علة للحفظ
على حذف اللام كما في جئتك ان تكرمني ثم حذف ان واهدارها كقوله
الا ايها الزاجري احضر الوغا ، فان اجتماع ذلك منكر والضمير لكل باعتبار

المعنى

المعنى وتعدية السماع بالى لتضمنه معنى الاصغاء مبالغة لنفيه وتهويلا لما يمنعهم
عنه ويدل عليه قراءة حمزة والكسائي وحفص بالتشديد من التسمع وهو طلب
السماع والملا الاعلى الملائكة او اشرافهم ويقذفون ويرمون من كل جانب
من جوانب السماء اذا قصدوا صعوده دحورا علة اي للدحور وهو الطرد
او مصدر لانه والقذف متقاربان او حال بمعنى مدحورين او منزوع عنه
الباء جمع داحر وهو ما يطرد به ويقويه القراءة بالفتح وهو يحتمل ان يكون
ايضا مصدرا كالقبول او صفة له اي قذفا دحورا ولهم عذاب اي عذاب
اخر واصب دائم او شديد وهو عذاب الاخرة الا من خطف الخطفة استثنا
من واو يسمعون ومن بدل منه والخطف الاختلاس والمراد اختلاس كلام
الملائكة مسارقة ولذلك عرف الخطفة وقرئ خطّف بالتشديد مفتوح
الخاء ومكسورها واصلهما اختطف فاتبعه شهاب واتبع بمعنى تبع والشهاب
ما يرى كان كوكبا انقض وما قيل انه بخار يصعد الى الاثير فيشتعل ان
صح لم يناف ذلك اذ ليس فيه ما يدل على انه ينقض من الفلك ولا في قوله
انا زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين فان كل نير يحصل
في الجو العالي فهو مصباح لاهل الارض وزينة للسماء من حيث انه يرى كانه
على سطحه ولا يبعد ان يصير الحادث كما ذكر في بعض الاوقات رجما لشيطان
يصعد الى قرب الفلك للتسمع وما روي ان ذلك حدث بميلاد النبي
عليه الصلوة والسلام ان صح فلعل المراد كثرته ووقوعه او مصيره دحورا و
اختلف في ان المرجوم يتاذى به فيرجع او يحترق به لكن قد يصيب الصاعد
مرة وقد لا يصيب كالموج لراكب السفينة ولذلك لا يرتدعون عنه راسا
ولا يقال ان الشيطان من النار فلا يحترق لانه ليس من النار الصرف كما ان
الانسان ليس من التراب الخالص مع ان النار القوية اذا استولت على النار
الضعيفة استهلكتها ثاقب مضيء كانه يثقب الجو بضوئه فاستفتهم فاستخبرهم
والضمير لمشركي مكة او لبني ادم اهم اشد خلقا ام من خلقنا يعني ما ذكر من
الملائكة والسماء والارض وما بينهما والمشارق والكواكب والشهب الثواقب
ومن لتغليب العقلا ويدل عليه اطلاقه ومجيئه بعد ذلك وقراءة من قرا
ام من عددنا وقوله انا خلقناهم من طين لازب فانه الفارق بينهم
وبينها لا بينهم وبين من قبلهم كعاد وثمود ولان المراد اثبات المعاد ورد
استحالتهم والاهم فيه بالاضافة اليهم والى من قبلهم سواء وتقريره ان استحالة

ذلك اما لعدم قابلية المادة ومادتهم الاصلية هي الطين اللازب الحاصل
من ضم الجزء المائي الى الجزء الارضي وهما باقيان قابلان للانضمام بعد
بعد وقد علموا ان الانسان الاول انما تولد منه اما لاعترافهم بحدث
او بقصة ادم وشاهدوا تولد كثير من الحيوانات بلا توسط مواقعة فلزمهم
ان يجوزوا اعادتهم لذلك واما لعدم قدرة الفاعل ومن قدر على خلق
هذه الاشياء قدر على ما لا يعتد به بالاضافة سيما ومن ذلك بداهم اولا
وقدرته ذاتية لا تتغير بل عجبت من قدرة الله وانكارهم للبعث ويسخرون
من تعجبك وتقريرك للبعث وقرا حمزة والكسائي بضم التاء اي بلغ كمال
قدرتي وكثرة خلائقي اني تعجبت منها وهؤلاء لجهلهم يسخرون منها او عجبت
من ان ينكر البعث ممن هذه افعاله وهم يسخرون ممن يجوزه والتعجب من الله
اما على الفرض والتخييل او على معنى الاستعظام اللازم له فانه روعة
تعتري الانسان عند استعظامه الشيء وقيل انه مقدر بالقول اي قل
يا محمد بل عجبت واذا ذكروا لا يذكرون واذا وعظوا بشيء لا يتعظون
به او اذا ذكر لهم ما يدل على صحة الحشر لا ينتفعون به لبلادتهم وقلة
فكرهم واذا راوا اية معجزة تدل على صدق القايل به يستسخرون يبالغون
في السخرية ويقولون انه سحر او يستدعي بعضهم من بعض ان يسخر منها
وقالوا ان هذا يعنون ما يرونه الا سحر مبين ظاهر سحريته ايذا
متنا وكنا ترابا وعظاما اينا لمبعوثون اصله انبعث اذا متنا فبدلوا
الفعلية بالاسمية وقدموا الظرف وكرروا الهمزة مبالغة في الانكار
واشعارا بان البعث مستنكر في نفسه وفي هذه الحال اشد استنكارا
وهو ابلغ من قراءة ابن عامر بطرح الهمزة الاولى وقراءة نافع والكسائي
ويعقوب بطرح الثانية اوءاباؤنا الاولون عطف على محل ان واسمها
او على الضمير في مبعوثون فانه مفصول عنه بهمزة الاستفهام لزيادة الاستبعاد
لبعد زمانهم وسكن نافع برواية قالون وابن عامر الواو على معنى الترديد
قل نعم وانتم داخرون صاغرون وانما اكتفى به في الجواب لسبق ما
يدل على جوازه وقيام المعجزة على صدق المخبر عن وقوعه وقرئ قال اي
الله او الرسول وقرا الكسائي وحده نعم بالكسر وهو لغة فيه فانما هي
زجرة واحدة جواب شرط مقدر اي اذا كان ذلك فانما البعثة
زجرة اي صيحة واحدة هي النفخة الثانية من زجر الراعي غنمه اذا صاح

عليها او امرها في الاعادة كامر كن في الابتداء ولذلك رتب عليها فاذا
هم ينظرون فاذا هم قيام من مراقدهم احياء يبصرون او ينتظرون
ما يفعل بهم وقالوا يا ويلنا هذا يوم الدين اليوم الذي نجازى باعمالنا
وقد تم به كلامهم وقوله هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون جواب
الملائكة وقيل هو ايضا من كلام بعضهم لبعض والفصل القضاء او الفرق
بين المحسن والمسيء احشروا الذين ظلموا امر الله للملائكة او امر بعضهم
لبعض بحشر الظلمة من مقامهم الى الموقف وقيل منه الى الجحيم وازواجهم
واشباههم عابد الصنم مع عبدة الصنم وعابد الكوكب مع عبدته كقوله
وكنتم ازواجا ثلثة او نساؤهم اللاتي على دينهم او قرناؤهم من الشياطين
وما كانوا يعبدون من دون الله من الاصنام وغيرها زيادة في تحسيرهم
وتخجيلهم وهو عام مخصوص بقوله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الاية وفيه
دليل على ان الذين ظلموا هم المشركون فاهدوهم الى صراط الجحيم فعرفوهم
طريقها ليسلكوها وقفوهم احبسوهم في الموقف انهم مسئولون عن عقائدهم
واعمالهم والواو لا توجب الترتيب مع جواز ان يكون موقفهم بعد الهدى
والتعريف للسؤال ما لكم لا تناصرون لا ينصر بعضكم بعضا بالتخليص
وهو توبيخ وتقريع بل هم اليوم مستسلمون منقادون لعجزهم وانسداد
ابواب الحيل عليهم واصل الاستسلام طلب السلامة او متسالمون كانه
يسلم بعضهم بعضا ويخذله واقبل بعضهم على بعض يعني الرؤساء والاتباع
او الكفرة والقرناء يتساءلون يسال بعضهم بعضا للتوبيخ ولذلك فسر بيتخاصمون
قالوا انكم كنتم تاتوننا عن اليمين عن اقوى الوجوه وايمنه او عن الدين
او عن الخير كانكم تنفعوننا نفع السانح فتبعناكم وهلكنا مستعار من يمين
الانسان الذي هو اقوى الجانبين واشرفه وانفعه ولذلك سمي يمينا
وتيمن بالسانح او عن القوة والقهر فتقسروننا على الضلال او عن الحلف فانهم
كانوا يحلفون لهم انهم على الحق قالوا بل لم تكونوا مؤمنين وما كان لنا
عليكم من سلطان بل كنتم قوما طاغين اجابهم الرؤساء اولا بمنع
اضلالهم فانهم كانوا ضالين في انفسهم وثانيا بانهم ما اجبروهم على الكفر
اذ لم يكن عليهم تسلط وانما جنحوا اليه لانهم كانوا قوما مختارين الطغيان
فحق علينا قول ربنا انا لذائقون فاغويناكم انا كنا غاوين ثم بينوا
ان ضلال الفريقين ووقوعهم في العذاب كان امرا مقضيا لا محيص لهم عنه

وان غاية ما فعلوا بهم انهم دعوهم الى الغي لانهم كانوا على الغي فاحبوا ان
يكونوا امثالهم وفيه ايماء بان غوايتهم في الحقيقة ليست من قبلهم اذ لو كان كل
غواية لاغواء غاو فمن اغواهم فانهم فان الاتباع والمتبوعين يومئذ في
العذاب مشتركون كما كانوا مشتركين في الغواية انا كذلك مثل ذلك
الفعل نفعل بالمجرمين بالمشركين لقوله انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله
الا الله يستكبرون اي عن كلمة التوحيد او على من يدعوهم اليه ويقولون
ائنا لتاركوا الهتنا لشاعر مجنون يعنون محمدا عليه الصلوة والسلام
بل جاء بالحق وصدق المرسلين رد عليهم بان ما جاء به من التوحيد حق قام
به البرهان وتطابق عليه المرسلون انكم لذائقوا العذاب الاليم بالاشراك
وتكذيب الرسول وقرئ بنصب العذاب على تقدير النون كقوله ولا ذاكر الله الا
قليلا وهو ضعيف في غير المحلى باللام وعلى الاصل وما تجزون الا ما
كنتم تعملون الا مثل ما عملتم الا عباد الله المخلصين استثناء منقطع الا
ان يكون الضمير في تجزون لجميع المكلفين فيكون استثناؤهم عنه باعتبار
المماثلة فان ثوابهم مضاعف والمنقطع ايضا بهذا الاعتبار اولئك لهم
رزق معلوم خصائصه من الدوام او تمحض اللذة ولذلك فسره بقوله فواكه
فان الفاكهة ما يقصد للتلذذ دون التغذي والقوت بالعكس واهل
الجنة لما اعيد واعلى خلقة محكمة محفوظة عن التحلل كانت ارزاقهم فواكه
خالصة وهم مكرمون في نيله يصل اليهم من غير تعب وسؤال كما عليه
رزق الدنيا في جنات النعيم في جنات ليس فيها الا النعيم وهو ظرف
او حال من المستكن في مكرمون او خبر ثان لاولئك وكذلك على سرر يحتمل
الحال والخبر فيكون متقابلين حالا من المستكن فيه او في مكرمون وان
يتعلق بمتقابلين فيكون حالا من ضمير مكرمون يطاف عليهم بكاس
باناء فيه خمر او خمر كقوله وكاس شربت على لذة من معين من شراب معين
او نهر معين اي ظاهر للعيون او خارج من العيون وهو صفة الماء من عان
الماء اذا نبع وصف به خمر الجنة لانها تجري كالماء او للاشعار بان ما
يكون لهم بمنزلة الشراب جامع لما يطلب من انواع الاشربة لكمال اللذة وكذا
قوله بيضاء لذة للشاربين وهما ايضا صفتان لكاس ووصفها بلذة اما
للمبالغة او لانها تانيث لذ بمعنى لذيذ كطب ووزنه فعل قال ولذ كطعم
الصرخدي تركته بارض العدى من خشية الحدثان لا فيها غول

كما في خمر الدنيا كالخمار من غاله يغوله اذا افسده ومنه الغول ولا هم عنها
ينزفون يسكرون من انزف الشارب فهو نزيف ومنزوف اذا ذهب عقله
افرده بالنفي وعطف على ما يعمه لانه من عظم فساده كانه جنس برأسه وقرأ
حمزة والكسائي بكسر الزاي وتابعهما عاصم في الواقعة من انزف الشارب
اذا نفد عقله او شرابه واصله النفاد يقال نزف المطعون اذا خرج دمه
كله ونزحت الركية حتى نزفتها وعندهم قاصرات الطرف قصرن ابصارهن
على ازواجهن عين نجل العيون جمع عيناء كانهن بيض مكنون شبههن ببيض
النعام المصون من الغبار ونحوه في الصفاء والبياض المخلوط بادنى صفرة
فانه احسن الوان الابدان فاقبل بعضهم على بعض يتساءلون معطوف على
يطاف عليهم اي يشربون فيتحادثون على الشراب قال وما بقيت من اللذات
الا احاديث الكرام على المدام والتعبير عنه بالماضي للتاكيد فيه فانه الذ
تلك اللذات الى العقل وتساؤلهم عن المعارف والفضائل وما جرى لهم
وعليهم في الدنيا قال قائل منهم في مكالمتهم اني كان لي قرين جليس في
الدنيا يقول ائنك لمن المصدقين يوبخني على التصديق بالبعث وقرئ
بتشديد الصاد من التصدق ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمدينون
لمجزيون من الدين بمعنى الجزاء قال اي ذلك القائل هل انتم مطلعون الى
اهل النار لاريكم ذلك القرين وقيل القائل هو الله او بعض الملائكة يقول
لهم هل تحبون ان تطلعوا على اهل النار لاريكم ذلك القرين فتعلمون اين
منزلتكم من منزلتهم وعن ابي عمرو مطلعون فاطلع بالتخفيف وكسر النون
وضم الالف على انه جعل اطلاعهم سبب اطلاعه من حيث ان ادب المجالسة
يمنع الاستبداد به او خاطب به الملائكة على وضع المتصل موضع المنفصل
كقوله هم الآمرون الخير والفاعلونه او شبه اسم الفاعل بالمضارع فاطلع
عليهم فرآه اي قرينه في سواء الجحيم وسطه قال تالله ان كدت لتردين
لتهلكني بالاغواء وقرئ لتغوين وان هي المخففة واللام هي الفارقة ولولا
نعمة ربي بالهداية والعصمة لكنت من المحضرين معك فيها افما نحن بميتين
عطف على محذوف اي انحن مخلدون منعمون فما نحن بميتين اي بمن شانه
الموت وقرئ بمائتين الا موتتنا الاولى التي كانت في الدنيا وهي متناولة
لما في القبر بعد الاحياء للسؤال ونصبها على المصدر من اسم الفاعل وقيل
على الاستثناء المنقطع وما نحن بمعذبين كالكفار وذلك تمام كلامه لقرينه

تقريعاً له او معاودة الى مكالمة جلسائه وتحدثاً بنعمة الله او تبجحاً بها وتعجباً
منها وتقريعاً للقرين بالتوبيخ ان هذا لهو الفوز العظيم يحتمل ان يكون
من كلامهم وان يكون كلام الله لتقرير قوله والاشارة الى ما هم عليه من
النعمة والخلود والامن من العذاب لمثل هذا فليعمل العاملون اي لنيل
مثل هذا يجب ان يعمل العاملون لا للحظوظ الدنيوية المشوبة بالآلام
السريعة الانصرام وهو ايضاً يحتمل الامرين اذلك خير نزلاً ام شجرة الزقوم
شجرة ثمرها نزل اهل النار وانتصاب نزلاً على التمييز او الحال وفي ذكره دلالة
على ان ما ذكر من النعيم لاهل الجنة بمنزلة ما يقام للنازل ولهم ما وراء
ذلك ما تقصر عنه الافهام وكذلك الزقوم لاهل النار وهو اسم شجرة
صغيرة الورق دفرة مرة تكون بتهامة سميت به الشجرة الموصوفة انا
جعلناها فتنة للظالمين محنة وعذاباً لهم في الآخرة وابتلاء في الدنيا
فانهم لما سمعوا انها في النار قالوا كيف ذلك والنار تحرق الشجر ولم يعلموا
ان من قدر على خلق حيوان يعيش في النار ويلتذ بها فهو اقدر على خلق الشجر في
النار وحفظه من الاحراق انها شجرة تخرج في اصل الجحيم منبتها في قعر
جهنم واغصانها ترتفع الى دركاتها طلعها حملها مستعار من طلع النخل
لمشاركته اياه في الشكل او الطلوع من الشجر كأنه رؤوس الشياطين في
تناهي القبح والهول وهو تشبيه بالمتخيل كتشبيه الفائق في الحسن بالملك
وقيل الشياطين حيات هائلة قبيحة المنظر لها اعراف ولعلها سميت
بها لذلك فانهم لآكلون منها من الشجرة او من طلعها فمالئون منها البطون
لغلبة الجوع او الجبر على اكلها ثم ان لهم عليها اي بعد ما شبعوا منها
وغلبهم العطش وطال استسقاؤهم ويجوز ان يكون ثم لما في شرابهم
من مزيد الكراهة والبشاعة لشوباً من حميم لشراباً من غساق او صديد
مشوباً بماء حميم يقطع امعاءهم وقرئ بالضم وهو اسم ما يشاب به والاول
مصدر سمي به ثم ان مرجعهم لالى الجحيم مصيرهم لالى دركاتها او الى نفسها
فان الزقوم والحميم نزل يقدم اليهم قبل دخولها وقيل الحميم خارج عنها
لقوله تعالى هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون يطوفون بينها وبين حميم
آن يوردون اليه كما تورد الابل الى الماء ثم يردون الى الجحيم ويؤيده
انه قرئ ثم ان منقلبهم انهم الفوا آباءهم ضالين فهم على آثارهم يهرعون
تعليل لاستحقاقهم تلك الشدائد بتقليد الآباء في الضلال والاهراع الاسراع

الشديد

الشديد كأنهم يزعجون على الاسراع على آثارهم وفيه اشعار بانهم بادروا
الى ذلك من غير توقف على نظر وبحث ولقد ضل قبلهم قبل قومك اكثر الاولين
ولقد ارسلنا فيهم منذرين انبياء انذروهم من العواقب فانظر كيف
كان عاقبة المنذرين من الشدة والفظاعة الا عباد الله المخلصين
الا الذين تنبهوا بانذارهم فاخلصوا دينهم لله وقرئ بالفتح اي الذين
اخلصهم الله لدينه والخطاب مع الرسول والمقصود خطاب قومه فانهم
ايضاً سمعوا اخبارهم ورأوا آثارهم ولقد نادانا نوح شروع في تفصيل
القصص بعد اجمالها اي ولقد دعانا حين ايس من قومه فلنعم المجيبون
اي فاجبناه احسن الاجابة فوالله لنعم المجيبون نحن فحذف منها ما حذف
لقيام ما يدل عليه ونجيناه واهله من الكرب العظيم من الغرق واذى
قومه وجعلنا ذريته هم الباقين اذ هلك من عداهم وبقوا متناسلين
الى يوم القيامة اذ روي انه مات كل من كان معه في السفينة غير بنيه
وازواجهم وتركنا عليه في الآخرين من الامم سلام على نوح هذا الكلام
جيء به على الحكاية والمعنى يسلمون عليه تسليماً وقيل هو سلام من الله عليه
ومفعول تركنا محذوف مثل الثناء في العالمين متعلق بالجار والمجرور ومعناه
الدعاء بثبوت هذه التحية في الملائكة والثقلين جميعاً انا كذلك
نجزي المحسنين تعليل لما فعل بنوح من التكرمة بانه مجازاة له على احسانه
انه من عبادنا المؤمنين تعليل لاحسانه بالايمان اظهاراً لجلالة قدره
واصالة امره ثم اغرقنا الآخرين يعني كفار قومه وان من شيعته لممن
شايعه في الايمان واصول الشريعة لابراهيم ولا يبعد اتفاق شرعهما
في الفروع او غالباً وكان بينهما الفان وستمائة واربعون سنة وكان
بينهما نبيان هود وصالح اذ جاء ربه متعلق بما في الشيعة من معنى المشايعة
او بمحذوف هو اذكر بقلب سليم من آفات القلوب او من العلائق خالص
لله او مخلص له وقيل حزين من السليم بمعنى اللديغ ومعنى المجيء به ربه اخلاصه
له كأنه جاء به متحفاً اياه اذ قال لابيه وقومه ماذا تعبدون بدل من الاولى
او ظرف لجاء او سليم ائفكاً آلهة دون الله تريدون اي تريدون آلهة
دون الله افكاً فقدم المفعول للعناية ثم المفعول له لان الاهم ان يقرر انهم
على الباطل ومبنى امرهم على الافك ويجوز ان يكون افكاً مفعولاً به وآلهة
بدل منه على انها افك في نفسها للمبالغة والمراد بها عبادتها بحذف

المضاف او حالا بمعنى افكا فما ظنكم برب العالمين بمن هو حقيق بالعبادة
لكونه ربا للعالمين حتى تركتم عبادته واشركتم به غيره او امنتم من عذابه
والمعنى انكار ما يوجب ظنا فضلا عن قطع يصد عن عبادته او يجوز الاشراك
به ويقتضي الامن من عقابه على طريقة الالزام وهو كالحجة على ما قبله
فنظر نظرة في النجوم فراى مواقعها واتصالاتها او في علمها او في كتابها ولا
منع منه مع ان قصده ايهامهم وذلك حين سالوه ان يعيد معهم فقال
اني سقيم اراهم انه استدل بها لانهم كانوا منجمين على انه مشارف للسقم لئلا
يخرجوه الى معيدهم فانه كان اغلب اسقامهم الطاعون وكانوا يخافون
العدوى او اراد اني سقيم القلب لكفركم او خارج المزاج عن الاعتدال
خروجا قل من يخلو منه او بصدد الموت ومنه المثل كفى بالسلامة داء
وقول لبيد: فدعوت ربي بالسلامة جاهدا ليصحني فاذا السلامة داء
فتولوا عنه مدبرين هاربين مخافة العدوى فراغ الى الهتهم فذهب
اليها في خفية من روغة الثعلب واصله الميل بحيلة فقال اي للاصنام
استهزاء الا تاكلون يعني الطعام الذي كان عندهم ما لكم لا تنطقون
بجوابي فراغ عليهم فمال عليهم مستخفيا والتعدية بعلى للاستعلاء وان الميل
لمكروه ضربا باليمين مصدر لراغ عليهم لانه في معنى ضربهم او لمضمر
تقديره فراغ عليهم يضربهم وتقييده باليمين للدلالة على قوته فان قوة الالة
تستدعي قوة الفعل وقيل باليمين بسبب الحلف وهو قوله تالله لاكيدن اصنامكم
فاقبلوا اليه الى ابراهيم بعد ما رجعوا فراوا اصنامهم مكسرة وبحثوا
عن كاسره فظنوا انه هو كما شرحه في قوله قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال
له ابراهيم يزفون يسرعون من زفيف النعام وقرا حمزة على بناء المفعول من
ازف اي يحملون على الزفيف وقرئ يزفون اي يزف بعضهم بعضا ويزفون
من وزف يزف اذا اسرع ويزفون من زفاه اذا حداه كان بعضهم يزفوا
بعضا لتسارعهم اليه قال اتعبدون ما تنحتون ما تنحتونه من الاصنام
والله خلقكم وما تعملون اي وما تعملونه فان جوهرها بخلقه وشكلها
وان كان بفعلهم ولذلك جعل من اعمالهم فباقداره اياهم عليه وخلقه
ما يتوقف عليه فعلهم من الدواعي والعدد او عملكم بمعنى معمولكم ليطابق
ما تنحتون او انه بمعنى الحدث فان فعلهم اذا كان بخلق الله فيهم كان مفعولهم
المتوقف على فعلهم اولى بذلك وبهذا المعنى تمسك به اصحابنا على خلق الاعمال

ولهم

ولهم ان يرجحوه على الاولين لما فيهما من حذف او مجاز قالوا ابنوا له بنيانا
فالقوه في الجحيم في النار الشديدة من الجحمة وهي شدة التاجج واللام
بدل الاضافة اي جحيم ذلك البنيان فارادوا به كيدا فانه لما قهرهم
بالحجة قصدوا تعذيبه بذلك لئلا يظهر للعامة عجزهم فجعلناهم
الاسفلين الاذلين بابطال كيدهم وجعله برهانا نيرا على علو شانه
حيث جعل النار عليه بردا وسلاما وقال اني ذاهب الى ربي الى حيث
امرني ربي وهو الشام او حيث اتجرد فيه لعبادته سيهدين الى ما
فيه صلاح ديني او الى مقصدي وانما بت القول لسبق وعده او لفرط
توكله او البناء على عادته معه ولم يكن كذلك حال موسى عليه السلام
حين قال عسى ربي ان يهديني سواء السبيل فلذلك ذكر بصيغة التوقع
رب هب لي من الصالحين بعض الصالحين يعينني على الدعوة والطاعة
ويونسني في الغربة يعني الولد لان لفظ الهبة غالب فيه ولقوله فبشرناه
بغلام حليم بشره بالولد وبانه ذكر يبلغ اوان الحلم فان الصبي لا يوصف
بالحلم او يكون حليما واي حلم مثل حلمه حين عرض عليه ابوه الذبح وهو
مراهق فقال ستجدني ان شاء الله من الصابرين وقيل ما بعث الله نبيا بالحلم
لعزة وجوده غير ابراهيم وابنه عليهما السلام وحاله المذكور بعد تشهد
عليه فلما بلغ معه السعي اي فلما وجد وبلغ ان يسعى معه في اعماله ومعه
متعلق بمحذوف دل عليه السعي لا بصلة المصدر لا يتقدمه ولا ببلغ فان
بلوغهما لم يكن معا كانه قال فلما بلغ السعي فقيل مع من فقيل معه وتخصيصه
لان الاب اكمل في الرفق والاستصلاح له فلا يستسعيه قبل اوانه او لانه استوهبه
لذلك وكان له يومئذ ثلاث عشرة سنة قال يا بني وقرا حفص يا بني بفتح اليا
وحده اني ارى في المنام اني اذبحك يحتمل انه راى ذلك وانه راى
ما هو تعبيره وقيل انه راى ليلة التروية ان قائلا يقول له ان الله يامرك
بذبح ابنك فلما اصبح روى انه من الله او من الشيطان فلما امسى راى مثل
ذلك فعرف انه من الله ثم راى مثله في الليلة الثالثة فهم بنحره وقال له
ولهذا سميت الايام الثلاثة بالتروية وعرفة والنحر والاظهر ان المخاطب
اسمعيل لانه الذي وهب له اثر الهجرة ولان البشارة باسحق بعد معطوفة
على البشارة بهذا الغلام ولقوله عليه السلام انا ابن الذبيحين فاحدهما
جده اسمعيل والاخر ابوه عبد الله فان عبد المطلب نذر ان يذبح ولدا ان

ان سهّل الله له حفر زمزم او تلغ بنوه عشرا فلما سهّل الله له خرج السهم على
عبد الله ففداه بمائة من الابل ولذلك سنّت الدية مائة ولان ذلك كان
بمكة وكان قرنا الكبش معلقين في الكعبة حتى احترقا معها في ايام ابن الزبير
ولم يكن اسحق ثمّه ولان البشارة باسحق كانت مقرونة بولادة يعقوب
منه فلا يناسبها الامر بذبحه مراهقا وما روي انه عليه الصلوة والسلم
سئل اي النسب اشرف فقال يوسف صدّيق الله بن يعقوب اسرائيل الله بن
اسحق ذبيح الله بن ابرهيم خليل الله فالصحيح انه قال يوسف بن يعقوب بن
اسحق بن ابرهيم والزوائد من الراوي وما روي ان يعقوب كتب الى يوسف
مثل ذلك لم يثبت وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو بفتح اليا فيهما فانظر ما
ذا ترى من الراي وانما شاوره فيه وهو حتم ليعلم ما عنده فيما نزل من
بلاء الله فيثبت قدمه ان جزع ويامن عليه ان سلم وليوطن نفسه عليه
فيهون ويكتسب المثوبة بالانقياد له قبل نزوله وقرا ابن عامر بفتح اليا
وحمزة والكسائي وماذا تري بضم التا وكسر الرا خالصة والباقون بفتحهما
وابو عمرو يميل فتحة الرا وورش بين بين والباقون باخلاص فتحها قال
يا ابت وقرا ابن عامر بفتح التا افعل ما تؤمر اي ما تؤمر به فحذفا دفعة
او على الترتيب كما عرفت او امرك على ارادة المامور به والاضافة الى
المامور ولعله فهم من كلامه انه راى انه يذبحه مامورا به او علم ان رؤيا
الانبيا حق وان مثل ذلك لا يقدمون عليه الا بامر ولعل الامر في المنام
دون اليقظة لتكون مبادرتهما الى الامتثال ادل على كمال الانقياد والاخلاص
وانما ذكر بلفظ المضارع لتكرر الرؤيا ستجدني ان شاء الله من الصابرين
على الذبح او على قضا الله وقرا نافع بفتح اليا فلما اسلما استسلما لامر الله
او سلم الذبيح نفسه وابرهيم ابنه وقد قري بهما واصلهما سلم هذا لفلان
اذا خلص له فانه سلم من ان ينازع فيه وتله للجبين صرعه على شقه
فوقع جبينه على الارض وهو احد جانبي الجبهة وقيل كبه على وجهه باشارته
لئلا يرى فيه تغيرا يرق له فلا يذبحه وكان ذلك عند الصخرة بمنى او في
الموضع المشرف على مسجده او المنحر الذي ينحر فيه اليوم وناديناه ان
يا ابرهيم قد صدقت الرؤيا بالعزم والاتيان بالمقدمات وقد روي
انه امرّ السكين بقوته على حلقه مرارا فلم تقطع وجواب لما محذوف تقديره
كان ما كان مما ينطق به الحال ولا يحيط به المقال من استبشارهما وشكرهما

لله على ما انعم عليهما من دفع البلا بعد حلوله والتوفيق لما لم يوفق غيرهما
لمثله واظهار فضلهما به على العالمين مع احراز الثواب العظيم الى غير ذلك
انا كذلك نجزي المحسنين تعليل لافراج تلك الشدة عنهما باحسانهما
واحتج به من جوز النسخ قبل وقوعه فانه عليه السلام كان مامورا بالذبح
لقوله افعل ما تؤمر ولم يحصل ان هذا لهو البلاء المبين الابتلاء البين الذي
يتميز فيه المخلص من غيره او المحنة البينة الصعوبة فانه لا اصعب منها
وفديناه بذبح بما يذبح بدله فيتم به الفعل عظيم عظيم الجثة سمين او عظيم
القدر لانه يفدي به الله نبيا ابن نبي واي نبي من نسله سيد المرسلين قيل
كان كبشا من الجنة وقيل وعلا اهبط عليه من ثبير وروي انه هرب منه
عند الجمرات فرماه بسبع حصيات حتى اخذه فصارت سنة والفادي
على الحقيقة ابرهيم وانما قال وفديناه لانه المعطي له والامر به على التجوز
في الفدا او الاسناد اليه واستدل به الحنفية على ان من نذر ذبح ولده
لزمه ذبح شاة وليس فيه ما يدل عليه وتركنا عليه في الاخرين سلام
على ابرهيم سبق بيانه في قصة نوح كذلك نجزي المحسنين انه من
عبادنا المومنين لعله طرح عنه انا اكتفا بذكره مرة في هذه القصة
وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين مقضيا بنبوته مقدرا كونه من الصالحين
وبهذا الاعتبار وقعا حالين ولا حاجة الى وجود المبشر به وقت البشارة
فان وجود ذي الحال غير شرط بل الشرط مقارنة تعلق الفعل به لاعتبار
المعنى بالحال فلا حاجة الى تقدير مضاف يجعل عاملا فيهما مثل وبشرناه
بوجود اسحق اي بان يوجد اسحق نبيا من الصالحين ومع ذلك لا يصير
نظير قوله فادخلوها خالدين فان الداخلين مقدرين خلودهم وقت
الدخول واسحق لم يكن مقدرا نبوة نفسه وصلاحه حيثما يوجد ومن فسر
الكلام باسحق جعل المقصود من البشارة نبوته وفي ذكر الصلاح بعد النبوة
تعظيم لشانه وايماء بانه الغاية لها لتضمنها معنى الكمال والتكميل بالفعل
على الاطلاق وباركنا عليه على ابرهيم في اولاده وعلى اسحق بان اخرجنا
من صلبه انبيا بني اسرائيل وغيرهم كايوب وشعيب او افضنا عليهما بركات
الدين والدنيا وقرئ وبركنا ومن ذريتهما محسن في عمله او الى نفسه
بالايمان والطاعة وظالم لنفسه بالكفر والمعاصي مبين ظاهر ظلمه وفي
ذلك تنبيه على ان النسب لا اثر له في الهدى والضلال وان الظلم في اعقابهما

بهما

لا يعود عليهما منقصة وعيب ولقد مننا على موسى وهارون انعمنا
عليهما بالنبوة وغيرها من المنافع الدينية والدنيوية ونجيناهما وقومهما
من الكرب العظيم من تغلب فرعون او الغرق ونصرناهم الضمير لهما
مع القوم فكانوا هم الغالبين على فرعون وقومه وآتيناهما الكتاب
المستبين البليغ في بيانه وهو التورية وهديناهما الصراط المستقيم
الطريق الموصل الى الحق والصواب وتركنا عليهما في الآخرين سلام
على موسى وهارون انا كذلك نجزي المحسنين انهما من عبادنا المؤمنين
سبق مثله ذلك وان الياس لمن المرسلين هو الياس بن ياسين سبط هرون
اخي موسى بعث بعده وقيل ادريس لانه قرئ ادريس وادراس مكانه وفي
حرف ابي وان ابليس وقرأ ابن ذكوان مع خلاف عنه بحذف همزة الياس
اذ قال لقومه الا تتقون عذاب الله اتدعون بعلا اتعبدونه او تطلبون
الخير منه وهو اسم صنم كان لاهل بك من الشام وهو البلد الذي يقال
له الآن بعلبك وقيل البعل الرب بلغة اليمن والمعنى اتدعون بعض البعول
وتذرون احسن الخالقين وتتركون عبادته وقد اشار فيه الى المقتضي
للانكار المعني بالهمزة ثم صرح به بقوله الله ربكم ورب آبائكم الاولين
وقرأ حمزة والكسائي وحفص ويعقوب بالنصب على البدل فكذبوه فانهم
لمحضرون اي في العذاب وانما اطلقه اكتفاء بالقرينة او لان الاحضار
المطلق مخصوص بالشر عرفا الا عباد الله المخلصين مستثنى من الواو لا
من المحضرين لفساد المعنى وتركنا عليه في الآخرين سلام على آل ياسين
لغة في الياس كسينا وسينين وقيل جمع له مراد به هو واتباعه كالمهلبين
لكن فيه ان العلم اذا جمع يجب تعريفه باللام او للمنسوب اليه بحذف
يا النسب كالاعجمين وهو قليل ملبس وقرأ نافع وابن عامر ويعقوب على
اضافة آل الى ياسين لانهما في المصحف مفصولان فيكون ياسين ابا الياس
وقيل محمد عليه الصلاة والسلام او القرآن او غيره من كتب الله والكل
لا يناسب نظم سائر القصص ولا قوله انا كذلك نجزي المحسنين انه
من عبادنا المؤمنين اذ الظاهر ان الضمير لالياس وان لوطا لمن المرسلين
اذ نجيناه واهله اجمعين الا عجوزا في الغابرين ثم دمرنا الآخرين
سبق بيانه وانكم يا اهل مكة لتمرون عليهم على منازلهم في متاجركم
الى الشام فان سدوم في طريقه مصبحين داخلين في الصباح وبالليل

اي ومساء او نهارا وليلا ولعلها وقعت قريب منزل يمر بها المرتحل عنه
صباحا والقاصد لها مساء افلا تعقلون الكم عقل تعتبرون به وان يونس
لمن المرسلين وقرئ بكسر النون اذ ابق هرب واصله الهرب من السيد
لكن لما كان هربه من قومه بغير اذن ربه حسن اطلاقه عليه الى الفلك
المشحون المملوء فساهم فقارع اهله فكان من المدحضين فصار من المغلوبين
بالقرعة واصله المزلق عن مقام الظفر روي انه لما وعد قومه بالعذاب
خرج من بينهم قبل ان يأمره الله فركب السفينة فوقفت فقالوا هاهنا عبد
ابق فاقترعوا فخرجت القرعة عليه فقال انا الابق ورمى بنفسه في الماء
فالتقمه الحوت فابتلعه من اللقمة وهو مليم داخل في الملامة او آت
بما يلام عليه او مليم نفسه وقرئ بالفتح مبنيا من ليم كمشيب في مشوب
فلولا انه كان من المسبحين الذاكرين الله كثيرا بالتسبيح مدة عمره او في
بطن الحوت وهو قوله لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين
وقيل من المصلين للبث في بطنه الى يوم يبعثون حيا وقيل ميتا وفيه حث
على اكثار الذكر وتعظيم لشانه ومن اقبل عليه في السراء اخذ بيده في الضراء
فنبذناه بان حملنا الحوت على لفظه بالعراء بالمكان الخالي عما يغطيه من
شجر او نبت روي ان الحوت سار مع السفينة رافعا راسه يتنفس فيه
يونس ويسبح حتى انتهوا الى البر فلفظه واختلف في مدة لبثه فقيل بعض
يوم وقيل ثلاثة ايام وقيل سبعة وقيل عشرون وقيل اربعون وهو سقيم
مما ناله قيل صار بدنه كبدن الطفل حين يولد وانبتنا عليه اي فوقه مظلة
عليه شجرة من يقطين من شجر ينبسط على وجه الارض ولا يقوم على ساقه
يفعيل من قطن بالمكان اذا اقام به والاكثر على انها كانت الدباء غطته
باوراقها من الذباب فانه لا يقع عليه ويدل عليه انه قيل لرسول الله
صلى الله عليه وسلم انك لتحب القرع قال اجل هي شجرة اخي يونس وقيل
التين وقيل الموز تغطى بورقه واستظل باغصانه وافطر على ثماره وارسلناه
الى مائة الف هم قومه الذين هرب منهم وهم اهل نينوى والمراد ما سبق
من ارساله او ارسال ثان اليهم او الى غيرهم او يزيدون في مرأى الناظر
اي اذا نظر اليهم قال هم مائة الف او اكثر والمراد الوصف بالكثرة وقرئ
بالواو فآمنوا فصدقوه او فجددوا الايمان به بمحضره فمتعناهم الى حين
الى اجلهم المسمى ولعله انما لم يختم قصته وقصة لوط بما ختم به سائر القصص

تفرقة بينهما وبين ارباب الشرايع الكبرى واولي العزم من الرسل او اكتفا
بالتسليم الشامل لكل الرسل المذكورين في اخر السورة فاستفتهم الربك
البنات ولهم البنون معطوف على مثله في اول السورة امر رسوله
اولا باستفتا قريش عن وجه انكارهم البعث وساق الكلام في تقريره
جار الى ما يلايمه من القصص موصولا بعضها ببعض ثم امر باستفتائهم عن
وجه القسمة حيث جعلوا لله البنات ولانفسهم البنين في قولهم الملائكة
بنات الله وهؤلاء زادوا على الشرك ضلالات اخر التجسيم وتجويز الفنا
على الله تعالى فان الولادة مخصوصة بالاجسام الكاينة الفاسدة وتفضيل
انفسهم عليه حيث جعلوا اوضع الجنسين له وارفعهما لهم واستهانتهم
بالملائكة حيث انثوهم ولذلك كرر الله تعالى انكار ذلك وابطاله في كتابه
مرارا وجعله مما تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال
هدا والانكار ههنا مقصور على الاخيرين لاختصاص هذه الطايفة بهما
ولان فسادهما مما تدركه العامة بمقتضى طباعهم حيث جعل المعادل
للاستفهام عن التقسيم ام خلقنا الملائكة اناثا وهم شاهدون وانما
خص علم المشاهدة لان امثال ذلك لا يعلم الا به فان الانوثة ليست
من لوازم ذاتهم لتمكن معرفته بالعقل الصرف مع ما فيه من الاستهزا والاشعار
بانهم لفرط جهلهم يبتون به كانهم قد شاهدوا خلقهم الا انهم من افكهم
ليقولون ولد الله لعدم ما يقتضيه وقيام ما ينفيه وانهم لكاذبون
فيما يتدينون به وقرئ ولد الله اي الملائكة ولده فعل بمعنى مفعول
يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث اصطفى البنات على البنين
استفهام انكار واستبعاد والاصطفا اخذ صفوة الشي وعن نافع كسر
الهمزة على حذف حرف الاستفهام لدلالة ام بعدها عليها او على الاثبات
باضمار القول اي لكاذبون في قولهم اصطفى او ابداله من ولد الله ما لكم
كيف تحكمون بما لا يقتضيه عقل افلا تذكرون انه منزه عن ذلك ام
لكم سلطان مبين حجة واضحة نزلت عليكم من السما بان الملائكة بناته
فاتوا بكتابكم الذي انزل عليكم ان كنتم صادقين في دعواكم وجعلوا
بينه وبين الجنة نسبا يعني الملائكة ذكرهم باسم جنسهم وضعا منهم ان
يبلغوا هذه المرتبة وقيل قالوا ان الله صاهر الجن فخرجت الملائكة وقيل
قالوا الله والشيطان اخوان ولقد علمت الجنة انهم ان الكفرة او الانس والجن

ان

ان فسرت بغير الملائكة لمحضرون في العذاب سبحان الله عما يصفون
من الولد والنسب الا عباد الله المخلصين استثنا من المحضرين منقطع او
متصل ان فسر الضمير بما يعمهم وما بينهما اعتراض او من يصفون فانكم وما
تعبدون عود الى خطابهم ما انتم عليه على الله بفاتنين مفسدين الناس
بالاغوا الا من هو صال الجحيم الا من سبق في علمه انه من اهل النار يصلاها
لا محالة وانتم ضمير لهم ولالهتهم غلب فيه المخاطب على الغايب ويجوز
ان يكون وما تعبدون لما فيه من معنى المقارنة سادا مسد الخبر اي انكم
والهتكم قرنا لا تزالون تعبدونها ما انتم على ما تعبدونه بفاتنين باعثين
على طريق الفتنة الا ضالا مستوجبا للنار مثلكم وقرئ صال بالضم على انه
جمع محمول على معنى من ساقط واوه لالتقا الساكنين او تخفيف شايل على
القلب كشاك في شايك او المحذوف منه كالمنسي كما في قولهم باليت به با
فان اصلها بالية كعافية وما منا الا له مقام معلوم حكاية اعتراف
الملائكة بالعبودية للرد على عبدتهم والمعنى ما منا احد الا له مقام
في المعرفة والعبادة والانتها الى امر الله تعالى في تدبير العالم ويحتمل
ان يكون هذا وما قبله من قوله سبحان الله من كلامهم ليتصل بقوله و
لقد علمت الجنة كانه قال ولقد علم الملائكة ان المشركين معذبون
بذلك فقالوا سبحان الله تنزيها له عنه ثم استثنوا المخلصين تبرية لهم
منه ثم خاطبوا الكفرة بان الافتتان بذلك للشقاوة المقدرة ثم اعترفوا
بالعبودية وتفاوت مراتبهم فيها لا يتجاوزونها فحذف الموصوف
واقيمت الصفة مقامه وانا لنحن الصافون في اداء الطاعة ومنازل
الخدمة وانا لنحن المسبحون المنزهون الله عما لا يليق به ولعل الاول
اشارة الى درجاتهم في الطاعات وهذا في المعارف وما في ان واللام
وتوسيط الفصل من التاكيد والاختصاص لانهم المواظبون على ذلك دائما
من غير فترة دون غيرهم وقيل هو من كلام النبي والمؤمنين والمعنى وما
منا الا له مقام معلوم في الجنة او بين يدي الله في القيمة وانا لنحن الصافون
في الصلوة المنزهون له عن السوء وان كانوا ليقولون اي مشركو قريش
لو ان عندنا ذكرا من الاولين كتابا من الكتب التي نزلت عليهم لكنا عباد
الله المخلصين لاخلصنا العبادة له ولم نخالف مثلهم فكفروا به اي لما
جاءهم الذكر الذي هو اشرف الاذكار والمهيمن عليها فسوف يعلمون عاقبة

كفرهم ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين اي وعدنا لهم بالنصر
والغلبة وهو قوله انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون
وهو باعتبار الغالب والمقضي بالذات وانما سماه كلمة وهي كلمات لانتظامها
في معنى واحد فتول عنهم فاعرض عنهم حتى حين هو الموعد لنصرك عليهم
وهو يوم بدر وقيل يوم الفتح وابصرهم على ما ينالهم حينئذ والمراد بالامر
الدلالة على ان ذلك كائن قريب فانه قدامه فسوف يبصرون ما قضينا
لك من التاييد والنصرة والثواب في الآخرة وسوف للوعيد لا للتبعيد
افبعذابنا يستعجلون روي انه لما نزل فسوف يبصرون قالوا متى
هذا فنزل فاذا نزل بساحتهم فاذا نزل العذاب بفنائهم شبهه
بجيش هجمهم فاناخ بفنائهم بغتة وقيل الرسول وقرئ نزل على اسناده
الى الجار والمجرور ونزل اي العذاب فساء صباح المنذرين فبئس
صباح المنذرين صباحهم واللام للجنس والصباح مستعار من صباح الجيش
المبيت لوقت نزول العذاب ولما كثرت فيه الهجوم والغارة في الصباح
سموا الغارة صباحا وان وقعت في وقت آخر وتول عنهم حتى حين وابصر
فسوف يبصرون تاكيد الى تاكيد واطلاق بعد تقييد للاشعار بانه
يبصر وانهم يبصرون ما لا يحيط به الذكر من اصناف المسرة وانواع المساءة
او الاول لعذاب الدنيا والثاني لعذاب الآخرة سبحان ربك رب العزة
عما يصفون عما قاله المشركون فيه على ما حكي في السورة واضافة الرب
الى العزة لاختصاصها به اذ لا عزة الا له او لمن اعزه وقد ادرج فيه جملة
صفاته السلبية والثبوتية مع الاشعار بالتوحيد وسلام على المرسلين
تعميم للرسل بالتسليم بعد تخصيص بعضهم والحمد لله رب العالمين على
ما افاض عليهم وعلى من اتبعهم من النعم وحسن العاقبة ولذلك اخره عن
التسليم والمراد تعليم المؤمنين كيف يحمدونه ويسلمون على رسله وعن
علي رضي الله عنه من احب ان يكتال بالمكيال الاوفى من الاجر يوم القيامة
فليكن آخر كلامه من مجلسه سبحان ربك الى آخر السورة وعن النبي صلى
الله عليه وسلم من قرأ سورة والصافات اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد كل جني وشيطان وتباعدت
عنه مردة الجن والشياطين وبرئ من الشرك وشهد له حافظاه يوم القيامة انه كان مؤمنا بالمرسلين

بسم الله الرحمن الرحيم ص قرئ بالكسر لالتقاء الساكنين وقيل
انه امر من المصاداة بمعنى المعارضة ومنه الصدى فانه يعارض الصوت
الاول اي عارض القرآن بعملك وبالفتح لذلك او لحذف حرف القسم وايصال
فعله اليه او اضماره والفتح في موضع الجر فانها غير مصروفة لانها علم
السورة وبالجر والتنوين على تاويل الكتاب والقرآن ذي الذكر الواو للقسم ان
جعل ص اسما للحرف او مذكورا للتحدي او الرمز بكلام مثل صدق محمد او
السورة خبرا لمحذوف او لفظ الامر وللعطف ان جعل مقسما به والجواب
محذوف دل عليه ما في ص من الدلالة على التحدي او الامر بالمعادلة اي
انه لمعجز او انه لواجب العمل به او ان محمدا لصادق او قوله بل الذين كفروا
في عزة وشقاق اي ما كفر به من كفر لخلل وجد فيه بل الذين كفروا به في
عزة اي استكبار عن الحق وشقاق خلاف لله ولرسوله ولذلك كفروا به
وعلى الاولين الاضراب ايضا من الجواب المقدر ولكن من حيث اشعاره
بذلك والمراد بالذكر العظة او الشرف او الشهرة او ذكر ما يحتاج اليه
في الدين من العقائد والشرائع والمواعيد والتنكير في عزة وشقاق للدلالة
على شدتهما وقرئ في غرة اي غفلة عما يجب عليهم النظر فيه كم اهلكنا من
قبلهم من قرن وعيد لهم على كفرهم به استكبارا وشقاقا فنادوا استغاثة
او توبة واستغفارا ولات حين مناص اي ليس الحين حين مناص ولا
هي المشبهة بليس زيدت عليها تاء التانيث للتاكيد كما زيدت على رب
وثم وخصت بلزوم الاحيان وحذف احد المعمولين وقيل هي النافية
للجنس اي لا حين مناص لهم وقيل للفعل والنصب باضماره اي ولا ارى
حين مناص وقرئ بالرفع على انه اسم او مبتدا محذوف الخبر اي ليس حين
مناص حاصلا لهم او لا حين مناص كائن لهم وبالكسر كقوله طلبوا صلحنا ولات
اوان فاجبنا ان لات حين بقاء اما لان لات تجر الاحيان كما ان لولا
تجر الضمائر في نحو قوله لولاك هذا العام لم احجج او لان اوان شبه
باذ لانه مقطوع عن الاضافة اذ اصله اوان صلح ثم حمل عليه مناص تنزيلا
لما اضيف اليه الظرف منزلته لما بينهما من الاتحاد اذ اصله حين مناصهم
ثم بني الحين لاضافته الى غير متمكن ولات بالكسر كجير وتقف الكوفية عليها
بالهاء كالاسماء والبصرية بالتاء كالافعال وقيل ان التاء مزيدة على حين لاتصالها
به في الامام ولا يرد عليه لان خط المصحف خارج عن القياس اذ مثله لم يعهد

فيه والاصل اعتباره الا فيما خصه الدليل ولقوله العاطفون تحين لا من
عاطف والمطعمون زمان ما من مطعم والمناص المنجا من ناصه ينوصه
اذا فاته وعجبوا ان جاءهم منذر منهم بشر مثلهم او امي من عدادهم وقال
الكافرون وضع فيه الظاهر موضع الضمير غضبا عليهم وذما لهم واشعارا
بان كفرهم جسرهم على هذا القول هذا ساحر فيما يظهره من معجزه كذاب
فيما يقوله على الله اجعل الالهة الها واحدا بان جعل الالوهية التي كانت
لهم لواحد ان هذا لشيء عجاب بليغ في العجب فانه خلاف ما اطبق عليه اباؤنا
وما نشاهده من ان الواحد لا يفي علمه وقدرته بالاشياء الكثيرة وقرئ مشددا
وهو ابلغ ككرام وكرام روي انه لما اسلم عمر رضي الله عنه شق ذلك على
قريش فاتوا ابا طالب وقالوا انت شيخنا وكبيرنا وقد علمت ما فعل هؤلاء
السفهاء وانا جئناك لتقضي بيننا وبين ابن اخيك فاستحضر رسول الله صلى
الله عليه وسلم وقال هؤلاء قومك يسالونك السؤال فلا تمل كل الميل عليهم
فقال عليه الصلوة والسلام وماذا يسالوني قالوا ارفضنا وارفض ذكر
الهتنا وندعك والهك فقال ارايتم ان اعطيتكم ما سالتم امعطي انتم كلمة
واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم قالوا نعم وعشرا فقال قولوا
لا اله الا الله فقاموا وقالوا ذلك ان هذا الشيء عجاب وانطلق الملأ
منهم وانطلق اشراف قريش مجلس ابي طالب بعد ما بكتهم رسول الله
ان امشوا قائلين بعضهم لبعض امشوا واصبروا واثبتوا على الهتكم على عبادتها
فلا ينفعكم مكالمته وان هي المفسرة لان الانطلاق عن مجلس التقاول
يشعر بالقول وقيل المراد بالانطلاق الاندفاع في القول وامشوا من
مشت المراة اذا كثرت ولادتها ومنه الماشية اي اجتمعوا وقرئ بغير ان
وقرئ يمشون ان اصبروا ان هذا لشيء يراد ان هذا الامر لشيء من
ريب الزمان يراد بنا فلا مرد له وان هذا الذي يدعيه من التوحيد او يقصده
من الرياسة والترفع على العرب والعجم لشيء يتمنى او يريده كل احد وان دينكم
يطلب ليؤخذ منكم ما سمعنا بهذا بالذي يقوله في الملة الاخرة في الملة
التي ادركنا عليها اباءنا او في ملة عيسى التي هي اخر الملل فان النصارى
يثلثون ويجوز ان يكون حالا من هذا اي ما سمعنا من اهل الكتاب ولا
الكهان بالتوحيد كائنا في الملة الاخرة المترقبة ان هذا الا اختلاق
كذب اختلقه اانزل عليه الذكر من بيننا انكار لاختصاصه بالوحي

وهو مثلهم او ادون منهم في الشرف والرياسة كقولهم لولا نزل هذا القران
على رجل من القريتين عظيم وامثال ذلك دليل على ان مبدأ تكذيبهم
لم يكن الا الحسد وقصور النظر على الحطام الدنيوي بل هم في شك من
ذكري من القران او الوحي لميلهم الى التقليد واعراضهم عن الدليل
وليس في عقيدتهم ما يبتون به من قولهم هذا ساحر كذاب ان هذا الا
اختلاق بل لما يذوقوا عذاب بل لم يذوقوا عذابي بعد فاذا ذاقوه
زال شكهم والمعنى انهم لا يصدقون حتى يمسهم العذاب فيلجئهم الى تصديق
ام عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب بل اعندهم خزائن
رحمته وفي تصرفهم حتى يصيبوا بها من شاؤوا ويصرفوها عمن شاؤوا فيتخيروا
للنبوة بعض صناديدهم والمعنى ان النبوة عطية من الله يتفضل بها على
من يشاء من عباده لا مانع له فانه العزيز اي الغالب الذي لا يغلب الوهاب
الذي له ان يهب كل ما يشاء لمن يشاء ثم رشح ذلك فقال ام لهم ملك السموات
والارض وما بينهما كانه لما انكر عليهم التصرف في نبوته بان ليس عندهم خزائن
رحمته التي لا نهاية لها اردف ذلك بانه ليس لهم مدخل في امر هذا العالم
الجسماني الذي هو جزء يسير من خزائنه فمن اين لهم ان يتصرفوا فيها فليرتقوا
في الاسباب جواب شرط محذوف اي ان كان لهم ذلك فليصعدوا في
المعارج التي يتوصل بها الى العرش حتى يستووا عليه ويدبروا امر العالم فينزلوا
الوحي الى من يستصوبون وهو غاية التهكم بهم والسبب في الاصل هو الوصلة
وقيل المراد بالاسباب السموات لانها اسباب الحوادث السفلية جند ما
هنالك مهزوم من الاحزاب اي هم جند من الكفار المتحزبين على الرسل
مهزوم مكسور عما قريب فمن اين لهم التدابير الالهية والتصرف في الامور
الربانية او فلا تكترث بما يقولون وما مزيدة للتقليل كقولك اكلت شيئا ما
وقيل للتعظيم على الهزء وهو لا يلائم ما بعده وهنالك اشارة الى حيث وضعوا
فيه انفسهم من الانتداب لمثل هذا القول كذبت قبلهم قوم نوح وعاد
وفرعون ذو الاوتاد ذو الملك الثابت بالاوتاد كقوله ولقد غنوا فيها
بانعم عيشة في ظل ملك ثابت الاوتاد ماخوذ من ثبات البيت المطنب
باوتاده او ذو الجموع الكثيرة سموا بذلك لان بعضهم يشد بعضا كالوتد
يشد البناء وقيل نصب اربع سوار وكان يمد يدي المعذب ورجليه اليها
ويضرب عليها اوتادا ويتركه حتى يموت وثمود وقوم لوط واصحاب الايكة

واصحاب الغيضة وهم قوم شعيب وقرا ابن كثير ونافع وابن عامر ليكة اولئك
الاحزاب يعني المتحزبين على الرسل الذين جعل الجند المهزوم منهم ان كل
الا كذب الرسل بيان لما اسند اليهم من التكذيب على الابهام مشتمل على
انواع من التاكيد ليكون تسجيلا على استحقاقهم للعذاب ولذلك رتب
عليه فحق عقاب وهو اما مقابلة الجمع بالجمع او جعل تكذيب الواحد
منهم تكذيب جميعهم وما ينظر هؤلاء وما ينتظر قومك او الاحزاب فانهم
كالحضور لاستحضارهم بالذكر او حضورهم في علم الله الا صيحة واحدة
هي النفخة ما لها من فواق من توقف مقدار فواق وهو ما بين الحلبتين
او رجوع او ترداد فان فيه يرجع اللبن الى الضرع وقرا حمزة والكسائي
بالضم وهما لغتان وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قسطنا من العذاب الذي
توعدنا به او الجنة التي تعد للمؤمنين وهو من قطه اذا قطعه ويقال
لصحيفة الجائزة قط لانها قطعة من القرطاس وقد فسر بها اي عجل لنا
صحيفة اعمالنا ننظر فيها قبل يوم الحساب استعجلوا ذلك استهزاء اصبر
على ما يقولون واذكر عبدنا داود واذكر لهم قصته تعظيما للمعصية في
اعينهم فانه مع علو شانه واختصاصه بعظائم النعم والمكرمات لما اتى
صغيرة نزل عن منزلته ووبخه الملائكة بالتمثيل والتعريض حتى تفطن
فاستغفر ربه واناب فما الظن بالكفرة واهل الطغيان او تذكر قصته
وصن نفسك ان تزل فيلقاك ما لقيه من المعاتبة على اهماله عنان نفسه
ادنى اهمال ذا الايد ذا القوة يقال فلان ايد وذو ايد واد واياد بمعنى
انه اواب رجاع الى مرضاة الله وهو تعليل للايد دليل على ان المراد
به القوة في الدين وكان يصوم يوما ويفطر يوما ويقوم نصف الليل
انا سخرنا الجبال معه يسبحن قد مر تفسيره ويسبحن حال وضع موضع
مسبحات لاستحضار الحال الماضية والدلالة على تجدد التسبيح حالا
بعد حال بالعشي والاشراق ووقت الاشراق وهو حين تشرق الشمس
اي تضيء ويصفو شعاعها وهو وقت الضحى واما شروقها فطلوعها يقال
شرقت الشمس ولما تشرق وعن ام هانئ انه عليه الصلوة والسلم صلى صلاة
الضحى وقال هذه صلاة الاشراق وعن ابن عباس ما عرفت صلاة الضحى
الا بهذه الاية والطير محشورة اليه من كل جانب وانما لم يراع المطابقة
بين الحالين لان الحشر جملة ادل على القدرة منه مدرجا وقرئ والطير

محشورة

محشورة بالابتدا والخبر كل له اواب كل واحد من الجبال والطير لاجل تسبيحه
رجاع الى التسبيح والفرق بينه وبين ما قبله انه يدل على الموافقة في
التسبيح وهذا على المداومة عليها او كل منهما ومن داود مرجع لله التسبيح
وشددنا ملكه وقويناه بالهيبة والنصرة وكثرة الجنود وقرئ بالتشديد
للمبالغة وقيل ان رجلا ادعى بقرة على آخر وعجز عن البيان فاوحي اليه ان اقتل
المدعى عليه فاعلمه فقال صدقت اني قتلت اباه غيلة واخذت البقرة فعظمت
بذلك هيبته وآتيناه الحكمة النبوة وكمال العلم واتقان العمل وفصل الخطاب
وفصل الخصام بتمييز الحق عن الباطل والكلام الملخص الذي ينبه المخاطب
على المقصود من غير التباس يراعي فيه مظان الفصل والوصل والعطف
والاستيناف والاضمار والاظهار والحذف والتكرار ونحوها وانما سمي به
اما بعد لانه يفصل المقصود عما سبق مقدمة له من الحمد والصلوة والسلم
وقيل هو الخطاب القصد الذي ليس فيه اختصار مخل ولا اشباع ممل كما جاء
في وصف كلام الرسول عليه الصلوة والسلم فصل لا نزر ولا هذر وهل اتاك
نبؤ الخصم استفهام معناه التعجب والتشويق الى استماعه والخصم في
الاصل مصدر ولذلك اطلق للجمع اذ تسوروا المحراب اذ تصعدوا
سور الغرفة تفعل من السور كتسنم من السنام واذ متعلق بمحذوف اي
نبا تحاكم الخصم اذ تسوروا او بالنبا على ان المراد به الواقع في عهد داود
وان اسناد اتى اليه على حذف مضاف اي قصة نبا الخصم واذ الثانية في
او بالخصم لما فيه من معنى الفعل لا باتى لان اتيانه الرسول لم يكن حينئذ
اذ دخلوا على داود بدل من الاولى او ظرف لتسوروا ففزع منهم لانهم
نزلوا عليه من فوق في يوم الاحتجاب والحرس على الباب لا يتركون من
يدخل عليه فانه كان عليه السلام جزا زمانه يوما للعبادة ويوما للقضا
ويوما للوعظ ويوما للاشتغال بخاصته فتسور عليه ملائكة على صورة
الانسان في يوم الخلوة قالوا لا تخف خصمان نحن فوجان متخاصمان
على تسمية مصاحب الخصم خصما بغى بعضنا على بعض وهو على الفرض وقصد
التعريض ان كانوا ملائكة وهو المشهور فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط
ولا تجر في الحكومة وقرئ ولا تشطط اي ولا تبعد عن الحق ولا تشطط
ولا تشاطط والكل من معنى الشطط وهو مجاوزة الحد واهدنا الى
سواء الصراط الى وسطه وهو العدل ان هذا اخي بالدين او الصحبة

له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة هي الانثى من الضان وقد يكنى
بها عن المراة والكناية والتمثيل فيما يساق للتعريض ابلغ في المقصود وقرئ
تسع وتسعون بفتح التاء ونعجة بكسر النون وقرا حفص بفتح الياء لي نعجة فقال
اكفلنيها ملكنيها وحقيقته اجعلني اكفلها كما اكفل ما تحت يدي وقيل اجعلها
كفلي اي نصيبي وعزني في الخطاب وغلبني في مخاطبته اياي محاجة بان
جاء بحجاج لم اقدر على رده او في مغالبته اياي في الخطبة يقال خطبت المراة
وخطبها هو فخطبني خطابا حيث زوجها دوني وقرئ وعازني اي غالبني
وعزني على تخفيف عززني قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه
جواب قسم محذوف قصد به المبالغة في انكار فعل خليطه وتهجين طمعه
ولعله قال ذلك بعد اعترافه او على تقدير صدق المدعي والسؤال
مصدر مضاف الى مفعوله وتعديته الى مفعول آخر بالى لتضمنه معنى
الاضافة وان كثيرا من الخلطاء الشركاء الذين خلطوا اموالهم جمع خليط
ليبغي ليتعدي وقرئ بفتح الياء على تقدير النون الخفيفة وحذفها كقوله اضرب
عنك الهموم طارقها وبحذف الياء اكتفاء بالكسرة بعضهم على بعض الا
الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم اي وهم قليل وما مزيدة
للابهام والتعجب من قلتهم وظن داود انما فتناه ابتليناه بالذنب
او امتحناه بتلك الحكومة هل يتنبه بها فاستغفر ربه لذنبه وخر راكعا
ساجدا على تسمية السجود ركوعا لانه مبدؤه او خر للسجود راكعا او مصليا
كانه احرم بركعتي الاستغفار واناب ورجع الى الله بالتوبة واقصى ما
في هذه الاشعار بانه عليه السلام ود ان يكون له ما لغيره وكان له امثاله
فنبهه الله بهذه القضية فاستغفر واناب عنه وما روي ان بصره وقع
على امراة فعشقها وسعى حتى تزوجها وولدت منه سليمان ان صح فلعله
خطب مخطوبته او استنزله عن زوجته وكان ذلك معتادا فيما بينهم
وقد واسى الانصار المهاجرين بهذا المعنى وما قيل انه ارسل اوريا
الى الجهاد مرارا وامر ان يتقدم حتى قتل فتزوجها فزور وافتراء ولذلك قال
علي رضي الله عنه من حدث بحديث داود على ما يرويه القصاص جلدته مائة
وستين وقيل ان قوما قصدوا ان يقتلوه فتسوروا المحراب فدخلوا عليه
فوجدوا عنده اقواما فتصنعوا بهذا التحاكم فعلم غرضهم وقصد ان ينتقم
منهم فظن ان ذلك ابتلاء من الله فاستغفر ربه مما هم به واناب فغفرنا له

ذلك اي ما استغفر عنه وان له عندنا لزلفى لقربة بعد المغفرة وحسن
مآب مرجع في الجنة يا داود انا جعلناك خليفة في الارض استخلفناك
على الملك فيها او جعلناك خليفة ممن قبلك من الانبياء القائمين بالحق فاحكم
بين الناس بالحق بحكم الله ولا تتبع الهوى ما تهوى النفس وهو يؤيد ما
قيل ان ذنبه المبادرة الى تصديق المدعي وتظليم الآخر قبل مسالته فيضلك
عن سبيل الله دلائله التي نصبها على الحق ان الذين يضلون عن سبيل
الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب بسبب نسيانهم وهو ضلالهم
عن السبيل فان تذكره يقتضي ملازمة الحق ومخالفة الهوى وما خلقنا السماء
والارض وما بينهما باطلا خلقا باطلا لا حكمة فيه او ذوي باطل بمعنى مبطلين
عابثين كقوله وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين او للباطل
الذي هو متابعة الهوى بل للحق الذي هو مقتضى الدليل من التوحيد والتدرع بالشرع
كقوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون على وضعه موضع المصدر مثل
هنيئا ذلك ظن الذين كفروا الاشارة الى خلقها باطلا والظن بمعنى المظنون
فويل للذين كفروا من النار بسبب هذا الظن ام نجعل الذين آمنوا وعملوا
الصالحات كالمفسدين في الارض ام منقطعة والاستفهام فيها للانكار
والتسوية بين الحزبين التي هي من لوازم خلقها باطلا ليدل على نفيه وكذا
التي في قوله ام نجعل المتقين كالفجار كانه انكر التسوية اولا بين المؤمنين
والكافرين ثم بين المتقين من المؤمنين والمجرمين منهم ويجوز ان يكون
تكريرا للانكار الاول باعتبار وصفين آخرين يمنعان التسوية من الحكيم
الرحيم والآية تدل على صحة القول بالحشر فان التفاضل بينهما اما ان
يكون في الدنيا والغالب فيها عكس ما يقتضي الحكمة فيه او في غيرها وذلك
يستدعي ان يكون لهم حال اخرى يجازون فيها كتاب انزلناه اليك مبارك
نفاع وقرئ بالنصب على الحال ليدبروا آياته ليتفكروا فيها فيعرفوا ما
يدبر ظاهرها من التاويلات الصحيحة والمعاني المستنبطة وقرئ لتدبروا
على الاصل ولتدبروا انت وعلماء امتك وليتذكر اولوا الالباب وليتعظ
به ذوو العقول السليمة او ليستحضروا ما هو كالمركوز في عقولهم من فرط
تمكنهم من معرفته بما نصب عليه من الدلائل فان الكتب الالهية بيان لما
لا يعرف الا من الشرع وارشاد الى ما يستقل به العقل ولعل التدبر للمعلوم
الاول والتذكر للثاني ووهبنا لداود سليمان نعم العبد اي نعم العبد

سليمن اذ ما بعده تعليل للمدح وهو من حاله انه اواب رجاع الى الله بالتوبة
او الى التسبيح مرجع له اذ عرض عليه ظرف لاواب او لنعم والضمير لسليمن
عند الجمهور بالعشي بعد الظهر الصافنات الصافن من الخيل الذي يقوم
على طرف سنبك يد او رجل وهو من الصفات المحمودة في الخيل لا تكاد
تكون الا في العراب الخلص الجياد جمع جواد او جود وهو الذي يسرع
في جريه وقيل الذي يجود في الركض وقيل جمع جيد روي انه عليه السلم
غزا دمشق ونصيبين واصاب الف فرس وقيل اصابها ابوه من العمالقة
فورثها منه فاستعرضها فلم تزل تعرض عليه حتى غربت الشمس وغفل عن العصر
او عن ورد كان له فاغتم لما فاته فاستردها فعقرها تقربا لله فقال اني احببت
حب الخير عن ذكر ربي اصل احببت ان يعدى بعلى لانه بمعنى آثرت لكن لما
انيب مناب انبت عدي تعديته وقيل معنى تقاعدت من قوله مثل بعير السوء
اذا احبا اي برك وحب الخير مفعول له والخير المال الكثير والمراد به الخيل
التي شغلته ويحتمل انه سماها خيرا لتعلق الخير بها قال عليه الصلوة والسلم
الخيل معقود بنواصيها الخير الى يوم القيمة وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو
بفتح اليا حتى توارت بالحجاب اي غربت الشمس شبه غروبها بتواري
المخباة بحجابها واضمارها من غير ذكر لدلالة العشي عليه ردوها علي
الضمير للصافنات فطفق مسحا فاخذ بمسح السيف مسحا بالسوق والاعناق
اي بسوقها واعناقها يقطعها من قولهم مسح علاوته اذا ضرب عنقه وقيل
جعل يمسح بيده اعناقها وسوقها حبا لها وعن ابن كثير بالسؤق على همز
الواو لضمة ما قبلها كمؤقن وعن ابي عمرو بالسؤوق كما في موسى وقرئ بالساق
اكتفا بالواحد عن الجمع لامن الالتباس ولقد فتنا سليمان والقينا على كرسيه
جسدا ثم اناب واظهر ما قيل فيه ما روي مرفوعا انه قال لاطوفن الليلة
على سبعين امراة تاتي كل واحدة بفارس يجاهد في سبيل الله ولم يقل ان
شا الله فطاف عليهن فلم تحمل الا امراة واحدة جاءت بشق رجل فوالذي
نفس محمد بيده لو قال ان شا الله لجاهدوا فرسانا وقيل ولد له ابن فاجتمعت
الشياطين على قتله فعلم ذلك فكان يغذوه في السحاب فما شعر به الا
ان القي على كرسيه ميتا فتنبه على خطائه بان لم يتوكل على الله وقيل انه
غزا صيدون من الجزاير فقتل ملكها واصاب ابنته جرادة فاحبها وكان
لا يرقا دمعها جزعا على ابيها فامر الشياطين فمثلوا لها صورته وكانت تغدو

اليها

اليها وتروح مع ولايدها يسجدون لها كعادتهن في ملكه فاخبره آصف
فكسر الصورة وضرب المراة وخرج الى الفلاة باكيا متضرعا وكانت له ام ولد
اسمها امينة اذا دخل للطهارة اعطاها خاتمه وكان ملكه فيه فاعطاها
اياه يوما فتمثل لها بصورته شيطان اسمه صخر واخذ الخاتم فتختم به وجلس على
كرسيه فاجتمع اليه الخلق ونفذ حكمه في كل شي الا في نسايه وغير سليمان
عن هيئته فاتاها لطلب الخاتم فطردته فعرف ان الخطيئة قد ادركته فكان
يدور على البيوت يتكفف حتى مضى اربعون يوما عدد ما عبدت الصورة في
بيته فطار الشيطان وقذف الخاتم في البحر فابتلعته سمكة فوقعت في يده
فبقر بطنها فوجد الخاتم فتختم به وخر ساجدا وعاد اليه الملك فعلى هذا
الجسد صخر سمي به وهو جسم لا روح فيه لانه كان متمثلا بما لم يكن كذلك
والخطيئة تغافله عن حال اهله لان اتخاذ التماثيل كان جايزا حينئذ وسجود
الصورة بغير علمه لا يضره قال رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي
لاحد من بعدي لا يتسهل له ولا يكون ليكون معجزة لي مناسبة لحالي
او لا ينبغي لاحد ان يسلبه مني بعد هذه السلبة او لا يصح لاحد من بعدي
لعظمته كقولك لفلان ما ليس لاحد من الفضل والمال على ارادة وصف الملك
بالعظمة لا ان لا يعطى احد مثله فيكون منافسة وتقديم الاستغفار على
الاستيهاب لمزيد اهتمامه بامر الدين ووجوب تقديم ما يجعل الدعا بصدد
الاجابة وقرا نافع وابو عمرو بفتح اليا انك انت الوهاب المعطي ما
تشا لمن تشا فسخرنا له الريح فذللناها لطاعته اجابة لدعوته وقرئ
الرياح تجري بامره رخا لينة من الرخاوة لا تزعزع او لا تخالف ارادته
كالمامور المنقاد حيث اصاب اراد من قولهم اصاب الصواب فاخطا الجواب
والشياطين عطف على الريح كل بناء وغواص بدل منه وآخرين مقرنين
في الاصفاد عطف على كل كانه فصل الشياطين الى عملة استعملهم في الاعمال
الشاقة كالبناء والغوص ومردة قرن بعضهم مع بعض في السلاسل ليكفوا
عن الشر ولعل اجسامهم شفافة صلبة فلا ترى ويمكن تقييدها هذا والاقرب
ان المراد تمثيل كفهم عن الشرور بالاقران في الصفد وهو القيد وسمي به العطاء
لانه يرتبط بالمنعم عليه وفرقوا بين فعليهما فقالوا صفده قيده واصفده اعطاه
عكس وعد واوعد وفي ذلك نكتة هذا عطاؤنا اي هذا الذي اعطيناك
من الملك والبسطة والتسلط على ما لم يسلط به غيرك عطاؤنا فامنن او امسك

فاعط من شئت وامنع من شئت بغير حساب حال من المستكن في الامر اي
غير محاسب على منه وامساكه لتفويض التصرف فيه اليك او من العطا او صله
له وما بينهما اعتراض والمعنى عطا جم لا يكاد يمكن حصره وقيل الاشارة
الى تسخير الشياطين والمراد بالمن والامساك اطلاقهم وابقاوهم في القيد
وان له عندنا لزلفى في الاخرة مع ما له من الملك العظيم في الدنيا وحسن ماب
هو الجنة واذكر عبدنا ايوب هو ابن عيص بن اسحق اذ نادى ربه بدل
من عبدنا وايوب عطف بيان له اني مسني بان مسني وقرا حمزة باسكان
اليا واسقاطها من الوصل الشيطان بنصب بتعب وعذاب الم وهو حكاية
لكلامه الذي ناداه له ولولاها لقال بانه مسه والاسناد الى الشيطان
اما لان الله مسه بذلك لما فعل بوسوسته كما قيل انه اعجب بكثرة ماله واستغاثه
مظلوم فلم يغثه او كانت مواشيه في ناحية ملك كافر فداهنه ولم يغزه او لسواله
امتحانا لصبره فيكون اعترافا بالذنب او مراعاة للادب او لانه وسوس الى اتباعه
حتى رفضوه واخرجوه من ديارهم او لان المراد من النصب والعذاب ما كان
يوسوس اليه في مرضه من عظم البلا والقنوط من الرحمة ويغريه على الجزع
وقرا يعقوب بفتح النون على المصدر وقرى بفتحتين وهو لغة كالرشد
والرشد وبضمتين للتثقيل اركض برجلك حكاية لما اجيب به اي اضرب
برجلك الارض هذا مغتسل بارد وشراب اي فضربها فنبعت عين
فقيل هذا مغتسل اي تغتسل به وتشرب منه فيبرا باطنك وظاهرك
وقيل نبعت عينان حارة وباردة فاغتسل من الحارة وشرب من الاخرى
ووهبنا له اهله بان جمعناهم عليه بعد تفرقهم او احييناهم بعد موتهم
وقيل وهبنا له مثلهم ومثلهم معهم حتى كان له ضعف ما كان رحمة منا
لرحمتنا عليه وذكرى لاولي الالباب وتذكيرا لهم لينتظروا الفرج بالصبر
واللجا الى الله فيما يحيق بهم وخذ بيدك ضغثا عطف على اركض
والضغث الحزمة الصغيرة من الحشيش ونحوه فاضرب به ولا تحنث
روي ان زوجته ليا بنت يعقوب وقيل رحمة بنت افرايم بن يوسف
ذهبت لحاجة فابطات فحلف ان برئ ضربها مائة ضربة فحلل الله يمينه
بذلك وهي رخصة باقية في الحدود انا وجدناه صابرا فيما اصابه
في النفس والاهل والمال ولا يخل به شكواه الى الله من الشيطان فانه
لا يسمى جزعا كتمني العافية وطلب الشفا مع انه قال ذلك خيفة ان يفتنه

او قومه

او قومه في الدين نعم العبد ايوب انه اواب مقبل بشراشره على الله
واذكر عبادنا ابرهيم واسحق ويعقوب وقرا ابن كثير عبدنا وضع الجنس
موضع الجملة على انه ابرهيم وحده لمزيد شرفه عطف بيان له واسحق
ويعقوب عطف عليه اولي الايدي والابصار اولي القوة في الطاعة
والبصيرة في الدين اولي الاعمال الجليلة والعلوم الشريفة فعبر عن الا بالايدي
بالاعمال لان كثرتها بمباشرتها وبالابصار عن المعارف لانها اقوى
مباديها وفيه تعريض بالبطلة الجهال انهم كالزمنى والعماة انا اخلصناهم
بخالصة جعلناهم خالصين لنا بخصلة خالصة لا شوب فيها ذكرى الدار
تذكرهم الاخرة دايما فان خلوصهم في الطاعة بسببها وذلك لان مطمح
نظرهم فيما ياتون ويذرون جوار الله والفوز بلقايه وذلك في الاخرة
واطلاق الدار للاشعار بانها الدار الحقيقية والدنيا معبر واضاف
نافع بخالصة الى ذكرى للبيان او لانه مصدر بمعنى الخلوص فاضيف
الى فاعله وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار لمن المختارين من امثالهم
المصطفين عليهم في الخير جمع خير كشر واشرار وقيل جمع خير او خير
على تخفيفه كاموات في جمع ميت او ميت واذكر اسمعيل واليسع هو ابن
اخطوب استخلفه الياس على بني اسرائيل ثم استنبي واللام فيه كما في قوله
رايت الوليد بن اليزيد مباركا وقرا حمزة والكسائي والليسع تشبيها
بالمنقول من ليسع من اللسع وذا الكفل ابن عم يسع او بشر بن ايوب
واختلف في نبوته ولقبه فقيل فر اليه مائة نبي من القتل فاواهم وكفلهم
وقيل تكفل بعمل رجل صالح كان يصلي كل يوم مائة صلاة وكل اي وكلهم من الاخيار
هذا اشارة الى ما تقدم من امورهم ذكر شرف لهم او نوع من الذكر وهو
القران ثم شرع في بيان ما اعد لهم ولامثالهم فقال وان للمتقين لحسن
ماب مرجع جنات عدن عطف بيان لحسن ماب وهو من الاعلام
الغالبة لقوله جنات عدن التي وعد الرحمن عباده بالغيب وانتصب
عنها مفتحة لهم الابواب على الحال والعامل فيها ما في للمتقين من
معنى الفعل وقريتا مرفوعتين على الابتدا والخبر او انهما خبران لمحذوف
[illegible] متكين فيها يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب حالان متعا
او متداخلان من الضمير في لهم لا من المتقين للفصل والاظهر ان يدعون
استيناف لبيان حالهم ومتكين حال من ضميره وعندهم قاصرات الطرف

لا ينظرن الى غيرهن واجهن أتراب لدات لهم فان التحاب بين الاقران
اثبت او بعضهن لبعض لا عجوز فيهن ولا صبية واشتقاقه من التراب
فانه يمسهم في وقت واحد هذا ما توعدون ليوم الحساب لاجله
فان الحساب علة الوصول الى الجزا وقرا ابن كثير وابو عمرو بالياء ليوافق
ما قبله ان هذا لرزقنا ما له من نفاد انقطاع هذا اي الامر هذا او هذا
كما ذكر او خذ هذا وان للطاغين لشر مآب جهنم اعرابه ما سبق يصلونها
حال من جهنم فبئس المهاد المهد او المفترش مستعار من فراش النائم
والمخصوص بالذم محذوف وهو جهنم لقوله لهم من جهنم مهاد هذا فليذوقوه
اي ليذوقوا هذا فليذوقوه او العذاب هذا فليذوقوه ويجوز ان يكون
مبتدا خبره حميم وغساق وهو على الاولين خبر محذوف اي هو حميم
والغساق ما يغسق من صديد اهل النار من غسقت العين اذا سال دمعها
وقرا حفص وحمزة والكسائي غساق بتشديد السين واخر اي مذوق او
عذاب اخر وقرا البصريان واخرى اي ومذوقات او انواع عذاب اخر
من شكله من مثل هذا المذوق او العذاب في الشدة وتوحيد الضمير
على انه لما ذكر او للشراب الشامل للحميم والغساق او للغساق وقرئ
بالكسر وهي لغة ازواج اجناس خبر لاخر او صفة له او للثلاثة او مرتفع
بالجار والخبر محذوف مثل لهم هذا فوج مقتحم معكم حكاية ما يقال
للرؤسا الطاغين اذا دخلوا النار واقتحمها معهم فوج تبعهم في الضلال
والاقتحام ركوب الشدة والدخول فيها لا مرحبا بهم دعاء من المتبوعين
على اتباعهم او صفة لفوج او حال اي مقولا فيهم لا مرحبا اي ما اتوا
لهم رحبا وسعة انهم صالوا النار داخلون النار باعمالهم مثلنا قالوا
اي الاتباع للرؤسا بل انتم لا مرحبا بكم بل انتم احق بما قلتم او قيل لنا
لضلالكم واضلالكم كما قالوا انتم قدمتموه لنا قدمتم العذاب
او الصلى لنا باغوائنا واغرائنا على ما قدمتموه من العقائد الزائغة
والاعمال القبيحة فبئس القرار فبئس المقر جهنم قالوا اي الاتباع ايضا
ربنا من قدم لنا هذا فزده عذابا ضعفا في النار مضاعفا اي
ذا ضعف وذلك بان يزيد على عذابه مثله فيصير ضعفين لقوله ربنا
آتهم ضعفين من العذاب وقالوا اي الطاغون ما لنا لا نرى رجالا
كنا نعدهم من الاشرار يعنون فقرا المسلمين الذين يسترذلونهم ويسخرون

بهم

بهم اتخذناهم سخريا صفة اخرى لرجالا وقرا الحجازيان وابن عامر وعاصم
بهمزة الاستفهام على انه انكار على انفسهم وتانيب لها في الاستسخار منهم
وقرا نافع وحمزة والكسائي سخريا بالضم وقد سبق مثله في المؤمنين ام زاغت
مالت عنهم الابصار فلا نراهم وام معادلة لما لنا لا نرى على ان المراد نفي
رؤيتهم لغيبتهم كانهم قالوا اليسوا هاهنا ام زاغت ابصارنا او لاتخذناهم
على القراءة الثانية بمعنى اي الامرين فعلنا بهم الاستسخار منهم ام تحقيرهم
فان زيغ الابصار كناية عنه على معنى انكارهم على انفسهم او منقطعة والمراد
الدلالة على ان استرذالهم والاستسخار منهم كان لزيغ ابصارهم وقصور
انظارهم على رثاثة حالهم ان ذلك الذي حكينا عنهم لحق لا بد ان يتكلموا
به ثم بين ما هو فقال تخاصم اهل النار وهو بدل من حق او خبر محذوف وقرئ
بالنصب على البدل من ذلك قل يا محمد للمشركين انما انا منذر انذركم
عذاب الله وما من اله الا الله الواحد الذي لا يقبل الشركة والكثرة في
ذاته القهار لكل شيء رب السموات والارض وما بينهما منه خلقها
واليه امرها العزيز الذي لا يغلب اذا عاقب الغفار الذي يغفر ما يشاء من
الذنوب لمن يشاء وفي هذه الاوصاف تقرير للتوحيد ووعد ووعيد للموحدين
والمشركين وتثنية ما يشعر بالوعيد وتقديمه لان المدعو به هو الانذار قل
هو اي ما انبأتكم به من اني نذير من عقوبة من هذه صفته وانه واحد في
الالوهية وقيل ما بعده من نبأ آدم نبأ عظيم انتم عنه معرضون لتمادي
غفلتكم فان العاقل لا يعرض عن مثله كيف وقد قامت عليه الحجج الواضحة
اما على التوحيد فما مر واما على النبوة فقوله ما كان لي من علم بالملأ
الاعلى اذ يختصمون فان اخباره عن تقاول الملائكة وما جرى بينهم
على ما وردت في الكتب المتقدمة من غير سماع ومطالعة كتاب لا يتصور
الا بالوحي واذ متعلق بعلم او بمحذوف اذ التقدير من علم بكلام الملأ
الاعلى ان يوحى الي الا انما انا نذير مبين اي لانما كانه لما جوز ان
الوحي يأتيه بين بذلك ما هو المقصود به تحقيقا لقوله انما انا منذر ويجوز
ان يرتفع باسناد يوحى اليه وقرئ انما بالكسر على الحكاية اذ قال ربك
للملائكة اني خالق بشرا من طين بدل من اذ يختصمون مبين له فان القصة
التي دخلت اذ عليها مشتملة على تقاول الملائكة وابليس في خلق آدم واستحقاقه
للخلافة والسجود على ما مر في البقرة غير انها اختصرت اكتفاء بذلك واقتصارا

على ما هو المقصوص ها هنا وهو انذار المشركين على استكبارهم على النبي بمثل
ما حاق ابليس على استكباره على آدم هذا ومن الجائز ان يكون مقاولة الله
اياهم بواسطة الملك وان يفسر الملا الاعلى بما يعم الله والملائكة فاذا
سويته عدلت خلقته ونفخت فيه من روحي واحييته بنفخ الروح فيه
واضافته الى نفسه لشرفه وطهارته فقعوا له فخروا له ساجدين تكرمة
وتبجيلا له وقد مر الكلام فيه في البقرة فسجد الملائكة كلهم اجمعون
الا ابليس استكبر تعظم وكان وصار من الكافرين باستكباره امر الله
واستنكافه عن المطاوعة او كان منهم في علم الله قال يا ابليس ما منعك
ان تسجد لما خلقت بيدي خلقته بنفسي من غير توسط كاب وام والتثنية
لما في خلقه من مزيد القدرة واختلاف الفعل وقرئ على التوحيد وترتيب
الانكار عليه للاشعار بانه المستدعي للتعظيم او بانه الذي تشبث به
في تركه وهو لا يصلح للمانع اذ للسيد ان يستخدم بعض عبيده لبعض سيما وله
مزيد اختصاص استكبرت ام كنت من العالين تكبرت من غير استحقاق
او كنت ممن علا واستحق التفوق وقيل استكبرت الان ام لم تزل كنت من
المستكبرين وقرئ استكبرت بحذف الهمزة لدلالة ام عليها او بمعنى الاخبار
قال انا خير منه ابدا للمانع وقوله خلقتني من نار وخلقته من طين
دليل عليه وقد سبق الكلام فيه قال فاخرج منها من الجنة او السما
او من الصورة الملكية فانك رجيم مطرود من الرحمة ومحل الكرامة
وان عليك لعنتي الى يوم الدين قال رب فانظرني الى يوم يبعثون
قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم مر بيانه في الحجر قال
فبعزتك فبسلطانك وقهرك لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم
المخلصين الذين اخلصهم الله لطاعته وعصمهم من الضلالة او اخلصوا
قلوبهم لله على اختلاف القرائتين قال فالحق والحق اقول اي فاحق
الحق واقوله وقيل الحق الاول اسم الله تعالى ونصبه بحذف حرف القسم
كقوله ان عليك الله ان تبايعا وجوابه لاملان جهنم منك وممن تبعك
منهم اجمعين وما بينهما اعتراض وهو على الاول جواب محذوف والجملة
تفسير للحق المقول وقرا عاصم وحمزة برفع الاول على الابتدا اي الحق يميني
او قسمي او الخبر اي انا الحق وقريا مرفوعين على حذف الضمير من اقول
كقوله كله لم اصنع ومجرورين على اضمار حرف القسم في الاول وحكاية لفظ

المقسم به في الثاني للتوكيد وهو شايع فيه اذ شارك الاول وبرفع الاول
وجره ونصب الثاني وتخريجه على ما ذكرنا والضمير في منهم للناس اذ
الكلام فيهم والمراد منك من جنسك ليتناول الشيطان وقيل للثقلين واجمعين
تاكيد له او للضميرين قل ما اسالكم عليه من اجر اي على القران او تبليغ
الوحي وما انا من المتكلفين المتصنعين بما ليس من اهله على ما عرفتم من
حالي فانتحل النبوة واتقول القران ان هو الا ذكر عظة للعالمين للثقلين
ولتعلمن نباه وهو ما فيه من الوعد والوعيد او صدقه باتيان ذلك بعد
حين بعد الموت او يوم القيامة او عند ظهور الاسلام وفيه تهديد وعن
النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة ص كان له بوزن كل جبل سخره
الله لداود عشر حسنات وعصمه ان يصر على ذنب صغير او كبير

قوله عز وجل قل يا عبادي الذين اسرفوا الاية الى اخر الثلاث نزلت
في المدينة في وحشي واصحابه وهي خمس وسبعون او اثنان وسبعون آية
كوفي وثلاث شامي واثنان في الباقين اختلافها فيما هم فيه يختلفون
مخلصا له الدين ومخلصا له الدين من هاد بسم الله الرحمن الرحيم
تنزيل الكتاب خبر محذوف مثل هذا او مبتدا خبره من الله العزيز الحكيم
وهو على الاول صلة التنزيل او خبر ثان او حال عمل فيها معنى الاشارة
او التنزيل والظاهر ان الكتاب على الاول السورة وعلى الثاني القران
وقرئ تنزيل بالنصب على اضمار فعل نحو اقرا او الزم انا انزلنا اليك
الكتاب بالحق ملتبسا بالحق او بسبب اثبات واظهاره وتفصيله فاعبد
الله مخلصا له الدين ممحضا له الدين من الشرك والريا وقرئ برفع الدين
على الاستيناف لتعليل الامر وتقديم الخبر لتاكيد الاختصاص المستفاد من
اللام كما صرح به موكدا او لجراه مجرى المعلوم المقرر لكثرة حججه وظهور
براهينه فقال الا لله الدين الخالص اي الا هو الذي وجب اختصاصه
بان يخلص له الطاعة فانه المتفرد بصفات الالوهية والاطلاع على الاسرار
والضماير والذين اتخذوا من دونه اوليا يحتمل المتخذين من الكفرة والمتخذين
من الملائكة وعيسى والاصنام على حذف الراجع واضمار المشركين
من غير ذكر لدلالة المساق عليهم وهو مبتدا خبره على الاول ما نعبدهم

الا ليقربونا الى الله زلفى باضمار القول او ان الله يحكم بينهم وهو متعين
على الثاني وعلى هذا يكون القول المضمر بما في حيزه حالا او بدلا من الصلة
وزلفى مصدر او حال وقرئ قالوا ما نعبدهم وما نعبدكم الا ليقربونا حكاية
لما خاطبوا به آلهتهم ونعبدهم بضم النون اتباعا فيما هم فيه يختلفون
من الدين بادخال المحق الجنة والمبطل النار والضمير للكفرة ومقابليهم
وقيل لهم ولمعبوديهم فانهم يرجون شفاعتهم وهم يلعنونهم ان الله
لا يهدي لا يوفق للاهتداء الى الحق من هو كاذب كفار فانهما فاقدا
البصيرة لو اراد الله ان يتخذ ولدا كما زعموا لاصطفى مما يخلق ما يشاء
اذ لا موجود سواه الا وهو مخلوقه لقيام الدلالة على امتناع وجود واجبين
ووجوب استناد ما عدا الواجب اليه ومن البين ان المخلوق لا يماثل الخالق
فيقوم مقام الولد له ثم قرر ذلك بقوله سبحانه هو الله الواحد القهار
فان الالوهية الحقيقية تتبع الوجوب المستلزم للوحدة الذاتية وهي
تنافي المماثلة فضلا عن التوالد لان كل واحد من المثلين مركب من الحقيقة
المشتركة والتعين المخصوص والقهارية المطلقة تنافي قبول الزوال
المحوج الى الولد ثم استدل على ذلك بقوله خلق السموات والارض
بالحق يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل يغشى كل واحد منهما
الاخر كانه يلف عليه لف اللباس باللابس او يغيبه كما يغيب الملفوف
باللفافة او يجعله كارا عليه كرورا متتابعا تتابع اكوار العمامة وسخر
الشمس والقمر كل يجري لاجل مسمى هو منتهى دوره او منقطع حركته
الا هو العزيز القادر على كل ممكن الغالب على كل شيء الغفار حيث لم يعاجل
بالعقوبة وسلب ما في هذه الصنايع من الرحمة وعموم المنفعة خلقكم
من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها استدلال اخر بما اوجده في
العالم السفلي مبدوا به من خلق الانسان لانه اقرب واكثر دلالة
واعجب وفيه على ما ذكره ثلاث دلالات خلق آدم اولا من غير اب وام
ثم خلق حوى من قصيراه ثم تشعيب الخلق الفايت للحصر منهما وثم للعطف
على محذوف هو صفة نفس مثل خلقها او على معنى واحدة اي من نفس
وحدت ثم جعل منها زوجها فشفعها بها او على خلقكم لتفاوت ما بين
الايتين فان الاولى عادة مستمرة دون الثانية وقيل اخرج من ظهره ذرية
كالذر ثم خلق منها حوى وانزل لكم وقضى او قسم لكم فان قضاياه

توصف

توصف بالنزول من السماء حيث كتب في اللوح او احدث لكم باسباب نازلة
كاشعة الكواكب والامطار من الانعام ثمانية ازواج ذكرا وانثى من
الابل والبقر والضان والمعز يخلقكم في بطون امهاتكم بيان لكيفية خلق
ما ذكر من الاناسي والانعام اظهارا لما فيها من عجايب القدرة غير انه غلب اولي
العقل او خصهم بالخطاب لانهم المقصودون خلقا من بعد خلق حيوانا
سويا من بعد عظام مكسوة لحما من بعد عظام عارية من بعد مضغ من بعد
علق من بعد نطف في ظلمات ثلاث ظلمة البطن والرحم والمشيمة او الصلب
والرحم والبطن ذلكم الذي هذه افعاله الله ربكم هو المستحق لعبادتكم
والمالك له الملك لا اله الا هو اذ لا يشاركه في الخلق غيره فانى
تصرفون يعدل بكم عن عبادته الى الاشراك ان تكفروا فان الله غني
عنكم عن ايمانكم ولا يرضى لعباده الكفر لاستضرارهم به رحمة عليهم
وان تشكروا يرضه لكم لانه سبب فلاحكم وقرا ابن كثير ونافع في رواية
وابو عمرو والكسائي باشباع ضمة الهاء لانها صارت بحذف الالف
موصولة بمتحرك وعن ابي عمرو ويعقوب اسكانها وهو لغة فيها ولا
تزر وازرة وزر اخرى ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم تعملون
بالمحاسبة والمجازاة انه عليم بذات الصدور فلا يخفى عليه خافية
من اعمالكم واذا مس الانسان ضر دعا ربه منيبا اليه لزوال ما ينازع
العقل في الدلالة على ان مبدا الكل منه ثم اذا خوله اعطاه من الخول
وهو التعهد او الخول وهو الافتخار نعمة منه من الله نسي ما كان يدعو
اليه اي الضر الذي كان يدعو الله الى كشفه او ربه الذي كان يتضرع
اليه وما مثل الذي في قوله وما خلق الذكر والانثى من قبل من قبل النعمة
وجعل لله اندادا ليضل عن سبيله وقرا ابن كثير وابو عمرو ورويس بفتح
الياء والضلال والاضلال لما كانا نتيجة جعله صح تعليله بهما وان لم
يكونا غرضين قل تمتع بكفرك قليلا امر تهديد فيه اشعار بان الكفر
نوع تشهي لا سند له واقناط للكافرين من التمتع في الاخرة ولذلك علله
بقوله انك من اصحاب النار على سبيل الاستيناف للمبالغة امن هو
قانت قايم بوظايف الطاعات اناء الليل ساعاته وام متصلة بمحذوف
تقديره الكافر خير ام من هو قانت او منقطعة والمعنى بل امن هو قانت
كمن ضده وقرا الحجازيان وحمزة بتخفيف الميم بمعنى امن هو قانت لله كمن

ربكم صح

جعل له اندادا ساجدا وقايما حالان من ضمير قانت وقرى بالرفع على الخبر
بعد الخبر والواو للجمع بين الصفتين يحذر الاخرة ويرجو رحمة ربه
في موقع الحال او الاستيناف للتعليل قل هل يستوى الذين يعلمون
والذين لا يعلمون نفى لاستواء الفريقين باعتبار القوة العلمية بعد نفيها
باعتبار العملية على وجه ابلغ لمزيد فضل العلم وقيل تقرير للاول
على سبيل التشبيه اى كما لا يستوى العالمون والجاهلون لا يستوى
القانتون والعاصون انما يتذكر اولوا الالباب بامثال هذه البيانات
وقرى يذكر بالادغام قل يا عباد الذين امنوا اتقوا ربكم بلزوم طاعته
للذين احسنوا في هذه الدنيا حسنة اى للذين احسنوا بالطاعات
مثوبة حسنة في الاخرة وقيل معناه للذين احسنوا حسنة في الدنيا هي الصحة
والعافية وفي هذه بيان لمكان حسنة وارض الله واسعة فمن تعسر عليه
التوفر على الاحسان في وطنه فليهاجر الى حيث يتمكن منه انما يوفى الصابرون
على مشاق الطاعة من احتمال البلاء ومهاجرة الاوطان لها اجرهم بغير حساب
اجرا لا يهتدي اليه حساب الحساب وفي حديث تنصب الموازين يوم القيمة
لاهل الصلوة والصدقة والحج فيوفون بها اجورهم ولا تنصب لاهل البلاء
بل يصب عليهم الاجر صبا حتى يتمنى اهل العافية في الدنيا ان اجسادهم تقرض
بالمقاريض مما يذهب به اهل البلاء من الفضل قل اني امرت ان اعبد الله
مخلصا له الدين موحدا له وامرت لان اكون اول المسلمين وامرت
بذلك لاجل ان اكون مقدمهم في الدنيا والاخرة لان قصب السبق في
الدين بالاخلاص او لانه اول من اسلم وجهه لله من قريش ومن دان بدينهم
والعطف لمغايرة الثاني الاول بتقييده بالعلة والاشعار بان العبادة
المقرونة بالاخلاص وان اقتضت لذاتها ان يؤمر بها فهي ايضا تقتضيه
لما يلزم من السبق في الدين ويجوز ان يجعل اللام مزيدة كما في اردت
لان افعل فيكون امرا بالتقدم في الاخلاص والبدء بنفسه في الدعاء اليه
بعد الامر به قل اني اخاف ان عصيت ربي بترك الاخلاص والميل الى
ما انتم عليه من الشرك والرياء عذاب يوم عظيم لعظمة ما فيه قل الله
اعبد مخلصا له ديني امر بالاخبار عن اخلاصه وان يكون مخلصا له دينه
بعد الامر بالاخبار عن كونه مامورا بالعبادة والاخلاص خائفا على المخالفة
من العقاب قطعا لاطماعهم ولذلك رتب عليه قوله فاعبدوا ما شئتم

من دونه تهديدا وخذلانا لهم قل ان الخاسرين الكاملين في الخسران
الذين خسروا انفسهم بالضلال واهليهم بالاضلال يوم القيمة حين يدخلون
النار بدل الجنة لانهم جمعوا وجوه الخسران وقيل وخسروا اهليهم لانهم ان
كانوا من اهل النار فقد خسروهم كما خسروا انفسهم وان كانوا من اهل الجنة
فقد ذهبوا عنهم ذهابا بلا رجوع بعده الا ذلك هو الخسران المبين مبالغة
في خسرانهم لما فيه من الاستيناف والتصدير بالا وتوسيط الفصل وتعريف
الخسران ووصفه بالمبين لهم من فوقهم ظلل من النار شرح لخسرانهم
ومن تحتهم ظلل اطباق من النار هي ظلل للاخرين ذلك يخوف الله به عباده
ذلك العذاب هو الذي يخوفهم به ليجتنبوا ما يوقعهم فيه يا عباد فاتقون
ولا تتعرضوا لما يوجب سخطي والذين اجتنبوا الطاغوت البالغ غاية
الطغيان فعلوت منه بتقديم اللام على العين بني للمبالغة في المصدر
كالرحموت ثم وصف به للمبالغة في النعت ولذلك اختص بالشيطان ان يعبدوها
بدل الاشتمال منه وانابوا الى الله واقبلوا اليه بشراشرهم عما سواه لهم
البشرى بالثواب على السنة الرسل او الملائكة عند حضور الموت فبشر عباد
الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه وضع فيه الظاهر موضع ضمير
الذين اجتنبوا للدلالة على مبدا اجتنابهم وانهم نقاد في الدين يميزون
بين الحق والباطل ويؤثرون الافضل فالافضل اولئك الذين هداهم
الله لدينه واولئك هم اولوا الالباب العقول السليمة عن منازعة الوهم
والعادة وفي ذلك دلالة على ان الهداية تحصل بفعل الله وقبول النفس
لها افمن حق عليه كلمة العذاب افانت تنقذ من في النار جملة شرطية
معطوفة على محذوف دل عليه الكلام تقديره اانت مالك امرهم فمن حق عليه
العذاب فانت تنقذه فكررت الهمزة في الجزاء لتاكيد الانكار والاستبعاد
ووضع من في النار موضع الضمير لذلك وللدلالة على ان من حكم عليه بالعذاب
كالواقع فيه لامتناع الخلف فيه وان اجتهاد الرسول في دعائهم الى الايمان
سعي في انقاذهم من النار ويجوز ان يكون افانت تنقذ جملة مستانفة للدلالة
على ذلك والاشعار بالجزاء المحذوف لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من
فوقها غرف علالي بعضها فوق بعض مبنية بنيت بناء المنازل على الارض
تجري من تحتها الانهار اى من تحت تلك الغرف وعد الله مصدر مؤكد
لان قوله لهم غرف في معنى الوعد لا يخلف الله الميعاد لان الخلف نقص وهو

على الله تعالى الم تر ان الله انزل من السما ما هو المطر فسلكه فادخله ينابيع
في الارض عيونا ومجاري كاينة فيها او مياها نابعات فيها اذ الينبوع
جا للمنبع وللنابع فنصبها على المصدر او الحال ثم يخرج به زرعا مختلفا
الوانه اصنافه من بر وشعير وغيرهما او كيفياته من حمرة وخضرة وغيرهما
ثم يهيج يتم جفافه لانه اذا تم جفافه حان له ان يثور عن منبته فتراه مصفرا
من يبسه ثم يجعله حطاما فتاتا ان في ذلك لذكرى لتذكيرا بانه لا بد من
صانع حكيم دبره وسواه وبانه مثل الحياة الدنيا فلا يغتر بها لاولي الالباب
اذ لا يتذكر به غيرهم افمن شرح الله صدره للاسلام حتى تمكن فيه بيسر عبر
به عمن خلق نفسه شديدة الاستعداد لقبوله غير متابية عنه من حيث
ان الصدر محل القلب المنبع للروح المتعلق بالنفس القابل للاسلام
فهو على نور من ربه يعني المعرفة والاهتدا الى الحق وعنه عليه الصلوة
والسلام اذا دخل النور القلب انشرح وانفسح فقيل فما علامة ذلك قال الانابة
الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والتاهب للموت قبل نزوله وخبر
من محذوف دل عليه فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله من اجل ذكره وهو
ابلغ من ان يكون عن مكان من لان القاسي من اجل الشي اشد تابيا من قبوله
من القاسي عنه بسبب اخر وللمبالغة في وصف اولئك بالقبول وهؤلا
بالامتناع ذكر شرح الصدر واسنده الى الله وقابله بقساوة القلب واسنده
اليه اولئك في ضلال مبين يظهر للناظر بادنى نظر والاية نزلت في حمزة
وعلي وابي لهب وولده الله نزل احسن الحديث يعني القران روي ان
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ملوا ملة فقالوا حدثنا فنزلت
وفي الابتدا باسم الله وبنا نزل عليه تاكيد للاسناد اليه وتفخيم للمنزل واستشهاد
على حسنه كتابا متشابها بدل من احسن او حال منه وتشابهه تشابه ابعاضه
في الاعجاز وتجاوب النظم وصحة المعنى والدلالة على المنافع العامة مثاني
جمع مثنى او مثنى على ما مر في الحجر وصف به كتابا باعتبار تفاصيله
كقولك القران سور وايات والانسان عروق وعظام واعصاب او جعل
تمييزا من متشابها كقولك رايت رجلا حسنا شمايل تقشعر منه جلود الذين
يخشون ربهم تشمئز خوفا مما فيه من الوعيد وهو مثل في شدة الخوف واقشعرار
الجلد تقبضه وتركيبه من حروف القشع وهو الاديم اليابس بزيادة
الرا ليصير رباعيا كتركيب اقمطر من القمط وهو الشد ثم تلين جلودهم

وقلوبهم

وقلوبهم الى ذكر الله بالرحمة وعموم المغفرة والاطلاق للاشعار بان اصل
امره الرحمة وان رحمته سبقت غضبه والتعدية بالى لتضمين معنى السكون والا
طمينان
وذكر القلوب لتقدم الخشية التي هي من عوارضها ذلك اي الكتاب هدى
الله يهدي به من يشا هدايته ومن يضلل الله ومن يخذله فما له
من هاد يخرجه من الضلال افمن يتقي بوجهه يجعله درقة يقي بها نفسه
لانه يكون مغلولة يداه الى عنقه فلا يقدر ان يتقي الا بوجهه سوء العذاب
يوم القيمة كمن هو امن منه فحذف الخبر كما حذف في نظايره وقيل للظالمين
اي لهم فوضع الظاهر موضعه تسجيلا عليهم بالظلم واشعارا بالموجب لما
يقال لهم وهو ذوقوا ما كنتم تكسبون اي وباله والواو للحال وقد مقدرة
كذب الذين من قبلهم فاتيهم العذاب من حيث لا يشعرون من الجهة
التي لا يخطر ببالهم ان الشر ياتيهم منها فاذاقهم الله الخزي الذل في الحيوة
الدنيا كالمسخ والخسف والقتل والسبي والاجلا ولعذاب الاخرة المعد
لهم اكبر لشدته ودوامه لو كانوا يعلمون لو كانوا من اهل العلم والنظر
لعلموا ذلك واعتبروا به ولقد ضربنا للناس في هذا القران من كل مثل
يحتاج اليه الناظر في امر دينه لعلهم يتذكرون يتعظون به قرانا عربيا
حال من هذا والاعتماد فيها على الصفة كقولك جاني زيد رجلا صالحا
او مدح له غير ذي عوج لا اختلال فيه بوجه ما فهو ابلغ من المستقيم
واخص بالمعاني وقيل بالشك استشهادا بقوله وقد اتاك يقين غير ذي عوج
من الاله وقول غير مكذوب وهو تخصيص له ببعض مدلوله لعلهم يتقون
علة اخرى مرتبة على الاولى ضرب الله مثلا رجلا للمشرك والموحد
فيه شركا متشاكسون ورجلا سلما لرجل مثل المشرك على ما يقتضيه مذهبه
من ان يدعي كل واحد من معبوديه عبوديته ويتنازعون فيه بعبد يتشارك
فيه جمع يتجاذبونه ويتعاورونه في مهامهم المختلفة في تحيره وتوزع قلبه
والموحد بمن خلص لواحد ليس لغيره عليه سبيل ورجلا بدل من مثلا وفيه
صلة شركا والتشاكس والتشاخس الاختلاف وقرا نافع وابن عامر والكوفيون
سلما بفتحتين وقرئ بفتح السين وكسرها مع سكون اللام وثلاثتها مصادر
سلم نعت بها او حذف منها ذو ورجل سالم اي وهناك رجل سالم وتخصيص
الرجل لانه افطن للضر والنفع هل يستويان مثلا صفة وحالا ونصبه
على التمييز ولذلك وحده وقرئ مثلين للاشعار باختلاف النوع او لان

المراد هل يستويان في الوصفين على ان الضمير للمثلين فان التقدير مثل
رجل ومثل رجل الحمد لله كل الحمد له لا يشاركه فيه على الحقيقة سواه
لانه المنعم بالذات والمالك على الاطلاق بل اكثرهم لا يعلمون فيشركون
به غيره من فرط جهلهم انك ميت وانهم ميتون فان الكل بصدد الموت
وفي عداد الموتى وقرئ مائت ومائتون لانه مما سيحدث ثم انكم على تغليب
المخاطب على الغيب يوم القيمة عند ربكم تختصمون فتحتج عليهم بانك
كنت على الحق في التوحيد وكانوا على الباطل في التشريك واجتهدت في الارشاد
والتبليغ ولجوا في التكذيب والعناد ويعتذرون بالاباطيل مثل اطعنا
سادتنا ووجدنا اباءنا وقيل المراد به الاختصام العام تخاصم الناس بعضهم
بعضا فيما دار بينهم في الدنيا فمن اظلم ممن كذب على الله باضافة الولد
والشريك اليه وكذب بالصدق وهو ما جاء به محمد عليه الصلوة
والسلام اذ جاءه من غير توقف وتفكر في امره اليس في جهنم مثوى للكافرين
وذلك يكفيهم مجازاة لاعمالهم واللام يحتمل العهد والجنس واستدل به
على تكفير المبتدعة فانهم يكذبون بما علم صدقه وهو ضعيف لانه مخصوص بمن
فاجأ ما علم مجيء الرسول به بالتكذيب والذي جاء بالصدق وصدق به للجنس
ليتناول الرسل والمؤمنين لقوله اولئك هم المتقون وقيل هو النبي والمراد
هو ومن تبعه كما في قوله ولقد اتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون وقيل الجائي
هو الرسول والمصدق ابو بكر وذلك يقتضي اضمار الذي وهو غير جائز وقرئ
وصدق به بالتخفيف اي صدق به الناس فاداه اليهم كما نزل او صار صادقا
بسببه لانه معجز يدل على صدقه وصدق به على البناء للمفعول لهم ما يشاؤن
عند ربهم في الجنة ذلك جزاء المحسنين على احسانهم ليكفر الله عنهم اسوأ
الذي عملوا خص الاسوأ للمبالغة فانه اذا كفر كان غيره اولى بذلك او للاشعار
بانهم لاستعظامهم الذنوب يحسبون انهم مقصرون مذنبون وان ما
يفرط منهم من الصغائر اسوأ ذنوبهم ويجوز ان يكون بمعنى السيء كقولهم
الناقص والاشج اعدلا بني مروان وقرئ اسواء جمع سوء ويجزيهم اجرهم
ويعطيهم ثوابهم باحسن الذي كانوا يعملون فيعد لهم محاسن اعمالهم
باحسنها في زيادة الاجر وعظمه لفرط اخلاصهم فيها اليس الله بكاف
عبده استفهام انكار للنفي مبالغة في الاثبات والعبد رسول الله ويحتمل
الجنس ويؤيده قراءة حمزة والكسائي عباده وفسر بالانبياء ويخوفونك

ذلك صح

بالذين من دونه يعني قريشا فانهم قالوا له انا نخاف ان تخبلك الهتنا لعيبك
اياها وقيل انه بعث خالدا الى العزى ليكسرها فقال له سادنها احذركها فان لها
شدة فعمد اليها خالد فهشم انفها فنزل تخويف خالد تخويفه لانه الامر بما
خوف عليه ومن يضلل الله حتى غفل عن كفاية الله له وخوفه بما لا ينفع ولا
يضر فما له من هاد يهديه الى الرشاد ومن يهد الله فما له من مضل
اذ لا راد لفعله كما قال اليس الله بعزيز غالب منيع ذي انتقام ينتقم
من اعدائه ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله لوضوح
البرهان على تفرده بالخالقية قل افرأيتم ما تدعون من دون الله ان
ارادني الله بضر هل هن كاشفات ضره اي ارأيتم بعد ما تحققتم ان
خالق العالم هو الله ان الهتكم ان اراد الله ان يصيبني بضر هل يكشفنه
او ارادني برحمة بنفع هل هن ممسكات رحمته فيمسكنها عني وقرأ ابو
عمرو كاشفات ضره وممسكات رحمته بالتنوين فيهما ونصب ضره ورحمته
قل حسبي الله كافيا في اصابة الخير ودفع الضر اذ تقرر بهذا التقرير انه القادر
الذي لا مانع لما يريده من خير او شر روي ان النبي صلى الله عليه وسلم
سألهم فسكتوا فنزل ذلك وانما قال كاشفات وممسكات على ما يصفونها
به من الانوثة تنبيها على كمال ضعفها عليه يتوكل المتوكلون لعلمهم بان
الكل منه قل يا قوم اعملوا على مكانتكم على حالكم اسم للمكان استعير
للحال كما استعير هنا وحيث من المكان للزمان وقرئ مكاناتكم اني عامل
اي على مكانتي فحذف للاختصار والمبالغة في الوعيد والاشعار بان حاله
لا يقف فانه تعالى يزيده على مر الايام قوة ونصرة ولذلك توعدهم بكونه
منصورا عليهم في الدارين فقال فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه
فان خزي اعدائه دليل غلبته وقد اخزاهم الله يوم بدر ويحل عليه عذاب
مقيم دائم وهو عذاب النار انا انزلنا عليك الكتاب للناس لاجلهم
فانه مناط مصالحهم في معاشهم ومعادهم بالحق ملتبسا به فمن اهتدى
فلنفسه اي نفع به نفسه ومن ضل فانما يضل عليها فان وباله لا يتخطاها
وما انت عليهم بوكيل وما وكلت عليهم لتجبرهم على الهدى وانما امرت
بالبلاغ وقد بلغت الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها
اي يقبضها عن الابدان بان يقطع تعلقها عنها وتصرفها فيها ظاهرا وباطنا
وذلك عند الموت او ظاهرا لا باطنا وهو في النوم فيمسك التي قضى عليها

ح

الموت ولا يردها الى البدن وقرأ حمزة والكسائي قضي بضم القاف وكسر الضاد
والموت بالرفع ويرسل الاخرى اي النائمة الى بدنها عند اليقظة الى اجل
مسمى هو الوقت المضروب لموته وهو غاية جنس الارسال وما روي ان ابن
عباس رضي الله عنهما قال ان في ابن آدم نفسا وروحا بينهما مثل شعاع الشمس فالنفس
التي بها العقل والتمييز والروح التي بها النفس والحركة فيتوفيان عند الموت
وتتوفى النفس وحدها عند النوم قريب مما ذكرناه ان في ذلك من التوفي
والامساك والارسال لآيات على كمال قدرته وحكمته وشمول رحمته لقوم
يتفكرون في كيفية تعلقها بالابدان وتوفيها عنها بالكلية حين الموت
وامساكها باقية لا تفنى بفنائها وما يعتريها من السعادة والشقاوة والحكمة
في توفيها عن ظواهرها وارسالها حينا بعد حين الى توفي آجالها ام اتخذوا
بل اتخذ قريش من دون الله شفعاء تشفع لهم عند الله قل اولو كانوا لا يملكون
شيئا ولا يعقلون ايشفعون ولو كانوا على هذه الصفة كما تشاهدونهم
جمادات لا تقدر ولا تعلم قل لله الشفاعة جميعا لعله رد لما عسى يجيبون
به وهو ان الشفعاء اشخاص مقربون هي تماثيلهم والمعنى انه مالك الشفاعة
كلها لا يستطيع احد شفاعة الا باذنه ولا يستقل بها ثم قرر ذلك فقال
له ملك السموات والارض فانه مالك الملك كله لا يملك احد ان يتكلم
في امره دون اذنه ورضاه ثم اليه ترجعون يوم القيمة فيكون الملك له ايضا
حينئذ واذا ذكر الله وحده دون آلهتهم اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون
بالآخرة انقبضت ونفرت واذا ذكر الذين من دونه يعني الاوثان اذا هم
يستبشرون لفرط افتتانهم بها ونسيانهم حق الله ولقد بالغ في الامرين
حتى بلغ الغاية فيهما فان الاستبشار ان يمتلئ قلبه سرورا حتى تنبسط له
بشرة وجهه والاشمئزاز ان يمتلئ غما حتى ينقبض اديم وجهه والعامل في اذا
المفاجأة قل اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة التجئ
الى الله بالدعاء لما تحيرت في امرهم وعجزت في عنادهم وشدة شكيمتهم
فانه القادر على الاشياء والعالم بالاحوال كلها انت تحكم بين عبادك فيما
كانوا فيه يختلفون فانت وحدك تقدر ان تحكم بيني وبينهم ولو ان
للذين ظلموا ما في الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب
يوم وعيد شديد واقناط كلي من الخلاص وبدا لهم من الله ما لم يكونوا
يحتسبون زيادة مبالغة فيه وهو نظير قوله فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة

وبدا لهم سيئات ما كسبوا سيئات اعمالهم او كسبهم حين تعرض صحائفهم
وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون واحاط بهم جزاؤه فاذا مس الانسان
ضر دعانا اخبار عن الجنس بما يفعله والعطف على قوله واذا ذكر الله
وحده بالفاء لبيان مناقضتهم وتعكيسهم في التسبب بمعنى انهم يشمئزون عن
ذكر الله وحده ويستبشرون بذكر الآلهة فاذا مسهم ضر دعوا من اشمأزوا من
ذكره دون من استبشروا بذكره وما بينهما اعتراض مؤكد لانكار ذلك عليهم
ثم اذا خولناه نعمة منا اعطيناه اياها تفضلا فان التخويل مختص به قال انما اوتيته
على علم مني بوجوه كسبه او باني ساعطيه لما لي من استحقاقه او من الله
لي واستحقاقي له والهاء لما ان جعلت موصولة والا فللنعمة والتذكير لان المراد
شيء منها بل هي فتنة امتحان له ايشكر ام يكفر وهو رد لما قاله وتأنيث
الضمير باعتبار الخبر او لفظ النعمة وقرئ بالتذكير ولكن اكثرهم لا يعلمون
ذلك وهو دليل على ان الانسان للجنس قد قالها الذين من قبلهم الهاء لقوله
انما اوتيته على علم عندي لانها كلمة او جملة وقرئ بالتذكير والذين من قبلهم
قارون وقومه فانه قاله ورضي به قومه فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون
من متاع الدنيا فاصابهم سيئات ما كسبوا جزاء سيئات اعمالهم او جزاء اعمالهم
وسماه سيئة لانه في مقابلة اعمالهم السيئة رمزا الى ان جميع اعمالهم كذلك
والذين ظلموا بالعتو من هؤلاء المشركين ومن للبيان او التبعيض سيصيبهم
سيئات ما كسبوا كما اصاب اولئك وقد اصابهم فانهم قحطوا سبع سنين
وقتل ببدر صناديدهم وما هم بمعجزين فائتين اولم يعلموا ان الله يبسط
الرزق لمن يشاء ويقدر حيث حبس عنهم الرزق سبعا ثم بسطه لهم سبعا
ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون بان الحوادث كلها من الله بوسط
او غيره قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم افرطوا في الجناية عليها
بالاسراف في المعاصي واضافة العباد تخصصه بالمؤمنين على ما هو عرف
القرآن لا تقنطوا من رحمة الله لا تيأسوا من مغفرته اولا وتفضله ثانيا
ان الله يغفر الذنوب جميعا عفوا ولو بعد بعد وتقييده بالتوبة خلاف
الظاهر ويدل على اطلاقه فيما عدا الشرك قوله ان الله لا يغفر ان يشرك
به الآية والتعليل بقوله انه هو الغفور الرحيم للمبالغة وافادة الحصر
والوعد بالرحمة بعد المغفرة وتقديم ما يستدعي عموم المغفرة مما في عبادي
من الدلالة على الذل والاختصاص المقتضيين للترحم وتخصيص ضرر الاسراف

بانفسهم والنهي عن القنوط مطلقا عن الرحمة فضلا عن المغفرة واطلاقها
وتعليله بان الله يغفر الذنوب ووضع اسم الله موضع الضمير لدلالته على انه
المستغني والمنعم على الاطلاق والتاكيد بالجميع وما روي انه عليه الصلوة
والسلام قال ما احب ان تكون لي الدنيا وما فيها بها فقال رجل يا رسول
الله ومن اشرك فسكت ساعة ثم قال ومن اشرك ثلاث مرات وما روي
ان اهل مكة قالوا يزعم محمد ان من عبد الوثن وقتل النفس بغير حق لم يغفر له
فكيف ولم نهاجر وقد عبدنا الاوثان وقتلنا النفس فنزلت وقيل في عياش
والوليد بن الوليد في جماعة فتنوا فافتتنوا او في وحشي لا ينفي عمومها وكذا
قوله وانيبوا الى ربكم واسلموا له من قبل ان ياتيكم العذاب ثم لا تنصرون
فانها لا تدل على حصول المغفرة لكل احد من غير توبة وسبق تعذيب لتغني عن
التوبة والاخلاص في العمل وتنافي الوعيد بالتعذيب واتبعوا احسن ما
انزل اليكم من ربكم القران او المامور به دون المنهي عنه او العزايم
دون الرخص والناسخ دون المنسوخ ولعله ما هو انجى واسلم كالانابة والمواظبة
على الطاعة من قبل ان ياتيكم العذاب بغتة وانتم لا تشعرون بمجيئه فتتداركون
ان تقول نفس كراهة ان تقول وتنكير نفس لان القائل بعض الانفس او للتكثير
كقول الاعشى ورب بقيع لو هتفت بجوه اتاني كريم ينفض الراس مغضبا
يا حسرتا وقرئ يا حسرتي على الاصل على ما فرطت بما قصرت في جنب الله في جانبه
او في حقه وهو طاعته قال سابق البربري اما تتقين الله في جنب وامق
له كبد حرى عليك تقطع وهو كناية فيها مبالغة كقوله ان السماحة والمروة
والندى في قبة ضربت على ابن الحشرج وقيل في ذاته على تقدير مضاف
كالطاعة وقيل في قربه من قوله والصاحب بالجنب وقرئ في ذكر الله وان
كنت لمن الساخرين المستهزئين باهله ومحل ان كنت نصب على الحال كانه
قال فرطت وانا ساخر او تقول لو ان الله هداني بالارشاد الى الحق لكنت
من المتقين الشرك والمعاصي او تقول حين ترى العذاب لو ان لي كرة
فاكون من المحسنين في العقيدة والعمل واو للدلالة على انها لا تخلو من
هذه الاقوال تحيرا وتعللا بما لا طايل تحته بلى قد جاءتك اياتي فكذبت
بها واستكبرت وكنت من الكافرين رد من الله عليه لما تضمنه قوله لو
ان الله هداني من معنى النفي وفصله عنه لان تقديمه يفرق القراين وتاخيره
المرد يخل بالنظم المطابق للوجود لانه يتحير بالتفريط ثم يتعلل

بفقد الهداية ثم يتمنى الرجعة وهو لا يمنع تاثير قدرة الله في فعل العبد ولا ما
فيه من اسناد الفعل اليه كما عرفت وتذكير الخطاب على المعنى وقرئ بالتانيث
للنفس ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله بان وصفوه بما لا يجوز عليه
كاتخاذ الولد وجوههم مسودة بما ينالهم من الشدة او بما يتخيل عليها من ظلمة الجهل
والجملة حال اذ الظاهر ان ترى من روية البصر واكتفى فيها بالضمير عن الواو
اليس في جهنم مثوى مقام للمتكبرين عن الايمان والطاعة وهو تقرير لانهم
يرون كذلك وينجي الله الذين اتقوا وقرئ وينجي بمفازتهم بفلاحهم مفعلة
من الفوز وتفسيرها بالنجاة تخصيص لها باهم اقسامه وبالسعادة والعمل
الصالح اطلاق لها على السبب وقرا الكوفيون غير حفص بالجمع تطبيقا له بالمضاف
اليه والباء فيها للسببية صلة لينجي او لقوله لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون
بنفي حال او استيناف لبيان المفازة الله خالق كل شيء من خير وشر وايمان
وكفر وهو على كل شيء وكيل يتولى التصرف فيه له مقاليد السموات والارض
لا يملك امرها ولا يتمكن من التصرف فيها غيره وهو كناية عن قدرته وحفظه
لها وفيها مزيد دلالة على الاختصاص لان الخزاين لا يدخلها ولا يتصرف فيها
الا من بيده مفاتيحها وهو جمع مقليد او مقلاد من قلدته اذا الزمته وقيل جمع
اقليد معرب اكليد على الشذوذ كمذاكير وعن عثمان رضي الله عنه انه سال النبي صلى
الله عليه وسلم عن المقاليد فقال تفسيرها لا اله الا الله والله اكبر وسبحان
الله وبحمده واستغفر الله ولا حول ولا قوة الا بالله هو الاول والاخر والظاهر
والباطن بيده الخير يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير والمعنى على هذا ان لله هذه
الكلمات يوحد بها ويمجد وهي مفاتيح خير السموات والارض من تكلم بها
اصابه والذين كفروا بايات الله اولئك هم الخاسرون متصل بقوله
وينجي الله الذين اتقوا وما بينهما اعتراض للدلالة على انه مهيمن على العباد
مطلع على افعالهم مجاز عليها وتغيير النظم للاشعار بان العمدة في فلاح المؤمنين
فضل الله وفي هلاك الكافرين ان خسروا انفسهم والتصريح بالوعد والتعريض
بالوعيد قضية للكرم او بما يليه والمراد بايات الله دلايل قدرته واستبداده
بامر السموات والارض او كلمات توحيده وتمجيده وتخصيص الخسار بهم لان
غيرهم له حظ من الرحمة والثواب قل افغير الله تامروني اعبد ايها الجاهلون
اي افغير الله اعبد بعد هذه الدلايل والمواعيد وتامروني اعتراض للدلالة على
انهم امروه به عقيب ذلك وقالوا استلم بعض الهتنا نؤمن بالهك لفرط غباوتهم

ويجوز أن ينتصب غير بما دل عليه تأمروني أعبد لأنه بمعنى تعبدونني على
أن أصله تأمرونني أن أعبد فحذف أن ورفع كقوله ألا أيهذا الزاجري أحضر الوغى ويؤيده قراءة
أعبد بالنصب وقرأ ابن عامر تأمرونني بإظهار النونين على الأصل ونافع بحذف
الثانية فإنها تحذف كثيرا ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك أي
من الرسل لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين كلام
على سبيل الفرض والمراد به تهييج الرسل وإقناط الكفرة والإشعار على حكم
الأمة وإفراد الخطاب باعتبار كل واحد واللام الأولى موطئة للقسم والأخريان
للجواب وإطلاق الإحباط يحتمل أن يكون من خصائصهم لأن شركهم أقبح وأن يكون
على التقييد بالموت كما صرح به في قوله ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر
فأولئك حبطت أعمالهم وعطف الخسران عليه من عطف المسبب على السبب
بل الله فاعبد رد لما أمروه به ولولا دلالة التقديم على الاختصاص لم يكن
كذلك وكن من الشاكرين إنعامه عليك وفيه إشارة إلى موجب الاختصاص
وما قدروا الله حق قدره ما قدروا عظمته في أنفسهم حق تعظيمه حيث جعلوا
له شريكا ووصفوه بما لا يليق به وقرئ بالتشديد والأرض جميعا قبضته
يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه تنبيه على عظمته وكمال قدرته
على الأفعال العظام التي تتحير فيها الأوهام بالإضافة إلى قدرته ودلالة
على أن تخريب العالم أهون شيء عليه على طريقة التمثيل والتخييل من غير اعتبار القبضة
واليمين حقيقة ولا مجازا كقولهم شابت لمة الليل والقبضة المرة من القبض
أطلقت بمعنى القبضة وهي المقدار المقبوض بالكف تسمية بالمصدر أو بتقدير
ذات قبضة وقرئ بالنصب على الظرف تشبيها للموقت بالمبهم وتأكيد الأرض
بالجميع لأن المراد بها الأرضون السبع أو جميع أبعاضها البادية والغائرة
وقرئ مطويات على أنها حال والسموات معطوفة على الأرض منطوية في
حكمها سبحانه وتعالى عما يشركون ما أبعد وأعلى من هذه قدرته وعظمته
عن إشراكهم أو ما يضيفون إليه من الشركاء ونفخ في الصور يعني المرة الأولى
فصعق من في السموات ومن في الأرض خر ميتا أو مغشيا عليه إلا من شاء
الله قيل جبريل وميكائيل وإسرافيل فإنهم يموتون بعد وقيل حملة العرش ثم
نفخ فيه أخرى نفخة أخرى وهي تدل على أن المراد بالأول ونفخ في الصور
نفخة واحدة كما صرح به في مواضع وأخرى يحتمل النصب والرفع فإذا هم قيام
قائمون من قبورهم أو متوقفون وقرئ بالنصب على أن الخبر ينظرون وهو

حال من ضميره والمعنى يقلبون أبصارهم في الجوانب كالمبهوتين أو ينتظرون
ما يفعل بهم وأشرقت الأرض بنور ربها بما أقام فيها من العدل سماه نورا
لأنه يزين البقاع ويظهر الحقوق كما سمي الظلم ظلمة وفي الحديث الظلم ظلمات
يوم القيامة ولذلك أضاف اسمه إلى الأرض أو بنور يخلق فيها بلا توسط أجسام
مضيئة ولذلك أضافه إلى نفسه ووضع الكتاب الحساب والجزاء من وضع
المحاسب كتاب المحاسبة بين يديه أو صحائف الأعمال في أيدي العمال
فاكتفى باسم الجنس عن الجمع وقيل اللوح المحفوظ يقابل به الصحائف وجيء
بالنبيين والشهداء للأمم وعليهم من الملائكة والمؤمنين وقيل المستشهدون
وقضي بينهم بين العباد بالحق وهم لا يظلمون بنقص ثواب أو زيادة عقاب
على ما جرى به الوعد ووفيت كل نفس ما عملت جزاءه وهو أعلم بما يفعلون
فلا يفوته شيء من أفعالهم ثم فصل التوفية فقال وسيق الذين كفروا إلى
جهنم زمرا أفواجا متفرقة بعضها في إثر بعض على تفاوت أقدامهم في الضلالة
والشرارة وهي الجمع القليل جمع زمرة واشتقاقها من الزمر وهو الصوت
إذ الجماعة لا تخلو عنه أو من قولهم شاة زمرة قليلة الشعر ورجل زمر قليل
المروءة حتى إذا جاؤها فتحت أبوابها ليدخلوها وحتى هي التي تحكى بعدها
الجملة وقرأ الكوفيون فتحت بتخفيف التاء وقال لهم خزنتها تقريعا وتوبيخا
ألم يأتكم رسل منكم من جنسكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم
لقاء يومكم هذا وقتكم هذا وهو وقت دخولهم النار وفيه دليل على أنه
لا تكليف قبل الشرع من حيث إنهم عللوا توبيخهم بإتيان الرسل وتبليغ
الكتاب قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين كلمة الله بالعذاب
علينا وهو الحكم عليهم بالشقاوة وأنهم من أهل النار ووضع الظاهر فيه
موضع الضمير للدلالة على اختصاص ذلك بالكفرة وقيل هو قوله لأملأن
جهنم من الجنة والناس أجمعين قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها
أبهم القائل لتهويل ما يقال لهم فبئس مثوى المتكبرين اللام فيه للجنس
والمخصوص بالذم سبق ذكره ولا ينافي إشعاره بأن مثواهم في النار لتكبرهم
عن الحق أن يكون دخولهم فيها لأن كلمة العذاب حقت عليهم فإن تكبرهم
وسائر مقابحهم مسببة عنه كما قال عليه الصلاة والسلام إن الله إذا خلق
العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة
فيدخل به الجنة وإذا خلق العبد للنار استعمله بعمل أهل النار حتى يموت

على عمل من اعمال اهل النار فقد دخلها النار وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة اسراعا بهم الى دار الكرامة وقيل سيق مراكبهم اذ لا يذهب بهم الا راكبين زمرا على تفاوت مراتبهم في الشرف وعلو الطبقة حتى اذا جاؤها وفتحت ابوابها حذف جواب اذا للدلالة على ان لهم حينئذ من الكرامة والتعظيم ما لا يحيط به الوصف وان ابواب الجنة تفتح لهم قبل مجيئهم منتظرين وقال لهم خزنتها سلام عليكم لا يعتريكم بعد مكروه طبتم طهرتم من دنس المعاصي فادخلوها خالدين مقدرين الخلود والفاء للدلالة على ان طيبهم سبب لدخولهم وخلودهم وهو لا يمنع دخول العاصي بعفوه لانه يطهره وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده بالبعث والثواب واورثنا الارض يريدون المكان الذي استقروا فيه على الاستعارة وايراثها تمليكها مخلفة عليهم من اعمالهم او تمكينهم من التصرف فيها تمكين الوارث فيما يرثه نتبوأ من الجنة حيث نشاء اي يتبوأ كل منا في اي مقام اراده من جنته الواسعة مع ان في الجنة مقامات معنوية لا يتمانع واردوها فنعم اجر العاملين الجنة وترى الملائكة حافين محدقين من حول العرش اي حوله ومن مزيدة او لابتداء الحفوف يسبحون بحمد ربهم ملتبسين بحمده والجملة حال ثانية او مقيدة للاولى والمعنى ذاكرين له بوصفي جلاله واكرامه تلذذا به وفيه اشعار بان منتهى درجات العليين واعلى لذائذهم هي الاستغراق في صفات الحق وقضي بينهم بالحق اي بين الخلق بادخال بعضهم النار وبعضهم الجنة او بين الملائكة باقامتهم في منازلهم على حسب تفاضلهم وقيل الحمد لله رب العالمين اي على ما قضى بيننا بالحق والقائلون هم المؤمنون من المقضي بينهم او الملائكة وطي ذكرهم لتعينهم وتعظيمهم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الزمر لم يقطع الله رجاه يوم القيمة واعطاه ثواب الخائفين وعنه عليه الصلوة والسلام كان يقرأ كل ليلة سورة بني اسرائيل والزمر ه

بسم الله الرحمن الرحيم حم اماله ابن عامر وحمزة والكسائي وابو بكر صريحا ونافع برواية ورش وابو عمرو بين بين وقرئ بفتح الميم على التحريك لالتقاء الساكنين والنصب باضمار اقرأ ومنع صرفه للتعريف والتانيث او لانها على زنة اعجمي كقابيل وهابيل تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم

لعل تخصيص الوصفين لما في القرآن من الاعجاز والحكم الدالة على القدرة الكاملة والحكمة البالغة غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول صفات اخر لتحقيق ما فيه من الترغيب والترهيب والحث على ما هو المقصود منه والاضافة فيها حقيقية على انه لم يرد بها زمان مخصوص واريد بشديد العقاب مشدده او الشديد عقابه فحذف اللام للازدواج وامن الالتباس او ابدال وجعله وحده مشوش للنظم وتوسيط الواو بين الاولين لافادة الجمع بين محو الذنوب وقبول التوبة وتغاير الوصفين اذ ربما يتوهم الاتحاد او تغاير موقع الفعلين لان الغفر هو الستر فيكون لذنب باق وذلك لمن لم يتب فان التائب من الذنب كمن لا ذنب له والتوب مصدر كالتوبة وقيل جمعها والطول الفضل بترك العقاب المستحق وفي توحيد صفة العذاب مغمورة بصفات الرحمة دليل رجحانها لا اله الا هو فيجب الاقبال الكلي على عبادته اليه المصير فيجازي المطيع والعاصي ما يجادل في آيات الله الا الذين كفروا لما حق امر التنزيل سجل بالكفر على المجادلين فيه بالطعن وادحاض الحق لقوله وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فاما الجدال فيه لحل عقده واستنباط حقائقه وقطع تشبث اهل الزيغ به وقطع مطاعنهم فيه فمن اعظم الطاعات ولذلك قال عليه الصلوة والسلام ان جدالا في القرآن كفر بالتنكير مع انه ليس جدالا فيه على الحقيقة فلا يغررك تقلبهم في البلاد فلا يغررك امهالهم واقبالهم في دنياهم وتقلبهم في بلاد الشام واليمن بالتجارات المربحة فانهم ماخوذون عما قريب بكفرهم اخذ من قبلهم كما قال كذبت قبلهم قوم نوح والاحزاب من بعدهم والذين تحزبوا على الرسل وناصبوهم بعد قوم نوح كعاد وثمود وهمت كل امة من هؤلاء برسولهم وقرئ برسولها ليأخذوه ليتمكنوا من اصابته بما ارادوا من تعذيب وقتل من الاخذ بمعنى الاسر وجادلوا بالباطل بما لا حقيقة له ليدحضوا به الحق ليزيلوه به فاخذتهم بالاهلاك جزاء لهم فكيف كان عقاب فانكم تمرون على ديارهم وترون اثره وهو تقرير فيه تعجيب وكذلك حقت كلمة ربك وعيده او قضاؤه بالعذاب على الذين كفروا لكفرهم انهم اصحاب النار بدل من كلمة ربك بدل الكل او الاشتمال على ارادة اللفظ او المعنى الذين يحملون العرش ومن حوله الكروبيون اعلى طبقات الملائكة واولهم وجودا وحملهم اياه وحفيفهم حوله مجاز عن حفظهم وتدبيرهم وكناية

العقاب م

عن قربهم من ذي العرش ومكانتهم عنده وتوسطهم في نفاذ امره يسبحون
بحمد ربهم يذكرون الله بمجامع الثناء من صفات الجلال والاكرام وجعل
التسبيح اصلا والحمد حالا لان الحمد مقتضى حالهم دون التسبيح ويؤمنون
به اخبر عنهم بالايمان اظهارا لفضله وتعظيما لاهله ومساق الاية لذلك
كما صرح به قوله ويستغفرون للذين امنوا واشعارا بان حملة العرش
وسكان الفرش في معرفته سواء ردا على المجسمة واستغفارهم شفاعتهم
وحملهم على التوبة والهامهم ما يوجب المغفرة وفيه تنبيه على ان المشاركة في
الايمان توجب النصح والشفقة وان تخالفت الاجناس لانها اقوى المناسبات
كما قال انما المؤمنون اخوة ربنا اي يقولون ربنا وهو بيان ليستغفرون او
حال وسعت كل شيء رحمة وعلما اي وسعت رحمته وعلمه فازيل عن اصله
للاغراق في وصفه بالرحمة والعلم والمبالغة في عمومهما وتقديم الرحمة
لانها المقصودة بالذات هاهنا فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك للذين
علمت منهم التوبة واتباع سبيل الحق وقهم عذاب الجحيم واحفظهم عنه وهو
تصريح بعد اشعار للتاكيد والدلالة على شدة العذاب ربنا وادخلهم
جنات عدن التي وعدتهم وعدتهم اياها ومن صلح من اباءهم وازواجهم
وذرياتهم عطف على هم الاول اي ادخلهم معهم هؤلاء ليتم سرورهم او الثاني
لبيان عموم الوعد وقرئ جنة عدن وصلح بالضم وذريتهم بالتوحيد انك
انت العزيز الذي لا يمتنع عليه مقدور الحكيم الذي لا يفعل الا ما تقتضيه
حكمته ومن ذلك الوفاء بالوعد وقهم السيئات العقوبات او جزاء السيئات
وهو تعميم بعد تخصيص او مخصوص بمن صلح او المعاصي في الدنيا لقوله ومن
تق السيئات يومئذ فقد رحمته اي ومن تقها في الدنيا فقد رحمته في
الاخرة كانهم طلبوا السبب بعد ما سالوا المسبب وذلك هو الفوز العظيم
يعني الرحمة او الوقاية او مجموعهما ان الذين كفروا ينادون يوم القيمة
فيقال لهم لمقت الله اكبر من مقتكم انفسكم اي لمقت الله اياكم اكبر من
مقتكم انفسكم الامارة بالسوء اذ تدعون الى الايمان فتكفرون ظرف
لفعل دل عليه المقت الاول لا له لانه اخبر عنه وقد فصل بينه وبين ذكره
اكبر فلا يجوز ولا الثاني لان مقتهم انفسهم يوم القيمة حين عاينوا جزاء اعمالهم
الخبيثة الا ان يؤول بنحو الصيف ضيعت اللبن وتعليل للحكم وزمان المقتين
واحد قالوا ربنا امتنا اثنتين اماتتين بان خلقتنا امواتا ثم صيرتنا امواتا

عند انقضاء اجالنا فان الاماتة جعل الشيء عادم الحيوة ابتداء او بتصيير
كالتصغير والتكبير ولذلك قيل سبحان من صغر البعوض وكبر الفيل وان
خص بالتصغير فاختيار الفاعل احد مقدوريه تصيير له وصرف له عن الاخر
واحييتنا اثنتين الاحياء الاولى واحياء البعث وقيل الاماتة الاولى عند
انخرام الاجل والثانية في القبر بعد الاحياء للسؤال والاحياءان ما في القبر
والبعث اذ المقصود اعترافهم بعد المعاينة بما غفلوا عنه ولم يكترثوا به
ولذلك تسبب لقوله فاعترفنا بذنوبنا فان اعترافهم من اغترارهم
بالدنيا وانكارهم للبعث فهل الى خروج نوع خروج من النار من سبيل
طريق فنسلكه وذلك انما يقولونه من فرط قنوطهم تعللا وتحيرا ولذلك
اجيبوا بقوله ذلكم الذي انتم فيه بانه بسبب انه اذا دعي الله وحده
متحدا او يوحد وحده فحذف الفعل واقيم مقامه في الحالية كفرتم بالتوحيد
وان يشرك به تؤمنوا بالاشراك فالحكم لله المستحق للعبادة حيث حكم
على من اشرك وسوى به بعض مخلوقاته في استحقاق العبادة هو الذي
يريكم اياته الدالة على التوحيد وسائر ما يجب ان يعلم تكميلا لنفوسكم
وينزل لكم من السماء رزقا اسباب رزق كالمطر مراعاة لمعاشكم وما
يتذكر بالايات التي هي كالمركوزة في العقول لظهورها المغفول عنها للانهماك
في التقليد واتباع الهوى الا من ينيب يرجع عن الانكار بالاقبال عليها
والتفكر فيها فان الجازم بشيء لا ينظر فيما ينافيه فادعوا الله مخلصين
له الدين من الشرك ولو كره الكافرون اخلاصكم وشق عليهم رفيع الدرجات
ذو العرش خبران اخران للدلالة على علو صمديته من حيث المعقول و
المحسوس الدال على تفرده في الالوهية فان من ارتفعت درجات كماله
بحيث لا يظهر دونها كمال وكان العرش الذي هو اصل العالم الجسماني في
قبضته وقدرته لا يصح ان يشرك به وقيل الدرجات مراتب المخلوقات او مصاعد
الملائكة الى العرش او السموات او درجات الثواب وقرئ رفيع بالنصب
على المدح يلقي الروح من امره على من يشاء من عباده خبر رابع للدلالة على
ان الروحانيات ايضا مسخرات لامره باظهار اثارها وهو الوحي وتمهيد
للنبوة بعد تقرير التوحيد والروح الوحي ومن امره بيانه لانه امر بالخير او مبدؤه
والامر هو الملك المبلغ على من يختاره للنبوة وفيه دليل على انها عطائية
لينذر غاية الالقاء والمستكن فيه لله او لمن او للروح واللام مع القريب

يوم التلاقي يوم التلاق يوم القيمة فان فيه تتلاقى الارواح والاجساد
واهل السما والارض والمعبودون والعباد والاعمال والعمال يوم هم
بارزون خارجون من قبورهم او ظاهرون لا يسترهم شي او ظاهرة
نفوسهم لا تحجبهم غواشي الابدان او اعمالهم وسرائرهم لا يخفى على الله
منهم شي من اعيانهم واعمالهم واحوالهم وهو تقرير لقوله هم بارزون وازاحة
لنحو ما يتوهمونه في الدنيا لمن الملك اليوم لله الواحد القهار حكاية لما
يسال عنه في ذلك اليوم ولما يجاب به او لما دل عليه ظاهر الحال فيه
من زوال الاسباب وارتفاع الوسائط واما حقيقة الحال فناطقة
بذلك دائما اليوم تجزى كل نفس بما كسبت كانه نتيجة لما سبق وتحقيقه
ان النفس تكتسب بالعقائد والاعمال هيات توجب لذاتها والمها لكنها
لا تشعر بها في الدنيا لعوائق تشغلها فاذا قامت فيها منها زالت العوائق
وادركت لذتها والمها لا ظلم اليوم بنقص الثواب وزيادة العقاب
ان الله سريع الحساب اذ لا يشغله شان عن شان فيصل اليهم ما يستحقونه
سريعا وانذرهم يوم الازفة اي القيمة سميت بها لازوفها اي قربها
او الخطة الازفة وهي مشارفتهم النار وقيل الموت اذ القلوب لدى
الحناجر فانها ترتفع عن اماكنها فتلتصق بحلوقهم فلا تعود فيتروحوا
ولا تخرج فيستريحوا كاظمين على الغم حال من اصحاب القلوب على
المعنى لانه على الاضافة او منها او من ضميرها في لدى وجمعه كذلك
لان الكظم من افعال العقلا كقوله فظلت اعناقهم لها خاضعين
او من مفعول انذرهم على انه حال مقدرة ما للظالمين من حميم قريب
مشفق ولا شفيع يطاع ولا شفيع مشفع والضماير ان كانت للكفار
وهو الظاهر كان وضع الظالمين موضع ضميرهم للدلالة على اختصاص
ذلك بهم وانه لظلمهم يعلم خائنة الاعين النظرة الخائنة كالنظرة
الى المحرم واستراق النظر اليه او خيانة الاعين وما تخفي الصدور
من الضماير والجملة خبر خامس للدلالة على انه ما من خفي الا وهو متعلق
العلم والجزا والله يقضي بالحق لانه المالك الحاكم على الاطلاق فلا يقضي
بشي الا وهو الحق والذين يدعون من دونه لا يقضون بشي تهكم بهم لان
الجماد لا يقال فيه انه يقضي او لا يقضي وقرا نافع وهشام بالتا على
الالتفات او اضمار قل ان الله هو السميع البصير تقرير لعلمه بخائنة

الاعين ويقضي بالحق ووعيد لهم على ما يقولون ويفعلون وتعريض بحال
ما يدعون من دونه اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين عاقبة صح
كانوا من قبلهم مآل حال الذين كذبوا الرسل قبلهم كعاد وثمود كانوا
هم اشد منهم قوة قدرة وتمكنا وانما جي بالفصل وحقه ان يقع بين معرفتين
لمضارعة افعل من للمعرفة في امتناع دخول اللام عليه وقرا ابن عامر
اشد منكم بالكاف وآثارا في الارض مثل القلاع والمدائن الحصينة وقيل
المعنى واكثر آثارا كقوله متقلدا سيفا ورمحا فاخذهم الله بذنوبهم
وما كان لهم من الله من واق يمنع العذاب عنهم ذلك الاخذ بانهم
كانت تاتيهم رسلهم بالبينات بالمعجزات او الاحكام الواضحة
فكفروا فاخذهم الله انه قوي متمكن مما يريده غاية التمكن شديد العقاب
لا يؤبه بعقاب دون عقابه ولقد ارسلنا موسى باياتنا يعني المعجزات
وسلطان مبين وحجة ظاهرة والعطف لتغاير الوصفين او لافراد بعض
المعجزات كالعصا تفخيما لشانه الى فرعون وهامان وقارون فقالوا
ساحر كذاب يعنون موسى وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم
وبيان لعاقبة من هو اشد الذين كانوا من قبلهم بطشا واقربهم زمانا فلما
جاءهم بالحق من عندنا قالوا اقتلوا ابناء الذين آمنوا معه واستحيوا
نساءهم اي اعيدوا عليهم ما كنتم تفعلون بهم اولا كي يصدوا عن مظاهرة
موسى وما كيد الكافرين الا في ضلال في ضياع ووضع الظاهر فيه
موضع الضمير لتعميم الحكم والدلالة على العلة وقال فرعون ذروني اقتل
موسى كانوا يكفونه عن قتله ويقولون انه ليس الذي تخافه بل هو ساحر
ولو قتلته ظن انك عجزت عن معارضته بالحجة وتعلله بذلك مع كونه سفاكا
في اهون شي دليل على انه تيقن انه نبي فخاف من قتله او ظن انه لو حاوله
لم يتيسر له ويؤيده قوله وليدع ربه فانه تجلد وعدم مبالاة بدعائه
اني اخاف ان لم اقتله ان يبدل دينكم ان يغير ما انتم عليه من عبادته وعبادة
الاصنام لقوله ويذرك وآلهتك وان يظهر في الارض الفساد ما يفسد
دنياكم من التحارب والتهارج ان لم يقدر ان يبطل دينكم بالكلية وقرا
ابن كثير ونافع وابو عمرو وابن عامر بالواو على معنى الجمع وابن كثير وابن
عامر والكوفيون غير حفص بفتح اليا والها ورفع الفساد وقال موسى
اي لقومه لما سمع بكلامه اني عذت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن

الحساب صدر الكلام بان تأكيدا واشعارا على ان السبب المؤكد في دفع
الشر هو العياذة بالله وخص اسم الرب لان المطلوب هو الحفظ والتربية
واضافته اليه واليهم حثا لهم على موافقته لما في تظاهر الارواح من استجلاب
الاجابة ولم يسم فرعون وذكر وصفا يعمه وغيره لتعميم الاستعاذة ورعاية
الحق والدلالة على الحامل له على القول وقرأ ابو عمرو وحمزة والكسائي
عدت فيه وفي والدخان بالادغام وعن نافع مثله وقال رجل مؤمن
من آل فرعون من اقاربه وقيل من متعلق بقوله يكتم ايمانه والرجل
اسرائيلي او غريب موحد كان ينافقهم اتقتلون رجلا اتقصدون قتله
ان يقول لان يقول او وقت ان يقول من غير روية وتأمل في امره ربي
الله وحده وهو في الدلالة على الحصر مثل صديقي زيد وقد جاءكم بالبينات
المتكثرة على صدقه من المعجزات والاستدلالات من ربكم اضافه اليهم بعد
ذكر البينات احتجاجا عليهم واستدراجا لهم الى الاعتراف به ثم اخذهم بالاحتجاج
من باب الاحتياط فقال وان يك كاذبا فعليه كذبه لا يتخطاه وبال
كذبه فيحتاج في دفعه الى قتله وان يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم
فلا اقل من ان يصيبكم بعضه وفيه مبالغة في التحذير واظهار للانصاف
وعدم التعصب ولذلك قدم كونه كاذبا او يصبكم ما يعدكم من عذاب
الدنيا وهو بعض مواعيده كانه خوفهم بما هو اظهر احتمالا عندهم وتفسير
البعض بالكل كقول لبيد تراك امكنة اذا لم ارضها او يرتبط بعض النفوس
حمامها مردود لانه اراد بالبعض نفسه ان الله لا يهدي من هو مسرف
كذاب احتجاج ثالث ذو وجهين احدهما انه لو كان مسرفا كذابا
لما هداه الله الى البينات ولما عضده بتلك المعجزات وثانيهما ان من خذله
الله واهلكه فلا حاجة لكم الى قتله ولعله اراد به المعنى الاول وخيل
اليهم الثاني لتلين شكيمتهم وعرض به لفرعون بانه مسرف كذاب لا
يهديه الله سبيل الصواب وسبيل النجاة يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين
غالبين عالين في الارض ارض مصر فمن ينصرنا من بأس الله ان جاءنا اي
فلا تفسدوا امركم ولا تتعرضوا لبأس الله بقتله فانه ان جاءنا لم يمنعنا
منه احد وانما ادرج نفسه في الضميرين لانه كان منهم في القرابة وليريهم
انه معهم ومساهمهم فيما ينصح لهم قال فرعون ما اريكم ما اشير اليكم
الا ما ارى واستصوبه من قتله وما اهديكم وما اعلمكم الا ما علمت من

الصواب

الصواب وقلبي ولساني متواطئان عليه الا سبيل الرشاد طريق الصواب
وقرئ بالتشديد على انه فعال للمبالغة كعلام او من رشد كعباد لا من رشد
كجبار لانه مقصور على السماع او بالنسبة الى الرشد كعواج وثباب وقال الذي
آمن يا قوم اني اخاف عليكم في تكذيبه والتعرض له مثل يوم الاحزاب مثل
ايام الامم الماضية يعني وقائعهم وجمع الاحزاب مع التفسير اغنى عن جمع اليوم
مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود مثل جزاء ما كانوا عليه دائبا من الكفر
وايذاء الرسل والذين من بعدهم كقوم لوط وما الله يريد ظلما للعباد
فلا يعاقبهم بغير ذنب ولا يخلي الظالم منهم بغير انتقام وهو ابلغ من قوله وما
ربك بظلام للعبيد من حيث ان المنفي فيه نفي حدوث تعلق ارادته بالظلم
ويا قوم اني اخاف عليكم يوم التناد يوم القيامة فيه ينادي بعضهم بعضا
للاستغاثة او يتصايحون بالويل والثبور او يتنادى اصحاب الجنة واصحاب
النار كما حكي في الاعراف وقرئ بالتشديد وهو ان يند بعضهم من بعض كقوله
يوم يفر المرء من اخيه يوم تولون عن الموقف مدبرين منصرفين عنه
الى النار وقيل فارين عنها ما لكم من الله من عاصم يعصمكم من عذابه
ومن يضلل الله فما له من هاد ولقد جاءكم يوسف يوسف بن يعقوب
على ان فرعونه فرعون موسى او على نسبة احوال الآباء الى الاولاد او سبطه
يوسف بن ابراهيم بن يوسف من قبل من قبل موسى بالبينات بالمعجزات
فما زلتم في شك مما جاءكم به من الدين حتى اذا هلك مات قلتم لن يبعث
الله من بعده رسولا ضما الى تكذيب رسالته تكذيب رسالة من بعده
او جزما بان لا يبعث من بعده رسول مع الشك في رسالته وقرئ الن يبعث
الله على ان بعضهم يقرر بعضا بنفي البعث كذلك مثل ذلك الاضلال يضل
الله في العصيان من هو مسرف مرتاب شاك فيما تشهد به البينات لغلبة
الوهم والانهماك في التقليد الذين يجادلون في آيات الله بدل من الموصول
الاول لانه بمعنى الجمع بغير سلطان بغير حجة بل اما بتقليد او شبهة داحضة
اتاهم كبر مقتا عند الله وعند الذين آمنوا فيه ضمير من وافراده على اللفظ
ويجوز ان يكون الذين مبتدأ وخبره كبر على حذف مضاف اي وجدال الذين
يجادلون كبر مقتا او بغير سلطان وفاعل كبر كذلك اي كبر مقتا مثل ذلك
الجدال فيكون قوله كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار استئنافا
للدلالة على الموجب لجدالهم وقرأ ابو عمرو وابن ذكوان قلب بالتنوين على

وصفه بالتكبر والتجبر لانه منبعهما كقولهم رأت عيني وسمعت اذني او على حذف
المضاف اي على كل ذي قلب متكبر وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحا
بناء مكشوفا عاليا من صرح الشيء اذا ظهر لعلي ابلغ الاسباب اسباب
السموات بيان لها وفي ابهامها ثم ايضاحها تفخيم لشانها وتشويق للسامع
الى معرفتها فاطلع الى اله موسى عطف على ابلغ وقرأ حفص بالنصب على جواب
الترجي ولعله اراد ان يبني له رصدا في موضع عال يرصد منه احوال الكواكب
التي هي اسباب سماوية تدل على الحوادث الارضية فيرى هل فيها ما يدل على
ارسال الله تعالى اياه او ان يرى فساد قول موسى بان اخباره من اله السماء
متوقف على اطلاعه ووصوله اليه وذلك لا يتاتى الا بالصعود الى السماء
وهو مما لا يقوى عليه الانسان وذلك لجهله بالله وكيفية استنبائه واني
لاظنه كاذبا في دعوى الرسالة وكذلك ومثل ذلك التزيين زين لفرعون
سوء عمله وصد عن السبيل سبيل الرشاد والفاعل على الحقيقة هو الله
ويدل عليه انه قرئ وزين بالفتح وبالتوسط الشيطان وقرأ الحجازيان
والشامي وابو عمرو وصد على ان فرعون صد الناس عن الهدى بامثال
هذه التمويهات والشبهات ويؤيده وما كيد فرعون الا في تباب اي
خسار وقال الذي آمن يعني مؤمن آل فرعون وقيل موسى يا قوم اتبعوني
اهدكم بالدلالة سبيل الرشاد سبيلا يصل سالكه الى المقصود وفيه
تعريض بان ما عليه فرعون وقومه سبيل الغي يا قوم انما هذه الحيوة الدنيا
متاع تمتع يسير لسرعة زوالها وان الآخرة هي دار القرار لخلودها من عمل
سيئة فلا يجزى الا مثلها عدلا من الله وفيه دليل على ان الجنايات تغرم
بمثلها ومن عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فاولئك يدخلون
الجنة يرزقون فيها بغير حساب بغير تقدير وموازنة بالعمل بل اضعافا
مضاعفة فضلا منه ورحمة ولعل تقسيم العمل وجعل الجزاء جملة اسمية
مصدرة باسم الاشارة وتفضيل الثواب لتغليب الرحمة وجعل العمل عمدة
والايمان حالا للدلالة على انه شرط في اعتبار العمل وان ثوابه اعلى من ذلك
ويا قوم ما لي ادعوكم الى النجاة وتدعونني الى النار كرر نداءهم ايقاظا
لهم عن سنة الغفلة واهتماما بالمنادى له في توبيخهم على ما يقابلون به
نصحه وعطفه على النداء الثاني الداخل على ما هو بيان لما قبله ولذلك
لم يعطف على الاول فان ما بعده ايضا تفسير لما اجمل فيه تصريحا وتعريضا

او على الاول تدعونني لاكفر بالله بدل او بيان فيه تعليل والدعاء كالهداء
في التعدية بالى واللام واشرك به ما ليس لي به بربوبيته علم والمراد نفي
المعلوم والاشعار بان الالوهية لا بد لها من برهان واعتقادها لا يصح
الا عن ايقان وانا ادعوكم الى العزيز الغفار المستجمع لصفات الالوهية
من كمال القدرة والغلبة وما يتوقف عليه من العلم والارادة والتمكن من المجازاة
والقدرة على التعذيب والغفران لا جرم لا رد لما دعوه اليه وجرم فعل
بمعنى حق وفاعله انما تدعونني اليه ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة
اي حق عدم دعوة المدعو الى عبادته اصلا لانها جمادات ليس لها ما
يقتضي الوهيتها او عدم دعوة مستجابة او عدم استجابة دعوة لها وقيل
جرم بمعنى كسب وفاعله مستكن اي كسب ذلك الدعاء اليه ان لا دعوة
له بمعنى ما حصل من ذلك الا ظهور بطلان دعوته وقيل فعل من الجرم
بمعنى القطع كما ان بدا من لا بد فعل من التبديد وهو التفريق والمعنى لا
قطع لبطلان دعواه الوهية الاصنام اي لا ينقطع في وقت ما فينقلب
حقا ويؤيده قولهم لا جرم انه يفعل لغة فيه كالرشد والرشد وان مردنا
الى الله بالموت وان المسرفين في الضلالة والطغيان كالاشراك
وسفك الدماء هم اصحاب النار ملازموها فستذكرون فسيذكر بعضكم
بعضا عند معاينة العذاب ما اقول لكم من النصيحة وافوض امري
الى الله ليعصمني من كل سوء ان الله بصير بالعباد فيحرسهم وكانه جواب
توعدهم المفهوم من قوله فوقاه الله سيئات ما مكروا شدائد مكرهم
وقيل الضمير لموسى وحاق بآل فرعون بفرعون وقومه واستغنى بذكرهم
للعلم بانه اولى بذلك وقيل بطلبة المؤمن من قومه فانه فر الى جبل فاتبعه
طائفة فوجدوه يصلي والوحوش صفوف حوله فرجعوا رعبا فقتلهم
سوء العذاب الغرق او القتل او النار النار يعرضون عليها غدوا
وعشيا جملة مستانفة او النار خبر محذوف ويعرضون استئناف للبيان
او بدل ويعرضون حال منها او من الآل وقرئت منصوبة على الاختصاص
او باضمار فعل يفسره يعرضون مثل يصلون فان عرضهم على النار احراقهم
بها من قولهم عرض الاسارى على السيف اذا قتلوا به وذلك لارواحهم
كما روى ابن مسعود ان ارواحهم في اجواف طير سود تعرض على النار
بكرة وعشيا الى يوم القيامة وذكر الوقتين يحتمل التخصيص والتابيد

وفيه دليل على بقاء النفس وعذاب القبر ويوم تقوم الساعة اي هذا
ما دامت الدنيا فاذا قامت الساعة قيل لهم ادخلوا آل فرعون يا آل
فرعون اشد العذاب عذاب جهنم فانه اشد مما كانوا فيه او اشد
عذاب جهنم وقرا نافع وحمزة ويعقوب والكسائي وحفص ادخلوا على
امر الملائكة بادخالهم النار واذ يتحاجون في النار واذكر وقت تخاصمهم
فيها ويحتمل عطفه على غدوا فيقول الضعفاء للذين استكبروا تفصيل
له انا كنا لكم تبعا اتباعا كخدم في جمع خادم او ذوي تبع بمعنى
اتباع على الاضمار او التجوز فهل انتم مغنون عنا نصيبا من النار بالدفع
او الحمل ونصيبا مفعول لما دل عليه مغنون او له بالتضمين او مصدر
كشيئا في قوله لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا فيكون صلة
مغنون قال الذين استكبروا انا كل فيها نحن وانتم فكيف نغني عنكم
ولو قدرنا لاغنينا عن انفسنا وقرئ كلا على التاكيد لانه بمعنى كلنا
وتنوينه عوض عن المضاف اليه ولا يجوز جعله حالا من المستكن في الظرف
فانه لا يعمل في الحال المتقدمة كما يعمل في الظرف المتقدم كقولك كل يوم
لك ثوب ان الله قد حكم بين العباد بان ادخل اهل الجنة الجنة واهل
النار النار ولا معقب لحكمه وقال الذين في النار لخزنة جهنم اي
لخزنتها ووضع جهنم موضع الضمير للتهويل او لبيان محلهم فيها او يحتمل
ان يكون جهنم ابعد دركاتها من قولهم بئر جهنام بعيدة القعر ادعوا
ربكم يخفف عنا يوما قدر يوم من العذاب شيئا من العذاب ويجوز ان
يكون المفعول يوما بحذف المضاف ومن العذاب بيانه قالوا اولم تك
تاتيكم رسلكم بالبينات ارادوا به الزامهم للحجة وتوبيخهم على اضاعتهم
اوقات الدعاء وتعطيلهم اسباب الاجابة قالوا بلى قالوا فادعوا فانا
لا نجترئ فيه لانه لم يؤذن لنا في الدعاء لامثالكم وفيه اقناط لهم عن
الاجابة وما دعاء الكافرين الا في ضلال ضياع لا يجاب انا لننصر
رسلنا والذين امنوا بالحجة والظفر والانتقام لهم من الكفرة في الحيوة
الدنيا ويوم يقوم الاشهاد اي في الدارين ولا ينتقض ذلك بما كان لهم
من الغلبة امتحانا اذ العبرة بالعواقب وغالب الامر والاشهاد جمع
شاهد كصاحب واصحاب والمراد بهم من يقوم يوم القيمة للشهادة على الناس
من الملائكة والانبياء والمؤمنين يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم بدل

من الاولى وعدم نفع المعذرة لانها باطلة او لانه لا يؤذن لهم فيعتذرون
وقرا غير الكوفيين ونافع بالتاء ولهم اللعنة البعد من الرحمة ولهم سوء
الدار جهنم ولقد اتينا موسى الهدى ما يهتدي به في الدين من المعجزات
والصحف والشرائع واورثنا بني اسرائيل الكتاب وتركنا عليهم بعده من ذلك
التورية هدى وذكرى هداية وتذكرة او هاديا ومذكرا لاولي الالباب
لذوي العقول السليمة فاصبر على اذى المشركين ان وعد الله حق بالنصر لا
يخلفه واستشهد بحال موسى وفرعون واستغفر لذنبك واقبل على امر دينك
وتدارك فرطاتك بترك الاولى والاهتمام بامر العدى بالاستغفار فانه تعالى
كافيك بالنصر واظهار الامر وسبح بحمد ربك بالعشي والابكار ودم على
التسبيح والتحميد لربك وقيل صل لهذين الوقتين اذ كان الواجب بمكة ركعتان
وركعتان عشيا ان الذين يجادلون في ايات الله بغير سلطان عام في
كل مجادل مبطل وان نزلت في مشركي مكة او اليهود حين قالوا لست صاحبنا
بل هو المسيح بن داود يبلغ سلطانه البر والبحر وتسير معه الانهار ان في
صدورهم الا كبر الا تكبر عن الحق وتعظم عن التفكر والتعلم او ارادة الرياسة
او ان النبوة والملك لا يكون الا لهم ما هم ببالغيه ببالغي دفع الايات او المراد
فاستعذ بالله فالتجئ اليه انه هو السميع البصير لاقوالكم وافعالكم لخلق
السموات والارض اكبر من خلق الناس فمن قدر على خلقها مع عظمها
اولا من غير اصل قدر على خلق الانسان ثانيا من اصل وهو بيان لاشكل ما
يجادلون فيه امر التوحيد ولكن اكثر الناس لا يعلمون لانهم لا ينظرون
ولا يتاملون لفرط غفلتهم واتباعهم اهواءهم وما يستوي الاعمى والبصير
الغافل والمستبصر والذين امنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء والمحسن
والمسيء فينبغي ان يكون لهم حال يظهر فيها التفاوت وهي فيما بعد البعث
وزيادة لا في المسيء لان المقصود نفي مساواته للمحسن فيما له من الفضل والكرامة
والعاطف الثاني عطف الموصول بما عطف عليه على الاعمى والبصير
لتغاير الوصفين في المقصود او الدلالة بالصراحة والتمثيل قليلا ما
تتذكرون اي تذكرا ما قليلا تتذكرون والضمير للناس او الكفار
وقرا الكوفيون بالتاء على تغليب المخاطب او الالتفات او امر الرسول بالمخاطبة
ان الساعة لاتية لا ريب فيها في مجيئها لوضوح الدلالة على جوازها
واجماع الرسل على الوعد بوقوعها ولكن اكثر الناس لا يؤمنون لا يصدقون

بها لقصور نظرهم على ظاهر ما يحسون به وقال ربكم ادعوني اعبدوني
استجب لكم اثبكم لقوله ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون
جهنم داخرين صاغرين وان فسر الدعاء بالسؤال كان الاستكبار الصارف
عنه منزلا منزلته للمبالغة او المراد بالعبادة الدعاء فانه من ابوابها وقرأ
ابن كثير وابو بكر سيدخلون بضم الياء وفتح الخاء الله الذي جعل لكم الليل
لتسكنوا فيه لتستريحوا فيه بان خلقه باردا مظلما ليؤدي الى ضعف المحركات
وهدوء الحواس والنهار مبصرا يبصر فيه او به واسناد الابصار اليه مجاز فيه
مبالغة ولذلك عدل به عن التعليل الى الحال ان الله لذو فضل على الناس
لا يوازيه فضل وللاشعار به لم يقل لمفضل ولكن اكثر الناس لا يشكرون لجهلهم
بالمنعم واغفالهم مواقع النعم وتكرير الناس لتخصيص الكفران بهم ذلكم المخصوص
بالافعال المقتضية للالوهية والربوبية الله ربكم خالق كل شيء لا اله الا هو
اخبار مترادفة تخصص اللاحقة السابقة وتقررها وقرئ خالق بالنصب على
الاختصاص فيكون لا اله الا هو استئنافا بما هو كالنتيجة للاوصاف المذكورة
فانى تؤفكون فكيف ومن اي وجه تصرفون عن عبادته الى عبادة غيره
كذلك يؤفك الذين كانوا بايات الله يجحدون اي كما افكوا افك عن
الحق كل من جحد بايات الله ولم يتأملها الله الذي جعل لكم الارض قرارا
والسماء بناء استدلال ثان بافعال اخر مخصوصة وصوركم فاحسن صوركم
بان خلقكم منتصب القامة بادي البشرة متناسب الاعضاء والتخطيطات متهيئا
لمزاولة الصنائع واكتساب الكمالات ورزقكم من الطيبات اللذائذ ذلكم
الله ربكم فتبارك الله رب العالمين فان كل ما سواه مربوب مفتقر بالذات
معرض للزوال هو الحي المتفرد بالحياة الذاتية لا اله الا هو اذ لا موجود
يساويه او يدانيه في ذاته وصفاته فادعوه فاعبدوه مخلصين له الدين
اي الطاعة من الشرك والرياء الحمد لله رب العالمين قائلين له قل اني نهيت
ان اعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءني البينات من ربي من الحجج
والآيات او من الآيات فانها مقوية لادلة العقل منبهة عليها وامرت
ان اسلم لرب العالمين ان انقاد له واخلص له ديني هو الذي خلقكم
من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا اطفالا والتوحيد
لارادة الجنس وعلى تأويل كل واحد منكم ثم لتبلغوا اشدكم اللام فيه
متعلقة بمحذوف تقديره ثم يبقيكم لتبلغوا وكذا في قوله ثم لتكونوا شيوخا

ويجوز عطفه على لتبلغوا وقرئ شيوخا بالكسر وشيخا لقوله طفلا ومنكم من يتوفى
من قبل من قبل الشيخوخة او بلوغ الاشد ولتبلغوا ويفعل ذلك لتبلغوا اجلا مسمى
هو وقت الموت او يوم القيمة ولعلكم تعقلون ما في ذلك من الحجج والعبر
هو الذي يحيي ويميت فاذا قضى امرا فاذا اراده فانما يقول له كن فيكون فاذا
فلا يحتاج في تكوينه الى عدة وتجشم كلفة والفاء الاولى للدلالة على ان ذلك
نتيجة ما سبق من حيث انه يقتضي قدرة ذاتية غير موقوفة على العدد والمواد
الم تر الى الذين يجادلون في ايات الله انى يصرفون عن التصديق به
تكرير ذم المجادلة لتعدد المجادل او المجادل فيه او للتأكيد الذين كذبوا
بالكتاب بالقران او بجنس الكتب السماوية وبما ارسلنا به رسلنا من سائر
الكتب السماوية او الوحي والشرائع فسوف يعلمون جزاء تكذيبهم اذ الاغلال
في اعناقهم ظرف ليعلمون اذ المعنى على الاستقبال والتعبير بلفظ المضي لتيقنه
والسلاسل عطف على الاغلال او مبتدأ خبره يسحبون في الحميم والعائد
محذوف اي يسحبون بها وهو على الاول حال وقرئ والسلاسل يسحبون
بالنصب وفتح الياء على تقديم المفعول وعطف الفعلية على الاسمية والسلاسل
بالجر حملا على المعنى اذ الاغلال في اعناقهم بمعنى اعناقهم في الاغلال او اضمارا
للباء ويدل عليه القراءة به ثم في النار يسجرون يحرقون من سجر التنور اذا
ملأه بالوقود ومنه السجير للصديق كأنه سجر بالحب اي ملئ والمراد انهم يعذبون
بانواع من العذاب وينقلون من بعضها الى بعض ثم قيل لهم اين ما كنتم تشركون
من دون الله قالوا ضلوا عنا غابوا عنا وذلك قبل ان تقرن بهم آلهتهم
او ضاعوا عنا فلم نجد منهم ما كنا نتوقع منهم بل لم نكن ندعوا من قبل شيئا
بل تبين لنا انا لم نكن نعبد شيئا بعبادتهم فانهم ليسوا شيئا يعتد به كقولك حسبته
شيئا فلم يكن كذلك مثل هذا الضلال يضل الله الكافرين حتى لا
يهتدوا الى شيء ينفعهم في الآخرة او يضلهم عن آلهتهم حتى لو تطالبوا لم يتصادفوا
ذلكم الاضلال بما كنتم تفرحون في الارض تبطرون وتتكبرون بغير الحق
وهو الشرك والطغيان وبما كنتم تمرحون تتوسعون في الفرح والعدول
الى الخطاب للمبالغة في التوبيخ ادخلوا ابواب جهنم الابواب السبعة المقسومة
لكم خالدين فيها مقدرين الخلود فبئس مثوى المتكبرين عن الحق جهنم وكان
مقتضى النظم فبئس مدخل المتكبرين ولكن لما كان الدخول المقيد بالخلود
سبب الثوي عبر بالمثوى فاصبر ان وعد الله بهلاك الكفار حق كائن لا محالة

فإما نرينك بعض الذي نعدهم فإن نريك وما مزيدة لتأكيد الشرطية ولذلك لحقت النون الفعل ولا تلحق مع ان وحدها بعض الذي نعدهم وهو الاسر والقتل او نتوفينك قبل ان تراه فالينا يرجعون يوم القيمة فنجازيهم باعمالهم وهو جواب نتوفينك وجواب نرينك محذوف مثل فذاك هو المطلوب ويجوز ان يكون جوابا لهما بمعنى ان نعذبهم في حياتك او لم نعذبهم فانا نعذبهم في الاخرة اشد العذاب ويدل على شدته الاقتصار بذكر الرجوع في هذا المعرض ولقد ارسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك اذ قيل عدد الانبيا مائة الف واربعة وعشرون الفا والمشهور قصتهم اشخاص معدودة وما كان لرسول ان ياتي باية الا باذن الله فان المعجزات عطايا قسمها بينهم على ما اقتضته حكمته كساير القسم ليس لهم اختيار في ايثار بعضها والاستبداد باتيان المقترح بها فاذا جا امر الله بالعذاب في الدنيا او الاخرة قضي بالحق بانجا المحق وتعذيب المبطل وخسر هنالك المبطلون المعاندون باقتراح الايات بعد ظهور ما يغنيهم عنها الله الذي جعل لكم الانعام لتركبوا منها ومنها تاكلون فان من جنسها ما يوكل كالغنم ومنها ما يوكل ويركب وهو الابل والبقر ولكم فيها منافع كالالبان والجلود والاوبار ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم بالمسافرة عليها وعليها في البر وعلى الفلك في البحر تحملون وانما قال على الفلك ولم يقل في الفلك للمزاوجة وتغيير النظم في الاكل لانه في حيز الضرورة وقيل لانه يقصد به التعيش والتلذذ والركوب والمسافرة عليها قد يكون لاغراض دينية واجبة او مندوبة او للفرق بين العين والمنفعة ويريكم اياته دلائله الدالة على كمال قدرته وفرط رحمته فاي ايات الله اي فاي اية من تلك الايات تنكرون فانها لظهورها لا تقبل الانكار وهو ناصب اي اذ لو قدرته متعلقا بضميره كان الاولى رفعه والتفرقة بالتاء في اي اغرب منها في الاسما غير الصفات لابهامه افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا اكثر منهم واشد قوة واثارا في الارض مما بقي منهم من القصور والمصانع ونحوهما وقيل اثار اقدامهم في الارض لعظم اجرامهم فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون ما الاولى نافية او استفهامية منصوبة باغنى والثانية موصولة او مصدرية مرفوعة به فلما جاءتهم رسلهم بالبينات بالمعجزات او الايات الواضحات فرحوا

بما عندهم من العلم واستحقروا علم الرسل والمراد بالعلم عقايدهم الزايغة وشبههم الداحضة لقوله بل ادارك علمهم في الاخرة وهو قولهم لا نبعث ولا نعذب وما اظن الساعة قايمة ونحوها وسماها علما على زعمهم تهكما بهم او من علم الطبايع والتنجيم والصنايع ونحو ذلك او علم الانبيا وفرحهم به ضحكهم منه واستهزاوهم به ويويده وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون وقيل الفرح ايضا للرسل فانهم لما راوا تمادي جهل الكفار وسوء عاقبتهم فرحوا بما اوتوا من العلم وشكروا الله عليه وحاق بالكافرين جزا جهلهم واستهزايهم فلما راوا باسنا شدة عذابنا قالوا امنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين يعنون الاصنام فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا باسنا لامتناع قبوله حينيذ ولذلك قال لم يك بمعنى لم يصح ولم يستقم والفا الاولى لان قوله فما اغنى كالنتيجة لقوله كانوا اكثر والثانية لان قوله فلما جاءتهم كالتفسير لقوله فما اغنى والباقيتان لان روية الباس مسببة عن مجي الرسل وامتناع نفع الايمان مسبب عن الروية سنة الله التي قد خلت في عباده اي سن الله ذلك سنة ماضية في العباد وهي من المصادر المؤكدة وخسر هنالك الكافرون اي وقت رويتهم الباس اسم مكان استعير للزمان عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة المومن لم يبق روح نبي ولا صديق ولا شهيد ولا مومن الا صلى عليه واستغفر له

بسم الله الرحمن الرحيم حم ان جعلته مبتدا فخبره تنزيل من الرحمن الرحيم وان جعلته تعديدا للحروف فتنزيل خبر محذوف او مبتدا لتخصصه بالصفة وخبره كتاب وهو على الاولين بدل منه او خبر اخر او خبر محذوف ولعل افتتاح هذه السور السبع بحم وتسميتها بها لكونها مصدرة ببيان الكتاب متشاكلة في النظم والمعنى واضافة التنزيل الى الرحمن الرحيم للدلالة على انه مناط المصالح الدينية والدنيوية فصلت اياته ميزت باعتبار اللفظ والمعنى وقرى فصلت اي فصل بعضها من بعض باختلاف الفواصل والمعاني او فصلت بين المحق والمبطل قرانا عربيا نصب على المدح او الحال من فصلت وفيه امتنان لسهولة قراته وفهمه لقوم يعلمون العربية او لاهل العلم والنظر

سورة السجدة مكية وهي ثلاث او اربع وخمسون اية

وهو صفة اخرى لقرانا او صلة لتنزيل او لفصلت والاول اولى لوقوعه
بين الصفات بشيرا ونذيرا للعاملين به والمخالفين له وقرئا بالرفع على
الصفة لكتاب او خبر لمحذوف فاعرض اكثرهم عن تدبره وقبوله فهم لا يسمعون
سماع تامل وطاعة وقالوا قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه اغطية
جمع كنان وفي اذاننا وقر صمم واصله الثقل وقرئ بالكسر ومن بيننا
وبينك حجاب يمنعنا عن التواصل ومن للدلالة على ان الحجاب مبتدأ
منهم ومنك بحيث استوعب المسافة المتوسطة ولم يبق فراغ وهذه تمثيلات
لنبو قلوبهم عن ادراك ما يدعوهم اليه واعتقادهم ومج اسماعهم له وامتناع
مواصلتهم وموافقتهم للرسول فاعمل على دينك او في ابطال امرنا اننا
عاملون على ديننا او في ابطال امرك قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما
الهكم اله واحد لست ملكا ولا جنيا لا يمكنكم التلقي منه ولا ادعوكم الى ما
تنبو عنه العقول والاسماع وانما ادعوكم الى التوحيد والاستقامة في العمل
وقد يدل عليهما دلائل العقل وشواهد النقل فاستقيموا اليه في افعالكم
متوجهين اليه او فاستووا اليه بالتوحيد والاخلاص في العمل واستغفروه
مما انتم عليه من سوء العقيدة والعمل ثم هددهم على ذلك فقال وويل للمشركين
من فرط جهالتهم واستخفافهم بالله الذين لا يؤتون الزكوة لبخلهم وعدم
اشفاقهم على الخلق وذلك من اعظم الرذائل وفيه دليل على ان الكفار
مخاطبون بالفروع وقيل معناه لا يفعلون ما يزكي انفسهم وهو الايمان
والطاعة وهم بالاخرة هم كافرون حال مشعرة بان امتناعهم عن الزكاة
لاستغراقهم في طلب الدنيا وانكارهم للاخرة ان الذين امنوا وعملوا
الصالحات لهم اجر غير ممنون لا يمن عليهم به من المن واصله الثقل او القطع
من مننت الحبل اذا قطعته وقيل نزلت في المرضى والهرمى اذا عجزوا عن الطاعة
كتب لهم الاجر كاصح ما كانوا يعملون قل ائنكم لتكفرون بالذي خلق
الارض في يومين في مقدار يومين او نوبتين وخلق في كل نوبة ما خلق
في اسرع ما يكون ولعل المراد بالارض ما في جهة السفل من الاجرام البسيطة
ومن خلقها في يومين انه خلق لها اصلا مشتركا ثم خلق لها صورا بها صارت
انواعا وكفرهم به الحادهم في ذاته وصفاته وتجعلون له اندادا ولا يصح
ان يكون له ند ذلك الذي خلق الارض في يومين رب العالمين خالق
جميع ما وجد من الممكنات ومربيها وجعل فيها رواسي استيناف غير معطوف

على خلق للفصل بما هو خارج عن الصلة من فوقها مرتفعة عليها ليظهر
للنظار ما فيها من وجوه الاستبصار ويكون منافعها معرضة للطلاب
وبارك فيها واكثر خيرها بان خلق فيها انواع النبات والحيوان وقدر فيها
اقواتها اقوات اهلها بان عين لكل نوع ما يصلحه ويعيش به او اقواتا تنشأ
منها بان خص حدوث كل قوت بقطر من اقطارها وقرئ وقسم فيها اقواتها
في اربعة ايام في تتمة اربعة ايام كقولك سرت من البصرة الى بغداد في عشرة
والى الكوفة في خمسة عشر ولعله قال ذلك ولم يقل في يومين للاشعار باتصالهما
لليومين الاولين والتصريح للفذلكة سواء اي استوت سواء بمعنى استواء
والجملة صفة ايام ويدل عليه قراءة يعقوب بالجر وقيل حال من الضمير في اقواتها
او فيها وقرئ بالرفع على هي سواء للسائلين متعلق بمحذوف تقديره هذا
الحصر للسائلين عن مدة خلق الارض وما فيها او بقدر اي وقدر فيها الاقوات
للطالبين لها ثم استوى الى السماء قصد نحوها من قولهم استوى الى مكان
كذا اذا توجه اليه توجها لا يلوي على غيره والظاهر ان ثم لتفاوت ما بين
الخلقين لا للتراخي في المدة لقوله والارض بعد ذلك دحاها ودحوها متقدم
على خلق الجبال من فوقها وهي دخان امر ظلماني ولعله اراد به مادتها
او الاجزاء المتصغرة التي ركبت منها فقال لها وللارض ائتيا بما خلقت فيكما
من التاثير والتاثر وابرزا ما اودعتكما من الاوضاع المختلفة والكائنات المتنوعة
او ائتيا في الوجود على ان الخلق السابق بمعنى التقدير او الترتيب للرتبة
او الاخبار او اتيان السماء حدوثها واتيان الارض ان تصير مدحوة وقد
عرفت ما فيه او لتأت كل منكما الاخرى في حدوث ما اريد توليده منكما ويؤيده
قراءة اتيا من المواتاة اي ليوافق كل واحدة اختها فيما اردت منكما طوعا
او كرها شئتما ذلك او ابيتما والمراد اظهار كمال قدرته ووجوب وقوع
مراده لا اثبات الطوع والكره لهما وهما مصدران وقعا موقع الحال
قالتا اتينا طائعين منقادين بالذات والاظهر ان المراد تصوير تاثير
قدرته فيهما وتاثرهما بالذات عنها وتمثيلهما بامر المطاع واجابة المطيع
الطائع كقوله كن فيكون وما قيل انه خاطبهما واقدرهما على الجواب انما
يتصور على الوجه الاول والاخير وانما قال طائعين على المعنى باعتبار
كونهما مخاطبين كقوله ساجدين فقضاهن سبع سموات فخلقهن خلقا
ابداعيا واتقن امرهن والضمير للسماء على المعنى او مبهم وسبع سموات حال على

عين

تعالى

الاول وبني على الثاني في يومين قيل خلق السموات يوم الخميس والشمس
والقمر والنجوم يوم الجمعة واوحى في كل سماء امرها شانها وما يتاتى
منها بان حملها عليه اختيارا او طبعا وقيل اوحى الى اهلها باوامره وزينا
السماء الدنيا بمصابيح فان الكواكب كلها ترى كانها تتلالا عليها وحفظا
اي وحفظناها من الآفات ومن المسترقة حفظا وقيل مفعول له على المعنى
كانه قال وخصصنا السماء الدنيا بمصابيح زينة وحفظا ذلك تقدير العزيز
العليم البالغ في القدرة والعلم فان اعرضوا عن الايمان بعد هذا البيان فقل
انذرتكم صاعقة فحذرهم ان يصيبهم عذاب شديد الوقع كانه صاعقة
مثل صاعقة عاد وثمود وقرئ صعقة مثل صعقة عاد وهي المرة من الصعق
او الصعق يقال صعقته الصاعقة صعقا وصعق صعقا اذ جاءتهم الرسل
حال من صاعقة عاد ولا يجوز جعله صفة لصاعقة او ظرفا لانذرتكم لفساد
المعنى من بين ايديهم ومن خلفهم من جميع جوانبهم واجتهدوا بهم من كل
جهة او من جهة الزمن الماضي بالانذار عما جرى فيه على الكفار ومن جهة
المستقبل بالتحذير عما اعد لهم في الآخرة وكل من اللفظين يحتملهما او من
قبلهم ومن بعدهم اذ قد بلغتهم خبر المتقدمين واخبرهم هود وصالح عن
المتاخرين داعين الى الايمان بهم اجمعين ويحتمل ان يكون عبارة عن الكثرة
كقوله تعالى ياتيها رزقها رغدا من كل مكان الا تعبدوا الا الله بان لا
تعبدوا او اي لا تعبدوا قالوا لو شاء ربنا ارسال الرسل لانزل ملائكة
برسالته فانا بما ارسلتم به على زعمكم كافرون اذ انتم بشر مثلنا لا فضل
لكم علينا فاما عاد فاستكبروا في الارض بغير الحق فتعظموا فيها على
اهلها بغير استحقاق وقالوا من اشد منا قوة اغترارا بقوتهم وشوكتهم
قيل كان من قوتهم ان الرجل منهم ينزع الصخرة فيقتلعها بيده اولم يروا
ان الله الذي خلقهم هو اشد منهم قوة قدرة فانه قادر بالذات مقتدر
على ما لا يتناهى قوي على ما لا يقدر عليه غيره وكانوا باياتنا يجحدون
يعرفون انها حق وينكرونها وهو عطف على فاستكبروا فارسلنا عليهم
ريحا صرصرا باردة تهلك بشدة بردها من الصر وهو البرد الذي يصر
اي يجمع ويقبض او شديدة الصوت في هبوبها من الصرير في ايام نحسات
جمع نحسة من نحس نحسا نقيض سعد سعدا وقرا الحجازيان والبصريان
بالسكون على التخفيف او النعت على فعل او الوصف بالمصدر قيل كن آخر

شوال من الاربعا الى الاربعا وما عذب قوم الا في يوم الاربعا لنذيقهم
عذاب الخزي في الحيوة الدنيا اضاف العذاب الى الخزي وهو الذل
على قصد وصفه لقوله ولعذاب الآخرة اخزى وهو في الاصل صفة المعذب
وانما وصف به العذاب على الاسناد المجازي للمبالغة وهم لا ينصرون
بدفع العذاب عنهم واما ثمود فهديناهم فدللناهم على الحق بنصب الحجج وارسال
الرسل وقرئ ثمود بالنصب بفعل مضمر يفسره ما بعده ومنونا في الحالتين وبضم
الثاء فاستحبوا العمى على الهدى فاختاروا الضلالة على الهدى فاخذتهم
صاعقة العذاب الهون صاعقة من السماء فاهلكتهم واضافتها الى العذاب
ووصفه بالهون للمبالغة بما كانوا يكسبون من اختيار الضلالة ونجينا
الذين آمنوا وكانوا يتقون من تلك الصاعقة ويوم يحشر اعداء الله الى
النار وقرئ يحشر على البناء للفاعل وهو الله عز وجل وقرا نافع نحشر بالنون
مفتوحة وضم الشين ونصب اعداء فهم يوزعون يحبس اولهم على آخرهم
ليتلاحقوا وهي عبارة عن كثرة اهل النار حتى اذا ما جاؤوها اذا حضروها
وما مزيدة لتاكيد اتصال الشهادة بالحضور شهد عليهم سمعهم وابصارهم
وجلودهم بما كانوا يعملون بان ينطقها الله او يظهر عليها آثارا تدل
على ما اقترف بها فتنطق بلسان الحال وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا
سؤال توبيخ او تعجب ولعل المراد به نفس التعجب قالوا انطقنا الله الذي
انطق كل شيء اي ما نطقنا باختيارنا بل انطقنا الله الذي انطق كل
شيء او ليس نطقنا بعجب من قدرة الله الذي انطق كل شيء ولو اول الجواب
والنطق بدلالة الحال بقي الشيء عاما في الموجودات الممكنة وهو خلقكم
اول مرة واليه ترجعون يحتمل ان يكون تمام كلام الجلود وان يكون
استئنافا وما كنتم تستترون ان يشهد عليكم سمعكم ولا ابصاركم
ولا جلودكم اي كنتم تستترون عن الناس عند ارتكاب الفواحش مخافة
الفضيحة وما ظننتم ان اعضاءكم تشهد عليكم فما استترتم عنها وفيه
تنبيه على ان المؤمن ينبغي ان يتحقق انه لا يمر عليه حال الا وعليه رقيب
ولكن ظننتم ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون فلذلك اجترأتم على ما فعلتم
وذلكم اشارة الى ظنهم هذا وهو مبتدا وقوله ظنكم الذي ظننتم بربكم
ارداكم خبران له ويجوز ان يكون ظنكم بدلا وارداكم خبرا فاصبحتم
من الخاسرين اذ صار ما منحوا للاستسعاد به في الدارين سببا للشقا

المتمكنين فان يصبروا فالنار مثوى لهم لا خلاص لهم منها وان يستعتبوا
يسالوا العتبى وهي الرجوع الى ما يحبون فما هم من المعتبين المجابين اليها
ونظيره قوله تعالى حكاية اجزعنا ام صبرنا ما لنا من محيص وقرئ وان يستعتبوا
فما هم من المعتبين اي ان يسالوا ان يرضوا ربهم فما هم فاعلون لفوات
المكنة وقيضنا وقدرنا لهم للكفرة قرناء اخدانا من الشياطين يستولون عليهم
استيلاء القيض على البيض وهو القشر وقيل اصل القيض البدل ومنه المقايضة
للمعاوضة فزينوا لهم ما بين ايديهم من امر الدنيا واتباع الشهوات وما
خلفهم من امر الاخرة وانكاره وحق عليهم القول اي كلمة العذاب في امم في
جملة امم كقوله ان تك عن احسن الصنعة مافوكا ففي اخرين قد افكوا وهو
حال من الضمير المجرور قد خلت من قبلهم من الجن والانس وقد عملوا مثل
اعمالهم انهم كانوا خاسرين تعليل لاستحقاقهم العذاب والضمير لهم
وللامم وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القران والغوا فيه وعارضوه
بالخرافات او ارفعوا اصواتكم بها لتشوشوا على القارئ وقرئ بضم الغين
والمعنى واحد يقال لغى يلغى ولغى يلغو اذا هذى لعلكم تغلبون اي
تغلبونه على قراءته فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا المراد بهم
هؤلاء القائلون او عامة الكفار ولنجزينهم اسوأ الذي كانوا يعملون
سيئات اعمالهم وقد سبق مثله ذلك اشارة الى الاسوأ جزاء اعداء الله
النار عطف للجزاء او خبر محذوف لهم فيها في النار دار الخلد فانها
دار اقامتهم وهو كقولك في هذه الدار دار سرور يعني بالدار عينها على
ان المقصود هو الصفة جزاء بما كانوا باياتنا يجحدون ينكرون الحق
او يلغون وذكر الجحود الذي هو سبب اللغو وقال الذين كفروا ربنا
ارنا اللذين اضلانا من الجن والانس يعني شيطاني النوعين الحاملين
على الضلالة والعصيان وقيل هما ابليس وقابيل فانهما سنا الكفر والقتل
وقرأ ابن عامر وابن كثير ويعقوب وابو بكر والسوسي ارنا بالتخفيف كفخذ في
فخذ وقرأ الدوري باختلاس كسرة الراء نجعلهما تحت اقدامنا ندوسهما
انتقاما منهما وقيل نجعلهما في الدرك الاسفل ليكونا من الاسفلين
مكانا وذلا ان الذين قالوا ربنا الله اعترافا بربوبيته واقرارا بوحدانيته
ثم استقاموا في العمل وثم لتراخيه عن الاقرار في الرتبة من حيث انه
مبدأ الاستقامة او لانها عسر قلما يتبع الاقرار وما روي عن الخلفا

الراشدين

الراشدين في معنى الاستقامة من الثبات على الايمان واخلاص العمل واداء
الفرائض فجزئيات لها تتنزل عليهم الملائكة فيما يعن لهم بما يشرح صدورهم
ويدفع عنهم الخوف والحزن او عند الموت او الخروج من القبر الا تخافوا
ما تقدمون عليه ولا تحزنوا على ما خلفتم وان مصدرية او مخففة مقدرة
بالباء او مفسرة وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون في الدنيا على لسان
الرسل نحن اولياؤكم في الحياة الدنيا نلهمكم الحق ونحملكم على الخير
بدل ما كانت الشياطين تفعل بالكفرة وفي الاخرة بالشفاعة والكرامة
حيث ما يتعادى الكفرة وقرناؤهم ولكم فيها في الاخرة ما تشتهي انفسكم من اللذائذ
ولكم فيها ما تدعون ما تتمنون من الدعاء بمعنى الطلب وهو اعم من الاول
نزلا من غفور رحيم حال من ما تدعون للاشعار بان ما تتمنون بالنسبة
الى ما يعطون مما لا يخطر ببالهم كالنزل للضيف ومن احسن قولا ممن دعا
الى الله الى عبادته وعمل صالحا فيما بينه وبين ربه وقال انني من المسلمين
تفاخرا به او اتخاذا للاسلام دينا ومذهبا من قولهم هذا قول فلان اي
مذهبه والاية عامة لمن استجمع تلك الصفات وقيل نزلت في النبي صلى الله عليه
وسلم وقيل في المؤذنين ولا تستوي الحسنة ولا السيئة في الجزاء وحسن
العاقبة ولا الثانية مزيدة لتاكيد النفي ادفع بالتي هي احسن ادفع السيئة
حيث اعترضتك بالتي هي احسن منها وهي الحسنة على ان المراد بالاحسن
الزائد مطلقا او بالحسنة ما يمكن دفعها به من الحسنة وانما اخرجه مخرج
الاستئناف على انه جواب من قال كيف اصنع للمبالغة ولذلك وضع احسن
موضع الحسنة فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم اي
اذا فعلت ذلك صار عدوك المشاق مثل الولي الشفيق وما يلقاها
وما يلقى هذه السجية وهي مقابلة الاساءة بالاحسان الا الذين صبروا
فانها تحبس النفس عن الانتقام وما يلقاها الا ذو حظ عظيم من الخير
وكمال النفس وقيل الحظ العظيم الجنة واما ينزغنك من الشيطان نزغ نخس
شبه وسوسته لانها بعث على ما لا ينبغي كالدفع بما هو اسوأ وجعل النزغ نازغا
على طريقة جد جده او اريد به نازغ وصفا للشيطان بالمصدر فاستعذ
بالله من شره ولا تطعه انه هو السميع لاستعاذتك العليم بنيتك
او بصلاحك ومن اياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس
ولا للقمر لانهما مخلوقان مأموران مثلكم واسجدوا لله الذي خلقهن

نزغا

الضمير للاربعة المذكورة والمقصود تعلق الفعل بهما اشعارا بانهما من عداد
ما لا يعلم ويختار ان كنتم اياه تعبدون فان السجود اخص العبادات
وهو موضع السجود عندنا لاقتران الامر به وعند ابي حنيفة اخر الاية الاخرى
لانه تمام المعنى فان استكبروا عن الامتثال فالذين عند ربك من الملائكة
يسبحون له بالليل والنهار اي دائما لقوله وهم لا يسامون اي لا يملون
ومن اياته انك ترى الارض خاشعة يابسة متطامنة مستعار من الخشوع
بمعنى التذلل فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت تزخرفت وانتفخت
بالنبات وقرئ ربأت اي زادت ان الذي احياها لمحيي الموتى
انه على كل شيء من الاحيا والاماتة قدير ان الذين يلحدون يميلون
عن الاستقامة في اياتنا بالطعن والتحريف والتاويل الباطل والالغا
فيها لا يخفون علينا فنجازيهم على الحادهم افمن يلقى في النار خير ام
من ياتي امنا يوم القيمة قابل الالقا في النار بالاتيان امنا مبالغة في
احماد حال المومنين اعملوا ما شئتم تهديد شديد انه بما تعملون
بصير وعيد بالمجازاة ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم بدل من قوله
ان الذين يلحدون في اياتنا او مستانف وخبر ان محذوف مثل
معاندون او هالكون او اولئك ينادون والذكر القران وانه لكتاب
عزيز كثير النفع عديم النظير او منيع لا يتاتى ابطاله وتحريفه لا ياتيه
الباطل من بين يديه ولا من خلفه لا يتطرق اليه الباطل من جهة من
الجهات او مما فيه من الاخبار الماضية والامور الاتية تنزيل من حكيم
اي حكيم حميد يحمده كل خلق بما ظهر عليه من نعمه ما يقال لك اي ما
يقول لك كفار قومك الا ما قد قيل للرسل من قبلك اي الا مثل ما
قال لهم كفار قومهم او ما يقول الله لك الا مثل ما قال لهم ان ربك لذو
مغفرة لانبيائه وذو عقاب اليم لاعدائهم وهو على الثاني يحتمل ان يكون
المقول بمعنى ان حاصل ما اوحي اليك واليهم وعد المومنين بالمغفرة والكافرين
بالعقوبة ولو جعلناه قرانا اعجميا جواب لقولهم هلا نزل هذا القران
بلغة العجم والضمير للذكر لقالوا لولا فصلت اياته بينت بلسان نفقهه
ءاعجمي وعربي أكلام اعجمي ومخاطب عربي انكار مقرر للتحضيض والاعجمي
يقال للذي لا يفهم كلامه وهذه قراءة ابي بكر وحمزة والكسائي وقالون وابو
عمرو بالمد والتسهيل وورش بالمد وابدال الثانية الفا وابن كثير وابن

ذكوان وحفص بغير المد بتسهيل الثانية وهشام اعجمي على الاخبار وعلى هذا
يجوز ان يكون المراد هلا فصلت اياته فجعل بعضها اعجميا لافهام العجم وبعضها عربيا
لافهام العرب والمقصود ابطال مقترحهم باستلزامه المحذور او للدلالة على انهم
لا ينفكون عن التعنت في الايات كيف جاءت قل هو للذين امنوا هدى الى الحق
وشفاء والذين لا يومنون مبتدا خبره في اذانهم وقر على تقدير هو في اذانهم
وقر لقوله وهو عليهم عمى وذلك لتصامهم عن سماعه وتعاميهم عما يريهم
من الايات ومن جوز العطف على عاملين عطف ذلك على للذين امنوا هدى اولئك
ينادون من مكان بعيد اي هم يمثل لهم في عدم قبولهم واستماعهم له بمن
يصاح به من مسافة بعيدة ولقد اتينا موسى الكتاب فاختلف فيه بالتصديق
والتكذيب كما اختلف في القران ولولا كلمة سبقت من ربك وهي العدة
بالقيمة وفصل الخصومة حينئذ او تقدير الاجال لقضي بينهم باستيصال المكذبين
وانهم وان اليهود او الذين لا يومنون لفي شك منه من التورية او القران
مريب موجب للاضطراب من عمل صالحا فلنفسه نفعه ومن اساء فعليها
ضره وما ربك بظلام للعبيد فيفعل بهم ما ليس له ان يفعله اليه يرد علم
الساعة اي اذا سئل عنها اذ لا يعلمها الا هو وما تخرج من ثمرة من اكمامها
من اوعيتها جمع كم بالكسر وقرا نافع وابن عامر وحفص من ثمرات بالجمع
لاختلاف الانواع وقرئ بجمع الضمير ايضا وما نافية ومن الاولى مزيدة
للاستغراق ويحتمل ان تكون موصولة معطوفة على الساعة ومن مبينة
بخلاف قوله وما تحمل من انثى ولا تضع بمكان الا بعلمه الا مقرونا بعلمه
واقعا حسب تعلقه به ويوم يناديهم اين شركاءي بزعمكم قالوا اذناك
اعلمناك ما منا من شهيد من احد يشهد لهم بالشركة اذ تبرانا منهم لما عاينا
الحال فيكون السوال عنهم للتوبيخ او من احد يشاهدهم لانهم ضلوا عنا
وقيل هو قول الشركا اي ما منا من يشهد لهم بانهم كانوا محقين وضل عنهم
ما كانوا يدعون يعبدون من قبل لا ينفعهم او لا يرونهم وظنوا وايقنوا
ما لهم من محيص مهرب والظن معلق عنه بحرف النفي لا يسام الانسان لا
يمل من دعاء الخير من طلب السعة في النعمة وقرئ من دعاء بالخير وان مسه
الشر الضيقة فيووس قنوط من فضل الله ورحمته وهذا صفة الكافر لقوله
انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون وقد بولغ في ياسه من جهة
البنية والتكرير وما في القنوط من ظهور اثر الياس ولئن اذقناه رحمة منا

من بعد ضراء مسته بتفريجها عنه ليقولن هذا لي حقي استحقه لما لي من الفضل
والعمل او لي دائما لا يزول وما اظن الساعة قائمة تقوم ولئن رجعت الى ربي ان
لي عنده للحسنى اي ولئن قامت على التوهم كان لي عند الله الحالة الحسنى
من الكرامة وذلك لاعتقاده ان ما اصابه من نعم الدنيا فلاستحقاق
لا ينفك عنه فلننبئن الذين كفروا فلنخبرنهم بما عملوا بحقيقة اعمالهم
ولنبصرنهم عكس ما اعتقدوا فيها ولنذيقنهم من عذاب غليظ لا يمكنهم
التفصي عنه واذا انعمنا على الانسان اعرض عن الشكر ونأى بجانبه وانحرف
عنه او ذهب بنفسه وتباعد عنه بكليته تكبرا والجانب مجاز عن النفس
كالجنب في قوله في جنب الله واذا مسه الشر فذو دعاء عريض كثير مستعار
مما له عرض متسع للاشعار بكثرته واستمراره وهو ابلغ من الطويل اذ
الطول اطول الامتدادين فاذا كان عرضه كذلك فما ظنك بطوله
قل ارأيتم اخبروني ان كان القران من عند الله ثم كفرتم به من غير نظر
واتباع دليل من اضل ممن هو في شقاق بعيد اي من اضل منكم فوضع
الموصول موضع الصلة شرحا لحالهم وتعليلا لمزيد ضلالهم سنريهم
اياتنا في الافاق يعني ما اخبرهم النبي عليه الصلوة والسلام من الحوادث
الاتية واثار النوازل الماضية وما يسر الله له ولخلفائه من الفتوح والظهور
على ممالك الشرق والغرب على وجه خارق للعادة وفي انفسهم ما ظهر فيما
بين اهل مكة وما حل بهم او ما في بدن الانسان من عجائب الصنع الدالة على
كمال القدرة حتى يتبين لهم انه الحق الضمير للقران او الرسول او التوحيد
او الله اولم يكف بربك اي اولم يكف ربك والباء مزيدة للتاكيد كانه قيل
اولم تحصل الكفاية به ولا تكاد تزاد في الفاعل الا مع كفى انه على كل شيء
شهيد بدل منه والمعنى اولم يكفك انه تعالى على كل شيء شهيد محقق له فيحقق
امرك باظهار الايات الموعودة كما حقق سائر الاشياء الموعودة او مطلع فيعلم
حالك وحالهم او اولم يكف الانسان رادعا عن المعاصي انه تعالى مطلع
على كل شيء لا يخفى عليه خافية الا انهم في مرية شك وقرئ بالضم وهو لغة
كخفية وخفية من لقاء ربهم بالبعث والجزاء الا انه بكل شيء محيط عالم بجمل الاشياء وتفاصيلها
مقتدر عليها لا يفوته شيء منها عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة السجدة اعطاه الله بكل حرف عشر حسنات

بسم الله الرحمن الرحيم حم عسق لعله اسمان للسورة ولذلك
فصل بينهما وعدا ايتين وان كان اسما واحدا فالفصل ليطابق سائر الحواميم
وقرئ حم سق كذلك يوحي اليك والى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم
اي مثل ما في هذه السورة من المعاني او ايحاء مثل ايحائها اوحى الله اليك
والى الرسل قبلك وانما ذكر بلفظ المضارع على حكاية الحال الماضية للدلالة
على استمرار الوحي وان ايحاء مثله عادته وقرأ ابن كثير يوحى بالفتح على ان
كذلك مبتدأ ويوحى خبره المسند الى ضميره او مصدر ويوحى مسند الى اليك
والى الله مرتفع بما دل عليه يوحى والعزيز الحكيم صفتان له مقررتان لعلو
شان الموحى به كما مر في السورة السابقة او بالابتداء كما في قراءة نوحي بالنون
والعزيز وما بعده اخبار او العزيز الحكيم صفتان له وقوله له ما في السموات
وما في الارض وهو العلي العظيم خبران له وعلى الوجوه الاخر استئناف
مقرر لعزته وحكمته تكاد السموات وقرأ نافع والكسائي بالياء يتفطرن
يتشققن من عظمة الله وقيل من دعاء الولد له وقرأ البصريان وابو بكر ينفطرن
والاول ابلغ لانه مطاوع فطر وهذا مطاوع فطر وقرئ تتفطرن بالتاء لتاكيد
التانيث وهو نادر من فوقهن اي يبتدئ الانفطار من جهتهن الفوقانية
وتخصيصها على الاول لان اعظم الايات وادلها على علو شانه من تلك
الجهة وعلى الثاني ليدل على الانفطار من تحتهن بالطريق الاولى وقيل الضمير
للارض فان المراد بها الجنس والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون
لمن في الارض بالسعي فيما يستدعي مغفرتهم من الشفاعة والالهام واعداد
الاسباب المقربة الى الطاعة وذلك في الجملة يعم المؤمن والكافر بل لو فسر
الاستغفار بالسعي فيما يدفع الخلل المتوقع عم الحيوان بل الجماد وحيث
خص بالمؤمنين فالمراد به الشفاعة الا ان الله هو الغفور الرحيم اذ ما
من مخلوق الا وهو ذو حظ من رحمته والاية على الاول زيادة تقرير لعظمته
وعلى الثاني دالة على تقدسه عما نسب اليه وان عدم معاجلتهم بالعقاب
على تلك الكلمة باستغفار الملائكة وفرط غفرانه ورحمته والذين اتخذوا
من دونه اولياء شركاء وانداد الله حفيظ عليهم رقيب على احوالهم واعمالهم
فيجازيهم بها وما انت يا محمد عليهم بوكيل بموكل بهم او بموكول اليه
امرهم وكذلك اوحينا اليك قرانا عربيا الاشارة الى مصدر يوحى
او الى معنى الاية المتقدمة فانه مكرر في القران في مواضع جمة فيكون الكاف

مفعولا لتنذر وقرئ بالتاء خطابا لامته لتنذر ام القرى اهل ام القرى وهي مكة ومن
حولها من العرب وتنذر يوم الجمع يوم القيامة يجمع الخلائق فيه والارواح
والاشباح او العمال والاعمال وحذف ثاني مفعولي الاول واول مفعولي
الثاني للتهويل وايهام التعميم وقرئ لينذر بالياء والفعل للقرآن لا ريب
فيه اعتراض لا محل له فريق في الجنة وفريق في السعير اي بعد جمعهم
في الموقف يجمعون اولا ثم يفترقون والتقدير منهم فريق والضمير للمجموعين
لدلالة الجمع عليه وقرئا منصوبين على الحال منهم اي وتنذر يوم جمعهم متفرقين
بمعنى مشارفين للتفرق او متفرقين في داري الثواب والعقاب ولو شاء
الله لجعلهم امة واحدة مهتدين او ضالين ولكن يدخل من يشاء
في رحمته بالهداية والحمل على الطاعة والظالمون ما لهم من ولي ولا
نصير اي ويدعهم بغير ولي ولا نصير في عذابه ولعل تغيير المقابلة للمبالغة
في الوعيد اذ الكلام في الانذار ام اتخذوا بل اتخذوا من دونه اولياء
كالاصنام فالله هو الولي جواب شرط محذوف مثل ان ارادوا اولياء
فالله هو الولي بالحق وهو يحيي الموتى وهو على كل شيء قدير كالتقرير لكونه
حقيقا بالولاية وما اختلفتم انتم والكفار فيه من شيء من امر من امور الدين
او الدنيا فحكمه الى الله مفوض اليه يميز المحق من المبطل بالنصر او بالاثابة
والمعاقبة وقيل وما اختلفتم فيه من تأويل متشابه فارجعوا فيه الى المحكم
من كتاب الله ذلكم الله ربي عليه توكلت في مجامع الامور واليه انيب
ارجع في المعضلات فاطر السموات والارض خبر اخر لذلكم او مبتدا
خبره جعل لكم وقرئ بالجر على البدل من الضمير او الوصف لالى الله من
انفسكم من جنسكم ازواجا نساء ومن الانعام ازواجا اي وخلق للانعام
من جنسها ازواجا او خلق لكم من الانعام اصنافا او ذكورا واناثا يذرؤكم
يكثركم من الذرء وهو البث وفي معناه الذرو والذر فيه في هذا التدبير
وهو جعل الناس والانعام ازواجا يكون بينهم توالد فانه كالمنبع للبث
والتكثير ليس كمثله شيء اي ليس مثله شيء يزاوجه ويناسبه
والمراد من مثله ذاته كما في قولهم مثلك لا يفعل كذا على قصد المبالغة في نفيه
عنه فانه اذا نفي عمن يناسبه ويسد مسده كان نفيه عنه اولى ونظيره قول رقيقة
بنت صيفي في سقيا عبد المطلب الا وفيهم الطيب الطاهر لذاته ومن قال الكاف
فيه زائدة لعله عنى انه يعطي معنى ليس مثله غير انه اكد لما ذكرناه وقيل مثله

صفته

صفته اي ليس كصفته صفة وهو السميع البصير لكل ما يسمع ويبصر له مقاليد
السموات والارض خزائنها يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر يوسع ويضيق
على وفق مشيئته انه بكل شيء عليم فيفعله على ما ينبغي شرع لكم من الدين ما
وصى به نوحا والذي اوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى
اي شرع لكم من الدين دين نوح ومحمد ومن بينهما من ارباب الشرائع وهو
الاصل المشترك فيما بينهم المفسر بقوله ان اقيموا الدين وهو الايمان بما يجب
تصديقه والطاعة في احكام الله ومحله النصب على البدل من مفعول شرع
او الرفع على الاستئناف كانه جواب وما ذلك المشروع او الجر على البدل من
هاء به ولا تتفرقوا فيه ولا تختلفوا في هذا الاصل اما فروع الشرائع فمختلف
فيها كما قال لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا كبر على المشركين عظم عليهم ما
تدعوهم اليه من التوحيد الله يجتبي اليه من يشاء يجتلب اليه والضمير لما تدعو
او للدين ويهدي اليه بالارشاد والتوفيق من ينيب يقبل اليه وما تفرقوا
يعني الامم السالفة وقيل اهل الكتاب لقوله وما تفرق الذين اوتوا الكتاب
الا من بعد ما جاءهم العلم العلم بان التفرق ضلال متوعد عليه او العلم
بمبعث الرسول او اسباب العلم من الرسل والكتب وغيرها فلم يلتفتوا اليها
بغيا بينهم عداوة او طلبا للدنيا ولولا كلمة سبقت من ربك بالامهال
الى اجل مسمى هو يوم القيامة او اخر اعمارهم المقدرة لقضي بينهم باستئصال
المبطلين حين افترقوا لعظم ما اقترفوا وان الذين اورثوا الكتاب من بعدهم
يعني اهل الكتاب الذين كانوا في عهد الرسول او المشركين الذين اورثوا القرآن
من بعد اهل الكتاب وقرئ ورثوا وورثوا لفي شك منه من كتابهم لا يعلمونه
كما هو او لا يؤمنون به حق الايمان او من القرآن مريب مقلق او مدخل في الريبة
فلذلك لاجل ذلك التفرق او الكتاب او العلم الذي اوتيته فادع الى
الاتفاق بالملة الحنيفية او الاتباع لما اوتيت وعلى هذا يجوز ان يكون اللام
في موضع الى لافادة الصلة او التعليل واستقم كما امرت واستقم على الدعوة
كما امرك الله ولا تتبع اهواءهم الباطلة وقل آمنت بما انزل الله من كتاب
يعني جميع الكتب المنزلة لا كالكفار الذين آمنوا ببعض وكفروا ببعض وامرت
لاعدل بينكم في تبليغ الشرائع والحكومات والاول اشارة الى كمال القوة
النظرية وهذا اشارة الى كمال القوة العملية الله ربنا وربكم خالق الكل
ومتولي امره لنا اعمالنا ولكم اعمالكم فكل مجازي بعمله لا حجة بيننا

بيننا وبينكم لا حجاج بمعنى لا خصومة اذ الحق قد ظهر ولم يبق للمحاجة مجال
ولا للخلاف مبدا سوى العناد الله يجمع بيننا يوم القيمة واليه المصير
مرجع الكل لفصل القضا وليس في الاية ما يدل على متاركة الكفار راسا
حتى تكون منسوخة باية القتال والذين يحاجون في الله في دينه
من بعد ما استجيب له من بعد ما استجاب له الناس ودخلوا فيه او من
بعد ما استجاب الله لرسوله فاظهر دينه بنصره يوم بدر او من بعد ما
استجاب له اهل الكتاب بان اقروا بنبوته واستفتحوا به حجتهم داحضة
عند ربهم زايلة باطلة وعليهم غضب بمعاندتهم ولهم عذاب شديد
على كفرهم الله الذي انزل الكتاب جنس الكتاب بالحق ملتبسا ببعيد
من الباطل او بما يحق انزاله من العقايد والاحكام والميزان والشرع الذي
يوزن به الحقوق ويسوى بين الناس او العدل بان انزل الامر به او اله
الوزن اوحى باعدادها وما يدريك لعل الساعة قريب اتيانها
فاتبع الكتاب واعمل بالشرع وواظب على العدل قبل ان يفاجيك اليوم
الذي يوزن فيه اعمالك ويوفى جزاؤك وقيل تذكير القريب لانه بمعنى ذات
قرب او لان الساعة بمعنى البعث يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها
استهزا والذين امنوا مشفقون منها خايفون منها مع اعتنايها لتوقع
الثواب ويعلمون انها الحق الكاين لا محالة الا ان الذين يمارون في
الساعة يجادلون فيها من المرية او من مريت الناقة اذا مسحت ضرعها
بشدة للحلب لان كلا من المتجادلين يستخرج ما عند صاحبه بكلام فيه
شدة لفي ضلال بعيد عن الحق فان البعث اشبه الغايبات الى المحسوسات
فمن لم يهتد لتجويزها فهو ابعد عن الاهتدا الى ما وراه الله لطيف بعباده
بر بهم بصنوف من البر لا تبلغها الافهام يرزق من يشا اي يرزقه ما يشا
فيخص كلا من عباده بنوع من البر على ما اقتضته حكمته وهو القوي الباهر
القدرة العزيز المنيع الذي لا يغلب من كان يريد حرث الاخرة ثوابها
شبهه بالزرع من حيث انه فايدة تحصل بعمل الدنيا ولذلك قيل الدنيا
مزرعة الاخرة والحرث في الاصل القا البذر في الارض ويقال للزرع الحاصل
منه نزد له في حرثه فنعطه بالواحد عشرا الى سبع مائة فما فوقها ومن
كان يريد حرث الدنيا نؤته منها شيا منها على ما قسمنا له وما له في الاخرة
من نصيب اذ الاعمال بالنيات ولكل امري ما نوى ام لهم شركا بل الهم شركا

والهمزة للتقرير والتقريع وشركاؤهم شياطينهم شرعوا لهم بالتزيين من
الدين ما لم ياذن به الله كالشرك وانكار البعث والعمل للدنيا وقيل شركاؤهم
اوثانهم واضافتها اليهم لانهم متخذوها شركا واسناد الشرع اليها لانها
سبب ضلالتهم وافتتانهم بما تدينوا به او صور من سنه لهم ولولا كلمة
الفصل اي القضا السابق بتاجيل الجزا او العدة بان الفصل يكون يوم
القيمة لقضي بينهم بين الكافرين والمؤمنين او المشركين وشركاؤهم وان
الظالمين لهم عذاب اليم وقري ان بالفتح عطفا على كلمة الفصل اي ولولا
كلمة الفصل وتقدير عذاب الظالمين في الاخرة لقضي بينهم في الدنيا
فان العذاب الاليم غالب في عذاب الاخرة ترى الظالمين في القيمة
مشفقين خايفين مما كسبوا من السيات وهو واقع بهم اي وباله لاحق
لهم اشفقوا او لم يشفقوا فالذين امنوا وعملوا الصالحات في روضات
في اطيب بقاعها وانزهها لهم ما يشاؤن عند ربهم اي ما يشتهونه ثابت
لهم عند ربهم ذلك اشارة الى ما هو للمؤمنين هو الفضل الكبير الذي
يصغر دونه ما لغيرهم في الدنيا ذلك الذي يبشر الله عباده الذين
امنوا وعملوا الصالحات ذلك الثواب الذي يبشرهم الله به فحذف
الجار ثم العايد او ذلك التبشير الذي يبشره الله عباده وقرا ابن كثير وابو عمرو
وحمزة والكسائي يبشر من بشره قل لا اسالكم عليه على ما اتعاطاه من
التبليغ والبشارة اجرا نفعا منكم الا المودة في القربى ان تودوني لقرابتي
منكم او تودوا قرابتي وقيل الاستثنا منقطع والمعنى لا اسالكم اجرا قط
لكن اسالكم المودة وفي القربى حال منها اي المودة ثابتة في ذوي
القربى متمكنة في اهلها او في حق القرابة ومن اجلها كما جا في حديث الحب
في الله والبغض في الله روي انها لما نزلت قيل يا رسول الله من قرابتك
هولا قال علي وفاطمة وابناهما وقيل القربى التقرب الى الله اي الا ان
تودوا الله ورسوله في تقربكم اليه بالطاعة والعمل الصالح وقري الا
مودة في القربى ومن يقترف حسنة ومن يكتسب طاعة سيما حب
ال الرسول وقيل نزلت في ابي بكر ومودته لهم نزد له فيها في الحسنة
حسنا بمضاعفة الثواب وقري يزد اي يزد الله وحسنى ان الله غفور
لمن اذنب شكور لمن اطاع بتوفية الثواب والتفضل عليه بالزيادة ام
يقولون بل ايقولون افترى على الله كذبا افترى محمد بدعواه النبوة

او القرآن فان يشأ الله يختم على قلبك استبعاد للافتراء عن مثله بالاشعار
على انه انما يجترئ عليه من كان مختوما على قلبه جاهلا بربه فاما من كان
ذا بصيرة ومعرفة فلا وكانه قال ان يشأ الله خذلانك يختم على قلبك لتجترئ
بالافتراء عليه وقيل يختم على قلبك يمسك القرآن والوحي عليه او يربط عليه
بالصبر فلا يشق عليك اذاهم ويمح الله الباطل ويحق الحق بكلماته انه
عليم بذات الصدور استئناف لنفي الافتراء عما يقوله بانه لو كان مفترى
لمحقه اذ من عادته تعالى محو الباطل واثبات الحق بوحيه او بقضائه
او بوعد بمحو باطلهم واثبات حقه بالقرآن او بقضائه الذي لا مرد له وسقوط
الواو من يمح في بعض المصاحف لاتباع اللفظ كما في قوله ويدع الانسان
وهو الذي يقبل التوبة عن عباده بالتجاوز عما تابوا عنه والقبول
يعدى الى مفعول ثان بمن وعن لتضمنه معنى الاخذ والابانة وقد عرفت
حقيقة التوبة وعن علي رضي الله عنه هي اسم يقع على ستة معان على الماضي
من الذنوب الندامة ولتضييع الفرائض الاعادة ورد المظالم واذابة
النفس في الطاعة كما ربيتها في المعصية واذاقتها مرارة الطاعة كما اذقتها
حلاوة المعصية والبكاء بدل كل ضحك ضحكته ويعفو عن السيئات صغيرها
وكبيرها لمن يشاء ويعلم ما تفعلون فيجازي ويتجاوز عن اتقان وحكمة
وقرأ الكوفيون بالتاء غير ابي بكر ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات
اي يستجيب الله لهم فحذف اللام كما حذف في واذا كالوهم والمراد اجابة
الدعاء والاثابة على الطاعة فانها كدعاء وطلب لما يترتب عليه ومنه قوله
عليه الصلوة والسلام افضل الدعاء الحمد لله او يستجيبون لله بالطاعة
اذا دعاهم اليها ويزيدهم من فضله على ما سألوا واستحقوا واستوجبوا
له بالاستجابة والكافرون لهم عذاب شديد بدل ما للمؤمنين من
الثواب والتفضل ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض لتكبروا
وافسدوا فيها بطرا او لبغى بعضهم على بعض استيلاء واستعلاء وهذا على
الغالب والبغي طلب تجاوز الاقتصاد فيما يتحرى كمية وكيفية ولكن ينزل
بقدر بتقدير ما يشاء ما اقتضته مشيئته انه بعباده خبير بصير يعلم خفايا
امرهم وجلايا حالهم فيقدر لهم ما يناسب شأنهم روي ان اهل الصفة
تمنوا الغنى فنزلت وقيل في العرب كانوا اذا اخصبوا تحاربوا واذا اجدبوا
انتجعوا وهو الذي ينزل الغيث المطر الذي يغيثهم من الجدب ولذلك

خص النافع وقرأ نافع وابن عامر وعاصم ينزل بالتشديد من بعد ما قنطوا ايسوا
منه وقرئ بكسر النون وينشر رحمته في كل شيء من السهل والجبل والنبات والحيوان
وهو الولي الذي يتولى عباده باحسانه ونشر رحمته الحميد المستحق للحمد
على ذلك ومن آياته خلق السموات والارض فانها بذاتها وصفاتها تدل
على وجود صانع قادر حكيم وما بث فيهما عطف على السموات او الخلق
من حي على اطلاق اسم المسبب على السبب او مما يدب على الارض وما يكون في احد
الشيئين يصدق انه فيهما في الجملة وهو على جمعهم اذا يشاء في اي وقت يشاء
قدير متمكن منه واذا كما يدخل على الماضي يدخل على المضارع وما اصابكم
من مصيبة فبما كسبت ايديكم فبسبب معاصيكم والفاء لان ما شرطية او متضمنة
معناه ولم يذكرها نافع وابن عامر استغناء بما في الباء من معنى السببية ويعفو
عن كثير من الذنوب فلا يعاقب عليها والآية مخصوصة بالمجرمين فان ما اصاب
غيرهم فلاسباب اخر منها تعريضه للاجر العظيم بالصبر عليه وما انتم بمعجزين
في الارض فائتين ما قضى عليكم من المصائب وما لكم من دون الله من ولي
يحرسكم عنها ولا نصير يدفعها عنكم ومن آياته الجوار السفن الجارية
في البحر كالاعلام كالجبال قالت الخنساء وان صخرا لتأتم الهداة به كانه علم في
رأسه نار ان يشأ يسكن الريح وقرأ نافع الرياح فيظللن رواكد على
ظهره فيبقين ثوابت على ظهر البحر ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور لكل
من وكل همته وحبس نفسه على النظر في آيات الله والتفكر في آلائه او لكل
مؤمن كامل فان الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر او يوبقهن او يهلكهن
بارسال الريح العاصفة المغرقة والمراد اهلاك اهلها لقوله بما كسبوا واصله
او يرسلها فيوبقهن لانه قسيم يسكن فاقتصر فيه على المقصود كما في قوله ويعف
عن كثير اذ المعنى او يرسلها عاصفة فيوبق ناسا بذنوبهم وينج ناسا على العفو عنهم
وقرئ ويعفو على الاستئناف ويعلم الذين يجادلون في آياتنا عطف
على علة مقدرة مثل لينتقم منهم ويعلم او على الجزاء ونصب نصب الواقع جوابا
للاشياء الستة لانه غير جواب وقرأ نافع وابن عامر بالرفع على الاستئناف وقرئ
بالجزم عطفا على يعف فيكون المعنى او يجمع بين اهلاك قوم وانجاء قوم وتحذير
آخرين ما لهم من محيص محيد من العذاب والجملة معلق عنها الفعل فما اوتيتم
من شيء فمتاع الحيوة الدنيا تمتعون به مدة حياتكم وما عند الله من ثواب الآخرة
خير وابقى لخلوص نفعه ودوامه وما الاولى تضمنت معنى الشرط من حيث ان ايتاء

ما اوتوا سببا للتمتع بها في الحياة الدنيا فجاز التفاخر بها بخلاف الثانية
وعن النبي صلى الله عليه وسلم تصدق ابو بكر رضي الله عنه بماله كله فلامه جمع
فنزلت للذين امنوا وعلى ربهم يتوكلون والذين يجتنبون كبائر الاثم
والفواحش واذا ما غضبوا هم يغفرون الذين وما بعده عطف على للذين
امنوا او مدح منصوب او مرفوع وبناء يغفرون على ضميرهم خبرا للدلالة
على انهم الاخصاء بالمغفرة حال الغضب وقرا حمزة والكسائي كبير الاثم والذين
استجابوا لربهم واقاموا الصلوة نزلت في الانصار دعاهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم الى الايمان فاستجابوا له وامرهم شورى بينهم ذو شورى
لا ينفردون برأي حتى يتشاوروا ويجتمعوا عليه وذلك من فرط تدبرهم وتيقظهم
في الامور وهي مصدر كالفتيا بمعنى التشاور ومما رزقناهم ينفقون في سبيل
الخير والذين اذا اصابهم البغي هم ينتصرون على ما جعله الله لهم كراهة
التذلل وهو وصفهم بالشجاعة بعد وصفهم بسائر امهات الفضائل وهو لا
يخالف وصفهم بالغفران فانه ينبئ عن عجز المغفور والانتصار عن مقاومة
الخصم والحلم على العاجز محمود وعن المتغلب مذموم لانه اجراء واغراء على البغي
عقبه وصفهم بالانتصار للمنع عن التعدي وجزاء سيئة سيئة مثلها وسمى
الثانية سيئة للازدواج او لانها تسوء من تنزل به فمن عفا واصلح بينه
وبين عدوه فاجره على الله عدة مبهمة تدل على عظم الموعود انه لا يحب
الظالمين المبتدئين بالسيئة والمتجاوزين في الانتقام ولمن انتصر بعد ظلمه
بعد ما ظلم وقد قرئ به فاولئك ما عليهم من سبيل بالمعاتبة والمعاقبة
انما السبيل على الذين يظلمون الناس يبتدئونهم بالاضرار ويطلبون
ما لا يستحقونه تجبرا عليهم ويبغون في الارض بغير الحق اولئك لهم عذاب
اليم على ظلمهم وبغيهم ولمن صبر على الاذى وغفر ولم ينتصر ان ذلك
لمن عزم الامور اي ان ذلك منه فحذف كما حذف في قولهم السمن منوان
بدرهم للعلم به ومن يضلل الله فما له من ولي من بعده من ناصر يتولاه
من بعد خذلان الله اياه وترى الظالمين لما راوا العذاب حين يرونه
فذكر بلفظ الماضي تحقيقا يقولون هل الى مرد من سبيل اي الى رجعة
الى الدنيا وتراهم يعرضون عليها على النار ويدل عليها العذاب
خاشعين من الذل متذللين متقاصرين مما يلحقهم من الذل ينظرون من
طرف خفي اي يبتدئ نظرهم الى النار من تحريك لاجفانهم ضعيف كالمصبور

ينظر

ينظر الى السيف وقال الذين امنوا ان الخاسرين الذين خسروا انفسهم
واهليهم بالتعريض للعذاب المخلد يوم القيمة ظرف لخسروا والقول في الدنيا
او لقال اي يقولون اذا راوهم على تلك الحالة الا ان الظالمين في عذاب
مقيم تمام كلامهم او تصديق من الله لهم وما كان لهم من اولياء ينصرونهم
من دون الله ومن يضلل الله فما له من سبيل الى الهدى او النجاة استجيبوا
لربكم من قبل ان ياتي يوم لا مرد له من الله لا يرده الله بعد ما حكم به ومن
صلة مرد وقيل صلة ياتي اي من قبل ان ياتي يوم من الله لا يمكن رده ما لكم
من ملجا يومئذ مفر وما لكم من نكير انكار لما اقترفتموه لانه مدون في
صحائف اعمالكم تشهد عليه السنتكم وجوارحكم فان اعرضوا فما ارسلناك
عليهم حفيظا رقيبا او محاسبا ان عليك الا البلاغ وقد بلغت وانا
اذا اذقنا الانسان منا رحمة فرح بها اراد بالانسان الجنس لقوله وان
تصبهم سيئة فان الانسان كفور بليغ الكفران ينسى النعمة راسا ويذكر
البلية ويعظمها ولم يتامل سببها وهذا وان اختص بالمجرمين جاز اسناده
الى الجنس لغلبتهم واندراج جميعهم فيه وتصدير الشرطية الاولى باذا والثانية
بان لان اذاقة النعمة محققة من حيث انها عادة مقتضية بالذات بخلاف
اصابة البلية واقامة علة الجزاء مقامه ووضع الظاهر موضع الضمير في الثانية
للدلالة على ان هذا الجنس موسوم بكفران النعمة لله ملك السموات و
الارض فله ان يقسم النعمة والبلية كيف شاء يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء
اناثا ويهب لمن يشاء الذكور من غير لزوم ومجال اعتراض او يزوجهم
ذكرانا واناثا ويجعل من يشاء عقيما بدل من يخلق بدل البعض والمعنى
يجعل احوال العباد في الاولاد مختلفة على مقتضى المشية فيهب لبعض اما
صنفا واحدا من ذكر او انثى او الصنفين جميعا ويعقم اخرين ولعل تقديم
الاناث لانها اكثر لتكثير النسل او لان مساق الاية للدلالة على ان الواقع
ما يتعلق به مشية الله لا مشية الانسان والاناث كذلك او لان الكلام
في البلاء والعرب تعدهن بلاء او لتطييب قلوب ابائهن او للمحافظة على الفواصل
ولذلك عرف الذكور او لجبر التاخير وتغيير العاطف في الثالث لانه قسيم
المشترك بين القسمين ولم يحتج اليه الرابع لافصاحه لانه قسيم المشترك
بين الاقسام المتقدمة انه عليم قدير فيفعل ما يفعل بحكمة واختيار وما
كان لبشر وما صح له ان يكلمه الله الا وحيا كلاما خفيا يدرك بسرعة

لأنه تمثيل ليس في ذاته مركبا من حروف مقطعة تتوقف على تموجات متعاقبة وهو ما يعم المشافهة كما روي في حديث المعراج وما وعد به في حديث الرؤية والمهتف به كما اتفق لموسى في طوى والطور لكن عطف قوله أو من وراء حجاب عليه يخصه بالأول فالآية دليل على جواز الرؤية لا على امتناعها وقيل المراد به الإلهام والإلقاء في الروع أو الوحي المنزل به الملك إلى الرسل فيكون المراد بقوله أو يرسل رسولا فيوحي بإذنه ما يشاء أو يرسل إليه نبيا فيبلغ وحيه كما أمره وعلى الأول المراد بالرسول الملك الموحي إلى الرسل ووحيا بما عطف عليه منتصب بالمصدر لأن من وراء حجاب صفة كلام محذوف والإرسال نوع من الكلام ويجوز أن يكون وحيا ويرسل مصدرين ومن وراء حجاب ظرفا وقعت أحوالا وقرأ نافع أو يرسل برفع اللام إنه علي عن صفات المخلوقين حكيم يفعل ما تقتضيه حكمته فيكلم تارة بوسط وتارة بغير وسط إما عيانا وإما من وراء حجاب وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا يعني ما أوحي إليه وسماه روحا لأن القلوب تحيى به وقيل جبريل والمعنى أرسلناه إليك بالوحي ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان أي قبل الوحي وهو دليل على أنه لم يكن متعبدا قبل النبوة بشرع وقيل المراد هو الإيمان بما لا طريق إليه إلا السمع ولكن جعلناه نورا أي الروح أو الكتاب أو الإيمان نهدي به من نشاء من عبادنا بالتوفيق للقبول والنظر فيه وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم هو الإسلام وقرئ لتهدي أي ليهديك الله صراط الله بدل من الأول الذي له ما في السموات وما في الأرض خلقا وملكا ألا إلى الله تصير الأمور بارتفاع الوسائط والتعلقات وفيه وعد ووعيد للمطيعين والمجرمين عن النبي عليه السلام من قرأ حم عسق كان ممن يصلي عليه الملائكة ويستغفرون له ويسترحمون له

بسم الله الرحمن الرحيم حم والكتاب المبين إنا جعلناه قرآنا عربيا أقسم بالقرآن على أنه جعله قرآنا عربيا وهو من البدائع لتناسب القسم والمقسم عليه كقول أبي تمام وثناياك إنها إغريض ولعل أقسام الله بالأشياء استشهاد بما فيها من الدلالة على المقسم عليه والقرآن من حيث إنه معجز مبين طرق الهدى وما يحتاج إليه في الديانة أو بين للعرب ما يدل على أنه تعالى صيره

لذلك لعلكم تعقلون لكي تفهموا معانيه وإنه عطف على إنا في أم الكتاب في اللوح المحفوظ فإنه أصل الكتب السماوية وقرئ إم الكتاب بالكسر لدينا محفوظا عندنا عن التغيير لعلي رفيع الشأن في الكتب لكونها معجزا من بينها حكيم ذو حكمة بالغة أو محكم لا ينسخه غيره وهما خبران لإن وفي أم الكتاب متعلق بعلي واللام لا يمنعه أو حال منه ولدينا بدل منه أو حال من أم الكتاب أفنضرب عنكم الذكر صفحا أفنذوده ونبعده عنكم مجاز من قولهم ضرب الغرائب عن الحوض قال طرفة اضرب عنك الهموم طارقها ضربك بالسيف قونس الفرس والفاء للعطف على محذوف أي أنهملكم فنضرب عنكم الذكر وصفحا مصدر من غير لفظه فإن تنحية الذكر عنهم إعراض أو مفعول له أو حال بمعنى صافحين وأصله أن تولي الشيء صفحة عنقك وقيل إنه بمعنى الجانب فيكون ظرفا ويؤيده أنه قرئ صفحا وحينئذ يحتمل أن يكون تخفيف صفح جمع صفوح بمعنى صافحين والمراد إنكار أن يكون الأمر على خلاف ما ذكر من إنزال الكتاب على لغتهم ليفهموه أن كنتم قوما مسرفين أي لأن كنتم وهو في الحقيقة علة مقتضية لترك الإعراض وقرأ نافع وحمزة والكسائي بالكسر على أن الجملة شرطية مخرجة للمحقق مخرج المشكوك لاستجهالهم وما قبلها دليل الجزاء وكم أرسلنا من نبي في الأولين وما يأتيهم من نبي إلا كانوا به يستهزئون تسلية لرسول الله عن استهزاء قومه فأهلكنا أشد منهم بطشا أي من القوم المسرفين لأنه صرف الخطاب عنهم إلى الرسول مخبرا عنهم ومضى مثل الأولين وسلف في القرآن قصتهم العجيبة وفيه وعد للرسول ووعيد لهم بمثل ما جرى على الأولين ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم لعله لازم مقولهم أو ما دل عليه إجمالا أقيم مقامه تقريرا لإلزام الحجة عليهم فكأنهم قالوا الله كما حكى عنهم في مواضع أخر وهو الذي من صفته ما سرد من الصفات ويجوز أن يكون مقولهم وما بعده استئناف الذي جعل لكم الأرض مهدا فتستقرون فيها وقرأ الحرميان وأبو عمرو وابن عامر مهادا وجعل لكم فيها سبلا تسلكونها لعلكم تهتدون لكي تهتدوا إلى مقاصدكم أو إلى حكمة الصانع بالنظر في ذلك والذي نزل من السماء ماء بقدر بمقدار ينفع ولا يضر فأنشرنا به بلدة ميتا زال عنه النماء وتذكيره لأن البلدة بمعنى البلد والمكان كذلك مثل ذلك الإنشار تخرجون تنشرون من قبوركم وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي تخرجون بفتح التاء وضم الراء والذي

خلق الازواج كلها اصناف المخلوقات وجعل لكم من الفلك والانعام
ما تركبون ما تركبونه على تغليب المتعدي بنفسه على المتعدي بغيره اذ يقال
ركبت الدابة وركبت في السفينة او المخلوق للركوب على المصنوع له او الغالب
على النادر فلذلك قال لتستووا على ظهوره اي ظهور ما تركبون وجمعه للمعنى
ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه تذكروها بقلوبكم معترفين بها
حامدين عليها وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين
مطيقين من اقرن الشيء اذا اطاقه واصله وجده قرينه اذ الصعب لا يكون قرينة
الضعيف وقرئ بالتشديد والمعنى واحد وعنه عليه الصلوة والسلام انه
كان اذا وضع رجله في الركاب قال بسم الله فاذا استوى على الدابة قال الحمد لله
على كل حال سبحان الذي سخر لنا هذا الى قوله وانا الى ربنا لمنقلبون اي
راجعون واتصاله بذلك لان الركوب للتنقل والنقلة العظمى هو الانقلاب
الى الله او لانه مخطر فينبغي للراكب ان لا يغفل عنه ويستعد للقاء الله وجعلوا
له من عباده جزءا متصل بقوله ولئن سألتهم اي وقد جعلوا له بعد ذلك
الاعتراف من عباده ولدا فقالوا الملائكة بنات الله ولعله سماه جزءا كما
سمي بعضا لانه بضعة من الوالد دلالة على استحالته على الواحد الحق في ذاته
وقرئ جزؤا بضمتين ان الانسان لكفور مبين ظاهر الكفران ومن ذلك
نسبة الولد الى الله لانها من فرط الجهل به والتحقير لشانه ام اتخذ مما
يخلق بنات واصفاكم بالبنين معنى الهمزة في ام الانكار والتعجب من شانهم
حيث لم يقنعوا بان جعلوا له جزءا من مخلوقاته جزءا اخس مما اختير لهم وابغض
الاشياء اليهم بحيث اذا بشر احدهم بها اشتد غمهم به كما قال واذا بشر احدهم
بما ضرب للرحمن مثلا بالجنس الذي جعله له مثلا اذ الولد لا بد وان
يماثل الوالد ظل وجهه مسودا صار وجهه اسود في الغاية لما يعتريه
من الكآبة وهو كظيم مملوء قلبه من الكرب وفي ذلك دلالات على فساد
ما قالوه وتعريف البنين بما مر في الذكور وقرئ مسود ومسواد على ان في ظل
ضمير المبشر ووجهه مسود جملة وقعت خبرا اومن ينشؤا في الحلية اي
او جعلوا له او اتخذ من يتربى في الزينة يعني البنات وهو في الخصام
المجادلة غير مبين مقرر لما يدعيه من نقصان العقل وضعف الرأي ويجوز ان
يكون من مبتدا محذوف الخبر اي او من هذا حاله ولده وفي الخصام متعلق
بمبين واضافة غير اليه لا يمنعه كما عرفت وقرأ حمزة والكسائي وحفص ينشا

اي

اي يربى وقرئ ينشا وينانشا بمعناه ونظير ذلك اعلاه وعلاه وعالاه
بمعنى وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا كفر اخر تضمنه مقالهم
شنع به عليهم وهو جعلهم اكمل العباد واكرمهم على الله انقصهم رأيا واخسهم
صنفا وقرئ عبيد وقرأ الحجازيان وابن عامر ويعقوب عند على تمثيل زلفاهم
وقرئ اناثا وهو جمع الجمع اشهدوا خلقهم احضروا خلق الله اياهم فشاهدوهم
اناثا فان ذلك مما يعلم بالمشاهدة وهو تجهيل وتهكم بهم وقرأ نافع أأشهدوا
بهمزة الاستفهام وهمزة مضمومة بين بين وآأشهدوا بمدة بينهما برواية قالون
ستكتب شهادتهم التي شهدوا بها على الملائكة ويسألون اي عنها يوم
القيمة وهو وعيد وقرئ سنكتب بالياء والنون وشهاداتهم وهي ان لله جزءا
وانه بنات وهن الملائكة ويساءلون من المساءلة وقالوا لو شاء الرحمن ما
عبدناهم اي لو شاء عدم عبادة الملائكة ما عبدناهم فاستدلوا بنفي مشيته
عدم العبادة على امتناع النهي عنها او على حسنها وذلك باطل لان المشية
ترجيح بعض الممكنات على بعض مامورا كان او منهيا حسنا كان او غيره ولذلك
جهلهم فقال ما لهم بذلك من علم ان هم الا يخرصون يتمحلون تمحلا باطلا
ويجوز ان تكون الاشارة الى اصل الدعوى كانه لما ابدى وجوه فسادها
وحكى شبههم المزيفة نفى ان يكون لهم بها علم من طريق العقل ثم اضرب
عنه الى انكار ان يكون لهم سند من جهة النقل فقال ام اتيناهم كتابا
من قبله من قبل القران او ادعائهم ينطق بصحة ما قالوه فهم به مستمسكون
بذلك الكتاب متمسكون بل قالوا انا وجدنا اباءنا على امة وانا على
اثارهم مهتدون اي لا حجة لهم على ذلك عقلية ولا نقلية وانما جنحوا
فيه الى تقليد ابائهم الجهلة والامة الطريقة التي تؤم كالرحلة للمرحول
اليه وقرئت بالكسر وهي الحالة التي يكون عليها الامّ اي القاصد ومنها
الدين وكذلك ما ارسلنا من قبلك في قرية من نذير الا قال مترفوها
انا وجدنا اباءنا على امة وانا على اثارهم مقتدون تسلية للرسول و
دلالة على ان التقليد في نحو ذلك ضلال قديم وان مقدميهم ايضا
لم يكن لهم سند منظور اليه وتخصيص المترفين اشعار بان التنعم وحب
البطالة صرفهم عن النظر الى التقليد قل اولو جئتكم باهدى مما وجدتم
عليه اباءكم اي اتتبعون اباءكم ولو جئتكم بدين اهدى من دين ابائكم وهو
حكاية امر ماض اوحي الى النذير او خطاب للرسول ويؤيد الاول انه

قراءة ابن عامر وحفص قال وقوله قالوا انا بما ارسلتم به كافرون اي
وان كان اهدى اقناطا للنذرين من ان ينظروا ويتفكروا فيه فانتقمنا منهم
بالاستيصال فانظر كيف كان عاقبة المكذبين ولا تكترث بتكذيبهم
واذ قال ابرهيم واذكر وقت قوله هذا ليروا كيف تبرا عن التقليد
وتمسك بالدليل او ليقلدوه ان لم يكن لهم بد من التقليد فانه اشرف اباءهم
لابيه وقومه انني براء مما تعبدون بري من عبادتكم او معبودكم
مصدر نعت به ولذلك استوى فيه الواحد والمتعدد والمذكر والمؤنث
وقرئ بري وبراء ككريم وكرام الا الذي فطرني استثناء منقطع او متصل
على ان ما تعم اولي العلم وغيرهم فانهم كانوا يعبدون الله والاوثان
او صفة على ان ما موصوفة اي انني براء من الهة تعبدونها غير الذي فطرني
فانه سيهدين سيثبتني على الهداية او سيهدين الى ما وراء ما هداني اليه
وجعلها كلمة وجعل ابرهيم عليه السلام او الله تعالى كلمة التوحيد باقية
في عقبه في ذريته فيكون فيهم ابدا من يوحد الله ويدعو الى توحيده وقرئ
كلمة وفي عقبه على التخفيف وفي عاقبه اي فيمن عقبه لعلهم يرجعون يرجع
من اشرك منهم بدعاء من وحد بل متعت هؤلاء واباءهم هؤلاء المعاصرين
للرسول من قريش واباءهم في المد في العمر والنعمة فاغتروا بذلك وانهمكوا
في الشهوات وقرئ بل متعت بالفتح على انه تعالى اعترض به على ذاته في قوله
وجعلها كلمة باقية مبالغة في تعييرهم حتى جاءهم الحق دعوة التوحيد
او القران ورسول مبين ظاهر الرسالة بما له من المعجزات او مبين للتوحيد
بالحجج والايات ولما جاءهم الحق لينبههم عن غفلتهم قالوا هذا سحر وانا
به كافرون زادوا شرارة وضموا الى شركهم معاندة الحق والاستحقار
به فسموا القران سحرا وكفروا به واستحقروا الرسول وقالوا لولا نزل هذا
القران على رجل من القريتين من احدى القريتين مكة والطائف عظيم
بالجاه والمال كالوليد بن المغيرة وعروة بن مسعود الثقفي فان الرسالة
منصب عظيم لا يليق الا بعظيم ولم يعلموا انها رتبة روحانية تستدعي عظم
النفس بالتحلي بالفضائل والكمالات القدسية لا التزخرف بالزخارف
الدنيوية اهم يقسمون رحمة ربك انكار فيه تجهيل وتعجيب من تحكمهم
والمراد بالرحمة النبوة نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحيوة الدنيا
وهم عاجزون عن تدبيرها وهي خويصة امرهم في دنياهم فمن اين لهم

ان يدبروا امر النبوة التي هي اعلى المراتب الانسية واطلاق المعيشة يقتضي
ان يكون حلالها وحرامها من الله تعالى ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات
واوقعنا بينهم التفاوت في الرزق وغيره ليتخذ بعضهم بعضا سخريا
ليستعمل بعضهم بعضا في حوائجهم ويحصل بينهم تالف وتضام وينتظم بذلك
نظام العالم لا لكمال في الموسع ولا لنقص في المقتر لانه لا اعتراض لهم
علينا في ذلك ولا تصرف فكيف يكون فيما هو اعلى منه ورحمة ربك هذه يعني
النبوة وما يتبعها خير مما يجمعون من حطام الدنيا والعظيم من رزق
منها لا منه ولولا ان يكون الناس امة واحدة لولا ان يرغبوا في الكفر
اذا راوا الكفار في سعة وتنعم لحبهم الدنيا فيجتمعوا عليه لجعلنا لمن يكفر
بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج ومصاعد جمع معرج وقرئ معاريج
جمع معراج عليها يظهرون يعلون السطوح لحقارة الدنيا ولبيوتهم
بدل من لمن بدل الاشتمال او علة كقولك وهبت له ثوبا لقميصه وقرا ابن
كثير وابو عمرو سقفا اكتفاء بجمع البيوت وقرئ سقفا بالتخفيف وسقوفا
وهو لغة في سقف ولبيوتهم ابوابا وسررا عليها يتكئون اي ابوابا
وسررا من فضة وزخرفا وزينة عطف على سقفا او ذهبا عطف على محل
من فضة وان كل ذلك لما متاع الحيوة الدنيا ان هي المخففة واللام
هي الفارقة وقرا عاصم وحمزة وهشام بخلاف فيه لما بالتشديد بمعنى الا وان
نافية وقرئ به مع ان وما والاخرة عند ربك للمتقين عن الكفر والمعاصي
وفيه دلالة على ان العظيم هو العظيم في الاخرة لا في الدنيا واشعار
بما لاجله لم يجعل ذلك للمؤمنين حتى يجتمع الناس على الايمان وهو انه تمتع
قليل بالاضافة الى ما لهم في الاخرة مخل به في الاغلب لما فيه من الافات
التي قل من يتخلص عنها كما اشار اليه بقوله ومن يعش عن ذكر الرحمن يتعام
ويعرض عنه لفرط اشتغاله بالمحسوسات وانهماكه في الشهوات وقرئ يعش
بالفتح اي يعم يقال عشي اذا كان في بصره افة وعشي اذا تعشى بلا افة كعرج
وعرج وقرئ يعشو على ان من موصولة نقيض له شيطانا فهو له قرين
يوسوسه ويغويه دائما وقرا يعقوب بالياء على اسناده الى ضمير الرحمن ومن رفع
يعشو ينبغي ان يرفعه وانهم ليصدونهم عن السبيل عن الطريق الذي
من حقه ان يسبل وجمع الضميرين للمعنى اذ المراد جنس العاشي والشيطان
المقيض له ويحسبون انهم مهتدون الضمائر الثلاثة الاول له والباقيان

للشيطان حتى اذا جاءنا اي العاشي وقرأ الحجازيان وابن عامر وابو بكر
جاءانا اي العاشي والشيطان قال اي العاشي للشيطان يا ليت بيني وبينك
بعد المشرقين بعد المشرق والمغرب وغلب المشرق واضيف البعد اليهما فبئس القرين
انت ولن ينفعكم اليوم اي ما انتم عليه من التمني اذ ظلمتم اذ صح انكم ظلمتم
انفسكم في الدنيا بدل من اليوم انكم في العذاب مشتركون لان حقكم ان
تشتركوا انتم وشياطينكم في العذاب كما كنتم مشتركين في سببه ويجوز ان
يسند الفعل اليه بمعنى ولن ينفعكم اشتراككم في العذاب كما ينفع الواقعين
في امر صعب معاونتهم في تحمل اعبائه وتقسيمهم لمكابدة عنائه اذ لكل منكم
ما لا تسعه طاقته وقرئ انكم بالكسر وهو يقوي الاول افانت تسمع الصم او تهدي
العمي انكار تعجب من ان يكون هو الذي يقدر على هدايتهم بعد تمرنهم على
الكفر واستغراقهم في الضلال بحيث صار عشاهم عمى مقرونا بالصمم كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعب نفسه في دعاء قومه وهم لا يزيدون الا
غيا فنزلت ومن كان في ضلال مبين عطف على العمي باعتبار تغاير الوصفين
وفيه اشعار بان الموجب لذلك تمكنهم في ضلال لا يخفى فاما نذهبن
بك اي فان قبضناك قبل ان نبصرك عذابهم وما مزيدة مؤكدة بمنزلة
لام القسم في استجلاب النون المؤكدة فانا منهم منتقمون بعدك في
الدنيا والآخرة او نرينك الذي وعدناهم او اردنا ان نريك ما
وعدناهم من العذاب وقرأ يعقوب برواية رويس نرينك باسكان النون
وكذا نذهبن فانا عليهم مقتدرون لا يفوتونا فاستمسك بالذي
اوحي اليك من الآيات والشرائع وقرئ اوحى على بناء الفاعل وهو الله تعالى
انك على صراط مستقيم لا عوج له وانه لذكر لك لشرف لك ولقومك
وسوف تسألون اي عنه يوم القيمة وعن قيامكم بحقه واسأل من ارسلنا
من قبلك من رسلنا اي واسأل اممهم وعلماء دينهم اجعلنا من دون
الرحمن آلهة يعبدون هل حكمنا بعبادة الاوثان وهل جاءت في ملة من
مللهم والمراد به الاستشهاد باجماع الانبياء على التوحيد والدلالة على انه
ليس ببدع ابتدعه فيكذب ويعادى له فانه كان اقوى ما حملهم على التكذيب
والمخالفة ولقد ارسلنا موسى باياتنا الى فرعون وملائه فقال اني
رسول رب العالمين يريد باقتصاصه تسلية الرسول ومناقضة
قولهم لولا انزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم والاستشهاد

بدعوة موسى عليه السلام الى التوحيد فلما جاءهم باياتنا اذا هم منها يضحكون
فاجاؤا وقت ضحكهم منها اي استهزؤا بها اول ما رأوها ولم يتأملوا فيها
وما نريهم من آية الا هي اكبر من اختها الا وهي بالغة اقصى درجات الاعجاز
بحيث يحسب الناظر فيها انها اكبر مما يقاس اليها من الآيات والمراد وصف
الكل بالكبر كقولك رأيت رجالا بعضهم افضل من بعض وكقوله من تلق
منهم تقل لاقيت سيدهم مثل النجوم التي يسري بها الساري او الا وهي مختصة
بنوع من الاعجاز مفضلة على غيرها بذلك الاعتبار واخذناهم بالعذاب
كالسنين والطوفان والجراد لعلهم يرجعون على وجه يرجى رجوعهم
وقالوا يا ايها الساحر نادوه بذلك في تلك الحال لشدة شكيمتهم وفرط
حماقتهم او لانهم كانوا يسمون العالم الباهر ساحرا وقرأ ابن عامر وعاصم
بضم الهاء ادع لنا ربك اي تدعو الله فيكشف عنا العذاب بما عهد عندك
بعهده عندك من النبوة او من ان يستجيب دعوتك او ان يكشف العذاب
عمن اهتدى او بما عهد عندك فوفيت به وهو الايمان والطاعة اننا لمهتدون
فلما كشفنا عنهم العذاب اذا هم ينكثون فاجؤا نكث عهدهم بالاهتداء
ونادى فرعون بنفسه او بمناديه في قومه في مجمعهم وفيما بينهم بعد كشف
العذاب عنهم مخافة ان يؤمن بعضهم قال يا قوم أليس لي ملك مصر وهذه
الانهار انهار النيل ومعظمها اربعة نهر الملك ونهر طولون ونهر دمياط
ونهر تنيس تجري من تحتي تحت قصري او امري او بين يدي في جناني
وبساتيني والواو اما عاطفة لهذه الانهار على الملك فتجري حال منها او
واو حال وهذه مبتدأ والانهار صفتها وتجري خبرها افلا تبصرون ذلك
ام انا خير مع هذه المملكة والبسطة من هذا الذي هو مهين ضعيف حقير
لا يستعد للرياسة من المهانة وهي القلة ولا يكاد يبين الكلام لما به من الرتة
فكيف يصلح للرسالة وام اما منقطعة والهمزة فيها للتقرير اذ قدم من اسباب
فضله او متصلة على اقامة المسبب مقام السبب والمعنى افلا تبصرون ام
تبصرون فتعلمون اني خير منه فلولا القي عليه اسورة من ذهب اي فهلا
القي عليه مقاليد الملك ان كان صادقا اذ كانوا اذا سودوا رجلا سوروه
وطوقوه بطوق من ذهب واساور جمع اسوار بمعنى السوار على تعويض التاء
من ياء اساوير وقد قرئ به وقرأ يعقوب وحفص اسورة وهي جمع سوار وقرئ
اساور جمع اسورة والقى عليه اسورة واساور على البناء للفاعل وهو الله تعالى

أو جاء معه الملائكة مقترنين مقرونين يعينونه أو يصدقونه من قرنته
به فاقترن أو متقارنين من اقترن بمعنى تقارن فاستخف قومه فطلب منهم
الخفة في مطاوعته أو فاستخف أحلامهم فأطاعوه فيما أمرهم به إنهم
كانوا قوما فاسقين فلذلك أطاعوا ذلك الفاسق فلما آسفونا أغضبونا
بالإفراط في العناد والعصيان منقول من أسف إذا اشتد غضبه انتقمنا
منهم فأغرقناهم أجمعين في اليم فجعلناهم سلفا قدوة لمن بعدهم
من الكفار يقتدون بهم في استحقاق مثل عقابهم مصدر نعت به أو جمع
سالف كخدم وقرأ حمزة والكسائي بضم السين واللام جمع سليف كرغف
أو سالف كصبر أو سلف كخشب وقرئ سلفا بإبدال ضمة اللام فتحة أو على أنه
جمع سلفة أي ثلة سلفت ومثلا للآخرين وعظة لهم أو قصة عجيبة
تسير مسير الأمثال لهم فيقال مثلكم مثل قوم فرعون ولما ضرب ابن مريم
مثلا أي ضربه ابن الزبعرى لما جادل رسول الله في قوله تعالى إنكم وما تعبدون
من دون الله حصب جهنم أو غيره بأن قال النصارى أهل كتاب وهم يعبدون
عيسى ويزعمون أنه ابن الله والملائكة أولى بذلك أو على قوله واسأل
من أرسلنا من قبلك من رسلنا أو أن محمدا يريد أن نعبده كما عبد المسيح إذا قومك
قريش منه من هذا المثل يصدون يضجون فرحا لظنهم أن الرسول صار
ملزما به وقرأ نافع وابن عامر والكسائي بالضم من الصدود أي يصدون عن
الحق ويعرضون عنه وقيل هما لغتان نحو يعكف ويعكف وقالوا أآلهتنا
خير أم هو أي آلهتنا خير عندك أم عيسى فإن كان في النار فلتكن آلهتنا معه
أو آلهتنا الملائكة خير أم عيسى فإذا جاز أن يعبد ويكون ابن الله كانت آلهتنا
أولى بذلك أو آلهتنا خير أم محمد فنعبده وندع آلهتنا وقرأ الكوفيون أآلهتنا
بتحقيق الهمزتين وألف بعدهما ويعقوب برواية روح ما ضربوه لك إلا
جدلا ما ضربوا هذا المثل إلا لأجل الجدال والخصومة لا لتمييز الحق من
الباطل بل هم قوم خصمون شداد الخصومة حراص على اللجاج إن هو إلا
عبد أنعمنا عليه بالنبوة وجعلناه مثلا لبني إسرائيل أمرا عجيبا كالمثل السائر
لبني إسرائيل وهو كالجواب المزيح لتلك الشبهة ولو نشاء لجعلنا منكم لولدنا
منكم يا رجال كما ولدنا عيسى من غير أب أو لجعلنا بدلكم ملائكة في الأرض
يخلفون ملائكة يخلفونكم في الأرض والمعنى أن حال عيسى وإن كانت عجيبة
فالله تعالى قادر على ما هو أعجب من ذلك وأن الملائكة مثلكم من حيث

إنها ذوات ممكنة يحتمل خلقها توليدا كما جاز خلقها إبداعا فمن أين لهم
استحقاق الألوهية والانتساب إلى الله سبحانه وإنه وإن عيسى لعلم للساعة
لأن حدوثه أو نزوله من أشراط الساعة يعلم به دنوها أو لأن إحياءه الموتى
يدل على قدرة الله تعالى عليه وقرئ لعلم أي علامة ولذكر على تسمية ما يذكر
به ذكرا وفي الحديث ينزل عيسى على ثنية بالأرض المقدسة يقال لها أفيق
وفي يده حربة بها يقتل الدجال فيأتي بيت المقدس والناس في صلاة الصبح
فيتأخر الإمام فيقدمه عيسى ويصلي خلفه على شريعة محمد عليه الصلاة والسلام
ثم يقتل الخنازير ويكسر الصليب ويخرب البيع والكنائس ويقتل النصارى
إلا من آمن به وقيل الضمير للقرآن فإن فيه الإعلام بالساعة والدلالة عليها
فلا تمترن بها فلا تشكن فيها واتبعون واتبعوا هداي أو شرعي أو رسولي
وقيل هو قول الرسول أمر أن يقوله هذا هذا الذي أدعوكم إليه صراط
مستقيم لا يضل سالكه ولا يصدنكم الشيطان عن المتابعة إنه لكم عدو
مبين ثابت عداوته بأن أخرجكم من الجنة وعرضكم للبلية ولما جاء عيسى
بالبينات بالمعجزات أو بآيات الإنجيل أو بالشرائع الواضحات قال قد جئتكم
بالحكمة بالإنجيل أو الشرائع ولأبين لكم بعض الذي تختلفون فيه وهو
ما يكون من أمر الدين لا ما يتعلق بأمر الدنيا فإن الأنبياء لم تبعث لبيانه
ولذلك قال عليه الصلاة والسلام أنتم أعلم بأمور دنياكم فاتقوا الله وأطيعون
فيما أبلغه عنه إن الله هو ربي وربكم فاعبدوه بيان لما أمرهم بالطاعة
فيه وهو اعتقاد التوحيد والتعبد بالشرائع هذا صراط مستقيم الإشارة
إلى مجموع الأمرين وهو تتمة كلام عيسى أو استئناف من الله يدل على ما هو
المقتضي للطاعة في ذلك فاختلف الأحزاب الفرق المتحزبة من بينهم من
بين النصارى أو اليهود والنصارى من بين قومه المبعوث إليهم فويل للذين
ظلموا من المتحزبين من عذاب يوم أليم هو يوم القيامة هل ينظرون إلا الساعة
الضمير لقريش أو للذين ظلموا أن تأتيهم بدل من الساعة والمعنى هل ينظرون
إلا إتيان الساعة بغتة فجأة وهم لا يشعرون غافلون عنها لاشتغالهم
بأمور الدنيا وإنكارهم لها الأخلاء الأحباء يومئذ بعضهم لبعض عدو أي
يتعادون يومئذ لانقطاع العلق لظهور ما كانوا يتخالون له سببا للعذاب
إلا المتقين فإن خلتهم لما كانت في الله تبقى نافعة أبد الآباد يا عبادي لا
خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون حكاية لما ينادى به المتقون المتحابون

في الله يومئذ الذين آمنوا بآياتنا صفة للمنادى وكانوا مسلمين حال من الواو
أي الذين آمنوا مخلصين غير أن هذه العبارة آكد وأبلغ ادخلوا الجنة
أنتم وأزواجكم نساؤكم المؤمنات تحبرون تسرون سرورا يظهر حباره أي أثره
على وجوهكم أو تزينون من الحبر وهو حسن الوجه والهيئة أو تكرمون إكراما
يبالغ فيه والحبرة المبالغة فيما وصف بجميل يطاف عليهم بصحاف من
ذهب وأكواب الصحاف جمع صحفة والأكواب جمع كوب وهو كوز لا عروة
له وفيها وفي الجنة ما تشتهيه الأنفس وقرأ نافع وابن عامر وحفص تشتهيه
على الأصل وتلذ الأعين بمشاهدته وذلك تعميم بعد تخصيص ما يعد من الزوائد
في التنعم والتلذذ وأنتم فيها خالدون فإن كل نعيم زائل موجب لكلفة الحفظ
وخوف الزوال ومستعقب للتحسر في ثاني الحال وتلك الجنة التي أورثتموها
بما كنتم تعملون وقرئ ورثتموها شبه جزاء العمل بالميراث لأنه يخلفه عليه
العامل وتلك إشارة إلى الجنة المذكورة ووقعت مبتدأ والجنة خبرها والتي
أورثتموها صفتها أو الجنة صفة تلك والتي خبرها أو صفة للجنة والخبر بما
كنتم تعملون وعليه يتعلق الباء بمحذوف لا بأورثتموها لكم فيها فاكهة كثيرة
منها تأكلون بعضها تأكلون لكثرتها ودوام نوعها ولعل تفصيل النعم
بالمطاعم والملابس وتكريره في القرآن وهو حقير بالإضافة إلى سائر نعائم
الجنة لما كان بهم من الشدة والفاقة إن المجرمين الكاملين في الإجرام
وهم الكفار لأنه جعل قسيم المؤمنين بالآيات وحكى عنهم ما يخص بالكفار
في عذاب جهنم خالدون خبران أو خالدون خبر والظرف متعلق به
لا يفتر عنهم لا يخفف عنهم من فترت عنه الحمى إذا سكنت قليلا والتركيب
للضعف وهم فيه في العذاب مبلسون آيسون من النجاة وما ظلمناهم
ولكن كانوا هم الظالمين مر مثله غير مرة وهم فصل ونادوا يا مالك
وقرئ يا مال على الترخيم مكسورا ومضموما ولعله إشعار بأنهم لضعفهم لا يستطيعون
تأدية اللفظ بالتمام ولذلك اختصروا وقالوا ليقض علينا ربك والمعنى
سل ربك أن يقضي علينا من قضى عليه إذا أماته وهو لا ينافي إبلاسهم فإنه
جؤار وتمني للموت من فرط الشدة قال إنكم ماكثون لا خلاص لكم بموت ولا
غيره لقد جئناكم بالحق بالإرسال والإنزال وهو تتمة الجواب إن كان في قال
ضمير الله وإلا فجواب منه وكأنه تعالى تولى جوابهم بعد جواب مالك ولكن
أكثركم للحق كارهون لما في اتباعه من إتعاب النفس وإدآب الجوارح أم أبرموا

أمرا في تكذيب الحق ورده ولم يقتصروا على كراهته فإنا مبرمون أمرا في مجازاتهم
والعدول عن الخطاب للإشعار بأن ذلك أسوأ من كراهتهم أو أم أحكم المشركون
أمرا من كيدهم بالرسول فإنا مبرمون كيدنا بهم ويؤيده قوله أم يحسبون أنا لا
نسمع سرهم حديث نفسهم بذلك ونجواهم وتناجيهم بلى نسمعها ورسلنا
والحفظة مع ذلك لديهم ملازمهم يكتبون ذلك قل إن كان للرحمن ولد
فأنا أول العابدين منكم فإن النبي صلى الله عليه وسلم يكون أعلم بالله وبما
يصح له وما لا يصح وأولى بتعظيم ما يوجب تعظيمه ومن حق تعظيم الوالد تعظيم ولده
ولا يلزم من ذلك صحة كينونة الولد وعبادته له إذ المحال قد يستلزم المحال
بل المراد نفيهما على أبلغ الوجوه كقوله لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا غير أن
لو مشعرة بانتفاء الطرفين وإن هنا لا تشعر به ولا تنفيه فإنها لمجرد الشرطية
بل الانتفاء معلوم لانتفاء اللازم الدال على انتفاء ملزومه والدلالة على أن إنكاره للولد
لا لعناد ومراء بل لو كان لكان أولى الناس بالاعتراف به وقيل معناه إن كان
له ولد في زعمكم فأنا أول العابدين لله الموحدين له أو الآنفين منه أو من أن
يكون له ولد من عبد يعبد إذا اشتد أنفه أو ما كان له ولد فأنا أول الموحدين
من أهل مكة وقرأ حمزة والكسائي ولد بالضم وسكون اللام سبحان رب
السماوات والأرض رب العرش عما يصفون عن كونه ذا ولد فإن هذه
الأجسام لكونها أصولا ذات استمرار تبرأت عما يتصف به سائر الأجسام من
توليد المثل فما ظنك بمبدعها وخالقها فذرهم يخوضوا في باطلهم ويلعبوا
في دنياهم حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون أي القيامة وهو دلالة على أن
قولهم هذا جهل واتباع هوى وأنهم مطبوع على قلوبهم معذبون في الآخرة
وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله مستحق لأن يعبد فيهما والظرف متعلق
به لأنه بمعنى المعبود أو متضمن معناه كقولك هو حاتم في البلد وكذا فيمن قرأ الله
والراجع مبتدأ محذوف لطول الصلة بمتعلق الخبر والعطف عليه ولا يجوز
جعله خبرا له لأنه لا يبقى عائد لكن لو جعل صلة وقدر لإله مبتدأ محذوف يكون
به جملة مبينة للصلة دالة على أن كونه في السماء بمعنى الألوهية دون الاستقرار
وفيه نفي الآلهة السماوية والأرضية واختصاصه باستحقاق الألوهية وهو
الحكيم العليم كالدليل عليه وتبارك الذي له ملك السماوات والأرض وما
بينهما كالهواء وعنده علم الساعة العلم بالساعة التي تقوم القيامة فيها وإليه
ترجعون للجزاء وقرأ نافع وابن عامر وأبو عمرو وعاصم وروح على الالتفات

بالتهديد ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة كما زعموا انهم شفعاوهم
عند الله الا من شهد بالحق بالتوحيد والاستثناء متصل ان اريد بالموصول
كل ما عبد من دون الله لاندراج الملائكة والمسيح فيه ومنفصل ان خص
بالاصنام ولئن سالتهم من خلقهم سالت العابدين او المعبودين ليقولن الله
لتعذر المكابرة فيه من فرط ظهوره فانى يوفكون يصرفون عن عبادته الى عبادة
غيره وقيله وقول الرسول ونصبه للعطف على سرهم او على محل الساعة او لاضمار
فعله اي وقال قيله وجره عاصم وحمزة عطفا على الساعة وقرئ بالرفع على انه
مبتدا خبره يا رب ان هؤلاء قوم لا يومنون او معطوف على علم الساعة
بتقدير مضاف وقيل هو قسم منصوب بحذف الجار او مجرور باضمار او مرفوع
بتقدير وقيله يا رب قسمي وان هؤلاء جوابه فاصفح عنهم فاعرض عن دعوتهم
ايسا عن ايمانهم وقل سلام تسلم ومتاركة فسوف يعلمون تسلية للرسول
وتهديد لهم وقرا نافع وابن عامر بالتاء على انه من المامور ليقوله عن النبي صلى
الله عليه وسلم من قرا سورة الزخرف كان ممن يقال له يوم القيامة يا عبادي
لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون ادخلوا الجنة بغير حساب

سورة الدخان مكية

الا قوله انا كاشفوا العذاب الاية وهي سبع او تسع وخمسون اية
بسم الله الرحمن الرحيم حم والكتاب المبين القران والواو
للعطف ان كان حم مقسما بها والا فللقسم والجواب قوله انا انزلناه في ليلة
مباركة في ليلة القدر والمراد بابتدائها انزاله او انزل فيها جملة الى سماء
الدنيا من اللوح المحفوظ ثم انزل على الرسول عليه الصلوة والسلام نجوما
وبركتها لذلك فان نزول القران سبب للمنافع الدينية والدنيوية ولما
فيها من نزول الملائكة والرحمة واجابة الدعوة وقسم النعمة وفصل الاقضية
انا كنا منذرين استيناف يبين المقتضي للانزال وكذلك قوله فيها يفرق كل
امر حكيم فان كونها مفرق الامور المحكمة او الملتبسة بالحكمة يستدعي
ان ينزل فيها القران الذي هو من عظائمها ويجوز ان يكون صفة ليلة مباركة
وما بينهما اعتراض وهو يدل على ان الليلة ليلة القدر لانه صفتها لقوله تنزل
الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل امر وقرئ يفرق بالتشديد ويفرق
اي يفرقه الله ونفرق بالنون امرا من عندنا اعني بهذا الامر امرا حاصلا

من عندنا على مقتضى حكمتنا وهو مزيد تفخيم للامر ويجوز ان يكون حالا من كل او امر
او ضميره المستكن في حكيم لانه موصوف وان يراد به مقابل النهي وقع مصدرا
ليفرق او لفعله مضمرا من حيث ان الفرق به او حالا من احدى ضميري انزلناه
بمعنى امرين او مامورا انا كنا مرسلين رحمة من ربك بدل من انا كنا منذرين
اي انا انزلنا القران لان من عادتنا ارسال الرسل بالكتب الى العباد لاجل
الرحمة عليهم ووضع الرب موضع الضمير للاشعار بان الربوبية اقتضت ذلك
وانه اعظم انواع التربية او علة ليفرق او امرا ورحمة مفعول به اي يفصل فيها
كل امر او تصدر الاوامر من عندنا لان من شاننا ان نرسل رحمتنا فان فصل كل امر
من قسمة الارزاق وغيرها وصدور الاوامر الالهية من باب الرحمة وقرئ رحمة
على تلك رحمة انه هو السميع العليم يسمع اقوال العباد ويعلم احوالهم وهو بما
بعده تحقيق لربوبيته فانها لا تحق الا لمن هذه صفته رب السموات والارض
وما بينهما خبر اخر او استيناف وقرا الكوفيون بالجر بدلا من ربك ان كنتم موقنين
اي ان كنتم من اهل الايقان في العلوم او ان كنتم موقنين في اقراركم اذا سئلتم عن
خلقها فقلتم الله علمتم ان الامر كما قلنا او ان كنتم مريدين اليقين فاعلموا ذلك
لا اله الا هو اذ لا خالق سواه يحيي ويميت كما تشاهدون ربكم ورب اباوكم
الاولين قرئا بالجر بدلا بل هم في شك يلعبون رد لكونهم موقنين فارتقبهم
فانتظر لهم يوم تاتي السماء بدخان مبين يوم شدة ومجاعة فان الجائع يرى
بينه وبين السماء كهيئة الدخان من ضعف بصره او لان الهواء يظلم عام القحط
لقلة الامطار وكثرة الغبار او لان العرب تسمي الشر الغالب دخانا وقد قحطوا
حتى اكلوا جيف الكلاب وعظامها واسناد الاتيان الى السماء لان ذلك يكفه
عن الامطار او يوم ظهور الدخان المعدود في اشراط الساعة لما روي انه
عليه الصلوة والسلام لما قال اول الايات الدخان ونزول عيسى عليه السلام
ونار تخرج من قعر عدن ابين تسوق الناس الى المحشر قيل وما الدخان فتلا
رسول الله الاية وقال يملا ما بين المشرق والمغرب يمكث اربعين يوما
وليلة اما المومن فيصيبه كهيئة الزكام واما الكافر فهو كالسكران يخرج
من منخريه واذنيه ودبره او يوم القيمة والدخان يحتمل المعنيين يغشى الناس
يحيط بهم صفة للدخان وقوله هذا عذاب اليم ربنا اكشف عنا العذاب
انا مومنون مقدر بقول وقع حالا وانا مومنون وعد بالايمان ان كشف
العذاب عنهم انى لهم الذكرى من اين لهم وكيف يتذكرون بهذه الحالة

وقد جاءهم رسول مبين بين لهم ما هو اعظم منها في ايجاب الادكار من
الايات والمعجزات ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون قال بعضهم يعلمه
غلام اعجمي لبعض ثقيف وقال اخرون انه مجنون انا كاشفوا العذاب بدعاء
النبي عليه الصلوة والسلام فانه دعا فرفع القحط قليلا كشفا قليلا او زمانا
قليلا وهو ما بقي من اعمارهم انكم عائدون الى الكفر عقيب الكشف ومن فسر الدخان
بما هو من الاشراط قال اذا جاء الدخان غوث الكفار بالدعا فيكشفه الله عنهم
بعد الاربعين فريثما يكشفه عنهم يرتدون ومن فسره بما في القيمة اوله بالشرط
والتقدير يوم نبطش البطشة الكبرى يوم القيمة او يوم بدر ظرف لفعل
دل عليه انا منتقمون لا لمنتقمون فان ان تحجزه عنه او بدل من يوم تاتي
وقرئ نبطش بجعل البطشة الكبرى باطشة بهم او بحمل الملائكة على بطشهم
وهو التناول بصولة ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون امتحناهم بارسال موسى
اليهم او اوقعناهم في الفتنة بالامهال وتوسيع الرزق عليهم وقرئ بالتشديد
للتاكيد او لكثرة القوم وجاءهم رسول كريم على الله او على المؤمنين او في نفسه
لشرف نسبه وفضل حسبه ان ادوا الي عباد الله بان ادوهم الي وارسلوهم
معي او بان ادوا الي حق الله من الايمان وقبول الدعوة يا عباد الله ويجوز ان
تكون ان مخففة ومفسرة لان مجي الرسول يكون برسالة ودعوة اني لكم
رسول امين غير متهم لدلالة المعجزات على صدقه او لايتمان الله اياه على
وحيه وهو علة الامر وان لا تعلوا على الله ولا تتكبروا عليه بالاستهانة
بوحيه ورسوله وان كالاولى في وجهيها اني اتيكم بسلطان مبين علة
للنهي ولذكر الامين مع الادا والسلطان مع العلا شان لا يخفى واني عذت
بربي وربكم التجات اليه وتوكلت عليه ان ترجمون ان تؤذوني ضربا
او شتما او ان تقتلوني وقرئ عت بالادغام وان لم تؤمنوا لي فاعتزلون
فكونوا بمعزل مني لا علي ولا لي ولا تتعرضوا الي بسوء فانه ليس جزاء من دعاكم
الى ما فيه فلاحكم فدعا ربه بعد ما كذبوه ان هؤلاء بان هؤلاء قوم مجرمون
وهو تعريض بالدعا عليهم بذكر ما استوجبوه به ولذلك سماه دعاء وقرئ
بالكسر على اضمار القول فاسر بعبادي ليلا اي فقال اسر او قال ان كان
الامر كذلك فاسر وقرا ابن كثير ونافع بوصل الهمزة من سرى انكم متبعون
يتبعكم فرعون وجنوده اذا علموا بخروجكم واترك البحر رهوا مفتوحا
ذا فجوة واسعة او ساكنا على هيئته بعد ما جاوزته ولا تضربه بعصاك ولا تغيره

شيئا ليدخله القبط انهم جند مغرقون وقرئ بالفتح بمعنى لانهم كم تركوا
كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم محافل مزينة ومنازل حسنة
ونعمة ونعمة كانوا فيها فاكهين متنعمين وقرئ فكهين كذلك مثل ذلك الاخراج
اخرجناهم منها والامر كذلك واورثناها عطف على الفعل المقدر او على تركوا
قوما اخرين ليسوا منهم في شي وهم بنو اسرائيل وقيل غيرهم لانهم لم يعودوا
الى مصر فما بكت عليهم السماء والارض مجاز عن عدم الاكتراث بهلاكهم
والاعتداد بوجودهم كقولهم بكت عليهم السماء والارض وكسفت لمهلكهم الشمس
في نقيض ذلك ومنه ما روي في الاخبار ان المؤمن ليبكي عليه مصلاه وموضع
عبادته ومصعد عمله ومهبط رزقه وقيل تقديره فما بكت عليهم اهل السماء والارض
وما كانوا منظرين ممهلين الى وقت اخر ولقد نجينا بني اسرائيل من العذاب
المهين من استعباد فرعون وقتله ابناءهم من فرعون بدل من العذاب على حذف
المضاف او جعله عذابا لافراطه في التعذيب وحال من المهين بمعنى واقعا
من جهته وقرئ من فرعون على الاستفهام تنكيرا له لنكر ما كان عليه من الشيطنة
انه كان عاليا متكبرا من المسرفين في العتو والشرارة وهو خبر ثان اي كان متكبرا
مسرفا او حال من الضمير في عاليا كان رفيع الطبقة من بينهم ولقد اخترناهم
اخترنا بني اسرائيل على علم عالمين بانهم احقاء بذلك او مع علم منا بانهم يزيغون
في بعض الاحوال على العالمين لكثرة الانبياء فيهم او على عالمي زمانهم واتيناهم
من الايات كفلق البحر وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى ما فيه بلاء مبين
نعمة جلية او اختبار ظاهر ان هؤلاء يعني كفار قريش لان الكلام فيهم وقصة
فرعون وقومه مسوقة للدلالة على انهم مثلهم في الاصرار على الضلالة والانذار
عن مثل ما حل بهم ليقولون ان هي الا موتتنا الاولى ما العاقبة ونهاية
الامر الا الموتة الاولى المزيلة للحياة الدنيوية ولا قصد فيه الى اثبات ثانية
كما في قولك حج زيد الحجة الاولى ومات وقيل لما قيل لهم انكم تموتون موتة
تعقبها حيوة كما تقدمتكم موتة كذلك قالوا ان هي الا موتتنا الاولى اي ما
الموتة التي من شانها ذلك الا الموتة الاولى وما نحن بمنشرين بمبعوثين فاتوا
بابائنا خطاب لمن وعدهم بالنشور من الرسول والمؤمنين ان كنتم صادقين
في وعدكم ليدل عليه اهم خير في القوة والمنعة ام قوم تبع تبع الحميري الذي
سار بالجيوش وحير الحيرة وبنى سمرقند وقيل هدمها وكان مؤمنا وقومه
كافرين ولذلك ذمهم دونه وعنه عليه الصلوة والسلام ما ادري اكان تبع

نبيا او غير نبي وقيل لملوك اليمن التبابعة لانهم يتبعون كما قيل الاقيال
لانهم يتقيلون والذين من قبلهم كعاد وثمود اهلكناهم استيناف بمآل
قوم تبع والذين من قبلهم هدد به كفار قريش او حال باضمار قد او خبر من
الموصول ان استونف به انهم كانوا مجرمين بيان للجامع المقتضي للاهلاك
وما خلقنا السموات والارض وما بينهما وما بين الجنسين وقرئ
وما بينهن لاعبين لاهين وهو دليل على صحة الحشر كما مر في الانبياء وغيرها
ما خلقناهما الا بالحق الا بسبب الحق الذي اقتضاه الدليل من الايمان
والطاعة او البعث والجزاء ولكن اكثرهم لا يعلمون لقلة نظرهم ان يوم الفصل
فصل الحق عن الباطل والمحق عن المبطل بالجزاء او فصل الرجل عن اقاربه
واحبابه ميقاتهم وقت موعدهم اجمعين وقرئ ميقاتهم بالنصب على انه
الاسم اي ان ميعاد جزائهم في يوم الفصل يوم لا يغني بدل من يوم الفصل
او صفة لميقاتهم او ظرف لما دل عليه الفصل لا له للفصل مولى عن مولى من قرابة
او غيرها شيئا اي مولى كان شيئا من الاغناء ولا هم ينصرون الضمير
لمولى الاول باعتبار المعنى لانه عام الا من رحم الله بالعفو عنه وقبول الشفاعة
فيه ومحله الرفع على البدل من الواو او النصب على الاستثناء
انه هو العزيز لا ينصر منه من اراد تعذيبه الرحيم لمن اراد ان يرحمه ان
شجرة الزقوم وقرئ بكسر الشين ومعنى الزقوم سبق في الصافات طعام
الاثيم الكثير الآثام والمراد به الكافر لدلالة ما قبله وما بعده عليه
كالمهل وهو ما يمهل في النار حتى يذوب وقيل دردي الزيت يغلي في البطون
وقرأ ابن كثير وحفص ورويس بالياء على ان الضمير للطعام او الزقوم لا للمهل
اذ الاظهر ان الجملة حال من احدهما كغلي الحميم غليانا مثل غليه خذوه
على ارادة القول والمقول له الزبانية فاعتلوه فجروه والعتل الاخذ بمجامع
الشيء وجره بقهر وقرأ الحجازيان وابن عامر ويعقوب بالضم وهما لغتان
الى سواء الجحيم وسطه ثم صبوا فوق راسه من عذاب الحميم كان اصله يصب
من فوق رؤوسهم الحميم فقيل يصب من فوق رؤوسهم عذاب هو الحميم للمبالغة
ثم اضيف العذاب الى الحميم للتخفيف وزيد من للدلالة على ان المصبوب
بعض هذا النوع ذق انك انت العزيز الكريم اي وقولوا له ذلك استهزاء
به وتقريعا على ما كان يزعم وقرأ الكسائي انك بالفتح اي ذق لانك او
عذاب انك ان هذا ان هذا العذاب ما كنتم به تمترون تشكون او تمارون

فيه ان المتقين في مقام في موضع اقامة وقرأ نافع بضم الميم امين يامن
صاحبه عن الآفة والانتقال في جنات وعيون بدل من مقام جيء به للدلالة
على نزاهته واشتماله على ما يستلذ به من الماكل والمشارب يلبسون من
سندس واستبرق خبر ثان او حال من الضمير في الجار او استيناف والسندس
ما رق من الحرير والاستبرق ما غلظ منه معرب ومشتق من البراقة متقابلين
في مجالسهم ليستانس بعضهم ببعض كذلك الامر كذلك او اتيناهم مثل
ذلك وزوجناهم بحور عين قرناهم بهن ولذلك عدي بالباء والحور البيض
والعين عظام العينين واختلف في انهن نساء الدنيا او غيرها يدعون فيها
بكل فاكهة يطلبون ويامرون باحضار ما يشتهون من الفواكه لا يتخصص شيء بمكان
ولا زمان امنين من الضرر لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى بل
يحيون فيها دائما والاستثناء منقطع او متصل والضمير للآخرة والموت اول
احوالها او الجنة والمومن يشارفها بالموت ويشاهدها عنده فكانه فيها او الا
للمبالغة في تعميم النفي وامتناع الموت وكانه قال لا يذوقون فيها الموت الا
اذا امكن ذوق الموتة الاولى في المستقبل ووقاهم عذاب الجحيم وقرئ
ووقاهم على المبالغة فضلا من ربك اي اعطوا كل ذلك عطاء وتفضلا
منه وقرئ بالرفع اي ذلك فضل ذلك هو الفوز العظيم لانه خلاص عن المكاره
وفوز بالمطالب فانما يسرناه بلسانك سهلناه حيث انزلناه بلغتك و
فذلكة للسورة لعلهم يتذكرون لعلهم يفهمونه فيتذكرون به ما لم يتذكروا
فارتقب فانتظر ما يحل بهم انهم مرتقبون منتظرون ما يحل بك عن النبي
صلى الله عليه وسلم من قرأ حم الدخان ليلة جمعة اصبح مغفورا له

بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتاب ان جعلت حم
مبتدا خبره تنزيل الكتاب احتجت الى اضمار مثل تنزيل حم وان جعلتها تعديدا
للحروف كان تنزيل مبتدا خبره من الله العزيز الحكيم وقيل حم مقسم به وتنزيل
الكتاب صفته وجواب القسم ان في السموات والارض لآيات للمومنين وهو
يحتمل ان يكون على ظاهره وان يكون المعنى ان في خلق السموات والارض لقوله
وفي خلقكم وما يبث من دابة ولا يحسن عطفه ما على الضمير المجرور بل عطفه
على المضاف اليه باحد الاحتمالين فان بثه وتنوعه واستجماعه لما به يتم معاشه

الى غير ذلك دلائل على وجود الصانع المختار آيات لقوم يوقنون محمول
على محل ان واسمها وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب بالنصب حملا على الاسم واختلاف
الليل والنهار وما انزل الله من السماء من رزق مطر وسماه رزقا لانه سببه
فاحيا به الارض بعد موتها يبسها وتصريف الرياح باختلاف جهاتها و
احوالها وقرأ حمزة والكسائي وتصريف الريح آيات لقوم يعقلون فيه القراءتان
ويلزمهما العطف على عاملين في والابتداء او ان الا ان يضمر في او ينصب آيات على
الاختصاص او ترفع باضمار هي ولعل اختلاف الفواصل الثلاث لاختلاف
الآيات في الدقة والظهور تلك آيات الله تلك الآيات دلائله نتلوها
عليك حال عاملها معنى الاشارة بالحق ملتبسين به او ملتبسة به فبأي
حديث بعد الله وآياته يؤمنون اي بعد آيات الله وتقديم اسم الله للمبالغة
والتعظيم كما في قولك اعجبني زيد وكرمه او بعد حديث الله وهو القرآن لقوله
تعالى الله نزل احسن الحديث وآياته دلائله المتلوة او القرآن والعطف لتغاير
الوصفين وقرأ الحجازيان وحفص وروح وابو عمرو يؤمنون بالياء ليوافق ما
قبله ويل لكل افاك كذاب اثيم كثير الآثام يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصر
يقيم على كفره مستكبرا عن الايمان بالآيات وثم لاستبعاد الاصرار بعد سماع
الآيات كقوله يرى غمرات الموت ثم يزورها كأن لم يسمعها اي كأنه فخففت
وحذف ضمير الشان والجملة في موضع الحال اي يصر مثل غير السامع
فبشره بعذاب اليم على اصراره والبشارة على الاصل او التهكم واذا علم
من آياتنا شيئا واذا بلغه شيء من آياتنا وعلم انه منها اتخذها هزوا لذلك
من غير ان يرى فيها ما يناسب الحق والضمير لآياتنا وفائدته الاشعار بانه
اذا سمع كلاما وعلم انه من الآيات بادر الى الاستهزاء بالآيات كلها ولم يقتصر
على ما سمعه او لشيء لانه بمعنى الآية اولئك لهم عذاب مهين من ورائهم
جهنم من قدامهم لانهم متوجهون اليها او من خلفهم لانه بعد آجالهم ولا
يغني عنهم ولا يدفع ما كسبوا من الاموال والاولاد شيئا من عذاب الله ولا
ما اتخذوا من دون الله اولياء اي الاصنام ولهم عذاب عظيم لا يتحملونه
هذا هدى الاشارة الى القرآن ويدل عليه قوله والذين كفروا بآيات
ربهم لهم عذاب من رجز اليم وقرأ ابن كثير ويعقوب وحفص برفع اليم
والرجز اشد العذاب الله الذي سخر لكم البحر بان جعله املس السطح يطفو
عليه ما يتخلخل كالاخشاب ولا يمنع الغوص فيه لتجري الفلك فيه بامره

بتسخيره

بتسخيره وانتم راكبوها ولتبتغوا من فضله بالتجارة والغوص والصيد وغيرها
ولعلكم تشكرون هذه النعم وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا
بان خلقها نافعة لكم منه حال من ما اي سخر هذه الاشياء كائنة منه او خبر
لمحذوف او هي جميعا منه او لما في السموات وسخر لكم تكرير للتاكيد او لما في
الارض وقرئ منة على المفعول له ومنه على انه فاعل سخر على الاسناد المجازي
او خبر محذوف ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون في صنائعه قل للذين
آمنوا يغفروا حذف المقول لدلالة الجواب عليه والمعنى قل لهم اغفروا يغفروا
اي يعفوا ويصفحوا للذين لا يرجون ايام الله لا يتوقعون وقائعه باعدائه من قولهم
ايام العرب لوقائعهم او لا يأملون الاوقات التي وقتها الله لنصر المؤمنين وثوابهم العربية
ووعدهم بها والآية نزلت في عمر شتمه غفاري فهم ان يبطش به وقيل انها
منسوخة باية القتال ليجزي قوما بما كانوا يكسبون علة للامر والقوم هم
المؤمنون او الكافرون او كلاهما فيكون التنكير للتعظيم او التحقير او الشيوع
والكسب المغفرة او الاساءة او ما يعمهما وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي لنجزي
بالنون وقرئ ليجزى قوم وليجزى قوما اي ليجزي الخير او الشر او الجزاء اعني ما
يجزى به لا المصدر فان الاسناد اليه مع المفعول به ضعيف من عمل صالحا
فلنفسه ومن اساء فعليها اذ لها ثواب العمل وعليها عقابه ثم الى ربكم ترجعون ن
فيجازيكم على اعمالكم ولقد آتينا بني اسرائيل الكتاب التوراة والحكم الحكمة
النظرية والعملية او فصل الخصومات والنبوة اذ كثر فيهم الانبياء ما لم يكثر في
غيرهم ورزقناهم من الطيبات مما احل الله لهم من اللذائذ وفضلناهم على
العالمين حيث آتيناهم ما لم نؤت احدا غيرهم وآتيناهم بينات من الامر ادلة
في امر الدين ويندرج فيها المعجزات وقيل آيات من امر النبي صلى الله عليه وسلم
مبينة لصدقه فما اختلفوا في ذلك الامر الا من بعد ما جاءهم العلم بحقيقة
الحال بغيا بينهم عداوة وحسدا ان ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا
فيه يختلفون بالمؤاخذة والمجازاة ثم جعلناك على شريعة طريقة من
امر الدين فاتبعها فاتبع شريعتك الثابتة بالحجج ولا تتبع اهواء الذين لا يعلمون
آراء الجهال التابعة للشهوات وهم رؤساء قريش قالوا له ارجع الى دين آبائك
انهم لن يغنوا عنك من الله شيئا مما اراد بك وان الظالمين بعضهم اولياء بك
بعض اذ الجنسية علة الانضمام فلا توالهم باتباع اهوائهم والله ولي المتقين
فواله بالتقى واتباع الشريعة هذا اي القرآن واتباع الشريعة بصائر للناس

بينات تبصرهم وجوه الفلاح وهدى من الضلال ورحمة ونعمة من الله لقوم يوقنون
يطلبون اليقين أم حسب الذين اجترحوا السيئات أم منقطعة ومعنى الهمزة
فيها انكار الحسبان والاجتراح الاكتساب ومنه الجارحة أن نجعلهم اي
نصيرهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات مثلهم وهو ثاني مفعولي نجعل
وقوله سواء محياهم ومماتهم بدل منه ان كان الضمير للموصول الاول لان
المماثلة فيه اذ المعنى انكار ان يكون حياتهم ومماتهم سيان في البهجة والكرامة
كما هو للمؤمنين ويدل عليه قراءة حمزة والكسائي وحفص سواء بالنصب على البدل
او الحال من الضمير في الكاف والمفعولية والكاف حال وان كان للثاني
فحال منه او استئناف يبين المقتضي للانكار وان كان لهما فبدل او حال من
الثاني وضمير الاول والمعنى انكار ان يستووا بعد الممات في الكرامة او ترك المؤاخذة
كما استووا في الرزق والصحة او استئناف مقرر لتساوي محيا كل صنف ومماته
في الهدى والضلال وقرئ مماتهم بالنصب على ان محياهم ومماتهم ظرفان
كمقدم الحاج ساء ما يحكمون ساء حكمهم هذا او بئس شيئا حكموا به ذلك وخلق
الله السموات والارض بالحق كانه دليل على الحكم السابق من حيث ان
خلق بالحق المقتضي للعدل يستدعي انتصار المظلوم من الظالم والتفاوت بين
المسيء والمحسن واذا لم يكن في المحيا كان بعد الممات ولتجزى كل نفس بما كسبت
عطف على بالحق لانه في معنى العلة او على علة محذوفة مثل ليدل بها على قدرته
او ليعدل ولتجزى وهم لا يظلمون بنقص ثواب وتضعيف عقاب وتسمية ذلك
ظلما ولو فعله الله لم يكن منه ظلما لانه لو فعله غيره لكان ظلما كالابتلاء والاختبار
أفرأيت من اتخذ إلهه هواه ترك متابعة الهدى الى مطاوعة الهوى فكأنه
يعبده وقرئ آلهة هواه لانه كان احدهم يستحسن حجرا فيعبده فاذا رأى
احسن منه رفضه اليه وأضله الله وخذله على علم عالما بضلاله وفساد
جوهر روحه وختم على سمعه وقلبه فلا يبالي بالمواعظ ولا يتفكر في الآيات
وجعل على بصره غشاوة فلا ينظر بعين الاستبصار والاعتبار وقرأ حمزة
والكسائي غشوة فمن يهديه من بعد الله من بعد اضلاله أفلا تذكرون
وقرئ تتذكرون وقالوا ما هي ما الحياة او الحال الا حياتنا الدنيا التي
نحن فيها نموت ونحيا اي نكون امواتا نطفا وما قبلها ونحيا بعد ذلك
او نموت بانفسنا ونحيا ببقاء اولادنا او يموت بعضنا ويحيا بعض او يصيبنا
الموت والحياة فيها وليس وراء ذلك حياة ويحتمل انهم ارادوا به التناسخ

فانه

فانه عقيدة اكثر عبدة الاوثان وما يهلكنا الا الدهر الا مرور الزمان وهو
في الاصل مدة بقاء العالم من دهره اذا غلبه وما لهم بذلك من علم يعني نسبة
الحوادث الى حركات الافلاك وما يتعلق بها على الاستقلال او انكار البعث
او كليهما ان هم الا يظنون اذ لا دليل لهم عليه وانما قالوه بناء على التقليد والانكار
لما لم يحسوا به واذا تتلى عليهم آياتنا بينات واضحات الدلالة على ما يخالف
معتقدهم او مبينات له ما كان حجتهم ما كان لهم متشبث يعارضونها به
الا ان قالوا ائتوا بآبائنا ان كنتم صادقين وانما سماه حجة على حسبانهم
ومساقهم او على اسلوب قوله تحية بينهم ضرب وجيع فانه لا يلزم من عدم
حصول الشيء حالا امتناعه مطلقا قل الله يحييكم ثم يميتكم على ما دلت عليه
الحجج ثم يجمعكم الى يوم القيامة لا ريب فيه فان من قدر على الابداء قدر على الاعادة
والحكمة اقتضت الجمع للمجازاة على ما قرره مرارا والوعد المصدق بالآيات
دل على وقوعها واذا كان كذلك امكن الاتيان بآبائهم لكن الحكمة اقتضت
ان تعادوا يوم الجمع ولكن اكثر الناس لا يعلمون لقلة تفكرهم وقصور نظرهم
على ما يحسبونه ولله ملك السموات والارض تعميم للقدرة بعد تخصيصها
ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون اي يخسرون يوم تقوم ويومئذ
بدل منه وترى كل امة جاثية مجتمعة من الجثوة وهي الجماعة او باركة مستوفزة
على الركب وقرئ جاذية اي جالسة على اطراف الاصابع لاستيفازهم كل امة
تدعى الى كتابها صحيفة اعمالها وقرأ يعقوب كل على انه بدل الاول وتدعى
صفة او مفعول ثان اليوم تجزون ما كنتم تعملون محمول على القول هذا
كتابنا اضاف صحائف اعمالهم الى نفسه لانه امر الكتبة ان يكتبوا فيها اعمالهم
ينطق عليكم بالحق يشهد عليكم بما عملتم بلا زيادة ونقصان انا كنا نستنسخ
نستكتب الملائكة ما كنتم تعملون اعمالكم فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات
فيدخلهم ربهم في رحمته التي من جملتها الجنة ذلك هو الفوز المبين الظاهر
لخلوصه عن الشوائب واما الذين كفروا افلم تكن آياتي تتلى عليكم اي
فيقال لهم الم تأتكم رسلي فلم تكن آياتي تتلى عليكم فحذف القول والمعطوف عليه
اكتفاء بالمقصود واستغناء بالقرينة فاستكبرتم عن الايمان بها وكنتم قوما
مجرمين عادتهم الاجرام واذا قيل ان وعد الله يحتمل الموعود والمصدر
كائن هو او متعلقه لا محالة والساعة لا ريب فيها افراد للمقصود وقرأ
حمزة بالنصب عطفا على اسم ان قلتم ما ندري ما الساعة اي شيء الساعة

استغربا بلها ان نظن الا ظنا اصله نظن ظنا فادخل حرفا النفي والاستثنا
لاثبات الظن ونفي ما عداه كانه قال ما نحن الا نظن ظنا او لنفي ظنهم فيما سوى
ذلك مبالغة ثم اكده بقوله وما نحن بمستيقنين اي لامكانه ولعل ذلك
قول بعضهم تحيروا بين ما سمعوا من ابايهم وما تليت عليهم من الايات
في امر الساعة وبدا لهم ظهر لهم سيئات ما عملوا على ما كانت عليه بان عرفوا
قبحها وعاينوا وخامة عاقبتها او جزاها وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون
وهو الجزاء وقيل اليوم ننساكم نترككم في العذاب ترك ما ينسى كما نسيتم
لقاء يومكم هذا كما تركتم عدته ولم تبالوا به واضافة اللقا الى اليوم اضافة
المصدر الى ظرفه ومأواكم النار وما لكم من ناصرين يخلصونكم منها
ذلكم بانكم اتخذتم ايات الله هزوا استهزاتم بها ولم تتفكروا فيها وغرتكم
الحياة الدنيا فحسبتم ان لا حيوة سواها فاليوم لا يخرجون منها وقرا حمزة
والكسائي بفتح اليا وضم الرا ولا هم يستعتبون يطلب منهم ان يعتبوا ربهم
اي يرضوه لفوات اوانه فلله الحمد رب السموات ورب الارض رب
العالمين اذ الكل نعمة منه الدال على كمال قدرته وله الكبريا في السموات
والارض اذ ظهر فيها اثارها وهو العزيز الذي لا يغلب الحكيم فيما قدر وقضى
فاحمدوه وكبروه واطيعوا له عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا حم الجاثية ستر الله عورته وسكن روعته عند الحساب

بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتاب من الله
العزيز الحكيم ما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق
الا خلقا ملتبسا بالحق وهو ما تقتضيه الحكمة والمعدلة وفيه دلالة على وجود
الصانع الحكيم والبعث للمجازاة على ما قررناه مرارا واجل مسمى وبتقدير
اجل مسمى ينتهي اليه الكل وهو يوم القيمة او كل واحد وهو اخر مدة بقايه المقدر
له والذين كفروا عما انذروا من هول ذلك الوقت ويجوز ان يكون ما
مصدرية معرضون لا يتفكرون فيه ولا يستعدون لحلوله قل ارايتم ما
تدعون من دون الله اروني ماذا خلقوا من الارض ام لهم شرك في السموات
اي اخبروني عن حال الهتكم بعد تامل فيها هل يعقل ان يكون لها في نفسها
مدخل في خلق شي من اجزا العالم فتستحق به العبادة وتخصيص الشرك بالسموات
احتراز عما يتوهم ان للوسايط شركة في ايجاد الحوادث السفلية ايتوني بكتاب

من قبل هذا من قبل هذا الكتاب يعني القران فانه ناطق بالتوحيد
او اثارة من علم او بقية من علم بقيت عليكم من علوم الاولين هل فيها ما يدل
على استحقاقهم للعبادة او الامر به ان كنتم صادقين في دعواكم وهو
الزام بعدم ما يدل على الوهيتهم بوجه ما نقلا بعد الزامهم بعدم ما يقتضيها
عقلا وقري اثرة بالكسر اي مناظرة فان المناظرة ستثير المعاني واثرة اي
شي اوثرتم به واثرة بالحركات الثلاث في الهمزة وسكون الثا فالمفتوحة للمرة
من مصدر اثر الحديث اذا رواه والمكسورة بمعنى الاثرة والمضمومة اسم ما يوثر
ومن اضل ممن يدعوا من دون الله من لا يستجيب له انكار ان يكون احد
اضل من المشركين حيث تركوا عبادة السميع المجيب القادر الخبير الى عبادة من
لا يستجيب لهم لو سمع دعاهم فضلا ان يعلم سرايرهم ويراعي مصالحهم الى يوم
القيمة ما دامت الدنيا وهم عن دعايهم غافلون لانهم اما جمادات واما
عباد مسخرون مشتغلون باحوالهم واذا حشر الناس كانوا لهم اعدا يضرونهم
ولا ينفعونهم وكانوا بعبادتهم كافرين مكذبين بلسان الحال او المقال
وقيل الضمير للعابدين وهو كقوله والله ربنا ما كنا مشركين واذا تتلى عليهم
اياتنا بينات واضحات او مبينات قال الذين كفروا للحق لاجله وفي
شانه والمراد به الايات ووضعه موضع ضميرها ووضع الذين كفروا موضع
ضمير المتلو عليهم للتسجيل عليها بالحق وعليهم بالكفر والانهماك في الضلالة
لما جاءهم حين ما جاءهم من غير نظر وتامل هذا سحر مبين ظاهر بطلانه
ام يقولون افتراه اضراب عن ذكر تسميتهم اياه سحرا الى ما ذكر هو اشنع منه
وانكار له وتعجيب قل ان افتريته على الفرض فلا تملكون لي من الله شيا
اي ان عاجلني الله بالعقوبة فلا تقدرون على دفع شي منها فكيف اجترئ
عليه واعرض نفسي للعقاب من غير توقع نفع ولا دفع ضر من قبلكم هو اعلم
بما تفيضون فيه تندفعون فيه من القدح في اياته كفى به شهيدا بيني وبينكم
يشهد لي بالصدق والبلاغ وعليكم بالكذب والانكار وهو وعيد بجزا افا ضتهم
وهو الغفور الرحيم وعد بالمغفرة والرحمة لمن تاب وامن واشعار بحلم الله
عنهم مع عظم جرمهم قل ما كنت بدعا من الرسل بديعا منهم ادعوكم
الى ما لا يدعون اليه او اقدر على ما لم يقدروا عليه وهو الاتيان بالمقترحات
كلها ونظيره الخف بمعنى الخفيف وقري بفتح الدال على انه كقيم او مقدر بمضاف
اي ذا بدع وما ادري ما يفعل بي ولا بكم في الدارين على التفصيل اذ لا

علم لي بالغيب ولا لتأكيد النفي المشتمل على ما يفعل بي وما اما موصولة منصوبة
او استفهامية مرفوعة ومتى يفعل اي يفعل الله ان اتبع الا ما يوحى
الي لا اتجاوزه وهو جواب عن اقتراحهم الاخبار عما لم يوح اليه من الغيوب
او استعجال المسلمين ان يتخلصوا من اذى المشركين وما انا الا نذير من عقاب
الله مبين بين الانذار بالشواهد المبينة والمعجزات المصدقة قل ارايتم ان
كان من عند الله اي القرآن وكفرتم به وقد كفرتم به ويجوز ان تكون الواو
عاطفة على الشرط وكذا الواو في قوله وشهد شاهد من بني اسرائيل الا انها
تعطفه بما عطف عليه على جملة ما قبله والشاهد هو عبد الله بن سلام وقيل موسى
عليه السلام وشهادته ما في التورية من نعت الرسول عليه الصلوة والسلام على مثله
مثل القرآن وهو ما في التورية من المعاني المصدقة للقرآن المطابقة له او مثل
ذلك وهو كونه من عند الله فآمن اي بالقرآن لما رآه من جنس الوحي مطابقا للحق
واستكبرتم عن الايمان ان الله لا يهدي القوم الظالمين استيناف مشعر
بان كفرهم به لضلالهم المسبب عن ظلمهم ودليل على الجواب المحذوف مثل
الستم ظالمين وقال الذين كفروا للذين آمنوا لاجلهم لو كان الايمان او ما
اتى به محمد خيرا ما سبقونا اليه وهم سقاط اذ عامتهم فقراء او موالي ورعاة
وانما قاله قريش وقيل بنو عامر وغطفان واسد واشجع لما اسلم جهينة ومزينة
واسلم وغفار او اليهود حين اسلم ابن سلام واصحابه واذ لم يهتدوا به ظرف
لمحذوف مثل ظهر عنادهم وقوله فسيقولون هذا افك قديم مسبب عنه
وهو كقولهم اساطير الاولين ومن قبله ومن قبل القرآن وهو خبر لقوله كتاب
موسى ناصب لقوله اماما ورحمة على الحال وهذا كتاب مصدق لكتاب
موسى او لما بين يديه وقد قرئ به لسانا عربيا حال من ضمير كتاب في مصدق
او منه لتخصيصه بالصفة وعاملها معنى الاشارة وفائدتها الاشعار بالدلالة
على ان كونه مصدقا للتورية كما دل على انه حق دل انه وحي وتوفيق من الله تعالى
وقيل مفعول لمصدق اي يصدق ذا لسان عربي باعجازه لينذر الذين ظلموا
علة مصدق وفيه ضمير الكتاب او الله او الرسول ويؤيد الاخير قراءة نافع وابن
عامر والبزي بخلاف عنه ويعقوب بالتاء وبشرى للمحسنين عطف على محله
ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا جمعوا بين التوحيد الذي هو خلاصة
العلم والاستقامة في الامور التي هي منتهى العمل وثم للدلالة على تأخر رتبة
العمل وتوقف اعتباره على التوحيد فلا خوف عليهم من لحوق مكروه ولا هم

على فوات محبوب والفاء لتضمن الاسم معنى الشرط اولئك اصحاب الجنة خالدين
فيها جزاء بما كانوا يعملون من اكتساب الفضائل العلمية والعملية وخالدين
حال من المستكن في اصحاب وجزاء مصدر لفعل دل عليه الكلام اي جوزوا جزاء
ووصينا الانسان بوالديه حسنا وقرأ الكوفيون احسانا وقرئ حسنا
اي ايصاء حسنا حملته امه كرها ووضعته كرها ذات كره او حملا ذا كره وهو
المشقة وقرأ الحجازيان وابو عمرو وهشام بالفتح وهما لغتان كالفقر والفقر
وقيل المضموم اسم والمفتوح مصدر وحمله وفصاله ومدة حمله وفصاله والفصال
الفطام ويدل عليه قراءة يعقوب وفصله او وقته والمراد به الرضاع التام
المنتهى به ولذلك عبر به كما يعبر بالامد عن المدة قال كل حي مستكمل عدة العمر
ومود اذا انتهى امده ثلثون شهرا كل ذلك بيان لما تكابده الام في تربية الولد
ومبالغة في الوصية بها وفيه دليل على ان اقل مدة الحمل ستة اشهر لانه
اذا حط عنه للفصال حولان لقوله تعالى حولين كاملين لمن اراد ان يتم الرضاعة
بقي ذلك وبه قال الاطباء ولعل تخصيص اقل الحمل واكثر الرضاعة لانضباطهما
وتحقق ارتباط حكم النسب والرضاع بهما حتى اذا بلغ اشده اذا اكتهل واستحكم
قوته وعقله وبلغ اربعين سنة قيل لم يبعث نبي الا بعد اربعين قال رب
اوزعني الهمني واصله اولعني من اوزعته بكذا وقرأ البزي بفتح الياء ان
اشكر نعمتك التي انعمت علي وعلى والدي يعني نعمة الدين او ما يعمها
وغيرها وذلك يؤيد ما روي انها نزلت في ابي بكر رضي الله عنه لانه لم يكن
احد اسلم هو وابواه من المهاجرين والانصار سواه وان اعمل صالحا
ترضاه نكره للتعظيم او لانه اراد نوعا من الجنس يستجلب رضى الله عز وجل
واصلح لي في ذريتي واجعل لي الصلاح ساريا في ذريتي راسخا فيهم ونحوه
يخرج في عراقيبها نصلي اني تبت اليك عما لا ترضاه او يشغل عنك واني
من المسلمين المخلصين لك اولئك الذين يتقبل عنهم احسن ما عملوا يعني
طاعاتهم فان المباح حسن ولا يثاب عليه ويتجاوز عن سيئاتهم لتوبتهم
وقرأ حمزة والكسائي وحفص بالنون فيهما في اصحاب الجنة كائنين في عدادهم
او مثابين او معدودين فيهم وعد الصدق مصدر مؤكد لنفسه فان يتقبل ويتجاوز
وعد الذي كانوا يوعدون اي في الدنيا والذي قال لوالديه اف لكما
مبتدأ خبره اولئك والمراد به الجنس وان صح نزولها في عبد الرحمن بن ابي بكر
قبل اسلامه فان خصوص السبب لا يوجب التخصيص وفي اف قراآت ذكرت في

سورة بني اسرائيل اتعدانني ان اخرج ابعث وقرا هشام اتعداني بنون واحدة
مشددة وقد خلت القرون من قبلي فلم يرجع احد منهم وهما يستغيثان
الله يقولان الغياث بالله منك او يسألانه ان يوفقه للايمان
ويلك آمن اي يقولان له ويلك وهو الدعاء بالثبور بالحث على ما يخاف على
تركه ان وعد الله حق فيقول ما هذا الا اساطير الاولين اباطيلهم
التي كتبوها اولئك الذين حق عليهم القول بانهم اهل النار وهو يرد
النزول في عبد الرحمن لانه يدل على انه من اهلها لذلك وقد جب عنه ان
كان لاسلامه في امم قد خلت من قبلهم كقوله في اصحاب الجنة من الجن
والانس بيان للامم انهم كانوا خاسرين تعليل للحكم على الاستيناف ولكل
من الفريقين درجات مما عملوا مراتب من جزاء ما عملوا من الخير والشر
او من اجل ما عملوا والدرجات غالبة في المثوبات وهنا جاءت على التغليب
وليوفيهم اعمالهم جزاءها وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائي بالنون وهم
لا يظلمون بنقص ثواب وزيادة عقاب ويوم يعرض الذين كفروا على النار
يعذبون بها وقيل يعرض النار عليهم فقلبت مبالغة كقولهم عرضت الناقة
على الحوض اذهبتم اي يقال لهم اذهبتم وهو ناصب اليوم وقرأ ابن كثير وابن عامر
ويعقوب بالاستفهام غير ان ابن كثير يقرأه بهمزة ممدودة وهما يقرآن بها وبهمزتين
محققتين طيباتكم لذاتكم في حياتكم الدنيا باستيفائها واستمتعتم بها
فما بقي لكم منها شيء فاليوم تجزون عذاب الهون الهوان وقد قرئ به
بما كنتم تستكبرون في الارض بغير الحق وبما كنتم تفسقون بسبب الاستكبار
الباطل والفسوق عن طاعة الله وقرئ تفسقون بالكسر واذكر اخا عاد
يعني هودا اذ انذر قومه بالاحقاف جمع حقف وهو رمل مستطيل مرتفع
فيه انحناء من احقوقف الشيء اذا اعوج وكانوا يسكنون بين رمال مشرفة على
البحر بالشحر من اليمن وقد خلت النذر الرسل من بين يديه ومن خلفه
قبل هود ومن بعده والجملة حال او اعتراض ان لا تعبدوا الا الله اي لا تعبدوا
او بان لا تعبدوا فان النهي عن الشيء انذار عن مضرته اني اخاف عليكم عذاب
يوم عظيم هائل بسبب شرككم قالوا اجئتنا لتافكنا لتصرفنا عن آلهتنا
عن عبادتها فائتنا بما تعدنا من العذاب على الشرك ان كنت من الصادقين
في وعدك قال انما العلم عند الله لا علم لي بوقت عذابكم ولا مدخل لي فيه
فاستعجل به وانما علمه عند الله فياتيكم في وقته المقدر له وابلغكم ما ارسلت

به وما على الرسول الا البلاغ ولكني اراكم قوما تجهلون لا تعلمون ان الرسل
بعثوا مبلغين منذرين لا معذبين مقترحين فلما رأوه عارضا سحابا يعرض في
افق السماء مستقبل اوديتهم متوجه اوديتهم والاضافة فيه لفظية وكذا في
قوله قالوا هذا عارض ممطرنا اي يأتينا بالمطر بل هو اي قال هود بل هو
ما استعجلتم به من العذاب وقرئ قل بل ريح هي ريح ويجوز ان يكون بدل ما
فيها عذاب اليم صفتها وكذا قوله تدمر تهلك كل شيء من نفوسهم واموالهم
بامر ربها اذ لا توجد نابضة حركة ولا قابضة سكون الا بمشيئته وفي ذكر
الامر والرب واضافته الى الريح فوائد سبق ذكرها مرارا وقرئ تدمر كل شيء
من دمر دمارا اذا هلك فيكون العائد محذوفا او الهاء في ربها ويحتمل ان
يكون استينافا للدلالة على ان لكل ممكن فناء مقتضيا لا يتقدم ولا يتاخر وتكون
الهاء لكل شيء فانه بمعنى الاشياء فاصبحوا لا يرى الا مساكنهم اي فجاءتهم الريح
فدمرتهم فاصبحوا بحيث لو حضرت بلادهم لا ترى الا مساكنهم وقرأ عاصم
وحمزة والكسائي لا يرى الا مساكنهم بالياء المضمومة ورفع المساكن كذلك
نجزي القوم المجرمين روي ان هودا لما احس بالريح اعتزل بالمؤمنين في
الحظيرة فجاءت الريح فامالت الاحقاف على الكفرة وكانوا عليها سبع ليال
وثمانية ايام ثم كشفت عنهم واحتملتهم وقذفتهم في البحر ولقد مكناهم فيما
ان مكناكم فيه ان نافية وهي احسن من ما هنا لانها توجب التكرير لفظا ولذلك
قلبت الفها هاء في مهما او شرطية محذوفة الجواب والتقدير ولقد مكناهم
في الذي او في شيء ان مكناكم فيه كان بغيكم اكثر او صلة كما في قوله يرجي المرء
ما ان لا يراه ويعرض دون ادناه الخطوب والاول اظهر وأوفق لقوله هم
احسن اثاثا كانوا اكثر منهم واشد قوة وآثارا وجعلنا لهم سمعا وابصارا
وافئدة ليعرفوا تلك النعم ويستدلوا بها على مانحها ويواظبوا على شكرها
فما اغنى عنهم سمعهم ولا ابصارهم ولا افئدتهم من شيء من الاغناء وهو
القليل اذ كانوا يجحدون بآيات الله صلة لما اغنى وهو ظرف جرى مجرى
التعليل من حيث ان الحكم مرتب على ما اضيف اليه وكذلك حيث وحاق
بهم ما كانوا به يستهزءون من العذاب ولقد اهلكنا ما حولكم يا اهل
مكة من القرى كحجر ثمود وقرى قوم لوط وصرفنا الآيات كررناها لعلهم
يرجعون عن كفرهم فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة
فهلا منعتهم من الهلاك آلهتهم الذين يتقربون بهم الى الله حيث قالوا

هولاء شفعاونا عند الله واول مفعولي اتخذ الراجع الى الموصول المحذوف وثانيهما
قربانا والهة بدل او عطف بيان او الهة وقربانا حال او مفعول له على انه بمعنى
التقرب وقري قربانا بضم الرا بل ضلوا عنهم غابوا عن نصرهم وامتنع ان يستمدوا
بهم امتناع الاستمداد بالضال وذلك افكهم وذلك الاتخاذ الذي هذا اثره
صرفهم عن الحق وقري افكهم بالتشديد للمبالغة وافكهم اي جعلهم افكين
وافكهم اي قولهم الافك اي ذو الافك وما كانوا يفترون واذ صرفنا
اليك نفرا من الجن املناهم اليك والنفر دون العشرة وجمعه انفار يستمعون
القران حال محمولة على المعنى فلما حضروه اي القران او الرسول قالوا انصتوا
قال بعضهم لبعض اسكتوا لنسمعه فلما قضي اتم وفرغ من قراته وقري على بنا
الفاعل وهو ضمير الرسول عليه الصلوة والسلام ولوا الى قومهم منذرين
اي منذرين اياهم بما سمعوا روي انهم وافوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
بوادي النخلة عند منصرفه من الطايف يقرا في تهجده قالوا يا قومنا انا
سمعنا كتابا انزل من بعد موسى قيل انما قالوا ذلك لانهم كانوا يهودا او ما
سمعوا بامر عيسى عليه السلام مصدقا لما بين يديه يهدي الى الحق من العقايد
والى طريق مستقيم من الشرايع يا قومنا اجيبوا داعي الله وامنوا به يغفر
لكم من ذنوبكم بعض ذنوبكم وهو ما يكون في خالص حق الله فان المظالم
لا تغفر بالايمان ويجركم من عذاب اليم هو معد للكفار واحتج ابو حنيفة
باقتصارهم على المغفرة والاجارة على ان لا ثواب لهم والاظهر انهم في توابع
التكليف كبني ادم ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الارض اذ لا ينجي منه
مهرب وليس له من دونه اوليا يمنعونه منه اوليك في ضلال مبين حيث
اعرضوا عن اجابة من هذا شانه اولم يروا ان الله الذي خلق السموات
والارض ولم يعي بخلقهن ولم يتعب ولم يعجز والمعنى ان قدرته واجبة لا
تنقص ولا تنقطع بالايجاد بقادر على ان يحيي الموتى اي قادر ويدل عليه
قراة يعقوب يقدر والبا مزيدة لتاكيد النفي فانه مشتمل على ان وما في حيزها
ولذلك اجاب عنه بقوله بلى انه على كل شي قدير تقرير للقدرة على وجه عام
يكون كالبرهان على المقصود كانه لما صدر السورة بتحقيق المبدا اراد ختمها
باثبات المعاد ويوم يعرض الذين كفروا على النار منصوب بقول مضمر مقوله
اليس هذا بالحق والاشارة الى العذاب قالوا بلى وربنا قال فذوقوا
العذاب بما كنتم تكفرون بكفركم في الدنيا ومعنى الامر هو الاهانة بهم والتوبيخ

لهم فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل اولوا الثبات والجد منهم فانك من
جملتهم ومن للتبيين وقيل للتبعيض واولوا العزم اصحاب الشرايع اجتهدوا في تاسيسها
وتقريرها على تحمل مشاقها ومعاداة الطاعنين فيها ومشاهيرهم نوح وابرهيم
وموسى وعيسى وقيل الصابرون على بلاء الله كنوح صبر على اذى قومه كانوا يضربونه
حتى يغشى عليه وابرهيم على النار وذبح ولده والذبيح على الذبح ويعقوب على فقد
الولد والبصر ويوسف على الجب والسجن وايوب على الضر وموسى قال له قومه انا
لمدركون قال كلا ان معي ربي سيهدين وداود بكى على خطيته اربعين سنة وعيسى لم
يضع لبنة على لبنة ولا تستعجل لهم لكفار قريش بالعذاب فانه نازل بهم في وقته
لا محالة كانهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار استقصروا
من هوله مدة لبثهم في الدنيا حتى يحسبونها ساعة بلاغ هذا الذي وعظتم به
او هذه السورة بلاغ اي كفاية او تبليغ من الرسول ويويده انه قري بلغ وقيل
مبتدا خبره لهم وما بينهما اعتراض اي لهم وقت يبلغون اليه كانهم اذا بلغوه
وراوا ما فيه استقصروا مدة عمرهم وقري بالنصب اي بلغوا بلاغا فهل يهلك
الا القوم الفاسقون الخارجون عن الاتعاظ او الطاعة وقري يهلك بفتح
اللام وكسرها من هلك ونهلك بالنون ونصب القوم عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرا سورة الاحقاف كتب له عشر حسنات بعدد كل رملة في الدنيا

وتسمى سورة القتال وهي مدنية وقيل مكية وآيها سبع او ثمان وثلاثون آية
بسم الله الرحمن الرحيم الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله امتنعوا
عن الدخول في الاسلام وسلوك طريقه او منعوا الناس عنه كالمطعمين يوم
بدر او شياطين قريش او المصرون من اهل الكتاب او عام في جميع من كفر وصد
اضل اعمالهم جعل مكارمهم كصلة الرحم وفك الاسارى وحفظ الجوار ضالة
اي ضايعة محبطة بالكفر او مغلوبة مغمورة فيه كما يضل الماء في اللبن وضلالة
حيث لم يقصدوا به وجه الله او ابطل ما عملوه من الكيد برسوله والصد عن سبيله
بنصر رسوله واظهار دينه على الدين كله والذين امنوا وعملوا الصالحات يعم
المهاجرين والانصار والذين امنوا من اهل الكتاب وغيرهم وامنوا بما نزل على
محمد تخصيص للمنزل عليه مما يجب الايمان به تعظيما له واشعارا بان الايمان لا
يتم دونه وانه الاصل فيه ولذلك اكده بقوله وهو الحق من ربهم اعتراضا

على طريقته وحقيته بكونه ناسخا لا ينسخ وقرئ نزل على البناء للفاعل وانزل على
البنائين ونزل بالتخفيف كفر عنهم سيئاتهم سترها بالايمان وعملهم الصالح
واصلح بالهم حالهم في الدين والدنيا بالتوفيق والتاييد ذلك اشارة
الى ما مر من الاضلال والتكفير والاصلاح وهو مبتدا خبره بان الذين
كفروا اتبعوا الباطل وان الذين امنوا اتبعوا الحق من ربهم بسبب
اتباع هولاء الحق وهو تصريح بما اشعر به ما قبلها ولذلك تسمى تفسيرا
كذلك مثل ذلك الضرب يضرب الله للناس يبين لهم امثالهم احوال
الفريقين او احوال الناس او يضرب امثالهم بان جعل اتباع الباطل مثلا لعمل
الكفار والاضلال مثلا لخيبتهم واتباع الحق مثلا للمومنين وتكفير السيئات
مثلا لفوزهم فاذا لقيتم الذين كفروا في المحارب فضرب الرقاب اصله
فاضربوا الرقاب ضربا فحذف الفعل وقدم المصدر وانيب منابه مضافا
الى المفعول ضما الى التاكيد والاختصار والتعبير به عن القتل اشعار
بانه ينبغي ان يكون بضرب الرقبة حيث امكن وتصوير له بما اشنع صورة حتى اذا
اثخنتموهم اكثرتم قتلهم واغلظتموه من الثخين وهو الغليظ فشدوا الوثاق
فاسروهم واحفظوهم والوثاق بالفتح والكسر ما يوثق به فاما منا بعد واما
فداء اي فاما تمنون منا واما تفدون فداء والمراد التخيير بعد الاسر بين المن
والاطلاق وبين اخذ الفداء وهو ثابت عندنا فان الذكر الحر اذا اسر تخير الامام
بين المن والقتل والفداء والاسترقاق منسوخ عند ابي حنيفة رحمه الله او مخصوص
بحرب بدر فانهم قالوا يتعين القتل او الاسترقاق وقرئ فدا كعصا حتى تضع الحرب
اوزارها الاتها واثقالها التي لا تقوم الا بها كالسلاح والكراع اي تنقضي الحرب
ولم يبق الا مسلم او مسالم وقيل اثامها والمعنى حتى يضع اهل الحرب شركهم ومعاصيهم
وهو غاية للضرب والشد او المن والفداء او للمجموع بمعنى ان هذه الاحكام جارية
فيهم حتى لا يكون حرب مع المشركين بزوال شوكتهم وقيل بنزول عيسى عليه السلم
ذلك اي الامر ذلك او افعلوا بهم ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم لانتقم منهم
باستيصال ولكن ليبلو بعضكم ببعض ولكن امركم بالقتال ليبلو المومنين بالكافرين
بان يجاهدوهم فيستوجبوا الثواب العظيم والكافرين بالمومنين بان يعاجلهم
على ايديهم ببعض عذابهم كي يرتدع بعضهم عن الكفر والذين قاتلوا في سبيل
الله اي جاهدوا وقرا البصريان وحفص قتلوا اي استشهدوا فلن يضل اعمالهم
فلن يضيعها وقرئ يضل من ضل ويضل على البناء للمفعول سيهديهم الى الثواب

او سيثبت هدايتهم ويصلح بالهم ويدخلهم الجنة عرفها لهم وقد عرفها لهم في
الدنيا حتى اشتاقوا اليها فعملوا ما استحقوها به او بينها لهم بحيث يعلم كل واحد منزله
ويهتدي اليه كانه كان ساكنه منذ خلق او طيبها لهم من العرف وهو طيب الرائحة
او حددها لهم بحيث يكون لكل جنة مفرزة يا ايها الذين امنوا ان تنصروا الله ان تنصروا
دينه ورسوله ينصركم على عدوكم ويثبت اقدامكم في القيام بحقوق الاسلام
والمجاهدة مع الكفار والذين كفروا فتعسا لهم فعثورا وانحطاطا ونقيضه لعا
قال الاعشى فالتعس اولى لها من ان اقول لعا، وانتصابه بفعله الواجب اضماره سماعا
والجملة خبر الذين كفروا او مفسرة لناصبه واضل اعمالهم عطف عليه ذلك بانهم
كرهوا ما انزل الله القران لما فيه من التوحيد والتكاليف والمخالفة لما الفوه و
اشتهتها انفسهم وهو تخصيص وتصريح بسببية الكفر بالقران للتعس والاضلال
فاحبط اعمالهم كرره اشعارا بانه يلزم الكفر به ولا ينفك عنه بحال افلم يسيروا
في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دمر الله عليهم استاصل عليهم
ما اختص بهم من انفسهم واهليهم واموالهم وللكافرين من وضع الظاهر موضع
الضمير امثالها امثال تلك العاقبة او العقوبة او الهلكة لان التدمير يدل عليها
او للسنة لقوله تعالى سنة الله التي قد خلت ذلك بان الله مولى الذين امنوا
ناصرهم على اعدائهم وان الكافرين لا مولى لهم فيدفع العذاب عنهم وهو لا يخالف
قوله وردوا الى الله مولاهم الحق فان المولى فيه بمعنى المالك ان الله يدخل
الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار والذين
كفروا يتمتعون ينتفعون بمتاع الدنيا وياكلون كما تاكل الانعام حريصين غافلين
عن العاقبة والنار مثوى لهم منزل ومقام وكاين من قرية هي اشد قوة من
قريتك التي اخرجتك على حذف المضاف واجراء احكامه على المضاف اليه
والاخراج باعتبار التسبب اهلكناهم بانواع العذاب فلا ناصر لهم يدفع عنهم وهو
كالحال المحكية افمن كان على بينة من ربه حجة من عنده وهو القران او ما يعمه
والحجج العقلية كالنبي والمومنين كمن زين له سوء عمله كالشرك والمعاصي واتبعوا
اهواءهم في ذلك لا شبهة لهم عليه فضلا عن الحجة مثل الجنة التي وعد المتقون
اي فيما قصصنا عليك صفتها العجيبة وقيل مبتدا خبره كمن هو خالد في النار وتقدير
الكلام امثل اهل الجنة كمثل من هو خالد او امثل اهل الجنة كمثل جزاء من هو خالد
معرى عن حرف الانكار وحذف ما حذف استغناء بجري مثله تصويرا لمكابرة
من يسوي بين المتمسك بالبينة والتابع للهوى بمكابرة من يسوي بين الجنة

والنار وهو على الاول خبر مبتدا محذوف تقديره افمن هو خالد في هذه الجنة كمن
هو خالد في النار او بدل من قوله كمن زين وما بينهما اعتراض لبيان ما يمتاز
به من على بينة في الاخرة تقريرا لانكار المساواة فيها انهار من ماء غير آسن
لشرح المثل او حال من العائد المحذوف او خبر لمثل وآسن من اسن الماء بالفتح اذا
تغير طعمه وريحه او بالكسر على معنى الحدث وقرأ ابن كثير اسن وانهار من لبن
لم يتغير طعمه لم يصر قارصا ولا حازرا وانهار من خمر لذة للشاربين لذيذة لا
يكون فيها كراهة طعم وريح ولا غائلة سكر وخمار تأنيث لذ او
مصدر نعت به باضمار او تجوز وقرئت بالرفع على صفة الانهار والنصب على
العلة وانهار من عسل مصفى لم يخالطه الشمع وفضلات النحل وغيرها وفي
ذلك تمثيل لما يقوم مقام الاشربة في الجنة بانواع ما يستلذ منها في الدنيا بالتجريد
عما ينقصها او ينغصها والتوصيف بما يوجب غزارتها واستمرارها ولهم فيها من
كل الثمرات صنف على هذا القياس ومغفرة من ربهم عطف على الصنف المحذوف
او مبتدا خبره محذوف اي لهم مغفرة كمن هو خالد في النار وسقوا ماء حميما مكان
تلك الاشربة فقطع امعاءهم من فرط الحرارة ومنهم من يستمع اليك حتى
اذا خرجوا من عندك يعني المنافقين كانوا يحضرون مجلس رسول الله صلى الله
عليه وسلم ويسمعون كلامه فاذا خرجوا قالوا للذين اوتوا العلم اي لعلماء الصحابة
ماذا قال آنفا ما الذي قال الساعة استهزاء او استعلاما اذ لم يلقوا له آذانهم
تهاونا به وآنفا من قولهم انف الشيء لما تقدم منه مستعار من الجارحة ومنه استأنف
وائتنف وهو ظرف بمعنى وقتا مؤتنفا او حال من الضمير في قال وقرأ ابن كثير
انفا اولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا اهواءهم فلذلك استهزءوا بها
وتهاونوا بكلامه والذين اهتدوا زادهم هدى اي زادهم الله بالتوفيق
والالهام او قول الرسول وآتاهم تقواهم بين لهم ما يتقون او اعانهم على تقواهم
او اعطاهم جزاءها فهل ينظرون الا الساعة فهل ينتظرون غيرها ان تاتيهم
بغتة بدل الاشتمال من الساعة وقوله فقد جاء اشراطها كالعلة له وقرئ
ان تاتهم على انه شرط مستانف جزاؤه فانى لهم اذا جاءتهم ذكراهم والمعنى ان
تاتهم الساعة بغتة لانه قد ظهر اماراتها كمبعث النبي وانشقاق القمر فكيف لهم
ذكراهم اي تذكرهم اذا جاءتهم الساعة وحينئذ لا يفرغ له ولا ينفع فاعلم انه
لا اله الا الله واستغفر لذنبك اذا علمت سعادة المؤمنين وشقاوة الكافرين
فاثبت ما انت عليه من العلم بالوحدانية وتكميل النفس باصلاح احوالها وافعالها

وهضمها

وهضمها بالاستغفار لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات ولذنوبهم بالدعاء لهم و
التحريض على ما يستدعي غفرانهم وفي اعادة الجار وحذف المضاف اشعار بفرط
احتياجهم وكثرة ذنوبهم فانها جنس آخر فان الذنب ماله تبعة ما بترك الاولى
والله يعلم متقلبكم في الدنيا فانها مراحل لا بد من قطعها ومثواكم في العقبى فانها
دار اقامتكم فاتقوا الله واستغفروه واعدوا لمعادكم ويقول الذين آمنوا لولا
نزلت سورة اي هلا نزلت سورة في امر الجهاد فاذا انزلت سورة محكمة مبينة
لا تشابه فيها وذكر فيها القتال اي الامر به رايت الذين في قلوبهم مرض
ضعف في الدين وقيل نفاق ينظرون اليك نظر المغشي عليه من الموت جبنا
ومخافة فاولى لهم فويل لهم افعل من الولي وهو القرب او فعلى من آل ومعناه
الدعاء عليهم بان يليهم المكروه او يؤول اليه امرهم طاعة وقول معروف استئناف
اي امرهم طاعة وقول معروف او طاعة وقول معروف خير لهم او حكاية قولهم
لقراءة ابي يقولون طاعة فاذا عزم الامر اي جد وهو لاصحاب الامر واسناده
اليه مجاز وعامل الظرف محذوف وقيل فلو صدقوا الله اي فيما زعموا من الحرص
على الجهاد والايمان لكان الصدق خيرا لهم فهل عسيتم فهل يتوقع منكم وقرأ
نافع بكسر السين ان توليتم امور الناس وتأمرتم عليهم او اعرضتم وتوليتم عن
الاسلام ان تفسدوا في الارض وتقطعوا ارحامكم تناحرا على الولاية وتجاذبا
لها او رجوعا الى ما كنتم عليه في الجاهلية من التغاور ومقاتلة الاقارب
والمعنى انهم لضعفهم في الدين وحرصهم على الدنيا احقاء بان يتوقع ذلك منهم
من عرف حالهم ويقول لهم هل عسيتم وهذا على لغة الحجاز فان بني تميم لا يلحقون
الضمير به وخبره ان تفسدوا وان توليتم اعتراض وعن يعقوب توليتم اي ان تولاكم
ظلمة خرجتم معهم وساعدتموهم في الافساد وقطيعة الرحم وتقطعوا من القطع
وقرئ تقطعوا من التقطيع اولئك اشارة الى المذكورين الذين لعنهم الله لافسادهم
وقطعهم الارحام فاصمهم عن استماع الحق واعمى ابصارهم فلا يهتدون سبيله
افلا يتدبرون القرآن يتصفحونه وما فيه من المواعظ والزواجر حتى لا يجسروا
على المعاصي ام على قلوب اقفالها لا يصل اليها ذكر ولا ينكشف لها امر وقيل ام منقطعة
ومعنى الهمزة فيها التقرير وتنكير القلوب لان المراد قلوب بعض منهم او للاشعار
بانها لابهام امرها في القساوة او لفرط جهالتها وكونها مبهمة منكورة واضافة
الاقفال اليها للدلالة على اقفال مناسبة لها مختصة بها لا تجانس الاقفال المعهودة
وقرئ اقفالها على المصدر ان الذين ارتدوا على ادبارهم الى ما كانوا عليه

سكم
دهم

من الكفر من بعد ما تبين لهم الهدى بالدلائل الواضحة والمعجزات الظاهرة الشيطان
سول لهم سهل لهم اقتراف الكبائر من السول وهو الاسترخاء وقيل حملهم على الشهوات
من السول وهو التمني وفيه ان السول مهموز قلبت همزته واوا لضم ما قبلها ولا كذلك
التسويل ويمكن رده بقولهم هما يتساولان وقرئ سول على تقدير مضاف اي
كيد الشيطان سول لهم واملى لهم ومد لهم في الآمال والاماني او امهلهم الله ولم يعاجلهم
بالعقوبة لقراءة يعقوب واملي لهم اي وانا املي لهم فتكون الواو للحال او الاستئناف
وقرا ابو عمرو واملي لهم على البناء للمفعول وهو ضمير الشيطان او لهم ذلك بانهم
قالوا للذين كرهوا ما نزل الله اي قال اليهود الذين كفروا بالنبي بعد ما تبين
لهم نعته للمنافقين او المنافقون لهم او احد الفريقين للمشركين سنطيعكم في بعض
الامر في بعض اموركم او في بعض ما تامرون به كالقعود عن الجهاد والموافقة
في الخروج معهم ان اخرجوا والتظافر على الرسول والله يعلم اسرارهم ومنها
قولهم هذا الذي افشاه الله عليهم وقرا حمزة والكسائي وحفص اسرارهم على
المصدر فكيف اذا توفتهم الملائكة فكيف يعملون ويحتالون حينئذ وقرئ
توفاهم وهو يحتمل الماضي والمضارع المحذوف احدى تائيه يضربون وجوههم
وادبارهم تصوير لتوفيهم بما يخافون منه ويجبنون عن القتال له ذلك اشارة
الى التوفي الموصوف بانهم اتبعوا ما اسخط الله من الكفر وكتمان نعت الرسول
وعصيان الامر وكرهوا رضوانه ما يرضاه من الايمان والجهاد وغيرهما من
الطاعات فاحبط اعمالهم لذلك ام حسب الذين في قلوبهم مرض ان لن
يخرج الله ان لن يبرز الله لرسوله والمؤمنين اضغانهم احقادهم ولو نشاء
لاريناكهم لعرفناكهم بدلائل تعرفهم باعيانهم فلعرفتهم بسيماهم بعلاماتهم
التي نسمهم بها واللام لام الجواب كررت في المعطوف ولتعرفنهم في لحن القول
جواب قسم محذوف ولحن القول اسلوبه او امالته الى جهة تعريض وتورية
ومنه قيل للمخطئ لاحن لانه يعدل الكلام عن الصواب والله يعلم اعمالكم فيجازيكم
على حسب قصدكم اذ الاعمال بالنيات ولنبلونكم بالامر بالجهاد وساير التكاليف
الشاقة حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين على مشاقها ونبلو اخباركم
ما يخبر به عن اعمالكم فيظهر حسنها وقبيحها او اخبارهم عن ايمانهم وموالاتهم
المؤمنين في صدقها وكذبها وقرا ابو بكر الافعال الثلاثة بالياء لتوافق ما قبلها
وعن يعقوب ونبلو بسكون الواو على تقدير ونحن نبلو ان الذين كفروا وصدوا
عن سبيل الله وشاقوا الرسول من بعد ما تبين لهم الهدى هم قريظة

والنضير

والنضير او المطعمون يوم بدر لن يضروا الله شيئا بكفرهم وصدهم او لن يضروا
رسول الله بمشاقته وحذف المضاف لتعظيمه وتفظيع مشاقته وسيحبط اعمالهم
ثواب حسنات اعمالهم بذلك او مكايدهم التي نصبوها في مشاقته فلا يصلون
بها الى مقاصدهم ولا يثمر لهم الا القتل والجلاء عن اوطانهم يا ايها الذين آمنوا
اطيعوا الله واطيعوا الرسول ولا تبطلوا اعمالكم بما ابطل به هؤلاء كالكفر
والنفاق والعجب والرياء والمن والاذى ونحوها وليس فيه دليل على احباط الطاعات
بالكبائر ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر
الله لهم عام في كل من مات على كفره وان صح نزوله في اصحاب القليب ويدل بمفهومه
على انه قد يغفر لمن لم يمت على كفره سائر ذنوبه فلا تهنوا فلا تضعفوا وتدعوا الى
السلم ولا تدعوا الى الصلح خورا وتذللا ويجوز نصبه باضمار ان وقرئ ولا تدعوا
من ادعى بمعنى دعا وقرا ابو بكر وحمزة بكسر السين وانتم الاعلون الاغلبون
والله معكم ناصركم ولن يتركم اعمالكم ولن يضيع اعمالكم من وترت الرجل
اذا قتلت متعلقا له من قريب او حميم فافردته عنه من الوتر شبه به تعطيل ثواب
العمل وافراده منه انما الحياة الدنيا لعب ولهو لا ثبات لها وان تؤمنوا
وتتقوا يؤتكم اجوركم ثواب ايمانكم وتقواكم ولا يسألكم اموالكم جميع
اموالكم بل يقتصر على جزء يسير كربع العشر وعشره ان يسألكموها فيحفكم
فيجهدكم بطلب الكل والاحفاء والالحاف المبالغة وبلوغ الغاية يقال احفى
شاربه اذا استاصله تبخلوا فلا تعطوا ويخرج اضغانكم ويضغنكم على
رسول الله والضمير في يخرج لله تعالى ويؤيده القراءة بالنون او البخل
لانه سبب الاضغان وقرئ ويخرج بالتاء والياء ورفع اضغانكم ها انتم هؤلاء
اي انتم يا مخاطبون هؤلاء الموصوفون وقوله تدعون لتنفقوا في سبيل الله
استيناف مقرر لذلك او صلة لهؤلاء على انه بمعنى الذين وهو يعم نفقة الغزو
والزكاة وغيرهما فمنكم من يبخل ناس يبخلون وهو كالدليل على الآية المتقدمة
ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه فان نفع الانفاق وضرر البخل عائدان اليه
والبخل يعدى بعن وعلى لتضمنه معنى الامساك والتعدي فانه امساك عن مستحق
والله الغني وانتم الفقراء فما يامركم به فهو لاحتياجكم فان امتثلتم فلكم وان
توليتم فعليكم وان تتولوا عطف على وان تؤمنوا يستبدل قوما غيركم يقم
مقامكم قوما آخرين ثم لا يكونوا امثالكم في التولي والزهد في الايمان
وهم الفرس لانه سئل عليه الصلوة والسلام عنه وكان سلمان الى جنبه فضرب

لحذه وقال هذا وقومه او الانصار او اليمن او الملايكة عن النبي صلى الله عليه
وسلم من قرا سورة محمد كان حقا على الله ان يسقيه من انهار الجنة

[illegible]

نزلت في مرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحديبية وآيها تسع وعشرون
بسم الله الرحمن الرحيم انا فتحنا لك فتحا مبينا وعد بفتح مكة
والتعبير عنه بالماضي لتحققه او بما اتفق له في تلك السنة كفتح خيبر وفدك
او اخبار عن صلح الحديبية وانما سماه فتحا لانه كان بعد ظهوره على المشركين
حتى سالوا الصلح وتسبب لفتح مكة وفرغ به رسول الله لسائر العرب فغزاهم
وفتح مواضع وادخل في الاسلام خلقا عظيما وظهر له في الحديبية اية عظيمة
وهي انه نزح ماؤها بالكلية فتمضمض ثم مجه فيها فدرت بالماء حتى شرب جميع
من كان معه او فتح الروم فانهم غلبوا على الفرس في تلك السنة وقد عرف كونه
فتحا للرسول عليه الصلوة والسلام في سورة الروم وقيل الفتح بمعنى القضاء
اي قضينا لك ان تدخل مكة من قابل ليغفر لك الله علة للفتح من حيث انه مسبب
عن جهاد الكفار والسعي في ازاحة الشرك واعلاء الدين وتكميل النفوس الناقصة
قهرا ليصير ذلك بالتدريج اختيارا وتخليص الضعفة عن ايدي الظلمة
ما تقدم من ذنبك وما تاخر جميع ما فرط منك مما يصح ان تعاتب عليه
ويتم نعمته عليك باعلاء الدين وضم الملك الى النبوة ويهديك صراطا
مستقيما في تبليغ الرسالة واقامة مراسم الرياسة وينصرك الله نصرا عزيزا
نصرا فيه عز ومنعة او يعز به المنصور فوصف بوصفه مبالغة هو الذي
انزل السكينة الثبات والطمانينة في قلوب المؤمنين حتى يثبتوا حيث تقلق
النفوس وتدحض الاقدام ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم يقينا مع يقينهم
برسوخ العقيدة واطمينان النفس عليها او انزل فيها السكون الى ما جاء به الرسول
ليزدادوا ايمانا بالشرايع مع ايمانهم بالله واليوم الاخر ولله جنود السموات
والارض يدبر امرها فيسلط بعضها على بعض تارة ويوقع فيما بينهم السلم
اخرى كما تقتضيه حكمته وكان الله عليما بالمصالح حكيما فيما يقدر ويدبر
ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين
فيها علة لما بعده لما دل عليه قوله ولله جنود السموات والارض من معنى
التدبير اي دبر ما دبر من تسليط المؤمنين ليعرفوا نعمة الله ويشكروها فيدخلوا

الجنة ويعذب الكفار والمنافقين لما غاظهم من ذلك او فتحنا او انزل او جميع
ما ذكر او ليزدادوا وقيل انه بدل منه بدل الاشتمال ويكفر عنهم سيئاتهم
يغطيها ولا يظهرها وكان ذلك اي الادخال والتكفير عند الله فوزا عظيما
لانه منتهى ما يطلب من جلب نفع او دفع ضر وعند حال من الفوز ويعذب
المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات عطف على يدخل الا اذا
جعل بدلا فيكون عطفا على المبدل الظانين بالله ظن السوء ظن امر السوء
وهو ان لا ينصر رسوله والمؤمنين عليهم دايرة السوء داير بما يظنونه ويتربصونه
بالمؤمنين لا يتخطاهم وقرا ابن كثير وابو عمرو دايرة السوء بالضم وهما لغتان
غير ان المفتوح غلب في ان يضاف اليه ما يراد ذمه والمضموم جرى مجرى الشر وكلاهما
في الاصل مصدر وغضب الله عليهم ولعنهم واعد لهم جهنم عطف لما استحقوه
في الاخرة على ما استوجبوه في الدنيا والواو في الاخيرين والموضع موضع الفاء
اذ اللعن سبب للاعداد والغضب سبب له لاستقلال الكل في الوعيد بلا اعتبار
السببية وساءت مصيرا جهنم ولله جنود السموات والارض وكان الله عزيزا
حكيما انا ارسلناك شاهدا على امتك ومبشرا ونذيرا على الطاعة والمعصية
لتؤمنوا بالله ورسوله الخطاب للنبي والامة او لهم على ان خطابه منزل منزلة
خطابهم وتعزروه وتقووه بتقوية دينه ورسوله وتوقروه وتعظموه وتسبحوه
وتنزهوه او تصلوا له بكرة واصيلا غدوة وعشيا او دايما وقرا ابن كثير وابو
عمرو الافعال الاربعة بالياء وقرئ يعزروه بسكون العين وتعززوه بفتح
التاء وضم الزاي وكسرها وتعززوه وتوقروه من اوقره بمعنى وقره ان الذين
يبايعونك انما يبايعون الله لانه المقصود ببيعته يد الله فوق ايديهم
حال او استيناف مؤكد له على سبيل التخييل فمن نكث نقض العهد فانما ينكث
على نفسه فلا يعود ضرر نكثه الا عليه ومن اوفى بما عاهد عليه الله في مبايعته
فسيؤتيه اجرا عظيما هو الجنة وقرئ عهد وقرا حفص عليه بضم الهاء وابن كثير
ونافع وابن عامر وروح فسنؤتيه والاية نزلت في بيعة الرضوان سيقول
لك المخلفون من الاعراب هم اسلم وجهينة ومزينة وغفار استنفرهم رسول
الله عام الحديبية فتخلفوا واعتلوا بالشغل باموالهم واهاليهم وانما خلفهم
الخذلان وضعف العقيدة والخوف من مقاتلة قريش ان صدوهم شغلتنا
اموالنا واهلونا اذ لم يكن لنا من يقوم باشغالهم وقرئ بالتشديد للتكثير
فاستغفر لنا من الله على التخلف يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم تكذيب

عباد

لهم في الاعتذار والاستغفار قل فمن يملك لكم من الله شيئا فمن يمنعكم من مشيئته
وقضائه ان اراد بكم ضرا ما يضركم كقتل او هزيمة وخلل في المال والاهل
وعقوبة التخلف وقرا حمزة والكسائي بالضم او اراد بكم نفعا ما يضاد ذلك
وهو تعريض بالرد بل كان الله بما تعملون خبيرا فيعلم تخلفكم وقصدكم فيه
بل ظننتم ان لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى اهليهم ابدا لظنكم ان
المشركين يستاصلونهم واهلون جمع اهل وقد يجمع على اهلات كارضات
على ان اصله اهلة واما اهالي فاسم جمع كليال وزين ذلك في قلوبكم فتمكن
فيها وقرئ على البناء للفاعل وهو الله او الشيطان وظننتم ظن السوء الظن
المذكور والمراد التسجيل عليه بالسوء او هو وسائر ما يظنون بالله ورسوله
من الامور الزائغة وكنتم قوما بورا هالكين عند الله لفساد عقيدتكم وسوء
نيتكم ومن لم يؤمن بالله ورسوله فانا اعتدنا للكافرين سعيرا فوضع الكا
موضع الضمير ايذانا بان من لم يجمع بين الايمان بالله وبرسوله فهو كافر وانه
مستوجب للسعير بكفره وتنكير سعيرا للتهويل او لانها نار مخصوصة ولله
ملك السموات والارض يدبره كيف يشاء يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء
اذ لا وجوب عليه وكان الله غفورا رحيما فان الغفران والرحمة من ذاته
والتعذيب داخل تحت قضائه بالعرض ولذلك جاء في الحديث الالهي سبقت
رحمتي غضبي سيقول المخلفون يعني المذكورين اذا انطلقتم الى مغانم
لتاخذوها يعني مغانم خيبر فانه عليه الصلوة والسلام رجع من الحديبية
في ذي الحجة من سنة ست واقام بالمدينة بقيتها واوائل المحرم ثم غزا خيبر
بمن شهد الحديبية ففتحها وغنم اموالا كثيرة فخصها بهم ذرونا نتبعكم
يريدون ان يبدلوا كلام الله اي يغيروه وهو وعده لاهل الحديبية
ان يعوضهم من مغانم مكة مغانم خيبر وقيل قوله لن تخرجوا معي ابدا والظاهر
انه في تبوك والكلام اسم للتكليم غلب في الجملة المفيدة وقرا حمزة والكسائي
كلم الله وهو جمع كلمة قل لن تتبعونا نفي في معنى النهي كذلكم قال الله من قبل
من قبل تهيئهم للخروج الى خيبر فسيقولون بل تحسدوننا ان نشارككم
في الغنائم وقرئ بالكسر بل كانوا لا يفقهون لا يفهمون الا قليلا الا فهما
قليلا وهو فطنتهم لامور الدنيا والاضراب الاول رد منهم ان يكون حكم الله ان
لا يتبعوهم واثبات للحسد والثاني رد من الله لذلك واثبات لجهلهم بامور
الدين قل للمخلفين من الاعراب كرر ذكرهم بهذا الاسم مبالغة في الذم

واشعارا

واشعارا بشناعة التخلف ستدعون الى قوم اولي باس شديد بني حنيفة
او غيرهم ممن ارتدوا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم او المشركين فانه قال تقاتلونهم
او يسلمون اي يكون احد الامرين اما المقاتلة او الاسلام لا غير كما دل عليه قراءة
او يسلموا ومن عداهم يقاتل حتى يسلم او يعطي الجزية وهو يدل على امامة ابي
بكر رضي الله عنه اذ لم تتفق هذه الدعوة لغيره الا اذا صح انهم ثقيف وهوازن
فان ذلك كان في عهد النبوة وقيل فارس والروم ومعنى يسلمون ينقادون ليتناول
تقبلهم الجزية فان تطيعوا يؤتكم الله اجرا حسنا هو الغنيمة في الدنيا والجنة
في الاخرة وان تتولوا كما توليتم من قبل عن الحديبية يعذبكم عذابا اليما لتضاعف
جرمكم ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج لما
اوعد على التخلف نفى الحرج عن هؤلاء المعذورين استثناء لهم عن الوعيد ومن يطع
الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الانهار فصل الوعد واجمل
الوعيد مبالغة للوعد لسبق رحمته ثم جبر ذلك بالتكرير على سبيل التعميم فقال
ومن يتول يعذبه عذابا اليما اذ الترهيب ههنا انفع من الترغيب لقد رضي الله عن المؤمنين
اذ يبايعونك تحت الشجرة روي انه عليه السلام لما نزل الحديبية بعث خراش
بن امية الخزاعي الى اهل مكة فهموا به فمنعه الاحابيش فرجع فبعث عثمان بن عفان
رضي الله عنه فحبسوه فارجف بقتله فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه
وكانوا الفا وثلثمائة او اربعمائة او خمسمائة وبايعهم على ان يقاتلوا قريشا ولا يفروا
عنهم وكان جالسا تحت سمرة او سدرة فعلم ما في قلوبهم من الاخلاص فانزل
السكينة عليهم الطمانينة وسكون النفس بالتشجيع او الصلح واثابهم فتحا
قريبا فتح خيبر غب انصرافهم وقيل مكة او هجر ومغانم كثيرة ياخذونها يعني
مغانم خيبر وكان الله عزيزا حكيما غالبا مراعيا مقتضى الحكمة وعدكم الله
مغانم كثيرة تاخذونها وهي ما يفيء على المؤمنين الى يوم القيمة فعجل لكم هذه
يعني مغانم خيبر وكف ايدي الناس عنكم اي اهل خيبر وحلفائهم من بني اسد
وغطفان او ايدي قريش بالصلح ولتكون هذه الكفة او الغنيمة اية للمؤمنين
امارة يعرفون بها انهم من الله بمكان او صدق الرسول في وعدهم فتح خيبر
في حين رجوعه عن الحديبية او وعد المغانم او فتح مكة والعطف
على محذوف هو علة للكف او الفعل مثل ليسلموا او لتاخذوا والعلة لمحذوف
مثل فعل ذلك ويهديكم صراطا مستقيما هو الثقة بفضل الله والتوكل عليه
واخرى ومغانم اخرى معطوفة على هذه او منصوبة بفعل يفسره قد احاط الله

بها مثل قضى ويحتمل رفعها بالابتدا لانها موصوفة وجرها باضمار رب واخرى لم تقدروا
عليها بعد لما كان فيها من الجولة قد احاط الله بها استولى فاظفركم بها وهي مغانم
هوازن او فارس وكان الله على كل شي قديرا لان قدرته لا تختص بشي دون
شي ولو قاتلكم الذين كفروا من اهل مكة ولم يصالحوا لولوا الادبار لانهزموا
ثم لا يجدون وليا يحرسهم ولا نصيرا ينصرهم سنة الله التي قد خلت من قبل
اي سن غلبة انبيائه سنة قديمة فيمن مضى من الامم كما قال لاغلبن انا ورسلي
ولن تجد لسنة الله تبديلا تغييرا وهو الذي كف ايديهم عنكم ايدي كفار
مكة وايديكم عنهم ببطن مكة في داخل مكة من بعد ان اظفركم عليهم اظهركم
عليهم وذلك ان عكرمة ابن ابي جهل خرج في خمسماية الى الحديبية وبعث
رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد على جند فهزمهم حتى ادخلهم حيطان
مكة ثم عاد وقيل كان ذلك يوم الفتح واستشهد به على ان مكة فتحت عنوة وهو
ضعيف اذ السورة نزلت وكان الله بما تعملون من مقاتلتهم اولا طاعة لرسوله
وكفهم ثانيا لتعظيم نبيه وقرا ابو عمرو بصيرا فيجازيهم عليه هم الذين كفروا
وصدوكم عن المسجد الحرام والهدي معكوفا ان يبلغ محله يدل على ان
ذلك كان عام الحديبية والهدي ما يهدي الى مكة وقرئ الهدي وهو فعيل
بمعنى مفعول ومحله مكانه الذي يحل فيه نحره والمراد مكانه المعهود وهو
منى لا مكانه الذي لا يجوز ان ينحر في غيره والا لما نحره الرسول صلى الله عليه
وسلم حيث احصر فلا ينتهض حجة للحنفية على ان مذبح هدي المحصر هو الحرم
ولولا رجال مومنون ونسا مومنات لم تعلموهم لم تعرفوهم باعيانهم
لاختلاطهم بالمشركين ان تطوهم ان توقعوا بهم وتبيدوهم قال وطئنا
وطا على حنق وطا المقيد ثابت الهرم وقال عليه الصلوة والسلام ان اخر وطئة
وطئها الله بوج وهو واد بالطائف كان اخر وقعة النبي عليه الصلوة والسلام
بها واصله الدوس وهو بدل الاشتمال من رجال ونسا او من ضميرهم في تعلموهم
فتصيبكم منهم من جهتهم معرة مكروه كوجوب الدية والكفارة بقتلهم والتاسف
عليهم وتعيير الكفار بذلك والاثم بالتقصير في البحث عنهم مفعلة من عره
اذا عراه ما يكرهه بغير علم متعلق بان تطوهم اي تطوهم غير عالمين بهم وجواب
لولا محذوف لدلالة الكلام عليه والمعنى لولا كراهة ان تهلكوا اناسا مومنين
بين اظهر الكافرين جاهلين بهم فيصيبكم باهلاكهم مكروه لما كف ايديكم عنهم
ليدخل الله في رحمته علة لما دل عليه كف الايدي من اهل مكة صونا لمن فيها

بالتامه

من المومنين اي كان ذلك ليدخل الله في رحمته اي في توفيقه لزيادة الخير
او للاسلام من يشا من مومنيهم او مشركيهم لو تزيلوا لو تفرقوا وتميز بعضهم
من بعض وقرئ تزايلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا اليما بالقتل والسبي
اذ جعل الذين كفروا مقدر باذكر او ظرف لعذبنا او صدوكم في قلوبهم الحمية
الانفة حمية الجاهلية التي تمنع اذعان الحق فانزل الله سكينته على رسوله
وعلى المومنين انزل عليهم الوقار والثبات وذلك ما روي انه عليه الصلوة
والسلام لما هم بقتالهم بعثوا سهل بن عمرو وحويطب بن عبد العزى ومكرز بن
حفص ليسالوه ان يرجع من عامه على ان تخلي له قريش مكة من القابل ثلاثة
ايام فاجابهم وكتبوا بينهم كتابا فقال عليه الصلوة والسلام لعلي رضي الله عنه
اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقالوا ما نعرف هذا اكتب باسمك اللهم ثم قال
اكتب هذا ما صالح رسول الله اهل مكة فقالوا لو كنا نعلم انك رسول الله ما
صددناك عن البيت وما قاتلناك اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله اهل
مكة فقال عليه الصلوة والسلام اكتب ما يريدون فهم المومنون ان يابوا
ذلك ويبطشوا عليهم فانزل الله السكينة عليهم فتوقروا وتحلموا والزمهم
كلمة التقوى كلمة الشهادة او بسم الله الرحمن الرحيم محمد رسول الله اختارها
لهم او الثبات والوفا بالعهد واضافة الكلمة الى التقوى لانها سببها او كلمة
اهلها وكانوا احق بها من غيرهم واهلها والمستاهل لها وكان الله بكل شي عليما
فيعلم اهل كل شي وييسره له لقد صدق الله رسوله الرويا راى عليه الصلوة
والسلام انه واصحابه دخلوا مكة امنين وقد حلقوا وقصروا فقص الرويا
على اصحابه ففرحوا وحسبوا ان ذلك يكون في عامهم فلما تاخر قال بعضهم
والله ما حلقنا ولا قصرنا ولا راينا البيت فنزلت والمعنى صدقه في رؤياه
بالحق ملتبسا به فان ما راه كاين لا محالة في وقته المقدر له وهو العام القابل
ويجوز ان يكون بالحق صفة مصدر محذوف اي صدقا ملتبسا بالحق وهو القصد
الى التمييز بين الثابت على الايمان والمتزلزل فيه وان يكون قسما اما باسم
الله تعالى او بنقيض الباطل وقوله لتدخلن المسجد الحرام جوابه وعلى الاولين
جواب قسم محذوف ان شا الله تعليق للعدة بالمشية تعليما للعباد واشعارا
بان بعضهم لا يدخل لموت او غيبة او حكاية لما قاله ملك الرويا او النبي لاصحابه
امنين حال من الواو والشرط معترض محلقين رؤسكم ومقصرين اي محلقا
بعضكم ومقصرا اخرون لا تخافون حال موكدة او استيناف اي لا تخافون

بعد ذلك وعده ما الله تعلموا من الحكمة في تأخير ذلك فجعل من دون ذلك
من دون دخول المسجد او فتح مكة فتحا قريبا هو فتح خيبر لتستروح اليه قلوب
المومنين الى ان يتيسر الموعود هو الذي ارسل رسوله بالهدى ملتبسا به
او بسببه ولاجله ودين الحق وبدين الاسلام ليظهره على الدين كله ليغلبه
على جنس الدين كله بنسخ ما كان حقا واظهار فساد ما كان باطلا او بتسليط المومنين
على اهله اذ ما من اهل دين الا وقد قهرهم المسلمون وفيه تاكيد لما وعده من الفتح
وكفى بالله شهيدا على ان ما وعده كائن او على نبوته باظهار المعجزات محمد رسول
الله جملة مبينة للمشهود به ويجوز ان يكون رسول الله صفة ومحمد خبر محذوف
او مبتدا والذين معه معطوف عليه وخبرهما اشداء على الكفار رحماء بينهم واشداء
جمع شديد ورحماء جمع رحيم والمعنى انهم يغلظون على من خالف دينهم ويتراحمون
فيما بينهم لقوله اذلة على المومنين اعزة على الكافرين تراهم ركعا سجدا لانهم
مشتغلون بالصلوة في اكثر اوقاتهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا الثواب
والرضا سيماهم في وجوههم من اثر السجود يريد السمة التي تحدث في جباههم
من كثرة السجود فعلى من سامه اذا اعلمه وقد قرئ سيمياؤهم بالمد ومن اثر السجود
بيانها او حال من المستكن في الجار ذلك اشارة الى الوصف المذكور او اشارة
مبهمة يفسرها كزرع مثلهم في التورية صفتهم العجيبة الشان المذكورة فيها
ومثلهم في الانجيل عطف عليه اي ذلك مثلهم في الكتابين وقوله كزرع
تمثيل مستانف او تفسير او مبتدا وكزرع خبره اخرج شطاه فراخه يقال اشطا
الزرع اذا افرخ وقرا ابن كثير وابن عامر برواية ابن ذكوان شطاه بفتحات
وهو لغة فيه وقرئ شطاه بتخفيف الهمزة وشطاء بالمد وشطه بنقل حركة الهمزة
وحذفها وشطوه بقلبها واوا فآزره فقواه من الموازرة بمعنى المعاونة او من
الايزار وهي الاعانة وقرا ابن عامر برواية ابن ذكوان فازره كاجر في آجر
فاستغلظ فصار من الدقة الى الغلظ فاستوى على سوقه فاستقام على قصبه
جمع ساق وعن ابن كثير سؤقه بالهمزة يعجب الزراع بكثافته وقوته وغلظه وحسن
منظره وهو مثل ضربه الله للصحابة قلوا في بدء الاسلام ثم كثروا واستحكموا فترقى
امرهم بحيث اعجب الناس ليغيظ بهم الكفار علة لتشبيههم بالزرع في زكائه واستحكامه
او لقوله وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة واجرا عظيما
فان الكفار لما سمعوه غاظهم ذلك ومنهم للبيان عن النبي صلى الله عليه
وسلم من قرا سورة الفتح فكانما كان ممن شهد مع محمد فتح مكة

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الذين امنوا لا تقدموا اي لا تقدموا
امرا فحذف المفعول ليذهب الوهم الى كل ما يمكن او ترك لان المقصود نفي التقدم
راسا او لا تتقدموا ومنه مقدمة الجيش لمتقدميهم ويؤيده قراءة يعقوب لا تقدموا
وقرئ لا تقدموا من القدوم بين يدي الله ورسوله مستعار مما بين الجهتين
المسامتتين ليدي الانسان تهجينا لما نهوا عنه والمعنى لا تقطعوا امرا قبل ان يحكما
به وقيل المراد بين يدي رسول الله وذكر الله تعظيم له واشعار بانه من الله بمكان
يوجب اجلاله واتقوا الله في التقديم ومخالفة الحكم ان الله سميع لاقوالكم عليم
بافعالكم يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي اي اذا كلمتموه
فلا تجاوزوا باصواتكم عن صوته ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ولا تبلغوا
به الجهر الدائر بينكم بل اجعلوا اصواتكم اخفض من صوته محاماة على الترحيب ومراعاة
للادب وقيل معناه ولا تخاطبوه باسمه وكنيته كما يخاطب بعضكم بعضا وخاطبوه
بالنبي والرسول وتكرير النداء لاستدعاء مزيد الاستبصار والمبالغة في الايقاظ
والدلالة على استقلال المنادى له وزيادة الاهتمام به ان تحبط اعمالكم كراهة
ان تحبط فيكون علة للنهي او لان تحبط على ان النهي عن الفعل المعلل باعتبار التادية
لان في الرفع والجهر استخفافا قد يودي الى الكفر المحبط وذلك اذا انضم اليه قصد
الاهانة وعدم المبالاة وقد روي ان ثابت بن قيس كان في اذنه وقر وكان جهوريا
فلما نزلت تخلف عن رسول الله فتفقده ودعاه فقال يا رسول الله لقد انزلت اليك
هذه الاية واني رجل جهير الصوت فاخاف ان يكون عملي قد حبط فقال عليه الصلوة
والسلام لست هناك انك تعيش بخير وتموت بخير وانك من اهل الجنة وانتم لا
تشعرون انها محبطة ان الذين يغضون اصواتهم يخفضونها عند رسول
الله مراعاة للادب او مخافة من مخالفة النهي وقيل كان ابو بكر وعمر رضي الله عنهما
بعد ذلك كاخي السرار حتى يستفهمهما اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى جربها
للتقوى ومرنها عليها او عرفها كائنة للتقوى خالصة لها فان الامتحان سبب
المعرفة واللام صلة محذوف او للفعل باعتبار الاصل او ضرب الله قلوبهم بانواع
المحن والتكاليف الشاقة لاجل التقوى فانها لا تظهر الا بالاصطبار عليها او اخلصها
للتقوى من امتحن الذهب اذا اذابه وميز ابريزه من خبثه لهم مغفرة لذنوبهم واجر
عظيم لغضهم وسائر طاعاتهم والتنكير للتعظيم والجملة خبر ثان لان او استيناف

بيان ما هو جزاء الغاضين اصواتهم كما اخبر عنهم بجملة مؤلفة من معرفتين
والمبتدأ اسم الاشارة المتضمن لما جعل عنوانا لهم والخبر الموصول بصلة دلت على
بلوغهم اقصى الكمال مبالغة في الاعتداد بغضهم والارتضاء له وتعريضا بشناعة
الرفع والجهر وان حال المرتكب لهما على خلاف ذلك ان الذين ينادونك من
وراء الحجرات من خارجها خلفها او قدامها ومن ابتدائية فان المناداة نشأت
من جهة الوراء وفايدتها الدلالة على ان المنادي داخل الحجرة اذ لا بد وان يختلف
المبدأ والمنتهى بالجهة وقرئ الحجرات بفتح الجيم وسكونها وثلاثتها جمع حجرة وهي
القطعة من الارض المحجورة بحائط ولذلك يقال لحظيرة الابل حجرة فعلة بمعنى
مفعول كالغرفة والقبضة والمراد حجرات نساء النبي عليه الصلوة والسلام وفيها كناية
عن خلوته بالنساء ومناداتهم من ورائها اما بانهم اتوها حجرة حجرة فنادوه من ورائها
او بانهم تفرقوا على الحجرات متطلبين له فاسند فعل الابعاض الى الكل وقيل ان الذي
ناداه عيينة بن حصن والاقرع بن حابس وفدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم
في سبعين رجلا من بني تميم وقت الظهيرة وهو راقد فقالا يا محمد اخرج الينا
وانما اسند الى جميعهم لانهم رضوا بذلك وامروا به او لانه وجد فيما بينهم اكثرهم
لا يعقلون اذ العقل يقتضي حسن الادب ومراعاة الحشمة سيما لمن كان بهذا المنصب
ولو انهم صبروا حتى تخرج اي ولو ثبت صبرهم وانتظارهم حتى تخرج فان ان وان
دلت بما في حيزها على المصدر دلت بنفسها على الثبوت ولذلك وجب اضمار الفعل
وحتى تفيد ان الصبر ينبغي ان يكون مغيا بخروجه فان حتى مختصة بغاية الشيء في
نفسه ولذلك تقول اكلت السمكة حتى راسها ولا تقول حتى نصفها بخلاف الى
فانها عامة وفي اليهم اشعار بانه لو خرج لا لاجلهم ينبغي ان يصبروا حتى يفاتحهم
بالكلام او يتوجه اليهم لكان الصبر خيرا لهم من الاستعجال لما فيه من حفظ
الادب وتعظيم الرسول الموجبين للثناء والثواب والاسعاف بالمسؤول اذ روي
انهم وفدوا شافعين في اسارى بني العنبر فاطلق النصف وفادى النصف والله
غفور رحيم حيث اقتصر على النصح والتقريع لهؤلاء المسيئين الادب التاركين
تعظيم الرسول يا ايها الذين امنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا فتعرفوا وتفحصوا
روي انه عليه الصلوة والسلام بعث وليد بن عقبة مصدقا الى بني المصطلق
وكان بينه وبينهم احنة فلما سمعوا به استقبلوه فحسبهم مقاتلة فرجع وقال لرسول
الله صلى الله عليه وسلم قد ارتدوا ومنعوا الزكاة فهم بقتالهم فنزلت وقيل بعث
اليهم خالد بن الوليد فوجدهم منادين بالصلاة متهجدين فسلموا اليه الصدقات

فرجع وتنكير الفاسق والنبأ للتعميم وتعليق الامر بالتبين على فسق المخبر يقتضي جواز
قبول خبر العدل من حيث ان المعلق على شيء بكلمة ان عدم عند عدمه وان خبر الواحد
لو وجب تبينه من حيث هو كذلك لما رتب على الفسق اذ الترتيب يفيد التعليل وما بالذات
لا يعلل بما بالغير وقرأ حمزة والكسائي فتثبتوا اي فتوقفوا الى ان يتبين لكم الحال ان
تصيبوا كراهة اصابتكم قوما بجهالة جاهلين بحالهم فتصبحوا فتصيروا على ما
فعلتم نادمين مغتمين غما لازما متمنين انه لم يقع وتركيب هذه الاحرف الثلاثة دائر
مع الدوام واعلموا ان فيكم رسول الله ان بما في حيزه ساد مسد مفعولي اعلموا باعتبار غناد
ما قيد به من الحال وهو قوله لو يطيعكم في كثير من الامر لعنتم فانه حال من احد
ضميري فيكم ولو جعل استينافا لم يظهر للامر فائدة والمعنى ان فيكم رسول الله على
حال يجب تغييرها وهي انكم تريدون ان يتبع رأيكم في الحوادث ولو فعل ذلك
لعنتم اي لوقعتم في الجهد من العنت وفيه اشعار بان بعضهم اشار اليه بالايقاع
ببني المصطلق وقوله ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم وكره اليكم
الكفر والفسوق والعصيان استدراك ببيان عذرهم وهو انهم من فرط
حبهم الايمان وكراهتهم الكفر حملهم على ذلك لما سمعوا قول الوليد او بصفة من لم
يفعل ذلك منهم احمادا لفعلهم وتعريضا بذم من فعل ويؤيده قوله اولئك هم
الراشدون اي اولئك المستثنون هم الذين اصابوا الطريق السوي وكره يتعدى
بنفسه الى مفعول واحد فاذا شدد زاد له اخر لكنه لما تضمن معنى التبغيض في الكفر
تغطية نعم الله بالجحود والفسوق الخروج عن القصد والعصيان الامتناع عن الانقياد
فضلا من الله ونعمة تعليل لكره او حبب وما بينهما اعتراض لا للراشدون فان
الفضل فعل الله والرشد وان كان مسببا عن فعله مسند الى ضميرهم او مصدر لغير
فعله فان التحبيب والرشد من فضل الله وانعامه والله عليم باحوال المؤمنين
وما بينهم من التفاضل حكيم حين يفضل وينعم بالتوفيق عليهم وان طائفتان
من المؤمنين اقتتلوا تقاتلوا والجمع باعتبار المعنى فان كل طائفة جمع فاصلحوا
بينهما بالنصح والدعاء الى حكم الله فان بغت احداهما على الاخرى تعدت
عليها فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى امر الله ترجع الى حكمه او ما امر به وانما اطلق
الفيء على الظل لرجوعه بعد نسخ الشمس والغنيمة لرجوعها من الكفار الى المسلمين
فان فاءت فاصلحوا بينهما بالعدل بفصل ما بينهما على ما حكم الله وتقييد الاصلاح
بالعدل ههنا لانه مظنة الحيف من حيث انه بعد المقاتلة واقسطوا واعدلوا
في كل الامور ان الله يحب المقسطين يحمد فعلهم بحسن الجزاء والاية نزلت في

قتال حدث بين الاوس والخزرج في عهده عليه الصلوة والسلام بالسعف والنعال
وهي تدل على ان الباغي مومن وانه اذا قبض عن الحرب ترك كما جاء في الحديث
لانه فاء الى امر الله وانه يجب معاونة من بغي عليه بعد تقديم النصح والسعي في المصالحة
انما المومنون اخوة من حيث انهم منتسبون الى اصل واحد وهو الايمان الموجب
للحيوة الابدية وهو تعليل وتقرير للامر بالاصلاح ولذلك كرره مرتبا عليه بالفاء
فقال فاصلحوا بين اخويكم ووضع الظاهر موضع الضمير مضافا الى المامورين
للمبالغة في التقرير والتحضيض وخص الاثنين بالذكر لانهما اقل من يقع بينهما
الشقاق وقيل المراد بالاخوين الاوس والخزرج وقرئ بين اخوتكم واخوانكم
واتقوا الله في مخالفة حكمه والاهمال فيه لعلكم ترحمون على تقواكم يا ايها
الذين امنوا لا يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء
عسى ان يكن خيرا منهن اي لا يسخر بعض المومنين والمومنات من بعض اذ قد يكون
المسخور منه خيرا عند الله من الساخر والقوم مختص بالرجال لانه اما مصدر نعت
به فشاع في الجمع وجمع لقائم كزائر وزور والقيام بالامور وظيفة الرجال كما
قال تعالى الرجال قوامون على النساء وحيث فسر بالقبيلين كقوم عاد وفرعون
فاما على التغليب او الاكتفاء بذكر الرجال عن ذكرهن لانهن توابع واختيار
الجمع لان السخرية تغلب في المجامع وعسى باسمها استيناف بالعلة الموجبة
للنهي ولا خبر لها لاغناء الاسم عنه وقرئ عسوا ان يكونوا وعسين ان يكن فهي
على هذا ذات خبر ولا تلمزوا انفسكم اي ولا يعب بعضكم بعضا فان المومنين
كنفس واحدة او لا تفعلوا ما تلمزون به فان من فعل ما استحق به اللمز فقد لمز
نفسه واللمز الطعن باللسان وقرا يعقوب ولا تنابزوا بالالقاب ولا يدعوا
بعضكم بعضا بلقب السوء فان النبز مختص بلقب السوء عرفا بئس الاسم الفسوق
بعد الايمان اي بئس الذكر المرتفع للمومنين ان يذكروا بالفسوق بعد دخولهم
الايمان واشتهارهم والمراد به اما تهجين نسبة الكفر والفسق الى المومنين
خصوصا [illegible] الاية نزلت في صفية بنت حيي اتت رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقالت ان النساء يقلن لي يا يهودية بنت يهوديين فقال لها هلا قلت ان ابي
هارون وعمي موسى وزوجي محمد رسول الله او الدلالة على ان التنابز فسق
والجمع بينه وبين الايمان مستقبح ومن لم يتب عما نهي عنه فاولئك هم
الظالمون بوضع العصيان موضع الطاعة وتعريض النفس للعذاب يا ايها
الذين امنوا اجتنبوا كثيرا من الظن كونوا منه على جانب وابهام الكثير ليحتاط

في كل ظن ويتامل حتى يعلم انه من اي القبيل فان من الظن ما يجب اتباعه كالظن
حيث لا قاطع فيه من العمليات وحسن الظن بالله وما يحرم كالظن في الالهيات
والنبوات وحيث يخالفه قاطع وظن السوء بالمومنين وما يباح كالظن في الامور
المعاشية ان بعض الظن اثم تعليل مستانف للامر والاثم الذنب الذي يستحق
العقوبة والهمزة فيه من الواو كانه يثم الاعمال اي يكسرها ولا تجسسوا ولا تبحثوا
عن عورات المسلمين تفعل من الجس باعتبار ما فيه من معنى الطلب كالتلمس وقرئ
بالحاء من الحس الذي هو اثر الجس وغايته ولذلك قيل للحواس الحواس وفي الحديث
لا تتبعوا عورات المسلمين فان من يتبع عوراتهم تتبع الله عورته حتى يفضحه
ولو في جوف بيته ولا يغتب بعضكم بعضا ولا يذكر بعضكم بعضا بالسوء في
غيبته وسئل عنه عليه الصلوة والسلام عن الغيبة فقال ان تذكر اخاك بما
يكرهه فان كان فيه فقد اغتبته وان لم يكن فيه فقد بهته ايحب احدكم
ان ياكل لحم اخيه ميتا تمثيل لما يناله المغتاب من عرض المغتاب على افحش وجه
مع مبالغات الاستفهام المقرر واسناد الفعل الى احد للتعميم وتعليق المحبة
بما هو في غاية الكراهة وتمثيل الاغتياب باكل لحم الانسان وجعل الماكول اخا
وميتا وتعقيب ذلك بقوله فكرهتموه تقريرا وتحقيقا لذلك والمعنى ان صح
ذلك او عرض عليكم هذا فقد كرهتموه ولا يمكنكم انكار كراهته وانتصاب
ميتا على الحال من اللحم او الاخ وشدده نافع واتقوا الله ان الله تواب رحيم
لمن اتقى ما نهي عنه وتاب مما فرط منه والمبالغة في التواب لانه بليغ في قبول
التوبة اذ يجعل صاحبها كمن لم يذنب او لكثرة المتوب عليهم او لكثرة ذنوبهم
روي ان رجلين من الصحابة بعثا سلمان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يبغي
لهما اداما وكان اسامة على طعامه فقال ما عندي شيء فاخبرهما سلمان فقالا لو
بعثناه الى بئر سميحة لغار ماؤها فلما راحا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
لهما ما لي ارى خضرة اللحم في افواهكما فقالا ما تناولنا لحما فقال انكما قد اغتبتما
فنزلت يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى من آدم وحوا او خلقنا كل واحد
منكم من اب وام فالكل سواء في ذلك فلا وجه للتفاخر بالنسب ويجوز ان يكون
تقريرا للاخوة المانعة عن الاغتياب وجعلناكم شعوبا وقبائل الشعب الجمع العظيم
المنتسبون الى اصل واحد وهو يجمع القبائل والقبيلة تجمع العمائر والعمارة تجمع
البطون والبطن تجمع الافخاذ والفخذ تجمع الفصائل فخزيمة شعب وكنانة قبيلة وقريش
عمارة وقصي بطن وهاشم فخذ وعباس فصيلة وقيل الشعوب بطون العجم والقبائل

بطون العرب لتعارفوا ليعرف بعضكم بعضا لا للتفاخر بالآباء والقبايل وقرئ
لتعارفوا بالادغام وتتعارفوا ولتعرفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم فان التقوى
بها تكمل النفوس وتتفاضل الاشخاص فمن اراد شرفا فليلتمس منها كما قال عليه
الصلوة والسلام من سره ان يكون اكرم الناس فليتق الله يا ايها الناس انما الناس
رجلان مومن تقي كريم على الله وفاجر شقي هين على الله ان الله عليم بكم خبير ببواطنكم
قالت الاعراب امنا نزلت في نفر من بني اسد قدموا المدينة في سنة جدبة
واظهروا الشهادتين وكانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم اتيناك بالاثقال
والعيال ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان يريدون الصدقة ويمنون قل لم تؤمنوا
اذ الايمان تصديق مع ثقة وطمانينة قلب ولم يحصل لكم والا لما مننتم على الرسول
بالاسلام وترك المقاتلة كما دل عليه اخر السورة ولكن قولوا اسلمنا فان الاسلام
انقياد ودخول في السلم واظهار الشهادة وترك المحاربة يشعر به وكان نظم
الكلام ان يقول لا تقولوا امنا ولكن قولوا اسلمنا او لم تؤمنوا ولكن اسلمتم فعدل
منه الى هذا النظم احترازا من النهي عن القول بالايمان والجزم باسلامهم
وقد فقد شرط اعتباره شرعا ولما يدخل الايمان في قلوبكم توقيت لقولوا
فانه حال من ضميره اي ولكن قولوا اسلمنا ولم تواطئ قلوبكم السنتكم بعد وان
تطيعوا الله ورسوله بالاخلاص وترك النفاق لا يلتكم من اعمالكم لا ينقصكم
من اجورها شيئا من لات ليتا اذا نقص وقرأ البصريان لا يالتكم من الالت وهو لغة
غطفان ان الله غفور لما فرط من المطيعين رحيم بالتفضل عليهم انما المومنون
الذين امنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا لم يشكوا من ارتاب مطاوع رابه
اذا اوقعه في الشك مع التهمة وفيه اشارة الى ما اوجب نفي الايمان عنهم
وثم للاشعار بان اشتراط عدم الارتياب في اعتبار الايمان ليس حال الايمان
فقط بل وفيما يستقبل فهي كما في قوله ثم استقاموا وجاهدوا باموالهم وانفسهم
في سبيل الله في طاعته والمجاهدة بالاموال والانفس تصلح للعبادات المالية
والبدنية باسرها اولئك هم الصادقون الذين صدقوا في ادعاء الايمان
قل اتعلمون الله بدينكم اتخبرونه به بقولكم امنا والله يعلم ما في السموات
وما في الارض والله بكل شيء عليم لا يخفى عليه خافية وهو تجهيل لهم وتوبيخ روي
انه لما نزلت الاية المتقدمة جاءوا وحلفوا انهم مومنون معتقدون فنزلت هذه
يمنون عليك ان اسلموا يعدون اسلامهم عليك منة وهي النعمة التي لا يستثيب
موليها ممن يزلها اليه من المن بمعنى القطع لان المقصود بها قطع حاجته وقيل النعمة

الثقيلة

الثقيلة من المن قل لا تمنوا علي اسلامكم اي باسلامكم فنصب بنزع الخافض
او تضمين الفعل معنى الاعتداد بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان على ما
زعمتم مع ان الهداية لا تستلزم الاهتداء وقرئ ان هداكم بالكسر واذ هداكم ان
كنتم صادقين في ادعاء الايمان وجوابه محذوف يدل عليه ما قبله اي فلله المنة
عليكم وفي سياق الاية لطف وهو انهم لما سموا ما صدر عنهم ايمانا ومنوا به فنفى
انه ايمان وسماه اسلاما قال يمنون عليك بما هو في الحقيقة اسلام وليس بجدير
ان يمن عليك بل لو صح ادعاؤهم للايمان فلله المنة عليهم بالهداية له لا لهم
ان الله يعلم غيب السموات والارض ما غاب فيهما والله بصير بما تعملون
في سركم وعلانيتكم فكيف يخفى عليه ما في ضمايركم وقرأ ابن كثير بالياء لما في الاية من
الغيبة عن النبي عليه السلام من قرأ سورة الحجرات اعطي من الاجر بعدد من اطاع الله وعصاه

[illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم ق والقران المجيد الكلام فيه كما مر في
ص والقران ذي الذكر والمجيد ذو المجد والشرف على ساير الكتب او لانه كلام
المجيد او لان من علم معانيه وامتثل احكامه مجد بل عجبوا ان جاءهم منذر
منهم انكار لتعجبهم مما ليس بعجب وهو ان ينذرهم احد من جنسهم او من ابناء جلدتهم
فقال الكافرون هذا شيء عجيب حكاية لتعجبهم مما ليس بعجب وهو ان ينذرهم
احد من جنسهم وهذا اشارة الى اختيار الله محمدا للرسالة واضمار ذكرهم ثم اظهاره
للاشعار بتعنتهم لهذا المقال ثم التسجيل على كفرهم بذلك او عطف لتعجبهم
من البعث على تعجبهم من البعثة والمبالغة فيه بوضع الظاهر موضع ضميرهم وحكاية
تعجبهم مبهما ان كانت الاشارة الى مبهم يفسره ما بعده او مجملا ان كانت
الاشارة الى محذوف دل عليه منذر ثم تفسيره او تفصيله لانه ادخل في الانكار
اذ الاول استبعاد لان يفضل عليهم مثلهم والثاني استقصار لقدرة الله عما
هو اهون مما يشاهدون من صنعه ائذا متنا وكنا ترابا اي انرجع اذا متنا
وصرنا ترابا ويدل على المحذوف قوله ذلك رجع بعيد اي بعيد عن الوهم
او العادة او الامكان وقيل الرجع بمعنى المرجوع قد علمنا ما تنقص الارض
منهم ما تاكل من اجسادهم موتاهم وهو رد لاستبعادهم بازاحة ما هو الاصل
فيه وقيل انه جواب القسم واللام محذوف لطول الكلام وعندنا كتاب حفيظ
حافظ لتفاصيل الاشياء كلها او محفوظ عن التغيير والمراد اما تمثيل علمه بتفاصيل

الاشيا بعلم من عنده كتاب محفوظ يطالعه او تاكيد لعلمه بها بثبوتها في اللوح
عنده بل كذبوا بالحق يعني النبوة الثابتة بالمعجزات او النبي او القران لما جاءهم
وقرئ لما بالكسر فهم في امر مريج مضطرب من مرج الخاتم في اصبعه اذا خرج
وذلك لقولهم تارة انه شاعر وتارة انه ساحر وتارة انه كاهن افلم ينظروا حين كفروا
بالبعث الى السماء فوقهم الى اثار قدرة الله في خلق العالم كيف بنيناها
رفعناها بلا عمد وزيناها بالكواكب وما لها من فروج فتوق بان خلقها ملسا
متلاصقة الطباق والارض مددناها بسطناها والقينا فيها رواسي جبالا
ثوابت وانبتنا فيها من كل زوج من كل صنف بهيج حسن تبصرة وذكرى لكل
عبد منيب راجع الى ربه متفكرا في بدايع صنعه وهما علتان للافعال المذكورة
معنى وان انتصبتا عن الفعل الاخير ونزلنا من السماء ماء مباركا كثير المنافع
فانبتنا به جنات اشجارا وثمارا وحب الحصيد وحب الزرع الذي من شانه
ان يحصد كالبر والشعير والنخل باسقات طوالا او حوامل من بسقت الشاة
اذا حملت فيكون من افعل فهو فاعل وافرادها بالذكر لفرط ارتفاعها وكثرة منافعها
وقرئ باصقات لاجل القاف لها طلع نضيد منضود بعضه فوق بعض والمراد تراكم
الطلع او كثرة ما فيه من الثمر رزقا للعباد علة لانبتنا او مصدر فان الانبات
رزق واحيينا به بلدة ميتا ارضا جدبة لا نماء فيها كذلك الخروج
كما حييت هذه البلدة يكون خروجكم احياء بعد موتكم كذبت قبلهم قوم نوح و
اصحاب الرس وثمود وعاد وفرعون اراد اياه وقومه ليلايم ما قبله وما بعده
واخوان لوط اخوانه لانهم كانوا اصهاره واصحاب الايكة وقوم تبع سبق في
الحجر والدخان كل كذب الرسل اي كل واحد او قوم منهم او جميعهم وافراد
الضمير لافراد لفظه فحق وعيد فوجب وحل عليهم وعيدي وفيه تسلية لرسول
الله صلى الله عليه وسلم وتهديد لهم افعيينا بالخلق الاول افعجزنا عن الابدا
حتى نعجز عن الاعادة من عيي بالامر اذا لم يهتد لوجه عمله والهمزة فيه للانكار بل هم
في لبس من خلق جديد اي هم لا ينكرون قدرتنا على الخلق الاول بل هم في خلط
وشبهة في خلق مستانف لما فيه من مخالفة العادة وتنكير الخلق الجديد لتعظيم
شانه والاشعار بانه على وجه غير متعارف ولا معتاد ولقد خلقنا الانسان
ونعلم ما توسوس به نفسه ما تحدث به نفسه وهو ما يخطر بالبال والوسوسة
الصوت الخفي ومنها وسواس الحلي والضمير لما ان جعلت موصولة والبا
مثلها في صوت بكذا او للانسان ان جعلت مصدرية والبا للتعدية ونحن اقرب

اليه

اليه من حبل الوريد اي ونحن اعلم بحاله ممن كان اقرب اليه من حبل الوريد تجوز
بقرب الذات لقرب العلم لانه موجبه وحبل الوريد مثل في القرب قال والموت
ادنى لي من الوريد والحبل العرق واضافته للبيان والوريدان عرقان مكتنفان
بصفحتي العنق في مقدمها متصلان بالوتين يردان من الراس اليه وقيل سمي وريدا
لان الروح ترده اذ يتلقى المتلقيان مقدر باذكر او متعلق باقرب اي هو اعلم
بحاله من كل قريب حين يتلقى اي يتلقن الحفيظان ما يتلفظ به وفيه ايذان بانه غني
عن استحفاظ الملكين فانه اعلم منهما ومطلع على ما يخفى عليهما لكنه لحكمة اقتضته وهي
ما فيه من تشديد تثبط العبد عن المعصية وتاكيد في اعتبار الاعمال وضبطها للجزاء
والزام الحجة يوم يقوم الاشهاد عن اليمين وعن الشمال قعيد اي عن اليمين قعيد
وعن الشمال قعيد اي مقاعد كالجليس فحذف الاول لدلالة الثاني عليه كقوله
واني وقيار بها لغريب. وقيل يطلق الفعيل للواحد والمتعدد لقوله والملائكة
بعد ذلك ظهير ما يلفظ من قول ما يرمي به من فيه الا لديه رقيب ملك يرقب
عمله عتيد معد حاضر ولعله يكتب عليه ما فيه ثواب او عقاب وفي الحديث كاتب
الحسنات امين على كاتب السيئات فاذا عمل حسنة كتبها ملك اليمين عشرا واذا
عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال دعه سبع ساعات لعله يسبح او يستغفر
وجاءت سكرة الموت بالحق لما ذكر استبعادهم البعث للجزاء وازاح ذلك بتحقيق
قدرته وعلمه اعلمهم بانهم يلاقون ذلك عن قريب عند الموت وقيام الساعة ونبه
على اقترابه بان عبر عنه بلفظ الماضي وسكرة الموت شدته الذاهبة بالعقل والباء
للتعدية كما في قولك جاء زيد بعمرو والمعنى واحضرت سكرة الموت حقيقة الامر او
الموعود الحق او الحق الذي ينبغي ان يكون من الموت او الجزاء فان الانسان خلق له
او مثل الباء في تنبت بالدهن وقرئ سكرة الحق بالموت على انها الشدة التي اقتضت
الزهوق او لاستعقابها له كانها جاءت به او على ان الباء بمعنى مع وقيل سكرة الحق سكرة
الله واضافتها اليه للتهويل وقرئ سكرات الموت ذلك اي الموت ما كنت منه
تحيد تميل وتفر عنه والخطاب للانسان ونفخ في الصور يعني نفخة البعث ذلك
يوم الوعيد اي وقت ذلك يوم تحقق الوعيد وانجازه والاشارة الى مصدر
نفخ وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد ملكان احدهما يسوقه والاخر يشهد
بعمله او ملك جامع للوصفين وقيل السائق كاتب السيئات والشهيد كاتب الحسنات
وقيل السائق نفسه او قرينه والشهيد جوارحه او اعماله ومحل معها النصب على
الحال من كل لاضافته الى ما هو في حكم المعرفة لقد كنت في غفلة من هذا على اضمار

القول والخطاب لكل نفس اذ ما من احد الا وله اشتغال ما عن الاخرة او للكافر
فكشفنا عنك غطاءك الغطا الحاجب لامور المعاد وهو الغفلة والانهماك في
المحسوسات والالف بها وقصور النظر عليها فبصرك اليوم حديد نافذ لزوال
المانع للابصار وقيل الخطاب للنبي والمعنى كنت في غفلة من امر الديانة فكشفنا
عنك غطا الغفلة بالوحي وتعليم القران فبصرك اليوم حديد ترى ما لا يرون
وتعلم ما لا يعلمون ويؤيد الاول قراءة من كسر التا والكافات على خطاب النفس
وقال قرينه قال الملك الموكل عليه هذا ما لدي عتيد هذا ما هو مكتوب عندي
حاضر لدي او الشيطان الذي قيض له هذا ما عندي وفي ملكتي عتيد لجهنم هيأته
لها باغواي واضلالي وما ان جعلت موصولة فبدلها او خبر بعد خبر او خبر محذوف
القيا في جهنم كل كفار خطاب من الله للسائق والشهيد او للملكين من خزنة النار
او لواحد وتثنية الفاعل منزلة تثنية الفعل وتكريره كقوله فان تزجراني يا ابن
عفان انزجر وان تدعاني احم عرضا ممنعا او الالف بدل من نون التاكيد على
اجرا الوصل مجرى الوقف ويؤيده انه قرئ القين بالنون الخفيفة عنيد معاند
للحق مناع للخير كثير المنع للمال عن حقوقه المفروضة وقيل المراد بالخير الاسلام
فان الاية نزلت في الوليد بن المغيرة لما منع بني اخيه عنه معتد متعد مريب شاك
في الله وفي دينه الذي جعل مع الله الها اخر مبتدا متضمن معنى الشرط وخبره
فالقياه في العذاب الشديد او بدل من كل كفار فيكون فالقياه تكريرا للتوكيد
او مفعول لمضمر يفسره فالقياه قال قرينه اي الشيطان المقيض له وانما استونفت
كما تستانف الجمل الواقعة في حكاية التقاول فانه جواب لمحذوف دل عليه ربنا
ما اطغيته كان الكافر قال هو اطغاني فقال قرينه ربنا ما اطغيته بخلاف
الاولى فانها واجبة العطف على ما قبلها للدلالة على الجمع بين مفهوميهما في الحصول
اعني مجي كل نفس مع الملكين وقوله ولكن كان في ضلال بعيد فاعنته عليه
فان اغوا الشيطان انما يؤثر فيمن كان مختل الراي مائلا الى الفجور كما قال وما
كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي قال اي الله لا تختصموا لدي
اي في موقف الحساب فانه لا فائدة فيه وهو استئناف مثل الاول وقد قدمت
اليكم بالوعيد على الطغيان في كتبي وعلى السنة رسلي فلم يبق لكم حجة وهو حال
فيه تعليل للنهي اي لا تختصموا عالمين باني اوعدتكم والبا مزيدة او معدية على ان
قدم بمعنى تقدم ويجوز ان يكون بالوعيد حالا والفعل واقعا على قوله ما يبدل
القول لدي اي بوقوع الخلف فيه فلا تطمعوا ان ابدل وعيدي وعفو بعض

المذنبين

المذنبين لبعض الاسباب ليس من التبديل فان دلايل العفو تدل على تخصيص الوعيد
وما انا بظلام للعبيد فاعذب من ليس لي تعذيبه يوم نقول لجهنم هل امتلات
وتقول هل من مزيد سوال وجواب جي بهما للتخييل والتصوير والمعنى انها مع
اتساعها تطرح فيها الجنة والناس فوجا فوجا حتى تمتلي لقوله لاملان او انها من
السعة بحيث يدخلها من يدخلها وفيها بعد فراغ او انها من شدة زفيرها وحدتها و
تشبثها بالعصاة كالمستكثر لهم والطالب لزيادتهم وقرا نافع وابو بكر يقول بالياء
والمزيد اما مصدر كالمجيد او مفعول كالمبيع ويوم مقدر باذكر او ظرف لنفخ فيكون
ذلك اشارة اليه فلا يفتقر الى تقدير مضاف وازلفت الجنة للمتقين قربت لهم
غير بعيد مكانا غير بعيد ويجوز ان يكون حالا وتذكيره لانه صفة محذوف اي شيا
غير بعيد او على زنة المصدر او لان الجنة بمعنى البستان هذا ما توعدون على
اضمار القول والاشارة الى الثواب او مصدر ازلفت وقرا ابن كثير بالياء
لكل اواب رجاع الى الله بدل من المتقين باعادة الجار حفيظ حافظ لحدوده
من خشي الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب بدل بعد بدل او بدل من موصوف
اواب ولا يجوز ان يكون في حكمه لان من لا يوصف به او مبتدا خبره ادخلوها
على تاويل يقال لهم ادخلوها فان من بمعنى الجمع وبالغيب حال من الفاعل او المفعول
او صفة لمصدر اي خشية ملتبسة بالغيب حيث خشي عقابه وهو غايب او العقاب
بعد غيب او هو غايب عن الاعين لا يراه احد وتخصيص الرحمن للاشعار بانهم
رجوا رحمته وخافوا عقابه او بانهم يخشون خشيته مع علمهم بسعة رحمته ووصف
القلب بالانابة اذ الاعتبار برجوعها الى الله بسلام سالمين من العذاب وزوال
النعم او مسلما عليكم من الله وملايكته ذلك يوم الخلود يوم تقدير الخلود كقوله
ادخلوها خالدين لهم ما يشاؤون فيها ولدينا مزيد وهو ما لا يخطر ببالهم مما
لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وكم اهلكنا قبلهم قبل قومك
من قرن هم اشد منهم بطشا قوة كعاد وفرعون فنقبوا في البلاد فخرقوا في
البلاد وتصرفوا فيها او جالوا في الارض كل مجال حذر الموت فالفاء على الاول
للتسبيب وعلى الثاني لمجرد التعقيب واصل التنقيب التنقير عن الشي والبحث عنه
هل من محيص اي لهم من الله او من الموت وقيل الضمير في نقبوا لاهل مكة اي ساروا
في اسفارهم في بلاد القرون فهل راوا لهم محيصا حتى يتوقعوا مثله لانفسهم ويؤيده
انه قرئ فنقبوا على الامر وقرئ فنقبوا بالكسر من النقب وهو ان ينتقب خف البعير
اي اكثروا السير حتى نقبت اقدامهم او اخفاف مراكبهم ان في ذلك فيما ذكر في

هذه السورة لذكرى لتذكرة لمن كان له قلب قلب واع يتفكر في حقائقه أو ألقى
السمع أصغى لاستماعه وهو شهيد حاضر بذهنه ليفهم معانيه أو شاهد بصدقه
فيتعظ بظواهره وينزجر بزواجره وفي تنكير القلب وإبهامه تفخيم وإشعار بأن كل
قلب لا يتفكر ولا يتدبر ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما في ستة
أيام مر تفسيره مراراً وما مسنا من لغوب من تعب وإعياء وهو رد لما زعمت
اليهود من أنه تعالى بدأ خلق العالم يوم الأحد وفرغ منه يوم الجمعة واستراح
يوم السبت واستلقى على العرش فاصبر على ما يقولون ما يقول المشركون من إنكارهم
البعث فإن من قدر على خلق العالم بلا إعياء قدر على خلقه والانتقام منهم أو ما يقول
اليهود من الكفر والتشبيه وسبح بحمد ربك ونزهه عن العجز عما يمكن والوصف
بما يوجب التشبيه حامداً له على ما أنعم عليك من إصابة الحق وغيرها قبل طلوع
الشمس وقبل الغروب يعني الفجر والعصر وقد عرفت فضيلة الوقتين ومن آناء
الليل فسبحه وسبحه بعض الليل وأدبار السجود وأعقاب الصلاة جمع دبر من
أدبرت الصلاة إذا انقضت وقرأ الحجازيان وحمزة بالكسر وقيل المراد بالتسبيح الصلاة
فالصلاة قبل الطلوع الصبح وقبل الغروب الظهر والعصر ومن الليل العشاءان والتهجد (في الهامش: الصبح)
وأدبار السجود النوافل بعد المكتوبات وقيل الوتر بعد العشاء واستمع لما أخبرك
به من أحوال القيامة وفيه تهويل وتعظيم للمخبر به يوم ينادي المنادي إسرافيل
أو جبريل فيقول أيتها العظام البالية واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة إن الله
يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء من مكان قريب بحيث يصل نداؤه إلى الكل على
سواء ولعله في الإعادة نظير كن في الإبداء ويوم نصب بما دل عليه يوم الخروج
يوم يسمعون الصيحة بدل منه والصيحة النفخة الثانية بالحق متعلق بالصيحة
والمراد به البعث للجزاء ذلك يوم الخروج من القبور وهو من أسماء يوم القيامة وقد
يقال للعيد إنا نحن نحيي ونميت في الدنيا وإلينا المصير للجزاء في الآخرة يوم تشقق
تتشقق وقرأ الكوفيون وأبو عمرو بتخفيف الشين الأرض عنهم سراعاً مسرعين
ذلك حشر بعث وجمع علينا يسير هين وتقديم الظرف للاختصاص فإن ذلك
لا يتيسر إلا على العالم القادر لذاته الذي لا يشغله شأن عن شأن كما قال ما خلقكم
ولا بعثكم إلا كنفس واحدة نحن أعلم بما يقولون تسلية لرسول الله صلى الله عليه
وسلم وتهديد لهم وما أنت عليهم بجبار بمسلط تقسرهم على الإيمان أو تفعل بهم
ما تريد وإنما أنت داع فذكر بالقرآن من يخاف وعيد فإنه لا ينتفع به غيره عن النبي صلى
الله عليه وسلم من قرأ سورة ق هون الله عليه تارات الموت وسكراته

بسم الله الرحمن الرحيم والذاريات ذرواً يعني الرياح تذرو التراب
وغيره أو النساء الولود فإنهن يذرين الأولاد أو الأسباب التي تذري الخلائق
من الملائكة وغيرهم وقرأ أبو عمرو وحمزة بإدغام التاء في الذال فالحاملات وقراً
فالسحاب الحاملة للأمطار أو الرياح الحاملة للسحاب أو النساء الحوامل أو أسباب
ذلك وقرئ وقراً على تسمية المحمول بالمصدر فالجاريات يسراً فالسفن الجارية
في البحر سهلاً أو الرياح الجارية في مهابها أو الكواكب التي تجري في منازلها
ويسراً صفة مصدر محذوف أي جرياً ذا يسر فالمقسمات أمراً الملائكة التي تقسم
الأمور من الأمطار والأرزاق وغيرها أو ما يعمهم وغيرهم من أسباب القسمة
أو الرياح يقسمن الأمطار بتصريف السحاب فإن حملت على ذوات مختلفة فالفاء
لترتيب الأقسام بها باعتبار ما بينها من التفاوت في الدلالة على كمال القدرة وإلا فالفاء (في الهامش: ما بينهما له)
لترتيب الأفعال إذ الريح مثلاً تذرو الأبخرة إلى الجو حتى ينعقد سحاباً فتحمله
فتجري به باسطة له إلى حيث أمرت به فتقسم المطر إنما توعدون لصادق
وإن الدين لواقع جواب للقسم كأنه استدل باقتداره على هذه الأشياء العجيبة
المخالفة لمقتضى الطبيعة على اقتداره على البعث الموعود وما موصولة أو مصدرية
والدين الجزاء والواقع الحاصل والسماء ذات الحبك ذات الطرائق والمراد
إما الطرائق المحسوسة التي هي مسير الكواكب أو المعقولة التي يسلكها النظار
ويتوصل بها إلى المعارف أو النجوم فإن لها طرائق أو أنها تزينها كما تزين الموشى
طرائق الوشي جمع حبيكة كطريقة وطرق أو حباك كمثال ومثل وقرئ الحبك
بالسكون والحبك كالإبل والحبك كالسلك والحبك كالجبل والحبك كالنعم
والحبك كالبرق إنكم لفي قول مختلف في الرسول وهو قولهم تارة إنه شاعر
وتارة إنه ساحر وتارة إنه مجنون أو في القرآن أو القيامة أو أمر الديانة ولعل
النكتة في هذا القسم تشبيه أقوالهم في اختلافها وتنافي أغراضها بالطرائق
للسموات في تباعدها واختلاف غاياتها يؤفك عنه من أفك يصرف عنه
الضمير للرسول أو للقرآن أو الإيمان من صرف إذ لا صرف أشد منه فكأنه لا صرف
بالنسبة إليه أو يصرف من صرف في علم الله وقضائه ويجوز أن يكون الضمير للقول على
معنى يصدر إفك من أفك عن القول المختلف وسببه كقوله ينهون عن أكل وعن
شرب أي يصدر تناهيهم عنهما وسببهما وقرئ أفك بالفتح أي من أفك الناس

وهم قريش كانوا يصدّون الناس عن الايمان قتل الخراصون الكذابون من اصحاب
القول المختلف واصله الدعا بالقتل اجري مجري اللعن الذين هم في غمرة في جهل
يغمرهم ساهون غافلون عما امروا به يسالون ايان يوم الدين اي فيقولون
متى يوم الجزا اي وقوعه وقري ايان بالكسر يوم هم على النار يفتنون يحرقون
جواب للسوال اي يقع يوم هم على النار يفتنون او هو يوم هم على النار يفتنون
وفتح يوم لاضافته الى غير متمكن ويدل عليه انه قري بالرفع ذوقوا فتنتكم اي
مقولا لهم هذا القول هذا الذي كنتم به تستعجلون هذا العذاب هو الذي
كنتم به تستعجلون ويجوز ان يكون هذا بدلا من فتنتكم ان المتقين في جنات
وعيون اخذين ما اتاهم ربهم قابلين لما اعطاهم راضين به ومعناه ان
كل ما اتاهم حسن مرضي متلقى بالقبول انهم كانوا قبل ذلك محسنين قد احسنوا
اعمالهم وهو تعليل لاستحقاقهم ذلك كانوا قليلا من الليل ما يهجعون تفسير
احسانهم وما مزيدة اي يهجعون في طايفة من الليل اي يهجعون هجوعا قليلا
او مصدرية او موصولة اي في قليل من الليل هجوعهم او ما يهجعون فيه ولا يجوز
ان تكون نافية لان ما بعدها لا يعمل فيما قبلها وفيه مبالغات لتقليل نومهم
واستراحتهم ذكر القليل والليل هو وقت السبات والهجوع الذي هو الغرار من النوم
وزيادة ما وبالاسحار هم يستغفرون اي انهم مع قلة هجوعهم وكثرة تهجدهم
اذا اسحروا اخذوا في الاستغفار كانهم اسلفوا في ليلهم الجرايم وفي بنا الفعل
على الضمير اشعار بانهم احقا بذلك لوفور علمهم بالله وخشيتهم منه وفي اموالهم
حق نصيب يستوجبونه على انفسهم تقربا الى الله واشفاقا على الناس للسايل
والمحروم للمستجدي والمتعفف الذي يظن غنيا فيحرم الصدقة وفي الارض ايات
للموقنين من انواع المعادن والحيوان او وجوه دلالات من الدحو والسكون
وارتفاع بعضها في الما واختلاف اجزايها في الكيفيات والخواص والمنافع
تدل على وجود الصانع وعلمه وقدرته وارادته ووحدته وفرط رحمته وفي
انفسكم اي وفي انفسكم ايات اذ ما في العالم شي الا وفي الانسان له نظير
يدل دلالته مع ما انفرد به من الهيات النافعة والمناظر البهية والتركيبات
العجيبة والتمكن من الافعال الغريبة واستنباط الصنايع المختلفة واستجماع
الكمالات المتنوعة افلا تبصرون تنظرون نظر من يعتبر وفي السما رزقكم اسباب
رزقكم او تقديره وقيل المراد بالسما السحاب وبالرزق المطر فانه سبب
الاقوات وما توعدون من الثواب لان الجنة فوق السما السابعة او لان

الاعمال وثوابها مكتوبة مقدرة في السما وقيل انه مستانف خبره فورب السما
والارض انه لحق وعلى هذا فالضمير لما وعلى الاول يحتمل له ولما ذكر من امر الايات
والرزق والوعيد مثل ما انكم تنطقون اي مثل نطقكم كما انه لا شك لكم في انكم
تنطقون ينبغي ان لا تشكوا في تحقق ذلك ونصبه على الحال من المستكن في
لحق او الوصف لمصدر محذوف اي انه لحق حقا مثل نطقكم وقيل انه مبني على الفتح
لاضافته الى غير متمكن وهو ما ان كانت بمعنى شي وان بما في حيزه ان جعلت زايدة
ومحله الرفع على انه صفة لحق ويويده قراة حمزة والكسايي وابي بكر بالرفع هل اتاك
حديث ضيف ابراهيم فيه تفخيم لشان الحديث وتنبيه على انه اوحي اليه والضيف
في الاصل مصدر ولذلك يطلق للواحد والمتعدد قيل كانوا اثني عشر ملكا وقيل
ثلثة جبريل وميكاييل واسرافيل وسماهم ضيفا لانهم كانوا في صورة الضيف
المكرمين اي مكرمين عند الله او عند ابراهيم اذ خدمهم بنفسه وزوجته اذ
دخلوا عليه ظرف للحديث او الضيف او المكرمين فقالوا سلاما اي
نسلم عليكم سلاما قال سلام اي عليكم سلام عدل به الى الرفع بالابتداء
لقصد الثبات حتى يكون تحيته احسن من تحيتهم وقري بالنصب وقرا حمزة
والكسايي قال سلم وقري منصوبا والمعنى واحد قوم منكرون اي انتم قوم
وانما انكرهم لانه ظن انهم بنو ادم ولم يعرفهم او لان السلام لم يكن تحيتهم
فانه علم الاسلام وهو كالتعرف عنهم فراغ الى اهله فذهب اليهم في خفية
من ضيفه فان من ادب المضيف ان يباده بالقرى حذرا من ان يكفه الضيف
او يصير منتظرا فجا بعجل سمين لانه كان عامة ماله البقر فقربه اليهم بان
وضعه بين ايديهم قال الا تاكلون اي منه وهو مشعر بكونه حنيذا والهمزة
فيه للعرض والحث على الاكل على طريقة الادب ان قاله اول ما وضع وللانكار
ان قاله حيث ما راى اعراضهم فاوجس منهم خيفة فاضمر منهم خوفا لما
راى اعراضهم عن طعامه لظنه انهم جاوه لشر وقيل وقع في نفسه انهم ملايكة
ارسلوا للعذاب قالوا لا تخف انا رسل الله قيل مسح جبريل العجل بجناحه
فقام يدرج حتى لحق بامه فعرفهم وامن منهم وبشروه بغلام هو اسحاق
عليم يكمل علمه اذا بلغ فاقبلت امراته سارة الى بيتها وكانت في زاوية
تنظر اليهم في صرة في صيحة من الصرير ومحله النصب على الحال او المفعول
ان اول فاقبلت باخذت فصكت وجهها فلطمت باطراف الاصابع جبهتها
فعل المتعجب وقيل وجدت حرارة دم الحيض فلطمت وجهها من الحيا وقالت عجوز

عقيم اي انا عجوز عاقر فكيف الد قالوا كذلك مثل ذلك الذي بشرنا به قال
ربك وانما نخبرك به عنه انه هو الحكيم العليم فيكون قوله حقا وفعله محكما قال فما
خطبكم ايها المرسلون لما علم انهم ملائكة وانهم لا ينزلون مجتمعين الا
لامر عظيم سال عنه قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين يعنون قوم لوط لنرسل
عليهم حجارة من طين يريد السجيل فانه طين متحجر مسومة مرسلة من اسمت الماشية
او معلمة من السومة وهي العلامة عند ربك للمسرفين المجاوزين الحد في الفجور
فاخرجنا من كان فيها في قرى قوم لوط واضمارها ولم يجر ذكرها لكونها
معلومة من المؤمنين ممن امن بلوط فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين
غير اهل بيت من المسلمين واستدل به على اتحاد الايمان والاسلام وهو ضعيف
لان ذلك لا يقتضي الا صدق المؤمن والمسلم على من اتبعه وذلك لا يقتضي
اتحاد مفهوميهما لجواز صدق المفهومات المختلفة على ذات واحد وتركنا
فيها اية علامة للذين يخافون العذاب الاليم فانهم المعتبرون بها
وهي تلك الاحجار او صخر منضود فيها او ماء اسود منتن وفي موسى عطف
على وفي الارض او وتركنا فيها على معنى وجعلنا في موسى كقوله علفتها تبنا وماء
باردا اذ ارسلناه الى فرعون بسلطان مبين هو معجزاته كاليد والعصا
فتولى بركنه فاعرض عن الايمان كقوله ونأى بجانبه او فتولى بما كان
يتقوى به من جنوده وهو اسم لما يركن اليه الشيء ويتقوى به وقرئ بضم الكاف
وقال ساحر اي هو ساحر او مجنون كانه جعل ما ظهر عليه من الخوارق
منسوبا الى الجن وتردد في انه حصل ذلك باختياره وسعيه او بغيرهما
فاخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم فاغرقناهم في البحر وهو مليم آت
بما يلام عليه من الكفر والعناد والجملة حال من الضمير في فاخذناه وفي عاد
اذ ارسلنا عليهم الريح العقيم سماها عقيما لانها اهلكتهم وقطعت دابرهم
او لانها لم يتضمن منفعة وهي الدبور او الجنوب او النكباء ما تذر من شيء اتت
عليه الا جعلته كالرميم كالرماد من الرم وهو البلى والتفتت وفي
ثمود اذ قيل لهم تمتعوا حتى حين تفسيره قوله تمتعوا في داركم ثلثة ايام فعتوا
عن امر ربهم فاستكبروا عن امتثاله فاخذتهم الصاعقة اي العذاب بعد
الثلاث وقرا الكسائي الصعقة وهي المرة من الصعق وهم ينظرون اليها فانها
جاءتهم معاينة بالنهار فما استطاعوا من قيام كقوله فاصبحوا في ديارهم جاثمين
وقيل هو من قولهم ما يقوم به اذا عجز عن دفعه وما كانوا منتصرين ممتنعين

منه

منه وقوم نوح اي واهلكنا قوم نوح لان ما قبله يدل عليه او اذكر ويجوز ان
يكون عطفا على محل وفي عاد ويؤيده قراءة ابي عمرو وحمزة والكسائي بالجر من
قبل هؤلاء المذكورين انهم كانوا قوما فاسقين خارجين عن الاستقامة
بالكفر والعصيان والسماء بنيناها بايد بقوة وانا لموسعون لقادرون من
الوسع وهو الطاقة والموسع القادر على الانفاق او لموسعون السماء او ما بينها
وبين الارض او الرزق والارض فرشناها مهدناها لتستقروا عليها فنعم
الماهدون اي نحن ومن كل شيء من الاجناس خلقنا زوجين نوعين لعلكم
تذكرون فتعلموا ان التعدد من خواص الممكنات وان الواجب بالذات لا
يقبل التعدد والانقسام ففروا الى الله من عقابه بالايمان والتوحيد وملازمة
الطاعة اني لكم منه اي من عذابه المعد لمن اشرك او عصى نذير مبين بين
كونه منذرا من الله بالمعجزات او مبين ما يجب ان يحذر عنه ولا تجعلوا مع الله
الها اخر افراد لاعظم ما يجب ان يفر منه اني لكم منه نذير مبين تكرير للتاكيد
او الاول مرتب على ترك الايمان والطاعة والثاني على الاشراك كذلك اي الامر
مثل ذلك والاشارة الى تكذيبهم الرسول وتسميتهم اياه ساحرا ومجنونا وقوله
ما اتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر او مجنون كالتفسير
له ولا يجوز نصبه باتى او ما يفسره لان ما بعد ما النافية لا يعمل فيما قبلها
اتواصوا به اي كان الاولين والاخرين منهم اوصى بعضهم بعضا بهذا
القول حتى قالوه جميعا بل هم قوم طاغون اضراب عن ان التواصي جامعهم
لتباعد ايامهم الى ان الجامع لهم على هذا القول مشاركتهم في الطغيان
الحامل عليه فتول عنهم فاعرض عن مجادلتهم بعدما كررت عليهم الدعوة فابوا
الا الاصرار والعناد فما انت بملوم على الاعراض بعدما بذلت جهدك
في البلاغ وذكر ولا تدع التذكير والموعظة فان الذكرى تنفع المؤمنين
من قدر الله ايمانه او من امن فانه يزداد بها بصيرة وما خلقت الجن والانس الا
ليعبدون لما خلقهم على صورة متوجهة الى العبادة مغلبة لها جعل خلقهم
مغيا بها مبالغة في ذلك ولو حمل على ظاهره مع ان الدليل يمنعه لنافى
ظاهر قوله ولقد ذرانا لجهنم كثيرا من الجن والانس وقيل معناه الا لامرهم
بالعبادة او ليكونوا عبادا لي ما اريد منهم من رزق وما اريد ان يطعمون
اي ما اريد ان اصرفكم في تحصيل رزقي فاشتغلوا بما انتم كالمخلوقين له والمامورين
به والمراد ان يبين ان شانه مع عباده ليس شان السادة مع عبيدهم فانهم

انما يملكونهم ليستعينوا بهم في تحصيل معايشهم ويحتمل ان يقدر بقل فيكون بمعنى
قوله قل لا اسألكم عليه اجرا ان الله هو الرزاق الذي يرزق كل ما يفتقر الى
الرزق وفيه ايماء باستغنائه عنه وقرئ اني انا الرزاق ذو القوة المتين
شديد القوة وقرئ المتين بالجر صفة للقوة فان للذين ظلموا ذنوبا اي للذين
ظلموا رسول الله بالتكذيب نصيبا من العذاب مثل ذنوب اصحابهم مثل نصيب
نظرائهم من الامم السالفة وهو ماخوذ من مقاسمة الماء بالدلاء فان الذنوب
هو الدلو العظيم المملوء فلا يستعجلون جواب لقولهم متى هذا الوعد ان كنتم
صادقين فويل للذين كفروا من يومهم الذي يوعدون من يوم القيمة او يوم بدر
عن النبي عليه السلام من قرأ سورة والذاريات اعطاه الله عشر حسنات بعدد كل ريح هبت وجرت في الدنيا

بسم الله الرحمن الرحيم والطور يريد طور سينين وهو جبل بمدين
سمع موسى فيه كلام الله والطور الجبل بالسريانية او ما طار من اوج الايجاد
الى حضيض المواد او من عالم الغيب الى عالم الشهادة وكتاب مسطور مكتوب
والسطر ترتيب الحروف المكتوبة والمراد به القران او ما كتبه الله في اللوح المحفوظ
او الواح موسى او في قلوب اوليائه من المعارف او ما تكتبه الحفظة في رق منشور
الرق الجلد الذي يكتب فيه استعير لما كتب فيه الكتاب وتنكيرهما للتعظيم والاشعار
بانهما ليسا من المتعارف فيما بين الناس والبيت المعمور يعني الكعبة وعمارتها
بالحجاج والمجاورين او الضراح وهو في السماء الرابعة وعمرانه كثرة غاشيته
من الملائكة او قلب المؤمن وعمارته بالمعرفة والاخلاص والسقف المرفوع
يعني السماء والبحر المسجور اي المملوء وهو المحيط او الموقد من قوله واذا البحار
سجرت روي ان الله عز وجل يجعل يوم القيمة البحار نارا يسجر بها جهنم او المختلط
من السجير وهو الخليط ان عذاب ربك لواقع لنازل ما له من دافع
يدفعه ووجه دلالة هذه الامور المقسم بها على ذلك انها امور تدل على
كمال قدرة الله وحكمته وصدق اخباره وضبط اعمال العباد للمجازاة يوم تمور
السماء مورا تضطرب والمور تردد في المجيء والذهاب وقيل تحرك في تموج
ويوم ظرف وتسير الجبال سيرا اي تسير عن وجه الارض فتصير هباء فويل
يومئذ للمكذبين اي اذا وقع ذلك فويل لهم الذين هم في خوض يلعبون
اي في الخوض في الباطل يوم يدعون الى نار جهنم دعا يدفعون اليها عنفا

وذلك

وذلك بان تغل ايديهم الى اعناقهم وتجمع نواصيهم الى اقدامهم فيدفعون
الى النار وقرئ يدعون من الدعاء فيكون دعا حالا بمعنى مدعوعين ويوم بدل
من يوم تمور او ظرف لقول مقدر محكيه هذه النار التي كنتم بها تكذبون
اي يقال لهم ذلك افسحر هذا اي كنتم تقولون للوحي هذا سحر افهذا المصداق
ايضا سحر وتقديم الخبر لانه المقصود بالانكار والتوبيخ ام انتم لا تبصرون
هذا ايضا كما كنتم لا تبصرون في الدنيا ما يدل عليه وهو تقريع وتهكم ام سدت ابصاركم
كما سدت في الدنيا على زعمكم حين قلتم انما سكرت ابصارنا اصلوها فاصبروا
او لا تصبروا اي ادخلوها على اي وجه شئتم من الصبر وعدمه فانه لا محيص
لكم عنها سواء عليكم اي الامران الصبر وعدمه انما تجزون ما كنتم تعملون
تعليل للاستواء فانه لما كان الجزاء واجب الوقوع كان الصبر وعدمه سيان
في عدم النفع ان المتقين في جنات ونعيم في اية جنات واي نعيم او في جنات
ونعيم مخصوصة بهم فاكهين ناعمين متلذذين بما اتاهم ربهم وقرئ فكهين
وفاكهون على انه الخبر والظرف لغو ووقاهم ربهم عذاب الجحيم عطف على
اتاهم ان جعل ما مصدرية او في جنات او حال باضمار قد من المستكن في الظرف
او الحال او من فاعل اتى او مفعوله او منهما كلوا واشربوا هنيئا اي اكلا وشربا
هنيئا او طعاما وشرابا هنيئا وهو الذي لا تنغيص فيه بما كنتم تعملون بسببه
او بدله وقيل الباء زائدة وما فاعل هنيئا والمعنى هنأكم ما كنتم تعملون اي جزاؤه
متكئين على سرر مصفوفة مصطفة وزوجناهم بحور عين الباء لما في
التزويج من معنى الوصل والالصاق او للسببية اذ المعنى صيرناهم ازواجا
بسببهن او لما في التزويج من معنى الالصاق والقرن ولذلك عطف والذين
امنوا على حور اي قرناهم بازواج حور ورفقاء مؤمنين وقيل انه مبتدأ خبره الحقنا
بهم لقوله واتبعتهم ذريتهم بايمان اعتراض للتعليل وقرأ ابن عامر ويعقوب
ذرياتهم للمبالغة في كثرتهم والتصريح فان الذرية تقع على الواحد والكثير
وقرأ ابو عمرو واتبعناهم ذرياتهم اي وجعلناهم تابعين لهم في الايمان وقيل
بايمان حال من الضمير او الذرية او منهما وتنكيره للتعظيم والاشعار بانه يكفي
للالحاق المتابعة في اصل الايمان الحقنا بهم ذريتهم في دخول الجنة او الدرجة
لما روي انه عليه السلام قال ان الله يرفع ذرية المؤمن في درجته وان كانوا
دونه لتقر بهم عينه ثم تلا هذه الاية وقرأ ابن عامر والبصريان ذرياتهم وما التناهم
وما نقصناهم من عملهم من شيء بهذا الالحاق فانه كما يحتمل ان يكون بنقص مرتبة

الاباء او بلعطا الابنا بعض مثوبا بهم يحتمل ان يكون بالتفضل عليهم وهو اللايق لكمال لطفه وقرا ابن كثير بكسر اللام من الت يالت وعنه لتناهم من لات يليت وآلتناهم من آلت يولت وولتناهم من ولت يلت ومعنى الكل واحد كل امرئ بما كسب رهين بعمله مرهون عند الله فان عمل صالحا فكها والا اهلكها وامددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون اي وزدناهم وقتا بعد وقت ما يشتهون من انواع النعم يتنازعون فيها يتعاطون هم وجلساؤهم بتجاذب كاسا خمرا سماها باسم محلها ولذلك انث الضمير في قوله لا لغو فيها ولا تاثيم اي لا يتكلمون بلغو الحديث في اثناء شربها ولا يفعلون ما يوثم به فاعله كما هو عادة الشاربين في الدنيا وذلك مثل قوله لا فيها غول وقراهما ابن كثير والبصريان بالفتح ويطوف عليهم اي بالكاس غلمان لهم اي مماليك مخصوص بهم وقيل هم اولادهم الذين سبقوهم كانهم لؤلؤ مكنون مصون في الصدف من بياضهم وصفائهم وعنه عليه السلام والذي نفسي بيده ان فضل المخدوم على الخادم كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب واقبل بعضهم على بعض يتساءلون يسال بعضهم بعضا عن احواله واعماله قالوا انا كنا قبل في اهلنا مشفقين خايفين من عصيان الله معتنين بطاعته او وجلين من العاقبة فمن الله علينا بالرحمة والتوفيق ووقانا عذاب السموم عذاب النار النافذة في المسام نفوذ السموم وقرئ ووقانا بالتشديد انا كنا من قبل من قبل ذلك في الدنيا ندعوه نعبده او نساله الوقاية انه هو البر المحسن وقرا نافع والكسائي بالفتح الرحيم الكثير الرحمة فذكر فاثبت على التذكير ولا تكترث بقولهم فما انت بنعمة ربك بحمد الله وانعامه بكاهن ولا مجنون كما يقولون ام يقولون شاعر نتربص به ريب المنون ما تقلق النفوس من حوادث الدهر وقيل المنون الموت فعول من منه اذا قطعه قل تربصوا فاني معكم من المتربصين اتربص هلاككم كما تتربصون هلاكي ام تامرهم احلامهم عقولهم بهذا بهذا التناقض في القول فان الكاهن يكون ذا فطنة ودقة نظر والمجنون مغطى عقله والشاعر يكون ذا كلام موزون متسق مخيل ولا يتاتى ذلك من المجنون وامر الاحلام به مجاز عن اداءها اليه ام هم قوم طاغون مجاوزون الحد في العناد وقرئ بل هم ام يقولون تقوله اختلقه من تلقاء نفسه بل لا يؤمنون فيرمون بهذه المطاعن لكفرهم وعنادهم فلياتوا بحديث مثله مثل القران ان كانوا صادقين في زعمهم اذ فيهم كثير ممن عدوا فهو رد للاقوال المذكورة بالتحدي ويجوز ان يكون ردا للتقول

سخاه

من صه

فان سائر الاقسام ظاهر الفساد ام خلقوا من غير شيء ام احدثوا وقدروا من غير محدث ومقدر ولذلك لا يعبدونه او من اجل لا شيء من عبادة ومجازاة ام هم الخالقون يؤيد الاول فان معناه ام خلقوا انفسهم ولذلك عقبه بقوله ام خلقوا السموات والارض وام في هذه الآيات منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار بل لا يوقنون اذا سئلوا من خلقكم ومن خلق السموات والارض قالوا الله اذ لو ايقنوا ذلك لما اعرضوا عن عبادته ام عندهم خزائن ربك خزائن رزقه حتى يرزقوا النبوة من شاءوا او خزائن علمه حتى يختاروا لها من اختاره حكمته ام هم المسيطرون الغالبون على الاشياء يدبرونها كيف شاءوا ام لهم سلم مرتقى الى السماء يستمعون فيه صاعدين فيه الى كلام الملائكة وما يوحى اليهم من علم الغيب حتى يعلموا ما هو كائن فليات مستمعهم بسلطان مبين بحجة واضحة تصدق استماعه ام له البنات ولكم البنون فيه تسفيه لهم واشعار بان من هذا رايه لا يعد من العقلاء فضلا ان يترقى بروحه الى عالم الملكوت فيطلع على الغيوب ام تسالهم اجرا على تبليغ الرسالة فهم من مغرم من التزام غرم مثقلون محملون الثقل فلذلك زهدوا في اتباعك ام عندهم الغيب اللوح المحفوظ المثبت فيه المغيبات فهم يكتبون منه ام يريدون كيدا وهو كيدهم في دار الندوة برسول الله فالذين كفروا يحتمل العموم والخصوص فيكون وضعه موضع الضمير للتسجيل على كفرهم والدلالة على انه الموجب للحكم المذكور هم المكيدون هم الذين يحيق بهم الكيد او يعود عليهم وبال كيدهم وهو قتلهم يوم بدر او المغلوبون في الكيد من كايدته فكدته ام لهم اله غير الله يعينهم ويحرسهم من عذابه سبحان الله عما يشركون عن اشراكهم او شركة ما يشركون به وان يروا كسفا من السماء ساقطا يقولوا من فرط طغيانهم وعنادهم سحاب مركوم هذا سحاب تراكم بعضها على بعض وهو جواب قولهم فاسقط علينا كسفا من السماء فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون وهو عند النفخة الاولى وقرئ يلقوا وقرا ابن عامر وعاصم يصعقون على المبني للمفعول من صعقه او اصعقه يوم لا يغني عنهم كيدهم شيئا اي شيئا من الاغناء في رد العذاب ولا هم ينصرون يمنعون من عذاب الله وان للذين ظلموا يحتمل العموم والخصوص عذابا دون ذلك اي دون عذاب الآخرة وهو عذاب القبر او المواخذة في الدنيا كقتلهم ببدر والقحط سبع ولكن اكثرهم لا يعلمون ذلك واصبر لحكم ربك بامهالهم وابقائك في عنائهم فانك باعيننا في حفظنا بحيث نراك ونكلاك وجمع العين لجمع الضمير والمبالغة بكثرة اسباب الحفظ

وسبح بحمد ربك حين تقوم من اي مكان قمت او من منامك او الى الصلاة
ومن الليل فسبحه فان العبادة فيه اشق على النفس وابعد عن الريا ولذلك
قدمه على الفعل وادبار النجوم واذا ادبرت النجوم من اخر الليل وقرئ بالفتح اي في
اعقابها اذا غربت او خفيت عنه عليه السلام من قرا سورة الطور كان حقا على الله ان يؤمنه من عذابه وان ينعمه في جنته

بسم الله الرحمن الرحيم والنجم اذا هوى اقسم بجنس النجوم والثريا
فانه غلب فيه اذا غرب او انتثر يوم القيمة او انقض وطلع فانه يقال هوى هويا
بالفتح اذا سقط وهويا بالضم اذا علا وصعد او بالنجم من نجوم القران اذا انزل
او النبات اذا سقط على الارض اذا نما وارتفع على قوله ما ضل صاحبكم ما عدل
محمد عليه الصلاة والسلام عن الطريق المستقيم والخطاب لقريش وما غوى
وما اعتقد باطلا والمراد نفي ما ينسبون اليه وما ينطق عن الهوى وما يصدر
نطقه بالقران عن الهوى ان هو ما القران او الذي ينطق به الا وحي يوحى اي
الا وحي يوحيه الله اليه واحتج به من لم ير الاجتهاد له واجيب عنه بانه اذا اوحي
اليه بان يجتهد كان اجتهاده وما يستند اليه وحيا وفيه نظر لان ذلك حينئذ
بالوحي لا الوحي علمه شديد القوى ملك شديد قواه وهو جبريل فانه الواسطة
في ابدا الخوارق روي انه قلع قرى قوم لوط ورفعها الى السما ثم قلبها وصاح
صيحة بثمود فاصبحوا جاثمين ذو مرة حصافة في عقله ورايه فاستوى فاستقام
على صورته الحقيقية التي خلقه الله عليها قيل ما راه احد من الانبيا في صورته
غير محمد عليه الصلوة والسلام مرتين مرة في السما ومرة في الارض وقيل استوى
بقوته على ما جعل له من الامر وهو بالافق الاعلى افق السما والضمير لجبريل
ثم دنى من النبي صلى الله عليه وسلم فتدلى متعلق به وهو تمثيل لعروجه بالرسول
وقيل ثم تدلى من الافق الاعلى فدنى من الرسول فيكون اشعارا بانه عرج به
غير منفصل عن محله وتقريرا لشدة قوته فان التدلي استرسال مع تعلق
كتدلي الثمرة ويقال دلى رجله من السرير وادلى دلوه والدوالي الثمر المعلق
فكان جبريل كقولك هو مني معقد الازار او المسافة بينهما قاب قوسين
مقدارهما او ادنى على تقديركم كقوله او يزيدون والمقصود تمثيل ملكة
الاتصال وتحقيق استماعه لما اوحي اليه بنفي البعد الملبس فاوحى جبريل الى
عبده عبد الله واضماره قبل الذكر لكونه معلوما كقوله على ظهرها ما اوحى جبريل

وفيه تفخيم للموحى به او الله اليه وقيل الضماير كلها لله تعالى وهو المعني بشديد
القوى كما في قوله هو الرزاق ذو القوة المتين ودنوه منه برفع مكانته وتدليه
جذبه بشراشره الى جناب القدس ما كذب الفؤاد ما راى ما راى ببصره من صورة
جبريل او الله تعالى اي ما كذب بصره بما حكاه له فان الامور القدسية تدرك
اولا بالقلب ثم تنتقل منه الى البصر او ما قال فؤاده لما راه لم اعرفك ولو قال
ذلك كان كاذبا لانه عرفه بقلبه كما راه ببصره او ما راه بقلبه والمعنى لم يكن تخيلا
كاذبا ويدل عليه انه عليه الصلوة والسلام سيل هل رايت ربك فقال رايته
بفؤادي وقرئ ما كذب اي صدقه ولم يشك فيه افتمارونه على ما يرى
افتجادلونه عليه من المرا وهو المجادلة واشتقاقه من مري الناقة فان كلا
من المتجادلين يمري ما عند صاحبه وقرا حمزة والكسائي وخلف ويعقوب
افتمرونه اي افتغلبونه في المراء من ماريته فمريته او افتجحدونه من مراه حقه
اذا جحده وعلى لتضمن الفعل معنى الغلبة فان المماري والجاحد يقصدان بفعلهما
غلبة الخصم ولقد راه نزلة اخرى مرة اخرى فعلة من النزول اقيمت مقام
المرة ونصبت نصبها اشعارا بان الرؤية في هذه المرة كانت ايضا بنزول ودنو
والكلام في المرئي والدنو ما سبق وقيل تقديره ولقد راه نازلا نزلة
اخرى ونصبها على المصدر والمراد به نفي الريبة على المرة الاخيرة عند سدرة
المنتهى التي ينتهي اليها علم الخلايق واعمالهم او ما ينزل من فوقها ويصعد
من تحتها ولعلها شبهت بالسدرة وهي شجرة النبق لانهم يجتمعون في ظلها
وروي مرفوعا انها في السما السابعة عندها جنة الماوى الجنة التي
ياوي اليها المتقون او ارواح الشهدا اذ يغشى السدرة ما يغشى تعظيم وتكثير لما
يغشيها بحيث لا يكتنهها نعت ولا يحصيها عد وقيل يغشاها الجم الغفير من الملا يكة
يعبدون الله عندها ما زاغ البصر ما مال بصر رسول الله صلى الله عليه
وسلم عما راه وما طغى وما تجاوزه بل اثبته اثباتا صحيحا مستيقنا او ما
عدل عن رؤية العجايب التي امر برؤيتها وما جاوزها لقد راى من ايات
ربه الكبرى اي والله لقد راى الكبرى من اياته وعجايبه الملكية والملكوتية
ليلة المعراج وقد قيل انها المعنية بما راى ويجوز ان تكون الكبرى صفة للايات
على ان المفعول محذوف اي شيا من ايات ربه او من مزيده افرايتم اللات
والعزى ومناة الثالثة الاخرى هي اصنام كانت لهم فاللات كانت لثقيف
بالطايف او لقريش بنخلة وهو فعلة من لوى لانهم كانوا يلوون عنها اي يطوفون

وقراءة هبة الله عن البزي ورويس عن يعقوب اللاتّ بالتشديد على انه سمي به لانه صورة
رجل كان يلت السويق بالسمن ويطعم الحاج والعزى سمرة لغطفان كانوا يعبدونها
فبعث اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد فقطعها واصلها تانيث
الاعز ومناة صخرة كانت لهذيل وخزاعة او لثقيف وهي فعلة من مناه اذا قطعه
فانهم كانوا يذبحون عندها القرابين ومنه منى وقرا ابن كثير مناءة وهي مفعلة
من النوء كانهم يستمطرون الانواء عندها تبركا وقوله الثالثة الاخرى صفتان
للتاكيد كقوله يطير بجناحيه او الاخرى من التاخر في الرتبة الكم الذكر
وله الانثى انكار لقولهم الملائكة بنات الله وهذه الاصنام استوطنها جنيات
هي بناته او هياكل الملائكة وهو المفعول الثاني لقوله افرايتم تلك اذا
قسمة ضيزى جائرة حيث جعلتم له ما تستنكفون منه وهي فعلى من الضيز
وهو الجور لكنه كسر فاؤه لتسلم الياء كما فعل في بيض فان فعلى بالكسر لم تات
وصفا وقرا ابن كثير بالهمز من ضازه اذا ظلمه على انه مصدر نعت به ان هي الا
اسماء الضمير للاصنام اي ما هي باعتبار الالوهية الا اسماء تطلقونها عليها لانكم
تقولون انها الهة وليس فيها شيء من معنى الالوهية او للصفة التي تصفونها بها
من كونها الهة وبناتا وشفعاء او للاسماء المذكورة فانهم كانوا يطلقون اللات
عليها باعتبار استحقاقها للعكوف على عبادتها والعزى لعزتها ومناة لاعتقادهم
انها تستحق ان يتقرب اليها بالقرابين سميتموها انتم واباؤكم سميتم بها
بهواكم ما انزل الله بها من سلطان برهان تتعلقون به ان يتبعون الا
الظن الا توهم ان ما هم عليه حق تقليدا وتوهما باطلا وما تهوى الانفس
وما تشتهيه انفسهم ولقد جاءهم من ربهم الهدى الرسول او الكتاب فتركوه
ام للانسان ما تمنى ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار والمعنى ليس له كل ما
يتمناه والمراد نفي طمعهم في شفاعة الالهة وقوله ولئن رجعت الى ربي ان لي
عنده للحسنى وقولهم لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم ونحوها
فلله الاخرة والاولى يعطي منهما ما يشاء لمن يريد وليس لاحد ان يتحكم عليه في شيء منهما
وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئا وكثير من الملائكة لا تغني
شيئا ولا تنفع الا من بعد ان ياذن الله في الشفاعة لمن يشاء من الملائكة
ان يشفع او من الناس ان يشفع له ويرضى ويراه اهلا لذلك فكيف تشفع الاصنام
لعبدتهم ان الذين لا يؤمنون بالاخرة ليسمون الملائكة اي كل واحد
منهم تسمية الانثى بان سموه بنتا وما لهم به من علم اي بما يقولون وقرئ

بها اي بالملائكة او التسمية ان يتبعون الا الظن وان الظن لا يغني من الحق
شيئا فان الحق الذي هو حقيقة الشيء لا يدرك الا بالعلم والظن لا اعتبار له في
المعارف الحقيقية وانما العبرة به في العمليات وما يكون وصلة اليها فاعرض
عن من تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحيوة الدنيا فاعرض عن دعوته والاهتمام
بشانه فان من غفل عن الله واعرض عن ذكره وانهمك في الدنيا بحيث كانت منتهى
همته ومبلغ علمه لا تزيده الدعوة الا عنادا واصرارا على الباطل ذلك اي امر
الدنيا او كونها شهية مبلغهم من العلم لا يتجاوزه علمهم والجملة اعتراض مقرر
لقصور هممهم بالدنيا وقوله ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بمن اهتدى
تعليل للامر بالاعراض اي انما يعلم الله من يجيب ممن لا يجيب فلا تتعب نفسك
في دعوتهم اذ ما عليك الا البلاغ وقد بلغت ولله ما في السموات وما في الارض
خلقا وملكا ليجزي الذين اساؤا بما عملوا بعقاب ما عملوا من السوء او بمثله
او بسبب ما عملوا من السوء وهو علة لما دل عليه ما قبله اي خلق العالم وسواه
للجزاء او ميز الضال عن المهتدي وحفظ احوالهم لذلك ويجزي الذين احسنوا
بالحسنى بالمثوبة الحسنى وهي الجنة او باحسن من اعمالهم او بسبب الاعمال الحسنى
الذين يجتنبون كبائر الاثم ما يكبر عقابه من الذنوب وهو ما رتب الوعيد عليه
بخصوصه وقيل ما اوجب الحد وقرا حمزة والكسائي كبير الاثم على ارادة الجنس
او الشرك والفواحش ما فحش من الكبائر خصوصا الا اللمم الا ما قل وصغر
فانه مغفور من مجتنبي الكبائر والاستثناء منقطع ومحل الذين النصب على الصفة
او المدح او الرفع على انه خبر محذوف ان ربك واسع المغفرة حيث يغفر الصغائر
باجتناب الكبائر وله ان يغفر ما شاء من الذنوب صغيرها وكبيرها ولعله
عقب به وعيد المسيئين ووعد المحسنين لئلا ييأس صاحب الكبيرة من رحمته
ولا يتوهم وجوب العقاب على الله هو اعلم بكم اعلم باحوالكم منكم اذ انشاكم
من الارض واذ انتم اجنة في بطون امهاتكم علم احوالكم ومصارف
اموركم حين ابتدا خلقكم من التراب بخلق ادم وحينما صوركم في الارحام
فلا تزكوا انفسكم فلا تثنوا عليها بزكاء العمل وزيادة الخير او بالطهارة
عن المعاصي والرذائل هو اعلم بمن اتقى فانه يعلم التقي وغيره منكم قبل ان يخرجكم
من صلب ادم عليه السلام افرايت الذي تولى عن اتباع الثبات عليه واعطى الحق
قليلا واكدى وقطع العطاء من قولهم اكدى الحافر اذا بلغ الكدية وهي الصخرة
الصلبة فترك الحفر والاكثر على انها نزلت في الوليد بن المغيرة كان يتبع

رسول الله صلى الله عليه وسلم فعيّره بعض المشركين فقال تركت دين الاشياخ
وضللتهم فقال اخشى عذاب الله فضمن ان يتحمل عنه العذاب ان اعطاه بعض ماله
فارتد واعطى بعض المشروط ثم بخل بالباقي اعنده علم الغيب فهو يرى يعلم ان
صاحبه يتحمل عنه ام لم ينبأ بما في صحف موسى وابرهيم الذي وفى وفر واتم
ما التزمه او امر به او بالغ في الوفا بما عاهد الله وتخصيصه بذلك لاحتماله
ما لم يحتمله غيره كالصبر على نار نمرود حتى اتاه جبريل حين يلقى في النار فقال
الك حاجة فقال اما اليك فلا وذبح الولد وانه كان يمشي كل يوم فرسخا يرتاد
ضيفا فان وافقه اكرمه والا نوى الصوم وتقديم موسى لان صحفه وهي التورية
كانت اشهر واكثر عندهم الا تزر وازرة وزر اخرى ان هي المخففة من الثقيلة
وهي بما بعدها في محل الجر بدلا مما في صحف موسى او الرفع على هو ان لا تزر
كانه قيل ما في صحفهما فاجاب به والمعنى انه لا يوخذ احد بذنب غيره ولا يخالف ذلك
قوله تعالى كتبنا على بني اسرائيل انه من قتل نفسا بغير نفس او فساد في الارض فكانما
قتل الناس جميعا وقوله عليه الصلوة والسلام من سن سنة سيئة فله وزرها
ووزر من عمل بها الى يوم القيمة فان ذلك للدلالة والتسبب الذي هو وزره
وان ليس للانسان الا ما سعى وان سعيه سوف يرى الا سعيه اي كما
لا يواخذ احد بذنب الغير لا يثاب بفعله وما جاء في الاخبار من ان الصدقة
والحج ينفعان الميت فلكون الناوي كالنائب عنه ثم يجزيه الجزاء الاوفى
اي يجزى العبد سعيه بالجزاء الاوفر فنصب بنزع الخافض ويجوز ان يكون مصدرا
وان يكون الهاء للجزاء المدلول عليه بيجزى والجزاء بدله وان الى ربك المنتهى
انتهاء الخلائق ورجوعهم وقرئ بالكسر على انه منقطع عما في الصحف وكذلك
ما بعده وانه هو اضحك وابكى وانه هو امات واحيى لا يقدر على الاماتة
والاحياء غيره فان القاتل ينقض البنية والموت يحصل عندها بفعل الله على
سبيل العادة وانه خلق الزوجين الذكر والانثى من نطفة اذا تمنى
تدفق في الرحم وتخلق او يقدر منها الولد من منى اذا قدر وان عليه النشأة
الاخرى الاحياء بعد الموت وفا بوعده وقرا ابن كثير وابو عمرو النشاءة بالمد
وهو ايضا مصدر نشأ وانه هو اغنى واقنى واعطى القنية وهي ما يتأثل من
الاموال وافرادها لانها اشرف الاموال او ارضى وتحقيقه جعل الرضا له قنية
وانه هو رب الشعرى يعني العبور وهي اشد ضياء من الغميصاء عبدها ابو كبشة
احد اجداد الرسول عليه الصلوة والسلام وخالف قريشا في عبادة الاوثان

ولذلك كانوا يسمون الرسول عليه الصلوة والسلام ابن ابي كبشة ولعل تخصيصها
للاشعار بانه صلى الله عليه وسلم وان وافق ابا كبشة في مخالفتهم ايضا في عبادتها
وانه اهلك عادا الاولى القدماء لانهم اولى الامم هلاكا بعد نوح وقيل عادا
الاولى قوم هود وعاد الاخرى ارم وقرئ عادا الاولى بحذف الهمزة ونقل ضمتها
الى لام التعريف وقرا نافع وابو عمرو عادا لولى بضم اللام بحركة الهمزة وبادغام
التنوين في اللام وقالون بعد ضمة اللام بهمزة ساكنة في موضع الواو وثمود
عطف على عادا لان ما بعده لا يعمل فيه وقرا عاصم وحمزة بغير تنوين ويقفان
بغير الالف والباقون بالتنوين ويعقوب بالالف فما ابقى الفريقين وقوم
نوح ايضا معطوف عليه من قبل من قبل عاد وثمود انهم كانوا هم اظلم واطغى
من الفريقين لانهم كانوا يوذونه وينفرون عنه ويضربونه حتى لا يكون به
حراك والموتفكة والقرى التي ائتفكت باهلها اي انقلبت وهي قرى قوم لوط
اهوى بعد ان رفعها فقلبها فغشاها ما غشى تهويل وتعميم لما اصابهم فباي
الاء ربك تتمارى تتشكك والخطاب للرسول او لكل احد والمعدودات
ان كانت نعما وتسميتها آلاء من قبل ما في نقمه من العبر والمواعظ للمعتبرين
والانتقام للانبياء والمومنين هذا نذير من النذر الاولى اي هذا القران
نذير من جنس الانذارات المتقدمة او هذا الرسول نذير من جنس المنذرين
الاولين ازفت الازفة دنت الساعة الموصوفة بالدنو في نحو قوله اقتربت
الساعة ليس لها من دون الله كاشفة ليس لها نفس قادرة على كشفها اذا وقعت
الا الله لكنه لا يكشفها او الان بتاخيرها الا الله او ليس لها كاشفة لوقتها
الا الله اذ لا يطلع عليه سواه او ليس لها من غير الله كشف على انها مصدر كالعافية
افمن هذا الحديث يعني القران تعجبون انكارا وتضحكون استهزاء ولا تبكون
تحزنا على ما فرطتم وانتم سامدون لاهون او مستكبرون من سمد البعير
في مسيره اذا رفع راسه او مغنون لتشغلوا الناس عن استماعه من السمود
وهو الغناء فاسجدوا لله واعبدوا اي واعبدوه دون الالهة عن النبي صلى
الله عليه وسلم من قرا والنجم اعطاه الله عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد وجحد به بمكة

بسم الله الرحمن الرحيم اقتربت الساعة وانشق القمر روي ان
الكفار سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم آية فانشق القمر وقيل معناه سينشق

يوم القيمة ويؤيد الاول انه قرئ وقد انشق القمر اي اقتربت وقد حصل من
ايات اقترابها انشقاق القمر وان يروا اية يعرضوا عن تاملها والايمان بها
ويقولوا سحر مستمر مطرد وهو يدل على انهم راوا قبله ايات اخرى مترادفة
ومعجزات متتابعة حتى قالوا ذلك او محكم من المرة يقال امررته فاستمر اذا
احكمته فاستحكم او مستبشع من استمر اذا اشتدت مرارته او مار ذاهب لا يبقى
وكذبوا واتبعوا اهواءهم وهو ما زين لهم الشيطان من رد الحق بعد ظهوره
وذكرهما بلفظ الماضي للاشعار بانهما من عادتهم القديمة وكل امر مستقر
منته الى غاية من خذلان او نصر في الدنيا وشقاوة او سعادة في الاخرة فان
الشيء اذا انتهى الى غايته ثبت واستقر وقرئ بالفتح اي ذو مستقر بمعنى استقرار
وبالكسر والجر على انه صفة امر وكل معطوف على الساعة ولقد جاءهم في القران
من الانباء انباء القرون الخالية او انباء الاخرة ما فيه مزدجر ازدجار من تعذيب
او وعيد وتاء الافتعال تقلب دالا مع الدال والذال والزاي للتناسب وقرئ مزجر بقلبها
زايا وادغامها حكمة بالغة غايتها لا خلل فيها وهي بدل من ما او خبر لمحذوف
وقرئ بالنصب حالا منها فانها موصولة او مخصوصة بالصفة ويجوز نصب
الحال عنها فما تغن النذر نفي او استفهام انكار اي فاي غناء تغني النذر
وهو جمع نذير بمعنى المنذر او المنذر منه او مصدر بمعنى الانذار فتول عنهم
لعلمك ان الانذار لا يغني فيهم يوم يدع الداع اسرافيل ويجوز ان يكون الدعاء
كالامر في قوله كن فيكون واسقاط الياء اكتفاء بالكسرة للتخفيف وانتصاب يوم
بيخرجون او باضمار اذكر الى شيء نكر فظيع تنكره النفوس لانها لم تعهد مثله وهو
هول يوم القيمة وقرأ ابن كثير نكر بالتخفيف وقرئ نكر بمعنى انكر خشعا
ابصارهم يخرجون من الاجداث اي يخرجون من قبورهم خاشعا ذليلا
ابصارهم من الهول وافراده وتذكيره لان فاعله ظاهر غير حقيقي التانيث
وقرئ خاشعة على الاصل وقرأ ابن كثير وابن عامر ونافع وعاصم خشعا
وانما حسن ذلك ولا يحسن مررت برجال قائمين غلمانهم لانه ليس على صيغة
تشبه الفعل وقرئ خشع ابصارهم على الابتداء والخبر فتكون الجملة حالا
كانهم جراد منتشر في الكثرة والتموج والانتشار في الامكنة مهطعين
الى الداع مسرعين مادي اعناقهم اليه او ناظرين اليه يقول الكافرون
هذا يوم عسر صعب كذبت قبلهم قوم نوح قبل قومك فكذبوا عبدنا
نوحا وهو تفصيل بعد اجمال وقيل معناه كذبوا تكذيبا على عقب تكذيب كلما

خلى منهم قرن مكذب تبعه قرن مكذب او كذبوه بعد ما كذبوا الرسل وقالوا
مجنون هو مجنون وازدجر وزجر عن التبليغ بانواع الزجر وقيل انه من جملة
قيلهم اي هو مجنون وقد ازدجرته الجن وتخبطته فدعا ربه اني باني وقرئ
بالكسر على ارادة القول مغلوب غلبني قومي فانتصر فانتقم لي منهم وذلك بعد ياسه
منهم فقد روي ان الواحد منهم كان يلقاه فيخنقه حتى يخر مغشيا عليه فيفيق
فيقول اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون ففتحنا ابواب السماء بماء منهمر منصب
وهو مبالغة وتمثيل لكثرة الامطار وشدة انصبابها وقرأ ابن عامر ويعقوب
ففتحنا بالتشديد لكثرة الابواب وفجرنا الارض عيونا وجعلنا الارض
كلها كانها عيون متفجرة واصله وفجرنا عيون الارض فغير للمبالغة فالتقى الماء
ماء السماوات وماء الارض وقرئ الماءان لاختلاف النوعين والماوان بقلب الهمزة
واوا على امر قد قدر على حال قدرها الله في الازل من غير تفاوت او على حال
قدرت وسويت وهو ان قدر ما انزل على قدر ما اخرج او على امر قدره الله
وهو هلاك قوم نوح بالطوفان وحملناه على ذات الواح ذات اخشاب
عريضة ودسر ومسامير جمع دسار من الدسر وهو الدفع الشديد وهي صفة
للسفينة اقيمت مقامها من حيث انها شرح لها تؤدي مؤداها تجري باعيننا
بمرأى منا اي محفوظة بحفظنا جزاء لمن كان كفر اي فعلنا ذلك جزاء لنوح لانه
نعمة كفروها فان كل نبي نعمة من الله ورحمة على امته ويجوز ان يكون على حذف
الجار وايصال الفعل الى الضمير وقرئ لمن كفر اي للكافرين ولقد تركناها
اي السفينة او الفعلة اية يعتبر بها اذ شاع خبرها واستمر فهل من مدكر معتبر
وقرئ مذتكر على الاصل ومدكر بقلب التاء ذالا والادغام فيها فكيف كان عذابي
ونذر استفهام تعظيم ووعيد والنذر يحتمل المصدر والجمع ولقد يسرنا القران
سهلناه او هيأناه من يسر ناقته للسفر اذا رحلها للذكر للادكار والاتعاظ
بان صرفنا فيه انواع المواعظ والعبر او للحفظ بالاختصار وعذوبة اللفظ
فهل من مدكر متعظ كذبت عاد فكيف كان عذابي ونذر وانذاري لهم
بالعذاب قبل نزوله او لمن بعدهم في تعذيبهم انا ارسلنا عليهم ريحا صرصرا
باردا شديد الصوت في يوم نحس شؤم مستمر استمر شؤمه او استمر عليهم حتى
اهلكهم او على جميعهم كبيرهم وصغيرهم فلم يبق منهم احد او اشتد مرارته
وكان يوم الاربعاء اخر الشهر تنزع الناس روي انهم دخلوا في الشعاب والحفر
وتمسك بعضهم ببعض فنزعتهم الريح منها وصرعتهم موتى كانهم اعجاز نخل

اصول نخل منقلع عن مغارسه ساقط على الارض وقيل شبهوا بالاعجاز لان
الريح طيرت رؤوسهم وطرحت اجسادهم وتذكير منقعر للحمل على اللفظ
والتانيث في قوله اعجاز نخل خاوية للمعنى فكيف كان عذابي ونذر كرره
للتهويل وقيل الاول لما حاق بهم في الدنيا والثاني لما يحيق بهم في الاخرة كما قال
ايضا في قصتهم لنذيقهم عذاب الخزي في الحيوة الدنيا ولعذاب الاخرة
اخزى ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر كذبت ثمود بالنذر
بالانذارات او المواعظ او الرسل فقالوا ابشرا منا من جنسنا او من جملتنا لا فضل
له علينا وانتصابه بفعل يفسره ما بعده وقرئ بالرفع على الابتداء والاول اوجه
للاستفهام واحدا منفردا لا تبع له او من احادهم دون اشرافهم نتبعه
انا اذا لفي ضلال وسعر جمع سعير كانهم عكسوا عليه فرتبوا على اتباعهم اياه ما
رتبه على ترك اتباعهم له وقيل السعر الجنون ومنه ناقة مسعورة أألقي الذكر
الكتاب والوحي عليه من بيننا وفينا من هو احق منه بذلك بل هو كذاب اشر
حمله بطره على الترفع علينا بادعائه سيعلمون غدا عند نزول العذاب بهم
او يوم القيمة من الكذاب الاشر الذي حمله اشره على الاستكبار عن الحق وطلب
الباطل اصالح ام من كذبه وقرا ابن عامر وحمزة ورويس ستعلمون على الالتفات
او حكاية ما اجابهم به صالح وقرئ الاشر كقولهم حذر في حذر والاشر اي
الابلغ في الشرارة وهو اصل مرفوض كالاخير انا مرسلوا الناقة مخرجوها
وباعثوها فتنة لهم امتحانا لهم فارتقبهم فانتظرهم وتبصر ما يصنعون
واصطبر على اذاهم ونبئهم ان الماء قسمة بينهم مقسوم لها يوم ولهم يوم
وبينهم لتغليب العقلاء كل شرب محتضر يحضره صاحبه في نوبته او يحضر
عنه غيره فنادوا صاحبهم قدار بن سالف احيمر ثمود فتعاطى فعقر فاجترا
على تعاطي قتلها فقتلها او فتعاطى السيف فقتلها والتعاطي تناول الشيء
بتكلف فكيف كان عذابي ونذر انا ارسلنا عليهم صيحة واحدة
صيحة جبريل فكانوا كهشيم المحتظر كالشجر اليابس المتكسر الذي يتخذه من
يعمل الحظيرة لاجلها او كالحشيش اليابس الذي يجمعه صاحب الحظيرة لماشيته
في الشتاء وقرئ بفتح الظاء اي كهشيم الحظيرة او الشجر المتخذ لها ولقد يسرنا القرآن
للذكر فهل من مدكر كذبت قوم لوط بالنذر انا ارسلنا عليهم حاصبا
ريحا تحصبهم بالحجارة اي ترميهم الا آل لوط نجيناهم بسحر في سحر وهو اخر
الليل او مسحرين نعمة من عندنا انعاما منا وهو علة لنجينا كذلك نجزي

من شكر نعمتنا بالايمان والطاعة ولقد انذرهم لوط بطشتنا اخذتنا بالعذاب
فتماروا بالنذر فكذبوا بالنذر متشاكين ولقد راودوه عن ضيفه قصدوا
الفجور بهم فطمسنا اعينهم فمسحناها وسويناها بسائر الوجه روي انهم
لما دخلوا داره عنوة صفقهم جبريل صفقة فاعماهم فذوقوا عذابي ونذر
فقلنا لهم ذوقوا على السنة الملائكة او ظاهر الحال ولقد صبحهم بكرة وقرئ
بكرة غير مصروفة على ان المراد بها اول نهار معين عذاب مستقر يستقر
بهم حتى يسلمهم الى النار فذوقوا عذابي ونذر ولقد يسرنا القرآن
للذكر فهل من مدكر كرر ذلك في كل قصة اشعارا بان تكذيب كل رسول
مقتض لنزول العذاب واستماع كل قصة مستدع للادكار والاتعاظ
واستئنافا للتنبيه والاتعاظ لئلا يغلبهم السهو والغفلة وهكذا تكرير قوله
فباي آلاء ربكما تكذبان وويل يومئذ للمكذبين ونحوهما ولقد جاء آل فرعون
النذر اكتفى بذكرهم عن ذكره للعلم بانه اولى بذلك كذبوا باياتنا كلها
يعني الايات التسع فاخذناهم اخذ عزيز لا يغالب مقتدر لا يعجزه شيء اكفاركم
يا معشر العرب خير من اولئكم الكفار المعدودين قوة وعدة او مكانة ودينا
عند الله ام لكم براءة في الزبر ام انزل لكم في الكتب السماوية ان من كفر
منكم فهو في امان من عذاب الله ام يقولون نحن جميع جماعة امرنا مجتمع
منتصر لا نرام او منتصر من الاعداء لا نغلب او متناصر ينصر بعضنا بعضا والتوحيد
على لفظ الجميع سيهزم الجمع ويولون الدبر اي الادبار وافراده لارادة الجنس او لان
كل احد يولي دبره وقد وقع ذلك يوم بدر وهو من دلائل النبوة وعن عمر
رضي الله عنه انها لما نزلت قال لم اعلم ما هي فلما كان يوم بدر رايت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يلبس الدرع ويقول سيهزم الجمع فعلمته بل الساعة موعدهم
موعد عذابهم الاصلي وما يحيق بهم في الدنيا فمن طلائعه والساعة
ادهى اشد والداهية امر فظيع لا يهتدى لدوائه وامر مذاقا من عذاب الدنيا
ان المجرمين في ضلال عن الحق في الدنيا وسعر ونيران في الاخرة يوم
يسحبون في النار على وجوههم يجرون عليها ذوقوا مس سقر اي يقال
لهم ذوقوا حر النار والمها فان مسها سبب للتالم بها وسقر علم لجهنم ولذلك
لم يصرف من سقرته النار وصقرته اذا لوحته انا كل شيء خلقناه بقدر اي
انا خلقنا كل شيء مقدرا مرتبا على مقتضى الحكمة او مقدرا مكتوبا في اللوح
قبل وقوعه فكل شيء منصوب بفعل يفسره ما بعده وقرئ بالرفع على الابتداء

وعلى هذا فالاولى ان يجعل خلقناه خبرا لا نعتا ليطابق المشهور في الدلالة
على ان كل شيء مخلوق بقدر ولعل اختيار النصب هاهنا مع الاضمار لما فيه من
النصوصية على المقصود وما امرنا الا واحدة الا فعلة واحدة وهو الايجاد
بلا معالجة ومعاناة او الا كلمة واحدة وهو قوله كن كلمح بالبصر في اليسر
والسرعة وقيل معناه معنى قوله وما امر الساعة الا كلمح البصر ولقد اهلكنا
اشياعكم اشباهكم في الكفر من قبلكم فهل من مدكر متعظ وكل شيء فعلوه
في الزبر مكتوب في كتب الحفظة وكل صغير وكبير من الاعمال مستطر
مسطور في اللوح ان المتقين في جنات ونهر انهار واكتفى باسم الجنس
او سعة او ضياء من النهار وقرئ بضم الهاء جمع نهر كاسد واسد في مقعد
صدق في مكان مرضي وقرئ مقاعد صدق عند مليك مقتدر مقربين
عند من تعالى امره في الملك والاقتدار بحيث ابهمه ذوو الافهام عن النبي
صلى الله عليه وسلم من قرا سورة القمر في كل غب بعثه الله يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البد

بسم الله الرحمن الرحيم الرحمن لما كانت السورة مقصورة
على تعداد النعم الدنيوية والاخروية صدرها بالرحمن وقدم ما هو اصل النعم
الدينية واصلها وهو انعامه بالقرآن وتنزيله وتعليمه فانه اساس الدين
ومنشأ الشرع واعظم الوحي واعز الكتب اذ هو باعجازه واشتماله على خلاصتها
مصدق لنفسه ومصداق لها ثم اتبعه قوله خلق الانسان علمه البيان ايماء
بان خلق البشر وما تميز به عن سائر الحيوان من البيان وهو التعبير عما في الضمير
وافهام الغير لما ادركه لتلقي الوحي وتعرف الحق وتعلم الشرع واخلاء الجمل
الثلاث التي هي اخبار مترادفة للرحمن عن العاطف لمجيئها على نهج التعديد الشمس
والقمر بحسبان يجريان بحساب معلوم مقدر في بروجهما ومنازلهما وتتسق
بذلك امور الكائنات وتختلف الفصول والاوقات وتعلم السنون والحساب
والنجم النبات الذي ينجم اي يطلع من الارض ولا ساق له والشجر والذي له
ساق يسجدان ينقادان لله فيما يريد بهما طبعا انقياد الساجدين من المكلفين
طوعا وكان حق النظم في الجملتين ان يقال واجرى الشمس والقمر واسجد النجم
والشجر او الشمس والقمر بحسبانه والنجم والشجر يسجدان له ليطابقا ما قبلهما
وما بعدهما في اتصالهما بالرحمن لكنهما جردتا عما يدل على الاتصال اشعارا

القرآن صح

بان

بان وضوحه يغنيه عن البيان وادخال العاطف بينهما لاشتراكهما في الدلالة
على ان ما يحس به من تغيرات احوال الاجرام العلوية والسفلية بتقديره
وتدبيره والسماء رفعها خلقها مرفوعة محلا ومرتبة فانها منشأ اقضيته
ومتنزل احكامه ومحل ملائكته وقرئ بالرفع على الابتداء ووضع الميزان العدل
بان وفر على كل مستعد مستحقه ووفى كل ذي حق حقه حتى انتظم امر العالم
واستقام كما قال عليه الصلاة والسلام بالعدل قامت السموات والارض
او ما يعرف به مقادير الاشياء من ميزان او مكيال ونحوهما كانه لما وصف السماء
بالرفعة من حيث انها مصدر القضايا والاقدار اراد وصف الارض بما فيها
مما يظهر به التفاوت ويعرف المقدار ويسوى به الحقوق والمواجب ان لا
تطغوا في الميزان لان لا تطغوا فيه اي لا تعتدوا ولا تجاوزوا الانصاف
وقرئ لا تطغوا على ارادة القول واقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان
ولا تنقصوه فان من حقه ان يسوى لانه المقصود من وضعه وتكرير مبالغة
في التوصية به وزيادة حث على استعماله وقرئ ولا تخسروا بفتح التاء وضم
السين وكسرها على ان الاصل ولا تخسروا في الميزان فحذف الجار واوصل
الفعل والارض وضعها خفضها مدحوة للانام للخلق وقيل الانام كل ذي
روح فيها فاكهة ضروب مما يتفكه به والنخل ذات الاكمام اوعية الثمر
جمع كم او كل ما يكم اي يغطى من ليف وسعف وكفرى فانه ينتفع به كالمكموم
كالجذع والحب والتمر ذو العصف كالحنطة والشعير وسائر ما يتغذى
به والعصف ورق النبات اليابس كالتبن والريحان يعني المشموم او الرزق
من قولهم خرجت اطلب ريحان الله وقرأ ابن عامر والحب ذا العصف والريحان
اي وخلق الحب والريحان او اخص ويجوز ان يراد وذا الريحان فحذف
المضاف وقرأ حمزة والكسائي والريحان بالخفض وما عدا ذلك بالرفع وهو فيعلان
من الروح فقلبت الواو ياء وادغم ثم خفف وقيل روحان قلبت واوه ياء فباي الاء
ربكما تكذبان الخطاب للثقلين المدلول عليهما بقوله للانام وقوله ايها الثقلان
خلق الانسان من صلصال كالفخار الصلصال الطين اليابس الذي له
صلصلة والفخار الخزف وقد خلق الله آدم من تراب جعله طينا ثم حمأ مسنونا
ثم صلصالا فلا يخالف ذلك خلقه من تراب ونحوه وخلق الجان الجن
او ابا الجن من مارج من صاف من الدخان من نار بيان لمارج فانه في الاصل
للمضطرب من مرج اذا اضطرب فباي الاء ربكما تكذبان مما افاض عليكما

في اطوار خلقكما حتى صيركما افضل المركبات وخلاصة الكائنات رب المشرقين
ورب المغربين مشرقي الشتاء والصيف ومغربيهما فباي آلاء ربكما تكذبان
مما في ذلك من الفوائد التي لا تحصى كاعتدال الهواء واختلاف الفصول وحدوث
ما يناسب كل فصل فيه الى غير ذلك مرج البحرين ارسلهما من مرجت الدابة
اذا ارسلتها والمعنى ارسل البحر الملح والبحر العذب يلتقيان يتجاوران وتتماس
سطوحهما او بحري فارس والروم يلتقيان في المحيط لانهما خليجان يتشعبان
منه بينهما برزخ حاجز من قدرة الله او من الارض لا يبغيان لا يبغي احدهما
على الاخر بالممازجة وابطال الخاصية او لا يتجاوزان حديهما باغراق ما
بينهما فباي آلاء ربكما تكذبان يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان كبار الدر
وصغاره وقيل المرجان الخرز الاحمر وان صح ان الدر يخرج من الملح فعلى الاول
انما قال منهما لانه يخرج من مجمع الملح والعذب او لانهما لما اجتمعا صارا كالشيء
الواحد فكان المخرج من احدهما كالمخرج منهما وقرا نافع وابو عمرو ويعقوب
يخرج وقرئ نخرج ويخرج بنصب اللؤلؤ والمرجان فباي آلاء ربكما تكذبان وله
الجوار السفن جمع جارية وقرئ بحذف الياء ورفع الراء كقوله لها ثنايا
اربع حسان واربع فكلها ثمان المنشآت المرفوعات الشرع او المصنوعات
وقرا حمزة وابو بكر بكسر الشين اي الرافعات الشرع او اللاتي ينشئن الامواج او السير
في البحر كالاعلام كالجبال جمع علم وهو الجبل الطويل فباي آلاء ربكما تكذبان
من خلق مواد السفن والارشاد الى اخذها وكيفية تركيبها واجرائها في البحر
باسباب لا يقدر على خلقها وجمعها غيره كل من عليها من على الارض من الحيوانات
او المركبات ومن للتغليب او من الثقلين فان ويبقى وجه ربك ذاته ولو
استقريت جهات الموجودات وتفحصت وجوهها وجدتها باسرها فانية في
حد ذاتها الا وجه الله اي الوجه الذي يلي جهته ذو الجلال والاكرام ذو
الاستغناء المطلق والفضل العام فباي آلاء ربكما تكذبان مما ذكرنا قبل وابقاء
ما لا يحصى مما هو على صدد الفناء رحمة وفضلا او مما ترتب على افناء الكل من الاعادة
والحياة الدائمة والنعيم المقيم يسأله من في السموات والارض فانهم مفتقرون
اليه في ذواتهم وصفاتهم وسائر ما يهمهم ويعن لهم والمراد بالسؤال ما يدل
على الحاجة الى تحصيل الشيء نطقا كان او غيره كل يوم هو في شان كل وقت يحدث
اشخاصا ويجدد احوالا على ما سبق به قضاؤه وفي الحديث من شانه ان يغفر
ذنبا ويفرج كربا ويرفع قوما ويضع اخرين وهو رد لقول اليهود ان الله لا يقضي يوم

السبت شيئا فباي آلاء ربكما تكذبان اي مما يسعف به سؤالكما وما يخرج لكما من
مكمن العدم حينا فحينا سنفرغ لكم ايها الثقلان سنتجرد لحسابكم وجزائكم
وذلك يوم القيامة فانه تعالى لا يفعل فيه غيره وقيل تهديد مستعار من قولك
لمن تهدده سافرغ لك فان المتجرد للشيء كان اقوى عليه واجد فيه وقرا حمزة والكسائي
بالياء وقرئ سنفرغ اليكم اي سنقصد اليكم والثقلان الانس والجن سميا بذلك
لثقلهما على الارض او لرزانة رأيهم وقدرهم او لانهما مثقلان بالتكليف فباي آلاء
ربكما تكذبان يا معشر الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار
السموات والارض اي ان قدرتم ان تخرجوا من جوانب السموات والارض هاربين
من الله فارين من قضائه فانفذوا فاخرجوا لا تنفذون لا تقدرون على النفوذ
الا بسلطان الا بقوة وقهر وانى لكم ذلك او ان قدرتم ان تنفذوا لتعلموا ما في
السموات والارض فانفذوا لتعلموا لكن لا تنفذون ولا تعلمون الا ببينة نصبها
الله فتعرجون عليها بافكاركم فباي آلاء ربكما تكذبان اي من التنبيه والتحذير
والمساهلة والعفو مع كمال القدرة او مما نصب من المصاعد العقلية والمعارج
النقلية فتنفذون بها الى ما فوق السموات العلى يرسل عليكما شواظ لهب من
نار ونحاس ودخان قال تضيء كضوء سراج السليط لم يجعل الله فيه نحاسا او صفر
مذاب يصب على رؤسهم وقرا ابن كثير شواظ بالكسر وهو لغة ونحاس بالجر عطف على
نار ووافقه فيه ابو عمرو ويعقوب في رواية وقرئ ونحس وهو جمع كلحف فلا تنتصران
فلا تمتنعان فباي آلاء ربكما تكذبان فان التهديد لطف وتمييز بين المطيع
والعاصي بالجزاء والانتقام من الكفار من عداد الآلاء فاذا انشقت السماء فكانت
وردة اي حمراء كوردة وقرئت بالرفع على كان التامة فيكون من باب التجريد كقوله
فلئن بقيت لارحلن بغزوة تحوي الغنائم او يموت كريم كالدهان مذابة كالدهن وهو
اسم لما يدهن به كالحزام او جمع دهن وقيل هو الاديم الاحمر فباي آلاء ربكما تكذبان
مما يكون بعد ذلك فيومئذ اي فيوم تنشق السماء لا يسأل عن ذنبه انس ولا
جان لانهم يعرفون بسيماهم وذلك حين ما يخرجون من قبورهم ويحشرون الى
الموقف ذودا ذودا على اختلاف مراتبهم واما قوله فوربك لنسألنهم ونحوه
فحين يحاسبون في المجمع والهاء للانس باعتبار اللفظ فانه وان تأخر لفظا تقدم رتبة
فباي آلاء ربكما تكذبان اي مما انعم الله على عباده المؤمنين في هذا اليوم يعرف
المجرمون بسيماهم وهو ما يعلوهم من الكآبة والحزن فيؤخذ بالنواصي والاقدام
مجموعا بينهما وقيل يؤخذون بالنواصي تارة وبالاقدام اخرى فباي آلاء ربكما

بينهما

تكذبان هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون يطوفون بينها يحرقون بها
وبين حميم آن ماء حار بلغ النهاية في الحرارة يصب عليهم او يسقون منه وقيل
اذا استغاثوا من النار اغيثوا بالحميم فباي آلاء ربكما تكذبان ولمن خاف مقام
ربه موقفه الذي يقف فيه العباد للحساب او قيامه على احواله من قام عليه اذا
راقبه او مقام الخائف عند ربه للحساب باحد المعنيين فاضاف الى الرب تفخيما وتهويلا
او ربه ومقام مقحم للمبالغة كقوله ونفيت عنه مقام الذئب كالرجل اللعين جنتان
جنة للخائف الانسي والاخرى للخائف الجني فان الخطاب للفريقين والمعنى لكل
خائفين منكما مقام او لكل واحد جنة لعقيدته واخرى لعمله او جنة لفعل الطاعات
واخرى لترك المعاصي او جنة يثاب بها واخرى يتفضل بها عليه او روحانية وجسمانية
وكذا ما جاء مثنى بعد فباي آلاء ربكما تكذبان ذواتا افنان انواع من الاشجار
والثمار جمع فن او اغصان جمع فنن وهي الغصنة التي تتشعب من فرع الشجرة
وتخصيصها بالذكر لانها التي تورق وتثمر وتمد الظل فباي آلاء ربكما تكذبان
فيهما عينان تجريان حيث شاءوا الى الاعالي والاسافل قيل احداهما التسنيم
والاخرى السلسبيل فباي آلاء ربكما تكذبان فيهما من كل فاكهة
زوجان صنفان غريب ومعروف او رطب ويابس فباي آلاء ربكما تكذبان
متكئين على فرش بطائنها من استبرق من ديباج ثخين واذا كانت البطائن
كذلك فما ظنك بالظهائر ومتكئين مدح للخائفين او حال منهم لان من خاف
في معنى الجمع وجنى الجنتين دان قريب يناله القاعد والمضطجع وجنى اسم بمعنى
مجني وقرئ بكسر الجيم فباي آلاء ربكما تكذبان فيهن في الجنان فان جنتان
يدل على جنان هي للخائفين او فيما فيهما من الاماكن والقصور او في هذه الآلاء
المعدودة من الجنتين والعينين والفاكهة والفرش قاصرات الطرف نساء
قصرت ابصارهن على ازواجهن لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان لم يمس الانسيات
انس والجنيات جن وفيه دليل على ان الجن يطمثون وقرأ الكسائي بضم الميم
فباي آلاء ربكما تكذبان كانهن الياقوت والمرجان اي في حمرة الوجنة
وبياض البشرة وصفائهما فباي آلاء ربكما تكذبان هل جزاء الاحسان
الا الاحسان في الثواب فباي آلاء ربكما تكذبان ومن دونهما جنتان
ومن دون تينك الجنتين الموعودتين للخائفين المقربين جنتان لمن دونهم من
اصحاب اليمين فباي آلاء ربكما تكذبان مدهامتان خضراوان تضربان
الى السواد من شدة الخضرة وفيه اشعار بان الغالب على هاتين الجنتين والرياحين

المنبسطة على وجه الارض وعلى الاوليين الاشجار والفواكه دلالة على ما بينهما
من التفاوت فباي آلاء ربكما تكذبان فيهما عينان نضاختان فوارتان بالماء
وهو ايضا اقل مما وصف به الاوليين وكذا ما بعده فباي آلاء ربكما تكذبان فيهما
فاكهة ونخل ورمان عطفهما على الفاكهة بيانا لفضلهما فان ثمرة النخل فاكهة
وغذاء وثمر الرمان فاكهة ودواء واحتج بها ابو حنيفة على من حلف لا ياكل فاكهة فاكل
رطبا او رمانا لم يحنث فباي آلاء ربكما تكذبان فيهن خيرات اي خيرات فخففت
لان خيرا الذي بمعنى اخير لا يجمع وقد قرئ على الاصل حسان الخلق والخلق فباي
آلاء ربكما تكذبان حور مقصورات في الخيام قصرن في خدورهن يقال امرأة
قصيرة وقصورة ومقصورة اي مخدرة او مقصورات الطرف على ازواجهن
فباي آلاء ربكما تكذبان لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان كحور الاوليين وهم
لاصحاب الجنتين فانهما تدلان عليهم فباي آلاء ربكما تكذبان متكئين
على رفرف وسائد او نمارق جمع رفرفة وقيل الدرنوك ضرب من البسط او ذيل
الخيمة وقد يقال لكل ثوب عريض خضر وعبقري حسان العبقري منسوب الى
عبقر تزعم العرب انه اسم بلد الجن فينسبون اليه كل شيء عجيب والمراد به الجنس
ولذلك جمع حسان حملا على المعنى فباي آلاء ربكما تكذبان تبارك اسم ربك
تعالى اسمه من حيث انه مطلق على ذاته فما ظنك بذاته وقيل الاسم بمعنى الصفة
او مقحم كما في قوله الى الحول ثم اسم السلام عليكما ذي الجلال والاكرام وقرأ ابن
عامر بالرفع صفة للاسم عن النبي عليه السلام من قرأ سورة الرحمن شكر ما انعم الله عليه

بسم الله الرحمن الرحيم اذا وقعت الواقعة اذا حدثت القيامة سماها
واقعة لتحقق وقوعها وانتصاب اذا بمحذوف مثل اذكر او كان كيت وكيت ليس
لوقعتها كاذبة اي لا يكون حين تقع نفس تكذب على الله او تكذب في نفيها
كما تكذب الآن واللام مثلها في قوله قدمت لحياتي او ليس لاجل وقعتها كاذبة فان
من اخبر عنها صدق او ليس لها حينئذ نفس تحدث صاحبها باطاقة شدتها واحتمالها
وتغريه عليها من قولهم كذبت فلانا نفسه في الخطب العظيم اذا شجعته عليه وسولت
له انه يطيقه خافضة رافعة تخفض قوما وترفع آخرين وهو تقرير لعظمتها فان
الوقائع العظام كذلك او بيان لما يكون حينئذ من خفض اعداء الله ورفع اوليائه
وازالة الاجرام عن مجاريها بنثر الكواكب وتسيير الجبال في الجو وقرئتا بالنصب على

الحال اذا رجت الارض رجا حركت تحريكا شديدا بحيث ينهدم ما فوقها
من بناء وجبل والظرف متعلق بخافضة او بدل من اذا وقعت وبست الجبال
بسا فتت حتى صارت كالسويق الملتوت من بس السويق اذا لته او سيقت وسيرت
من بس الغنم اذا ساقها فكانت هباء غبارا منبثا منتشرا وكنتم ازواجا اصنافا
ثلثة وكل صنف يكون او يذكر مع صنف آخر زوج فاصحاب الميمنة ما اصحاب
الميمنة واصحاب المشأمة ما اصحاب المشأمة فاصحاب المنزلة السنية
واصحاب المنزلة الدنية من تيمنهم بالميامن وتشأمهم بالشمائل واصحاب الميمنة
واصحاب المشأمة الذين يؤتون صحائفهم بايمانهم والذين يؤتونها بشمائلهم
واصحاب اليمن والشوم فان السعداء ميامين على انفسهم بطاعتهم والاشقياء مشائيم
عليها بمعصيتهم والجملتان الاستفهاميتان خبران لما قبلهما باقامة الظاهر
مقام الضمير ومعناهما التعجب من حال الفريقين والسابقون السابقون الذين
سبقوا الى الايمان والطاعة بعد ظهور الحق من غير تلعثم وتوان او سبقوا في
حيازة الفضائل والكمالات او الانبياء فانهم مقدموا اهل الاديان هم الذين
عرفت حالهم وعرفت مآلهم كقول ابي النجم وشعري شعري او الذين سبقوا الى
الجنة اولئك المقربون في جنات النعيم الذين قربت درجاتهم الى الجنة
واعليت مراتبهم ثلة من الاولين وقليل من الآخرين اي هم كثير من الاولين يعني
الامم السالفة من لدن آدم الى محمد عليه الصلوة والسلام وقليل من الآخرين
يعني امة محمد صلى الله عليه وسلم ولا يخالف ذلك قوله صلى الله عليه وسلم ان
امتي يكثرون سائر الامم لجواز ان يكون سابقوا سائر الامم اكثر من سابقي هذه
الامة وتابعوا هذه اكثر من تابعيهم ولا يرده قوله في اصحاب اليمين ثلة من الاولين
وثلة من الآخرين لان كثرة الفريقين لا تنافي اكثرية احدهما وروي مرفوعا
انهما من هذه الامة واشتقاقها من الثل وهو القطع على سرر موضونة خبر آخر
للضمير المحذوف والموضونة المنسوجة بالذهب مشبكة بالدر والياقوت او
المتواصلة من الوضن وهو نسج الدرع متكئين عليها متقابلين حالان من الضمير
في على يطوف عليهم للخدمة ولدان مخلدون مبقون ابدا على هيئة الولدان
وطراوتهم باكواب واباريق حال الشرب وغيره والكوب اناء لا عروة له ولا
خرطوم له والابريق اناء له ذلك وكاس من معين من خمر لا يصدعون عنها بخمار
ولا ينزفون ولا ينزف عقولهم او لا ينفد شرابهم وقرئ لا يصدعون اي لا
يتفرقون وفاكهة مما يتخيرون اي يختارون ولحم طير مما يشتهون يتمنون

وحور عين عطف على ولدان او مبتدا محذوف الخبر اي وفيها او ولهم حور وقرأ
حمزة والكسائي بالجر عطفا على جنات بتقدير مضاف اي هم في جنات ومصاحبة
حور او على اكواب لان معنى يطوف عليهم ولدان مخلدون باكواب ينعمون باكواب
وقرئا بالنصب اي ويؤتون حورا كامثال اللؤلؤ المكنون المصون عما يضر به في الصفاء
والنقاء جزاء بما كانوا يعملون اي يفعل ذلك كله بهم جزاء باعمالهم لا يسمعون
فيها لغوا باطلا ولا تأثيما ولا نسبة الى الاثم اي لا يقال لهم اثمتم الا قيلا
قولا سلاما سلاما بدل من قيلا كقوله لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما او صفته
او مفعوله بمعنى الا ان يقولوا سلاما او مصدر والتكرير للدلالة على فشو السلام
بينهم وقرئ سلام سلام على الحكاية واصحاب اليمين ما اصحاب اليمين في سدر
مخضود لا شوك له من خضد الشوك اذا قطعه او مثني اغصانه من كثرة حمله
من خضد الغصن اذا ثناه وهو رطب وطلح وشجر موز او ام غيلان وله انوار كثيرة
طيبة الرائحة وقرئ بالعين منضود نضد حمله من اسفله الى اعلاه وظل ممدود
منبسط لا يتقلص ولا يتفاوت وماء مسكوب يسكب لهم اين شاؤا وكيف شاؤا
بلا تعب ومصبوب سائل كانه لما شبه حال السابقين في التنعم باعلى ما يتصور
لاهل المدن شبه حال اصحاب اليمين باكمل ما يتمناه اهل البوادي بالتفاوت
بين الحالين وفاكهة كثيرة كثيرة الاجناس لا مقطوعة لا تنقطع في وقت ولا
ممنوعة لا تمنع عن متناولها بوجه وفرش مرفوعة رفيعة القدر او منضدة
مرتفعة وقيل الفرش النساء وارتفاعها انها على الارائك ويدل عليه قوله
انا انشأناهن انشاء اي ابتدأناهن ابتداء جديدا من غير ولادة ابداء او اعادة
في الحديث هن اللواتي قبضن في دار الدنيا عجائز شمطا رمصا جعلهن الله بعد الكبر
اترابا على ميلاد واحد كلما اتاهن ازواجهن وجدوهن ابكارا فجعلناهن ابكارا
عربا متحببات الى ازواجهن جمع عروب وسكن راءه حمزة وروي عن نافع وعاصم
مثله اترابا فان كلهن بنات ثلاث وثلاثين وكذا ازواجهن لاصحاب اليمين متعلق
بانشأنا او جعلنا او صفة لابكارا او خبر لمحذوف مثل هن او لقوله ثلة من الاولين
وثلة من الآخرين وهي على الوجه الاول خبر محذوف واصحاب الشمال ما
اصحاب الشمال في سموم في حر نار ينفذ في المسام وحميم وماء متناه في الحرارة
وظل من يحموم من دخان اسود يفعول من الحممة لا بارد كسائر الظل ولا كريم
ولا نافع نفي بذلك ما اوهم الظل من الاسترواح انهم كانوا قبل ذلك مترفين منهمكين

في الشهوات وكانوا يصرون على الحنث العظيم يعني الشرك ومنه بلغ الغلام
الحنث اي الحلم ووقت المؤاخذة بالذنب وحنث في يمينه خلاف بر فيها ويحنث
اذا تأثم وكانوا يقولون ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون كررت
الهمزة للدلالة على انكار البعث مطلقا وخصوصا في هذا الوقت كما دخلت العاطفة
في قوله اوآباؤنا الاولون للدلالة على ان ذلك اشد انكارا في حقهم لتقادم
زمانهم وللفصل بها حسن العطف على المستكن في لمبعوثون وقرأ نافع وابن
عامر او بالسكون وقد سبق مثله والعامل في الظرف ما دل عليه مبعوثون لا
هو للفصل بان والهمزة قل ان الاولين والآخرين لمجموعون وقرئ لمجمعون
الى ميقات يوم معلوم الى ما وقتت به الدنيا وحد من يوم معين عند الله
معلوم له ثم انكم ايها الضالون المكذبون اي بالبعث والخطاب
لاهل مكة واضرابهم لآكلون من شجر من زقوم من الاولى للابتداء
والثانية للبيان فمالئون منها البطون من شدة الجوع فشاربون عليه
من الحميم لغلبة العطش وتأنيث الضمير في منها وتذكيره في عليه على المعنى
واللفظ وقرئ من شجرة فيكون التذكير للزقوم فانه تفسيرها فشاربون
شرب الهيم الابل التي بها الهيام وهو داء يشبه الاستسقاء جمع اهيم وهيماء
قال ذو الرمة: فاصبحت كالهيماء لا الماء مبرد * صداها ولا يقضي عليها هيامها
وقيل الرمال على انه جمع هيام بالفتح وهو الرمل الذي لا يتماسك جمع على هيم
كسحب ثم خفف وفعل به ما فعل بجمع ابيض وكل من المعطوف والمعطوف
عليه اخص من الآخر بوجه فلا اتحاد هذا نزلهم يوم الدين يوم الجزاء فما ظنك
بما يكون لهم بعد ما استقروا في الجحيم وفيه تهكم كما في قوله فبشرهم بعذاب
اليم لان النزل ما يعد للنازل تكرمة له وقرئ نزلهم بالتخفيف نحن خلقناكم
فلولا تصدقون بالحق متيقنين محققين للتصديق بالاعمال الدالة عليه
او بالبعث فان من قدر على الابداء قدر على الاعادة افرأيتم ما تمنون اي ما
تقذفونه في الارحام من النطف وقرئ بفتح التاء من مني النطفة بمعنى امناها
ءانتم تخلقونه تجعلونه بشرا سويا ام نحن الخالقون نحن قدرنا بينكم
الموت قسمناه عليكم واقتنا موت كل بوقت معين وما نحن بمسبوقين لا يسبقنا
احد فيهرب من الموت او يغير وقته او لا يغلبنا احد من سبقته على كذا اذا غلبته
عليه على ان نبدل امثالكم على الاول حال او علة لقدرنا وعلى معنى اللام وما

نحن

نحن بمسبوقين اعتراض وعلى الثاني صلة والمعنى على ان نبدل منكم اشباهكم فنخلق
بدلكم او نبدل صفاتكم على ان امثالكم جمع مثل وننشئكم فيما لا تعلمون في خلق
او صفات لا تعلمونها ولقد علمتم النشأة الاولى فلولا تذكرون ان من
قدر عليها قدر على النشأة الاخرى فانها اقل صنعا لحصول المواد وتخصيص الاجزاء
وسبق المثال وفيه دليل على صحة القياس افرأيتم ما تحرثون تبذرون حبه
ءانتم تزرعونه تنبتونه ام نحن الزارعون المنبتون لو نشاء لجعلناه حطاما
هشيما فظلتم تفكهون تعجبون او تندمون على اجتهادكم فيه او على ما اصبتم
لاجله من المعاصي فتحدثون فيه والتفكه التنقل بصنوف الفاكهة وقد استعير
للتنقل في الحديث وقرئ فظلتم بالكسر وفظللتم على الاصل انا لمغرمون لملزمون غرامة
ما انفقنا او مهلكون لهلاك رزقنا من الغرام وقرأ ابو بكر ائنا على الاستفهام بل
نحن قوم محرومون حرمنا رزقنا او محدودون لا مجدودون افرأيتم الماء
الذي تشربون اي العذب الصالح للشرب ءانتم انزلتموه من المزن من السحاب
واحده مزنة وقيل المزن السحاب الابيض وماؤه اعذب ام نحن المنزلون
بقدرتنا والرؤية ان كانت بمعنى العلم فمعلقة بالاستفهام لو نشاء جعلناه
اجاجا ملحا او من الاجيج فانه يحرق الفم وحذفت اللام الفاصلة بين جواب
ما يتمحض للشرط وما يتضمن معناه لعلم السامع بمكانه او الاكتفاء بسبق ذكرها
او تخصيص ما يقصد لذاته ويكون اهم وفقده اصعب لمزيد التاكيد فلولا تشكرون
امثال هذه النعم الضرورية افرأيتم النار التي تورون تقدحون ءانتم
انشأتم شجرتها ام نحن المنشئون يعني الشجرة التي منها الزناد نحن جعلناها
جعلنا نار الزناد تذكرة تبصرة في امر البعث كما مر في سورة يس او في الظلام
او تذكيرا وانموذجا لنار جهنم ومتاعا ومنفعة للمقوين للذين ينزلون القواء
وهي القفر او للذين خلت بطونهم او مزاودهم من الطعام من اقوت الدار اذا
خلت من ساكنيها فسبح باسم ربك العظيم فاحدث التسبيح بذكر اسمه او بذكره
فان اطلاق الاسم للشيء ذكره والعظيم صفة للاسم او الرب وتعقيب الامر بالتسبيح
لما عدد من بدائع صنعه وانعامه اما لتنزيهه تعالى عما يقول الجاحدون لوحد
الكافرون لنعمته او للتعجب من امرهم في غمط نعمه او للشكر على ما عددها من النعم
فلا اقسم اذ الامر اوضح من ان يحتاج الى قسم او فاقسم ولا مزيدة للتاكيد كما في
لئلا يعلم او فلانا اقسم فحذف المبتدا واشبع فتحة لام الابتداء ويدل عليه انه قرئ
فلاقسم او فلا رد لكلام يخالف المقسم عليه بمواقع النجوم بمساقطها وتخصيص

ينه

المغارب بما في غروبها من زوال اثرها والدلالة على وجود مؤثر لا يزول تأثيره
او بمنازلها ومجاريها وقيل النجوم نجوم القران ومواقعها اوقات نزولها
وانه لقسم لو تعلمون عظيم لما في المقسم به من الدلالة على عظيم القدرة
وفرط الرحمة ومن مقتضيات رحمته ان لا يترك عباده سدى وهو اعتراض في اعتراض
فانه اعتراض بين القسم والمقسم عليه ولو تعلمون اعتراض بين الموصوف
والصفة انه لقران كريم كثير النفع لاشتماله على اصول العلوم المهمة في اصلاح
المعاش والمعاد او حسن مرضي في جنسه في كتاب مكنون مصون وهو اللوح
لا يمسه الا المطهرون لا يطلع على اللوح الا المطهرون من الكدورات
الجسمانية وهم الملائكة او لا يمس القران الا المطهرون من الاحداث فيكون
نفيا بمعنى نهي او لا يطلبه الا المطهرون من الكفر وقرئ المتطهرون والمطهرون
والمطهرون من اطهره بمعنى طهره والمطهرون اي انفسهم وغيرهم بالاستغفار
لهم والالهام تنزيل من رب العالمين صفة ثالثة او رابعة للقران او هو مصدر
نعت به وقرئ بالنصب اي نزل تنزيلا افبهذا الحديث يعني القران انتم
مدهنون متهاونون به كمن يدهن في الامر اي يلين جانبه ولا يتصلب فيه
تهاونا به وتجعلون رزقكم اي شكر رزقكم انكم تكذبون اي بمانحه حيث
تنسبونه الى الانواء وقرئ شكركم اي تجعلون شكركم لنعمة القران انكم تكذبون
به وتكذبون اي بقولكم في القران انه سحر وشعر او في المطر انه من الانواء
فلولا اذا بلغت الحلقوم اي النفس وانتم حينئذ تنظرون حالكم والخطاب
لمن حول المحتضر والواو للحال ونحن اقرب اليه ونحن اعلم اليه اي المحتضر منكم
عبر عن العلم بالقرب الذي هو اقوى سبب الاطلاع ولكن لا تبصرون لا تدركون
كنه ما يجري عليه فلولا ان كنتم غير مدينين اي مجزيين يوم القيامة او مملوكين
مقهورين من دانه اذا اذله واستعبده واصل التركيب للذل والانقياد
ترجعونها ترجعون النفس الى مقرها وهو عامل الظرف المحضض عليه بلولا
الاولى والثانية تكرير للتوكيد وهي في خبره دليل جواب الشرط والمعنى
ان كنتم غير مملوكين مجزيين كما دل عليه جحدكم افعال الله وتكذيبكم باياته
ان كنتم صادقين في تعطيلكم فلولا ترجعون الارواح الى الابدان بعد
بلوغها الحلقوم فاما ان كان من المقربين اي ان كان المتوفى من السابقين
فروح فله استراحة وقرئ فروح بالضم وفسر بالرحمة لانها كالسبب لحياة
المرحوم بالحياة الدائمة وريحان ورزق طيب وجنة نعيم ذات تنعم واما

ان كان من اصحاب اليمين فسلام لك يا صاحب اليمين من اصحاب اليمين
اي من اخوانك يسلمون عليك واما ان كان من المكذبين الضالين يعني اصحاب
الشمال وانما وصفهم بافعالهم زجرا عنها واشعارا بما اوجب لهم ما اوعدهم
فنزل من حميم وتصلية جحيم وذلك ما يجد في القبر من سموم النار ودخانها
ان هذا اي الذي ذكر في السورة او في شان الفرق لهو حق اليقين اي حق الخبر
اليقين فسبح باسم ربك العظيم فنزهه بذكر اسمه عما لا يليق بعظمة شانه
عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة ابدا

بسم الله الرحمن الرحيم سبح لله ما في السموات والارض ذكر
ههنا وفي الحشر والصف بلفظ الماضي وفي الجمعة والتغابن بلفظ المضارع اشعارا
بان من شان ما اسند اليه ان يسبحه في جميع اوقاته لانه دلالة جبلية لا تختلف
باختلاف الحالات ومجيء المصدر مطلقا في بني اسرائيل ابلغ من حيث انه يشعر
باطلاقه على استحقاق التسبيح من كل شيء وفي كل حال وانما عدي باللام وهو
معدى بنفسه مثل نصحت له ونصحته اشعارا بان ايقاع الفعل لاجل الله وخالصا
لوجهه وهو العزيز الحكيم حال يشعر بما هو المبدا للتسبيح له ملك السموات
والارض فانه الموجد لها والمتصرف فيها يحيي ويميت استئناف او خبر لمحذوف
او حال من المجرور في له وهو على كل شيء من الاحياء والاماتة وغيرهما قدير
تام القدرة هو الاول السابق على سائر الموجودات من حيث انه موجدها ومحدثها
والاخر الباقي بعد فنائها ولو بالنظر الى ذاتها مع قطع النظر عن غيرها او هو الاول
الذي يبتدئ منه الاسباب وينتهي اليه المسببات او الاول خارجا والاخر ذهنا
والظاهر والباطن الظاهر وجوده لكثرة دلائله والباطن حقيقة ذاته فلا تكتنهها
العقول او الغالب على كل شيء والعالم بباطنه والواو الاولى والاخيرة
للجمع بين الوصفين والمتوسطة للجمع بين المجموعين وهو بكل شيء عليم يستوي
عنده الظاهر والخفي هو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ثم
استوى على العرش يعلم ما يلج في الارض كالبذور وما يخرج منها كالزروع
وما ينزل من السماء كالامطار وما يعرج فيها كالابخرة وهو معكم اينما كنتم
لا ينفك علمه وقدرته عنكم بحال والله بما تعملون بصير فيجازيكم عليه ولعل
تقديم الخلق على العلم لانه دليل عليه له ملك السموات والارض ذكره مع الاعادة

كما ذكر مع الابد الانه كالمقدمة لهما والى الله ترجع الامور يولج الليل في النهار
ويولج النهار في الليل وهو عليم بذات الصدور بمكنوناتها امنوا بالله ورسوله
وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه من الاموال التي جعلكم الله خلفاء في التصرف
فيها فهي في الحقيقة له لا لكم او التي استخلفكم عمن قبلكم في تملكها والتصرف فيها
وفيه حث على الانفاق وتهوين له على النفس فالذين امنوا منكم وانفقوا لهم اجر
كبير وعد فيه مبالغات جعل الجملة اسمية واعادة ذكر الايمان والانفاق وبنا
الحكم على الضمير وتنكير الاجر ووصفه بالكبير وما لكم لا تؤمنون بالله اي وما
تصنعون غير مؤمنين به كقولك ما لك قائما والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم
حال من ضمير لا تؤمنون والمعنى اي عذر لكم في ترك الايمان والرسول يدعوكم اليه
بالحجج والايات وقد اخذ ميثاقكم اي وقد اخذ الله ميثاقكم بالايمان قبل ذلك
بنصب الادلة والتمكين من النظر والواو للحال من مفعول يدعوكم وقرا ابو عمرو
على البنا للمفعول ان كنتم مؤمنين لموجب ما فان هذا موجب لا مزيد عليه هو الذي
ينزل على عبده ايات بينات ليخرجكم اي الله او العبد من الظلمات الى النور
من ظلمات الكفر الى نور الايمان وان الله بكم لرءوف رحيم حيث نبهكم بالرسول
والايات ولم يقتصر على ما نصب لكم من الحجج العقلية وما لكم الا تنفقوا واي شيء
لكم في ان لا تنفقوا في سبيل الله فيما يكون قربة اليه ولله ميراث السموات والارض
يرث كل شيء فيهما ولا يبقى لاحد مال واذا كان كذلك فانفاقه بحيث يستخلف عوضا
يبقى وهو الثواب كان اولى لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل اولئك
اعظم درجة بيان لتفاوت المنفقين باختلاف احوالهم من السبق وقوة اليقين
وتحري الحاجات حثا على تحري الافضل منها بعد الحث على الانفاق وذكر القتال
للاستطراد وقسيم من انفق محذوف لوضوحه ودلالة ما بعده عليه والفتح
فتح مكة اذ عز الاسلام به وكثر اهله وقلت الحاجة الى المقاتلة والانفاق من
الذين انفقوا من بعد وقاتلوا اي من بعد الفتح وكلا وعد الله الحسنى اي
وعد الله كلا من المنفقين المثوبة الحسنى وهي الجنة وقرا ابن عامر وكل بالرفع على الابتدا
اي وكل وعده ليطابق ما عطف عليه والله بما تعملون خبير عالم بظاهره وباطنه
فيجازيكم على حسبه والاية نزلت في ابي بكر رضي الله عنه فانه اول من امن وانفق
في سبيل الله وخاصم الكفار حتى ضرب ضربا اشرف به على الهلاك من ذا الذي
يقرض الله قرضا حسنا من ذا الذي ينفق ماله في سبيله رجاء ان يعوضه فانه
كمن يقرضه وحسن الانفاق بالاخلاص وتحري اكرم المال وافضل الجهات له

فيضاعفه

فيضاعفه له اي يعطي اجره اضعافا فالهاء وله اجر كريم اي وذلك الاجر المضموم اليه
الاضعاف كريم في نفسه ينبغي ان يتوخى وان لم يضاعف فكيف وقد يضاعف اضعافا
وقرا عاصم فيضاعفه بالنصب على جواب الاستفهام باعتبار المعنى فكانه قال ايقرض
الله احد فيضاعفه له وقرا ابن كثير فيضعفه مرفوعا وابن عامر ويعقوب يضعفه
منصوبا يوم ترى المؤمنين والمؤمنات ظرف لقوله وله او فيضاعفه او مقدر
باذكر يسعى نورهم ما يوجب نجاتهم وهدايتهم الى الجنة بين ايديهم وبايمانهم
لان السعداء يؤتون صحائف اعمالهم من هاتين الجهتين بشراكم اليوم جنات اي
يقول لهم من يتلقاهم من الملائكة بشراكم اي المبشر به جنات او بشراكم دخول جنات
تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم الاشارة
الى ما تقدم من النور والبشرى بالجنات المخلدة يوم يقول المنافقون والمنافقات
بدل من يوم ترى للذين امنوا انظرونا انتظرونا فانهم يسرع بهم الى الجنة كالبرق
الخاطف او انظروا الينا فانهم اذا نظروا اليهم استقبلوهم بوجوههم فيستضيئون
بنور بين ايديهم وقرا حمزة انظرونا على ان اتئادهم ليلحقوا بهم امهال لهم نقتبس
من نوركم نصيب منه قيل ارجعوا وراءكم الى الدنيا فالتمسوا نورا بتحصيل
المعارف الالهية والاخلاق الفاضلة فانه يتولد منها او الى الموقف فانه من ثم يقتبس
او الى حيث شئتم فاطلبوا نورا اخر فانه لا سبيل لكم الى هذا وهو تهكم بهم وتخييب
من المؤمنين او الملائكة فضرب بينهم بين المؤمنين والمنافقين بسور بحائط
له باب يدخل فيه المؤمنون باطنه باطن السور او الباب فيه الرحمة لانه يلي
الجنة وظاهره من قبله العذاب من جهته لانه يلي النار ينادونهم الم نكن معكم
يريدون موافقتهم في الظاهر قالوا بلى ولكنكم فتنتم انفسكم بالنفاق
وتربصتم بالمؤمنين الدوائر وارتبتم وشككتم في الدين وغرتكم الاماني كامتداد
العمر حتى جاء امر الله وهو الموت وغركم بالله الغرور الشيطان او الدنيا فاليوم
لا يؤخذ منكم فدية فداء وقرا ابن عامر ويعقوب بالتاء ولا من الذين كفروا ظاهرا
وباطنا ماواكم النار هي مولاكم هي اولى بكم كقول لبيد فغدت كلا الفرجين تحسب
انه مولى المخافة خلفها وامامها وحقيقته محراكم اي مكانكم الذي يقال فيه
هو اولى بكم كقولك هو مئنة الكرم اي مكان قول القائل انه لكريم او مكانكم
عما قريب من الولي وهو القرب او ناصركم على طريقة قوله تحية بينهم ضرب وجيع
او متوليكم يتولاكم كما توليتم موجباتها في الدنيا وبئس المصير النار الم يان للذين بن
امنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله الم يات وقت يقال انى الامر يانى انيا واناً

وآنا اذا جاء اناه وقرئ بالمهموز من آن يئين بمعنى أنى والمأيان روي ان المؤمنين
كانوا مجدبين بمكة فلما هاجروا اصابوا الرزق والنعمة ففتروا عما كانوا عليه
فنزلت وما نزل من الحق اي القرآن وهو عطف على الذكر عطف احد الوصفين
ويجوز ان يراد بالذكر ان يذكر الله وقرأ نافع ويعقوب نزل بالتخفيف وقرئ انزل
ولا يكونوا كالذين اوتوا الكتاب من قبل عطف على تخشع وقرأ رويس بالتاء
والمراد النهي عن مماثلة اهل الكتاب فيما حكى عنهم بقوله فطال عليهم الامد
فقست قلوبهم اي فطال عليهم الزمان بطول اعمارهم وآمالهم او ما بينهم
وبين انبيائهم فقست قلوبهم وقرئ الامد وهو الوقت الاطول وكثير منهم
فاسقون خارجون عن دينهم رافضون لما في كتابهم من فرط القسوة اعلموا ان
الله يحيي الارض بعد موتها تمثيل لاحياء القلوب القاسية بالذكر والتلاوة او لاحياء
الاموات ترغيبا في الخشوع وزجرا عن القساوة قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون
كي يكمل عقولكم ان المصدقين والمصدقات ان المتصدقين والمتصدقات
وقد قرئ بهما وقرأ ابن كثير وابو بكر بتخفيف الصاد اي الذين صدقوا الله ورسوله
واقرضوا الله قرضا حسنا عطف على معنى الفعل في المحلى باللام لان معناه
الذين اصدقوا او صدقوا وهو على الاول للدلالة على ان المعتبر هو التصدق
المقرون بالاخلاص يضاعف لهم ولهم اجر كريم معناه والقراءة في يضاعف
ما مر غير انه لم يجزم لانه خبر ان وهو مسند الى لهم او الى ضمير المصدر والذين
آمنوا بالله ورسله اولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم اي اولئك
عند الله بمنزلة الصديقين والشهداء او هم المبالغون في الصدق فانهم آمنوا
وصدقوا جميع اخبار الله ورسله والقائمون بالشهادة لله ولهم او على الامم
يوم القيمة وقيل الشهداء عند ربهم مبتدأ وخبر والمراد به الانبياء من قوله
فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد او الذين استشهدوا في سبيل الله لهم اجرهم
ونورهم مثل اجر الصديقين والشهداء ومثل نورهم ولكن من غير تضعيف ليحصل
التفاوت او الاجر والنور الموعودان لهم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا
اولئك اصحاب الجحيم فيه دليل على ان الخلود في النار مخصوص بالكفار من حيث
ان التركيب يشعر بالاختصاص والصحبة تدل على الملازمة عرفا اعلموا انما الحيوة
الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد لما
ذكر حال الفريقين في الآخرة حقر امور الدنيا اعني ما لا يتوصل به الى الفوز الآجل
بان بين انها امور خيالية قليلة النفع سريعة الزوال لانها لعب يتعب الناس

فيه انفسهم جدا اتعاب الصبيان في الملاعب من غير فائدة ولهو يلهون به انفسهم
عما يهمهم وزينة كالملابس الحسنة والمراكب البهية والمنازل الرفيعة وتفاخر بالانساب
وتكاثر بالعدد والعدد ثم قرر ذلك بقوله كمثل غيث اعجب الكفار نباته ثم يهيج
فتراه مصفرا ثم يكون حطاما وهو تمثيل لها في سرعة تقضيها وقلة جدواها
بحال نبات انبته الغيث فاستوى واعجب به الحراث او الكافرون لا يتخطى فكره
عما احس به فيستغرق فيه اعجابا ثم هاج اي يبس بعاهة فاصفر ثم صار حطاما
ثم عظم امور الآخرة بقوله وفي الآخرة عذاب شديد تنفيرا عن الانهماك في
الدنيا وحثا على ما يوجب كرامة العقبى ثم اكد ذلك بقوله ومغفرة من الله ورضوان
اي لمن اقبل عليها وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور لمن لم يطلب الآخرة بها
سابقوا سارعوا مسارعة السابقين في المضمار الى مغفرة من ربكم الى موجباتها
وجنة عرضها كعرض السماء والارض اي عرضها كعرضهما واذا كان العرض كذلك
فما ظنك بالطول وقيل المراد به البسطة كقوله فذو دعاء عريض اعدت للذين
آمنوا بالله ورسله فيه دليل على ان الجنة مخلوقة وان الايمان وحده كاف
في استحقاقها ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ذلك الموعود يتفضل به على من يشاء
من غير ايجاب والله ذو الفضل العظيم فلا يبعد منه التفضل بذلك وان
عظم قدره ما اصاب من مصيبة في الارض كجدب وعاهة ولا في انفسكم
وآفة الا في كتاب الا مكتوبة في اللوح مثبتة في علم الله من قبل ان نبرأها نخلقها
والضمير للمصيبة او للارض او للانفس ان ذلك ان ثبته في كتاب على الله يسير
لاستغنائه عن العدة والمدة لكيلا تأسوا اي اثبت وكتب لئلا تحزنوا على
ما فاتكم من نعم الدنيا ولا تفرحوا بما آتاكم بما اعطاكم الله منها فان من علم
ان الكل مقدر هان عليه الامر وقرأ ابو عمرو بما اتاكم من الاتيان ليعادل
ما فاتكم وعلى الاول فيه اشعار بان فواتها يلحقها اذا خليت وطباعها
واما حصولها وبقاؤها فلا بد لهما من سبب يوجدها ويبقيها والمراد نفي
الاسى المانع عن التسليم لامر الله والفرح الموجب للبطر والاختيال ولذلك
عقبه بقوله ان الله لا يحب كل مختال فخور اذ قل من يثبت نفسه حالي الضراء والسراء
الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل بدل من كل مختال فان المختال بالمال
يضن به غالبا او مبتدأ خبره محذوف مدلول عليه بقوله ومن يتول فان الله
هو الغني الحميد لان معناه ومن يعرض عن الانفاق فان الله غني عنه وعن انفاقه
محمود في ذاته لا يضره الاعراض عن شكره بالتقرب اليه بشيء من نعمه وفيه

تهديد واشعار بان الامر بالانفاق لمصلحة المنفق وقرا نافع وابن عامر
ان الله الغني لقد ارسلنا رسلنا اي الملايكة الى الانبيا او الانبيا الى
الامم بالبينات بالحجج والمعجزات وانزلنا معهم الكتاب ليتبين الحق ويميز صواب
العمل والميزان ليسوى به الحقوق ويقام به العدل كما قال ليقوم الناس بالقسط
وانزاله انزال اسبابه والامر باعداده وقيل انزل الى نوح ويجوز ان يراد به
العدل ليقام به السياسة ويدفع به الاعدا كما قال وانزلنا الحديد فيه
باس شديد فان آلات الحروب متخذة منه ومنافع للناس اذ ما من صنعة
الا والحديد آلتها وليعلم الله من ينصره ورسله باستعمال الاسلحة في مجاهدة
الكفار والعطف على محذوف دل عليه ما قبله فانه حال يتضمن تعليلا واللام
صلة لمحذوف اي انزله ليعلم الله بالغيب حال من المستكن في ينصره ان الله
قوي على اهلاك من اراد اهلاكه عزيز لا يفتقر الى نصره وانما امرهم بالجهاد
لينتفعوا به ويستوجبوا ثواب الامتثال فيه ولقد ارسلنا نوحا وابراهيم
وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب بان استنبأناهم واوحينا اليهم
الكتب وقيل المراد بالكتاب الخط فمنهم فمن الذرية او من المرسل اليهم
وقد دل عليهم ارسلنا مهتد وكثير منهم فاسقون خارجون عن الطريق
المستقيم والعدول عن سنن المقابلة للمبالغة في الذم والدلالة على ان
الغلبة للضلال ثم قفينا على آثارهم برسلنا وقفينا بعيسى ابن مريم اي
ارسلنا رسولا بعد رسول حتى انتهى الى عيسى والضمير لنوح وابرهيم ومن ارسلا
اليهم او من عاصرهما من الرسل لا للذرية فان الرسل المقفى بهم من الذرية
وآتيناه الانجيل وقرئ بفتح الهمزة وامره اهون من امر البرطيل لانه اعجمي
وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رافة وقرئ رآفة على فعالة ورحمة ورهبانية
ابتدعوها اي وابتدعوا رهبانية ابتدعوها او رهبانية مبتدعة على انها من المجعولات
وهي المبالغة في العبادة والرياضة والانقطاع عن الناس منسوبة الى الرهبان
وهو المبالغ في الخوف من رهب كالخشيان من خشي وقرئت بالضم كانها منسوبة
الى الرهبان وهو جمع راهب كراكب وركبان ما كتبناها عليهم ما فرضناها
الا ابتغاء رضوان الله استثنا منقطع اي ولكنهم ابتدعوها ابتغاء رضوان
الله وقيل متصل فان ما كتبناها عليهم بمعنى ما تعبدناهم بها وهو كما ينفي الايجاب
المقصود منه ثم ندبوا اليها وابتدعوها بمعنى استحدثوها واتوا بها اولا لا
انهم اخترعوها من تلقاء انفسهم فما رعوها اي فما رعوها حق رعايتها بضم

جميعا

التثليث والقول بالاتحاد وقصد السمعة والكفر بمحمد عليه الصلوة والسلام
ونحوها اليها فآتينا الذين آمنوا اتوا بالايمان الصحيح وحافظوا حقوقها
ومن ذلك الايمان بمحمد عليه الصلوة والسلام منهم من المتسمين باتباعه اجرهم
وكثير منهم فاسقون خارجون عن حال الاتباع يا ايها الذين آمنوا بالرسل
المتقدمة اتقوا الله فيما نهاكم عنه وآمنوا برسوله محمد صلى الله عليه وسلم
يؤتكم كفلين نصيبين من رحمته لايمانكم بمحمد عليه الصلوة والسلام وايمانكم
بمن قبله ولا يبعد ان يثابوا على دينهم السابق وان كان منسوخا ببركة الاسلام
وقيل الخطاب للنصارى الذين كانوا في عصره ويجعل لكم نورا تمشون
به يريد المذكور في قوله يسعى نورهم او الهدى الذي يسلك به الى جناب القدس
ويغفر لكم والله غفور رحيم لئلا يعلم اي ليعلموا ولا مزيدة ويؤيده انه قرئ
ليعلم ولكي يعلم ولان يعلم بادغام النون في اليا اهل الكتاب الا يقدرون
على شيء من فضل الله ان هي المخففة والمعنى انه لا ينالون شيئا مما ذكر من فضله
ولا يتمكنون من نيله لانهم لم يؤمنوا برسوله وهو مشروط بالايمان او لا يقدرون
على شيء من فضله فضلا ان يتصرفوا في اعظمه وهو النبوة فيخصوا بها من ارادوا
ويؤيده قوله وان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم وقيل
لا غير مزيدة والمعنى لئلا يعتقد اهل الكتاب انه لا يقدر النبي والمؤمنون
به على شيء من فضل الله ولا ينالونه فيكون وان الفضل عطفا على لئلا يعلم وقرئ ليلا
ووجهه ان الهمزة حذفت وادغمت النون في اللام ثم ابدلت يا وقرئ ليلا على
ان الاصل في الحروف الفتح عن النبي صلعم من قرا سورة الحديد كتب من الذين آمنوا بالله ورسله

بسم الله الرحمن الرحيم قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها
وتشتكي الى الله روي ان خولة بنت ثعلبة ظاهر عنها زوجها اوس بن الصامت
فاستفتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال حرمت عليه فقالت ما طلقني فقال
حرمت عليه فاغتمت لصغر اولادها وشكت الى الله تعالى فنزلت هذه الآيات
الاربع وقد يشعر بان الرسول او المجادلة يتوقع ان الله يسمع مجادلتها وشكواها
ويفرج عنها كربها وادغم حمزة والكسائي وابو عمرو وهشام عن ابن عامر دالها
في السين والله يسمع تحاوركما تراجعكما الكلام وهو على تغليب الخطاب ان
الله سميع بصير للاقوال والاحوال الذين يظاهرون منكم من نسائهم الظهار

ان يقول الرجل لامرأته انت علي كظهر امي مشتق من الظهر والحق به الفقهاء تشبيهها
بجزء محرم وفي منكم تهجين لعادتهم فيه فانه من ايمان اهل الجاهلية واصل
يظهرون يتظهرون وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي تظاهرون من اظاهر وعاصم
يظاهرون من ظاهر ما هن امهاتهم اي على الحقيقة ان امهاتهم الا اللائي ولدنهم
فلا تشبه بهن في الحرمة الا من الحقهن الله بهن كالمرضعات وازواج الرسول وعن
عاصم امهاتهم بالرفع على لغة تميم وقرئ بامهاتهم وهو ايضا على لغة من ينصب
وانهم ليقولون منكرا من القول اذ الشرع انكره وزورا محرفا عن الحق فان الزوجة
لا تشبه الام وان الله لعفو غفور لما سلف منه مطلقا او اذا تيب عنه والذين يظاهرون
من نسائهم ثم يعودون لما قالوا اي الى قولهم بالتدارك ومنه المثل عاد
الغيث على ما افسد وهو بنقض ما يقتضيه وذلك عند الشافعي بامساك المظاهر
عنها في النكاح زمانا يمكنه مفارقتها فيه اذ التشبيه يتناول حرمته لصحة استثنائها
عنه وهو اقل ما ينتقض به وعند ابي حنيفة باستباحة استمتاعها ولو بنظرة شهوة
وعند مالك بالعزم على الجماع وعند الحسن بالجماع او بالظهار في الاسلام على
ان قوله يظاهرون بمعنى يعتادون الظهار اذ كانوا يظاهرون في الجاهلية
وهو قول الثوري او بتكراره لفظا وهو قول الظاهرية او معنى بان يحلف على
ما قال وهو قول ابي مسلم او الى المقول فيها بامساكها او استباحة استمتاعها
او وطئها فتحرير رقبة اي فعليهم او فالواجب اعتاق رقبة والفاء للسببية
ومن فوائدها الدلالة على تكرر وجوب التحرير بتكرر الظهار والرقبة مقيدة
بالايمان عندنا قياسا على كفارة القتل من قبل ان يتماسا ان يستمتع كل من
المظاهر والمظاهر عنها بالآخر لعموم اللفظ ومقتضى التشبيه او ان يجامعها
وفيه دليل على حرمة ذلك قبل التكفير ذلكم اي ذلكم الحكم بالكفارة توعظون
به لانه يدل على ارتكاب الجناية الموجبة للغرامة ويردع عنه والله بما تعملون
خبير لا يخفى عليه خافية فمن لم يجد اي الرقبة والذي غاب ماله فواجد
فصيام شهرين متتابعين من قبل ان يتماسا فان افطر بغير عذر لزم الاستئناف
وان افطر لعذر ففيه خلاف وان جامع المظاهر عنها ليلا لم ينقطع التتابع
عندنا خلافا لابي حنيفة ومالك فمن لم يستطع اي الصوم لهرم او مرض مزمن
او شبق مفرط فانه عليه الصلاة والسلام رخص للاعرابي المفطر ان يعدل
لاجله فاطعام ستين مسكينا ستين مدا بمد رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو رطل وثلث لانه اقل ما قيل في المخرج في الفطرة وقال ابو حنيفة يعطي كل

مسكين نصف صاع من بر او صاعا من غيره وانما لم يذكر التماس مع الطعام اكتفاء
بذكره مع الآخرين او لجوازه في خلال الاطعام كما قال ابو حنيفة ذلك اي ذلك البيان
او التعليم للاحكام ومحله النصب بفعل معلل لتؤمنوا بالله ورسوله اي فرض ذلك
لتصدقوا بالله ورسوله في قبول شرائعه ورفض ما كنتم عليه في جاهليتكم وتلك حدود
الله لا يجوز تعديها وللكافرين اي الذين لا يقبلونها عذاب اليم وهو نظير قوله
ومن كفر فان الله غني عن العالمين ان الذين يحادون الله ورسوله يعادونهما
فان كلا من المتعادين في حد غير حد الآخر او يضعون او يختارون حدودا غير حدودهما
كبتوا كما كبت اخزوا او اهلكوا واصل الكبت الكب الذين من قبلهم يعني الامم الماضية
وقد انزلنا آيات بينات تدل على صدق الرسول وما جاء به وللكافرين عذاب
مهين يذهب عزهم وتكبرهم يوم يبعثهم الله منصوب بمهين او باضمار اذكر جميعا
كلهم لا يدع احدا غير مبعوث او مجتمعين فينبئهم بما عملوا اي على رؤوس الاشهاد
تشهيرا لحالهم وتقريرا لعذابهم احصاه الله احاط به عددا لم يغب منه شيء ونسوه
لكثرته او تهاونهم به والله على كل شيء شهيد لا يغيب عنه شيء الم تر ان الله يعلم
ما في السموات وما في الارض كليا وجزئيا ما يكون من نجوى ثلاثة ما يقع
من تناجي ثلاثة ويجوز ان يقدر مضاف او يؤول نجوى بمتناجين ويجعل ثلاثة
صفة لها واشتقاقها من النجوة وهي ما ارتفع من الارض فان السر امر مرفوع الى
الذهن لا يتيسر لكل احد ان يطلع عليه الا هو رابعهم الا الله يجعلهم اربعة من حيث
انه يشاركهم في الاطلاع عليها والاستثناء من اعم الاحوال ولا خمسة ولا نجوى
خمسة الا هو سادسهم وتخصيص العددين اما لخصوص الواقعة فان الآية
نزلت في تناجي المنافقين او لان الله وتر يحب الوتر والثلاثة اول الاوتار او لان
التشاور لا بد له من اثنين يكونان كالمتنازعين وثالث يتوسط بينهما وقرئ ثلاثة
وخمسة بالنصب على الحال باضمار يتناجون او تأويل نجوى بمتناجين ولا ادنى
من ذلك ولا اقل مما ذكر كالواحد والاثنين ولا اكثر الا هو معهم يعلم ما يجري بينهم
وقرأ يعقوب ولا اكثر بالرفع عطفا على محل من نجوى او محل ولا ادنى ان جعلت لا
لنفي الجنس اينما كانوا فان علمه بالاشياء ليس لقرب مكاني حتى يتفاوت باختلاف الا
ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة تفضيحا لهم وتقريرا لما يستحقونه من الجزاء ان الله
بكل شيء عليم لان نسبة ذاته المقتضية للعلم الى الكل على سواء الم تر الى الذين نهوا
عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه نزلت في اليهود والمنافقين كانوا يتناجون
فيما بينهم ويتغامزون باعينهم اذا راوا المؤمنين فنهاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم

ثم عادوا لمثل فعلهم ويتناجون بالاثم والعدوان ومعصيت الرسول اي
بما هو اثم وعدوان للمؤمنين وتواص بمعصية الرسول وقرأ حمزة وينتجون وروي
عن يعقوب وهو يفتعلون من النجوى واذا جاؤك حيوك بما لم يحيك به الله
فيقولون السام عليك او انعم صباحا والله سبحانه يقول وسلام على عباده الذين
اصطفى ويقولون في انفسهم فيما بينهم لولا يعذبنا الله بما نقول هلا يعذبنا
بذلك لو كان محمد نبيا حسبهم جهنم عذابا يصلونها يدخلونها فبئس المصير
جهنم يا ايها الذين آمنوا اذا تناجيتم فلا تتناجوا بالاثم والعدوان ومعصيت
الرسول كما تفعله المنافقون وعن يعقوب ولا تنتجوا وتناجوا بالبر والتقوى بما يتضمن
خير المؤمنين والاتقاء عن معصية الله واتقوا الله الذي اليه تحشرون فيما تأتون
وتذرون فانه مجازيكم عليه انما النجوى بالاثم والعدوان من الشيطان فانه المزين
لها والحامل عليها ليحزن الذين آمنوا بتوهمهم انها في نكبة اصابتهم وليس الشيطان
او التناجي بضارهم بضار المؤمنين شيئا الا باذن الله الا بمشيته وعلى الله فليتوكل
المؤمنون ولا يبالوا بنجواهم يا ايها الذين آمنوا اذا قيل لكم تفسحوا في المجلس
فيه وليفسح بعضكم عن بعض من قولهم افسح عني اي تنح وقرئ تفاسحوا والمراد بالمجلس
الجنس ويدل عليه قراءة عاصم بالجمع او مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فانهم
يتضامون به تنافسا على القرب منه وحرصا على استماع كلامه فافسحوا يفسح الله لكم
فيما تريدون التفسح فيه من المكان والرزق والصدر وغيرها واذا قيل انشزوا
انهضوا للتوسعة او لما امرتم به كصلاة او جهاد او ارتفعوا في المجلس فانشزوا
وقرأ نافع وابن عامر وعاصم بضم الشين فيهما يرفع الله الذين آمنوا منكم بالنصر وحسن
الذكر في الدنيا وايوائهم غرف الجنان في الآخرة والذين اوتوا العلم درجات ويرفع
العلماء منهم خاصة درجات بما جمعوا بين العلم والعمل فان العلم مع علو درجته
يقتضي العمل المقرون به مزيد رفعة ولذلك يقتدى بالعالم في افعاله ولا يقتدى
بغيره وفي الحديث فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب
والله بما تعملون خبير تهديد لمن لم يمتثل الامر واستكرهه يا ايها الذين آمنوا اذا
ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة فتصدقوا قدامها مستعار
ممن له يدان وفي هذا الامر تعظيم الرسول وانفاع الفقراء والنهي عن الافراط في
السؤال والميز بين المخلص والمنافق ومحب الآخرة ومحب الدنيا واختلف في انه للندب
او للوجوب لكنه منسوخ بقوله أأشفقتم وهو وان اتصل به تلاوة لم يتصل به نزولا
وعن علي رضي الله عنه ان في كتاب الله آية ما عمل بها احد غيري كان لي دينار فصرفته

فكنت اذا ناجيته تصدقت بدرهم وهو على القول بالوجوب لا يقدح في غيره فلعله
لم يتفق للاغنياء مناجاة في مدة بقائه اذ روي انه لم يبق الا عشرا وقيل الا ساعة
ذلك اي ذلك التصدق خير لكم واطهر اي لانفسكم من الريبة وحب المال وهو
يشعر بالندبية لكن قوله فان لم تجدوا فان الله غفور رحيم لمن لم يجد حيث رخص
له في المناجاة بلا تصدق ادل على الوجوب أأشفقتم ان تقدموا بين يدي نجواكم
صدقات أخفتم الفقر من تقديم الصدقة او اخفتم التقديم لما يعدكم الشيطان
من الفقر وجمع صدقات لجمع المخاطبين او لكثرة التناجي فاذ لم تفعلوا وتاب الله
عليكم بان رخص لكم ان لا تفعلوه وفيه اشعار بان اشفاقهم ذنب تجاوز الله عنه
لما رأى منهم مما قام مقام توبتهم واذ على بابها وقيل بمعنى اذا او ان فاقيموا
الصلوة وآتوا الزكوة فلا تفرطوا في ادائهما واطيعوا الله ورسوله في سائر الاوامر
فان القيام بها كالجابر للتفريط في ذلك والله خبير بما تعملون ظاهرا وباطنا
الم تر الى الذين تولوا والوا قوما غضب الله عليهم يعني اليهود ما هم منكم ولا
منهم لانهم منافقون مذبذبون بين ذلك ويحلفون على الكذب وهو ادعاء
الاسلام وهم يعلمون ان المحلوف عليه كذب كمن يحلف بالغموس وفي هذا التقييد
دليل على ان الكذب يعم ما يعلم المخبر عدم مطابقته وما لا يعلم وروي انه عليه
الصلاة والسلام كان في حجرة من حجراته فقال يدخل عليكم الآن رجل قلبه قلب جبار
وينظر بعين شيطان فدخل عبد الله بن نبتل المنافق وكان ازرق فقال عليه الصلاة
والسلام له علام تشتمني انت واصحابك فحلف بالله ما فعل ثم جاء باصحابه فحلفوا
فنزلت اعد الله لهم عذابا شديدا نوعا من العذاب متفاقما انهم ساء ما كانوا
يعملون فتمرنوا على سوء العمل واصروا عليه اتخذوا ايمانهم اي التي حلفوا
بها وقرئ بالكسر اي ايمانهم الذي اظهروه جنة وقاية دون دمائهم واموالهم
فصدوا عن سبيل الله فصدوا الناس في خلال امنهم عن دين الله بالتحريش والتثبيط
فلهم عذاب مهين وعيد ثان بوصف آخر لعذابهم وقيل الاول عذاب القبر وهذا
عذاب الآخرة لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا اولئك اصحاب
النار هم فيها خالدون قد سبق مثله يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له اي لله
على انهم مسلمون ويقولون كما يحلفون لكم في الدنيا انهم لمنكم ويحسبون انهم على
شيء لان تمكن النفاق في نفوسهم بحيث يخيل اليهم في الآخرة ان الايمان الكاذبة تروج
الكذب على الله كما تروجه عليكم في الدنيا الا انهم هم الكاذبون البالغون الغاية
في الكذب حيث يكذبون مع عالم الغيب والشهادة ويحلفون عليه استحوذ عليهم الشيطان

استولى عليهم من حذت الابل وحزتها اذا استوليت عليها وهو مما جاء على الاصل
فانساهم ذكر الله لا يذكرونه بقلوبهم ولا بالسنتهم اولئك حزب الشيطان جنوده
واتباعه الا ان حزب الشيطان هم الخاسرون لانهم فوتوا على انفسهم النعيم
المؤبد وعرضوها للعذاب المخلد ان الذين يحادون الله ورسوله اولئك
في الاذلين في جملة من هو اذل خلق الله تعالى كتب الله في اللوح لاغلبن انا ورسلي
في الحجة وقرا نافع وابن عامر ورسلي بالفتح ان الله قوي على نصر انبيائه عزيز لا
يغلب عليه في مراده لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الاخر يوادون من حاد
الله ورسوله اي لا ينبغي ان تجدهم وادين اعداء الله والمراد انه لا ينبغي ان يوادوهم
ولو كانوا اباءهم او ابناءهم او اخوانهم او عشيرتهم ولو كان المحادون اقرب
الناس اليهم اولئك اي الذين لم يوادوهم كتب في قلوبهم الايمان اثبته فيها
وهو دليل على خروج العمل من مفهوم الايمان فان جزء الثابت في القلب يكون ثابتا
فيه واعمال الجوارح لا تثبت فيه وايدهم بروح منه اي من عند الله وهو نور القلب
او القران او النصر على العدو وقيل الضمير للايمان فانه سبب لحياة القلب ويدخلهم
جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها رضي الله عنهم بطاعتهم ورضوا
عنه بقضائه او بما وعدهم من الثواب اولئك حزب الله جنده وانصار دينه
الا ان حزب الله هم المفلحون الفائزون بخير الدارين عن النبي صلى الله عليه
وسلم من قرا سورة المجادلة كتب من حزب الله يوم القيامة

بسم الله الرحمن الرحيم سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو
العزيز الحكيم روي انه عليه الصلوة والسلام لما قدم المدينة صالح بني النضير
على ان لا يكونوا له ولا عليه فلما ظهر يوم بدر قالوا انه النبي المبعوث في التورية
بالنصرة فلما هزم المسلمون يوم احد ارتابوا ونكثوا وخرج كعب بن الاشرف
في اربعين راكبا الى مكة فحالفوا ابا سفيان فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم اخا
كعب من الرضاعة فقتله غيلة ثم صبحهم بالكتائب وحاصرهم حتى صالحوا على الجلاء
فجلا اكثرهم الى الشام ولحقت طائفة بخيبر والحيرة فانزل الله سبح لله الى قوله
والله على كل شيء قدير هو الذي اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب من ديارهم
لاول الحشر اي في اول حشرهم من جزيرة العرب اذ لم يصبهم هذا الذل قبل
ذلك او اول حشرهم للقتال او الجلاء الى الشام واخر حشرهم اجلاء عمر اياهم

من خيبر اليه او في اول حشر الناس الى الشام واخر حشرهم فانهم يحشرون اليه
عند قيام الساعة فيدركهم هنالك او نار تخرج من المشرق فتحشرهم الى المغرب
والحشر اخراج جمع من مكان الى اخر ما ظننتم ان يخرجوا لشدة باسهم ومنعتهم
وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله اي ان حصونهم تمنعهم من باس الله وتغيير
النظم وتقديم الخبر واسناد الجملة الى ضميرهم للدلالة على فرط وثوقهم بحصانتها
واعتقادهم في انفسهم انهم في عزة ومنعة بسببها ويجوز ان يكون حصونهم
فاعلا لمانعتهم فاتاهم الله اي عذابه وهو الرعب والاضطرار الى الجلاء وقيل
الضمير للمؤمنين فاتاهم الله وقرئ فاتاهم اي العذاب او النصر من حيث لم يحتسبوا
لقوة وثوقهم وقذف في قلوبهم الرعب واثبت فيها الخوف الذي يرعبها اي
يملاها يخربون بيوتهم بايديهم ضنا بها على المسلمين واخراجا لما استحسنوا
من الاتها وايدي المؤمنين فانهم ايضا كانوا يخربون ظواهرها نكاية وتوسيعا
لمجال القتال وعطفها على ايديهم من حيث ان تخريب المؤمنين مسبب عن نقضهم
فكانهم استعملوهم فيه والجملة حال او تفسير للرعب وقرا ابو عمرو يخربون بالتشديد
وهو ابلغ لما فيه من التكثير وقيل الاخراب التعطيل او ترك الشيء خرابا والتخريب
الهدم فاعتبروا يا اولي الابصار فاتعظوا بحالهم فلا تغدروا ولا تعتمدوا على
غير الله واستدل على ان القياس حجة من حيث انه امر بالمجاوزة من حال الى حال
وحملها عليها في حكم لما بينهما من المشاركة المقتضية له على ما قررناه في الكتب
الاصولية ولولا ان كتب الله عليهم الجلاء الخروج من اوطانهم لعذبهم في الدنيا
بالقتل والسبي كما فعل ببني قريظة ولهم في الاخرة عذاب النار استئناف معناه
انهم ان نجوا من عذاب الدنيا لم ينجوا من عذاب الاخرة ذلك بانهم شاقوا
الله ورسوله ومن يشاق الله فان الله شديد العقاب الاشارة الى ما ذكر مما
حاق بهم وما كانوا بصدده وما هو معد لهم او الى الاخير ما قطعتم من لينة
اي شيء قطعتم من نخلة فعلة من اللون وتجمع على الوان وقيل من اللين ومعناه
النخلة الكريمة وجمعها ليان او تركتموها الضمير لما وتانيثه لانه مفسر باللينة
قائمة على اصولها وقرئ اصلها اكتفاء بالضمة عن الواو او على انه كرهن فباذن الله
فبامره وليخزي الفاسقين علة لمحذوف اي وفعلتم او واذن لكم في القطع
ليخزيهم على فسقهم بما غاظهم منه روي انه عليه الصلوة والسلام لما امر بقطع
نخيلهم قالوا يا محمد قد كنت تنهى عن الفساد في الارض فما بال قطع النخل وتحريقها
فنزلت واستدل به على جواز هدم ديار الكفار وقطع اشجارهم زيادة لغيظهم

وما افاء الله على رسوله وما اعاده عليه بمعنى صيره له او رده عليه فانه كان حقيقا
بان يكون له لانه تعالى خلق الناس لعبادته وخلق ما خلق لهم ليتوسلوا به
الى طاعته فهو جدير بان يكون للمطيعين منهم من بني النضير او من الكفرة فما
اوجفتم عليه فما اجريتم على تحصيله من الوجيف وهو سرعة السير من خيل ولا ركاب
ما يركب من الابل غلب فيه كما غلب الراكب على راكبها وذلك ان كان المراد
بني النضير فلان قراهم كانت على ميلين من المدينة فمشوا اليها رجالا غير رسول
الله صلى الله عليه وسلم فانه ركب جملا او حمارا ولم يجر مزيد قتال ولذلك لم
يعط الانصار شيئا الا ثلاثة كانت بهم حاجة ولكن الله يسلط رسله على من
يشاء بقذف الرعب في قلوبهم والله على كل شيء قدير فيفعل ما يريد تارة بالوسائط
الظاهرة وتارة بغيرها ما افاء الله على رسوله من اهل القرى بيان للاول
ولذلك لم يعطف عليه فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن
السبيل اختلف في قسم الفيء فقيل يسدس لظاهر الآية ويصرف سهم الله في عمارة
الكعبة وسائر المساجد وقيل يخمس لان ذكر الله تعالى للتعظيم ويصرف الآن سهم
الرسول الى الامام على قول والى العساكر والثغور على قول والى مصالح المسلمين
على قول وقيل يخمس خمسه كالغنيمة فانه صلى الله عليه وسلم كان يقسم الخمس كذلك
ويصرف الاخماس الاربعة كما يشاء والآن على الخلاف المذكور كيلا يكون اي الفيء
الذي حقه ان يكون للفقراء دولة بين الاغنياء منكم الدولة ما يتداوله الاغنياء
ويدور بينهم كما كان في الجاهلية وقرئ دولة بمعنى كيلا يكون الفيء ذا تداول
بينهم او اخذه غلبة تكون بينهم وقرا هشام دولة بالرفع على كان التامة
اي كيلا يقع دولة جاهلية وما آتاكم الرسول وما اعطاكم من الفيء او من الامر
فخذوه لانه حلال لكم او فتمسكوا به لانه واجب الطاعة وما نهاكم عنه عن اخذه
منه او عن اتيانه فانتهوا عنه واتقوا الله في مخالفة رسوله ان الله شديد
العقاب لمن خالف للفقراء المهاجرين بدل من لذي القربى وما عطف عليه
فان الرسول لا يسمى فقيرا ومن اعطى اغنياء ذوي القربى خصص الابدال بما بعده
او الفيء بفيء بني النضير الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم فان كفار مكة اخرجوهم
واخذوا اموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا حال مقيدة لاخراجهم بما
يوجب تفخيم شانهم وينصرون الله ورسوله بانفسهم واموالهم اولئك هم
الصادقون الذين ظهر صدقهم في ايمانهم والذين تبوءوا الدار والايمان
عطف على المهاجرين والمراد بهم الانصار فانهم لزموا المدينة والايمان

ويمكنوا فيهما وقيل المعنى تبوءوا دار الهجرة ودار الايمان فحذف المضاف من الثاني و
المضاف اليه من الاول وعوض عنه اللام او تبوءوا الدار واخلصوا الايمان كقوله
علفتها تبنا وماء باردا وقيل سمى المدينة بالايمان لانها مظهره ومصيره من قبلهم من قبل
هجرة المهاجرين وقيل تقدير الكلام والذين تبوءوا الدار من قبلهم والايمان يحبون
من هاجر اليهم ولا يثقل عليهم ولا يجدون في صدورهم في انفسهم حاجة ما
تحمل عليه الحاجة كالطلب والحزازة والحسد والغيظ مما اوتوا مما اعطي المهاجرين
من الفيء وغيره ويؤثرون على انفسهم ويقدمون المهاجرين على انفسهم حتى ان
من كان عنده امراتان نزل عن واحدة وزوجها من احدهم ولو كان بهم خصاصة
حاجة من خصاص البناء وهي فرجته ومن يوق شح نفسه حتى يخالفها فيما يغلب عليها
من حب المال وبغض الانفاق فاولئك هم المفلحون الفائزون بالثناء العاجل
والثواب الآجل والذين جاءوا من بعدهم هم الذين هاجروا بعد حين قوي الاسلام
او التابعون باحسان وهم المؤمنون بعد الفريقين الى يوم القيامة ولذلك قيل ان الآية
قد استوعبت جميع المؤمنين يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا
بالايمان ولا تجعل اي لاخواننا في الدين في قلوبنا غلا للذين آمنوا حقدا
لهم ربنا انك رءوف رحيم فحقيق بان تجيب دعاءنا الم تر الى الذين نافقوا
يقولون لاخوانهم الذين كفروا من اهل الكتاب يريد الذين بينهم وبينهم
اخوة الكفر او الصداقة والموالاة لئن اخرجتم من دياركم لنخرجن معكم
في قتالكم او خذلانكم ولا نطيع فيكم احدا ابدا اي من رسول الله والمسلمين
وان قوتلتم لننصرنكم لنعاونكم والله يشهد انهم لكاذبون لعلمه بانهم
لا يفعلون ذلك كما قال لئن اخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم
وكان كذلك فان ابن ابي واصحابه راسلوا بني النضير بذلك ثم اخلفوهم وفيه
دليل على صحة النبوة واعجاز القرآن ولئن نصروهم على الفرض والتقدير ليولن
الادبار انهزاما ثم لا ينصرون بعد بل يخذلهم ولا ينفعهم نصرة المنافقين او
نفاقهم اذ ضمير الفعلين يحتمل ان يكون لليهود وان يكون للمنافقين لانتم اشد
رهبة اي اشد مرهوبية مصدر للفعل المبني للمفعول في صدورهم من الله فانهم
كانوا يضمرون مخافتهم من المؤمنين على ما يظهرونه نفاقا فان استبطان
رهبتكم سبب لاظهار رهبة الله ذلك بانهم قوم لا يفقهون لا يعلمون عظمة
الله حتى يخشوه حق خشيته ويعلمون انه الحقيق بان يخشى لا يقاتلونكم اليهود
والمنافقون جميعا مجتمعين الا في قرى محصنة بالدروب والخنادق او من

وراء جدر لفرط رهبتهم وقرا ابن كثير وابو عمرو جدار وامالها ابو عمرو وفتحه الكا
باسهم بينهم شديد اي وليس ذلك لضعفهم وجبنهم فانه يشتد باسهم اذا
حارب بعضهم بعضا بل لقذف الله الرعب في قلوبهم ولان الشجاع يجبن والعزيز
يذل اذا حارب الله ورسوله تحسبهم جميعا مجتمعين متفقين وقلوبهم شتى
متفرقة لافتراق عقايدهم واختلاف مقاصدهم ذلك بانهم قوم لا يعقلون
ما فيه صلاحهم وان تشتت القلوب يوهن قواهم كمثل الذين من قبلهم اي
مثل اليهود كمثل اهل بدر او بني قينقاع ان صح انهم اخرجوا قبل بني النضير المشركين
من الامم الماضية قريبا في زمان قريب وانتصابه بمثل اذ التقدير كوجود مثل
ذاقوا وبال امرهم سوء عاقبة امرهم في الدنيا ولهم عذاب اليم في الاخرة
كمثل الشيطان اي مثل المنافقين في اغراء اليهود على القتال كمثل الشيطان اذ قال
للانسان اكفر اغراه على الكفر اغراء الامر المامور فلما كفر قال اني بريء منك تبرا
عنه مخافة ان يشاركه في العذاب ولم ينفعه ذلك كما قال اني اخاف الله رب العالمين
فكان عاقبتهما انهما في النار خالدين فيها وذلك جزاء الظالمين والمراد
من الانسان الجنس وقيل ابو جهل قال له ابليس يوم بدر لا غالب لكم اليوم من
الناس واني جار لكم الاية وقيل راهب حمله على الفجور والارتداد وقرئ عاقبتهما
وخالدان على انهما الخبران وفي النار لغو يا ايها الذين امنوا اتقوا الله ولتنظر
نفس ما قدمت لغد ليوم القيمة سماه لدنوه او لان الدنيا كيوم والاخرة
غده وتنكيره للتعظيم واما تنكير النفس فلاستقلال الانفس التي تنظر فيما قدمت
للاخرة كانه قال فلتنظر نفس واحدة في ذلك واتقوا الله تكرير للتاكيد او الاول
في اداء الواجبات لانه مقرون بالعمل والثاني في ترك المحارم لاقترانه بقوله
ان الله خبير بما تعملون وهو كالوعيد على المعاصي ولا تكونوا كالذين نسوا
الله نسوا حقه فانساهم انفسهم فجعلهم ناسين لها حتى لم يسمعوا ما ينفعها
ولم يفعلوا ما يخلصها او اراهم يوم القيمة من الهول ما انساهم انفسهم اولئك
هم الفاسقون الكاملون في الفسوق لا يستوي اصحاب النار واصحاب
الجنة الذين استكملوا انفسهم فاستاهلوا الجنة والذين استمهنوها فاستحقوا
النار واحتج به اصحابنا على ان المسلم لا يقتل بالكافر اصحاب الجنة هم
الفايزون بالنعيم المقيم لو انزلنا هذا القران على جبل لرايته تمثيل
وتخييل كما مر في قوله انا عرضنا الامانة ولذلك عقبه بقوله خاشعا متصدعا
من خشية الله فان الاشارة اليه والى امثاله والمراد توبيخ الانسان على عدم

تخشعه عند تلاوة القران لقساوة قلبه وقلة تدبره والتصدع التشقق وقرئ
مصدعا على الادغام وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون هو الله
الذي لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم ما غاب عن الحس
من الجواهر القدسية واحوالها وما حضر له من الاجرام واعراضها وتقديم الغيب
لتقدمه في الوجود وتعلق العلم القديم به او المعدوم والموجود او السر والعلانية
هو الله الذي لا اله الا هو الملك القدوس البليغ في النزاهة عما يوجب نقصانا
وقرئ بالفتح وهو لغة فيه السلام ذو السلامة من كل نقص وافة مصدر وصف
به للمبالغة المؤمن واهب الامن وقرئ بالفتح بمعنى المؤمن به على حذف الجار
المهيمن الرقيب الحافظ لكل شيء مفيعل من الامن قلبت همزته ها العزيز الجبار
الذي جبر خلقه على ما اراد او جبر حالهم بمعنى اصلحه المتكبر الذي تكبر عن كل ما
يوجب حاجة او نقصانا سبحان الله عما يشركون اذ لا يشاركه في شيء من ذلك
هو الله الخالق المقدر للاشياء على مقتضى حكمته البارئ الموجد لها بريئا من التفاوت
المصور الموجد لصورها وكيفياتها كما اراد ومن اراد الاطناب في شرح هذه الاسما
ومعانيها فعليه بكتابي المسمى بمنتهى المنى له الاسماء الحسنى لانها دالة على محاسن
المعاني يسبح له ما في السموات والارض لتنزهه عن النقايص كلها وهو العزيز
الحكيم الجامع للكمالات باسرها فانها راجعة الى الكمال في القدرة والعلم عن
النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الحشر غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تاخر

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا عدوي
وعدوكم اولياء نزلت في حاطب بن ابي بلتعة فانه لما علم ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم يغزو اهل مكة كتب اليهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدكم
فخذوا حذركم وارسل مع سارة مولاة بني المطلب فنزل جبريل فبعث رسول الله
صلى الله عليه وسلم عليا وعمارا وطلحة والزبير والمقداد وابا مرثد وقال انطلقوا
حتى تاتوا روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب حاطب الى اهل مكة فخذوه منها
وخلوها فان ابت فاضربوا عنقها فادركوها ثم جحدت فسل علي السيف فاخرجته
من عقيصتها فاستحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم حاطبا وقال ما حملك عليه
فقال ما كفرت منذ اسلمت ولا غششتك منذ نصحتك ولكني كنت امرا ملصقا في قريش
وليس فيهم من يحمي اهلي فاردت ان اخذ عندهم يدا وقد علمت ان كتابي لا يغني عنهم

شيئا فصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وعذره تلقون اليهم بالمودة تفضون
اليهم المودة بالمكاتبة والباء مزيدة او اخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبب
المودة والجملة حال من فاعل لا تتخذوا او صفة لاولياء جرت على غير من هي له
فلا حاجة فيها الى ابراز الضمير لانه مشروط في الاسم دون الفعل وقد كفروا
بما جاءكم من الحق حال من فاعل احد الفعلين يخرجون الرسول واياكم اي من
مكة وهو حال من كفروا او استيناف لبيانه ان تؤمنوا بالله ربكم بان تؤمنوا به
وفيه تغليب المخاطب والالتفات من التكلم الى الغيبة للدلالة على ما يوجب الايمان
ان كنتم خرجتم عن اوطانكم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي علة للخروج
وعمدة للتعليق وجواب الشرط محذوف دل عليه لا تتخذوا تسرون اليهم بالمودة
بدل من تلقون او استيناف معناه اي طائل لكم في اسرار المودة او الاخبار بسبب
المودة وانا اعلم بما اخفيتم وما اعلنتم اي منكم وقيل اعلم مضارع والباء مزيدة
وما موصولة او مصدرية ومن يفعله منكم اي يفعل الاتخاذ فقد ضل سواء السبيل
اخطأه ان يثقفوكم يظفروا بكم يكونوا لكم اعداء ولا ينفعكم القاء المودة اليهم
ويبسطوا اليكم ايديهم والسنتهم بالسوء ما يسوءكم كالقتل والشتم وودوا
لو تكفرون وتمنوا ارتدادكم ومجيئه وحده بلفظ الماضي للاشعار بانهم ودوا
ذلك قبل كل شيء وان ودادهم حاصلة وان لم يثقفوكم لن تنفعكم ارحامكم قراباتكم
ولا اولادكم الذين توالون المشركين لاجلهم يوم القيمة يفصل بينكم يفرق بينكم
بما عراكم من الهول فيفر بعضكم من بعض فما لكم ترفضون اليوم حق الله لمن يفر
عنكم غدا وقرأ حمزة والكسائي بالتشديد وكسر الصاد وفتح الفاء وابن عامر يفصل
على البناء للمفعول مع التشديد وهو بينكم وعاصم يفصل والله بما تعملون بصير
فيجازيكم عليه قد كانت لكم اسوة حسنة قدوة اسم لما يؤتسى به في ابراهيم
والذين معه صفة ثانية او خبر كان ولكم لغو او حال من المستكن في حسنة
او صلة لها لا لاسوة لانها وصفت اذ قالوا لقومهم ظرف لخبر كان انا برءاؤا منكم
جمع بريء كظريف وظرفاء ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم اي بدينكم او بمعبودكم
وبه فلا نعتد بشانكم والهتكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابدا حتى
تؤمنوا بالله وحده فتنقلب العداوة والبغضاء الفة ومحبة الا قول ابراهيم لابيه
لاستغفرن لك استثناء من قوله اسوة حسنة فان استغفاره لابيه الكافر ليس مما
ينبغي ان يأتسوا به فانه كان قبل النهي او لموعدة وعدها اياه وما املك لك
من الله من شيء من تمام قوله المستثنى ولا يلزم من استثناء المجموع استثناء جميع اجزائه ربنا

عليك توكلنا واليك انبنا واليك المصير متصل بما قبل الاستثناء او امر من
الله للمؤمنين بان يقولوه تتميما لما وصاهم به من قطع العلائق بينهم وبين الكفار
ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا بان تسلطهم علينا فيفتنونا بعذاب لا نتحمله
واغفر لنا ما فرط منا ربنا انك انت العزيز الحكيم ومن كان كذلك كان حقيقا
بان يجير المتوكل ويجيب الداعي لقد كان لكم فيهم اسوة حسنة تكرير لمزيد الحث
على التأسي بابراهيم ولذلك صدر بالقسم وابدل قوله لمن كان يرجو الله واليوم
الآخر من لكم فانه يدل على انه لا ينبغي لمؤمن ان يترك التأسي بهم وان تركه مؤذن
بسوء العقيدة ولذلك عقبه بقوله ومن يتول فان الله هو الغني الحميد فانه جدير
بان يوعد به الكفرة عسى الله ان يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة
لما نزل لا تتخذوا عادى المؤمنون اقاربهم المشركين وتبرؤا منهم فوعدهم الله
بذلك وانجز اذ اسلم اكثرهم وصاروا لهم اولياء والله قدير على ذلك والله غفور
رحيم لما فرط منكم في موالاتهم من قبل ولما بقي في قلوبكم من ميل الرحم لا ينهاكم
الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم اي لا ينهاكم
عن مبرة هؤلاء لان قوله ان تبروهم بدل من الذين وتقسطوا اليهم تفضوا
اليهم بالقسط اي العدل ان الله يحب المقسطين العادلين روي ان قتيلة
بنت عبد العزى قدمت مشركة على بنتها اسماء بنت ابي بكر بهدايا فلم تقبلها ولم
تاذن لها في الدخول فنزلت انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين واخرجوكم
من دياركم وظاهروا على اخراجكم كمشركي مكة فان بعضهم سعوا في اخراج
المؤمنين وبعضهم اعانوا المخرجين ان تولوهم بدل من الذين بدل الاشتمال
ومن يتولهم فاولئك هم الظالمون لوضعهم الولاية في غير موضعها يا ايها
الذين امنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن فاختبروهن بما
يغلب على ظنكم موافقة قلوبهن لسانهن في الايمان الله اعلم بايمانهن فانه
المطلع على ما في قلوبهن فان علمتموهن مؤمنات العلم الذي عليكم تحصيله
وهو الظن الغالب بالحلف وظهور الامارات وانما سماه علما ايذانا بانه كالعلم
في وجوب العمل به فلا ترجعوهن الى الكفار اي الى ازواجهن الكفرة لقوله لا
هن حل لهم ولا هم يحلون لهن والتكرير للمطابقة والمبالغة او الاولى لحصول
الفرقة والثانية للمنع عن الاستيناف واتوهم ما انفقوا ما دفعوا اليهن من المهور
وذلك لان صلح الحديبية جرى على ان من جاءنا منكم رددناه فلما تعذر عليه
ردهن لورود النهي عنه لزمه رد مهورهن اذ روي انه عليه الصلوة والسلام كان

بعد الحديبية اذ جاءته سبيعة بنت الحارث الاسلمية مسلمة فاقبل زوجها
مسافر المخزومي طالبا لها فنزلت فاستحلفها رسول الله صلى الله عليه وسلم
فحلفت فاعطى زوجها ما انفق وتزوجها عمر ولا جناح عليكم ان تنكحوهن فان
الاسلام حال بينهن وبين ازواجهن اذا آتيتموهن اجورهن شرط ايتاء المهر في نكاحهن
ايذانا بان ما اعطى ازواجهن لا يقوم مقام المهر ولا تمسكوا بعصم الكوافر بما
يعتصم به الكافرات من عقد ونسب جمع عصمة والمراد نهي المؤمنين عن المقام
على نكاح المشركات وقرأ البصريان ولا تمسكوا بالتشديد واسألوا ما انفقتم من
مهور نسائكم اللاحقات بالكفار وليسألوا ما انفقوا من مهور ازواجهم المهاجرات
ذلكم حكم الله يعني جميع ما ذكر في الآية يحكم بينكم استئناف او حال من الحكم
على حذف الضمير او جعل الحكم حاكما على المبالغة والله عليم حكيم يشرع ما تقتضيه
حكمته وان فاتكم وان سبقكم وانفلت شيء من ازواجكم احد من ازواجكم وقد
قرئ به وايقاع شيء موقعه للتحقير والمبالغة في التعميم او شيء من مهورهن الى
الكفار فعاقبتم فجاءت عقبتكم اي نوبتكم من اداء المهر شبه الحكم باداء هؤلاء مهور
نساء اولئك تارة واداء اولئك مهور نساء هؤلاء اخرى بامر يتعاقبون فيه كما
يتعاقب في الركوب وغيره فآتوا الذين ذهبت ازواجهم مثل ما انفقوا من مهر
المهاجرة ولا تؤتوه زوجها الكافر روي انه لما نزلت الآية المتقدمة ابى المشركون
ان يؤدوا مهر الكوافر فنزلت وقيل معناه ان فاتكم فاصبتم من الكفار عقبى
هي الغنيمة فآتوا بدل الفائت من الغنيمة واتقوا الله الذي انتم به مؤمنون
فان الايمان به مما يقتضي التقوى منه يا ايها النبي اذا جاءك المؤمنات يبايعنك
على ان لا يشركن بالله شيئا نزلت يوم الفتح فانه عليه الصلوة والسلام لما
فرغ من بيعة الرجال اخذ في بيعة النساء ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن
اولادهن يريد وأد البنات ولا يأتين ببهتان يفترينه بين ايديهن وارجلهن
ولا يعصينك في معروف في حسنة تامرهن بها والتقييد بالمعروف مع ان
الرسول عليه الصلوة والسلام لا يامر الا به تنبيه على انه لا يجوز طاعة مخلوق
في معصية الخالق فبايعهن اذا بايعنك بضمان الثواب على الوفاء بهذه الاشياء
واستغفر لهن الله ان الله غفور رحيم يا ايها الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب
الله عليهم يعني عامة الكفار او اليهود روي انها نزلت في بعض فقراء المسلمين
كانوا يواصلون اليهود ليصيبوا من ثمارهم قد يئسوا من الآخرة لكفرهم بها
او لعلمهم بانه لا حظ لهم فيها لعنادهم الرسول المنعوت في التورية المؤيد

بالآيات كما يئس الكفار من اصحاب القبور ان يبعثوا او يثابوا او ينالهم خير
منهم وعلى الاول وضع الظاهر فيه موضع الضمير للدلالة على ان الكفر آيسهم عن
النبي صلعم من قرأ سورة الممتحنة كان له المؤمنون والمؤمنات شفعاء يوم القيمة

بسم الله الرحمن الرحيم سبح لله ما في السموات وما في الارض
وهو العزيز الحكيم سبق تفسيره يا ايها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون
روي ان المسلمين قالوا لو علمنا احب الاعمال الى الله لبذلنا فيه اموالنا وانفسنا
فانزل الله ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا فولوا يوم احد فنزلت ولم
مركبة من لام الجر وما الاستفهامية والاكثر على حذف الفها مع حرف الجر لكثرة
استعمالهما معا واعتناقهما في الدلالة على المستفهم عنه كبر مقتا عند الله ان تقولوا
ما لا تفعلون المقت اشد البغض ونصبه على التمييز للدلالة على ان قولهم هذا
مقت خالص كبير عند من يحقره ونبه كل عظيم مبالغة في المنع عنه ان الله يحب الذين
يقاتلون في سبيله صفا مصطفين مصدر وصف به كأنهم بنيان مرصوص في
تراصهم من غير فرجة حال من المستكن في الحال الاولى والرص اتصال بعض البناء
بالبعض واستحكامه واذ قال موسى لقومه مقدر باذكر او كان كذا يا قوم لم
تؤذونني بالعصيان والرمي بالادرة وقد تعلمون اني رسول الله اليكم بما
جئتكم من المعجزات والجملة حال مقررة للانكار فان العلم بنبوته يوجب تعظيمه
ويمنع ايذاءه وقد لتحقيق العلم فلما زاغوا عن الحق ازاغ الله قلوبهم صرفها
عن قبول الحق والميل الى الصواب والله لا يهدي القوم الفاسقين هداية
موصلة الى معرفة الحق او الى الجنة واذ قال عيسى ابن مريم يا بني اسرائيل
ولعله لم يقل يا قوم كما قال موسى لانه لا نسب له فيهم اني رسول الله اليكم مصدقا
لما بين يدي من التورية ومبشرا في حال تصديقي لما تقدمني من التورية وتبشيري
برسول يأتي من بعدي والعامل في الحالين ما في الرسول من معنى الارسال
لا الجار لانه لغو اذ هو صلة للرسول فلا يعمل اسمه احمد يعني محمدا صلى الله عليه
وسلم والمعنى ديني التصديق بكتب الله وانبيائه فذكر اول الكتب المشهورة الذي
حكم به النبيون والنبي الذي هو خاتم المرسلين فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا
سحر مبين الاشارة الى ما جاء به او اليه وتسميته سحرا للمبالغة ويؤيده قراءة
حمزة والكسائي هذا ساحر على ان الاشارة الى عيسى عليه السلام ومن اظلم

ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى الى الاسلام اي لا احد اظلم ممن يدعى
الى الاسلام الظاهر حقيقته المقتضي لخير الدارين فيضع موضع اجابته الافترا
على الله بتكذيب رسوله وتسمية اياته سحرا فانه يعم اثبات المنفي ونفي الثابت
وقرئ يدّعي يقال دعاه وادعاه كلمسه والتمسه والله لا يهدي القوم الظالمين لا يرشدهم
الى ما فيه فلاحهم يريدون ليطفئوا اي يريدون ان يطفئوا واللام مزيدة
لما فيها من معنى الارادة تاكيدا لها كما زيدت لاضافة في لا ابا لك او يريدون
الافترا ليطفئوا نور الله يعني دينه او كتابه او حجته بافواههم بطعنهم فيه والله
متم نوره مبلغ غايته بنشره واعلائه وقرا ابن كثير وحمزة والكسائي وحفص بالاضافة
ولو كره الكافرون ارغاما لهم هو الذي ارسل رسوله بالهدى بالقران والمعجزة
ودين الحق والملة الحنيفية ليظهره على الدين كله ليعليه على جميع الاديان
ولو كره المشركون لما فيه من محض التوحيد وابطال الشرك يا ايها الذين امنوا
هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم وقرا ابن عامر تنجيكم بالتشديد تؤمنون
بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم استيناف مبين
للتجارة وهو الجمع بين الايمان والجهاد المؤدي الى كمال عزهم والمراد به الامر
وانما جيء بلفظ الخبر ايذانا بان ذلك مما لا يترك ذلكم خير لكم يعني ما ذكر من
الايمان والجهاد ان كنتم تعلمون ان كنتم من اهل العلم اذ الجاهل لا يعتد بفعله
يغفر لكم ذنوبكم جواب للامر المدلول عليه بلفظ الخبر او لشرط او استفهام
دل عليه الكلام تقديره ان تؤمنوا وتجاهدوا او هل تقبلون ان ادلكم يغفر لكم
وبعد جعله جوابا لهل ادلكم لان مجرد دلالته لا توجب المغفرة ويدخلكم جنات
تجري من تحتها الانهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم
الاشارة الى ما ذكر من المغفرة وادخال الجنة واخرى تحبونها ولكم الى هذه النعمة
المذكورة نعمة اخرى عاجلة محبوبة وفي تحبونها تعريض بانهم يؤثرون العاجل
على الاجل وقيل اخرى منصوبة باضمار يعطكم او تحبون او مبتدا خبره نصر من الله
وهو على الاول بدل او بيان وعلى قول النصب خبر محذوف وقد قرئ بما عطف
عليه بالنصب على البدل او الاختصاص او المصدر وفتح قريب عاجل وبشر المؤمنين
عطف على محذوف مثل قل يا ايها الذين امنوا وبشر او على تؤمنون فانه في معنى
الامر كانه قال امنوا وجاهدوا ايها المؤمنون وبشرهم يا رسول الله بما وعدتهم
عليهما اجلا وعاجلا يا ايها الذين امنوا كونوا انصار الله وقرا الحجازيان وابو
عمرو بالتنوين واللام لان المعنى كونوا بعض انصار الله كما قال عيسى ابن مريم للحواريين

من انصاري الى الله اي من جندي متوجها الى نصرة الله ليطابق قوله قال الحواريون
نحن انصار الله والاضافة الاولى اضافة احد المتشاركين الى الاخر لما بينهما
من الاختصاص والثانية اضافة الفاعل الى المفعول والتشبيه باعتبار المعنى اذ
المراد قل لهم كما قال عيسى او كونوا انصارا كما كان الحواريون حين قال لهم عيسى من انصاري
الى الله والحواريون اصفياؤه وهم اول من امن به من الحور وهو البياض وكانوا
اثني عشر رجلا فامنت طائفة من بني اسرائيل وكفرت طائفة اي بعيسى فايدنا
الذين امنوا على عدوهم بالحجة او بالحرب وذلك بعد رفع عيسى فاصبحوا ظاهرين
فصاروا غالبين عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الصف كان عيسى مصليا
عليه مستغفرا له ما دام في الدنيا وهو يوم القيامة رفيقه

بسم الله الرحمن الرحيم يسبح لله ما في السموات وما في الارض
الملك القدوس العزيز الحكيم وقد قرئ الصفات الاربع بالرفع على المدح
هو الذي بعث في الاميين اي في العرب لان اكثرهم لا يكتبون ولا يقرؤون
رسولا منهم من جملتهم اميا مثلهم يتلو عليهم اياته مع كونه اميا مثلهم لم يعهد منه
قراءة ولا تعلم ويزكيهم من خبائث العقائد والاعمال ويعلمهم الكتاب والحكمة
القران والشريعة او معالم الدين من المنقول والمعقول ولو لم يكن له سواه
معجزة لكفاه وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين من الشرك وخبث الجاهلية
وهو بيان لشدة احتياجهم الى نبي يرشدهم وازاحة لتوهم ان الرسول
تعلم ذلك من معلم وان هي المخففة واللام تدل عليها واخرين منهم عطف على
الاميين او المنصوب في يعلمهم وهم الذين جاؤوا بعد الصحابة الى يوم الدين
فان دعوته وتعليمه يعم الجميع لما يلحقوا بهم لم يلحقوا بهم بعد وسيلحقون
وهو العزيز في تمكينه من هذا الامر الخارق للعادة الحكيم في اختياره وتعليمه
ذلك فضل الله ذلك الفضل الذي امتاز به عن اقرانه فضله يؤتيه من يشاء
تفضلا وعطية والله ذو الفضل العظيم الذي يستحقر دونه نعم الدنيا ونعيم
الاخرة مثل الذين حملوا التورية علموها وكلفوا العمل بها ثم لم يحملوها
لم يعملوا ولم ينتفعوا بما فيها كمثل الحمار يحمل اسفارا كتبا من العلم يتعب في
حملها ولا ينتفع بها ويحمل حال والعامل فيه معنى المثل او صفة اذ ليس المراد
من الحمار معينا بئس مثل القوم الذين كذبوا بايات الله اي مثل الذين كذبوا

في ص

وهم المكذبون بآيات الله الدالة على نبوة محمد عليه الصلوة والسلام ويجوز ان
يكون الذين صفة للقوم والمخصوص بالذم محذوفا والله لا يهدي القوم الظالمين
قل يا ايها الذين هادوا تهودوا ان زعمتم انكم اولياء لله من دون الناس اذ
كانوا يقولون نحن اولياء الله واحباؤه فتمنوا الموت فتمنوا من الله ان يميتكم
وينقلكم من دار البلية الى محل الكرامة ان كنتم صادقين في زعمكم ولا يتمنونه
ابدا بما قدمت ايديهم بسبب ما قدموا من الكفر والمعاصي والله عليم بالظالمين
فيجازيهم على اعمالهم قل ان الموت الذي تفرون منه وتخافون ان تتمنوه
بلسانكم مخافة ان يصيبكم فتؤاخذوا باعمالكم فانه ملاقيكم لاحق بكم والفاء
لتضمن الاسم معنى الشرط باعتبار الوصف فكان فرارهم يسرع لحوقه بهم
وقد قرئ بغيرها ويجوز ان يكون الموصول خبرا والفاء عاطفة ثم تردون
الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون بان يجازيكم عليه يا ايها
الذين امنوا اذا نودي للصلوة اي اذن لها من يوم الجمعة بيان لاذا وانما
سمي جمعة لاجتماع الناس فيه للصلاة وكانت العرب تسميه العروبة وقيل
سماه كعب بن لؤي لاجتماع الناس فيه واول جمعة جمعها رسول الله صلى الله
عليه وسلم انه لما قدم المدينة نزل قباء واقام بها الى الجمعة ثم دخل المدينة
وصلى الجمعة في دار لبني سالم بن عوف فاسعوا الى ذكر الله فامضوا اليه
مسرعين قصدا فان السعي دون العدو والذكر الخطبة وقيل الصلوة والامر
بالسعي اليها يدل على وجوبها وذروا البيع واتركوا المعاملة ذلكم خير لكم اي
السعي الى ذكر الله خير لكم من المعاملة فان نفع الاخرة خير وابقى ان كنتم تعلمون
الخير والشر الحقيقيين او كنتم من اهل العلم فاذا قضيت الصلوة اديت وفرغ
منها فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله اطلاق لما حظر عليهم واحتج
به من جعل الامر بعد الحظر للاباحة وفي الحديث وابتغوا من فضل الله ليس بطلب
الدنيا وانما هو عيادة وحضور جنازة وزيارة اخ في الله واذكروا الله كثيرا واذكروه
في مجامع احوالكم ولا تخصوا ذكره بالصلاة لعلكم تفلحون بخير الدارين
واذا راوا تجارة او لهوا انفضوا اليها روي انه عليه الصلوة والسلام كان
يخطب للجمعة فمرت عير تحمل الطعام فخرج الناس اليهم الا اثنى عشر فنزلت
وافراد التجارة برد الكناية لانها المقصودة فان المراد من اللهو الطبل الذي
كانوا يستقبلون به والترديد للدلالة على ان منهم من انفض لمجرد سماع الطبل
ورؤيته او للدلالة على ان الانفضاض الى التجارة مع الحاجة اليها والانتفاع
بها اذا كان مذموما كان الانفضاض الى اللهو اولى بذلك وقيل تقديره اذا
راوا تجارة انفضوا اليها واذا راوا لهوا انفضوا اليه وتركوك قائما اي على المنبر
قل ما عند الله من الثواب خير من اللهو ومن التجارة فان ذلك محقق مخلد بخلاف
ما تتوهمون من نفعهما والله خير الرازقين فتوكلوا عليه واطلبوا الرزق منه
عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الجمعة اعطي من الاجر عشر حسنات
بعدد من اتى الجمعة ومن لم يأتها في امصار المسلمين

سورة المنافقون

بسم الله الرحمن الرحيم اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك
لرسول الله الشهادة اخبار عن علم من الشهود وهو الحضور والاطلاع ولذلك
صدق المشهود به وكذبهم في الشهادة بقوله والله يعلم انك لرسوله
والله يشهد ان المنافقين لكاذبون لانهم لم يعتقدوا ذلك اتخذوا ايمانهم
حلفهم الكاذب او شهادتهم هذه فانها تجري مجرى الحلف في التوكيد
وقرئ ايمانهم جنة وقاية عن القتل والسبي فصدوا عن سبيل الله صدا
او صدودا انهم ساء ما كانوا يعملون من نفاقهم وصدهم ذلك اشارة الى
الكلام المتقدم اي ذلك القول الشاهد على سوء اعمالهم او الى الحال المذكورة
من النفاق والكذب والاستجنان بالايمان بانهم امنوا بسبب انهم امنوا ظاهرا
ثم كفروا سرا او امنوا اذا راوا الاية ثم كفروا حيث ما سمعوا من شياطينهم شبهة
فطبع على قلوبهم حتى تمرنوا على الكفر واستحكموا فيه فهم لا يفقهون حقيقة
الايمان ولا يعرفون صحته واذا رايتهم تعجبك اجسامهم لضخامتها وصباحتها
وان يقولوا تسمع لقولهم لذلاقتهم وحلاوة كلامهم وكان ابن ابي جسيما فصيحا
يحضر مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم في جمع مثله فيعجب بهياكلهم ويصغي
الى كلامهم كانهم خشب مسندة حال من الضمير المجرور في لقولهم اي تسمع لما
يقولون مشبهين بالخشب مسندة الى الحائط في كونهم اشباحا خالية عن العلم
والنظر وقيل الخشب جمع خشباء وهي الخشبة التي نخر جوفها شبهوا بها في حسن المنظر
وقبح المخبر وقرا ابو عمرو والكسائي وقنبل عن ابن كثير بسكون الشين على التخفيف
او على انه كبدن في جمع بدنة يحسبون كل صيحة عليهم اي واقعة عليهم لجبنهم
واتهامهم فعليهم ثاني مفعولي يحسبون ويجوز ان يكون صلة والمفعول هم العدو
وعلى هذا يكون الضمير للكل وجمعه بالنظر الى الخبر لكن ترتب قوله فاحذرهم

عليه يدل على ان الضمير للمنافقين قاتلهم الله دعاء عليهم وهو طلب من ذاته ان يلعنهم او تعليم للمؤمنين ان يدعوا عليهم بذلك انى يؤفكون كيف يصرفون عن الحق واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤسهم عطفوها اعراضا واستكبارا عن ذلك ورايتهم يصدون يعرضون عن الاستغفار وهم مستكبرون عن الاعتذار سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم ان الله لا يهدي القوم الفاسقين الخارجين عن مظنة الاستصلاح لانهماكهم في الكفر والنفاق هم الذين يقولون اي للانصار لا تنفقوا على من عند رسول الله يعنون فقراء المهاجرين حتى ينفضوا ولله خزائن السموات والارض بيده الارزاق والقسم ولكن المنافقين لا يفقهون ذلك لجهلهم بالله يقولون لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل روي ان اعرابيا نازع انصاريا في بعض الغزوات على ماء فضرب الاعرابي راسه بخشبة فشكى الى ابن ابي فقال لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا واذا رجعنا الى المدينة فليخرج الاعز الاذل عنى بالاعز نفسه وبالاذل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرئ ليخرجن بفتح الياء وليخرجن على بناء المفعول ولنخرجن بالنون ونصب الاعز والاذل وعلى هذه القراءات مصدر او حال على تقدير المضاف كخروج او اخراج او مثل ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولله الغلبة والقوة ولمن اعزه من رسوله والمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون من فرط جهلهم وغرورهم يا ايها الذين امنوا لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله لا يشغلكم تدبيرها والاهتمام بها عن ذكره كالصلاة وسائر العبادات المذكورة للمعبود والمراد نهيهم عن اللهو بها وتوجيه النهي اليها للمبالغة ولذلك قال ومن يفعل ذلك اي اللهو بها وهو الشغل فاولئك هم الخاسرون لانهم باعوا العظيم الباقي بالحقير الفاني وانفقوا مما رزقناكم بعض اموالكم ادخارا للاخرة من قبل ان ياتي احدكم الموت اي يرى دلائله فيقول رب لولا اخرتني امهلتني الى اجل قريب امد غير بعيد فاصدق فاتصدق واكن من الصالحين بالتدارك وجزم اكن للعطف على موضع الفاء وما بعده وقرا ابو عمرو واكون منصوبا عطفا على اصدق وقرئ بالرفع على وانا اكون فيكون عدة بالصلاح ولن يؤخر الله نفسا ولن يمهلها اذا جاء اجلها اخر عمرها والله خبير بما تعملون فمجاز عليه وقرا ابو بكر بالياء ليوافق ما قبله في الغيبة عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة المنافقين برئ من النفاق

بسم الله الرحمن الرحيم يسبح لله ما في السموات وما في الارض بدلالتها على كماله واستغنائه له الملك وله الحمد قدم الظرفين للدلالة على اختصاص الامرين به من حيث الحقيقة وهو على كل شيء قدير لان نسبة ذاته المقتضية للقدرة الى الكل على سواء ثم شرع فيما ادعاه فقال هو الذي خلقكم فمنكم كافر مقدر كفره موجه اليه ما يحمله عليه ومنكم مؤمن مقدر ايمانه موفق لما يدعوه اليه والله بما تعملون بصير فيعاملكم بما يناسب اعمالكم خلق السموات والارض بالحق بالحكمة البالغة وصوركم فاحسن صوركم فصوركم من جملة ما خلق فيهما باحسن صورة حيث زينكم بصفوة اوصاف الكائنات وخصكم بخلاصة خصائص المبدعات وجعلكم انموذج جميع المخلوقات واليه المصير فاحسنوا سرائركم حتى لا يمسخ بالعذاب ظواهركم يعلم ما في السموات والارض ويعلم ما تسرون وما تعلنون والله عليم بذات الصدور فلا يخفى عليه ما يصح ان يعلم كليا كان او جزئيا لان نسبة المقتضي لعلمه الى الكل واحدة وتقديم تقرير القدرة على العلم لان دلالة المخلوقات على قدرته اولا وبالذات وعلى علمه بما فيها من الاتقان والاختصاص ببعض الانحاء الم ياتكم ايها الكفار نبؤ الذين كفروا من قبل كقوم نوح وهود وصالح فذاقوا وبال امرهم ضرر كفرهم في الدنيا واصله الثقل ومنه الوبيل لطعام يثقل على المعدة والوابل للمطر الثقيل القطار ولهم عذاب اليم في الاخرة ذلك اي المذكور من الوبال والعذاب بانه بسبب ان الشان كانت تاتيهم رسلهم بالبينات بالمعجزات فقالوا ابشر يهدوننا انكروا وتعجبوا ان يكون الرسل بشرا والبشر يطلق للواحد والجمع فكفروا بالرسل وتولوا عن التدبر في البينات واستغنى الله عن كل شيء فضلا عن طاعتهم والله غني عن عبادتهم وغيرها حميد يدل على حمده كل مخلوق زعم الذين كفروا ان لن يبعثوا الزعم ادعاء العلم ولذلك يتعدى الى مفعولين وقد قام مقامهما ان مع ما في حيزه قل بلى اي بلى تبعثون وربي لتبعثن قسم اكد به الجواب ثم لتنبؤن بما عملتم بالمحاسبة والمجازاة وذلك على الله يسير لقبول المادة وحصول القدرة التامة فامنوا بالله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم والنور الذي انزلنا يعني القران فانه باعجازه ظاهر بنفسه مظهر لغيره مما فيه شرحه وبيانه والله بما تعملون خبير فمجاز عليه يوم يجمعكم ظرف لتنبؤن

او متعلق باذكروا وقرا يعقوب نجمعكم بالنون ليوم الجمع لاجل ما فيه من الحساب
والجزا والجمع جمع الملائكة والثقلين ذلك يوم التغابن يغبن فيه بعضهم
بعضا لنزول السعدا منازل الاشقيا لو كانوا سعدا وبالعكس مستعار من تغابن
التجار واللام فيه للدلالة على ان التغابن الحقيقي هو التغابن في امور الاخرة
لعظمها ودوامها ومن يومن ويعمل صالحا اي عملا صالحا يكفر عنه سياته
ويدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا وقرا نافع وابن
عامر بالنون فيهما ذلك الاشارة الى مجموع الامرين ولذلك جعله الفوز العظيم
لانه جامع للمصالح من دفع المضار وجلب المنافع والذين كفروا وكذبوا
باياتنا اوليك اصحاب النار خالدين فيها وبيس المصير كانها والاية المتقدمة
بيان للتغابن وتفصيل له ما اصاب من مصيبة الا باذن الله الا بتقديره
وارادته ومن يومن بالله يهد قلبه للثبات والاسترجاع عند حلولها وقرى
يهد قلبه بالرفع على اقامته مقام الفاعل وبالنصب على طريقة سفه نفسه
ويهدا بالهمز اي يسكن والله بكل شي عليم حتى القلوب واحوالها واطيعوا
الله واطيعوا الرسول فان توليتم فانما على رسولنا البلاغ المبين اي فان
توليتم فلا باس عليه اذ وظيفته التبليغ وقد بلغ الله لا اله الا هو وعلى الله
فليتوكل المومنون لان ايمانهم بان الكل منه يقتضي ذلك يا ايها الذين امنوا
ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم يشغلكم عن طاعة الله او يخاصمكم في
امر الدين او الدنيا فاحذروهم ولا تامنوا غوايلهم وان تعفوا عن ذنوبهم
بترك المعاقبة وتصفحوا بالاعراض وترك التثريب عليها وتغفروا باخفائها
وتمهيد معذرتهم فيها فان الله غفور رحيم يعاملكم بمثل ما عملتم ويتفضل
عليكم انما اموالكم واولادكم فتنة اختبار لكم والله عنده اجر عظيم
لمن اثر محبة الله وطاعته على محبة الاموال والاولاد والسعي لهم فاتقوا الله
ما استطعتم اي ابذلوا في تقواه جهدكم وطاقتكم واسمعوا مواعظه واطيعوا
اوامره وانفقوا في وجوه الخير خالصا لوجهه خيرا لانفسكم اي افعلوا ما
هو خير لها وهو تاكيد للحث على امتثال هذه الاوامر ويجوز ان يكون صفة مصدر
محذوف او خبرا لكان مقدرا جوابا للاوامر ومن يوق شح نفسه فاوليك هم
المفلحون سبق تفسيره ان تقرضوا الله بصرف المال فيما امره قرضا حسنا مقرونا
باخلاص وطيب قلب يضاعفه لكم يجعل لكم بالواحد عشرا الى سبعماية واكثر
وقرا ابن كثير وابن عامر ويعقوب يضعفه لكم ويغفر لكم ببركة الانفاق والله

شكور يعطي الجزيل بالقليل حليم لا يعاجل بالعقوبة عالم الغيب والشهادة لا
يخفى عليه شي العزيز الحكيم تام القدرة والعلم عن النبي صلى الله عليه
وسلم من قرا سورة التغابن دفع عنه موت الفجاة

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها النبي اذا طلقتم النسا خص النداء
وعم الخطاب بالحكم لانه امام امته فنداوه كندايهم او لان الكلام معه
والحكم يعمهم والمعنى اذا اردتم تطليقهن على تنزيل المشارف له منزلة الشارع
فيه فطلقوهن لعدتهن اي وقتها وهو الطهر فان اللام في الازمان وما
يشبهها للتاقيت ومن عد العدة بالحيض علق اللام بمحذوف مثل مستقبلات
وظاهره يدل على ان العدة بالاطهار وان طلاق المعتدة بالاقرا ينبغي ان يكون
في الطهر وانه يحرم في الحيض من حيث ان الامر بالشي يستلزم النهي عن ضده ولا
يدل على عدم وقوعه اذ النهي لا يستلزم الفساد كيف وقد صح ان ابن عمر لما طلق
امراته حايضا امره عليه الصلوة والسلام بالرجعة وهو سبب نزوله واحصوا
العدة واضبطوها واكملوها ثلاثة اقرا واتقوا الله ربكم في تطويل العدة
والاضرار بهن لا تخرجوهن من بيوتهن من مساكنهن وقت الفراق حتى تنقضي
عدتهن ولا يخرجن باستبدادهن اما لو اتفقا على الانتقال جاز اذ الحق لا يعدوهما
وفي الجمع بين النهيين دلالة على استحقاقها السكنى ولزومها ملازمة مسكن
الفراق وقوله الا ان ياتين بفاحشة مبينة مستثنى من الاول والمعنى الا
ان تبذو على الزوج فانه كالنشوز في اسقاط حقها او الا ان تزني فتخرج لاقامة
الحد عليها او من الثاني للمبالغة في النهي والدلالة على ان خروجها فاحشة
وتلك حدود الله الاشارة الى الاحكام المذكورة ومن يتعد حدود الله فقد
ظلم نفسه بان عرضها للعقاب لا تدري اي النفس او انت ايها النبي او المطلق
لعل الله يحدث بعد ذلك امرا وهو الرغبة في المطلقة برجعة او استيناف
فاذا بلغن اجلهن شارفن اخر عدتهن فامسكوهن فراجعوهن بمعروف
بحسن عشرة وانفاق مناسب او فارقوهن بمعروف بايفا الحق واتقا الضرار
مثل ان يراجعها ثم يطلقها تطويلا لعدتها واشهدوا ذوي عدل منكم على الرجعة
او الفرقة تبريا عن الريبة وقطعا للتنازع وهو ندب كقوله واشهدوا اذا تبايعتم
وعن الشافعي وجوبه في الرجعة واقيموا الشهادة لله ايها الشهود عند الحاجة

خالصا لوجهه ذلكم يريد الحث على الاشهاد والاقامة او على جميع ما في الاية
يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فانه المنتفع به والمقصود تذكيره
ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب جملة اعتراضية
مؤكدة لما سبق بالوعد على الاتقاء عما نهى عنه صريحا وضمنا من الطلاق في الحيض
والاضرار بالمعتدة واخراجها من المسكن وتعدي حدود الله وكتمان الشهادة
وتوقع جعل على اقامتها بان يجعل الله له مخرجا مما في شان الازواج من المضايق
والغموم ويرزقه فرجا وخلفا من وجه لم يخطر بباله او بالوعد لعامة المتقين
بالخلوص عن مضار الدارين والفوز بخيرهما من حيث لا يحتسبون او كلام جيء
به للاستطراد عند ذكر المؤمنين وعنه عليه الصلوة والسلام اني لاعلم اية
لو اخذ الناس بها لكفتهم ومن يتق الله فما زال يقرؤها ويعيدها وروي ان سالم
ابن عوف بن مالك الاشجعي اسره العدو فشكا ابوه الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال اتق الله واكثر قول لا حول ولا قوة الا بالله ففعل فبينا هو في
بيته اذ قرع ابنه الباب ومعه مائة من الابل غفل عنها العدو فاستاقها
وفي رواية فرجع ومعه غنيمات ومتاع ومن يتوكل على الله فهو حسبه كافيه
ان الله بالغ امره يبلغ ما يريده ولا يفوته مراد وقرأ حفص بالاضافة وقرئ بالغ
امره اي نافذ وبالغا على انه حال والخبر قد جعل الله لكل شيء قدرا تقديرا
او مقدارا او اجلا لا يتاتى تغييره وهو بيان لوجوب التوكل وتقرير لما تقدم من
تاقيت الطلاق بزمان العدة والامر باحصائها وتمهيد لما سياتي من مقاديرها
واللائي يئسن من المحيض من نسائكم ان ارتبتم شككتم في عدتهن
اي جهلتم فعدتهن ثلاثة اشهر روي انه لما نزل والمطلقات يتربصن بانفسهن
ثلاثة قروء قيل فما عدة اللائي لا يحضن فنزلت واللائي لم يحضن اي واللائي
لم يحضن بعد كذلك واولات الاحمال اجلهن منتهى عدتهن ان يضعن حملهن
وهو حكم يعم المطلقات والمتوفى عنهن ازواجهن والمحافظة على عمومه اولى من
محافظة عموم قوله والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا لان عموم اولات
الاحمال بالذات وعموم ازواجا بالعرض والحكم معلل ههنا بخلاف ثم ولانه
صح ان سبيعة بنت الحارث وضعت بعد وفاة زوجها بليال فذكرت ذلك
لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قد حللت فتزوجي ولانه متاخر النزول
فتقديمه تخصيص وتقديم الاخر بناء للعام على الخاص والاول ارجح للوفاق
عليه ومن يتق الله في احكامه فيراعي حقوقها يجعل له من امره يسرا يسهل عليه

امره ويوفقه للخير ذلك اشارة الى ما ذكر من الاحكام امر الله انزله اليكم ومن
يتق الله في احكامه فيراعي حقوقها يكفر عنه سيئاته فان الحسنات يذهبن السيئات
ويعظم له اجرا بالمضاعفة اسكنوهن من حيث سكنتم اي مكانا من سكناكم
من وجدكم اي مما تطيقونه وهو عطف بيان لقوله من حيث سكنتم ولا تضاروهن
في السكنى لتضيقوا عليهن فتلجؤوهن الى الخروج وان كن اولات حمل فانفقوا
عليهن حتى يضعن حملهن فيخرجن من العدة وهذا يدل على استحقاق النفقة
للحامل من المعتدات والاحاديث تؤيده فان ارضعن لكم بعد انقطاع علقة
النكاح فاتوهن اجورهن على الارضاع واتمروا بينكم بمعروف وليأمر بعضكم
بعضا بجميل في الارضاع والاجر وان تعاسرتم تضايقتم فسترضع له اخرى
امراة اخرى وفيه معاتبة للام على المعاسرة لينفق ذو سعة من سعته ومن
قدر عليه رزقه فلينفق مما اتاه الله اي فلينفق كل من الموسر والمعسر ما بلغه وسعه
لا يكلف الله نفسا الا ما اتاها فانه تعالى لا يكلف نفسا الا وسعها وفيه تطييب
لقلب المعسر ولذلك وعد له باليسر سيجعل الله بعد عسر يسرا اي عاجلا او آجلا
وكاين من قرية اهل قرية عتت عن امر ربها ورسله اعرضت عنه اعراض العاتي
المعاند فحاسبناها حسابا شديدا بالاستقصاء والمناقشة وعذبناها عذابا
نكرا منكرا والمراد حساب الاخرة وعذابها والتعبير بلفظ الماضي للتحقيق فذاقت
وبال امرها عقوبة كفرها ومعاصيها وكان عاقبة امرها خسرا لا ربح فيه اصلا
اعد الله لهم عذابا شديدا تكرير للوعيد وبيان لما يوجب التقوى المامور به
في قوله فاتقوا الله يا اولي الالباب ويجوز ان يكون المراد بالحساب استقصاء
ذنوبهم واثباتها في صحائف الحفظة وبالعذاب ما اصيبوا به عاجلا الذين
امنوا قد انزل الله اليكم ذكرا رسولا يعني بالذكر جبريل لكثرة ذكره او لنزوله
بالذكر وهو القران او لانه مذكور في السموات او ذا ذكر اي شرف او محمد
عليه الصلوة والسلام لمواظبته على تلاوة القران او تبليغه وعبر عن ارساله
بالانزال ترشيحا او لانه مسبب عن انزال الوحي اليه وابدل عنه رسولا للبيان
او اراد به القران ورسولا منصوب بمقدر مثل ارسل او ذكرا والرسول مفعول
له او بدله على انه بمعنى الرسالة يتلو عليكم ايات الله مبينات حال من اسم
الله او صفة رسول والمراد بالذين في قوله ليخرج الذين امنوا وعملوا الصالحات
المؤمنين بعد انزاله اي ليحصل لهم ما هم عليه الان من الايمان والعمل الصالح
او ليخرج من علم او قدر انه يؤمن من الظلمات الى النور من الضلالة الى الهدى

وَمَن يؤمن بالله ويعمل صالحا يدخله جنات تجري من تحتها الانهار
خالدين فيها ابدا وقرا نافع وابن عامر ندخله بالنون قد احسن الله له
رزقا فيه تعجب وتعظيم لما رزق المؤمنين من الثواب الله الذي خلق سبع سموات
مبتدا وخبر ومن الارض مثلهن اي وخلق مثلهن في العدد من الارض وقرئ
بالرفع على الابتدا والخبر يتنزل الامر بينهن اي يجري امر الله وقضاؤه
بينهن وينفذ حكمه فيهن لتعلموا ان الله على كل شيء قدير وان الله قد احاط
بكل شيء علما علة لخلق او يتنزل او مضمر يعمهما فان كلا منهما يدل على كمال قدرته
وعلمه عن النبي صلعم من قرا سورة الطلاق مات على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك روي
انه عليه الصلوة والسلام خلا بمارية في يوم عائشة او حفصة فاطلعت على
ذلك حفصة فعاتبته فحرم مارية وقيل شرب عسلا عند حفصة فواطأت
عائشة سودة وصفية فقلن له انا نشم منك ريح المغافير فحرم العسل فنزلت
تبتغي مرضات ازواجك تفسير لتحرم او حال من فاعله او استيناف ببيان
الداعي اليه والله غفور لك هذه الزلة فانه لا يجوز تحريم ما احل الله رحيم
رحمك حيث لم يؤاخذك به وعاتبك محاماة على عصمتك قد فرض الله لكم
تحلة ايمانكم قد شرع لكم تحليلها وهو حل ما عقدته بالكفارة او الاستثنا
فيها بالمشية حتى لا يحنث من قولهم حلل في يمينه اذا استثنى فيها واحتج به
من راى التحريم مطلقا او تحريم المراة يمينا وهو ضعيف اذ لا يلزم من وجوب
كفارة اليمين فيه كونه يمينا مع احتمال انه عليه الصلوة والسلام اتى بلفظ اليمين
كما قيل والله مولاكم متولي امركم وهو العليم بما يصلحكم الحكيم المتقن في افعاله
واحكامه واذ اسر النبي الى بعض ازواجه يعني حفصة حديثا تحريم مارية
او العسل او ان الخلافة بعده لابي بكر وعمر فلما نبات به اي فلما اخبرت حفصة
عائشة بالحديث واظهره الله عليه واطلع النبي عليه الصلوة والسلام على الحديث
اي على افشائه عرف بعضه عرف الرسول حفصة بعض ما فعلت واعرض عن بعض
عن اعلام بعض تكرما او جازاها على بعضها بتطليقه اياها وتجاوز عن بعض ويؤيده
قراءة الكسائي بالتخفيف فانه لا يحتمل ههنا غيره لكن المشدد من باب اطلاق اسم
المسبب للسبب والمخفف بالعكس ويؤيد الاول فلما نباها به قالت من انباك هذا

قال

قال نباني العليم الخبير فانه اوفق للاعلام ان تتوبا الى الله خطاب لحفصة وعائشة
على الالتفات للمبالغة في المعاتبة فقد صغت قلوبكما فقد وجد منكما ما يوجب
التوبة وهو ميل قلوبكما عن الواجب من مخالصة الرسول بحب ما يحبه وكراهة
ما يكرهه وان تظاهرا عليه وان تتظاهرا عليه بما يسوءه وقرا الكوفيون بالتخفيف
فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين فلن يعدم من يظاهره من الله والملائكة
وصلحاء المؤمنين فان الله ناصره وجبريل رئيس الكروبيين قرينه ومن صلح من المؤمنين
اتباعه واعوانه والملائكة بعد ذلك ظهير متظاهرون وتخصيص جبريل لتعظيمه
والمراد بالصالح الجنس ولذلك عم بالاضافة وقوله بعد ذلك تعظيم لمظاهرة الملائكة
من جملة ما ينصره الله به عسى ربه ان طلقكن ان يبدله ازواجا خيرا منكن على
التغليب او تعميم الخطاب وليس فيه ما يدل على انه لم يطلق حفصة وان في النساء خيرا
منهن لان تعليق طلاق الكل لا ينافي تطليق واحدة والمعلق بما لم يقع لا يجب وقوعه
وقرا نافع وابو عمرو يبدله بالتخفيف مسلمات مؤمنات مقرات مخلصات
او منقادات مصدقات قانتات مصليات او مواظبات على الطاعة تائبات عن
الذنوب عابدات متعبدات او متذللات لامر الرسول سائحات صائمات وسمي
الصائم سائحا لانه يسيح بالنهار بلا زاد او مهاجرات ثيبات وابكارا وسط
العاطف بينهما لتنافيهما ولانهما في حكم صفة واحدة اذ المعنى مشتملات على الثيبات
والابكار يا ايها الذين امنوا قوا انفسكم بترك المعاصي وفعل الطاعات واهليكم
بالنصح والتاديب وقرئ واهلوكم عطفا على واو قوا فيكون انفسكم انفس القبيلين على
تغليب المخاطبين نارا وقودها الناس والحجارة نارا تتقد بهما اتقاد غيرها
بالحطب عليها ملائكة تلي امرها وهم الزبانية غلاظ شداد غلاظ الاقوال
شداد الافعال او غلاظ الخلق شداد الخلق اقويا على الافعال الشديدة
لا يعصون الله ما امرهم فيما مضى ويفعلون ما يؤمرون فيما يستقبل او لا يمتنعون
عن قبول الاوامر والتزامها ويؤدون ما يؤمرون يا ايها الذين كفروا لا تعتذروا
اليوم انما تجزون ما كنتم تعملون اي يقال لهم ذلك عند دخولهم النار والنهي
عن الاعتذار لانه لا عذر لهم او العذر لا ينفعهم يا ايها الذين امنوا توبوا الى
الله توبة نصوحا بالغة في النصح وهو صفة التائب فانه ينصح نفسه بالتوبة
وصف به على الاسناد المجازي مبالغة او في النصاحة وهي الخياطة كانها
تنصح ما خرق الذنب وقرا ابو بكر بضم النون وهو مصدر بمعنى النصح كالشكر والشكور
او النصاحة كالثبات والثبوت تقديره ذات نصوح او تنصح نصوحا او توبوا

يكه

واو ج

نصوحاً لانفسكم وسئل علي عن التوبة فقال يجمعها ستة اشياء على الماضي من الذنوب الندامة وللفرائض الاعادة ورد المظالم واستحلال الخصوم وان يعزم على ان لا يعود وان تربي نفسك في طاعة الله كما ربيتها في المعصية عسى ربكم ان يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار ذكر بصيغة الاطماع جرياً على عادة الملوك واشعاراً بانه تفضل والتوبة غير موجب وان العبد ينبغي ان يكون بين خوف ورجاء يوم لا يخزي الله النبي ظرف ليدخلكم والذين امنوا معه عطف على النبي احماداً لهم وتعريضاً لمن ناواهم وقيل مبتدأ خبره نورهم يسعى بين ايديهم وبايمانهم اي على الصراط يقولون اذا طفئ نور المنافقين ربنا اتمم لنا نورنا واغفر لنا انك على كل شيء قدير وقيل تتفاوت انوارهم بحسب اعمالهم فيسألون اتمامه تفضلاً يا ايها النبي جاهد الكفار بالسيف والمنافقين بالحجة واغلظ عليهم واستعمل الخشونة فيما تجاهدهم اذا بلغ الرفق مداه ومأواهم جهنم وبئس المصير جهنم او مأواهم ضرب الله مثلاً للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط مثل الله حالهم في انهم يعاقبون بكفرهم ولا يحابون بما بينهم وبين النبي والمؤمنين من النسبة بحالهما كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين يريد به تعظيم نوح ولوط فخانتاهما بالنفاق فلم يغنيا عنهما من الله شيئاً فلم يغن النبيان عنهما بحق الزواج اغناء ما وقيل ادخلا اي لهما عند موتهما او يوم القيامة النار مع الداخلين مع سائر الداخلين من الكفرة الذين لا وصلة بينهم وبين الانبياء وضرب الله مثلاً للذين امنوا امرأت فرعون شبه حالهم في ان وصلة الكافرين لا تضرهم بحال آسية ومنزلتها عند الله مع انها كانت تحت اعدى اعداء الله اذ قالت ظرف للمثل المحذوف رب ابن لي عندك بيتاً في الجنة قريباً من رحمتك او في اعلى درجات المقربين ونجني من فرعون وعمله من نفسه الخبيثة وعمله السيء ونجني من القوم الظالمين من القبط التابعين له في الظلم ومريم ابنت عمران عطف على امرأة فرعون تسلية للارامل التي احصنت فرجها من الرجال فنفخنا فيه في فرجها وقرئ فيها اي في مريم او الجملة من روحنا من روح خلقناه بلا توسط اصل وصدقت بكلمات ربها بصحفه المنزلة او بما اوحى الى انبيائه وكتبه وما كتب في اللوح او جنس الكتب المنزلة ويدل عليه قراءة البصريين وحفص بالجمع وقرئ بكلمة الله وكتابه اي بعيسى والانجيل وكانت من القانتين من عداد المواظبين على الطاعة والتذكير للتغليب والاشعار بان طاعتها لم تقصر عن طاعة الرجال الكاملين حتى عدت من جملتهم

او من نسلهم فيكون من ابتدائية عن النبي صلى الله عليه وسلم كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء الا اربع آسية بنت مزاحم امرأة فرعون ومريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام وعنه صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة التحريم اتاه الله توبة نصوحاً

[illegible]

وتسمى الواقية والمنجية لانها تقي وتنجي قارئها من عذاب القبر يوم القيامة وآيها ثلاثون آية بسم الله الرحمن الرحيم تبارك الذي بيده الملك بقبضة قدرته التصرف في الامور كلها وهو على كل شيء قدير على كل ما يشاء قدير الذي خلق الموت والحيوة قدرهما او اوجد الحياة وازالها حسبما قدره وقدم الموت لقوله وكنتم امواتاً فاحياكم ولانه ادعى الى حسن العمل ليبلوكم ليعاملكم معاملة المختبر بالتكليف ايها المكلفون ايكم احسن عملاً اصوبه واخلصه وجاء مرفوعاً احسنكم عقلاً واورعكم عن محارم الله واسرعكم في طاعته جملة واقعة موضع المفعول ثانياً للفعل البلوى المتضمن معنى العلم وليس هذا من باب التعليق لانه يخل بها وقوع الجملة خبراً فلا يعلق الفعل عنها بخلاف ما اذا وقعت موقع المفعولين وهو العزيز الغالب الذي لا يعجزه من اساء العمل الغفور لمن تاب منهم الذي خلق سبع سموات طباقاً مطابقة بعضها فوق بعض مصدر طابقت النعل اذا خصفتها طبقاً على طبق وصف به او طوبقت طباقاً او ذات طباق جمع طبق كجبل وجبال او طبقة كرحبة ورحاب ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت وقرأ حمزة والكسائي من تفوت ومعناهما واحد كالتعاهد والتعهد وهو الاختلاف وعدم التناسب من الفوت فان كلاً من المتفاوتين فات عنه بعض ما في الآخر والجملة صفة ثانية للسبع وضع فيها خلق الرحمن موضع الضمير للتعظيم واشعاراً بانه تعالى يخلق مثل ذلك بقدرته الباهرة رحمة وتفضلاً وان في ابداعها نعماً جليلة لا تحصى والخطاب فيها للرسول او لكل مخاطب وقوله فارجع البصر هل ترى من فطور متعلق به على معنى التسبب اي قد نظرت اليها مراراً فانظر اليها مرة اخرى متأملاً فيها لتعاين ما اخبرت به من تناسبها واستقامتها واستجماعها ما ينبغي لها والفطور الشقوق والمراد الخلل من فطره اذا شقه ثم ارجع البصر كرتين اي رجعتين اخريين في ارتياد الخلل والمراد بالتثنية التكرير والتكثير كما في لبيك وسعديك ولذلك اجاب الامر بقوله

ينقلب اليك البصر خاسئا بعيدا عن اصابة المطلوب كانه طرد عنه طردا بالصغار
وهو حسير كليل من طول المعاودة وكثرة المراجعة ولقد زينا السماء الدنيا اقرب
السموات الى الارض بمصابيح بكواكب مضيئة بالليل اضاءة السرج فيها والتنكير
للتعظيم ولا يمنع ذلك كون بعض الكواكب مركوزة في سموات فوقها اذ التزيين
باظهارها عليها وجعلناها رجوما للشياطين وجعلنا لها فايدة اخرى
هي رجم اعدائكم بانقضاض الشهب المسببة عنها وقيل معناه وجعلناها رجوما
وظنونا لشياطين الانس وهم المنجمون والرجوم جمع رجم بالفتح وهو مصدر
سمي به ما يرجم به واعتدنا لهم عذاب السعير في الآخرة بعد الاحراق بالشهب
في الدنيا وللذين كفروا بربهم من الشياطين وغيرهم عذاب جهنم وقرئ
بالنصب على ان الذين عطف على لهم وعذاب على عذاب السعير وبئس المصير
اذا القوا فيها سمعوا لها شهيقا صوتا كصوت الحمير وهي تفور تغلي بهم غليان
المرجل بما فيه تكاد تميز من الغيظ تتفرق غضبا عليهم وهو تمثيل لشدة اشتعالها
بهم ويجوز ان يراد غيظ الزبانية كلما القي فيها فوج جماعة من الكفرة سالهم
خزنتها الم ياتكم نذير يخوفكم هذا العذاب وهو توبيخ وتبكيت قالوا بلى قد
جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء ان انتم الا في ضلال كبير اي
فكذبنا الرسل وافرطنا في التكذيب حتى نفينا الانزال والارسال راسا وبالغنا
في نسبتهم الى الضلال فالنذير اما بمعنى الجمع لانه فعيل او مصدر مقدر بمضاف
اي اهل انذار او منعوت به للمبالغة او الواحد والخطاب له ولامثاله على
التغليب او اقامة تكذيب الواحد مقام تكذيب الكل او على ان المعنى قالت الافواج
قد جاء الى كل فوج منا رسول فكذبناهم وضللناهم ويجوز ان يكون الخطاب
من كلام الزبانية للكفار على ارادة القول فيكون الضلال ما كانوا عليه
في الدنيا وعقابه الذي يكونون فيه وقالوا لو كنا نسمع كلام الرسل فنقبله
جملة من غير بحث وتفتيش اعتمادا على ما لاح من صدقهم بالمعجزات او نعقل
فنتفكر في حكمه ومعانيه تفكر المستبصرين ما كنا في اصحاب السعير في عدادهم
من جملتهم فاعترفوا بذنبهم حين لا ينفعهم والاعتراف اقرار عن معرفة والذنب
لم يجمع لانه في الاصل مصدر او المراد به الكفر فسحقا لاصحاب السعير فاسحقهم
الله سحقا اي ابعدهم من رحمة الله والتغليب للايجاز والمبالغة والتعليل وقرا
الكسائي بالتثقيل ان الذين يخشون ربهم بالغيب يخافون عذابه غائبا عنهم
لم يعاينوه بعد او غائبين عنه او عن اعين الناس او بالمخفي منهم وهو قلوبهم

لهم مغفرة لذنوبهم واجر كبير يصغر دونه لذائذ الدنيا واسروا قولكم او اجهروا
به انه عليم بذات الصدور بالضمائر قبل ان يعبر عنها سرا او جهرا الا يعلم
من خلق الا يعلم السر والجهر من اوجد الاشياء حسبما قدرته حكمته وهو
اللطيف الخبير المتوصل علمه الى ما ظهر من خلقه وما بطن او الا يعلم الله من خلقه
وهو بهذه المثابة والتقييد بهذه الحال يستدعي ان يكون ليعلم مفعول ليفيد
روي ان المشركين كانوا يتكلمون فيما بينهم باشياء فيخبر الله به رسوله فيقولون
اسروا قولكم لئلا يسمع اله محمد فنبه الله على جهلهم هو الذي جعل لكم الارض
ذلولا لينة يسهل لكم السلوك فيها فامشوا في مناكبها في جوانبها او في جبالها
وهو مثل لفرط التذليل فان منكب البعير ينبو عن ان يطأه الراكب ولا يتذلل له
فاذا جعل الارض في الذل بحيث يمشي في مناكبها لم يبق شيء لم يتذلل وكلوا من رزقه
والتمسوا من نعم الله واليه النشور المرجع فيسالكم عن شكر ما انعم عليكم أأمنتم
من في السماء يعني الملائكة الموكلين على تدبير هذا العالم او الله تعالى على
تاويل من في السماء امره وقضاؤه او على زعم العرب فان العرب زعموا انه تعالى
في السماء وعن ابن كثير وامنتم بقلب الهمزة الاولى واوا لانضمام ما قبلها وآمنتم
بقلب الثانية الفا وهو قراءة نافع وابي عمرو ورويس ان يخسف بكم الارض
فيغيبكم فيها كما فعل بقارون وهو بدل من بدل الاشتمال فاذا هي تمور تضطرب
والمور التردد في المجيء والذهاب ام امنتم من في السماء ان يرسل عليكم حاصبا
ان يمطر عليكم حصباء فستعلمون كيف نذير كيف انذاري اذا شاهدتم المنذر به
ولكن لا ينفعكم العلم حينئذ ولقد كذب الذين من قبلهم فكيف كان نكير انكاري
عليهم بانزال العذاب وهو تسلية للرسول وتهديد لقومه اولم يروا الى الطير
فوقهم صافات باسطات اجنحتهن في الجو عند طيرانها فانهن اذا بسطنها
صففن قوادمها ويقبضن ويضممنها اذا ضربن بها جنوبهن وقتا بعد وقت
للاستظهار به على التحرك ولذلك عدل به الى صيغة الفعل للفرق بين الاصل
في الطيران والطارئ عليه ما يمسكهن في الجو على خلاف الطبع الا الرحمن الشامل
رحمته كل شيء بان خلقهن على اشكال وخصائص هيأتهن للجري في الهواء انه بكل شيء
بصير يعلم كيف يخلق الغرائب ويدبر العجائب امن هذا الذي هو جند لكم
ينصركم من دون الرحمن عديل لقوله اولم يروا على معنى الم تنظروا في امثال
هذه الصنائع فلم تعلموا قدرتنا على تعذيبكم بنحو خسف وارسال حاصب ام لكم جند
ينصركم من دون الله ان ارسل عليكم عذابه فهو كقوله ام لهم آلهة تمنعهم من دوننا

الا انه اخرج مخرج الاستفهام عن تعيين من ينصرهم اشعارا بانهم اعتقدوا هذا
القسم ومن مبتدا وهذا خبره والذي بصلته صفته وينصركم وصف لجند محمول
على لفظه ان الكافرون الا في غرور لا معتمد لهم امن هذا الذي يرزقكم
امن يشار اليه ويقال هذا الذي يرزقكم ان امسك رزقه بامساك المطر
وساير الاسباب المحصلة والموصلة له اليكم بل لجوا تمادوا في عتو عناد ونفور
وشراد عن الحق لتنفر طباعهم عنه افمن يمشي مكبا على وجهه اهدى يقال كببته
فاكب وهو من الغريب كقشع الله السحاب فانقشع والتحقيق انهما من باب انقض
بمعنى صار ذا كب وذا قشع وليس مطاوعي كب وقشع بل المطاوع لهما انكب
وانقشع ومعنى مكبا انه يعثر كل ساعة ويخر على وجهه لوعور طريقه واختلاف
اجزايه ولذلك قابله بقوله امن يمشي سويا قايما سالما من العثار على صراط
مستقيم مستوي الاجزا والجهة والمراد تمثيل المشرك والموحد والسالكين
والدينين بالمسلكين ولعل الاكتفا بما في مكبا من الدلالة على حال المسلك
للاشعار بان ما عليه المشرك لا يستاهل ان يسمى طريقا كمشي المتعسف في مكان
متعاد غير مستو وقيل المراد بالمكب الاعمى فانه يعتسف فينكب والسوي البصير
وقيل من يمشي مكبا هو الذي يحشر على وجهه الى النار ومن يمشي سويا الذي يحشر
على قدميه الى الجنة قل هو الذي انشاكم وجعل لكم السمع لتسمعوا المواعظ
والابصار لتنظروا صنايعه والافيدة لتتفكروا وتعتبروا قليلا ما تشكرون
باستعمالها فيما خلقت لاجلها قل هو الذي ذراكم في الارض واليه تحشرون
للجزا ويقولون متى هذا الوعد اي الحشر او ما وعد من الخسف والحاصب
ان كنتم صادقين يعنون النبي والمومنين قل انما العلم اي علم وقته عند الله
لا يطلع عليه وانما انا نذير مبين والانذار يكفي له العلم بل الظن بوقوع المحذور
منه فلما راوه اي الوعد فانه بمعنى الموعود زلفة ذا زلفة اي قرب منه سيئت
وجوه الذين كفروا بان علتها الكابة وساتها رؤية العذاب وقيل هذا
الذي كنتم به تدعون تطلبون وتستعجلون تفتعلون من الدعا او تدعون
ان لا بعث فهو من الدعوى قل ارايتم ان اهلكني الله اماتني ومن معي من المومنين
او رحمنا بتاخير اجالنا فمن يجير الكافرين من عذاب اليم اي لا ينجيهم احد من
العذاب متنا او بقينا وهو جواب لقولهم نتربص به ريب المنون قل هو الرحمن
الذي ادعوكم اليه مولى النعم كلها امنا به للعلم بذلك وعليه توكلنا للوثوق
عليه والعلم بان غيره بالذات لا يضر ولا ينفع وتقديم الصلة للتخصيص والاشعار

به فستعلمون من هو في ضلال مبين منكم ومنا وقرا الكسائي بالياء قل ارايتم
ان اصبح ماؤكم غورا غايرا في الارض بحيث لا ينال بالدلا مصدر وصف به
فمن ياتيكم بماء معين جار او ظاهر سهل الماخذ عن النبي صلى الله
عليه وسلم من قرا سورة الملك فكانما احيى ليلة القدر

[illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم ن من اسما الحروف وقيل اسم الحوت والمراد
به الجنس او البهموت وهو الذي عليه الارض او الدواة فان بعض الحيتان يستخرج منه
شي اشد سوادا من النقس يكتب به ويويد الاول سكونه وكتبته بصورة الحرف
والقلم هو الذي خط اللوح او الذي يخط به اقسم به لكثرة فوايده واخفى
ابن عامر والكسائي ويعقوب النون اجرا للواو والمنفصل مجرى المتصل فان
النون الساكنة تخفى مع حروف الفم اذا اتصلت بها وقد روي ذلك عن نافع
وعاصم وقريت بالفتح والكسر كصاد وما يسطرون وما يكتبون والضمير للقلم
بالمعنى الاول لعلى التعظيم او بالمعنى الثاني على ارادة الجنس واسناد الفعل الى
الالة واجرايه مجرى اولي العلم لاقامته مقامه او لاصحابه او للحفظة وما
مصدرية او موصولة ما انت بنعمة ربك بمجنون جواب القسم والمعنى ما انت
بمجنون منعما عليك بالنبوة وحصافة الراي والعامل في الحال معنى النفي وقيل
بمجنون والبا لا تمنع عمله فيما قبله لانها مزيدة وفيه نظر من حيث المعنى وان
لك لاجرا على الاحتمال او الابلاغ غير ممنون مقطوع او ممنون به عليك
من الناس فانه تعالى يعطيك بلا توسط وانك لعلى خلق عظيم اذ تحتمل
من قومك ما لا يحتمله امثالك وسيلت عايشة عن خلقه فقالت كان خلقه
القران الست تقرا القران قد افلح المومنون فستبصر ويبصرون بايكم المفتون
ايكم الذي فتن بالجنون والبا مزيدة او بايكم الجنون على ان المفتون مصدر
كالمعقول والمجلود او باي الفريقين منكم المجنون ابفريق المومنين ام بفريق
الكافرين اي في ايهما يوجد من يستحق هذا الاسم ان ربك هو اعلم بمن ضل عن
سبيله وهم المجانين على الحقيقة وهو اعلم بالمهتدين الفايزين بكمال العقل
فلا تطع المكذبين تهييج للتصميم على معاصاتهم ودوا لو تدهن بان تلاينهم
بان تدع نهيهم عن الشرك او توافقهم فيه احيانا فيدهنون فيلاينونك بترك
الطعن والموافقة والفا للعطف اي ودوا التداهن وتمنوه لكنهم اخروا ادهانهم

حتى تدهن وللتسبيب اي ودوا لو تدهن فهم يدهنون حينئذ او ودوا ادهانك
فهم الان يدهنون طمعا فيه وفي بعض المصاحف فيدهنوا على انه جواب التمني
ولا تطع كل حلاف كثير الحلف في الحق والباطل مهين حقير الراي من المهانة
وهي الحقارة هماز عياب مشاء بنميم نقال للحديث على وجه السعاية مناع
للخير يمنع الناس عن الخير من الايمان والانفاق والعمل الصالح معتد متجاوز في
الظلم اثيم كثير الاثام عتل جاف غليظ من عتله اذا قاده بعنف وغلظة بعد ذلك
بعد ما عد من مثالبه زنيم دعي مأخوذ من زنمتي الشاة وهما المتدليان من اذنها
وحلقها قيل هو الوليد بن المغيرة ادعاه بعد ثماني عشرة من مولده وقيل الاخنس
ابن شريق اصله في ثقيف وعداده في زهرة ان كان ذا مال وبنين اذا تتلى عليه
اياتنا قال اساطير الاولين اي قال ذلك حينئذ لان كان متمولا مستظهرا بالبنين
من فرط غروره لكن العامل مدلول قال لا نفسه لان ما بعد الشرط لا يعمل
فيما قبله ويجوز ان يكون علة للا تطع من هذه مثالبه لان كان ذا مال وقرا
ابن عامر وحمزة ويعقوب وابو بكر أأن كان على الاستفهام غير ان ابن عامر جعل
الهمزة الثانية بين بين اي الان كان ذا مال كذب او اتطيعه لان كان ذا مال
وقرئ ان كان بالكسر على ان شرط الغنى في النهي عن الطاعة كالتعليل بالفقر
في النهي عن قتل الاولاد او ان شرطه للمخاطب اي لا تطع شارطا يساره لانه
اذا اطاع للغنى فكان شرطه في الطاعة سنسمه بالكي على الخرطوم على الانف
وقد اصاب انف الوليد جراحة يوم بدر فبقي اثره وقيل هو عبارة عن ان يذله
غاية الاذلال كقولهم جدع انفه ورغم انفه لان السمة على الوجه سيما على الانف
شين ظاهر او نسود وجهه يوم القيمة انا بلوناهم بلونا اهل مكة بالقحط كما بلونا
اصحاب الجنة يريد بستانا كان دون صنعاء بفرسخين وكان لرجل صالح
وكان ينادي الفقراء وقت الصرام ويترك لهم ما اخطاه المنجل او القته الريح او بعد
من البساط الذي يبسط تحت النخلة فيجتمع لهم شئ كثير فلما مات قال بنوه ان فعلنا
ما كان يفعل ابونا ضاق علينا الامر فحلفوا ليصرمنها وقت الصباح خفية عن المساكين
كما قال اذ اقسموا ليصرمنها مصبحين ليقطعنها داخلين في الصباح ولا يستثنون
ولا يقولون ان شاء الله وانما سماه استثناء لما فيه من الاخراج غير ان المخرج به
خلاف المذكور والمخرج بالاستثناء عينه او لان معنى لاخرجن ان شاء الله ولا اخرج
الا ان يشاء الله واحد ولا يستثنون حصة المساكين كما كان يخرج ابوهم فطاف
عليها على الجنة طائف بلاء طائف من ربك مبتدأ منه وهم نائمون فاصبحت

كالصريم كالبستان الذي صرم ثماره بحيث لم يبق فيه شئ فعيل بمعنى مفعول او كالليل
باحتراقها واسودادها او كالنهار بابيضاضها من فرط اليبس سميا بالصريم
لان كلا منهما ينصرم عن صاحبه او كالرمال فتنادوا مصبحين ان اغدوا على
حرثكم اي اخرجوا اليه غدوة وتعدية الفعل بعلى اما لتضمنه معنى
الاقبال او لتشبيه الغدو للصرام بغدو العدو المتضمن لمعنى الاستيلاء ان كنتم
صارمين قاطعين له فانطلقوا وهم يتخافتون يتشاورون فيما بينهم وخفي
وخفت وخفد بمعنى الكتم ومنه الخفدود للخفاش ان لا يدخلنها اليوم عليكم
مسكين ان مفسرة وقرئ بطرحها على اضمار القول والمراد بنهي المسكين عن الدخول
المبالغة في النهي عن تمكينه من الدخول كقوله لا ارينك ههنا وغدوا على حرد
قادرين وغدوا قادرين على نكد لا غير من حاردت السنة اذا لم يكن فيها
مطر وحاردت الابل اذا منعت درها والمعنى انهم عزموا ان ينكدوا على المساكين
فنكد عليهم بحيث لا يقدرون فيها الا على النكد او وغدوا حاصلين على النكد
والحرمان مكان كونهم قادرين على الانتفاع وقيل الحرد بمعنى الحرد وقد قرئ
به اي لم يقدروا الا على حنق بعضهم لبعض لقوله يتلاومون وقيل القصد
والسرعة قال اقبل سيل جاء من امر الله يحرد حرد الجنة المغلة اي غدوا الى
جنتهم بسرعة قادرين عند انفسهم على صرامها وقيل علم للجنة فلما راوها اول
ما راوها قالوا انا لضالون طريق جنتنا وما هي بها بل نحن اي بعد ما تاملوا
وعرفوا انها هي محرومون حرمنا خيرها لجنايتنا على انفسنا قال اوسطهم رايا
او سنا الم اقل لكم لولا تسبحون لولا تذكرونه وتتوبون اليه من خبث نيتكم
وقد قال حيث ما عزموا على ذلك ويدل على هذا المعنى قالوا سبحان ربنا انا
كنا ظالمين او لولا تستثنون فسمي الاستثناء تسبيحا لتشاركهما في التعظيم او لانه
تنزيه عن ان يجري في ملكه ما لا يريده فاقبل بعضهم على بعض يتلاومون يلوم
بعضهم بعضا فان منهم من اشار بذلك ومنهم من استصوبه ومنهم من سكت
راضيا ومنهم من انكره قالوا يا ويلنا انا كنا طاغين متجاوزين حدود الله عسى
ربنا ان يبدلنا خيرا منها ببركة التوبة والاعتراف بالخطيئة وقد روي انهم
ابدلوا خيرا منها وقرئ يبدلنا بالتخفيف انا الى ربنا راغبون راجون
العفو طالبون للخير والى لانتهاء الرغبة او لتضمنها معنى الرجوع كذلك العذاب
مثل الذي بلونا به اهل مكة واصحاب الجنة العذاب في الدنيا ولعذاب الاخرة
اكبر اعظم منه لو كانوا يعلمون لاحترزوا عما يؤديهم الى العذاب ان للمتقين

كين

عند ربهم اي في الآخرة او في جوار القدس جنات النعيم جنات ليس فيها الا التنعم الخالص أفنجعل المسلمين كالمجرمين انكار لقول الكفرة فانهم كانوا يقولون ان صح انا نبعث كما يزعم محمد ومن معه لم يفضلونا بل نكون احسن حالا منهم كما نحن عليه في الدنيا ما لكم كيف تحكمون التفات فيه تعجب من حكمهم واستبعاد له واشعار بانه صادر من اختلال فكر واعوجاج راي ام لكم كتاب من السماء فيه تدرسون تقرؤون ان لكم فيه لما تخيرون ان لكم ما تختارونه وتشتهونه واصله ان لكم بالفتح لانه المدروس فلما جيء باللام كسرت ويجوز ان يكون حكاية للمدروس او استينافا وتخير الشيء واختاره اخذ خيره ام لكم ايمان علينا عهود مؤكدة بالايمان بالغة متناهية في التوكيد وقرئ بالنصب على الحال والعامل فيها احد الظرفين الى يوم القيمة متعلق بالمقدر في لكم اي ثابتة لكم علينا الى يوم القيامة لا تخرج عن عهدتها حتى نحكمكم في ذلك اليوم ان لكم لما تحكمون جواب القسم لان معنى ام لكم ايمان علينا ام اقسمنا لكم سلهم ايهم بذلك زعيم بذلك الحكم قايم يدعيه ويصححه ام لهم شركاء يشاركونهم في هذا القول فليأتوا بشركائهم ان كانوا صادقين في دعواهم اذ لا اقل من التقليد وقد نبه سبحانه في هذه الايات على نفي جميع ما يمكن ان يتشبثوا به من عقل او نقل يدل عليه لاستحقاق او وعد او محض تقليد على الترتيب تنبيها على مراتب النظر وتزييفا لما لا سند له وقيل المعنى ام لهم شركاء يجعلونهم مثل المؤمنين في الآخرة كانه لما نفى ان يكون التسوية من الله نفى بهذا ان يكون مما يشركون الله به يوم يكشف عن ساق يوم يشتد الامر ويصعب الخطب وكشف الساق مثل في ذلك واصله تشمير المخدرات عن سوقهن في الهرب قال حاتم ◦ اخو الحرب ان عضت به الحرب عضها وان شمرت عن ساقها الحرب شمرا ◦ او يوم يكشف عن اصل الامر وحقيقته بحيث يصير عيانا مستعار من ساق الشجر وساق الانسان وتنكيره للتهويل او للتعظيم وقرئ تكشف بالتاء على بناء الفاعل والمفعول والفعل للساعة او الحال ويدعون الى السجود توبيخا على تركهم السجود ان كان اليوم يوم القيمة او يدعون الى الصلاة لاوقاتها ان كان وقت النزع فلا يستطيعون لذهاب وقته او زوال القدرة عليه خاشعة ابصارهم ترهقهم ذلة تلحقهم ذلة وقد كانوا يدعون الى السجود في الدنيا او زمان الصحة وهم سالمون متمكنون منه مزاحوا العلل فيه فذرني ومن يكذب بهذا الحديث كله الي فاني اكفيكه سنستدرجهم سنستدنيهم من العذاب درجة درجة بالامهال وادامة الصحة

وازدياد النعمة من حيث لا يعلمون انه استدراج وهو الانعام عليه لانهم حسبوه تفضيلا لهم على المؤمنين واملي لهم وامهلهم ان كيدي متين لا يدفع بشيء وانما سمى انعامه استدراجا بالكيد لانه في صورته ام تسئلهم اجرا على الارشاد فهم من مغرم من غرامة مثقلون بحملها فيعرضون عنك ام عندهم الغيب اللوح او المغيبات فهم يكتبون منه ما يحكمون ويستغنون به عن علمك فاصبر لحكم ربك وهو امهالهم وتاخير نصرتك عليهم ولا تكن كصاحب الحوت يونس اذ نادى في بطن الحوت وهو مكظوم مملوء غيظا في الضجرة فتبتلى ببلائه لولا ان تداركه نعمة من ربه يعني التوفيق للتوبة وقبولها وحسن تذكير الفعل للفصل وقرئ تداركته وتداركه اي تتداركه على حكاية الحال الماضية بمعنى لولا ان كان يقال فيه تتداركه لنبذ بالعراء بالارض الخالية عن الاشجار وهو مذموم مليم مطرود عن الرحمة والكرامة وهو حال يعتمد عليها الجواب لانها المنفية دون النبذ فاجتباه ربه بان رد الوحي اليه او استنبأه ان صح انه لم يكن نبيا قبل هذه الواقعة فجعله من الصالحين من الكاملين في الصلاح بان عصمه من ان يفعل ما تركه اولى وفيه دليل على خلق الافعال والاية نزلت حين هم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدعو على ثقيف وقيل باحد حين حل به ما حل فاراد ان يدعو على المنهزمين وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بابصارهم ان هي المخففة واللام دليلها والمعنى انهم لشدة عداوتهم ينظرون اليك شزرا بحيث يكادون يزلقون قدمك ويرمونك من قولهم نظر الي نظرا يكاد يصرعني اي لو امكنه بنظره الصرع لفعله او انهم يكادون يصيبونك بالعين اذ روي انه كان في بني اسد عيانون فاريد بعضهم على ان يعين رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وفي الحديث ان العين لتدخل الرجل القبر والجمل القدر ولعله يكون من خصايص بعض النفوس وقرأ نافع ليزلقونك من زلقته فزلق كحزنته فحزن وقرئ ليزهقونك اي ليهلكونك لما سمعوا الذكر اي القرآن ينبعث عند سماعه بغضهم وحسدهم ويقولون انه لمجنون حيرة في امره وتنفيرا عنه وما هو الا ذكر للعالمين لما جننوه لاجل القرآن بين انه ذكر عام لا يدركه ولا يتعاطاه الا من كان اكمل الناس عقلا وامتنهم رايا عن النبي صلعم من قرأ سورة ن القلم اعطاه ثواب الذين حسن الله اخلاقهم

بسم الله الرحمن الرحيم الحاقة اي الساعة او الحالة التي يحق

وقوعها او التي يحق فيها الامور اي يعرف حقيقتها او يقع فيها حواق الامور
من الحساب والجزاء على الاسناد المجازي وهي مبتدا خبرها ما الحاقة واصله
ما هي اي اي شي هي للتعظيم لشانها والتهويل لها فوضع الظاهر موضع المضمر
لانه اهول لها وما ادراك ما الحاقة واي شي اعلمك ما هي اي لانك لا علم
كنهها فانها اعظم من ان تبلغها دراية احد وما مبتدا وادراك خبره كذبت
ثمود وعاد بالقارعة بالحالة التي تقرع الناس بالافزاع والاجرام بالانفطار
والانتثار وانما وضعت موضع ضمير الحاقة زيادة في وصف شدتها فاما
ثمود فاهلكوا بالطاغية بالواقعة المجاوزة للحد في الشدة وهي الصيحة
او الرجفة لتكذيبهم بالقارعة والسبب طغيانهم بالتكذيب وغيره على انه
مصدر كالعاقبة وهو لا يطابق قوله واما عاد فاهلكوا بريح صرصر اي
شديدة الصوت والبرد من الصر او الصر عاتية شديدة العصف كانها عتت
على خزانها فلم يستطيعوا ضبطها او على عاد فلم يقدروا ردها سخرها عليهم
سلطها عليهم بقدرته وهو استيناف او صفة جي به لنفي ما يتوهم من انها
كانت من اتصالات فلكية اذ لو كانت لكان هو المقدر لها والمسبب سبع ليال
وثمانية ايام حسوما متتابعات جمع حاسم من حسمت الدابة اذا تابعت
بين كيها او نحسات حسمت كل خير واستاصلته او قاطعات قطعت دابرهم
ويجوز ان يكون مصدرا منتصبا على العلة بمعنى قطعا او المصدر لفعله المقدر
حالا اي تحسمهم حسوما ويؤيده القراءة بالفتح وهي كانت ايام العجوز من صبيحة
اربعاء الى غروب الاربعاء الاخر وانما سميت عجوزا لانها عجز الشتاء او لان عجوزا
من عاد توارت في سرب فانتزعتها الريح في الثامن فاهلكتها فترى القوم ان
كنت حاضرهم فيها في مهابها او في الليالي والايام فيها صرعى موتى جمع صريع
كانهم اعجاز نخل اصول نخل خاوية متاكلة الاجواف فهل ترى لهم من باقية
من بقية او نفس باقية او بقاء وجاء فرعون ومن قبله ومن تقدمه وقرا البصريان
والكسائي ومن قبله اي ومن عنده من اتباعه ويدل عليه انه قرئ ومن معه
والمؤتفكات قرى قوم لوط والمراد اهلها بالخاطئة بالخطا او بالفعلة
او الافعال ذات الخطا فعصوا رسول ربهم اي فعصى كل امة رسولها فاخذهم
اخذة رابية زائدة في الشدة زيادة اعمالهم في القبح انا لما طغى الماء جاوز حده
المعتاد او طغى على خزانه وذلك في الطوفان وهو يؤيد من قبله حملناكم اي
اباءكم وانتم في اصلابهم في الجارية في سفينة نوح لنجعلها لكم لنجعل الفعلة

وهي انجاء المومنين واغراق الكافرين تذكرة عبرة ودلالة على قدرة الصانع
وحكمته وكمال قدرته ورحمته وتعيها وتحفظها وعن ابن كثير تعيها بسكون
العين تشبيها بكتف والوعي ان تحفظ الشي في نفسك والايعاء ان تحفظه في غيرك
اذن واعية من شانها ان تحفظ ما يجب حفظها بتذكره واشاعته والتفكر
فيه والعمل بموجبه والتنكير للدلالة على قلتها وان من هذا شانه مع قلته
تسبب لانجاء الجم الغفير وادامة نسلهم وقرا نافع اذن بالتخفيف فاذا نفخ
في الصور نفخة واحدة لما بالغ في تهويل القيمة وذكر مآل المكذبين بها
تفخيما لشانها وتنبيها على امكانها عاد الى شرحها وانما حسن اسناد الفعل
الى المصدر لتقيده وحسن تذكيره للفصل وقرئ نفخة بالنصب على اسناد
الفعل الى الجار والمجرور والمراد بها النفخة الاولى التي عندها خراب العالم
وحملت الارض والجبال رفعت من اماكنها بمجرد القدرة الكاملة او بتوسط
زلزلة او ريح عاصفة فدكتا دكة واحدة فضربت الجملتان بعضها ببعض
ضربة واحدة فيصير الكل هباء او فبسطتا بسطة واحدة فصارتا ارضا
لا عوج فيها ولا امتا لان الدك سبب للتسوية ولذلك قيل ناقة دكاء للتي
لا سنام لها وارض دكاء للمتسعة المستوية فيومئذ فحينئذ وقعت الواقعة
قامت القيمة وانشقت السماء لنزول الملائكة فهي يومئذ واهية ضعيفة
مسترخية والملك والجنس المتعارف بالملك على ارجائها جوانبها جمع رجا
بالقصر ولعله تمثيل لخراب السماء بخراب البنيان وانضواء اهلها الى اطرافها
وجوانبها وان كان على ظاهره فلعل هلاك الملائكة اثر ذلك ويحمل عرش
ربك فوقهم فوق الملائكة الذين هم على الارجاء او فوق الثمانية لانها
في نية التقدم يومئذ ثمانية املاك لما روي مرفوعا انهم اليوم اربعة فاذا
كان يوم القيمة ايدهم الله باربعة اخرى وقيل ثمانية صفوف من الملائكة لا يعلم
عدتهم الا الله ولعله ايضا تمثيل لعظمته بما يشاهد من احوال السلاطين يوم
خروجهم على الناس للقضاء العام وعلى هذا قال يومئذ تعرضون تشبيها
للمحاسبة بعرض السلطان العسكر ليعرف احوالهم وهذا وان كان بعد النفخة
الثانية لكن لما كان اليوم اسما لزمان متسع تقع فيه النفختان والصعقة
والنشور والحساب وادخال اهل الجنة واهل النار صح جعله ظرفا للكل لا
تخفى منكم خافية سريرة على الله حتى يكون العرض للاطلاع عليها وانما المراد
منه افشاء الحال والمبالغة في العدل او على الناس كما قال يوم تبلى السرائر

وقرا حمزة والكسائي بالياء للفصل فاما من اوتي كتابه بيمينه تفصيل للعرض
فيقول تبجحا هاؤم اقرؤا كتابيه ها اسم لخذ وفيه لغات اجودها هاء يا رجل
وهاءِ يا امراة وهاؤما يا رجلان او امراتان وهاؤم يا رجال وهاؤن يا نسوة
ومفعوله محذوف وكتابيه مفعول اقرؤا لانه اقرب العاملين ولانه لو كان
معمول هاؤم لقيل اقرؤه اذ الاولى اضماره حيث امكن والهاء فيه وفي حسابيه
وماليه وسلطانيه للسكت تثبت في الوقف وتسقط في الوصل واستحب الوقف
لثباتها في الامام ولذلك قرئ باثباتها في الوصل اني ظننت اني ملاق حسابيه
اي علمت ولعله عبر عنه بالظن اشعارا بانه لا يقدح في الاعتقاد ما يهجس في
النفس من الخطرات التي لا تنفك عنها العلوم النظرية غالبا فهو في عيشة
راضية ذات رضى على النسبة بالصيغة او جعل الفعل لها مجازا وذلك لكونها
صافية عن الشوائب دائمة مقرونة بالتعظيم في جنة عالية مرتفعة المكان
لانها في السماء او الدرجات او الابنية والاشجار قطوفها جمع قطف وهو
ما يجتنى بسرعة والقطف بالفتح المصدر دانية يتناولها القاعد كلوا واشربوا
باضمار القول وجمع الضمير للمعنى هنيئا اكلا وشربا هنيئا او هنئتم هنيئا بما اسلفتم
بما قدمتم من الاعمال الصالحة في الايام الخالية الماضية من ايام الدنيا واما
من اوتي كتابه بشماله فيقول لما يرى من قبح العمل وسوء العاقبة يا ليتني
لم اوت كتابيه ولم ادر ما حسابيه يا ليتها يا ليت الموتة التي متها كانت
القاضية القاطعة لامري فلم ابعث بعدها او يا ليت هذه الحالة كانت الموتة
التي قضيت علي كانه صادفها امر من الموت فتمناه عندها او يا ليت حياة الدنيا
كانت الموتة ولم اخلق حيا ما اغنى عني ماليه مالي من المال والتبع وما نفي
والمفعول محذوف او استفهام انكار مفعول لاغنى هلك عني سلطانيه ملكي
وتسلطي على الناس او حجتي التي كنت احتج بها في الدنيا خذوه يقوله الله لخزنة
النار فغلوه ثم الجحيم صلوه ثم لا تصلوه الا الجحيم وهي النار العظمى لانه كان
يتعظم على الناس ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا اي طويلة
فاسلكوه فادخلوه فيها بان تلفوها على جسده وهو فيما بينها مرهق لا يقدر
على حركة وتقديم السلسلة كتقديم الجحيم للدلالة على التخصيص والاهتمام بذكر
انواع ما يعذب به وثم لتفاوت ما بينها في الشدة انه كان لا يؤمن بالله
العظيم تعليل على طريقة الاستئناف للمبالغة وذكر العظيم للاشعار بانه
هو المستحق للعظمة فمن تعظم فيها استوجب ذلك ولا يحض على طعام المسكين

ولا يحث على بذل طعامه او على اطعامه فضلا ان يبذل من ماله ويجوز ان
يكون ذكر الحض للاشعار بان تارك الحض بهذه المنزلة فكيف بتارك الفعل وفيه
دليل على تكليف الكفار بالفروع ولعل تخصيص الامرين بالذكر لانه اقبح العقائد
الكفر بالله واشنع الرذائل البخل وقسوة القلب فليس له اليوم ههنا حميم
قريب يحميه ولا طعام الا من غسلين غسالة اهل النار وصديدهم فعلين
من الغسل لا ياكله الا الخاطئون اصحاب الخطايا من خطئ الرجل اذا تعمد
الذنب لا من الخطا المضاد للصواب وقرئ الخاطيون بقلب الهمزة ياء والخاطون
بطرحها فلا اقسم لظهور الامر واستغنائه عن التحقيق بالقسم او فاقسم ولا
مزيدة او فلا رد لانكارهم البعث واقسم مستانف بما تبصرون وما لا تبصرون
بالمشاهدات والمغيبات وذلك يتناول الخالق والمخلوقات باسرها انه
لقول رسول يبلغه عن الله فان الرسول لا يقول عن نفسه كريم على الله وهو محمد
او جبريل عليه السلام وما هو بقول شاعر كما تزعمون تارة قليلا ما تؤمنون
تصدقون لما ظهر لكم صدقه تصديقا قليلا لفرط عنادكم ولا بقول كاهن
كما تدعون اخرى قليلا ما تذكرون تذكرون تذكرا قليلا فلذلك يلتبس عليكم
الامر وذكر الايمان مع نفي الشاعرية والتذكر مع نفي الكاهنية لان عدم
مشابهة القران للشعر امر بين لا ينكرها الا معاند بخلاف مباينته للكهانة
فانها تتوقف على تذكر احوال الرسول ومعاني القران المنافية لطريق الكهنة
ومعاني اقوالهم وقرا ابن كثير ويعقوب بالياء فيهما تنزيل هو تنزيل من رب
العالمين نزله على لسان جبريل ولو تقول علينا بعض الاقاويل سمى الافتراء
تقولا لانه قول متكلف والاقوال المفتراة اقاويل تحقيرا بها كانها جمع
افعولة من القول كالاضاحيك لاخذنا منه باليمين بيمينه ثم لقطعنا منه
الوتين اي نياط قلبه بضرب عنقه وهو تصوير لاهلاكه بافظع ما يفعله
الملوك بمن يغضبون عليه وهو ان ياخذ القتال بيمينه ويكفحه بالسيف
ويضرب جيده وقيل اليمين بمعنى القوة فما منكم من احد عنه عن القتل
او المقتول حاجزين دافعين وصف لاحد فانه عام والخطاب للناس وانه
وان القران لتذكرة للمتقين لانهم المنتفعون به وانا لنعلم ان منكم مكذبين
فنجازيهم على تكذيبهم وانه لحسرة على الكافرين اذا راوا ثواب المؤمنين
به وانه لحق اليقين لليقين الذي لا ريب فيه فسبح باسم ربك العظيم
فسبح الله بذكر اسمه العظيم تنزيها له عن الرضى بالتقول عليه وشكرا على ما اوحى

الله عن النبي صلعم من قرا سورة الحاقة حاسبه الله حسابا يسيرا

بسم الله الرحمن الرحيم سال سايل بعذاب واقع اي دعا
داع به بمعنى استدعاه ولذلك عدي الفعل بالبا والسايل نضر بن الحارث فانه قال
ان كان هذا هو الحق من عندك او ابو جهل فانه قال فاسقط علينا كسفا سال استهزا
والرسول عليه الصلوة والسلام استعجل بعذابهم وقرا نافع وابن عامر سال
وهو اما من السوال على لغة قريش قال سالت هذيل رسول الله فاحشة ضلت
هذيل بما سالت ولم تصب او من السيلان ويويده انه قري سال سيل على ان
السيل مصدر بمعنى السايل كالغور بمعنى الغاير والمعنى سال وادي بعذاب
ومضي الفعل لتحقق وقوعه اما في الدنيا وهو قتل بدر او في الاخرة فهو عذاب
النار للكافرين صفة اخري لعذاب او صلة لواقع وان صح ان السوال عمن
يقع به العذاب كان جوابا والبا على هذا لتضمن سال معنى اهتم ليس له دافع
يرده من الله من جهته لتعلق ارادته به ذي المعارج ذي المصاعد وهي الدرجا
التي يصعد فيها الكلم الطيب والعمل الصالح او يترقى فيها المومنون في سلوكهم
او في دار ثوابهم او مراتب الملايكة او السموات فان الملايكة يعرجون فيها
تعرج الملايكة والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين الف سنة استينا
لبيان ارتفاع تلك المعارج وبعد مداها على التمثيل والتخييل والمعنى انها بحيث لو
قدر قطعها في زمان لكان في زمان يقدر بخمسين الف سنة من سني الدنيا وقيل
معناه تعرج الملايكة والروح الى عرشه في يوم كان مقداره خمسين الف سنة
من حيث انهم يقطعون فيه ما يقطعه الانسان فيها لو فرض لان ما بين اسفل
العالم واعلى شرفات العرش مسيرة خمسين الف سنة لان ما بين مركز الارض
ومقعر السما الدنيا على ما قيل مسيرة خمسماية عام وثخن كل واحد من السموات
والكرسي والعرش كذلك وحيث كان في يوم كان مقداره الف سنة يريد به
زمان عروجهم من الارض الى محدب السما الدنيا وقيل في يوم متعلق بواقع
او سال اذا جعل من السيلان والمراد به يوم القيمة واستطالته اما لشدته على
الكفار او لكثرة ما فيه من الحالات والمحاسبات او لانه على الحقيقة كذلك
والروح جبريل وافراده لفضله او خلق اعظم من الملايكة وقرا الكسايي يعرج
بالتا فاصبر صبرا جميلا لا يشوبه استعجال واضطراب قلب وهو متعلق بسال

لان

لان السوال كان عن استهزا وتعنت وذلك مما يضجره او عن تضجر واستبطا للنصر
وبسال لان المعنى قرب وقوع العذاب فاصبر فقد شارفت الانتقام انهم يرونه
الضمير للعذاب او ليوم القيمة بعيدا من الامكان ونريه قريبا منه او من الوقوع
يوم تكون السما كالمهل ظرف لقريبا اي يمكن يوم يكون او لمضمر دل عليه واقع
او بدل عن في يوم ان علق به والمهل المذاب في مهل كالفلزات او دردي الزيت
وتكون الجبال كالعهن كالصوف المصبوغ الوانا لان الجبال مختلفة الالوان
فاذا بست وطيرت في الجو اشبهت العهن المنفوش اذا طيرته الريح ولا يسال حميم
حميما قريب قريبا عن حاله عن ابن كثير ولا يسال على بنا المفعول اي لا يطلب من
حميم حميم او لا يسال منه حاله يبصرونهم استيناف او حال يدل على ان المانع
من السوال هو التشاغل دون الخفا او ما يغني عنه من مشاهدة الحال كبياض
الوجه وسواده وجمع الضميرين لعموم الحميم يود المجرم لو يفتدي من عذاب
يوميذ ببنيه وصاحبته واخيه حال من احد الضميرين او استيناف يدل
على ان اشتغال كل مجرم بنفسه بحيث يتمنى ان يفتدي باقرب الناس واعلقهم
بقلبه فضلا ان يهتم بحاله ويسال عنها وقري بتنوين عذاب ونصب يوميذ
به لانه بمعنى تعذيب وقرا نافع والكسايي بفتح ميم يوميذ وفصيلته وعشيرته
التي فصل عنهم التي تويه تضمه في النسب وعند الشدايد ومن في الارض
جميعا من الثقلين او الخلايق ثم ينجيه عطف على يفتدي اي ثم لو ينجيه الا
وثم للاستبعاد كلا ردع للمجرم عن الودادة ودلالة على ان الافتدا لا ينجيه
انها الضمير للنار او مبهم يفسره لظى وهو خبر او بدل او للقصة ولظى مبتدا
خبره نزاعة للشوى وهو اللهب الخالص وقيل علم للنار منقول من اللظى بمعنى
وقرا حفص عن عاصم نزاعة بالنصب على الاختصاص او الحال الموكدة او المتنقلة
على ان لظى بمعنى متلظية والشوى الاطراف او جمع شواة وهي جلدة الراس
تدعوا تجذب وتحضر كقول ذي الرمة تدعو انفه الريب مجاز عن جذبها
واحضارها لمن فر عنها وقيل تدعو زبانيتها وقيل تدعو تهلك من قولهم
دعاك الله اذا اهلكك من ادبر عن الحق وتولى عن الطاعة وجمع فاوعى وجمع
المال فجعله في وعا وكنزه حرصا وتاميلا ان الانسان خلق هلوعا شديد
الحرص قليل الصبر اذا مسه الشر جزوعا يكثر الجزع واذا مسه الخير السعة
منوعا يبالغ في الامساك والاوصاف الثلاثة احوال مقدرة او محققة
لانها طبايع جبل الانسان عليها واذا الاولى ظرف لجزوعا والاخرى لمنوعا

الا المصلين استثنا للموصوفين بالصفات المذكورة بعد من المطبوعين على الاحوال المذكورة قبل لمضادة تلك الصفات لها من حيث انها دالة على الاستغراق في طاعة الحق والاشفاق على الخلق والايمان بالجزا والخوف من العقوبة وكسر الشهوة وايثار الاجل على العاجل وتلك ناشية من الانهماك في حب العاجل وقصور النظر عليها الذين هم على صلوتهم دايمون لا يشغلهم عنها شاغل والذين في اموالهم حق معلوم كالزكوات والصدقات الموظفة للسايل الذي يسال والمحروم والذي لا يسال فيحسب غنيا فيحرم والذين يصدقون بيوم الدين تصديقا باعمالهم وهو ان يتعب نفسه ويصرف ماله طمعا في المثوبة الاخروية ولذلك ذكر الدين والذين هم من عذاب ربهم مشفقون خايفون على انفسهم ان عذاب ربهم غير مامون اعتراض يدل على انه لا ينبغي لاحد ان يامن من عذاب الله وان بالغ في طاعته والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون سبق تفسيره في سورة المؤمنون والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون والذين هم بشهاداتهم قايمون حافظون وقرا ابن كثير لامانتهم يعني لا يخفون ولا ينكرون ولا يغضون ما علموه من حقوق الله وحقوق العباد وقرا يعقوب وحفص بشهاداتهم لاختلاف الانواع والذين هم على صلاتهم يحافظون فيراعون شرايطها ويكملون فرايضها وسننها وتكرير ذكر الصلاة ووصفهم بها اولا واخرا باعتبارين للدلالة على فضلها وانافتها على غيرها وفي نظم هذه الصلوة مبالغات لا تخفى اولئك في جنات مكرمون بثواب الله فما للذين كفروا قبلك مهطعين مسرعين عن اليمين وعن الشمال عزين فرقا شتى جمع عزة من العزو وكان كل فرقة تعتزي الى غير من تعتزي اليه الاخرى كان المشركون يحلقون حول رسول الله صلى الله عليه وسلم حلقا ويستهزءون بكلامه ايطمع كل امرئ منهم ان يدخل جنة نعيم بلا ايمان وهو انكار لقولهم لو صح ما يقوله لنكون فيها افضل حظا منهم كما في الدنيا كلا ردع عن هذا الطمع انا خلقناهم مما يعلمون تعليل له والمعنى انكم مخلوقون من اجل ما تعلمون وهو تكميل النفس بالعلم والعمل فمن لم يستكملها لم يبوء في منازل الكاملين او استدلال بالنشاة الاولى على امكان النشاة الثانية التي بنوا الطمع على فرضها فرضا مستحيلا عندهم بعد ردعهم عنه فلا اقسم برب المشارق والمغارب

انا لقادرون على ان نبدل خيرا منهم اي نهلكهم ونأتي بخلق امثل منهم او نعطي محمدا بدلكم من هو خير منكم وهم الانصار وما نحن بمسبوقين بمغلوبين ان اردنا فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون مر في آخر الطور يوم يخرجون من الاجداث سراعا مسرعين جمع سريع كانهم الى نصب منصوب للعبادة او علم الى نصب يوفضون يسرعون وقرا ابن عامر وحفص نصب بالضم على انه تخفيف نصب وجمع خاشعة ابصارهم ترهقهم ذلة مر تفسيره ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون في الدنيا عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة المعارج اعطاه الله ثواب الذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون

بسم الله الرحمن الرحيم انا ارسلنا نوحا الى قومه ان انذر بان انذر اي بالانذار او بان قلنا له انذر ويجوز ان تكون مفسرة لتضمن الارسال معنى القول وقرئ بغيرها على ارادة القول قومك من قبل ان ياتيهم عذاب اليم عذاب الاخرة او الطوفان قال يا قوم اني لكم نذير مبين ان اعبدوا الله واتقوه واطيعون مر في الشعرا نظيره وفي ان يحتمل الوجهان يغفر لكم من ذنوبكم بعض ذنوبكم وهو ما سبق فان الاسلام يجبه فلا يؤاخذ به في الاخرة ويؤخركم الى اجل مسمى هو اقصى ما قدر لكم بشرط الايمان والطاعة ان اجل الله ان الاجل الذي قدره اذا جاء على الوجه المقدر به اجلا وقيل اذا جاء الاجل الاطول لا يؤخر فبادروا في اوقات الامهال والتاخير لو كنتم تعلمون لو كنتم من اهل النظر والعلم لعلمتم ذلك وفيه انهم لانهماكهم في حب الحياة كانهم شاكون في الموت قال رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا اي دائما فلم يزدهم دعائي الا فرارا عن الايمان والطاعة واسناد الزيادة الى الدعا على التسبيب كقوله فزادتهم ايمانا واني كلما دعوتهم الى الايمان لتغفر لهم بسببه جعلوا اصابعهم في اذانهم سدوا مسامعهم عن استماع الدعوة واستغشوا ثيابهم تغطوا بها لئلا يروني كراهة النظر الي من فرط كراهة دعوتي او لئلا اعرفهم فادعوهم والتعبير بصيغة الطلب للمبالغة واصروا اكبوا على الكفر والمعاصي مستعار من اصر الحمار على العانة اذا صر اذنيه واقبل عليها واستكبروا عن اتباعي استكبارا عظيما ثم اني دعوتهم جهارا ثم اني اعلنت لهم واسررت لهم اسرارا اي دعوتهم مرة بعد اخرى وكرة

بعد اخرى على اي وجه امكنني وثم لتفاوت الوجوه فان الجهار اغلظ من الاسرار
والجمع بينهما اغلظ من الافراد او لتراخي بعضها عن بعض وجهارا نصب
على المصدر لانه احد نوعي الدعا او صفة مصدر محذوف بمعنى دعا جهارا
اي مجاهرا به او الحال فيكون بمعنى مجاهرا فقلت استغفروا ربكم بالتوبة عن
الكفر انه كان غفارا وكانهم لما امرهم بالعبادة قالوا ان كنا على حق فلا نتركه
وان كنا على باطل فكيف يقبلنا ويلطف بنا من عصيناه فامرهم بما يجب معاصيهم
ويجلب اليهم المنح ولذلك وعدهم عليه ما هو اوقع في قلوبهم وقيل لما طالت
دعوتهم وتمادى اصرارهم حبس الله عنهم القطر اربعين سنة واعقم ارحام
نسائهم فوعدهم بذلك على الاستغفار عما كانوا عليه بقوله يرسل السماء
عليكم مدرارا ويمددكم باموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم انهارا
ولذلك شرع الاستغفار في الاستسقاء والسماء يحتمل المظلة والسحاب والمدرار
كثير الدرور ويستوي في هذا البنا المذكر والمونث والمراد بالجنات البساتين
ما لكم لا ترجون لله وقارا لا تاملون له توقيرا اي تعظيما لمن عبده واطاعه
فتكونوا على حال تاملون فيها تعظيمه اياكم ولله بيان للموقر ولو تاخر لكان صلة
للوقار او لا تعتقدون له عظمة فتخافوا عصيانه وانما عبر عن الاعتقاد بالرجا
التابع لادنى الظن مبالغة وقد خلقكم اطوارا حال مقررة للانكار من حيث
انها موجبة للرجا فانه خلقهم اطوارا اي تارات اذ خلقهم اولا عناصر ثم
مركبات تغذي الانسان ثم اخلاطا ثم نطفا ثم علقا ثم عظاما ولحوما ثم انشاهم
خلقا اخر فانه يدل على انه يمكن ان يعيدهم تارة اخرى فيعظمهم بالثواب
وعلى انه تعالى عظيم القدرة تام الحكمة ثم اتبع ذلك ما يؤيده من ايات
الافاق فقال الم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا وجعل القمر
فيهن نورا اي في السموات وهو في السماء الدنيا وانما نسب اليهن لما بينهن من
الملابسة وجعل الشمس سراجا مثلها به لانها تزيل ظلمة الليل عن وجه
الارض كما يزيلها السراج عما حوله والله انبتكم من الارض نباتا انشاكم
فاستعير الانبات للانشاء لانه ادل على الحدوث والتكون من الارض واصله
انبتكم انباتا فنبتم نباتا فاختصر اكتفاء بالدلالة الالتزامية ثم يعيدكم فيها
مقبورين ويخرجكم اخراجا بالحشر واكده بالمصدر كما اكد به الاول دلالة على
ان الاعادة محققة كالبدء وانها تكون لا محالة والله جعل لكم الارض بساطا
تتقلبون عليها لتسلكوا منها سبلا فجاجا واسعة جمع فج ومن لتضمن الفعل

معنى الايجاد قال نوح رب انهم عصوني فيما امرتهم به واتبعوا من لم يزده
ماله وولده الا خسارا واتبعوا رؤساءهم البطرين باموالهم المغترين باولادهم
بحيث صار ذلك سببا لزيادة خسارهم في الاخرة وفيه انهم انما اتبعوهم
لوجاهة حصلت لهم باموالهم واولادهم ادت بهم الى الخسار وقرا ابن كثير
وحمزة والكسائي والبصريان وولده بالضم والسكون على انه لغة كالحزن او جمع
كالاسد ومكروا عطف على لم يزده والضمير لمن وجمعه للمعنى مكرا كبارا كبيرا
في الغاية فانه ابلغ من كبار وهو من كبير وذلك احتيالهم في الدين وتحريش
الناس على اذى نوح وقالوا لا تذرن الهتكم اي عبادتها ولا تذرن ودا
ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا ولا تذرن هؤلاء خصوصا قيل هي اسماء
رجال صالحين كانوا بين ادم ونوح فلما ماتوا صوروا تبركا بهم فلما طال الزمان
عبدوا وقد انتقلت الى العرب فكان ود لكلب وسواع لهمدان ويغوث
لمذحج ويعوق لمراد ونسر لحمير وقرا نافع ودا بالضم وقرئ يغوثا ويعوقا للتناسب
ومنع صرفهما للعلمية والعجمة وقد اضلوا كثيرا الضمير للرؤسا او للاصنام كقوله
انهن اضللن كثيرا ولا تزد الظالمين الا ضلالا عطف على رب انهم عصوني
ولعل المطلوب هو الضلال في تدبير مكرهم ومصالح دنياهم لا في امر دينهم
او الضياع والهلاك كقوله ان المجرمين في ضلال وسعر مما خطيئاتهم من اجل
خطيئاتهم وما مزيدة للتاكيد والتفخيم وقرا ابو عمرو مما خطاياهم اغرقوا بالطو فان
فادخلوا نارا المراد عذاب القبر او عذاب الاخرة والتعقيب لعدم الاعتداد
لما بين الاغراق والادخال او لان المسبب كالمتعقب للسبب وان تراخى عنه لفقد
ان شرط او وجود مانع وتنكير النار للتعظيم او لان المراد نوع من النيران فلم
يجدوا لهم من دون الله انصارا تعريض لهم باتخاذ الهة من دون الله لا تقدر
على نصرهم وقال نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا اي احدا
وهو مما يستعمل في النفي العام فيعال من الدار او الدور واصله ديوار ففعل به ما
فعل باصل سيد لا فعال والا لكان دوارا انك ان تذرهم يضلوا عبادك
ولا يلدوا الا فاجرا كفارا قال ذلك لما جربهم واستقرى احوالهم الف سنة
الا خمسين عاما فعرف شيمهم وطباعهم رب اغفر لي ولوالدي لمك بن متو شلح
وشمخا بنت انوش وكانا مؤمنين ولمن دخل بيتي منزلي او مسجدي او سفينتي مؤمنا
وللمؤمنين والمؤمنات الى يوم القيامة ولا تزد الظالمين الا تبارا هلاكا عن النبي
صلى الله عليه وسلم من قرا سورة نوح كان من المؤمنين الذين تدركهم دعوة نوح

بسم الله الرحمن الرحيم قل اوحي الي وقرئ احي واصله وحي
من وحي اليه فقلبت الواو همزة لضمتها ووحي على الاصل وفاعله انه استمع
نفر من الجن والنفر ما بين الثلاثة والعشرة والجن اجسام عاقلة خفية تغلب
عليهم النارية او الهوائية وقيل نوع من الارواح المجردة وقيل نفوس بشرية
مفارقة عن ابدانها وفيه دلالة على انه عليه الصلوة والسلام ما راهم ولم يقرأ
عليهم وانما اتفق حضورهم في بعض اوقات قراءته فسمعوها فاخبر الله به رسوله
فقالوا انا سمعنا قرانا عجبا بديعا مباينا لكلام الناس في حسن نظمه
ودقة معناه وهو مصدر وصف به للمبالغة يهدي الى الرشد الى الحق والصواب
فامنا به بالقران ولن نشرك بربنا احدا على ما نطق به الدلائل القاطعة
على التوحيد وانه تعالى جد ربنا قراه ابن كثير والبصريان بالكسر على انه من
جملة المحكي بعد القول وكذا ما بعده الا قوله ان لو استقاموا وان المساجد
وانه لما قام فانها من جملة الموحى به ووافقهم نافع وابو بكر الا في قوله وانه لما
قام على انه استئناف او مقول وفتح الباقون الكل الا ما صدر بالفاء على ان ما
كان من قولهم فمعطوف على محل الجار والمجرور في به كانه قيل صدقناه وصدقنا
على انه تعالى جد ربنا اي عظمته من جد فلان في عيني اذا عظم او سلطانه
او غناه وقوله ما اتخذ صاحبة ولا ولدا بيان لذلك وقرئ جدا بالتمييز
وجد بالكسر اي صدق ربوبيته كانهم سمعوا من القران ما نبههم على خطا
ما اعتقدوه من الشرك واتخاذ الصاحبة والولد وانه كان يقول سفيهنا
ابليس او مردة الجن على الله شططا قولا ذا شطط وهو البعد ومجاوزة
الحد او شطط لفرط ما اشط فيه وهو نسبة الصاحبة والولد الى الله تعالى
وانا ظننا ان لن تقول الانس والجن على الله كذبا اعتذار عن اتباعهم
في السفه في ذلك بظنهم ان احدا لا يكذب على الله وكذبا نصب على المصدر
لانه نوع من القول او الوصف لمحذوف اي قولا مكذوبا فيه ومن قرا ان لن تقول
كيعقوب جعله مصدرا لان التقول لا يكون الا كذبا وانه كان رجال من الانس
يعوذون برجال من الجن فان الرجل كان اذا امسى بقفر قال اعوذ بسيد هذا
الوادي من شر سفهاء قومه فزادوهم فزادوا الجن باستعاذتهم بهم رهقا
كبرا وعتوا او فزاد الجن الانس غيا بان اضلوهم حتى استعاذوا بهم والرهق

في الاصل غشيان الشيء وانهم وان الانس ظنوا كما ظننتم ايها الجن او بالعكس
والايتان من كلام الجن بعضهم لبعض او استئناف كلام من الله ومن فتح ان فيهما
جعلهما من الموحى به ان لن يبعث الله احدا ساد مسد مفعولي ظنوا وانا لمسنا
السماء طلبنا بلوغ السماء او خبرها واللمس مستعار من المس للطلب كالجس يقال
لمسه والتمسه وتلمسه كطلبه واطلبه وتطلبه فوجدناها ملئت حرسا حرسا
اسم جمع كالخدم شديدا قويا وهم الملائكة الذين يمنعونهم عنها وشهبا
جمع شهاب وهو المضيء المتولد من النار وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع
مقاعد خالية عن الحرس والشهب او صالحة للترصد والاستماع وللسمع صلة
لنقعد او صفة لمقاعد فمن يستمع الان يجد له شهابا رصدا اي شهابا راصدا
له ولاجله يمنعه عن الاستماع بالرجم او ذوي شهاب راصدين على انه اسم جمع
للراصد وقد مر بيان ذلك في الصافات وانا لا ندري اشر اريد بمن
في الارض بحراسة السماء ام اراد بهم ربهم رشدا خيرا وانا منا الصالحون المو
الابرار ومنا دون ذلك اي قوم دون ذلك فحذف الموصوف وهم المقتصدون
كنا طرائق ذوي طرائق اي مذاهب او مثل طرائق في اختلاف الاحوال او كانت
طرائقنا طرائق قددا متفرقة مختلفة جمع قدة من قد اذا قطع وانا ظننا علمنا
ان لن نعجز الله في الارض كائنين في الارض اينما كنا فيها ولن نعجزه هربا هاربين
منها الى السماء او لن نعجزه في الارض ان اراد بنا امرا ولن نعجزه هربا ان طلبنا
وانا لما سمعنا الهدى اي القران امنا به فمن يؤمن بربه فلا يخاف فهو لا
يخاف وقرئ فلا يخف والاول ادل على تحقيق نجاة المؤمن واختصاصها به بخسا
ولا رهقا نقصا في الجزاء ولا ان يرهقه ذلة او جزاء نقص لانه لم يبخس حقا ولم يرهق
ظلما لان من حق الايمان بالقران ان يجتنب ذلك وانا منا المسلمون ومنا القاسطون
الجائرون عن طريق الحق وهو الايمان والطاعة فمن اسلم فاولئك تحروا رشدا
توخوا رشدا عظيما يبلغهم الى دار الثواب واما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا
توقد بهم كما توقد بكفار الانس وان لو استقاموا اي ان الشان لو استقام الجن
او الانس او كلاهما على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقا على الطريقة المثلى لوسعنا
عليهم الرزق وتخصيص الماء الغدق وهو الكثير بالذكر لانه اصل المعاش والسعة
وعزة وجوده بين العرب لنفتنهم فيه لنختبرهم كيف يشكرونه وقيل معناه
ان لو استقام الجن على طريقتهم القديمة ولم يسلموا باستماع القران لوسعنا
عليهم الرزق مستدرجين لهم لنوقعهم في الفتنة ونعذبهم في كفرانه ومن يعرض

منوب

سطون

عن ذكر ربه عن عبادته او موعظته او وحيه نسلكه ندخله عذابا صعدا شاقا
يعلو المعذب ويغلبه مصدر وصف به وان المساجد لله مختصة به فلا تدعوا
مع الله احدا فلا تعبدوا فيها غيره ومن جعل ان مقدرة باللام علة للنهي الغى
فائدة الفاء وقيل المراد بالمساجد الارض كلها لانها جعلت للنبي مسجدا وقيل
المسجد الحرام لانه قبلة المساجد ومواضع السجود على ان المراد النهي عن السجود
لغير الله واراب السبعة وبالسجدات على انه جمع مسجد وانه لما قام عبد الله
اي النبي وانما ذكر لفظ العبد للتواضع فانه واقع موقع كلامه عن نفسه والاشعار
بما هو المقتضي لقيامه يدعوه يعبده كادوا كاد الجن يكونون عليه لبدا متراكمين
من ازدحامهم عليه تعجبا مما راوا من عبادته وسمعوا من قراءته او كاد الانس
والجن يكونون عليه مجتمعين لابطال امره وهو جمع لبدة وهو ما تلبد بعضه
على بعض كلبدة الاسد وعن ابن عامر لبدا بضم اللام جمع لبدة وهي لغة وقرئ
لبدا كسجدا ولبدا كصبر جمع لبود قال انما ادعوا ربي ولا اشرك به احدا
فليس ذلك ببدع ولا منكر يوجب تعجبكم او اطباقكم على مقتي وقرا عاصم وحمزة
قل على الامر للنبي ليوافق ما بعده قل اني لا املك لكم ضرا ولا رشدا ولا نفعا
او غيا ولا رشدا عبر عن احدهما باسمه وعن الاخر باسم سببه او مسببه اشعارا
بالمعنيين قل اني لن يجيرني من الله احد ان ارادني بسوء ولن اجد من دونه
ملتحدا منحرفا او ملتجا الا بلاغا من الله استثناء من قوله لا املك فان التبليغ
ارشاد وانفاع وما بينهما اعتراض موكد لنفي الاستطاعة او من ملتحدا او معناه
ان لا ابلغ بلاغا وما قبله دليل الجواب ورسالاته عطف على بلاغا ومن الله
صفته فان صلته عن كقوله بلغوا عني ولو اية ومن يعص الله ورسوله في الامر
بالتوحيد اذ الكلام فيه فان له نار جهنم وقرئ فان على فجزاؤه ان خالدين
فيها ابدا جمعه للمعنى حتى اذا راوا ما يوعدون في الدنيا كوقعة بدر او في
الاخرة والغاية لقوله يكونون عليه لبدا بالمعنى الثاني او لمحذوف دل عليه الحال
من استضعاف الكفار له واستقصارهم له فسيعلمون من اضعف ناصرا واقل عددا
هو او هم قل ان ادري ما ادري اقريب ما توعدون ام يجعل له ربي امدا
غاية تطول مدتها كانه لما سمع المشركون حتى اذا راوا ما يوعدون قالوا متى يكون
انكارا فقيل قل انه كائن لا محالة ولكن لا ادري وقته عالم الغيب هو عالم الغيب
فلا يظهر فلا يطلع على غيبه احدا اي على الغيب المخصوص به علمه الا من ارتضى
لعلم بعضه حتى يكون له معجزة من رسول بيان لمن واستدل به على ابطال الكرامات

وجوابه تخصيص الرسول بالملك والاظهار بما يكون بغير وسط وكرامات الاولياء
على المغيبات انما تكون تلقيا من الملائكة كاطلاعنا على احوال الاخرة بتوسط الانبياء
فانه يسلك من بين يديه من بين يدي المرتضى ومن خلفه رصدا حرسا من
الملائكة يحرسونه من اختطاف الشياطين وتخاليطهم ليعلم ان قد ابلغوا اي
ليعلم النبي الموحى اليه ان قد ابلغ جبريل والملائكة النازلون بالوحي او ليعلم
الله ان ابلغ الانبياء بمعنى ليتعلق علمه به موجودا رسالات ربهم كما هي محروسة
من التغيير واحاط بما لديهم بما عند الرسل واحصى كل شيء عددا حتى القطر
والرمل عن النبي صلعم من قرا سورة الجن كان له بعدد كل جني صدق محمدا او كذب به عتق رقبة

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها المزمل اصله المتزمل من تزمل
بثيابه اذا تلفف بها فادغم التاء في الزاي وقد قرئ به وبالمزمل مفتوحة
الميم ومكسورتها اي الذي زمله غيره او زمل نفسه سمي به النبي صلى الله عليه
وسلم تهجينا لما كان عليه لانه كان نائما او مرتعدا مما دهشه بدء الوحي متزملا
في قطيفة او تحسينا له اذ روي انه كان يصلي متلففا بمرط مفروش على عائشة
فنزل او تشبيها له في تثاقله بالمتزمل لانه لم يتمرن بعد في قيام الليل او من تزمل
الزمل اذا تحمل الحمل اي الذي تحمل اعباء النبوة قم الليل اي قم الى الصلوة
او داوم عليها وقرئ بضم الميم وفتحها للاتباع او التخفيف الا قليلا نصفه
او انقص منه قليلا او زد عليه الاستثناء من الليل ونصفه بدل من قليلا
وقلته بالنسبة الى الكل والتخيير بين قيام النصف والزائد عليه كالثلثين و
الناقص عنه كالثلث او نصفه بدل من الليل والاستثناء منه والضمير في منه
وعليه للاقل من النصف كالثلث فيكون التخيير بينه وبين الاقل منه كالربع
والاكثر منه كالنصف او للنصف والتخيير بين ان يقوم اقل منه على البت وان
يختار احد الامرين من الاقل والاكثر او الاستثناء من اعداد الليل فانه عام
والتخيير بين قيام النصف والناقص عنه والزائد عليه ورتل القران ترتيلا
اقراه على تؤدة وتبيين حروف بحيث يتمكن السامع من عدها من قولهم
ثغر رتل ورتل اذا كان مفلجا انا سنلقي عليك قولا ثقيلا يعني القران
فانه لما فيه من التكاليف الشاقة ثقيل على المكلفين سيما على الرسول اذ كان
عليه ان يتحملها ويحملها امته والجملة اعتراض بتسهيل التكليف بالتهجد ويدل على

انه مشتق مضاد للطبع مخالف للنفس او رصين لرزانة لفظه ومتانة معناه
او ثقيل على المتامل فيه لافتقاره الى مزيد تصفية للسر وتجريد للنظر او ثقيل
في الميزان او على الكفار والفجار او ثقيل تلقيه لقول عايشة رايته ينزل عليه
في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وان جبينه ليتفصد عرقا وعلى هذا يجوز ان يكون
صفة للمصدر والجملة على هذه الاوجه للتعليل مستانف فان التهجد يعد للنفس
ما به تعالج ثقله ان ناشئة الليل ان النفس التي تنشا من مضجعها الى العبادة
من نشا من مكانه اذا نهض قال نشانا الى خوص بري نيها السري والصق منها
مشرفات القماحد او قيام الليل على ان الناشئة له او العبادة التي تنشا بالليل
اي تحدث او ساعات الليل لانها تحدث واحدة بعد اخرى او ساعاتها الاول
من نشات اذا ابتدات هي اشد وطا اي كلفة او ثبات قدم وقرا ابو عمرو وابن
عامر وطاء او مواطاة القلب للسان لها او فيها او موافقة لما يراد من الخشوع والاخلاص
واقوم قيلا واسد مقالا او اثبت قراءة لحضور القلب وهدو الاصوات
ان لك في النهار سبحا طويلا تقلبا في مهامك واشتغالا بها فعليك
بالتهجد فان مناجاة الحق تستدعي فراغا وقرئ سبخا اي تفرق قلب بالشواغل
مستعار من سبخ الصوف وهو نفشه ونشر اجزائه واذكر اسم ربك ودم
على ذكره ليلا ونهارا وذكر الله يتناول كل ما يذكر به من تسبيح وتهليل وتحميد وصلاة
وقراءة قران ودراسة علم وتبتل اليه تبتيلا وانقطع اليه بالعبادة وجرد
نفسك عما سواه ولهذا الرمز ومراعاة الفواصل وضعه موضع تبتلا رب
المشرق والمغرب خبر محذوف او مبتدا خبره لا اله الا هو وقرا ابن عامر
والكوفيون غير حفص ويعقوب بالجر على البدل من ربك وقيل باضمار حرف
القسم وجوابه لا اله الا هو فاتخذه وكيلا مسبب عن التهليلة فان توحده
بالالوهية يقتضي ان توكل اليه الامور واصبر على ما يقولون من الخرافات
واهجرهم هجرا جميلا بان تجانبهم وتداريهم ولا تكافيهم وتكل امرهم الى الله كما قال وذرني
والمكذبين دعني واياهم وكل الي امرهم فان بي غنية عنك في مجازاتهم
اولي النعمة ارباب التنعم يريد صناديد قريش ومهلهم قليلا زمانا او امهالا
ان لدينا انكالا تعليل للامر والنكل القيد الثقيل وجحيما وطعاما ذا غصة
طعاما ينشب في الحلق كالضريع والزقوم وعذابا اليما ونوعا اخر من العذاب
مولما لا يعرف كنهه الا الله ولما كانت العقوبات الاربع مما يشترك فيها الا
شباح والارواح فان النفوس العاصية المنهمكة في الشهوات تبقى مقيدة بحبها

والتعلق بها عن التخلص الى عالم المجردات متحرقة بحرقة الفرقة متجرعة
غصة الهجران معذبة بالحرمان عن تجلي انوار القدس فسر العذاب بالحرمان
عن لقاء الله يوم ترجف الارض والجبال تضطرب وتتزلزل ظرف لما في لدينا
انكالا من معنى الفعل وكانت الجبال كثيبا رملا مجتمعا كانه فعيل بمعنى مفعول
من كثبت الشيء اذا جمعته مهيلا منثورا من هيل هيلا اذا نثر انا ارسلنا اليكم
رسولا يا اهل مكة شاهدا عليكم يشهد عليكم يوم القيمة بالاجابة والامتناع
كما ارسلنا الى فرعون رسولا يعني موسى ولم يعينه لان المقصود لم يتعلق به
فعصى فرعون الرسول عرفه لسبق ذكره فاخذناه اخذا وبيلا ثقيلا من
قولهم طعام وبيل لا يستمرا لثقله ومنه الوبل للمطر العظيم فكيف تتقون انفسكم
ان كفرتم بقيتم على الكفر يوما عذاب يوم يجعل الولدان شيبا من شدة هوله
وهذا على الفرض والتمثيل واصله ان الهموم تضعف القوى وتسرع بالشيب ويجوز
ان يكون وصفا لليوم بالطول السماء منفطر به منشق والتذكير على تاويل السقف
او اضمار شيء به لشدة ذلك اليوم على عظمها واحكامها فضلا عن غيرها والباء للالة
كان وعده مفعولا الضمير لله عز وجل او اليوم على اضافة المصدر الى المفعول
ان هذه الايات الموعدة تذكرة عظة فمن شاء ان يتعظ اتخذ الى ربه سبيلا
اي يتقرب اليه بسلوك التقوى ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثي الليل
ونصفه وثلثه استعار الادنى للاقل لان الاقرب الى الشيء اقل بعدا منه وقرا
ابن كثير والكوفيون ونصفه وثلثه بالنصب عطفا على ادنى وطائفة من الذين
معك ويقوم ذلك جماعة من اصحابك والله يقدر الليل والنهار لا يعلم مقادير
ساعاتهما كما هي الا الله فان تقديم اسمه مبتدا مبنيا عليه يقدر يشعر بالاختصاص
ويؤيده قوله علم ان لن تحصوه اي لن تحصوا تقدير الاوقات ولن تستطيعوا
ضبط الساعات فتاب عليكم بالترخيص في ترك القيام المقدر ورفع التبعة
فيه فاقرءوا ما تيسر من القران فصلوا ما تيسر عليكم من صلاة الليل عبر عن الصلوة
بالقراءة كما عبر عنها بسائر اركانها قيل كان التهجد واجبا على التخيير المذكور فعسر
عليهم القيام به فنسخ به ثم نسخ هذا بالصلوات الخمس او فاقرءوا القران بعينه كيف
ما تيسر عليكم علم ان سيكون منكم مرضى استيناف يبين حكمة اخرى مقتضية
للترخيص والتخفيف ولذلك كرر الحكم مرتبا عليه وقال واخرون يضربون
في الارض يبتغون من فضل الله والضرب في الارض ابتغاء الفضل السفر للتجارة
وتحصيل العلم واخرون يقاتلون في سبيل الله فاقرءوا ما تيسر منه واقيموا

الصلوة المفروضة واتوا الزكوة الواجبة واقرضوا الله قرضا حسنا
يريد به الامر بساير الانفاقات في سبل الخير او باداء الزكوة على احسن وجه
والترغيب فيه بوعد العوض كما صرح به في قوله وما تقدموا لانفسكم من خير
تجدوه عند الله هو خيرا واعظم اجرا من الذي تؤخرونه الى الوصية
عند الموت او من متاع الدنيا وخيرا ثاني مفعولي تجدوه وهو تاكيد او فصل
لان افعل من كالمعرفة ولذلك يمتنع من حرف التعريف وقرئ هو خير على الابتدا
واستغفروا الله في مجامع احوالكم فان الانسان لا يخلو من تفريط ان الله
غفور رحيم عن النبي صلعم من قرا سورة المزمل رفع الله عنه العسر في الدنيا والاخرة

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها المدثر اي المتدثر وهو لابس الدثار
وروي انه عليه الصلوة والسلام قال كنت بحرا فنوديت فنظرت عن يميني
وشمالي فلم ار شيا فنظرت فوقي فاذا هو على عرش بين السما والارض يعني
الملك الذي ناداه فرعبت ورجعت الى خديجة فقلت دثروني فنزل جبريل
وقال يا ايها المدثر ولذلك قيل هي اول سورة نزلت وقيل تاذى من قريش فتغطى
بثوبه متفكرا او كان نايما متدثرا فنزلت وقيل المراد بالمدثر المتدثر بالنبوة
والكمالات النفسانية او المختفي فانه كان بحرا كالمختفي فيه على سبيل الاستعارة
وقرئ المدثر الذي دثر هذا الامر وعصب به قم من مضجعك او قم قيام عزم
وجد فانذر مطلق للتعميم او مقدر بمعنى مفعول دل عليه قوله وانذر عشيرتك
الاقربين او قوله وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا وربك فكبر وخصص
ربك بالتكبير وهو وصفه بالكبريا عقدا وقولا روي انه لما نزل كبر رسول الله
صلى الله عليه وسلم وايقن انه الوحي وذلك لان الشيطان لا يامر بذلك والفايه
وفيما بعدها لافادة معنى الشرط وكانه قال وما يكن فكبر ربك او للدلالة على ان
المقصود الاول من الامر بالقيام ان يكبر ربه عن الشرك والتشبيه فان اول ما
يجب معرفة الصانع واول ما يجب بعد العلم بوجوده تنزيهه والقوم كانوا مقرين
به وثيابك فطهر من النجاسات فان التطهير واجب في الصلاة محبوب في غيرها
وذلك بغسلها وبحفظها عن النجاسة كتقصيرها مخافة جر الذيول فيها وهو اول
ما امر به من رفض العادات المذمومة او وطهر نفسك من الاخلاق الذميمة
والافعال الدنية فيكون امرا باستكمال القوة العملية بعد امره باستكمال القوة

التطهير

النظرية والدعا اليه او فطهر دثار النبوة عما يدنسه من الحقد والضجر وقلة
الصبر والرجز فاهجر واهجر العذاب بالثبات على هجر ما يؤدي اليه من الشرك
وغيره من القبايح وقرا يعقوب وحفص والرجز بالضم وهو لغة كالذكر ولا تمنن
تستكثر لا تعط مستكثرا نهي عن الاستغزار وهو ان يهب شيا طامعا في عوض اكثر
نهي تنزيه او نهيا خاصا به لقوله عليه الصلوة والسلام المستغزر يثاب من هبته
والموجب له ما فيه من الحرص والضنة او لا تمنن على الله بعبادتك مستكثرا لها
او على الناس بالتبليغ مستكثرا به الاجر منهم او مستكثرا اياه وقرئ تستكثر
بالسكون للوقف او الابدال من تمنن على انه من من بكذا او تستكثر بمعنى تجده
كثيرا او بالنصب على اضمار ان وقد قرئ بها وعلى هذا يجوز ان يكون الرفع بحذفها
وابطال عملها كما روي واحضر الوغى بالرفع ولربك ولوجهه او امره فاصبر
فاستعمل الصبر او فاصبر على مشاق التكاليف واذى المشركين فاذا نقر في
الناقور في الصور فاعول من النقر بمعنى التصويت واصله القرع الذي هو سبب
الصوت والفا للسببية كانه قال اصبر على زمان صعب تلقى فيه عاقبة صبرك واعدايك
عاقبة ضرهم واذا ظرف لما دل عليه فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين فان
معناه عسر الامر على الكافرين وذلك اشارة الى وقت النقر وهو مبتدا خبره يوم
عسير ويومئذ بدل او ظرف لخبره اذ التقدير فذلك الوقت وقوع يوم عسير
غير يسير تاكيد يمنع ان يكون عسيرا عليهم من وجه دون وجه ويشعر بتيسيره
على المومنين ذرني ومن خلقت وحيدا نزلت في الوليد بن المغيرة ووحيدا
حال من الياء اي ذرني وحدي معه فاني اكفيكه او من التاء اي من خلقته وحدي
لم يشركني في خلقه احد او من العايد المحذوف اي من خلقته فريدا لا مال له ولا
ولدا وذم فانه كان ملقبا به فسماه الله تهكما به او اراده انه وحيد ولكن في
الشر او عن ابيه لانه كان زنيما وجعلت له مالا ممدودا مبسوطا كثيرا او
ممدا بالنما وكان له الزرع والضرع والتجارة وبنين شهودا حضورا معه بمكة
يتمتع بلقايهم لا يحتاجون الى سفر لطلب المعاش استغنا بنعمته ولا يحتاج الى
ان يرسلهم في مصالحهم لكثرة خدمه او في المحافل والاندية لوجاهتهم وقيل
قيل كان له عشرة بنين او اكثر كلهم رجال فاسلم منهم ثلاثة خالد وعمارة وهشام
ومهدت له تمهيدا وبسطت له الرياسة والجاه العريض حتى لقب ريحانة
قريش والوحيد اي باستحقاق الرياسة والتقدم ثم يطمع ان ازيد على ما اوتيته
وهو استبعاد لطمعه اما انه لا مزيد على ما اوتي او انه لا يناسب ما هو عليه

رهم

من كفران النعم ومعاندة المنعم ولذلك قال كلا انه كان لآياتنا عنيدا فانه
ردع له عن الطمع وتعليل للردع على سبيل الاستئناف بمعاندة آيات المنعم المناسبة
لازالة النعم المانعة عن الزيادة وقيل ما زال بعد نزول الآية في نقصان ماله
حتى هلك سارهقه صعودا سأغشيه عقبة شاقة المصعد وهو مثل لما يلقى من
الشدائد وعنه عليه الصلوة والسلام الصعود جبل من نار يصعد فيه سبعين
خريفا ثم يهوي فيه كذلك ابدا انه فكر وقدر تعليل للوعيد او بيان للعناد
والمعنى فكر فيما يخيل طعنا في القرآن وقدر في نفسه ما يقول فيه فقتل كيف قدر
تعجب من تقديره استهزاء به او لانه اصاب اقصى ما يمكن ان يقال عليه من قولهم قتله
الله ما اشجعه اي بلغ في الشجاعة مبلغا يحق بان يحسد ويدعو عليه حاسده
بذلك روي انه مر بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ حم السجدة فاتى قومه
فقال لقد سمعت من محمد آنفا كلاما ما هو من كلام الانس والجن ان له لحلاوة
وان عليه لطلاوة وان اعلاه لمثمر وان اسفله لمغدق وانه ليعلو ولا يعلى
فقال قريش صبا الوليد فقال ابن اخيه ابو جهل انا اكفيكموه فقعد اليه حزينا
وكلمه بما احماه فقام فاتاهم فقال تزعمون ان محمدا مجنون فهل رأيتموه يخنق
وتقولون انه كاهن فهل رأيتموه يتكهن وتزعمون انه شاعر فهل رأيتموه يتعاطى
شعرا فقالوا لا فقال ما هو الا ساحر اما رأيتموه يفرق بين الرجل واهله وولده
ومواليه ففرحوا بقوله وتفرقوا متعجبين منه ثم قتل كيف قدر تكرير للمبالغة
وثم للدلالة على ان الثانية ابلغ من الاولى وفيما بعد على اصلها ثم نظر اي
في امر القرآن مرة بعد اخرى ثم عبس قطب وجهه لما لم يجد فيه طعنا ولم يدر
ما يقول او نظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقطب في وجهه وبسر
اتباع لعبس ثم ادبر عن الحق او الرسول عليه الصلوة والسلام واستكبر عن
اتباعه فقال ان هذا الا سحر يؤثر يروى ويتعلم والفاء للدلالة على انه لما
خطرت هذه الكلمة بباله تفوه بها من غير تلبث وتفكر ان هذا الا قول
البشر كالتأكيد للجملة الاولى ولذلك لم يعطف عليها سأصليه سقر بدل
من سارهقه صعودا وما ادراك ما سقر تفخيم لشانها وقوله لا تبقي ولا
تذر بيان لذلك او حال من سقر والعامل فيها معنى التعظيم والمعنى لا تبقي
على شيء يلقى فيها ولا تدعه حتى تهلكه لواحة للبشر مسودة لاعالي الجلد
او لائحة للناس وقرئ بالنصب على الاختصاص عليها تسعة عشر ملكا
او صنفا من الملائكة يلون امرها والمخصص لهذا العدد ان اختلال النفوس

البشرية في النظر والعمل بسبب القوى الحيوانية الاثنتي عشرة والطبيعية السبع
او ان جهنم سبع دركات ست منها لاصناف الكفار وكل صنف يعذب بترك الاعتقاد
والاقرار والعمل انواعا من العذاب تناسبها وعلى كل نوع ملك او صنف يتولاه
وواحدة لعصاة الامة يعذبون فيها بترك العمل نوعا يناسبه ويتولاه ملك او
صنف او ان الساعات اربعة وعشرون خمسة منها مصروفة في الصلوة فيبقى تسعة
عشر قد تصرف فيما يؤاخذ به بانواع من العذاب يتولاها الزبانية وقرئ تسعة
عشر بسكون العين كراهة توالي الحركات فيما هو كاسم واحد وتسعة اعشر جمع
عشير كيمين وايمن اي تسع كل عشير جمع نقيبهم او جمع عشر فيكون تسعين وما جعلنا
اصحاب النار الا ملائكة ليخالفوا جنس المعذبين ولا يرقوا لهم ولا يستروحوا
اليهم ولانهم اقوى الخلق بأسا واشدهم غضبا لله روي ان ابا جهل لما سمع
عليها تسعة عشر قال لقريش ايعجز كل عشرة منكم ان يبطشوا برجل منهم فنزلت وما
جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا وما جعلنا عددهم الا العدد الذي اقتضى
فتنتهم وهو التسعة عشر فعبر بالاثر عن المؤثر تنبيها على انه لا ينفك منه وافتتانهم
به استقلالهم له واستهزاؤهم واستبعادهم ان يتولى هذا العدد القليل تعذيب
اكثر الثقلين ولعل المراد الجعل بالقول ليحسن تعليله بقوله ليستيقن الذين
اوتوا الكتاب اي ليكتسبوا اليقين بنبوة محمد عليه الصلوة والسلام وصدق
القرآن لما رأوا ذلك موافقا لما في كتابهم ويزداد الذين آمنوا ايمانا بالايمان
به او بتصديق اهل الكتاب له ولا يرتاب الذين اوتوا الكتاب والمؤمنون اي
في ذلك وهو تاكيد للاستيقان وزيادة الايمان ونفي لما يعرض المتيقن حيثما عراه
شبهة وليقول الذين في قلوبهم مرض شك او نفاق فيكون اخبارا بمكة
عما سيكون في المدينة بعد الهجرة والكافرون الجازمون في التكذيب ماذا
اراد الله بهذا مثلا اي شيء اراد بهذا العدد المستغرب استغراب المثل وقيل
لما استبعدوه حسبوا انه مثل مضروب كذلك يضل الله من يشاء ويهدي
من يشاء مثل ذلك المذكور من الاضلال والهدى يضل الكافرين ويهدي
المؤمنين وما يعلم جنود ربك جموع خلقه على ما هم عليه الا هو اذ لا سبيل
لاحد الى حصر الممكنات والاطلاع على حقائقها وصفاتها وما يوجب اختصاص
كل منها بما يخصه من كم وكيف واعتبار ونسبة وما هي وما سقر وعدة الخزنة
او السورة الا ذكرى للبشر الا تذكرة لهم كلا ردع لمن انكرها او انكار لان
يتذكروا بها والقمر والليل اذ ادبر اي ادبر كقبل بمعنى اقبل وقرأ نافع وحمزة

ويعقوب وحفص اذا دبر على المضي والصبح اذا اسفر اضاء انها لاحدى الكبر
لاحدى البلايا الكبر اي البلايا الكبر كثيرة وسقر واحدة منها وانما جمع كبرى
على كبر الحاقا لها بفعلة تنزيلا للالف منزلة التا كما الحقت قاصعا بقاصعة
فجمعت على قواصع والجملة جواب القسم او تعليل لكلا والقسم معترض للتاكيد
نذيرا للبشر تمييز اي لاحدى الكبر انذارا او حال مما دلت عليه الجملة اي
كبرت منذرة وقرئ بالرفع خبرا ثانيا او خبر المحذوف لمن شاء منكم ان يتقدم
او يتاخر بدل من البشر اي نذيرا للمتمكنين من السبق الى الخير والتخلف عنه او لمن
شاء خبر لان يتقدم فيكون في معنى قوله ومن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر كل نفس
بما كسبت رهينة مرهونة عند الله او مصدر كالشتيمة اطلقت للمفعول
كالرهن ولو كانت صفة لقيل رهين الا اصحاب اليمين فانهم فكوا رقابهم بما
احسنوا من اعمالهم وقيل هم الملائكة او الاطفال في جنات لا يكتنه وصفها
وهو حال من اصحاب اليمين او من ضميرهم في قوله يتساءلون عن المجرمين اي
يسال بعضهم بعضا او يسالون غيرهم عن حالهم كقولك تداعيناه اي دعوناه
وقوله ما سلككم في سقر جواب حكاية لما جرى بين المسؤلين والمجرمين اجابوا
بها قالوا لم نك من المصلين الصلوات الواجبة ولم نك نطعم المسكين ما
يجب اعطاؤهم وفيه دليل على ان الكفار مخاطبون بالفروع وكنا نخوض مع
الخائضين نشرع في الباطل مع الشارعين فيه وكنا نكذب بيوم الدين اخره
لتعظيمه اي وكنا بعد ذلك كله نكذب بالقيمة حتى اتانا اليقين الموت ومقدماته
فما تنفعهم شفاعة الشافعين لو شفعوا لهم جميعا فما لهم عن التذكرة
معرضين اي معرضين عن التذكير يعني القران او ما يعمه ومعرضين حال
كانهم حمر مستنفرة فرت من قسورة شبههم في اعراضهم ونفارهم عن
استماع الذكر بحمر نافرة فرت من قسورة اي اسد فعولة من القسر وهو القهر
بل يريد كل امرئ منهم ان يؤتى صحفا منشرة قراطيس تنشر وتقرا وذلك
انهم قالوا للنبي عليه الصلوة والسلم لن نتبعك حتى تاتي كلا منا بكتاب من
السما فيه من الله الى فلان اتبع محمدا كلا ردع عن اقتراحهم الايات بل لا يخافون
الاخرة فلذلك اعرضوا عن التذكرة لا لامتناع ايتا الصحف كلا ردع عن اعراضهم
انه تذكرة اي تذكرة فمن شاء ذكره فمن شاء ان يذكره وما يذكرون الا ان
يشاء الله ذكرهم او مشيتهم كقوله وما تشاءون الا ان يشاء الله وهو تصريح بان
فعل العبد بمشية الله وقرا نافع تذكرون بالتا وقرئ يتذكرون مشددا هو اهل التقوى

حقيق بان يتقى عقابه واهل المغفرة حقيق بان يغفر عباده سيما المتقين منهم
عن النبي صلعم من قرا سورة المدثر اعطاه الله تعالى عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد وكذب به

[illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم لا اقسم بيوم القيمة ادخال لا النافية
على فعل القسم للتاكيد شايع في كلامهم قال امرؤ القيس لا وابيك ابنة
العامري لا يدعي القوم اني افر وقد مر الكلام فيه في قوله فلا اقسم بمواقع
النجوم ولا اقسم بالنفس اللوامة بالنفس المتقية التي تلوم النفس المقصرة في التقوى
يوم القيامة على تقصيرها او التي تلوم نفسها ابدا وان اجتهدت في الطاعة او النفس
المطمئنة اللائمة للنفس الامارة او بالجنس لما روي انه عليه الصلوة والسلام
قال ليس من نفس برة ولا فاجرة الا وتلوم نفسها يوم القيمة ان عملت خيرا قالت
كيف لم ازدد وان عملت شرا قالت ليتني كنت قصرت او نفس آدم فانها لم تزل
تلوم على ما خرجت به من الجنة وضمها الى القيمة لان المقصود من اقامتها مجازاة منها
ايحسب الانسان يعني الجنس واسناد الفعل اليه لان فيهم من يحسب والذي
نزل فيه وهو عدي بن ربيعة سال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن امر القيمة
فاخبره به فقال لو عاينت ذلك اليوم لم اصدقك او يجمع الله هذه العظام
الن نجمع عظامه بعد تفرقها وقرئ ان لن يجمع على البناء للمفعول بلى نجمعها
قادرين على ان نسوي بنانه نجمع سلامياته وضم بعضها الى بعض كما كانت
مع صغرها ولطافتها فكيف بكبار العظام او على ان نسوي بنانه الذي هو اطرافه
فكيف بغيرها وهو حال من فاعل الفعل المقدر بعد بلى وقرئ بالرفع اي نحن قادرون
بل يريد الانسان عطف على ايحسب ويجوز ان يكون استفهاما وان يكون لا
عن المستفهم وعن الاستفهام ليفجر امامه ليدوم على فجوره فيما يستقبله من
الزمان يسال ايان يوم القيمة متى يكون استبعادا واستهزاء فاذا برق البصر
تحير فزعا من برق الرجل اذا نظر الى البرق فدهش بصره وقرا نافع بالفتح وهو
لغة او من البريق بمعنى لمع من شدة شخوصه وقرئ بلق من بلق الباب اذا انفتح
وخسف القمر وذهب ضوءه وقرئ على بناء المفعول وجمع الشمس والقمر في ذهاب
الضوء او الطلوع من المغرب ولا ينافيه الخسوف فانه مستعار للمحاق ولمن حمل
ذلك على امارات الموت ان يفسر الخسوف بذهاب ضوء البصر والجمع باستتباع
الروح الحاسة في الذهاب او بوصوله الى من كان يقتبس منه نور العقل من سكان

القدس وتذكير الفعل لتقدمه وتغليب المعطوف يقول الانسان يومئذ اين المفر
اي الفرار يقوله قول الآيس من وجدانه المتمني وقرئ بالكسر وهو المكان كلا
ردع عن طلب المفر لا وزر لا ملجأ مستعار من الجبل واشتقاقه من الوزر وهو
الثقل الى ربك يومئذ المستقر اليه وحده استقرار العباد او الى حكمه استقرار
امرهم او الى مشيئته موضع قرارهم يدخل من شاء الجنة ومن شاء النار ينبؤا
الانسان يومئذ بما قدم واخر بما قدم من عمل عمله وبما اخر من سنة عمل بها
بعده او بما قدم من مال تصدق به وبما اخر فخلفه او باول عمله وآخره بل
الانسان على نفسه بصيرة حجة بينة على اعمالها لانه شاهد بها وصفها
بالبصارة على المجاز او عين بصيرة بها فلا يحتاج الى الانباء ولو القى معاذيره
ولو جاء بكل ما يمكن ان يعتذر به جمع معذار وهو العذر او جمع معذرة على غير قياس
كالمناكير فان قياسه معاذر وذلك اولى وفيه نظر لا تحرك به يا محمد بالقرآن
لسانك قبل ان يتم وحيه لتعجل به لتأخذه على عجلة مخافة ان يتفلت منك
ان علينا جمعه في صدرك وقرآنه واثبات قراءته في لسانك وهو تعليل
للنهي فاذا قرأناه بلسان جبريل عليك فاتبع قرآنه قراءته وتكرر فيه حتى
يرسخ في ذهنك ثم ان علينا بيانه بيان ما اشكل عليك من معانيه وهو
دليل على جواز تأخير البيان من وقت الخطاب وهو اعتراض بما يؤكد التوبيخ على
حب العجلة لان العجلة اذا كانت مذمومة فيما هو اهم الامور واصل الدين
فكيف بها في غيره او بذكر ما اتفق في اثناء نزول هذه الآيات وقيل الخطاب
مع الانسان المذكور والمعنى انه يؤتى كتابه فيتلجلج لسانه من سرعة قراءته
خوفا فيقال له لا تحرك به لسانك لتعجل به فان علينا بمقتضى الوعد جمع ما فيه
من اعمالك وقراءته فاذا قرأناه فاتبع قراءته بالاقرار او التأمل فيه ثم ان علينا
بيان امره بالجزاء عليه كلا ردع للرسول عن عادة العجلة او للانسان عن الاغترار
بالعاجل بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة تعميم الخطاب اشعارا
بان بني آدم مطبوعون على الاستعجال وان كان الخطاب للانسان والمراد
به الجنس فجمع الضمير للمعنى ويؤيده قراءة ابن كثير وابن عامر والبصريين بالياء
فيهما وجوه يومئذ ناضرة بهية متهللة الى ربها ناظرة تراه مستغرقة
في مطالعة جماله بحيث تغفل عما سواه ولذلك قدم المفعول وليس هذا في كل
الاحوال حتى ينافيه نظرها الى غيره وقيل منتظرة انعامه ورد بان الانتظار
لا يسند الى الوجه وتفسيره بالجملة خلاف الظاهر وان المستعمل بمعناه لا يتعدى

بالى وقوله الشاعر واذا نظرت اليك من ملك والبحر دونك زدتني نعما بمعنى
السؤال فان الانتظار لا يستعقب العطاء ووجوه يومئذ باسرة شديدة
العبوس والباسل ابلغ من الباسر لكنه غلب في الشجاع اذا اشتد كلوحه تظن
تتوقع اربابها ان يفعل بها فاقرة داهية تكسر الفقار كلا ردع عن ايثار
الدنيا على الآخرة اذا بلغت التراقي اذا بلغت النفس اعالي الصدر واضمارها
من غير ذكر لدلالة الكلام عليها وقيل من راق وقال حاضروا صاحبها من يرقيه
مما به من الرقية او قال ملائكة الموت ايكم يرقى بروحه ملائكة الرحمة او ملائكة
العذاب من الرقي وظن انه الفراق وظن المحتضر ان الذي نزل به فراق الدنيا
ومحابها والتفت الساق بالساق والتوت ساقه بساقه فلا يقدر تحريكهما
او شدة فراق الدنيا بشدة خوف الآخرة الى ربك يومئذ المساق سوقه الى
الله وحكمه فلا صدق ما يجب تصديقه او فلا صدق ماله اي فلا زكاه ولا صلى
ما فرض عليه والضمير فيهما للانسان المذكور في ايحسب الانسان ولكن كذب
وتولى عن الطاعة ثم ذهب الى اهله يتمطى يتبختر افتخارا بذلك من المط فان المتبختر
يمد خطاه فيكون اصله يتمطط او من المطا وهو الظهر فانه يلويه اولى لك فاولى
ويل لك من الولي واصله اولاك الله ما تكرهه واللام مزيدة كما في ردف لكم
او اولى لك الهلاك وقيل افعل من الويل بعد القلب كادنى من دون او فعلى من
يؤول بمعنى عقباك النار ثم اولى لك فاولى اي تكرر ذلك مرة بعد اخرى ايحسب
الانسان ان يترك سدى مهملا لا يكلف ولا يجازى وهو يتضمن تكرير انكاره
للحشر والدلالة عليه من حيث ان الحكمة تقتضي الامر بالمحاسن والنهي عن القبائح
والتكليف لا يتحقق الا بمجازاة وهي قد لا تكون في الدنيا فتكون في الآخرة الم يك
نطفة من مني يمنى ثم كان علقة فخلق فسوى فقدره فعدله فجعل منه
الزوجين الصنفين الذكر والانثى وهو استدلال آخر بالابداء على الاعادة على
ما مر تقريره مرارا ولذلك رتب عليه قوله اليس ذلك بقادر على ان يحيي الموتى
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان اذا قرأها قال سبحانك بلى وعنه صلى الله
عليه وسلم من قرأ سورة القيمة شهدت له انا وجبريل يوم القيمة انه كان مؤمنا به

بسم الله الرحمن الرحيم هل اتى على الانسان استفهام
تقرير وتقريب ولذلك فسر بقد واصله أهل كقوله أهل رأونا بسفح القاع ذي الأكم

حين من الدهر طائفة محدودة من الزمان الممتد الغير المحدود لم يكن شيئا
مذكورا بل كان شيئا منسيا غير مذكور بالانسانية كالعنصر والنطفة والجملة
حال من الانسان او وصف لحين بحذف الراجع والمراد بالانسان الجنس لقوله
انا خلقنا الانسان او آدم بين اولا خلقه ثم ذكر خلق بنيه من نطفة امشاج
اخلاط جمع مشج او مشيج من مشجت الشيء اذا خلطته وجمع النطفة به لان المراد
بها مجموع مني الرجل والمراة وكل منهما مختلفة الاجزاء في الرقة والقوام والخواص
ولذلك يصير كل جزء منهما مادة عضو وقيل مفرد كاعشار وابكار وقيل الوان
فان ماء الرجل ابيض وماء المراة اصفر فاذا اختلطا اخضر او اطوار فان النطفة
تصير علقة ثم مضغة الى تمام الخلقة نبتليه في موضع الحال اي مبتلين له بمعنى
مريدين اختباره او ناقلين له من حال الى حال فاستعار له الابتلاء فجعلناه
سميعا بصيرا ليتمكن من مشاهدة الدلائل واستماع الآيات فهو كالمسبب من
الابتلاء ولذلك عطف بالفاء على الفعل المقيد به ورتب عليه قوله انا هديناه
السبيل اي بنصب الدلائل وانزال الآيات اما شاكرا واما كفورا حالان
من الهاء واما للتفصيل او التقسيم اي هديناه في حالتيه جميعا او مقسوما اليهما
بعضهم شاكر بالاهتداء والاخذ فيه وبعضهم كفور بالاعراض عنه او من السبيل و
وصفه بالشكر والكفر مجاز وقرئ اما بالفتح على حذف الجواب ولعله لم يقل
كافرا ليطابق قسيمه محافظة على الفواصل واشعارا بان الانسان لا يخلو عن
كفران غالبا وانما الماخوذ به التوغل فيه انا اعتدنا للكافرين سلاسل
بها يقادون واغلالا بها يقيدون وسعيرا بها يحرقون وتقديم وعيدهم
وقد تأخر ذكرهم لان الانذار اهم وانفع وتصدير الكلام وختمه بذكر المؤمنين
احسن وقرأ نافع والكسائي وابو بكر سلاسلا للمناسبة ان الابرار جمع بر كارباب
او بار كاشهاد يشربون من كاس من خمر وهي في الاصل القدح تكون فيه كان
مزاجها ما يمزج بها كافورا لبرده وعذوبته وطيب عرفه وقيل اسم ماء في
الجنة يشبه الكافور في رائحته وبياضه وقيل يخلق فيها كيفيات الكافور
فتكون كالممزوجة عينا بدل من كافورا ان جعل اسم ماء او من محل من كاس على
تقدير مضاف اي ماء عين او خمرها او نصب على الاختصاص او بفعل يفسره ما بعدها
يشرب بها عباد الله اي ملتذا او ممزوجا بها وقيل الباء مزيدة او بمعنى من لان
الشرب مبتدأ منها كما هو يفجرونها تفجيرا يجرونها حيث شاءوا اجراء
سهلا يوفون بالنذر استيناف ببيان ما رزقوه لاجله كانه سئل عنه فاجيب

بذلك وهو ابلغ في وصفهم بالتوفر على اداء الواجبات لان من وفى بما اوجبه على
نفسه لله كان اوفى بما اوجبه الله عليه ويخافون يوما كان شره مستطيرا شدائده
فاشيا منتشرا غاية الانتشار من استطار الحريق والفجر وهو ابلغ من طار وفيه
اشعار بحسن عقيدتهم واجتنابهم عن المعاصي ويطعمون الطعام على حبه حب الله
او الطعام او الاطعام مسكينا ويتيما واسيرا يعني اسارى الكفار فانه عليه الصلاة
والسلام كان يؤتى بالاسير فيدفعه الى بعض المسلمين فيقول احسن اليه او الاسير
المؤمن ويدخل فيه المملوك والمسجون وفي الحديث غريمك اسيرك فاحسن الى اسيرك
انما نطعمكم لوجه الله على ارادة القول بلسان الحال او المقال ازاحة لتوهم
المن وتوقع المكافاة المنقصة للاجر وعن عائشة انها كانت تبعث بالصدقة الى
اهل بيت ثم تسال المبعوث ما قالوا فان ذكر دعاء دعت لهم بمثله ليبقى ثواب الصدقة
لها خالصا عند الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا اي شكرا انا نخاف من ربنا
فلذلك نحسن اليكم او لا نطلب المكافاة منكم يوما عذاب يوم عبوسا يعبس فيه
الوجوه او يشبه الاسد العبوس في ضراوته قمطريرا شديد العبوس كالذي يجمع
ما بين عينيه من اقمطرت الناقة اذا رفعت ذنبها وجمعت قطريها مشتق من القطر
والميم مزيدة فوقاهم الله شر ذلك اليوم بسبب خوفهم وتحفظهم عنه ولقاهم
نضرة وسرورا بدل عبوس الفجار وحزنهم وجزاهم بما صبروا بصبرهم على
اداء الواجبات واجتناب المحرمات جنة بستانا ياكلون منه وحريرا يلبسونه
عن ابن عباس ان الحسن والحسين رضي الله عنهم مرضا فعادهما رسول الله صلى
الله عليه وسلم في ناس فقالوا يا ابا الحسن لو نذرت على ولدك فنذر علي وفاطمة
رضي الله عنهما وفضة جارية لهما صوم ثلاثة ان برئا فشفيا وما معهم شيء فاستقرض
علي من شمعون الخيبري ثلاثة اصوع من شعير فطحنت فاطمة صاعا فاختبزت خمسة
اقراص فوضعوا بين ايديهم ليفطروا فوقف عليهم مسكين فآثروه وباتوا لم يذوقوا
الا الماء واصبحوا صياما فلما امسوا ووضعوا الطعام وقف عليهم يتيم فآثروه ثم
وقف عليهم في الثالثة اسير ففعلوا مثل ذلك فنزل جبريل بهذه السورة فقال
خذها يا محمد هناك الله في اهل بيتك متكئين فيها على الارائك حال من هم
في جزاهم او صفة لجنة لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا يحتملهما وان يكون
حالا من المستكن في متكئين والمعنى انه يمر عليهم هواء معتدل لا حار محمي ولا بارد
موذي وقيل الزمهرير القمر في لغة طي قال وليلة ظلامها قد اعتكر قطعتها
والزمهرير ما زهر والمعنى ان هواءها مضيء بذاته لا يحتاج الى شمس وقمر ودانية

عليهم ظلالها حال او صفة اخرى معطوفة على ما قبلها او عطف على جنة اي جنة
اخرى اي دانية على انهم وعدوا جنتين لقوله ولمن خاف مقام ربه جنتان
وقرئت بالرفع على انه خبر ظلالها والجملة حالا او صفة وذللت قطوفها
تذليلا معطوفة على ما قبله او حال من دانية وتذليل القطوف ان تجعل سهل
التناول لا تمتنع على قطافها كيف شاؤوا ويطاف عليهم بآنية من فضة واكواب
واباريق بلا عروة كانت قواريرا قواريرا من فضة اي تكونت جامعة بين
صفاء الزجاجة وشفيفها وبياض الفضة ولينها وقد نون قواريرا من نون سلاسلا
وابن كثير الاولى لانها راس الآية وقرئ قوارير من فضة على هي قوارير قدروها
تقديرا اي قدروها في انفسهم فجاءت مقاديرها واشكالها كما تمنوه او قدروها
باعمالهم الصالحة فجاءت على حسبها او قدر الطائفون بها المدلول عليهم بقوله
يطاف شرابها على قدر اشتهائهم وقرئ قدروها اي جعلوا قادرين لها كما شاؤوا
من قدر منقولا من قدرت الشيء ويسقون فيها كأسا كان مزاجها زنجبيلا
ما يشبه الزنجبيل في الطعم وكانت العرب يستلذون الشراب الممزوج به
عينا فيها تسمى سلسبيلا لسلاسة انحدارها في الحلق وسهولة مساغها
يقال شراب سلسل وسلسال وسلسبيل ولذلك حكم بزيادة الباء والمراد ان
ينفي عنها لذع الزنجبيل ويصفها بنقيضه وقيل اصله سل سبيلا فسميت به كتأبط
شرا لانه لا يشرب منها الا من سأل اليها سبيلا بالعمل الصالح ويطوف عليهم
ولدان مخلدون دائمون اذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا من صفاء
الوانهم وانبثاثهم في مجالسهم وانعكاس شعاع بعضهم الى بعض واذا رأيت
ثم ليس له مفعول ملفوظ ولا مقدر لانه عام معناه ان بصرك اينما وقع رأيت
نعيما وملكا كبيرا واسعا وفي الحديث ادنى اهل الجنة منزلة ينظر في ملكه
مسيرة الف عام يرى اقصاه كما يرى ادناه هذا وللعارفين اكبر من ذلك وهو
ان تنتقش نفسه بجلايا الملك وخفايا الملكوت فيستضيء بانوار قدس الجبروت
عاليهم ثياب سندس خضر واستبرق يعلوهم ثياب الحرير الخضر ما
رق منها وما غلظ ونصبه على الحال من هم في عاليهم او حسبتهم او ملكا على
تقدير مضاف اي واهل ملك كبير عاليهم وقرأ نافع وحمزة بالرفع على انه خبر
ثياب وقرأ ابن عامر وابو عمرو بالعكس وقرأ ابن كثير والكسائي وابو بكر خضر
بالجر حملا على سندس بالمعنى فانه اسم جنس واستبرق بالرفع عطفا على ثياب
وقرأهما حفص ونافع بالرفع وحمزة والكسائي بالجر وقرئ واستبرق بوصل

بالهمزة والفتح على انه استفعل من البريق جعل علما لهذا النوع من الثياب وحلوا
اساور من فضة عطف على ويطوف عليهم ولا يخالفه قوله اساور من ذهب
لامكان الجمع والمعاقبة والتبعيض فان حلي اهل الجنة تختلف باختلاف اعمالهم
فلعله تعالى يفيض عليهم جزاء لما عملوه بايديهم حليا وانوارا تتفاوت تفاوت
الذهب والفضة او حال من الضمير في عاليهم باضمار قد وعلى هذا يجوز ان يكون
هذا للخدم وذاك للمخدومين وسقاهم ربهم شرابا طهورا يريد به نوعا
آخر يفوق على النوعين المتقدمين ولذلك سقاه الله عز وجل ووصفه بالطهور
به فانه يطهر شاربه عن الميل الى اللذات الحسية والركون الى ما سوى الحق فيتجرد
لمطالعة جماله ملتذا بلقائه باقيا ببقائه وهي منتهى درجات الصديقين ولذلك
ختم به ثواب الابرار ان هذا كان لكم جزاء على اضمار القول والاشارة الى ما
عد من ثوابهم وكان سعيكم مشكورا مجازى عليه غير مضيع انا نحن نزلنا عليك
القرآن تنزيلا مفرقا منجما لحكمة اقتضته وتكرير الضمير مع ان مزيد لاختصاص
التنزيل به فاصبر لحكم ربك بتأخير نصرك على كفار مكة وغيرهم ولا تطع منهم آثما
او كفورا اي كل واحد من مرتكب الاثم الداعي لك اليه ومن الغالي في الكفر الداعي
اليه واو للدلالة على انهما سيان في استحقاق العصيان والاستقلال به والتقسيم
باعتبار ما يدعونه اليه فان ترتب النهي على الوصفين مشعر بانه لهما وذلك يستدعي
ان يكون المطاوعة في الاثم والكفر فان مطاوعتهما فيما ليس باثم ولا كفر غير
محظور واذكر اسم ربك بكرة واصيلا وداوم على ذكره او دم على صلاة الفجر
والظهر والعصر فان الاصيل يتناول وقتيهما ومن الليل فاسجد له وبعض الليل
فصل له ولعل المراد به صلاة المغرب والعشاء وتقديم الظرف لما في صلاة الليل
من مزيد الكلفة والخلوص وسبحه ليلا طويلا وتهجد له طائفة طويلة من الليل
ان هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم امامهم او خلف ظهورهم يوما
ثقيلا شديدا مستعار من الثقل الباهظ للحامل وهو كالتعليل لما امر به ونهى
عنه نحن خلقناهم وشددنا اسرهم واحكمنا ربط مفاصلهم بالاعصاب
واذا شئنا بدلنا امثالهم تبديلا واذا شئنا اهلكناهم وبدلنا امثالهم في
الخلقة وشدة الاسر يعني النشأة الثانية ولذلك جيء باذا او بدلنا غيرهم ممن
يطيع واذا لتحقق القدرة وقوة الداعية ان هذه تذكرة الاشارة الى السورة
او الآيات القريبة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا تقرب اليه بالطاعة وما
تشاؤون الا ان يشاء الله وما تشاؤون ذلك الا وقت ان يشاء الله مشيئتكم وقرأ

ابن كثير وابو عمرو وابن عامر يشاؤن بالياء ان الله كان عليما بما يستاهل كل
احد حكيما لا يشاء الا ما تقتضيه حكمته يدخل من يشاء في رحمته بالهداية
والتوفيق للطاعة والظالمين اعد لهم عذابا اليما نصب الظالمين بفعل
يفسره اعد لهم مثل اوعد وكافا ليطابق الجملة المعطوف عليها وقرئ بالرفع
على الابتداء عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة هل اتى كان جزاؤه على الله جنة وحريرا

بسم الله الرحمن الرحيم والمرسلات عرفا فالعاصفات
عصفا والناشرات نشرا فالفارقات فرقا فالملقيات ذكرا اقسم بطوايف
من الملايكة ارسلهن الله باوامره متتابعة فعصفن عصف الرياح في امتثال امره
ونشرن الشرايع في الارض ونشرن النفوس الموتى بالجهل بما اوحين من العلم
ففرقن بين الحق والباطل فالقين الى الانبياء ذكرا عذرا للمحققين ونذرا للمبطلين
او بايات القران المرسلة بكل عرف الى محمد عليه الصلوة والسلم فعصفن سائر
الكتب والاديان بالنسخ ونشرن اثار الهدى والحكم في الشرق والغرب وفرقن
بين الحق والباطل فالقين ذكر الحق فيما بين العالمين او بالنفوس الكاملة المرسلة
الى الابدان لاستكمالها فعصفن ما سوى الحق ونشرن اثر ذلك في جميع
الاعضاء وفرقن بين الحق بذاته والباطل في نفسه فيرون كل شي هالكا الا وجهه
فالقين ذكرا بحيث لا يكون في القلوب والالسنة الا ذكر الله او برياح عذاب
ارسلن فعصفن وبرياح رحمة نشرن السحاب في الجو ففرقن فالقين ذكرا اي
تسببن له فان العاقل اذا شاهد هبوبها واثارها ذكر الله تعالى وتذكر كمال
قدرته وعرفا اما نقيض النكر وانتصابه على العلة اي ارسلن للاحسان والمعروف
او بمعنى المتتابعة من عرف الفرس وانتصابه على الحال عذرا او نذرا مصدران لعذر اذا
محا الاساءة وانذر اذا خوف او جمعان لعذير بمعنى المعذرة ونذير بمعنى الانذار
او بمعنى العاذر والمنذر ونصبهما على الاولين بالعلية اي عذرا للمحقين ونذرا
للمبطلين او البدل من ذكرا على ان المراد به الوحي او ما يعم التوحيد والشرك
والايمان والكفر وعلى الثالث بالحالية وقراهما ابو عمرو وحمزة والكسائي
وحفص بالتخفيف انما توعدون لواقع جواب القسم ومعناه ان الذي توعدونه
من مجي القيمة كاين لا محالة فاذا النجوم طمست محقت واذهب نورها واذا
السماء فرجت صدعت واذا الجبال نسفت كالحب ينسف بالمنسف واذا الرسل

اقتت عين لها وقتها الذي يحضرون فيه للشهادة على الامم بحصوله فانه لا
يتعين لهم قبله وبلغت ميقاتها الذي كانت منتظرة وقرا ابو عمرو وقتت على
الاصل لاي يوم اجلت اي يقال لاي يوم اخرت وضرب الاجل للجمع وهو تعظيم
لليوم وتعجيب من هوله ويجوز ان يكون ثاني مفعولي اقتت على انه بمعنى اعلمت ليوم
الفصل بيان ليوم التاجيل وما ادراك ما يوم الفصل ومن اين يعلم كنهه ولم
ير مثله ويل يومئذ للمكذبين اي بذلك وويل في الاصل مصدر منصوب
باضمار فعله عدل به الى الرفع للدلالة على ثبات الهلاك للمدعو عليه ويومئذ
ظرفه او صفته الم نهلك الاولين كقوم نوح وعاد وثمود وقرئ نهلك من
هلكه بمعنى اهلكه ثم نتبعهم الاخرين ثم نحن نتبعهم نظراءهم ككفار مكة وقرئ
بالجزم عطفا على نهلك فيكون الاخرين المتاخرين من المهلكين كقوم لوط وشعيب
وموسى عليهم السلام كذلك مثل ذلك الفعل نفعل بالمجرمين بكل من اجرم
ويل يومئذ للمكذبين بايات الله وانبيائه فليس بتكرير وكذا ان اطلق التكذيب
او علق في الموضعين بواحد لان الويل الاول لعذاب الاخرة وهذا للاهلاك
في الدنيا مع ان التكرير للتوكيد حسن شايع في كلام العرب الم نخلقكم من ماء
مهين نطفة مذرة ذليلة فجعلناه في قرار مكين هو الرحم الى قدر معلوم
الى مقدار معلوم من الوقت قدره الله للولادة فقدرنا فقدرنا على ذلك او
فقدرناه ويدل عليه قراءة نافع والكسائي بالتشديد فنعم القادرون نحن ويل
يومئذ للمكذبين بقدرتنا على ذلك او على الاعادة الم نجعل الارض كفاتا كافتا
اسم لما يكفت اي يضم ويجمع كالضمام والجماع لما يضم ويجمع او مصدر نعت به
او جمع كافت كصايم وصيام او كفت وهو الوعاء اجري على الارض باعتبار اقطارها
احياء وامواتا منتصبان على المفعولية وتنكيرهما للتفخيم لان احياء الانس
وامواتهم بعض الاحياء والاموات او الحالية من مفعوله المحذوف للعلم به
وهو الانس او بجعل على المفعولية وكفاتا للحال او الحال فيكون المعنى بالاحياء
ما ينبت وبالاموات ما لا ينبت وجعلنا فيها رواسي شامخات جبالا
ثوابت طوالا والتنكير للتفخيم واشعارا بان فيها ما لم يعرف ولم ير واسقيناكم
ماء فراتا بخلق الانهار والمنابع فيها ويل يومئذ للمكذبين بامثال هذه
النعم انطلقوا اي يقال لهم انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون من العذاب
انطلقوا خصوصا وعن يعقوب انطلقوا على الاخبار من امتثالهم للامر اضطرارا
الى ظل يعني ظل دخان جهنم لقوله وظل من يحموم ذي ثلاث شعب يتشعب

لعظمه كما ترى الدخان العظيم يتفرق ذوائب وخصوصية الثلاث إما لأن حجاب
النفس عن أنوار القدس الحس والخيال والوهم أو لأن المؤدي إلى هذا العذاب
هو القوة الواهمة الحالّة في الدماغ والغضبية التي في يمين القلب والشهوية التي
في يساره ولذلك قيل شعبة تقف فوق الكافر وشعبة عن يمينه وشعبة عن يساره
لا ظليل تهكم بهم ورد لما أوهم لفظ الظل ولا يغني من اللهب وغير مغن
عنهم من حر اللهب شيئا إنها ترمي بشرر كالقصر أي كل شررة كالقصر في عظمها
ويؤيده أنه قرئ بشرار وقيل هو جمع قصرة وهي الشجرة الغليظة وقرئ كالقصر
بمعنى القصور كرهن ورهن وكالقصر جمع قصرة كحاجة وحوج وإنما للشعب كأنه
جمالات جمع جمال أو جمالة جمع جمل صفر فإن الشرار لما فيه من النارية يكون
أصفر وقيل سود فإن سواد الإبل يضرب إلى الصفرة والأول تشبيه في العظم
وهذا في اللون والكثرة والتتابع والاختلاط وسرعة الحركة وقرأ حمزة والكسائي
جمالة وعن يعقوب جمالات بالضم جمع جمالة وقرئ بها وهي الحبل الغليظ من حبال
السفينة شبهه بها في امتداده والتفافه ويل يومئذ للمكذبين هذا يوم
لا ينطقون أي بما يستحق فإن النطق بما لا ينفع كلا نطق أو من فرط الدهشة
والحيرة وهذا في بعض المواقف وقرئ بنصب اليوم أي هذا الذي ذكر واقع
يومئذ ولا يؤذن لهم فيعتذرون عطف فيعتذرون على يؤذن ليدل
على نفي الإذن والاعتذار عقيبه مطلقا ولو جعله جوابا لدل على أن عدم
اعتذارهم لعدم الإذن وأوهم ذلك أن لهم عذرا لكن لم يؤذن لهم فيه
ويل يومئذ للمكذبين هذا يوم الفصل بين المحق والمبطل جمعناكم
والأولين تقرير وبيان للفصل فإن كان لكم كيد فكيدون تقريع
لهم على كيدهم للمؤمنين في الدنيا وإظهار لعجزهم ويل يومئذ للمكذبين إذ
لا حيلة لهم في التخلص من العذاب إن المتقين من الشرك لأنهم في مقابلة
المكذبين في ظلال وعيون وفواكه مما يشتهون مستقرون في أنواع
الترفه كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون أي مقولا لهم ذلك إنا كذلك
نجزي المحسنين في العقيدة ويل يومئذ للمكذبين يمحض لهم العذاب
المخلد ولخصومهم الثواب المؤبد كلوا وتمتعوا قليلا حال من المكذبين
أي الويل ثابت لهم في حال ما يقال لهم ذلك تذكيرا لهم بحالهم في الدنيا وبما
جنوا على أنفسهم من إيثار المتاع القليل على النعيم المقيم إنكم مجرمون ويل يومئذ
للمكذبين حيث عرضوا أنفسهم للعذاب الدائم بالتمتع القليل وإذا قيل

لهم اركعوا أطيعوا واخضعوا أو صلوا أو اركعوا في الصلاة إذ روي أنه نزل
حين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثقيفا بالصلاة فقالوا لا نجبي فإنها مسبة
وقيل هو يوم القيامة حين يدعون إلى السجود فلا يستطيعون لا يركعون لا يمتثلون
واستدل به على أن الأمر للوجوب وأن الكفار مخاطبون بالفروع ويل يومئذ للمكذبين
فبأي حديث بعده بعد القرآن يؤمنون إذا لم يؤمنوا به وهو معجز في ذاته مشتمل
على الحجج الواضحة والمعاني الشريفة قال عليه السلام من قرأ سورة والمرسلات كتب له أنه ليس من المشركين

[illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم عم يتساءلون أصله عن ما فحذف الألف
لما مر ومعنى هذا الاستفهام تفخيم شأن ما يتساءلون عنه كأنه لفخامته خفي
جنسه فيسأل عنه والضمير لأهل مكة كانوا يتساءلون عن البعث فيما بينهم أو يسألون
الرسول والمؤمنين عنه استهزاء كقولهم يتداعونهم ويتراءونهم أي يدعونهم ويرونهم
أو للناس عن النبإ العظيم بيان للشأن المفخم وصلة يتساءلون وعم متعلق بمضمر
يفسره به ويدل عليه قراءة يعقوب عمه الذي هم فيه مختلفون بجزم النفي والشك
أو بالإقرار والإنكار كلا سيعلمون ردع عن التساؤل ووعيد عليه ثم كلا
سيعلمون تكرير للمبالغة وثم للإشعار بأن الوعيد الثاني أشد وقيل الأول
عند النزع والثاني في القيامة أو الأول للبعث والثاني للجزاء وعن ابن عامر ستعلمون
بالتاء على تقدير قل لهم ستعلمون ألم نجعل الأرض مهادا والجبال أوتادا
تذكير ببعض ما عاينوا من عجائب صنعه الدالة على كمال قدرته ليستدلوا بذلك
على صحة البعث كما مر تقريره مرارا وقرئ مهدا أي أنها لهم كالمهد للصبي مصدر
سمي به ما يمهد لينوم عليه وخلقناكم أزواجا ذكرا وأنثى وجعلنا نومكم سباتا
قطعا عن الإحساس والحركة استراحة للقوى الحيوانية وإزاحة لكلالها
أو موتا لأنه أحد التوفيين ومنه المسبوت للميت وأصله القطع أيضا وجعلنا
الليل لباسا غطاء يستتر بظلمته من أراد الاختفاء وجعلنا النهار معاشا
وقت معاش يتقلبون فيه لتحصيل ما يعيشون به أو حياة تبعثون فيها عن نومكم
وبنينا فوقكم سبعا شدادا سبع سماوات أقوياء محكمات لا يؤثر فيها مرور الدهور
وجعلنا سراجا وهاجا متلألئا وقادا من وهجت النار إذا أضاءت أو بالغا
في الحرارة من الوهج وهو الحر والمراد الشمس وأنزلنا من المعصرات السحائب إذا
أعصرت أي شارفت أن تعصرها الرياح فتمطر كقولك أحصد الزرع إذا حان

لف

له ان يعصر ومنه اعصرت الجارية اذا دنت ان تحيض ومن الرياح التي حان
لها ان تعصر السحاب او الرياح ذوات الاعاصير وانما جعلت مبدا للانزال لانها
تنشئ السحاب وتدر اخلافه ويؤيده انه قرئ بالمعصرات ماء ثجاجا منصبا بكثرة
يقال ثجه وثج بنفسه وفي الحديث افضل الحج العج والثج اي رفع الصوت
بالتلبية وصب دماء الهدي وقرئ ثجاجا ومثاجج الماء مصابه لنخرج به حبا
ونباتا ما يقتات به وما يعتلف من التبن والحشيش وجنات الفافا ملتفة
بعضها ببعض جمع لف كجذع قال جنة لف وعيش مغدق او لفيف كشريف او لف
جمع لفا كخضر وخضرة واخضار او ملتفة بحذف الزوائد ان يوم الفصل كان
في علم الله او في حكمه ميقاتا حدا يوقت به الدنيا وتنتهي عنده او حدا للخلائق
ينتهون اليه يوم ينفخ في الصور بدل او بيان ليوم الفصل فتاتون افواجا
جماعات من القبور الى المحشر روي انه عليه الصلوة والسلام سئل عنه فقال
يحشر عشرة اصنافا من امتي بعضهم على صورة القردة وبعضهم على صورة الخنازير
وبعضهم منكوسون يسحبون على وجوههم وبعضهم عمي وبعضهم صم بكم وبعضهم
يمضغون السنتهم فهي مدلاة على صدورهم يسيل القيح من افواههم يتقذرهم
اهل الجمع وبعضهم مقطعة ايديهم وارجلهم وبعضهم مصلوبون على جذوع
من نار وبعضهم اشد نتنا من الجيف وبعضهم يلبسون جبابا سابغة من قطران
لازقة بجلودهم ثم فسرهم بالقتات واهل السحت واكلة الربوا والجائرين في
الحكم والمعجبين باعمالهم والعلماء الذين خالف قولهم عملهم والموذين جيرانهم
والساعين بالناس الى السلطان والتابعين للشهوات المانعين حق الله والمتكبرين
الخيلاء وفتحت السماء وشققت وقرا الكوفيون بالتخفيف فكانت ابوابا فصارت
من كثرة الشقوق كان الكل ابواب او فصارت ذات ابواب وسيرت الجبال
اي في الهوى كالهبا فكانت سرابا مثل سراب اذ ترى على صورة الجبال ولم تبق
على حقيقتها لتفتت اجزائها وانبثاثها ان جهنم كانت مرصادا موضع رصد
يرصد فيه خزنة النار الكفار او خزنة الجنة المومنين ليحرسوهم من فيحها في
مجازهم عليها كالمضمار فانه الموضع الذي يضمر فيه الخيل او مجدة في ترصد
الكفرة لئلا يشذ منها واحد كالمطعان وقرئ ان بالفتح على التعليل لقيام الساعة
للطاغين مابا مرجعا وماوى لابثين فيها وقرا حمزة وروح لبثين وهو ابلغ
احقابا دهورا متتابعة وليس فيه ما يدل على خروجهم منها اذ لو صح ان الحقب
ثمانون سنة او سبعون الف سنة فليس فيه ما يقتضي تناهي تلك الاحقاب لجواز ان

ان

ان يكون المراد احقابا مترادفة كلما مضى حقب تبعه اخر وان كان فمن قبيل المفهوم
فلا يعارض المنطوق الدال على خلود الكفار ولو جعل قوله لا يذوقون فيها بردا
ولا شرابا الا حميما وغساقا حالا من المستكن في لابثين او نصب احقابا بلا يذوقون
احتمل ان يلبثوا فيها احقابا غير ذائقين الا حميما وغساقا ثم يبدلون جنسا اخر
من العذاب ويجوز ان يكون جمع حقب من حقب الرجل اذا اخطاه الرزق وحقب
العام اذا قل مطره وخيره فيكون حالا بمعنى لابثين فيها حقبين وقوله لا يذوقون
تفسير له والمراد بالبرد ما يروحهم وينفس عنهم حر النار او النوم وبالغساق
ما يغسق اي يسيل من صديدهم وقيل الزمهرير وهو مستثنى من البرد الا انه
اخر ليوافق رؤوس الاي وقرا حمزة والكسائي وحفص بالتشديد جزاء وفاقا اي جوزوا
بذلك جزاء ذا وفاق لاعمالهم او موافقا لها او وافقها وفاقا وقرئ وفاقا فعال
من وفقه كذا انهم كانوا لا يرجون حسابا بيان لما وافقه هذا الجزاء وكذبوا
باياتنا كذابا تكذيبا وفعال بمعنى تفعيل مطرد شايع في كلام الفصحاء وقرئ
بالتخفيف وهو بمعنى الكذب لقوله فصدقتها وكذبتها والمرء ينفعه كذابه وانما
اقيم مقام التكذيب للدلالة على انهم كذبوا في تكذيبهم او المكاذبة فانهم كانوا
عند المسلمين كاذبين وكان المسلمون كاذبين عندهم فكان بينهم مكاذبة
او كانوا مبالغين في الكذب مبالغة المغالبين فيه وعلى المعنيين يجوز ان يكون حالا
بمعنى كاذبين او مكاذبين ويؤيده انه قرئ كذابا وهو جمع كاذب ويجوز ان
يكون للمبالغة فيكون صفة للمصدر اي تكذيبا مفرطا كذبه وكل شيء احصيناه
وقرئ بالرفع على الابتداء كتابا مصدر لاحصيناه فان الاحصاء والكتبة يتشاركان
في معنى الضبط او لفعله المقدر او حال بمعنى مكتوبا في اللوح او صحف الحفظة
والجملة اعتراض وقوله فذوقوا فلن نزيدكم الا عذابا مسبب عن كفرهم
بالحساب وتكذيبهم بالايات ومجيئه على طريقة الالتفات للمبالغة وفي الحديث
هذه الاية اشد ما في القران على اهل النار ان للمتقين مفازا فوزا او موضع
فوز حدائق واعنابا بساتين فيها انواع الاشجار المثمرة بدل من مفازا بدل
الاشتمال او البعض وكواعب نساء فلكت ثديهن اترابا لذات وكاسا دهاقا
ملانا وادهق الحوض ملاه لا يسمعون فيها لغوا ولا كذابا وقرا الكسائي
بالتخفيف اي كذبا او مكاذبة اذ لا يكذب بعضهم بعضا جزاء من ربك بمقتضى وعده
عطاء تفضلا منه اذ لا يجب عليه شيء وهو بدل من جزاء وقيل منتصب بنصب
المفعول به حسابا كافيا من احسبه الشيء اذا كفاه حتى قال حسبي او على حسب اعمالهم

وقرئ حسابا اي محسبا كالدراك بمعنى المدرك رب السموات والارض وما
بينهما بدل من ربك وقد رفعه الحجازيان وابو عمرو على الابتداء الرحمن صفة
له الا في قراءة عاصم وابن عامر ويعقوب وجره على انه خبر محذوف او مبتدا
خبره لا يملكون منه خطابا والواو لاهل السموات والارض اي لا يملكون خطابه
والاعتراض عليه في ثواب وعقاب لانهم مملوكون له على الاطلاق فلا يستحقون
عليه اعتراضا وذلك لا ينافي الشفاعة باذنه يوم يقوم الروح والملائكة
صفا لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال صوابا تقرير وتوكيد لقوله لا
يملكون فان هؤلاء الذين هم افضل الخلائق واقربهم من الله اذا لم يقدروا ان
يتكلموا بما يكون صوابا كالشفاعة لمن ارتضى الا باذنه فكيف يملكه غيرهم
ويوم ظرف للا يملكون او لا يتكلمون والروح ملك موكل على الارواح او جنسها
او جبريل او خلق اعظم من الملائكة ذلك اليوم الحق الكائن لا محالة فمن شاء
اتخذ الى ربه مآبا الى ثوابه مآبا بالايمان والطاعة انا انذرناكم عذابا قريبا
يعني عذاب الآخرة وقربه لتحققه فان كل ما هو آت قريب ولان مبدأه الموت
يوم ينظر المرء ما قدمت يداه اي ما قدمه من خير او شر والمرء عام وقيل
هو الكافر لقوله انا انذرناكم فيكون الكافر ظاهرا وضع موضع الضمير
لزيادة الذم وما موصولة منصوبة بينظر او استفهامية منصوبة بقدمت
اي ينظر اي شيء قدمت يداه ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا في الدنيا
فلم اخلق ولم اكلف او في هذا اليوم فلم ابعث وقيل يحشر سائر الحيوانات
للاقتصاص ثم ترد ترابا فيود الكافر حالها عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة عم يتساءلون سقاه الله برد الشراب يوم القيامة

سورة والنازعات

بسم الله الرحمن الرحيم والنازعات غرقا والناشطات
نشطا والسابحات سبحا فالسابقات سبقا فالمدبرات امرا هذه
صفات ملائكة الموت فانهم ينزعون ارواح الكفار من ابدانهم غرقا اي
اغراقا في النزع فانهم ينزعونها من اقاصي الابدان او نفوسا غرقة في الاجساد
وينشطون اي يخرجون ارواح المؤمنين برفق من نشط الدلو من البئر اذا اخرجها
ويسبحون في اخراجها سبح الغواص الذي يخرج الشيء من اعماق البحر فيسبقون
بارواح الكفار الى النار وبارواح المؤمنين الى الجنة فيدبرون امر عقابها

وثوابها

وثوابها بان تهيئها لادراك ما اعد لها من الالام واللذات او الاوليان لهم
والباقيات لطوائف من الملائكة يسبحون في مضيها اي يسرعون فيه فيسبقون
الى ما امروا به فيدبرون امره او صفات النجوم فانها تنزع من المشرق الى
المغرب غرقا في النزع بان تقطع الفلك حتى تنحط في اقصى الغرب وتنشط من
برج الى برج اي تخرج من نشط الثور اذا خرج من بلد الى بلد فيسبحون في الفلك
فيسبق بعضها في السير لكونه اسرع حركة فتدبر امرا نيط بها كاختلاف الفصول
وتقدير الازمنة وظهور مواقيت العبادات ولما كانت حركاتها من المشرق
الى المغرب قسرية ومن برج الى برج ملائمة سمى الاولى نزعا والثانية نشطا
وصفات النفوس الفاضلة حال المفارقة فانها تنزع عن الابدان غرقا
اي نزعا شديدا من اغراق النازع في القوس فتنشط الى عالم الملكوت وتسبح
فيه فتسبق الى حظائر القدس فتصير لشرفها وقوتها من المدبرات او حال
سلوكها فانها تنزع عن الشهوات وتنشط الى عالم القدس فتسبح في مراتب
الارتقاء فتسبح الى الكمالات حتى تصير من المكملات او صفات انفس الغزاة
او ايديهم تنزع القسي باغراق السهام وينشطون بالسهم للرمي فيسبحون
في البر والبحر فيسبقون الى حرب العدو فيدبرون امرها او صفات خيلهم
فانها تنزع في اعنتها نزعا تغرق فيه الاعنة لطول اعناقها وتخرج من دار
الاسلام الى دار الكفر وتسبح في جريها فتسبق الى العدو فتدبر امر الظفر
اقسم الله بها على قيام الساعة وانما حذف لدلالة ما بعده عليه يوم ترجف
الراجفة وهو منصوب به والمراد بالراجفة الاجرام الساكنة التي تشتد
حركتها حينئذ كالارض والجبال لقوله يوم ترجف الارض والجبال او الواقعة
التي ترجف الاجرام عندها وهي النفخة الاولى تتبعها الرادفة التابعة وهي
السماء والكواكب تنشق وتنتثر او النفخة الثانية والجملة في موقع الحال قلوب
يومئذ واجفة شديدة الاضطراب من الوجيف وهي صفة القلوب والخبر ابصارها
خاشعة اي ابصار اصحابها ذليلة من الخوف ولذلك اضافها الى القلوب
يقولون ائنا لمردودون في الحافرة في الحالة الاولى يعنون الحياة بعد
الموت من قولهم رجع فلان في حافرته اي طريقته التي جاء فيها فحفرها اي اثر
فيها بمشيه على النسبة كقوله عيشة راضية او تشبيه القابل بالفاعل وقرئ في
الحفرة بمعنى المحفورة يقال حفرت اسنانه فحفرت حفرا وهي حفرة ائذا كنا وقرأ
نافع وابن عامر اذا كنا على الخبر عظاما نخرة بالية وقرأ الحجازيان والشامي

لعله فتسبق

وابو عمرو وحفص وروح نخرة وهي ابلغ قالوا تلك اذا كرة خاسرة ذات
خسران او خاسر اصحابها والمعنى انها ان صحت ونحن اذا خاسرون لتكذيبنا
بها وهو استهزاء منهم فانما هي زجرة واحدة متعلق بمحذوف اي لا تستصعبوها
فما هي الا صيحة واحدة يعني النفخة الثانية فاذا هم بالساهرة فاذا هم احياء
على وجه الارض بعد ما كانوا امواتا في بطنها والساهرة الارض البيضاء المستوية
سميت بذلك لان السراب يجري فيها من قولهم عين ساهرة للتي يجري ماؤها
وفي ضدها نائمة او لان سالكها يسهر خوفا وقيل اسم جهنم هل اتاك حديث
موسى اليس قد اتاك حديثه فيسليك عن تكذيب قومك ويهددهم عليه بان
تصيبهم مثل ما اصاب من هو اعظم منهم اذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى
قد مر بيانه في سورة طه اذهب الى فرعون انه طغى على ارادة القول وقرئ
ان اذهب لما في النداء من معنى القول فقل هل لك الى ان تزكى هل لك ميل
الى ان تتطهر من الكفر والطغيان وقرأ الحجازيان ويعقوب تزكى بالتشديد واهديك
الى ربك وارشدك الى معرفته فتخشى باداء الواجبات وترك المحرمات اذ الخشية
انما تكون بعد المعرفة وهذا كالتفصيل لقوله فقولا له قولا لينا فاراه الاية
الكبرى اي فذهب وبلغ فاراه المعجزة الكبرى وهي قلب العصا حية فانه كان
المقدم والاصل او مجموع معجزاته فانها باعتبار دلالتها كالاية الواحدة
فكذب وعصى فكذب موسى وعصى الله بعد ظهور الاية وتحقق الامر ثم ادبر عن
الطاعة يسعى ساعيا في ابطال امره او ادبر بعد ما رأى الثعبان مرعوبا مسرعا
في مشيه فحشر فجمع السحرة او جنوده فنادى في المجمع بنفسه او بمناد فقال انا
ربكم الاعلى على كل من يلي امركم فاخذه الله نكال الاخرة والاولى اخذا منكلا
لمن رآه او سمعه في الاخرة بالاحراق وفي الدنيا بالاغراق او على كلمته الاخرة
وهي هذه وكلمته الاولى وهو قوله ما علمت لكم من اله غيري او للتنكيل فيهما
او لهما ويجوز ان يكون مصدرا موكدا مقدرا بفعله ان في ذلك لعبرة لمن
يخشى لمن كان من شانه الخشية ءانتم اشد خلقا اصعب خلقا ام السماء ثم بين كيف
خلقها فقال بناها ثم بين البناء فقال رفع سمكها اي جعل مقدار ارتفاعها
من الارض او ثخنها الذاهب في العلو رفيعا فسواها فعدلها او فجعلها مستوية
او فتممها بما يتم به كمالها من الكواكب والتداوير وغيرها من قولهم سوى فلان امره
اذا اصلحه واغطش ليلها اظلمه منقول من غطش الليل اذا اظلم وانما اضاف
اليها لانه يحدث بحركتها واخرج ضحاها وابرز ضوء شمسها كقوله والشمس

وضحيها يريد النهار والارض بعد ذلك دحاها بسطها ومهدها للسكنى
اخرج منها ماءها ومرعاها بتفجير العيون ومرعاها رعيها وهو في الاصل لموضع الرعي
وتجريد الجملة عن العاطف لانها حال باضمار قد او بيان للدحو والجبال ارساها
اثبتها وقرئ والارض والجبال بالرفع على الابتداء وهو مرجوح لان العطف على
فعلية متاعا لكم ولانعامكم تمتيعا لكم ولمواشيكم فاذا جاءت الطامة
الداهية التي تطم اي تعلو على سائر الدواهي الكبرى التي هي اكبر الطامات
وهي القيامة او النفخة الثانية او الساعة التي يساق فيها اهل الجنة الى الجنة
واهل النار الى النار يوم يتذكر الانسان ما سعى بان يراه مدونا في صحيفته
وكان قد نسيها من فرط الغفلة او طول المدة وهو بدل من اذا جاءت وما موصولة
او مصدرية وبرزت الجحيم واظهرت لمن يرى لكل راء بحيث لا يخفى على احد
وقرئ وبرزت ولمن رأى ولمن ترى على ان فيه ضمير الجحيم كقوله اذا رأتهم من
مكان بعيد وانه خطاب للرسول اي لمن تراه من الكفار وجواب فاذا جاءت
محذوف دل عليه يوم يتذكر او ما بعده من التفصيل فاما من طغى حتى كفر وآثر
الحيوة الدنيا فانهمك فيها ولم يستعد للاخرة بالعبادة وتهذيب النفس فان الجحيم
هي الماوى هي ماواه واللام فيه ساد مسد الاضافة للعلم بان صاحب الماوى
هو الطاغي وهي فصل او مبتدا واما من خاف مقام ربه مقامه بين يدي
ربه لعلمه بالمبدا والمعاد ونهى النفس عن الهوى لعلمه بانه مرد فان الجنة
هي الماوى ليس لها سواها ماوى يسألونك عن الساعة ايان مرساها
متى ارساها اي اقامتها واثباتها او منتهاها ومستقرها من مرسى السفينة
وهو حيث تنتهي اليه وتستقر فيه فيم انت من ذكراها في اي شيء انت من ان
تذكر وقتها لهم اي ما انت من ذكراها لهم وتبيين وقتها في شيء فان ذكرها لا
يزيدهم الا غيا مما استاثره الله بعلمه وقيل فيم انكار لسؤالهم وانت من ذكراها
مستانف معناه انت ذكر من ذكرها اي علامة من اشراطها فان ارساله خاتما
للانبياء امارة من اماراتها وقيل انه متصل بسؤالهم والجواب الى ربك منتهاها
اي منتهى علمها انما انت منذر من يخشاها انما بعثت لانذار من يخاف هولها
وهو لا يناسب تعيين الوقت وتخصيص من يخشى لانه المنتفع وعن ابي عمرو
منذر بالتنوين والاعمال على الاصل لانه بمعنى الحال كانهم يوم يرونها لم
يلبثوا اي في الدنيا او في القبور الا عشية او ضحاها اي عشية يوم او ضحاه
لقوله الا ساعة من نهار ولذلك اضاف الضحى الى العشية لانهما من يوم واحد

ها

النبي صلعم من قرأ سورة والنازعات كان ممن حبسه الله في القبر حتى يدخل الجنة قدر صلوة مكتوبة

[illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم عبس وتولى أن جاءه الأعمى روي أن ابن أم مكتوم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده صناديد قريش يدعوهم إلى الإسلام فقال يا رسول الله علمني مما علمك الله وكرر ذلك ولم يعلم تشاغله بالقوم فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم قطع كلامه وعبس وأعرض عنه فنزلت فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكرمه ويقول مرحبا بمن عاتبني فيه ربي واستخلفه على المدينة مرتين وقرئ عبّس بالتشديد للمبالغة وأن جاءه علة لتولى أو عبس على اختلاف المذهبين وقرئ آأن بهمزتين وبألف بينهما بمعنى ألأن جاءه الأعمى فعل ذلك وذكر الأعمى للإشعار بعذره في الإقدام على قطع كلام الرسول بالقوم والدلالة على أنه أحق بالرأفة والترفق أو لزيادة الإنكار كأنه قال تولى لكونه أعمى كالالتفات في قوله وما يدريك لعله يزكى أي وأي شيء يجعلك داريا بحاله لعله يتطهر من الآثام بما يتلقف منك وفيه إيماء بأن إعراضه كان لتزكية غيره أو يذّكر فتنفعه الذكرى أي يتعظ فتنفعه موعظتك وقيل الضمير في لعله للكافر أي إنك طمعت في تزكيه بالإسلام وتذكره بالموعظة ولذلك أعرضت عن غيره فما يدريك أن ما طمعت فيه كائن وقرأ عاصم بالنصب جوابا للعل أما من استغنى فأنت له تصدى تتعرض بالإقبال عليه وأصله تتصدى وقرأ ابن كثير ونافع تصّدى بالإدغام وقرئ تُصدّى أي تعرض وتدعى إلى التصدي وما عليك ألا يزكى وليس بأس في أن لا يزكى بالإسلام حتى يبعثك الحرص على إسلامه إلى الإعراض عمن أسلم إن عليك إلا البلاغ وأما من جاءك يسعى يسرع طالبا للخير وهو يخشى الله أو أذية الكفار في إتيانك أو كبوة الطريق لأنه أعمى لا قائد له فأنت عنه تلهى تتشاغل يقال لهى عنه والتهى وتلهى ولعل ذكر التصدي والتلهي للإشعار بأن العتاب على اهتمام قلبه بالغني وتلهيه عن الفقير ومثله لا ينبغي له ذلك كلا ردع عن المعاتب عليه أو عن معاودة مثله إنها تذكرة فمن شاء ذكره حفظه أو اتعظ به والضمير للقرآن أو العتاب المذكور وتأنيث الأول لتأنيث خبره في صحف مثبتة فيها صفة لتذكرة أو خبر ثان أو خبر محذوف مكرمة عند الله مرفوعة القدر مكانا مطهرة منزهة عن أيدي الشياطين بأيدي سفرة كتبة من الملائكة أو الأنبياء

ينسخون

ينسخون الكتب من اللوح أو الوحي أو سفراء يسفرون بالوحي بين الله ورسله أو الأمة جمع سافر من السفر والسفارة والتركيب للكشف يقال سفرت المرأة إذا كشفت وجهها كرام أعزاء على الله أو متعطفين على المؤمنين يكلمونهم ويستغفرون لهم بررة أتقياء قتل الإنسان ما أكفره دعاء عليه بأشنع الدعوات وتعجب من إفراطه في الكفران وهو مع قصره يدل على سخط عظيم وذم بليغ من أي شيء خلقه بيان لما أنعم عليه خصوصا من مبدأ حدوثه والاستفهام للتحقير ولذلك أجاب عنه بقوله من نطفة خلقه فقدره فهيأه لما يصلح له من الأعضاء والأشكال أو فقدره أطوارا إلى أن تم خلقته ثم السبيل يسره ثم سهل مخرجه من بطن أمه بأن فتح فوهة الرحم وألهمه أن ينتكس أو ذلل له سبيل الخير والشر ونصب السبيل بفعل يفسره الظاهر للمبالغة في التيسير وتعريفه باللام دون الإضافة للإشعار بأنه سبيل عام وفيه على المعنى الأخير إيماء بأن الدنيا طريق والمقصد غيرها ولذلك عقبه بقوله ثم أماته فأقبره ثم إذا شاء أنشره وعد الإماتة والإقبار في النعم لأن الإماتة وصلة في الجملة إلى الحياة الأبدية واللذات الخالصة والأمر بالقبر تكرمة وصيانة عن السباع وفي إذا شاء إشعار بأن وقت النشور غير متعين في نفسه وإنما هو موكول إلى مشيئته كلا ردع للإنسان عما هو عليه لما يقض ما أمره لم يقض بعد من لدن آدم إلى هذه الغاية ما أمره الله بأسره إذ لا يخلو أحد من تقصير ما فلينظر الإنسان إلى طعامه اتباع للنعم الذاتية بالنعم الخارجية أنا صببنا الماء صبا استئناف مبين لكيفية إحداث الطعام وقرأ الكوفيون بالفتح على البدل منه بدل الاشتمال ثم شققنا الأرض شقا أي بالنبات أو بالكراب وأسند الشق إلى نفسه إسناد الفعل إلى السبب فأنبتنا فيها حبا كالحنطة والشعير وعنبا وقضبا يعني الرطبة سميت بمصدر قضبه إذا قطعه لأنها تقضب مرة بعد أخرى وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا عظاما وصف به الحدائق لتكاثفها وكثرة أشجارها أو لأنها ذات أشجار غلاظ مستعار من وصف الرقاب وفاكهة وأبا ومرعى من أب إذا أم لأنه يؤم وينتجع أو من أب لكذا إذا تهيأ له لأنه متهيئ للرعي أو فاكهة يابسة تؤوب للشتاء متاعا لكم ولأنعامكم فإن الأنواع المذكورة بعضها طعام وبعضها علف فإذا جاءت الصاخة أي النفخة وصفت بها مجازا لأن الناس يصخون لها يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه لاشتغاله بشأنه

وعلمه بانهم لا ينفعونه او للحذر من مطالبتهم بما قصر في حقهم وتاخير الاحب
فالاحب للمبالغة كانه قيل يفر من اخيه بل من ابويه بل من صاحبته وبنيه لكل امرئ
منهم يومئذ شان يغنيه يكفيه في الاهتمام به وقرئ يعنيه اي يهمه وجوه
يومئذ مسفرة مضيئة من اسفر الصبح ضاحكة مستبشرة بما ترى من النعيم
ووجوه يومئذ عليها غبرة غبار وكدورة ترهقها قترة يغشاها سواد
وظلمة اولئك هم الكفرة الفجرة الذين جمعوا الى الكفر الفجور فلذلك يجمع الى
سواد وجوههم الغبرة قال عليه السلام من قرا سورة عبس جاء يوم القيمة ووجهه ضاحك مستبشر

بسم الله الرحمن الرحيم اذا الشمس كورت لفت من كورت العمامة
اذا لففتها بمعنى رفعت لان الثوب اذا اريد رفعه لف او لف ضوؤها فذهب
انبساطه في الافاق وزال اثره او القيت عن فلكها من طعنه فكوره اي القاه
مجتمعا والتركيب للادارة والجمع وارتفاع الشمس بفعل يفسره ما بعدها اولى
لان اذا الشرطية تطلب الفعل واذا النجوم انكدرت انقضت قال الصخر بازن
قصا فانكدرا او اظلمت من كدرت الماء فانكدر واذا الجبال سيرت على وجه
الارض او في الجو واذا العشار النوق اللاتي اتى على حملهن عشرة اشهر جمع
عشراء عطلت تركت مهملة او السحائب عطلت عن المطر وقرئ بالتخفيف
واذا الوحوش حشرت جمعت من كل جانب او بعثت للقصاص ثم ردت
ترابا او اميتت من قولهم اذا اجحفت السنة بالناس حشرتهم وقرئ بالتشديد
واذا البحار سجرت احميت او ملئت بتفجير بعضها الى بعض حتى تعود بحرا واحدا
من سجر التنور اذا ملاه بالحطب ليحميه وقرا ابن كثير وابو عمرو وروح بالتخفيف
واذا النفوس زوجت قرنت بالابدان او كل منها بشكلها او بكتابها وعملها
او نفوس المؤمنين بالحور ونفوس الكافرين بالشياطين واذا الموءودة
المدفونة حية وكانت العرب تئد البنات مخافة الاملاق او لحوق العار
بهم من اجلهن سئلت باي ذنب قتلت تبكيتا لوائدها كتبكيت النصارى
بقوله تعالى لعيسى انت قلت للناس وقرئ سالت اي خاصمت عن نفسها
وسئلت على الاخبار عنها وقرئ قتلت على الحكاية واذا الصحف نشرت
يعني صحف الاعمال فانها تطوى عند الموت وتنشر وقت الحساب وقيل نشرت
فرقت بين اصحابها وقرا ابن كثير وابو عمرو وحمزة والكسائي بالتشديد للمبالغة

في النشر او لكثرة الصحف او لشدة التطاير واذا السماء كشطت قلعت وازيلت
كما يكشط الاهاب عن الذبيحة وقرئ قشطت واعتقاب القاف والكاف
كثير واذا الجحيم سعرت اوقدت ايقادا شديدا وقرا نافع وابن عامر
وحفص ورويس بالتشديد واذا الجنة ازلفت قربت من المؤمنين علمت
نفس ما احضرت جواب اذا وانما صح والمذكور في سياقها اثنتا عشرة خصلة
ست منها في مبادي قيام الساعة قبل فناء الدنيا وست بعده لان المراد زمان
متسع شامل لها ولمجازاة النفوس على اعمالها ونفس في معنى العموم كقولهم تمرة
خير من جرادة فلا اقسم بالخنس بالكواكب الرواجع من خنس اذا تاخر وهي
ما سوى النيرين من السيارات ولذلك وصفها بقوله الجوار الكنس اي السيارات
التي تختفي تحت ضوء الشمس من كنس الوحش اذا دخل كناسه وهو بيته المتخذ
من اغصان الشجر والليل اذا عسعس اقبل ظلامه او ادبر وهو من الاضداد
يقال عسعس الليل وسعسع اذا ادبر والصبح اذا تنفس اي اضاء غبرته
عند اقبال روح ونسيم انه ان القران لقول رسول كريم يعني جبريل
فانه قاله عن الله تعالى ذي قوة لقوله شديد القوى عند ذي العرش مكين
عند الله ذي مكانة مطاع في ملائكته ثم امين على الوحي وثم يحتمل اتصاله
بما قبله وما بعده وقرئ ثم تعظيما للامانة وتفضيلا لها على سائر الصفات
وما صاحبكم بمجنون كما بهتته الكفرة واستدل بذلك على فضل جبريل
على محمد عليهما السلام حيث عد فضائل جبريل واقتصر على نفي الجنون عن
النبي صلى الله عليه وسلم وهو ضعيف اذ المقصود منه نفي قولهم انما يعلمه
بشر افترى على الله كذبا ام به جنة لا تعداد فضلهما والموازنة بينهما
ولقد راه ولقد راى رسول الله جبريل بالافق المبين بمطلع الشمس الاعلى
وما هو وما محمد على الغيب على ما يخبره من الوحي وغيره من الغيوب بظنين
بمتهم من الظنة وهي التهمة وقرئ بضنين من الضن وهو البخل اي لا يبخل
بالتبليغ والتعليم والضاد من اصل حافة اللسان وما يليها من الاضراس
من يمين اللسان او يساره والظاء من طرفي اللسان واصول الثنايا العليا
وما هو بقول شيطان رجيم بقول بعض المسترقة للسمع وهي نفي قولهم انه
لكهانة وسحر فاين تذهبون استضلال لهم فيما يسلكونه في امر الرسول والقران
كقولك لتارك الجادة اين تذهب ان هو الا ذكر للعالمين تذكير لمن يعلم
لمن شاء منكم ان يستقيم بتحري الحق وملازمة الصواب وابداله من العالمين

لانهم المنتفعون بالتذكير وما تشاؤن الاستقامة من يشاها الا ان يشاء
الله الا وقت ان يشا مشيئتكم فله الفضل والحق عليكم باستقامتكم رب العالمين
مالك الخلق كله قال عليه السلام من قرا سورة التكوير اعاذه الله ان يفضحه حين تنشر صحيفته

بسم الله الرحمن الرحيم اذا السماء انفطرت انشقت واذا
الكواكب انتثرت تساقطت متفرقة واذا البحار فجرت فتح بعضها الى بعض
فصار الكل بحرا واحدا واذا القبور بعثرت قلب ترابها واخرج موتاها
وقيل انه مركب من بعث وراء الاثارة كبسمل ونظيره بحثر لفظا ومعنى
علمت نفس ما قدمت من عمل او صدقة واخرت من سيئة او تركة ويجوز ان
يراد بالتاخير التضييع وهو جواب اذا يا ايها الانسان ما غرك بربك
الكريم اي شيء خدعك وجراك على عصيانه وذكر الكريم للمبالغة في المنع
عن الاغترار فان محض الكرم لا يقتضي اهمال الظالم وتسوية الموالي والمعادي
والمطيع والعاصي فكيف اذا انضم اليه صفة القهر والانتقام والاشعار
بما به يغره الشيطان فانه يقول له افعل ما شئت فربك كريم لا يعذب
احدا ولا يعاجل بالعقوبة والدلالة على ان كثرة كرمه يستدعي الجد في طاعته
لا الانهماك في عصيانه اغترارا بكرمه الذي خلقك فسواك فعدلك
صفة ثانية مقررة للربوبية مبينة للكرم منبهة على ان من قدر على ذلك
اولا قدر عليه ثانيا والتسوية جعل الاعضاء سليمة مسواة معدة لمنافعها
والتعديل جعل البنية معتدلة متناسبة الاعضاء او معدلة بما يستعدها
من القوى وقرا الكوفيون فعدلك بالتخفيف اي عدل بعض اعضائك ببعض
حتى اعتدلت او فصرفك عن خلقة غيرك وميزك بخلقة فارقت خلقة سائر
الحيوانات في اي صورة ما شاء ركبك اي ركبك في اي صورة شاءها
وما مزيدة وقيل شرطية وركبك جوابها والظرف صلة عدلك وانما لم
يعطف الجملة على ما قبلها لانها بيان لعدلك كلا ردع عن الاغترار بكرم
الله وقوله بل تكذبون بالدين اضراب الى بيان ما هو السبب الاصلي في اغترارهم
والمراد بالدين الجزاء او الاسلام وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون
ما تفعلون تحقيق لما تكذبون به ورد لما يتوقعون من التسامح والاهمال
وتعظيم الكتبة بكونهم كراما عند الله لتعظيم الجزاء ان الابرار لفي نعيم وان الفجار

لفي جحيم بيان لما يكتبون لاجله يصلونها يقاسون حرها يوم الدين وما هم
عنها بغائبين لخلودهم فيها وقيل معناه وما يغيبون عنها قبل ذلك اذ
كانوا يجدون سمومها في القبور وما ادراك ما يوم الدين ثم ما ادراك
ما يوم الدين تعجيب وتفخيم لشان اليوم اي كنه امره بحيث لا تدركه دراية دار
يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله تقرير لشدة هوله وفخامة
امره اجمالا ورفع ابن كثير والبصريان يوم على البدل من يوم الدين او الخبر المحذوف
قال عليه السلام من قرا سورة انفطرت كتب الله له بعدد كل قطرة من السماء حسنة وبعدد كل قبر حسنة

بسم الله الرحمن الرحيم ويل للمطففين التطفيف البخس في
الكيل والوزن لان ما يبخس طفيف اي حقير روي ان اهل المدينة كانوا اخبث الناس
كيلا فنزلت فاحسنوه وفي الحديث خمس بخمس ما نقض العهد قوم الا سلط الله عليهم
عدوهم وما حكموا بغير ما انزل الله الا فشا فيهم الفقر وما ظهرت فيهم الفاحشة
الا فشا فيهم الموت ولا طففوا الكيل الا منعوا النبات واخذوا بالسنين ولا منعوا
الزكوة الا حبس عنهم القطر الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون اي اذا
اكتالوا من الناس حقوقهم ياخذونها وافية وانما ابدل على بمن للدلالة على ان
اكتيالهم لما لهم على الناس او اكتيال يتحامل فيه عليهم واذا كالوهم او وزنوهم
اي اذا كالوا للناس او وزنوا لهم يخسرون فحذف الجار واوصل الفعل كقوله
ولقد جنيتك اكمؤا وعساقلا بمعنى جنيت لك او كالوا مكيلهم فحذف المضاف
واقيم المضاف اليه مقامه ولا يحسن جعل المنفصل تاكيد المتصل فانه يخرج الكلام
عن مقابلة ما قبله اذ المقصود بيان اختلاف حالهم في الاخذ والدفع لا في
المباشرة وعدمها ويستدعي اثبات الالف بعد الواو كما هو خط المصحف في
نظايره الا يظن اولئك انهم مبعوثون فان من ظن ذلك لم يتجاسر على
امثال هذه القبائح فكيف بمن تيقنه وفيه انكار وتعجيب من حالهم ليوم عظيم
عظمه لعظم ما يكون فيه يوم يقوم الناس نصب بمبعوثون او بدل من الجار
والمجرور ويؤيده القراءة بالجر لرب العالمين لحكمه وفي هذا الانكار والتعجيب
وذكر الظن ووصف اليوم بالعظم وقيام الناس فيه لله والتعبير عنه برب العالمين
مبالغات في المنع عن التطفيف وتعظيم اثمه كلا ردع عن التطفيف والغفلة
عن البعث والحساب ان كتاب الفجار ما يكتب من اعمالهم او كتابة اعمالهم لفي سجين

كتاب جامع لاعمال الفجرة من الثقلين كما قال وما ادراك ما سجين كتاب مرقوم اي مسطور بين الكتابة او معلم يعلم من رآه انه لا خير فيه فعيل من السجن لقب به الكتاب لانه سبب الحبس او لانه مطروح كما قيل تحت الارضين في مكان وحش وقيل هو اسم المكان والتقدير ما كتاب السجين او محل كتاب مرقوم فحذف المضاف ويل يومئذ للمكذبين بالحق او بذلك الذين يكذبون بيوم الدين صفة مخصصة او موضحة او ذامة وما يكذب به الا كل معتد متجاوز عن النظر غال في التقليد حتى استقصر قدرة الله وعلمه فاستحال منه الاعادة اثيم منهمك في الشهوات المخدجة بحيث اشغلته عما وراءها وحملته على الانكار لما عداها اذا تتلى عليه آياتنا قال اساطير الاولين من فرط جهله واعراضه عن الحق فلا تنفعه شواهد النقل كما لم تنفعه دلائل العقل كلا ردع عن هذا القول بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون رد لما قالوه وبيان لما ادى بهم الى هذا القول بان غلب عليهم حب المعاصي بالانهماك فيه حتى صار ذلك صدأ على قلوبهم فعمي عليهم معرفة الحق والباطل فان كثرة الافعال سبب لحصول الملكات كما قال عليه الصلوة والسلم ان العبد كلما اذنب ذنبا حصل في قلبه نكتة سوداء حتى يسود قلبه والرين الصدأ وقرا حفص بل ران باظهار اللام مع سكتة بينهما كلا ردع عن الكسب الرائن انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون فلا يرونه بخلاف المؤمنين ومن انكر الرؤية جعله تمثيلا لاهانتهم باهانة من يمنع عن الدخول على الملوك او قدر مضافا مثل رحمة ربهم او قرب ربهم ثم انهم لصالوا الجحيم ليدخلون النار ويصلون بها ثم يقال هذا الذي كنتم به تكذبون تقوله لهم الزبانية كلا تكرير للاول ليعقب بوعد الابرار كما عقب بوعيد الفجار اشعارا بان التطفيف فجور والايفاء بر او ردع عن التكذيب ان كتاب الابرار لفي عليين وما ادراك ما عليون الكلام فيه كما مر في نظيره كتاب مرقوم يشهده المقربون يحضرونه ويحفظونه او يشهدون على ما فيه يوم القيمة ان الابرار لفي نعيم على الارائك على الاسرة في الحجال ينظرون الى ما يسرهم من النعم والمتفرجات تعرف في وجوههم نضرة النعيم بهجة التنعم وبريقه وقرا يعقوب تعرف على بناء المفعول ونضرة بالرفع يسقون من رحيق شراب خالص مختوم ختامه مسك اي مختوم اوانيه بالمسك مكان الطين ولعله تمثيل لنفاسته او الذي له ختام اي مقطع هو رائحة المسك وقرا الكسائي خاتمه بفتح التاء اي ما يختم به ويقطع وفي ذلك يعني الرحيق او النعيم فليتنافس المتنافسون فليرتغب

المرتغبون ومزاجه من تسنيم علم لعين بعينها سميت تسنيما لارتفاع مكانها او رفعة شرابها عينا يشرب بها المقربون فانهم يشربونها صرفا لانهم لم يشتغلوا بغير الله وتمزج لسائر اهل الجنة وانتصاب عينا على المدح او الحال من تسنيم والكلام في الباء كما في يشرب بها عباد الله ان الذين اجرموا يعني رؤساء قريش كانوا من الذين آمنوا يضحكون كانوا يستهزؤن بفقراء المسلمين واذا مروا بهم يتغامزون يغمز بعضهم بعضا ويشيرون باعينهم واذا انقلبوا الى اهلهم انقلبوا فاكهين ملتذين بالسخرية منهم وقرا حفص فكهين واذا راوهم قالوا ان هؤلاء لضالون واذا راوا المؤمنين نسبوهم الى الضلال وما ارسلوا عليهم على المؤمنين حافظين يحفظون اعمالهم ويشهدون برشدهم وضلالهم فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون حين يرونهم اذلاء مغلولين في النار وقيل يفتح لهم باب الى الجنة فيقال لهم اخرجوا اليها فاذا وصلوا اغلق دونهم فيضحك المؤمنون منهم على الارائك ينظرون حال من يضحكون هل ثوب الكفار هل اثيبوا ما كانوا يفعلون وقرا حمزة والكسائي بادغام اللام في الثاء قال عليه الصلوة والسلم من قرا سورة ويل للمطففين سقاه الله من الرحيق المختوم يوم القيمة

بسم الله الرحمن الرحيم اذا السماء انشقت بالغمام لقوله تعالى ويوم تشقق السماء بالغمام وعن علي رضي الله عنه تنشق من المجرة واذنت لربها واستمعت له اي انقادت لتاثير قدرته حين اراد انشقاقها انقياد المطواع الذي ياذن للآمر ويذعن له وحقت وجعلت حقيقة بالاستماع يقال حق بكذا فهو محقوق وحقيق واذا الارض مدت بسطت بان تزال جبالها وآكامها والقت ما فيها ما في جوفها من الكنوز والاموات وتخلت وتكلفت في الخلو اقصى جهدها حتى لم يبق شيء في باطنها واذنت لربها في الالقاء والتخلية وحقت للاذن وتكرير اذا لاستقلال كل من الجملتين بنوع من القدرة وجوابه محذوف للتهويل بالابهام او الاكتفاء بما مر في سورتي التكوير والانفطار او لدلالة قوله يا ايها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه عليه وتقديره لاقى الانسان كدحه اي جهد يؤثر فيه من كدحه اذا خدشه او فملاقيه ويا ايها الانسان انك كادح الى ربك كدحا اعتراض والكدح اليه السعي الى لقاء جزائه فاما من اوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا سهلا

لا يناقش فيه وينقلب الى اهله مسرورا الى عشيرته المومنين او فريق المومنين او اهله في الجنة من الحور واما من اوتي كتابه ورآء ظهره اي يوتي كتابه بشماله من ورآء ظهره قيل تغل يمناه الى عنقه وتجعل يسراه ورآء ظهره فسوف يدعو ثبورا يتمنى الثبور ويقول يا ثبوراه وهو الهلاك ويصلى سعيرا وقرا الحجازيان والشامي والكسائي يصلى لقوله وتصلية جحيم وقرئ ويصلى لقوله ونصليه جهنم انه كان في اهله في الدنيا مسرورا بطرا بالمال والجاه فارغا عن الاخرة انه ظن ان لن يحور ان لن يرجع الى الله بلى ايجاب لما بعد لن ان ربه كان به بصيرا عالما باعماله فلا يهمله بل يرجعه ويجازيه فلا اقسم بالشفق الحمرة التي ترى في افق المغرب بعد الغروب وعن ابي حنيفة انه البياض الذي يليها سمي به لرقته من الشفقة والليل وما وسق وما جمعه وستره من الدواب وغيرها يقال وسقه فاتسق واستوسق قال مستوسقات لو يجدن سائقا او طرده الى اماكنه من الوسيقة والقمر اذا اتسق اجتمع وتم بدرا لتركبن طبقا عن طبق حالا بعد حال مطابقة لاختها في الشدة وهو لما طابق غيره فقيل للحال المطابقة او مراتب من الشدة بعد المراتب هي الموت ومواطن القيمة واهوالها او هي وما قبلها من الدواهي على انه جمع طبقة وقرا ابن كثير وحمزة والكسائي لتركبن بالفتح على خطاب الانسان باعتبار اللفظ والرسول على معنى لتركبن حالا شريفة ومرتبة عالية بعد حال ومرتبة او طبقا من اطباق السما بعد طبق ليلة المعراج وبالكسر على خطاب النفس وبالياء على الغيبة وعن طبق صفة لطبقا او حال من الضمير بمعنى مجاوزا لطبق او مجاوزين له فما لهم لا يومنون بيوم القيمة واذا قرئ عليهم القران لا يسجدون لا يخضعون او لا يسجدون لتلاوته لما روي انه عليه الصلوة والسلام قرا واسجد واقترب فسجد بمن معه من المومنين وقريش تصفق فوق روسهم فنزلت واحتج به ابو حنيفة على وجوب السجود فانه ذم لمن سمعه ولم يسجد فيها بل الذين كفروا يكذبون اي بالقران والله اعلم بما يوعون بما يضمرون في صدورهم من الكفر والعداوة فبشرهم بعذاب اليم استهزا بهم الا الذين امنوا وعملوا الصالحات استثنا منقطع او متصل والمراد من تاب وامن منهم لهم اجر غير ممنون مقطوع او ممنون به عليهم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة انشقت اعاذه الله ان يعطيه كتابه ورآء ظهره

بسم الله الرحمن الرحيم والسماء ذات البروج يعني البروج الاثنا عشر شبهت بالقصور لانها تنزلها السيارات وتكون فيها الثوابت او منازل القمر او عظام الكواكب سميت بروجا لظهورها او ابواب السما فان النوازل تخرج منها واصل التركيب للظهور واليوم الموعود يوم القيمة وشاهد ومشهود ومن يشهد في ذلك اليوم من الخلايق وما احضر فيه من العجايب وتنكيرهما للابهام في الوصف اي وشاهد ومشهود لا يكتنه وصفهما او المبالغة في الكثرة كانه قيل ما افرطت كثرته من شاهد ومشهود او النبي وامته وساير الامم او كل نبي وامته او الخالق والخلق او عكسه فان الخالق مطلع على خلقه وهو شاهد على وجوده او الملك الحفيظ والمكلف او يوم النحر وعرفة والحجيج او يوم الجمعة والمجمع فانه يشهد له او كل يوم واهله قتل اصحاب الاخدود قيل انه جواب القسم على تقدير لقد قتل والاظهر انه دليل جواب محذوف كانه قيل انهم ملعونون يعني كفار مكة كما لعن اصحاب الاخدود فان السورة وردت لتثبيت المومنين على اذاهم وتذكيرهم بما جرى على من قبلهم والاخدود الخد وهو الشق في الارض ونحوهما بنا ومعنى الحق والاحقوق روي مرفوعا ان ملكا كان له ساحر فلما كبر ضم اليه غلاما ليعلمه وكان في طريقه راهب فمال قلبه اليه فراى في طريقه ذات يوم حية قد حبست الناس فاخذ حجرا وقال اللهم ان كان الراهب احب اليك من الساحر فاقتلها فقتلها وكان الغلام بعد يبري الاكمه والابرص ويشفي من الادوا وعمي جليس الملك فابراه فساله الملك عمن ابراه فقال ربي فغضب فعذبه فدل على الغلام فعذبه فدل على الراهب فقدته بالمنشار وارسل الغلام الى جبل ليطرح من ذروته فدعا فرجف فهلكوا ونجا واجلسه في سفينة ليغرق فدعا فانكفات السفينة بمن معه فغرقوا ونجا فقال للملك لست بقاتلي حتى تجمع الناس وتصلبني وتاخذ سهما من كنانتي وتقول بسم الله رب الغلام ثم ترميني به فرماه فوقع في صدغه ومات فامن الناس فامر باخاديد واوقدت فيها النيران فمن لم يرجع منهم طرحه فيها حتى جاءت امراة معها صبي فتقاعست فقال الصبي يا اماه اصبري فانك على الحق فاقتحمت وعن علي رضي الله عنه ان بعض ملوك المجوس خطب بالناس وقال ان الله احل نكاح الاخوات فلم يقبلوه فامر باخاديد النار فطرح فيها من ابى وقيل لما تنصر نجران غزاهم ذو نواس اليهودي من حمير فاحرق في الاخاديد من لم يرتد النار بدل من الاخدود بدل الاشتمال ذات الوقود صفة لها بالعظمة وكثرة ما يرتفع به لهبها واللام

في الوقود الجنس إذ هم عليها على حافة النار قعود قاعدون وهم على ما يفعلون
بالمؤمنين شهود يشهد بعضهم لبعض عند الملك بأنه لم يقصر فيما أمره به
أو يشهدون على ما يفعلون يوم القيمة حين تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم
وما نقموا وما أنكروا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد استثناء على
طريقة قوله. ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب.
ووصفه بكونه عزيزا غالبا يخشى عقابه حميدا منعما يرجى ثوابه وقرر ذلك بقوله
الذي له ملك السموات والأرض والله على كل شيء شهيد للإشعار بما يستحق
أن يؤمن به ويعبد إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات بلوهم بالأذى
ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم بكفرهم ولهم عذاب الحريق العذاب الزائد
في الإحراق بفتنتهم وقيل المراد بالذين فتنوا أصحاب الأخدود وبعذاب الحريق
ما روي أن النار انقلبت عليهم فأحرقتهم إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات
لهم جنات تجري من تحتها الأنهار ذلك الفوز الكبير إذ الدنيا وما فيها
تصغر دونه إن بطش ربك لشديد مضاعف عنفه فإن البطش أخذ بعنف
إنه هو يبدئ ويعيد يبدئ الخلق ويعيده أو يبدئ البطش بالكفرة في الدنيا
ويعيده في الآخرة وهو الغفور لمن تاب الودود المحب لمن أطاع ذو العرش
خالقه وقيل المراد بالعرش الملك وقرئ ذي العرش صفة لربك المجيد العظيم
في ذاته وصفاته فإنه واجب الوجود تام القدرة والحكمة وجره حمزة والكسائي
صفة لربك أو للعرش ومجده علوه وعظمته فعال لما يريد لا يمتنع عليه مراد
من أفعاله وأفعال غيره هل أتاك حديث الجنود فرعون وثمود أبدلهما
لأن المراد بفرعون هو وقومه والمعنى قد عرفت تكذيبهم للرسل وما حاق بهم
فتسل واصبر على تكذيب قومك وحذرهم مثل ما أصابهم بل الذين كفروا في
تكذيب لا يرعوون عنه ومعنى الإضراب أن حالهم أعجب من حال هؤلاء فإنهم سمعوا
قصتهم ورأوا آثار هلاكهم وكذبوا أشد من تكذيبهم والله من ورائهم محيط
لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط المحيط بل هو قرآن مجيد بل هذا الذي كذبوا
به كتاب شريف وحيد في النظم والمعنى وقرئ قرآن مجيد بالإضافة أي قرآن
رب مجيد في لوح محفوظ من التحريف وقرأ نافع محفوظ بالرفع صفة للقرآن وقرئ في لوح
وهو الهواء يعني ما فوق السماء السابعة الذي فيه اللوح عن النبي صلعم من قرأ البروج أعطاه الله بعدد كل جمعة وعرفة

بسم الله الرحمن الرحيم والسماء والطارق والكوكب البادي
بالليل وهو في الأصل لسالك الطريق واختص عرفا بالآتي ليلا ثم استعمل للبادي
فيه وما أدراك ما الطارق النجم الثاقب المضيء كأنه يثقب الظلام بضوئه
فينفذ فيه أو الأفلاك والمراد الجنس أو معهود بالثقب وهو زحل عبر عنه أولا
بوصف عام ثم فسره بما يخصه تفخيما لشأنه إن كل نفس لما عليها حافظ إن
كل نفس لعليها حافظ رقيب فإن هي المخففة واللام الفاصلة وما مزيدة وقرأ ابن
عامر وعاصم وحمزة لما على أنها بمعنى إلا وإن نافية والجملة على الوجهين جواب القسم
فلينظر الإنسان مم خلق لما ذكر أن كل نفس عليها حافظ أتبعه بوصية النظر
في المبدأ ليعلم صحة إعادته فلا يملي على حافظه إلا ما يسره في عاقبته خلق من ماء
دافق جواب الاستفهام وماء دافق بمعنى ذي دفق وهو صب فيه دفع والمراد
الممتزج من الماءين في الرحم لقوله يخرج من بين الصلب والترائب بين صلب
الرجل وترائب المرأة وهي عظام صدرها ولو صح أن النطفة تتولد من فضل الهضم
الرابع وتنفصل عن جميع الأعضاء حتى تستعد لأن يتولد منها مثل تلك الأعضاء
ومقرها عروق ملتف بعضها بالبعض عند البيضتين فالدماغ أعظم الأعضاء
معونة في توليدها ولذلك يشبهه ويسرع الإفراط في الجماع بالضعف فيه
وله خليفة وهو النخاع وهو في الصلب وشعب كثيرة نازلة إلى الترائب وهما
أقرب إلى أوعية المني فلذلك خصا بالذكر وقرئ الصلب بفتحتين والصلب
بضمتين وفيه لغة رابعة وهي صالب إنه على رجعه لقادر والضمير للخالق
ويدل عليه خلق يوم تبلى السرائر تتعرف وتميز بين ما طاب من الضمائر
وما خفي من الأعمال وما خبث منها وهو ظرف لرجعه فما له فما للإنسان من قوة
من منعة في نفسه يمتنع بها ولا ناصر يمنعه والسماء ذات الرجع ترجع في
كل دورة إلى الموضع الذي تحرك عنه وقيل الرجع المطر وسمي به كما سمي أوبا
لأن الله يرجعه وقتا فوقتا أو من السحاب يحمل الماء من البحار ثم يرجعه إلى الأرض
وعلى هذا يجوز أن يكون المراد بالسماء السحاب والأرض ذات الصدع ما تتصدع
عنه الأرض من النبات أو الشق بالنبات والعيون إنه أي القرآن لقول فصل
فاصل بين الحق والباطل وما هو بالهزل فإنه جد كله إنهم يعني أهل مكة يكيدون
كيدا في إبطاله وإطفاء نوره وأكيد كيدا وأقابلهم بكيدي في استدراجي لهم
انتقامي منهم بحيث لا يحتسبون فمهل الكافرين فلا تشتغل بالانتقام منهم أو لا
تستعجل بإهلاكهم أمهلهم رويدا إمهالا يسيرا والتكرير وتغيير البنية لزيادة

التسكين عن النبي صلعم من قرأ سورة والطارق أعطاه الله بعدد كل نجم في السماء حسنات

بسم الله الرحمن الرحيم سبح اسم ربك الأعلى نزه اسمه عن الإلحاد
فيه بالتأويلات الزائغة وإطلاقه على غيره زاعما أنهما فيه سوا وذكره لا على
وجه التعظيم وقرئ سبحان ربي الأعلى وفي الحديث لما نزلت فسبح باسم ربك
العظيم قال النبي صلى الله عليه وسلم اجعلوها في ركوعكم فلما نزل سبح اسم ربك
الأعلى قال عليه الصلوة والسلم اجعلوها في سجودكم وكانوا يقولون في الركوع
اللهم لك ركعت وفي السجود اللهم لك سجدت الذي خلق فسوى خلق كل شي
فسوى خلقه بأن جعل له ما به يتأتى كماله ويتم معاشه والذي قدر أي قدر أجناس
الأشيا وأنواعها وأشخاصها ومقاديرها وصفاتها وأفعالها وآجالها فهدى
فوجهه إلى أفعاله طبعا واختيارا بخلق الميول والإلهامات ونصب الدلائل وإنزال
الآيات والذي أخرج المرعى أنبت ما ترعاه الدواب فجعله بعد خضرته غثا
أحوى يابسا أسود وقيل أحوى حال من المرعى أي أخرجه أحوى من شدة خضرته
سنقرئك على لسان جبريل أو سنجعلك قاريا بإلهام القراءة فلا تنسى أصلا
من قوة الحفظ مع أنك أمي ليكون ذلك آية أخرى لك مع أن الإخبار به عما
يستقبل ووقوعه كذلك أيضا من الآيات وقيل نهي والألف للفاصلة كقوله السبيلا
إلا ما شاء الله نسيانه بأن نسخ تلاوته وقيل المراد به القلة والندرة لما روي
أنه عليه الصلوة والسلم أسقط آية في قراءته في الصلوة فحسب أبي أنها نسخت
فسأله فقال نسيتها أو نفي النسيان رأسا فإن القلة تستعمل للنفي إنه يعلم الجهر
وما يخفى ما ظهر من أحوالكم وما بطن أو جهرك بالقراءة مع جبريل وما دعاك
إليه من مخافة النسيان فيعلم ما فيه صلاحكم من إبقا وإنسا ونيسرك لليسرى
ونعدك للطريقة اليسرى في حفظ الوحي أو التدين ونوفقك لها ولهذه النكتة
قال نيسرك لا نيسر لك عطف على سنقرئك وإنه يعلم اعتراض فذكر بعدما استتب
لك الأمر إن نفعت الذكرى لعل هذه الشرطية إنما جاءت بعد تكرير التذكير
وحصول اليأس عن البعض لئلا يتعب نفسه ويتلهف عليهم كقوله وما أنت عليهم
بجبار الآية أو لذم المذكرين واستبعاد تأثير الذكرى فيه أو للإشعار بأن
التذكير إنما يجب إذا أمكن نفعه ولذلك أمر بالإعراض عمن تولى سيذكر من
يخشى سيتعظ وينتفع بها من يخشى الله بأنه يتفكر فيها فيعلم حقيتها وهو يتناول

العارف والمتردد ويتجنبها ويتجنب الذكرى الأشقى الكافر فإنه أشقى من الفاسق
أو الأشقى من الكفرة لتوغله في الكفر الذي يصلى النار الكبرى نار جهنم فإنه عليه
الصلوة والسلام قال ناركم هذه جزء من سبعين جزءا من نار جهنم أو ما
في الدرك الأسفل منها ثم لا يموت فيها فيستريح ولا يحيى حياة تنفعه قد أفلح
من تزكى تطهر من الكفر والمعصية أو تكثر من التقوى من الزكاء أو تطهر للصلاة أو أدى
الزكاة وذكر اسم ربه بقلبه ولسانه فصلى لقوله أقم الصلاة لذكري ويجوز
أن يراد بالذكر تكبيرة التحرم وقيل تزكى تصدق للفطر وذكر اسم ربه كبره يوم
العيد فصلى صلاته بل تؤثرون الحيوة الدنيا فلا تفعلون ما يسعدهم في
الآخرة والخطاب للأشقين على الالتفات أو على إضمار قل أو للكل فإن السعي
في الدنيا أكثر في الجملة وقرأ أبو عمرو بالياء والآخرة خير وأبقى فإن نعيمها ملذ
بالذات خالص عن الغوائل لا انقطاع له إن هذا لفي الصحف الأولى الإشارة
إلى ما سبق من قد أفلح فإنه جامع أمر الديانة وخلاصة الكتب المنزلة صحف إبراهيم
وموسى بدل من الصحف الأولى قال عليه الصلوة والسلام من قرأ سورة الأعلى أعطاه
الله عشر حسنات بعدد كل حرف أنزله الله على إبراهيم وموسى ومحمد عليهم الصلوة والسلم

بسم الله الرحمن الرحيم هل أتاك حديث الغاشية الداهية
التي تغشى الناس بشدائدها يعني يوم القيمة أو النار من قوله وتغشى وجوههم النار
وجوه يومئذ خاشعة ذليلة عاملة ناصبة تعمل ما تتعب فيه كجر السلاسل
وخوضها في النار خوض الإبل في الوحل والصعود والهبوط في تلالها ووهادها
أو عملت ونصبت في أعمال لا تنفعها يومئذ تصلى نارا تدخلها وقرأ أبو عمرو ويعقوب
وأبو بكر تصلى من أصلاه الله وقرئ تصلى بالتشديد للمبالغة حامية متناهية
في الحر تسقى من عين آنية بلغت أناها في الحر ليس لهم طعام إلا من ضريع يبيس
الشبرق وهو شوك ترعاه الإبل ما دام رطبا وقيل شجرة نارية تشبه الضريع
ولعله طعام هؤلاء والزقوم والغسلين طعام غيرهم أو المراد طعامهم مما
تتحاماه الإبل وتتعافاه لضره وعدم نفعه كما قال لا يسمن ولا يغني من جوع والمقصود
من الطعام أحد الأمرين وجوه يومئذ ناعمة ذات بهجة أو متنعمة لسعيها راضية
رضيت بعملها لما رأت ثوابه في جنة عالية علية المحل أو القدر لا تسمع يا مخاطب
أو الوجوه وقرئ على بناء المفعول بالياء ابن كثير وأبو عمرو ورويس وبالتاء نافع فيها

لاغية لغوا او كلمة ذات لغو او نفسا تلغو فان كلام اهل الجنة الذكر والحكم
فيها عين جارية يجري ماؤها ولا ينقطع والتنكير للتعظيم فيها سرر مرفوعة
رفيعة السمك او القدر واكواب جمع كوب وهو انا لا عروة له موضوعة بين
ايديهم ونمارق مساند جمع نمرقة بالفتح والضم مصفوفة بعضها الى بعض
وزرابي وبسط فاخرة جمع زربية مبثوثة مبسوطة افلا ينظرون نظر اعتبار
الى الابل كيف خلقت خلقا دالا على كمال قدرته وحسن تدبيره حيث خلقها
لجر الاثقال الى البلاد النائية وجعلها عظيمة باركة للحمل ناهضة بالحمل
منقادة لمن اقتادها طوال الاعناق لتنوء بالاوقار ترعى كل نابت وتحتمل
العطش الى عشر فصاعدا ليتاتى لها قطع البراري والمفاوز مع ما لها من منافع
اخر ولذلك خصت بالذكر لبيان الايات المنبثة في الحيوانات التي هي اشرف
المركبات واكثرها صنعا ولانها اعجب ما عند العرب من هذا النوع وقيل المراد
بها السحاب على الاستعارة والى السما كيف رفعت بلا عمد والى الجبال
كيف نصبت فهي راسخة لا تميل والى الارض كيف سطحت بسطت حتى
صارت مهادا وقرئ الافعال الاربعة على بنا الفاعل المتكلم وحذف
الراجع المنصوب والمعنى افلا ينظرون الى انواع المخلوقات من البسايط
والمركبات ليتحققوا كمال قدرة الخالق فلا ينكروا اقتداره على البعث ولذلك
عقب به امر المعاد ورتب عليه الامر بالتذكير فقال فذكر انما انت مذكر فلا
عليك ان لم ينظروا ولم يذكروا اذ ما عليك الا البلاغ لست عليهم بمصيطر
بمتسلط وعن هشام بالسين على الاصل وحمزة بالاشمام الا من تولى وكفر
لكن من تولى وكفر فيعذبه الله العذاب الاكبر يعني عذاب الاخرة
وقيل متصل فان جهاد الكفار وقتلهم تسلط وكانه اوعدهم بالجهاد في الدنيا
وعذاب النار في الاخرة وقيل هو استثنا من قوله فذكر اي فذكر الا من تولى
واصر فاستحق العذاب الاكبر وما بينهما اعتراض ويؤيد الاول انه قرئ الا
على التنبيه ان الينا ايابهم رجوعهم وقرئ بالتشديد على انه فيعال مصدر
فيعل من الاياب او فعال من الاوب قلبت واوه الاولى قلبها في ديوان ثم الثانية
للادغام ثم ان علينا حسابهم في المحشر وتقديم الخبر للتخصيص والمبالغة
في الوعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا الغاشية حاسبه الله حسابا يسيرا

بسم الله الرحمن الرحيم والفجر اقسم بالصبح او فلقه لقوله والصبح
اذا تنفس او بصلاته وليال عشر عشر ذي الحجة ولذلك فسر الفجر بفجر عرفة
او النحر او عشر رمضان الاخير وتنكيرها للتعظيم وقرئ وليال عشر بالاضافة
على ان المراد بالعشر الايام والشفع والوتر والاشيا كلها شفعها ووترها
او بالخلق لقوله ومن كل شي خلقنا زوجين والخالق لانه فرد ومن فسرهما بالعناصر
والافلاك والبروج والسيارات او شفع الصلوات ووترها او بيومي النحر وعرفة
وقد روي مرفوعا او بغيرها فلعله افرد بالذكر من انواع المدلول ما راه اظهر
دلالة على التوحيد او مدخلا في الدين او مناسبة لما قبلها او اكثر منفعة موجبة
للشكر وقرا حمزة والكسائي والوتر بكسر الواو وهما لغتان كالحبر والحبر والليل
اذا يسر اذا يمضي لقوله والليل اذ ادبر والتقييد بذلك لما في التعاقب من قوة
الدلالة على كمال القدرة ووفور النعمة او يسرى فيه من قولهم صلى المقام وحذف
اليا للاكتفا بالكسرة تخفيفا وقد خصه نافع وابو عمرو بالوقف لمراعاة الفواصل
ولم يحذفها ابن كثير ويعقوب اصلا وقرئ يسر بالتنوين المبدل من حرف الاطلاق
هل في ذلك القسم او المقسم به قسم حلف او محلوف به لذي حجر يعتبره ويؤكد به
ما يريد تحقيقه والحجر العقل سمي به لانه يحجر عما لا ينبغي كما سمي عقلا ونهية وحصاة
من الاحصا وهو الضبط والمقسم عليه محذوف وهو ليعذبن يدل عليه قوله
الم تر كيف فعل ربك بعاد يعني اولاد عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح
قوم هود سموا باسم ابيهم كما سمي بنو هاشم باسمه ارم عطف بيان لعاد على تقدير
مضاف اي سبط ارم او اهل ارم ان صح انه اسم بلدتهم وقيل سمي اوائلهم وهم
عاد الاولى باسم جدهم ومنع صرفه للعلمية والتانيث ذات العماد ذات البنا
الرفيع او القدود الطوال او الرفعة والثبات وقيل كان لعاد ابنان شداد
وشديد فملكا وقهرا ثم مات شديد فخلص الامر لشداد وملك المعمورة ودانت
له ملوكها فسمع بذكر الجنة فبنى على مثالها في بعض صحاري عدن جنة وسماها
ارم فلما تم سار اليها باهله فلما كان منها على مسيرة يوم وليلة بعث الله عليهم
صيحة من السما فهلكوا وعن عبد الله بن قلابة انه خرج في طلب ابل له فوقع عليها
التي لم يخلق مثلها في البلاد صفة اخرى لارم والضمير لها سوا جعلت
اسم القبيلة او البلدة وثمود الذين جابوا الصخر قطعوه واتخذوه منازل لقوله
وتنحتون من الجبال بيوتا بالواد وادي القرى وفرعون ذي الاوتاد لكثرة
جنوده ومضاربهم التي كانوا يضربونها اذا نزلوا او لتعذيبه بالاوتاد الذين

طغوا في البلاد صفة للمذكورين عاد وثمود وفرعون او ذم منصوب او مرفوع
فاكثروا فيها الفساد بالكفر والظلم فصب عليهم ربك سوط عذاب ما خلط
لهم من انواع العذاب واصله الخلط وانما سمي به الجلد المظفور الذي يضرب به لكونه
مخلوط الطاقات بعضها ببعض وقيل شبه بالسوط ما احل بهم في الدنيا اشعارا
بانه بالقياس الى ما اعد لهم في الآخرة من العذاب كالسوط اذا قيس الى السيف
ان ربك لبالمرصاد المكان الذي يترقب فيه الرصد مفعال من رصده كالميقات
من وقته وهو تمثيل لارصاده العصاة بالعقاب فاما الانسان متصل بقوله
ان ربك لبالمرصاد كانه قيل انه لبالمرصاد من الآخرة فلا يريد الا السعي لها فاما الانسان
فلا يهمه الا الدنيا ولذاتها اذا ما ابتلاه ربه اختبره بالغنى واليسر فاكرمه
ونعمه بالجاه والمال فيقول ربي اكرمن فضلني بما اعطاني وهو خبر المبتدا
الذي هو الانسان والفاء لما في اما من معنى الشرط والظرف المتوسط في تقدير
التاخير كانه قيل فاما الانسان فقائل ربي اكرمن وقت ابتلائه بالانعام وكذا
قوله واما اذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه اذ التقدير واما الانسان اذا ما
ابتلاه اي بالفقر والتقتير ليوازن قسيمه فيقول ربي اهانن لقصور نظرهم
وسوء فكرهم فان التقتير قد يؤدي الى كرامة الدارين والتوسعة قد تفضي
الى قصد الاعداء والانهماك في حب الدنيا ولذلك ذمه على قوليه وردعه
عنه بقوله كلا مع ان قوله الاول مطابق لاكرمه ولم يقل فاهانه وقدر عليه
كما قال فاكرمه ونعمه لان التوسعة تفضل والاخلال به لا يكون اهانة وقرأ ابن
عامر والكوفيون اكرمن واهانن بغير يا في الوصل والوقف وعن ابي عمرو مثله
ووافقهم نافع في الوقف وقرأ ابن عامر فقدّر بالتشديد بل لا تكرمون اليتيم
ولا تحضون على طعام المسكين اي بل فعلهم اسوأ من قولهم وادل على تهالكهم
بالمال وهو انهم لا يكرمون اليتيم بالنفقة والمبرة ولا يحثون اهلهم على
طعام المسكين عن غيرهم وتاكلون التراث الميراث واصله وراث اكلا لما
ذا لم اي جمع بين الحلال والحرام فانهم كانوا لا يورثون النساء والصبيان
ويأكلون انصباءهم او ياكلون ما جمعه المورث من حلال وحرام عالمين بذلك
وتحبون المال حبا جما كثيرا مع حرص وشره كلا ردع لهم عن ذلك وانكار لما
بعده وعيد عليه اذا دكت الارض دكا دكا دكا بعد دك حتى صارت منخفضة
الجبال والتلال او هباء منبثا وجاء ربك اي ظهرت آيات قدرته وآثار قهره
مثل ذلك بما يظهر عند حضور السلطان من آثار هيبته وسياسته والملك صفا

صفا

صفا بحسب منازلهم ومراتبهم وجيء يومئذ بجهنم كقوله وبرزت الجحيم وفي
الحديث يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون الف زمام مع كل زمام سبعون الف
ملك يجرونها يومئذ بدل من اذا دكت والعامل فيهما يتذكر الانسان اي يتذكر
معاصيه او يتعظ لانه يعلم قبحها فيندم عليها وانى له الذكرى اي منفعة
الذكرى لئلا يناقض ما قبله واستدل به على عدم وجوب قبول التوبة فان هذا
التذكر توبة غير مقبولة يقول يا ليتني قدمت لحياتي اي لحياتي هذه او وقت
حياتي في الدنيا اعمالا صالحة وليس في هذا التمني دلالة على استقلال العبد
بفعله فان المحجور عن الشيء قد يتمنى ان كان ممكنا منه فيومئذ لا يعذب عذابه
احد ولا يوثق وثاقه احد الهاء لله تعالى اي لا يتولى عذاب الله ووثاقه يوم
القيامة سواه اذ الامر كله له او للانسان اي لا يعذب احد من الزبانية مثل ما
يعذبونه وقرأهما الكسائي ويعقوب على بناء المفعول يا ايتها النفس المطمئنة
على ارادة القول وهي التي اطمأنت بذكر الله فان النفس تترقى في سلسلة الاسباب
والمسببات الى الواجب لذاته فتستقر دون معرفته وتستغني به عن غيره او الى
الحق بحيث لا يريبها شك او الآمنة التي لا يستفزها خوف ولا حزن وقد قرئ
بها ارجعي الى ربك الى امره او موعده بالموت ويشعر ذلك بقول من قال
كانت النفوس قبل الابدان موجودة في عالم القدس او بالبعث راضية بما اوتيت
مرضية عند الله فادخلي في عبادي في جملة عبادي الصالحين وادخلي جنتي
معهم او في زمرة المقربين فتستضيء بنورهم فان الجواهر القدسية كالمرايا
المتقابلة او ادخلي في اجساد عبادي التي فارقت عنها وادخلي دار
ثوابي التي اعددت لك عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الفجر في
الليالي العشر غفر له ومن قرأها في سائر الايام كانت له نورا يوم القيامة

بسم الله الرحمن الرحيم لا اقسم بهذا البلد وانت حل بهذا
البلد اقسم سبحانه بالبلد الحرام وقيده بحلول الرسول فيه اظهارا لمزيد فضله
واشعارا بان شرف المكان بشرف اهله وقيل حل مستحل تعرضك فيه
كما يستحل تعرض الصيد في غيره او حلال لك ان تفعل فيه ما تريد ساعة من
النهار فهو وعد بما احل له عام الفتح ووالد عطف على هذا البلد والوالد آدم او
عليه السلام وما ولد ذريته او محمد صلى الله عليه وسلم والتنكير للتعظيم

براهيم

وآياتها على من بمعنى التعجب كما في قوله والله أعلم بما وضعت لقد خلقنا الإنسان
في كبد تعب ومشقة من كبد الرجل كبدا إذا وجعت كبده ومنه المكابدة والإنسان
لا يزال في شدائد مبدؤها ظلمة الرحم ومضيقه ومنتهاها الموت وما بعده وهو
تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم مما كان يكابده من قريش والضمير في أيحسب
لبعضهم الذي كان يكابد منه أكثر أو يغتر بقوته كأبي الأشد بن كلدة فإنه كان يبسط
تحت قدمه أديم عكاظي ويجذبه عشرة فينقطع ولا تزل قدماه أو لكل أحد منهم
أو للإنسان أن لن يقدر عليه أحد فينتقم منه يقول أي في ذلك الوقت أهلكت
مالا لبدا كثيرا من تلبد الشيء إذا اجتمع والمراد ما أنفقه سمعة ومفاخرة أو معاداة
للرسول أيحسب أن لم يره أحد حين كان ينفق أو بعد ذلك فيسأله عنه يعني أن الله
يراه فيجازيه أو يجده فيحاسبه عليه ثم قرر ذلك بقوله ألم نجعل له عينين يبصر
بهما ولسانا يترجم به عن ضمائره وشفتين يستر بهما فاه ويستعين بهما على النطق
والأكل والشرب وغيرهما وهديناه النجدين طريقي الخير والشر أو الثديين
وأصله المكان المرتفع فلا اقتحم العقبة أي فلم يشكر تلك الأيادي باقتحام العقبة
وهو الدخول في أمر شديد والعقبة الطريق في الجبل استعارها لما فسرها به من الفك
والإطعام في قوله وما أدراك ما العقبة فك رقبة أو إطعام في يوم ذي
مسغبة يتيما ذا مقربة أو مسكينا ذا متربة لما فيهما من مجاهدة النفس ولتعدد
المراد بها حسن وقوع لا موقع لم فإنها لا تكاد تقع إلا مكررة إذ المعنى فلا فك رقبة
ولا أطعم يتيما أو مسكينا والمسغبة والمقربة والمتربة مفعلات من سغب إذا جاع
وقرب في النسب وترب إذا افتقر وقرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي فك رقبة
أو أطعم على الإبدال من اقتحم وقوله وما أدراك ما العقبة اعتراض معناه أنك
لم تدر كنه صعوبتها وثوابها ثم كان من الذين آمنوا عطف على اقتحم أو فك بثم
لتباعد الإيمان عن العتق والإطعام في الرتبة لاستقلاله واشتراط سائر الطاعات
به وتواصوا بالصبر وأوصى بعضهم بعضا بالصبر على طاعة الله وتواصوا بالمرحمة
بالرحمة على عباده أو بموجبات رحمة الله أولئك أصحاب الميمنة اليمين أو اليمن
والذين كفروا بآياتنا بما نصبناه دليلا على الحق من كتاب وحجة أو بالقرآن هم
أصحاب المشأمة الشمال أو الشؤم ولتكرير ذكر المؤمنين باسم الإشارة والكفار
بالضمير شأن لا يخفى عليهم نار مؤصدة مطبقة من أوصدت الباب إذا أطبقته
وأغلقته وقرأ أبو عمرو وحمزة وحفص بالهمز من آصدته عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرأ لا أقسم بهذا البلد أعطاه الله تعالى الأمان من غضبه يوم القيامة

بسم الله الرحمن الرحيم والشمس وضحاها ضوءها إذا أشرقت و
قيل الضحوة ارتفاع النهار والضحى فوق ذلك والضحاء بالفتح والمد إذا امتد النهار
وكاد ينتصف والقمر إذا تلاها تلا طلوعه طلوع الشمس أول الشهر أو غروبها
ليلة البدر أو في الاستدارة وكمال النور والنهار إذا جلاها جلى الشمس فإنها تنجلي
إذا انبسط النهار أو الظلمة أو الدنيا أو الأرض وإن لم يجر ذكرها للعلم بها والليل
إذا يغشاها يغشى الشمس فيغطي ضوءها أو الآفاق أو الأرض ولما كانت واوات
العطف نوائب للواو الأولى القسمية الجارة بنفسها النائبة مناب فعل القسم من
حيث استلزمت طرحه معها ربطن المجرورات والظرف بالمجرور والظرف المقدم
ربط الواو لما بعدها في قولك ضرب زيد عمرا وبكر خالدا على الفاعل والمفعول
من غير عطف على عاملين مختلفين والسماء وما بناها ومن بناها وإنما أوثرت
على من لإرادة معنى الوصفية كأنه قيل والشيء القادر الذي بناها ودل على وجوده
وكمال قدرته بناها ولذلك أفرد ذكره وكذا الكلام في قوله والأرض وما طحاها
ونفس وما سواها وجعل الماءات مصدرية يجرد الفعل عن الفاعل ويخل بنظم
قوله فألهمها فجورها وتقواها بقوله وما سواها إلا أن يضمر فيها اسم الله
للعلم به وتنكير نفس للتكثير كما في قوله علمت نفس أو للتعظيم والمراد نفس آدم وإلهام
الفجور والتقوى إفهامهما وتعريف حالهما والتمكين من الإتيان بهما قد أفلح من
زكاها أنماها بالعلم والعمل جواب القسم وحذف اللام للطول وكأنه لما أراد الحث
على تكميل النفس والمبالغة فيه أقسم عليه بما يدلهم على العلم بوجود الصانع ووجوب
ذاته وكمال صفاته الذي هو أقصى درجات القوة النظرية ويذكرهم عظائم آلائه
ليحملهم على الاستغراق في شكر نعمائه الذي هو منتهى كمالات القوة العملية وقيل استطراد
بذكر بعض أحوال النفوس والجواب محذوف تقديره ليدمدمن الله على كفار مكة
لتكذيبهم رسوله كما دمدم على ثمود لتكذيبهم صالحا وقد خاب من دساها
نقصها وأخفاها بالجهالة والفسوق وأصل دسى دسس كتقضى وتقضض كذبت
ثمود بطغواها بسبب طغيانها أو بما أوعدت به من عذابها ذي الطغوى لقوله
فأهلكوا بالطاغية وأصله طغيا وإنما قلبت ياؤه واوا تفرقة بين الاسم والصفة وقرئ
بالضم كالرجعى إذ انبعث حين قام ظرف لكذبت أو طغوى أشقاها أشقى ثمود
وهو قدار بن سالف أو هو ومن مالأه على قتل الناقة فإن أفعل التفضيل إذا أضفته

صالح للواحد والجمع وفضل شقاوتهم لتوليهم العقر فقال لهم رسول الله ناقة
الله اي ذروا ناقة الله واحذروا عقرها وسقياها فلا تذودوها عنها فكذبوه
فيما حذرهم منه من حلول العذاب ان فعلوا فعقروها فدمدم عليهم ربهم فاطبق
عليهم العذاب وهو من تكرير قولهم ناقة مدمومة اذا البسها الشحم بذنبهم
بسببه فسواها فسوى الدمدمة بينهم او عليهم فلم يفلت منها صغير ولا كبير
او ثمود بالاهلاك ولا يخاف عقباها اي عاقبة الدمدمة او عاقبة هلاك
ثمود وتبعتها فيبقي بعض الابقاء والواو للحال وقرا نافع وابن عامر فلا على العطف
عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة والشمس فكانما تصدق بكل شيء طلعت عليه الشمس والقمر

بسم الله الرحمن الرحيم والليل اذا يغشى اي يغشى الشمس او النهار
او كل ما يواريه بظلامه والنهار اذا تجلى ظهر بزوال ظلمة الليل او تبين بطلوع
الشمس وما خلق الذكر والانثى والقادر الذي خلق صنف الذكر والانثى من كل
نوع له توالد او آدم وحوى وقيل ما مصدرية ان سعيكم لشتى ان مساعيكم
لاشتات مختلفة جمع شتيت فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى تفصيل
مبين لتشتت المساعي والمعنى من اعطى الطاعة واتقى المعصية وصدق بالكلمة
الحسنى وهي ما دلت على حق ككلمة التوحيد فسنيسره لليسرى فسنهيئه للخلة
التي تؤدي الى يسر وراحة كدخول الجنة من يسر الفرس اذا هياه للركوب بالسرج
والالجام واما من بخل بما امره واستغنى بشهوات الدنيا عن نعيم العقبى وكذب
بالحسنى بانكار مدلولها فسنيسره للعسرى للخلة المؤدية الى العسر والشدة
كدخول النار وما يغني عنه ماله نفي او استفهام انكار اذا تردى هلك تفعل
من الردى او تردى في حفرة القبر او قعر جهنم ان علينا للهدى للارشاد الى
الحق بموجب قضائنا او بمقتضى حكمتنا وان علينا طريقة الهدى لقوله وعلى الله
قصد السبيل وان لنا للآخرة والاولى فنعطي في الدارين ما نشاء لمن نشاء
او ثواب الهداية للمهتدين او فلا يضرنا ترككم الاهتداء فانذرتكم نارا تلظى
تتلهب لا يصلاها لا يلزمها مقاسيا شدتها الا الاشقى الا الكافر فان الفاسق
اذا دخلها لم يلزمها ولذلك سماه اشقى ووصفه بقوله الذي كذب وتولى
اي كذب الحق واعرض عن الطاعة وسيجنبها الاتقى الذي اتقى الشرك والمعاصي
فانه لا يدخلها فضلا ان يدخلها ويصلاها ومفهوم ذلك ان من اتقى الشرك

دون المعصية لا يجنبها ولا يلزم ذلك صليها فلا يخالف الحصر السابق الذي يؤتي
ماله يصرفه في مصارف الخير لقوله يتزكى فانه بدل من يؤتي او حال من فاعله
وما لاحد عنده من نعمة تجزى فيقصد بايتائه مجازاتها الا ابتغاء وجه
ربه الاعلى استثناء منقطع او متصل محذوف مثل لا يؤتي الا ابتغاء وجه ربه
لا لمكافاة نعمة ولسوف يرضى وعد بالثواب الذي يرضيه والآيات نزلت
في ابي بكر رضي الله عنه حين اشترى في جماعة تولاهم المشركون فاعتقهم ولذلك
قيل المراد بالاشقى ابو جهل او امية بن خلف عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرا سورة والليل اعطاه الله حتى يرضى وعافاه من العسر ويسر له اليسر

بلالا

بسم الله الرحمن الرحيم والضحى وقت ارتفاع الشمس وتخصيصه
لان النهار يقوى فيه او لان فيه الساعة التي كلم موسى ربه والقي السحرة
سجدا او النهار بعينه لقوله ان ياتيهم باسنا ضحى في مقابلة بياتا والليل
اذا سجى سكن اهله او ركد ظلامه من سجى البحر سجوا اذا سكنت امواجه وتقديم
الليل في السورة المتقدمة باعتبار الاصل وتقديم النهار ها هنا باعتبار الشرف
ما ودعك ربك ما قطعك قطع المودع وقرئ بالتخفيف بمعنى ما تركك وهو
جواب القسم وما قلى وما ابغضك وحذف المفعول استغناء بذكره من قبل
ومراعاة للفواصل روي ان الوحي تاخر عنه اياما لتركه الاستثناء كما مر في سورة
الكهف او لزجره سائلا ملحا او لان جروا ميتا كان تحت سريره او لغيره فقال
المشركون ان محمدا ودعه ربه وقلاه فنزلت ردا عليهم وللآخرة خير لك
من الاولى فانها باقية خالصة عن الشوائب وهذه فانية مشوبة بالمضار
كانه لما بين انه تعالى لا يزال يواصله بالوحي والكرامة في الدنيا وعده ما
هو اعلى واجل من ذلك في الآخرة او ولنهاية امرك خير من بدايته فانه لا
يزال يتصاعد في الرفعة والكمال ولسوف يعطيك ربك فترضى وعد
شامل لما اعطاه من كمال النفس وظهور الامر واعلاء الدين ولما ادخر له مما لا
يعرف كنهه سواه واللام للابتداء دخل الخبر بعد حذف المبتدا والتقدير ولانت سوف
يعطيك لا للقسم فانها لا تدخل على المضارع الا مع النون المؤكدة وجمعها
مع سوف للدلالة على ان العطاء كائن لا محالة وان تاخر لحكمة الم يجدك يتيما
فآوى تعديد لما انعم عليه تنبيها على انه كما احسن اليه فيما مضى يحسن فيما يستقبل

ويجدك من الوجود بمعنى العلم ويتيما مفعوله الثاني او المصادفة ويتيما
حال ووجدك ضالا عن علم الحكم والاحكام فهدى فعلمك بالوحي والالهام
والتوفيق للنظر وقيل وجدك ضالا في الطريق حين خرج بك ابو طالب الى
الشام او حين فطمتك حليمة وجاءت بك لتردك على جدك فازال ضلالك
عن عمك او جدك ووجدك عائلا فقيرا ذا عيال فاغنى بما حصل لك من ربح
التجارة فاما اليتيم فلا تقهر فلا تغلبه على ماله لضعفه وقرى فلا تكهر اي
فلا تعبس في وجهه واما السائل فلا تنهر فلا تزجر واما بنعمة ربك فحدث
فان التحدث بها شكرها وقيل المراد بالنعمة النبوة والتحدث بها تبليغها عن النبي صلعم
من قرا سورة والضحى جعله الله فيمن يرضى لمحمد ان يشفع وعشر حسنات يكتبها الله له بعدد كل يتيم وسائل

بسم الله الرحمن الرحيم الم نشرح لك صدرك الم نفسحه
حتى وسع مناجاة الحق ودعوة الخلق فكان غائبا حاضرا او الم نفسحه بما
اودعنا فيه من الحكم وازلنا عنه ضيق الجهل او بما يسرنا لك تلقي الوحي بعد
ما كان يشق عليك وقيل اشارة الى ما روي ان جبريل اتى رسول الله صلى
الله عليه وسلم في صباه او يوم الميثاق فاستخرج قلبه فغسله ثم ملاه ايمانا
وعلما ولعله اشارة الى نحو ما سبق ومعنى الاستفهام انكار نفي الانشراح
مبالغة في اثباته ولذلك عطف عليه ووضعنا عنك وزرك عبائك
الثقيل الذي انقض ظهرك الذي حمله على النقيض وهو صوت الرحل
عند الانتقاض من ثقل الحمل وهو ما ثقل عليه من فرطاته قبل البعثة او جهله
بالحكم والاحكام او حيرته او تلقي الوحي او ما كان يرى من ضلال قومه
مع العجز عن ارشادهم او من اصرارهم وتعديهم في ايذائه حين دعاهم الى
الايمان ورفعنا لك ذكرك بالنبوة وغيرها واي رفع مثل ان قرن اسمه
باسمه في كلمتي الشهادة وجعل طاعته طاعته وصلى عليه في ملائكته
وامر المؤمنين بالصلوة عليه وخاطبه بالالقاب وانما زاد لك ليكون ابهاما
قبل ايضاح فيفيد المبالغة فان مع العسر يسرا كضيق الصدر والوزر المنقض للظهر و
ضلال القوم وايذائهم يسرا كالشرح والوضع والتوفيق للاهتداء والطاعة
فلا تياس من روح الله اذا عراك ما يغمك وتنكيره للتعظيم والمعنى بما في ان مع
من المصاحبة المبالغة في معاقبة اليسر للعسر واتصاله به اتصال المتقاربين ان مع العسر يسرا

تكرير للتاكيد او استيناف وعده بان العسر مشفوع بيسر اخر كثواب الاخرة كقولك
ان للصائم فرحتين اي فرحة عند الافطار وفرحة عند لقاء
الرب وقوله عليه الصلوة والسلام لن يغلب عسر يسرين فان العسر معرف فلا
يتعدد سواء كان للعهد او الجنس واليسر منكر فيحتمل ان يراد بالثاني فرد يغاير ما
اريد بالاول فاذا فرغت من التبليغ فانصب فاتعب في العبادة شكرا لما عددنا
عليك من النعم السالفة ووعدنا بالنعم الاتية وقيل اذا فرغت من الغزو فانصب
في العبادة او فاذا فرغت من الصلوة فانصب بالدعاء والى ربك فارغب
بالسؤال ولا تسال غيره فانه القادر وحده على اسعافه وقرى فرغب اي رغب
الناس الى طلب ثوابه عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا الم نشرح فكانما جاءني وانا مغتم ففرج عني

بسم الله الرحمن الرحيم والتين والزيتون خصهما من الثمار
بالقسم لان التين فاكهة طيبة لا فضل له وغذاء لطيف سريع الهضم ودواء كثير
النفع فانه يلين الطبع ويحلل البلغم ويطهر الكليتين ويزيل رمل المثانة ويفتح
سدد الكبد والطحال ويسمن البدن وفي الحديث يقطع البواسير وينفع من النقرس
والزيتون فاكهة وادام ودواء وله دهن لطيف كثير المنافع مع انه قد
ينبت حيث لا دهنية فيه كالجبال وقيل المراد بهما جبلان من الارض المقدسة او مسجدا
دمشق وبيت المقدس او البلدان وطور سينين يعني الجبل الذي ناجى عليه موسى
ربه وسينين وسيناء اسمان للموضع الذي فيه وهذا البلد الامين اي الامن
من امن الرجل امانة فهو امين او المامون فيه يامن فيه من دخله والمراد به مكة
لقد خلقنا الانسان يريد به الجنس في احسن تقويم تعديل بان خص بانتصاب
القامة وحسن الصورة واجتماع خواص الكائنات ونظائر سائر الممكنات ثم رددناه
اسفل سافلين بان جعلناه من اهل النار او الى اسفل السافلين وهو النار وقيل
ارذل العمر فيكون الا الذين امنوا وعملوا الصالحات منقطعا فلهم اجر
غير ممنون لا ينقطع ولا يمن به عليهم وهو على الاول حكم مرتب على الاستثناء مقرر
له فما يكذبك فاي شيء يكذبك يا محمد دلالة او نطقا بعد بالدين بالجزاء بعد
ظهور هذه الدلائل وقيل ما بمعنى من وقيل الخطاب للانسان على الالتفات
والمعنى فما الذي يحملك على هذا الكذب اليس الله باحكم الحاكمين تحقيق لما سبق
والمعنى اليس الذي فعل ذلك من الخلق والرد باحكم الحاكمين صنعا وتدبيرا ومن

كان كذلك كان قادرا على الاعادة والجزاء على ما مر مرارا عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرا سورة والتين اعطاه الله العافية واليقين ما دام حيا فاذا مات
اعطاه من الاجر بعدد من قرا السورة

بسم الله الرحمن الرحيم اقرا باسم ربك اي اقرا القران مفتتحا
باسمه او مستعينا به الذي خلق اي الذي له الخلق او الذي خلق كل شيء ثم افرد
ما هو اشرف واظهر صنعا وتدبيرا وادل على وجوب العبادة المقصودة من القراءة
فقال خلق الانسان او الذي خلق الانسان فابهم اولا ثم فسر تفخيما لخلقه
ودلالة على عجيب فطرته من علق جمعه لان الانسان في معنى الجمع ولما كان اول
الواجبات معرفة الله تعالى نزل اولا ما يدل على وجوده وفرط قدرته وكمال
حكمته اقرا تكرير للمبالغة او الاول مطلق والثاني للتبليغ او في الصلاة
ولعله لما قيل له اقرا باسم ربك فقال ما انا بقارئ فقيل له اقرا وربك الاكرم
الزائد في الكرم على كل كريم فانه ينعم بلا عوض ويحلم من غير تخوف بل هو الكريم
وحده على الحقيقة الذي علم بالقلم اي الخط بالقلم وقد قرئ به لتقييد
به العلوم ويعلم به البعيد علم الانسان ما لم يعلم بخلق القوى ونصب
الدلائل وانزال الايات فيعلمك القراءة وان لم تكن قاريا وقد عدد سبحانه
مبدا امر الانسان ومنتهاه اظهارا لما انعم عليه من ان نقله من اخس المراتب
الى اعلاها تقريرا لربوبيته وتحقيقا لاكرميته واشار اولا الى ما يدل على معرفته
عقلا ثم نبه على ما يدل سمعا كلا ردع لمن كفر بنعمة الله لطغيانه وان لم يذكر
لدلالة الكلام عليه ان الانسان ليطغى ان راه استغنى اي راى نفسه
واستغنى مفعوله الثاني لانه بمعنى علم ولذلك جاز ان يكون فاعله ومفعوله
ضميرين لواحد ان الى ربك الرجعى الخطاب للانسان على الالتفات
تهديدا وتحذيرا من عاقبة الطغيان والرجعى مصدر كالبشرى ارايت الذي
ينهى عبدا اذا صلى نزلت في ابي جهل قال لو رايت محمدا ساجدا لوطئت عنقه
فجاءه ثم نكص على عقبيه فقيل له ما لك فقال ان بيني وبينه لخندقا من نار
وهولا واجنحة فنزلت ولفظ العبد وتنكيره للمبالغة في تقبيح النهي والدلالة
على كمال عبودية المنهي ارايت ان كان على الهدى او امر بالتقوى ارايت
تكرير للاول وكذا الذي في قوله ارايت ان كذب وتولى الم يعلم بان الله

عليها

يرى والشرطية مفعوله الثاني وجواب الشرط محذوف دل عليه جواب الشرط
الثاني الواقع موقع القسيم له والمعنى اخبرني عمن ينهى بعض عباد الله عن صلاته
ان كان ذلك الناهي على هدى فيما ينهى عنه او امرا بالتقوى فيما يامر به من عبادة الاوثان
كما يعتقده او ان كان على التكذيب للحق والتولي عن الصواب كما تقول الم يعلم بان
الله يرى ويطلع على احواله من هداه وضلاله وقيل المعنى ارايت الذي ينهى عبدا
اذا يصلي والمنهي على الهدى امر بالتقوى والناهي مكذب متول فما اعجب من ذا
وقيل الخطاب في الثانية مع الكافر فانه تعالى كالحاكم الذي حضره الخصمان يخاطب
هذا مرة والاخر اخرى وكانه قال يا كافر اخبرني ان كان صلاته هدى ودعاؤه
الى الله امرا بالتقوى اتنهاه ولعله ذكر الامر بالتقوى في التعجب والتوبيخ ولم يتعرض
له في النهي لان النهي كان عن الصلاة والامر فاقتصر على ذكر الصلاة لانه دعوة بالفعل
او لان نهي العبد اذا صلى يحتمل ان يكون لها ولغيرها وعامة احوالها محصورة في تكميل
نفسه بالعبادة وغيره بالدعوة كلا ردع للناهي لئن لم ينته عما هو فيه لنسفعا
بالناصية لناخذن بناصيته ولنسحبنه بها الى النار والسفع القبض على الشيء
وجذبه بشدة وقرئ لنسفعن بنون مشددة ولاسفعن وكتبته في المصحف بالالف
على حكم الوقف والاكتفاء باللام على الاضافة للعلم بان المراد ناصية المذكور ناصية
كاذبة خاطئة بدل من الناصية وانما جاز لوصفها وقرئت بالرفع على هي ناصية
والنصب على الذم ووصفها بالكذب والخطا وهما لصاحبها على الاسناد المجازي
للمبالغة فليدع ناديه اي اهل ناديه ليعينوه وهو المجلس الذي ينتدي فيه
القوم روي ان ابا جهل مر برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي فقال الم
انهك فاغلظ له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اتهددني وانا اكثر اهل الوادي
ناديا فنزلت سندع الزبانية ليجروه الى النار وهو في الاصل الشرط واحدها
زبنية كعفرية من الزبن وهو الدفع او زبني على النسب واصلها زباني والتاء معوضة
عن الياء كلا ردع ايضا للناهي لا تطعه واثبت انت على طاعتك واسجد
ودم على سجودك واقترب وتقرب الى ربك وفي الحديث اقرب ما يكون العبد الى
ربه اذا سجد عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة العلق اعطي من الاجر كانما قرا المفصل كله

بسم الله الرحمن الرحيم انا انزلناه في ليلة القدر الضمير
للقران فخمه باضماره من غير ذكر شهادة له بالنباهة المغنية عن التصريح كما عظمه

لنفعل

بان أسند انزاله اليه وعظم الوقت الذي أنزل فيه بقوله وما ادراك ما ليلة
القدر ليلة القدر خير من الف شهر وانزاله فيها بان ابتدا بانزاله فيها
او انزله جملة من اللوح الى السما الدنيا على السفرة ثم كان جبريل ينزله على رسول
الله صلى الله عليه وسلم نجوما في ثلاث وعشرين سنة وقيل المعنى انزلناه في فضلها
وهي في اوتار العشر الاخير من رمضان ولعلها السابعة منها والداعي الى اخفايها
ان يحيي من يريدها الليالي الكثيرة وتسميتها بذلك لشرفها او لتقدير الامور فيها
لقوله تعالى فيها يفرق كل امر حكيم وذكر الالف اما للتكثير او لما روي انه عليه
الصلوة والسلام ذكر اسراييليا لبس السلاح في سبيل الله الف شهر فتعجب المومنون
وتقاصرت اليهم اعمالهم فاعطوا ليلة هي خير من مدة ذلك الغازي تنزل الملايكة
والروح فيها باذن ربهم بيان لما فضلت على الف شهر وتنزلهم الى الارض
او السما الدنيا او تقربهم الى المومنين من كل امر من اجل كل امر قدر في تلك السنة
وقرى من كل امري اي من اجل كل انسان سلام هي ما هي الا سلامة اي لا يقدر
الله فيها الا السلامة ويقضي في غيرها السلامة والبلاء او ما هي الا سلام لكثرة ما
يسلمون فيها على المومنين حتى مطلع الفجر اي وقت مطلعه اي طلوعه وقرا الكسائي
بالكسر على انه كالمرجع او اسم زمان على غير قياس كالمشرق عن النبي صلى الله
عليه وسلم من قرا سورة القدر اعطي من الاجر كمن صام رمضان واحيى ليلة القدر

بسم الله الرحمن الرحيم لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب اليهود
والنصارى فانهم كفروا بالالحاد في صفات الله والمشركين وعبدة
الاصنام منفكين عما كانوا عليه من دينهم او الوعد باتباع الحق اذا جاءهم الرسول
حتى تاتيهم البينة الرسول او القرآن فانه مبين للحق او معجز الرسول باخلاقه والقرآن
بالمخامة من تحدى به رسول من الله بدل من البينة بنفسه او بتقدير مضاف
او مبتدا يتلو صحفا مطهرة صفته او خبره والرسول وان كان اميا لكنه لما
تلا مثل ما في الصحف كان كالتالي له وقيل المراد جبريل وكون الصحف مطهرة
ان الباطل لا ياتيه ما فيها وانها لا يمسها الا المطهرون فيها كتب قيمة مكتوبات
مستقيمة ناطقة بالحق وما تفرق الذين اوتوا الكتاب عما كانوا عليه بان
امن بعضهم او تردد في دينه او عن وعدهم بالاصرار الا من بعد ما جاءتهم
البينة فيكون كقوله وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا

كفروا به وافراد اهل الكتاب بعد الجمع بينهم وبين المشركين للدلالة على شناعة
حالهم وانهم لما تفرقوا مع علمهم كان غيرهم بذلك اولى وما امروا اي في
كتبهم بما فيها الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين لا يشركون به حنفاء مايلين
عن العقايد الزايغة ويقيموا الصلوة ويوتوا الزكوة ولكنهم حرفوا وعصوا
وذلك دين القيمة دين الملة القيمة ان الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين
في نار جهنم خالدين فيها اي يوم القيمة او في الحال لملابستهم ما يوجب ذلك
واشتراك الفريقين في جنس العذاب لا يوجب اشتراكهما في نوعه فلعله يختلف
لتفاوت كفرهما اولئك هم شر البرية اي الخليقة وقرا نافع البريئة بالهمز على
الاصل ان الذين امنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البرية جزاؤهم
عند ربهم جنات عدن تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا فيه
مبالغات تقديم المدح وذكر الجزا المؤذن بان ما منحوا في مقابلة ما وصفوا به والحكم
عليه بانه من عند ربهم وجمع جنات وتقييدها اضافة ووصفا بما يزداد لها نعيما
وتاكيد الخلود بالتابيد رضي الله عنهم استيناف بما يكون لهم زيادة على جزايهم
ورضوا عنه لانه بلغهم اقصى امانيهم ذلك اي المذكور من الجزا والرضوان
لمن خشي ربه فان الخشية ملاك الامر والباعث على كل خير عن النبي صلى الله
عليه وسلم من قرا سورة لم يكن كان يوم القيمة مع خير البرية مسا ومقيلا

بسم الله الرحمن الرحيم اذا زلزلت الارض زلزالها اضطرابها
المقدر لها عند النفخة الاولى او الثانية او الممكن لها او اللايق بها في الحكمة
وقرى بالفتح وهو اسم الحركة وليس في الابنية فعلال الا في المضاعف واخرجت الارض اثقالها
ما في جوفها من الدفاين او الاموات جمع ثقل وهو متاع البيت وقال الانسان
ما لها لما يبهرهم من الامر الفظيع وقيل المراد بالانسان الكافر فان المومن يعلم ما لها
يومئذ تحدث اخبارها تحدث الخلق بلسان الحال ما لاجله زلزالها
واخراجها وقيل ينطقها الله فتخبر بما عمل عليها ويومئذ بدل من اذا وناصبها
تحدث او اصل واذا منتصب بمضمر بان ربك اوحى لها اي تحدث بسبب ايحاء
ربك لها بان احدث فيها ما دلت على الاخبار او انطقها بها ويجوز ان يكون
بدلا من اخبارها اذ يقال حدثته كذا وبكذا واللام بمعنى الى او على اصلها
اذ لها في ذلك تشفي من العصاة يومئذ يصدر الناس من مخارجهم من القبور

الى الموقف اشتاتا متفرقين بحسب مراتبهم ليروا اعمالهم جزاء اعمالهم وقرئ بفتح
الياء فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره تفصيل
ليروا ولذلك قرئ يره بالضم وقرأ هشام باسكان الهاء ولعل حسنة الكافر
وسيئة المجتنب عن الكبائر يؤثران في نقص الثواب والعقاب وقيل الآية مشروطة
بعدم الاحباط والمغفرة او من الاولى مخصوصة بالسعداء والثانية بالاشقياء
لقوله اشتاتا والذرة النملة الصغيرة او الهباء عن النبي صلى الله
عليه وسلم من قرأ اذا زلزلت اربع مرات كان كمن قرأ القرآن كله

بسم الله الرحمن الرحيم والعاديات ضبحا اقسم بخيل
الغزاة تعدو فتضبح ضبحا وهو صوت انفاسها عند العدو ونصبه بفعله
المحذوف او بالعاديات فانها تدل بالالتزام على الضابحات او ضبحا
حال بمعنى ضابحة فالموريات قدحا فالتي توري النار والايراء اخراج
النار يقال قدح الزند فاورى فالمغيرات يغير اهلها على العدو صبحا
اي في وقته فاثرن به فهيجن بذلك الوقت نقعا غبارا او صياحا فوسطن به
فتوسطن بذلك الوقت او بالعدو او بالنقع او ملتبسات به جمعا من جموع
الاعداء روي انه عليه الصلوة والسلام بعث خيلا فمضت شهرا لم يأت منهم
خبر فنزلت ويحتمل ان يكون القسم بالنفوس العادية اثر كمالهن الموريات
بافكارهن انوار المعارف المغيرات على الهوى والعادات اذا ظهر لهن مثل
انوار القدس فاثرن به شوقا فوسطن به جمعا من جموع العليين ان الانسان
لربه لكنود لكفور من كند النعمة كنودا او لعاص بلغة كندة او لبخيل بلغة بني مالك
وهو جواب القسم وانه على ذلك لشهيد وان الانسان على كنوده يشهد
على نفسه لظهور اثره عليه او ان الله على كنوده لشهيد فيكون وعيدا وانه لحب
الخير المال من قوله ان ترك خيرا لشديد لبخيل او لقوي مبالغ فيه افلا يعلم
اذا بعثر بعث ما في القبور من الموتى وقرئ بحثر وبحث وحصل جمع محصلا
في الصحف او ميز ما في الصدور من خير او شر وتخصيصه لانه الاصل ان
ربهم بهم يومئذ وهو يوم القيمة لخبير عالم بما اعلنوا وما اسروا فيجازيهم
وانما قال ما ثم قال بهم لاختلاف شانهم في الحالين وقرئ ان وخبير بلا لام
عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ العاديات اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من بات بالمزدلفة وشهد جمعا

بسم الله الرحمن الرحيم القارعة ما القارعة وما ادريك ما
القارعة سبق بيانه في الحاقة يوم يكون الناس كالفراش المبثوث في كثرتهم
وذلتهم وانتشارهم واضطرابهم وانتصاب يوم بمضمر دلت عليه القارعة
وتكون الجبال كالعهن كالصوف ذي الالوان المنفوش المندوف لتفرق اجزائها
وتطايرها في الجو فاما من ثقلت موازينه بان ترجحت مقاديره بانواع حسناته
فهو في عيشة راضية ذات رضى اي مرضية واما من خفت موازينه
بان لم تكن له حسنة يعبأ بها او ترجحت سيئاته على حسناته فامه هاوية فماواه
النار والهاوية من اسمائها ولذلك وما ادريك ما هيه نار حامية ذات حمي
عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ القارعة ثقل الله بها ميزانه يوم القيمة

بسم الله الرحمن الرحيم الهاكم شغلكم واصله الصرف الى اللهو
منقول من لهي اذا غفل التكاثر التباهي بالكثرة حتى زرتم المقابر اذا استوعبتم
عدد الاحياء صرتم الى المقابر فتكاثرتم بالاموات عبر عن انتقالهم الى ذكر الموتى
بزيارة المقابر روي ان بني عبد مناف وبني سهم تفاخروا بالكثرة فكثرهم
بنو عبد مناف فقال بنو سهم ان البغي اهلكنا في الجاهلية فعادونا بالاحياء
والاموات فكثرتهم بنو سهم وانما حذف الملهى عنه وهو ما يعنيهم من امر
الدين للتعظيم والمبالغة وقيل معناه الهاكم التكاثر بالاموال والاولاد
الى ان متم وقبرتم مضيعين اعماركم في طلب الدنيا عما هو اهم لكم وهو السعي
لاخراكم فتكون زيارة القبور عبارة عن الموت كلا ردع وتنبيه على ان
العاقل ينبغي ان لا يكون جميع همه ومعظم سعيه للدنيا فان عاقبة ذلك
وبال وحسرة سوف تعلمون خطاء رايكم اذا عاينتم ما وراءكم وهو انذار
ليخافوا وينتبهوا من غفلتهم ثم كلا سوف تعلمون تكرير للتاكيد كلا لو
تعلمون علم اليقين اي لو تعلمون ما بين ايديكم علم الامر اليقين اي كعلمكم ما
تستيقنونه لشغلكم ذلك عن غيره او لفعلتم ما لا يوصف ولا يكتنه فحذف
الجواب للتفخيم ولا يجوز ان يكون قوله لترون الجحيم جوابا لانه محقق
الوقوع بل هو جواب قسم محذوف اكد به الوعيد واوضح به ما انذرهم منه

بعد ابهامه تفخيما وقرا ابن عامر والكسائي بضم التاء ثم لترونها تكرير للتاكيد
او الاولى اذا راتهم من مكان بعيد والثانية اذا وردوها والمراد بالاولى
المعرفة وبالثانية الابصار عين اليقين اي الروية التي هي نفس اليقين فان علم
المشاهدة اعلى مراتب اليقين ثم لتسالن يومئذ عن النعيم الذي الهاكم والخطاب
مخصوص بكل من الهاه دنياه عن دينه والنعيم مخصوص بما يشغله للقرينة
والنصوص الكثيرة عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا الهاكم لم يحاسبه
الله بالنعيم الذي انعم به عليه في دار الدنيا واعطي من الاجر كانما قرا الف اية

بسم الله الرحمن الرحيم والعصر اقسم بصلاة العصر لفضلها
او بعصر النبوة او بالدهر لاشتماله على الاعاجيب والتعريض بنفي ما يضاف اليه
من الخسران ان الانسان لفي خسر ان الناس لفي خسران في مساعيهم
وصرف اعمارهم في مطالبهم والتعريف للجنس والتنكير للتعظيم الا الذين
امنوا وعملوا الصالحات فانهم اشتروا الاخرة بالدنيا ففازوا بالحيوة
الابدية والسعادة السرمدية وتواصوا بالحق بالثابت الذي لا يصح انكاره
من اعتقاد او عمل وتواصوا بالصبر عن المعاصي او على الحق او ما يبلو الله به
عباده وهذا من عطف الخاص على العام للمبالغة الا ان يخص العمل بما يكون
مقصورا على كماله ولعله سبحانه انما ذكر الربح دون الخسران اكتفاء ببيان المقصود
واشعارا بان ما عدا ما عدد يؤدي الى خسر ونقص حظ او تكرما فان الابهام من جانب
الخسر كرم عن النبي صلعم من قرا سورة العصر غفر الله له وكان ممن تواصا بالحق وتواصا بالصبر

بسم الله الرحمن الرحيم ويل لكل همزة لمزة الهمز الكسر
كالهزم واللمز الطعن كاللهز فشاعا في الكسر من اعراض الناس والطعن فيهم
وبناء فعلة يدل على الاعتياد فلا يقال ضحكة ولعنة الا للمكثر المتعود وقرئ همزة
ولمزة بالسكون على بناء المفعول وهو المسخرة الذي ياتي بالاضاحيك فيضحك
منه ويشتم ونزولها في الاخنس بن شريق فانه كان مغتابا او في الوليد بن
المغيرة واغتيابه رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي جمع مالا بدل من
كل او ذم منصوب او مرفوع وقرا ابن عامر وحمزة والكسائي بالتشديد للتكثير

وعدده وجعله عدة للنوازل او عده مرة بعد اخرى ويؤيده انه قرئ وعدده
على فك الادغام يحسب ان ماله اخلده تركه خالدا في الدنيا فاحبه كما يحب
الخلود او حب المال اغفله عن الموت او طول امله حتى حسب انه مخلد فعمل عمل
من لا يظن الموت وفيه تعريض بان المخلد هو السعي للاخرة كلا ردع له عن
حسبانه لينبذن ليطرحن في الحطمة في النار التي من شانها ان تحطم
كل ما يطرح فيها وما ادريك ما الحطمة ما النار التي لها هذه الخاصية
نار الله تفسير لها الموقدة التي اوقدها الله وما اوقده لا يقدر ان يطفيه
غيره التي تطلع على الافئدة تعلو اوساط القلوب وتشتمل عليها وتخصيصها
بالذكر لان الفواد الطف ما في البدن واشده تالما او لانه محل العقايد الزايغة
ومنشا الاعمال القبيحة انها عليهم موصدة مطبقة من اوصدت الباب اذا
اطبقته قال تحن الى اجبال مكة ناقتي ومن دونها ابواب صنعا موصدة
في عمد ممددة اي موثقين في اعمدة ممدودة مثل المقاطر التي تقطر فيها اللصوص
وقرا الكوفيون غير حفص بضمتين عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا
سورة الهمزة اعطاه الله عشر حسنات بعدد من استهزا بمحمد واصحابه

بسم الله الرحمن الرحيم الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل
الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم وهو وان لم يشهد تلك الواقعة لكن شاهد
اثارها وسمع بالتواتر اخبارها فكانه راها وانما قال كيف ولم يقل ما لان المراد
تذكير ما فيها من وجوه الدلالة على كمال علم الله وقدرته وعزة بيته وشرف رسوله
فانها من الارهاصات اذ روي انها وقعت في السنة التي ولد فيها الرسول
صلى الله عليه وسلم وقصتها ان ابرهة بن الصباح الاشرم ملك اليمن من قبل
اصحمة النجاشي بنى كنيسة بصنعا وسماها القليس واراد ان يصرف اليها الحاج فخرج
رجل من كنانة فقعد فيها ليلا فاغضبه ذلك فحلف ليهدمن الكعبة فخرج بجيشه
ومعه فيل قوي اسمه محمود وفيلة اخرى فلما تهيا للدخول وعبا جيشه قدم
الفيل وكان كلما وجهوه الى الحرم برك ولم يبرح واذا وجهوه الى اليمن او الى جهة
اخرى هرول فارسل الله تعالى طيرا كل في منقاره حجر وفي رجليه
حجران اكبر من العدسة واصغر من الحمصة فترميهم فيقع الحجر في راس الرجل
فيخرج من دبره فهلكوا جميعا وقرئ الم تر جدا في اظهار اثر الجار وكيف نصب

فعل لايتي لما فيه من معنى الاستفهام الم يجعل كيدهم في تعطيل الكعبة وتخريبها
في تضليل في تضييع وابطال بان دمرهم وعظم شانها وارسل عليهم طيرا
ابابيل جماعات جمع ابالة وهي الحزمة الكبيرة شبهت بها الجماعة من الطير في
تضامها وقيل لا واحد لها كعبابيد وشماطيط ترميهم بحجارة وقرئ بالياء
على تذكير الطير لانه اسم جمع او اسناده الى ضمير ربك من سجيل من طين متحجر
معرب سنك كل وقيل من السجل وهو الدلو الكبير او الاسجال وهو الارسال
او من السجل ومعناه من جملة العذاب المكتوب المدون فجعلهم كعصف ماكول
كورق زرع وقع فيه الاكال وهو ان ياكله الدود او اكل حبه فبقي صفرا منه او كتبن
اكلته الدواب وراثته عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الفيل اعفاه الله ايام حياته من الخسف والمسخ

سورة قريش اربع ايات

بسم الله الرحمن الرحيم لايلاف قريش متعلق بقوله فليعبدوا
رب هذا البيت والفاء لما في الكلام من معنى الشرط اذ المعنى ان نعم الله عليهم
لا تحصى فان لم يعبدوه لسائر نعمه فليعبدوه لاجل ايلافهم رحلة الشتاء
والصيف اي الرحلة في الشتاء الى اليمن وفي الصيف الى الشام فيمتارون
ويتجرون او بمحذوف مثل اعجبوا او بما قبله كالتضمين في الشعر اي جعلهم كعصف
ماكول لايلاف قريش ويؤيده انهما في مصحف ابي سورة واحدة وقرئ لتالف
قريش ايلافهم رحلة الشتاء وقريش ولد نضر بن كنانة منقول من تصغير قرش
وهي دابة عظيمة في البحر تعبث بالسفن ولا تطاق الا بالنار فشبهوا بها لانها
تاكل ولا تؤكل وتعلو ولا تعلى وصغر الاسم للتعظيم واطلاق الايلاف ثم ابدال
المقيد عنه للتفخيم فليعبدوا رب هذا البيت الذي اطعمهم من جوع
اي بالرحلتين والتنكير للتعظيم وقيل المراد به شدة اكلوا فيها الجيف والعظام
وآمنهم من خوف خوف اصحاب الفيل والتخطف في بلدهم ومسايرهم او الجذام
فلا يصيبهم ببلدهم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة لايلاف قريش
اعطاه الله عشر حسنات بعدد من طاف بالكعبة واعتكف بها

سورة الماعون سبع ايات

بسم الله الرحمن الرحيم ارايت استفهام معناه التعجب وقرئ
اريت بلا همز الحاقا بالمضارع ولعل تصديرها بحرف الاستفهام سهل

224

امرها وانا ايتك بزيادة الكاف الذي يكذب بالدين بالجزاء او الاسلام
والذي يحتمل الجنس والعهد ويؤيد الثاني قوله فذلك الذي يدع اليتيم
يدفعه دفعا عنيفا وهو ابو جهل كان وصيا ليتيم فجاءه عريانا يساله من مال نفسه
فدفعه او ابو سفيان نحر جزورا فساله يتيم لحما فقرعه بعصاه او الوليد بن
المغيرة او منافق بخيل وقرئ يدع اي يترك ولا يحض اهله وغيرهم على طعام
المسكين لعدم اعتقاده بالجزاء ولذلك رتب الجملة على يكذب بالفاء فويل للمصلين
الذين هم عن صلاتهم ساهون غافلون غير مبالين بها الذين هم يراؤون
يرون الناس اعمالهم ليروهم الثناء عليهم ويمنعون الماعون الزكاة او ما يتعاور
في العادة والفاء جزائية والمعنى اذا كان عدم المبالاة باليتيم من ضعف الدين
والموجب للذم والتوبيخ فالسهو عن الصلاة التي هي عماد الدين والرياء الذي
هو شعبة من الكفر ومنع الزكوة التي هي قنطرة الاسلام احق بذلك ولذلك
رتب عليها الويل او للسببية على معنى فويل لهم وانما وضع المصلين موضع الضمير
للدلالة على معاملتهم مع الخالق والخلق عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرا سورة ارايت غفر له ان كان للزكوة مؤديا

سورة الكوثر ثلث ايات

بسم الله الرحمن الرحيم انا اعطيناك وقرئ انطيناك الكوثر
الخير المفرط الكثرة من العلم والعمل وشرف الدارين وروي عنه عليه الصلوة
والسلام انه نهر في الجنة وعدنيه ربي فيه خير كثير احلى من العسل وابيض من
اللبن وابرد من الثلج والين من الزبد حافتاه الزبرجد واوانيه من فضة لا يظما
من شرب منه وقيل حوض فيها وقيل اولاده او اتباعه او علماء امته او القران
فصل لربك فدم على الصلوة خالصا لوجه الله خلاف الساهي عنها المرائي فيها
شكرا لانعامه فان الصلوة جامعة لاقسام الشكر وانحر البدن التي هي خيار
اموال العرب وتصدق على المحاويج خلافا لمن يدعهم ويمنع منهم الماعون فالسورة
كالمقابلة للسورة المتقدمة وقد فسرت الصلاة بصلاة العيد والنحر بالتضحية
ان شانئك ان من ابغضك لبغضه لك هو الابتر الذي لا عقب له اذ لا يبقى
منه نسل ولا حسن ذكر واما انت فتبقى ذريتك وحسن صيتك واثار فضلك الى
يوم القيامة ولك في الاخرة ما لا يدخل تحت الوصف عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة
الكوثر سقاه الله من كل نهر له في الجنة ويكتب له عشر حسنات بعدد كل قربان قربه العباد في يوم النحر

سورة الكافرون ست آيات

بسم الله الرحمن الرحيم قل يا ايها الكافرون يعني كفرة مخصوصين قد علم الله منهم انهم لا يومنون روي ان رهطا من قريش قالوا يا محمد تعبد الهتنا سنة ونعبد الهك سنة فنزلت لا اعبد ما تعبدون اي فيما يستقبل فان لا لا تدخل الا على مضارع بمعنى الاستقبال كما ان ما لا تدخل الا على مضارع بمعنى الحال ولا انتم عابدون ما اعبد اي فيما يستقبل لانه في قران لا اعبد اي لا انتم مقرون به ولا انا عابد ما عبدتم اي في الحال او فيما سلف ولا انتم عابدون ما اعبد اي وما عبدتم في وقت ما انا عابده ويجوز ان يكون تاكيدين على طريقة ابلغ وانما لم يقل ما عبدت ليطابق ما عبدتم لانهم كانوا موسومين قبل المبعث بعبادة الاصنام وهو لم يكن حينئذ موسوما بعبادة الله وانما قال ما دون من لان المراد الصفة كانه قال لا اعبد الباطل ولا تعبدون الحق او للمطابقة وقيل انها مصدرية وقيل الاولتان بمعنى الذي والاخريان مصدريتان لكم دينكم الذي انتم عليه لا تتركونه ولي دين الذي انا عليه لا ارفضه فليس فيه اذن في الكفر ولا منع عن الجهاد ليكون منسوخا باية القتال اللهم اذا فسر بالمتاركة وتقرير كل من الفريقين الاخر على دينه وقد فسر الدين بالحساب والجزاء والدعاء والعبادة وقرا نافع وهشام وحفص بفتح الياء عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الكافرون فكانما قرا ربع القران وتباعدت عنه مردة الشياطين وبرئ من الشرك

سورة النصر ثلث ايات

بسم الله الرحمن الرحيم اذا جاء نصر الله اظهاره اياك على اعدائك والفتح وفتح مكة وقيل المراد جنس نصر الله المومنين وفتح مكة وساير البلاد عليهم وانما عبر عن الحصول بالمجيء تجوزا للاشعار بان المقدرات متوجهة من الازل الى اوقاتها المعينة لها فيقرب منها شيئا فشيئا وقد قرب النصر من وقته فكن مترقبا لوروده مستعدا لشكره ورايت الناس يدخلون في دين الله افواجا جماعات كثيفة كاهل مكة والطايف واليمن وهوازن وساير قبايل العرب ويدخلون حال على ان رايت بمعنى ابصرت او مفعول ثان على انه بمعنى علمت فسبح بحمد ربك فتعجب لتيسير الله ما لم يخطر ببال احد حامدا له عليه او فصل له حامدا على نعمه روي انه [illegible] دخل مكة بدا بالمسجد فدخل الكعبة وصلى ثمان ركعات او فنزهه

عما كانت الظلمة يقولون حامدا له على ان صدق وعده او فاثن على الله بصفات الجلال حامدا له على صفات الاكرام واستغفره هضما لنفسك واستقصارا لعملك واستدراكا لما فرط منك بالالتفات الى غيره وعنه عليه الصلوة والسلام اني لاستغفر الله في اليوم والليلة مائة مرة وقيل استغفره لامتك وتقديم التسبيح ثم الحمد على الاستغفار على طريقة النزول من الخالق الى الخلق كما قيل ما رايت شيئا الا ورايت الله قبله انه كان توابا لمن استغفر من خلق المكلفين والاكثر على ان السورة نزلت قبل فتح مكة وانه نعي لرسول الله صلى الله عليه وسلم لانه لما قراها بكى العباس فقال عليه الصلوة والسلام ما يبكيك فقال نعيت اليك نفسك قال انها لكما تقول ولعل ذلك لدلالتها على تمام الدعوة وكمال امر الدين فهي كقوله اكملت لكم او لان الامر بالاستغفار تنبيه على دنو الاجل ولهذا سميت سورة التوديع وعنه عليه الصلوة والسلام من قرا سورة اذا جاء اعطي من الاجر كمن شهد مع محمد يوم فتح مكة

سورة تبت خمس ايات

بسم الله الرحمن الرحيم تبت هلكت او خسرت والتباب خسران يودي الى الهلاك يدا ابي لهب نفسه كقوله ولا تلقوا بايديكم وقيل انما خصتا لانه عليه الصلوة والسلام لما نزل عليه وانذر عشيرتك الاقربين جمع اقاربه فانذرهم فقال ابو لهب تبا لك الهذا دعوتنا واخذ حجرا ليرميه به فنزلت وقيل المراد بهما دنياه واخراه وانما كناه والكنية تكرمة لاشتهاره بكنيته ولان اسمه عبد العزى فاستكره ذكره ولانه لما كان من اصحاب النار كانت الكنية اوفق لحاله وليجانس قوله ذات لهب وقرئ ابو لهب كما قيل علي بن ابو طالب وتب اخبار بعد اخبار والتعبير بالماضي لتحققه وقوعه كقوله جزاني جزاه الله شر جزائه جزاء الكلاب العاويات وقد فعل او يدل عليه انه قرئ وقد تب او الاول اخبار عما كسبت يداه والثاني عن نفسه ما اغنى عنه ماله نفي لاغناء المال عنه حين نزل به التباب او استفهام انكار له ومحلها النصب وما كسب او مكسوبه بماله من النتايج والارباح والوجاهة والاتباع او عمله الذي ظن انه ينفعه او ولده عتبة وقد افترسه اسد في طريق الشام وقد احدق به العير ومات ابو لهب بالعدسة بعد وقعة بدر بايام معدودة وترك ثلاثا حتى انتن ثم استاجروا بعض السودان حتى دفنوه فهو اخبار عن الغيب طابقه وقوعه سيصلى نارا ذات لهب اشتعال يريد نار جهنم [illegible] وليس فيه

مايدل على انه لايؤمن لجواز ان يكون صليها للفسق وقرئ سيصلى بالضم مخففا
ومشددا وامرأته عطف على المستكن في سيصلى او مبتدأ وهي ام جميل اخت ابي
سفيان حمالة الحطب يعني حطب جهنم فانها كانت تحمل الاوزار بمعاداة الا
لرسول وتحمل زوجها على ايذائه او النميمة فانها توقد نار الخصومة او حزمة
الشوك والحسك كانت تحملها فتنثرها بالليل في طريق رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقرأ عاصم بالنصب على الشتم في جيدها حبل من مسد اي مما مسد اي فتل
ومنه رجل ممسود الخلق اي مجدوله وهو ترشيح للمجاز او تصوير لها بصورة الحطابة
التي تحمل الحزمة وتربطها في جيدها تحقيرا لشانها او بيانا لحالها في نار جهنم
حيث يكون على ظهرها حزمة من حطب جهنم كالزقوم والضريع وفي جيدها سلسلة
من النار والظرف في موضع الحال او الخبر وحبل مرتفع به عن النبي صلى الله عليه
وسلم من قرأ سورة تبت رجوت ان لا يجمع بينه وبين ابي لهب في دار واحدة

سورة الاخلاص اربع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم قل هو الله احد الضمير للشأن
كقولك هو زيد منطلق وارتفاعه بالابتداء وخبره الجملة ولا حاجة الى العائد
لانها هي هو او لما سئل عنه اي الذي سألتم عنه هو الله اذ روي ان قريشا
قالوا يا محمد صف لنا ربك الذي تدعونا اليه فنزلت واحد بدل او خبر ثان
يدل على مجامع صفات الجلال كما دل الله على جميع صفات الكمال اذ الواحد
الحقيقي ما يكون منزه الذات عن انحاء التركيب والتعدد وما يستلزم احدهما
كالجسمية والتحيز والمشاركة في الحقيقة وخواصها كوجوب الوجود والقدرة
الذاتية والحكمة التامة المقتضية للالوهية وقرئ هو الله بلا قل مع الاتفاق
على انه لا بد منه في قل يا ايها الكافرون ولا يجوز في تبت ولعل ذلك لان سورة
الكافرين مشاقة الرسول او موادعتهم وتبت معاتبة عمه فلا يناسب ان
يكون منه واما هذه فتوحيد يقول به تارة ويؤمر بان يدعو اليه اخرى الله الصمد
السيد المصمود اليه في الحوائج من صمد اذا قصد وهو الموصوف به على الاطلاق
فانه يستغني عن غيره مطلقا وكل ما عداه محتاج اليه في جميع جهاته وتعريفه
لعلمهم بصمديته بخلاف احديته وتكرير لفظ الله للاشعار بان من لم يتصف
به لم يستحق الالوهية واخلاء الجملة عن العاطف لانها كالنتيجة للاولى
او الدليل عليها لم يلد لانه لم يجانس ولم يفتقر الى ما يعينه او يخلف عنه لامتناع

الحاجة والفناء عليه ولعل الاقتصار على لفظ الماضي لوروده ردا على من قال
الملائكة بنات الله او المسيح ابن الله او ليطابق قوله ولم يولد وذلك لانه لا يفتقر
الى شيء ولم يسبقه عدم ولم يكن له كفوا احد اي ولم يكن احد يكافئه اي يماثله
من صاحبة وغيرها وكان اصله ان يؤخر الظرف لانه صلة كفوا لكن لما كان المقصود
نفي المكافأة عن ذاته تعالى قدم تقديما للاهم ويجوز ان يكون حالا من المستكن
في كفوا او خبرا ويكون كفوا حالا من احد ولعل ربط الجمل الثلاث بالعطف لان المراد
منها نفي اقسام الامثال فهي كجملة واحدة منبه عليها بالجمل وقرأ حمزة ويعقوب ونافع
في رواية كفؤا بالتخفيف وحفص كفوا بالحركة وقلب الهمزة واوا ولاشتمال هذه السورة
مع قصرها على جميع المعارف الالهية والرد على من الحد فيها جاء في الحديث انها
تعدل ثلث القرآن فان مقاصده محصورة في بيان العقائد والاحكام والقصص
ومن عدلها بكله اعتبر المقصود بالذات من ذلك وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه
سمع رجلا يقرؤها فقال وجبت قيل يا رسول الله وما وجبت قال وجبت له الجنة

سورة الفلق خمس آيات

بسم الله الرحمن الرحيم قل اعوذ برب الفلق ما يفلق عنه
اي يفرق عنه كالفرق فعل بمعنى مفعول وهو يعم جميع الممكنات فانه تعالى
فلق ظلمة العدم بنور الايجاد عنها سيما ما يخرج من اصل كالعيون والامطار
والنبات والاولاد وخص عرفا بالصبح ولذلك فسر به وتخصيصه لان فيه
من تغير الحال وتبدل وحشة الليل بسرور النور ومحاكاة فاتحة يوم القيامة
والاشعار بان من قدر ان يزيل ظلمة الليل عن هذا العالم قدر ان يزيل عن
العائذ ما يخافه ولفظ الرب هنا اوقع من سائر اسمائه لان الاعاذة من
المضار تربية من شر ما خلق خص عالم الخلق بالاستعاذة عنه لانحصار
الشر فيه فان عالم الامر خير كله وشره اختياري لازم ومتعد كالكفر والظلم و
طبيعي كاحراق النار واهلاك السموم ومن شر غاسق ليل عظم ظلامه من قوله الى
غسق الليل واصله الامتلاء يقال غسقت العين اذا امتلأت دمعا وقيل السيلان
وغسق الليل انصباب ظلامه وغسق العين سيلان دمعه اذا وقب دخل
ظلامه في كل شيء وتخصيصه لان المضار فيه تكثر ويعسر الدفع ولذلك قيل
الليل اخفى للويل وقيل المراد به القمر فانه يكسف فيغسق ووقوبه دخوله في الكسوف
ومن شر النفاثات في العقد ومن شر النفوس او النساء السواحر اللاتي يعقدن

عقداً في خيوط وينفثن عليها والنفث النفخ مع ريق وتخصيصه لما روي ان يهودياً سحر النبي صلى الله عليه وسلم في احدى عشرة عقدة في وتر دسه في بئر فمرض عليه الصلوة والسلام ونزلت المعوذتان واخبره جبريل بموضع السحر فارسل علياً رضي الله عنه فجاء به وقراهما عليه فكان كلما قرا آية انحلت عقدة ووجد بعض الخفة ولا يوجب ذلك صدق الكفرة في انه مسحور لانهم ارادوا به انه مجنون بواسطة السحر وقيل المراد بالنفث في العقد ابطال عزائم الرجال بالحيل مستعار من تليين العقدة بنفث الريق ليسهل حلها وافرادها بالتعريف لان كل نفاثة شريرة بخلاف كل غاسق وحاسد **ومن شر حاسد اذا حسد** اذا اظهر حسده وعمل بمقتضاه فانه لا يعود ضرر منه قبل ذلك الى المحسود بل يخص به لاغتمامه بسروره وتخصيصه لانه العمدة في اضرار الانسان بل الحيوان غيره ويجوز ان يراد بالغاسق ما يخلو عن النور وما يضاهيه كالقوى وبالنفاثات النباتات فان قواها النباتية من حيث انها تزيد في طولها وعرضها وعمقها كانها تنفث في العقد الثلاثة وبالحاسد الحيوان فانه انما يقصد غيره غالباً طمعاً في عنده ولعل افرادها من عالم الخلق لانها الاسباب القريبة المضرة عن النبي صلى الله عليه وسلم لقد انزلت علي سورتان ما انزل مثلهما وانك لن تقرا سورتين احب ولا ارضى عند الله منهما يعني المعوذتين

سورة الناس ست آيات

بسم الله الرحمن الرحيم قل اعوذ قرئ في السورتين بحذف الهمزة ونقل حركتها الى اللام **برب الناس** لما كانت الاستعاذة في السورة المتقدمة من المضار البدنية وهي تعم الانسان وغيره والاستعاذة في هذه السورة من الاضرار التي تعرض النفوس البشرية وتخصها عمم الاضافة ثمة وخصصها بالناس ههنا وكانه قيل اعوذ من شر الموسوس الى الناس بربهم الذي يملك امورهم ويستحق عبادتهم **ملك الناس اله الناس** عطفا بيان له فان الرب قد لا يكون ملكاً والملك قد لا يكون الهاً وفي هذا النظم دلالة على انه حقيق بالاعاذة قادر عليها غير ممنوع عنها واشعار على مراتب الناظر في المعارف فانه يعلم اولاً بما يرى عليه من النعم الظاهرة والباطنة ان له رباً ثم يتغلغل في النظر حتى يتحقق انه غني عن الكل وذات كل شيء له ومصارف امره منه فهو الملك الحق ثم يستدل به على انه المستحق للعبادة لا غير واندرج في وجوه الاستعاذة المعتادة تنزيلاً لاختلاف الصفات منزلة اختلاف الذات اشعاراً بعظم الآفة

٦٤٧

المستعاذ منها وتكرير الناس لما في الاظهار من مزيد البيان والاشعار بشرف الانسان **من شر الوسواس** اي الوسوسة كالزلزال بمعنى الزلزلة واما المصدر فبالكسر كالزلزال والمراد به الموسوس سمي بفعله مبالغة **الخناس** الذي عادته ان يخنس اي يتاخر اذا ذكر الانسان ربه **الذي يوسوس في صدور الناس** اذا غفلوا عن ذكر ربهم وذلك كالقوة الوهمية فانها تساعد العقل في المقدمات فاذا آل الامر الى النتيجة خنست واخذت توسوسه وتشككه ومحل الذي الجر على الصفة او النصب او الرفع على الذم **من الجنة والناس** بيان للوسواس او للذي او متعلق بيوسوس اي يوسوس في صدورهم من جهة الجنة والناس وقيل بيان للناس على ان المراد به ما يعم الثقلين وفيه تعسف الا ان يراد به الناسي كقوله يوم يدع الداع فان نسيان حق الله يعم الثقلين عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا المعوذتين فكانما قرا الكتب التي انزلها الله تعالى والله اعلم بالصواب

تم الكتاب بحمد الله وحسن توفيقه بتاريخ اليوم المبارك
يوم الاربعاء عشرين من ذي القعدة الحرام
بالحرم الشريف النبوي في سنة تسع
وستين وتسعمائة والحمد لله
رب العالمين